

للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
٧٠١-٧٧٤هـ

تحقيق
أبي عمرو ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي

هذه الطبعة مقابلة على النسخة الأزهرية

الجزء الرابع

دار العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن العظيم

للحافظ بن كثير

ط ١ - الإسكندرية، دار العقيدة، ٢٠٠٨

عدد الصفحات ٧٣٦ صفحة

المقاس: ١٧ × ٢٤

دار العقيدة
طبع * نشر * توزيع

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٢٥١٤٣١٧٤

E-mail: dar_alakida@yahoo.com

تفسير سُورَةُ الصَّافَّاتِ وهي مكية

ترتيبها ٣٧ — وآياتها ١٨٢

قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيل بْن مَسْعُود حَدَّثَنَا خَالد -يَعْنِي: ابْن الحَارِث- عَنْ ابن أَبِي ذِئْب قَال: أَخْبَرَنِي الحَارِث بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سَالم بْن عَبْد الله عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: «كَانَ رَسُول الله ﷺ يَأْمُرنَا بِالتَّخْفِيفِ، وَيَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ»، تَفَرَّدَ بِهِ النَّسَائِيّ.(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾.

قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه أَنَّهُ قَال: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ وَهِيَ: المَلائِكَة، ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ هِيَ: المَلائِكَة، ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هِيَ: المَلائِكَة، وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمَسْرُوق وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَعِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَالسُّدِّيّ وَقَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس، قَال قَتَادَة: المَلائِكَة صُفُوف فِي السَّمَاء. وَقَال مُسْلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل، عَنْ أَبِي مَالك الأَشْجَعِيّ عَنْ رِبْعِيّ عَنْ حُذَيْفَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاس بِثَلاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفنَا كَصُفُوفِ المَلائِكَة، وَجُعِلَتْ لنَا الأَرْض كُلّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِل لنَا تربتها طَهُورًا إِذَا لمْ نَجِد المَاء**»(٢). وَقَدْ رَوَى مُسْلم أَيْضًا وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث الأَعْمَش عَنْ المُسَيِّب بْن رَافِع عَنْ تَمِيم بْن طَرَفَة عَنْ جَابِر بْن سَمُرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلائِكَة عِنْد رَبِّهِمْ؟**». قُلنَا: وَكَيْف تُصَفُّ المَلائِكَة عِنْد رَبِّهِمْ؟ قَال ﷺ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوف المُتَقَدِّمَة، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفّ**»(٣).

وَقَال السُّدِّيّ وَغَيْره: مَعْنَى قَوْله تَعَالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ : أَنَّهَا تَزْجُر السَّحَاب زجرًا. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ : مَا زَجَرَ الله تَعَالى عَنْهُ فِي القُرْآن، وَكَذَا رَوَى مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ قَال السُّدِّيّ: المَلائِكَة يَجِيئُونَ بِالكِتَابِ وَالقُرْآن مِنْ عِنْد الله إلى النَّاس، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ (المرسلات:٥-٦).

وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ هَذَا هُوَ المُقْسَم عَليْهِ؛ أَنَّهُ تَعَالى لا إله إِلَّا هُوَ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أَيْ: مِنْ المَخْلُوقَات، ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ أَيْ: هُوَ المَالك المُتَصَرِّف فِي الخَلق، بِتَسْخِيرِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ كَوَاكِب ثَوَابِت، وَسَيَّارَات، تَبْدُو مِنْ المَشْرِق، وَتَغْرُب مِنْ المَغْرِب. وَاكْتَفَى بِذِكْرِ المَشَارِق عَنْ المَغَارِب، لدَلالتِهَا عليها، وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلكَ فِي قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج:٤٠)، وَقَال تَعَالى فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن:١٧)، يَعْنِي: فِي الشِّتَاء وَالصَّيْف للشَّمْسِ وَالقَمَر.

---

(١) حسن : أخرجه النسائي (٢/ ٩٥)، وفي «الكبرى» (١/ ٢٩١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦) وغيرهم بسند حسن وصححه الألباني رحمه الله في «المشكاة» (١/ ٢٥١).

(٢) **صحيح** : تقدم.

(٣) **صحيح** : تقدم.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى أَنَّهُ زَيَّنَ السَّمَاء الدُّنْيَا لِلنَّاظِرِينَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْل الأَرْض ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾، قُرِئَ بِالإِضَافَةِ وَبِالبَدَل، وَكِلاهُمَا بِمَعْنًى وَاحِد، فَالكَوَاكِب السَّيَّارَة وَالثَّوَابِت يَثْقُب ضَوْؤُها جِرْم السَّمَاء الشَّفَّاف، فَتُضِيء لأَهْل الأَرْض، كَمَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:٥)، وَقَال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ (الحجر:١٦-١٨).

وقَوْله -جَلَّ وَعَلا- هَهُنَا ﴿وَحِفْظًا﴾ تَقْدِيره: وَحَفِظْنَاهَا حِفْظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: يَعْنِي: المُتَمَرِّد العَاتِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَرِق السَّمْع أَتَاهُ شِهَاب ثَاقِب فَأَحْرَقَهُ، وَلهَذَا قَال -جل جلاله-: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أَيْ: لِئَلَّا يَصِلُوا إِلى المَلإِ الأَعْلى، وَهِيَ السَّمَاوَات وَمَنْ فِيهَا مِنْ المَلائِكَة، إِذَا تَكَلَّمُوا بِمَا يُوحِيه الله تَعَالى مِمَّا يَقُولهُ مِنْ شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَان ذَلِكَ فِي الأَحَادِيث، الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا عِنْد قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ:٢٣)، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أَيْ: يُرْمَوْنَ ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ أَيْ: مِنْ كُلّ جِهَة يَقْصِدُونَ السَّمَاء مِنْهَا، ﴿دُحُورًا﴾ أي: رجمًا يُدْحَرون به، ويزجرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر، كما قال -جلت عظمته-: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:٥).

وَقَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ أَيْ: إِلَّا مَنْ اخْتَطَفَ مِنْ الشَّيَاطِين الخَطْفَة، وَهِيَ الكَلِمَة يَسْمَعهَا مِنْ السَّمَاء، فَيُلقِيهَا إِلى الَّذِي تَحْته، وَيُلقِيهَا الآخَر إِلى الَّذِي تَحْته، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَاب قَبْل أَنْ يُلقِيهَا، وَرُبَّمَا أَلقَاهَا بِقَدَرِ الله تَعَالى قَبْل أَنْ يَأْتِيه الشِّهَاب فَيُحْرِقَهُ، فَيَذْهَب بِهَا الآخَر إِلى الكَاهِن، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الحَدِيث، وَلهَذَا قَال: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أَيْ: مُسْتَنِير.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس ﭭ قَال: «كَانَ للشَّيَاطِينِ مَقَاعِد فِي السَّمَاء، قَال: فَكَانُوا يَسْتَمِعُونَ الوَحْي، قَال: وَكَانَتْ النُّجُوم لا تَجْرِي وَكَانَتْ الشَّيَاطِين لا تُرْمَى، قَال: فَإِذَا سَمِعُوا الوَحْي، نَزَلُوا إِلى الأَرْض فَزَادُوا فِي الكَلِمَة تِسْعًا، قَال: فَلَمَّا بُعِثَ رَسُول الله ﷺ جَعَل الشَّيْطَان إِذَا قَعَدَ مَقْعَده، جَاءَهُ شِهَاب فَلَمْ يُخْطِئْهُ حَتَّى يُحْرِقَهُ، قَال: فَشَكَوْا ذَلكَ إِلى إِبْليس -لعنه الله-، فَقَال: مَا هُوَ إِلَّا مِنْ أَمْر حَدَثَ، قَال: فبثَّ جُنُوده، فَإِذَا رَسُول الله ﷺ قَائِم يُصَلِّي بَيْن جَبَليْ نَخْلة -قَال وَكِيع: يَعْنِي بَطْن نَخْلة- قَال: فَرَجَعُوا إِلى إِبْليس فَأَخْبَرُوهُ، فَقَال: هَذَا الَّذِي حَدَثَ»[1].

وَسَتَأْتِي -إِنْ شَاءَ الله تَعَالى- الأَحَادِيث الوَارِدَة مَعَ الآثَار فِي هَذَا المَعْنَى عِنْد قَوْله تَعَالى إِخْبَارًا عَنْ الجِنّ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن:٨-١٠).

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾.

(١) صحيح : أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٦)، والترمذي (٣٣٢٤)، وأحمد (١/ ٢٧٤).

يَقُول تَعَالَى: فَسَلْ هَؤُلاءِ الْمُنْكِرِينَ لِلبَعْثِ: أَيّمَا أَشَدّ خَلقًا هُمْ أَمْ السَّمَاوَات وَالأَرْض، وَمَا بَيْنهمَا مِنْ الْمَلائِكَة وَالشَّيَاطِين وَالمَخْلُوقَات العَظِيمَة؟ وَقَرَأَ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه ﴿أم من عددنا﴾. فَإِنَّهُمْ يُقِرُّونَ أَنَّ هَذِهِ المَخْلُوقَات أَشَدّ خَلقًا مِنهُمْ، وَإِذَا كَانَ الأَمْر كَذَلِكَ فَلِمَ يُنْكِرُونَ البَعْث؟ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ مَا هُوَ أَعْظَم مِمَّا أَنْكَرُوا، كَمَا قَالَ ﷿: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر:٥٧).

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُمْ خُلقُوا مِنْ شَيْء ضَعِيف، فَقَال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ . قَال مُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالضَّحَّاك: هُوَ الجَيِّد الَّذِي يَلتَزِق بَعْضه بِبَعْضٍ، وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَعِكْرِمَة: هُوَ اللَّزِج الجَيِّد؟ وَقَال قَتَادَة: هُوَ الَّذِي يَلزَق بِاليَد .

وَقَوْله ﷿: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أَيْ: بَل عَجِبْت -يَا مُحَمَّد- مِنْ تَكْذِيب هَؤُلاءِ الْمُنْكِرِينَ لِلبَعْثِ، وَأَنْتَ مُوقِن مُصَدِّق بِمَا أَخْبَرَ الله تَعَالى به مِنْ الأَمْر العَجِيب، وَهُوَ إِعَادَة الأَجْسَام بَعْد فَنَائِهَا. وَهُمْ بِخِلافِ أَمْرك، مِنْ شِدَّة تَكْذِيبهمْ يَسْخَرُونَ مِمَّا تَقُول لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ. قَال قَتَادَة: عَجِبَ مُحَمَّد ﷺ وَسَخِرَ ضُلَّالُ بَنِي آدَم. ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ أَيْ: دَلالَة وَاضِحَة عَلى ذَلِكَ، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة: يَسْتَهْزِئُونَ. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أَيْ: إِنْ هَذَا الَّذِي جِئْت بِهِ إِلَّا سِحْرٌ مُبِين.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ يَسْتَبْعِدُونَ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُونَ بِهِ، ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أَيْ: قُل لَهُمْ يَا مُحَمَّد: نَعَمْ تُبْعَثُونَ يَوْم القِيَامَة، بَعْدَمَا تَصِيرُونَ تُرَابًا وَعِظَامًا، ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أَيْ: حَقِيرُونَ تَحْت القُدْرَة العَظِيمَة، كَمَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ (النمل:٨٧)، وَقَال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ثم قَال -جَلَّت عظمته-: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ أَيْ: فَإِنَّمَا هُوَ أَمْر وَاحِد مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ، يَدْعُوهُمْ دَعْوَة وَاحِدَة أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ الأَرْض، فَإِذَا هُمْ قِيَام بَيْن يَدَيْهِ يَنْظُرُونَ إِلى أَهْوَال يَوْم القِيَامَة.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ قِيل الكُفَّار يَوْم القِيَامَة أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَلى أَنْفُسهمْ بِالمَلامَةِ، وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ فِي الدَّار الدُّنْيَا، فَإِذَا عَايَنُوا أَهْوَال القِيَامَة نَدِمُوا كُلّ النَّدَم حَيْثُ لا يَنْفَعهُمْ النَّدَم، ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ، فَتَقُول لَهُمْ المَلائِكَة وَالْمُؤْمِنُونَ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ . وَهَذَا يُقَال لَهُمْ عَلى وَجْه التَّقْرِيع وَالتَّوْبِيخ، وَيَأْمُر الله تَعَالى المَلائِكَة أَنْ تُمَيِّز الكُفَّار مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي المَوْقِف فِي مَحْشَرهمْ وَمَنْشَرهمْ، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾. قَال النُّعْمَان بْن بَشِير رضي الله عنه : يَعْنِي بِأَزْوَاجهُمْ أَشْبَاههمْ وَأَمْثَالهمْ، وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَعِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَالسُّدِّيّ وَأَبُو صَالح وَأَبُو العَالِيَة وَزَيْد بْن أَسْلم، وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ سِمَاك عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير عَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه : ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قَال: إِخْوَانهمْ. وَقَال شَرِيك عَنْ سِمَاك عَنْ النُّعْمَان قَال: سَمِعْت عُمَر يَقُول: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾. قَال: أَشْبَاههمْ. قَال: يَجِيء أَصْحَاب الزِّنَا مَعَ أَصْحَاب الزِّنَا، وَأَصْحَاب الرِّبَا مَعَ أَصْحَاب الرِّبَا، وَأَصْحَاب الخَمْر مَعَ أَصْحَاب الخَمْر. وَقَال خُصَيْف: عَنْ مِقْسَم عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : أَزْوَاجهُمْ نِسَاءَهُمْ. وَهَذَا غَرِيب، وَالمَعْرُوف عَنْهُ الأَوَّل، كَمَا رَوَاهُ مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر عَنْهُ: ﴿وَأَزْوَٰجَهُم﴾: قُرَنَاءَهُمْ، ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: مِنْ الأَصْنَام، وَالأَنْدَاد تُحْشَر مَعَهُمْ فِي أَمَاكِنهمْ.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أَيْ: أَرْشِدُوهُمْ إِلى طَرِيق جَهَنَّم، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء:٩٧).

وَقَوْله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ أَيْ: قِفُوهُمْ حَتَّى يُسْأَلُوا عَنْ أَعْمَالهمْ، وَأَقْوَالهمْ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ فِي الدَّار الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس يَعْنِي: احْبِسُوهُمْ إِنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ.

وَقَالَ ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان قَالَ: سَمِعْت لَيْثًا يُحَدِّث عَنْ بَشِير عَنْ أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى شَيْءٍ كَانَ مَوْقُوفًا مَعَهُ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، لا يُغَادِرهُ وَلا يُفَارِقهُ، وَإِنْ دَعَا رَجُل رَجُلاً. ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾».[1] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث لَيْث ابْن أَبِي سُلَيْم، وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم عَنْ مُعْتَمِر عَنْ لَيْث عَنْ رَجُل عَنْ أَنَس رضي الله عنه مَرْفُوعًا.

وَقَالَ عَبْد الله بْن الْمُبَارَك: سَمِعْت عُثْمَان بْن زَائِدَة يَقُول: «إِنَّ أَوَّل مَا يُسْأَل عَنْهُ الرَّجُل جُلَسَاؤُهُ»، ثُمَّ يُقَال لَهُمْ عَلى سَبِيل التَّقْرِيع وَالتَّوْبِيخ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أَيْ: كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ جَمِيع مُنْتَصِر، ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أَيْ: مُنْقَادُونَ لأَمْرِ الله، لا يُخَالِفُونَهُ، وَلا يَحِيدُونَ عَنْهُ، والله أعلم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

يَذْكُر تَعَالى أَنَّ الكُفَّار يَتَلاوَمُونَ فِي عَرَصَات القِيَامَة، كَمَا يَتَخَاصَمُونَ فِي دَرَكَات النَّار، ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ (غافر:٤٧-٤٨)، وَقَال تَعَالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سبأ:٣١-٣٣)، وَهَكَذَا قَالُوا هُمْ هَهُنَا: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾. قَال الضَّحَّاك: عَنْ ابْن عَبَّاس: يَقُولُونَ: كُنْتُمْ تَقْهَرُونَنَا بِالقُدْرَةِ مِنْكُمْ عَلَيْنَا لأَنَّا كُنَّا أَذِلَّاء، وَكُنْتُمْ أَعِزَّاء، وَقَال مُجَاهِد: يَعْنِي عَنْ الحَقّ، وَالكُفَّار تَقُولهُ للشَّيَاطِين. وَقَال قَتَادَة: قَالَتْ الإِنْس للجِنّ: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾، قَال: مِنْ قِبَل الخَيْر فَتَنْهَوْنَا عَنْهُ، وَتُبَطِّئُونَا عَنْهُ. وَقَال السُّدِّيّ: تَأْتُونَنَا مِنْ قِبَل الحَقّ، وَتُزَيِّنُون لنَا البَاطِل، وَتَصُدُّونَا عَنْ الحَقّ. وَقَال الحَسَن فِي قَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ إِيْ: والله يَأْتِيه عِنْد كُلّ خَيْر يُرِيدهُ فَيَصُدّهُ عَنْهُ، وَقَال ابْن زَيْد: مَعْنَاهُ تَحُولُونَ بَيْننَا وَبَيْن الخَيْر، وَرَدَدْتُمُونَا عَنْ الإِسْلام، وَالإِيمَان وَالعَمَل بِالخَيْرِ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ، وَقَال يَزِيد الرِّشْك: مِنْ قِبَل «لا إِله إِلَّا الله»، وَقَال خُصَيْف: يَعْنُونَ مِنْ قِبَل مَيَامِنهمْ، وَقَال عِكْرِمَة: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ قَال: مِنْ حَيْثُ نَأْمَنكُمْ.

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٨)، والترمذي (٣٢٢٨) بسند ضعيف. وقال الترمذي: هذا حديث غريب – يعني: ضعيف –. وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٣٢).

وَقَوْله: ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَقُول القَادَة مِنَ الجِنّ وَالإِنْس للأَتْبَاعِ: مَا الأَمْر كَمَا تَزْعُمُونَ؟ بَل كَانَتْ قُلُوبكُمْ مُنْكِرَة للإِيمَانِ قَابِلة للكُفْرِ وَالعِصْيَان، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أَيْ: مِنْ حُجَّة عَلى صِحَّة مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ، ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ أَيْ: بَل كَانَ فِيكُمْ طُغْيَان، وَمُجَاوَزَة للحَقِّ، فَلِهَذَا اسْتَجَبْتُمْ لنَا، وَتَرَكْتُمْ الحَقّ الَّذِي جَاءَتْكُمْ بِهِ الأَنْبِيَاء، وَأَقَامُوا لكُمْ الحُجَج عَلى صِحَّة مَا جَاءُوكُمْ بِهِ فَخَالَفْتُمُوهُمْ، ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ يَقُول الكُبَرَاء للمُسْتَضْعَفِينَ: حَقَّتْ عَلَيْنَا كَلمَة الله إِنَّا مِنَ الأَشْقِيَاء الذَّائِقِينَ للعَذَابِ يَوْم القِيَامَة، ﴿فَأَغْوَيْنَاكُم﴾ أَيْ: دَعَوْنَاكُمْ إِلى الضَّلالة ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أَيْ: فدَعَوْنَاكُمْ إِلى مَا نَحْنُ فِيهِ فَاسْتَجَبْتُمْ لنَا، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أَيْ: الجَمِيع فِي النَّار كُلٌّ بِحَسَبِهِ، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ﴾ أَيْ: فِي الدَّار الدُّنْيَا، ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَيْ: يَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَقُولُوهَا، كَمَا يَقُولهَا المُؤْمِنُونَ.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عُبَيْد الله ابْن أَخِي ابن وَهْب حَدَّثَنَا عَمِّي حَدَّثَنَا اللَّيْث عَنْ ابْن مُسَافِر -يَعْنِي عَبْد الرَّحْمَن ابْن خَالد- عَنْ ابْن شِهَاب عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاس، حَتَّى يَقُولُوا: لا إِله إِلاَّ الله، فَمَنْ قَال: لا إِله إِلا الله، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالهُ وَنَفْسَهُ، إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلى الله عز وجل**»[1]. وَأَنْزَل الله فِي كِتَابه، وَذَكَر قَوْمًا اسْتَكْبَرُوا فَقَال تَعَالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو سَلمَة مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا حَمَّاد عَنْ سَعِيد الجُرَيْرِيّ عَنْ أَبِي العَلاء قَال: يُؤْتَى بِاليَهُودِ يَوْم القِيَامَة، فَيُقَال لهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نعبد الله وَعُزَيْرًا، فَيُقَال لهُمْ: خُذُوا ذَات الشِّمَال، ثُمَّ يُؤْتَى بِالنَّصَارَى، فَيُقَال لهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعْبُد الله وَالمَسِيح، فَيُقَال لهُمْ: خُذُوا ذَات الشِّمَال، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمُشْرِكِينَ، فَيُقَال لهُمْ: لا إِله إِلَّا الله، فَيَسْتَكْبِرُونَ، ثُمَّ يُقَال لهُمْ: لا إِله إِلَّا الله فَيَسْتَكْبِرُونَ، ثُمَّ يُقَال لهُمْ: لا إِله إِلَّا الله فَيَسْتَكْبِرُونَ، فَيُقَال لهُمْ: خُذُوا ذَات الشِّمَال. قَال أَبُو نَضْرَة: فَيَنْطَلِقُونَ أَسْرَع مِنْ الطَّيْر. قَال أَبُو العَلاء: ثُمَّ يُؤْتَى بِالمُسْلِمِينَ فَيُقَال لهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُد الله تعالى، فَيُقَال لهُمْ: هَل تَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُقَال لهُمْ: فَكَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلمْ تَرَوْهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعْلم أَنَّهُ لا عِدْل لهُ. قَال: فَيَتَعَرَّف لهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالى، وَتَقَدَّسَ وَيُنَجِّي الله المُؤْمِنِينَ.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أَيْ: أَنَحْنُ نَتْرُك عِبَادَة آلهَتنَا وَآلهَة آبَائِنَا عَنْ قَوْل هَذَا الشَّاعِر المَجْنُون، يَعْنُونَ رَسُول الله ﷺ، قَال الله تَعَالى تَكْذِيبًا لهُمْ وَرَدًّا عَليْهِمْ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ يَعْنِي: رَسُول الله ﷺ جَاءَ بِالحَقِّ فِي جَمِيع شِرْعَة الله تَعَالى لهُ مِنْ الإِخْبَار وَالطَّلب، ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أَيْ: صَدَّقَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ مِنْ الصِّفَات الحَمِيدَة، وَالمَنَاهِج السَّدِيدَة، وَأَخْبَرَ عَنْ الله تَعَالى فِي شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ كَمَا أَخْبَرُوا، ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ (فصلت:٤٣) الآيَة.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخَاطِبًا للنَّاسِ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ثُمَّ اسْتَثْنَى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٥٠)، ومسلم (٢٢).

مِنْ ذَلكَ عِبَاده المُخْلصِينَ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر:١-٣). وَقَال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين:٤-٦). وَقَال تَعَالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧١-٧٢)، وَقَال تَعَالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ (المدثر:٣٨-٣٩)، وَلهَذَا قَال -جَلَّ وَعَلا- هَهُنَا: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ . أَيْ: لَيْسُوا يَذُوقُونَ العَذَاب الأَليم، وَلا يُنَاقَشُونَ فِي الحِسَاب، بَل يُتَجَاوَز عَنْ سَيِّئَاتهمْ، إِنْ كَانَ لَهُمْ سَيِّئَات، وَيُجْزَوْنَ الحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالهَا إِلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْف إِلى أَضْعَاف كَثِيرَة، إِلى مَا يَشَاء الله تَعَالى مِنْ التَّضْعِيف.

وقَوْله -جل وعلا-: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ قَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ: يَعْنِي الجَنَّة. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ أَيْ: مُتَنَوِّعَة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ أَيْ: يُخْدَمُونَ وَيُرَفَّهُونَ وَيُنَعَّمُونَ، ﴿فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ قَال مُجَاهِد: لا يَنْظُر بَعْضهمْ إِلى قَفَا بَعْض.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْدَك القَزْوِينِيّ حَدَّثَنَا حَسَّان بْن حَسَّان حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن بِشْر حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن مَعِين حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم القُرَشِيّ عَنْ سَعِيد بْن شُرَحْبِيل عَنْ زَيْد بْن أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ ، فَتَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ يَنْظُر بَعْضهمْ إِلى بَعْض»[1]، حَدِيث غَرِيب.

وقَوْله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ كَمَا قَال ﷻ فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة:١٧-١٩)، نزَّه الله -سبحانه وتعالى-، خَمْر الآخرة عَنْ الآفَات الَّتِي فِي خَمْر الدُّنْيَا، مِنْ صُدَاع الرَّأْس وَوَجَع البَطْن، وَهُوَ الغَوْل وَذَهَابهَا بِالعَقْل جُمْلَة، فَقَال تَعَالى هَهُنَا: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أَيْ: بِخَمْرٍ مِنْ أَنْهَار جَارِيَة، لا يَخَافُونَ انْقِطَاعهَا، وَلا فَرَاغهَا. قَال مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: خَمْر جَارِيَة بَيْضَاء، أَيْ: لَوْنهَا مُشْرِق حَسَن بَهِيّ، لا كَخَمْرِ الدُّنْيَا فِي مَنْظَرهَا البَشِع الرَّدِيء مِنْ حُمْرَة، أَوْ سَوَاد أَوْ اصْفِرَار، أَوْ كُدُورَةٍ، إِلى غَيْر ذَلكَ مِمَّا يُنَفِّر الطَّبْع السَّليم. وَقَوْله: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ أَيْ: طَعْمهَا طَيِّب كَلَوْنِهَا، وَطِيب الطَّعْم دَليل عَلى طِيبِ الرِّيح، بِخِلافِ خَمْر الدُّنْيَا، فِي جَمِيع ذَلكَ. وَقَوْله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يَعْنِي: لا تُؤَثِّر فِيهِمْ غَوْلًا، وَهُوَ وَجَع البَطْن -قَالهُ [ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما][2] وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَابْن زَيْد- كَمَا تَفْعَلهُ خَمْر الدُّنْيَا مِنْ القُولَنْج وَنَحْوه لكَثْرَةِ مَائِيَّتهَا، وَقِيل: المُرَاد بِالغَوْل هَهُنَا: صُدَاع الرَّأْس، وَرُوِيَ هَكَذَا عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما . وَقَال قَتَادَة: هُوَ صُدَاع الرَّأْس، وَوَجَع البَطْن. وَعَنْهُ وَعَنْ السُّدِّيّ: لا تُغْتَال عُقُولهمْ، كَمَا قَال الشَّاعِر:

فمـا زَالـتِ الكـأسُ تَغْتَالُنَـا ❁ وتَـذهبُ بـالأوّل الأوّل

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: لا مَكْرُوه فِيهَا وَلا أَذَى. وَالصَّحِيح قَوْل مُجَاهِد: إِنَّهُ وَجَع البَطْن.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قَال مُجَاهِد: لا تُذْهِب عُقُولهمْ، وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس: وَمُحَمَّد بْن كَعْب وَالحَسَن وَعَطَاء بْن أَبِي مُسْلم الخُرَاسَانِيّ وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. وَقَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: فِي الخَمْر أَرْبَع خِصَال: السُّكْر، وَالصُّدَاع، وَالقَيْء، وَالبَوْل، فَذَكَرَ الله تَعَالى خَمْر الجَنَّة، فَنَزَّهَهَا عَنْ هَذِهِ الخِصَال، كما ذكر في سورة الصافات.

وقَوْله تَعَالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أَيْ: عَفِيفَات لا يَنْظُرْنَ إِلى غَيْر أَزْوَاجِهِنَّ. كَذَا قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما

(١) ضعيف : تقدم.
(٢) سقط من الأزهرية.

وَمُجاهِد، وَزَيْد بْن أَسْلم، وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. وَقَوْله -تبارك وتعالى-: ﴿عِينٌ﴾ أَيْ: حِسَان الأَعْيُن، وَقِيل: ضِخَام الأَعْيُن، وَهُوَ يَرْجِع إِلَى الأَوَّل، وَهِيَ: النَّجْلاء العَيْنَاء، فَوَصَفَ عُيُونَهُنَّ بِالحُسْنِ وَالعِفَّة، كَقَوْل زُلَيْخَا فِي يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَام: حِين جَمَّلَتْهُ، وَأَخْرَجَتْهُ عَلَى تِلْكَ النِّسْوَة، فَأَعْظَمْنَهُ وَأَكْبَرْنَهُ، وَظَنَنَّ أَنَّهُ مَلَكٌ مِنْ المَلائِكَة، لِحُسْنِهِ وَبَهَاءِ مَنْظَرِهِ، ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف:٣٢)، أَيْ: هُوَ مَعَ هَذَا الجَمَال عَفِيف تَقِيّ نَقِيّ، وَهَكَذَا الحُور العِين: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، وَلِهَذَا قَال -عز وجل-: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾، وَقَوْله -جل وعلا-: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ وَصَفَهُنَّ بِتَرَافَة الأَبْدَان بِأَحْسَنِ الأَلْوَان. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ يَقُول: اللُّؤْلُؤ المَكْنُون. وَيُنْشِد هَهُنَا بَيْت أَبِي دَهْبَل الشَّاعِر، وَهُوَ قَوْله فِي قَصِيدَة لَهُ:

وَهْــيَ زَهْــرَاءُ مثــل لؤلــؤة الغــوَّ ۞ اصِ مُيِّــزَتْ مِــن جــوهر مكْنُــون

وَقَال الحَسَن: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ يَعْنِي: مَحْصُون لَمْ تَمَسّهُ الأَيْدِي. وَقَال السُّدِّيّ: البَيْض فِي عُشِّهِ مَكْنُون. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ يَعْنِي: بَطْن البَيْض، وَقَال عَطَاء الخُرَاسَانِيّ: هُوَ السَّحَّاء الَّذِي يَكُون بَيْن قِشْرَته العُلْيَا وَلُبَاب البَيْضَة، وَقَال السُّدِّيّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ يَقُول: بَيَاض البَيْض حِين يُنْزَع قِشْرُه. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير لِقَوْلِهِ: ﴿مَّكْنُونٌ﴾ قَال: وَالقِشْرَة العُلْيَا يَمَسّهَا جَنَاح الطَّيْر وَالعُشّ وَتَنَالهَا الأَيْدِي بِخِلافِ دَاخِلهَا، والله أَعْلم. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن وَهْب حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الفرج الصَّدَفِيّ الدِّمْيَاطِيّ عَنْ عَمْرو بْن هَاشِم عَنْ ابْن أَبِي كَرِيمَة عَنْ هِشَام عَنْ الحَسَن عَنْ أُمّه عَنْ أُمّ سَلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: [قُلْتُ: يَا رَسُول الله أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْل الله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (الواقعة:٢٢) قَال: «العِين الضِّخَام العُيُون، شَفْر الحَوْرَاء بِمَنْزِلَةِ جَنَاح النِّسْر»][1]. قُلت: يَا رَسُول الله أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قَال: «رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الجِلدَة الَّتِي رَأَيْتهَا فِي دَاخِل البَيْضَة الَّتِي تَلِي القِشْر وَهِيَ الغِرْقِئ».[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان النَّهْدِيّ حَدَّثَنَا عَبْد السَّلام بْن حَرْب عَنْ لَيْث عَنْ الرَّبِيع ابْن أَنَس عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبهمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرهمْ إِذَا حَزِنُوا، وَأَنَا شَفِيعهمْ إِذَا حُبِسُوا، لِوَاء الحَمْد يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَم وَلَد آدَم عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَلا فَخْر، يَطُوف عَلَيَّ أَلْف خَادِم كَأَنَّهُنَّ البَيْض المَكْنُون -أَوْ اللُّؤْلُؤ المَكْنُون»**.[3] والله تعالى أعلم بالصواب.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ أَهْل الجَنَّة أَنَّهُ أَقْبَل بَعْضهمْ عَلَى بَعْض يَتَسَاءَلُونَ، أَيْ: عَنْ أَحْوَالهمْ، وَكَيْفَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، وَمَاذَا كَانُوا يُعَانُونَ فِيهَا؟ وَذَلِكَ مِنْ حَدِيثهمْ عَلَى شَرَابهمْ، وَاجْتِمَاعهمْ فِي تَنَادُمِهِمْ وَمُعَاشَرَتهمْ فِي مَجَالِسهمْ، وَهُمْ

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) منكــر : أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٦٧)، وفي «الأوسط» (٣١٤١) بسند ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٥٥) وقال: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي. وقال الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٥٣): منكر.

(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٦١٠) بسند ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، والحديث ضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف سنن الترمذي».

جُلُوس عَلَى السُّرُر، وَالخَدَم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَسْعَوْنَ، وَيَجِيئُونَ بِكُلِّ خَيْر عَظِيم، مِنْ مَآكِل وَمَشَارِب وَمَلابِس وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا لا عَيْن رَأَتْ، وَلا أُذُن سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي شَيْطَانًا. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: هُوَ الرَّجُل الْمُشْرِك، يَكُون لَهُ صَاحِب مِنْ أَهْل الإِيمَان فِي الدُّنْيَا. وَلا تَنَافِي بَيْن كَلام مُجَاهِد، وَابْن عَبَّاس رضي الله عنهما؛ فَإِنَّ الشَّيْطَان يَكُون مِنْ الجِنّ فَيُوَسْوِس فِي النَّفْس، وَيَكُون مِنْ الإِنْس فَيَقُول كَلامًا تَسْمَعهُ الأُذُنَانِ، وَكِلاهُمَا متقاربان، قَال الله تَعَالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام:١١٢)، وَكُلّ مِنْهُمَا يُوَسْوِس، كَمَا قَال الله عز وجل: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، ولهذا ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ أَيْ: أَأَنْت تُصَدِّق بِالبَعْث وَالنُّشُور وَالحِسَاب وَالجَزَاء؟! يَعْنِي: يَقُول ذَلِكَ عَلَى وَجْه التَّعَجُّب وَالتَّكْذِيب وَالاسْتِبْعَاد، وَالكُفْر وَالعِنَاد، ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ قَال مُجَاهِد، وَالسُّدِّيّ: لَمُحَاسَبُونَ. وَقَال ابْن عَبَّاس وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ: لَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالنَا؟ وَكِلاهُمَا صَحِيح.

قَال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أَيْ: مُشْرِفُونَ يَقُول المُؤْمِن لأَصْحَابه، وَجُلَسَائِهِ مِنْ أَهْل الجَنَّة. ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَخُلَيْد العَصَرِيّ وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ: يَعْنِي: فِي وَسَط الجَحِيم، وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: فِي وَسَط الجَحِيم كَأَنَّهُ شِهَاب يَتَّقِد، وَقَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنا أَنَّهُ اطَّلَعَ فَرَأَى جَمَاجِم القَوْم تَغْلِي، وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ كَعْب الأَحْبَار، قَال: فِي الجَنَّة كُوًى إِذَا أَرَادَ أَحَد مِنْ أَهْلهَا، أَنْ يَنْظُر إِلَى عَدُوّه فِي النَّار اطَّلَعَ فِيهَا، فَازْدَادَ شُكْرًا. ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾، يَقُول المُؤْمِن مُخَاطِبًا للكَافِر: والله إِنْ كِدْت لَتُهْلِكنِي لَوْ أَطَعْتُك، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أَيْ: وَلَوْلا فَضْل الله عَلَيَّ لَكُنْت مِثْلك فِي سَوَاء الجَحِيم حَيْثُ أَنْتَ، مُحْضَر مَعَك فِي العَذَاب، وَلَكِنَّهُ تَفَضَّل عَلَيَّ وَرَحِمَنِي فَهَدَانِي للإِيمَان وَأَرْشَدَنِي إِلَى تَوْحِيده، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف:٤٣). وَقَوْله تَعَالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ هَذَا مِنْ كَلام المُؤْمِن مُغْتَبِطًا نَفْسه بِمَا أَعْطَاهُ الله تَعَالى مِنْ الخُلْد فِي الجَنَّة وَالإِقَامَة فِي دَار الكَرَامَة، بِلا مَوْت فِيهَا، وَلا عَذَاب، وَلِهَذَا قَال عز وجل: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا [أَبُو حمزة الظَّهْرَانِي][1] حَدَّثَنَا حَفْص بْن عُمَر العَدَنِيّ حَدَّثَنَا الحَكَم بْن أَبَان عَنْ عِكْرِمَة قَال: [قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْل الله تَبَارَكَ وَتَعَالى، لأَهْل الجَنَّة: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الطور:١٩)][2]، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: قَوْله عز وجل: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾، أَيْ: لا يَمُوتُونَ فِيهَا، فَعِنْدهَا قَالُوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. [وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: عَلِمُوا أَنَّ كُلّ نَعِيم فَإِنَّ المَوْت يَقْطَعهُ، فَقَالُوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قِيل][3]: لا، قَالُوا: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. وَقَوْله: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾. قَال قَتَادَة: هَذَا مِنْ كَلام أَهْل الجَنَّة، وَقَال ابْن جَرِير: هُوَ مِنْ كَلام الله تَعَالى، وَمَعْنَاهُ: لِمِثْل هَذَا النَّعِيم، وَهَذَا الفَوْز فَلْيَعْمَل العَامِلُونَ فِي الدُّنْيَا لِيَصِيرُوا إِلَيْهِ فِي الآخِرَة، وَقَدْ ذَكَرُوا قِصَّة رَجُلَيْنِ كَانَا شَرِيكَيْنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيل، تَدْخُل فِي ضِمْن عُمُوم هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة.

قَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم بْن حَبِيب بْن الشَّهِيد، حَدَّثَنَا عَتَّاب بْن بَشِير عَنْ خُصَيْف عَنْ فُرَات بْن ثَعْلَبَة النَّهْرَانِيّ فِي قَوْله: ﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ قَال: إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا شَرِيكَيْنِ، فَاجْتَمَعَ لَهُمَا

---

(١) في الأزهرية: [أبو عبد الله الظهراني].
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) سقط من الأزهرية.

ثَمانِيَة آلافِ دِينَار، وَكَانَ أَحَدُهُمَا لَهُ حِرْفَة، وَالآخر لَيْسَ لَهُ حِرْفَة، فَقَال الَّذِي لَهُ حِرْفَة للآخَرِ: لَيْسَ عِنْدك حِرْفَة، مَا أَرَانِي إِلَّا مُفَارِقك، وَمُقَاسِمك فَقَاسَمَهُ، وَفَارَقَهُ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُل اشْتَرَى دَارًا بِأَلفِ دِينَار كَانَتْ لَمِلكٍ مَاتَ فَدَعَا صَاحِبه، فَأَرَاهُ فَقَال: كَيْفَ تَرَى هَذِهِ الدَّار، ابْتَعْتهَا بِأَلفِ دِينَار؟ قَال: مَا أَحْسَنهَا، فَلَمَّا خَرَجَ قَال: اللهمَّ إِنَّ صَاحِبِي هَذَا قَدْ ابْتَاعَ هَذِهِ الدَّار بِأَلفِ دِينَار، وَإِنِّي أَسْأَلُك دَارًا مِنْ دُور الجَنَّة، فَتَصَدَّقَ بِأَلفِ دِينَار، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يَمْكُث، ثُمَّ إِنَّهُ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ بِأَلفِ دِينَار فَدَعَاهُ وَصَنَعَ لهُ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُ قَال: إِنِّي تَزَوَّجْت هَذِهِ المَرْأَة بِأَلفِ دِينَار، قَال: مَا أَحْسَن هَذَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَال: يَا رَبّ إِنَّ صَاحِبِي تَزَوَّجَ امْرَأَة بِأَلفِ دِينَار، وَإِنِّي أَسْأَلك امْرَأَة مِنْ الحُور العِينِ، فَتَصَدَّقَ بِأَلفِ دِينَار، ثُمَّ إِنَّهُ مَكَثَ مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يَمْكُث ثُمَّ اشْتَرَى بُسْتَانَيْنِ بِأَلفَيْ دِينَار، ثُمَّ دَعَاهُ فَأَرَاهُ، فَقَال: إِنِّي ابْتَعْت هَذَيْنِ البُسْتَانَيْنِ بِأَلفَيْ دِينَار، فَقَال: مَا أَحْسَن هَذَا، فَلَمَّا خَرَجَ قَال: يَا رَبّ إِنَّ صَاحِبِي قَدْ اشْتَرَى بُسْتَانَيْنِ بِأَلفَيْ دِينَار، وَأَنَا أَسْأَلك بُسْتَانَيْنِ فِي الجَنَّة، فَتَصَدَّقَ بِأَلفَيْ دِينَار، ثُمَّ إِنَّ المَلَك أَتَاهُمَا، فَتَوَفَّاهُمَا، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَذَا المُتَصَدِّق، فَأَدْخَلهُ دَارًا تُعْجِبهُ، وَإِذَا بِامْرَأَةٍ تَطْلُع يُضِيء مَا تَحْتهَا مِنْ حُسْنهَا، ثُمَّ أَدْخَلهُ بُسْتَانَيْنِ وَشَيْئًا الله بِهِ عَلِيم، فَقَال عِنْد ذَلِكَ: مَا أَشْبَهَ هَذَا بِرَجُلٍ، كَانَ مِنْ أَمْره كَذَا وَكَذَا، قَال: فَإِنَّهُ ذَاكَ، وَلك هَذَا المَنْزِل وَالبُسْتَانَانِ وَالمَرْأَة، قَال: فَإِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِب يَقُول: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ قِيل لَهُ: فَإِنَّهُ فِي الجَحِيم، ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فَقَال عِنْد ذَلِكَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ الآيَات.

قَال ابْن جَرِير: وَهَذَا يُقَوِّي قِرَاءَة مَنْ قَرَأَ: (ءأنك لمن المصَدِّقين) بِالتَّشْدِيدِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَرَفَة حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَبْد الرَّحْمَن الأَبَّار أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْص قَال: سَأَلت إِسْمَاعِيل السُّدِّيّ عَنْ هَذِهِ الآيَة: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ قَال: فَقَال لِي: مَا ذَكَّرَكَ هَذَا؟ قُلت: قَرَأْته آنِفًا فَأَحْبَبْت أَنْ أَسْأَلك عَنْهُ؟ فَقَال: أَمَا فَاحْفَظْ: كَانَ شَرِيكَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيل، أَحَدهمَا مُؤْمِن وَالآخر كَافِر، فَافْتَرَقَا عَلى سِتَّة آلاف دِينَار، لِكلِّ وَاحِد مِنْهُمَا ثَلاثَة آلاف دِينَار، ثُمَّ افْتَرَقَا فَمَكَثَا مَا شَاءَ الله تعالى، أَنْ يَمْكُثَا، ثُمَّ التَقَيَا، فَقَال الكَافِر لِلمُؤْمِنِ: مَا صَنَعْت فِي مَالك؟ أَضَرَبْت بِهِ شَيْئًا، أَتَّجَرْت بِهِ فِي شَيْء؟ فَقَال لَهُ المُؤْمِن: لا، فَمَا صَنَعْت أَنْتَ؟ فَقَال: اشْتَرَيْت بِهِ أَرْضًا، وَنَخْلًا وَأَنْهَارًا بِأَلفِ دِينَار -قَال: فَقَال لَهُ المُؤْمِن: أَوَ فَعلت؟ قَال: نَعَمْ. قَال: فَرَجَعَ المُؤْمِن، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْل صَلَّى مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يُصَلِّي، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخَذَ أَلف دِينَار فَوَضَعَهَا بَيْن يَدَيْهِ، ثُمَّ قَال: اللهمَّ إِنَّ فُلانًا -يَعْنِي شَرِيكه الكَافِر- اشْتَرَى أَرْضًا، وَنَخْلًا وَثِمَارًا وَأَنْهَارًا، بِأَلفِ دِينَار ثُمَّ يَمُوت غَدًا وَيَتْرُكهَا، اللهمَّ إِنِّي اشْتَرَيْت مِنْك بِهَذِهِ الأَلف دِينَار، أَرْضًا وَنَخْلًا، وَثِمَارًا وَأَنْهَارًا فِي الجَنَّة- قَال: ثُمَّ أَصْبَحَ فَقَسَمَهَا فِي المَسَاكِين -قَال:- ثُمَّ مَكَثَا مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يَمْكُثَا ثُمَّ التَقَيَا، فَقَال الكَافِر لِلمُؤْمِنِ: مَا صَنَعْت فِي مَالك أَضَرَبْت بِهِ فِي شَيْء؟ أَتَّجَرْت بِهِ فِي شَيْء؟ قَال: لا. قَال: فَمَا صَنَعْت أَنْتَ؟ قَال: كَانَتْ ضَيْعَتِي، قَدْ اشْتَدَّ عَلَيَّ مُؤْنَتهَا فَاشْتَرَيْت رَقِيقًا بِأَلفِ دِينَار يَقُومُونَ لِي فِيهَا وَيَعْمَلُونَ لِي فِيهَا، فَقَال لَهُ المُؤمِن: أَوَ فَعلت؟ قَال: نَعَمْ -قَال:- فَرَجَعَ المُؤْمِن حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْل صَلَّى مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يُصَلِّي، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخَذَ أَلف دِينَار، فَوَضَعَهَا بَيْن يَدَيْهِ، ثُمَّ قَال: اللهمَّ إِنَّ فُلانًا-يَعْنِي: شَرِيكه الكَافِر- اشْتَرَى رَقِيقًا مِنْ رَقِيق الدُّنْيَا بِأَلفِ دِينَار، يَمُوت غَدًا فَيَتْرُكهُمْ أَوْ يَمُوتُونَ فَيَتْرُكُونَهُ، اللهمَّ إِنِّي اشْتَرَيْت مِنْك بِهَذِهِ الأَلف الدِّينَار رَقِيقًا فِي الجَنَّة -قَال:- ثُمَّ أَصْبَحَ فَقَسَمَهَا فِي المَسَاكِين -قَال:- ثُمَّ مَكَثَا مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يَمْكُثَا ثُمَّ التَقَيَا، فَقَال الكَافِر لِلمُؤْمِنِ: مَا صَنَعْت فِي مَالك أَضَرَبْت بِهِ فِي شَيْء، أَتَّجَرْت بِهِ فِي شَيْء؟ قَال: لا، فَمَا صَنَعْت أَنْتَ؟ قَال: كَانَ أَمْرِي كُلّه قَدْ تَمَّ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا، فُلانَة قَدْ مَاتَ عَنْهَا زَوْجهَا فَأَصْدَقْتهَا أَلف دِينَار فَجَاءَتْنِي بِهَا وَمِثْلهَا مَعَهَا، فَقَال لَهُ

الْمُؤْمِن: أَوَ فَعَلت؟ قَال: نَعَمْ. قَال: فَرَجَعَ الْمُؤْمِن، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْل صَلَّى مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يُصَلِّي، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخَذَ الأَلف الدِّينَار البَاقِيَة فَوَضَعَهَا بَيْن يَدَيْه، وَقَال: اللهمَّ إِنَّ فُلانًا -يَعْنِي شَرِيكه الكَافِر- تَزَوَّجَ زَوْجَة مِنْ أَزْوَاج الدُّنْيَا بِأَلفِ دِينَار، فيمُوت غَدًا فيَتْرُكهَا، أَوْ تَمُوت غَدًا فَتَتْرُكهُ، اللهمَّ وإِنِّي أَخْطُب إِلَيْك بِهَذِهِ الأَلف الدِّينَار، حَوْرَاء عَيْنَاء فِي الجَنَّة -قَال:- ثُمَّ أَصْبَحَ، فقَسَمهَا بَيْن المَسَاكِين -قَال: فَبَقِيَ الْمُؤْمِن لَيْسَ عِنْده شَيْء.

قَال: فَلَبِسَ قَمِيصًا مِنْ قُطْن، وَكِسَاء مِنْ صُوف، ثُمَّ أَخَذَ مَرًّا فَجعَلَهُ عَلى رَقَبته يَعْمَل الشَّيْء وَيَحْفِر الشَّيْء بِقُوَّتِهِ. قَال: فَجَاءَهُ رَجُل، فَقَال لهُ: يَا عَبْد الله أَتُؤَاجِرُنِي نَفْسك مُشَاهَرَةً -شَهْرًا بِشَهْرٍ- تَقُوم عَلى دَوَابّ لِي تَعْلفهَا، وَتَكْنُس سِرْقِينهَا، قَال: أفعل. قَال: فَوَاجَرَهُ نَفْسه مُشَاهَرَةً شَهْرًا بِشَهْرٍ يَقُوم عَلى دَوَابّه، وَقَال: وَكَانَ صَاحِب الدَّوَابّ يَغْدُو كُلّ يَوْم، يَنْظُرُ إِلى دَوَابّه، فَإِذَا رَأَى مِنْهَا دَابَّة ضَامِرَة أَخَذَ بِرَأْسِهِ فَوَجَأَ عُنُقه، ثُمَّ يَقُول لهُ: سَرَقْت شَعِير هَذِهِ البَارِحَة، قَال: فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِن هَذِهِ الشِّدَّة، قَال: لآتِيَنَّ شَرِيكِي الكَافِر فَلأَعْمَلنَّ فِي أَرْضه، فَلْيُطْعِمْنِي هَذِهِ الكِسْرَة يَوْمًا بِيَوْمٍ، وَيَكْسُونِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ إِذَا بَلِيَا، قَال: فَانْطَلَقَ يُرِيدهُ فَانْتَهَى إِلى بَابه، وَهُوَ مُمْسٍ، فَإِذَا قَصْر مَشِيد فِي السَّمَاء، وَإِذَا حَوْله البَوَّابُونَ فَقَال لهُمْ: اسْتَأْذِنُوا لِي عَلى صَاحِب هَذَا القَصْر، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلتُمْ سَرَّهُ ذَلِكَ، فَقَالُوا لهُ: انْطَلِقْ إِنْ كُنْت صَادِقًا فَنَمْ فِي نَاحِيَة، فَإِذَا أَصْبَحْت فَتَعَرَّضْ لهُ. قَال: فَانْطَلَقَ الْمُؤْمِن، فَأَلقَى نِصْف كِسَائِهِ تَحْته وَنِصْفه فَوْقَهُ، ثُمَّ نَامَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى شَرِيكه فَتَعَرَّضَ لهُ، فَخَرَجَ شَرِيكه الكَافِر، وَهُوَ رَاكِب فَلَمَّا رَآهُ عَرَفَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَصَافَحَهُ، ثُمَّ قَال لهُ: أَلَمْ تَأْخُذ مِنَ المَال مِثْل مَا أَخَذْت؟ قَال: بَلى. قَال: وَهَذِهِ حَالِي وَهَذِهِ حَالُك؟ قَال: أَخْبِرْنِي: مَا صَنَعْت فِي مَالك؟ قَال: لا تَسْأَلنِي عَنْهُ، قَال: فَمَا جَاءَ بِك؟ قَال: جِئْت أَعْمَل فِي أَرْضك هَذِهِ، فَتُطْعِمنِي هَذِهِ الكِسْرَة يَوْمًا بِيَوْم وتَكْسُونِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ إِذَا بَلِيَا، قَال: لا وَلكِنْ أَصْنَع بِك مَا هُوَ خَيْر مِنْ هَذَا، وَلكِنْ لا تَرَى مِنِّي خَيْرًا حَتَّى تُخْبِرنِي، مَا صَنَعْت فِي مَالك قَال: أَقْرَضْته قَال: مَنْ؟ قَال: المَلِيءَ الوَفِيّ قَال: مَنْ؟ قَال: الله رَبِّي، قَال: وَهُوَ مُصَافِحه فَانْتَزَعَ يَده مِنْ يَده، ثُمَّ قَال: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ قَال السُّدِّيّ: مُحَاسَبُونَ. قَال: فَانْطَلَقَ الكَافِر وَتَرَكَهُ. قَال: فَلَمَّا رَآهُ الْمُؤْمِن وَلَيْسَ يَلوِي عَلَيْهِ، رَجَعَ وَتَرَكَهُ، يَعِيش الْمُؤْمِن فِي شِدَّة مِنَ الزَّمَان، وَيَعِيش الكَافِر فِي رَخَاء مِنَ الزَّمَان. قَال: فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة، وَأَدْخَل الله تَعَالى الْمُؤْمِن الجَنَّة، يَمُرّ فَإِذَا هُوَ بِأَرْضٍ وَنَخْل وَثِمَار وَأَنْهَار، فيَقُول: لمَنْ هَذَا؟ فيُقَال: هَذَا لك. فيَقُول: يَا سُبْحَان الله! أَوَ بَلغَ مِنْ فَضْل عَمَلي أَنْ أُثَاب بِمِثْل هَذَا؟ قَال: ثُمَّ يَمُرّ فَإِذَا هُوَ بِرَقِيقٍ لا تُحْصَى عِدَّتُهُمْ، فيَقُول: لمَنْ هَذَا؟ فيقال: هَؤُلاءِ لك. فيَقُول: يَا سُبْحَان الله! أَوَ بَلغَ مِنْ فَضْل عَمَلي أَنْ أُثَاب بِمِثْل هَذَا؟ قَال: ثُمَّ يَمُرّ فَإِذَا هُوَ بِقُبَّةٍ مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء مُجَوَّفَة، فِيهَا حَوْرَاء عَيْنَاء، فيَقُول: لمَنْ هَذِهِ؟ فيُقَال: هَذِهِ لك. فيَقُول: يَا سُبْحَان الله! أَوَ بَلغَ مِنْ فَضْل عَمَلي أَنْ أُثَاب بِمِثْل هَذَا؟! قَال: ثُمَّ يَذْكُر الْمُؤْمِن شَرِيكه الكَافِر، فيَقُول: ﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ قَال: فَالجَنَّة عَالِيَة، وَالنَّار هَاوِيَة، قَال: فيُرِيه الله تَعَالى شَرِيكه فِي وَسَط الجَحِيم، مِنْ بَيْن أَهْل النَّار، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِن عَرَفَهُ، فيَقُول: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ بِمِثْل مَا قَدْ مُنَّ عَلَيْهِ. قَال: فَيَتَذَكَّر الْمُؤْمِن مَا مَرَّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشِّدَّة، فَلا يَذْكُر مِمَّا مَرَّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشِّدَّة، أَشَدّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْت.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

يَقُول الله تَعَالَى: أَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ، مِنْ نعيم الجَنَّة وَمَا فِيهَا مِنْ مَآكِل وَمَشَارِب وَمَنَاكِح وَغَيْر ذَلِكَ مِنَ المَلاذّ -خَيْرٌ ضِيَافَة وَعطَاء ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ؟ أَيْ: الَّتِي فِي جَهَنَّم. وَقَدْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِذَلِكَ شَجَرَة وَاحِدَة مُعَيَّنَة، كَمَا قَال بَعْضهمْ: إِنَّهَا شَجَرَة تَمْتَدُّ فُرُوعهَا إِلى جَمِيع مَحَالّ جَهَنَّم، كَمَا أَنَّ شَجَرَة طُوبَى مَا مِنْ دَار فِي الجَنَّة إِلَّا وَفِيهَا مِنْهَا غُصْن. وَقَدْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِذَلِكَ جِنْس شَجَر، يُقَال لَهُ: الزَّقُّوم، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ (المؤمنون:٢٠)، يَعْنِي الزَّيْتُونَة، وَيُؤَيِّد ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ (الواقعة:٥١-٥٢).

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ ، قَال قَتَادَة: ذُكِرَتْ شَجَرَة الزَّقُّوم، فَافْتُتِنَ بِهَا أَهْل الضَّلالة، وَقَالُوا: صَاحِبكُمْ يُنَبِّئكُمْ أَنَّ فِي النَّار شَجَرَة، وَالنَّار تَأْكُل الشَّجَر، فَأَنْزَل الله تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ غُذِّيَتْ مِنْ النَّار، وَمِنْهَا خُلقَتْ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ قَال أَبُو جَهْل -لَعَنَهُ الله-: إِنَّمَا الزَّقُّوم التَّمْر، وَالزُّبْد أَتَزَقَّمُهُ.

قُلت: وَمَعْنَى الآيَة، إِنَّمَا أَخْبَرْنَاك يَا مُحَمَّد بِشَجَرَةِ الزَّقُّوم اخْتِبَارًا نَخْتَبِر بِهِ النَّاس، مَنْ يُصَدِّق مِنْهُمْ مِمَّنْ يُكَذِّب، كَقَوْلِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالى-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٦٠).

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أَيْ: أَصْل مَنْبَتهَا فِي قَرَار النَّار، و﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ تَبْشِيع لَهَا وَتَكْرِيهٌ لِذِكْرِهَا. قَال وَهْب بْن مُنَبِّه: شُعُور الشَّيَاطِين قَائِمَة إِلى السَّمَاء. وَإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِرُءُوس الشَّيَاطِين وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَة عِنْد المُخَاطَبِينَ؛ لأَنَّهُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي النُّفُوس أَنَّ الشَّيَاطِين قَبِيحَة المَنْظَر. وَقِيل: المُرَاد بِذَلِكَ ضَرْب مِنْ الحَيَّات، رُءُوسُهَا بَشِعَة المَنْظَر. وَقِيل: جِنْس مِنْ النَّبَات، طَلعُهُ فِي غَايَة الفَحَاشَة. وَفِي هَذَيْنِ الاحْتِمَالَيْنِ نَظَر، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا ابْن جَرِير، وَالأَوَّل أَقْوَى وَأَوْلى، والله أَعْلم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ ، ذَكَرَ تَعَالى أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَة الَّتِي لا أَبْشَع مِنْهَا، وَلا أَقْبَح مِنْ مَنْظَرِهَا، مَعَ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ سُوء الطَّعْم وَالرِّيح وَالطَّبْع، فَإِنَّهُمْ لَيَضْطَرُّونَ إِلى الأَكْل مِنْهَا، لأَنَّهُمْ لا يَجِدُونَ إِلَّا إِيَّاهَا، وَمَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ (الغاشية:٦-٧).

وَقَال ابْنُ أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَمْرو بْن مَرْزُوق حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ الأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُول الله ﷺ تَلا هَذِهِ الآيَة، وَقَال: **«اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاته، فَلوْ أَنَّ قَطْرَة مِنْ الزَّقُّوم قُطِرَتْ فِي بِحَارِ الدُّنْيَا، لأَفْسَدَتْ عَلى أَهْل الأَرْض مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُون طَعَامه؟»**[1] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث شُعْبَة، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يَعْنِي شُرْب الحَمِيم عَلى الزَّقُّوم. وَقَال فِي رِوَايَة عَنْهُ: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ : مزاجًا مِنْ حَمِيم. وَقَال غَيْره: يَعْنِي: يُمْزَج لَهُمْ الحَمِيم بِصَدِيدٍ وَغَسَّاق، مِمَّا يَسِيل مِنْ فُرُوجهمْ وَعُيُونهمْ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا حَيْوَة بْن شُرَيْح الحَضْرَمِيّ حَدَّثَنَا بَقِيَّة بْن الوَلِيد عَنْ صَفْوَان بْن عَمْرو

---

(١) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣١٣)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، والحاكم (٢/ ٢٩٤)، وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح. والحديث ضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف سنن الترمذي»، وصححه في «صحيح الجامع» (٥٢٥٠). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

أخبرني عُبَيْد بْن بَشِير عَنْ أَبِي أُمَامَة البَاهِلِيّ رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُول: «**يُقرَّب -يَعْنِي إلى أَهْل النَّار- مَاء فَيَتَكرَّههُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهه، وَوَقَعَتْ فَرْوَة رَأْسه فِيهِ. فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى تَخْرُج مِنْ دُبُره**»[1].

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَمْرو بْن رَافِع حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن عَبْد الله عَنْ جَعْفَر وَهَارُون بْن عَنْتَرَة عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، قَال: إِذَا جَاعَ أَهْل النَّار اسْتَغَاثُوا بِشَجَرَةِ الزَّقُّوم، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَاخْتَلَسَتْ جُلُود وُجُوههمْ، فَلَوْ أَنَّ مَارًّا مَرَّ بِهِمْ يَعْرِفهُمْ لَعَرَفَهُمْ بِوُجُوهِهِمْ فِيهَا، ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِمْ العَطَش، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُون بِمَاءٍ كَالْمُهْل، وَهُوَ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرّه، فَإِذَا أَدْنَوْهُ مِنْ أَفْوَاههمْ اشْتَوَى مِنْ حَرّه لُحُوم وُجُوههمْ، الَّتِي قَدْ سَقَطَتْ عَنْهَا الجُلُود، وَيُصْهَر مَا فِي بُطُونهمْ فَيَمْشُونَ تَسِيل أَمْعَاؤُهُمْ وَتَتَسَاقَط جُلُودهمْ، ثُمَّ يُضْرَبُونَ بِمَقَامِعَ مِنْ حَدِيد فَيَسْقُط كُلّ عُضو عَلَى حِيَاله يُدْعَوْنَ بِالثُّبُور.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ أَيْ: ثُمَّ إِنَّ مَرَدَّهُمْ بَعْد هَذَا الفَصْل لَإِلى نَار تَتَأَجَّج، وَجَحِيم تَتَوَقَّد، وَسَعِير تَتَوَهَّج، فَتَارَة فِي هَذَا وَتَارَة فِي هَذَا، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (الرحمن:٤٤)، هَكَذَا تَلا قَتَادَة هَذِهِ الآيَة عند هذه الآية، وَهُوَ تَفْسِير حَسَن قَوِيّ. وَقَال السُّدِّيّ فِي قِرَاءَة عَبْد الله: (ثُمَّ إِنَّ مَقِيلهمْ لَإِلى الجَحِيم). وَكَانَ عَبْد الله يَقُول: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَنْتَصِف النَّهَار يَوْم القِيَامَة، حَتَّى يَقِيل أَهْل الجَنَّة فِي الجَنَّة، وَأَهْل النَّار فِي النَّار. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (الفرقان:٢٤). وَرَوَى الثَّوْرِيّ، عَنْ مَيْسَرَة عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو عَنْ أَبِي عُبَيْدَة عَنْ عَبْد الله رضي الله عنه قَال: لا يَنْتَصِف النَّهَار يَوْم القِيَامَة حَتَّى يَقِيل هَؤُلاءِ وَيَقِيل هَؤُلاءِ. قَال سُفْيَان: أُرَاهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (الفرقان:٢٤)، «ثُمَّ إِنَّ مَقِيلهمْ لَإِلى الجَحِيم». قُلت: عَلَى هَذَا التَّفْسِير تَكُون «ثُمَّ» عَاطِفَة لِخَبَرٍ عَلَى خَبَر.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا جَازَيْنَاهُمْ بِذَلِكَ، لأَنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَى الضَّلالَة فَاتَّبَعُوهُمْ فِيهَا بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، مِنْ غَيْر دَلِيل وَلا بُرْهَان، وَلِهَذَا قَال: ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ قَال مُجَاهِد: شَبِيهَة بِالهَرْوَلَة. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: يُسَفَّهُونَ.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ الأُمَم المَاضِيَة أَنَّ أَكْثَرهمْ كَانُوا ضَالِّينَ يَجْعَلُونَ مَعَ الله آلِهَة أُخْرَى. وذكر تعالى أنه أرسل فِيهِمْ مُنْذِرِينَ، يُنْذِرُونَ بَأْس الله، وَيُحَذِّرُونَهُمْ سَطْوَته وَنِقْمَته، مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَعَبَدَ غَيْره. وَأَنَّهُمْ تَمَادَوْا عَلَى مُخَالَفَةِ رُسُلهمْ وَتَكْذِيبهمْ، فَأَهْلَكَ المُكَذِّبِينَ وَدَمَّرَهُمْ، وَنَجَّى المُؤْمِنِينَ وَنَصَرَهُمْ وَظَفَّرَهُمْ؛ وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى عَنْ أَكْثَر الأَوَّلِينَ أَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنْ سَبِيل النَّجَاة، شَرَعَ يُبَيِّن ذَلِكَ مُفَصَّلًا فَذَكَرَ نُوحًا، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام وَمَا لَقِيَ مِنْ قَوْمه مِنْ التَّكْذِيب، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِن مِنْهُمْ إِلَّا القَلِيل، مَعَ طُول المُدَّة، لبِثَ فِيهِمْ أَلْف سَنَة إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، فَلَمَّا طَال عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ تَكْذِيبهمْ، وَكُلَّمَا دَعَاهُمْ ازْدَادُوا نُفْرَة، فَدَعَا رَبّه أَنِّي

(١) ضعيف: تقدم.

مَغْلُوب فَانْتَصِرْ، فَغَضِبَ الله تَعَالى لغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ، وَلهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ أَيْ: فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ لَهُ، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وَهُوَ التَّكْذِيب وَالأَذَى، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما يَقُول: لَمْ تَبْقَ إِلَّا ذُرِّيَّة نُوح عليه السلام. وَقَال سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة فِي قَوْله -تبارك وتعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾. قَال: النَّاس كُلّهمْ مِنْ ذُرِّيَّة نُوح عَلَيْهِ السَّلام. وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيّ، وَابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن بَشِير عَنْ قَتَادَة عَنْ الحَسَن عَنْ سَمُرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾، قَال: «**سَام، وَحَام، وَيَافِث**».

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الوَهَّاب عَنْ سَعِيد عَنْ قَتَادَة عَنْ الحَسَن عَنْ سَمُرَة رضي الله عنه أَنَّ نَبِيّ الله ﷺ قَال: «**سَام أَبُو العَرَب، وَحَام أَبُو الحَبَش، وَيَافِث أَبُو الرُّوم**»[1]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ بِشْر بْن مُعَاذ العَقَدِيّ عَنْ يَزِيد بْن زُرَيْع عَنْ سَعِيد -وَهُوَ ابْن أَبِي عَرُوبَة- عَنْ قَتَادَة بِهِ. قَال الحَافِظ أَبُو عُمَر ابْن عَبْد البَرّ: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ مِثْله. وَالمُرَاد بِالرُّوم هَهُنَا: هُمْ الرُّوم الأُوَل، وَهُمْ اليُونَان المُنْتَسِبُونَ إِلى رُومِيّ بْن لِيطِي بْن يُونَان بْن يَافِث بْن نُوح عليه السلام. ثُمَّ رُوِيَ مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب، قَال: وَلَدَ نُوح عليه السلام ثَلاثَة: سَام وَيَافِث وَحَام، وَوَلَدَ كُلّ وَاحِد مِنْ هَؤُلاءِ الثَّلاثَة ثَلاثَة، فَوَلَدَ سَام العَرَب وَفَارِس وَالرُّوم، وَوَلَدَ يَافِث التُّرْك وَالصَّقَالِبَة وَيَأْجُوج وَمَأْجُوج، وَوَلَدَ حَام القِبْط وَالسُّودَان وَالبَرْبَر. وَرُوِيَ عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه نَحْو هَذَا، وَالله أَعْلَم.

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يُذْكَر بِخَيْرٍ. وَقَال مُجَاهِد: يَعْنِي لِسَان صِدْق للأَنْبِيَاءِ كُلّهمْ. وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ: أَبْقَى الله عَلَيْهِ الثَّنَاء الحَسَن فِي الآخِرِين. وَقَال الضَّحَّاك: السَّلام وَالثَّنَاء الحَسَن.

وقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مُفَسِّر لمَا أَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ الذِّكْر الجَمِيل وَالثَّنَاء الحَسَن أَنَّهُ يُسَلِّم عَلَيْهِ فِي جَمِيع الطَّوَائِف وَالأُمَم. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أَيْ: هَكَذَا نَجْزِي مَنْ أَحْسَنَ مِنْ العِبَاد فِي طَاعَة الله تَعَالى نَجْعَل لهُ لِسَان صِدْق يُذْكَر بِهِ بَعْدَهُ بِحَسَبِ مَرْتَبَته فِي ذَلِكَ. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: المُصَدِّقِينَ المُوَحِّدِينَ المُوقِنِينَ، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ أَيْ: أَهْلَكْنَاهُمْ، فَلَمْ تبق مِنْهُمْ عَيْن تَطْرِف، وَلا ذِكْر لهم وَلا عَيْن وَلا أَثَر، وَلا يُعْرَفُونَ إِلَّا بِهَذِهِ الصِّفَة القَبِيحَة.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ يَقُول: مِنْ أَهل دِينه. وَقَال مُجَاهِد: عَلى مِنْهَاجه وَسُنَّته، ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يَعْنِي: شَهَادَة أَنْ لا إله إِلَّا الله. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة عَنْ عَوْف: قُلت لمُحَمَّد بْن سِيرِينَ: مَا القَلب السَّلِيم؟ قَال: يَعْلم أَنَّ الله حَقّ، وَأَنَّ السَّاعَة آتِيَة لا رَيْب فِيهَا، وَأَنَّ الله يَبْعَث مَنْ فِي القُبُور. وَقَال الحَسَن: سَلِيم مِنْ الشِّرْك. وَقَال عُرْوَة: لا يَكُون لعَّانًا.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عِبَادَة الأَصْنَام وَالأَنْدَاد؛ وَلهَذَا قَال: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَال قَتَادَة: مَا ظَنّكُمْ به أَنَّهُ فَاعِل بِكُمْ إِذَا لاقَيْتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْره.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٢٣١)، وأحمد (٥/ ٩) بسند ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٣٥).

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

إِنَّمَا قَالَ إِبْرَاهِيم -عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام- لقَوْمِهِ ذَلكَ؛ ليُقِيمَ فِي البَلد إِذَا ذَهبُوا إِلى عِيدهمْ، فإنه قَدْ كَانَ أَزِفَ خُرُوجُهُمْ إِلى عِيدٍ لهُمْ، فَأَحَبَّ أَنَّ يَخْتَلِي بِآلهَتِهِمْ ليُكَسِّرَهَا، فَقَال لهُمْ كَلامًا هُوَ حَقّ فِي نَفْس الأَمْر، فَهِمُوا مِنْهُ أَنَّهُ سَقِيم عَلَى مُقْتَضَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ، ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ . قَال قَتَادَة: وَالعَرَب تَقُول لمَنْ تَفكَّرَ: نَظَرَ فِي النُّجُوم، يَعْنِي قتادة: أَنَّهُ نَظَرَ إِلى السَّمَاء مُتفكِّرًا فِيمَا يُلهِيهِمْ بِهِ، فقَال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أَيْ: ضَعِيف. فَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ ابْن جَرِير هَهُنَا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة حَدَّثَنِي هِشَام عَنْ مُحَمَّد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«لمْ يَكْذِب إِبْرَاهِيم -عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام- غَيْر ثَلاث كَذِبَات: ثِنْتَيْنِ فِي ذَات الله، قَوْله:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَقَوْله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ (الأنبياء:٦٣)، **وَقَوْله فِي سَارَة: هِيَ أُخْتِي»**[1]. فَهُوَ حَدِيث مُخَرَّج فِي الصِّحَاح وَالسُّنَن مِنْ طُرُق، وَلكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ بَاب الكَذِب الحَقِيقِيّ الَّذِي يُذَمّ فَاعِله، حَاشَا وَكَلَّا، إِنَّمَا أُطْلِقَ الكَذِب عَلى هَذَا تَجَوُّزًا، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ المَعَارِيض فِي الكَلام لمَقْصِدٍ شَرْعِيّ دِينِيّ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: **«إِنَّ فِي المَعَارِيض لمَنْدُوحَةً عَنْ الكَذِب»**.[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عُمَر حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان عَنْ أَبِي نَضْرَة عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ فِي كَلِمَات إِبْرَاهِيم الثَّلاث الَّتِي قَال: **«مَا مِنْهَا كَلِمَة إلاَّ مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِين الله تَعَالى:** ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾**، وَقَال:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾**. وَقَال للمَلك حِين أَرَاد امْرَأَته: هِيَ أُخْتِي»**[3]. قَال سُفْيَان فِي قَوْله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يَعْنِي: طَعِين. وَكَانُوا يَفِرُّونَ مِنْ المَطْعُون، فَأَرَادَ أَنْ يَخْلُو بِآلهَتِهِمْ، وَكَذَا قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فَقَالُوا لهُ وَهُوَ فِي بَيْت آلهَتهمْ: اخْرُجْ. فقَال: إِنِّي مَطْعُون فتَرَكُوهُ مَخَافَة الطَّاعُون. وَقَال قَتَادَة: عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب رَأَى نَجْمًا طَلعَ، فقَال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كَابَدَ نَبِيّ الله عَنْ دِينه، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾. وَقَال آخَرُونَ: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بِالنِّسْبَةِ إِلى مَا يُسْتَقْبَل، يَعْنِي: مَرَض المَوْت. وَقِيل: أَرَادَ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أَيْ: مَرِيض القَلب مِنْ عِبَادَتكُمْ الأَوْثَان، مِنْ دُون الله تَعَالى، وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: خَرَجَ قَوْم إِبْرَاهِيم إِلى عِيدهمْ، فَأَرَادُوهُ عَلى الخُرُوج فَاضْطَجَعَ عَلى ظَهْره، وَقَال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَجَعَل يَنْظُر فِي السَّمَاء، فلَمَّا خَرَجُوا، أَقْبَل إِلى آلهَتهمْ فَكَسَّرَهَا. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي: إِلى عِيدهمْ. ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ أَيْ: ذَهَبَ إِليْهَا بَعْدَمَا خَرَجُوا فِي سُرْعَة وَاخْتِفَاء، ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، وَذَلكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ وَضَعُوا بَيْن أَيْدِيهَا طَعَامًا قُرْبَانًا لتُبَرِّكَ لهُمْ فِيهِ. قَال السُّدِّيّ: دَخَل إِبْرَاهِيم عليه السلام إِلى بَيْت الآلهَة، فَإِذَا هُمْ فِي بَهْوٍ عَظِيم، وَإِذَا مُسْتَقْبِل بَاب البَهْو صَنَم عَظِيم، إِلى جَنْبه أَصْغَر مِنْهُ، بَعْضهَا إِلى جَنْب بَعْض، كُلّ صَنَم يَليه أَصْغَر مِنْهُ، حَتَّى بَلغُوا بَاب البَهْو، وَإِذَا هُمْ قَدْ جَعَلُوا طَعَامًا، وَوَضَعُوهُ بَيْن أَيْدِي الآلهَة، وَقَالُوا: إِذَا كَانَ حِين نَرْجِع، وَقَدْ بَرَّكَتْ الآلهَة فِي طَعَامنَا أَكَلنَاهُ، فَلمَّا نَظَرَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، إِلى مَا بَيْن أَيْدِيهِمْ مِنْ الطَّعَام قَال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾. وَقَوْله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ : قَال الفَرَّاء: مَعْنَاهُ مَال عَليْهِمْ ضَرْبًا بِاليَمِين. وَقَال قَتَادَة وَالجَوْهَرِيّ: فَأَقْبَل

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١).

(٢) **ضعيف** : ضعفه الألباني، انظر «الضعيفة» (١٠٩٤).

(٣) **إسناده ضعيف** : فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

عليهمْ ضَرْبًا بِاليَمِينِ. وَإِنَّمَا ضَرَبَهُمْ بِاليَمِينِ، لأَنَّهَا أَشَدّ وَأَنكى، وَلهَذَا تركَهُم ﴿جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة الأَنْبِيَاء -عَلَيْهِمْ الصَّلاة وَالسَّلام- تَفْسِير ذَلِكَ.

وقَوْله تَعَالى هَهُنَا: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾: قَال مُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد: أَيْ: يُسْرِعُونَ، وَهَذِهِ القِصَّة هَهُنَا مُخْتَصَرَة، وَفِي سُورَة الأَنْبِيَاء مَبْسُوطَة، فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا مَا عَرَفُوا مِنْ أَوَّل وَهْلة، مَنْ فَعَلَ ذَلكَ حَتَّى كَشَفُوا، وَاسْتَعْلَمُوا، فعَرَفُوا أَنَّ إِبْرَاهِيم -عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام-، هُوَ الَّذِي فَعَل ذَلكَ. فَلَمَّا جَاءُوا لِيُعَاتِبُوهُ أَخَذَ فِي تَأْنِيبِهِمْ وَعَيْبِهِمْ، فَقَال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أَيْ: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله مِنَ الأَصْنَام مَا أَنْتُمْ تَنْحِتُونَهَا وَتَجْعَلُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ؟! ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يَحْتَمِل أَنْ تَكُون «مَا» مَصْدَرِيَّة، فَيَكُون تَقْدِير الكَلام: والله خَلقَكُمْ وَعملكُمْ. وَيَحْتَمِل أَنْ تكُون بِمَعْنَى «الَّذِي» تَقْدِيره: والله خَلقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ. وَكِلا القَوْلَيْنِ مُتَلازِم، وَالأَوَّل أَظْهَر؛ لِمَا رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي كِتَاب «أَفْعَال العِبَاد» عَنْ عَلِيّ بن المَدِينِيّ، عَنْ مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة عَنْ أَبِي مَالك عَنْ رِبْعِيّ بْن حِرَاش عَنْ حُذَيْفَة ﷺ مَرْفُوعًا قَال: «**إِنَّ الله تعالى يَصْنَع كُلّ صَانِع وَصَنْعَته**»[1]. وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. فَعِنْد ذَلكَ لَمَّا قَامَتْ عَلَيْهِمْ الحُجَّة عَدَلُوا إِلى أَخْذِهِ بِاليَدِ وَالقَهْر، فَقَالُوا: ﴿ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ . وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا تَقَدَّمَ بَيَانه فِي سُورَة الأَنْبِيَاء -عَلَيْهِمْ الصَّلاة وَالسَّلام- وَنَجَّاهُ الله مِنْ النَّار وَأَظْهَرَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَعْلى حُجَّتَهُ وَنَصَرَهَا؛ وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ خَليله إِبْرَاهِيم: إِنَّهُ بَعْدَمَا نَصَرَهُ الله تَعَالى عَلى قَوْمه وَأَيِسَ مِنْ إِيمَانهمْ بَعْدَمَا شَاهَدُوا مِنْ الآيَات العَظِيمَة، هَاجَرَ مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ، وَقَال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يَعْنِي: أَوْلادًا مُطِيعِينَ يَكُونُونَ عِوَضًا مِنْ قَوْمه وَعَشِيرَته الَّذِينَ فَارَقَهُمْ. قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ وَهَذَا الغُلام هُوَ إِسْمَاعِيل عليه السلام، فَإِنَّهُ أَوَّل وَلد بُشِّرَ بِهِ إِبْرَاهِيم عليه السلام وَهُوَ أَكْبَر مِنْ إِسْحَاق بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ وَأَهْل الكِتَاب، بَل فِي نَصّ كِتَابهمْ: أَنَّ إِسْمَاعِيل عليه السلام وُلدَ وَلإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَة، وَوُلدَ إِسْحَاق وَعُمْر إِبْرَاهِيم عليه السلام تِسْع وَتِسْعُونَ سَنَة، وَعِنْدهمْ أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالى، أَمَرَ إِبْرَاهِيم أَنْ يَذْبَحَ ابْنه وَحِيده، وَفِي نُسْخَة: بِكْرَهُ، فَأَقْحَمُوا هَهُنَا كَذِبًا وَبُهْتَانًا إِسْحَاق، وَلا يَجُوز هَذَا؛ لأَنَّهُ مُخَالف لِنَصّ كِتَابهمْ، وَإِنَّمَا أَقْحَمُوا إِسْحَاق لأَنَّهُ أَبُوهُمْ، وَإِسْمَاعِيل أَبُو العَرَب فَحَسَدُوهُمْ، فَزَادُوا ذَلكَ وَحَرَّفُوا «وَحِيدك» بِمَعْنَى: الَّذِي لَيْسَ عِنْدك غَيْره، فَإِنَّ إِسْمَاعِيل كَانَ ذَهَبَ بِهِ، وَبِأُمِّهِ إِلى مَكَّة، وَهُوَ تَأْوِيل وَتَحْرِيف بَاطِل فَإِنَّهُ لا يُقَال: «وَحِيدك» إِلَّا لِمَنْ لَيْسَ لهُ غَيْره، وَأَيْضًا فَإِنَّ أَوَّل وَلَدٍ لهُ مَعَزَّةٌ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الأَوْلاد، فَالأَمْر بِذَبْحِهِ أَبْلغُ فِي الابْتِلاء

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٧) (٣٥٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٣٧).

وَالاخْتِيَار. وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَة مِنْ أَهْل العِلم إِلَى أَنَّ الذَّبِيح هُوَ إِسْحَاق، وَحُكِيَ ذَلكَ عَنْ طَائِفَة مِنْ السَّلف حَتَّى نُقِل عَنْ بَعْض الصَّحَابَة رضي الله عنهم أَيْضًا، وَلَيْس ذَلكَ فِي كِتَاب وَلا سُنَّة، وَمَا أَظُنّ ذَلكَ تُلُقِّيَ إِلَّا عَنْ أَحْبَار أَهْل الكِتَاب، وَأُخِذَ ذَلكَ مُسَلَّمًا مِنْ غَيْر حُجَّة، وَهَذَا كِتَاب الله شَاهِد وَمُرْشِد إِلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيل، فَإِنَّهُ ذَكَرَ البِشَارَة بِغُلامٍ حَلِيم، وَذَكَرَ أَنَّهُ الذَّبِيح، ثُمَّ قَال بَعْد ذَلكَ: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وَلَمَّا بَشَّرَتْ المَلائِكَة إِبْرَاهِيم بِإِسْحَاقَ قَالُوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (الحجر:٥٣). وَقَال تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود:٧١)، أَيْ: يُولد فِي حَيَاتهمَا وَلد يُسَمَّى يَعْقُوب، فَيَكُون مِنْ ذُرِّيَّته عَقِب وَنَسْل. وَقَدْ قَدَّمْنَا هُنَاكَ أَنَّهُ لا يَجُوز بَعْد هَذَا أَنْ يُؤْمَر بِذَبْحِهِ وَهُوَ صَغِير؛ لأَنَّ الله تَعَالَى قَدْ وَعَدَهُمَا بِأَنَّهُ سَيُعْقِبُ، وَيَكُون لهُ نَسْل، فَكَيْفَ يُمْكِن بَعْد هَذَا أَنْ يُؤْمَر بِذَبْحِهِ صَغِيرًا، وَإِسْمَاعِيل وُصِفَ هنا بِالحَلِيم؛ لأَنَّهُ مُنَاسِب لِهَذَا المَقَام.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أَيْ: كَبِرَ وَتَرَعْرَعَ وَصَارَ يَذْهَب مَعَ أَبِيهِ وَيَمْشِي مَعَهُ. وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيم -عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام- يَذْهَب فِي كُلّ وَقْت يَتَفَقَّد وَلده وَأُمّ وَلده بِبِلادِ «فَارَان» وَيَنْظُر فِي أَمْرِهِمَا، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَرْكَب عَلَى البُرَاق سَرِيعًا إِلَى هُنَاكَ، وَالله أَعْلَم. وَعَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ وَزَيْد بْن أَسْلم، وَغَيْرهمْ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ بِمَعْنَى: شَبَّ وَارْتَحَل وَأَطَاقَ مَا يَفْعَلهُ أَبُوهُ مِنَ السَّعْي وَالعَمَل، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَال عُبَيْد بْن عُمَيْر: رُؤْيَا الأَنْبِيَاء وَحْيٌ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن بْن الجُنَيْد حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد المَلِك الكرندي حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ إِسْرَائِيل بْن يُونُس عَنْ سِمَاك عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**رُؤْيَا الأَنْبِيَاء فِي المَنَام وَحْي**»[1] لَيْسَ هُوَ فِي شَيْء مِنْ الكُتُب السِّتَّة مِنْ هَذَا الوَجْه. وَإِنَّمَا أَعْلَمَ ابْنه بِذَلكَ لِيَكُونَ أَهْوَن عَلَيْهِ، وَلِيَخْتَبِرَ صَبْره وَجَلده وَعَزْمَهُ فِي صِغَره عَلَى طَاعَة الله تَعَالَى وَطَاعَة أَبِيهِ. ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أَيْ: امْضِ لِمَا أَمَرَكَ الله مِنْ ذَبْحِي، ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أَيْ: سَأَصْبِرُ وَأَحْتَسِب ذَلكَ عِنْد الله عز وجل وَصَدَقَ -صَلوَات الله وَسَلامه عَلَيْهِ- فِيمَا وَعَدَ؛ وَلِهَذَا قَال الله تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ (مريم:٥٤-٥٥).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أَيْ: فَلَمَّا تَشَهَّدَا وَذَكَرَا الله تَعَالَى: إِبْرَاهِيم عَلَى الذَّبْح، وَالوَلد شَهَادَة المَوْت. وَقِيل: ﴿أَسْلَمَا﴾ يَعْنِي: اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا؛ إِبْرَاهِيم امْتَثَل أَمْرَ الله، وَإِسْمَاعِيل طَاعَةً لله ولأَبِيهِ. قاله مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ، وَابْن إِسْحَاق وَغَيْرهمْ. وَمَعْنَى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أَيْ: صَرَعَهُ عَلَى وَجْهه لِيَذْبَحهُ مِنْ قَفَاهُ، وَلا يُشَاهِد وَجْهه عِنْد ذَبْحه لِيَكُونَ أَهْوَن عَلَيْهِ، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ : أَكَبَّهُ عَلَى وَجْهه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا شُرَيْح وَيُونُس قَالا: حَدَّثَنَا حَمَّاد ابْن سَلَمَة عَنْ أَبِي عَاصِم الغَنَوِيّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْل عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَال: لَـمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيم عليه السلام بِالمَنَاسِكِ عَرَضَ لهُ الشَّيْطَان عِنْد السَّعْي، فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيم عليه السلام ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيل عليه السلام إِلَى جَمْرَة العَقَبَة، فَعَرَضَ لهُ الشَّيْطَان، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَات حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لهُ عِنْد الجَمْرَة الوُسْطَى، فَرَمَاهُ بِسَبْع حَصَيَات، وَثَمَّ تَلَّهُ لِلجَبِينِ، وَعَلَى إِسْمَاعِيل عليه السلام قَمِيص أَبْيَض، فَقَال لهُ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي ثَوْب تُكَفِّنُنِي فِيهِ غَيْره، فَاخْلَعْهُ حَتَّى تُكَفِّنَنِي فِيهِ. فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ، فَنُودِيَ مِنْ خَلفه: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ .

---

(١) **إسناده ضعيف** : فيه سماك عن عكرمة، وروايته عنه مضطربة.

فَالتفَتَ إِبْرَاهِيم فَإِذَا بِكَبْشٍ أَبْيَض أَقْرَن أَعْيَن. قَال ابْن عَبَّاس: لقَدْ رَأَيْتنا نَتَتَبَّع ذَلكَ الضَّرْب مِنْ الكِبَاش.[١] وَذَكَرَ هِشَام الحَدِيث فِي «المَنَاسِك» بِطُولِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ أَحْمَد بِطُولِهِ عَنْ يُونُس، عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَة عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فَذَكَرَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَال: «إِسْحَاق». فَعَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي تَسْمِيَة الذَّبِيح رِوَايَتَانِ، وَالأَظْهَر عَنْهُ إِسْمَاعِيل، لِمَا سَيَأْتِي بَيَانه إن شاء الله تعالى.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ الحَسَن بْن دِينَار عَنْ قَتَادَة عَنْ جَعْفَر بْن إِيَاس عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قَال: خَرَجَ عَلَيْهِ كَبْش مِنْ الجَنَّة قَدْ رَعَى قَبْل ذَلكَ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، فَأَرْسَل إِبْرَاهِيم عليه السلام ابْنه وَاتَّبَعَ الكَبْش، فَأَخْرَجَهُ إِلى الجَمْرَة الأُولى، فَرَمَاهُ بِسَبْع حَصَيَات، ثم أفلته عِنْدهَا، فَجَاءَ إِلى الجَمْرَة الوُسْطَى فَأَخْرَجَهُ عِنْدهَا، فَرَمَاهُ بِسَبْع حَصَيَات ثُمَّ أَفْلتَهُ، فَأَدْرَكَهُ عِنْد الجَمْرَة الكُبْرَى، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَات فَأَخْرَجَهُ عِنْدهَا، ثُمَّ أَخَذَهُ فَأَتَى بِهِ المَنْحَر مِنْ مِنًى فَذَبَحهُ، فَوَالَّذِي نَفْس ابْن عَبَّاس بِيَدِهِ، لقَدْ كَانَ أَوَّل الإِسْلام، وَإِنَّ رَأْس الكَبْش لمُعَلَّق بِقَرْنَيْهِ فِي مِيزَاب الكَعْبَة، حَتَّى وَحِشَ يَعْنِي يَبِسَ.[٢]

وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ أَخْبَرَنَا القَاسِم قَال: اجْتَمَعَ أَبُو هُرَيْرَة وَكَعْب، فَجَعَل أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه يُحَدِّث عَنْ النَّبِيّ ﷺ، وَجَعَل كَعْب يُحَدِّث عَنْ الكُتُب، فَقَال أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: قَال النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّ لكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَة مُسْتَجَابَة، وَإِنِّي قَدْ خَبَّأْت دَعْوَتِي شَفَاعَة لأُمَّتِي يَوْم القِيَامَة**»[٣]. فَقَال لهُ كَعْب: أَنْتَ سَمِعْت هَذَا مِنْ رَسُول الله ﷺ؟ قَال: نَعَم. قَال: فِدَاك أَبِي وَأُمِّي -أَوْ: فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي- أَفَلا أُخْبِرُك عَنْ إِبْرَاهِيم عليه السلام؟ إِنَّهُ لـمَّا أُرِيَ ذَبْح ابْنه إِسْحَاق، قَال الشَّيْطَان: إِنْ لمْ أَفْتِن هَؤُلاءِ عِنْد هَذِهِ لمْ أَفْتِنْهُمْ أَبَدًا. فَخَرَجَ إِبْرَاهِيم عليه السلام بِابْنِهِ ليَذْبَحهُ، فَذَهَبَ الشَّيْطَان فَدَخَل عَلى سَارَة، فَقَال: أَيْنَ ذَهَبَ إِبْرَاهِيم بِابْنِك؟ قَالتْ: غَدَا بِهِ لبَعْضِ حَاجَته. قَال: فَإِنَّهُ لمْ يَغْدُ بِهِ لحَاجَةٍ، إِنَّمَا ذَهَبَ بِهِ ليَذْبَحهُ. قَالتْ: وَلمَ يَذْبَحهُ؟ قَال: زَعَمَ أَنَّ رَبّه أَمَرَهُ بِذَلكَ. قَالتْ: فَقَدْ أَحْسَنَ أَنْ يُطِيع رَبّه. فَذَهَبَ الشَّيْطَان فِي أَثَرهمَا فَقَال للغُلام: أَيْنَ يَذْهَب بِك أَبُوك؟ قَال: لبَعْضِ حَاجَته. قَال: فَإِنَّهُ لا يَذْهَب بِك لحَاجَةٍ. وَلكِنَّهُ يَذْهَب بِك ليَذْبَحك. قَال: وَلمَ يَذْبَحنِي؟ قَال: يَزْعُم أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلكَ. قَال: فَوَالله لئِنْ كَانَ الله تَعَالى أَمَرَهُ بِذَلكَ ليَفْعَلنَّ. قَال: فَيَئِسَ مِنْهُ فَتَرَكَهُ، وَلحِقَ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَقَال: أَيْنَ غَدَوْت بِابْنِك؟ قَال: لحَاجَةٍ. قَال: فَإِنَّك لمْ تَغْدُ بِهِ لحَاجَةٍ، وَإِنَّمَا غَدَوْت لتَذْبَحهُ قَال: وَلمَ أَذْبَحهُ؟ قَال: تَزْعُم أَنَّ رَبّك أَمَرَك بِذَلكَ. قَال: فَوَالله لئِنْ كَانَ الله تَعَالى أَمَرَنِي بِذَلكَ لأَفْعَلنَّ. قَال: فَتَرَكَهُ وَيَئِسَ أَنْ يُطَاع. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ يُونُس عَنْ ابْن وَهْب عَنْ يُونُس بْن يَزِيد عَنْ ابْن شِهَاب قَال: إن عَمْرو بْن أَبِي سُفْيَان بْن أَسِيد بْن جَارِيَة الثَّقَفِيّ أَخْبَرَهُ، أَنَّ كَعْبًا قَال لأَبِي هُرَيْرَة ... فَذَكَرَهُ بِطُولِهِ، وَقَال فِي آخِره: وَأَوْحَى الله تَعَالى إِلى إِسْحَاق أَنِّي أَعْطَيْتُك دَعْوَة أَسْتَجِيب لك فِيهَا. قَال إِسْحَاق: اللهمَّ، إِنِّي أَدْعُوك أَنْ تَسْتَجِيب لي: أَيّمَا عَبْد لقِيَك مِنْ الأَوَّلينَ وَالآخِرِينَ، لا يُشْرِك بِك شَيْئًا، فَأَدْخِلهُ الجَنَّة.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَاتِمُ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الوَزِير الدِّمَشْقِيّ حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاء بْن يَسَار عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالى خَيَّرَنِي بَيْن أَنْ يَغْفِر لنِصْفِ أُمَّتِي، وَبَيْن أَنْ يُجِيب شَفَاعَتِي، فَاخْتَرْت شَفَاعَتِي، وَرَجَوْت أَنْ تُكَفِّر الجم لأُمَّتِي، وَلوْلا الَّذِي سَبَقَنِي إِليْهِ العَبْد الصَّالح لتَعَجَّلت فِيهَا دَعْوَتِي، إِنَّ الله تَعَالى لمَّا فَرَّجَ عَنْ إِسْحَاق كَرْب الذَّبْح قِيل لهُ: يَا إِسْحَاق سَل تُعْطَه. فَقَال: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَتَعَجَّلنَّهَا قَبْل نَزَغَات الشَّيْطَان، اللهمَّ مَنْ

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد (١/ ٢٩٧)، وأبو داود (١٨٨٥)، والحديث أصله عند مسلم (١٢٦٤).
(٢) **ضعيف جدًا** : أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٨٧) بسند ضعيف جدًا، فيه الحسن بن دينار، كذبه أبو حاتم.
(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٨٢٩)، ومسلم (٢٩٣) عدا كلام كعب.

مَاتَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا فَاغْفِرْ لَهُ وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ»[١] هَذَا حَدِيث غَرِيب مُنْكَر. وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم ضَعِيف الحَدِيث، وَأَخْشَى أَنْ يَكُون فِي الحَدِيث زِيَادَة مُدْرَجَة وَهِيَ قَوْله: «إِنَّ الله تَعَالى لَمَّا فَرَّجَ عَنْ إِسْحَاق» إلى آخِره. وَالله أَعْلم. فَهَذَا إِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَالأَشْبَه أَنَّ السِّيَاق إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِسْمَاعِيل، وَإِنَّمَا حَرَّفُوهُ بِإِسْحَاقَ حَسَدًا مِنْهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ، وَإِلَّا فَالمَنَاسِك وَالذَّبَائِح إِنَّمَا مَحِلّهَا بِمِنًى مِنْ أَرْض مَكَّة، حَيْثُ كَانَ إِسْمَاعِيل لا إِسْحَاق، فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ بِبِلادِ كَنْعَان مِنْ أَرْض الشَّام. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ أَيْ: قَدْ حَصَلَ المَقْصُود مِنْ رُؤْيَاك بِإِضْجَاعِك وَلدك للذَّبْح. وَذَكَرَ السُّدِّيّ وَغَيْره: أَنَّهُ أَمَرَّ السِّكِّين عَلى رَقَبَته فَلَمْ تَقْطَع شَيْئًا، بَل حَال بَيْنَهَا وَبَيْنه صَفْحَة مِنْ نُحَاس، وَنُودِيَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْد ذَلِكَ: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أَيْ: هَكَذَا نَصْرِف عَمَّنْ أَطَاعَنَا المَكَارِه وَالشَّدَائِد، وَنَجْعَل لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٢-٣).

وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة وَالقِصَّة جَمَاعَة مِنْ عُلَمَاء الأُصُول عَلى صِحَّة النَّسْخ قَبْل التَّمَكُّن مِنْ الفِعْل، خِلافًا لِطَائِفَةٍ مِنْ المُعْتَزِلة، وَالدَّلالة مِنْ هَذِهِ ظَاهِرَة لأَنَّ الله تَعَالى شَرَعَ لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَبْح وَلده ثُمَّ نَسَخَهُ عَنْهُ، وَصَرَفَهُ إِلى الفِدَاء، وَإِنَّمَا كَانَ المَقْصُود مِنْ شَرْعِهِ أَوَّلاً: إِثَابَة الخَلِيل عَلى الصَّبْر عَلى ذَبْح وَلده، وَعَزْمه عَلى ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أَيْ: الاخْتِبَار الوَاضِح الجَلِيّ، حَيْثُ أُمِرَ بِذَبْح وَلده، فَسَارَعَ إِلى ذَلِكَ مُسْتَسْلِمًا لأَمْرِ الله تعالى، مُنْقَادًا لِطَاعَتِهِ، وَلِهَذَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ (النجم:٣٧).

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ جَابِر الجُعْفِيّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْل عَنْ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قَال: بِكَبْشٍ أَبْيَض أَعْيَن أَقْرَن، قَدْ رُبِطَ بِسَمُرَةٍ -قَال أَبُو الطُّفَيْل: وَجَدُوهُ مَرْبُوطًا بِسَمُرَةٍ فِي ثَبِير.[٢] وَقَال الثَّوْرِيّ أَيْضًا، عَنْ عَبْد الله بْن عُثْمَان بْن خُثَيْم عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: كَبْش قَدْ رَعَى فِي الجَنَّة أَرْبَعِينَ خَرِيفًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا يُوسُف بْن يَعْقُوب الصَّفَّار حَدَّثَنَا دَاوُد العَطَّار عَنْ ابْن خُثَيْم عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: الصَّخْرَة الَّتِي بِمِنًى بِأَصْل ثَبِير هِيَ الصَّخْرَة الَّتِي ذَبَحَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيم، فِدَاء إِسْحَاق ابْنه، هَبَطَ عَلَيْهِ مِنْ ثَبِير كَبْش أَعْيَن أَقْرَن لَهُ ثُغَاء فَذَبَحَهُ، وَهُوَ الكَبْش الَّذِي قَرَّبَهُ ابْن آدَم فَتُقُبِّلَ مِنْهُ، فَكَانَ مَخْزُونًا حَتَّى فُدِيَ بِهِ إِسْحَاق، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر أَنَّهُ قَال: كَانَ الكَبْش يَرْتَع فِي الجَنَّة حَتَّى شُقِّقَ عَنْهُ ثَبِير، وَكَانَ عَلَيْهِ عِهْنٌ أَحْمَر، وَعَنْ الحَسَن البَصْرِيّ أَنَّهُ قَال: كَانَ اسْم كَبْش إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جَرِير. وَقَال ابْن جُرَيْج: قَال عُبَيْد بْن عُمَيْر: ذَبَحَهُ بِالمَقَام، وَقَال مُجَاهِد: ذَبَحَهُ بِمِنًى عِنْد المَنْحَر. وَقَال هُشَيْم: عَنْ سَيَّار عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ أَفْتَى الَّذِي جَعَل عَلَيْهِ نَذْرًا أَنْ يَنْحَر نَفْسه فَأَمَرَهُ بِمِائَةٍ مِنْ الإِبِل. ثُمَّ قَال بَعْد ذَلِكَ: لَوْ كُنْت أفتيته بِكَبْشٍ لأَجْزَأَهُ أَنْ يَذْبَح كَبْشًا، فَإِنَّ الله تَعَالى قَال فِي كِتَابه: ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ . وَالصَّحِيح الَّذِي عَلَيْهِ الأَكْثَرُونَ أَنَّهُ فُدِيَ بِكَبْشٍ. وَقَال الثَّوْرِيّ عَنْ رَجُل عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قَال: وَعْل، وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ عَمْرو بْن عُبَيْد عَنْ الحَسَن أَنَّهُ كَانَ يَقُول: مَا فُدِيَ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام إِلَّا بِتَيْسٍ مِنْ الأَرْوَى أُهْبِطَ عَلَيْهِ مِنْ ثَبِير.

---

(١) **منكـر** : فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، الوليد بن مسلم مدلس ويسوي وقد عنعن، والصحيح أن الذبيح هو إسماعيل، وليس إسحاق.

(٢) **ضعيف** : أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٨٦) بسند ضعيف، فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف.

وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان حَدَّثَنِي مَنْصُور عَنْ خَاله مسافر عَنْ صَفِيَّة بِنْت شَيْبَة قَالَتْ: أَخْبَرَتْنِي امْرَأَة مِنْ بَنِي سُلَيْم -وَلَّدَتْ عَامَّة أَهْل دَارنَا-: أَرْسَل رَسُول الله ﷺ إِلى عُثْمَان بْن طَلْحَة ؓ -وَقَالت مَرَّة: إِنَّهَا سَأَلَتْ عُثْمَان: لِمَ دَعَاك النَّبِيّ ﷺ؟ قَال: قَال لِي رَسُول الله ﷺ : «**إِنِّي كُنْت رَأَيْت قَرْنَيْ الكَبْش، حِين دَخَلت البَيْت، فَنَسِيت أَنْ آمرك أَنْ تُخَمِّرهمَا، فَخَمِّرْهُمَا، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُون فِي البَيْت شَيْء يَشْغَل المُصَلِّي**».

قَال سُفْيَان: لَمْ يَزَل قَرْنَا الكَبْش مُعَلَّقَيْنِ فِي البَيْت حَتَّى احْتَرَقَ البَيْت، فَاحْتَرَقَا[1]. وَهَذَا دَلِيل مُسْتَقِلّ عَلى أَنَّهُ إِسْمَاعِيل، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَإِنَّ قُرَيْشًا تَوَارَثُوا قَرْنَيْ الكَبْش الَّذِي فَدَىٰ بِهِ إِبْرَاهِيم خَلفًا عَنْ سَلف وَجِيلًا بَعْد جِيل، إِلى أَنْ بَعَثَ الله رَسُوله ﷺ ، والله أعلم.

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ الآثَارِ الوَارِدَةِ عَنْ السَّلَفِ فِي أَنَّ الذَّبِيحَ مَنْ هُوَ؟

ذِكْر مَنْ قَال: هُوَ إِسْحَاق عليه السلام : قَال حَمْزَة الزَّيَّات عَنْ أَبِي مَيْسَرَة رحمه الله قَال: قَال يُوسُف عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، للمَلكِ فِي وَجْهه: تَرْغَب أَنْ تَأْكُل مَعِي، وَأَنَا -وَالله- يُوسُف بْن يَعْقُوب نَبِيّ الله، ابْن إِسْحَاق ذَبِيح الله، ابْن إِبْرَاهِيم خَلِيل الله. وَقَال الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي سِنَان عَنْ ابْن أَبِي الهُذَيْل: أَنَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام قَال للمَلكِ كَذَلكَ أَيْضًا. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ زَيْد بْن أَسْلم عَنْ عَبْد الله بْن عُبَيْد بْن عُمَيْر عَنْ أَبِيهِ قَال: «قَال مُوسَى عليه السلام : يَا رَبّ، يَقُولُونَ: بِإِلهِ إِبْرَاهِيم وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب، فَبِمَ قَالُوا ذَلكَ؟ قَال: «إِنَّ إِبْرَاهِيم لَمْ يُعْدَل بِي شَيْء قَطُّ إِلَّا اخْتَارَنِي عَلَيْهِ. وَإِنَّ إِسْحَاق جَادَ لِي بِالذَّبْح، وَهُوَ بِغَيْرِ ذَلكَ أَجْوَد. وَإِنَّ يَعْقُوب كُلَّمَا زِدْته بَلاء زَادَنِي حُسْن ظَنّ». وَقَال شُعْبَة عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ أَبِي [الأَحْوَص][2] قَال: افْتَخَرَ رَجُل عِنْد ابْن مَسْعُود ؓ فَقَال: أَنَا فُلان ابْن فُلان ابْن الأَشْيَاخ الكِرَام، فَقَال عَبْد الله بْن مَسْعُود ؓ: ذَاكَ يُوسُف بْن يَعْقُوب بْن إِسْحَاق ذَبِيح الله ابْن إِبْرَاهِيم خَلِيل الله. وَهَذَا صَحِيح عَنْ ابْن مَسْعُود ؓ، وَكَذَا رَوَى عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ إِسْحَاق، وَعَنْ أَبِيهِ العَبَّاس وَعَلِيّ بْن أَبِي طَالب مِثْل ذَلكَ. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَمُجَاهِد وَالشَّعْبِيّ وَعُبَيْد بْن عُمَيْر وَأَبُو مَيْسَرَة وَزَيْد بْن أَسْلم وَعَبْد الله بْن شَقِيق وَالزُّهْرِيّ وَالقَاسِم بْن أَبِي بَرْزَة وَمَكْحُول وَعُثْمَان بْن أَبِي حَاضِر وَالسُّدِّيّ وَالحَسَن وَقَتَادَة وَأَبُو الهُذَيْل وَابْن سَابِط. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير، وَتَقَدَّمَ رِوَايَته عَنْ كَعْب الأَحْبَار أَنَّهُ إِسْحَاق، وَهَكَذَا رَوَى ابْن إِسْحَاق عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سُفْيَان عَنْ العَلاء ابْن جَارِيَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ كَعْب الأَحْبَار أَنَّهُ قَال: هُوَ إِسْحَاق.

وَهَذِهِ الأَقْوَال -وَالله أَعْلم- كُلّهَا مَأْخُوذَة عَنْ كَعْب الأَحْبَار فَإِنَّهُ لَمَّا أَسْلمَ فِي الدَّوْلة العُمَرِيَّة جَعَل يُحَدِّث عُمَر ؓ عَنْ كُتُبِهِ قَدِيمًا، فَرُبَّمَا اسْتَمَعَ لهُ عُمَر ؓ فَتَرَخَّصَ النَّاس فِي اسْتِمَاع مَا عِنْده، وَنَقَلُوا ما عنده عَنْهُ غَثّهَا وَسَمِينهَا، وَليْسَ لهَذِهِ الأُمَّة -والله أَعْلم- حَاجَة إِلى حَرْف وَاحِد مِمَّا عِنْده، وَقَدْ حَكَى البَغَوِيّ القَوْل بِأَنَّهُ إِسْحَاق عَنْ عُمَر وَعَلِيّ وَابْن مَسْعُود وَالعَبَّاس رضي الله عنهم ، وَمِنْ التَّابِعِينَ عَنْ كَعْب الأَحْبَار وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَقَتَادَة وَمَسْرُوق وَعِكْرِمَة وَعَطَاء وَمُقَاتِل وَالزُّهْرِيّ وَالسُّدِّيّ. قَال: وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلكَ حَدِيث لوْ ثَبَتَ لقُلنَا بِهِ عَلى الرَّأْس وَالعَيْن، ولكِنْ لمْ يَصِحّ سَنَدُهُ. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب حَدَّثَنَا زَيْد بْن حُبَاب عَنْ الحَسَن بْن دِينَار عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان عَنْ الحَسَن عَنْ الأَحْنَف بْن

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٦٨)، وأبو داود (٢٠٣٠).

(٢) في الأزهرية: [الأخوص].

قَيْس عَنْ العَبَّاس بْن عَبْد المُطَّلب رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي حَدِيث ذَكَرَهُ قَال: هُوَ إِسْحَاق. فَفِي إِسْنَاده ضَعِيفَانِ، وَهُمَا الحَسَن بْن دِينَار البَصْرِيّ مَتْرُوك. وَعَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان مُنْكَر الحَدِيث. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُسْلم بْن إِبْرَاهِيم عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَة عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان بِهِ مَرْفُوعًا. ثُمَّ قَال: قَدْ رَوَاهُ مُبَارَك بْن فَضَالة عَنْ الحَسَن، عَنْ الأَحْنَف عَنْ العَبَّاس رضي الله عنه، وَهَذَا أَشْبَه وَأَصَحّ، والله أعلم.

ذِكْر الآثَار الوَارِدَة بِأَنَّهُ إِسْمَاعِيل عليه السلام وَهُوَ الصَّحِيح المَقْطُوع بِهِ: قَدْ تَقَدَّمَتْ الرِّوَايَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَنَّهُ إِسْحَاق عليه السلام، والله تعالى أعلم. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَعَامِر الشَّعْبِيّ وَيُوسُف بْن مِهْرَان وَمُجَاهِد وَعَطَاء وَغَيْر وَاحِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: هُوَ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن قَيْس عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال: المُفَدَّى إِسْمَاعِيل عليه السلام وَزَعَمَتْ اليَهُود أَنَّهُ إِسْحَاق، وَكَذَبَتْ اليَهُود. وَقَال إِسْرَائِيل عَنْ ثَوْر عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: الذَّبِيح إِسْمَاعِيل. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد: هُوَ إِسْمَاعِيل عليه السلام. وَكَذَا قَال يُوسُف بْن مِهْرَان، وَقَال الشَّعْبِيّ: هُوَ إِسْمَاعِيل عليه السلام، وَقَدْ رَأَيْت قَرْنَيْ الكَبْش فِي الكَعْبَة. وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: عَنْ الحَسَن بْن دِينَار وَعَمْرو بْن عُبَيْد عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ، أَنَّهُ كَانَ لا يَشُكّ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الَّذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ مِنْ ابْنَيْ إِبْرَاهِيم إِسْمَاعِيل عليه السلام، قَال ابْن إِسْحَاق: وَسَمِعْت مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَهُوَ يَقُول: إِنَّ الَّذِي أَمَرَ الله تَعَالَى إِبْرَاهِيم بِذَبْحِهِ، مِنْ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيل، وَإِنَّا لَنَجِد ذَلِكَ فِي كِتَاب الله تعالى، وَذَلِكَ أَنَّ الله تَعَالَى حِين فَرَغَ، مِنْ قِصَّة المَذْبُوح مِنْ ابْنَيْ إِبْرَاهِيم قَال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. وَيَقُول الله تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود:٧١). يَقُول: بِابْنٍ وَابْن ابْن، فَلَمْ يَكُنْ لِيَأْمُرهُ بِذَبْح إِسْحَاق وَلَهُ فِيهِ مِنْ المَوعود ما وَعَدَهُ. وَمَا الَّذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ إِلَّا إِسْمَاعِيل. قَال ابْن إِسْحَاق: سَمِعْته يَقُول ذَلِكَ كَثِيرًا[1]. وَقَال ابْن إِسْحَاق عَنْ بُرَيْدَة بْن سُفْيَان الأَسْلَمِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْن عَبْد العَزِيز رضي الله عنه، وَهُوَ خَلِيفَة إِذْ كَانَ مَعَهُ بِالشَّام، فَقَال لَهُ عُمَر: إِنَّ هَذَا لَشَيْء مَا كُنْت أَنْظُر فِيهِ، وَإِنِّي لأَرَاهُ كَمَا قُلْت. ثُمَّ أَرْسَل إِلَى رَجُل كَانَ عِنْده بِالشَّام، كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلامه، وَكَانَ يَرَى أَنَّهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَسَأَلَهُ عُمَر بْن عَبْد العَزِيز رضي الله عنه عَنْ ذَلِكَ -قَال مُحَمَّد بْن كَعْب: وَأَنَا عِنْد عُمَر بْن عَبْد العَزِيز- فَقَال لَهُ عُمَر: أَيُّ ابْنَيْ إِبْرَاهِيم أُمِرَ بِذَبْحِهِ؟ فَقَال: إِسْمَاعِيل والله يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ يَهُود لَتَعْلَم بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكُمْ مَعْشَر العَرَب عَلَى أَنْ يَكُون أَبَاكُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْر الله فِيهِ، وَالفَضْل الَّذِي ذَكَرَ الله تعالى مِنْهُ، لِصَبْرِهِ لِمَا أُمِرَ بِهِ، فَهُمْ يَجْحَدُونَ ذَلِكَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِسْحَاق؛ لأَنَّ إِسْحَاق أَبُوهُمْ، والله أَعْلَم أَيُّهُمَا كَانَ، وَكُلّ قَدْ كَانَ طَاهِرًا طَيِّبًا مُطِيعًا لله عز وجل. وَقَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد ابْن حَنْبَل رحمه الله: سَأَلْت أَبِي عَنْ الذَّبِيح، هَل هُوَ إِسْمَاعِيل أَوْ إِسْحَاق؟ فَقَال: إِسْمَاعِيل، ذَكَرَهُ فِي كِتَاب «الزُّهْد».

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: وَسَمِعْت أَبِي يَقُول: الصَّحِيح أَنَّ الذَّبِيح إِسْمَاعِيل عليه السلام. قَال: وَرُوِيَ عَنْ عَلِيّ وَابْن عُمَر وَأَبِي هُرَيْرَة، وَأَبِي الطُّفَيْل وَسَعِيد بْن المُسَيِّب وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالحَسَن وَمُجَاهِد وَالشَّعْبِيّ وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَأَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بْن عَلِيّ وَأَبِي صَالِح رضي الله عنهم أَنَّهُمْ قَالُوا: الذَّبِيح إِسْمَاعِيل. وَقَال البَغَوِيّ فِي «تَفْسِيره»: وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَبْد الله بْن عُمَر وَسَعِيد بْن المُسَيِّب وَالسُّدِّيّ وَالحَسَن البَصْرِيّ وَمُجَاهِد وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَالكَلْبِيّ، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ ابْن عَبَّاس، وَحَكَاهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عَمْرو ابْن العَلاء.

وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير فِي ذَلِكَ حَدِيثًا غَرِيبًا فَقَال: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمَّار الرَّازِيّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عُبَيْد بْن

---

(١) سقط من الأزهرية.

أَبِي كَرِيمَة حَدَّثَنَا عُمَر بْن عَبْد الرَّحِيم الخَطَّابِيّ عَنْ عُبَيْد الله بْن مُحَمَّد العُتْبِيّ -مِنْ وَلد عُتْبَة بْن أَبِي سُفْيَان- عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن سَعِيد عَنْ الصُّنَابِحِيّ قَال: كُنَّا عِنْد مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَان فَذَكَرُوا الذَّبِيح: إِسْمَاعِيل أَوْ إِسْحَاق؟ فَقَال: عَلى الخَبِير سَقَطْتُمْ، كُنَّا عِنْد رَسُول الله ﷺ فَجَاءَهُ رَجُل فَقَال: يَا رَسُول الله، عُدَّ عَلَيَّ مِمَّا أَفَاءَ الله عَلَيْك يَا بن الذَّبِيحَيْنِ. فَضَحِكَ رَسُول الله ﷺ، فَقِيل لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَمَا الذَّبِيحَانِ؟ فَقَال: إِنَّ عَبْد المُطَّلب لَمَّا أُمِرَ بِحَفْرِ زَمْزَم نَذَرَ لله إِنْ سَهَّل الله لَهُ أَمْرَهَا عَلَيْهِ، لَيَذْبَحَنَّ أَحَدَ وَلده، قَال: فَخَرَجَ السَّهْم عَلى عَبْد الله فَمَنَعَهُ أَخْوَاله، وَقَالُوا: افْدِ ابْنك بِمِائَةٍ مِنْ الإِبل. فَفَدَاهُ بِمِائَةٍ مِنْ الإِبل، وَالثَّانِي إِسْمَاعِيل. وَهَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا. وَقَدْ رَوَاهُ الأُمَوِيّ فِي «مَغَازِيه»: حَدَّثَنَا بَعْض أَصْحَابنَا، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيل بْن عُبَيْد بْن أَبِي كَرِيمَة حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَبْد الرَّحْمَن القُرَشِيّ حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُحَمَّد العُتْبِيّ -مِنْ وَلد عُتْبَة بْن أَبِي سُفْيَان- حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن سَعِيد حَدَّثَنَا الصُّنَابِحِيّ قَال: حَضَرْنَا مَجْلس مُعَاوِيَة فَتَذَاكَرَ القَوْم إِسْمَاعِيل أَوْ إِسْحَاق، وَذَكَرَهُ. كَذَا كَتَبْته مِنْ نُسْخَة مَغْلُوطَة. وَإِنَّمَا عَوَّل ابْن جَرِير فِي اخْتِيَاره أَنَّ الذَّبِيح إِسْحَاق عَلى قَوْله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، فَجَعَل هَذِهِ البِشَارَة هِيَ البِشَارَة بِإِسْحَاقَ فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات:٢٨)، وَأَجَابَ عَنْ البِشَارَة بِيَعْقُوبَ بِأَنَّهُ قَدْ كَانَ بَلغَ مَعَهُ السَّعْي، أَيْ العَمَل. وَمِنْ المُمْكِن أَنَّهُ قَدْ كَانَ وُلِدَ لَهُ أَوْلاد مَعَ يَعْقُوب أَيْضًا، قَال: وَأَمَّا القَرْنَانِ اللَّذَانِ كَانَا مُعَلَّقَيْنِ بِالكَعْبَةِ فَمِنْ الجَائِز أَنَّهُمَا نُقِلا مِنْ بِلاد كَنْعَان، قَال: وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مِنْ النَّاس مَنْ ذَهَبَ إِلى أَنَّهُ ذُبِحَ إِسْحَاق هُنَاكَ، هَذَا مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي «تَفْسِيره»، وَلَيْسَ إِلَيْهِ بِمَذْهَبٍ وَلا لازِم، بَل هُوَ بَعِيد جِدًّا، وَالَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ عَلى أَنَّهُ إِسْمَاعِيل أَثْبَت وَأَصَحّ وَأَقْوَى، واللهُ أَعْلم.

وقَوْله تَعَالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لَـمَّا تَقَدَّمَتْ البِشَارَة بِالذَّبِيح -وَهُوَ إِسْمَاعِيل- عُطِفَ بِذِكْرِ البِشَارَة بِأَخِيهِ إِسْحَاق، وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي سُورَتَيْ «هُود» وَ«الحِجْر». وقَوْله تعالى: ﴿نَبِيًّا﴾ حَال مُقَدَّرَة، أَيْ: سَيَصِيرُ مِنْهُ نَبِيٌّ صالح. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة عَنْ دَاوُد عَنْ عِكْرِمَة قَال: قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: الذَّبِيح إِسْحَاق. قَال: وَقَوْله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قَال: بُشِّرَ بِنُبُوَّتِهِ. قَال: وَقَوْله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ (مريم:٥٣). قَال: كَانَ هَارُون أَكْبَر مِنْ مُوسَى، وَلكِنْ أَرَادَ: وَهَبَ لَهُ نُبُوَّته. وَحَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى حَدَّثَنَا المُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان قَال: سَمِعْت دَاوُد يُحَدِّث، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قَال: إِنَّمَا بُشِّرَ بِهِ نَبِيًّا حِين فَدَاهُ الله عز وجل مِنْ الذَّبْح، وَلَمْ تَكُنْ البِشَارَة بِالنُّبُوَّةِ عِنْد مَوْلده.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ دَاوُد عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قَال: بُشِّرَ بِهِ حِين وُلِدَ وَحِين نُبِّئَ.

وَقَال سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قَال: بَعْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْره، لَـمَّا جَادَ لله تعالى بِنَفْسِهِ، وَقَال الله عز وجل: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود:٤٨).

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يَذْكُر تَعَالى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلى مُوسَى وَهَارُون مِنَ النُّبُوَّة وَالنَّجَاة بِمَنْ آمَنَ مَعَهُمَا مِنْ قَهْر فِرْعَوْن وَقَوْمه، وَمَا كَانَ يَعْتَمِدهُ فِي حَقّهمْ مِنَ الإِسَاءَة العَظِيمَة، مِنْ قَتْل الأَبْنَاء وَاسْتِحْيَاء النِّسَاء، وَاسْتِعْمَالهمْ فِي أَخَسّ الأَشْيَاء. ثُمَّ بَعْد هَذَا كُلّه نَصَرَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَقَرَّ أَعْيُنهم مِنْهُمْ فَغَلبُوهُمْ وَأَخَذُوا أَرْضهمْ وَأَمْوَالهمْ وَمَا كَانُوا جَمَعُوهُ طُول حَيَاتِهِمْ. ثُمَّ أَنْزَل الله ﷻ عَلى مُوسَى الكِتَاب العَظِيم الوَاضِح الجَلِيّ المُسْتَبِين، وَهُوَ التَّوْرَاة، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ (الأنبياء:٤٨). وقال ﷻ هاهنا: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: في الأقوال والأفعال، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ أَيْ: أَبْقَيْنَا لَهُمَا مِنْ بَعْدهمَا ذِكْرًا جَمِيلًا وَثَنَاء حَسَنًا، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قَال قَتَادَة، وَمُحَمَّد بْن إِسْحَاق، يُقَال: إِلْيَاس هُوَ إِدْرِيس. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ عبيد بْن رَبِيعَة عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﷺ قَال: إِلْيَاس هُوَ إِدْرِيس، وَكَذَا قَال الضَّحَّاك. وَقَال وَهْب بْن مُنَبِّه: هُوَ إِلْيَاس بْن نسي بْن فِنْحَاص بْن العَيْزَار بْن هَارُون بْن عِمْرَان بَعَثَهُ الله تَعَالى فِي بَنِي إِسْرَائِيل بَعْد حَزْقِيل عليه السلام وَكَانُوا قَدْ عَبَدُوا صَنَمًا يُقَال لهُ: بَعْل، فَدَعَاهُمْ إِلى الله تَعَالى، وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَة مَا سِوَاهُ. وَكَانَ قَدْ آمَنَ بِهِ مَلكُهُمْ ثُمَّ ارْتَدَّ، وَاسْتَمَرُّوا عَلى ضَلالتهم، وَلمْ يُؤْمِن بِهِ مِنْهُمْ أَحَد. فَدَعَا الله عَليْهِمْ، فَحَبَسَ عَنْهُمْ القَطْر ثَلاث سِنِينَ، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَكْشِف ذَلكَ عَنْهُمْ، وَوَعَدُوهُ الإِيمَان بِهِ إِنْ هُمْ أَصَابَهُمْ المَطَر. فَدَعَا الله لهُمْ، فَجَاءَهُمْ الغَيْث فَاسْتَمَرُّوا عَلى أَخْبَث مَا كَانُوا عَليْهِ مِنَ الكُفْر، فَسَأَل الله أَنْ يَقْبِضهُ إِليْهِ. وَكَانَ قَدْ نَشَأَ عَلى يَدَيْهِ اليَسَع بْن أَخْطُوب عليه السلام، فَأُمِرَ إِلْيَاس أَنْ يَذْهَب إِلى مَكَان كَذَا وَكَذَا، فَمَهْمَا جَاءَهُ فَليَرْكَبْهُ وَلا يَهَبْهُ، فَجَاءَتْهُ فَرَس مِنْ نَار فَرَكِبَ، وَأَلبَسَهُ الله تَعَالى النُّور وَكَسَاهُ الرِّيش، وَكَانَ يَطِير مَعَ المَلائِكَة مَلكًا إِنْسِيًّا سَمَاوِيًّا أَرْضِيًّا، هَكَذَا حَكَاهُ وَهْب بْن مُنَبِّه عَنْ أَهْل الكِتَاب، وَالله أَعْلم بِصِحَّتِهِ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَيْ: أَلا تَخَافُونَ الله ﷻ فِي عِبَادَتكُمْ غَيْره؟ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ: ﴿بَعْلًا﴾ يَعْنِي: رَبًّا. قَال عِكْرِمَة وَقَتَادَة: وَهِيَ لُغَة أَهْل اليَمَن. وَفِي رِوَايَة عَنْ قَتَادَة قَال: وَهِيَ لُغَة أَزْد شَنُوءَة. وَقَال ابْن إِسْحَاق: أَخْبَرَنِي بَعْض أَهْل العِلم أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ امْرَأَة اسْمُهَا: «بَعْل». وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم عَنْ أَبِيهِ: هُوَ اسْم صَنَم كَانَ يَعْبُدهُ أَهْل مَدِينَة يُقَال لهَا «بَعْلبَكّ» غَرْبِيّ دِمَشْق. وَقَال الضَّحَّاك: هُوَ صَنَم كَانُوا يَعْبُدُونَهُ. وَقَوْله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي: أتعبدون صنمًا؟ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: هُوَ المُسْتَحِقّ للعِبَادَةِ وَحْده لا شَرِيك لهُ. قَال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أَيْ: للعَذَابِ يَوْم الحِسَاب، ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أَيْ: المُوَحِّدِينَ مِنْهُمْ، وَهَذَا اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع مِنْ مُثْبَت. وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ أَيْ: ثَنَاء جَمِيلًا، ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ كَمَا يُقَال فِي إِسْمَاعِيل: إِسْمَاعِين وَهِيَ لُغَة بَنِي أَسَد. وَأَنْشَدَ بَعْض بَنِي تَمِيم فِي ضَبّ صَادَهُ:

يَقُــولُ رَبُّ الســوقِ لَمَّــا جِئْنَــا ❁ هَــذَا وَرَبِّ البَيْــتِ إِسْــرَائِينَا

وَيُقَال: مِيكَال، وَمِيكَائِيل، وَمِيكَائِين، وَإِبْرَاهِيم، وَإِبْرَاهَام، وَإِسْرَائِيل وَإِسْرَائِين، وَطُور سَيْنَاء، وَطُور سِينِينَ. وَهُوَ مَوْضِع وَاحِد، وَكُلّ هَذَا سَائِغ. وَقَرَأَ آخَرُونَ: (سَلامٌ عَلَى إِدْرِيس)، وَهِيَ قِرَاءَة ابْن مَسْعُود ﷺ آخَرُونَ: (سلامٌ عَلَى آل ياسينَ).يَعْنِي: آل مُحَمَّد ﷺ. وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قد تقدم تفسيره، والله أعلم.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ عَبْده وَرَسُوله لُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ بَعَثَهُ إِلى قَوْمه فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّاهُ الله تَعَالى مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ هُوَ وَأَهْله، إِلَّا امْرَأَته فَإِنَّهَا هَلكَتْ مَعَ مَنْ هَلكَ مِنْ قَوْمِهَا، فَإِنَّ الله تَعَالى أَهْلكَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنْ العُقُوبَات، وَجَعَل مَحَلَّتهمْ مِنْ الأَرْض بُحَيْرَة مُنْتِنَة قَبِيحَة المَنْظَر وَالطَّعْم وَالرِّيح، وَجَعَلهَا بِسَبِيلٍ مُقِيم، يَمُرُّ بِهَا المُسَافِرُون ليْلًا وَنَهَارًا؛ وَلِهَذَا قَال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَيْ: أَفَلا تَعْتَبِرُونَ بِهِمْ، كَيْفَ دَمَّرَ الله عَليْهِمْ، وَتَعْلمُونَ أَنَّ للكَافِرِينَ أَمْثَالهَا؟

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

قَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّة يُونُس، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فِي سُورَة الأَنْبِيَاء. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**مَا يَنْبَغِي لعَبْدٍ أَنْ يَقُول أَنَا خَيْر مِنْ يُونُس بْن مَتَّى**»[1]. وَنَسَبه إِلى أُمّه، وَفِي رِوَايَة: إِلى أَبِيهِ. وَقَوْله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ قَال ابْن عَبَّاس: هُوَ المُوقَر، أَيْ: المَمْلُوء بِالأَمْتِعَةِ. ﴿فَسَاهَمَ﴾ أَيْ: قَارَعَ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ أَيْ: المَغْلُوبِينَ. وَذَلكَ أَنَّ السَّفِينَة تَلعَّبَتْ بِهَا الأَمْوَاج مِنْ كُلّ جَانِب، وَأَشْرَفُوا عَلى الغَرَق، فَسَاهَمُوا عَلى مَنْ تَقَع عَليْهِ القُرْعَة يُلقَى فِي البَحْر، لتَخِفَّ بِهِمْ السَّفِينَة، فَوَقَعَتْ القُرْعَة عَلى نَبِيّ الله يُونُس، عَليْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، ثَلاث مَرَّات، وَهُمْ يَضِنُّونَ بِهِ أَنْ يُلقَى مِنْ بَيْنهمْ، فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابه ليُلقِيَ نَفْسه وَهُمْ يَأْبُونَ عَليْهِ ذَلكَ. وَأَمَرَ الله تَعَالى حُوتًا مِنْ البَحْر الأَخْضَر أَنْ يَشُقّ البِحَار، وَأَنْ يَلتَقِم يُونُس، عَليْهِ السَّلام، فَلا يُهَشِّمُ لهُ لحْمًا وَلا يَكْسِر لهُ عَظْمًا. فَجَاءَ ذَلكَ الحُوت وَأَلقَى يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسه، فَالتَقَمَهُ الحُوت، وَذَهَبَ بِهِ فَطَافَ بِهِ البِحَار كُلّهَا. وَلمَّا اسْتَقَرَّ يُونُس فِي بَطْن الحُوت، حَسِبَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسه وَرِجْليْهِ وَأَطْرَافه فَإِذَا هُوَ حَيّ، فَقَامَ فَصَلَّى فِي بَطْن الحُوت، وَكَانَ مِنْ جُمْلة دُعَائِهِ: يَا رَبّ اتَّخَذْت لك مَسْجِدًا فِي مَوْضِع لمْ يَبْلُغهُ أَحَد مِنْ النَّاس، وَاخْتَلفُوا فِي مِقْدَار مَا لبِثَ فِي بَطْن الحُوت، فَقِيل: ثَلاثَة أَيَّام، قَالهُ قَتَادَة. وَقِيل: سَبْعَة، قَالهُ جَعْفَر الصَّادِق ﷺ. وَقِيل: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، قَالهُ أَبُو مَالك. وَقَال مُجَاهِد، عَنْ الشَّعْبِيّ: التَقَمَهُ ضُحًى، وَلفَظَهُ عَشِيَّة. والله تَعَالى أَعْلم بِمِقْدَارِ ذَلكَ. وَفِي شِعْر أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلت:

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسَا ❁ وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وَقَوْله تَعَالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، قِيل: لوْلا مَا تَقَدَّمَ لهُ مِنْ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٢٦)، ومسلم (٢٣٧٦).

العَمَل فِي الرَّخَاء. قَالهُ الضَّحَّاك بْن قَيْس، وَأَبُو العَالِيَة، وَوَهْب بْن مُنَبِّه وَقَتَادَة وَغَيْر وَاحِد، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث الَّذِي سَنُورِدُهُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالى مَا يَدُلّ عَلى ذَلكَ إِنْ صَحَّ الخَبَر. وَفِي حَدِيث عن ابْن عَبَّاس: «**تَعَرَّفْ إِلى الله فِي الرَّخَاء يَعْرِفْك فِي الشِّدَّة**»[1]. وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالضَّحَّاك وَعَطَاء ابْن السَّائِب وَالسُّدِّيّ وَالحَسَن وَقَتَادَة: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ يَعْنِي: المُصَلِّينَ. وَصَرَّح بَعْضهمْ بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ المُصَلِّينَ قَبْل ذَلكَ. وَقَال بَعْضهمْ: كَانَ مِنْ المُسَبِّحِينَ فِي جَوْف أَبَوَيْهِ. وَقِيل: المُرَاد: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ هُوَ قَوْله عز وجل: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧-٨٨). قَالهُ سَعِيد بْن جُبَيْر وَغَيْره.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْد الله ابْن أَخِي ابْن وَهْب حَدَّثَنَا عَمِّي حَدَّثَنَا أَبُو صَخْر أَنَّ يَزِيد الرَّقَاشِيّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه -وَلا أَعْلم أَنَسًا، إِلَّا يَرْفَع الحَدِيث إِلى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ يُونُس النَّبِيّ عليه السلام حِين بَدَا لهُ أَنْ يَدْعُو بِهَذِهِ الكَلمَات، وَهُوَ فِي بَطْن الحُوت، فَقَال: اللهمَّ لا إِله إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانك، إِنِّي كُنْت مِنْ الظَّالِمِينَ، فَأَقْبَلتْ الدَّعْوَة تَحِنّ بِالعَرْشِ، قَالتْ المَلائِكَة: يَا رَبّ هَذَا صَوْت ضَعِيف مَعْرُوف، مِنْ بِلاد بَعِيدَة غَرِيبَة، فَقَال: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلكَ؟ قَالُوا: يَا رَبّ وَمَنْ هُوَ؟ قَال عز وجل: عَبْدِي يُونُس، قَالُوا: عَبْدك يُونُس الَّذِي لمْ يَزَل يُرْفَع لهُ عَمَل مُتَقَبَّل، وَدَعْوَة مُسْتَجَابَة، قَالُوا: يَا رَبّ أَوَلا تَرْحَم مَا كَانَ يَصْنَع فِي الرَّخَاء فَتُنْجِيهِ فِي البَلاء، قَال: بَلى. فَأَمَرَ الحُوت فَطَرَحَهُ بِالعَرَاءِ»[2]. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ يُونُس عَنْ ابْن وَهْب بِهِ، زَادَ ابْن أَبِي حَاتِم: قَال أَبُو صَخْر حُمَيْد بْن زِيَاد: فَأَخْبَرَنِي ابْن قُسَيْط وَأَنَا أُحَدِّثهُ هَذَا الحَدِيث أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَة رضي الله عنه يَقُول: طُرِح بِالعَرَاءِ، وَأَنْبَتَ الله عز وجل عَليْهِ اليَقْطِينَة. قُلنَا: يَا أَبَا هُرَيْرَة، وَمَا اليَقْطِينَة، قَال: شَجَرَة الدُّبَّاء. قَال أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: وَهَيَّأَ الله لهُ أُرْوِيَة وَحْشِيَّة تَأْكُل مِنْ خَشَاش الأَرْض -أَوْ قَال: هَشَاش الأَرْض- قَال: فَتتفشح عَليْهِ فَتَرْوِيه مِنْ لبَنهَا كُلّ عَشِيَّة، وَبُكْرَة حَتَّى نَبَتَ. وَقَال أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلت فِي ذَلكَ بَيْتًا مِنْ شِعْره وَهُوَ:

فَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَليْهِ بِرَحْمَةٍ ۞ مِنْ الله لوْلا الله أُلقِيَ ضَاحِيًا

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه مُسْنَدًا مَرْفُوعًا فِي تَفْسِير سُورَة الأَنْبِيَاء. وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ أَيْ: أَلقَيْنَاهُ ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَغَيْره: وَهِيَ الأَرْض الَّتِي ليْسَ بِهَا نَبْت وَلا بِنَاء. قِيل: عَلى جَانِب دِجْلة. وَقِيل: بِأَرْضِ اليَمَن. فالله أَعْلم ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أَيْ: ضَعِيف البَدَن. قَال أبو مَسْعُود رضي الله عنه: كَهَيْئَةِ الفَرْخ ليْسَ عَليْهِ رِيش. وَقَال السُّدِّيّ: كَهَيْئَةِ الصَبْي حين يُولد، وَهُوَ المَنْفُوس. وَقَالهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَابْن زَيْد أَيْضًا. ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ قَال ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس رضي الله عنهم، وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَوَهْب بْن مُنَبِّه وَهِلال بْن يَسَاف وَعَبْد الله بْن طَاوُس وَالسُّدِّيّ وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ وَغَيْر وَاحِد قَالُوا كُلّهمْ: اليَقْطِين هُوَ القَرْع. وَقَال هُشَيْم عَنْ القَاسِم بْن أَبِي أَيُّوب عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: وَكُلّ شَجَرَة لا سَاق لهَا فَهِيَ مِنْ اليَقْطِين. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: كُلّ شَجَرَة تَهْلك مِنْ عَامهَا فَهِيَ مِنْ اليَقْطِين. وَذَكَرَ بَعْضهمْ فِي القَرْع فَوَائِد، مِنْهَا: سُرْعَة نَبَاته، وَتَظْلِيل وَرَقه لكِبَرِهِ، وَنُعُومَته، وَأَنَّهُ لا يَقْرَبهَا الذُّبَاب، وَجَوْدَة تَغْذِيَة ثَمره، وَأَنَّهُ يُؤْكَل نِيئًا وَمَطْبُوخًا بلبه وَقِشْره أَيْضًا. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحِبّ الدُّبَّاء، وَيَتَتَبَّعهُ مِنْ نواحي الصَّحْفَة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٣٥١٦)، وانظر رسالة «نور الاقتباس» للحافظ ابن رجب ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب بتحقيقنا.

(٢) **ضعيف**: تقدم.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾: رَوَى شَهْر بْن حَوْشَب، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَال: إِنَّمَا كَانَتْ رِسَالَة يُونُس عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام بَعْدَمَا نَبَذَهُ الحُوت. رَوَاهُ ابْن جَرِير: [حَدَّثَنِي الحَارِث][1] حدثنا الحسن، حَدَّثَنَا أَبُو هِلال عَنْ شَهْر بِهِ، وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد: أُرْسِل إِلَيْهِمْ قَبْل أَنْ يَلْتَقِمهُ الحُوت.

قُلت: وَلا مَانِع أَنْ يَكُون الَّذِينَ أُرْسِل إِلَيْهِمْ أَوَّلًا أُمِرَ بِالعَوْدِ إِلَيْهِمْ بَعْد خُرُوجه مِنْ الحُوت، فَصَدَّقُوهُ كُلّهمْ وَآمَنُوا بِهِ. وَحَكَى البَغَوِيّ أَنَّهُ أُرْسِل إِلَى أُمَّة أُخْرَى بَعْد خُرُوجه مِنْ الحُوت، كَانُوا مِائَة أَلف أَوْ يَزِيدُونَ.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما -فِي رِوَايَة عَنْهُ-: بَل يَزِيدُونَ، وَكَانُوا مِائَة وَثَلاثِينَ أَلفًا. وَعَنْهُ: مِائَة أَلف وَبِضْعَة وَثَلاثِينَ أَلفًا. وَعَنْهُ: مِائَة أَلف وَبِضْعَة وَأَرْبَعِينَ أَلفًا. والله أعلم. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: يَزِيدُونَ سَبْعِينَ أَلفًا. وَقَال مَكْحُول: كَانُوا مِائَة أَلف وَعَشَرَة آلاف. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم البَرْقِيّ حَدَّثَنَا عَمْرو بْن أَبِي سَلمَة قَال: سَمِعْت زُهَيْرًا يُحَدِّث عَمَّنْ سَمِعَ أَبَا العَالِيَة يَقُول: حَدَّثَنِي أُبَيّ بْن كَعْب رضي الله عنه: أَنَّهُ سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ قَوْله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾، قَال: «يَزِيدُونَ عِشْرِينَ أَلفًا». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَلِيّ بْن حَجَر عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم عَنْ زُهَيْر عَنْ رَجُل عَنْ أَبِي العَالِيَة عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب بِهِ، وَقَال: غَرِيب. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث زُهَيْر بِهِ. قَال ابْن جَرِير: وَكَانَ بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة مِنْ أَهْل البَصْرَة يَقُول فِي ذَلِكَ: مَعْنَاهُ إِلَى المِائَة الأَلف، أَوْ كَانُوا يَزِيدُونَ عِنْدكُمْ، يَقُول: كَذَلِكَ كَانُوا عِنْدكُمْ، وَلِهَذَا سَلكَ ابْن جَرِير هَهُنَا مَا سَلكَهُ عِنْد قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة:٧٤)، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ (النساء:٧٧)، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم:٩) المُرَاد لَيْسَ أَنْقَص مِنْ ذَلِكَ، بَل أَزْيَد. وَقَوْله تَعَالَى: ﴿فَـَٔامَنُوا﴾ أَيْ: فَآمَنَ هَؤُلاءِ القَوْم الَّذِينَ أُرْسِل إِلَيْهِمْ يُونُس، عَلَيْهِ السَّلام، جَمِيعهمْ. ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أَيْ: إِلى وَقْت آجَالهمْ، كَقَوْلِهِ جلت عظمته: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس:٩٨).

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ فِي جَعْلهِمْ لله تَعَالى البَنَات سُبْحَانه وَلهُمْ مَا يَشْتَهُونَ، أَيْ: مِنَ الذُّكُور، أَيْ: يَوَدُّونَ لأَنْفُسِهِمْ الجَيِّد. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨). أَيْ يَسُوءهُ ذَلِكَ، وَلا يَخْتَار لنَفْسِهِ إِلَّا البَنِينَ. يَقُول ﷻ: فَكَيْفَ نَسَبُوا إِلَى الله تَعَالى القِسْم الَّذِي لا يَخْتَارُونَهُ لأَنْفُسِهِمْ؟ وَلِهَذَا قَال تَعَالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أَيْ: سَلهُمْ عَلى سَبِيل الإِنْكَار عَليْهِمْ: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ (النجم:٢١-٢٢). وقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ أَيْ: كَيْفَ حَكَمُوا عَلى المَلائِكَة، أَنَّهُمْ إِنَاث وَمَا شَاهَدُوا خَلقهمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ (الزخرف:١٩)، أَيْ: يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلكَ يَوْم القِيَامَة.

---

(١) سقط من الأزهرية.

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ أي: من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أي صدر منه الولد، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال، في غاية الكفر والكذب: فأولا جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولدًا تعالى وتقدس، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس، وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم. ثم قال منكرًا عليهم: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ أي: أي شيء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين؟ كقوله ﷻ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء: ٤٠)، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: حجة على ما تقولونه ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: هاتوا برهانًا على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى: أنه اتخذ ما تقولونه، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل لا يجوزه العقل بالكلية.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن. وكذا قال قتادة وابن زيد. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: الذين نسبوا إليهم ذلك: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي: إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم، وقولهم الباطل بلا علم. وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ قال: زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. حكاه ابن جرير. وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوًا كبيرًا. وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع، وهو من مثبت، إلا أن يكون الضمير في قوله: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عائدًا إلى الناس جميعهم، ثم استثنى منهم المخلصين، وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي مرسل. وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، وفي هذا الذي قاله نظر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

يقول تعالى مخاطبًا للمشركين: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩). فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (الذاريات: ٨-٩) أي: إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل. ثم قال تبارك وتعالى منزهًا للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: له موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه. وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه -وكان ممن بايع يوم الفتح- أن رسول الله ﷺ قال يومًا لجلسائه: «**أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد**، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾»[1]

---

(١) حسن: انظر «الصحيحة» (٨٥٢) (١٠٥٩).

وَقَال الضَّحَّاك فِي تَفْسِيره: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ قَال: كَانَ مَسْرُوق يَرْوِي عَنْ عَائِشَة ﵂ أَنَّهَا قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا مِنْ السَّمَاء الدُّنْيَا مَوْضِع إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِد أَوْ قَائِم**» فَذَلكَ قَوْله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.

وَقَال الأَعْمَش عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ مَسْرُوق عَنْ ابْن عَبَّاس ﵁ قَال: إِنَّ فِي السَّمَاوَات لَسَمَاء مَا فِيهَا مَوْضِع شِبْر إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَة مَلك أَوْ قَدَمَاهُ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْد الله ﵁: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر.

وَقَال قَتَادَة: كَانُوا يُصَلُّونَ الرِّجَال وَالنِّسَاء جَمِيعًا، حَتَّى نَزَلتْ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فَتَقَدَّمَ الرِّجَال وَتَأَخَّرَ النِّسَاء.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ أَيْ: نَقِف صُفُوفًا فِي الطَّاعَة، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْد قَوْله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾. قَال ابْن جُرَيْج، عَنْ الوَلِيد بْن عَبْد الله بْن أَبِي مُغِيث قَال: كَانُوا لا يَصُفُّونَ فِي الصَّلاة حَتَّى نَزَلتْ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ فَصَفُّوا. وَقَال أَبُو نَضْرَة: كَانَ عُمَر ﵁ إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلاة اسْتَقْبَل النَّاس بِوَجْهِهِ، ثُمَّ قَال: أَقِيمُوا صُفُوفكُمْ، اسْتَوُوا قِيَامًا، يُرِيد الله تَعَالَى بِكُمْ هَدْيَ المَلائِكَة، ثُمَّ يَقُول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ تَأَخَّرْ يَا فُلان تَقَدَّمْ يَا فُلان، ثُمَّ يَتَقَدَّم فَيُكَبِّر، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير. وَفِي «صَحِيح مُسْلم» عَنْ حُذَيْفَة ﵁ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**فُضِّلنَا عَلَى النَّاس بِثَلاثٍ: جُعِلتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلائِكَةِ، وَجُعِلتْ لنَا الأَرْضُ مَسْجِدًا، وَتُرْبَتُهَا طَهُورًا**»[1] الحَدِيث. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ أَيْ: نَصْطَفُّ فَنُسَبِّح الرَّبّ، وَنُمَجِّدُهُ وَنُقَدِّسهُ، وَنُنَزِّههُ عَنْ النَّقَائِص، فَنَحْنُ عَبِيد لهُ فُقَرَاء إِليْهِ خَاضِعُونَ لدَيْهِ. وَقَال ابْن عَبَّاس ﵄ وَمُجَاهِد: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: المَلائِكَة، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾: المَلائِكَة، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: المَلائِكَة نسبح الله ﷻ. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، يَعْنِي: المُصَلُّونَ يَثْبُتُونَ بِمَكَانِهِمْ مِنْ العِبَادَة، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء:٢٦-٢٩).

وقَوْله: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أَيْ: قَدْ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ قَبْل أَنْ تَأْتِيهِمْ يَا مُحَمَّد لوْ كَانَ عِنْدهمْ مَنْ يُذَكِّرهُمْ بِأَمْرِ الله، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْر القُرُون الأُولى، وَيَأْتِيهِمْ بِكِتَابِ الله، كَمَا قَال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (فاطر:٤٢). وَقَال تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ (الأنعام:١٥٦-١٥٧) وَلهَذَا قَال تَعَالَى هَهُنَا: ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وَعِيد أَكِيد وَتَهْدِيد شَدِيد، عَلَى كُفْرهمْ بِرَبِّهِمْ ﷻ وَتَكْذِيبهمْ رَسُوله ﷺ.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أَيْ: تَقَدَّمَ فِي الكِتَاب الأَوَّل أَنَّ العَاقِبَة للرُّسُل وَأَتْبَاعهمْ

---

(١) صحيح: تقدم.

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:٢١)، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ (غافر:٥١). وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. كَمَا تَقَدَّمَ بَيَان نُصْرَتِهِمْ عَلَى قَوْمهمْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ، كَيْفَ أَهْلَكَ الله الكَافِرِينَ، وَنَجَّى عِبَاده المُؤْمِنِينَ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ أَيْ: تَكُون لهُمْ العَاقِبَة.

وقوله جل وعلا: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: اصبر على أذاهم لك، وانتظر إِلى وَقْت مُؤَجَّل فَإِنَّا سَنَجْعَلُ لك العَاقِبَة، وَالنُّصْرَة وَالظَّفَر، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضهمْ: غَيَّا ذَلكَ إِلى يَوْم بَدْر، وَمَا بَعْدهَا أَيْضًا فِي مَعْنَاهَا، وقوله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: أَنْظِرْهُمْ وَارْتَقِبْ مَاذَا يَحِلّ بِهِمْ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال بِمُخَالَفَتِك وَتَكْذِيبك، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى عَلَى وَجْه التَّهْدِيد وَالوَعِيد: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

ثم قال ﷻ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أَيْ: هُمْ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ العَذَاب لتكْذِيبِهِمْ وَكُفْرهمْ بك، فَإِنَّ الله يَغْضَب عَلَيْهِمْ بِذَلكَ، وَيَجْعَل لهُمْ العُقُوبَة، وَمَعَ هَذَا أَيْضًا كَانُوا مِنْ كُفْرهمْ وَعِنَادهمْ يَسْتَعْجِلُونَ العَذَاب وَالعُقُوبَة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أَيْ: فَإِذَا نَزَل العَذَاب بِمَحَلَّتِهِمْ، فَبِئْسَ ذَلكَ اليَوْم يَوْمهمْ، بِإِهْلاكِهِمْ وَدَمَارهمْ.

وَقَالَ السُّدِّيّ: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يَعْنِي: بِدَارِهِمْ، ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أَيْ: فَبِئْسَ مَا يُصْبِحُونَ أَيْ بِئْسَ الصَّبَاح صَبَاحهمْ. وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل ابْن عُلَيَّة عَنْ عَبْد العَزِيز بْن صُهَيْب عَنْ أَنَس ؓ قَالَ: صَبَّحَ رَسُول الله ﷺ خَيْبَر، فَلَمَّا خَرَجُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهمْ، وَرَأَوْا الجَيْش رَجَعُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: مُحَمَّد وَالله مُحَمَّد وَالخَمِيس، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**الله أَكْبَر خَرِبَتْ خَيْبَر، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْم فَسَاءَ صَبَاح المُنْذَرِينَ**»[1]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث مَالك عَنْ حُمَيْد عَنْ أَنَس ؓ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا رَوْح، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة عَنْ أَنَس بْن مَالك عَنْ أَبِي طَلحَة ؓ قَال: لَمَّا صَبَّحَ رَسُول الله ﷺ خَيْبَر، وَقَدْ أَخَذُوا مَسَاحِيهمْ، وَغَدَوْا إِلى حُرُوثِهِمْ وَأَرْضِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيّ ﷺ نكصوا مُدْبِرِينَ، فَقَال نَبِيّ الله ﷺ: «**إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْم فَسَاءَ صَبَاح المُنْذَرِينَ**»[2] لمْ يُخَرِّجُوهُ عَنْ هَذَا الوَجْه، وَهُوَ صَحِيح عَلى شَرْط الشَّيْخَيْنِ. وقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تَأْكِيد لمَا تَقَدَّمَ مِنْ الأَمْر بِذَلكَ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

يُنَزِّه تَبَارَكَ وَتَعَالى نَفْسه الكريمة وَيُقَدِّسهَا وَيُبَرِّئهَا عَمَّا يَقُول الظَّالمُونَ المُكَذِّبُونَ المُعْتَدُونَ -تَعَالى وَتَنَزَّه وَتَقَدَّسَ عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا-، وَلِهَذَا قَال: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ أَيْ: ذِي العِزَّة الَّتِي لا تُرَام ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَيْ: عَنْ قَوْل هَؤُلاءِ المُعْتَدِينَ المُفْتَرِينَ، ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أَيْ: سَلام الله عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، لسَلامَةِ مَا قَالُوهُ فِي رَبِّهِمْ، وَصِحَّته وحقيقته، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أَيْ: لهُ الحَمْد فِي الأُولى وَالآخِرَة فِي كُلّ حَال. وَلمَّا كَانَ التَّسْبِيح يَتَضَمَّن التَّنْزِيه وَالتَّبْرِئَة مِنْ النَّقْص بِدَلالةِ المُطَابَقَة، وَيَسْتَلزِم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧١) (٢٩٤٥)، ومسلم (١٣٦٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨).

إِثْبَات الكَمَال، كَمَا أَنَّ الحَمْد يَدُلّ عَلَى إِثْبَات صِفَات الكَمَال مُطَابَقَة، وَيَسْتَلْزِم التَّنْزِيه مِنْ النَّقْص قَرَنَ بَيْنهمَا فِي هَذَا المَوْضِع، وَفِي مَوَاضِع كَثِيرَة مِنْ القُرْآن. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . وَقَال سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَى المُرْسَلِينَ، فإنما أنا رَسُول مِنْ المُرْسَلِينَ»[١] هَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث سَعِيد عَنْهُ كَذَلِكَ. وَقَدْ أَسْنَدَهُ ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَال: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن بْن الجُنَيْد حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر الأَعْيَن وَمُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم صَاعِقَة؛ قَالا: حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن مُحَمَّد حَدَّثَنَا شَيْبَان عَنْ قَتَادَة قَال حَدَّثَنَا أَنَس بْن مَالك عَنْ أَبِي طَلْحَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَى المُرْسَلِينَ».

قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر حَدَّثَنَا نُوح حَدَّثَنَا أَبُو هَارُون عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَلِّم قَال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثُمَّ يُسَلِّم.[٢] إِسْنَاده ضَعِيف.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَمَّار بْن خَالد الوَاسِطِيّ حَدَّثَنَا شَبَابَة عَنْ يُونُس بْن أَبِي إِسْحَاق عَنْ الشَّعْبِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَال بِالمِكْيَال الأَوْفَى مِنْ الأَجْر يَوْم القِيَامَة، فَلْيَقُل آخر مَجْلِسه حِين يُرِيد أَنْ يَقُوم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».[٣]

وَرُوِيَ مِنْ وَجْه آخَر مُتَّصِل مَوْقُوف عَلَى عَلِيّ رضي الله عنه، قَال أَبُو مُحَمَّد البَغَوِيّ فِي «تَفْسِيره»: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيد أَحْمَد بْن [إِبْرَاهِيم][٤] الشُّرَيْحِيّ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاق الثَّعْلَبِيّ أَخْبَرَنِي ابن فنجويه حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن جَعْفَر بْن حَمْدَان حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن سَهْلَوَيْهِ حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ ثَابِت بْن أَبِي صَفِيَّة عَنْ الأَصْبَغ بْن نُبَاتَة عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه قَال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَال بِالمِكْيَال الأَوْفَى مِنْ الأَجْر يَوْم القِيَامَة فَلْيَكُنْ آخِر كَلَامه فِي مَجْلِسه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾». وَرَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد الله بْن صَخْر بْن أَنَس عَنْ عَبْد الله بْن زَيْد بْن أَرْقَم عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «مَنْ قَال دُبُر كُلّ صَلَاة: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثَلَاث مَرَّات، فَقَدْ اكْتَال بِالجَرِيب الأَوْفَى مِنْ الأَجْر»[٥]. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث فِي كَفَّارَة المَجْلِس: سُبْحَانك اللهمَّ وَبِحَمْدِك، لا إله إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرك وَأَتُوب إِلَيْك.[٦] وَقَدْ أَفْرَدْت لَهَا جُزْءًا عَلَى حِدَة فلتكتب ههنا، إن شاء الله تعالى. آخر تفسير سورة الصافات، والله أعلم.

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف جدًا : فيه أبو هارون العبدي وهو متروك.
(٣) ضعيف مرسل : والموقوف سنده ضعيف جدًا، فيه ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي، والأصبغ بن نباتة متروك رمي بالرفض.
(٤) سقط من الأزهرية.
(٥) ضعيف جدًا : أخرجه الطبراني (٥/ ٥١٢٤) بسند ضعيف جدًا.
(٦) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٨٥٧)، والترمذي (٣٤٣٣).

تفسير سورة ص وهي مكية

ترتيبها ٣٨ — وآياتها ٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا. وَقَوْله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أَيْ: وَالقُرْآن المُشْتَمِل عَلَى مَا فِيهِ ذِكْر للعِبَادِ، وَنَفْع لَهُمْ فِي المَعَاش وَالمَعَاد. قَال الضَّحَّاك فِي قَوْله: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء:١٠)، أَيْ: تَذْكِيركُمْ. وَكَذَا قَال قَتَادَة. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرير. وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَإِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد وَابْن عُيَيْنَة وَأَبُو حُصَيْن وَأَبُو صَالح وَالسُّدِّيّ: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ : ذِي الشَّرَف، أَيْ: ذِي الشَّأْن وَالمَكَانَة، وَلا مُنَافَاة بَيْن القَوْلَيْنِ فَإِنَّهُ كِتَاب شَرِيف مُشْتَمِل عَلَى التَّذْكِير، وَالإِعْذَار وَالإِنْذَار. وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَاب هَذَا القَسَم، فَقَال بَعْضهمْ: هُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ (ص:١٤). وَقِيل: قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ (ص:٦٤) حَكَاهُمَا ابْن جَرير [وَهَذَا الثَّانِي فِيهِ بُعْد كَبِير، وَضَعَّفَهُ ابْن جَرِير][1]، وَقَال قَتَادَة: جَوَابه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، ثُمَّ حَكَى ابْن جَرير عَنْ بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة أَنَّهُ قَال: جَوَابه: ﴿صٓ﴾ بِمَعْنَى صِدْق حَقّ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [وَقِيل: جَوَابه مَا تَضَمَّنَهُ سِيَاق السُّورَة بِكَمَالِهَا، وَالله أَعْلَم][2].

وَقَوْله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ أَيْ: إِنَّ فِي هَذَا القُرْآن لذِكْرَى لِمَنْ يَتَذَكَّر وَعِبْرَة لِمَنْ يَعْتَبِر، وَإِنَّمَا لَمْ يَنْتَفِع بِهِ الكَافِرُونَ لأَنَّهُمْ ﴿فِى عِزَّةٍ﴾ أَيْ: اسْتِكْبَار عَنْهُ وَحَمِيَّة، ﴿وَشِقَاقٍ﴾ أَيْ: وَمُخَالفَة لهُ وَمُعَانَدَة وَمُفَارَقَة، ثُمَّ خَوَّفَهُمْ مَا أَهْلكَ بِهِ الأُمَم المُكَذِّبَة قَبْلهمْ بِسَبَبِ مُخَالفَتِهِمْ للرُّسُل، وَتَكْذِيبهمْ الكُتُب المُنَزَّلة مِنْ السَّمَاء، فَقَال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أَيْ: مِنْ أُمَّة مُكَذِّبَة، ﴿فَنَادَوا۟﴾ أَيْ: حِين جَاءَهُمْ العَذَاب اسْتَغَاثُوا وَجَأَرُوا إِلى الله. وَليْسَ ذَلكَ بِمُجْدٍ عَنْهُمْ شَيْئًا.

كَمَا قَال عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾، أَيْ: يَهْرُبُونَ ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء:١٢، ١٣). قَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالسِيّ: حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ أَبِي إِسْحَاق عن التَّمِيمِيّ قَال: سَأَلت ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما عَنْ قَوْل الله: ﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قَال: ليْسَ بِحِينِ نِدَاء، وَلا نَزْو، وَلا فِرَار. وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : ليْسَ بِحِينِ مُغَاث. وَقَال شَبِيب بْن بِشْر، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: نَادَوْا النِّدَاء حِين لا يَنْفَعهُمْ، وَأَنْشَدَ:

تَذَكَّرَ لَيْلَى لاتَ حِينَ تَذَكُّرِ

وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يَقُول: نَادَوْا بِالتَّوْحِيدِ حِين تَوَلَّتْ الدُّنْيَا عَنْهُمْ، وَاسْتَنَاصُوا للتَّوْبَةِ حِيْنَ تَوَلَّتْ الدُّنْيَا عَنْهُمْ. وَقَال قَتَادَة: لَـمَّا رَأَوْا العَذَاب أَرَادُوا التَّوْبَة فِي غَيْر حِين النِّدَاء. وَقَال مُجَاهِد: ﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ لَيْسَ بِحِينِ فِرَار وَلا إِجَابَة. وَقَدْ رُوِيَ نَحْو هَذَا عَنْ عِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَأَبِي مَالك، وَالضَّحَّاك وَزَيْد بْن أَسْلم وَالحَسَن وَقَتَادَة. وَعَنْ مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: ﴿وَّلَاتَ

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) سقط من الأزهرية.

حِينَ مَنَاصٍ﴾ وَلا نِدَاء فِي غَيْرِ حِين النِّدَاء. وَهَذِهِ الكَلِمَة وَهِيَ «لاتَ» هِيَ «لا» الَّتِي للنَّفْيِ، زِيدَتْ مَعَهَا التَّاء، كَمَا تُزَاد فِي ثُمَّ، فيَقُولُونَ: ثُمَّتْ، وَرُبَّ فيَقُولُونَ: رُبَّتْ. وَهِيَ مَفْصُولة، وَالوَقْف عَلَيْهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ حَكَى عَنْ المُصْحَف الإِمَام فِيمَا ذَكَرَهُ ابْن جَرِير أَنَّهَا مُتَّصِلة بِحِينَ: «ولا تَحِينَ مَنَاص»، وَالمَشْهُور الأَوَّل. ثُمَّ قَرَأَ الجُمْهُور بِنَصْبِ حِين تَقْدِيره: وَلَيْسَ الحِين حِين مَنَاص. وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَ النَّصب بِهَا، وَأَنْشَدَ:

تَذَكَّرُ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِينَا ۞ وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينَا

وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَ الجَرَّ بِهَا، وَأَنْشَدَ:

طَلَبُوا صُلحَنَا وَلاتَ أَوَانٍ ۞ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاء

وَأَنْشَدَ بَعْضهمْ أَيْضًا:

وَلاتَ سَاعَةِ مَنْدَم

بخَفْضِ السَّاعَة. وَأَهْل اللُّغَة يَقُولُونَ: النَّوْص: التَّأَخُّر، وَالبَوْص: التَّقَدُّم. وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أَيْ: لَيْسَ الحِين حِين فِرَار وَلا ذَهَاب، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ المُشْرِكِينَ فِي تَعَجُّبِهِمْ مِنْ بعثه رَسُول الله ﷺ بَشِيرًا نَذِيرًا، كَمَا قَال ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ (يونس:٢)، وَقَال جَلَّ وَعَلا هَهُنَا: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أَيْ: بَشَرٌ مِثْلهمْ: ﴿وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾. أَيْ: أَزَعَمَ أَنَّ المَعْبُود وَاحِد لا إله إِلَّا هُوَ؟ أَنْكَرَ المُشْرِكُونَ ذَلِكَ -قَبَّحَهُمْ الله تَعَالَى-، وَتَعَجَّبُوا مِنْ تَرْكِ الشِّرْك بالله، فَإِنَّهُمْ قَدْ تَلَقَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ عِبَادَة الأَوْثَان وَأُشْرِبَتْهُ قُلُوبهمْ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ رسول الله ﷺ إِلى خلع ذَلِكَ مِنْ قُلُوبهمْ، وَإِفْرَاد الإِله بِالوَحْدَانِيَّة، أَعْظَمُوا ذَلِكَ وَتَعَجَّبُوا، وَقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ وَهُمْ سَادَتهمْ وَقَادَتهمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ قَائِلِينَ: ﴿ٱمْشُوا۟﴾ أَيْ: اسْتَمِرُّوا عَلى دِينِكُمْ، ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ وَلا تَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّد مِنْ التَّوْحِيد. وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ . قَال ابْن جَرِير: إِنَّ هَذَا الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ مُحَمَّد ﷺ مِنْ التَّوْحِيد لشَيْء يُرِيد بِهِ الشَّرَف عَلَيْكُمْ، وَالاسْتِعْلاء، وَأَنْ يَكُون لهُ مِنْكُمْ أَتْبَاع، وَلسْنَا نُجِيبهُ إِلَيْهِ.

ذِكْر سَبَب نُزُول هَذِهِ الآيَات الكَرِيمَات

قَال السُّدِّيّ: إِنَّ نَاسًا مِنْ قُرَيْش اجْتَمَعُوا، فِيهِمْ: أَبُو جَهْل بْن هِشَام وَالعَاص بْن وَائِل، وَالأَسْوَد بْن المُطَّلب، وَالأَسْوَد بْن عَبْد يَغُوث فِي نَفَر مِنْ مَشْيَخَة قُرَيْش، فَقَال بَعْضهمْ لبَعْضٍ: انْطَلقُوا بِنَا إِلى أَبِي طَالب فَلْنُكَلِّمْهُ فِيهِ، فَلْيُنْصِفْنَا مِنْهُ، فَليَكُفَّ عَنْ شَتْم آلهَتِنَا، وَنَدَعهُ وَإِلهه الَّذِي يعبد، فَإِنَّا نَخَاف أَنْ يَمُوت هَذَا الشَّيْخ، فَيَكُون مِنَّا إِلَيْهِ شَيْء. فَتُعَيِّرَنَا بِهِ العَرَب يَقُولُونَ: تَرَكُوهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ عَنْهُ تَنَاوَلُوهُ. فَبَعَثُوا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَال لهُ: المُطَّلب، فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ عَلى أَبِي طَالب، فَقَال: هَؤُلاءِ مَشْيَخَة قَوْمك وَسَرَاتهمْ يَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْك. قَال: أَدْخِلهُمْ،

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا: يَا أَبَا طَالب، أَنْتَ كَبِيرنَا وَسَيِّدنَا، فَأَنْصِفْنَا مِنْ ابْن أَخِيك، فَمُرْهُ فَلْيَكُفَّ عَنْ شَتْم آلهتنَا وَنَدَعُهُ وَإِلهه. قَال: فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالب، فَلَمَّا دَخَل عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ قَال: يَا بن أَخِي، هَؤُلاءِ مَشْيَخَة قَوْمك وَسَرَاتهُمْ، وَقَدْ سَأَلُوك أَنْ تَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلهتهمْ وَيَدَعُوك وَإِلهك. قَال ﷺ : «يَا عَمّ، أَفَلا أَدْعُوهُمْ إِلى مَا هُوَ خَيْر لهُمْ؟» قَال: وَإِلامَ تَدْعُوهُمْ؟ قَال ﷺ : «أَدْعُوهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلمَةٍ تَدِين لهُمْ بهَا العَرَب وَيَمْلكُونَ بهَا العَجَم». فَقَال أَبُو جَهْل لعَنَهُ الله مِنْ بَيْن القَوْم: مَا هِيَ وَأَبِيك؟ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشر أَمْثَالهَا. قَال ﷺ : «تَقُولُونَ لا إِله إِلاَّ الله» فَنَفَرُوا، وَقَالُوا: سَلنَا غَيْرهَا، قَال ﷺ : «لوْ جِئْتُمُونِي بِالشَّمْسِ حَتَّى تَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ مَا سَأَلتُكُمْ غَيْرهَا»، فَقَامُوا مِنْ عِنْده غِضَابًا، وَقَالُوا: وَالله لنَشْتِمَنَّك وَإِلهك الَّذِي أَمَرَك بِهَذَا. ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ . وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَابْن جَرِير، وَزَادَ: فَلَمَّا خَرَجُوا دَعَا رَسُول الله ﷺ عَمّه إِلى قَوْل: لا إِله إِلَّا الله، فَأَبَى، وَقَال: بَل عَلى دِين الأَشْيَاخ، وَنَزَلتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص:٥٦).

وَقَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب وَابْن وَكِيع؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، حَدَّثَنَا الأَعْمَش حَدَّثَنَا عَبَّاد عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: لـمَّا مَرِضَ أَبُو طَالب دَخَل عَلَيْهِ رَهْط مِنْ قُرَيْش فِيهِمْ أَبُو جَهْل، فَقَالُوا: إِنَّ ابْن أَخِيك يَشْتُم آلهتنَا، وَيَفْعَل وَيَفْعَل، وَيَقُول وَيَقُول، فَلوْ بَعَثْت إِليْهِ فَنَهَيْته؟ فَبَعَثَ إِليْهِ، فَجَاءَ النَّبِيّ ﷺ فَدَخَل البَيْت، وَبَيْنهمْ وَبَيْن أَبِي طَالب قَدْر مجْلس رَجُل، قَال: فَخَشِيَ أَبُو جَهْل لعَنَهُ الله إِنْ جَلسَ إِلى جَنْب أَبِي طَالب، أَنْ يَكُون أَرَقَّ لهُ عَليْهِ فَوَثَبَ، فَجَلسَ فِي ذَلكَ المَجْلس، وَلمْ يجِد رَسُول الله ﷺ مجْلسًا قُرْبَ عَمّه، فَجَلسَ عِنْد البَاب، فَقَال لهُ أَبُو طَالب: أَيْ ابْن أَخِي، مَا بال قومك يَشْكُونَك، وَيَزْعُمُونَ أَنَّك تَشْتُم آلهتهمْ وَتَقُول وَتَقُول؟ قَال: وَأَكْثَرُوا عَليْهِ مِنْ القَوْل، وَتَكَلَّمَ رَسُول الله ﷺ فَقَال: «يَا عَمّ إِنِّي أُرِيدهُمْ عَلى كَلمَة وَاحِدَة يَقُولُونَهَا تَدِين لهُمْ بهَا العَرَب، وَتُؤَدِّي إِليْهِمْ بهَا العَجَم الجِزْيَة». فَفَزِعُوا لكَلمَتِهِ وَلقَوْلهِ، فَقَال القَوْم: كَلمَة وَاحِدَة! نَعَمْ، وَأَبِيك عَشْرًا. فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ وقَال أَبُو طَالب: وَأَيّ كَلمَة هِيَ يَا بن أَخِي؟ قَال ﷺ : «لا إِله إِلا الله»، فَقَامُوا فَزِعِينَ ينفضون ثِيَابهمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[1]، قَال: وَنَزَلتْ مِنْ هَذَا المَوْضِع إِلى قَوْله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾. لفْظ أَبِي كُرَيْب. وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث محُمَّد بْن عَبْد الله بْن نُمَيْر، كِلاهُمَا عَنْ أَبِي أُسَامَة عَنْ الأَعْمَش عَنْ عَبَّاد غَيْر مَنْسُوب، بِهِ نَحْوه. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن أَبِي سَعِيد وَابْن جَرير أَيْضًا كُلّهمْ فِي «تَفَاسِيرهمْ» مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ الأَعْمَش عَنْ يحْيَى بْن عُمَارَة الكُوفِيّ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فَذَكَرَ نَحْوه. وقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن.

وَقَوْلهمْ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أَيْ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا الَّذِي يَدْعُونَا إِليْهِ محُمَّد مِنْ التَّوْحِيد فِي المِلَّة الآخِرَة. وقَال مجُاهِد، وَقَتَادَة وَأَبُو زَيْد: يَعْنُونَ دِين قُرَيْش. وَقَال غَيْرهمْ: يَعْنُونَ النَّصْرَانِيَّة، قاله محُمَّد بْن كَعْب، وَالسُّدِّيّ. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يَعْنِي: النَّصْرَانِيَّة، قَالُوا: لوْ كَانَ هَذَا القُرْآن حَقًّا لأَخْبَرَتْنَا بِهِ النَّصَارَى. ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ﴾: قَال مجُاهِد، وَقَتَادَة: كَذِب، وَقَال ابْن عَبَّاس: تخَرُّص. وَقَوْلهمْ: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ تَخْصِيصَهُ بِإِنْزَال القُرْآن عَليْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ كُلِّهِمْ، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١). قَال

(١) صحيح : أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٢٥)، وأحمد (١/ ٢٢٨)، والترمذي (٣٢٣٢).

الله تَعَالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ (الزخرف:٣٢)، وَلهَذَا لمَّا قَالُوا هَذَا الَّذِي دَلَّ عَلى جَهْلِهِمْ وَقِلَّة عَقْلِهِمْ، فِي اسْتِبْعَادهِمْ إِنْزَال القُرْآن عَلى الرَّسُول مِنْ بَيْنهِمْ، قَال الله تَعَالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَقُولُونَ هَذَا لأَنَّهُمْ مَا ذَاقُوا إِلى حِين قَوْلهِمْ ذَلكَ عَذَاب الله تَعَالى وَنِقْمَتَهُ سَيَعْلمُونَ غِبّ مَا قَالُوا، وَمَا كَذَّبُوا بِهِ يَوْم يُدَعُّونَ إِلى نَار جَهَنَّم دَعًّا.

ثُمَّ قَال تعالى مُبَيِّنًا أَنَّهُ المُتَصَرِّف فِي مُلكه، الفَعَّال لمَا يَشَاء، الَّذِي يُعْطِي مَنْ يَشَاء مَا يَشَاء، وَيُعِزّ مَنْ يَشَاء، ويذل من يشاء، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاء، وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء، وَيُنَزِّل الرُّوح مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَاده، وَيَخْتِم عَلى قَلب مَنْ يَشَاء، فَلا يَهْدِيه أَحَد مِنْ بَعْد الله، وإِن العِبَاد لا يَمْلكُونَ شَيْئًا مِنْ الأَمْر، وَليْسَ إِليْهِمْ مِنْ التَّصَرُّف فِي المُلك، وَلا مِثْقَال ذَرَّة وَمَا يَمْلكُونَ مِنْ قِطْمِير. وَلهَذَا قَال تَعَالى مُنْكِرًا عَليْهِمْ: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ أَيْ: العَزِيز الَّذِي لا يُرَام جَنَابه، الوَهَّاب الَّذِي يُعْطِي مَا يُرِيد لمَنْ يُرِيد. وَهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة شَبِيهَة بِقَوْلهِ تَعَالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (النساء:٥٣-٥٥). وَقَوْله تَعَالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ (الإسراء:١٠٠)، وَذَلكَ بَعْد الحِكَايَة عَنْ الكُفَّار أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا بَعْثَة الرَّسُول البَشَرِيّ، وَكَمَا أَخْبَرَ ﷻ عَنْ قَوْم صَالح عَلَيْهِ السَّلَامُ حِين قَالُوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ (القمر:٢٥-٢٦).

وَقَوْله تَعَالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ أَيْ: إِنْ كَانَ لهُمْ ذَلكَ فَليَصْعَدُوا فِي الأَسْبَاب. قَال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَقَتَادَة وَغَيْرهم: يَعْنِي طُرُق السَّمَاء. وَقَال الضَّحَّاك: فَليَصْعَدُوا إِلى السَّمَاء السَّابِعَة. ثم قال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أَيْ: هَؤُلاءِ الجُنْد المُكَذِّبُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عِزَّة وَشِقَاق سَيُهْزَمُونَ وَيُغْلبُونَ ويكبَتُون، كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلهِمْ مِنْ الأَحْزَاب المُكَذِّبِينَ، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلهِ جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ وَكَانَ ذَلكَ يَوْم بَدْر، ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر:٤٤-٤٦).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلاءِ القُرُون المَاضِيَة، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال وَالنِّقْمَات فِي مُخَالفَة الرُّسُل وَتَكْذِيب الأَنْبِيَاء. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَصُهم مَبْسُوطَة فِي أَمَاكِن مُتَعَدِّدَة. وَقَوْله تَعَالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أَيْ: كَانُوا أَكْثَر مِنْكُمْ وَأَشَدّ قُوَّة، وَأَكْثَر أَمْوَالًا وَأَوْلادًا، فَمَا دَافَعَ ذَلكَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَاب الله مِنْ شَيْء، لـمَّا جَاءَ أَمْر رَبّك؛ وَلهَذَا قَال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ فَجَعَل عِلَّة إِهْلاكهمْ هُوَ تَكْذِيبهمْ بِالرُّسُل فَليَحْذَرْ المُخَاطَبُونَ مِنْ ذَلكَ أَشَدّ الحَذَر. ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ قَال مَالك، عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: أَيْ: لَيْسَ لهَا مَثْنَوِيَّة، أَيْ: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَة أَنْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَة فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطهَا، أَيْ: فَقَدْ اقْتَرَبَتْ وَدَنَتْ وَأَزِفَتْ، وَهَذِهِ الصَّيْحَة هِيَ نَفْخَة الفَزَع الَّتِي يَأْمُر الله تَعَالى إِسْرَافِيل أَنْ يُطَوِّلهَا، فَلا يَبْقَى أَحَد مِنْ أَهْل السَّمَاوَات وَالأَرْض إِلَّا فَزِعَ، إِلَّا مَنْ اسْتَثْنَى الله عَزَّ وَجَلَّ. وَقَوْله جَلَّ جَلاله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ هَذَا إِنْكَار مِنْ الله تَعَالى عَلى المُشْرِكِينَ فِي دُعَائِهِمْ عَلى أَنْفُسهمْ بِتَعْجِيل العَذَاب، فَإِنَّ القِطّ هُوَ

الكِتَاب، وَقِيل: هُوَ الحَظّ وَالنَّصِيب. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَالحَسَن وَغَيْر وَاحِد: سَأَلُوا تَعْجِيل العَذَاب. زَادَ قَتَادَة: كَمَا قَالُوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:٣٢).

وَقِيل: سَأَلُوا تَعْجِيل نَصِيبِهِمْ مِنْ الجَنَّة، إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَة لِيَلْقَوْا ذَاكَ فِي الدُّنْيَا. وَإِنَّمَا خَرَجَ هَذَا مِنْهُمْ مَخْرَج الاسْتِبْعَاد وَالتَّكْذِيب. وَقَال ابْن جَرِير: سَأَلُوا تَعْجِيل مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ الخَيْر أَوْ الشَّرّ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ جَيِّد، وَعَلَيْهِ يَدُور كَلام الضَّحَّاك، وَإِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالِد، وَالله أَعْلَم. وَلَمَّا كَانَ هَذَا الكَلام مِنْهُمْ عَلى وَجْه الاسْتِهْزَاء وَالاسْتِبْعَاد، قَال الله تَعَالى لِرَسُولِهِ ﷺ آمِرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلى أَذَاهُمْ، وَمُبَشِّرًا لَهُ عَلى صَبْرِه بِالعَاقِبَةِ وَالنَّصْر وَالظَّفَر:

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

يَذْكُر تَعَالى عَنْ عَبْده وَرَسُوله دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: أَنَّهُ كَانَ ذَا أَيْدٍ، وَالأَيْد: القُوَّة فِي العِلم وَالعَمَل. قَال [ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما][1] وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد: الأَيْد: القُوَّة، وَقَرَأَ ابْن زَيْد: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧)، وَقَال مُجَاهِد: الأَيْد: القُوَّة فِي الطَّاعَة. وَقَال قَتَادَة: أُعْطِيَ دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام قُوَّة فِي العِبَادَة، وَفِقْهًا فِي الإِسْلام، وَقَدْ ذُكِرَ لنا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، كَانَ يَقُوم ثُلُث اللَّيْل، وَيَصُوم نِصْف الدَّهْر. وَهَذَا ثَابِت فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**أَحَبُّ الصَّلاة إِلى الله تَعَالى صَلاة دَاوُد، وَأَحَبُّ الصِّيَام إِلى الله عز وجل صِيَام دَاوُد، كَانَ يَنَام نِصْف اللَّيْل، وَيَقُوم ثُلُثه، وَيَنَام سُدُسه، وَكَانَ يَصُوم يَوْمًا وَيُفْطِر يَوْمًا، وَلا يَفِرّ إِذَا لاقَى، وَإِنَّهُ كَانَ أَوَّابًا**»[2] وَهُوَ الرجَّاع إِلى الله عز وجل فِي جَمِيع أُمُوره وَشُئُونه.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ أَيْ: أَنَّهُ تَعَالى سَخَّرَ الجِبَال تُسَبِّح مَعَهُ عِنْد إِشْرَاق الشَّمْس، وَآخِر النَّهَار، كَمَا قَال عز وجل: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ (سبأ:١٠). وَكَذَلكَ كَانَتْ الطَّيْر تُسَبِّح بِتَسْبِيحِهِ، وَتُرَجِّع بِتَرْجِيعِهِ إِذَا مَرَّ بِهِ الطَّيْر وَهُوَ سَابِح فِي الهَوَاء فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَتَرَنَّم بِقِرَاءَةِ الزَّبُور، لا تَسْتَطِيع الذَّهَاب، بَل يَقِف فِي الهَوَاء، وَتُسَبِّح مَعَهُ، وَتُجِيبهُ الجِبَال الشَّامِخَات، تُرَجِّع مَعَهُ، وَتُسَبِّح تَبَعًا لَهُ. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بِشْر عَنْ مِسْعَر عَنْ عَبْد الكَرِيم عَنْ مُوسَى بْن أَبِي كَثِير عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أُمّ هَانِئ رضي الله عنها: «ذَكَرَتْ أَنَّ رَسُول الله ﷺ يَوْم فَتْح مَكَّة صَلَّى الضُّحَى ثَمَانِ رَكَعَات»[3]، فَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: قَدْ ظَنَنْت أَنَّ لِهَذِهِ السَّاعَة صَلاة، يَقُول الله عز وجل: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾، ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ أَبِي المُتَوَكِّل عَنْ أَيُّوب بْن صَفْوَان عَنْ مَوْلاهُ عَبْد الله بْن الحَارِث بْن نَوْفَل أَنَّ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما كَانَ لا يُصَلِّي الضُّحَى، قَال: فَأَدْخَلته عَلى أُمّ هَانِئ رضي الله عنها، فَقُلت: أَخْبِرِي هَذَا مَا أَخبرتني. فَقَالَتْ: دَخَل عَلَيَّ رَسُول الله ﷺ يَوْم الفَتْح فِي بَيْتِي، ثُمَّ أَمَرَ بِمَاءٍ صُبَّ فِي قَصْعَة، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَأَخَذَ بَيْنِي وَبَيْنه فَاغْتَسَل، ثُمَّ رَشَّ نَاحِيَة البَيْت فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَات، وَذَلكَ مِنْ الضُّحَى، قِيَامهنَّ وَرُكُوعهنَّ وَسُجُودهنَّ وَجُلُوسهنَّ سَوَاء، قَرِيب بعضهن مِنْ بَعْض، فَخَرَجَ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَهُوَ يَقُول: لَقَدْ قَرَأْت مَا بَيْن اللَّوْحَيْنِ مَا عَرَفْت صَلاة الضُّحَى إِلَّا الآن: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وَكُنْت أَقُول: أَيْنَ صَلاة الإِشْرَاق، وَكَانَ بَعْدُ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).
(٣) **إسناده ضعيف**: وأصل صلاة الضحى في البخاري (٢٨٠)، ومسلم (٣٣٦).

يَقُول: صَلاة الإِشْرَاق. وَلِهَذَا قَال ﷻ: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ أَيْ: مَحْبُوسَة فِي الهَوَاء، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ أَوَّابٌ﴾ أَيْ: مُطِيع يُسَبِّح تَبَعًا لهُ. قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَقَتَادَة وَمَالِكٌ عَنْ زَيْد بْن أَسْلم وَابْن زَيْد: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ أَوَّابٌ﴾ أَيْ: مُطِيع.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي: جَعَلنَا لهُ مُلكًا كَامِلًا مِنْ جَمِيع مَا يَحْتَاج إِلَيْهِ المُلُوك. قَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: كَانَ أَشَدّ أَهْل الدُّنْيَا سُلطَانًا. وَقَال السُّدِّيّ: كَانَ يَحْرُسهُ كُلّ يَوْم أَرْبَعَة آلاف. وَقَال بَعْض السَّلف: بَلغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَحْرُسهُ فِي كُل لَيْلة ثَلاثَة وَثَلاثُونَ أَلْفًا، لا تَدُور عَلَيْهِمْ النَّوْبَة إِلى مِثْلهَا مِنْ العَام القَابِل.

وَقَال غَيْره: أَرْبَعُونَ أَلْفًا مُشْتَمِلُونَ بِالسِّلاحِ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْن جَرِير، وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ رِوَايَة عَلبَاء بْن أَحْمَر عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَنَّ نَفَرَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل اسْتَعْدَى أَحَدهمَا عَلى الآخَر إِلى دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام أَنَّهُ اغْتَصَبَهُ بَقَرًا، فَأَنْكَرَ الآخَر، وَلمْ يَكُنْ للمُدَّعِي بَيِّنَة فَأَرْجَأَ أَمْرَهُمَا، فَلمَّا كَانَ اللَّيْل أُمِرَ دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام فِي المَنَام بِقَتْل المُدَّعِي، فَلمَّا كَانَ النَّهَار طَلبَهُمَا وَأَمَرَ بِقَتْل المُدَّعِي، فَقَال: يَا نَبِيَّ الله، عَلامَ تَقْتُلُنِي وَقَدْ اغْتَصَبَنِي هَذَا بَقَرِي؟ فَقَال لهُ: إِنَّ الله تَعَالى أَمَرَنِي بِقَتْلك، فَأَنَا قَاتِلُك لا مَحَالة، فَقَال: وَالله يَا نَبِيَّ الله إِنَّ الله لمْ يَأْمُرك بِقَتْلي لأَجْل هَذَا الَّذِي ادَّعَيْتُ عَلَيْهِ، وَإِنِّي لصَادِقٌ فِيمَا ادَّعَيْت، وَلكِنِّي كُنْت قَدْ اغْتَلت أَبَاهُ وَقَتَلته، وَلمْ يَشْعُرْ بِذَلكَ أَحَدٌ، فَأَمَرَ بِهِ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلام فَقُتِل.[1] قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: فَاشْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيل، وَهُوَ الَّذِي يَقُول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾.

وَقَوْله جَلَّ وَعَلا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي: الفَهْم وَالعَقْل وَالفِطْنَة. وَقَال مَرَّة: الحِكْمَة والعَدْل، وَقَال مَرَّة: الصَّوَاب. وَقَال قَتَادَة: كِتَاب الله وَاتِّبَاع مَا فِيهِ، وَقَال السُّدِّيّ: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: النُّبُوَّة. وَقَوْله جَلَّ جَلاله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ قَال شُرَيْح القَاضِي، وَالشَّعْبِيّ: فَصْل الخِطَاب الشُّهُود وَالأَيْمَان. وَقَال قَتَادَة: شَاهِدَانِ عَلى المُدَّعِي، أَوْ يَمِين المُدَّعَى عَليْهِ، هُوَ فَصْل الخِطَاب الَّذِي فَصَل بِهِ الأَنْبِيَاء وَالرُّسُل، أَوْ قَال: المُؤْمِنُونَ وَالصَّالحُونَ، وَهُوَ قَضَاء هَذِهِ الأُمَّة إِلى يَوْم القِيَامَة، وَكَذَا قَال أَبُو عَبْد الرَّحْمَن السُّلمِيّ. وَقَال مُجَاهِد، وَالسُّدِّيّ: هُوَ إِصَابَة القَضَاء وَفَهْم ذَلكَ. وَقَال مُجَاهِد أَيْضًا: هُوَ الفَصْل فِي الكَلام وَفِي الحُكْم. وَهَذَا يَشْمَل هَذَا كُلّه، وَهُوَ المُرَاد، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عُمَر بْن شَبَّة النُّمَيْرِيّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن المُنْذِر، حَدَّثَنِي عَبْد العَزِيز ابْن أَبِي ثَابِت عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي الزِّنَاد، عَنْ أَبِيهِ عَنْ بِلال بْن أَبِي بُرْدَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَال: أَوَّل مَنْ قَال: «أَمَّا بَعْد» دَاوُد عَلَيْهِ السَّلام، وَهُوَ فَصْل الخِطَاب. وَكَذَا قَال الشَّعْبِيّ: فَصْل الخِطَاب: «أَمَّا بَعْد».

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

قَدْ ذَكَرَ المُفَسِّرُونَ هَهُنَا قِصَّة أَكْثَرهَا مَأْخُوذ مِنْ الإِسْرَائِيليَّات، وَلمْ يَثْبُت فِيهَا عَنْ المَعْصُوم حَدِيث يَجِبُ اتِّبَاعه، وَلكِنْ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم هُنَا حَدِيثًا لا يَصِحّ سَنَدُهُ؛ لأَنَّهُ مِنْ رِوَايَة يَزِيد الرَّقَاشِيّ عَنْ أَنَس رضي الله عنه، وَيَزِيد وَإِنْ كَانَ مِنْ الصَّالحِينَ لكِنَّهُ ضَعِيف الحَدِيث عِنْد الأَئِمَّة، فَالأَوْلى أَنْ يُقْتَصَر عَلى مُجَرَّد تِلاوَة هَذِهِ القِصَّة، وَأَنْ يُرَدَّ عِلمهَا إِلى الله ﷻ فَإِنَّ القُرْآن حَقّ، وَمَا تَضَمَّنَ فَهُوَ حَقٌّ أَيْضًا. وَقَوْله تَعَالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ إِنَّمَا كَانَ ذَلكَ

---

(١) إسناده حسن.

لأَنَّهُ كَانَ فِي مِحْرَابه، وَهُوَ أَشْرَف مَكَان فِي دَارِهِ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ أَنْ لا يَدْخُل عَلَيْهِ أَحَدٌ ذَلكَ اليَوْم، فَلَمْ يَشْعُر إِلَّا بِشَخْصَيْنِ، قَدْ تَسَوَّرَا عَلَيْهِ المِحْرَاب، أَيْ: احْتَاطَا بِهِ يَسْأَلانِهِ عَنْ شَأْنِهِمَا. وَقَوْله ﷻ: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ أَيْ: غَلَبَنِي، يُقَال: عَزَّ يَعِزّ إِذَا قَهَرَ وَغَلَبَ. وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ : قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : أَيْ: اخْتَبَرْنَاهُ. وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أَيْ: سَاجِدًا ﴿وَأَنَابَ﴾، وَيَحْتَمِل أَنَّهُ رَكَعَ أَوَّلًا ثُمَّ سَجَدَ بَعْد ذَلكَ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ اسْتَمَرَّ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: مَا كَانَ مِنْهُ مِمَّا يُقَال فِيهِ: إِنَّ حَسَنَات الأَبْرَار سَيِّئَات المُقَرَّبِينَ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الأَئِمَّة فِي سَجْدَة ﴿صٓ﴾، هَل هِيَ مِنْ عَزَائِم السُّجُود؟ عَلى قَوْلَيْنِ، الجَدِيد مِنْ مَذْهَب الشَّافِعِيّ رضي الله عنه أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ عَزَائِم السُّجُود، بَل هِيَ سَجْدَة شُكْر، وَالدَّلِيل عَلى ذَلكَ مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل -هُوَ ابْن عُلَيَّة- عَنْ أَيُّوب عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَال: «السَّجْدَة فِي ﴿صٓ﴾ لَيْسَتْ مِنْ عَزَائِم السُّجُود، وَقَدْ رَأَيْت رَسُول الله ﷺ يَسْجُد فِيهَا.»[1] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي تَفْسِيره مِنْ حَدِيث أَيُّوب بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَقَال النَّسَائِيّ أَيْضًا عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيم بْن الحَسَن هُوَ المِقْسَمِيّ حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن مُحَمَّد عَنْ عُمَر بْن ذَرّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: إِنَّ النَّبِيّ ﷺ سَجَدَ فِي ﴿صٓ﴾ وَقَال: «سَجَدَهَا دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام تَوْبَة، وَنَسْجُدهَا شُكْرًا»[2]. تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ النَّسَائِيّ، وَرِجَال إِسْنَاده كُلّهمْ ثِقَات.

وَقَدْ أَخْبَرَنِي شَيْخنَا الحَافِظ أَبُو الحَجَّاج المِزِّيّ قِرَاءَة عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَع، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاق المدرجي أَخْبَرَنَا زَاهِر بْن أَبِي طَاهِر الثَّقَفِيّ حَدَّثَنَا زَاهِر بْن أَبِي طَاهِر الشَّحَّامِي أَخْبَرَنَا أَبُو سعد الكنجدروذي أَخْبَرَنَا الحَاكِم أَبُو أَحْمَد مُحَمَّد بْن مُحَمَّد الحَافِظ أَخْبَرَنَا أَبُو العَبَّاس السَّرَّاج حَدَّثَنَا هَارُون بْن عَبْد الله حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن [زيد][3] بن خُنَيْس عَنْ الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن عُبَيْد الله بْن أَبِي يَزِيد قَال: قَال لِي ابْن جُرَيْج: يَا حَسَن حَدَّثَنِي جَدّك عُبَيْد الله بْن أَبِي يَزِيد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: «جَاءَ رَجُل إِلى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله إِنِّي رَأَيْت فِيمَا يَرَى النَّائِم كَأَنِّي أُصَلِّي خَلف شَجَرَة، فَقَرَأْت السَّجْدَة فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتْ الشَّجَرَة بِسُجُودِي، فَسَمِعْتهَا تَقُول: وَهِيَ سَاجِدَة: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدك أَجْرًا، وَاجْعَلهَا لِي عِنْدك ذُخْرًا، وَضَعْ بِهَا عَنِّي وِزْرًا، وَاقْبَلهَا مِنِّي كَمَا قَبِلتهَا مِنْ عَبْدك دَاوُد. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : فَرَأَيْت النَّبِيّ ﷺ قَامَ فَقَرَأَ السَّجْدَة، ثُمَّ سَجَدَ فَسَمِعْته يَقُول وَهُوَ سَاجِد كَمَا حَكَى الرَّجُل عن كَلام الشَّجَرَة».[4] رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ قُتَيْبَة وَابْن مَاجَهْ عَنْ أَبِي بَكْر بْن خَلَّاد؛ كِلاهُمَا عَنْ مُحَمَّد بْن يَزِيد بْن خُنَيْس نَحْوه، وَقَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَال البُخَارِيّ عِنْد تَفْسِيرهَا أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُبَيْد الطَّنَافِسِيّ عَنْ العَوَّام قَال: سَأَلت مُجَاهِدًا عَنْ سَجْدَة ﴿صٓ﴾ فَقَال: سَأَلت ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : مِنْ أَيْنَ سَجَدْت؟ فَقَال: أَوَمَا تَقْرَأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ (الأنعام:٨٤)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (الأنعام:٩٠)، فَكَانَ دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام مِمَّنْ أُمِرَ نَبِيّكُمْ ﷺ أَنْ يَقْتَدِي بِهِ. فَسَجَدَهَا دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام فَسَجَدَهَا رَسُول الله ﷺ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا يَزِيد بْن زُرَيْع حَدَّثَنَا حُمَيْد حَدَّثَنَا بَكْر -هُوَ ابْن عَبْد الله

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٠٦٩).
(٢) صحيح : أخرجه النسائي (٢/ ١٥٩).
(٣) في الأزهرية: [يزيد].
(٤) حسن : تقدم.

الْمُزَنِيّ- أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ أَبَا سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ رَأَى رُؤْيَا أَنَّهُ يَكْتُب ﴿صٓ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى الآيَة الَّتِي يَسْجُد بِهَا رَأَى الدَّوَاة وَالقَلَم وَكُلّ شَيْء بِحَضْرَتِهِ انْقَلَبَ سَاجِدًا، قَالَ: فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيّ ﷺ فَلَمْ يَزَل يَسْجُد بِهَا بَعْدُ.»[1] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَالَ أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن صَالح حَدَّثَنَا ابْن وَهْب أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحَارِث عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلال عَنْ عِيَاض بْن عَبْد الله بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ قَالَ: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَر: ﴿صٓ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَة نَزَل فَسَجَدَ، وَسَجَدَ النَّاس مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْم آخَر قَرَأَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَة تَشَزَّنَ النَّاس للسُّجُودِ، فَقَال ﷺ: «إِنَّمَا هِيَ تَوْبَة نَبِيّ، وَلكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَزَّنْتُمْ» فَنَزَل وَسَجَدَ وسجدوا.[2] تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُد، وَإِسْنَاده عَلَى شَرْط الصَّحِيح.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أَيْ: وَإِنَّ لَهُ يَوْم القِيَامَة لَقُرْبَة يُقَرِّبهُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، وَحُسْن مَرْجِع، وَهُوَ الدَّرَجَات العَالِيَة فِي الجَنَّة، لنبوته وَعَدْله التَّامّ فِي مُلكه، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح: «الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِر مِنْ نُور عَنْ يَمِين الرَّحْمَن، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين، الَّذِينَ يُقْسِطُونَ فِي أَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا»[3]. وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن آدَم ثنا فُضَيْل عَنْ عَطِيَّة عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ قَالَ: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاس إِلَى الله يَوْم القِيَامَة وَأَقْرَبهمْ مِنْهُ مَجْلسًا إِمَامٌ عَادِل، وَإِنَّ أَبْغَض النَّاس إِلَى الله يَوْم القِيَامَة، وَأَشَدّهمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِر»[4]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث فُضَيْل -وَهُوَ ابْن مَرْزُوق- الأَغَرّ عَنْ عَطِيَّة بِهِ، وَقَال: لا نَعْرِفهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حدثنا عَبْد الله بْن أَبِي زِيَاد حدثنا سَيَّار حدثنا جَعْفَر بْن سُلَيْمَان سَمِعْت مَالك بْن دِينَار فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قَالَ: يُقَام دَاوُد يَوْم القِيَامَة عِنْد سَاق العَرْش، ثُمَّ يَقُول: يَا دَاوُد، مَجِّدْنِي اليَوْم بِذَلكَ الصَّوْت الحَسَن الرَّخِيم الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدنِي به فِي الدُّنْيَا. فَيَقُول: وَكَيْفَ وَقَدْ سَلَبْته؟ فَيَقُول الله ﷻ: إِنِّي أَرُدُّهُ عَلَيْك اليَوْم. قَال: فَيَرْفَع دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام بِصَوْتٍ يَسْتَفْرِغ نَعِيم أَهْل الجِنَان.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

هَذِهِ وَصِيَّة مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ لِوُلاةِ الأُمُور أَنْ يَحْكُمُوا بَيْن النَّاس بِالحَقِّ الْمُنَزَّل مِنْ عِنْده تَبَارَكَ وَتَعَالى، وَلا يَعْدِلُوا عَنْهُ فَيَضِلُّوا عَنْ سَبِيل الله، وَقَدْ تَوَعَّدَ تَبَارَكَ وَتَعَالى مَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيله وَتَنَاسَى يَوْم الحِسَاب بِالوَعِيدِ الأَكِيد وَالعَذَاب الشَّدِيد. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا هِشَام بْن خَالد حَدَّثَنَا الوَلِيد حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن جَنَاح حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيم أَبُو زُرْعَة -وكَانَ قَدْ قَرَأَ الكِتَاب- أَنَّ الوَلِيد بْن عَبْد المَلك قَال لهُ: أَيُحَاسَبُ الخَلِيفَة، فَإِنَّك قَدْ قَرَأْت الكِتَاب الأَوَّل وَقَرَأْت القُرْآن، وَفَقِهْت؟ فَقُلت: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ أَقُول؟ قَال: قُل فِي أَمَان الله. قُلت: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ أَكْرَم عَلَى الله، أَوْ دَاوُد، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام؟، إِنَّ الله تَعَالى جَمَعَ لهُ النُّبُوَّة وَالخِلافَة، ثُمَّ تَوَعَّدَهُ فِي كِتَابه فَقَال تَعَالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآيَة. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ هَذَا مِنْ الْمُقَدَّم وَالْمُؤَخَّر: لَهُمْ عَذَاب شَدِيد يَوْم الحِسَاب بِمَا نَسُوا.

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٧٨).
(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (١٤١٠).
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٢٧).
(٤) ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ٢٢)، والترمذي (١٣٢٩) بسند ضعيف.

وَقَال السُّدِّيّ: لَهُمْ عَذَاب شَدِيد بِمَا تَرَكُوا أَنْ يَعْمَلُوا لِيَوْمِ الحِسَاب. وَهَذَا القَوْل أَمْشَى عَلى ظَاهِر الآيَة، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى المُوَفِّق للصَّوَاب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ مَا خَلَقَ الخَلق عَبَثًا، وَإِنَّمَا خَلقَهُمْ لِيَعْبُدُوهُ وَيُوَحِّدُوهُ، ثُمَّ يَجْمَعهُمْ يَوْم الجَمْع، فَيُثِيب المُطِيع وَيُعَذِّب الكَافِر، وَلِهَذَا قَال تَعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أَيْ: الَّذِينَ لا يَرَوْنَ بَعْثًا وَلا مَعَادًا، وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الدَّار فَقَطْ، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: وَيْل لَهُمْ يَوْم مَعَادهمْ وَنُشُورهمْ مِنْ النَّار المُعَدَّة لَهُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالى أَنَّهُ ﷻ مِنْ عَدْله وَحِكْمَته لا يُسَاوِي بَيْن المُؤْمِنِينَ وَالكَافِرِينَ، فَقَال تَعَالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ أَيْ: لا نَفْعَل ذَلِكَ، وَلا يَسْتَوُونَ عِنْد الله، وَإِذَا كَانَ الأَمْر كَذَلِكَ، فَلابُدّ مِنْ دَار أُخْرَى يُثَاب فِيهَا هَذَا المُطِيع، وَيُعَاقَب فِيهَا هَذَا الفَاجِر، وَهَذَا الإِرْشَاد يَدُلّ العُقُول السَّلِيمَة وَالفِطَر المُسْتَقِيمَة عَلى أَنَّهُ لابُدّ مِنْ مَعَاد وَجَزَاء، فَإِنَّا نَرَى الظَّالِم البَاغِي يَزْدَاد مَاله وَوَلده وَنَعِيمه، وَيَمُوت كَذَلِكَ، وَنَرَى المُطِيع المَظْلُوم يَمُوت بِكَمَدِهِ، فَلابُدّ فِي حِكْمَة الحَكِيم العَلِيم العَادِل الَّذِي لا يَظْلِم مِثْقَال ذَرَّة: مِنْ إِنْصَاف هَذَا مِنْ هَذَا، وَإِذَا لَمْ يَقَع هَذَا فِي هَذِهِ الدَّار، فَتَعَيَّنَ أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى لِهَذَا الجَزَاء وَالمُوَاسَاة. وَلَمَّا كَانَ القُرْآن يُرْشِد إِلى المَقَاصِد الصَّحِيحَة وَالمَآخِذ العَقْلِيَّة الصَّرِيحَة، قَال تَعَالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: ذَوُو العُقُول، وَهِيَ الأَلْبَاب، جَمْع لُبّ، وَهُوَ العَقْل. قَال الحَسَن البَصْرِيّ: وَالله مَا تَدَبُّرُهُ بِحِفْظِ حُرُوفه وَإِضَاعَة حُدُوده، حَتَّى إِنَّ أَحَدهمْ لَيَقُول: قَرَأْتُ القُرْآن كُلّه، مَا يُرَى لَهُ القُرْآن فِي خُلُق وَلا عَمَل. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا أَنَّهُ وَهَب لِدَاوُدَ سُلَيْمَان، أَيْ: نَبِيًّا، كَمَا قَال ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ أَيْ: فِي النُّبُوَّة، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ لَهُ بَنُونَ غَيْره، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عِنْده مِائَة امْرَأَة حَرَائِر. وَقَوْله تَعَالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ثَنَاء عَلى سُلَيْمَان بِأَنَّهُ كَثِير الطَّاعَة وَالعِبَادَة وَالإِنَابَة إِلى الله ﷻ. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَمْرو بْن خَالد حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن جَابِر، حَدَّثَنَا مَكْحُول قَال: لَمَّا وَهَبَ الله تَعَالى لِدَاوُدَ سُلَيْمَان، قَال لَه: يَا بُنَيَّ مَا أَحْسَن؟ قَال: سَكِينَة الله وَالإِيمَان. قَال: فَمَا أَقْبَح؟ قَال: كُفْر بَعْد إِيمَان، قَال: فَمَا أَحْلى؟ قَال: رُوح الله بَيْن عِبَاده. قَال: فَمَا أَبْرَد؟ قَال: عَفْو الله عَنْ النَّاس، وَعَفْو النَّاس بَعْضهمْ عَنْ بَعْض. قَال دَاوُد عَلَيْهِ السَّلام: فَأَنْتَ نَبِيٌّ.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ أَيْ: إِذْ عُرِضَ عَلى سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام فِي حَال مَمْلَكته وَسُلطَانه الخَيْل الصَّافِنَات، قَال مُجَاهِد: وَهِيَ الَّتِي تَقِف عَلى ثَلاث وَطَرَف حَافِر الرَّابِعَة، وَالجِيَاد: السِّرَاع. وَكَذَا قَال غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار حَدَّثَنَا مُؤَمَّل حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ أَبِيهِ سَعِيد بْن مَسْرُوق عَنْ إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ فِي قَوْله ﷻ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ قَال: كَانَتْ عِشْرِينَ فَرَسًا ذَات أَجْنِحَة. كَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى حَدَّثَنَا ابْن أَبِي زَائِدَة أَخْبَرَنِي إِسْرَائِيل عَنْ سَعِيد بْن مَسْرُوق عَنْ إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ قَال: كَانَتْ الخَيْل الَّتِي شَغَلَتْ

سُليمان، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، عِشْرِينَ أَلف فَرَس فَعقَرهَا. وَهَذَا أَشْبَه، وَالله أَعْلم. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عَوْف حَدَّثنَا سَعِيد بْن أَبِي مَرْيَم أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْن أَيُّوب حَدَّثَنِي عُمَارَة بْن غُزَيَّة أَنَّ مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالتْ: قَدِمَ رَسُول الله ﷺ مِنْ غَزْوَة تَبُوك أَوْ خَيْبَر وَفِي سَهْوَتهَا سِتْر، فَهَبَّتْ الرِّيح، فَكَشفَتْ نَاحِيَة السِّتْر عَنْ بَنَات لعَائِشَة رضي الله عنها لُعَب، فَقَال ﷺ : «**مَا هَذَا يَا عَائِشَة؟**». قَالتْ رضي الله عنها : بَنَاتِي، وَرَأى بَيْنهنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاع، فَقَال ﷺ : «**مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟**» قَالتْ: فَرَس. قَال رَسُول الله ﷺ : «**مَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟**» قَالتْ رضي الله عنها : جَنَاحَانِ. قَال رَسُول الله ﷺ : «**فَرَس لَهُ جَنَاحَانِ؟**». قَالتْ رضي الله عنها : أَمَا سَمِعْت أَنَّ سُليمان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام كَانَتْ لَهُ خَيْل لهَا أَجْنِحَة؟ قَالتْ: فَضَحِكَ ﷺ حَتَّى رَأَيْت نَوَاجِذه.(١)

وَقَوْله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف وَالْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ اشْتَغَل بِعَرْضِهَا حَتَّى فَاتَ وَقْت صَلاة العَصْر، وَالَّذِي يُقْطَع بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكهَا عَمْدًا بَل نِسْيَانًا، كَمَا شُغِل النَّبِيّ ﷺ يَوْم الخَنْدَق عَنْ صَلاة العَصْر حَتَّى صَلَّاهَا بَعْد الغُرُوب، وَذَلكَ ثَابِت فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ غَيْر وَجْه، مِنْ ذَلكَ عَنْ جَابِر رضي الله عنه قَال: جَاءَ عُمَر رضي الله عنه يَوْم الخَنْدَق بَعْدَمَا غَرَبَتْ الشَّمْس، فَجَعَل يَسُبّ كُفَّار قُرَيْش، وَيَقُول: يَا رَسُول الله، وَالله مَا كِدْت أُصَلِّي العَصْر حَتَّى كَادَتْ الشَّمْس تَغْرُب. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**وَالله مَا صَلَّيْتهَا**». فَقَال: فَقُمْنَا إِلى بُطْحَان، فَتَوَضَّأَ نَبِيّ الله للصَّلاةِ وَتَوَضَّأْنَا لهَا فَصَلَّى العَصْر بَعْدَمَا غَرَبَتْ الشَّمْس، ثُمَّ صَلَّى بَعْدهَا المَغْرِب.(٢) وَيَحْتَمِل أَنَّهُ كَانَ سَائِغًا فِي مِلَّتهمْ تَأْخِير الصَّلاة لعُذْرِ الغَزْو وَالقِتَال، وَالخَيْل تُرَاد للقتال، وَقَدْ ادَّعَى طَائِفَة مِنْ العُلَمَاء أَنَّ هَذَا كَانَ مَشْرُوعًا، فَنُسِخَ ذَلكَ بِصَلاةِ الخَوْف، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلى ذَلكَ فِي حَال المُسَايَفَة وَالمُضَايَقَة، حَيْثُ لا تُمْكِن صَلاة، وَلا رُكُوع وَلا سُجُود، كَمَا فَعَل الصَّحَابَة رضي الله عنهم فِي فَتْح تُسْتَر، وَهُوَ مَنْقُول عَنْ مَكْحُول، وَالأَوْزَاعِيّ وَغَيْرهمَا، وَالأَوَّل أَقْرَب؛ لأَنَّهُ قَال بَعْده: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾.

قَال الحَسَن البَصْرِيّ: لا، قَال: وَالله لا تَشْغَلِينِي عَنْ عِبَادَة رَبِّي آخِر مَا عَلَيْك، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَعُقِرَتْ. وَكَذَا قَال قَتَادَة، وَقَال السُّدِّيّ: ضَرَبَ أَعْنَاقهَا وَعَرَاقِيبهَا بِالسُّيُوفِ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : جَعَل يَمْسَح أَعْرَاف الخَيْل وَعَرَاقِيبهَا حُبًّا لهَا، وَهَذَا القَوْل اخْتَارَهُ ابْن جَرِير قَال: لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ليُعَذِّب حَيَوَانًا بِالعَرْقَبَةِ وَيُهْلك مَالًا مِنْ مَاله بِلا سَبَب سِوَى أَنَّهُ اشْتَغَل عَنْ صَلاته بِالنَّظَرِ إِليْهَا وَلا ذَنْب لهَا، وَهَذَا الَّذِي رَجَّحَ بِهِ ابْن جَرِير فِيهِ نَظَر، لأَنَّهُ قَدْ يَكُون فِي شَرْعهمْ جَوَاز مِثْل هَذَا، وَلا سِيَّمَا إِذَا كَانَ غَضَبًا للهِ تَعَالى بِسَبَبِ أَنَّهُ اشْتَغَل بِهَا حَتَّى خَرَجَ وَقْت الصَّلاة، وَلهَذَا لَمَّا خَرَجَ عَنْهَا لله تَعَالى عَوَّضَهُ الله ﷻ، مَا هُوَ خَيْر مِنْهَا وَهُوَ الرِّيح الَّتِي تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ، غُدُوُّهَا شَهْر، وَرَوَاحهَا شَهْر، فَهَذَا أَسْرَع وَخَيْر مِنْ الخَيْل. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا سُليمان بْن المُغِيرَة عَنْ حُمَيْد بْن هِلال عَنْ أَبِي قَتَادَة وَأَبِي الدَّهْمَاء -وَكَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَر نَحْو البَيْت- قَالا: أَتَيْنَا عَلى رَجُل مِنْ أَهْل البَادِيَة، فَقَال لنَا البَدْوِيّ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُول الله ﷺ فَجَعَل يُعَلِّمُنِي مِمَّا عِلمه الله ﷻ وَقَال: «**إِنَّك لا تَدَعُ شَيْئًا اتِّقَاء الله تَعَالى إِلاَّ أَعْطَاك الله ﷻ خَيْرًا مِنْهُ**».(٣)

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٩٣٢).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٩٦)، ومسلم (٩٣١).
(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد (٥/ ٧٨، ٧٩).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أَيْ: اخْتَبَرْنَاهُ بِأَنْ سَلَبْنَاهُ الْمُلْك مرة، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ : قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالحَسَن وَقَتَادَة وَغَيْرهمْ: يَعْنِي شَيْطَانًا. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أَيْ: رَجَعَ إِلَى مُلكه وَسُلطَانه وَأُبَّهته. قَال ابْن جَرِير: وَكَانَ اسْم ذَلِكَ الشَّيْطَان صَخْرًا، قَالَهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَقَتَادَة. وَقِيل: آصَف. قَالَهُ مُجَاهِد. وَقِيل: أَصْرُوا. قَالَهُ مُجَاهِد أَيْضًا. وَقِيل: حبقيق. قَالَهُ السُّدِّيّ: وَقَدْ ذَكَرُوا هَذِهِ القِصَّة مَبْسُوطَة وَمُخْتَصَرَة، وَقَدْ قَال سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة قَال: أُمِرَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام بِبِنَاءِ بَيْت المَقْدِس، فَقِيل لَهُ: ابْنِهِ وَلا يُسْمَع فِيهِ صَوْت حَدِيد، قَال: فَطَلَبَ ذَلكَ فَلَمْ يَقْدِر عَلَيْهِ. فَقِيل لَهُ: إِنَّ شَيْطَانًا فِي البَحْر، يُقَال لَهُ: صَخر شِبْه المَارِد، قَال: فَطَلَبَهُ وَكَانَتْ فِي البَحْر عَيْن يَرِدُهَا، فِي كُلّ سَبْعَة أَيَّام مَرَّة، فَنَزَحَ مَاءَهَا وَجَعَل فِيهَا خَمْرًا، فَجَاءَ يَوْم وُرُدِه فَإِذَا هُوَ بِالخَمْرِ، فَقَال: إِنَّك لشَرَاب طَيِّب إِلَّا أَنَّك تُصْبِينَ الحَلِيم، وَتَزِيدِينَ الجَاهِل جَهْلًا، قَال: ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى عَطِشَ عَطَشًا شَدِيدًا، ثُمَّ أَتَاهَا فَقَال: إِنَّك لشَرَاب طَيِّب إِلَّا أَنَّك تُصْبِينَ الحَلِيم، وَتَزِيدِينَ الجَاهِل جَهْلًا، قَال: ثُمَّ شَرِبَهَا حَتَّى غلبت عَلى عَقْله، قَال: فَأُرِيَ الخَاتَم أَوْ خُتِمَ بِهِ بَيْن كَتِفَيْهِ فَذَلَّ، قَال: وَكَانَ مُلكه فِي خَاتَمه، فَأُتِيَ بِهِ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَقَال: إِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِبِنَاءِ هَذَا البَيْت، وَقِيل لنَا: لا يُسْمَعَنَّ فِيهِ صَوْت حَدِيد، قَال: فَأَتَى بِبَيْضِ الهُدْهُد، فَجَعَل عَلَيْهِ زُجَاجَة، فَجَاءَ الهُدْهُد فَدَار حَوْلَهَا، فَجَعَل يَرَى بَيْضه، وَلا يَقْدِر عَلَيْهِ، فَذَهَبَ فَجَاءَ بِالمَاسِ فَوَضَعَهُ عَلَيْهِ، فَقَطَعَهَا بِهِ حَتَّى أَفْضَى إِلى بَيْضه، فَأَخَذَ المَاس فَجَعَلُوا يَقْطَعُونَ بِهِ الحِجَارَة، وَكَانَ سُلَيْمَان عليه السلام إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُل الخَلاء أَوْ الحَمَّام لَمْ يَدْخُل بِالخَاتَم فَانْطَلَقَ يَوْمًا إِلَى الحَمَّام، وَذَلكَ الشَّيْطَان صَخر مَعَهُ، وَذَلكَ عِنْد مُقَارَفَة، قَارَفَ فِيهَا بَعْض نِسَائِهِ، قَال: فَدَخَل الحَمَّام وَأَعْطَى الشَّيْطَان خَاتَمه، فَأَلقَاهُ فِي البَحْر، فَالتَقَمَتْهُ سَمَكَة وَنُزِعَ مُلك سُلَيْمَان مِنْهُ، وَأُلقِيَ عَلى الشَّيْطَان شَبَه سُلَيْمَان، قَال: فَجَاءَ فَقَعَدَ عَلى كُرْسِيّه وَسَرِيره، وَسُلِّطَ عَلى مُلك سُلَيْمَان كُلّه غَيْر نِسَائِهِ، قَال: فَجَعَل يَقْضِي بَيْنهمْ، وَجَعَلُوا يُنْكِرُونَ مِنْهُ أَشْيَاء، حَتَّى قَالُوا: لقَدْ فُتِنَ نَبِيّ الله، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُل يُشَبِّهُونَهُ بِعُمَرَ بْن الخَطَّاب رضي الله عنه فِي القُوَّة، فَقَال: وَالله لأُجَرِّبَنَّهُ قَال: فَقَال: يَا نَبِيّ الله -وَهُوَ لا يَرَى إِلَّا أَنَّهُ نَبِيّ الله- أَحَدنَا تُصِيبهُ الجَنَابَة فِي اللَّيْلَة البَارِدَة، فَيَدَع الغُسْل عَمْدًا حَتَّى تَطْلُع الشَّمْس، أَتَرَى عَلَيْهِ بَأْسًا؟ قَال: لا. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَة، إِذْ وَجَدَ نَبِيّ الله خَاتَمه فِي بَطْن سَمَكَة، فَأَقْبَل فَجَعَل لا يَسْتَقْبِلهُ جِنِّيّ وَلا طَيْر، إِلَّا سَجَدَ لهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قَال: هُوَ الشَّيْطَان صَخر.

وَقَال السُّدِّيّ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أَيْ: ابْتَلَيْنَا سُلَيْمَان، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قَال: شَيْطَانًا جَلَسَ عَلى كُرْسِيّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا. قَال: كَانَ لسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام مِائَة امْرَأَة وَكَانَتْ امْرَأَة مِنْهُنَّ يُقَال لهَا: جَرَادَة، وَهِيَ آثَر نِسَائِهِ وَآمَنهُنَّ عِنْده، وَكَانَ إِذَا أَجْنَبَ أَوْ أَتَى حَاجَة نَزَعَ خَاتَمه، وَلَمْ يَأْمَن عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ النَّاس غَيْرهَا، فَأَعْطَاهَا يَوْمًا خَاتَمه وَدَخَل الخَلاء، فَخَرَجَ الشَّيْطَان فِي صُورَته فَقَال: هَاتِي الخَاتَم فَأَعْطَتْهُ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ عَلى مَجْلس سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، وَخَرَجَ سُلَيْمَان بَعْد ذَلكَ فَسَأَلهَا أَنْ تُعْطِيه خَاتَمه، فَقَالَتْ: أَلَمْ تَأْخُذهُ قَبْل؟ قَال: لا. وَخَرَجَ كَأَنَّهُ تَائِهٌ وَمَكَثَ الشَّيْطَان يَحْكُم بَيْن النَّاس أَرْبَعِينَ يَوْمًا، قَال: فَأَنْكَرَ النَّاس أَحْكَامه، فَاجْتَمَعَ قُرَّاء بَنِي إِسْرَائِيل وَعُلَمَاؤُهُمْ، فَجَاءُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلى نِسَائِهِ، فَقَالُوا لهُنَّ: إِنَّا قَدْ أَنْكَرْنَا هَذَا، فَإِنْ كَانَ سُلَيْمَان

فَقَدْ ذَهَبَ عَقْله وَأَنْكَرْنَا أَحْكَامه، قَال: فَبَكَى النِّسَاء عِنْد ذَلِكَ، قَال: فَأَقْبَلُوا يَمْشُونَ حَتَّى أَتَوْهُ فَأَحْدَقُوا بِهِ ثُمَّ نَشَرُوا يَقْرَءُونَ التَّوْرَاة، قَال: فَطَارَ مِنْ بَيْن أَيْدِيهِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلى شُرْفَة، وَالخَاتَم مَعَهُ، ثُمَّ طَارَ حَتَّى ذَهَبَ إِلى البَحْر، فَوَقَعَ الخَاتَم مِنْهُ فِي البَحْر، فَابْتَلَعَهُ حُوت مِنْ حِيتَان البَحْر، قَال: وَأَقْبَل سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام فِي حَاله الَّتِي كَانَ فِيهَا حَتَّى انْتَهَى إِلى صَيَّاد مِنْ صَيَّادِي البَحْر وَهُوَ جَائِع، وَقَدْ اشْتَدَّ جُوعه، فَسَأَلَهُمْ مِنْ صَيْدهمْ، وَقَال: إِنِّي أَنَا سُلَيْمَان، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضهمْ فَضَرَبَهُ بِعَصًا فَشَجَّهُ، فَجَعَل يَغْسِل دَمه، وَهُوَ عَلى شَاطِئِ البَحْر فَلامَ الصَّيَّادُونَ صَاحِبهمْ الَّذِي ضَرَبَهُ، فَقَالُوا: بِئْسَ مَا صَنَعْت حَيْثُ ضَرَبْته، قَال: إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ سُلَيْمَان، قَال: فَأَعْطَوْهُ سَمَكَتَيْنِ مِمَّا قَدْ مَذِرَ عِنْدهمْ وَلَمْ يَشْغَلهُ مَا كَانَ بِهِ مِنْ الضَّرْب حَتَّى قَامَ إِلى شَاطِئِ البَحْر، فَشَقَّ بُطُونهمَا، فَجَعَل يَغْسِل، فَوَجَدَ خَاتَمه فِي بَطْن إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَهُ فَلَبِسَهُ، فَرَدَّ الله عَلَيْهِ بَهَاءَهُ وَمُلكه، فَجَاءَتْ الطَّيْر حَتَّى حَامَتْ عَلَيْهِ، فَعَرَفَ القَوْم أَنَّهُ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَقَامَ القَوْم يَعْتَذِرُونَ مِمَّا صَنَعُوا، فَقَال: مَا أَحْمَدُكُمْ عَلى عُذْركُمْ، وَلا أَلُومكُمْ عَلى مَا كَانَ مِنْكُمْ، كَانَ هَذَا الأَمْر لابُدّ مِنْهُ. قَال: فَجَاءَ حَتَّى أَتَى مُلكه وَأَرْسَل إِلى الشَّيْطَان فَجِيءَ بِهِ فَأَمَرَ بِهِ فَجُعِل فِي صُنْدُوق مِنْ حَدِيد، ثُمَّ أَطْبَقَ عَلَيْهِ، وَقَفَل عَلَيْهِ بِقُفْلٍ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي البَحْر، فَهُوَ فِيهِ حَتَّى تَقُوم السَّاعَة. وَكَانَ اسْمه حبقيق. قَال: وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيح، وَلَمْ تَكُنْ سُخِّرَتْ لَهُ قَبْل ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْله: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ قَال: شَيْطَانًا يُقَال لَهُ: آصَف، فَقَال لَهُ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ تَفْتِنُونَ النَّاس؟ قَال: أَرِنِي خَاتَمك أُخْبِرك. فَلَمَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ نَبَذَهُ آصَف فِي البَحْر، فَسَاحَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَهَبَ مُلكه، وَقَعَدَ آصَف عَلى كُرْسِيّه، وَمَنَعَهُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالى مِنْ نِسَاء سُلَيْمَان فَلَمْ يَقْرَبهُنَّ وَلَمْ يَقْرَبْنَهُ وَأَنْكَرْنَهُ. قَال: فَكَانَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام يَسْتَطْعِم، فَيَقُول: أَتَعْرِفُونِي؟ أَطْعِمُونِي، أَنَا سُلَيْمَان. فَيُكَذِّبُونَهُ، حَتَّى أَعْطَتْهُ امْرَأَة يَوْمًا حُوتًا فَفَتَحَ بَطْنه، فَوَجَدَ خَاتَمه فِي بَطْنه، فَرَجَعَ إِلَيْهِ مُلكه، وَفَرَّ آصَف، فَدَخَل البَحْر فَارًّا. وَهَذِهِ كُلّهَا مِنْ الإِسْرَائِيلِيَّات، وَمِنْ أَنْكَرهَا مَا قَالَهُ ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العَلاء وَعُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة وَعَلِيّ بْن مُحَمَّد قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة أَخْبَرَنَا الأَعْمَش عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ قَال: أَرَادَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام أَنْ يَدْخُل الخَلاء، فَأَعْطَى الجَرَادَة خَاتَمه، وَكَانَتْ الجَرَادَة امْرَأَته، وَكَانَتْ أَحَبّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ، فَجَاءَ الشَّيْطَان فِي صُورَة سُلَيْمَان، فَقَال لَهَا: هَاتِي خَاتَمِي، فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا لَبِسَهُ دَانَتْ لَهُ الإِنْس وَالجِنّ وَالشَّيَاطِين، فَلَمَّا خَرَجَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ الخَلاء قَال لَهَا: هَاتِي خَاتَمِي، قَالَتْ: أَعْطَيْته سُلَيْمَان، قَال: أَنَا سُلَيْمَان، قَالَتْ: كَذَبْت، مَا أَنْتَ بِسُلَيْمَانَ، فَجَعَل لا يَأْتِي أَحَدًا يَقُول لَهُ: أَنَا سُلَيْمَان إِلَّا كَذَّبَهُ حَتى جَعَل الصِّبْيَان يَرْمُونَهُ بِالحِجَارَةِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ سُلَيْمَان عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ أَمْر الله عَزَّ وَجَلَّ، قَال: وَقَامَ الشَّيْطَان يَحْكُم بَيْن النَّاس، فَلَمَّا أَرَادَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالى أَنْ يَرُدَّ عَلى سُلَيْمَان سُلطَانه أَلقَى فِي قُلُوب النَّاس إِنْكَار ذَلِكَ الشَّيْطَان، قَال: فَأَرْسَلُوا إِلى نِسَاء سُلَيْمَان فَقَالُوا لَهُنَّ: أَتُنْكِرْنَ مِنْ سُلَيْمَان شَيْئًا؟ قُلنَ: نَعَمْ. إِنَّهُ يَأْتِينَا وَنَحْنُ حُيَّض، وَمَا كَانَ يَأْتِينَا قَبْل ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْطَان أَنَّهُ قَدْ فُطِنَ لَهُ، ظَنَّ أَنَّ أَمْره قَدْ انْقَطَعَ فَكَتَبُوا كُتُبًا فِيهَا سِحْر وَكُفْر فَدَفَنُوهَا تَحْت كُرْسِيّ سُلَيْمَان، ثُمَّ أَثَارُوهَا وَقَرَءُوهَا عَلى النَّاس، وَقَالُوا: بِهَذَا كَانَ يَظْهَر سُلَيْمَان عَلى النَّاس، وَيَغْلبهُمْ؛ فَأَكْفَرَ النَّاسُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَلَمْ يَزَالُوا يُكَفِّرُونَهُ وَبَعَثَ ذَلِكَ الشَّيْطَان بِالخَاتَم فَطَرَحَهُ فِي البَحْر فَتلقفته سَمَكَة فَأَخذته، وَكَانَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلام يَحْمِل عَلى شَطّ البَحْر بِالأَجْرِ، فَجَاءَ رَجُل فَاشْتَرَى سَمَكًا فِيهِ تِلكَ السَّمَكَة الَّتِي فِي بَطْنهَا الخَاتَم، فَدَعَا سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَقَال: تَحْمِل لِي هَذَا السَّمَك؟

فقال: نَعَمْ. قَالَ: بِكَمْ؟ قَالَ: بِسَمَكَةٍ مِنْ هَذَا السَّمَك، قَالَ: فَحَمَلَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام السَّمَك، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِله، فَلَمَّا انْتَهَى الرَّجُل إِلَى بَابه أَعْطَاهُ تِلْكَ السَّمَكَة الَّتِي فِي بَطْنهَا الخَاتَم، فَأَخَذَهَا سُلَيْمَان عليه السلام فَشَقَّ بَطْنَهَا فَإِذَا الخَاتَم فِي جَوْفهَا فَأَخَذَهُ فَلَبِسَهُ، قَالَ: فَلَمَّا لَبِسَهُ دَانَتْ لَهُ الجِنّ وَالإِنْس وَالشَّيَاطِين، وَعَادَ إِلَى حَاله، وَهَرَبَ الشَّيْطَان حَتَّى لَحِقَ بِجَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِر البَحْر، فَأَرْسَل سُلَيْمَان عليه السلام فِي طَلَبه، وَكَانَ شَيْطَانًا مَرِيدًا، فَجَعَلُوا يَطْلُبُونَهُ وَلا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَوْمًا نَائِمًا، فَجَاءُوا فَبَنَوْا عَلَيْهِ بُنْيَانًا مِنْ رَصَاص، فَاسْتَيْقَظَ فَوَثَبَ، فَجَعَل لا يَثِب فِي مَكَان مِنْ البَيْت إِلَّا انْمَاطَ مَعَهُ مِنْ الرَّصَاص، قَالَ: فَأَخَذُوهُ فَأَوْثَقُوهُ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَأَمَرَ بِهِ فَنُقِرَ لَهُ تَخْت مِنْ رُخَام، ثُمَّ أُدْخِل فِي جَوْفه، ثُمَّ سُدَّ بِالنُّحَاسِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَطُرِحَ فِي البَحْر، فَذَلِكَ قَوْله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ يَعْنِي الشَّيْطَان الَّذِي كَانَ سُلِّطَ عَلَيْهِ. إِسْنَاده إِلَى ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَوِيّ، وَلَكِنَّ الظَّاهِر أَنَّهُ إِنَّمَا تَلَقَّاهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما -إِنْ صَحَّ عَنْهُ- مِنْ أَهْل الكِتَاب، وَفِيهِمْ طَائِفَة لا يَعْتَقِدُونَ نُبُوَّة سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَالظَّاهِر أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَ فِي هذا السِّيَاق مُنْكَرَات مِنْ أَشَدِّهَا ذِكْر النِّسَاء، فَإِنَّ المَشْهُور عَنْ مُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد مِنْ أَئِمَّة السَّلَف أَنَّ ذَلِكَ الجِنِّيّ لَمْ يُسَلَّط عَلَى نِسَاء سُلَيْمَان، بَل عَصَمَهُنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لِنَبِيِّهِ عليه السلام. وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ القِصَّة مُطَوَّلَة عَنْ جَمَاعَة مِنْ السَّلَف رضي الله عنهم كَسَعِيدِ بْن المُسَيِّب وَزَيْد بْن أَسْلَم وَجَمَاعَة آخَرِينَ، وَكُلّهَا مُتَلَقَّاة مِنْ قَصَص أَهْل الكِتَاب، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالَى أَعْلَم.

قَال يَحْيَى بْن أَبِي عَرُوبَة الشَّيْبَانِيّ: وَجَدَ سُلَيْمَان خَاتَمه بِعَسْقَلانَ، فَمَشَى فِي حُرْقَة إِلَى بَيْت المَقْدِس تَوَاضُعًا لله عز وجل، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَدْ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ كَعْب الأَحْبَار [فِي صِفَة كُرْسِيّ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام خَبَرًا عَجِيبًا فَقَال: حَدَّثَنَا أَبِي رحمه الله حَدَّثَنَا أَبُو صَالِح -كَاتِب اللَّيْث- أَخْبَرَنِي أَبُو إِسْحَاق المِصْرِيّ عَنْ كَعْب الأَحْبَار][(١)]: أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَدِيث «إِرَم ذَات العِمَاد» قَال لَهُ معاوية: يَا أَبَا إِسْحَاق أَخْبِرْنِي عَنْ كُرْسِيّ سُلَيْمَان بْن دَاوُد عَلَيْهِمَا الصَّلاة وَالسَّلام، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَمِنْ أَيّ شَيْء هُوَ؟ فَقَال: كَانَ كُرْسِيّ سُلَيْمَان مِنْ أَنْيَاب الفِيلَة، مُرَصَّعًا بِالدُّرّ وَاليَاقُوت وَالزَّبَرْجَد وَاللُّؤْلُؤ، وَقَدْ جَعَل لَهُ دَرَجَة مِنْهَا مُفَصَّصًا بِالدُّرّ وَاليَاقُوت وَالزَّبَرْجَد، ثُمَّ أَمَرَ بِالكُرْسِيِّ فَحُفَّ مِنْ جَانِبَيْهِ بِالنَّخْل. نَخْل مِنْ ذَهَب، شَمَارِيخهَا مِنْ يَاقُوت وَزَبَرْجَد وَلُؤْلُؤ، وَجَعَل عَلَى رُءُوس النَّخْل [الَّتِي عَنْ يَمِين الكُرْسِيّ طَوَاوِيس مِنْ ذَهَب ثُمَّ جَعَل عَلَى رُؤُوس النَّخْل الَّتِي عَلَى يَسَار الكُرْسِيّ نُسُورًا مِنْ ذَهَب مُقَابِلَة الطَّوَاوِيس، وَجَعَل عَلَى يَمِين الدَّرَجَة الأُولَى شَجَرَتِي صَنَوْبَر مِنْ ذَهَب، وَعَنْ يَسَارهَا أَسَدَانِ مِنْ ذَهَب، وَعَلَى رُءُوس الأَسَدَيْنِ عَمُودَانِ مِنْ زَبَرْجَد][(٢)]، وَجَعَل مِنْ جَانِبَيْ الكُرْسِيّ شَجَرَتَيْ كَرْم مِنْ ذَهَب، قَدْ أَظَلَّتَا الكُرْسِيّ، وَجُعِل عَنَاقِيدهمَا دُرًّا وَيَاقُوتًا أَحْمَر، ثُمَّ جُعِل فَوْق دَرَج الكُرْسِيّ أَسَدَانِ عَظِيمَانِ مِنْ ذَهَب مُجَوَّفَانِ مَحْشُوَّانِ مِسْكًا وَعَنْبَرًا، فَإِذَا أَرَادَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلام أَنْ يَصْعَد عَلَى كُرْسِيّه اسْتَدَارَ الأَسَدَانِ سَاعَة، ثُمَّ يَقَعَانِ فَيَنْضَحَانِ مَا فِي أَجْوَافهمَا مِنْ المِسْك وَالعَنْبَر حَوْل كُرْسِيّ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، ثُمَّ يُوضَع مِنْبَرَانِ مِنْ ذَهَب وَاحِد لِخَلِيفَتِهِ وَالآخَر لِرَئِيسِ أَحْبَار بَنِي إِسْرَائِيل ذَلِكَ الزَّمَان، ثُمَّ يُوضَع أَمَام كُرْسِيّه سَبْعُونَ مِنْبَرًا مِنْ ذَهَب يَقْعُد عَلَيْهَا سَبْعُونَ قَاضِيًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل وَعُلَمَائِهِمْ وَأَهْل الشَّرَف مِنْهُمْ وَالطَّوْل، وَمِنْ خَلف تِلْكَ المَنَابِر كُلّهَا خَمْسَة وَثَلاثُونَ مِنْبَرًا مِنْ ذَهَب لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَد، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْعَد عَلَى كُرْسِيّه وَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى الدَّرَجَة السُّفْلَى فَاسْتَدَارَ الكُرْسِيّ كُلّه بِمَا فِيهِ وَمَا عَلَيْهِ، وَيَبْسُط الأَسَد يَده اليُمْنَى وَيَنْشُر

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) سقط من الأزهرية.

النَّسْر جَنَاحه الأَيْسَر، ثُمَّ يَصْعَد سليمان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام عَلى الدَّرَجَة الثَّانِيَة فَيَبْسُط الأَسَد يَده اليُسْرَى، وَيَنْشُر النَّسْر جَنَاحه الأَيْمَن فَإِذَا اسْتَوَى سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام عَلى الدَّرَجَة الثَّالِثَة، وَقَعَدَ عَلى الكُرْسِيّ أَخَذَ نَسْرٌ مِنْ تِلكَ النُّسُورِ عَظِيمٌ تَاجَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، فَوَضَعَهُ عَلى رَأْسه، فَإِذَا وَضَعَهُ عَلى رَأْسه اسْتَدَارَ الكُرْسِيّ بِمَا فِيهِ كَمَا تَدُور الرَّحَى الْمُسْرِعَة، فَقَال مُعَاوِيَة ﷺ: وَمَا الَّذِي يُدِيرهُ يَا أَبَا إِسْحَاق؟ قَال: تِنِّين مِنْ ذَهَب، ذَلِكَ الكُرْسِيّ عَلَيْهِ وَهُوَ عَظِيم مِمَّا عَمِلهُ صَخْر الجِنِّيّ، فَإِذَا أَحَسَّتْ بِدَوَرَانِهِ دَارَتْ تِلكَ الأُسُود وَالنُّسُور وَالطَّوَاوِيس الَّتِي فِي أَسْفَل الكُرْسِيّ دُون الَّتِي أَعْلاهُ، فَإِذَا وَقَفَ وَقَفْنَ كُلّهنَّ مُنَكَّسَات رُءُوسَهُنَّ عَلى رَأْس سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام وَهُوَ جَالس، ثُمَّ يَنْضَحْنَ جَمِيعًا مَا فِي أَجْوَافِهِنَّ مِنَ المِسْك وَالعَنْبَر عَلى رَأْس سُلَيْمَان بْن دَاوُد عَلَيْهِمَا الصَّلاة وَالسَّلام، ثُمَّ تَتَنَاوَل حَمَامَة مِنْ ذَهَب وَاقِفَة عَلى عَمُود مِنْ جَوْهَر التَّوْرَاة فَتَجْعَلهَا فِي يَده، فَيَقْرَأهَا سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام عَلى النَّاس. وَذَكَرَ تَمَام الخَبَر وَهُوَ غَرِيب جِدًّا.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾. قَال بَعْضهمْ: معناه: لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، أَيْ: لا يَصْلُح لأَحَدٍ أَنْ يَسْلُبَنِيهِ بَعْدِي، كَمَا كَانَ مِنْ قَضِيَّة الجَسَد الَّذِي أُلقِيَ عَلى كُرْسِيّه، لا أَنَّهُ يَحْجُر عَلى مَنْ بَعْده مِنَ النَّاس، وَالصَّحِيح أَنَّهُ سَأَل مِنْ الله تَعَالى مُلكًا لا يَكُون لأَحَدٍ مِنْ بَعْده مِنَ البَشَر مِثْله، وَهَذَا هُوَ ظَاهِر السِّيَاق مِنَ الآيَة. وَبِذَلكَ وَرَدَتْ الأَحَادِيث الصَّحِيحَة مِنْ طُرُق عَنْ رَسُول الله ﷺ. قَال البُخَارِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم أَخْبَرَنَا رَوْح وَمُحَمَّد بْن جَعْفَر عَنْ شُعْبَة عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الجِنّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَة -أَوْ كَلِمَة نَحْوهَا- لِيَقْطَع عَلَيَّ الصَّلاة، فَأَمْكَنَنِي الله تَبَارَكَ وَتَعَالى مِنْهُ، وَأَرَدْت أَنْ أَرْبِطهُ إِلى سَارِيَة مِنْ سَوَارِي المَسْجِد حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلّكُمْ، فَذَكَرْت قَوْل أَخِي سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام:** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾». قَال رَوْح: فَرَدَّهُ خَاسِئًا.[1] وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ.

وَقَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَلمَة المُرَادِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن وَهْب عَنْ مُعَاوِيَة بْن صَالح حَدَّثَنِي رَبِيعة بْن زيد عَنْ أَبِي إِدْرِيس الخَوْلانِيّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء ﷺ قَال: قَامَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي، فَسَمِعْنَاهُ يَقُول: «**أَعُوذ بِالله مِنْك**». ثُمَّ قَال: «**أَلعَنك بِلعْنَةِ الله**». ثَلاثًا، وَبَسَطَ يَده كَأَنَّهُ يَتَنَاوَل شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الصَّلاة قُلنَا: يَا رَسُول الله سَمِعْنَاكَ تَقُول فِي الصَّلاة شَيْئًا لمْ نَسْمَعك تَقُولهُ قَبْل ذَلكَ، وَرَأَيْنَاك بَسَطْت يَدك. قَال ﷺ: «**إِنَّ عَدُوّ الله إِبْلِيس جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَار، لِيَجْعَلهُ فِي وَجْهِي، فَقُلت: أَعُوذ بِالله مِنْك ثَلاث مَرَّات، ثُمَّ قُلت: أَلعَنك بِلعْنَةِ الله التَّامَّة؛ فَلمْ يَسْتَأْخِر ثَلاث مَرَّات، ثُمَّ أَرَدْت أَنْ آخُذهُ، وَالله لوْلا دَعْوَة أَخِينَا سُلَيْمَان لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلعَب بِهِ صِبْيَان أَهْل المَدِينَة**».[2]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد ثنا مَيْسَرَة بْن مَعْبَد حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْد -حَاجِب سُلَيْمَان- قَال: رَأَيْت عَطَاء ابْن يَزِيد اللَّيْثِيّ قَائِمًا يُصَلِّي، فَذَهَبْت أَمُرُّ بَيْن يَدَيْهِ فَرَدَّنِي، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَامَ يُصَلِّي صَلاة الصُّبْح، وَهُوَ خَلفه، فَقَرَأَ فَالتَبَسَتْ عَلَيْهِ القِرَاءَة، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاته قَال: «**لوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيس فَأَهْوَيْت بِيَدِي، فَمَا زِلت أَخْنُقهُ حَتَّى وَجَدْت بَرْد لُعَابه بَيْن أُصْبُعَيَّ هَاتَيْنِ -الإِبْهَام وَالَّتِي تَليهَا-، وَلوْلا دَعْوَة أَخِي سُلَيْمَان لأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِد يَتَلاعَب بِهِ صِبْيَان المَدِينَة، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٠٨)، ومسلم (٥٤١).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٤٢).

أَنْ لا يَحُول بَيْنه وَبَيْن القِبْلة أَحَد فَليَفعَل»[١]، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد مِنْهُ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لا يَحُول بَيْنه وَبَيْن القِبْلة أَحَد فَليَفعَل»، عَنْ أَحْمَد بْن أَبِي سُرَيْج، عَنْ أَبِي أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن عَمْرو حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد الفَزَارِيّ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيّ حَدَّثَنِي رَبِيعَة ابْن يَزِيد بْن عَبْد الله الدَّيْلمِيّ قَال: دَخَلت عَلى عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما وَهُوَ فِي حَائِط لهُ بِالطَّائِفِ يُقَال لهُ: «الوَهْط»، وَهُوَ مُخَاصِر فَتىً مِنْ قُرَيْش يُزَنُّ بِشُرْب الخَمْر، فَقُلت: بَلغَنِي عَنْك حَدِيث أَنَّهُ مَنْ شَرِبَ شربة مِنَ الخَمْر لمْ يَقْبَل الله عز وجل لهُ تَوْبَة أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَأَنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْن أُمّه، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى بَيْت المَقْدِس لا تَنْهَزهُ إِلَّا الصَّلاة فِيهِ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَته مِثْل يَوْم وَلدَتْهُ أُمّه. فَلمَّا سَمِعَ الفَتَى ذِكْر الخَمْر اجْتَذَبَ يَده مِنْ يَده، ثُمَّ انْطَلقَ، فَقَال عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما: إِنِّي لا أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَقُول عَليَّ مَا لمْ أَقُل، سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَنْ شَرِبَ مِنَ الخَمْر شَرْبَة لا تُقْبَل لهُ صَلاة أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ الله عَليْهِ، فَإِنْ عَادَ لمْ تُقْبَل لهُ صَلاة أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ الله عَليْهِ، قَال: لا أَدْرِي فِي الثَّالثَة أَوْ الرَّابِعَة قَال - فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلى الله تَعَالى أَنْ يَسْقِيه مِنْ طِينَة الخَبَال يَوْم القِيَامَة»[٢]. قَال: وَسَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ الله عز وجل خَلقَ خَلقه فِي ظُلمَة، ثُمَّ أَلقَى عَليْهِمْ مِنْ نُوره، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُوره يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلذَلكَ أَقُول جَفَّ القَلم عَلى عِلم الله عز وجل»، وَسَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ سُليْمَان عَليْهِ السَّلام سَأَل الله تَعَالى ثَلاثًا فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَكُون لنَا الثَّالثَة: سَأَلهُ حُكْمًا يُصَادِف حُكْمه فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلهُ مُلكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْده، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلهُ أَيّمَا رَجُل خَرَجَ مِنْ بَيْته لا يُرِيد إِلاَّ الصَّلاة فِي هَذَا المَسْجِد خَرَجَ مِنْ خَطِيئَته كَيَوْمِ وَلدَتْهُ أُمّه، فَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُون الله عز وجل قَدْ أَعْطَانَا إِيَّاهَا». وَقَدْ رَوَى هَذَا الفَصْل الأَخِير مِنْ هَذَا الحَدِيث النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ طُرُق عَنْ عَبْد الله بْن فَيْرُوز الدَّيْلمِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرو رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ سُليْمَان عَليْهِ الصَّلاة وَالسَّلام لمَّا بَنَى بَيْت المَقْدِس سَأَل رَبّه عز وجل خِلالاً ثَلاثًا ...». وَذَكَرَهُ.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيث رَافِع بْن عُمَيْر رضي الله عنه بِإِسْنَادٍ وَسِيَاق غَرِيبَيْنِ، فَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الحَسَن بْن قُتَيْبَة العَسْقَلانِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَيُّوب بْن سُوَيْد حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن أَبِي عَبْلة عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّة عَنْ رَافِع بْن عُمَيْر قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «قَال الله عز وجل لدَاوُدَ عَليْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: ابْنِ لي بَيْتًا فِي الأَرْض، فَبَنَى دَاوُد بَيْتًا لنَفْسِهِ قَبْل البَيْت الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَأَوْحَى الله إِليْهِ: يَا دَاوُد نَصَبْت بَيْتك قَبْل بَيْتِي، قَال: يَا رَبّ هَكَذَا قَضَيْت مِنْ ملك اسْتَأْثَرَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاء المَسْجِد، فَلمَّا تَمَّ السُّوَر سَقَطَ ثَلاثًا، فَشَكَا ذَلكَ إِلى الله عز وجل فَقَال: يَا دَاوُد إِنَّك لا تَصْلُح أَنْ تَبْنِي لي بَيْتًا، قَال: وَلمَ يَا رَبّ؟ قَال: لمَا جَرَى عَلى يَدَيْك مِنْ الدِّمَاء، قَال: يَا رَبّ أَوَمَا كَانَ ذَلك فِي هَوَاك وَمَحَبَّتك؟ قَال: بَلى، وَلكِنَّهُمْ عِبَادِي وَأَنَا أَرْحَمهُمْ، فَشَقَّ ذَلك عَليْهِ، فَأَوْحَى الله إِليْهِ: لا تَحْزَن فَإِنِّي سَأَقْضِي بِنَاءَهُ عَلى يَدَيْ ابْنك سُليْمَان، فَلمَّا مَاتَ دَاوُد أَخَذَ سُليْمَان فِي بِنَائِهِ، وَلمَّا تَمَّ قَرَّبَ القَرَابِينَ، وَذَبَحَ الذَّبَائِح، وَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيل، فَأَوْحَى الله إِليْهِ، قَدْ أَرَى سُرُورك بِبُنْيَانِ بَيْتِي، فَسَلنِي أُعْطِك، قَال: أَسْأَلك ثَلاث خِصَال: حُكْمًا يُصَادِف حُكْمك، وَمُلكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَمَنْ أَتِيَ هَذَا البَيْت لا يُرِيد إِلاَّ الصَّلاة فِيهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبه كَيَوْمِ وَلدَتْهُ أُمّه». قَال رَسُول الله ﷺ: «أَمَّا الثِّنْتَانِ فَقَدْ أُعْطِيهِمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُون قَدْ أُعْطِيَ الثَّالثَة»[٣].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٨٢) وسنده حسن.
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦).
(٣) موضوع: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٤)، وفيه محمد بن أيوب الرملي وهو متهم بالوضع، وانظر «الموضوعات» (١/ ٢٠٠) و«مجمع الزوائد» (٤/ ٨).

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد حَدَّثَنَا عُمَر بْن رَاشِد اليَمَامِيّ حَدَّثَنَا إِيَاس بْن سَلَمَة بْن الأَكْوَع عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَال: مَا سَمِعْت رَسُول الله ﷺ دَعَا إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ «سُبْحَان الله رَبِّي العَلِيّ الأَعْلَى الوَهَّاب».[1]

وَقَدْ قَال أَبُو عُبَيْد: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن ثَابِت عَنْ جَعْفَر بْن بُرْقَان عَنْ صَالِح بْن مِسْمَار قَال: لَمَّا مَاتَ نَبِيّ الله دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَام أَوْحَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى ابْنه سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: أَنْ سَلْنِي حَاجَتك، قَال: أَسْأَلك أَنْ تَجْعَل لِي قَلْبًا يَخْشَاك كَمَا كَانَ قَلْب أَبِي، وَأَنْ تَجْعَل قَلْبِي يُحِبّك كَمَا كَانَ قَلْب أَبِي، فَقَال الله ﷻ: أَرْسَلت إِلَى عَبْدِي وَسَأَلته حَاجَته فَكَانَتْ حَاجَته أَنْ أَجْعَل قَلْبه يَخْشَانِي وَأَنْ أَجْعَل قَلْبه يُحِبّنِي، لَأَهَبَن لَهُ مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْده.

قَال الله جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ، وَالَّتِي بَعْدهَا، قَال: فَأَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ، وَفِي الآخِرَة لا حِسَاب عَلَيْهِ. هَكَذَا أَوْرَدَهُ أَبُو القَاسِم ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، فِي «تَارِيخه». وَرُوِيَ عَنْ بَعْض السَّلَف أَنَّهُ قَال: بَلَغَنِي عَنْ دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام أَنَّهُ قَال: إِلَهِي كُنْ لِسُلَيْمَان كَمَا كُنْت لِي، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: أَنْ قُل لِسُلَيْمَانَ أَنْ يَكُون لِي كَمَا كُنْت لِي، أَكُنْ لَهُ كَمَا كُنْت لك. وَقَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ قَال الحَسَن البَصْرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا عَقَرَ سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام الخَيْل غَضَبًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَوَّضَهُ الله تَعَالَى مَا هُوَ خَيْر مِنْهَا وَأَسْرَع، الرِّيح الَّتِي غُدُوُّهَا شَهْر وَرَوَاحهَا شَهْر. وَقَوْله جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أَيْ حَيْثُ أَرَادَ مِنَ البِلَاد.

وَقَوْله جَلَّ جَلَاله: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ أَيْ: مِنْهُمْ مَا هُوَ مُسْتَعْمَل فِي الأَبْنِيَة الهَائِلَة مِنْ مَحَارِيب، وَتَمَاثِيل وَجِفَان كَالجَوَابِ، وَقُدُور رَاسِيَات إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِنَ الأَعْمَال الشَّاقَّة الَّتِي لا يَقْدِر عَلَيْهَا البَشَر، وَطَائِفَة غَوَّاصُونَ فِي البِحَار، يَسْتَخْرِجُونَ مَا فِيهَا مِنَ اللَّآلِئ وَالجَوَاهِر وَالأَشْيَاء النَّفِيسَة الَّتِي لا تُوجَد إِلَّا فِيهَا، ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أَيْ: مُوَثَّقُونَ فِي الأَغْلَال وَالأَكْبَال، مِمَّنْ قَدْ تَمَرَّدَ وَعَصَى وَامْتَنَعَ مِنَ العَمَل وَأَبَى، أَوْ قَدْ أَسَاءَ فِي صَنِيعه وَاعْتَدَى. وَقَوْله ﷻ: ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي أَعْطَيْنَاك مِنَ المُلْك التَّامّ وَالسُّلْطَان الكَامِل كَمَا سَأَلتنَا، فَأَعْطِ مَنْ شِئْت، وَاحْرِمْ مَنْ شِئْت، لا حِسَاب عَلَيْك، أَيْ: مَهْمَا فَعَلت فَهُوَ جَائِز لك احْكُمْ بِمَا شِئْت فَهُوَ صَوَاب، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ لَمَّا خُيِّرَ بَيْن أَنْ يَكُون عَبْدًا رَسُولًا -وَهُوَ الَّذِي يَفْعَل مَا يُؤْمَر بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ قَاسِم يَقْسِم بَيْن النَّاس، كَمَا أَمَرَهُ الله تَعَالَى بِهِ- وَبَيْن أَنْ يَكُون نَبِيًّا مَلِكًا، يُعْطِي مَنْ يَشَاء، وَيَمْنَع مَنْ يَشَاء بِلَا حِسَاب وَلَا جُنَاح، اخْتَارَ المَنْزِلَة الأُولَى بَعْدَمَا اسْتَشَارَ جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، فَقَال لَهُ: «تَوَاضَعْ» فَاخْتَارَ المَنْزِلَة الأُولَى، لِأَنَّهَا أَرْفَع قَدْرًا عِنْد الله عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَى مَنْزِلَة فِي المَعَاد وَإِنْ كَانَتْ المَنْزِلَة الثَّانِيَة وَهِيَ النُّبُوَّة مَعَ المُلْك عَظِيمَة أَيْضًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَعْطَى سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي الدُّنْيَا نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ ذُو حَظٍّ عَظِيم عِنْد الله يَوْم القِيَامَة أَيْضًا، فَقَال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

يَذْكُر تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْده وَرَسُوله أَيُّوب عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، وَمَا كَانَ ابْتَلَاهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الضُّرّ فِي جَسَده وَمَاله وَوَلَده، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ جَسَده مَغْرِز إِبْرَة سَلِيمًا سِوَى قَلْبه، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْء يَسْتَعِين بِهِ عَلَى مَرَضه

---

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٤/ ٥٤) بسند ضعيف، فيه عمر بن راشد اليمامي ضعيف.

وَمَا هُوَ فِيهِ غَيْر أَنَّ زَوْجَته حَفِظَتْ وُدَّهُ لِإِيمَانِهَا بِاللهِ تَعَالَى وَرَسُوله، فَكَانَتْ تَخْدُم النَّاس بِالأُجْرَةِ وَتُطْعِمهُ وَتَخْدُمهُ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِي عَشْرَة سَنَة، وَقَدْ كَانَ قَبْل ذَلِكَ فِي مَال جَزِيل وَأَوْلاد وَسَعَة طَائِلة مِنْ الدُّنْيَا، فَسُلب جَمِيع ذَلِكَ حَتَّى آل بِهِ الحَال إِلَى أَنْ أُلقِيَ عَلَى مَزْبَلة مِنْ مَزَابِل البَلْدَة هَذِهِ المُدَّة بِكَمَالِهَا، وَرَفَضَهُ القَرِيب وَالبَعِيد سِوَى زَوْجَته رضي الله عنها، فَإِنَّهَا كَانَتْ لا تُفَارِقُهُ صَبَاحًا وَمَسَاء إِلَّا بِسَبَبِ خِدْمَة النَّاس، ثُمَّ تَعُود إِلَيْهِ قَرِيبًا، فَلَمَّا طَال المَطَال، وَاشْتَدَّ الحَال، وَانْتَهَى القَدْر، وَتَمَّ الأَجَل المُقَدَّر، تَضَرَّعَ إِلَى رَبّ العَالَمِينَ وَإِله المُرْسَلِينَ، فَقَال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٣). وَفِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة قَال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ قِيل: بِنُصْب فِي بَدَنِي وَعَذَاب فِي مَالِي وَوَلَدِي، فَعِنْد ذَلِكَ اسْتَجَابَ لَهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُوم مِنْ مَقَامه، وَأَنْ يَرْكُض الأَرْض بِرِجْله، فَفَعَل، فَأَنْبَعَ اللهُ تَعَالَى عَيْنًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِل مِنْهَا، فَأَذْهَبَتْ جَمِيع مَا كَانَ فِي بَدَنه مِنْ الأَذَى، ثُمَّ أَمَرَهُ فَضَرَبَ الأَرْضَ فِي مَكَان آخَر فَأَنْبَعَ لَهُ عَيْنًا أُخْرَى، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْرَب مِنْهَا، فَأَذْهَبَتْ جَمِيع مَا كَانَ فِي بَاطِنه مِنْ السُّوء، وَتَكَامَلَتْ العَافِيَة ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلِهَذَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ .

قَال ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم جَمِيعًا: حَدَّثَنَا يُونُس بْن عَبْد الأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب أَخْبَرَنِي نَافِع بْن يَزِيد عَنْ عُقَيْل عَنْ ابْن شِهَاب عَنْ أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه قَال: إِنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: «إِنَّ نَبِيّ اللهِ أَيُّوب عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام لَبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَة سَنَة، فَرَفَضَهُ القَرِيب وَالبَعِيد إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانه بِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَال أَحَدهمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَم وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوب ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَد مِنْ العَالَمِينَ، قَال لَهُ صَاحِبه: وَمَا ذَاكَ؟ قَال: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَة سَنَة لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ تَعَالَى فَيَكْشِف مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِر الرَّجُل حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَال أَيُّوب عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام لا أَدْرِي مَا تَقُول غَيْر أَنَّ اللهَ عز وجل يَعْلَم أَنِّي كُنْت أَمُرّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ تَعَالَى فَأَرْجِع إِلَى بَيْتِي، فَأُكَفِّر عَنْهُمَا كَرَاهِيَة أَنْ يُذْكَر اللهُ تَعَالَى إِلَّا فِي حَقّ. وَقَال: وَكَانَ يَخْرُج إِلَى حَاجَته فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتْ امْرَأَته بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغ، فَلَمَّا كَانَ ذَات يَوْم أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَيُّوب عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام أَنْ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ، فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَالتَفَتَتْ تَنْظُر، فَأَقْبَل عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنْ البَلاء، وَهُوَ عَلَى أَحْسَن مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيك، هَل رَأَيْت نَبِيّ اللهِ هَذَا المُبْتَلَى؟ فَوَاللهِ القَدِير عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْت رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْك إِذْ كَانَ صَحِيحًا، قَال: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، قَال: وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَر لِلقَمْحِ وَأَنْدَر لِلشَّعِير، فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَر القَمْح أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَب حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتْ الأُخْرَى فِي أَنْدَر الشَّعِير حَتَّى فَاضَ. هَذَا لَفْظ ابْن جَرِير رحمه الله.[1]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق حَدَّثَنَا مَعْمَر عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه قَال: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول اللهِ ﷺ : **«بَيْنَمَا أَيُّوب يَغْتَسِل عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ جَرَاد مِنْ ذَهَب، فَجَعَل أَيُّوب عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام يَحْثُو فِي ثَوْبه، فَنَادَاهُ رَبّه عز وجل: يَا أَيُّوب، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُك عَمَّا تَرَى؟ قَال عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: بَلَى يَا رَبّ، وَلَكِنْ لا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِك»**[2]. انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق بِهِ. وَلِهَذَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ، قَال الحَسَن وَقَتَادَة: أَحْيَاهُمْ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِأَعْيَانِهِمْ وَزَادَهُمْ مِثْلهمْ مَعَهُمْ. وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أَيْ: بِهِ عَلَى صَبْره وَثَبَاته وَإِنَابَته وَتَوَاضُعه وَاسْتِكَانَته، ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أَيْ لِذَوِي العُقُول، لِيَعْلَمُوا أَنَّ عَاقِبَة الصَّبْر الفَرَج وَالمَخْرَج وَالرَّاحَة .

---

(١) **صحيح** : أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٧).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٧٨).

وقَوْله جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ أَيُّوب عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، كَانَ قَدْ غَضِبَ عَلى زَوْجَته، وَوَجَدَ عَلَيْهَا فِي أَمْر فَعَلَتْهُ. قِيل: بَاعَتْ ضَفِيرَتهَا بِخُبْزٍ فَأَطْعَمَتْهُ إِيَّاهُ، فَلامَهَا عَلى ذَلِكَ، وَحَلفَ إِنْ شَفَاهُ الله تَعَالى لَيَضْرِبَنهَا مِائَة جَلدَة، وَقِيل: لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الأَسْبَاب، فَلَمَّا شَفَاهُ الله ﷻ وَعَافَاهُ مَا كَانَ جَزَاؤُهَا مَعَ هَذِهِ الخِدْمَة التَّامَّة وَالرَّحْمَة وَالشَّفَقَة وَالإِحْسَان أَنْ تُقَابَل بِالضَّرْبِ، فَأَفْتَاهُ الله ﷻ أَنْ يَأْخُذ ضِغْثًا وَهُوَ الشِّمْرَاخ فِيهِ مِائَة قَضِيب، فَيَضْرِبهَا بِهِ ضَرْبَة وَاحِدَة، وَقَدْ بَرَّتْ يَمِينه وَخَرَجَ مِنْ حِنْثه وَوَفَّى بِنَذْرِهِ، وَهَذَا مِنْ الفَرَج وَالمَخْرَج لِمَنْ اتَّقَى الله تَعَالى وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا قَال جَلَّ وَعَلا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أَثْنَى الله تَعَالى عَلَيْهِ وَمَدَحهُ بِأَنَّهُ ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أَيْ رَجَّاع مُنِيب؛ وَلِهَذَا قَال جَلَّ جَلاله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٢-٣) وَاسْتَدَلَّ كَثِير مِنْ الفُقَهَاء بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة عَلى مَسَائِل فِي الأَيْمَان وَغَيْرهَا، وَقَدْ أَخَذُوهَا بِمُقْتَضَاهَا، وَالله أَعْلم بِالصَّوَابِ.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝ هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾.

يَقُول تَبَارَكَ وَتَعَالى مُخْبِرًا عَنْ فَضَائِل عِبَاده المُرْسَلينَ وَأَنْبِيَائِهِ العَابِدِينَ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ العَمَل الصَّالح، وَالعِلم النَّافِع، وَالقُوَّة فِي العِبَادَة، وَالبَصِيرَة النَّافِذَة، قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ يَقُول: أُولي القُوَّة، ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ يَقُول: الفِقْه فِي الدِّين. وَقَال مُجَاهِد: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ يَعْنِي: القُوَّة فِي طَاعَة الله تَعَالى: ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾، يَعْنِي البَصَر فِي الحَقّ. وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ: أُعْطُوا قُوَّة فِي العِبَادَة وَبَصَرًا فِي الدِّين. وَقَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ قَال مُجَاهِد: أَيْ جَعَلنَاهُمْ يَعْمَلُونَ لِلآخِرَةِ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرهَا. وَكَذَا قَال السُّدِّيّ: ذِكْرُهُمْ لِلآخِرَةِ وَعَمَلُهُمْ لَهَا. وَقَال مَالك بْن دِينَار: نَزَعَ الله تَعَالى مِنْ قُلُوبهمْ حُبَّ الدُّنْيَا وَذِكْرَهَا، وَأَخْلَصَهُمْ بِحُبِّ الآخِرَة وَذِكْرِهَا، وَكَذَا قَال عَطَاء الخُرَاسَانِيّ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: يَعْنِي بِالدَّارِ الجَنَّة، يَقُول: أَخْلَصْنَاهَا لَهُمْ بِذِكْرِهِمْ لَهَا، وَقَال فِي رِوَايَة أُخْرَى: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: عُقْبَى الدَّار. وَقَال قَتَادَة: كَانُوا يُذَكِّرُونَ النَّاس الدَّارَ الآخِرَةَ، وَالعَمَل لَهَا. وَقَال ابْن زَيْد: جَعَل لَهُمْ خَاصَّة أَفْضَل شَيْء فِي الدَّار الآخِرَة. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ أَيْ: لَمِنَ المُخْتَارِينَ المُجْتَبَيْنَ الأَخْيَار، فَهُمْ أَخْيَار مُخْتَارُونَ. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلى قَصَصهمْ وَأَخْبَارهمْ مُسْتَقْصَاة فِي سُورَة «الأَنْبِيَاء» -عليهم الصلاة والسلام- بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا. وَقَوْله ﷻ: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾ أَيْ: هَذَا فَصْل فِيهِ ذِكْر لِمَنْ يَتَذَكَّر. وَقَال السُّدِّيّ: يَعْنِي القُرْآن العَظِيم.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ عِبَاده المُؤْمِنِينَ السُّعَدَاء أَنَّ لَهُمْ فِي الدَّار الآخِرَة ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وَهُوَ المَرْجِع وَالمُنْقَلب. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ أَيْ: جَنَّات إِقَامَة ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾. وَالأَلف وَاللَّام هَهُنَا بِمَعْنَى الإِضَافَة، كَأَنَّهُ يَقُول: مُفَتَّحَة لَهُمْ أَبْوَابهَا، أَيْ: إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابهَا. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن ثَوَّاب الهَبَّارِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن نُمَيْر حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُسْلم -يَعْنِي ابْن هُرْمُز- عَنْ ابْن سَابِط عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنَّ فِي الجَنَّة قَصْرًا يُقَال لهُ عَدْن، حَوْله البُرُوج وَالمُرُوج، لهُ خَمْسَة**

آلاف بَاب عِنْد كُلّ بَاب، خَمْسَة آلاف حبرَة، لا يَدْخُلهُ -أَوْ لا يَسْكُنهُ- إلاّ نَبِيّ أَوْ صِدّيق أَوْ شَهِيد أَوْ إِمَام عَدْل»[1].
وَقَدْ وَرَدَ فِي ذِكْر أَبْوَاب الجَنَّة الثَّمَانِيَة أَحَادِيث كَثِيرَة مِنْ وُجُوه عَدِيدَة.

وقَوْله ﷻ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ قِيل: مُتَرَبِّعِينَ فيها على سُرُر، تَحْت الحِجَال ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَأُحْضِرَ كَمَا أَرَادُوا، ﴿وَشَرَابٍ﴾ أَيْ: مِنْ أَيِّ أَنْوَاعه شَاءُوا أَتَتْهُمْ بِهِ الخُدَّام، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (الواقعة:١٨). ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أَيْ: عَنْ غَيْر أَزْوَاجهنَّ فَلا يَلتَفِتْنَ إِلى غَيْر بُعُولتهنَّ، ﴿أَتْرَابٌ﴾ أَيْ: مُتَسَاوِيَات فِي السِّنِّ وَالعُمْر. هَذَا مَعْنَى قَوْل ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَمُحَمَّد ابْن كَعْب وَالسُّدِّيّ. ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ صِفَة الجَنَّة هِيَ الَّتِي وَعَدَهَا لِعِبَادِهِ المُتَّقِينَ، الَّتِي يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْد نُشُورِهِمْ وَقِيَامهمْ مِنْ قُبُورهمْ وَسَلامَتهمْ مِنْ النَّار. ثُمَّ أَخْبَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ الجَنَّة أَنَّهُ لا فَرَاغ لَهَا وَلا زَوَال وَلا انْقِضَاء وَلا انْتِهَاء، فَقَال تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل:٩٦)، وَكَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:١٠٨)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (فصلت:٨)، أَيْ غَيْر مَقْطُوع، وَكَقَوْلِهِ: عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ (الرعد:٣٥)، وَالآيَات فِي هَذَا كَثِيرَة جِدًّا.

﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

لَمَّا ذَكَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَآل السُّعَدَاء ثَنَّى بِذِكْرِ حَال الأَشْقِيَاء وَمَرْجِعهمْ، وَمَآبهمْ فِي دَار مَعَادهمْ وَحِسَابهمْ، فَقَال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ﴾ وَهُمْ الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَة الله ﷻ المُخَالِفُونَ لِرُسُل الله -صلوات الله عليهم وسلامه-: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ أَيْ لِسُوء مُنْقَلَب وَمَرْجِع. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أَيْ: يَدْخُلُونَهَا فَتَغْمُرهُمْ مِنْ جَمِيع جَوَانِبهمْ، ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أَمَّا الحَمِيم فَهُوَ: الحَارّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ، وَأَمَّا الغَسَّاق فَهُوَ: ضِدّه، وَهُوَ البَارِد الَّذِي لا يُسْتَطَاع مِنْ شِدَّة بَرْدِهِ المُؤْلِم، وَلِهَذَا قَال ﷻ: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أَيْ: وَأَشْيَاء مِنْ هَذَا القَبِيل، الشَّيْء وَضِدّه، يُعَاقَبُونَ بِهَا. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة حَدَّثَنَا دَرَّاج عَنْ أَبِي الهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: **«لَوْ أَنَّ دَلوًا مِنْ غَسَّاق يُهْرَاق فِي الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أَهْل الدُّنْيَا»**[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ سُوَيْد بْن نَصْر عَنْ ابْن المُبَارَك عَنْ رِشْدِين بْن سَعْد عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث عَنْ دَرَّاج بِهِ، ثُمَّ قَال: لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث رِشْدِين، كَذَا قَال. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ غَيْر حَدِيثه، وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ يُونُس بْن عَبْد الأَعْلى عَنْ ابْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث بِهِ.

وَقَال كَعْب الأَحْبَار: غَسَّاق عَيْن فِي جَهَنَّم يَسِيل إِلَيْهَا حُمَة كُلّ ذَات حُمَة مِنْ حَيَّة وَعَقْرَب وَغَيْر ذَلِكَ، فَيَسْتَنْقِع، فَيُؤْتَى بِالآدَمِيّ فَيُغْمَس فِيهَا غَمْسَة وَاحِدَة، فَيَخْرُج وَقَدْ سَقَطَ جِلده وَلَحْمه عَنْ العِظَام، وَيَتَعَلَّق جِلدُهُ وَلَحْمه

---

(١) **ضعيف** : في إسناده عبد الله بن هرمز ضعيف.
(٢) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٣/ ٢٨)، والترمذي (٢٥٨٤) بسند ضعيف. رواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة.

فِي كَعْبَيْهِ وَعَقِبَيْهِ، وَيَجُرّ لحمه كُلّه كَمَا يَجُرّ الرَّجُل ثَوْبه، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ : أَلْوَان مِنْ العَذَاب. وَقَال غَيْره: كَالزَّمْهَرِيرِ وَالسَّمُوم، وَشُرْب الحَمِيم، وَأَكْل الزَّقُّوم، وَالصُّعُود والهَوِيِّ، إِلى غَيْر ذَلكَ مِنْ الأَشْيَاء المُخْتَلفَة والمُتَضَادَّة، وَالجَمِيع مِمَّا يُعَذَّبُونَ بِهِ، وَيُهَانُونَ بسببه.

وَقَوْله ﷻ: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ ، هَذَا إِخْبَار مِنْ الله تَعَالَى عَنْ قِيل أَهْل النَّار بَعْضهمْ لبَعْضٍ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف:٣٨)، يَعْنِي: بَدَل السَّلام يَتَلاعَنُونَ وَيَتَكَاذَبُونَ، وَيَكْفُر بَعْضهمْ بِبَعْضٍ، فَتَقُول الطَّائِفَة الَّتِي تَدْخُلُ قَبْل الأُخْرَى إِذَا أَقْبَلتْ الَّتِي بَعْدهَا مَعَ الخَزَنَة مِنْ الزَّبَانِيَة: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾ أَيْ: دَاخِل ﴿مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: لأَنَّهُمْ مِنْ أَهْل جهَنَّم، ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ أَيْ: فَيَقُول لهُمْ الدَّاخِلُونَ: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أَيْ: أَنْتُمْ دَعَوْتُمُونَا إِلى مَا أَفْضَى بِنَا إِلى هَذَا المَصِير ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أَيْ فَبِئْسَ المَنْزِل وَالمُسْتَقَرّ وَالمَصِير. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾، كَمَا قَال ﷻ: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٨) أَيْ لكُلٍّ مِنْكُمْ عَذَاب بِحَسَبِهِ، ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هَذَا إِخْبَار عَنْ الكُفَّار فِي النَّار أَنَّهُمْ يَفْتَقِدُونَ رِجَالًا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلى الضَّلالة -وَهُمْ المُؤْمِنُونَ- فِي زَعْمِهِمْ، قَالُوا: مَا لنَا لا نَرَاهُمْ مَعَنَا فِي النَّار؟

قَال مُجَاهِد: هَذَا قَوْل أَبِي جَهْل يَقُول: مَا لِي لا أَرَى بِلالًا وَعَمَّارًا وَصُهَيْبًا، وَفُلانًا وَفُلانًا؟ وَهَذَا ضَرْب مَثَل، وَإِلَّا فَكُلّ الكُفَّار هَذَا حَالهمْ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ النَّار، فَلمَّا دَخَل الكُفَّار النَّار، افْتَقَدُوهُمْ فَلمْ يَجِدُوهُمْ، فَقَالُوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أَيْ: فِي الدَّار الدُّنْيَا، ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يُسَلُّونَ أَنْفُسهمْ بِالمُحَال يَقُولُونَ: أَوْ لعَلَّهُمْ مَعَنَا فِي جَهَنَّم، وَلكِنْ لمْ يَقَع بَصَرُنَا عَليْهِمْ. فَعِنْد ذَلكَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ فِي الدَّرَجَات العَاليَات، وَهُوَ قَوْله: عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف:٤٤)، إِلى قَوْله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٤٩). وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاك بِهِ يَا مُحَمَّد مِنْ تَخَاصُم أَهْل النَّار بَعْضهمْ فِي بَعْض، وَلعْن بَعْضهمْ لبَعْضٍ؛ لحَقٌّ لا مِرْيَةَ فِيهِ وَلاشَكّ.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله: إنما أنا منذر، لست كما تزعمون، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ أي: هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه، ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أَيْ: هُوَ مَالك جَمِيع ذَلكَ وَمُتَصَرِّف فِيهِ، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ أَيْ: غَفَّار مَعَ عَظَمَته وَعِزَّتِهِ.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ أَيْ: خَبَر عَظِيم وَشَأْن بَليغ، وَهُوَ إِرْسَال الله تَعَالى إِيَّايَ إِليْكُمْ، ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أَيْ غَافِلُونَ، قَال مُجَاهِد وَشُرَيْح القَاضِي وَالسُّدِّيّ فِي قَوْله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ يعني: القرآن. وقوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أَيْ: لَوْلا الوَحْي مِنْ أَيْنَ كُنْت أَدْرِي بِاخْتِلافِ المَلإِ الأَعْلى؟ يَعْنِي فِي شَأْن آدَم عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، وَامْتِنَاع إِبْلِيس مِنْ السُّجُود لهُ وَمُحَاجَّته رَبّه فِي تَفْضِيله عَلَيْهِ.

فَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد -مَوْلى بَنِي هَاشِم- حَدَّثَنَا جَهْضَم اليَمَامِيّ عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير عَنْ زَيْد بْن أَبِي سَلَّام عَنْ أَبِي سَلَّام عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَائِش عَنْ مَالك بْن يُخَامِر عَنْ مُعَاذ ﷺ قَال: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ ذَات غَدَاة مِنْ صَلاة الصُّبْح حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْن الشَّمْس، فَخَرَجَ ﷺ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلاةِ فَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلاته، فَلَمَّا سَلَّمَ قَال ﷺ: «**كَمَا أَنْتُمْ**». ثُمَّ أَقْبَل إِلَيْنَا فَقَال: «**إِنِّي قُمْت مِنْ اللَّيْل فَصَلَّيْت مَا قُدِّرَ لي فَنَعَسْت فِي صَلاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْت فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي ﷻ فِي أَحْسَن صُورَة فَقَال: يَا مُحَمَّد أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأ الأَعْلى؟ قُلت: لا أَدْرِي يَا رَبِّ، -أَعَادَهَا ثَلاثًا- فَرَأَيْته وَضَعَ كَفّه بَيْن كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْت بَرْدَ أَنَامِله بَيْن صَدْرِي، فَتَجَلَّى لي كُلّ شَيْء وَعَرَفْت، فَقَال: يَا مُحَمَّد فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأ الأَعْلى؟ قُلت: فِي الكَفَّارَات. قَال: وَمَا الكَفَّارَات؟ قُلت: نَقْلُ الأَقْدَام إِلى الجَمَاعَات، وَالجُلُوسُ فِي المَسَاجِد بَعْد الصَّلَوَات، وَإِسْبَاغ الوُضُوء عِنْد الكَرِيهَات قَال: وَمَا الدَّرَجَات؟ قُلت: إِطْعَام الطَّعَام، وَلِين الكَلام، وَالصَّلاة وَالنَّاس نِيَام، قَال: سَل، قُلت: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك فِعْل الخَيْرَات، وَتَرْكَ المُنْكَرَات، وَحُبَّ المَسَاكِين، وَأَنْ تَغْفِر لي وَتَرْحَمنِي، وَإِذَا أَرَدْت فِتْنَة بِقَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْر مَفْتُون، وَأَسْأَلك حُبَّك، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّك، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلى حُبِّك**». وَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّهَا حَقّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا**»[1] فَهُوَ حَدِيث المَنَام المَشْهُور، وَمَنْ جَعَلهُ يَقظَة فَقَدْ غَلطَ، وَهُوَ فِي السُّنَن مِنْ طُرُق، وَهَذَا الحَدِيث بِعَيْنِهِ قَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث جَهْضَم بْن عَبْد الله اليَمَامِيّ بِهِ، وَقَال: حَسَن صَحِيح، وَليْسَ هَذَا الاخْتِصَام هُوَ الاخْتِصَام المَذْكُور فِي القُرْآن، فَإِنَّ هَذَا قَدْ فُسِّرَ، وَأَمَّا الاخْتِصَام الَّذِي فِي القُرْآن فَقَدْ فُسِّرَ بَعْد هَذَا وَهُوَ قَوْله تَعَالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

هَذِهِ القِصَّة ذَكَرَهَا الله تَبَارَكَ وَتَعَالى، فِي سُورَة البَقَرَة، وَفِي أَوَّل سُورَة الأَعْرَاف، وَفِي سُورَة الحِجْر، وَسُبْحَان، وَالكَهْف، وههنا. وَهِيَ أَنَّ الله سُبْحَانه وَتَعَالى، أَعْلمَ المَلائِكَة قَبْل خَلق آدَم عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ صَلصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون وَتَقَدَّمَ إِليْهِمْ بِالأَمْرِ: مَتَى فَرَغَ مِنْ خَلقه وَتَسْوِيَته فَليَسْجُدُوا لهُ إِكْرَامًا وَإِعْظَامًا وَاحْتِرَامًا وَامْتِثَالًا لأَمْرِ الله ﷻ، فَامْتَثَل المَلائِكَة كُلّهمْ ذَلكَ سِوَى إِبْليس، وَلمْ يَكُنْ مِنْهُمْ جِنْسًا كَانَ مِنْ

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥)، وانظر تخريج هذا الحديث في «رسالة اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» بتحقيقنا ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب».

الجِنّ، فَخَانَهُ طَبْعه وَجِبِلَّته أَحْوَج مَا كَانَ إِلَيْهِ، فَاسْتَنْكَفَ عَنْ السُّجُود لآدَم، وَخَاصَمَ رَبّه ﷻ فِيهِ، وَادَّعَى أَنَّهُ خَيْر مِنْ آدَم فَإِنَّهُ مَخْلُوق مِنْ نَار وَآدَم خُلِقَ مِنْ طِين، وَالنَّار خَيْر مِنْ الطِّين فِي زَعْمه، وَقَدْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ وَخَالَفَ أَمْر الله تَعَالَى وَكَفَرَ بِذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ الله ﷻ وَأَرْغَمَ أَنْفه، وَطَرَدَهُ عَنْ بَاب رَحْمَته وَمَحَلّ أُنْسه، وَحَضْرَة قُدْسه، وَسَمَّاهُ إِبْلِيس إِعْلامًا لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أُبْلِسَ مِنْ الرَّحْمَة، وَأَنْزَلَهُ مِنْ السَّمَاء مَذْمُومًا مَدْحُورًا إِلَى الأَرْض، فَسَأَلَ الله النَّظِرَة إِلَى يَوْم البَعْث، فَأَنْظَرَهُ الحَلِيم الَّذِي لا يَعْجَل عَلَى مَنْ عَصَاهُ. فَلَمَّا أَمِنَ الهَلاك إِلَى يوم القِيَامَة تَمَرَّدَ وَطَغَى، وَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:٦٢)، وَهَؤُلاءِ هُمْ المُسْتَثْنَوْنَ فِي الآيَة الأُخْرَى، وَهِيَ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (الإسراء:٦٥). وَقَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَة مِنْهُمْ مُجَاهِد بِرَفْعِ الحَقّ الأَوَّل، وَفَسَّرَهُ مُجَاهِد بِأَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَا الحَقُّ وَالحَقَّ أَقُول.

وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: الحَقّ مِنِّي وَأَقُول الحَقّ. وَقَرَأَ آخَرُونَ بِنَصْبِهِمَا. قَال السُّدِّيّ: هُوَ قَسَمٌ أَقْسَمَ الله بِهِ.

قُلت: وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة:١٣)، وَكَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ (الإسراء:٦٣).

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾.

يَقُول تَعَالَى: قُل يَا مُحَمَّد لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ: مَا أسألكم عَلَى هَذَا البَلاغ وَهَذَا النُّصْح أَجْرًا تُعْطُونِيهِ مِنْ عَرَض الحَيَاة الدُّنْيَا، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أَيْ: وَمَا أُرِيد عَلَى مَا أَرْسَلَنِي الله تَعَالَى بِهِ، وَلا أَبْتَغِي زِيَادَة عَلَيْهِ، بَل مَا أُمِرْت بِهِ أَدَّيْته، لا أَزِيد عَلَيْهِ وَلا أَنْقُص مِنْهُ، وَإِنَّمَا أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْه الله ﷻ وَالدَّار الآخِرَة، قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَنْ الأَعْمَش وَمَنْصُور عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوق قَال: أَتَيْنَا عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه قَال: يَا أَيّهَا النَّاس مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُل بِهِ، وَمَنْ لمْ يَعْلم فَلْيَقُل: الله أَعْلم، فَإِنَّ مِنْ العِلم أَنْ يَقُول الرَّجُل لِمَا لا يَعْلَم: الله أَعْلَم. فَإِنَّ الله ﷻ قَال لِنَبِيِّكُمْ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.[1] أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث الأَعْمَش بِهِ.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يَعْنِي: القُرْآن ذِكْر لِجَمِيعِ المُكَلَّفِينَ مِنْ الإِنْس وَالجِنّ، قَالَهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما. وَرَوَى ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي غَسَّان مَالِك بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا قَيْس بْن عَطَاء عن السَّائِب عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قَال: الجِنّ وَالإِنْس، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام:١٩)، وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ (هود:١٧).

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أَيْ: خَبَرَهُ وَصِدْقَهُ ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ أَيْ: عَنْ قَرِيب. قَال قَتَادَة: بَعْد المَوْت. وَقَال عِكْرِمَة: يَعْنِي يَوْم القِيَامَة. وَلا مُنَافَاة بَيْن القَوْلَيْنِ؛ فَإِنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَل فِي حُكْم القِيَامَة. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ قَال الحَسَن: يَا بن آدَم عِنْد المَوْت يَأْتِيك الخَبَر اليَقِين.

آخِر تَفْسِير سُورَة ص، وَلله الحَمْد والمِنَّة، والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨).

تفسير سُورَةُ الزُّمَر وهي مكية

ترتيبها ٣٩ — وآياتها ٧٥

قَال النَّسَائِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن النَّضر بْن مُسَاوِر، حَدَّثَنَا حَمَّاد عَنْ مَرْوَان أَبِي لُبَابَة عَنْ عَائِشَة ﵂ قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُول: مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ. وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُول: مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ. وَكَانَ ﷺ يَقْرَأ فِي كُلّ لَيْلَة بَنِي إِسْرَائِيل وَالزُّمَر.[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى أَنَّ تَنْزِيل هَذَا الكِتَاب -وَهُوَ القُرْآن العَظِيم- مِنْ عِنْده تَبَارَكَ وَتَعَالى، فَهُوَ الحَقّ الَّذِي لا مِرْيَة فِيهِ وَلا شَكَّ، كَمَا قَال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥). وَقَال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤١-٤٢).

وَقَال هَهُنَا: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ أَيْ: المَنِيع الجَنَاب ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ أَيْ: فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله وَشَرْعه وَقَدَره. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أَيْ: فَاعْبُدْ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَادْعُ الخَلق إِلى ذَلِكَ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُ لا تَصْلُح العِبَادَة إِلَّا لهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لهُ شَرِيك وَلا عَدِيل وَلا نَدِيد، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ أَيْ: لا يَقْبَل مِنْ العَمَل إِلَّا مَا أَخْلَصَ فِيهِ العَامِل لله وَحْده لا شَرِيك لهُ. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ شَهَادَة أَنْ لا إِله إِلَّا الله، ثُمَّ أَخْبَرَ ﷻ عَنْ عُبَّاد الأَصْنَام مِنْ المُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَحْمِلهُمْ عَلى عِبَادَتهمْ لهُمْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلى أَصْنَام اتَّخَذُوهَا عَلى صُوَر المَلائِكَة المُقَرَّبِينَ فِي زَعْمِهِمْ؛ فَعَبَدُوا تِلكَ الصُّوَر تَنْزِيلًا لذَلكَ مَنْزِلة عِبَادَتهمْ المَلائِكَة لِيَشْفَعُوا لهُمْ عِنْد الله فِي نَصْرهمْ، وَرِزْقهمْ وَمَا يَنُوبهُمْ مِنْ أمر الدُّنْيَا، فَأَمَّا المَعَاد فَكَانُوا جَاحِدِينَ لهُ كَافِرِينَ بِهِ.

قَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَمَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم وَابْن زَيْد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أَيْ: لِيَشْفَعُوا لنَا، وَيُقَرِّبُونَا عِنْده مَنْزِلة، وَلهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلبِيَتهمْ إِذَا حَجُّوا فِي جَاهِلِيَّتهمْ: لبَّيْكَ لا شَرِيكَ لك، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لك، تَمْلكُهُ وَمَا مَلكَ. وَهَذِهِ الشُّبْهَة هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا المُشْرِكُونَ فِي قَدِيم الدَّهْر وَحَدِيثِهِ، وَجَاءَتْهُمْ الرُّسُل صَلوَات الله وَسَلامه عَليْهِمْ أَجْمَعِينَ بِرَدِّهَا وَالنَّهْي عَنْهَا، وَالدَّعْوَة إِلى إِفْرَاد العِبَادَة لله وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَأَنَّ هَذَا شَيْء اخْتَرَعَهُ المُشْرِكُونَ مِنْ عِنْد أَنْفُسهمْ، لمْ يَأْذَن الله فِيهِ وَلا رَضِيَ بِهِ، بَل أَبْغَضَهُ وَنَهَى عَنْهُ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل:٣٦)، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥). وَأَخْبَرَ أَنَّ المَلائِكَة الَّتِي فِي السَّمَاوَات مِنْ المُقَرَّبِينَ وَغَيْرهمْ، كُلهمْ عَبِيد

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٢/ ١١٩) (٦/ ١٧٩، ٤٤٤)، وفي «المجتبى» (٤/ ١٩٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ١٨٩)، وابن خزيمة (١١٦٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٣٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٧٠) من طرق عن حماد بن زيد به وسنده صحيح.

خَاضِعُونَ لله، لا يَشْفَعُونَ عِنده إلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنْ ارْتَضَى، وَلَيْسُوا عِنده كَالأُمَرَاءِ عِنْد مُلُوكهمْ، يَشْفَعُونَ عِندهمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فِيمَا أَحَبَّهُ الْمُلُوك وَأَبَوْهُ، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ (النحل:٧٤) تَعَالى الله عَنْ ذَلِكَ.

وَقَوْله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَيْ: سَيَفْصِلُ بَيْن الخلائق يَوْم مَعَادهمْ، وَيَجْزِي كُلّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (سبأ:٤٠-٤١)، وَقَوْله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أَيْ لا يُرْشِد إِلى الهِدَايَة مَنْ قَصْدُهُ الكَذِب، وَالافْتِرَاء عَلى الله وَقَلبه كفَّار يجحد بِآيَاتِهِ وَبَرَاهِينه، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالى أَنَّهُ لا وَلد لهُ كَمَا يَزْعُمهُ جَهَلة المُشْرِكِينَ فِي المَلائِكَة، وَالْمُعَانِدُونَ مِنْ اليَهُود وَالنَّصَارَى فِي العُزَيْر وَعِيسَى، فَقَال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أَيْ: لكَانَ الأَمْر عَلى خِلاف مَا يَزْعُمُونَ، وَهَذَا شَرْط لا يَلزَم وُقُوعه وَلا جَوَازه بَل هُوَ مُحَال، وَإِنَّمَا قُصِدَ تَجْهِيلهمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ وَزَعَمُوهُ، كَمَا قَال ﷻ: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:١٧)، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف:٨١)، كُلّ هَذَا مِنْ بَاب الشَّرْط، وَيَجُوز تَعْلِيق الشَّرْط عَلى المُسْتَحِيل لقصد المُتَكَلِّم. وَقَوْله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أَيْ: تَعَالى وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُون لهُ وَلد، فَإِنَّهُ الوَاحِد الأَحَد الفَرْد الصَّمَد، الَّذِي كُلّ شَيْء عَبْد لدَيْهِ، فَقِير إِلَيْهِ، وَهُوَ الغَنِيّ عَمَّا سِوَاهُ، الَّذِي قَدْ قَهَرَ الأَشْيَاء فَدَانَتْ لهُ، وَذَلَّتْ وَخَضَعَتْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالمونَ والجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ الخَالق لمَا فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض، وَمَا بَيْن ذَلكَ مِنْ الأَشْيَاء، وأنه مَالك المُلك المُتَصرِّف فِيهِ يُقَلِّب لَيْله وَنَهَاره، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أَيْ: سَخَّرَهُمَا يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنِ لا يقرَّان كُلّ مِنْهُمَا يَطْلُب الآخر طَلَبًا حَثِيثًا، كَقَوْلِهِ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ (الأعراف:٥٤) هَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. وَقَوْله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أَيْ: إِلى مُدَّة مَعْلُومَة عِنْد الله ثُمَّ يَنْقَضِي يَوْم القِيَامَة، ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ أَيْ: مَعَ عِزَّته وَعَظَمَته وَكِبْرِيَائِهِ هُوَ غَفَّار لمَنْ عَصَاهُ ثُمَّ تَابَ وَأَنَابَ إِلَيْهِ. وَقَوْله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أَيْ: خَلقَكُمْ مَعَ اخْتِلاف أَجْنَاسكُمْ وَأَصْنَافكُمْ وَأَلسِنَتكُمْ، وَأَلوَانكُمْ مِنْ نَفْس وَاحِدَة، وَهُوَ آدَم عليه السلام: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وَهِيَ حَوَّاء عليها السلام كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء:١). وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أَيْ: وَخَلقَ لكُمْ مِنْ ظُهُور الأَنْعَام ثَمَانِيَة أَزْوَاج، وَهِيَ المَذْكُورَة فِي سُورَة الأَنْعَام، ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام:١٤٣). ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام:١٤٤). وَقَوْله ﷻ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أَيْ: قَدَّرَكُمْ فِي بُطُون أُمَّهَاتكُمْ، ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: يَكُون أَحَدكُمْ أَوَّلًا نُطْفَة، ثُمَّ يَكُون عَلقَة، ثُمَّ يَكُون مُضْغَة، ثُمَّ يُخْلق فَيَكُون لحمًا، وَعَظْمًا وَعَصَبًا وَعُرُوقًا، وَيُنْفَخ فِيهِ الرُّوح فَيَصِير خَلقًا آخر: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٤).

وَقَوْله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يَعْنِي ظُلمَة الرَّحِم، وَظُلمَة المَشِيمَة الَّتِي هِيَ كَالغِشَاوَةِ وَالوِقَايَة عَلى الوَلد،

وَظُلْمَة البَطْن. كَذَا قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَأَبُو مَالك وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد.
وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي خَلقَ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَمَا بَيْنهمَا، وَخَلقَكُمْ وَخَلقَ آبَاءَكُمْ هُوَ الرَّبُّ لهُ المُلك وَالتَّصَرُّف فِي جَمِيع ذَلكَ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: الَّذِي لا تَنْبَغِي العِبَادَة إِلَّا لهُ وَحْده، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أَيْ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْره؟ أَيْنَ يُذْهَب بِعُقُولكُمْ؟!

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسه تَعَالى: بأَنَّهُ الغَنِيّ عَمَّا سِوَاهُ مِنْ المَخْلُوقَات، كَمَا قَال مُوسَى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم:٨). وَفِي صَحِيح مُسْلم: «**يَا عِبَادِي، لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلى أَفْجَرِ قَلبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلكَ مِنْ مُلكِي شَيْئًا**»[1]. وَقَوْله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ أَيْ: لا يُحِبُّهُ وَلا يَأْمُرُ بِهِ، ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أَيْ: يُحِبّهُ منكم وَيَزِدْكُمْ مِنْ فَضْله، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أَيْ: لا تَحْمِل نَفْس عَنْ نَفْس شَيْئًا، بَل كُلٌّ مُطَالبٌ بِأَمْرِ نَفْسه، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أَيْ: فَلا تَخْفَى عَليْهِ خَافِيَة.

وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أَيْ: عِنْد الحَاجَة يَضَرَّع، وَيَسْتَغِيث بِالله وَحْده لا شَرِيك لهُ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ (الإسراء:٦٧)، وَلهَذَا قَال: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أَيْ: فِي حَال الرَّفَاهِيَة يَنْسَى ذَلكَ الدُّعَاء وَالتَّضَرُّع، كَمَا قَال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ (يونس:١٢). وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أَيْ: فِي حَال العَافِيَة، يُشْرِك بِالله وَيَجْعَل لهُ أَنْدَادًا، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: قُل لمَنْ هَذِهِ حاله وَطَرِيقَته، وَمَسْلكه: تَمَتَّعْ بِكُفْرِك قَليلًا، وهذا تَهْدِيد شَدِيد وَوَعِيد أَكِيد، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ (إبراهيم:٣٠). وَقَوْله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (لقمان:٢٤).

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

يَقُول تعالى: أَمَّنْ هَذِهِ صِفَته كَمَنْ أَشْرَكَ بِالله وَجَعَل لهُ أَنْدَادًا ؟ لا يَسْتَوُونَ عِنْد الله، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران:١١٣). وَقَال هَهُنَا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ أَيْ: فِي حَال سُجُوده، وَفِي حَال قِيَامه، وَلهَذَا اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة مَنْ ذَهَبَ إِلى أَنَّ القُنُوت هُوَ الخُشُوع فِي الصَّلاة، ليْسَ هُوَ القِيَام وَحْده، كَمَا ذَهَبَ إِليْهِ آخَرُونَ. قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ فِرَاسٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوق عَنْ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه أَنَّهُ قَال: القَانِت المُطِيع لله عَزَّ وَجَلَّ وَلرَسُوله ﷺ . وَقَال ابْن عَبَّاس وَالحَسَن وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ : جَوْف اللَّيْل. وَقَال الثَّوْرِيّ عَنْ مَنْصُور: بَلغَنَا أَنَّ ذَلكَ بَيْن المَغْرِب

---

(١) **صحيح** : تقدم.

وَالعِشَاء، وَقَال الحَسَن وَقَتَادَة ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ : أَوَّله وَأَوْسَطه وَآخِره. وَقَوْله: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ أَيْ: فِي حَال عِبَادَته خَائِف رَاجٍ، وَلابُدَّ فِي العِبَادَة مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَأَنْ يَكُون الخَوْف فِي مُدَّة الحَيَاة هُوَ الغَالب؛ وَلهَذَا قَال: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ ، فَإِذَا كَانَ عِنْد الاحْتِضَار فَلْيَكُنْ الرَّجَاء هُوَ الغَالب عَلَيْهِ، كَمَا قَال الإِمَام عَبْدُ بْن حُمَيْد فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْد الحَمِيد حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن سُلَيْمَان حَدَّثَنَا ثَابِت عَنْ أَنَس ﷺ قَال: دَخَل رَسُول الله ﷺ عَلى رَجُل وَهُوَ فِي المَوْت فَقَال لهُ: «**كَيْفَ تَجِدك؟**». فَقَال: أَرْجُو وَأَخَاف، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلب عَبْد فِي مِثْل هَذَا المَوْطِن إِلَّا أَعْطَاهُ الله ﷻ الَّذِي يَرْجُو وَأَمَّنَهُ الَّذِي يَخَافُهُ**»[1]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي اليَوْم وَاللَّيْلة، وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث سَيَّار بْن حَاتِم عَنْ جَعْفَر بْن سُلَيْمَان بِهِ. وقَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب. وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضهمْ عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس عَنْ النَّبِيّ ﷺ مُرْسَلًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عُمَر بْن شَبَّة عَنْ عُبَيْدَة النُّمَيْرِيّ حَدَّثَنَا أَبُو خَلف عَبْد الله بْن عِيسَى الخزاز حَدَّثَنَا يَحْيَى البَكَّاء أَنَّهُ سَمِعَ ابْن عُمَر رضي الله عنهما قرأ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ قَال ابْن عُمَر: ذَاكَ عُثْمَان بْن عَفَّان رضي الله عنه، وَإِنَّمَا قَال ابْن عُمَر رضي الله عنهما ذَلك لكَثْرَةِ صَلاة أَمِير المُؤْمِنِينَ عُثْمَان رضي الله عنه بِاللَّيْل وَقِرَاءَته، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا قَرَأَ القُرْآن فِي رَكْعَة، كَمَا رَوَى ذَلكَ أَبُو عُبَيْدَة عَنْهُ رضي الله عنه، وَقَال الشَّاعِر:

ضَحَّوْا بِأَشْمَط عِنْوَان السُّجُود بِهِ ۞ يَقْطَع اللَّيْل تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: كَتَبَ إِلَيَّ الرَّبِيع بْن نَافِع حَدَّثَنَا الهَيْثَم بْن حُمَيْد عَنْ زَيْد بْن وَاقِد عَنْ سُلَيْمَان بْن مُوسَى عَنْ كَثِير بْن مُرَّة عَنْ تَمِيم الدَّارِيّ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَة فِي لَيْلة كُتِبَ لهُ قُنُوت لَيْلة**»[2]. وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي اليَوْم وَاللَّيْلة عَنْ إِبْرَاهِيم بْن يَعْقُوب عَنْ عَبْد الله بْن يُوسُف وَالرَّبِيع بْن نَافِع كِلاهُمَا عَنْ الهَيْثَم بْن حُمَيْد بِهِ. وَقَوْله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أَيْ: هَل يَسْتَوِي هَذَا وَالَّذِي قَبْله مِمَّنْ جَعَل لله أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيله ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَعْلم الفَرْق بَيْن هَذَا وَهَذَا مَنْ لهُ لُبٌّ، وَهُوَ العَقْل.

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا عِبَاده المُؤْمِنِينَ بِالاسْتِمْرَارِ عَلى طَاعَته وَتَقْوَاهُ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾ أَيْ: لِمَنْ أَحْسَنَ العَمَل فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَة فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ. وَقَوْله: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ قَال مُجَاهِد: فَهَاجِرُوا فِيهَا وَجَاهِدُوا، وَاعْتَزِلُوا الأَوْثَان. وَقَال شَرِيك، عَنْ مَنْصُور، عَنْ عَطَاء فِي قَوْله: ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ قَال: إِذَا دُعِيتُمْ إِلى المَعْصِيَة فَاهْرُبُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ (النساء:٩٧).

وَقَوْله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ ، قَال الأَوْزَاعِيّ: لَيْسَ يُوزَن لهُمْ وَلا يُكَال، إِنَّمَا يُغْرَف لهُمْ غَرْفًا. وَقَال ابْن جُرَيْج: بَلغَنِي أَنَّهُ لا يُحْسَب عَلَيْهِمْ ثَوَاب عَمَلهمْ قَطُّ، وَلكِنْ يُزَادُونَ عَلى ذَلكَ. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ : يَعْنِي فِي الجَنَّة. وقوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا

---

(١) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٩٨٣)، والنسائي في «اليوم والليلة» (١٠٦٢)، وابن ماجه (٤٢٦١).
(٢) **إسناده حسن** : أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٧١٧) بسند حسن.

لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا أُمِرت بِإِخْلاصِ العِبَادَة لله وَحْدَهُ لا شَرِيك لهُ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ، قَال السُّدِّيّ: يَعْنِي مِنْ أُمَّته ﷺ .

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

يَقُول تَعَالَى: قُل يَا مُحَمَّد وَأَنْتَ رَسُول الله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وَهُوَ يَوْم القِيَامَة. وَهَذَا شَرْط وَمَعْنَاهُ التَّعْرِيض بِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ وَهَذَا أَيْضًا تَهْدِيد وَتَبَرّ مِنْهُمْ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا الخَاسِرُونَ كُلّ الخُسْرَان، ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أَيْ: تَفَارَقُوا فَلا التِقَاء لَهُمْ أَبَدًا، سَوَاء ذَهَبَ أَهْلُوهُمْ إِلى الجَنَّة وَقَدْ ذَهَبُوا هُمْ إِلى النَّار، أَوْ أَنَّ الجَمِيع أُسْكِنُوا النَّار، وَلكِنْ لا اجْتِمَاع لَهُمْ وَلا سُرُور، ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ أَيْ: هَذَا هُوَ الخسار البين الظَّاهِر الوَاضِح، ثُمَّ وَصَفَ حَالهمْ فِي النَّار، فَقَال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ كَمَا قَال ﷻ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف:٤١).

وَقَال: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت:٥٥)، وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَقُصّ خَبَرَ هَذَا الكَائِن لا مَحَالة لِيُخَوِّفَ بِهِ عِبَاده لِيَنْزَجِرُوا عَنْ المَحَارِم وَالمَآثِم، وَقَوْله: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ أَيْ: اخْشَوْا بَأْسِي وَسَطْوَتِي، وَعَذَابِي وَنِقْمَتِي.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم، عَنْ أَبِيهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ نَزَلتْ فِي زَيْد بْن عَمْرو ابْن نُفَيْل، وَأَبِي ذَرّ وَسَلمَان الفَارِسِيّ، وَالصَّحِيح أَنَّهَا شَامِلة لَهُمْ وَلغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ اجْتَنَبَ عِبَادَة الأَوْثَان، وَأَنَابَ إِلى عِبَادَة الرَّحْمَن، فَهَؤُلاءِ هُمْ الَّذِينَ لَهُمْ البُشْرَى فِي الحَيَاة الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة، ثُمَّ قَال ﷻ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ أَيْ: يَفْهَمُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالى لِمُوسَى حِين آتَاهُ التَّوْرَاة: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ (الأعراف:١٤٥). ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: المُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَة، هُمْ الَّذِينَ هَدَاهُمْ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: ذَوُو العُقُول الصَّحِيحَة، وَالفِطَر المُسْتَقِيمَة.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

يَقُول تَعَالى: أَفَمَنْ كَتَبَ الله أَنَّهُ شَقِيّ تَقْدِر تُنْقِذهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ الضَّلال وَالهَلاك؟ أَيْ: لا يَهْدِيه أَحَد مِنْ بَعْد الله؛ لأَنَّهُ مَنْ يُضْلل الله فَلا هَادِيَ لهُ، وَمَنْ يَهْدِهِ فَلا مُضِلَّ لهُ. ثُمَّ أَخْبَرَ ﷻ عَنْ عِبَاده السُّعَدَاء أنهم لَهُمْ غرف فِي الجَنَّة، وَهِيَ القُصُور الشَّاهِقَة، ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ أي: طِبَاق فَوْق طِبَاق، مَبْنِيَّات مُحْكَمَات، مُزَخْرَفَات عَاليَات.

قَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبَّاد بْن يَعْقُوب الأَسَدِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْحَاق عَنْ النُّعْمَان بْن سَعْد عَنْ عَليّ ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«إِنَّ فِي الجَنَّة لغُرَفًا يُرَى بُطُونهَا مِنْ ظُهُورهَا، وَظُهُورهَا مِنْ بُطُونهَا»**. فَقَال أَعْرَابِيّ: لمَنْ هِيَ يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ : **«لمَنْ أَطَابَ الكَلام، وَأَطْعَمَ**

الطَّعَام، وَصَلَّى لله بالليْل وَالنَّاس نِيَام»(1). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْحَاق، وَقَال: حَسَن غَرِيب. وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْض أَهْل العِلم فِيهِ مِنْ قِبَل حِفْظِهِ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عَبْد الرَّزَّاق حَدَّثنَا مَعْمَر عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير عَنْ ابْن مُعَانِق أَوْ أَبِي مُعَانِق عَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيّ ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ فِي الجَنَّة لغرفة يُرَى ظَاهِرهَا مِنْ بَاطِنهَا، وَبَاطِنهَا مِنْ ظَاهِرهَا، أَعَدَّهَا الله تَعَالى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَام وَأَلانَ الكَلام وَتَابَعَ الصِّيَام وَصَلَّى وَالنَّاس نِيَام**». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن مُعَانِق الأَشْعَرِيّ عَنْ أَبِي مَالك ﷺ بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا قُتَيْبَة بْن سَعِيد حَدَّثنَا يَعْقُوب بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ سَهْل بْن سَعْد ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ أَهْل الجَنَّة ليَتَرَاءَوْنَ الغُرْفَة فِي الجَنَّة كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَب فِي السَّمَاء**» قَال: فَحَدَّثْت بِذَلِكَ النُّعْمَان بْن أَبِي عَيَّاش فَقَال: سَمِعْت أَبَا سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ يَقُول: «**كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَب الدريَّ فِي الأُفُق الشَّرْقِيّ أَوْ الغَرْبِيّ**»(1). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث أَبِي حَازِم، وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث مَالك عَنْ صَفْوَان بْن سُلَيْم عَنْ عَطَاء بْن يَسَار عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ . وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا فَزَارَة أَخْبَرَنِي فُلَيْح عَنْ هِلال بْن عَلِيّ عَنْ عَطَاء بْن يَسَار عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ أَهْل الجَنَّة ليَتَرَاءَوْنَ فِي الجَنَّة أَهْل الغُرَف كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَب الدُّرِّيّ الغَارِب فِي الأُفُق الطَّالع فِي تَفَاضُل أَهْل الدَّرَجَات** -فَقَالُوا: يَا رَسُول الله أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ؟ فَقَال ﷺ : «**بَلى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَأَقْوَام آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الرُّسُل**». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ سُوَيْد عَنْ ابْن المُبَارَك عَنْ فُلَيْح بِهِ، وَقَال: حَسَن صَحِيح.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا أَبُو النَّضْر وَأَبُو كامل قَالا: حَدَّثنَا زُهَيْر حَدَّثنَا سَعْد الطَّائِيّ حَدَّثنَا أَبُو المدلِّه -مَوْلى أُمِّ المُؤْمِنِينَ ﷺ - أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَة ﷺ يَقُول: قُلنَا: يَا رَسُول الله إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاك رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْل الآخِرَة، فَإِذَا فَارَقْنَاك أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ؛ قَال ﷺ : «**لوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ عَلى كُلِّ حَال عَلى الحَال الَّتِي أَنْتُمْ عَليْهَا عِنْدِي لصَافَحَتْكُمْ المَلائِكَة بِأَكُفِّهِمْ، وَلزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلوْ لمْ تُذْنِبُوا لجَاءَ الله ﷻ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لهُمْ**». قُلنَا: يَا رَسُول الله حَدَّثنَا عَنْ الجَنَّة مَا بِنَاؤُهَا؟ قَال ﷺ : «**لبِنَة ذَهَب وَلبِنَة فِضَّة، وَمِلاطُهَا المِسْك الأَذْفَر وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤ وَاليَاقُوت وَتُرَابهَا الزَّعْفَرَان، مَنْ يَدْخُلهَا يَنْعَم وَلا يَبْأَس وَيَخْلُد وَلا يَمُوت، لا تَبْلى ثِيَابه وَلا يَفْنَى شَبَابه، ثَلاثَة لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَام العَادِل، وَالصَّائِم حَتَّى يُفْطِر، وَدَعْوَة المَظْلُوم تُحْمَل عَلى الغَمَام، وَتُفْتَح لهَا أَبْوَاب السَّمَاوَات، وَيَقُول الرَّبّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّك وَلوْ بَعْد حِين**»(2). وَرَوَى التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ بَعْضه مِنْ حَدِيث سَعْد أَبِي مُجَاهِد الطَّائِيّ -وَكَانَ ثِقَة- عَنْ أَبِي المدلِّه -وَكَانَ ثِقَة بِهِ. وَقَوْله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أَيْ: تَسْلُك الأَنْهَار بَيْن خِلال ذَلِكَ كَمَا يَشَاءُونَ وَأَيْنَ أَرَادُوا. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَعْد وَعَدَهُ الله عِبَاده المُؤْمِنِينَ، ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّ أَصْل المَاء فِي الأَرْض مِنْ السَّمَاء، كَمَا قَال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان:٤٨)،

---

(١) صحيح : تقدم.

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤)، والترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢) بسند ضعيف. لكن للحديث شواهد يصح بها.

فَإِذَا أَنْزَل المَاء مِنْ السَّماء كَمَنَ فِي الأَرْض، ثُمَّ يَصْرِفهُ تَعَالى فِي أَجْزَاء الأَرْض كَمَا يَشَاء، وَيُنْبِعهُ عُيُونًا مَا بَيْن صِغَار وَكِبَار، بِحَسَبِ الحَاجَة إِلَيْهَا، وَلهَذَا قَال: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَة عُتْبَة بْن يَقْظَان عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله تَعَالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ، [قَال: لَيْسَ فِي الأَرْض مَاء إِلَّا نَزَل مِنْ السَّماء، وَلكِنْ عُرُوق فِي الأَرْض تُغَيِّرهُ، فَذَلكَ قَوْله تَعَالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾][1]، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعُود المِلح عَذْبًا فَلْيَصْعَدْهُ. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَامِر وَالشَّعْبِيّ: إِنَّ كُلّ مَاء فِي الأَرْض، فَأَصْله مِنْ السَّماء، وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: أَصْله مِنْ الثَّلج يَعْنِي: أَنَّ الثَّلج، يَتَرَاكَم عَلى الجِبَال، فَيَسْكُن فِي قَرَارهَا فَتَنْبُع العُيُون مِنْ أَسَافِلهَا. وَقَوْله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أَيْ ثُمَّ يُخْرِج بِالمَاءِ النَّازِل مِنْ السَّماء، وَالنَّابع مِنْ الأَرْض، زَرْعًا ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾، أَيْ أَشْكَاله وَطُعُومه وَرَوَائِحه وَمَنَافِعه، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أَيْ: بَعْد نَضَارَته وَشَبَابه يُكْتَهَل ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ قَدْ خَالطَهُ اليُبْس، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ﴾ أَيْ: ثُمَّ يَعُود يَابِسًا يَتَحَطَّم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أَيْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا، فَيَعْتَبِرُونَ إِلى أَنَّ الدُّنْيَا هَكَذَا، تَكُون خَضِرَة نَضْرَة حَسْنَاء، ثُمَّ تَعُود عَجُوزًا شَوْهَاء، وَالشَّابّ يَعُود شَيْخًا هَرِمًا كَبِيرًا ضَعِيفًا، وَبَعْد ذَلكَ كُلّه المَوْت، فَالسَّعِيد مَنْ كَانَ حَاله بَعْده إِلى خَيْر، وَكَثِيرًا مَا يَضْرِب الله تَعَالى مَثَل الحَيَاة الدُّنْيَا بِمَا يُنْزِل الله مِنْ السَّماء مِنْ مَاء، وَيُنْبِت بِهِ زرعًا وَثِمَارًا، ثُمَّ يَكُون بَعْد ذَلكَ حُطَامًا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (الكهف:٤٥). وَقَوْله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أَيْ: هَل يَسْتَوِي هَذَا وَمَنْ هُوَ قَاسِي القَلب بَعِيد من الحَقّ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢)، وَلهَذَا قَال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أَيْ: فَلا تَلين عِنْد ذِكْرِه، وَلا تَخْشَع وَلا تَعِي وَلا تَفْهَم، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

هَذَا مَدْح مِنْ الله عز وجل لكِتَابِهِ القُرْآن العَظِيم المُنَزَّل عَلى رَسُوله الكَرِيم، قَال الله تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي القُرْآن كُلّه مُتَشَابِه مَثَانِي. وَقَال قَتَادَة: الآيَة تُشْبِه الآيَة، وَالحَرْف يُشْبِه الحَرْف. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿مَّثَانِىَ﴾ تَرْدِيد القَوْل لِيَفْهَمُوا عَنْ رَبّهمْ عز وجل. وَقَال عِكْرِمَة وَالحَسَن: ثَنَّى الله فِيهِ القَضَاء. زَادَ الحَسَن: تَكُون السُّورَة فِيهَا آيَة وَفِي السُّورَة الأُخْرَى آيَة تُشْبِههَا، وقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: ﴿مَّثَانِىَ﴾ مُرَدَّد، رُدِّدَ مُوسَى فِي القُرْآن، وَصَالح وَهُود وَالأَنْبِيَاء عليهم السلام فِي أَمْكِنَة كَثِيرَة.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : ﴿مَّثَانِىَ﴾ قَال: القُرْآن يُشْبِه بَعْضه بَعْضًا، وَيُرَدُّ بَعْضه عَلى بَعْض، وَقَال بَعْض العُلَماء -وَيُرْوَى عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة- مَعْنَى قَوْله: ﴿مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ أَنَّ سِيَاقَات القُرْآن تَارَة تَكُون فِي مَعْنًى وَاحِد، فهذا مِنْ المُتَشَابِه، وَتَارَة تَكُون بِذِكْرِ الشَّيْء وَضِدّه كَذِكْرِ المُؤْمِنِينَ ثُمَّ الكَافِرِينَ، وَكَصِفَةِ الجَنَّة ثُمَّ صِفَة النَّار، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا فَهَذَا مِنْ المَثَانِي، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ (الانفطار:١٣، ١٤). وَكَقَوْلِهِ عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ -إِلى أَنْ قَال- ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ (المطففين:٧-١٨). ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ (ص:٤٩) -إِلى أَنْ قَال- ﴿هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ

---

(١) سقط من الأزهرية.

لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ (ص:٥٥). وَنَحو هَذَا مِنَ السِّيَاقَات، فَهَذَا كُلّه مِنَ المَثَانِي، أَيْ: فِي مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ السِّيَاق كُلّه فِي مَعْنًى وَاحِد يُشْبِه بَعْضه بَعْضًا، فَهُوَ المُتَشَابِه، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ المُتَشَابِه المَذْكُور فِي قَوْله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ (آل عمران:٧) ذلك مَعْنًى آخر.

وَقَوْله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: هَذِهِ صِفَةُ الأَبْرَار، عِنْد سَمَاع كَلام الجَبَّار، المُهَيْمِن العَزِيز الغَفَّار، لَمَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ مِنَ الوَعْد وَالوَعِيد، وَالتَّخْوِيف، وَالتَّهْدِيد تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودهمْ مِنَ الخَشْيَة وَالخَوْف، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لَمَا يَرْجُونَ وَيُؤَمِّلُونَ مِنْ رَحْمَته وَلُطْفه، فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الكفار مِنْ وُجُوه:

أَحَدهَا: أَنَّ سَمَاع هَؤُلاءِ هُوَ تِلاوَة الآيَات، وَسَمَاع أُولَئِكَ نَغَمَات الأَبْيَات مِنْ أَصْوَات القَيْنَات.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَات الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا بِأَدَبٍ وَخَشْيَة، وَرَجَاء وَمَحَبَّة، وَفَهْم وَعِلم، كَمَا قَال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:٢-٤). وَقَال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان:٧٣). أَيْ: لَمْ يَكُونُوا عِنْد سَمَاعهَا مُتَشَاغِلِينَ لاهِينَ عَنْهَا، بَل مُصْغِينَ إِلَيْهَا، فَاهِمِينَ بَصِيرِينَ بِمَعَانِيهَا، فَلهَذَا إِنَّمَا يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَسْجُدُونَ عِندهَا عَنْ بَصِيرَة لا عَنْ جَهْل وَمُتَابَعَة لِغَيْرِهِمْ.

الثَّالث: أَنَّهُمْ يَلزَمُونَ الأَدَب عِنْد سَمَاعهَا، كَمَا كَانَ الصَّحَابَة رضي الله عنهم عِنْد سَمَاعهمْ كَلام الله مِنْ تِلاوَة رَسُول الله ﷺ تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ، ثُمَّ تَلين مَعَ قُلُوبهمْ إِلى ذِكْرِ الله. لَمْ يَكُونُوا يَتَصَارَخُونَ، وَلا يَتَكَلَّفُونَ مَا لَيْسَ فِيهِمْ، بَل عِنْدهمْ مِنَ الثَّبَات، وَالسُّكُون وَالأَدَب وَالخَشْيَة مَا لا يَلحَقهُمْ أَحَد فِي ذَلِكَ، وَلهَذَا فَازُوا بالقدح المعلى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. قَال عَبْد الرَّزَّاق: حَدَّثَنَا مَعْمَر قَال: تَلا قَتَادَة رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قَال: هَذَا نَعْت أَوْلِيَاء الله، نَعَتَهُمْ الله عز وجل، بِأَنْ تَقْشَعِرَّ جُلُودهمْ وَتَبْكِي أَعْيُنهمْ، وَتَطْمَئِن قُلُوبهمْ إِلى ذِكْر الله، وَلَمْ يَنْعَتهُمْ بِذَهَاب عُقُولِهِمْ، وَالغِشْيَان عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذَا فِي أَهْل البِدَع، وَهَذَا مِنْ الشَّيْطَان. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: إِلى وَعْد الله، وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ (الأنعام:٨٨)، أَيْ: هَذِهِ صِفَة مَنْ هَدَاهُ الله، وَمَنْ كَانَ عَلى خِلاف ذَلكَ فَهُوَ مِمَّنْ أَضَلَّهُ الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وَيُقَرَّع فَيُقَال لهُ وَلأَمْثَالِهِ مِنَ الظَّالِمِينَ: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ كَمَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ؟! كَمَا قَال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك:٢٢). وَقَال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر:٤٨). وَقَال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (فصلت:٤٠)، وَاكْتَفَى فِي هَذِهِ الآيَة بِأَحَدِ القِسْمَيْنِ عَنْ الآخر، كَقَوْل الشَّاعِر:

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ۞ أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

يَعْنِي: الخَيْر والشَّرّ. وقوله: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يَعْنِي القُرُون المَاضِيَة المُكَذِّبَة للرُّسُل، أَهْلكَهُمْ الله بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ الله مِنْ وَاقٍ. وَقَوْله: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ أَيْ: بِمَا أَنْزَل بِهِمْ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال وَتَشَفِّي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، فَلْيَحْذَرْ الْمُخَاطَبُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا أَشْرَف الرُّسُل، وَخَاتَم الأَنْبِيَاء ﷺ، وَالَّذِي أَعَدَّهُ الله لَهُمْ فِي الآخِرَة مِنْ العَذَاب الشَّدِيد أَعْظَم مِمَّا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أَيْ: بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِيهِ بِضَرْبِ الأَمْثَال، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، فَإِنَّ الْمَثَل يُقَرِّب المَعْنَى إِلى الأَذْهَان، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (الروم:٢٨)، أَيْ: تَعْلَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسكُمْ، وَقَال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣). وَقَوْله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أَيْ: هُوَ قُرْآن بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُبِين لا اعْوِجَاج فِيهِ، وَلا انْحِرَاف، وَلا لبس، بَل هُوَ بَيَان وَوُضُوح وَبُرْهَان، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ الله تَعَالى كَذَلِكَ، وَأَنْزَلَهُ بِذَلِكَ؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أَيْ: يَحْذَرُونَ مَا فِيهِ مِنْ الوَعِيد، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ الوَعْد. ثُمَّ قَال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ أَيْ: يَتَنَازَعُونَ فِي ذَلِكَ العَبْد الْمُشْتَرَك بَيْنهمْ، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أَيْ: خَالصًا لرجل لا يَمْلكُهُ أَحد غَيْره، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أَيْ لا يَسْتَوِي هَذَا وَهَذَا، كَذَلِكَ لا يَسْتَوِي الْمُشْرِك الَّذِي يَعْبُد آلهَة مَعَ الله وَالْمُؤْمِن الْمُخْلص الَّذِي لا يَعْبُد إِلَّا الله وَحده لا شَرِيك لَهُ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟ قَال ابْن عَبَّاس ﵄ وَمُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد: هَذِهِ الآيَة ضُرِبَتْ مَثَلًا لِلْمُشْرِكِ وَالْمُخْلص، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَل ظَاهِرًا بَيِّنًا جَلِيًّا قَال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَيْ: عَلى إِقَامَة الْحُجَّة عَلَيْهِمْ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: فَلِهَذَا يُشْرِكُونَ بِالله.

وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ هَذِهِ الآيَة مِنْ الآيَات الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا الصِّدِّيق ﵁ عِنْد مَوْت الرَّسُول ﷺ، حَتَّى تَحَقَّقَ النَّاس مَوْته مَعَ قَوْله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤).

وَمَعْنَى هَذِهِ الآيَة: سَتُنْقَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّار لا مَحَالَة، وَسَتَجْتَمِعُونَ عِنْد الله فِي الدَّار الآخِرَة، وَتَخْتَصِمُونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ التَّوْحِيد وَالشِّرْك بَيْن يَدَيْ الله ﷻ، فَيَفْصِل بَيْنكُمْ، وَيَفْتَح بِالْحَقِّ وَهُوَ الفَتَّاح العَلِيم، فَيُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُوَحِّدِينَ، وَيُعَذِّب الكَافِرِينَ الجَاحِدِينَ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الآيَة وَإِنْ كَانَ سِيَاقهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالكَافِرِينَ وَذِكْر الْخُصُومَة بَيْنهمْ فِي الدَّار الآخِرَة، فَإِنَّهَا شَامِلَة لِكُلِّ مُتَنَازِعَيْنِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ تُعَاد عَلَيْهِمْ الْخُصُومَة فِي الدَّار الآخِرَة.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم ﵀: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عبد الله بْن يَزِيد الْمُقْرِئ حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو عَنْ ابن حَاطِب -يَعْنِي يَحْيَى بْن عَبْد الرَّحْمَن- عَنْ ابْن الزُّبَيْر عن الزُّبَيْر ﵄ قَال لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَال الزُّبَيْر ﵁: يَا رَسُول الله، أَتُكَرَّرُ عَلَيْنَا الْخُصُومَة؟ قَال ﷺ: «نَعَمْ». قَال ﵁: إِنَّ الأَمْر إِذًا لَشَدِيد.[1] وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ سُفْيَان وَعِنْده زِيَادَة، وَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (التكاثر:٨). قَال الزُّبَيْر ﵁: أَيْ؛ رَسُول الله، أَيّ نَعِيم نُسْأَل عَنْهُ؟ وَإِنَّمَا يعني هما الأَسْوَدَان: التَّمْر وَالْمَاء؟ قَال ﷺ: «أَمَا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ». وَقَدْ رَوَى هَذِهِ الزِّيَادَة التِّرْمِذِيّ، وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بِهِ.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن. وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر حَدَّثَنَا مُحَمَّد -يَعْنِي ابْن عَمْرو- عَنْ

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٢٣٦) (٣٣٥٦)، وابن ماجه (٤١٥٨)، وأحمد (١/ ١٦٤).

يَحْيَى بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن حَاطِب عَنْ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر عَنْ الزُّبَيْر بْن العَوَّام ﷺ قَال: لَمَّا نَزَلتْ هَذِهِ السُّورَة عَلى رَسُول الله ﷺ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ . قَال الزُّبَيْر ﷺ : أَيْ رَسُول الله أَيُكَرَّرُ عَلينَا مَا كَانَ بَيْننَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصّ الذُّنُوب؟ قَال ﷺ : **«نَعَمْ ليُكَرَّرَنَّ عليكُمْ حَتَّى يُؤَدَّى إِلى كُلّ ذِي حَقّ حقَّه»**. قَال الزُّبَيْر ﷺ: وَالله إِنَّ الأَمْر لشَدِيد.[1] وروَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن عَمْرو بِهِ، وَقَال: حَسَن صَحِيح. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة بْن سَعِيد حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة عَنْ أَبِي عُشَّانة عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر ﷺ قَال : قَال رَسُول الله ﷺ : **«أَوَّل الخَصْمَيْنِ يَوْم القِيَامَة جَارَانِ»**[2] تَفرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة حَدَّثَنَا دَرَّاج عَنْ أَبِي الهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ ليَخْتَصِم حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَتَا»**[3]. تَفرَّدَ بِهِ أَحْمَد رَحِمَهُ اللهُ. وَفِي المُسْنَد عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّهُ قَال: رَأَى رَسُول الله ﷺ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ فَقَال: **«أَتَدْرِي فِيمَ يَنْتَطِحَانِ يَا أَبَا ذَرٍّ؟»** قُلت: لا، قَال ﷺ : **«لكِنَّ الله يَدْرِي وَسَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا»**.[4]

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا سَهْل بْن بحر حَدَّثَنَا حَيَّان بْن أَغْلب حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ثَابِت عَنْ أَنَس ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«يُجَاء بِالإِمَام الخَائِن يَوْم القِيَامَة، فَتُخَاصِمهُ الرَّعِيَّة فيفلَجُون عَليْهِ فَيُقَال لهُ: سُدَّ رُكْنًا مِنْ أَرْكَان جَهَنَّم»**[5]. ثُمَّ قَال: الأَغْلب بْن تَمِيم ليْسَ بِالحَافِظِ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يَقُول: يُخَاصِم الصَّادِق الكَاذِب، وَالمَظْلُوم الظَّالِم، والمهدِيُّ الضَّالّ، وَالضَّعِيف المُسْتَكْبِر، وَقَدْ رَوَى ابْن مَنْدَهْ فِي كِتَاب «الرُّوح» عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ أَنَّهُ قَال: يَخْتَصِم النَّاس يَوْم القِيَامَة، حَتَّى تَخْتَصِم الرُّوح مَعَ الجَسَد، فَتَقُول الرُّوح للجَسَدِ: أَنْتَ فَعَلت، وَيَقُول الجَسَد للرُّوحِ: أَنْتِ أَمَرْت وَأَنْتِ سَوَّلت، فَيَبْعَث الله تَعَالى مَلكًا، يَفْصِل بَيْنهمَا، فَيَقُول: إِنَّ مَثَلكُمَا كَمَثَل رَجُل مُقْعَد بَصِير وَالآخَر ضَرِير دَخَلا بُسْتَانًا، فَقَال المُقْعَد للضَّرِيرِ: إِنِّي أَرَى هَهُنَا ثِمَارًا، وَلكِنْ لا أَصِلُ إِليْهَا، فَقَال لهُ الضَّرِير: ارْكَبْنِي فَتَنَاوَلهَا فَرَكِبَهُ، فَتَنَاوَلهَا فَأَيُّهمَا المُعْتَدِي؟ فَيَقُولانِ: كِلاهُمَا، فَيَقُول لهُمَا المَلك: فَإِنَّكُمَا قَدْ حَكَمْتُمَا عَلى أَنْفُسكُمَا، يَعْنِي: أَنَّ الجَسَد للرُّوح كَالمَطِيَّةِ وَهُوَ رَاكِبه.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن أَحْمَد بْن عَوْسَجَة حَدَّثَنَا ضِرَار حَدَّثَنَا أَبُو سَلمَة الخُزَاعِيّ مَنْصُور بْن سَلمَة حَدَّثَنَا القُمِّيّ -يَعْنِي يَعْقُوب بْن عَبْد الله- عَنْ جَعْفَر بْن المُغِيرَة عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عُمَر ﷺ قَال: نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة، وَمَا نَعْلم فِي أَيّ شَيْء نَزَلتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾. قُلنَا: مَنْ نُخَاصِم؟ ليْسَ بَيْننَا وَبَيْن أَهْل الكِتَاب خُصُومَة، فَمَنْ نُخَاصِم؟ حَتَّى وَقَعَتْ الفِتْنَة، فَقَال ابْن عُمَر ﷺ : هَذَا الَّذِي وَعَدَنَا رَبُّنَا ﷻ نَخْتَصِم فِيهِ.[6] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن عَامِر عَنْ مَنْصُور بْن سَلمَة بِهِ، وَقَال أَبُو العَالِيَة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَال: يَعْنِي أَهْل القِبْلة، وَقَال ابْن زَيْد: يَعْنِي: أَهْل الإِسْلام، وَأَهْل الكُفْر، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّحِيح العُمُوم، وَالله أَعْلم.

---

(١) حسن : انظر السابق.
(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٤/ ١٥١) بسند ضعيف فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.
(٣) ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ٢٩) بسند ضعيف، فيه ابن لهيعة وهو ضعيف كما سبق. وفيه رواية دراج عن أبي الهيثم وهي ضعيفة.
(٤) تقدم.
(٥) ضعيف : أخرجه ابن عدي (١/ ٤٠٧) بسند ضعيف، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٠٥) وقال: رواه البزار، وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف.
(٦) ضعيف : أخرجه الطبراني كما في «المجمع» (٧/ ١٠٣) بسند ضعيف. قال الهيثمي: رجاله ثقات، لكن جعفر بن المغيرة ليس بالقوي في روايته عن سعيد بن جبير.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (٣٢) وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

يَقُول تعالى مُخَاطِبًا للمُشْرِكِينَ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلى الله، وَجَعَلُوا مَعَهُ آلهَة أُخْرَى، وَادَّعَوْا أَنَّ المَلائِكَة بَنَات الله، وَجَعَلُوا لله وَلَدًا -تَعَالى الله عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا- وَمَعَ هَذَا كَذَّبُوا بِالحَقِّ إِذْ جَاءَهُمْ عَلى أَلسِنَة رُسُل الله، صَلوَات الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَلِهَذَا قَال ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ أَيْ لا أَحَد أَظْلم مِنْ هَذَا؛ لأَنَّهُ جَمَعَ بَيْن طَرَفَيْ البَاطِل، كَذَبَ عَلى الله، وَكَذَّبَ رَسُول الله ﷺ، قَالُوا البَاطِل وَرَدُّوا الحَقّ، وَلِهَذَا قَال مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ وَهُمْ الجَاحِدُونَ المُكَذِّبُونَ.

ثُمَّ قَال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَابْن زَيْد: الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ الرسول ﷺ. وَقَال السُّدِّيّ: هُوَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ. وَقَال عَلِيّ ابْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قَال: مَنْ جَاءَ بلا إله إلَّا الله، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يَعْنِي: رَسُول الله ﷺ. وَقَرَأَ الرَّبِيع بْن أَنَس: «والَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ» يَعْنِي الأَنْبِيَاء ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يَعْنِي الأَتْبَاع. وَقَال لَيْث بْن أَبِي سُلَيْم عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قَال: أَصْحَابُ القُرْآن المُؤْمِنُونَ يَجِيئُونَ يَوْم القِيَامَة فَيَقُولُونَ: هَذَا مَا أَعْطَيْتُمُونَا فَعَمِلنَا فِيهِ بِمَا أَمَرْتُمُونَا. وَهَذَا القَوْل عَنْ مُجَاهِد يَشْمَل كُلّ المُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ المؤمن يقول الحَقّ ويعمل بِهِ، وَالرَّسُول ﷺ أَوْلى النَّاس بِالدُّخُول فِي هَذِهِ الآيَة عَلى هَذَا التَّفْسِير، فَإِنَّهُ جَاءَ بِالصِّدْقِ، وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ، وَآمَنَ بِمَا أُنْزِل إِلَيْهِ مِنْ رَبّه وَالمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِالله، وَمَلائِكَته وَكُتُبه وَرُسُله.

وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هُوَ رَسُول الله ﷺ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ المُسْلِمُونَ. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: اتَّقَوْا الشِّرْك، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يَعْنِي: فِي الجَنَّة مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كَمَا قَال ﷻ فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف:١٦).

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ -وَقَرَأَ بَعْضهمْ: «عباده»- يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالى يَكْفِي مَنْ عَبده وَتَوَكَّل عَلَيْهِ. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا: حَدَّثَنَا أَبُو عبيد الله ابْن أَخِي ابْن وَهْب حَدَّثَنَا عَمِّي حَدَّثَنَا أَبُو هَانِئ عَنْ أَبِي عَلِيّ عَمْرو ابْن مَالك الجَنْبِيّ عَنْ فَضَالة بْن عُبَيْد الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**أَفْلح مَنْ هُدِيَ إلى الإِسْلام وَكَانَ عَيْشه كَفَافًا وَقَنَعَ بِهِ**»[١]. [وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث حَيْوَة بْن شُرَيْح عَنْ أَبِي هَانِئ الخَوْلانِيّ بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: صَحِيح.][٢] ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَعْنِي المُشْرِكِينَ، يُخَوِّفُونَ الرَّسُول ﷺ

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) سقط من الأزهرية.

وَيَتَوَعَّدُونَهُ بِأَصْنَامِهِمْ، وَآلِهَتِهِمْ الَّتِي يعبدونها مِنْ دونه جَهْلًا مِنْهُمْ، وَضَلالًا، وَلِهَذَا قَال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ أَيْ: مَنِيع الجَنَاب، لا يُضَام مَنْ اسْتَنَدَ إِلى جَنَابه وَلجأَ إِلى بَابه، فَإِنَّهُ العَزِيز الَّذِي لا أَعَزَّ مِنْهُ، وَلا أَشَدَّ انْتِقَامًا مِنْهُ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَأَشْرَكَ وَعَانَدَ رَسُوله ﷺ.

وَقَوْله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ يَعْنِي المُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ الله ﷻ هُوَ الخَالِق للأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْره مِمَّا لا يَمْلك لهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا، وَلِهَذَا قَال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ أَيْ: لا تَسْتَطِيع شَيْئًا مِنْ الأَمْر، وَذَكَرَ ابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا حَدِيث قَيْس بْن الحَجَّاج عَنْ حَنَش الصَّنْعَانِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما مَرْفُوعًا: «احْفَظْ الله يَحْفَظْك، احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَك، تَعَرَّفْ إِلى الله فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْك فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلت فَاسْأَل الله، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لمْ يَكْتُبْهُ الله عَلَيْك؛ لمْ يَضُرُّوك، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لمْ يَكْتُبْهُ الله لك لمْ يَنْفَعُوك، جَفَّتْ الصُّحُفُ وَرُفِعَتْ الأَقْلامُ، وَاعْمَل لله بِالشُّكْرِ فِي اليَقِين، وَاعْلمْ أَنَّ فِي الصَّبْر عَلى مَا تَكْرَه خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْر مَعَ الصَّبْر، وَأَنَّ الفَرَج مَعَ الكَرْب، وَأَنَّ مَعَ العُسْر يُسْرًا»[1]. ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: الله كَافِيَّ، عليه توكلت و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ كَمَا قَال هُود عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام حِين قَال له قَوْمه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (هود:٥٤-٥٦).

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عِصَام الأَنْصَارِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن بَكْر السَّهْمِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حَاتِم عَنْ أَبِي المِقْدَام مَوْلى آل عُثْمَان عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ حَدَّثَنَا ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما رَفَعَ الحَدِيث إِلى رَسُول الله ﷺ قَال: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاس فَلْيَتَوَكَّل عَلى الله، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُون أَغْنَى النَّاس فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَد الله ﷻ أَوْثَق بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُون أَكْرَم النَّاس فَلْيَتَّقِ الله ﷻ»**.[2]

وَقَوْله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أَيْ: عَلى طَرِيقَتكُمْ، وَهَذَا تَهْدِيد وَوَعِيد، ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ أَيْ: عَلى طَرِيقَتِي وَمَنْهَجِي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: سَتَعْلَمُونَ غِبّ ذَلِكَ وَوَبَاله، ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أَيْ دَائِم وَمُسْتَمِرّ لا مَحِيد عَنْهُ، وَذَلِكَ يَوْم القِيَامَة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخَاطِبًا رَسُوله مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يَعْنِي القُرْآن ﴿لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: لجَمِيع الخَلق مِنْ الإِنْس وَالجِنّ لِتُنْذِرَهُمْ بِهِ، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أَيْ: فَإِنَّمَا يَعُود نَفْعُ ذَلِكَ إِلى نَفْسه، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَرْجِع وَبَالُ ذَلِكَ عَلى نَفْسه، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أَيْ: بِمُوَكَّلٍ أَنْ يَهْتَدُوا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود:١٢)، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (الرعد:٤٠).

ثُمَّ قَال تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسه الكَرِيمَة بِأَنَّهُ المُتَصَرِّف فِي الوُجُود بِمَا يَشَاء، وَأَنَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُس الوَفَاة الكُبْرَى بِمَا

---

(١) **صحيح**: انظر تخريج هذا الحديث في تحقيق رسالة «نور الاقتباس» للحافظ ابن رجب ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي».

(٢) **ضعيف جدًا**: في إسناده هشام بن زياد أبي المقدام متروك، كما في «التقريب».

يُرْسِل مِنْ الحَفَظَة الَّذِينَ يَقْبِضُونَهَا مِنْ الأَبْدَانِ، وَالوَفَاة الصُّغْرَى عِنْد المَنَام، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام:٦٠-٦١). فَذَكَرَ الوَفَاتَيْنِ الصُّغْرَى ثُمَّ الكُبْرَى، وَفِي هَذِهِ الآيَة ذَكَرَ الكُبْرَى ثُمَّ الصُّغْرَى؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ فِيهِ دَلالة عَلى أَنَّهَا تَجْتَمِع فِي المَلإِ الأَعْلى، كَمَا وَرَدَ بِذَلكَ الحَدِيث المَرْفُوع الَّذِي رَوَاهُ ابْن مَنْدَهْ وَغَيْره، وَفِي صَحِيحَيْ البُخَارِيّ وَمُسْلم مِنْ حَدِيث عُبَيْد الله بْن عُمَر عَنْ سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِذَا أَوَى أَحَدكُمْ إِلى فِرَاشه فَلْيَنْفُضْهُ بِدَاخِلَةِ إِزَاره فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيَقُل: بِاسْمِك رَبِّي وَضَعْت جَنْبِي وَبِك أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْت نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظ بِهِ عِبَادك الصَّالِحِينَ»**.[1] وَقَال بَعْض السَّلَف: يُقْبَض أَرْوَاح الأَمْوَات إِذَا مَاتُوا، وَأَرْوَاح الأَحْيَاء إِذَا نَامُوا، فَتَتَعَارَف مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ تَتَعَارَف، ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الَّتِي قَدْ مَاتَتْ، وَيُرْسِل الأُخْرَى إِلى أَجَل مُسَمًّى. قَال السُّدِّيّ: إِلى بَقِيَّة أَجَلهَا. وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يُمْسِك أَنْفُس الأَمْوَات، وَيُرْسِل أَنْفُس الأَحْيَاء، وَلا يَغْلط، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى ذَامًّا للمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذهمْ شُفَعَاء مِنْ دُون الله، وَهُمْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، الَّتِي اتَّخَذُوهَا مِنْ تِلقَاء أَنْفُسهمْ بِلا دَليل وَلا بُرْهَان حداهم عَلى ذَلكَ، وَهِيَ لا تَمْلك شَيْئًا مِنْ الأَمْر، بَل وَليْسَ لهَا عَقْل تَعْقِل بِهِ، وَلا سَمْع تَسْمَع بِهِ، وَلا بَصَر تُبْصِر بِهِ، بَل هِيَ جَمَادَات أَسْوَأ حَالًا مِنْ الحَيَوَان بِكَثِيرٍ، ﴿قُلْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّد هَؤُلاءِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ مَا اتَّخَذُوهُ شُفَعَاء لهُمْ عِنْد الله، أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الشَّفَاعَة لا تَنْفَع عِنْد الله إِلَّا لمَنْ ارْتَضَاهُ وَأَذِنَ لهُ فَمَرْجِعُهَا كُلّهَا إِليْهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة:٢٥٥). ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: هُوَ المُتَصَرِّف فِي جَمِيع ذَلكَ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، فَيَحْكُم بَيْنكُمْ بِعَدْلهِ وَيَجْزِي كُلًّا بِعَمَلهِ. ثُمَّ قَال تَعَالى ذَامًّا للمُشْرِكِينَ أَيْضًا: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أَيْ: إِذَا قِيل: لا إِله إِلَّا الله ﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾، قَال مُجَاهِد ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: انْقَبَضَتْ. وَقَال السُّدِّيّ: نَفَرَتْ. وَقَال قَتَادَة: كَفَرَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ. وَقَال مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: اسْتَكْبَرَتْ. كَمَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات:٣٥)، أَيْ: عَنْ المُتَابَعَة وَالانْقِيَاد لهَا، فَقُلُوبهمْ لا تَقْبَل الخَيْر، وَمَنْ لمْ يَقْبَل الخَيْر يَقْبَل الشَّرّ، ولهذا قَال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أَيْ: مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، قَالهُ مُجَاهِد. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أَيْ: يَفْرَحُونَ وَيُسَرُّونَ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى بَعْدَمَا ذَكَرَ عَنْ المُشْرِكِينَ مَا ذَكَرَ مِنْ المَذَمَّة لهُمْ فِي حُبّهمْ الشِّرْك، وَنُفْرَتهمْ عَنْ التَّوْحِيد، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ [عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أَيْ: ادْعُ أَنْتَ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، الَّذِي خَلقَ السَّمَاوَات وَالأَرْض][1] وَفطَرَهَا، أَيْ: جَعَلهَا عَلى غَيْرِ مِثَال سَبَق، ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أَيْ: السِّرّ وَالعَلانِيَة، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَيْ فِي دُنْيَاهُمْ، سَتَفْصِلُ بَيْنهمْ يَوْم مَعَادهمْ وَنُشُورهمْ وَقِيَامهمْ مِنْ قُبُورهمْ.

وقَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا عَبْد بْن حُمَيْد حَدَّثَنَا عُمَر بْن يُونُس حَدَّثَنَا عِكْرِمَة بْن عَمَّار حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير حَدَّثَنِي أَبُو سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن قَال: سَأَلت عَائِشَة رضي الله عنها: بِأَيِّ شَيْء كَانَ رَسُول الله ﷺ يَفْتَتِح صَلاته إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْل؟ قَالتْ رضي الله عنها: كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْل افْتَتَحَ صَلاته: **«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيل، وَمِيكَائِيل وَإِسْرَافِيل، فَاطِر السَّمَاوَات وَالأَرْض، عَالم الغَيْب وَالشَّهَادَة، أَنْتَ تَحْكُم بَيْن عِبَادِك فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلفُونَ، اهْدِنِي لمَا اخْتُلفَ فِيهِ مِنْ الحَقّ بِإِذْنِك، إِنَّك تَهْدِي مَنْ تَشَاء إِلى صِرَاط مُسْتَقِيم»**[2]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة وأَخْبَرَنَا سُهَيْل بن أَبِي صَالح وَعَبْد الله بْن عُثْمَان بْن خُثَيْم عَنْ عَوْن بْن عَبْد الله بْن عُتْبَة بْن مَسْعُود عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قَال: **«مَنْ قَال: اللَّهُمَّ فَاطِر السَّمَاوَات وَالأَرْض، عَالم الغَيْب وَالشَّهَادَة، إِنِّي أَعْهَد إِليْك فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنِّي أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدك لا شَرِيك لك، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدك وَرَسُولك، فَإِنَّك إِنْ تَكِلنِي إِلى نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنْ الشَّرّ وَتُبَاعِدْنِي مِنْ الخَيْر، وَإِنِّي لا أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِك، فَاجْعَل لي عِنْدك عَهْدًا تُوَفِّينِيهِ يَوْم القِيَامَة، إِنَّك لا تُخْلف المِيعَاد، إِلاَّ قَال الله عز وجل لمَلائِكَتِهِ يَوْم القِيَامَة: إِنَّ عَبْدِي قَدْ عَهِدَ إِليَّ عَهْدًا فَأَوْفُوهُ إِيَّاهُ، فَيُدْخِلهُ الله الجَنَّة»**[3]. قَال سُهَيْل: فَأَخْبَرْت القَاسِم بْن عَبْد الرَّحْمَن أَنَّ عَوْنًا أَخْبَرَ بِكَذَا وَكَذَا فَقَال: مَا فِي أَهلنا جَارِيَة إِلَّا وَهِيَ تَقُول هَذَا فِي خِدْرِهَا: انْفَرَدَ بِهِ الإِمَام أَحْمَد.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة حَدَّثَنِي حُيَيّ بْن عَبْد الله أَنَّ أَبَا عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَهُ قَال أَخْرَجَ لنَا عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قِرْطَاسًا وَقَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُعَلِّمنَا يقول: **«اللَّهُمَّ فَاطِر السَّمَاوَات وَالأَرْض، عَالم الغَيْب وَالشَّهَادَة، أَنْتَ رَبّ كُلّ شَيْء وَإِله كُلّ شَيْء، أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدك لا شَرِيك لك، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدك وَرَسُولك، وَالمَلائِكَة يَشْهَدُونَ، أَعُوذ بِك مِنْ الشَّيْطَان وَشِرْكه، وَأَعُوذ بِك أَنْ أَقْتَرِف عَلى نَفْسِي إِثْمًا أَوْ أَجُرّهُ إِلى مُسْلم»**.[4] قَال أَبُو عَبْد الرَّحْمَن رضي الله عنه: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُعَلِّمهُ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما أَنْ يَقُول ذَلكَ حِين يُرِيد أَنْ يَنَام. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد أَيْضًا. وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا خَلف بْن الوَليد حَدَّثَنَا ابْن عَيَّاش عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد الأَلهَانِيّ عَنْ أَبِي رَاشِد الحُبْرَانِيّ قَال: أَتَيْت عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما، فَقُلت لهُ: حَدِّثْنَا مَا سَمِعْت مِنْ رَسُول الله ﷺ فَأَلقَى بَيْن يَدَيَّ صَحِيفَة فَقَال: هَذَا مَا كَتَبَ لي رَسُول الله ﷺ فَنَظَرْت فِيهَا فَإِذَا فِيهَا، أَنَّ أَبَا بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنه قَال: يَا رَسُول الله عَلِّمْنِي مَا أَقُول إِذَا أَصْبَحْت وَإِذَا أَمْسَيْت، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْر قُل: **اللَّهُمَّ فَاطِر السَّمَاوَات وَالأَرْض، عَالم الغَيْب وَالشَّهَادَة، لا إِله إِلا أَنْتَ، رَبّ كُلّ شيء وَمَليكه، أَعُوذ بِك مِنْ شَرّ نَفْسِي وَشَرّ الشَّيْطَان وَشِرْكه، أَوْ أَقْتَرِف عَلى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرّهُ إِلى مُسْلم»**. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ الحَسَن بْن عَرَفَة عَنْ إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش بِهِ، وَقَال: حَسَن غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم حَدَّثَنَا شيبان عَنْ ليْث عَنْ مُجَاهِد قَال: قَال أَبُو بَكْر الصِّدِّيق: أَمَرَنِي رَسُول الله ﷺ أَنْ أَقُول إِذَا أَصْبَحْت، وَإِذَا أَمْسَيْت، وَإِذَا أَخَذْت مَضْجَعِي مِنْ اللَّيْل: «**اللَّهُمَّ فَاطِر السَّمَاوَات وَالأَرْض** ...» إلخ.

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٧٠).
(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٤١٢).
(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧١) بسند ضعيف، ولكن له طرق أخرى يصح بها.

وَقَوْله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أَيْ: وَلَوْ أَنَّ جَمِيع ملك الأَرْض وَضِعْفه مَعَهُ ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ﴾ أَيْ: الَّذِي أَوْجَبَهُ الله لهُمْ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وَمَعَ هَذَا لا يتقبل مِنْهُمْ الفِدَاء وَلَوْ كَانَ مِلء الأَرْض ذَهَبًا، كَمَا قَالَ فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أَيْ: وَظَهَرَ لَهُمْ مِنَ الله مِنَ العَذَاب وَالنَّكَال بِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالهمْ وَلا فِي حِسَابهمْ، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أَيْ: وَظَهَرَ لَهُمْ جَزَاء مَا اكْتَسَبُوا فِي الدَّار الدُّنْيَا مِنْ المَحَارِم وَالمَآثِم، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَيْ: وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فِي الدَّار الدُّنْيَا.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ الإِنْسَان أَنَّهُ فِي حَال الضَّرَّاء يضرع إِلَى الله ﷻ، وَيُنِيب إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ، وَإِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَة مِنْهُ بَغَى وَطَغَى، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أَيْ: لَمَا يَعْلم الله تَعَالَى مِنْ اسْتِحْقَاقِي لَهُ، وَلَوْلا أَنِّي عِنْد الله خِصِّيص لَمَا خَوَّلَنِي هَذَا. قَال قَتَادَة ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ عَلى خير عِنْدِي. قَال الله ﷻ: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَمَا [زَعَمَ][1]، بَل أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمَة لنَخْتَبِرهُ فِيمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، أَيُطِيعُ أَمْ يَعْصِي؟ مَعَ عِلمنَا المُتَقَدِّم بِذَلِكَ، فَهِيَ فِتْنَة أَيْ اخْتِبَار، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فَلهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ وَيَدَّعُونَ مَا يَدَّعُونَ، ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَيْ قَدْ قَال هَذِهِ المَقَالَة، وَزَعَمَ هَذَا الزَّعْم، وَادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى كَثِير مِمَّنْ سَلفَ مِنْ الأُمَم، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَيْ: فَمَا صَحَّ قَوْلهمْ، وَلا منعهم جَمْعهمْ، وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ أَيْ: مِنْ المُخَاطَبِينَ ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أَيْ: كَمَا أَصَابَ أُولئِكَ، ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ كَمَا قَال تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَارُون أنه قَال لهُ قَوْمه: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص:٧٦-٧٨)، وَقَال تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ:٣٥). وَقَوْله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أَيْ: يُوَسِّعهُ عَلى قَوْم، وَيُضَيِّقهُ عَلى آخَرِينَ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: لعِبَرًا وَحُجَجًا.

﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة دَعْوَة لِجَمِيع العُصَاة مِنْ الكَفَرَة وَغَيْرهمْ إِلى التَّوْبَة وَالإِنَابَة، وَإِخْبَار بِأَنَّ الله يَغفِر الذُّنُوب جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ، وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْل زَبَد البَحْر. وَلا يَصِحّ حَمْل هَذِهِ

(١) في «نسخة»: [زعموا].

عَلى غَيْر تَوْبَة؛ لأَنَّ الشِّرْك لا يُغْفَر لِمَنْ لمْ يَتُبْ مِنْهُ. وقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَام بْن يُوسُف أَنَّ ابْن جُرَيْج أَخْبَرَهُمْ، قَال يَعْلى: إِنَّ سَعِيد بْن جُبَيْر أَخْبَرَهُ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْل الشِّرْك كَانُوا قَدْ قتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُول، وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرنَا أَنَّ لِمَا عَمِلنَا كَفَّارَة، فَنَزَل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ (الفرقان:٦٨)، وَنَزَل قوله: ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾.[1]

وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث ابْن جُرَيْج عَنْ يَعْلى بْن مُسْلم المَكِّيّ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما بِهِ. وَالمُرَاد مِنْ الآيَة الأُولى، قَوْله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ (الفرقان:٧٠) الآيَة . وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن حدثنا ابْن لِهِيعَة حَدَّثَنَا أَبُو قَبِيل قَال: سَمِعْت أَبَا عَبْد الرَّحْمَن المري يَقُول: سَمِعْت ثَوْبَان مَوْلى رَسُول الله ﷺ يَقُول: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**مَا أُحِبّ أَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الآيَة:** ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إِلى آخِر الآيَة». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله، فَمَنْ أَشْرَكَ؟ فَسَكَتَ النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ قَال: «**أَلا وَمَنْ أَشْرَك**»[2] -ثَلاث مَرَّات- تَفَرَّدَ بِهِ الإِمَام أَحْمَد. وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا سُرَيج بْن النُّعْمَان حَدَّثَنَا نُوح بْن قَيْس عَنْ أَشْعَث بْن جَابِر الحُدَّانِيّ عَنْ مَكْحُول عَنْ عَمْرو بْن عَبَسَة رضي الله عنه قَال: جَاءَ رَجُل إِلى النَّبِيّ ﷺ، شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدَّعِم عَلى عَصًا لهُ، فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَل يُغْفَرُ لِي؟ فَقَال ﷺ: «**أَلَسْت تَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاّ الله؟**» قَال: بَلى، وَأَشْهَد أَنَّك رَسُول الله، فَقَال ﷺ: «**قَدْ غُفِرَ لك غَدَرَاتُك وَفَجَرَاتُك**»[3] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ ثَابِت عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب عَنْ أَسْمَاء بِنْت يَزِيد رضي الله عنها قَالتْ: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٍ﴾ (هود:٤٦)، وَسَمِعْته ﷺ يَقُول: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ وَلا يُبَالِي ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث ثَابِت بِهِ. فَهَذِهِ الأَحَادِيث كُلّهَا دَالَّة عَلى أَنَّ المُرَاد أَنَّهُ يُغْفَر جَمِيع ذَلكَ مَعَ التَّوْبَة، وَلا يَقْنَطَنَّ عَبْدٌ مِنْ رَحْمَة الله وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ وَكَثُرَتْ؛ فَإِنَّ بَاب الرَّحْمَة وَالتَّوْبَة وَاسِع، قَال الله تَعَالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ (التوبة:١٠٤). وَقَال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١١٠)، وَقَال تعالى فِي حَقّ المُنَافِقِينَ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ (النساء:١٤٥-١٤٦)، وَقَال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة:٧٣)، ثُمَّ قَال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (المائدة:٧٤)، وَقَال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ (البروج:١٠). قَال الحَسَنُ البَصْرِيّ: انظر إِلى هَذَا الكَرَم وَالجُود، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلى التَّوْبَة وَالمَغْفِرَة. وَالآيَات فِي هَذَا كَثِيرَة جِدًّا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ حَدِيثُ الَّذِي قَتَل تسعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، ثُمَّ نَدِمَ وَسَأَل عَابِدًا مِنْ عُبَّاد بَنِي إِسْرَائِيل: هَل لهُ مِنْ تَوْبَة؟ فَقَال: لا، فَقَتَلهُ وَأَكْمَل بِهِ مِائَة، ثُمَّ سَأَل عَالمًا مِنْ عُلمَائِهِمْ: هَل لهُ

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) ضعيف : أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥) بسند ضعيف.
(٣) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٥) بسند ضعيف، لكن له شاهد آخر تقدم.
(٤) صحيح : أخرجه أبو داود (٣٩٨١)، والترمذي (٢٩٣١)، وأحمد (٦/ ٤٥٤، ٤٦٠).

مِنْ تَوْبَة؟ فَقَال: وَمَنْ يَحُول بَيْنك وَبَيْن التَّوْبَة؟ ثُمَّ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلى قَرْيَة يَعْبُد الله فِيهَا فَقَصَدَهَا، فَأَتَاهُ المَوْت فِي أَثْنَاء الطَّرِيق، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَة الرَّحْمَة وَمَلائِكَة العَذَاب، فَأَمَرَ الله ﷻ أَنْ يَقِيسُوا مَا بَيْن الأَرْضِينَ. فَإِلى أَيِّهمَا كَانَ أَقْرَب فَهُوَ مِنْهَا؟ فَوَجَدُوهُ أَقْرَب إِلى الأَرْض الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِبْرٍ فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَة الرَّحْمَة، وَذُكِرَ أَنَّهُ نَأَى بِصَدْرِهِ عِنْد المَوْت، وَأَنَّ الله أَمَرَ البَلْدَة الخَيِّرَة أَنْ تَقْتَرِب، وَأَمَرَ تِلْكَ البَلْدَة أَنْ تَتَبَاعَد، هَذَا مَعْنَى الحَدِيث، وَقَدْ كَتَبْنَاهُ فِي مَوْضِع آخَر بِلَفْظِهِ.(١) وقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَوْله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ إِلى آخِر الآيَة، قَال: قَدْ دَعَا الله تَعَالى إِلى مَغْفِرَته مَنْ زَعَمَ أَنَّ المَسِيح هُوَ الله، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ المَسِيح هُوَ ابْن الله وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْن الله وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الله فَقِير وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ يَد الله مَغْلُولَة، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الله ثَالِث ثَلاثَة، يَقُول الله تَعَالى لِهَؤُلاءِ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة:٧٤) ثُمَّ دَعَا إِلى [التَّوْبَة](٢) مَنْ هُوَ أَعْظَم قَوْلًا مِنْ هَؤُلاءِ، مَنْ قَال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات:٢٤)، وَقَال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ (القصص:٣٨)، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: مَنْ آيَسَ عِبَاد الله مِنْ التَّوْبَة بَعْد هَذَا فَقَدْ جَحَدَ كِتَاب الله ﷻ. وَلَكِنْ لا يَقْدِر العَبْد أَنْ يَتُوب حَتَّى يَتُوب الله عَلَيْهِ. وَرَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق الشَّعْبِيّ عَنْ سُنَيْد بْن شَكَل أَنَّهُ قَال: سَمِعْت ابْن مَسْعُود يَقُول: إِنَّ أَعْظَم آيَة فِي كِتَاب الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (البقرة:٢٥٥)، وَإِنَّ أَجْمَع آيَة فِي القُرْآن بِخَيْرٍ وَشَرّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠)، وَإِنَّ أَكْثَر آيَة فِي القُرْآن فرجًا فِي سُورَة «الغُرَف»: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ وَإِنَّ أَشَدّ آيَة فِي كِتَاب الله تصريفًا، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣). فَقَال لَهُ مَسْرُوق: صَدَقْت.

وَقَال الأَعْمَش: عَنْ أَبِي سَعِيد عَنْ أَبِي الكَنُود قَال: مَرَّ عَبْد الله -يَعْنِي ابْن مَسْعُود رضي الله عنه- عَلى قَاصّ وَهُوَ يُذَكِّرُ النَّاس. فَقَال: يَا مُذَكِّر لِمَ تُقَنِّطُ النَّاس؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم رحمه الله.

ذِكْرُ أَحَادِيث فِيهَا نَفْيُ القُنُوط

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُرَيج بْن النُّعْمَان حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَة عَبْد المُؤْمِن بْن عُبَيْد الله السدوسي حَدَّثَنِي حَسَن السَّدُوسِيّ. قَال: دَخَلت عَلى أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه فَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمْ الله لَغَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد ﷺ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ الله ﷻ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ الله فَيَغْفِر لَهُمْ**»(٣) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن عِيسَى حَدَّثَنِي اللَّيْث حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن قَيْس قَاصُّ عُمَر بْن عَبْد العَزِيز عَنْ أَبِي صِرْمَة عَنْ أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَال حِين حَضَرَتْهُ الوَفَاة: قَدْ كُنْت كَتَمْت مِنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْته مِنْ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**لَوْلا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ الله ﷻ قَوْمًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِر لَهُمْ**»(٤). هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد وَأَخْرَجَهُ مُسْلم فِي صَحِيحه وَالتِّرْمِذِيّ جَمِيعًا عَنْ قُتَيْبَة عَنْ اللَّيْث بْن سَعْد بِهِ. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ وَجْه آخَر بِهِ عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ عَنْ أَبِي صِرْمَة وَهُوَ الأَنْصَارِيّ صَحَابِيّ عَنْ أَبِي أَيُّوب رضي الله عنهما بِهِ.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).
(٢) في «نسخة»: [توبته].
(٣) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٨) بسند ضعيف، والحديث أخرجه مسلم (٢٧٤٩) بنحوه.
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد المَلِكِ الحَرَّانِيّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَمْرو بْن مَالك النكري قَال: سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث عَنْ أَبِي الجَوْزَاء عَنْ ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: [«كَفَّارَة الذَّنْب النَّدَامَة»][1][2]. وَقَال رَسُول الله ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لجَاءَ الله بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِر لَهُمْ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنِي عَبْد الأَعْلَى بْن حَمَّاد النرسي حَدَّثَنَا دَاوُد بْن عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله مُسْلمَة الرَّازِيّ عَنْ أَبِي عَمْرو البَجَلِيّ عَنْ عَبْد المَلك بْن سُفْيَان الثَّقَفِيّ عَنْ أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بْن عَلِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن الحَنَفِيَّة عَنْ أَبِيهِ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبُّ العَبْد المُفَتَّن التَّوَّاب»[3]. لم يُخَرِّجُوهُ مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا حَمَّاد [أخبرنا][4] ثَابت وَحُمَيْد عَنْ عَبْد الله ابْن عُبَيْد ابْن عُمَيْر قَال: إِنَّ إِبْليس –عليه لعائن الله– قَال: يَا رَبِّ إِنَّك أَخْرَجْتنِي مِنْ الجَنَّة مِنْ أَجْل آدَم، وَإِنِّي لا أَسْتَطِيعُهُ إِلَّا بِسُلطَانِك، قَال: فَأَنْتَ مُسَلَّط، قَال: يَا رَبِّ، زِدْنِي، قَال: لا يُولدُ لَهُ وَلد إِلَّا وُلدَ لك مِثْله، قَال: يَا رَبّ زِدْنِي قَال: أَجْعَلُ صُدُورَهُمْ مَسَاكِن لكُمْ، وَتَجْرُونَ مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّم. قَال: يَا رَبّ زِدْنِي. قَال: أَجْلبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلك وَرَجْلك، وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلاد، وَعِدْهُمْ، وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَان إِلَّا غُرُورًا، فَقَال آدَم: يَا رَبّ قَدْ سَلَّطْته عَلَيّ، وَإِنِّي لا أَمْتَنِع بِه إِلَّا بِك، قَال: لا يُولد لك وَلد إِلَّا وَكَّلت بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ مِنْ قُرَنَاء السُّوء، قَال: يَا رَبّ زِدْنِي. قَال: الحَسَنَة عَشر أَوْ أَزِيد، وَالسَّيِّئَة وَاحِدَة، أَوْ أَمْحُوهَا، قَال: يَا رَبّ زِدْنِي، قَال: بَاب التَّوْبَة مَفْتُوح مَا كَانَ الرُّوح فِي الجَسَد، قَال: يَا رَبّ زِدْنِي، قَال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5].

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: قَال نَافِع عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر عَنْ عُمَر رضي الله عنهما فِي حَدِيثه قَال: وَكُنَّا نَقُول: مَا الله بِقَابِلٍ مِمَّنْ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلا عَدْلًا وَلا تَوْبَة، عَرَفُوا الله ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الكُفْر لبَلاءٍ أَصَابَهُمْ قَال: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلكَ لأَنْفُسِهِمْ قَال: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَة أَنْزَل الله فِيهِمْ، وَفِي قَوْلنَا وَقَوْلهمْ لأَنْفُسِهِمْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. قَال عُمَر رضي الله عنه: فَكَتَبْتهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَة، وَبَعَثْت بِهَا إِلَى هِشَام بْن العَاص رضي الله عنه قَال: فَقَال هِشَام: لَمَّا أَتَتْنِي جَعَلت أَقْرَأهَا بِذِي طُوًى أُصَعِّد بِهَا فِيهِ وَأُصَوِّت وَلا أَفْهَمهَا حَتَّى قُلت اللَّهُمَّ أَفْهِمْنِيهَا، قَال: فَأَلقَى الله عز وجل فِي قَلبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلتْ فِينَا وَفِيمَا كُنَّا نَقُول فِي أَنْفُسنَا، وَيُقَال فِينَا، قَال: فَرَجَعْت إِلَى بَعِيرِي فَجَلسْت عَليْهِ، فَلحِقْت بِرَسُول الله ﷺ بِالمَدِينَة[6]، ثُمَّ اسْتَحَثَّ تَعَالى عِبَاده إِلَى المُسَارَعَة إِلَى التَّوْبَة فَقَال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أَيْ: ارْجِعُوا إِلَى الله وَاسْتَسْلمُوا لهُ، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أَيْ: بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالعَمَل الصَّالح قَبْل حُلُول النِّقْمَة، ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وَهُوَ القُرْآن العَظِيم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أَيْ: مِنْ حَيْثُ لا تَعْلمُونَ وَلا تَشْعُرُونَ. ثُمَّ قَال عز وجل: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة يَتَحَسَّرُ المُجْرِمُ المُفَرِّط فِي التَّوْبَة وَالإِنَابَة، وَيَوَدُّ لوْ كَانَ مِنْ المُحْسِنِينَ المُخْلصِينَ المُطِيعِينَ لله عز وجل.

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٩) بسند ضعيف.
(٣) ضعيف جدًا: أخرجه أحمد (١/ ٨٠، ١٠٣) بسند ضعيف جدًا.
(٤) في (ط): [حدثنا] والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٣).
(٥) ضعيف: لإرساله.
(٦) إسناده ضعيف: لعنعنة ابن إسحاق.

وَقَوْله: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا عَمَل سَاخِر مُسْتَهْزِئ غَيْر مُوقِن مُصَدِّق. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أَيْ: تَوَدّ أن لوْ أُعِيدَتْ إلى الدار الدُّنْيَا فتحسن العَمَل. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابن عَبَّاس رضي الله عنهما أَخْبَرَ الله سُبْحَانه، مَا العِبَاد قَائِلُونَ قَبْل أَنْ يَقُولُوهُ، وَعَمَلهمْ قَبْل أَنْ يَعْمَلُوهُ. وَقَال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر:١٤)، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فَأَخْبَرَ الله عز وجل أَنْ لوْ رُدُّوا لَمَا قَدَرُوا عَلَى الهُدَى، فَقَال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٨)، وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَسْوَد حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«كُلُّ أَهْل النَّار يَرَى مَقْعَده مِنْ الجنَّة، فَيَقُول: لوْ أَنَّ الله هَدَانِي فَتَكُون عَليْهِ حَسْرَة»**، قَال: **«وَكُلّ أَهْل الجنَّة يَرَى مَقْعَده مِنْ النَّار، فَيَقُول: لوْلا أَنَّ الله هَدَانِي، قَال: فَيَكُون لهُ الشُّكْر»**[1]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي بَكْر بْن عَيَّاش بِهِ. وَلَمَّا تَمَنَّى أَهْل الجَرَائِم العَوْد إِلى الدُّنْيَا وَتَحَسَّرُوا عَلى تَصْدِيق آيَات الله وَاتِّبَاع رُسُله قَال: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أَيْ: قَدْ جَاءَتْك أَيُّهَا العَبْد النَّادِم عَلى مَا كَانَ مِنْهُ أياتي فِي الدَّار الدُّنْيَا، وَقَامَتْ حُجَجِي عَليْك، فَكَذَّبْت بِهَا وَاسْتَكْبَرْت عَنْ اتِّبَاعهَا، وَكُنْت مِنْ الكَافِرِينَ بِهَا، الجَاحِدِينَ لهَا.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ يَوْم القِيَامَة أَنَّهُ تَسْوَدّ فِيهِ وُجُوه، وَتَبْيَضّ فِيهِ وُجُوه، تَسْوَدّ وُجُوه أَهْل الفُرْقَة وَالاخْتِلاف، وَتَبْيَضّ وُجُوه أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، قَال تَعَالى هَهُنَا: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أَيْ: فِي دَعْوَاهُمْ لهُ شَرِيكًا وَوَلدًا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ أَيْ: بِكَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ. وَقَوْله: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أَيْ: أَليْسَتْ جَهَنَّم كَافِيَة لهُمْ سِجْنًا، وَمَوْئِلًا لهُمْ فِيهَا الخِزْي وَالهَوَان بِسَبَبِ تَكَبُّرهمْ، وَتَجَبُّرهمْ وَإِبَائِهِمْ عَنْ الانْقِيَاد للحَقِّ؟ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْد الله ابْن أَخِي ابْن وَهْب حَدَّثَنَا عَمِّي حَدَّثَنَا عِيسَى بْن أَبِي عِيسَى الخَيَّاط عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ المُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْم القِيَامَة أَشْبَاه الذَّرِّ فِي صُوَر النَّاس، يَعْلُوهُمْ كُلّ شَيْء مِنْ الصَّغَار، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا مِنْ النَّار فِي وَادٍ يُقَال لهُ: بُولس مِنْ نَار الأَنْيَار، وَيُسْقَوْنَ عُصَارَة أَهْل النَّار مِنْ طِينَة الخَبَال»**[2]. وَقَوْله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أَيْ: بِمَا سَبَقَ لهُمْ مِنْ السَّعَادَة وَالفَوْز عِنْد الله، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ أَيْ يَوْم القِيَامَة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أَيْ: وَلا يُحْزِنُهُمْ الفَزَع الأَكْبَر، بَل هُمْ آمِنُونَ مِنْ كُل فَزَع مُزَحْزَحُونَ عَنْ كُل شَرّ، مؤمّلون كُلّ خَيْر.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ خَالق الأَشْيَاء كُلّهَا، وَرَبّهَا وَمَليكهَا وَالمُتَصَرِّف فِيهَا، وَكُلٌّ تَحْت تَدْبِيره وَقَهْره وَكِلاءَته،

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) حسن : تقدم.

وَقَوْله ﷻ: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قَال مُجَاهِد: المَقَاليد هِيَ المَفَاتِيح بِالفَارِسِيَّةِ. وَكَذَا قَال قَتَادَة، وَابْن زَيْد وَسُفْيَان بن عُيَيْنَة، وَقَال السُّدِّيّ: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: خَزَائِن السَّمَاوَات وَالأَرْض، وَالمَعْنَى؛ عَلَى كِلا القَوْلَيْنِ أَنَّ أَزِمَّة الأُمُور بِيَدِهِ، لهُ المُلك وَلهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: حُجَجه وَبَرَاهِينه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. وَقَدْ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا جِدًّا، وَفِي صِحَّته نَظَرٌ، وَلكِنْ نَذْكُرُهُ كَمَا ذَكَرَهُ، فَإِنَّهُ قَال: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن سِنَان البَصْرِيّ بِمِصْرَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن حَمَّاد حَدَّثَنَا الأَغْلب بْن تَمِيم عَنْ مَخْلد بْن هُذَيْل العَبْدِيّ عَنْ عَبْد الرَّحْمَن المَدَنِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر عَنْ عُثْمَان بْن عَفَّان ﷺ أَنَّهُ سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ تَفْسِير: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فَقَال: **«مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَد قَبْلَك يَا عُثْمَان»** قَال ﷺ: **«تَفْسِيرهَا لا إِله إِلَّا الله، وَالله أَكْبَر، وَسُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِر الله، وَلا قُوَّة إِلاّ بالله، الأَوَّل وَالآخِر، وَالظَّاهِر وَالبَاطِن، بِيَدِهِ الخَيْر، يُحْيِي وَيُمِيت، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير، مِنْ قَالهَا يَا عُثْمَان إِذَا أَصْبَحَ عَشْر [مرات]**[1] **أُعْطِيَ خِصَالاً سِتًّا: أَمَّا [أُولاهُنَّ]**[2]**: فَيُحْرَس مِنْ إِبْلِيس وَجُنُوده، وَأَمَّا الثَّانِيَة: فَيُعْطَى قِنْطَارًا مِنْ الأَجْر، وَأَمَّا الثَّالِثَة: فَتُرْفَع لهُ دَرَجَة فِي الجَنَّة، وَأَمَّا الرَّابِعَة: فَيزوج مِنْ الحُور العِين، وَأَمَّا الخَامِسَة: فَيَحْضُرهُ اثْنَا عَشَر مَلَكًا، وَأَمَّا السَّادِسَة: فَيُعْطَى مِنْ الأَجْر كَمَنْ قَرَأَ القُرْآن وَالتَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالزَّبُور. وَلهُ مَعَ هَذَا يَا عُثْمَان مِنْ الأَجْر، كَمَنْ حَجَّ وَتُقُبِّلَتْ حَجَّته، وَاعْتَمَرَ فَتُقُبِّلَتْ عُمْرَته، فَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمه طُبِعَ بِطَابَعِ الشُّهَدَاء»**[3]. وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ مِنْ حَدِيث يَحْيَى بْن حَمَّاد بِهِ مِثْله، وَهُوَ غَرِيب. وَفِيهِ نَكَارَة شَدِيدَة، وَالله أَعْلم. وقوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ ذَكَرُوا فِي سَبَب نُزُولهَا مَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم وَغَيْره، عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ أَنَّ المُشْرِكِينَ بجهلهم دَعَوْا رَسُول الله ﷺ إِلى عِبَادَة آلِهَتهمْ، وَيَعْبُدُوا مَعَهُ إِلهه، فَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:٨٨). وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أَيْ: أَخْلصْ العِبَادَة لله وَحْده، لا شَرِيك لهُ، أنت ومن معك، أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَك وَصَدَّقَك.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

يَقُول تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أَيْ: مَا قَدَرَ المُشْرِكُونَ الله حَقَّ قَدْرِهِ، حِين عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ العَظِيم، الَّذِي لا أَعْظَم مِنْهُ، القَادِر عَلى كُلّ شَيْء، المَالك لكُلِّ شَيْء، وَكُلّ شَيْء تَحْت قَهْرِهِ وَقُدْرَته، قَال مُجَاهِد: نَزَلَتْ فِي قُرَيْش، وَقَال السُّدِّيّ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عظمته. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: لوْ قَدَرُوهُ حَقّ قَدْره مَا كذبوه. وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ هُمْ الكُفَّار الَّذِينَ لمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ الله عَليْهِمْ، فَمَنْ آمَنَ أَنَّ الله عَلى كُلّ شَيّ قَدِير فَقَدْ قَدَرَ الله حَقَّ قَدْرِهِ، وَمَنْ لمْ يُؤْمِن بِذَلكَ فَلمْ يَقْدُر الله حَقّ قَدْره، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث كَثِيرَة مُتَعَلِّقَة بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة، وَالطَّرِيق فِيهَا وَفِي أَمْثَالهَا مَذْهَب السَّلف، وَهُوَ إِمْرَارهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْر تَكْيِيف وَلا تَحْرِيف. قَال البُخَارِيّ: قَوْله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ حَدَّثَنَا آدَم حَدَّثَنَا شيبان عَنْ مَنْصُور عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ عُبَيْدَة عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﷺ قَال: جَاءَ حَبْر مِنْ الأَحْبَار إِلى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا مُحَمَّد، إِنَّا نَجِد أَنَّ الله ﷻ يَجْعَل السَّمَاوَات عَلى أُصْبُع، وَالأَرَضِينَ عَلى أُصْبُع، وَالشَّجَر

---

(١) في (ط): [مرار] والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٥).
(٢) في (ط): [أولهن] والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٥).
(٣) ضعيف: فيه الأغلب بن تميم وهو ضعيف.

عَلى أُصْبُع، وَالمَاء وَالثَّرَى عَلى أُصْبُع وَسَائِر الخلائق عَلى أُصْبُع، فيَقُول: أَنَا المَلك، فَضَحِكَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذه تَصْدِيقًا لقَوْل الحَبْر، ثُمَّ قَرَأَ رَسُول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] الآيَة. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ أَيْضًا فِي غَيْر هَذَا المَوْضِع مِنْ صَحِيحه، وَالإِمَام أَحْمَد وَمُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير مِنْ سُنَنَيْهِمَا؛ كُلّهمْ مِنْ حَدِيث سُلَيْمَان بْن مِهْرَان الأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ عُبَيْدَة عَنْ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه بِنَحْوِهِ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ عَلقَمَة عَنْ عَبْد الله رضي الله عنه قَال: جَاءَ رَجُل إِلى النَّبِيّ ﷺ مِنْ أَهْل الكِتَاب فقَال: يَا أَبَا القَاسِم أَبلغَك أَنَّ الله يَحْمِل الخَلائِق عَلى أُصْبُع، وَالسَّمَاوَات عَلى أُصْبُع، وَالأَرَضِينَ عَلى أُصْبُع، وَالشَّجر عَلى أُصْبُع، وَالثَّرَى عَلى أُصْبُع؟ قَال: فَضَحِكَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذه، قَال: وَأَنْزَل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ إِلى آخِر الآيَة. وَهَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق عَنْ الأَعْمَش بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن حَسَن الأَشْقَر حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَة عَنْ عَطَاء عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: مَرَّ يَهُودِيّ بِرَسُول الله ﷺ وَهُوَ جَالس فقَال: كَيْفَ تَقُول يَا أَبَا القَاسِم يَوْم يَجْعَل الله السَّمَاء عَلى ذِهْ -وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ- وَالأَرْض عَلى ذِهْ، وَالجِبَال عَلى ذِهْ، وَسَائِر الخَلق عَلى ذِهْ؟-كُلُّ ذَلكَ يُشِير بأصبعه- قَال: فَأَنْزَل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[2] الآيَة. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي التَّفْسِير عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الدَّارِمِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن الصَّلت أَبِي جَعْفَر عَنْ أَبِي كُدَيْنَة يَحْيَى بْن المُهَلَّب عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلم بْن صُبَيْح بِهِ، وَقَال: حسن صَحِيح غرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. ثُمَّ قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا سَعِيد بْن عُفَيْر حَدَّثَنَا اللَّيْث حدثني عَبْد الرَّحْمَن بْن خَالد بْن مُسَافِر عَنْ ابْن شِهَاب عَنْ أَبِي سَلمَة بْن عَبْد الرَّحْمَن أَنَّ أَبَا هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**يَقْبِض الله تَعَالى الأَرْض، وَيَطْوِي السَّمَاء بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا المَلك أَيْنَ مُلُوك الأَرْض؟**»[3]. تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ وَجْه آخر. وَقَال البُخَارِيّ فِي مَوْضِع آخَر: حَدَّثَنَا مُقَدَّم بْن مُحَمَّد حَدَّثَنَا عَمِّي القَاسِم بْن يَحْيَى عَنْ عُبَيْد الله عَنْ نَافِع عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ الله يَقْبِض يَوْم القِيَامَة الأَرَضِينَ على أُصْبُع، وَتَكُون السَّمَاوَات بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا المَلك**»[4]. تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الوَجْه، وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ وَجْه آخر.

وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد مِنْ طَرِيق أُخْرَى بِلفْظٍ آخر أَبْسَط مِنْ هَذَا السِّيَاق وَأَطْوَل، فَقَال: حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة أَخْبَرَنَا إِسْحَاق بْن عَبْد الله بْن أَبِي طَلحَة عَنْ عُبَيْد الله بْن مِقْسَم عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما: أَن رَسُول الله ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة ذَات يَوْم عَلى المِنْبَر ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَرَسُول الله ﷺ يَقُول هَكَذَا بِيَدِهِ، يُحَرِّكهَا يُقْبِل بِهَا وَيُدْبِر: «**يُمَجِّد الرَّبّ نَفْسه: أَنَا الجَبَّار، أَنَا المُتَكَبِّر، أَنَا المَلك، أَنَا العَزِيز، أَنَا الكَرِيم**». فَرَجَفَ بِرَسُول الله ﷺ المِنْبَر حَتَّى قُلنَا: ليَخِرَّنَّ بِهِ». وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث عَبْد العَزِيز بْن أَبِي حَازِم، زَادَ مُسْلم: وَيَعْقُوب بْن عَبْد الرَّحْمَن؛ كِلاهُمَا عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ عُبَيْد الله بْن مِقْسَم عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما بِهِ نَحْوه.

وَلفْظ مُسْلم عَنْ عُبَيْد الله بْن مِقْسَم فِي هَذَا الحَدِيث أَنَّهُ نَظَرَ إِلى عَبْد الله بْن عُمَر رضي الله عنهما كَيْفَ يَحْكِي

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٣٢٤٠)، وأحمد (١/ ٢٥١).
(٣) **صحيح** : تقـدم.
(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

النَّبِيّ ﷺ قَال: «يَأْخُذ الله سَمَاوَاته، وأرضه بِيَدِهِ، وَيَقُول: أَنَا الْمَلك، وَيَقْبِض أَصَابِعه وَيَبْسُطهَا: أَنَا الْمَلك» حَتَّى نَظَرْت إِلَى الْمِنْبَر يَتَحَرَّك مِنْ أَسْفَل شَيْء مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَقُول: أَسَاقِط هُوَ بِرَسُول الله ﷺ ؟ وَقَال الْبَزَّار: حَدَّثنَا سُلَيْمَان بْن سَيْف حَدَّثنَا أَبُو عَلِيّ الْحَنَفِي حَدَّثنَا عِبَاد الْمِنْقَرِيّ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن الْمُنْكَدِر قَال: حَدَّثنَا عَبْد الله ابْن عُمَر رضي الله عنهما: أن رَسُول الله ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة عَلَى الْمِنْبَر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فَقَال الْمِنْبَر هَكَذَا، فَجَاءَ وَذَهَبَ ثَلاث مَرَّات. وَرَوَاهُ الإِمَام الْحَافِظ أَبُو الْقَاسِم الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث عُبَيْد بْن عُمَيْر عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما، وَقَال: صَحِيح.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ فِي الْمُعْجَم الْكَبِير: حَدَّثنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مُعَاوِيَة الْعُتْبِيّ حَدَّثنَا حيان بْن نَافِع بن صَخْر بْن جُوَيْرِيَة حَدَّثنَا سَعِيد بْن سَالِم الْقَدَّاح عَنْ مَعْمَر بْن الْحَسَن عَنْ بَكْر بْن خُنَيْس عَنْ أَبِي شَيْبَة عَنْ عَبْد الْمَلِك بْن عُمَيْر عَنْ جَرِير رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابه رضي الله عنهم: «**إِنِّي قَارِئٌ عَلَيْكُمْ آيَات مِنْ آخِر سُورَة الزُّمَر، فَمَنْ بَكَى مِنْكُمْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّة**» فَقَرَأَهَا ﷺ مِنْ عِنْد قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ إِلَى آخِر السُّورَة، فَمِنَّا مَنْ بَكَى، وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَبْكِ، فَقَال الَّذِينَ لَمْ يَبْكُوا: يَا رَسُول الله، لَقَدْ جَهِدْنَا أَنْ نَبْكِيَ، فَلَمْ نَبْكِ؟ فَقَال ﷺ: «**إِنِّي سَأَقْرَؤُهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَبْكِ فَلْيَتَبَاكَ**»[1]. هَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، وَأَغْرَب مِنْهُ مَا رَوَاهُ فِي الْمُعْجَم الْكَبِير أَيْضًا: حَدَّثنَا هَاشِم بْن زَيْد حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي ضَمْضَم بْن زُرْعَة عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد عَنْ أَبِي مَالِك الأَشْعَرِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ الله تَعَالَى يَقُول: ثَلاث خِلال غَيَّبْتُهُنَّ عَنْ عِبَادِي، لَوْ رَآهُنَّ رَجُل مَا عَمِلَ سوءًا أَبَدًا: لَوْ كَشَفْت غِطَائِي فَرَآنِي حَتَّى يستيقن، وَيَعْلَم كَيْفَ أَفْعَل بِخَلْقِي إِذَا أَتَيْتهمْ، وَقَبَضْت السَّمَاوَات بِيَدِي ثُمَّ قَبَضْت الأَرْضِين، ثُمَّ قُلْت: أَنَا الْمَلِك، مَنْ ذَا الَّذِي لَهُ الْمُلْك دُونِي؟ ثم أُرِيتهم الْجَنَّة وَمَا أَعْدَدْت لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلّ خَيْر فَيَسْتَيْقِنُوهَا، وَأُرِيهِمْ النَّار وَمَا أَعْدَدْت لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلّ شَرّ فَيَسْتَيْقِنُوهَا، وَلَكِنْ عَمْدًا غَيَّبْت ذَلِكَ عَنْهُمْ لأَعْلَم كَيْفَ يَعْمَلُونَ، وَقَدْ بَيَّنْته لَهُمْ**»[2]. وَهَذَا إِسْنَاد مُتَقَارِب، وَهِيَ نُسْخَة تُرْوَى بِهَا أَحَادِيث جَمَّة، وَالله أَعْلَم.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَوْل يَوْم الْقِيَامَة، وَمَا يَكُون فِيهِ مِنْ الآيَات الْعَظِيمَة وَالزَّلازِل الْهَائِلَة، فَقَوْله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ﴾، هَذِهِ النَّفْخَة هِيَ الثَّانِيَة، وَهِيَ نَفْخَة الصَّعْق وَهِيَ الَّتِي يَمُوت بِهَا الأَحْيَاء مِنْ أَهْل السَّمَاوَات وَالأَرْض إِلَّا مَنْ شَاءَ الله كَمَا هو مُصَرَّح بِهِ مُفَسَّرًا فِي حَدِيث الصُّور الْمَشْهُور، ثُمَّ يَقْبِض أَرْوَاح الْبَاقِينَ حَتَّى يَكُون آخِر مَنْ يَمُوت مَلَك الْمَوْت، وَيَنْفَرِد الْحَيّ الْقَيُّوم الَّذِي كَانَ أَوَّلًا وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاء، وَيَقُول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ (غافر:١٦)، ثَلاث مَرَّات، ثُمَّ يُجِيب نَفْسه بِنَفْسِهِ، فَيَقُول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَ‌ٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أي: الَّذِي هو واحد، وَقَدْ قهر كُلّ شَيْء، وحكم بِالْفَنَاءِ عَلَى كُلّ شَيْء، ثُمَّ يُحْيِي أَوَّل مَنْ يُحْيِي إِسْرَافِيل، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْفُخ فِي الصُّور أُخْرَى، وَهِيَ النَّفْخَة الثَّالِثَة نَفْخَة الْبَعْث، قَال تعالى:

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٩٨) بسند ضعيف جدًا.

(٢) إسناده ضعيف.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أَيْ: أَحْيَاء بَعْدَمَا كَانُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا، صَارُوا أَحْيَاء يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْوَال يَوْم القِيَامَة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات:١٣-١٤). وَقَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:٥٢)، وَقَال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (الروم:٢٥).

قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ النُّعْمَان بْن سَالم قَال: سَمِعْت يَعْقُوب بْن عَاصِم بْن عُرْوَة بْن مَسْعُود قَال: سَمِعْت رَجُلًا قَال لعَبْدِ الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما: إِنَّك تَقُول: السَّاعَة تَقُوم إِلى كَذَا وَكَذَا؟ قَال: لَقَدْ هَمَمْت أَنْ لا أُحَدِّثَكُمْ شَيْئًا، إِنَّمَا قُلت: سَتَرَوْنَ بَعْد قَلِيل أَمْرًا عَظِيمًا. ثُمَّ قَال عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَال رَسُول الله ﷺ: «يَخْرُج الدَّجَّال فِي أُمَّتِي فَيَمْكُث فِيهِمْ أَرْبَعِينَ، لا أَدْرِي أَرْبَعِين يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ عامًا أَوْ أَرْبَعِينَ شهرًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَة، فَيَبْعَث الله عِيسَى ابْن مَرْيَم كَأَنَّهُ عُرْوَة بْن مَسْعُود الثَّقَفِيّ فَيَظْهَر فَيُهْلكهُ الله، ثُمَّ يَلبَث النَّاس بَعْده سِنِينَ سَبْعًا، لَيْسَ بَيْن اثْنَيْنِ عَدَاوَة، ثُمَّ يُرْسِل الله تَعَالَى رِيحًا بَارِدَة مِنْ قِبَل الشَّام، فَلا يَبْقَى أَحَد فِي قَلبه مِثْقَال ذَرَّة مِنْ إِيمَان إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أن أَحَدهمْ كَانَ فِي كَبِد جَبَل لَدَخَلتْ عَلَيْهِ»، قَال سَمِعْتهَا مِنْ رَسُول الله ﷺ: «وَيَبْقَى شِرَار النَّاس فِي خِفَّة الطَّيْر وَأَحْلام السِّبَاع لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلا يُنْكِرُون مُنْكَرًا، قَال: فَيَتَمَثَّل لهُمْ الشَّيْطَان فَيَقُول: أَلا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَأْمُرهُمْ بالأوثان، فَيَعْبُدُونَهَا، وَهُمْ فِي ذَلك دَارَّةٌ أَرْزَاقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخ فِي الصُّور، فَلا يَسْمَعهُ أَحَد إِلَّا أَصْغَى له، وَأَوَّل مَنْ يَسْمَعهُ رَجُل يَلُوط حَوْضه فَيَصْعَق، ثُمَّ لا يَبْقَى أَحَد إِلَّا صَعِق، ثُمَّ يُرْسِل الله أَوْ يُنْزِل الله عز وجل مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلّ -أَوْ الظِّلّ شَكَّ نُعْمَان- فَتَنْبُت مِنْهُ أَجْسَاد النَّاس ثُمَّ نفخ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَام يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَال: يا أَيهَا النَّاس هَلُمُّوا إِلى رَبِّكُمْ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤)، قَال: «**ثُمَّ يُقَال: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّار**». قَال: «**فَيُقَال: كَمْ؟ فَيُقَال: مِنْ كُلّ أَلف تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَة وَتِسْعِينَ. فَيَوْمَئِذٍ تُبْعَث الوِلدَان شِيبًا، وَيَوْمَئِذٍ يُكْشَف عَنْ سَاق**»[١]. تفرد بِإِخْرَاجِهِ مُسْلم فِي صَحِيحه. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عُمَر بْن حَفْص بْن غِيَاث حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الأَعْمَش قَال سَمِعْت أَبَا صَالح قَال سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة رضي الله عنه يُحَدِّث عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**بَيْن النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**». قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَة أَرْبَعُون يَوْمًا؟ قَال رضي الله عنه أَبَيْت، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَة؟ قَال: أَبَيْت، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَال: أَبَيْت. «**وَيَبْلَى كُلّ شَيْء مِنَ الإِنْسَان إِلاَّ عَجْب ذَنَبه، فِيهِ يُرَكَّب الخَلق**»[٢].

وَقَال أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن مَعِين حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَان حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش عَنْ عُمَر بْن مُحَمَّد عَنْ زَيْد ابْن أَسْلم عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**سَأَلت جِبْرِيل عليه السلام عَنْ هَذِهِ الآيَة** ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: **مَنْ الَّذِينَ لمْ يَشَأْ الله تَعَالى أَنْ يَصْعَقَهُمْ؟ قَال: هُمْ الشُّهَدَاءُ، مقلدون أَسْيَافهمْ حَوْل عَرْشه، تَتَلقَّاهُمْ مَلائِكَة يَوْم القِيَامَة إِلى المَحْشَر بِنَجَائِبَ مِنْ يَاقُوت نِمَارهَا أَليَن مِنْ الحَرِير، مَدُّ خُطَاهَا مَدّ أَبْصَار الرِّجَال، يَسِيرُونَ فِي الجَنَّة يَقُولُونَ عِنْد طُول النُّزْهَة: انْطَلقُوا بِنَا إِلى رَبِّنَا عز وجل لنَنْظُر كَيْفَ يَقْضِي بَيْن خَلقه، يَضْحَك إِليْهِمْ إِلهِي، وَإِذَا ضَحِكَ إِلى عَبْد فِي مَوْطِن فَلا حِسَاب عَليْهِ**»[٣]. رِجَاله كُلّهمْ ثِقَات إِلَّا شَيْخ إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، فَإِنَّهُ غَيْر مَعْرُوف، وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أَيْ: أَضَاءَتْ يَوْم القِيَامَة إِذَا تَجَلَّى الحَقّ تَبَارَكَ وَتَعَالى للخَلائِق لفَصْل

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) ضعيف جدًا: انظر «الضعيفة» (٣٦٨٥).

القَضَاء، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قَال قَتَادَة: كِتَاب الأَعْمَال: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يَشْهَدُونَ عَلى الأُمَم بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوهُمْ رِسَالات الله إِلَيْهِمْ، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أَيْ: الشُّهَدَاء مِنْ المَلائِكَة الحَفَظَة عَلى أَعْمَال العِبَاد مِنْ خَيْر وَشَرّ، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ بِالعَدْل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قَال الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧)، وَقَال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٠). ولهذا قال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أَيْ: مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرّ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ حَال الأَشْقِيَاء الكُفَّار، كَيْفَ يُسَاقُونَ إِلى النَّار؟ وَإِنَّمَا يُسَاقُونَ سَوْقًا عَنِيفًا بِزَجْرٍ وَتَهْدِيد وَوَعِيد، كَمَا قَال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ (الطور:١٣)، أَيْ: يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا دَفْعًا، وَهَذَا وَهُمْ عِطَاش ظِمَاء، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم:٨٥-٨٦)، وَهُمْ فِي تِلْكَ الحَال صُمٌّ وَبُكْمٌ وَعُمْيٌ، مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى وَجْهه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء:٩٧).

وَقَوْله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ أَيْ: بِمُجَرَّدِ وُصُولهمْ إِلَيْهَا فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابهَا سَرِيعًا، لِتُعَجِّل لَهُمْ العُقُوبَة ثُمَّ يَقُول لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنْ الزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ هُمْ غِلاظُ الأَخْلاقِ، شِدَاد القُوَى عَلى وَجْه التَّقْرِيع وَالتَّوْبِيخ وَالتَّنْكِيل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أَيْ: مِنْ جِنْسِكُمْ، تَتَمَكَّنُونَ مِنْ مُخَاطَبَتهمْ وَالأَخْذ عَنْهُمْ، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: يُقِيمُونَ عَلَيْكُمْ الحُجَج، وَالبَرَاهِين عَلى صِحَّة مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أَيْ: وَيُحَذِّرُونَكُمْ مِنْ شَرّ هَذَا اليَوْم، فَيَقُول الكُفَّار لَهُم: ﴿بَلَىٰ﴾ أَيْ: قَدْ جَاءُونَا، وأنذرونا وَأَقَامُوا عَلَيْنَا الحُجَج وَالبَرَاهِين، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أَيْ: وَلكِنْ كَذَّبْنَاهُمْ وَخَالَفْنَاهُمْ لِمَا سَبَقَ لَنَا مِنْ الشِّقْوَة الَّتِي كُنَّا نَسْتَحِقّهَا حَيْثُ عَدَلنَا عَنْ الحَقّ إِلى البَاطِل، كَمَا قَال تعالى مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [أَيْ: رَجَعُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالمَلامَةِ وَالنَّدَامَةِ، ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾][1] (الملك:٨-١١) أَيْ: بُعْدًا لَهُمْ وَخَسَارًا.

وَقَوْله هَهُنَا: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أَيْ: كُلُّ مَنْ رَآهُمْ وَعَلِمَ حَالهُمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ للعَذَابِ؛ وَلهَذَا لَمْ يُسْنِد هَذَا القَوْل إِلى قَائِل مُعَيَّن، بَل أَطْلَقَهُ لِيَدُلّ عَلى أَنَّ الكَوْن شَاهِد عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مستحقون مَا هُمْ فِيهِ بِمَا حَكَمَ العَدْل الخَبِير عَلَيْهِمْ بِهِ، وَلهَذَا قَال جَلَّ وَعَلا: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا، لا خُرُوج لكُمْ مِنْهَا، وَلا زَوَال لكُمْ عَنْهَا ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أَيْ: فَبِئْسَ المَصِير، وَبِئْسَ المَقِيل لكُمْ، بِسَبَبِ تَكَبُّرِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِبَائِكُمْ عَنْ اتِّبَاع الحَقّ، فَهُوَ الَّذِي صَيَّرَكُمْ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَبِئْسَ الحَال وَبِئْسَ المَآل.

---

(١) سقط من الأزهرية.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

وَهَذَا إِخْبَار عَنْ حَال السُّعَدَاء الْمُؤْمِنِينَ حِين يُسَاقُونَ عَلَى النَّجَائِب وَفْدًا إِلَى الجَنَّة ﴿زُمَرًا ۖ﴾ أَيْ جَمَاعَة بَعْد جَمَاعَة: الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الأَبْرَار، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كُلّ طَائِفَة مَعَ مَنْ يُنَاسِبهُمْ: الأَنْبِيَاء مَعَ الأَنْبِيَاء، وَالصِّدِّيقُونَ مَعَ أَشْكَالهمْ، وَالشُّهَدَاء مَعَ أَضْرَابهمْ، وَالعُلَمَاء مَعَ أَقْرَانِهِمْ، وَكُلّ صِنف مَعَ صِنْف، كُلّ زُمْرَة تُنَاسِبُ بَعْضهَا بَعْضًا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أَيْ: وَصَلُوا إِلَى أَبْوَاب الجَنَّة بَعْد مُجَاوَزَة الصِّرَاط حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَة بَيْن الجَنَّة وَالنَّار فَاقْتُصَّ لَهُمْ مَظَالِم كَانَتْ بَيْنهمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُول الجَنَّة، وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيث الصُّور أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى أَبْوَاب الجَنَّة، تَشَاوَرُوا فِيمَنْ يَسْتَأْذِن لَهُمْ بالدخول فَيَقْصِدُونَ آدَم ثُمَّ نُوحًا ثُمَّ إِبْرَاهِيم ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ عِيسَى ثُمَّ مُحَمَّدًا -صلوات الله وسلامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، كَمَا فَعَلُوا فِي [العَرَصَات][1] عِنْد اسْتِشْفَاعهمْ إِلَى الله ﷻ أَنْ يَأْتِي لِفَصْل القَضَاء لِيُظْهِرَ شَرَف مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَائِر البَشَر فِي المَوَاطِن كُلِّهَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلم عَنْ أَنَس ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَنَا أَوَّل شَفِيع فِي الجَنَّة**».[2] وَفِي لَفْظ لِمُسْلِم: «**وَأَنَا أَوَّل مَنْ يَقْرَع بَاب الجَنَّة**». وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم حَدَّثَنَا سُلَيْمَان عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس بْن مَالِك ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**آتِي بَاب الجَنَّة يَوْم القِيَامَة فَأَسْتَفْتِح، فَيَقُول الخَازِن: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُول: مُحَمَّد، قَال: [يقول][3]: بِك أُمِرْت أَنْ لا أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلك**»[4] وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ عَمْرو النَّاقِد وَزُهَيْر بْن حَرْب؛ [كليهما][5] عَنْ أَبِي النَّضْر هَاشِم بْن القَاسِم عَنْ سُلَيْمَان -وَهُوَ ابْن الْمُغِيرَة القَيْسِيّ- عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس ﷺ بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق حَدَّثَنَا مَعْمَر عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَوَّل زُمْرَة تَلِج الجَنَّة صُوَرهمْ عَلَى صُورَة القَمَر لَيْلَة البَدْر، لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا، وَلا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، آنِيَتهمْ وَأَمْشَاطهمْ الذَّهَب وَالفِضَّة، وَمَجَامِرهمْ الأَلُوَّة، وَرَشْحهمْ المِسْك، وَلِكُلّ وَاحِد مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاء اللَّحْم مِنْ الحُسْن، لا اخْتِلاف بَيْنهمْ وَلا تَبَاغُض، قُلُوبهمْ عَلَى قَلْب وَاحِد، يُسَبِّحُونَ الله بُكْرَة وَعَشِيًّا**»[6] رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن مُقَاتِل عَنْ ابْن الْمُبَارَك. وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ مُحَمَّد بْن رَافِع عَنْ عَبْد الرَّزَّاق؛ كليهما عَنْ مَعْمَر بِإِسْنَادِهِ نَحْوه، وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو الزِّنَاد عَنْ الأَعْرَج عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ .

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَة حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ عُمَارَة بْن القَعْقَاع عَنْ أَبِي زُرْعَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَوَّل زُمْرَة يَدْخُلُونَ الجَنَّة عَلَى صُورَة القَمَر لَيْلَة البَدْر، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى ضَوْء**

---

(١) في الأزهرية: [الصرفات].
(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٩٦).
(٣) في (ط): [فيقول] والتصويب من المسند (٣/ ١٣٦).
(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٩٧).
(٥) في «نسخة»: [كلاهما] وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.
(٦) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٥٨٣٤).

أَشَدُّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، أَخْلاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ». وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَرِيرٍ. وَقَالَ الزُّهْرِيّ عَنْ سَعِيد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ، هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ». فَقَامَ عُكَّاشَة بْن مِحْصَن فَقَالَ: يَا رَسُول الله، ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ ﷺ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1]. أَخْرَجَاهُ وَقَدْ رَوَى هَذَا الحَدِيث -فِي السَّبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب- البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ وَجَابِر بْن عَبْد الله وَعِمْرَان بْن حُصَيْن وَابْن مَسْعُود وَرِفَاعَة بْن عَرَابَة الجُهَنِيّ وَأُمّ قَيْس بِنْت مِحْصَن ﷺ، وَلَهُمَا عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ سَهْل بْن سَعْد ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ، مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الجَنَّةَ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ».

وَقَالَ أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد قَالَ: سَمِعْت أَبَا أُمَامَة البَاهِلِيّ ﷺ يَقُول: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «وَعَدَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سبعون أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَلا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلا عَذَابَ، وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي ﷻ»[1]. وَكَذَا رَوَاهُ الوَلِيد بْن مُسْلِم عَنْ صَفْوَان بْن عَمْرو عَنْ سليم بْن عَامِر عَنْ أَبِي اليَمَان عَامِر بْن عَبْد الله بْن لُحَيّ عَنْ أَبِي أُمَامَة، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ عَنْ عتبة بْن عَبْدٍ السُّلَمِيّ: «ثُمَّ يشفع كُلُّ أَلْفٍ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا». ورُوِي مِثْله عَنْ ثَوْبَان وَأَبِي سَعِيد الأَنْمَارِيّ، وَلَهُ شَوَاهِد مِنْ وُجُوه كَثِيرَة.

وَقَوْله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ لَمْ يُذْكَرْ الجَوَاب هَهُنَا، وَتَقْدِيره: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَكَانَتْ هَذِهِ الأُمُور مِنْ فَتْح الأَبْوَاب لَهُمْ إِكْرَامًا، وَتَعْظِيمًا، وَتَلَقَّتْهُمْ المَلائِكَة الخَزَنَة بِالبِشَارَةِ وَالسَّلام وَالثَّنَاء، لا كَمَا تَلَقَّى الزَّبَانِيَةُ الكَفَرَةَ بِالتَّثْرِيبِ وَالتَّأْنِيب. فَتَقْدِيره: إِذَا كَانَ هَذَا سَعِدُوا وَطَابُوا، وَسُرُّوا وَفَرِحُوا بِقَدْرِ كُلّ مَا يَكُون لَهُمْ فِيهِ نَعِيم، وَإِذَا حُذِفَ الجَوَاب هَهُنَا ذَهَبَ الذِّهْن كُلّ مَذْهَب فِي الرَّجَاء وَالأَمَل، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الوَاو فِي قَوْله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وَاو الثَّمَانِيَة، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبْوَاب الجَنَّة ثَمَانِيَة، فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَة، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْع. وَإِنَّمَا يُسْتَفَاد كَوْنُ أَبْوَاب الجَنَّة ثَمَانِيَة مِنْ الأَحَادِيث الصَّحِيحَة.

قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ حُمَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ الله دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ». فَقَالَ أَبُو بَكْر ﷺ: يَا رَسُول الله مَا عَلَى أَحَد مِنْ ضَرُورَة دُعِيَ، مِنْ أَيِّهَا دُعِيَ، فَهَل يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُول الله؟ قَالَ ﷺ:

(١) صحيح: تقـدم.

«نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُون مِنْهُمْ»[١]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلم مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِنَحْوِهِ. وَفِيهِمَا مِنْ حَدِيث أَبِي حَازِم سَلمَة بْن دِينَار عَنْ سَهْل بْن سَعْد ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ فِي الجنَّة ثَمَانِيَة أَبْوَاب، بَاب مِنْهَا يُسمَّى الرَّيَّان، لا يَدْخُلُهُ إِلا الصَّائِمُونَ»**[٢]. وَفِي صَحِيح مُسْلم عَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد يَتَوَضَّأ فَيُبْلغ -أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوء- ثُمَّ يَقُول: أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله إِلا فُتِحَتْ لهُ أَبْوَابُ الجنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»**[٣]. وَقَال الحَسَن بْن عَرَفَة: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي حُسَيْن عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب عَنْ مُعَاذ ﷺ قَال: قَال لِي رَسُول الله ﷺ: **«مِفْتَاح الجنَّة لا إِله إِلا الله»**.[٤]

ذِكْر سَعَة أَبْوَاب الجنَّة -نَسْأَل الله العَظِيم مِنْ فَضْله أَنْ يَجْعَلنَا مِنْ أَهْلهَا-: فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث أَبِي زُرْعَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ فِي حَدِيث الشَّفَاعَة الطَّوِيل: **«فَيَقُول الله: يَا مُحَمَّد أَدْخِل مَنْ لا حِسَاب عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتك مِنْ البَاب الأَيْمَن، وَهُمْ شُرَكَاء النَّاس فِي الأَبْوَاب الأُخَر. وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْن المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيع الجنَّة -مَا بَيْن عِضَادَتِي البَاب- لكَمَا بَيْن مَكَّة وَهَجَرَ -أَوْ: هَجَرَ وَمَكَّة»**. وَفِي رِوَايَة: **«مَكَّة وَبُصْرَى»**[٣]. وَفِي صَحِيح مُسْلم[٥]، عَنْ عُتْبَة بْن غَزْوَان أَنَّهُ خَطَبَهُمْ خُطْبَة فَقَال فِيهَا: وَلقَدْ ذُكِرَ لنَا أَنَّ مَا بَيْن مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيع الجَنَّة مَسِيرَة أَرْبَعِينَ سَنَة، وَليَأْتِيَن عَليْهِ يَوْم وَهُوَ كَظِيظ مِنْ الزِّحَام. وَفِي المُسْنَد عَنْ حَكِيم بْن مُعَاوِيَة عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ مِثْله، وَقَال عَبْد بْن حُمَيْد: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُوسَى حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة حَدَّثَنَا دَرَّاج عَنْ أَبِي الهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ مَا بَيْن مِصْرَاعَيْنِ فِي الجنَّة مَسِيرَة أَرْبَعِينَ سَنَة»**.[٦]

وَقَوْله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أَيْ: طَابَتْ أَعْمَالكُمْ وَأَقْوَالكُمْ فطاب سَعْيكُمْ وَطَابَ جَزَاؤُكُمْ، كَمَا أَمَرَ رَسُول الله ﷺ أَنْ يُنَادَى بَيْن المُسْلِمِينَ فِي بَعْض الغَزَوَات: **«إِنَّ الجنَّة لا يَدْخُلهَا إِلا نَفْس مُسْلمَة»**. وَفِي رِوَايَة: **«مُؤْمِنَة»**. وَقَوْله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أَيْ: يَقُول المُؤْمِنُونَ إِذَا عَايَنُوا فِي الجَنَّة ذَلكَ الثَّوَاب الوَافِر، وَالعَطَاء العَظِيم وَالنَّعِيم المُقِيم، وَالمُلك الكَبِير، يَقُولُونَ عِنْد ذَلكَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أَيْ: الَّذِي كَانَ وَعَدَنَا عَلى أَلسِنَة رُسُله الكِرَام، كَمَا دَعَوْا فِي الدُّنْيَا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (آل عمران:١٩٤)، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأعراف:٤٣). ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (١٨٢٧)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٩).
(٣) **صحيح** : تقدم.
(٤) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٢) بسند ضعيف، شهر بن حوشب ضعيف، وبينه وبين معاذ انقطاع، وإسماعيل بن عياش روايته عن غير أهل بلده ضعيفة، وهذا منها.
(٥) رواه مسلم (٢٩٦٧).
(٦) إسناده **ضعيف** : لكن يشهد له الحديث السابق.

ﵟالَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌﵞ (فاطر:٣٤-٣٥). وَقَوْلهمْ: ﵟوَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَﵞ (الزمر:٧٤). قَال أَبُو العَالِيَة وَأَبُو صَالح وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد: أَيْ أَرْض الجَنَّة. وهذه الآيَة كَقَوْلِهِ: ﵟوَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَﵞ (الأنبياء:١٠٥)، وَلِهَذَا قَالُوا: ﵟنَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُﵞ أَيْ: أَيْنَ شِئْنَا حَللنَا، فَنِعْمَ الأَجْر أَجْرُنَا عَلى عَمَلنَا!

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ عَنْ أَنَس ﵁ فِي قِصَّة المِعْرَاج قَال النَّبِيّ ﷺ: «**أُدْخِلت الجَنَّة فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذ اللُّؤْلُؤ، وَإِذَا تُرَابها المِسْك**»[1]. وَقَال عَبْد بْن حُمَيْد: حَدَّثَنَا رَوْح بْن عُبَادَة حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة حدثنا الجُرَيْرِيّ عَنْ أَبِي نَضْرَة عَنْ أَبِي سَعِيد ﵁: أن رَسُول الله ﷺ سَأَل ابْن صَائِد عَنْ تُرْبَة الجَنَّة، فَقَال: دَرْمَكَة بَيْضَاء مِسْك خَالص فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**صَدَقَ**»[2]. وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث أَبِي سَلمَة عَنْ أَبِي نَضْرَة عَنْ أَبِي سَعِيد ﵁ بِهِ، وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أبي شَيْبَة عَنْ أَبِي أُسَامَة عَنْ الجُرَيْرِيّ عَنْ أَبِي نَضْرَة عَنْ أَبِي سَعِيد ﵁: آن ابْن صَائِد سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ تُرْبَة الجَنَّة، فَقَال: «**دَرْمَكَة بَيْضَاء مِسْك خَالص**».

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان مَالك بْن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ عَاصِم بْن ضَمْرَة عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﵁ فِي قَوْله تعالى: ﵟوَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًاﵞ، قَال: سِيقُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلى بَاب مِنْ أَبْوَاب الجَنَّة، فَوَجَدُوا عِنْدَهَا شَجَرَة يَخْرُج مِنْ تَحت سَاقِهَا عَيْنَانِ، فَعَمَدُوا إِلى إِحْدَاهُمَا فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا، فَجَرَتْ عَليْهِمْ نَضْرَة النَّعِيم، فَلمْ تُغَيَّرْ أَبْشَارَهُمْ بَعْدهَا أَبَدًا، وَلمْ تَشْعَثْ أَشْعَارهمْ أَبَدًا بَعْدهَا، كَأَنَّمَا دَهَنُوا بِالدِّهَانِ، ثُمَّ عَمَدُوا إِلى الأُخْرَى كَأَنَّمَا أُمِرُوا بِهَا، فَشَرِبُوا مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ فِي بُطُونهمْ مِنْ أَذًى أَوْ قَذًى، وَتَلقَّتْهُمْ المَلائِكَة عَلى أَبْوَاب الجَنَّة: ﵟسَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَﵞ. ويلقى كُلّ غِلمَان صَاحِبهمْ يَطُوفُونَ بِهِ، فِعْل الوِلدَان بِالحَمِيم جَاءَ مِنْ الغَيْبَة: أَبْشِرْ، قَدْ أَعَدَّ الله لك مِنْ الكَرَامَة كَذَا وَكَذَا، قَدْ أَعَدَّ الله لك مِنْ الكَرَامَة كَذَا وَكَذَا، قَال: وَيَنْطَلق غُلام مِنْ غِلمَانه إِلى أَزْوَاجه مِنْ الحُور العِين، فَيَقُول: هَذَا فُلان -بِاسْمِهِ فِي الدُّنْيَا- فَيَقُلنَ: أَنْتَ رَأَيْته؟ فَيَقُول: نَعَمْ. فَيَسْتَخِفّهُنَّ الفَرَح حَتَّى تَخْرُج إِلى أُسْكُفَّة البَاب. قَال: فَيَجِيء فَإِذَا هُوَ بِنَمَارِق مَصْفُوفَة، وَأَكْوَاب مَوْضُوعَة، وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَة، قَال: ثُمَّ يَنْظُر إِلى تَأْسِيس بُنْيَانه، فَإِذَا هُوَ قَدْ أُسِّسَ عَلى جَنْدَل اللُّؤْلُؤ بَيْن أَحْمَر وَأَخْضَر وَأَصْفَر وَمِنْ كُلّ لوْن، ثُمَّ يَرْفَع طَرْفه إِلى سَقْفه، فَلوْلا أَنَّ الله قَدَّرَهُ لهُ لألَمَّ أن يذهب بِبَصَرِهِ، إِنَّهُ لمِثْل البَرْق ثُمَّ يَنْظُر إِلى أَزْوَاجه مِنْ الحُور العِين، ثُمَّ يَتَّكِئ عَلى أَرِيكَة من أرائكه، ثُمَّ يَقُول: ﵟالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُﵞ الآية (الأعراف:٤٣).

ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان مَالك بْن إِسْمَاعِيل النَّهْدِيّ حَدَّثَنَا مَسْلمَة بْن جَعْفَر البَجَليّ قَال: سَمِعْت أَبَا مُعَاذ البَصْرِيّ يَقُول: إِنَّ عَليًّا ﵁ كَانَ ذَات يَوْم عِنْد رَسُول الله ﷺ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورهمْ يُسْتَقْبَلُونَ -أَوْ: يُؤْتَوْنَ- بِنُوقٍ لهَا أَجْنِحَة، وَعَليْهَا رِحَال الذَّهَب، شِرَاك نِعَالهمْ نُور يَتَلأْلأُ كُلّ خُطْوَة مِنْهَا مَدّ البَصَر، فَيَنْتَهُونَ إِلى شَجَرَة يَنْبُع مِنْ أَصْلهَا عَيْنَانِ، فَيَشْرَبُونَ مِنْ إِحْدَاهُمَا فَيُغسل**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٢٨).

مَا فِي بُطُونهمْ مِنْ دَنَس، وَيَغْتَسِلُونَ مِنَ الأُخْرَى فَلا تَشْعَث أَبْشَارُهُمْ، وَلا أَشْعَارهمْ بَعْدهَا أَبدًا، وَتَجْرِي عَلَيْهِمْ نَضْرَة النَّعِيم فَيَنْتَهُونَ -أَوْ: فَيَأْتُونَ- بَاب الجنَّة، فَإِذَا حَلقَة مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء عَلى صَفَائِح الذَّهَب، فَيَضْرِبُونَ بِالحلقَةِ عَلى الصَّفِيحَة فَيُسْمَع لهَا طَنِين يَا عَليّ، فَيَبْلُغ كُلّ حَوْرَاء أَنَّ زَوْجهَا قَدْ أَقْبَل، فَتَبْعَث قَيِّمَهَا فَيَفْتَح لهُ، فَإِذَا رَآهُ خَرَّ لهُ -قَال: مَسْلمَة أُرَاهُ قَال: سَاجِدًا- فَيَقُول: ارْفَعْ رَأسَك، فَإِنَّمَا أَنَا قَيِّمُك، وُكِّلت بِأَمْرِك فَيَتْبَعهُ وَيَقْفُو أَثَره، فَتَسْتَخِفّ الحوْرَاء العَجِلَةُ، فَتَخْرُج مِنْ خِيَام الدُّرّ وَاليَاقُوت حَتَّى تَعْتَنِقَهُ، ثُمَّ تَقُول: أَنْتَ حِبِّي وَأَنَا حِبُّك، وَأَنَا الخَالدَة الَّتِي لا أَمُوت، وَأَنَا النَّاعِمَة الَّتِي لا أَبْأَس، وَأَنَا الرَّاضِيَة الَّتِي لا أَسْخَط، وَأَنَا المُقِيمَة الَّتِي لا أَظْعَن، فَيَدْخُل بَيْتًا مِنْ أُسِّهِ إِلى سقفه مِائَة أَلف ذِرَاع، بِنَاؤُهُ عَلى جَنْدَل اللُّؤْلُؤ، طَرَائِق أَصْفَر وَأَخْضَر وَأَحْمَر، ليْسَ فيها طَرِيقَة تُشَاكِل صَاحِبَتهَا، فِي البَيْت سَبْعُونَ سَرِيرًا، عَلى كُلّ سَرِير سَبْعُونَ حَشِيَّة، عَلى كُلّ حَشِيَّة سَبْعُونَ زَوْجَة، عَلى كُلّ زَوْجَة سَبْعُونَ حُلَّة، يَرَى مُخّ سَاقِهَا مِنْ بَاطِن الحُلل، يَقْضِي جِمَاعهَا فِي مِقْدَار ليْلة مِنْ ليَاليكُمْ هَذِهِ، الأَنْهَار مِنْ تَحْتهمْ تَطَّرِد؛ أَنْهَار مِنْ مَاء غَيْر آسِن -قَال: صَافٍ لا كَدَر فِيهِ-، وَأَنْهَار مِنْ لبَن لمْ يَتَغَيَّر طَعْمُهُ -قَال: لمْ يَخْرُج مِنْ ضُرُوع المَاشِيَة-، وَأَنْهَار مِنْ خَمْر لذَّة للشَّارِبِينَ -قَال: لمْ تَعْصِرهَا الرِّجَال بِأَقْدَامِهِمْ- وَأَنْهَار مِنْ عَسَل مُصَفًّى -قَال: لمْ يَخْرُج مِنْ بُطُون النَّحْل- يَسْتَجْنِي الثِّمَار، فَإِنْ شَاءَ قَائِمًا، وَإِنْ شَاءَ قَاعِدًا، وَإِنْ شَاءَ مُتَّكِئًا-، ثُمَّ تَلا: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الإنسان:١٤)، -فَيَشْتَهِي الطَّعَام فَيَأْتِيه طَيْر أَبْيَض -قَال: وَرُبَّمَا قَال: أَخْضَر قَال:- فَتَرْفَع أَجْنِحَتهَا فَيَأْكُل مِنْ جُنُوبهَا أَيّ الأَلوَان شَاءَ ثُمَّ يَطِير فَيَذْهَب فَيَدْخُل المَلك فَيَقُول: سَلام عَليْكُمْ، ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وَلوْ أَنَّ شَعْرَة مِنْ شَعْر الحوْرَاء وَقَعَتْ فِي الأَرْض، لأَضَاءَتْ الشَّمْس معها سَوَادًا فِي نُور»[1]. هَذَا حَدِيث غَرِيب، وَكَأَنَّهُ مُرْسَل، وَالله أَعْلم.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالى حُكْمه فِي أَهْل الجَنَّة وَالنَّار، وَأَنَّهُ نزل كُلًّا فِي المَحَلّ الَّذِي يَليق بِهِ وَيَصْلُح لهُ، وَهُوَ العَادِل فِي ذَلكَ الَّذِي لا يَجُور -أَخْبَرَ عَنْ مَلائِكَته أَنَّهُمْ مُحْدِقُونَ مِنْ حَوْل العَرْش المَجِيد، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبّهمْ، وَيُمَجِّدُونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ وَيُقَدِّسُونَهُ، وَيُنَزِّهُونَهُ عَنْ النَّقَائِص وَالجَوْر، وَقَدْ فَصَل القَضِيَّة، وَقَضَى الأَمْر، وَحَكَمَ بِالعَدْل؛ وَلهَذَا قَال ﷻ: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ أَيْ: بَيْن الخَلائِق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: ونَطقَ الكَوْن أَجْمَعهُ -نَاطِقه وَبَهِيمه- لله رَبّ العَالمِينَ، بِالحَمْدِ فِي حُكْمه وَعَدْله؛ وَلهَذَا لمْ يُسْنِد القَوْل إِلى قَائِل، بَل أَطْلقَهُ، فَدَلَّ عَلى أَنَّ جَمِيع المَخْلُوقَات شَهِدَتْ لهُ بِالحَمْدِ. قَال قَتَادَة: افْتَتَحَ الخَلق بِالحَمْدِ فِي قَوْله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (الأنعام:١)، وَاخْتَتَمَ بِالحَمْدِ فِي قَوْله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة الزمر، ولله الحَمْدُ

---

(١) ضعيف : تقدم.

قَدْ كَرِهَ بَعْض السَّلف، مِنْهُمْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ أَنْ يُقَال: «الحَوَامِيم»، وَإِنَّمَا يُقَال: «آلُ حم». قَال عَبْد الله ابْن مَسْعُود ﷺ: آلُ حم دِيبَاج القُرْآن. وَقَال ابْن عَبَّاس ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَلُبَاب القُرْآن آلُ حم، أَوْ قَال الحَوَامِيم.

وَقَال مِسْعَر بْن كِدَام: كَانَ يُقَال لَهُنَّ: العَرَائِس. رَوَى ذَلِكَ كُلّه الإِمَام العَلَم أَبُو عُبَيْد القَاسِم بْن سَلَّام رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَاب: فَضَائِل القُرْآن.

وَقَال حُمَيْد بْن زَنْجُوَيْهِ: حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ أَبِي الأَحْوَص عَنْ عَبْد الله ﷺ قَال: إِنَّ مَثَل القُرْآن كَمَثَل رَجُل انْطَلَقَ يَرْتَاد لأَهْلِهِ مَنْزِلًا، فَمَرَّ بِأَثَرِ غَيْث، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِير فِيهِ، وَيَتَعَجَّب إِذْ هَبَطَ عَلَى رَوْضَات دَمِثَات، فَقَال: عَجِبْت مِنَ الغَيْث الأَوَّل فَهَذَا أَعْجَب وَأَعْجَب، فَقِيل لَهُ: إِنَّ مَثَل الغَيْث الأَوَّل مَثَل عِظَم القُرْآن، وَإِنَّ مَثَل هَؤُلاءِ الرَّوْضَات الدَّمِثَات مَثَل آل حم فِي القُرْآن. أَوْرَدَهُ البَغَوِيّ.

وَقَال ابْن لَهِيعَة عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب: إن الجَرَّاح بْن أَبِي الجَرَّاح حَدَّثَهُ عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ قَال: لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَاب وَلُبَاب القُرْآن الحَوَامِيم. وَقَال ابْن مَسْعُود ﷺ: إِذَا وَقَعْتُ فِي آل حم فَقَدْ وَقَعْتُ فِي رَوْضَات أَتَأَنَّق فِيهِنَّ.

وَقَال أَبُو عُبَيْد: حدثنا الأَشْجَعِيّ حَدَّثَنَا مِسْعَر -هُوَ ابْن كِدَام- عَمَّنْ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا رَأَى أَبَا الدَّرْدَاء ﷺ يَبْنِي مَسْجِدًا، فَقَال لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَال: أَبْنِيهِ مِنْ أَجْل آل حم.

وَقَدْ يَكُون هَذَا المَسْجِد الَّذِي بَنَاهُ أَبُو الدَّرْدَاء ﷺ هُوَ المَسْجِد المَنْسُوب إِلَيْهِ دَاخِل قَلْعَة دِمَشْق، وَقَدْ يَكُون صِيَانَتهَا وَحِفْظهَا بِبَرَكَتِهِ وَبَرَكَة مَا وُضِعَ لَهُ، فَإِنَّ هَذَا الكَلام يَدُلّ عَلى النَّصر عَلى الأَعْدَاء، كَمَا قَال رَسُول الله ﷺ لأَصْحَابِهِ فِي بَعْض الغَزَوَات: «**إِنْ بُيِّتُّمْ اللَّيْلَة فَقُولُوا: حم لا يُنْصَرُونَ**». وَفِي رِوَايَة: «**لا تُنْصَرُونَ**».

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن الحَكَم بْن ظَبْيَان بْن خَلف المَازِنِيّ وَمُحَمَّد بْن اللَّيْث الهَمْدَانِيّ قَالا: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن مَسْعُود حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر المُلَيْكِيّ عَنْ زُرَارَة بْن مُصْعَب عَنْ أَبِي سَلَمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَة الكُرْسِيّ وَأَوَّل حم المُؤْمِن، عُصِمَ ذَلِكَ اليَوْم مِنْ كُلّ سُوء**»[1]. ثُمَّ قَال: لا نَعْلَمهُ يُرْوَى إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَاد. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث المُلَيْكِيّ، وَقَال: تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْض أَهْل العِلم مِنْ قِبَل حِفْظه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

أما الكلام على الحروف المقطعة، فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا. وقد قيل: إِنَّ ﴿حمٓ﴾ اسْم مِنْ أَسْمَاء الله ﷻ وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ بَيْتًا:

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ وَالرمحُ شَاجِرٌ ۞ فَهَلاَّ تَلا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ، مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ المُهَلَّب بْن أَبِي

(١) ضعيف: تقدم.

صُفْرَة قَال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنْ بُيِّتُّمْ اللَّيْلة فَقُولُوا: حم لا يُنصَرُون**»[1] وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح. وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْد أَنْ يُرْوَى: «فَقُولُوا حم، لا يُنْصَرُوا» أَيْ: إِنْ قُلتُمْ ذَلكَ لا يُنْصَرُوا، جَعَلهُ جَزَاء لقَوْلِهِ: فَقُولُوا. وقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أَيْ: تَنْزِيل هَذَا الكِتَاب وَهُوَ القُرْآن مِنْ الله ذِي العِزَّة وَالعِلم فَلا يُرَام جَنَابه، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ الذَّرّ، وَإِنْ تَكَاثَفَ حِجَابه. وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ أَيْ: يَغْفِر مَا سَلفَ مِنْ الذَّنْب وَيَقْبَل التَّوْبَة فِي المُسْتَقْبَل لِمَنْ تَابَ إِليْهِ وَخَضَعَ لدَيْه.

وَقَوْله: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ أَيْ: لِمَنْ تَمَرَّدَ وَطَغَى وَآثَرَ الحَيَاة الدُّنْيَا، وَعَتَا عَنْ أَوَامِر الله وَبَغَى، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ (الحجر:٤٩-٥٠)، يَقْرُن هَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ كَثِيرًا فِي مَوَاضِع مُتَعَدِّدَة مِنْ القُرْآن؛ لِيَبْقَى العَبْد بَيْن الرَّجَاء وَالخَوْف.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما يَعْنِي: السَّعَة وَالغِنَى. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة. وَقَال يَزِيد بْن الأَصَمّ: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ يَعْنِي: الخَيْر الكَثِير. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذِي المَنِّ. وَقَال قَتَادَة: ذِي النِّعَم وَالفَوَاضِل، وَالمَعْنَى أَنَّهُ المُتَفَضِّل عَلى عِبَاده المُتَطَوِّل عَليْهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ المِنَن وَالإِنْعَام الَّتِي لا يُطِيقُونَ القِيَام بِشُكْرِ وَاحِدَة مِنْهَا، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ الآيَة (إبراهيم:٣٤). وَقَوْله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: لا نَظِير لهُ فِي جَمِيع صِفَاته، فَلا إِله غَيْره وَلا رَبّ سِوَاهُ، ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أَيْ: إليه المَرْجِع وَالمَآب، فَيُجَازِي كُلّ عَامِل بِعَمَلِهِ، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (الرعد:٤١)، وَقَال أَبُو بَكْر بْن عَيَّاش: سَمِعْت أَبَا إِسْحَاق السَّبِيعِيّ يَقُول: جَاءَ رَجُل إِلى عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه فَقَال: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ إِنِّي قَتَلتُ، فَهَل لِي مِنْ تَوْبَة؟ فَقَرَأَ عليه: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾، وَقَال: اعْمَل وَلا تَيْأَس. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِم -وَاللَّفْظ لهُ- وَابْن جَرِير.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حدثنا مُوسَى بْن مَرْوَان الرَّقِّيّ حدثنا عُمَر يَعْنِي: ابْن أَيُّوب أخبرنا جَعْفَر بْن بُرْقَان عَنْ يَزِيد بْن الأَصَمّ قَال: كَانَ رَجُل مِنْ أَهْل الشَّام ذُو بَأْس، وَكَانَ يَفِدُ إِلى عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه، فَفَقَدَهُ عُمَر فَقَال: مَا فَعَل فُلان ابْن فُلان؟ فَقَالُوا: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ يتابع فِي هَذَا الشَّرَاب. قَال: فَدَعَا عُمَر كَاتِبه، فَقَال: اكْتُبْ: مِنْ عُمَر بْن الخَطَّاب إِلى فُلان ابْن فُلان، سَلام عَليْك، فَإِنِّي أَحْمَد إِليْك الله الَّذِي لا إِله إِلَّا هُوَ غَافِر الذَّنْب وَقَابِل التَّوْب، شَدِيد العِقَاب، ذِي الطَّوْل، لا إِله إِلَّا هُوَ إِليْهِ المَصِير. ثُمَّ قَال لأَصْحَابِهِ: ادْعُوا الله لأَخِيكُمْ أَنْ يُقْبِل بِقَلبِهِ وَأَن يَتُوب عَليْهِ، فَلَمَّا بَلغَ الرَّجُل كِتَاب عُمَر رضي الله عنه جَعَل يَقْرَؤُهُ وَيُرَدِّدُهُ، وَيَقُول: غَافِر الذَّنْب وَقَابِل التَّوْب شَدِيد العِقَاب، قَدْ حَذَّرَنِي عُقُوبَته، وَوَعَدَنِي أَنْ يَغْفِر لِي. وَرَوَاهُ الحَافِظ أَبُو نُعَيْم مِنْ حَدِيث جَعْفَر بْن بُرْقَان، وَزَادَ فَلمْ يَزَل يُرَدِّدهَا عَلى نَفْسه ثُمَّ بَكَى ثُمَّ نَزَعَ فَأَحْسَنَ النَّزْع، فَلَمَّا بَلغَ عُمَر خَبَره، قَال: هَكَذَا فَاصْنَعُوا إِذَا رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ زَلَّ زَلَّة فَسَدِّدُوهُ ووفقوه، وَادْعُوا الله لهُ أَنْ يَتُوب عليه، وَلا تَكُونُوا أَعْوَانًا للشَّيْطَانِ عَليْهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عُمَر بْن شَبَّة حدثنا حَمَّاد بْن وَاقِد -أَبُو عُمَر الصَّفَّار- حدثنا ثَابِت البُنَانِيّ قَال: كُنْت مَعَ مُصْعَب بْن الزُّبَيْر رضي الله عنه فِي سَوَاد الكُوفَة فَدَخَلت حَائِطًا أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَافْتَتَحْت حم المُؤْمِن حَتَّى بَلغْت ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فَإِذَا رَجُل خَلفِي عَلى بَغْلة شَهْبَاء عَليْهِ مُقَطَّعَات يَمَنِيَّة، فَقَال: إِذَا قُلت ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ فَقُل: يَا غَافِر الذَّنْب اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَإِذَا قُلتَ: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾، فَقُل: يَا قَابِل التَّوْب اقْبَل تَوْبَتِي، وَإِذَا قُلتَ: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾، فَقُل: يَا شَدِيد العِقَاب لا تُعَاقِبنِي، قَال: فَالتَفَتّ فَلمْ أَرَ أَحَدًا فَخَرَجْت إِلى البَاب،

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٢٥٩٧)، والترمذي (٢٦٨٢)، وأحمد (٤/ ٦٥).

فَقُلت: مَرَّ بِكُمْ رَجُل عَلَيْهِ مُقَطَّعَات يَمَنِيَّة؟ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا أَحَدًا، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ إِلْيَاس.(١) ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ طَرِيق أُخْرَى، عَنْ ثَابِت، بِنَحْوِهِ. وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْر إِلْيَاس.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

يَقُول تَعَالَى: مَا يَدْفَع الحَقّ وَيُجَادِل فِيهِ بَعْد البَيَان وَظُهُور البُرْهَان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أَيْ: الجَاحِدُونَ لآيَاتِ الله وَحُجَجه وَبَرَاهِينه، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أَيْ: فِي أموالهم وَنَعِيمهَا وَزَهْرَتِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (آل عمران:١٩٦-١٩٧)، وَقَال ﷻ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (لقمان:٢٤). ثُمَّ قَال تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ فِي تَكْذِيب مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمه بِأَنَّ لَهُ أُسْوَة مَنْ سَلفَ مِنْ الأَنْبِيَاء: فَإِنَّهُ قَدْ كذبتهم أُمَمُهُمْ وَخَالَفُوهُمْ، وَمَا آمَنَ بِهِمْ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيل، فَقَال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ وَهُوَ أَوَّل رَسُول بَعَثَهُ الله يَنْهَى عَنْ عِبَادَة الأَوْثَان ﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أَيْ: مِنْ كُلّ أُمَّة، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أَيْ: حَرَصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلّ مُمْكِنٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَل رَسُوله، ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أَيْ: مَا حَلُّوا بِالشُّبْهَةِ لِيَرُدُّوا الحَقّ الوَاضِح الجَلِيّ.

وَقَدْ قَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حدثنا عَلِيّ بْن عَبْد العَزِيز حدثنا عَارِم أَبُو النُّعْمَان حدثنا مُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان قَال: سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث عَنْ حَنَش عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**مَنْ أَعَانَ بَاطِلًا لِيُدْحِضَ بباطله حَقًّا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّة الله وَذِمَّة رَسُوله**»(٢). وَقَوْله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أَيْ: أَهْلَكْتهمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الآثَام وَالذُّنُوب العِظَام، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أَيْ: فَكَيْفَ بَلَغَك عَذَابِي لَهُمْ؟ وَنَكَالِي بِهِمْ، قَدْ كَانَ شَدِيدًا مُوجِعًا مُؤْلِمًا.

قَال قَتَادَة: كَانَ والله شَدِيدًا. وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: كَمَا حَقَّتْ كَلِمَة العَذَاب عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ الأُمَم السَّالِفَة، كَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى المُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوك، وَخَالَفُوك يَا مُحَمَّد بِطَرِيقِ الأَوْلَى، وَالأَحْرَى؛ لأَنَّ مَنْ كَذَّبَك فَلا وُثُوق لَهُ بِتَصْدِيقِ غَيْرك.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ المَلَائِكَة المُقَرَّبِينَ مِنْ حَمَلَة العَرْش الأَرْبَعَة، وَمَنْ حَوْله مِنْ الكَرُوبِيِّينَ، بِأَنَّهُمْ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ: يَقْرُنُونَ بَيْن التَّسْبِيح الدَّالّ عَلَى نَفْي النَّقَائِص، وَالتَّحْمِيد المُقْتَضِي لإِثْبَاتِ صِفَات المَدْح، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أَيْ: خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاء بَيْن يَدَيْهِ، وَأَنَّهُمْ ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أَيْ مِنْ أَهْل الأَرْض مِمَّنْ آمَنَ بِالغَيْبِ فَقَيَّضَ الله سبحانه مَلَائِكَته المُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الغَيْب، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا المَلَائِكَة عَلَيْهِمْ الصَّلَاة وَالسَّلَام كَانُوا يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَاء المُؤْمِن لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْب، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلِم: «**إِذَا دَعَا المُسْلِم**

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) صحيح لشواهده: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢١٥٣٩)، وانظر «الصحيحة» (١٠٢٠)، (١٠٢١).

لأخيه بظهر الغيب؛ قال الملك: آمينَ ولك بمثل»[١]. وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ -هُوَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ- حَدَّثَنَا عبدة بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن رَسُولَ الله ﷺ صَدَّقَ أُمَيَّةَ فِي شَيْءٍ مِنْ شِعْرِه. فَقَالَ:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ۞ وَالنَّسْرُ للأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «صَدَقَ» فقال:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ۞ حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

تَأْبَى فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا ۞ إلاَّ مُعَذَّبَةً وَإلاَّ تُجْلَدُ

فَقَالَ النبي ﷺ: «صَدَقَ».[٢]

وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ: وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانُوا ثَمَانِيَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٧). وَهُنَا سُؤَالٌ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: مَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَفْهُومِ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ، وَدَلالَةِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ حدثنا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَيْرَةَ عَنْ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: **«مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟»**. قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: **«وَالْمُزْنَ»**. قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: **«وَالْعَنَانَ»**. قَالُوا: وَالْعَنَانَ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَلَمْ أُتْقِنْ الْعَنَانَ جَيِّدًا، قَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ بُعْدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟»**. قَالُوا: لا نَدْرِي، قَالَ: **«بُعْدُ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ، أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ -حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ- ثُمَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ، بَيْنَ أَظْلافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ الله فَوْقَ ذَلِكَ»**[٣].

ثُمَّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ بِهِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةٌ، كَمَا قَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةٌ: أَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ. وَأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ. وَلِهَذَا يَقُولُونَ إِذَا اسْتَغْفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أَيْ: إِنَّ رَحْمَتَكَ تَسَعُ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَعِلْمَكَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ أَيْ: فَاصْفَحْ عَنْ الْمُسِيئِينَ إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ، مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أَيْ: وَزَحْزِحْهُمْ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُوجِعُ الأَلِيمُ.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ أَيْ: اجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، لِتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ بِالاجْتِمَاعِ فِي مَنَازِلَ مُتَجَاوِرَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ (الطور:٢١) أَيْ: سَاوَيْنَا بَيْنَ الْكُلِّ فِي الْمَنْزِلَةِ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ، وَمَا نَقَصْنَا الْعَالِيَ حَتَّى يُسَاوِيَ الدَّانِيَ، بَلْ رَفَعْنَا النَّاقِصَ فِي الْعَمَلِ، فَسَاوَيْنَاهُ بِكَثِيرِ الْعَمَلِ تَفَضُّلًا مِنَّا وَمِنَّةً. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبِيهِ وَابْنِهِ وَأَخِيهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا طَبَقَتَكَ فِي الْعَمَلِ. فَيَقُولُ: إِنِّي إِنَّمَا عَمِلْتُ لِي

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٣٢) (٢٧٣٣).
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٥٦).
(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣) بسند ضعيف.

وَلَهُمْ. فَيُلحقُونَ بِهِ فِي الدَّرَجَة، ثُمَّ تَلا سَعِيد بْن جُبَيْر هَذِهِ الآيَة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. قَال مُطَرِّف بْن عَبْد الله بْن الشِّخِّير: أَنْصَحُ عِبَادِ الله للمُؤْمِنِينَ الملائِكَةُ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ الآيَة، وَأَغَشّ عِبَادِهِ للمُؤْمِنِينَ الشَّيَاطِين. وَقَوْله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أَيْ: الَّذِي لا يُمَانَع وَلا يُغَالب، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ، الحَكِيم فِي أَقْوَالك وَأَفْعَالك، مِنْ شَرْعك وَقَدْرك. ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَيْ: فِعْلهَا أَوْ وَبَالهَا مِمَّنْ وَقَعَتْ مِنْهُ، ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ أَيْ: لطَفْت بِهِ وَنَجَّيْته مِنْ العُقُوبَة، ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الكُفَّار: إنهم يُنَادَوْنَ يَوْم القِيَامَة وَهُمْ فِي غَمَرَات النِّيرَان يَتَلَظَّوْنَ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا بَاشَرُوا مِنْ عَذَاب الله مَا لا قِبَل لأَحَدٍ بِهِ، فَمَقَتُوا عِنْد ذَلكَ أَنْفُسهمْ وَأَبْغَضُوهَا غَايَة البُغْض بِسَبَبِ مَا أَسْلفُوا مِنْ الأَعْمَال السَّيِّئَة الَّتِي كَانَتْ سَبَب دُخُولهمْ إِلى النَّار، فَأَخْبَرَتْهُمْ الملائِكَة عِنْد ذَلكَ إِخْبَارًا عَاليًا، نَادَوْهُمْ نِدَاء بِأَنَّ مَقْت الله لَهُمْ فِي الدُّنْيَا -حِين كَانَ يَعْرِض عَليْهِمْ الإِيمَان فَيَكْفُرُونَ- أَشَدّ مِنْ مَقْتِكُمْ أَيُّهَا المُعَذَّبُونَ أَنْفُسَكُمْ اليَوْم فِي هَذِهِ الحَالة. قَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ يَقُول: لَمَقْتُ الله أَهْلَ الضَّلالة حِين عَرَضَ عَليْهِمْ الإِيمَان فِي الدُّنْيَا، فَتَرَكُوهُ وَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهُ أَكْبَر مِمَّا مَقَتُوا أَنْفُسهمْ حِين عَايَنُوا عَذَاب الله يَوْم القِيَامَة، وَهَكَذَا قَال الحَسَن البَصْرِيّ وَمُجَاهِد وَالسُّدِّي وَذَرّ بْن عبد الله الهَمْدَانِيّ وعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم وَابْن جَرِير الطَّبَرِيّ، رحمهم الله.

وَقَوْله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قَال الثَّوْرِيّ: عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ أَبِي الأَحْوَص عَنْ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه هَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة:٢٨). وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس، وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَأَبُو مَالك، وَهَذَا هُوَ الصَّوَاب الَّذِي لا شَكّ فِيهِ وَلا مِرْيَة. وَقَال السُّدِّيّ: أُمِيتُوا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أُحْيُوا فِي قُبُورِهِمْ فَخُوطِبُوا، ثُمَّ أُمِيتُوا ثُمَّ أُحْيُوا يَوْم القِيَامَة، وَقَال ابْن زَيْد: أُحْيُوا حِين أُخِذَ عَليْهِمْ المِيثَاق مِنْ صُلب آدَم عليه السلام ثُمَّ خَلقَهُمْ فِي الأَرْحَام ثُمَّ أَمَاتَهُمْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ يَوْم القِيَامَة، وَهَذَانِ القَوْلانِ مِنْ السُّدِّيّ وَابْن زَيْد ضَعِيفَانِ؛ لأَنَّهُ يَلزَمهُمَا عَلى مَا قَالا ثَلاث إِحْيَاءَات وَإِمَاتَات، وَالصَّحِيح قَوْل ابْن مَسْعُود وَابْن عَبَّاس وَمَنْ تَابَعَهُمَا. وَالمَقْصُود مِنْ هَذَا كُلّه: أَنَّ الكُفَّار يَسْأَلُونَ الرَّجْعَة وَهُمْ وُقُوف بَيْن يَدَيْ الله عز وجل فِي عَرَصَات القِيَامَة، كَمَا قَال عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة:١٢)، فَلا يُجَابُونَ. ثُمَّ إِذَا رَأَوْا النَّار وَعَايَنُوهَا وَوَقَفُوا عَليْهَا، وَنَظَرُوا إِلى مَا فِيهَا مِنْ العَذَابِ وَالنَّكَال، سَأَلُوا الرَّجْعَةَ أَشَدّ مِمَّا سَأَلُوا أَوَّل مَرَّةٍ فَلا يُجَابُونَ، قَال الله تَعَالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٧-٢٨). فَإِذَا دَخَلُوا النَّار وَذَاقُوا مَسَّهَا وَحَسِيسَهَا وَمَقَامِعَهَا وَأَغْلالهَا، كَانَ سُؤَالهُمْ للرَّجْعَةِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

مِن نَّصِيرٍ﴾ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون:١٠٧-١٠٨)، وَفِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة تَلطَّفُوا فِي السُّؤَال، وَقَدَّمُوا بَيْن يَدَيْ كَلامِهِمْ مُقَدِّمَةً، وَهِيَ قَوْلُهُمْ: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أَيْ: قُدْرَتُك عَظِيمَة، فَإِنَّك أَحْيَيْتَنَا بَعْدَمَا كُنَّا أَمْوَاتًا ثُمَّ أَمَتَّنَا ثُمَّ أَحْيَيْتَنَا، فَأَنْتَ قَادِر عَلَى مَا تَشَاء، وَقَدْ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا وَإِنَّنَا كُنَّا ظَالِمِينَ لأَنْفُسِنَا فِي الدَّار الدُّنْيَا، ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ أَيْ: فَهَل أَنْتَ مُجِيبُنَا إِلى أَنْ تُعِيدنَا إِلى الدَّار الدُّنْيَا؟ فَإِنَّك قَادِر عَلَى ذَلِكَ لِنَعْمَل غَيْر الَّذِي كُنَّا نَعْمَل، فَإِنْ عُدْنَا إِلى مَا كُنَّا فِيهِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ فَأُجِيبُوا أَنْ لا سَبِيل إِلى عَوْدِكُمْ وَمَرْجِعكُمْ إِلى الدَّار الدُّنْيَا. ثُمَّ عُلِّل المَنْع مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ سَجَايَاكُمْ لا تَقْبَل الحَقّ وَلا تَقْتَضِيه بَل تجحده وَتَنْفِيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾، أَيْ: أَنْتُمْ هَكَذَا تَكُونُونَ، وَإِنْ رُدِدْتُمْ إِلى الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٨).

وَقَوْله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ أَيْ: هُوَ الحَاكِم فِي خَلقه، العَادِل الَّذِي لا يَجُور، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاء، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاء، وَيَرْحَم مَنْ يَشَاء، وَيُعَذِّب مَنْ يَشَاء، لا إِله إِلَّا هُوَ، وقَوْله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أَيْ: يُظْهِرُ قُدْرَتَهُ لِخَلقِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ فِي خَلقِهِ العُلوِيِّ، وَالسُّفْلِيِّ مِنْ الآيَاتِ العَظِيمَة الدَّالَّة عَلى كَمَال خَالقهَا، وَمُبْدِعهَا وَمُنْشِئِهَا، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ﴾ وَهُوَ المَطَر الَّذِي يُخْرِج بِهِ مِنْ الزُّرُوع وَالثِّمَار مَا هُوَ مُشَاهَد بِالحِسِّ مِنْ اخْتِلاف أَلوَانه وَطُعُومه، وَرَوَائِحه وَأَشْكَاله وَأَلوَانه، وَهُوَ مَاء وَاحِد فَبِالقُدْرَةِ العَظِيمَة فَاوَتَ بَيْن هَذِهِ الأَشْيَاء، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أَيْ: يَعْتَبِر وَيَتَفَكَّر فِي هَذِهِ الأَشْيَاء، وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلى عَظَمَة خَالقهَا؛ ﴿إِلا مَن يُنِيبُ﴾ أَيْ: مَنْ هُوَ بَصِير مُنِيب إِلى الله.

وقوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أَيْ: فَأَخْلصُوا لله وَحْده العِبَادَة وَالدُّعَاء، وَخَالفُوا المُشْرِكِينَ فِي مَسْلكِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن نُمَيْر حَدَّثنَا هِشَام -يَعْنِي ابن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر- عَنْ أَبِي الزُّبَيْر مُحَمَّد بْن مُسْلم بْن تَدْرُس المَكِّيّ قَال: كَانَ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر يَقُول فِي دُبُر كُل صَلاة حِين يُسَلِّم: لا إِله إِلَّا الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، لهُ المُلك وَلهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْء قَدِير، لا حَوْل وَلا قُوَّة إِلَّا بِالله، لا إِله إِلَّا الله، وَلا نَعْبُد إِلَّا إِيَّاهُ، لهُ النِّعْمَة وَلهُ الفَضْل، وَلهُ الثَّنَاء الحَسَن، لا إِله إِلَّا الله، مُخْلصِينَ لهُ الدِّين وَلوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، قَال: وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يهلل بِهِنَّ دُبُر كُلّ صَلاة. وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة وَحَجَّاج بْن أَبِي عُثْمَان وَمُوسَى بْن عُقْبَة؛ ثَلاثَتهمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي دُبُر الصلاة: «**لا إله إلاَّ الله، وَحْده لا شَرِيك لهُ**» وَذَكَرَ تَمَامه. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ ابْن الزُّبَيْر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول عَقِب الصَّلوَات المَكْتُوبَات: «**لا إله إلاَّ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، لهُ المُلك وَلهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْء قَدِير، لا حَوْل وَلا قُوَّة إلاَّ بالله، لا إله إلاَّ الله، وَلا نَعْبُد إلاَّ إِيَّاهُ، لهُ النِّعْمَة، وَلهُ الفَضْل، وَلهُ الثَّنَاء الحَسَن، لا إله إلاَّ الله، مُخْلصِينَ لهُ الدِّين، وَلوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**».[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الرَّبِيع حَدَّثَنَا الخَصِيب بْن نَاصِح حَدَّثَنَا صَالح -يَعْنِي المُرِّيّ- عَنْ هِشَام بْن حَسَّان عَنْ ابْن سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**ادْعُوا الله وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإِجَابَةِ، وَاعْلمُوا أَنَّ الله لا يَسْتَجِيب دُعَاءً مِنْ قَلبٍ غَافِلٍ لاهٍ**».[2]

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٩٤).
(٢) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) بسند ضعيف.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

يَقُول تَعَالى عَنْ عَظَمَته وَكِبْرِيَائِهِ، وَارْتِفَاع عَرْشه العَظِيم العَالي عَلى جَمِيع مَخْلُوقَاته كَالسَّقْفِ لَهَا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج:٣-٥)، وَسَيَأْتِي بَيَان أَنَّ هَذِهِ مَسَافَة مَا بَيْن العَرْش إِلى الأَرْض السَّابِعَة، فِي قَوْل جَمَاعَة مِنْ السَّلف وَالخَلف، وَهُوَ الأَرْجَح إِنْ شَاءَ الله. وَقَدْ ذَكَرَ غَيْر وَاحِد أَنَّ العَرْش مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء اتِّسَاع مَا بَيْن قُطْرَيْهِ مَسِيرَة خَمْسِينَ أَلف سَنَة. وَارْتِفَاعه عَنْ الأَرْض السَّابِعَة مَسِيرَة خَمْسِينَ أَلف سَنَة، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث الأَوْعَال مَا يَدُلُّ عَلى ارْتِفَاعه عَنْ السَّمَاوَات السَّبْع بِشَيْءٍ عَظِيم.

وَقَوْله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ (النحل:٢)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٤)، وَلِهَذَا قَال: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ قَال عَلِيّ ابْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: اسْم مِنْ أَسْمَاء يَوْم القِيَامَة، حَذَّرَ مِنْهُ عِبَاده.

وَقَال ابْن جُرَيْج: قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يَلتَقِي فِيهِ آدَم وَآخِر وَلده. وَقَال ابْن زَيْد: يَلتَقِي فِيهِ العِبَاد.

وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَبِلال بْن سَعْد وَسُفْيَان بْن عُيَيْنَة: يَلتَقِي فِيهِ أَهْل السَّمَاء وَأَهْل الأَرْض، وقال قتادة أيضًا: يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وَالخَالق وَالخَلق، وَقَال مَيْمُون بْن مِهْرَان: يَلتَقِي الظَّالم وَالمَظْلُوم، وَقَدْ يُقَال: إِنَّ يَوْم القيامة هو يَشْمَل هَذَا كُلَّهُ، وَيَشْمَل أَنَّ كُلّ عَامِل سَيَلقَى مَا عَمِلهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، كَمَا قَالهُ آخَرُونَ.

وقَوْله: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ﴾ أَيْ: ظَاهِرُونَ بَادُونَ كُلّهمْ، لا شَيْء يُكِنّهُمْ، وَلا يُظِلُّهُمْ وَلا يَسْتُرهُمْ. وَلِهَذَا قَال: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ﴾ أَيْ: الجَمِيع فِي عِلمه عَلى السَّوَاء. وَقَوْله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث ابْن عُمَر رضي الله عنهما: أَنَّهُ تَعَالى يَطْوِي السَّمَاوَات وَالأَرْض بِيَدِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا المَلك، أَنَا الجَبَّارُ، أَنَا المُتَكَبِّرُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟

وَفِي حَدِيث الصُّور: أَنَّهُ عز وجل إِذَا قَبَضَ أَرْوَاح جَمِيع خَلقه فَلمْ يَبْقَ سِوَاهُ، وَحْده لا شَرِيك لهُ، حِينَئِذٍ يَقُول: لِمَنْ المُلك اليَوْم؟ ثَلاث مَرَّات، ثُمَّ يُجِيب نَفْسه قَائِلًا: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أَيْ: الَّذِي هُوَ وَحْده، قَدْ قَهَرَ كُلّ شَيْء وَغَلبَهُ.[١] وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن غَالب الدَّقَّاق حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن عُبَيْدَة حَدَّثَنَا مُعْتَمِر عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنَا أَبُو نضرة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: يُنَادِي مُنَادٍ بَيْن يَدَيْ السَّاعَة: يَا أَيُّهَا النَّاس أَتَتْكُمْ السَّاعَة، فَيَسْمَعهَا الأَحْيَاء وَالأَمْوَات، قَال: وَيَنْزِل الله عز وجل إِلى السَّمَاء الدُّنْيَا، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.[٢]

وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ : يُخْبِر تَعَالى عَنْ عَدْله فِي

---

(١) تقدم.
(٢) صحيح.

حُكْمه بَيْن خَلقه، أَنَّهُ لا يَظْلم مِثْقَال ذَرَّة مِنْ خَيْر وَلا مِنْ شَرّ، بَل يَجْزِي بِالحَسَنَةِ عَشر أَمْثَالهَا، وَبِالسَّيِّئَةِ وَاحِدَة؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلم، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبّه عز وجل أَنَّهُ قَال: **«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا** -إِلَى أَنْ قَال- **يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْر ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسه»**.[1]

وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أَيْ: يُحَاسِبُ الخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَة، كَمَا قَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (لقمان:٢٨)، وَقَال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ (القمر:٥٠).

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

يَوْمَ الآزِفَةِ: هو اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ القِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لاقْتِرَابِهَا، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (النجم:٥٧-٥٨)، وَقَال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (القمر:١)، وَقَال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ (الأنبياء:١)، وَقَال: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل:١)، وَقَال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ (الملك:٢٧).

وَقَوْله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ . قَال قَتَادَة: وَقَفَتْ القُلُوب فِي الحَنَاجِر مِنْ الخَوْف، فَلا تَخْرُج، وَلا تَعُود إِلى أَمَاكِنهَا، وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْر وَاحِد. وَمَعْنَى كَاظِمِينَ: أَيْ: سَاكِتِينَ، لا يَتَكَلَّم أَحَد إِلَّا بِإِذْنِهِ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ:٣٨). وَقَال ابْن جُرَيْج: ﴿كَٰظِمِينَ﴾ أَيْ: بَاكِينَ. وَقَوْله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أَيْ: لَيْسَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسهمْ بِالشِّرْكِ بِالله مِنْ قَرِيب مِنْهُمْ يَنْفَعهُمْ، وَلا شَفِيع يَشْفَع فِيهِمْ، بَل قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَاب مِنْ كُلّ خَيْر.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ يُخْبِر عز وجل عَنْ عِلمه التَّامّ المُحِيط بِجَمِيعِ الأَشْيَاء، جَلِيلهَا وَحَقِيرهَا، صَغِيرهَا وَكَبِيرهَا، دَقِيقهَا وَلَطِيفهَا؛ لِيَحْذَرَ النَّاس عِلمه فِيهِمْ فَيَسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقّ الحَيَاء، وَيَتَّقُوهُ حَقّ تَقْوَاهُ، وَيُرَاقِبُوهُ مُرَاقَبَة مَنْ يَعْلم أَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ عز وجل يَعْلم العَيْن الخَائِنَة وَإِنْ أَبْدَتْ أَمَانَة، وَيَعْلم مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ خَبَايَا الصُّدُور مِنْ الضَّمَائِر وَالسَّرَائِر. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: هُوَ الرَّجُل يَدْخُل عَلَى أَهْل البَيْت بَيْتهمْ -وَفِيهِمْ المَرْأَة الحَسْنَاء، أَوْ تَمُرّ بِهِ وَبِهِمْ المَرْأَة الحَسْنَاء فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ إِلَيْهَا، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا، فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ، وَقَدْ اطَّلَعَ الله تَعَالَى مِنْ قَلبه أَنَّهُ وَدَّ أَنْ لَوْ اطَّلَعَ عَلَى فَرْجِهَا. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، قَال الضَّحَّاك: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ : هُوَ الغَمْز، وَقَوْل الرَّجُل: رَأَيْت وَلَمْ يَرَ؛ أَوْ: لَمْ أَرَ، وَقَدْ رَأَى. وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: يَعْلم تَعَالَى مِنْ العَيْن فِي نَظَرهَا، هَل تُرِيد الخِيَانَة أَمْ لا؟ وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة. وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ : يَعْلم إِذَا أَنْتَ قَدَرْت عَلَيْهَا هَل تَزْنِي بِهَا أَمْ لا؟ وَقَال السُّدِّيّ: ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ أَيْ: مِنْ الوَسْوَسَة.

---

(١) **صحيح** : تقدم.

وَقَوْله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: يَحْكُم بِالعَدْل. وقَال الأَعْمَش عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ قَادِر عَلى أَنْ يَجْزِي بِالحَسَنَةِ الحَسَنَة وَبِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وَهَذَا الَّذِي فسره ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما في هَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ (النجم:٣١). وَقَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أَيْ: مِنْ الأَصْنَام وَالأَوْثَان وَالأَنْدَاد ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ أَيْ: لا يَمْلكُونَ شَيْئًا وَلا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أَيْ: سَمِيع لأَقْوَال خَلقه، بَصِير بِهِمْ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاء، وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء، وَهُوَ الحَاكِم العَادِل فِي جَمِيع ذَلِكَ.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

يقول تعالى: أولم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم المكذبة بالأنبياء، ما حل بهم من العذاب والنكال، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة، ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أثروا في الأرض من البنايات، والمعالم والديارات ما لا يقدر عليه هؤلاء، كما قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ (الأحقاف:٢٦)، وقال: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ (الروم:٩)، أي: ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسلهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: وما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق، ثم ذكر علة أخذه إياهم، وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها، فَقَال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أَيْ: بِالدَّلائِل الوَاضِحَات وَالبَرَاهِين القَاطِعَات، ﴿فَكَفَرُواْ﴾ أَيْ: مَعَ هَذَا البَيَان، وَالبُرْهَان كَفَرُوا وَجَحَدُوا، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أَيْ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَلِلكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا، ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أَيْ ذُو قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَبَطْشٍ شَدِيدٍ، وَهُوَ ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أَيْ: عِقَابه أَلِيم شَدِيد وَجِيع، أَعَاذَنَا الله مِنْهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

يَقُول تَعَالى مُسَلِّيًا لنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيب مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَمُبَشِّرًا لهُ بِأَنَّ العَاقِبَة وَالنُّصْرَة لهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، كَمَا جَرَى لِمُوسَى بْن عِمْرَان، فَإِنَّ الله تَعَالى أَرْسَلهُ بِالآيَاتِ البَيِّنَات، وَالدَّلائِل الوَاضِحَات؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وَالسُّلطَان هُوَ: الحُجَّة وَالبُرْهَان ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، وَهُوَ: مَلك القِبْط بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّة، ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾، وَهُوَ وَزِيره فِي مَمْلكَته، ﴿وَقَٰرُونَ﴾، وَكَانَ أَكْثَر النَّاس فِي زَمَانه مَالًا وَتِجَارَة، ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ أَيْ: كَذَّبُوهُ وَجَعَلُوهُ سَاحِرًا مَجْنُونًا مُمَوِّهًا كَذَّابًا فِي أَنَّ الله أَرْسَلهُ. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات:٥٢-٥٣)، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ أَيْ: بالبرهان القَاطِع الدَّالّ عَلى أَنَّ الله تعالى أَرْسَلهُ إِلَيْهِمْ، ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾ وَهَذَا أَمْر ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْن بِقَتْل ذُكُور بَنِي إِسْرَائِيل. أَمَّا الأَوَّل: فَكَانَ لأَجل

الاحْتِرَاز مِنْ وُجُود مُوسَى، أَوْ لِإِذْلال هَذَا الشَّعْب وَتَقْلِيل عَددهمْ، أَوْ لَمجْمُوعِ الأَمْرَيْنِ. وَأَمَّا الأَمْر الثَّانِي: فَللعِلَّةِ الثَّانِيَة لِإِهَانَةِ هَذَا الشَّعْب، وَلكَيْ يَتَشَاءَمُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام؛ وَلهَذَا قَالُوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٢٩)، قَال قَتَادَة: هَذَا أَمْر بَعْد أَمْر، قَال الله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ أَيْ: وَمَا مَكْرهمْ وَقَصْدهمْ الَّذِي هُوَ تَقْلِيل عَدَد بَنِي إِسْرَائِيل لِئَلَّا يُنْصَرُوا عَلَيْهِمْ، إِلَّا ذَاهِب وَهَالِك فِي ضَلَال.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ وَهَذَا عَزْمٌ مِنْ فِرْعَوْن -لعَنَهُ الله- عَلَى قَتْل مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، أَيْ: قَال لقَوْمِهِ: دَعُونِي حَتَّى أَقْتُل لكُمْ هَذَا، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أَيْ: لا أُبَالِي مِنْهُ، وَهَذَا فِي غَايَة الجَحْد وَالتَّجَهْرُم وَالعِنَاد، وَقَوْله -قَبَّحَهُ الله-: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾، يَعْنِي مُوسَى، يَخْشَى فِرْعَوْن أَنْ يُضِلّ مُوسَى النَّاس وَيُغَيِّرَ رُسُومَهُمْ وَعَادَاتهمْ، وَهَذَا كَمَا يُقَال فِي المَثَل: «صَارَ فِرْعَوْن مُذَكِّرًا»، يَعْنِي: وَاعِظًا، يُشْفِق عَلى النَّاس مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام. وَقَرَأَ آخرون: «وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ». وَقَرَأَ الآخَرُونَ: «أَنْ يُبَدِّل دِينكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ». وَقَرَأَ بَعْضهمْ: «يَظْهَر فِي الأَرْض الفَسَادُ»، بِالضَّمِّ. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أَيْ: لَمَّا بَلغَهُ قَوْل فِرْعَوْن: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ قَال مُوسَى: اسْتَجَرْت بِالله وَعُذْت بِهِ مِنْ شَرّه وَشَرّ أَمْثَاله، وَلهَذَا قَال: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم﴾ أَيُّهَا المُخَاطَبُونَ ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أَيْ: عَنْ الحَقّ، مُجْرِم ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ وَلهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذ بِك مِنْ شُرُورهمْ، وَنَدْرَأ بِك فِي نُحُورهمْ**».

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

المَشْهُور أَنَّ هَذَا الرَّجُل المُؤْمِن كَانَ قِبْطِيًّا مِنْ آل فِرْعَوْن. قَال السُّدِّيّ: كَانَ ابْن عَمّ فِرْعَوْن، وَيُقَال: إِنَّهُ الَّذِي نَجَا مَعَ مُوسَى، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَرَدَّ قَوْل مَنْ ذَهَبَ إِلى أَنَّهُ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا؛ لأَنَّ فِرْعَوْن انْفَعَل لكَلامِهِ واستمعه وَكَفَّ عَنْ قَتْل مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَلوْ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا لأَوْشَكَ أَنْ يُعَاجِل بِالعُقُوبَةِ؛ لأَنَّهُ مِنْهُمْ. وَقَال ابْن جريج عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لمْ يُؤْمِن مِنْ آل فِرْعَوْن سِوَى هَذَا الرَّجُل وَامْرَأَة فِرْعَوْن، وَالَّذِي قَال: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص:٢٠)، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُل يَكْتُم إِيمَانَهُ عَنْ قَوْمه القِبْط، فَلمْ يَظْهَر إِلَّا هَذَا اليَوْم حِين قَال فِرْعَوْن: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ (غافر:٢٦)، فَأَخَذَتْ الرَّجُل غَضْبَةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ. وَ«**أَفْضَل الجِهَاد كَلمَة عَدْل عِنْد سُلطَانٍ جَائِرٍ**»[١]، كَمَا ثَبَتَ بِذَلكَ الحَدِيثُ، وَلا أَعْظَم مِنْ هَذِهِ الكَلمَة عِنْد فِرْعَوْن، وَهِيَ قَوْله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾، اللَّهُمَّ إِلَّا مَا رَوَاهُ البُخَارِيّ[٢] فِي صَحِيحه حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْن عَبْد الله حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيّ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، وأحمد (٣/ ٤١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٥)(٣٦٧٨).

إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ حَدَّثَنِي عُرْوَة بْن الزُّبَيْر ﵄ قَال: قُلت لعَبْدِ الله بْن عَمْرو بْن العَاص ﵄ : أَخْبِرْنِي بِأَشَدّ شَيْء مما صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُول الله ﷺ ، قَال: بَيْنَا رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَة إِذْ أَقْبَل عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُول الله ﷺ وَلوَى ثَوْبه فِي عُنُقه، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَل أَبُو بَكْر ﵁ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، ودفع عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾. انْفَرَدَ بِهِ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيث الأَوْزَاعِيّ. قَال: وَتَابَعَهُ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ يحيى عن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا هَارُون بْن إِسْحَاق الهَمْدَانِيّ حَدَّثَنَا عَبْدَة عَنْ هِشَام -يَعْنِي ابْن عُرْوَة- عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرو بْن العَاص ﵁ أَنَّهُ سُئِل: مَا أَشَدّ مَا رَأَيْت قُرَيْشًا بَلغُوا مِنْ رَسُول الله ﷺ ؟ قَال: مَرَّ ﷺ بِهِمْ ذَات يَوْم، فَقَالُوا لهُ: أَنْتَ تَنْهَانَا أَنْ نَعْبُد مَا يَعْبُد آبَاؤُنَا؟ فَقَال: «أَنَا ذَاكَ» فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَخَذُوا بِمَجَامِعِ ثِيَابه، فَرَأَيْت أَبَا بَكْر ﵁ مُحْتَضِنَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَهُوَ يَصِيح بِأَعْلى صَوْته، وَإِنَّ عَيْنَيْهِ ليَسِيلانِ وَهُوَ يَقُول: يَا قَوْم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْ الآيَة كُلّهَا.[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث عَبْدَة، فَجَعَلهُ مِنْ مُسْنَد عَمْرو بْن العَاص ﵁. وَقَوْله: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أَيْ: كَيْفَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا لكَوْنِهِ يَقُول: رَبِّي الله، وَقَدْ أَقَامَ لكُمْ البُرْهَان عَلى صِدْق مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ الحَقّ؟ ثُمَّ تَنَزَّل مَعَهُمْ فِي المُخَاطَبَة، فَقَال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ يَعْنِي: إِذَا لمْ يَظْهَر لكُمْ صِحَّة مَا جَاءَكُمْ بِهِ، فَمِنْ العَقْل وَالرَّأْي التَّامّ وَالحَزْم أَنْ تَتْرُكُوهُ وَنَفْسه، فَلا تُؤْذُوهُ؛ فَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَإِنَّ الله سَيُجَازِيهِ عَلى كَذِبِهِ بِالعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا، وَقَدْ آذَيْتُمُوهُ يُصِبْكُمْ بَعْض الَّذِي يَعِدُكُمْ، فَإِنَّهُ يَتَوَعَّدكُمْ إِنْ خَالفْتُمُوهُ بِعَذَابٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَمِنْ الجَائِز عِنْدكُمْ أَنْ يَكُون صَادِقًا فَيَنْبَغِي عَلى هَذَا أَنْ لا تَتَعَرَّضُوا لهُ، بَل اتْرُكُوهُ وَقَوْمه يَدْعُوهُمْ وَيَتَّبِعُونَهُ.

وَهَكَذَا أَخْبَرَ الله ﷻ عَنْ مُوسَى ﵇ أَنَّهُ طَلبَ مِنْ فِرْعَوْن وَقَوْمه المُوَادَعَة فِي قَوْله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ (الدخان:١٧-٢١)، وَهَكَذَا قَال رَسُول الله ﷺ لقُرَيْشٍ أَنْ يَتْرُكُوهُ يَدْعُو إِلى الله عِبَادَ الله، وَلا يَمَسُّوهُ بِسُوءٍ، وَأَن يَصِلُوا مَا بَيْنه وَبَيْنهم مِنْ القَرَابَة فِي تَرْك أَذِيَّته، قَال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى:٢٣)، أَيْ: أَنْ لا تُؤْذُونِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنكُمْ مِنْ القَرَابَة، فَلا تُؤْذُونِي وَتَتْرُكُوا بَيْنِي وَبَيْن النَّاس. وَعَلى هَذَا وَقَعَتْ الهُدْنَة يَوْم الحُدَيْبِيَة، وَكَانَ فَتْحًا مُبِينًا.

وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أَيْ: لوْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَزْعُم أَنَّ الله أَرْسَلهُ إِليْكُمْ كَاذِبًا كَمَا تَزْعُمُونَ، لكَانَ أَمْرُهُ بَيِّنًا يَظْهَر لكُلِّ أَحَدٍ فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله، كانت تَكُون فِي غَايَة الاخْتِلاف وَالاضْطِرَاب، وَهَذَا نَرَى أَمْرَهُ سَدِيدًا وَمَنْهَجه مُسْتَقِيمًا، وَلوْ كَانَ مِنْ المُسْرِفِينَ الكَذَّابِينَ لمَا هَدَاهُ الله وَأَرْشَدَهُ إِلى مَا تَرَوْنَ مِنْ انْتِظَام أَمْرِهِ وَفِعْلِهِ، ثُمَّ قَال المُؤْمِن مُحَذِّرًا قَوْمه زَوَال نِعْمَة الله عَنْهُمْ وَحُلُول نِقَم الله بِهِمْ: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: قَدْ أَنْعَمَ الله عَليْكُمْ بِهَذَا المُلك وَالظُّهُور فِي الأَرْض بِالكَلمَةِ النَّافِذَة وَالجَاه العَرِيض، فَرَاعُوا هَذِهِ النِّعْمَة بِشُكْرِ الله، وَتَصْدِيق رَسُوله ﷺ ، وَاحْذَرُوا نِقْمَة الله إِنْ كَذَّبْتُمْ رَسُوله، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ أَيْ: لا تُغْنِي عَنْكُمْ هَذِهِ الجُنُود وَهَذِهِ العَسَاكِر، وَلا تَرُدُّ عَنَّا شَيْئًا مِنْ بَأْس الله إِنْ أَرَادَنَا

---

(١) حسن : أخرجه أبو يعلى (٧٣٣٩).

بِسُوءٍ. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لقَوْمِهِ، رَادًّا عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ هَذَا الرَّجُل الصَّالح البَارّ الرَّاشِد الَّذِي كَانَ أَحَقّ بِالْمُلْكِ مِنْ فِرْعَوْن: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أَيْ: مَا أَقُول لكُمْ وَأُشِير عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لنَفْسِي، وَقَدْ كَذَبَ فِرْعَوْن، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا جاءه بِهِ مِنْ الرِّسَالَة: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ (الإسراء:١٠٢)، وَقَال الله تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ (النمل:١٤)، فَقَوْله: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ كَذَبَ فِيهِ وَافْتَرَى، وَخَانَ الله وَرَسُوله ﷺ وَرَعِيَّته، فَغَشَّهُمْ وَمَا نَصَحَهُمْ، وَكَذَا قَوْله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أَيْ: وَمَا أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى طَرِيق الحَقّ وَالصِّدْق وَالرَّشَد، وَقَدْ كَذَبَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ قَوْمه قَدْ أَطَاعُوهُ وَاتَّبَعُوهُ، قَال الله تَعَالَى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ (هود:٩٧)، وَقَال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ (طه:٧٩)، وَفِي الحَدِيث: **«مَا مِنْ إِمَام يَمُوت يَوْم يَمُوت وَهُوَ غَاشّ لرَعِيَّتِهِ، إلاَّ لمْ يَرَحْ رَائِحَة الجنَّة، وَإنَّ رِيحهَا ليُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسمِائَةِ عَام»**[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾.

هَذَا إِخْبَار مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ هَذَا الرَّجُل الصَّالح مُؤْمِن آل فِرْعَوْن أَنَّهُ حَذَّرَ قَوْمه بَأْس الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَقَال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾. أي: الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُل الله فِي قَدِيم الدَّهْر كَقَوْم نُوح، وَعَادٍ وَثَمُود وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدهمْ مِنْ الأُمَم المُكَذِّبَة كَيْفَ حَلَّ بِهِمْ بَأْس الله وَمَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادّ، وَلا صَدَّهُ عَنْهُمْ صَادّ. ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ أَيْ: إِنَّمَا أَهْلَكَهُمْ الله بِذُنُوبِهِمْ، وَتَكْذِيبهمْ رُسُله، وَمُخَالَفَتهمْ أَمْره، فَأَنْفَذَ فِيهِمْ قَدَرَهُ. ثم قال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يَعْنِي: يَوْم القِيَامَة وَسُمِّيَ بِذَلِكَ، قَال بَعْضهمْ لمَا جَاءَ فِي حَدِيث الصُّور[2]: إِنَّ الأَرْض إِذَا زُلزِلتْ وَانْشَقَّتْ مِنْ قُطْر إِلَى قُطْر وَمَاجَتْ وَارْتَجَّتْ، فَنَظَرَ النَّاس إِلَى ذَلِكَ ذَهَبُوا هَارِبِينَ يُنَادِي بَعْضهمْ بَعْضًا، وَقَال آخَرُونَ -مِنْهُمْ الضَّحَّاك-: بَل ذَلِكَ إِذَا جِيءَ بِجَهَنَّم ذَهَبَ النَّاس هِرَابًا، فَتَتَلَقَّاهُمْ المَلائِكَة فَتَرُدُّهُمْ إِلَى مَقَام المَحْشَر، وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾ (الحاقة:١٧)، وَقَوْله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ (الرحمن:٣٣). وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالحَسَن وَالضَّحَّاك أَنَّهُمْ قَرَءُوا ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ بِتَشْدِيدِ الدَّال مِنْ نَدَّ البَعِير إِذَا شرد وَذَهَبَ، وَقِيل: لأَنَّ المِيزَان عِنْده مَلك وإِذَا وَزَنَ عَمَل العَبْد فَرَجَحَ نَادَى بِأَعْلَى صَوْته أَلا قَدْ سَعِدَ فُلان ابْن فُلان سَعَادَة لا يَشْقَى بَعْدهَا أَبَدًا، وَإِنْ خَفَّ عَمَله نَادَى: أَلا قَدْ شَقِيَ فُلان ابْن فُلان. وَقَال قَتَادَة: يُنَادِي كُلّ قَوْم بِأَعْمَالِهِمْ، يُنَادِي أَهْلُ الجَنَّة أَهْلَ الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّار أَهْلَ النَّار، وَقِيل: سُمِّيَ بِذَلكَ لمُنَادَاةِ أَهْلَ الجَنَّة أَهْلَ النَّار: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡ﴾ (الأعراف:٤٤). وَمُنَادَاة أَهْل النَّار أَهْل الجَنَّة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف:٥٠)،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) دون قوله: «وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام».

(٢) تـقـدم.

وَلِمُنَادَاةِ أَصْحَاب الأَعْرَاف أَهْل الجَنَّة وَأَهْل النَّار، كَمَا هُوَ مَذْكُور فِي سُورَة «الأَعْرَاف». وَاخْتَارَ البَغَوِيّ وَغَيْره: أَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَجْمُوعِ ذَلِكَ. وَهُوَ قَوْل حَسَن جَيِّد، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أَيْ: ذَاهِبِينَ هَارِبِينَ، ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة:١١-١٢)، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أَيْ: ما لكم من مَانِع يَمْنَعكُمْ مِنْ بَأْس الله وَعَذَابه، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أَيْ: مِنْ أَضَلَّهُ الله فَلا هَادِيَ لَهُ غَيْره. وَقَوْله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يَعْنِي: أَهْل مِصْر، قَدْ بَعَثَ الله فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ قَبْل مُوسَى وَهُوَ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَزِيز أَهْل مِصْر، وَكَانَ رَسُولًا يَدْعُو إِلَى الله أُمَّته القبط، فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ الطَّاعَة إِلَّا لمجرد الوَزَارَة وَالجَاه الدُّنْيَوِيّ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أَيْ: يَئِسْتُمْ، فَقُلْتُمْ طَامِعِينَ: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ وَذَلِكَ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبهمْ، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ أَيْ: كَحَالِكُمْ هَذَا يَكُون حَال مَنْ يُضِلّهُ الله لِإِسْرَافِهِ فِي أَفْعَاله وَارْتِيَاب قَلْبه، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أَيْ: الَّذِينَ يَدْفَعُونَ الحَقّ بِالبَاطِل، وَيُجَادِلُونَ الحُجَج بِغَيْرِ دَلِيل وَحُجَّة مَعَهُمْ مِنْ الله، فَإِنَّ الله يَمْقُت عَلَى ذَلِكَ أَشَدّ المَقْت؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أَيْ: وَالمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبْغِضُونَ مَنْ تَكُون هَذِهِ صِفَته، فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَته يَطْبَع الله عَلَى قَلْبه، فَلا يَعْرِف بَعْد ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَلا يُنْكِر مُنْكَرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ أَيْ: عَلَى اتِّبَاع الحَقّ ﴿جَبَّارٍ﴾. وَرَوَى ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ عِكْرِمَة -وَحُكِيَ عَنْ الشَّعْبِيّ- أنه قال: لا يَكُون الإِنْسَان جَبَّارًا حَتَّى يَقْتُل نَفْسَيْنِ. وَقَال أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ وَقَتَادَة: آيَة الجَبَابِرَة القَتْل بِغَيْرِ حَقّ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْن، وَعُتُوِّهِ، وَتَمَرُّده، وَافْتِرَائِهِ فِي تَكْذِيبه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ أَمَرَ وَزِيره هَامَان أَنْ يَبْنِي لَهُ صَرْحًا وَهُوَ القَصْر العَالِي المُنِيف الشَّاهِق. وَكَانَ اتِّخَاذه مِنْ الآجُرّ المَضْرُوب مِنْ الطِّين المَشْوِيّ، كَمَا قَالَ: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ (القصص:٣٨)، وَلِهَذَا قَالَ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: كَانُوا يَكْرَهُونَ البِنَاء بِالآجُرّ، وَأَنْ يَجْعَلُوهُ فِي قُبُورهمْ. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَوْله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبُو صَالِح: أَبْوَاب السَّمَاوَات. وَقِيل: طُرُق السَّمَاوَاتِ. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ وَهَذَا مِنْ كُفْره وَتَمَرُّده، أَنَّهُ كَذَّبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ، أَرْسَلهُ إِلَيْهِ، قَال الله تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أَيْ: [بصنيعه][1] هَذَا الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُوهِم بِهِ الرَّعِيَّة أَنَّهُ يَعْمَل شَيْئًا يَتَوَصَّل بِهِ إِلَى تَكْذِيب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد: يَعْنِي إِلَّا فِي خَسَار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

يَقُول المُؤْمِن لِقَوْمِهِ مِمَّنْ تَمَرَّدَ وَطَغَى وَآثَرَ الحَيَاة الدُّنْيَا، وَنَسِيَ الجَبَّار الأَعْلَى، فَقَال لَهُمْ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ

(١) في «نسخة»: [بصنعه].

أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ، لا كَمَا كَذَبَ فِرْعَوْن فِي قَوْله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ . ثُمَّ زَهَّدَهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ آثَرُوهَا عَلى الأُخْرَى، وَصَدَّتْهُمْ عَنْ التَّصْدِيق بِرَسُول الله مُوسَى، فَقَال: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ﴾ أَيْ: قَليلة زَائِلة فَانِيَة عَنْ قَرِيب تَذْهَب وَتَضْمَحِلّ، ﴿وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ أَيْ: الدَّار الَّتِي لا زَوَال لَهَا، وَلا انْتِقَال مِنْهَا وَلا ظَعْن عَنْهَا إِلى غَيْرِهَا، بَل إِمَّا نَعِيم وَإِمَّا جَحِيم، ولهذا قال: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أَيْ: وَاحِدَة مِثْلهَا، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَيْ: لا يَتَقَدَّر بِجَزَاءٍ، بَل يُثِيبهُ الله، ثَوَابًا كَثِيرًا لا انْقِضَاء لهُ وَلا نَفَاد.

﴿۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ۝٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

يَقُول لهُمْ المُؤْمِن: مَا بَالِي أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجَاة، وَهِيَ عِبَادَة الله وَحْده لا شَرِيك لهُ وَتَصْدِيق رَسُوله ﷺ الَّذِي بَعَثَهُ، ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾؟ أَيْ: عَلى جَهْل بِلا دَلِيل، ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ﴾ أَيْ: هُوَ فِي عِزَّتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ يَغْفِر ذَنْب مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ يَقُول حَقًّا. قَال السُّدِّيّ وَابْن جرير: يعني قَوْله ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا.

وَقَال الضَّحَّاك: ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا كَذِبَ. وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿لَا جَرَمَ﴾ يَقُول: بَلى إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾. قَال مُجَاهِد: الوَثَن لَيْسَ بشيء، وَقَال قَتَادَة: يَعْنِي الوَثَن لا يَنْفَع وَلا يَضُرّ، وَقَال السُّدِّيّ: لا يُجِيب دَاعِيه، لا فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَة، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ (الأحقاف:٥-٦)، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ (فاطر:١٤)، وَقَوْله: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة، فَيُجَازَى كُلٌّ بِعَمَلِهِ، وَلهَذَا قَال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: خَالِدِينَ فِيهَا بِإِسْرَافِهِمْ، وَهُوَ شِرْكهمْ بِالله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ أَيْ: سَوْفَ تَعْلمُونَ صِدْق مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ وَنَصَحْتُكُمْ، وَوَضَّحْت لكُمْ وَتَتَذَكَّرُونَهُ، وَتَنْدَمُونَ حَيْثُ لا يَنْفَعكُمْ النَّدَم. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيْ: وَأَتَوَكَّل عَلى الله وَأَسْتَعِينهُ، وَأُقَاطِعكُمْ وَأُبَاعِدكُمْ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أَيْ: هُوَ بَصِير بِهِمْ فَيَهْدِي مَنْ يَسْتَحِقّ الهِدَايَة، وَيُضِلّ مَنْ يَسْتَحِقّ الإِضْلال، وَلهُ الحُجَّة البَالغَة، وَالحِكْمَة التَّامَّة، وَالقَدَر النَّافِذ.

وَقَوْله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَنَجَّاهُ الله تَعَالى مَعَ مُوسَى عليه السلام، وَأَمَّا فِي الآخِرَة فَبِالجَنَّةِ. ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ وَهُوَ: الغَرَق فِي اليَمِّ، ثُمَّ النَّقْلة مِنْهُ إِلى الجَحِيم. فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ تُعْرَض عَلى النَّار صَبَاحًا وَمَسَاء إِلى قِيَام السَّاعَة، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة اجْتَمَعَتْ أَرْوَاحهمْ وَأَجْسَادهمْ فِي النَّار؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ أَيْ: أَشَدّهُ أَلمًا وَأَعْظَمه نَكَالًا، وَهَذِهِ الآيَة أَصْل كَبِير فِي اسْتِدْلال أَهْل السُّنَّة عَلى عَذَاب البَرْزَخ فِي القُبُور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾. وَلكِنْ ههنا سُؤَالٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الآيَة مَكِّيَّة، وَقَدْ اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلى عَذَاب القَبْر فِي البَرْزَخ.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حدثنا هَاشِم -هُوَ ابْن القَاسِم أَبُو النَّضْر- حدثنا إِسْحَاق بْن سَعِيد -هُوَ ابْن عَمْرو

ابْن سَعِيد بْن العَاص حدثنا سَعِيد -يَعْنِي أَبَاهُ- عَنْ عَائِشَة ﵂ أَنَّ يَهُودِيَّة كَانَتْ تَخْدُمهَا، فَلا تَصْنَع عَائِشَة ﵂ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ المَعْرُوف، إِلَّا قَالتْ لَهَا اليَهُودِيَّة: وَقَاكِ الله عَذَاب القَبْر، قَالتْ: فَدَخَل رَسُول الله ﷺ عَلَيَّ، فَقُلت: يَا رَسُول الله هَل للقَبْرِ عَذَاب قَبْل يَوْم القِيَامَة؟ قَال ﷺ: **«لا، وعَمَّ ذَلكِ؟»**. قَالتْ: هَذِهِ اليَهُودِيَّة لا نصنع إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ المَعْرُوف، إِلَّا قَالتْ: وَقَاكِ الله عَذَاب القَبْر. قَال ﷺ: **«كَذَبَتْ يهودية، وَهُمْ على الله أَكْذَب، لا عَذاب دُون يَوْم القِيَامَة»**. ثُمَّ مَكَثَ بَعْد ذَلكَ مَا شَاءَ الله أَنْ يَمْكُث، فَخَرَجَ ذَات يَوْم نِصْف النَّهَار مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ مُحْمَرَّة عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلى صَوْته: **«أيها الناس أظلتكم الفتن كَقِطَعِ اللَّيْل المُظْلم، أَيُّهَا النَّاس لوْ تَعْلمُونَ مَا أَعْلم بَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَليلاً، أَيُّهَا النَّاس اسْتَعِينُوا بِالله مِنْ عَذَاب القَبْر، فَإِنَّ عَذَاب القَبْر حَقٌّ»**[1]. وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح، عَلى شَرْط البُخَارِيّ وَمُسْلم، وَلمْ يُخَرِّجَاهُ. وَرَوَى أَحْمَد ومسلم: حدثنا يَزِيد حدثنا سُفْيَان عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة ﵂ قَالتْ: سَأَلتْهَا امْرَأَة يَهُودِيَّة فَأَعْطَتْهَا، فَقَالتْ لهَا: أعاذكِ الله مِنْ عَذَاب القَبْر، فَأَنْكَرَتْ عَائِشَة ﵂ ذَلكَ، فَلَمَّا رَأَتْ رسول الله ﷺ قَالتْ لهُ، فَقَال ﷺ: **«لا»**. قَالتْ عَائِشَة ﵂: ثُمَّ قَال لنَا رَسُول الله ﷺ بَعْد ذَلكَ: **«وَإِنَّهُ أُوحِيَ إِليَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ»**. وَهَذَا أَيْضًا عَلى شَرْطِهِمَا. فَيُقَال: فَمَا الجَمْع بَيْن هَذَا وَبَيْن كَوْن الآيَة مَكِّيَّة، وَفِيهَا الدليل عَلى عَذَاب البَرْزَخ؟ وَالجَوَاب: أَنَّ الآيَة دَلَّتْ عَلى عَرْض الأَرْوَاح عَلى النَّار غُدُوًّا وَعَشِيًّا فِي البَرْزَخ، وَليْسَ فِيهَا دَلالة عَلى اتِّصَال تَأَلُّمهَا بِأَجْسَادِهَا فِي القُبُور، إِذْ قَدْ يَكُون ذَلكَ مُخْتَصًّا بِالرُّوحِ، فَأَمَّا حُصُول ذَلكَ للجَسَدِ وَتَأَلُّمه بِسَبَبِهِ، فَلمْ يَدُلَّ عَليْهِ إِلَّا السُّنَّةُ فِي الأَحَادِيث المَرْضِيَّة الآتِي ذِكْرُهَا. وَقَدْ يُقَال: إِنَّ هَذِهِ الآيَة إِنَّمَا دَلَّتْ عَلى عَذَاب الكُفَّار فِي البَرْزَخ، وَلا يَلزَم مِنْ ذَلكَ أَنْ يُعَذَّب المُؤْمِن فِي قَبْره بِذَنْب، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلى هذا مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حدثنا عُثْمَان بْن عُمَر حدثنا يُونُس عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة ﵂ أَنَّ رَسُول الله ﷺ دَخَل عَليْهَا وَعِنْدهَا امْرَأَة مِنْ اليَهُود وَهِيَ تَقُول: أَشَعَرْت أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُوركُمْ، فَارْتَاعَ رَسُول الله ﷺ، وَقَال: **«إِنَّمَا يُفْتَن يَهُود»**. قَالتْ عَائِشَة ﵂: فَلبِثْنَا ليَالي، ثُمَّ قَال رَسُول الله ﷺ: **«أشعرت أنه أُوحيَ إليّ إنكم تُفْتَنُونَ فِي القُبُور»**. وَقَالتْ عَائِشَة ﵂: سمعت رَسُول الله ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذ مِنْ عَذَاب القَبْر[2]، وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم عَنْ هَارُون بْن سَعِيد وَحَرْمَلة؛ كليهما عَنْ ابْن وَهْب عَنْ يُونُس بْن يَزِيد الأَيْليّ عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ. وَقَدْ يُقَال: إِنَّ هَذِهِ الآيَة دَلَّتْ عَلى عَذَاب الأَرْوَاح فِي البَرْزَخ، وَلا يَلزَم مِنْ ذَلكَ أَنْ يَتَّصِل بالأجساد فِي قُبُورهَا، فَلمَّا أُوحِيَ إليه ﷺ فِي ذَلكَ بخصوصيته اسْتَعَاذَ مِنْهُ، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى أَعْلم. وَقَدْ رَوَى البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة عَنْ أَشْعَث بْن أَبِي الشَّعْثَاء عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَسْرُوق عَنْ عَائِشَة ﵂: أَنَّ يَهُودِيَّة دَخَلتْ عَليْهَا فَقَالتْ: أعاذكِ الله مِنْ عَذَاب القَبْر، فَسَأَلتْ عَائِشَة ﵂ رَسُول الله ﷺ عَنْ عَذَاب القَبْر؟ فَقَال ﷺ: **«نَعَمْ عَذابُ القَبْرِ حَقٌّ»**، قَالتْ عَائِشَة ﵂: فَمَا رَأَيْت رَسُول الله ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاة إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَاب القَبْر.[3] فَهَذَا يَدُلّ عَلى أَنَّهُ بَادَرَ ﷺ إِلى تَصْدِيق اليَهُودِيَّة فِي هَذَا الخَبَر وَقَرَّرَ عَليْهِ، وَفِي الأَخْبَار المُتَقَدِّمَة أَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلكَ حَتَّى جَاءَهُ الوَحْي، فَلعَلَّهُمَا قَضِيَّتَانِ، وَالله أَعْلم. وَأَحَادِيث عَذَاب القَبْر كَثِيرَة جِدًّا.

وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صَبَاحًا وَمَسَاء، مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، يُقَال لهُمْ: يَا آل فِرْعَوْن، هَذِهِ مَنَازِلكُمْ، تَوْبِيخًا وَنِقْمَة وَصَغَارًا لهُمْ. وَقَال ابْن زَيْد: هُمْ فِيهَا اليَوْم، يُغْدَى بِهِمْ وَيُرَاح إِلى أَنْ تَقُوم السَّاعَة. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثنا أَبُو سَعِيد حدثنا المُحَارِبِيّ حدثنا ليْث عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن ثَرْوَان عَنْ هُذَيْل عَنْ عَبْد الله

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٨١).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٨٤).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٢) (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦) (١٢٥٥).

-هو ابن مَسْعُود ﷺ- قَال: إِنَّ أَرْوَاح الشُّهَدَاء فِي أَجْوَاف طُيُور خُضْر تَسْرَح بِهِمْ فِي الجَنَّة حَيْثُ شَاءُوا، وَإِنَّ أَرْوَاح وِلدَان المُؤْمِنِينَ فِي أَجْوَاف عَصَافِير تَسْرَح فِي الجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، فَتَأْوِي إِلى قَنَادِيل مُعَلَّقَة فِي العَرْش، وَإِنَّ أَرْوَاح آل فِرْعَوْن فِي أَجْوَاف طير سُود تَغْدُو عَلى جَهَنَّم وَتَرُوح عَلَيْهَا، فَذَلكَ عَرْضهَا، وَقَدْ رَوَاهُ الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي قَيْس عَنْ الهُذَيْل بن شُرَحْبِيل مِنْ كَلامه فِي أَرْوَاح آل فِرْعَوْن، وَكَذَلكَ قَال السُّدِّيّ. وَفِي حَدِيث الإِسْرَاء مِنْ رِوَايَة أَبِي هَارُون العَبْدِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال فِيهِ: **«ثُمَّ انْطَلقَ بي إلى خَلق كَثِير مِنْ خَلق الله رِجَال، كُلّ رَجُل مِنْهُمْ بَطْنه مِثْل البَيْت الضَّخْم مُصَفَّدُونَ عَلى سَابِلة آل فِرْعَوْن، وَآلُ فِرْعَوْن يُعْرَضُونَ عَلى النَّار غُدُوًّا وَعَشِيًّا:** ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، **وَآلُ فِرْعَوْن كَالإِبِل المُسَوَّمَة يَخْبِطُونَ الحِجَارَة وَالشَّجَر وَلا يَعْقِلُونَ»**.(١)

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثنا عَليّ بْن الحُسَيْن حدثنا زَيْد بْن أَخْزم حدثنا عَامِر بْن مُدْرِك الحَارِثِيّ حدثنا عُتْبَة -يَعْنِي ابْن يَقْظَان- عَنْ قَيْس بْن مُسْلم عَنْ طَارِق عَنْ شِهَاب عَنْ ابْن مَسْعُود ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«مَا أَحْسَنَ مُحْسِن؛ مُسْلم أَوْ كَافِر؛ إلاَّ أَثَابَهُ الله»**. قَال: قُلنَا: يَا رَسُول الله مَا إِثَابَة الكَافِر؟ فَقَال: **«إِنْ كَانَ قَدْ وَصَل رَحِمًا أَوْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَوْ عَمِل حَسَنَة أَثَابَهُ الله المَال وَالوَلد وَالصِّحَّة وَأَشْبَاه ذَلكَ»**. قُلنَا: فَمَا إِثَابَته فِي الآخِرَة؟ قَال ﷺ : **«عَذَابًا دُون العَذَاب»**، وَقَرَأَ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(٢). وَرَوَاهُ البَزَّار فِي مُسْنَده عَنْ زَيْد بْن أَخْزَم، ثُمَّ قَال: لا نَعْلم لهُ إِسْنَادًا غَيْر هَذَا.

وَقَال ابْن جَرِير: حدثنا عَبْد الكَرِيم بْن أَبِي عُمَيْر، حدثنا حَمَّاد بْن مُحَمَّد الفَزَارِيّ البَلخِيّ قَال: سَمِعْت الأَوْزَاعِيّ وَسَأَلهُ رَجُل فَقَال: رَحِمَكَ الله. رَأَيْنَا طُيُورًا تَخْرُج مِنْ البَحْر، تَأْخُذ نَاحِيَة الغَرْب بِيضًا، فَوْجًا فَوْجًا، لا يَعْلم عَدَدَهَا إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كَانَ العَشِيّ رَجَعَ مِثْلهَا سودًا. قَال: وَفَطِنْتُمْ إِلى ذَلكَ؟ قَال: نَعَمْ. قَال: إِنَّ تلك الطَّيْر فِي حَوَاصِلهَا أَرْوَاحُ آل فِرْعَوْنَ، تعرض عَلى النَّار غُدُوًّا وَعَشِيًّا، فَتَرْجِع إِلى وُكُورهَا وَقَدْ احْتَرَقَتْ رياشها وَصَارَتْ سودًا، فَيَنْبُتُ عَلَيْهَا مِنْ اللَّيْل رِيشٌ أَبْيَض، وتتناثر السود، ثُمَّ تَغْدُو عَلى النَّار غُدُوًّا وَعَشِيًّا ثُمَّ تَرْجِع إِلى وُكُورهَا، فَذَلكَ دَأْبُهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة قَال الله تَعَالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾. قَال: وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ سِتّمِائَةِ أَلف مُقَاتِل.(٣) وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حدثنا إِسْحَاق حدثنا مَالك عَنْ نَافِع عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«إِنَّ أَحَدكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَليْهِ مَقْعَده بِالغَدَاةِ وَالعَشِيّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْل الجَنَّة فَمِنْ أَهْل الجَنَّة، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْل النَّار فَمِنْ أَهْل النَّار. فَيُقَال: هَذَا مَقْعَدك حَتَّى يَبْعَثك الله عز وجل إِليْهِ يَوْم القِيَامَة»**. أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيث مَالك بِهِ.(٤)

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ تَحَاجّ أَهْل النَّار فِي النَّار، وَتَخَاصُمِهِمْ، وَفِرْعَوْن وَقَوْمه مِنْ جُمْلتهمْ ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ وَهُمْ:

---

(١) تقـدم.
(٢) ضعيف : أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٣)، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: عتبة بن يقطان واهٍ.
(٣) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٤/ ٧١) بسند ضعيف.
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

الأَتْبَاع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وَهُمْ: القَادَة وَالسَّادَة وَالكُبَرَاء: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أَيْ: أَطَعْنَاكُمْ فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الكُفْر وَالضَّلال، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: قِسْطًا تَتَحَمَّلُونَهُ عَنَّا، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أَيْ: لا نَتَحَمَّلُ عَنْكُمْ شَيْئًا، كَفَى بِنَا مَا عِنْدَنَا، وَمَا حُمِّلْنَا مِنَ العَذَاب وَالنَّكَال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ أَيْ: يقسم بَيْنَنَا العَذَاب بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقّهُ كُلّ مِنَّا، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٨)، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ ؛ لَمَّا عَلمُوا أَنَّ الله ﷻ لا يَسْتَجِيب مِنْهُمْ وَلا يَسْتَمِع لدُعَائِهِمْ، بَل قَدْ قَالَ: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون:١٠٨) سَأَلُوا الخَزَنَة -وَهُمْ كالبوَّابين لأَهْل النَّار- أَنْ يَدْعُوا لَهُمْ الله فِي أَنْ يُخَفِّفَ عَنِ الكَافِرِينَ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ العَذَاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم، ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا، لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: إلا في ذهاب، لا يتقبل ولا يستجاب.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قَدْ أَوْرَدَ أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير، رَحِمَهُ الله تَعَالى عِنْد قَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ سُؤَالًا فَقَال: قَدْ عُلِمَ أَنَّ بَعْض الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ الصَّلاة وَالسَّلام، قد قَتَلهُ قَوْمه بِالكُلِّيَّةِ كَيَحْيَى وَزَكَرِيَّا وشعياء، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ إِمَّا مُهَاجِرًا كَإِبْرَاهِيمَ، وَإِمَّا إِلى السَّمَاء كَعِيسَى، فَأَيْنَ النُّصْرَة فِي الدُّنْيَا؟ ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلكَ بِجَوَابَيْنِ:

أَحَدهمَا: أَنْ يَكُون الخَبَر خَرَجَ عَامًّا، وَالمُرَاد بِهِ البَعْض، قَال: وَهَذَا سَائِغ فِي اللُّغَة.

الثَّانِي: أَنْ يَكُون المُرَاد بِالنَّصْرِ الانْتِصَار لَهُمْ مِمَّنْ آذَاهُمْ، وَسَوَاء كَانَ ذَلكَ بِحَضْرَتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْد مَوْتِهِمْ، كَمَا فُعِل بِقَتَلَةِ يَحْيَى وَزَكَرِيَّا وشعياء، سُلِّطَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ مَنْ أَهَانَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ النُّمْرُود أَخَذَهُ الله أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ رَامُوا صَلب المَسِيح عليه السلام مِنْ اليَهُود فَسَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ الرُّوم فَأَهَانُوهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ، وَأَظْهَرَهُمْ الله عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَبْل يَوْم القِيَامَة سَيَنْزِلُ عِيسَى ابْن مَرْيَم إِمَامًا عَادِلًا وحكمًا مُقْسِطًا، فَيَقْتُل المَسِيح الدَّجَّال وَجُنُوده مِنْ اليَهُود، وَيَقْتُل الخِنْزِير، وَيَكْسِر الصَّلِيب، وَيَضَع الجِزْيَة، فَلا يَقْبَل إِلَّا الإِسْلام، وَهَذِهِ نُصْرَة عَظِيمَة، وَهَذِهِ سُنَّة الله فِي خَلقه فِي قَدِيم الدَّهْر وَحَدِيثه: أَنَّهُ يَنْصُر عِبَاده المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَيُقِرّ أَعْيُنهم مِمَّنْ آذَاهُمْ. فَفِي صَحِيح البُخَارِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: **«يَقُول الله تَعَالى: مَنْ عَادَى لي وَليًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالحَرْبِ»**[1]؛ وَفِي الحَدِيث الآخَر: **«إِنِّي لأَثْأَرُ لأَوْليَائِي كَمَا يَثْأَر اللَّيْث الحَرِب»**[2]؛ وَلِهَذَا أَهْلكَ الله ﷻ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَهْل مَدْيَنَ وَأَشْبَاهَهُمْ

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) لم أقف عليه مسندًا.

وَأَضْرَابِهِمْ مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُل وَخَالفَ الحَقّ. وَأَنْجَى الله مِنْ بَيْنِهِمْ المُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يُهْلك مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَذَّبَ الكَافِرِينَ فَلَمْ يُفْلت مِنْهُمْ أَحَدًا.

قَال السُّدِّيّ: لمْ يَبْعَث الله ﷻ رَسُولًا قَطُّ إِلى قَوْم فَيَقْتُلُونَهُ، أَوْ قَوْمًا مِنْ المُؤْمِنِينَ يَدْعُونَ إِلى الحَقّ فَيُقْتَلُونَ، فَيَذْهَب ذَلكَ القَرْن حَتَّى يَبْعَث الله لهُمْ مَنْ يَنْصُرهُمْ فَيَطْلُب بِدِمَائِهِمْ مِمَّنْ فَعَل ذَلكَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، قَال: فَكَانَتْ الأَنْبِيَاء وَالمُؤْمِنُونَ يُقْتَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَهُمْ مَنْصُورُونَ فِيهَا. وَهَكَذَا نَصَرَ الله نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابه عَلى مَنْ خَالفَهُ وَنَاوَأَهُ، وَكَذَّبَهُ وَعَادَاهُ، فَجَعَل كَلمَته هِيَ العُليَا، وَدِينه هُوَ الظَّاهِر عَلى سَائِر الأَدْيَان، وَأَمَرَهُ بِالهِجْرَةِ مِنْ بَيْن ظَهْرَانَيْ قَوْمه إِلى المَدِينَة النَّبَوِيَّة، وَجَعَل لهُ فِيهَا أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، ثُمَّ مَنَحَهُ أَكْتَاف المُشْرِكِينَ يَوْم بَدْر فَنَصَرَهُ عَليْهِمْ وَخَذَلهُمْ، وَقَتَل صَنَادِيدَهمْ، وَأَسَرَ سَرَاتَهُمْ، فَاسْتَاقَهُمْ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَاد، ثُمَّ مَنَّ عَليْهِمْ بِأَخْذِهِ الفِدَاء مِنْهُمْ، ثُمَّ بَعْد مُدَّة قَرِيبَة فَتَح مَكَّة فَقَرَّتْ عَيْنه بِبَلدِهِ وَهُوَ البَلد المُحَرَّم الحَرَام المُشَرَّف المُعَظَّم، فَأَنْقَذَهُ الله تَعَالى بِهِ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ الشِّرْك وَالكُفْر وَفَتَح لهُ اليَمَن، وَدَانَتْ لهُ جَزِيرَة العَرَب بِكَمَالهَا، وَدَخَل النَّاس فِي دِين الله أَفْوَاجًا، ثُمَّ قَبَضَهُ الله تَعَالى إِليْهِ لمَا لهُ عِنْده مِنْ الكَرَامَة العَظِيمَة، فَأَقَامَ الله أَصْحَابه خُلفَاء بَعْده فَبَلَّغُوا عَنْهُ دِين الله، وَدَعَوْا عِبَادَ الله إِلى الله، وَفَتَحُوا البِلاد وَالرَّسَاتِيق وَالأَقَاليم وَالمَدَائِن وَالقُرَى وَالقُلُوب، حَتَّى انْتَشَرَتْ الدَّعْوَة المُحَمَّدِيَّة فِي مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا. ثُمَّ لا يَزَال هَذَا الدِّين قَائِمًا مَنْصُورًا ظَاهِرًا إِلى قِيَام السَّاعَة، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة تَكُون النُّصْرَة أَعْظَم وَأَكْبَر وَأَجَلّ. قَال مُجَاهِد: الأَشْهَاد المَلائِكَة. وقَوْله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ بَدَل مِنْ قَوْله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ وَقَرَأَ آخَرُونَ: «يَوْمُ» بِالرَّفْعِ، كَأَنَّهُ فَسَّرَهُ بِهِ: (يومَ يقوم الأشهادُ: يومُ لا ينفع الظالمين)، وَهُمْ المُشْرِكُونَ ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أَيْ: لا يُقْبَل مِنْهُمْ عُذْر وَلا فِدْيَة، ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ أَيْ: الإِبْعَاد وَالطَّرْد مِنْ الرَّحْمَة، ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ وَهِيَ النَّار. قَالهُ السُّدِّيّ، بِئْسَ المَنْزِل وَالمَقِيل، وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أَيْ: سُوء العَاقِبَة.

وَقَوْله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وَهُوَ مَا بَعَثَهُ الله بِهِ مِنْ الهُدَى وَالنُّور، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أَيْ: جَعَلنَا لهُمْ العَاقِبَة، وَأَوْرَثْنَاهُمْ بِلاد فِرْعَوْن وَأَمْوَاله وَحَوَاصِله وَأَرْضه، بِمَا صَبَرُوا عَلى طَاعَة الله وَاتِّبَاع رَسُوله مُوسَى عليه السلام، وَفِي الكِتَاب الَّذِي أُورِثُوهُ -وَهُوَ التَّوْرَاة- ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ وَهِيَ: العُقُول الصَّحِيحَة السَّليمَة. وقَوْله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّد ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أَيْ: وَعَدْنَاك أَنَّا سَنُعْلِي كَلمَتك، وَنَجْعَل العَاقِبَة لك وَلمَنْ اتَّبَعَك، وَالله لا يُخْلف المِيعَاد، وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاك بِهِ حَقّ لا مِرْيَة فِيهِ، وَلا شَكّ. وَقَوْله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ، هَذَا تَهْيِيج للأُمَّةِ عَلى الاسْتِغْفَار، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ﴾ أَيْ: فِي أَوَاخِر النَّهَار، وَأَوَائِل اللَّيْل، ﴿وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ وَهِيَ أَوَائِل النَّهَار وَأَوَاخِر اللَّيْل. وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أَيْ: يَدْفَعُونَ الحَقّ بِالبَاطِل، وَيَرُدُّونَ الحُجَج الصَّحِيحَة بِالشُّبَهِ الفَاسِدَة بِلا بُرْهَان، وَلا حُجَّة مِنْ الله، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ﴾ أَيْ: مَا فِي صُدُورهمْ إِلَّا كِبْر عَلى اتِّبَاع الحَقّ، وَاحْتِقَار لمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ، وَليْسَ مَا يَرُومُونَهُ مِنْ إِخْمَال الحَقّ، وَإِعْلاء البَاطِل بِحَاصِلٍ لهُمْ، بَل الحَقّ هُوَ المَرْفُوع، وَقَوْلهمْ وَقَصْدهمْ هُوَ المَوْضُوع، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ أَيْ: مِنْ حَال مِثْل هَؤُلاءِ، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أَوْ: مِنْ شَرّ مِثْل هَؤُلاءِ المُجَادِلينَ فِي آيَات الله بِغَيْرِ سُلطَان. هَذَا تَفْسِير ابْن جَرِير.

وَقَال كَعْب وَأَبُو العَاليَة: نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة فِي اليَهُود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ﴾. قَال أَبُو العَاليَة: وَذَلكَ أَنَّهُمْ ادَّعَوْا أَنَّ الدَّجَّال مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ يَمْلكُونَ بِهِ الأَرْض.

فقال الله لنبيه ﷺ آمرًا له أن يستعيذ من فتنة الدجال، ولهذا قال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

يقول تعالى منبهًا على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه، يسير لديه -بأنه خلق السماوات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف:٣٣)، وقال ههنا: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة، ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السماوات والأرض، وينكرون المعاد استبعادًا وكفرًا وعنادًا، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا، ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ﴾ أي: كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: ما أقل ما يتذكر كثير من الناس. ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ أي: لكائنة وواقعة، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدقون بها، بل يكذبون بوجودها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن -قدم من ثم- قال: سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس، واشتد حر الشمس.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه: أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب. رواه ابن أبي حاتم. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله ❁ وبني آدم حين يسأل يغضب

وقال قتادة: قال كعب الأحبار: أعطيت هذه الأمة ثلاثًا لم تعطهن أمة قبلهم إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبيًّا قيل له: «أنت شاهد على أمتك»، وجعلتكم شهداء على الناس. وكان يقال له: ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨)، وكان يقال له: ادعني أستجب لك وقال لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده: حدثنا أبو إبراهيم الترجماني حدثنا صالح المري قال: سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: **«أربع خصال، واحدة منهن لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين عبادي، فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك علي فما عملت من خير جزيتك به، وأما التي بيني وبينك: فمنك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين عبادي: فارض لهم ما ترضى لنفسك».**[1]

---

(١) ضعيف: تقدم.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الأَعْمَش عَنْ ذَرٍّ عَنْ يُسَيْع الكِنْدِيّ عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير ﵁ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ الدُّعَاء هُوَ العِبَادَة**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ أَصْحَاب السُّنَن: التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ وَابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير؛ كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيث الأَعْمَش بِهِ.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن جَرِير أَيْضًا مِنْ حَدِيث شُعْبَة عَنْ مَنْصُور عن ذَرٍّ به، وأخرجه الترمذي أيضًا من حديث الثَّوْرِيّ عَنْ مَنْصُور والأعمش كليهما عَنْ ذَرّ بِهِ، وَرَوَاهُ ابْن حِبَّان وَالحَاكِم فِي صَحِيحَيْهِمَا، وَقَال الحَاكِم: صَحِيح الإِسْنَاد. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع حدثنا أبو مليح المَدَنِيّ -شَيْخ مِنْ أَهْل المَدِينَة- سَمِعَهُ عَنْ أَبِي صَالِح، وَقَال مُرَّة: سَمِعْت أَبَا صَالِح يُحَدِّث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﵁ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ ﷻ غَضِبَ عَلَيْهِ**»[2]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد وَهَذَا إِسْنَاد لا بَأْس بِهِ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا مَرْوَان الفَزَارِيّ حَدَّثَنَا صُبَيْح أَبُو المَلِيح سَمِعْت أَبَا صَالِح يُحَدِّث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**مَنْ لا يَسْأَلهُ يَغْضَب عَلَيْهِ**».

قَال ابْن مَعِين: أَبُو المَلِيح هَذَا اسْمه : صُبَيْح كَذَا قَيَّدَهُ بِالضَّمِّ عَبْد الغَنِيّ بْن سَعِيد، وَأَمَّا أَبُو صَالِح هَذَا فَهُوَ الخُوزِيّ سَكَنَ شِعْب الخُوز، قَالَهُ البَزَّار فِي مُسْنَده. وَكَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَته أَبُو المَلِيح الفَارِسِيّ عَنْ أَبِي صَالِح الخُوزِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﵁ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ لَمْ يَسْأَل الله يَغْضَب عَلَيْهِ». وَقَال الحَافِظ أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بْن عَبْد الرَّحْمَن الرَّامَهُرْمُزِيّ: حَدَّثَنَا هَمَّام حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الحَسَن حَدَّثَنَا نَائِل بْن نَجِيح حَدَّثَنِي عَائِذ بْن حَبِيب عَنْ مُحَمَّد بْن سَعِيد قَال: لَـمَّا مَاتَ مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة الأَنْصَارِيّ وَجَدْنَا فِي ذُؤَابَة سَيْفه كِتَابًا بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي بَقِيَّة أَيَّام دَهْرِكُمْ نَفَحَات، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، لَعَلَّ دَعْوَة أَنْ تُوَافِق رَحْمَة فَيَسْعَد بِهَا صَاحِبُهَا سَعَادَة، لا يَخْسَر بَعْدهَا أَبَدًا**».[3]

وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ أَيْ: عَنْ دُعَائِي وَتَوْحِيدِي، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أَيْ: صَاغِرِينَ حَقِيرِينَ، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد عَنْ ابْن عَجْلان حَدَّثَنِي عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْم القِيَامَة أَمْثَال الذَّرّ، فِي صُوَر النَّاس، يَعْلُوهُمْ كُلّ شَيْء مِنْ الصَّغَار، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّم، يُقَال لَهُ: بُولَس، تَعْلُوهُمْ نَار الأَنْيَار، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَة الخَبَال: عُصَارَة أَهْل النَّار**».[4]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن مُحَمَّد بْن يَزِيد بْن خُنَيْس سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث عَنْ وُهَيْب بْن الوَرْد حَدَّثَنِي رَجُل قَال: كُنْت أَسِير ذَات يَوْم فِي أَرْض الرُّوم، فَسَمِعْت هَاتِفًا مِنْ فَوْق رَأْس جَبَل وَهُوَ يَقُول: يَا رَبّ عَجِبْت لِمَنْ عَرَفَك كَيْفَ يَرْجُو أَحَدًا غَيْرك، يَا رَبّ عَجِبْت لِمَنْ عَرَفَك كَيْفَ يَطْلُب حَوَائِجه إِلَى أَحَد غَيْرك، قَال: ثُمَّ ذَهَبْت، ثُمَّ جَاءَتْ الطَّامَّة الكُبْرَى، قَال: ثُمَّ عَادَ الثَّانِيَة، فَقَال: يَا رَبّ عَجِبْت لِمَنْ عَرَفَك كَيْفَ يَتَعَرَّض لِشَيْءٍ مِنْ سَخَطِك بِرِضَا غَيْرك، قَال وُهَيْب: وَهَذِهِ الطَّامَّة الكُبْرَى، قَال: فَنَادَيْته أَجِنِّيّ أَنْتَ أَمْ إِنْسِيّ؟ قَال: بَل إِنْسِيّ، أَشْغِل نَفْسك بِمَا يَعْنِيك عَمَّا لا يَعْنِيك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

---

(١) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٩٦٩) (٣٢٤٧)، وأحمد (٤/ ٢٧١).
(٢) **حسن** : تقدم.
(٣) **صحيح** : أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٥٢١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٠).
(٤) **حسن** : تقدم.

ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُمْتَنًّا عَلى خَلقه، بِمَا جَعَل لَهُمْ مِنْ اللَّيْل الَّذِي يَسْكُنُونَ فِيهِ وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْ حَرَكَات تَرَدُّدِهِمْ فِي المَعَايِش بِالنَّهَارِ. وَجَعَل النَّهَار مُبْصِرًا، أَيْ: مُضِيئًا، لِيَتَصَرَّفُوا فِيهِ بِالأَسْفَارِ، وَقَطْع الأَقْطَار، وَالتَّمَكُّن مِنْ الصِّنَاعَات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: لا يَقُومُونَ بِشُكْرِ نِعَم الله عَلَيْهِمْ. ثم قَال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: الَّذِي فَعَل هَذِهِ الأَشْيَاء هُوَ الله الوَاحِد الأَحَد، خَالق الأَشْيَاء، الَّذِي لا إِله غَيْره، وَلا رَبّ سِوَاهُ، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أَيْ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ غَيْره مِنْ الأَصْنَام الَّتِي لا تَخْلُق شَيْئًا، بَل هِيَ مَخْلُوقَة مَنْحُوتَة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أَيْ: كَمَا ضَلَّ هَؤُلاءِ بِعِبَادَةِ غَيْر الله، كَذَلكَ أُفِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلهمْ فَعَبَدُوا غَيْره بِلا دَليل، وَلا بُرْهَان، بَل بِمُجَرَّدِ الجَهْل وَالهَوَى. وَجَحَدُوا حُجَج الله وَآيَاته، وقَوْله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أَيْ: جَعَلهَا لكُمْ مُسْتَقَرًّا، بِسَاطًا مِهَادًا تَعِيشُونَ عَلَيْهَا وَتَتَصَرَّفُونَ فِيهَا، وَتَمْشُونَ فِي مَنَاكِبهَا، وَأَرْسَاهَا بِالجِبَال لئَلَّا تَمِيدَ بِكُمْ، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أَيْ: سَقْفًا للعَالَمِ مَحْفُوظًا، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أَيْ: فَخَلقَكُمْ فِي أَحْسَن الأَشْكَال، وَمَنَحَكُمْ أَكْمَل الصُّوَر فِي أَحْسَن تَقْوِيم، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أَيْ: مِنْ المَآكِل وَالمَشَارِب فِي الدُّنْيَا، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلقَ الدَّار وَالسُّكَّان وَالأَرْزَاق، فَهُوَ الخَالق الرَّازِق، كَمَا قَالَ فِي سُورَة البَقَرَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١-٢٢). وَقَال هَهُنَا بَعْد خَلق هَذِهِ الأَشْيَاء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: فَتَعَالى وَتَقَدَّس وَتَنَزَّهَ رَبّ العَالمِينَ كُلّهمْ.

ثُمَّ قَال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: هُوَ الحَيّ أَزَلًا وَأَبَدًا، لمْ يَزَل وَلا يَزَال، وَهُوَ الأَوَّل وَالآخِر، وَالظَّاهِر وَالبَاطِن، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: لا نَظِير لهُ، وَلا عَدِيل لهُ، ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أَيْ: مُوَحِّدِينَ لهُ مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لا إِله إِلَّا هُوَ، الحَمْد لله رَبّ العَالمِينَ. قَال ابْن جَرِير: كَانَ جَمَاعَة مِنْ أَهْل العِلم يَأْمُرُونَ مَنْ قَال: «لا إِله إِلَّا الله» أَنْ يُتْبِعهَا بِالحَمْدِ لله رَبّ العَالمِينَ عَمَلًا بِهَذِهِ الآيَة. ثُمَّ رَوَى عَنْ مُحَمَّد بْن عَليّ بْن الحسن بْن شَقِيق عَنْ أَبِيهِ عَنْ الحُسَيْن بْن وَاقِد عَنْ الأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: مَنْ قَال لا إِله إِلَّا الله فَليَقُل عَلى أَثَرِهَا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فذلك قَوْله تَعَالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وَقَال أَبُو أُسَامَة وَغَيْره: عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: إِذَا قَرَأْت: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فَقُل: لا إِله إِلَّا الله، وَقُل عَلى أَثَرِهَا: الحَمْد لله رَبّ العَالمِينَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر حَدَّثَنَا هِشَام يَعْنِي ابْن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر عَنْ أَبِي الزُّبَيْر مُحَمَّد بْن مُسْلم بْن تَدْرُس المَكِّيّ قَال: كَانَ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر يَقُول فِي دُبُر كُلّ صَلاة حِين يُسَلِّم: لا إِله إِلَّا الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، لهُ المُلك وَلهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْء قَدِير، لا حَوْل وَلا قُوَّة إِلَّا بِالله، لا إِله إِلَّا الله، وَلا نَعْبُد إِلَّا إِيَّاهُ، لهُ النِّعْمَة وَلهُ الفَضْل، وَلهُ الثَّنَاء الحَسَن، لا إِله إِلَّا الله مُخْلِصِينَ لهُ الدِّين، وَلوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، قَال: وَكَانَ رَسُول الله ﷺ

يُهِلّ بِهِنَّ دُبُر كُلّ صَلاة. وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة وَحَجَّاج بْن أَبِي عُثْمَان وَمُوسَى بْن عُقْبَة ثَلاثَتهمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي دُبُر كُلّ صَلاة: «لا إِله إِلَّا الله وَحْده لا شَرِيك لَهُ». وَذَكَرَ تَمامه][1].

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

يَقُول تَعَالى: قُل يَا مُحَمَّد لِهَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ الله يَنْهَى أَنْ يُعْبَدَ أَحَد سِوَاهُ مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد وَالأَوْثَان. وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالى أَنَّهُ لا يَسْتَحِقّ العِبَادَة أَحَد سِوَاهُ، فِي قَوْله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ﴾ أَيْ: هُوَ الَّذِي يُقَلِّبكُمْ فِي هَذِهِ الأَطْوَارِ كُلّهَا، وَحْده لا شَرِيك لَهُ، وَعَنْ أَمْرِهِ وَتَدْبِيره وَتَقْدِيره يَكُون ذَلِكَ كُلّه، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْل أَنْ يُوجَد وَيَخْرُج إِلى هَذَا العَالَم، بَل تُسْقِطُهُ أُمّه سِقْطًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُتَوَفَّى صَغِيرًا وَشَابًّا، وَكَهْلًا قَبْل الشَّيْخُوخَة، كَقَوْلِهِ: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج:٥). وَقَال هَهُنَا: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قَال ابْن جُرَيْج: تَتَذَكَّرُونَ البَعْث. ثم قَال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ أَيْ: هُوَ المتفرد بِذَلِكَ، لا يَقْدِر عَلى ذَلِكَ أَحَد سِوَاهُ، ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أَيْ: لا يُخَالف وَلا يُمَانَع، بَل مَا شَاءَ كَانَ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى: [لا][2] تَعْجَب يَا مُحَمَّد مِنْ هَؤُلاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ الله، وَيُجَادِلُونَ فِي الحَقّ بِالبَاطِل كَيْفَ تُصْرَف عُقُولهمْ عَنْ الهُدَى إِلى الضَّلال، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ أَيْ: مِنْ الهُدَى وَالبَيَان، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: هَذَا تَهْدِيد شَدِيد، وَوَعِيد أَكِيد، مِنْ الرَّبّ، جَلَّ جَلاله، لِهَؤُلاءِ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات:١٥). وقوله: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ أَيْ: مُتَّصِلة بِالأَغْلال بِأَيْدِي الزَّبَانِيَة يَسْحَبُونَهُمْ عَلى وُجُوههمْ، تَارَة إِلى الحَمِيم وَتَارَة إِلى الجَحِيم؛ ولهذا قَال: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ كَمَا قَال تَعَالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (الرحمن:٤٣-٤٤). وَقَال بَعْد ذِكْر أَكْلِهِمْ الزَّقُّوم وَشُرْبِهِمْ الحَمِيم: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾، وَقَال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾. إِلى أَنْ قَال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ (الواقعة:٤١-٥٦).

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) في «نسخة»: [ألا].

وَقَال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ (الدخان:٤٣-٥٠)، أَيْ: يُقَال لهُمْ ذَلكَ عَلى وَجْه التَّقْرِيع وَالتَّوْبِيخ، وَالتَّحْقِير وَالتَّصْغِير، وَالتَّهَكُّم وَالاسْتِهْزَاء بِهِمْ.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن حَدَّثنَا أَحْمَد بْن مَنِيع حَدَّثنَا مَنْصُور بْن عَمَّار حَدَّثنَا بَشِير بْن طَلحَة الخُزَامِيّ عَنْ خَالد بْن دُرَيْك عَنْ يَعْلى بْن مُنْيَة رَفَعَ الحَدِيث إِلى رَسُول الله ﷺ قَال: «**يُنْشِئُ الله سَحَابَة لأَهْل النَّار سَوْدَاء مُظْلمَة، وَيُقَال: يَا أَهْل النَّار، أَيّ: شَيْء تَطْلُبُونَ؟ فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَاب الدُّنْيَا فيقولون: نَسْأَل بَرْد الشَّرَاب، فَتُمْطِرهُمْ أَغْلالاً تَزِيد فِي أَغْلالهمْ، وَسَلاسِل تَزِيد فِي سَلاسِلهمْ، وَجَمْرًا يُلهِب النَّار عَليْهِمْ**»[1]، هَذَا حَدِيث غَرِيب.

وَقَوْله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: قِيل لهُمْ: أَيْنَ الأَصْنَام الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُون الله؟ هَل يَنْصُرُونَكُمْ اليَوْم؟ ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أَيْ: ذَهَبُوا فَلمْ يَنْفَعُونَا، ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أَيْ: جَحَدُوا عِبَادَتهمْ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:٢٣)؛ وَلهَذَا قَال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أَيْ: تَقُول لهُمْ المَلائِكَة: هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ جَزَاء عَلى فَرَحكُمْ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ الحَقّ وَمَرَحِكُمْ، وَأَشَركُمْ وَبَطَركُمْ، ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أَيْ: فَبِئْسَ المَنْزِل وَالمَقِيل الَّذِي فِيهِ الهَوَان وَالعَذَاب الشَّدِيد، لمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ آيَات الله، وَاتِّبَاع دَلائِله وَحُجَجه.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا رَسُوله -صلوات الله وسلامه عليه- بِالصَّبْرِ عَلى تَكْذِيب مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمه؛ فَإِنَّ الله سَيُنْجِزُ لك مَا وَعَدَكَ مِنْ النَّصْر وَالظَّفَر عَلى قَوْمك، وَجَعْل العَاقِبَة لك وَلمَنْ اتَّبَعَك فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلكَ وَقَعَ، فَإِنَّ الله تَعَالى أَقَرَّ أَعْيُنهمْ مِنْ كُبَرَائِهِمْ وَعُظَمَائِهِمْ، أُبِيدُوا فِي يَوْم بَدْر، ثُمَّ فَتَحَ الله عَليْهِ مَكَّة، وَسَائِر جَزِيرَة العَرَب فِي حَيَاته ﷺ، وَقَوْله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: فَنُذِيقهُمْ العَذَاب الشَّدِيد فِي الآخِرَة، ثم قَال مُسَلِّيًا لهُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ كَمَا قَال فِي سُورَة النِّسَاء سَوَاء، أَيْ: مِنْهُمْ مَنْ أَوْحَيْنَا إِليْك خَبَرهمْ وَقَصَصهمْ مَعَ قَوْمهمْ كَيْفَ كَذَّبُوهُمْ، ثُمَّ كَانَتْ للرُّسُل العَاقِبَة وَالنُّصْرَة، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، وَهُمْ أَكْثَر مِمَّنْ ذُكِرَ بِأَضْعَافِ أَضْعَاف، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيه عَلى ذَلكَ فِي سُورَة النِّسَاء، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة. وَقَوْله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: وَلمْ يَكُنْ لوَاحِدٍ مِنْ الرُّسُل أَنْ يَأْتِي قَوْمه بِخَارِقٍ للعَادَاتِ، إِلا أَنْ يَأْذَن الله لهُ فِي ذَلكَ فَيَدُلّ ذَلكَ عَلى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: وَهُوَ عَذَابه وَنَكَاله المُحِيط بِالمُكَذِّبِينَ ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾، فينجو المؤمنون، وَيَهْلكَ الكافرون، وَلهَذَا قَال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤١٠٣) بسند ضعيف.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُمتَنًّا عَلى عِبَاده، بِمَا خَلقَ لَهُمْ مِنَ الأَنْعَام، وَهِيَ الإِبِل وَالبَقَر وَالغَنَم، ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (يس:٧٢)، فَالإِبِل تُرْكَب وَتُؤْكَل وَتُحْلب، وَيُحْمَل عَلَيْهَا الأَثْقَال فِي الأَسْفَار وَالرِّحَال إِلى البِلاد النَّائِيَة، وَالأَقْطَار الشَّاسِعَة، وَالبَقَر تُؤْكَل، وَيُشْرَب لبَنهَا، وَتُحْرَث عَلَيْهَا الأَرْض، وَالغَنَم تُؤْكَل وَيُشْرَب لبَنهَا، وَالجَمِيع تُجَزّ أَصْوَافهَا، وَأَشْعَارهَا وَأَوْبَارهَا، فَيُتَّخَذ منه الأَثَاث، وَالثِّيَاب وَالأَمْتِعَة، كَمَا فُصِّل وَبُيِّنَ فِي أَمَاكِن تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي «سُورَة الأَنْعَام» وَ«سُورَة النَّحْل» وَغَيْر ذَلكَ؛ ولهذا قَال هَهُنَا: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾. وقَوْله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أَيْ: حُجَجه وَبَرَاهِينه فِي الآفَاق وَفِي أَنْفُسكُمْ، ﴿فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ ؟ أَيْ: لا تَقْدِرُونَ عَلى إِنْكَار شَيْء مِنْ آيَاته، إِلَّا أَنْ تُعَانِدُوا وَتُكَابِرُوا.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ الأُمَم المُكَذِّبَة بِالرُّسُل فِي قَدِيم الدَّهْر، وَمَاذَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ العَذَاب الشَّدِيد، مَعَ شِدَّة قُوَاهُمْ، وَمَا أَثَرُوهُ فِي الأَرْض، وَجَمَعُوهُ مِنْ الأَمْوَال، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ ذَلكَ شَيْئًا، وَلا رَدَّ عَنْهُمْ ذَرَّة مِنْ بَأْس الله؛ وذلك لأَنهم لما جَاءَتْهُمْ الرسل بِالبَيِّنَاتِ، وَالحُجَج القَاطِعَات، وَالبَرَاهِين الدَّامِغَات، لَمْ يَلتَفِتُوا إِلَيْهِمْ، وَلا أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ، وَاسْتَغْنَوْا بِمَا عِنْدهمْ مِنْ العِلم فِي زَعْمِهِمْ عَمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُل.

وقَال مُجَاهِد: قَالُوا: نَحْنُ أَعْلم [مِنْهُمْ][1] لنْ نُبْعَث وَلنْ نُعَذَّب. وَقَال السُّدِّيّ: فَرِحُوا بِمَا عِنْدهمْ مِنْ العِلم بِجَهَالتِهِمْ، فَأَتَاهُمْ مِنْ بَأْس الله مَا لا قِبَل لَهُمْ بِهِ. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أَيْ: أَحَاطَ بِهِمْ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَيْ: يُكَذِّبُونَ وَيَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعه. ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أَيْ: عَايَنُوا وُقُوع العَذَاب بِهِمْ؛ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ أَيْ: وَحَّدُوا الله، وَكَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ، وَلكِنْ حَيْثُ لا تُقَال العَثَرَات، وَلا تَنْفَع المَعْذِرَة، وَهَذَا كَمَا قَال فِرْعَوْن حِين أَدْرَكَهُ الغَرَق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس:٩٠)، قَال الله تَعَالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس:٩١)، أَيْ: فَلمْ يَقْبَل الله مِنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لنَبِيِّهِ مُوسَى دُعَاءَهُ عَليْهِ، حِين قَال: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ (يونس:٨٨)، وههنا قَال: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ أَيْ: هَذَا حُكْم الله فِي جَمِيع مَنْ تَابَ عِنْد مُعَايَنَة العَذَاب: أَنَّهُ لا يُقْبَل؛ وَلهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «إِنَّ الله يَقْبَل تَوْبَة العَبْد مَا لمْ يُغَرْغِر»[2]. أَيْ: فَإِذَا غَرْغَرَ وَبَلغَتْ الرُّوح الحَنْجَرَة، وَعَايَنَ المَلك فَلا تَوْبَة حِينَئِذٍ؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة المؤمن، ولله الحَمْدُ وَالمِنَّة

---

(١) في نسخة: «منه».
(٢) حسن صحيح: تقدم.

تفسير سُورَةُ فُصِّلَتْ وهي مكية (ترتيبها ٤١) (وآياتها ٥٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يَعْنِي: القُرْآن مُنَزَّل مِنْ الرَّحْمَن الرَّحِيم، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل:١٠٢)، وَقَوْله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٤). وقَوْله: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أَيْ: بُيِّنَتْ مَعَانِيه وَأُحْكِمَتْ أَحْكَامه، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أَيْ: فِي حَال كَوْنه لفظًا عَرَبِيًّا، بَيِّنًا وَاضِحًا، فَمَعَانِيه مُفَصَّلة، وَأَلْفَاظه وَاضِحَة غَيْر مُشْكلة، كَقَوْلِهِ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:١)، أَيْ: هُوَ مُعْجِز مِنْ حَيْثُ لفْظه وَمَعْنَاهُ ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤٢).

وَقَوْله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَعْرِف هَذَا البَيَان، وَالوُضُوح العُلَماء الرَّاسِخُونَ، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أَيْ: تَارَة يُبَشِّر الْمُؤْمِنِينَ وَتَارَة يُنْذِر الكَافِرِينَ، ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أَيْ: أَكْثَر قُرَيْش، فَهُمْ لا يَفْهَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا مَعَ بَيَانه وَوُضُوحه، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أَيْ: فِي غُلف مُغَطَّاة ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أَيْ: صَمَم عَمَّا جِئْتَنَا بِهِ، ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فَلا يَصِل إِلَيْنَا شَيْء مِمَّا تَقُول: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ أَيْ: اعْمَل أَنْتَ عَلى طَرِيقَتك، وَنَحْنُ عَلى طَرِيقَتنا لا نُتَابِعك.

قَال الإِمَام العَلَم عَبْد بن حُمَيْد فِي مُسْنَده: حَدَّثَنِي ابْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا عَلِيّ بن مُسْهِر عَنْ الأَجْلح عَنْ الزَّيَّال ابْن حَرْمَلَة الأَسَدِيّ عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنه قَال: اجْتَمَعَتْ قُرَيْش يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُم بِالسِّحْرِ وَالكِهَانَة وَالشِّعْر فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُل الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتنَا وَشَتَّتَ أَمْرنَا وَعَابَ دِيننَا فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْنَنْظُرْ مَاذَا يَرُدّ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا نَعْلم أَحَدًا غَيْر عُتْبَة بْن رَبِيعَة، فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الوَلِيد، فَأَتَاهُ عُتْبَة، فَقَال: يَا مُحَمَّد أَنْتَ خَيْر أَمْ عَبْد الله؟ فَسَكَتَ رَسُول الله ﷺ فَقَال: أَنْتَ خَيْر أَمْ عَبْد الْمُطَّلب؟ فَسَكَتَ رَسُول الله ﷺ، قَال: فَإِن كُنْت تَزْعُم أَنَّ هَؤُلاءِ خَيْر مِنْك فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَة الَّتِي عِبْت، وَإِنْ كُنْت تَزْعُم أَنَّك خَيْر مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَع قَوْلك، إِنَّا وَالله مَا رَأَيْنَا سَخْلة قَطُّ أَشْأَم عَلى قَوْمك مِنْك، فَرَّقْت جَمَاعَتنَا وَشَتَّتّ أَمْرنَا، وَعِبْت دِيننَا، وَفَضَحْتنَا فِي العَرَب، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْش سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْش كَاهِنًا، وَالله مَا نَنْتَظِر إِلَّا مِثْل صَيْحَة الحُبْلى أَنْ يَقُوم بَعْضنَا إِلى بَعْض بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى، أَيُّهَا الرَّجُل إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِك الحَاجَةُ جَمَعْنَا لك حَتَّى تَكُون أَغْنَى قُرَيْش رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِك البَاءَة فَاخْتَرْ أَيّ نِسَاء قُرَيْش فَلْنُزَوِّجْك عَشْرًا، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «فَرَغْت». قَال: نَعَمْ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

فَقَال عُتْبَة: حَسْبُك! حَسْبُك! ما عِنْدك غَيْر هَذَا؟ قال ﷺ: «لا». فَرَجَعَ إِلى قُرَيْش، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَك؟ قَال: مَا تَرَكْت شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَه بِهِ إِلَّا كَلَّمْته. قَالُوا: فَهَل أَجَابَك؟ قَال: لا وَالَّذِي نَصَبهَا بَنِيَّة مَا فَهِمْت شَيْئًا مِمَّا قال غَيْر أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَة مِثْل صَاعِقَة عَادٍ وَثَمُود، قَالُوا: وَيْلك! يُكَلِّمك الرَّجُل بِالعَرَبِيَّة ما تَدْرِي مَا قَال؟ قَال: لا.

وَالله مَا فَهِمْت شَيْئًا مِمَّا قَال غَيْر ذِكْر الصَّاعِقَة.[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ فِي مُسْنَده عَنْ أَبِي بَكْر بْن أَبِي شَيْبَة بِإِسْنَادِهِ مِثْله سَوَاء، وَقَدْ سَاقَهُ البَغَوِيّ فِي تَفْسِيره بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّد بْن فُضَيْل عَنْ الأَجْلح -وَهُوَ ابْن عَبْد الله الكِنْدِيّ- وَقَدْ ضُعِّفَ بَعْض الشَّيْء عَنْ الزَّيَّال بْن حَرْمَلة عَنْ جَابِر ﷺ فَذَكَرَ الحَدِيث إِلى قَوْله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾. فَأَمْسَكَ عُتْبَة عَلى فِيهِ وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِم، وَرَجَعَ إِلى أَهْله، وَلَمْ يَخْرُج إِلى قُرَيْش وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ، فَقَال أَبُو جَهْل: يَا مَعْشَر قُرَيْش وَالله مَا نَرَى عُتْبَة إِلَّا قَدْ صَبا إِلى مُحَمَّد، وَأَعْجَبَهُ طَعَامه، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حَاجَة أَصَابَتْهُ، فَانطَلَقُوا بِنَا إِلَيْهِ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ، فَقَال أَبُو جَهْل: يَا عُتْبَة مَا حَبَسَك عَنَّا إِلَّا أَنَّك صبوت إِلى مُحَمَّد وَأَعْجَبَك طَعَامه، فَإِنْ كَانَتْ لك حَاجَة جَمَعْنَا لك مِنْ أَمْوَالنَا مَا يُغْنِيك عَنْ طَعَام مُحَمَّد، فَغَضِبَ عُتْبَة، وَأَقْسَمَ أَنْ لا يُكَلِّم مُحَمَّدًا أَبَدًا، وَقَال: وَالله لقَدْ عَلمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَر قُرَيْش مَالًا، وَلكِنِّي أَتَيْته وَقَصَصْت عَليْهِ القِصَّة فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَالله مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلا كِهَانَة وَلا سِحْر، وَقَرَأَ السُّورَة إِلى قَوْله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فَأَمْسَكْت بِفِيهِ وَنَاشَدْته بِالرَّحِم أَنْ يَكُفّ، وَقَدْ عَلمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَال شَيْئًا لمْ يَكْذِب، فَخَشِيت أَنْ يَنْزِل بِكُمْ العَذَاب. وَهَذَا السِّيَاق أَشْبَه مِنْ سِيَاق البَزَّار وَأَبِي يَعْلى، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ أَوْرَدَ هَذِهِ القِصَّة الإِمَام مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار فِي كِتَاب السِّيرَة عَلى خِلاف هَذَا النَّمَط، فَقَال: حَدَّثَنِي يَزِيد بْن زِيَاد عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ قَال: حُدِّثْت أَنَّ عُتْبَة بْن رَبِيعَة وَكَانَ سَيِّدًا قَال يَوْمًا وَهُوَ جَالس فِي نَادِي قُرَيْش وَرَسُول الله ﷺ جَالس فِي المَسْجِد وَحْده: يَا مَعْشَر قُرَيْش أَلا أَقُوم إِلى مُحَمَّد فَأُكَلِّمهُ، وَأَعْرِض عَليْهِ أُمُورًا، لعَلَّهُ يَقْبَل بَعْضهَا، فَنُعْطِيه أَيَّهَا شَاءَ وَيَكُفّ عَنَّا؟ وَذَلكَ حِين أَسْلمَ حَمْزَة ﷺ وَرَأَوْا أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلى؛ يَا أَبَا الوَلِيد، فَقُمْ إِليْهِ فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إِليْهِ عُتْبَة حَتَّى جَلسَ إِلى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا بْن أَخِي إِنَّك مِنَّا حَيْثُ قد عَلمْت مِنْ السِّطَة فِي العَشِيرَة، وَالمَكَان فِي النَّسَب، وَإِنَّك قَدْ أَتَيْت قَوْمك بِأَمْرٍ عَظِيم فَرَّقْت بِهِ جَمَاعَتهمْ، وَسَفَّهْت بِهِ أَحْلامهمْ، وَعِبْت بِهِ آلهَتهمْ وَدِينهمْ، وَكَفَّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِض عَليْك أُمُورًا تنظر فِيهَا لعَلَّك تَقْبَل منا بَعْضهَا. قَال: فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «**قُل يَا أَبَا الوَليد أَسْمَع**». قَال: يَا بْن أَخِي إِنْ كُنْت إِنَّمَا تُرِيد بِمَا جِئْت بِهِ مِنْ هَذَا الأَمْر مَالًا جَمَعْنَا لك مِنْ أَمْوَالنَا حَتَّى تَكُون أَكْثَرنَا أموالاً، وَإِنْ كُنْت تُرِيد بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاك عَليْنَا حَتَّى لا نَقْطَع أَمْرًا دُونك، وَإِنْ كُنْت تُرِيد بِهِ مُلكًا مَلَّكْنَاك عَليْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لا تَسْتَطِيع رَدَّهُ عَنْ نَفْسك طَلبْنَا لك الطب وَبَذَلنَا فِيهِ أَمْوَالنَا حَتَّى نُبْرِئك مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلبَ التَّابِع عَلى الرَّجُل حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ، أَوْ كَمَا قَال لهُ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَة وَرَسُول الله ﷺ يَسْتَمِع مِنْهُ قَال: «**أَفرَغتَ يَا أَبَا الوَليد؟**» قَال: نَعَمْ. قَال: «**فَاسْتَمِعْ مِنِّي**». قَال: أَفْعَل. قَال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. ثُمَّ مَضَى رَسُول الله ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَليْهِ. فَلمَّا سَمِعَ عُتْبَة أَنْصَتَ لهَا، وَأَلقَى يَدَيْهِ خَلف ظَهْره مُعْتَمِدًا عَليْهِمَا يسمع مِنْهُ ثم انْتَهَى رَسُول الله ﷺ إِلى السَّجْدَة مِنْهَا فَسَجَدَ، ثُمَّ قَال: «**قَدْ سَمِعْت يَا أَبَا الوَليد مَا سَمِعْت، فَأَنْتَ وَذَاكَ**». فَقَامَ عُتْبَة إِلى أَصْحَابه، فَقَال بَعْضهمْ لبَعْضٍ: أقسم - يحلف بِالله لقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الوَليد بِغَيْرِ الوَجْه الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلمَّا جَلسَ إِليْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَك يَا أَبَا الوَليد؟ قَال: وَرَائِي أَنِّي قد سَمِعْت قَوْلًا وَالله مَا سَمِعْت مِثْله قَطُّ، وَالله مَا هُوَ بِالسِّحْرِ وَلا بِالشِّعْرِ وَلا بِالكِهَانَةِ، يَا مَعْشَر قُرَيْش أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، خَلوا بَيْن الرَّجُل وَبَيْن مَا هُوَ فِيهِ، فَاعْتَزِلُوهُ، فَوَالله ليَكُونَنَّ لقَوْلهِ الَّذِي سَمِعْت نَبَأ، فَإِنْ تُصِبْهُ العَرَب فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَر عَلى العَرَب فَمُلكه مُلككُمْ، وَعِزّه

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٤٠) بسند ضعيف.

عِزّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَد النَّاس بِهِ. قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللهِ يَا أَبَا الوَلِيد بِلِسَانِهِ، قَال: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ. وَهَذَا السِّيَاق أَشْبَه مِنْ الَّذِي قَبْله، وَاللهُ أَعْلَم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ المُشْرِكِينَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا كَمَا تَعْبُدُونَهُ مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد وَالأَرْبَاب المُتَفَرِّقِينَ، إِنَّمَا اللهُ إِلَه وَاحِد، ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أَيْ: أَخْلِصُوا لَهُ العِبَادَة عَلَى مِنْوَال مَا أَمَرَكُمْ بِهِ عَلَى أَلْسِنَة الرُّسُل، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ أَيْ: لِسَالِفِ الذُّنُوب، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ أَيْ: دَمَار لَهُمْ وَهَلَاك عَلَيْهِمْ، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي: الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَه إِلَّا الله. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (الشمس:٩-١٠). وَكَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ (الأعلى:١٤-١٥). وَقَوْله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ (النازعات:١٨).

وَالمُرَاد بِالزَّكَاةِ هَهُنَا: طَهَارَة النَّفْس مِنْ الأَخْلَاق الرَّذِيلَة، وَمِنْ أَهَمّ ذَلِكَ طَهَارَة النَّفْس مِنْ الشِّرْك. وَزَكَاة المَال إِنَّمَا سُمِّيَتْ زَكَاة لأَنَّهَا تُطَهِّرهُ مِنْ الحَرَام، وَتَكُون سَبَبًا لِزِيَادَتِهِ وَبَرَكَته وَكَثْرَة نَفْعه، وَتَوْفِيقًا إِلَى اسْتِعْمَاله فِي الطَّاعَات.

وَقَال السُّدِّيّ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أَيْ: الذين لا يدينون بالزكاة وَقَال مُعَاوِيَة بْن قُرَّة: لَيْسَ هُمْ مِنْ أَهْل الزَّكَاة. وَقَال قَتَادَة: يَمْنَعُونَ زَكَاة أَمْوَالهمْ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِر عِنْد كَثِير مِنْ المُفَسِّرِينَ وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير وَفِيهِ نَظَر؛ لأَنَّ إِيجَاب الزَّكَاة إِنَّمَا كَانَ فِي السَّنَة الثَّانِيَة مِنْ الهِجْرَة إِلَى المَدِينَة عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْر وَاحِد، وَهَذِهِ الآيَة مَكِّيَّة . اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَال لا يَبْعُد أَنْ يَكُون أَصْل الزَّكَاة وَالصَّدَقَة كَانَ مَأْمُورًا بِهِ فِي ابْتِدَاء البَعْثَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ (الأنعام:١٤١). فَأَمَّا الزَّكَاة ذَات النُّصُب وَالمَقَادِير فَإِنَّمَا بَيَّنَ أَمْرهَا بِالمَدِينَةِ، وَيَكُون هَذَا جَمْعًا بَيْن القَوْلَيْنِ كَمَا أَنَّ أَصْل الصَّلَاة كَانَ وَاجِبًا قَبْل طُلُوع الشَّمْس وَقَبْل غُرُوبهَا فِي ابْتِدَاء البَعْثَة، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَة الإِسْرَاء قَبْل الهِجْرَة بِسَنَةٍ وَنِصْف، فَرَضَ الله عَلَى رَسُوله ﷺ الصَّلَوَات الخَمْس، وَفَصَّل شُرُوطهَا وَأَرْكَانهَا وَمَا يَتَعَلَّق بِهَا بَعْد ذَلِكَ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَاللهُ أَعْلَم.

ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. قَال مُجَاهِد وَغَيْره: لا مَقْطُوع وَلا مَجْبُوب، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (الكهف:٣)، وَكَقَوْلِهِ تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:١٠٨).

وَقَال السُّدِّيّ: غَيْر مَمْنُون عَلَيْهِمْ. وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْض الأَئِمَّة هَذَا التَّفْسِير، فَإِنَّ المِنَّة للهِ عَلَى أَهْل الجَنَّة، قَال الله تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ (الحجرات:١٧)، وَقَال أَهْل الجَنَّة: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ (الطور:٢٧)، وَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْل**».[1]

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

هَذَا إِنْكَار مِنْ الله عَلَى المُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْره، وَهُوَ الخَالِق لِكُلِّ شَيْء، القَاهِر لِكُلِّ شَيْء، المقدر

---

(١) صحيح ؛ أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

لكل شَيْء، فَقَال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أَيْ: نُظَرَاء وَأَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ، ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: الخَالق للأَشْيَاءِ هُوَ رَبّ العَالِمينَ كُلّهمْ. وَهَذَا المَكَان فِيهِ تَفْصِيل لقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف:٥٤)، فَفَصَّل هَهُنَا مَا يَخْتَصّ بِالأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلقَ الأَرْض أَوَّلًا؛ لأَنَّهَا كَالأَسَاسِ، وَالأَصْل أَنْ يُبْدَأ بِالأَسَاسِ، ثُمَّ بَعْده بِالسَّقْفِ، كَمَا قَال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ (البقرة:٢٩) الآيَة، فَأَمَّا قَوْله تَعَالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ (النازعات:٢٧-٣٣) فَفِي هَذِهِ الآيَة أَنَّ دَحْي الأَرْض كَانَ بَعْد خَلق السَّمَاء، فالدحي هُوَ مُفَسَّر بِقَوْلِهِ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾، وَكَانَ هَذَا بَعْد خَلق السَّمَاء، فَأَمَّا خَلق الأَرْض فَقَبْل خَلق السَّمَاء بِالنَّصِّ، وَبِهَذَا أَجَابَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله تَعَالى عَنْهُ فِيمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة مِنْ صَحِيحه فَإِنَّهُ قَال: وَقَال المِنْهَال: عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: قَال رَجُل لابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما: إِنِّي أجد فِي القُرْآن أَشْيَاء تَخْتَلف عَلَيَّ، قَال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات:٢٧)، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٤٢)، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:٢٣)؛ فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَة. وَقَال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ إِلى قَوْله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات:٣٠)، فَذَكَرَ خَلق السَّمَاء قَبْل الأَرْض، ثُمَّ قَال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إِلى قَوْله: ﴿طَآئِعِينَ﴾، فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلق الأَرْض قَبْل خَلق السَّمَاء، وقَال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٩٦)، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء:٥٦)، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨)، فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟ قَال -يعني: ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما-: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١)، فِي النَّفْخَة الأُولى، ثُمَّ ينفخ فِي الصُّور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الزمر:٦٨)، فَلا أَنْسَاب بَيْنهمْ عِنْد ذَلِكَ وَلا يَتَسَاءَلُونَ، ثم فِي النَّفْخَة الأُخْرَى، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات:٢٧)، وَأَمَّا قَوْله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:٢٣)، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٤٢)، فَإِنَّ الله يَغْفِر لأَهْل الإِخْلاص ذُنُوبهمْ، فقال المُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُول لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَيُخْتَم عَلى أَفْوَاههمْ، فَتَنْطِق أَيْدِيهمْ، فَعِنْد ذَلِكَ يُعْرَف أَنَّ الله تَعَالى لا يُكْتَم حَدِيثًا، وَعِنْده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (البقرة:١٠٥) الآيَة.

وَخَلقَ الأَرْض فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلقَ السَّمَاء، ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاء، فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَى الأَرْض، وَدَحْيُهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاء وَالمَرْعَى، وَخَلقَ الجِبَال وَالجِمَاد وَالآكَام وَمَا بَيْنهمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات:٣٠)، وَقَوْله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ ، فخلقت الأَرْض وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْء فِي أَرْبَعَة أَيَّام، وخلقت السَّمَاوَات فِي يَوْمَيْنِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٩٦)، سَمَّى نَفْسه بِذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْله، أَيْ: لَمْ يَزَل كَذَلِكَ، فَإِنَّ الله لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أراده، فَلا يَخْتَلِفَنَّ عَلَيْك القُرْآن، فَإِنَّ كُلًّا مَنْ عِنْد الله ﷻ.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنِيهِ يُوسُف بْن عَدِيّ حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن عَمْرو عَنْ زَيْد بْن أَبِي أُنَيْسَة عَنْ المِنْهَال -هُوَ ابْن عَمْرو- بِالحديث. فقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ يَعْنِي: يَوْم الأَحَد وَيَوْم الاثْنَيْنِ، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أَيْ: جَعَلهَا مُبَارَكَة قَابِلة للخَيْرِ وَالبَذْر وَالغِرَاس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ وَهُوَ مَا يَحْتَاج أَهْلهَا إِلَيْهِ مِنْ الأَرْزَاق وَالأَمَاكِن الَّتِي تزدرع وَتُغْرَس، يَعْنِي يَوْم الثُّلاثَاء وَالأَرْبِعَاء، فَهُمَا مَعَ اليَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَة، وَلِهَذَا قَال تعالى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أَيْ: لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَال عَنْ ذَلكَ ليَعْلمهُ. وَقَال مُجَاهِد وعِكْرِمَة فِي قَوْله:

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ وَجعَل فِي كُلّ أَرْض مَا لا يَصْلُح فِي غَيْرِهَا، وَمِنْهُ العَصَب بِاليَمَنِ، وَالسَّابُورِيّ بِسَابُور، وَالطَّيَالسَة بِالرَّيِّ. وَقَال ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ فِي قَوْله تَعالى: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أَيْ: لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَال عَنْ ذَلكَ. وَقَال ابْن زَيْد: مَعْنَاهُ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتهَا فِي أَرْبَعَة أَيَّام سَوَاء للسَّائِلِينَ، أَيْ: عَلى وَفْق مُراد مَنْ لهُ حَاجَة إِلى رِزْق، أَوْ حَاجَة، فَإِنَّ الله قَدَّرَ لهُ مَا هُوَ مُحْتَاج إِليْهِ، وَهَذَا القَوْل يُشْبِه مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْله تَعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (إبراهيم:٣٤) وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾، وَهُوَ: بُخَار المَاء المُتَصاعِد، مِنْهُ خُلقَتْ السماء، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أَيْ: اسْتَجِيبَا لأَمْرِي، وَانْفَعِلا لِفِعْلِي، طَائِعَتَيْنِ أَوْ مُكْرَهَتَيْنِ. قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ ابْن جُرَيْج عَنْ سُليمان بْن مُوسَى عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ قَال: قَال الله تَعالى للسَّماوَاتِ: أَطْلعِي شَمْسِي وَقَمَرِي وَنُجُومِي. وَقَال للأَرْضِ: شَقِّقِي أَنْهارك، وَأَخْرِجِي ثِمارك فقالتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ أَيْ: بَل نَسْتَجِيب لك مُطِيعِينَ بِمَا فِينَا. مِمَّا تُرِيد خَلقه مِنْ المَلائِكَة وَالإِنْس وَالجِنّ جَمِيعًا مُطِيعِينَ لك. حَكَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة قَال: وَقِيل: تَنْزِيلًا لَهُنَّ مُعَامَلة مَنْ يَعْقِل بِكَلامِهِما، وَقِيل: إِنَّ المُتَكَلِّم مِنْ الأَرْض بِذَلكَ هُوَ مَكَان الكَعْبَة، وَمِنْ السَّماء مَا يُسَامِتهُ مِنْهَا، وَالله أَعْلم. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: لوْ أَبَيَا عَليْهِ أَمْره لعَذَّبَهُما عَذَابًا يَجِدَانِ أَلمه. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أَيْ: فَفَرَغَ مِنْ تَسْوِيَتهنَّ سَبْع سَمَوَات فِي يَوْمَيْنِ، أَيْ: آخرَيْنِ، وَهُمَا يَوْم الخَمِيس وَيَوْم الجُمُعَة، ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ أَيْ: وَرَتَّبَ مُقَرَّرًا فِي كُلّ سَماء مَا تَحْتَاج إِليْهِ مِنْ المَلائِكَة، وَمَا فِيهَا مِنْ الأَشْيَاء الَّتِي لا يَعْلمهَا إِلَّا هُوَ، ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهن الكَوَاكِب النيرة المُشْرِقَة على أَهْل الأَرْض، ﴿وَحِفْظًا﴾ أَيْ: حَرَسًا مِنْ الشَّيَاطِين أَنْ تَسْتَمِع إِلى المَلإِ الأَعْلى، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أَيْ: العَزِيز الَّذِي قَدْ عَزَّ كُلّ شَيْء فَغَلبَهُ وَقَهَرَهُ، العَليم بِجَمِيع حَرَكَات المَخْلُوقَات وَسَكَنَاتهمْ. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا هَنَّاد بْن السَّرِيّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش عَنْ أَبِي سعد البَقَّال عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس -قَال هَنَّاد: قَرَأْت سَائِر الحَدِيث- أَنَّ اليَهُود أَتَتْ النَّبِيّ ﷺ فَسَأَلتْهُ عَنْ خَلق السَّماوَات وَالأَرْض، فَقَال ﷺ: «خَلقَ الله تَعالى الأَرْض يَوْم الأَحَد وَيَوْم الاثْنَيْنِ، وَخَلقَ الجِبَال يَوْم الثُّلاثَاء، وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِع، وَخَلقَ يَوْم الأَرْبِعَاء الشَّجَر وَالمَاء وَالمَدَائِن وَالعُمْرَان وَالخَرَاب، فَهَذِهِ أَرْبَعَة. ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ لِمَنْ سأل، قَال: «وَخَلقَ يَوْم الخَمِيس السَّماء، وَخَلقَ يَوْم الجُمُعَة النُّجُوم وَالشَّمْس وَالقَمَر وَالمَلائِكَة إِلى ثَلاث سَاعَات بَقِيَتْ مِنْهُ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال، حين يموت من مات، وَفِي الثَّانِيَة أَلقَى الآفَة على كُلّ شَيْء مِمَّا يَنْتَفِع بِهِ النَّاس، وَفِي الثَّالثَة آدَم، وَأَسْكَنَهُ الجَنَّة، وَأَمَرَ إِبْليس بِالسُّجُودِ لهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِر سَاعَة». ثُمَّ قَالتْ اليَهُود: ثُمَّ مَاذَا يَا مُحَمَّد؟ قَال: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْش». قَالُوا: قَدْ أَصَبْت لوْ أَتْمَمْت، قَالُوا: ثُمَّ اسْتَرَاحَ، فَغَضِبَ النَّبِيّ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، فنَزَل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[1] (ق:٣٨-٣٩) هَذَا الحَدِيث فِيهِ غَرَابَة. فَأَمَّا حَدِيث ابْن جُرَيْج، عَنْ إِسْماعِيل بْن أُمَيَّة عَنْ أَيُّوب بْن خَالد عَنْ عَبْد الله بْن رَافِع عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: أَخَذَ رَسُول الله ﷺ بِيَدَيَّ فَقَال: «خَلقَ الله التُّرْبَة يَوْم السَّبْت، وَخَلقَ فِيهَا الجِبَال يَوْم الأَحَد، وَخَلقَ الشَّجَر يَوْم الاثْنَيْنِ، وَخَلقَ المَكْرُوه يَوْم الثُّلاثَاء، وَخَلقَ النُّور يَوْم الأَرْبِعَاء، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابّ يَوْم

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٩٥) بسند ضعيف فيه أبو سعد البقال وهو ضعيف.

الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل»[1] فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به، وهو من غرائب الصحيح، وقد علله البخاري في التاريخ، فقال: رواه بعضهم عن أبي هريرة ﷺ عن كعب الأحبار، وهو أصح.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله، فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين، ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما، ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ (الأحقاف:٢١)، أي: في القرى المجاورة لبلادهم، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي: لو شاء أرسل الله رسلًا لكانوا ملائكة من عنده، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ أي: أيها البشر ﴿كَافِرُونَ﴾ أي: لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغوا وعتوا وعصوا، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: منوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة، فإنه العظيم الذي خلق الأشياء، وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧)، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله، فلهذا قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال بعضهم: وهي الشديدة الهبوب، وقيل: الباردة.

وقيل: هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحًا شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة [البرد جدًا، كقوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة:٦)، أي: باردة شديدة][2]، وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق ﴿صَرْصَرٍ﴾ لقوة صوت جريه.

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أي: متتابعات، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة:٧)، كقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (القمر:١٩)، أي: ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أي: أشد خزيًا لهم، ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: في الأخرى، كما لم ينصروا في الدنيا، وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب، ويدرأ عنهم النكال.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٩) وهو مُعَلٌّ، والصحيح أنه من قول كعب الأحبار.
(٢) سقط من الأزهرية.

وَقَوْله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾. قَال ابن عَبَّاس رضي الله عنهما وَأَبو العَالِيَة وَسَعِيد بن جُبَيْر وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابن زَيْد: بَيَّنَّا لَهُمْ، وَقَال الثَّوْرِيّ: دَعَوْنَاهُمْ، ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ أَيْ: بَصَّرْنَاهُمْ وَبَيَّنَّا لَهُمْ، وَوَضَّحْنَا لَهُمُ الحَقّ عَلى لِسَان نَبِيِّهِمْ صَالح ﷺ فَخَالَفُوهُ، وَكَذَّبُوهُ، وَعَقَرُوا نَاقَة الله الَّتِي جَعَلَهَا آيَة، وَعَلامَة عَلى صِدْق نَبِيِّهِمْ، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أَيْ: بَعَثَ الله عَلَيْهِمْ صَيْحَة وَرَجْفَة وَذُلًّا وَهَوَانًا وَعَذَابًا وَنَكَالًا، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَيْ: مِنْ التَّكْذِيب وَالجُحُود. ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أَيْ: مِنْ بَيْن أَظْهُرهم، لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوء، وَلا نَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ضَرَر، بَل نَجَّاهُمْ الله مَعَ نَبِيِّهِمْ صَالح بِإِيمَانِهِمْ وتقواهم لله عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أَيْ: اذْكُرْ هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ يَوْم يُحْشَرُونَ إِلى النَّار، ﴿يُوزَعُونَ﴾ أَيْ: تَجْمَع الزَّبَانِيَة أَوَّلهمْ عَلى آخِرهمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم:٨٦). أَيْ: عِطَاشًا. وقَوْله: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ أَيْ: وُقِفُوا عَلَيْهَا، ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: بِأَعْمَالِهِمْ مِمَّا قَدَّمُوهُ، وَأَخَّرُوهُ لا يُكْتَم مِنْهُ حَرْف، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ أَيْ: لامُوا أَعْضَاءَهُمْ وَجُلُودهمْ حِين شَهِدُوا عَلَيْهِمْ، فَعِنْد ذَلِكَ أَجَابَتْهُمْ الأَعْضَاء: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أَيْ: فَهُوَ لا يُخَالف وَلا يُمَانَع، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحِيم حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن قَادِم حَدَّثَنَا شَرِيك عَنْ عُبَيْد المُكْتِب عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه قَال: ضَحِكَ رَسُول الله ﷺ ذَات يَوْم أَو تَبَسَّمَ، فَقَال ﷺ: **«أَلا تَسْأَلُونِي عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْت؟»**. قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ مِنْ أَيِّ شَيْء ضَحِكْت؟ قَال ﷺ: **«عَجِبْت مِنْ مُجَادَلَة العَبْد رَبّه يَوْم القِيَامَة، يَقُول: أَيْ رَبِّي أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تَظْلِمنِي؟ قَال: بَلى. فَيَقُول: فَإِنِّي لا أَقْبَل عَلَيَّ شَاهِدًا إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَيَقُول الله تَبَارَكَ وَتَعَالى: أَوَلَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا، وَبِالمَلائِكَةِ الكِرَام الكَاتِبِينَ، قَال: فَيُرَدِّد هَذَا الكَلام مِرَارًا، قَال: فَيُخْتَم عَلى فِيهِ، وَتَتَكَلَّم أَرْكَانه بِمَا كَانَ يَعْمَل، فَيَقُول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، عَنْكُنَّ كُنْت أُجَادِل»**[1].

ثُمَّ رَوَاهُ هُوَ وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث أَبِي عَامِر الأَسَدِيّ عَنْ الثَّوْرِيّ عَنْ عُبَيْد المُكْتِب عَنْ فُضَيْل بن عَمْرو عَنْ الشَّعْبِيّ، ثُمَّ قَال: لا نَعْلم رَوَاهُ عَنْ أَنَس رضي الله عنه غَيْر الشَّعْبِيّ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ جَمِيعًا عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي النَّضْر عَنْ أَبِي النَّضْر عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الأَشْجَعِيّ عَنْ الثَّوْرِيّ بِهِ. ثُمَّ قَال النَّسَائِيّ: لا أَعْلم أَحَدًا رَوَاهُ عَنْ الثَّوْرِيّ غَيْر الأَشْجَعِيّ، وَلَيْسَ كَمَا قَال كَمَا رَأَيْت، وَالله أَعْلَم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل ابْن عُلَيَّة عَنْ يُونُس بْن عُبَيْد عَنْ حُمَيْد ابْن هِلال قَال: قَال أَبُو بُرْدَة: قَال أَبُو مُوسَى: وَيُدْعَى الكَافِر، وَالمُنَافِق لِلحِسَاب، فَيَعْرِض عَلَيْهِ رَبّه عز وجل عَمَله، فَيَجْحَد وَيَقُول: أَيْ رَبّ وَعِزَّتك لَقَدْ كَتَبَ عَلَيَّ هَذَا المَلَك مَا لَمْ أَعْمَل، فَيَقُول لَهُ المَلَك: أَمَا عَمِلت كَذَا فِي يَوْم كَذَا فِي مَكَان كَذَا؟ فَيَقُول: لا، وَعِزَّتك، أَيْ رَبّ مَا عَمِلته. فَإِذَا فَعَل ذَلِكَ خُتِمَ عَلى فِيهِ، قَال الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه:

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٩).

فَإِنِّي لأَحْسَب أَوَّل مَا يَنْطِق مِنْهُ فَخِذه اليُمْنَى. وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا زُهَيْر حَدَّثَنَا حَسَن عَنْ ابْن لِهِيعَة قَال دَرَّاج عَنْ أَبِي الهيثم عَنْ أَبِى سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة عُرِّفَ الكَافِر بِعَمَلِهِ فَجَحَدَ، وَخَاصَمَ فَيَقُول: هَؤُلاءِ جِيرَانك يَشْهَدُون عَلَيْك، فَيَقُول: كَذَبُوا، فَيَقُول: أَهْلك وَعَشِيرَتك، فَيَقُول: كَذَبُوا، فَيَقُول: احْلِفُوا فَيَحْلِفُونَ، ثُمَّ يُصَمِّتُهُمْ الله وَتَشْهَد عَلَيْهِمْ أَلسِنَتهمْ وَيُدْخِلهُمْ النَّار**».[١]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: وحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد بْن عَبْد الوَارِث سَمِعْت أَبِي حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن زَيْد عَنْ مُسْلم بْن صُبَيْح أَبِي الضُّحَى عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَال لابْنِ الأَزْرَق: إِنَّ يَوْم القِيَامَة يَأْتِي عَلَى النَّاس مِنْهُ حِين لا يَنْطِقُونَ، وَلا يَعْتَذِرُونَ، وَلا يَتَكَلَّمُونَ حَتَّى يُؤْذَن لَهُمْ، ثُمَّ يُؤْذَن لَهُمْ فَيَخْتَصِمُونَ، فَيَجْحَد الجَاحِد بِشِرْكِهِ بِالله، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ، فَيَبْعَث الله عَلَيْهِمْ حِين يَجْحَدُون شُهَدَاء مِنْ أَنْفُسهمْ: جُلُودهمْ، وَأَبْصَارهمْ، وَأَيْدِيهِمْ، وَأَرْجُلهمْ، وَيَخْتِم عَلَى أَفْوَاههمْ، ثُمَّ يَفْتَح لَهُمْ الأَفْوَاه فَتُخَاصِم الجَوَارِح، فَتَقُول: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فَتُقِرّ الأَلْسِنَة بَعْد الجُحُود.[٢]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدَة بْن سُلَيْمَان حَدَّثَنَا ابْن المُبَارَك حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن عَمْرو عَنْ عَبْد الرَّحْمَن ابْن جُبَيْر الحَضْرَمِيّ، عَنْ رَافِع أَبِي الحَسَن –وَصَفَ رَجُلًا جَحَدَ– قَال: فَيُشِير الله إِلَى لِسَانه، فَيَرْبُو فِي فيه حَتَّى يَمْلأهُ، فَلا يَسْتَطِيع أَنْ يَنْطِق بِكَلِمَةٍ، ثُمَّ يَقُول لآرَابِهِ كُلّهَا: تَكَلَّمِي وَاشْهَدِي عَلَيْهِ. فَيَشْهَد عَلَيْهِ سَمْعه وَبَصَره وَجِلده وَفَرْجه وَيَدَاهُ وَرِجْلاهُ: صَنَعْنَا، عَمِلنَا، فَعَلنَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَحَادِيث كَثِيرَة وَآثَار عِنْد قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة يس: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (يس:٦٥)، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سُوَيْد بْن سَعِيد حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سُلَيْم الطَّائِفِيّ عَنْ أَبِي خثيم عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنهما قَال: لَـمَّا رَجَعَتْ إِلَى النبي ﷺ مُهَاجِرَة البَحْر قَال: «**أَلا تُحَدِّثُون بِأَعَاجِيب مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَة؟**». فَقَال فِتْيَة مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُول الله، بينا نَحْنُ جُلُوس إِذْ مَرَّتْ عَلَيْنَا عَجُوز مِنْ عَجَائِز رَهَابِينِهِمْ تَحْمِل عَلَى رَأْسهَا قُلَّة مِنْ مَاء، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ فَجَعَل إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْن كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ التَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلم يَا غُدَر إِذَا وَضَعَ الله الكُرْسِيّ وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتْ الأَيْدِي وَالأَرْجُل بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلم كَيْف أَمْرِي، وَأَمْرك عِنْده غَدًا؟ قَال: يَقُول رَسُول الله ﷺ: «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كَيْف يُقَدِّس الله قَوْمًا لا يُؤْخَذ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدهمْ**»[٣]. هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَاب الأَهْوَال: أخبرنا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم قَال: أخبرنا يَحْيَى بْن سُلَيْم بِهِ. وَقَوْله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أَيْ: تَقُول لَهُمْ الأَعْضَاء وَالجُلُود حِين يَلُومُونَهَا عَلَى الشَّهَادَة عَلَيْهِمْ: مَا كُنْتُمْ تتكتمون مِنَّا الَّذِي كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ، بَل كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ الله بِالكُفْرِ وَالمَعَاصِي، وَلا تُبَالُونَ مِنْهُ فِي زَعْمكُمْ؛ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلم جَمِيع أَفْعَالكُمْ، وَلِهَذَا قَال: ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أَيْ: هَذَا الظَّنّ الفَاسِد، وَهُوَ اعْتِقَادكُمْ أَنَّ الله لا يَعْلم كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الَّذِي أَتْلفَكُمْ وَأَرْدَاكُمْ عِنْد رَبّكُمْ، ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ أَيْ: فِي مَوَاقِف القِيَامَة خَسِرْتُمْ أَنْفُسكُمْ وَأَهْليكُمْ. قَال الإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو يعلى (١٣٢٢) بسند ضعيف، لكن يشهد له رواية مسلم السابقة.
(٢) **إسناده ضعيف**: فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.
(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠)، وصححه الألباني.

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الأَعْمَش عَنْ عُمارة عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد عَنْ عَبْد الله ﷺ قَال: كُنْت مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الكَعْبَة، فَجَاءَ ثَلاثَة نَفَر قُرَشِيّ وَخِتْنَاهُ ثَقَفِيَّانِ -أَوْ: ثَقَفِيّ وَخِتْنَاهُ قُرَشِيَّانِ- كَثِير شَحْم بُطُونهمْ، قَلِيل فِقْه قُلُوبهمْ، فَتكَلَّمُوا بِكَلامٍ لمْ أَسْمَعهُ، فَقَال أَحدهمَا: أَتَرَوْنَ أَنَّ الله يَسْمَع كَلامنَا هَذَا؟ فَقَال الآخَر: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتنَا سَمِعَهُ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعهُ لَمْ يَسْمَعهُ، فَقَال الآخَر: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلّه -قَال- فَذَكَرْت ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ هَنَّاد عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة بِإِسْنَادِهِ نَحْوه، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَد وَمُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ الأَعْمَش عَنْ عُمَارَة بْن عُمَيْر عَنْ وَهْب بْن رَبِيعَة عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﷺ بِنَحْوِهِ.

وَرَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم أَيْضًا مِنْ حَدِيث السُّفْيَانَيْنِ عَنْ مَنْصُور عَنْ مُجَاهِد عَنْ أَبِي مَعْمَر عَبْد الله ابْن سَخْبَرَة عَنْ ابْن مَسْعُود ﷺ بِهِ. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أخبرنا مَعْمَر عَنْ بَهْز بْن حَكِيم عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْله: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قَال: «**إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمًا عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالفِدَام، فَأَوَّل شَيْء يُبَيِّن عَنْ أَحَدكُمْ فَخِذه وَكَفّه**»[2]. قَال مَعْمَر: وَتَلا الحَسَن: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾، ثُمَّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «قَال الله: أَنَا مَعَ عَبْدِي عِنْد ظَنّه بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»[3]. ثُمَّ أَفْتَرَ الحَسَن يَنْظُر فِي هَذَا، فَقَال: أَلا إِنَّمَا عَمَل النَّاس عَلَى قَدْر ظُنُونهمْ بِرَبِّهِمْ، فَأَمَّا المُؤْمِن فَأَحْسَنَ الظَّنّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ العَمَل، وَأَمَّا الكَافِر، وَالمُنَافِق فَأَسَاءَا الظَّنّ بِالله فَأَسَاءَا العَمَل، ثُمَّ قَال: قَال الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا النَّضر بْن إِسْمَاعِيل القَاصّ -وَهُوَ أَبُو المُغِيرَة- حَدَّثَنَا ابْن أَبِي لَيْلَى عَنْ ابْن الزُّبَيْر عَنْ جَابِر ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحد مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِن بِالله الظَّنّ، فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوء ظَنّهمْ بِالله، فَقَال الله تَعَالَى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾»[4] وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ أَيْ: سَوَاء عَلَيْهِمْ أصبروا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا هُمْ فِي النَّار لا مَحِيد لَهُمْ عَنْهَا، وَلا خُرُوج لَهُمْ مِنْهَا، وَإِنْ طَلَبُوا أَنْ يَسْتَعْتِبُوا، وَيُبْدُوا أَعْذَارًا فَمَا لَهُمْ أَعْذَار، وَلا تُقَال لَهُمْ عَثَرَات. قَال ابْن جَرِير: وَمَعْنَى قَوْله: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ أَيْ: يَسْأَلُوا الرَّجْعَة إِلَى الدُّنْيَا فَلا جَوَاب لَهُمْ، قَال: وهذه كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون:١٠٦-١٠٨).

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

يَذْكُر تَعَالى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَضَلَّ المُشْرِكِينَ، وَأَنَّ ذَلكَ بِمَشِيئَتِهِ وَكَوْنه وَقُدْرَته، وَهُوَ الحَكِيم فِي أَفْعَاله، بِمَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).
(٢) **حسن**: تقدم.
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
(٤) **صحيح**: تقدم.

قَيَّض لهُمْ مِنَ القُرَنَاء مِنْ شَيَاطِين الإنْس وَالجِنّ: ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أَيْ: حَسَّنُوا لهُمْ أَعْمَالهمْ فِي المَاضِي، وَبِالنِّسْبَةِ إِلى المُسْتَقْبَل فَلمْ يَرَوْا أَنْفُسهمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٣٦، ٣٧).

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أَيْ: كَلِمَة العَذَاب كَمَا حَقَّ عَلى أُمَم قَدْ خَلتْ مِنْ قَبْلهمْ مِمَّنْ فَعَل كَفِعْلهِمْ مِنْ الجِنّ وَالإِنْس، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ أَيْ: اسْتَوَوْا هُمْ وإياهم فِي الخَسَار وَالدَّمَار. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أَيْ: تَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنهمْ أَنْ لا يُطِيعُوا للقُرْآنِ، وَلا يَنْقَادُوا لأَوَامِرِهِ، ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ أَيْ: إِذَا تُلِيَ لا تستمعوا لهُ، كَمَا قَال مُجَاهِد: وَالغَوْا فِيهِ يَعْنِي بِالمُكَاءِ وَالصَّفِير، وَالتَّخْلِيط فِي المَنْطِق عَلى رَسُول الله ﷺ إِذَا قَرَأَ القُرْآن، قُرَيْش تَفْعَلهُ، وَقَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ عَيِّبُوهُ، وَقَال قَتَادَة: اجْحَدُوا بِهِ وَأَنْكِرُوهُ وَعَادُوهُ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: هَذَا حَال هَؤُلاءِ الجَهَلة مِنْ الكُفَّار، وَمَنْ سَلك مَسْلكهمْ عِنْد سَمَاع القُرْآن. وَقَدْ أَمَرَ الله سُبْحَانه عِبَاده المُؤْمِنِينَ بِخِلافِ ذَلكَ، فَقَال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٤).

ثُمَّ قَال تعالى مُنْتَصِرًا للقُرْآنِ، وَمُنْتَقِمًا مِمَّنْ عَادَاهُ مِنْ أَهْل الكُفْرَان: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أَيْ: فِي مُقَابَلة مَا اعْتَمَدُوهُ فِي القُرْآن وَعِنْد سَمَاعه، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: بِشَرِّ أَعْمَالهمْ، وسيئ فعالهم، ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾. قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ سَلمَة بْن كُهَيْل عَنْ مَالك بْن الحُصَيْن الفَزَارِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه فِي قَوْله: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ قَال: إِبْليس وَابْن آدم الَّذِي قَتَل أَخَاهُ. وَهَكَذَا رَوَى حبة العرني عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه مِثْل ذَلكَ. وَقَال السُّدِّيّ عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه: فَإِبْليس يَدْعُو بِهِ كُلّ صَاحِب شِرْك، وَابْن آدَم يَدْعُو بِهِ كُلّ صَاحِب كَبِيرَة، فَإِبْليس –لعنه الله– هو الدَّاعِي إِلى كُلّ شَرّ مِنْ شِرْك فَمَا دُونه، وَابْن آدم الأَوَّل كَمَا ثَبَتَ فِي الحَدِيث: «مَا قُتِلتْ نَفْس ظُلمًا إِلَّا كَانَ عَلى ابْن آدم الأَوَّل كِفْل مِنْ دَمهَا؛ لأَنَّهُ أَوَّل مَنْ سَنَّ القَتْل»[1]. وقوله: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أَيْ: أَسْفَل مِنَّا فِي العَذَاب ليَكُونَا أَشَدَّ عَذَابًا مِنَّا، وَلهَذَا قَالُوا: ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أَيْ: فِي الدَّرْك الأَسْفَل مِنْ النَّار، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الأَعْرَاف من سُؤَال الأَتْبَاع مِنْ الله أَنْ يُعَذِّب قَادَتهمْ أَضْعَاف عَذَابهمْ، قال: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٨)، أَيْ: أَنَّهُ تَعَالى قَدْ أَعْطَى كُلًّا مِنْهُمْ مَا يَسْتَحِقّهُ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال، بِحَسَب عَمَله وَإِفْسَاده، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ (النحل:٨٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أَيْ: أَخْلصُوا العَمَل لله، وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ الله تَعَالى عَلى مَا شَرَعَ لهُمْ. قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ: حَدَّثَنَا الجَرَّاح حَدَّثَنَا سَلم بْن قُتَيْبَة أَبُو قُتَيْبَة الشَّعِيرِيّ حدثنَا سُهَيْل ابْن أَبِي حزم حَدَّثَنَا ثَابِت عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَال: قَرَأَ عَليْنَا رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا

(١) صحيح: تقدم.

﴿ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ قَدْ قَالَهَا نَاس ثُمَّ كَفَرَ أَكْثَرهمْ، فَمَنْ قَالَهَا حَتَّى يَمُوت فَقَدْ اسْتَقَامَ عَلَيْهَا.[1] وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي تَفْسِيره وَالبَزَّار وَابْن جَرِير عَنْ عَمْرو بن عَلِيّ الفَلَّاس عَنْ سَلم بْن قُتَيْبَة بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ الفَلَّاس بِهِ.

ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن بَشَّار حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ عَامِر بْن سعد عَنْ سَعِيد بْن عِمْرَان قَال: قَرَأت عِنْد أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ قَال: هُمْ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا. ثُمَّ رَوى مِنْ حَدِيث الأَسْوَد بْن هِلال قَال: قَال أَبُو بَكْر ﷺ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ ؟ قَال: فَقَالُوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ مِنْ ذَنْب. فَقَال: لَقَدْ [حملتموها][2] عَلى غَيْر المَحْمَل، ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ فَلَمْ يَلتَفِتُوا إِلى إِله غَيْره. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْر وَاحِد.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله الظَّهْرَانِيّ أَخْبَرَنَا حَفص بْن عُمَر العَدَني عَنْ الحَكَم بْن أَبَانَ عَنْ عِكْرِمَة قَال: سُئِل ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَيّ آيَة فِي كِتَاب الله أَرْخَص؟ قَال: قَوْله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ عَلى شَهَادَة أَنْ لا إِله إِلَّا الله. وَقَال الزُّهْرِيّ: تَلا عُمَر ﷺ هَذِهِ الآيَة عَلى المِنْبَر، ثُمَّ قَال اسْتَقَامُوا -وَالله- لله بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يَرُوغُوا رَوَغَان الثَّعَالب. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ عَلى أَدَاء فَرَائِضه.

وَكَذَا قَال قَتَادَة، قَال: وَكَانَ الحَسَن يَقُول: اللَّهُمَّ، أَنْتَ رَبّنَا فَارْزُقْنَا الاسْتِقَامَة، وَقَال أَبُو العَالِيَة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ أَخْلصُوا لهُ العَمَل وَالدِّين. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هُشَيْم حَدَّثَنَا يَعْلى بْن عَطَاء عَنْ عَبْد الله بْن سُفْيَان الثَّقَفِيّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَال: يَا رَسُول الله مُرْنِي بِأَمْرٍ فِي الإِسْلام، لا أَسْأَل عَنْهُ أَحَدًا بَعْدك، قَال ﷺ: «قُل آمَنْت بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ». قُلت: فَمَا أَتَّقِي؟ فَأَوْمَأَ إِلى لِسَانه.[3] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة عَنْ يَعْلى بْن عَطَاء بِهِ. ثُمَّ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيم بْن سَعْد حَدَّثَنِي ابْن شِهَاب عَنْ محمد بن عَبْد الرَّحْمَن بْن مَاعِز العامري عَنْ سُفْيَان بْن عَبْد الله الثَّقَفِيّ قَال: قُلت: يَا رَسُول الله حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِم بِهِ، قَال ﷺ: «قُل: رَبِّي الله ثُمَّ اسْتَقِمْ». قُلت: يَا رَسُول الله، مَا أَكْثَر مَا تَخَاف عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُول الله ﷺ بِطَرَفِ لِسَان نَفْسه ثُمَّ قَال: «هَذَا». وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلم فِي صَحِيحه وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث هِشَام بْن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُفْيَان بْن عَبْد الله الثَّقَفِيّ، قَال: قُلت: يَا رَسُول الله، قُل لِي فِي الإِسْلام قَوْلًا لا أَسْأَل عَنْهُ أَحَدًا بَعْدك، قَال ﷺ: «قُل: آمَنْت بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ». وَذَكَرَ تَمَام الحَدِيث.

وَقَوْله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ قَال مُجَاهِد وَالسُّدِّيّ وَزَيْد بْن أَسْلمَ وَابْنه: يَعْنِي عِنْد المَوْت قَائِلِينَ: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ قَال مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَزَيْد بْن أَسْلمَ: أَيْ: مِمَّا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْر الآخِرَة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ عَلى مَا خَلفْتُمُوهُ مِنْ أَمْر الدُّنْيَا مِنْ وَلد وَأَهْل، وَمَال أَوْ دَيْن، فَإِنَّا نَخْلُفكُمْ فِيهِ، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فَيُبَشِّرُونَهُمْ بِذَهَابِ الشَّرّ وَحُصُول الخَيْر. وَهَذَا كَمَا فِي حَدِيث البَرَاء ﷺ:

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٢٥٠) بسند ضعيف.
(٢) في «نسخة»: [حملتموه].
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٢).

«**إِنَّ المَلائِكَة تَقُول لرُوحِ المُؤْمِن: اخْرُجِي أَيَّتهَا الرُّوح الطَّيِّبَة فِي الجَسَد الطَّيِّب كُنْت تعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلى رَوْح وَرَيْحَان وَرَبّ غَيْر غَضْبَان**». وَقِيل: إِنَّ المَلائِكَة تَتَنَزَّل عَلَيْهِمْ يَوْم خُرُوجهمْ مِنْ قُبُورهمْ. حَكَاهُ ابْن جَرِير عَنْ ابْن عَبَّاس وَالسُّدِّيّ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثنَا عَبْد السَّلام بْن مُطَهِّر حَدَّثنا جَعْفَر بْن سُلَيْمان سَمِعْت ثَابِتًا قَرَأَ سُورَة حم السَّجْدَة حَتَّى بَلغَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. فَوَقَفَ فَقَال: بَلغَنَا أَنَّ العَبْد المُؤْمِن حِين يَبْعَثهُ الله مِنْ قَبْره يَتلقَّاهُ ملكاه اللَّذَانِ كَانَا مَعَهُ فِي الدُّنْيَا، فَيقُولانِ لهُ: لا تَخَفْ وَلا تَحْزَن، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ قَال: فَيُؤَمِّن الله خَوْفه، وَيُقِرّ عَيْنه، فَمَا عَظِيمَة يَخْشَى النَّاس يَوْم القِيَامَة إِلَّا هِيَ للمُؤْمِنِ قُرَّة عَيْن لَمَا هَدَاهُ الله، وَلَمَا كَانَ يَعْمَل لهُ فِي الدُّنْيَا. وَقَال زَيْد بْن أَسْلم: يُبَشِّرُونَهُ عِنْد مَوْته وَفِي قَبْره وَحِين يُبْعَث. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَهَذَا القَوْل يَجْمَع الأَقْوَال كُلّهَا وَهُوَ حَسَن جِدًّا. وَهُوَ الوَاقِع.

وقَوْله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ أَيْ: تَقُول المَلائِكَة للمُؤْمِنِينَ عِنْد الاحْتِضَار: نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ، أَيْ: قُرنَاءَكُمْ فِي الحَيَاة الدُّنْيَا نُسَدِّدكُمْ، وَنُوَفِّقكُمْ، وَنَحْفَظكُمْ بِأَمْرِ الله، وَكَذَلكَ نَكُون مَعَكُمْ فِي الآخِرَة، نُؤْنِس مِنْكُمْ الوَحْشَة فِي القُبُور، وَعِنْد النَّفْخَة فِي الصُّور، وَنُؤَمِّنكُمْ يَوْم البَعْث وَالنُّشُور، وَنُجَاوِز بِكُمْ الصِّرَاط المُسْتَقِيم، وَنُوَصِّلُكُمْ إِلى جَنَّات النَّعِيم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ أَيْ: فِي الجَنَّة مِنْ جَمِيع مَا تَخْتَارُونَ مِمَّا تَشْتَهِيه النُّفُوس، وَتَقَرّ بِهِ العُيُون، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أَيْ: مَهْمَا طَلَبْتُمْ وَجَدْتُمْ، وَحَضَرَ بَيْن أَيْدِيكُمْ، كَمَا اخْتَرْتُمْ، ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [أَيْ: ضِيَافَة وَعَطَاء وَإِنْعَامًا مِنْ غَفُور لذُنُوبِكُمْ، رَحِيم بِكُمْ رَءُوف، حَيْثُ غَفَرَ، وَسَتَرَ، وَرَحِمَ، وَلطَفَ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا حَدِيث سُوق الجَنَّة عِنْد قَوْله تَعَالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾، فَقَال][1]: حَدَّثنَا أَبِي حدثنَا هِشَام بْن عَمَّار حدثنَا عَبْد الحَمِيد بْن حَبِيب ابْن أَبِي العِشْرِينَ أَبِي سَعِيد حَدَّثنَا الأَوْزَاعِيّ حَدَّثَنِي حَسَّان بْن عَطِيَّة عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب أَنَّهُ لقِيَ أَبَا هُرَيْرَة رضي الله عنه، فَقَال أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: نسأل الله أَنْ يَجْمَع بَيْنِي وَبَيْنك فِي سُوق الجَنَّة، فَقَال سَعِيد: أَوَفِيهَا سُوق؟ فَقَال: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُول الله ﷺ: «**أَنَّ أَهْل الجنَّة إِذَا دَخَلُوا فِيهَا نَزَلُوا بِفَضْل أَعْمَالهمْ فَيُؤْذَن لهُمْ فِي مِقْدَار يَوْم الجُمُعَة مِنْ أَيَّام الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ الله عز وجل، وَيَبْرُز لهُمْ عَرْشه، وَيَتَبَدَّى لهُمْ فِي رَوْضَة مِنْ رِيَاض الجنَّة، وتوضع لهُمْ مَنَابِر مِنْ نُور، وَمَنَابِر مِنْ لُؤْلُؤ، وَمَنَابِر مِنْ يَاقُوت، وَمَنَابِر مِنْ زَبَرْجَد، وَمَنَابِر مِنْ ذَهَب، وَمَنَابِر مِنْ فِضَّة، وَيَجْلس أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِيء عَلى كُثْبَان المِسْك وَالكَافُور، مَا يَرَوْنَ بأن أَصْحَاب الكَرَاسِيّ بِأَفْضَل مِنْهُمْ مَجْلسًا**».

قَال أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: قُلت: يَا رَسُول الله وَهَل نَرَى رَبّنَا؟ قَال ﷺ: «**نَعَمْ [هَل تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَة الشَّمْس وَالقَمَر ليْلة البَدْر؟**». قُلنَا: لا، قَال ﷺ: «**فَكَذَلكَ لا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَة رَبّكُمْ تَعَالى**][2]، وَلا يَبْقَى فِي ذَلكَ المَجْلس أَحَد إِلَّا حَاضَرَهُ الله مُحَاضَرَة، حَتَّى إِنَّهُ ليَقُول للرَّجُل مِنْهُمْ: يَا فُلان ابْن فُلان أَتَذْكُرُ يَوْم عَمِلت كَذَا وَكَذَا يُذَكِّرُهُ بِبَعْضِ غَدَرَاته فِي الدُّنْيَا، فَيَقُول: أَيْ رَبّ أَفَلمْ تَغْفِر لي؟ فَيَقُول: بَلى. فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلغْت مَنْزِلتك هَذِهِ، قَال: فَبَيْنَمَا هُمْ عَلى ذَلكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَة مِنْ فَوْقهمْ، فَأَمْطَرَتْ عَليْهِمْ طِيبًا لمْ يَجِدُوا مِثْل رِيحه شَيْئًا قَطُّ،

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) سقط من الأزهرية.

قَال: ثُمَّ يَقُول رَبّنَا ﷻ: قُومُوا إِلى مَا أَعْدَدْت لكُمْ مِنْ الكَرَامَة، وَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، قَال: فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ المَلائِكَة، فِيهَا مَا لَمْ تَنْظُر العُيُون إِلى مِثْله، وَلَمْ تَسْمَع الآذَان، وَلَمْ يَخْطِر عَلى القُلُوب، قَال: فَيُحْمَل لنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاع فِيهِ شَيْء وَلا يُشْتَرَى، وَفِي ذَلكَ السُّوق يَلقَى أَهْل الجَنَّة بَعْضهمْ بَعْضًا. قَال: فَيُقْبِل الرَّجُل ذُو المَنْزِلة الرَّفِيعَة فَيَلقَى مَنْ هُوَ دُونه. وَمَا فِيهِمْ دَنِيء، فَيُرَوِّعهُ مَا يَرَى عَليْهِ مِنْ اللِّبَاس، فَمَا يَنْقَضِي آخِر حَدِيثه حَتَّى يَتَمَثَّل عَليْهِ أَحْسَن مِنْهُ، وَذَلكَ لأَنَّهُ لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْزَن فيها، ثُمَّ نَنْصَرِف إِلى مَنَازِلنَا فَيَتَلقَّانَا أَزْوَاجنَا، فَيَقُلنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِحِبّنا لقَدْ جِئْت وَإِنَّ بِك مِنْ الجَمَال وَالطِّيب أَفْضَل مِمَّا فَارَقْتنَا عَليْهِ، فَيَقُول: إِنَّا جَالسْنَا اليَوْم رَبّنَا الجَبَّار ﷻ، وَيَحِقُّنا أَنْ نَنْقَلب بِمِثْل مَا انْقَلبْنَا بِهِ».[1]

وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي صِفَة الجَنَّة مِنْ جَامِعه عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل عَنْ هِشَام بْن عَمَّار، وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ هِشَام بْن عَمَّار بِهِ نَحْوه، ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ عَنْ حُمَيْد عَنْ أَنَس ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ لقَاء الله أَحَبَّ الله لقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لقَاء الله كَرِهَ الله لقَاءَهُ»**. قُلنَا: يَا رَسُول الله، كُلّنَا نَكْرَه المَوْت، قَال ﷺ: **«ليْسَ ذَلكِ كَرَاهِيَة المَوْت، وَلكِنَّ المُؤْمِن إِذَا حَضَرَ جَاءَهُ البَشِير مِنْ الله، بِمَا هُوَ صَائِر إِليْهِ، فَليْسَ شَيْء أَحَبَّ إِليْهِ مِنْ أَنْ يَكُون قَدْ لقِيَ الله فَأَحَبَّ الله لقَاءَهُ»**. قَال: **«وَإِنَّ الفَاجِر -أَوْ الكَافِر- إِذَا حُضِرَ جَاءَهُ بِمَا هُوَ صَائِر إِليْهِ مِنْ الشَّرّ -أَوْ: مَا يَلقَى مِنْ الشَّرّ- فَكَرِهَ لقَاء الله، فَكَرِهَ الله لقَاءَهُ»**.[2] وَهَذَا حَدِيث صَحِيح، وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيح مِنْ غَيْر هَذَا الوَجْه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

يقول تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾** أَيْ: دَعَا عِبَاد الله إِليْهِ، **﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾** أَيْ: وَهُوَ فِي نَفْسه مُهْتَدٍ بِمَا يَقُولهُ، فَنَفْعه لنَفْسِهِ وَلغَيْرِهِ لازِم، وَمُتَعَدٍّ، وَليْسَ هُوَ مِنْ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَلا يَأْتُونَهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَر وَيَأْتُونَهُ، بَل يَأْتَمِر بِالخَيْرِ، وَيَتْرُك الشَّرّ، وَيَدْعُو الخَلق إِلى الخَالق تَبَارَكَ وَتَعَالى، وَهَذِهِ عَامَّة فِي كُلّ مَنْ دَعَا إِلى خَيْر، وَهُوَ فِي نَفْسه مُهْتَدٍ، وَرَسُول الله ﷺ أَوْلى النَّاس بِذَلكَ، كَمَا قَال مُحَمَّد بْن سِيرِينَ وَالسُّدِّيّ وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ وَقِيل: المُرَاد بِهَا: المُؤَذِّنُونَ الصُّلحَاء، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلم: **«المُؤَذِّنُونَ أَطْوَل النَّاس أَعْنَاقًا يَوْم القِيَامَة»**[3]. وَفِي السُّنَن مَرْفُوعًا: **«الإِمَام ضَامِن، وَالمُؤَذِّن مُؤْتَمَن، فَأَرْشَدَ الله الأَئِمَّة وَغَفَرَ للمُؤَذِّنِينَ»**.[4]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَليّ بْن الحُسَيْن حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عروبة الهَرَوِيّ حَدَّثَنَا غَسَّان قَاضِي هَرَاة، وَقَال أَبُو زُرْعَة: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن طَهْمَان عَنْ مَطَر عَنْ الحَسَن عَنْ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص ﷺ أَنَّهُ قَال: «سِهَام المُؤَذِّنِينَ عِنْد الله يَوْم القِيَامَة، كَسِهَامِ المُجَاهِدِينَ، وَهُوَ بَيْنَ الأَذَان وَالإِقَامَة كَالمُتَشَحِّطِ فِي سَبِيل الله فِي دَمه». قَال: وَقَال

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦) بسند ضعيف، وانظر «الضعيفة» (١٧٢٢).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٦٨٣).
(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (٣٨٧).
(٤) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٥١٨)، والترمذي (٢٠٧)، وانظر «الإرواء» (٢١٧).

ابْن مَسْعُود ﷺ: لوْ كُنْت مُؤَذِّنًا مَا بَاليْت أَنْ لا أَحُجّ وَلا أَعْتَمِر وَلا أُجَاهِد. قَال: وَقَال عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ: لوْ كُنْت مُؤَذِّنًا لكَمُل أَمْرِي، وَمَا بَاليْت أَنْ لا أَنْتَصِب لقِيَامِ اللَّيْل وَلا لصِيَام النَّهَار، سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ للمُؤَذِّنِينَ» ثَلاثًا. قَال: فَقُلت: يَا رَسُول الله تَرَكْتنَا وَنَحْنُ نَجْتَلد عَلى الأَذَان بِالسُّيُوفِ قَال ﷺ: «كَلَّا يَا عُمَر إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلى النَّاس زَمَان يَتْرُكُونَ الأَذَانَ عَلى ضُعَفَائِهِمْ، وَتِلكَ لُحُوم حَرَّمَهَا الله ﷻ عَلى النَّار لُحُوم المُؤَذِّنِينَ»[1]. قَال: وَقَالتْ عَائِشَة ﷺ: وَلهُمْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ قَالتْ: فَهُوَ المُؤَذِّن إِذَا قَال: حَيَّ عَلى الصَّلاة فَقَدْ دَعَا إِلى الله. وَهَكَذَا قَال ابْن عُمَر ﷺ وَعِكْرِمَة: إِنَّهَا نَزَلتْ فِي المُؤَذِّنِينَ. وَقَدْ ذَكَرَ البَغَوِيّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِليّ ﷺ أَنَّهُ قَال فِي قَوْله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ قَال: يَعْنِي صَلاة رَكْعَتَيْنِ بَيْن الأَذَان وَالإِقَامَة. ثُمَّ أَوْرَدَ البَغَوِيّ حَدِيث عَبْد الله بْن المُغَفَّل ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «بَيْن كُلّ أَذَانَيْنِ صَلاة». ثُمَّ قَال: فِي الثَّالثَة: «لمَنْ شَاءَ»[2]. وَقَدْ أَخْرَجَهُ الجَمَاعَة فِي كُتُبهِمْ مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن بُرَيْدَة عَنْهُ، وَحَدِيث الثَّوْرِيّ عَنْ زَيْد العَمِّيّ عَنْ أَبِي إِيَاس مُعَاوِيَة بْن قُرَّة عَنْ أَنَس ابْن مَالك ﷺ -قَال الثَّوْرِيّ: لا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ إِلى النَّبِيّ ﷺ-: «الدُّعَاء لا يُرَدّ بَيْن الأَذَان وَالإِقَامَة»[3]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي اليَوْم وَاللَّيْلة؛ كُلّهمْ مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث حَسَن. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث سُليْمَان التَّيْمِيّ عَنْ قَتَادَة عَنْ أَنَس بِهِ.

وَالصَّحِيح أَنَّ الآيَة عَامَّة فِي المُؤَذِّنِينَ وَفِي غَيْرهِمْ، فَأَمَّا حَال نُزُول هَذِهِ الآيَة فَإِنَّهُ لمْ يَكُنْ الأَذَان مَشْرُوعًا بِالكُلِّيَّة لأَنَّهَا مَكِّيَّة، وَالأَذَان إِنَّمَا شُرِعَ بِالمَدِينَة بَعْد الهِجْرَة حِين أُرِيه عَبْد الله بْن زيد بن عَبْد رَبّه الأَنْصَارِيّ ﷺ فِي مَنَامه، فَقَصَّهُ عَلى رَسُول الله ﷺ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُلقِيه عَلى بِلال ﷺ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا، كَمَا هُوَ مُقَرَّر فِي مَوْضِعه. فَالصَّحِيح إِذَنْ أَنَّهَا عَامَّة، كَمَا قَال عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ: أَنَّهُ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، فَقَال: هَذَا حَبِيب الله، هَذَا وَليّ الله، هَذَا صَفْوَة الله، هَذَا خِيرَة الله، هَذَا أَحَبّ أَهْل الأَرْض إِلى الله، أَجَابَ الله فِي دَعْوَته، وَدَعَا النَّاس إِلى مَا أَجَابَ الله فِيهِ مِنْ دَعْوَته، وَعَمِل صَالحًا فِي إِجَابَته، وَقَال: إِنَّنِي مِنْ المُسْلمِينَ، هَذَا خَليفَة الله.

وَقَوْله: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ أَيْ: فَرْق عَظِيم بَيْن هَذِهِ وَهَذِهِ، ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أَيْ: مَنْ أَسَاءَ إِليْك، فَادْفَعْهُ عَنْك بِالإِحْسَانِ إِليْهِ، كَمَا قَال عُمَر ﷺ: مَا عَاقَبْت مَنْ عَصَى الله فِيك بِمِثْل أَنْ تُطِيع الله فِيهِ.

وَقَوْله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ وَهُوَ الصَّدِيق، أَيْ: إِذَا أَحْسَنْت إِلى مَنْ أَسَاءَ إِليْك قَادَتْهُ تِلكَ الحَسَنَة إِليْهِ إِلى مُصَافَاتك وَمَحَبَّتك وَالحُنُوّ عَليْك، حَتَّى يَصِير كَأَنَّهُ وَليّ لك حَمِيم، أَيْ: قَرِيب إِليْك مِنْ الشَّفَقَة عَليْك، وَالإِحْسَان إِليْك، ثم قَال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أَيْ: وَمَا يَقْبَل هَذِهِ الوَصِيَّة وَيَعْمَل بِهَا إِلَّا مَنْ صَبْر عَلى ذَلكَ فَإِنَّهُ يَشُقّ عَلى النُّفُوس، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ أَيْ: ذُو نَصِيب وَافِر مِنْ السَّعَادَة فِي الدُّنْيَا والأخرى، قَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس فِي تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: أَمَرَ الله المُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عِنْد الغَضَب، وَالحِلم عِنْد الجَهْل، وَالعَفْو عِنْد الإِسَاءَة، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلكَ عَصَمَهُمْ الله مِنْ الشَّيْطَان، وَخَضَعَ لهُمْ عَدُوّهُمْ كَأَنَّهُ وَليّ حَمِيم. وَقَوْله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ أَيْ: إِنَّ شَيْطَان الإِنْس رُبَّمَا يَنْخَدِع بِالإِحْسَانِ إِليْهِ، فَأَمَّا شَيْطَان الجِنّ فَإِنَّهُ لا حِيلة فِيهِ إِذَا وَسْوَسَ إِلَّا الاسْتِعَاذَة بِخَالقِهِ الَّذِي سَلَّطَهُ عَليْك، فَإِذَا

---

(١) إسناده ضعيف : فيه انقطاع بين الحسن وعمر.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٢٤)، ومسلم (٨٣٨).

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢) (٣٥٩٥).

اسْتَعَذْت بِالله ولجأت إِلَيْهِ كَفَّهُ عَنْك وَرَدَّ كَيْده، وَقَدْ كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاة يَقُول: «**أعوذ بالله السَّمِيع العَلِيم، مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيم؛ مِنْ هَمْزه وَنَفْخه وَنَفْثه**»[1]. وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا المَقَام لا نَظِير لَهُ فِي القُرْآن إِلَّا فِي سُورَة الأَعْرَاف عِنْد قَوْله تَعَالَى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف:١٩٩، ٢٠٠)، وَفِي سُورَة المُؤْمِنِينَ عِنْد قَوْله: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون:٩٦-٩٨).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُنَبِّهًا خَلقه عَلَى قُدْرَته العَظِيمَة، وَأَنَّهُ الَّذِي لا نَظِير لَهُ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاء قَادِر: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ أَيْ: أَنَّهُ خَلَقَ اللَّيْل بِظَلامِهِ، وَالنَّهَار بِضِيَائِهِ، وَهُمَا مُتَعَاقِبَانِ لا يَقِرَّان، وَالشَّمْس وَنُورهَا وَإِشْرَاقهَا، وَالقَمَر وَضِيَاؤُهُ، وَتَقْدِير مَنَازِله فِي فَلَكه، وَاخْتِلاف سَيْره فِي سَمَائِهِ، لِيُعْرَف بِاخْتِلافِ سَيْره وَسَيْر الشَّمْس مَقَادِير اللَّيْل وَالنَّهَار، وَالجُمَع وَالشُّهُور وَالأَعْوَام، وَيَتَبَيَّن بِذَلكَ حُلُول الحُقُوق، وَأَوْقَات العِبَادَات وَالمُعَامَلات، ثُمَّ لَمَّا كَانَ الشَّمْس وَالقَمَر أَحْسَن الأَجْرَام المُشَاهَدَة فِي العَالَم العُلوِيّ، وَالسُّفْلِيّ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ عَبْدَانِ مِنْ عَبِيده تَحْت قَهْره، وَتَسْخِيره؛ فَقَال: ﴿ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أَيْ: وَلا تُشْرِكُوا بِهِ، فَمَا تَنْفَعكُمْ عِبَادَتكُم لَهُ مَعَ عِبَادَتكُمْ لغَيْرِهِ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِر أَنْ يُشْرَك بِهِ، ولهذا قال: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ أَيْ: عَنْ إِفْرَاد العِبَادَة لَهُ، وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يُشْرِكُوا مَعَهُ غَيْره: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يَعْنِي: المَلائِكَة ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (الأنعام:٨٩)، وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا سُفْيَان -يَعْنِي ابْن وَكِيع- حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْن أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا اللَّيْل وَلا النَّهَار، وَلا الشَّمْس وَلا القَمَر، وَلا الرِّيَاح، فَإِنَّهَا تُرْسَل رَحْمَة لقَوْمٍ وَعَذَابًا لقَوْمٍ**»[2]. وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ أَيْ: عَلَى قُدْرَته عَلَى إِعَادَة المَوْتَى ﴿ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ أَيْ: هَامِدَة لا نَبَات فِيهَا، بَل هِيَ مَيِّتَة، ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ أَيْ: أَخْرَجَتْ مِنْ [جَمِيع][3] أَلْوَان الزُّرُوع وَالثِّمَار، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: الإِلحَاد: وَضْع الكَلام عَلَى غَيْر مَوَاضِعه. وَقَال قَتَادَة،

---

(١) تـقـدم.
(٢) ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٢١٩٤) بسند ضعيف.
(٣) في «نسخة»: [جميل].

وَغَيْره: هُوَ الكُفْر وَالعِنَاد. وَقَوْله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فِيهِ تَهْدِيد شَدِيد، وَوَعِيد أَكِيد، أَيْ: أَنَّهُ تَعَالَى عَالم بِمَنْ يُلحِد فِي آيَاته وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاته، وَسَيَجْزِيهِ عَلَى ذَلِكَ بِالعُقُوبَةِ وَالنَّكَال؛ وَلهَذَا قَال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أَيْ: أَيَسْتَوِي هَذَا وَهَذَا؟ لا يَسْتَوِيَانِ. [ثُمَّ قَال ﷻ تَهْدِيدًا للكَفَرَةِ: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾، قَال مُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ وَعِيد، أَيْ: مِنْ خَيْر أَوْ شَرّ، إِنَّهُ عالم بِكُمْ وَبَصِير بِأَعْمَالكُمْ، وَلهَذَا قَال: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾][1]. ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ قَال الضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ وَقَتَادَة: وَهُوَ القُرْآن، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ أَيْ: مَنِيع الجَنَاب لا يُرَام أَنْ يَأْتِي أَحَد بِمِثْلِهِ، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أَيْ: لَيْسَ للبُطْلانِ إِلَيْهِ سَبِيل؛ لأَنَّهُ مُنَزَّل مِنْ رَبّ العَالمِينَ، وَلهَذَا قَال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أَيْ: حَكِيم فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله، حَمِيد بِمَعْنَى: مَحْمُود، أَيْ: فِي جَمِيع مَا يَأْمُر بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، الجَمِيع مَحْمُودَة عَوَاقِبه وَغَايَاته، ثم قال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾.

قَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمَا: مَا يُقَال لك مِنْ التَّكْذِيب إِلَّا كَمَا قَدْ قِيل للرُّسُل مِنْ قَبْلك، فَكَمَا قد كُذِّبَت فقد كُذِّبُوا، وَكَمَا صَبَرُوا عَلَى أَذَى قَوْمهمْ لَهُمْ فَاصْبِرْ أَنْتَ عَلَى أَذَى قَوْمك لك. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير وَلَمْ يَحْكِ هُوَ وَلا ابْن أَبِي حَاتِم غَيْره. وَقَوْله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ أَيْ: لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَيْ: لِمَنْ اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْره، وَطُغْيَانه وَعِنَاده وَشِقَاقه وَمُخَالفَته.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا حَمَّاد عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب قَال: لما نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ قَال رَسُول الله ﷺ: «**لوْلا غَفْرُ الله وَتَجَاوُزه مَا هَنَّأَ أَحَدًا العَيْش، ولوْلا وَعِيده وَعِقَابه لاتَّكل كُلّ أَحَد**».[2]

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى القُرْآن وَفَصَاحَته وَبَلاغَته، وَإِحْكَامه فِي لَفْظه وَمَعْنَاهُ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يُؤْمِن بِهِ المُشْرِكُونَ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّ كُفْرهمْ بِهِ كُفْر عِنَاد وَتَعَنُّت، كَمَا قَال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:١٩٨-١٩٩)، وَكَذَلِكَ لَوْ أُنْزِل القُرْآن كُلّه بِلُغَةِ العَجَم، لَقَالُوا عَلَى وَجْه التَّعَنُّت وَالعِنَاد: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أَيْ: لَقَالُوا: هَلَّا أُنْزِل مُفَصَّلًا بِلُغَةِ العَرَب، وَلأَنْكَرُوا ذَلِكَ فَقَالُوا: أَأَعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ؟ أَيْ: كَيْف يَنْزِل كَلام أَعْجَمِيّ عَلَى مُخَاطَب عَرَبِيّ لا يَفْهَمهُ. هَكَذَا رُوِيَ هَذَا المَعْنَى عَنْ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أَيْ: هلا أنزل بَعْضهَا بِالأَعْجَمِيّ، وَبَعْضهَا بِالعَرَبِيّ. هَذَا قَوْل الحَسَن البَصْرِيّ، وَكَانَ يَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ بِلا اسْتِفْهَام فِي قَوْله: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ﴾، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، وَهُوَ فِي العِنَاد أَبْلغ. ثُمَّ قَال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ أَيْ: قُل يَا مُحَمَّد هَذَا القُرْآن لِمَنْ آمَنَ بِهِ هُدًى لقَلبِهِ، وَشِفَاء لِمَا فِي الصُّدُور مِنْ الشُّكُوك وَالرِّيَب، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أَيْ: لا يَفْهَمُونَ مَا فِيهِ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أَيْ: لا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) **إسناده ضعيف**: فيه علي بن زيد، وهو ضعيف، وفيه أيضًا الإرسال.

مِنْ البَيَان، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي بَعِيد مِنْ قُلُوبِهِمْ.

قَال ابْن جَرِير: مَعْنَاهُ: كَأَنَّ مَنْ يُخَاطِبهُمْ يُنَادِيهِمْ مِنْ مَكَان بَعِيد، لا يَفْهَمُونَ مَا يَقُول. قُلت: وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١)، وَقَال الضَّحَّاك: يُنَادَوْنَ يَوْم القِيَامَة بِأَشْنَع أَسْمَائِهِمْ.

وَقَال السُّدِّيّ: كَانَ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه جَالسًا عِنْد رَجُل مِنْ المُسْلِمِينَ يَقْضِي، إِذْ قَال: يَا لَبَّيْكَاهُ، فَقَال عُمَر رضي الله عنه: لِمَ تُلَبِّي؟ هَل رَأَيْت أَحَدًا أَوْ دَعَاك أَحَد؟ قَال: دَعَانِي دَاعٍ مِنْ وَرَاء البَحْر، فَقَال عُمَر رضي الله عنه: أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَان بَعِيد. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ ﴾ أَيْ: كُذِّبَ وَأُوذِيَ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥)، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الشورى:١٤) بِتَأْخِيرِ الحِسَاب إِلى يَوْم المَعَاد ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ أَيْ: لعُجِّل لَهُمْ العَذَاب، بَل لَهُمْ مَوْعِد لنْ يَجِدُوا مِنْ دُونه مَوْئِلًا، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أَيْ: وَمَا كَانَ تَكْذِيبهمْ لهُ عَنْ بَصِيرَة مِنْهُمْ لَمَّا قَالُوا، بَل كَانُوا شَاكِّينَ فِيمَا قالوا، غَيْر مُحَقِّقِينَ لشَيْءٍ كَانُوا فِيهِ. هَكَذَا وَجَّهَهُ ابْن جَرِير، وَهُوَ مُحْتَمَل، وَالله أَعْلم.

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾.

يقول تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَعُود نَفْع ذَلكَ عَلى نَفْسه، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَرْجِع وَبَال ذَلكَ عَليْهِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ أَيْ: لا يُعَاقِب أَحَدًا إِلَّا بذنب، وَلا يُعَذِّب أَحَدًا إِلَّا بَعْد قِيَام الحُجَّة عَليْهِ، وَإِرْسَال الرَّسُول إِليْهِ. ثم قال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ ﴾ أَيْ: لا يَعْلم ذَلكَ أَحد سِوَاهُ، كَمَا قَال ﷺ وَهُوَ سَيِّد البَشَر لِجِبْرِيل وَهُوَ مِنْ سَادَات المَلائِكَة -حِين سَأَلهُ عَنْ السَّاعَة، فَقَال: **«مَا المَسْئُول عَنْهَا بِأَعْلم مِنْ السَّائِل»**[1]. وَكَمَا قَال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ (النازعات:٤٤)، وَقَال: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ (الأعراف:١٨٧)، وَقَوْله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ ﴾ أَيْ: الجَمِيع بِعِلمِهِ، لا يَعْزُب عَنْ عِلمه مِثْقَال ذَرَّة فِي الأَرْض وَلا فِي السَّمَاء، وَقَدْ قَال تَعَالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ (الأنعام:٥٩)، وَقَال جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد:٨)، وَقَال: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (فاطر:١١)، وَقَوْله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة يُنَادِي الله المُشْرِكِينَ عَلى رُءُوس الخَلائِق: أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ عَبَدْتُمُوهُمْ مَعِي؟ ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أَيْ: أَعْلمْنَاك، ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أَيْ: ليْسَ أَحد مِنَّا اليَوْم يَشْهَد أَنَّ مَعَك شَرِيكًا، ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ أَيْ: ذَهَبُوا فَلمْ يَنْفَعُوهُمْ، ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أَيْ: وَظَنَّ المُشْرِكُونَ يَوْم القِيَامَة، وَهَذَا بِمَعْنَى اليَقِين، ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أَيْ: لا مَحِيد لهُمْ عَنْ عَذَاب الله، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (الكهف:٥٣).

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

﴿لَا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى: لا يَمَلّ الإِنْسَان مِنْ دعائه رَبّه بِالخَيْرِ -وَهُوَ: المَال وَصِحَّة الجِسْم، وَغَيْر ذَلكَ-، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ -وَهُوَ: البَلاء أَوْ الفَقْر- ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ أَيْ: يَقَع فِي ذِهْنه أَنَّهُ لا يَتَهَيَّأ لهُ بَعْد هَذَا خَيْر. ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ خَيْر وَرِزْق بَعْدَمَا كَانَ فِي شِدَّة، لَيَقُولَنَّ: هَذَا لي، إِنِّي كُنْت أَسْتَحِقّهُ عِنْد رَبِّي، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أَيْ: يَكْفُر بِقِيَام السَّاعَة، أَيْ: لأَجْل أَنَّهُ خُوِّل نِعْمَة يَفْخَر وَيَبْطَر، وَيَكْفُر، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق:٦-٧)، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أَيْ: وَلَئِنْ كَانَ ثَمَّ مَعَاد فَلَيُحْسِنَنَّ إِلَيَّ رَبِّي كَمَا أَحْسَنَ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الدَّار، يَتَمَنَّى عَلى الله ﷻ مَعَ إِسَاءَته العَمَل، وَعَدَم اليَقِين، قَال الله تَعَالَى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يَتَهَدَّد تَعَالى مَنْ كَانَ هَذَا عَمَله، وَاعْتِقَاده بِالعِقَابِ وَالنَّكَال، ثم قَال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أَيْ: أَعْرَضَ عَنْ الطَّاعَة، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ الانْقِيَاد لأَوَامِر الله ﷻ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ (الذاريات:٣٩)، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أَيْ: الشِّدَّة، ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أَيْ: يُطِيل المَسْأَلة فِي الشَّيْء الوَاحِد، فَالكَلام العَرِيض: مَا طَال لفْظه وَقَلَّ مَعْنَاهُ، وَالوَجِيز: عَكْسه، وَهُوَ: مَا قَلَّ وَدَلَّ. وَقَدْ قَال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ الآيَة (يونس:١٢).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾.

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد لهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ بِالقُرْآنِ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هَذَا القُرْآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾؟ أَيْ: كَيْف تَرَوْنَ حَالكُمْ عِنْد الَّذِي أَنْزَلهُ عَلى رَسُوله؟ وَلهَذَا قَال: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أَيْ: فِي كُفْر وَعِنَاد وَمُشَاقَّة للحَقِّ، وَمَسْلك بَعِيد مِنْ الهُدَى، ثم قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أَيْ: سَنُظْهِرُ لهُمْ دَلالاتنَا وَحُجَجنَا عَلى كَوْن القُرْآن حَقًّا مُنَزَّلاً مِنْ عِنْد الله ﷻ عَلى رسوله ﷺ بِدَلائِل خَارِجِيَّة ﴿فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ مِنْ الفُتُوحَات وَظُهُور الإِسْلام عَلى الأَقَاليم وَسَائِر الأَدْيَان. قَال مُجَاهِد وَالحَسَن وَالسُّدِّيّ: وَدَلائِل فِي أَنْفُسهمْ، قَالُوا: وَقْعَة بَدْر وَفَتْح مَكَّة، وَنَحْو ذَلكَ مِنْ الوَقَائِع الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ، نَصَرَ الله فِيهَا مُحَمَّدًا ﷺ وَصَحْبه، وَخَذَل فِيهَا البَاطِل وَحِزْبه. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد مِنْ ذَلكَ مَا الإِنْسَان مُرَكَّب مِنْهُ وَفِيهِ وَعَليْهِ مِنْ المَوَادّ وَالأَخْلاط وَالهَيْئَات العَجِيبَة، كَمَا هُوَ مَبْسُوط فِي عِلم التَّشْرِيح الدَّالّ عَلى حِكْمَة الصَّانِع تَبَارَكَ وَتَعَالى. وَكَذَلكَ مَا هُوَ مَجْبُول

عَلَيْهِ مِنَ الأَخْلاقِ المُتَبَايِنَةِ، مِنْ حَسَنٍ وقبيحٍ [وَغَيْرِ][1] ذَلِكَ، وَمَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الأَقْدَارِ الَّتِي لا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَحِيَلِهِ وَحَذَرِهِ أَنْ يَجُوزَهَا، وَلا يَتَعَدَّاهَا كَمَا أَنْشَدَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ «التَّفَكُّرُ وَالاعْتِبَارُ» عَنْ شَيْخِهِ أَبِي جَعْفَرٍ القُرَشِيِّ حَيْثُ قَالَ وَأَحْسَنَ المَقَالَ:

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرًا	فَانْظُرْ إِلَيْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ
أَنْتَ الَّذِي يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي	الدُّنْيَا وَكُلُّ أُمُورِهِ عِبَرُ
أَنْتَ المُصَرَّفُ كَانَ فِي صِغَرٍ	ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ
أَنْتَ الَّذِي تَنْعَاهُ خِلْقَتُهُ	يَنْعَاهُ مِنْهُ الشَّعْرُ وَالبَشَرُ
أَنْتَ الَّذِي تُعْطَى وَتُسْلَبُ لا	يُنْجِيهِ مِنْ أَنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ
أَنْتَ الَّذِي لا شَيْءَ مِنْهُ لَهُ	وَأَحَقُّ مِنْهُ بِمَالِهِ القَدَرُ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟ أَيْ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَأَقْوَالِهِمْ، وَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ﴾ (النساء:١٦٦).

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ﴾ أَيْ: فِي شَكٍّ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ وَلِهَذَا لا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ، وَلا يَعْمَلُونَ لَهُ، وَلا يَحْذَرُونَ مِنْهُ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ هَدَرٌ لا يَعْبَئُونَ بِهِ، وَهُوَ وَاقِعٌ لا رَيْبَ فِيهِ وَكَائِنٌ لا مَحَالَةَ.

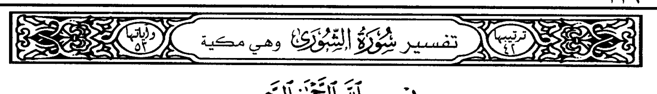
قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ تَمِيمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي لَمْ أَجْمَعْكُمْ لأَمْرٍ أَحْدَثْتُهُ فِيكُمْ، وَلَكِنْ فَكَّرْتُ فِي هَذَا الأَمْرِ الَّذِي أَنْتُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، فَعَلِمْتُ أَنَّ المُصَدِّقَ بِهَذَا الأَمْرِ أَحْمَقُ، وَالمُكَذِّبَ بِهِ هَالِكٌ، ثُمَّ نَزَلَ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَنَّ المُصَدِّقَ بِهِ أَحْمَقُ». أَيْ: لأَنَّهُ لا يَعْمَلُ لَهُ عَمَلَ مِثْلِهِ، وَلا يَحْذَرُ مِنْهُ وَلا يَخَافُ مِنْ هَوْلِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُصَدِّقٌ بِهِ، مُوقِنٌ بِوُقُوعِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَادَى فِي لَعِبِهِ وَغَفْلَتِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَذُنُوبِهِ، فَهُوَ أَحْمَقُ بِهَذَا الاعْتِبَارِ، وَالأَحْمَقُ فِي اللُّغَةِ: ضَعِيفُ العَقْلِ. وَقَوْلُهُ: «وَالمُكَذِّبُ بِهِ هَالِكٌ»: هَذَا وَاضِحٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُقَرِّرًا عَلَى أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَإِقَامَةُ السَّاعَةِ لَدَيْهِ يَسِيرٌ سَهْلٌ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ أَيْ: المَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا تَحْتَ قَهْرِهِ وَفِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ طَيِّ عِلْمِهِ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ فِيهَا كُلِّهَا بِحُكْمِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

آخر تَفْسِير سُورَة فصلت، ولله الحَمْدُ وَالمِنَّة

---

(١) في «نسخة»: [وبين].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

وقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلى الحُرُوف المُقَطَّعَة. وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير هَهُنَا أَثَرًا غَرِيبًا عَجِيبًا مُنْكَرًا، فَقَال: حدثنا أَحْمَد ابْن زُهَيْر حَدَّثَنَا عَبْد الوَهَّاب بْن نَجْدَة الحَوْطِيّ حَدَّثَنَا أَبُو المُغِيرَة عَبْد القُدُّوس بْن الحَجَّاج عَنْ أَرْطَاة بْن المُنْذِر قَال: جَاءَ رَجُل إِلى ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فقال لهُ وَعِنْده حُذَيْفَة بْن اليَمان رضي الله عنه: أَخْبِرْنِي عَنْ تَفْسِير قَوْل الله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾؟ قَال: فَأَطْرَقَ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ كَرَّرَ مَقَالته فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَلمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ وَكَرِهَ مَقَالته، ثُمَّ كَرَّرَهَا الثَّالِثَة فَلمْ يُحِرْ إِليْهِ شَيْئًا، فَقَال حُذَيْفَة رضي الله عنه: أَنَا أُنَبِّئك بِهَا قَدْ عَرَفْت لِمَ كَرِهَهَا، نَزَلَتْ فِي رَجُل مِنْ أَهْل بَيْته يُقَال لهُ عَبْد الإِله عَبْد الله يَنْزِل عَلى نَهَر مِنْ أَنْهَار المَشْرِق، يبتني عَليْهِ مدينتين شق النَّهَر بَيْنَهمَا شَقًّا، فَإِذَا أَذِنَ الله فِي زَوَال مُلكهمْ وَانْقِطَاع دَوْلتهمْ وَمُدَّتهمْ بَعَثَ الله عَلى إِحْدَاهُمَا نَارًا لَيْلًا فَتُصْبِح سَوْدَاء مُظْلِمَة قَدْ احْتَرَقَتْ، كَأَنَّهَا لمْ تَكُنْ مَكَانهَا، وَتُصْبِح صَاحِبَتهَا مُتَعَجِّبَة: كَيْف أَفْلَتَتْ؟ فَمَا هُوَ إِلَّا بَيَاض يَوْمهَا ذَلِكَ حَتَّى يَجْتَمِع فِيهَا كُلّ جَبَّار عَنِيد مِنْهُمْ، ثُمَّ يَخْسِف الله بِهَا وَبِهِمْ جَمِيعًا، فَذَلِكَ قَوْله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ يَعْنِي: عَزِيمَة مِنْ الله تَعَالى، وَفِتْنَة وَقَضَاء حُمَّ، عين يَعْنِي: عَدْلًا مِنْهُ، سين: يَعْنِي سَيَكُونُ، ق: يَعْنِي وَاقِع بِهَاتَيْنِ المَدِينَتَيْنِ.[1] وَأَغْرَب مِنْهُ مَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ فِي الجُزْء الثَّانِي مِنْ مُسْنَد ابْن عَبَّاس رضي الله عنه، عَنْ أَبِي ذَرّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَلكِنَّ إِسْنَاده ضَعِيف جِدًّا وَمُنْقَطِع، فَإِنَّهُ قَال: حَدَّثَنَا أَبُو طَالب عَبْد الجَبَّار بْن عَاصِم حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الملك الحَسَن بْن يَحْيَى الخُشَنِيّ الدِّمَشْقِيّ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة قَال: صَعِدَ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه المِنْبَر، فَقَال: أَيُّهَا النَّاس، هَل سَمِعَ مِنْكُمْ أَحَد رَسُول الله ﷺ يُفَسِّر ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾؟ فَوَثَبَ ابْن عَبَّاس رضي الله عنه فَقَال: أَنَا، قَال: حم اسْم مِنْ أَسْمَاء الله تَعَالى، قَال: فعين؟ قَال: عَايَنَ المُوَلُّونَ عَذَاب يَوْم بَدْر، قَال: فَسِين؟ قَال: سَيَعْلمُ الَّذِينَ ظَلمُوا، أَيّ: مُنْقَلب يَنْقَلبُونَ، قَال: فَقَاف؟ فَسَكَتَ، فَقَامَ أَبُو ذَرّ فَفَسَّرَ كَمَا قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَقَال: قَاف قَارِعَة مِنْ السَّمَاء تَغْشَى النَّاس.[2] وقَوْله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أَيْ: كَمَا أَنْزَل إِليْك هَذَا القُرْآن كَذَلكَ أَنْزَل الكُتُب، وَالصُّحُف عَلى الأَنْبِيَاء قَبْلك.

وَقَوْله: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ أَيْ: فِي انْتِقَامه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله. قَال الإِمَام مَالك رحمه الله: عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها: أن الحَارِث بْن هِشَام سَأَل رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُول الله كَيْف يَأْتِيك الوَحْي؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْل صَلصَلة الجَرَس، وَهُوَ أَشَدّه عَليَّ، فَيَفْصِم عَنِّي وَقَدْ وَعَيْت مَا قَال، وَأَحْيَانًا يَأْتِينِي المَلك رَجُلًا فَيُكَلِّمنِي فَأَعِي مَا يَقُول». قَالتْ عَائِشَة رضي الله عنها: فَلقَدْ رَأَيْته يَنْزِل عَليْهِ الوَحْي فِي اليَوْم الشَّدِيد

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٥/ ٦) بسند ضعيف.
(٢) ضعيف: في إسناده الحسن بن يحيى وهو ضعيف.

البَرْد فَيَفْصِم عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينه ﷺ لِيَتَفَصَّد عَرَقًا.[١] أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَلَفْظه لِلْبُخَارِيِّ. وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ عَنْ عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَامِر بْن صَالِح عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها عَنْ الحَارِث ابْن هِشَام أَنَّهُ سَأَلَ رَسُول الله ﷺ: كَيْف يَنْزِل عَلَيْك الوَحْي؟ فَقَالَ ﷺ: «**مِثْل صَلْصَلَة الجَرَس، فَيَفْصِم عَنِّي وَقَدْ وَعَيْت مَا قَالَ**». وَقَالَ: «**وَهُوَ أَشَدّه عَلَيَّ**». قَالَ: «**وَأَحْيَانًا يَأْتِينِي المَلَك فَيَتَمَثَّل لِي فَيُكَلِّمنِي، فَأَعِي مَا يَقُول**».
وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب عَنْ عَمْرو بْن الوَلِيد عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَالَ: سَأَلت رَسُول الله ﷺ فَقُلت: يَا رَسُول الله هَل تُحِسّ بِالوَحْيِ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَسْمَع صَلاصِل، ثُمَّ أَسكن عِنْد ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّة يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْت أَنَّ نَفْسِي تُقْبَض»[٢]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد، وَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفِيَّة إِتْيَان الوَحْي إِلَى رَسُول الله ﷺ فِي أَوَّل شَرْح البُخَارِيّ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: الجَمِيع عَبِيد لَهُ وَمِلك لَهُ، تَحْت قَهْره وَتَصْرِيفه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ (الرعد:٩)، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ:٢٣)، وَالآيَات فِي هَذَا كَثِيرَة. وقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ قَالَ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَكَعْب الأَحْبَار أَيْ: فَرَقًا مِنْ العَظَمَة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر:٧)، وَقَوْله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: إِعْلام بِذَلِكَ وَتَنْوِيه بِهِ. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يَعْنِي: المُشْرِكِينَ، ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: شَهِيد عَلَى أَعْمَالهمْ، يُحْصِيهَا وَيَعُدّهَا عَدًّا، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهَا أَوْفَر الجَزَاء. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أَيْ: إِنَّمَا أَنْتَ نَذِير، وَالله عَلَى كُلّ شَيْء وَكِيل.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى: وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الأَنْبِيَاء قَبْلك، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أَيْ: وَاضِحًا جَلِيًّا بَيِّنًا، ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ وَهِيَ مَكَّة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أَيْ: مِنْ سَائِر البِلاد شَرْقًا وَغَرْبًا، وَسُمِّيَتْ مَكَّة أُمّ القُرَى؛ لأَنَّهَا أَشْرَف مِنْ سَائِر البِلاد لأَدِلَّةٍ كَثِيرَة مَذْكُورَة فِي مَوَاضِعهَا. وَمِنْ أَوْجَز ذَلِكَ وَأَدَلّه مَا قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَان حَدَّثَنَا شُعَيْب عَنْ الزُّهْرِيّ أخبرنا أَبُو سَلَمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن أن عَبْد الله بْن عَدِيّ بْن الحَمْرَاء الزُّهْرِيّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول -وَهُوَ وَاقِف بِالحَزْوَرَةِ فِي سُوق مَكَّة-: «**وَالله إِنَّك لَخَيْر أَرْض الله وَأَحَبّ أَرْض الله إِلَى الله، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْت مِنْك مَا خَرَجْت**»[٣]. وَهَكَذَا رواه التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَقَوْله: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾، وَهُوَ يَوْم القِيَامَة يَجْمَع الله الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فِي صَعِيد وَاحِد. وَقَوْله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَيْ: لا شَكَّ فِي وُقُوعه، وَأَنَّهُ كَائِن لا مَحَالَة، وَقَوْله: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ (التغابن:٩)، أَيْ: يَغْبِن أَهْل الجَنَّة أَهْل النَّار، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود:١٠٣-١٠٥).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٢٣٣).
(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢) بسند ضعيف.
(٣) صحيح: تقدم.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن القَاسِم حَدَّثَنَا ليْث حَدَّثَنِي أَبُو قَبِيل المَعَافِرِيّ عَنْ شُفَيّ الأَصْبَحِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ وَفِي يَده كِتَابَانِ فَقَال: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟**». قال: قُلنَا: لا؛ إِلَّا أَنْ تُخْبِرنَا يَا رَسُول الله. قَال ﷺ للَّذِي فِي يده اليمنى: «**هَذَا كِتَاب مِنْ رَبّ العَالمِينَ بِأَسْمَاءِ أَهْل الجَنَّة وَأَسْمَاء آبَائِهِمْ وَقَبَائِلهمْ** -ثُمَّ أَجْمَل عَلَى آخِرهمْ- **لا يُزَاد فِيهِمْ وَلا يَنْقُص مِنْهُمْ أَبَدًا**». ثُمَّ قَال ﷺ للَّذِي فِي يَسَاره: «**هَذَا كِتَاب أَهْل النَّار بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاء آبَائِهِمْ وَقَبَائِلهمْ** -ثُمَّ أَجْمَل عَلَى آخِرهمْ- **لا يُزَاد فِيهِمْ وَلا يَنْقُص مِنْهُمْ أَبَدًا**». فَقَال أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ: فَلأَيِّ شَيْء نَعْمَل إِنْ كَانَ هَذَا أَمرًا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فقال رَسُول الله ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِب الجَنَّة يُخْتَم لهُ بِعَمَل أَهْل الجَنَّة، وَإِنْ عَمِل أَيّ عَمَل، وَإِنَّ صَاحِب النَّار ليختم لهُ بعَمَل أَهْل النَّار، وَإِنْ عَمِل أَيّ عَمَل**». ثُمَّ قَال ﷺ بيديه فقبضهما، ثُمَّ قَال: «**فَرَغَ رَبّكُمْ عز وجل مِنَ العِبَاد**». ثُمَّ قَال بِاليُمْنَى فَنبَذَ بِهَا فَقَال: «**فَرِيق فِي الجَنَّة**». وَنَبَذَ بِاليُسْرَى فقال: «**فَرِيق فِي السَّعِير**»[1]. وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ جَمِيعًا عَنْ قُتَيْبَة عَنْ اللَّيْث بْن سَعْد وَبَكْر بْن مُضَر؛ كِلاهُمَا عَنْ أَبِي قُبَيْل عَنْ شُفَيّ بْن مَاتِع الأَصْبَحِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح غَرِيب، وَسَاقَهُ البَغَوِيّ فِي تَفْسِيره مِنْ طَرِيق بِشْر بْن بَكْر عَنْ سَعِيد بْن عُثْمَان عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّة عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ وَعِنْده زِيَادَات مِنْهَا -ثُمَّ قَال: «**فَرِيق فِي الجَنَّة وَفَرِيق فِي السَّعِير، عَدْل مِنْ الله عز وجل**-»، وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْد الله بْن صَالح -كَاتِب اللَّيْث- عَنْ اللَّيْث بِهِ، وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ يُونُس عَنْ ابْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث عَنْ أَبِي قُبَيْل عَنْ شُفَيّ عَنْ رَجُل مِنْ الصَّحَابَة رضي الله عنهم فَذَكَرَهُ.

ثُمَّ رَوَىْ عَنْ يُونُس عَنْ ابْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث وَحَيْوَة بْن شُرَيْح عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي أُسَيْد أَنَّ أَبَا فِرَاس حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما يَقُول: «إِنَّ الله لَمَّا خَلقَ آدَم نَفَضَهُ نَفْض المِزْوَد وَأَخْرَجَ مِنْهُ كُلّ ذُرِّيَّته، فَخَرَجَ أَمْثَال النَّغَف، فَقَبَضَهُمْ قَبْضَتَيْنِ، ثُمَّ قَال: شَقِيّ وَسَعِيد، ثُمَّ أَلقَاهُمَا، ثُمَّ قَبَضَهُمَا، فَقَال: فَرِيق فِي الجَنَّة وَفَرِيق فِي السَّعِير». وَهَذَا المَوْقُوف أَشْبَه بِالصَّوَاب، وَالله أَعْلم. وَقَال الإِمَام أَحْمَد رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد حَدَّثَنَا حَمَّاد -يَعْنِي ابْن سَلمَة- أَخْبَرَنَا الجُرَيْرِيّ عَنْ أَبِي نَضْرَة أن رَجُلًا مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ يُقَال لهُ: أَبُو عَبْد الله دَخَل عَليْهِ أَصْحَابه يعودونه وهو يَبْكِي، فَقَالُوا لهُ: مَا يُبْكِيك؟ أَلمْ يَقُل لك رَسُول الله ﷺ: خُذْ مِنْ شَارِبك ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تلقَانِي، قَال: بَلى. وَلكِنْ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ الله تَعَالى قَبَض بِيَمِينِهِ قَبْضَة، وَأُخْرَى بِاليَدِ الأُخْرَى، قَال: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَهَذِهِ لِهَذِهِ، وَلا أُبَالِي». فَلا أَدْرِي فِي أَيّ القَبْضَتَيْنِ أَنَا.[2] وَأَحَادِيث القَدَر فِي الصِّحَاح وَالسُّنَن وَالمَسَانِيد كَثِيرَة جِدًّا، مِنْهَا حَدِيث عَليّ وَابْن مَسْعُود وَعَائِشَة وَجَمَاعَة جَمَّة، رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَقَوْله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أَيْ: إِمَّا عَلى الهِدَايَة أَوْ عَلى الضَّلالة، وَلكِنَّهُ تَعَالى فَاوَتَ بَيْنهمْ، فَهَدَى مَنْ شاء إِلى الحَقّ، وَأَضَلَّ مَنْ شاء عَنْهُ، وَلهُ الحِكْمَة وَالحُجَّة البَالغَة، وَلهَذَا قَال: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس أَخْبَرَنَا ابن وهب أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحارث عن أَبِي سُوَيْد حَدَّثَهُ عَنْ ابْن حُجَيْرَة أَنَّهُ بَلغَهُ أَنَّ مُوسَى عليه السلام قَال: يَا رَبّ خَلقُك الَّذِينَ خَلقْتهمْ جَعَلت مِنْهُمْ فَرِيقًا فِي الجَنَّة، وَفَرِيقًا فِي

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢١٤١)، وحسنه الألباني، انظر «الصحيحة» (٨٤٨).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٧٦) (٥/ ٦٨).

النَّار، لوْ مَا أَدْخلتهمْ كُلّهمْ الجَنَّة، فَقَال: يَا مُوسَى، ارْفَعْ ذَرْعك، فَرفَعَ، قَال: قَدْ رَفَعْت، قَال: ارْفَعْ، فَرفَعَ، فَلمْ يَتْرُك شَيْئًا، قَال: يَا رَبّ قَدْ رَفَعْت، قَال: ارْفَعْ. قَال: قَدْ رَفَعْت إِلَّا مَا لا خَيْرَ فِيهِ، قَال: كَذَلكَ أُدْخِل خَلقِي كُلّهمْ الجَنَّة، إِلَّا مَا لا خَيْرَ فِيهِ.[1]

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى المُشْرِكِينَ فِي اتِّخاذهمْ آلهَة مِنْ دُون الله، وَمُخْبِرًا أَنَّهُ الوَليّ الحَقّ، الَّذِي لا تَنْبَغِي العِبَادَة إِلَّا لهُ وَحْده، فَإِنَّهُ القَادِر عَلى إِحْيَاء المَوْتَى، وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْء قَدِير. ثم قال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ﴾ أَيْ: مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ الأُمُور، وَهَذَا عَامّ فِي جَمِيع الأَشْيَاء، ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ﴾ أَيْ: هُوَ الحَاكِم فِيهِ بِكِتَابِهِ، وَسُنَّة نَبِيّه ﷺ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء:٥٩)، ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ أَيْ: الحَاكِم فِي كُلّ شَيْء، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أَيْ: أَرْجِع فِي جَمِيع الأُمُور، وَقَوْله: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيْ: خَالقهمَا وَمَا بَيْنهمَا، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أَيْ: مِنْ جِنْسكُمْ وَشَكْلكُمْ مِنَّة عَليْكُمْ وَتفَضُّلًا، جَعَل مِنْ جِنْسكُمْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ أَيْ: خَلقَ لكُمْ فِي الأَنْعَام ثَمَانِيَة أَزْوَاج.

وَقَوْله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أَيْ: يَخْلُقكُمْ فِيهِ، أَيْ: فِي ذَلكَ الخَلق عَلى هَذِهِ الصِّفَة، لا يَزَال يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ذُكُور وَإِنَاث خَلقًا مِنْ بَعْد خَلق، وَجِيلًا بَعْد جِيل، وَنَسْلًا بَعْد نَسْل؛ مِنْ النَّاس وَالأَنْعَام. وَقَال البَغَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أَيْ: فِي الرَّحِم، وَقِيل: فِي البَطْن، وَقِيل: فِي هَذَا الوَجْه مِنْ الخِلْقَة. قَال مُجَاهِد: نَسْلًا بَعْد نَسْل مِنْ النَّاس وَالأَنْعَام، وَقِيل: ﴿فِي﴾ بِمَعْنَى البَاء، أَيْ: يَذْرَؤُكُمْ بِهِ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ أَيْ: ليْسَ كَخَالِقِ الأَزْوَاج كُلّهَا شَيْء؛ لأَنَّهُ الفَرْد الصَّمَد الَّذِي لا نَظِير لهُ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وَقَوْله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في سورة «الزمر»، وَحَاصِل ذَلكَ أَنَّهُ المُتَصَرِّف الحَاكِم فِيهِمَا ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أَيْ: يُوَسِّع عَلى مَنْ يَشَاء، وَيُضَيِّق عَلى مَنْ يَشَاء، وَلهُ الحِكْمَة وَالعَدْل التَّامّ، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

يَقُول تَعَالى لِهَذِهِ الأُمَّة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، فَذَكَرَ أَوَّل الرُّسُل بَعْد آدَم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرهمْ وَهُوَ مُحَمَّد ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ بَيْنَ ذَلكَ مِنْ أُولِي العَزْم وهم إِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى ابْن مَرْيَم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الآيَة انْتَظَمَتْ ذِكْر الخَمْسَة كَمَا اشْتَمَلتْ آيَة الأَحْزَاب عَليْهِمْ فِي قَوْله:

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني (٩/٢٥) بسند ضعيف.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب:٧) الآيَة. وَالدِّين الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُل كُلّهمْ هُوَ عِبَادَة الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، كَمَا قَال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥).

وَفِي الحَدِيث: «نَحْنُ مَعْشَرَ الأَنْبِيَاء أَوْلاد علاَّت، دِينُنَا وَاحِد»[1]. أَيْ: القَدْر المُشْتَرَك بَيْنهمْ هُوَ عِبَادَة الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعهمْ وَمَنَاهِجهمْ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:٤٨)، وَلِهَذَا قَال تَعَالى هَهُنَا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أَيْ: وصَّى الله سبحانه وتَعَالى جَمِيع الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِالائْتِلافِ وَالجَمَاعَة. وَنَهَاهُمْ عَنْ الافْتِرَاق وَالاخْتِلاف.

وَقَوْله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أَيْ: شَقَّ عَلَيْهِمْ وَأَنْكَرُوا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّد مِنْ التَّوْحِيد. ثُمَّ قَال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أَيْ: هُوَ الَّذِي يُقَدِّر الهِدَايَة لمَنْ يَسْتَحِقّهَا، وَيَكْتُب الضَّلالة عَلى مَنْ آثَرَهَا عَلى طَرِيق الرُّشْد، ولهذا قَال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أَيْ: إِنَّمَا كَانَ مُخَالفَتهمْ للحَقِّ بَعْد بُلُوغه إِلَيْهِمْ وَقِيَام الحُجَّة عَلَيْهِمْ، وَمَا حَمَلهُمْ عَلى ذَلكَ إِلَّا البَغْي وَالعِنَاد وَالمُشَاقَّة، ثُمَّ قَال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَيْ: لوْلا الكَلمَة السَّابِقَة مِنْ الله تَعَالى بِإِنْظَارِ العِبَاد بِإِقَامَةِ حِسَابهمْ إِلى يَوْم المَعَاد لعَجَّل [عَليهِمْ][2] العُقُوبَة فِي الدُّنْيَا سَرِيعًا. وَقَوْله جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يَعْنِي: الجِيل المُتَأَخِّر بَعْد القَرْن الأَوَّل المُكَذِّب للحَقِّ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أَيْ: ليْسُوا عَلى يَقِين مِنْ أَمْرهمْ، وَإِنَّمَا هُمْ مُقَلِّدُونَ لآبَائِهِمْ وَأَسْلافهمْ بِلا دَليل، وَلا بُرْهَان، وَهُمْ فِي حَيْرَة مِنْ أَمْرهمْ، وَشَكّ مُرِيب، وَشِقَاق بَعِيد.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

اشْتَمَلتْ هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة عَلى عَشر كَلمَات مُسْتَقِلَّات، كُلّ مِنْهَا مُنْفَصِلة عَنْ الَّتِي قَبْلهَا، حُكْم برأسه، قَالُوا: وَلا نَظِير لهَا سِوَى آيَة الكُرْسِيّ، فَإِنَّهَا أَيْضًا عشرة فُصُول كَهَذِهِ. وَقَوْله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ أَيْ: فَللَّذِي أَوْحَيْنَا إِليْك مِنْ الدِّين الَّذِي وَصَّيْنَا بِهِ جَمِيع المُرْسَلينَ قَبْلك، أَصْحَاب الشَّرَائِع الكِبَار المُتَّبَعَة كَأُولي العَزْم وَغَيْرهمْ، فَادْعُ النَّاس إِليْهِ.

وَقَوْله: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ أَيْ: وَاسْتَقِمْ أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَك عَلى عِبَادَة الله كَمَا أمرك الله عَزَّ وَجَلَّ، وَقَوْله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يَعْنِي: المُشْرِكِينَ فِيمَا اختلقوه، وَكَذَّبُوهُ، وَافْتَرَوْهُ مِنْ عِبَادَة الأَوْثَان. وَقَوْله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ أَيْ: صَدَّقْتُ بِجَمِيع الكُتُب المُنَزَّلة مِنْ السَّمَاء عَلى الأَنْبِيَاء، لا نُفَرِّق بَيْن أَحَد مِنْهُمْ. وَقَوْله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أَيْ: فِي الحُكْم كَمَا أَمَرَنِي الله، وَقَوْله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أَيْ: هُوَ المَعْبُود، لا إِله غَيْره، فَنَحْنُ نُقِرّ بِذَلكَ اخْتِيَارًا، وَأَنْتُمْ وَإِنْ لمْ تَفْعَلُوهُ اخْتِيَارًا فَلهُ يَسْجُد مَنْ فِي العَالمِينَ طَوْعًا واختيارًا. وَقَوْله: ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ أَيْ: نَحْنُ بُرَآء مِنْكُمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:٤١).

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) في «نسخة»: [لهم].

وَقَوْله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قَال مُجاهِد: أَيْ لا خُصومَة. قَال السُّدِّيّ: وَذَلِكَ قَبْل نُزُول آيَة السَّيْف، وَهَذَا مُتَّجه؛ لأَنَّ هَذِهِ الآيَة مَكِّيَّة وَآيَة السَّيْف بَعْد الهِجْرَة. وَقَوْله: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (سبأ:٢٦)، وَقَوْله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أَيْ: الـمَرْجِع وَالـمَآب يَوْم الحِسَاب.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

يَقُول تَعَالى مُتَوَعِّدًا الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيل الله مَنْ آمَنَ بِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أَيْ: يُجَادِلُونَ المُؤْمِنِينَ المُسْتَجِيبِينَ لله وَلرَسُولِهِ؛ لِيَصُدُّوهُمْ عَمَّا سَلكُوهُ مِنْ طَرِيق الهُدَى، ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ: بَاطِلة عِنْد الله، ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ أَيْ: مِنْهُ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنه وَمُجاهِد: جَادَلُوا المُؤْمِنِينَ بَعْدَمَا اسْتَجَابُوا لله وَلرَسُولِهِ؛ لِيَصُدُّوهُمْ عَنْ الهُدَى، وَطَمِعُوا أَنْ تَعُود الجَاهِلِيَّة، وَقَال قَتَادَة: هُمْ اليَهُود وَالنَّصَارَى قَالُوا لَهُمْ: دِينُنَا خَيْر مِنْ دِينِكُمْ، وَنَبِيُّنَا قَبْل نَبِيِّكُمْ، وَنَحْنُ خَيْر مِنْكُمْ، وَأَوْلى بِالله مِنْكُمْ، وَقَدْ كَذَبُوا فِي ذَلِكَ. ثم قَال: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يَعْنِي: الكُتُب المُنَزَّلة مِنْ عِنْده عَلى أَنْبِيَائِهِ، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾، وَهُوَ العَدْل وَالإِنْصَاف، قَالهُ مُجاهِد وَقَتَادَة. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥)، وَقَوْله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن:٧-٩).

وَقَوْله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: فِيهِ تَرْغِيب فِيهَا، وَتَرْهِيب مِنْهَا، وَتَزْهِيد فِي الدُّنْيَا. وقوله عز وجل: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أَيْ: يَقُولُونَ: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سبأ:٢٩)، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ تَكْذِيبًا وَاسْتِبْعَادًا، وَكُفْرًا وَعِنَادًا، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أَيْ: خَائِفُونَ وَجِلُونَ مِنْ وُقُوعهَا، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أَيْ: كَائِنَة لا مَحَالة، فَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لَهَا عَامِلُونَ مِنْ أَجْلهَا. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُق تَبْلُغ دَرَجَة التَّوَاتُر فِي الصِّحَاح وَالحِسَان وَالسُّنَن وَالمَسَانِيد، وَفِي بَعْض أَلفَاظه أَنَّ رَجُلًا سَأَل رَسُول الله ﷺ بِصَوْتٍ جَهْوَرِيّ وَهُوَ فِي بَعْض أَسْفَاره، فَنَادَاهُ فَقَال: يَا مُحَمَّد، فَقَال لهُ النبي ﷺ نَحْوًا مِنْ صَوْته: «هَاؤُمْ». فَقَال: مَتَى السَّاعَة؟ فَقَال [له][1] رَسُول الله ﷺ: «وَيْحك إِنَّهَا كَائِنَة فَمَا أَعْدَدْت لهَا؟». فَقَال: حُبّ الله وَرَسُوله، فَقَال ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْت»[2]. فَقَوْله فِي الحَدِيث: «المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ». هَذَا مُتَوَاتِر لا مَحَالة، وَالغَرَض أَنَّهُ لم يُجِبْهُ عَنْ وَقْت السَّاعَة، بَل أَمَرَهُ بِالاسْتِعْدَادِ لهَا.

وَقَوْله: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ أَيْ: يحاجُّون فِي وُجُودهَا، وَيَدْفَعُونَ وُقُوعهَا، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أَيْ: فِي جَهْل بَيِّن، لأَنَّ الَّذِي خَلقَ السَّمَوَات وَالأَرْض، قَادِر عَلى إِحْيَاء المَوْتَى بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى، كَمَا قَال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم:٢٧).

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى

---

(١) زيادة من (ط).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).

ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ لُطْفه بِخَلْقِهِ فِي رِزْقه إِيَّاهُمْ عَنْ آخِرهمْ، لا يَنْسَى أَحَدًا مِنْهُمْ، سَوَاء فِي رِزْقه الْبَرّ وَالفَاجِر، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ (هود:٦)، وَلَهَا نَظَائِر كَثِيرَة. وَقَوْله: ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ أَيْ: يُوَسِّع عَلَى مَنْ يَشَاء، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أَيْ: لا يُعْجِزهُ شَيْء، ثم قَالَ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أَيْ: عَمَل الآخِرَة ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ أَيْ: نُقَوِّيه وَنُعِينهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، وَنُكْثِر نَمَاءَهُ، وَنَجْزِيه بِالحَسَنَةِ عَشْر أَمْثَالهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْف إِلَى مَا يَشَاء الله، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ أَيْ: وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا سَعْيه لِيُحَصِّل لَهُ شَيْء مِنْ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الآخِرَة هِمَّة الْبَتَّة بِالْكُلِّيَّةِ حَرَمَهُ الله الآخِرَة، وَالدُّنْيَا إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ مِنْهَا، وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يُحَصِّل لا هَذِهِ وَلا هَذِهِ، وَفَازَ هذا السَّاعِي بِهَذِهِ النِّيَّة بِالصَّفْقَةِ الخَاسِرَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَالدَّلِيل عَلَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الآيَة هَهُنَا مُقَيَّدَة بِالآيَةِ الَّتِي فِي سُبْحَان، وَهِيَ قَوْله تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء:١٨-٢١).

وَقَال الثَّوْرِيّ: عَنْ المغيرة عَنْ أَبِي العَالِيَة عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّة بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَة، والنصرة وَالتَّمْكِين فِي الأَرْض، فَمَنْ عَمِل مِنْهُمْ عَمَل الآخِرَة للدُّنْيَا لمْ يَكُنْ لهُ فِي الآخِرَة مِنْ نَصِيب**».[1] وقَوْله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ أَيْ: هُمْ لا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ الله لك مِنْ الدِّين القَوِيم، بَل يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيَاطِينهمْ مِنْ الجِنّ وَالإِنْس مِنْ تَحْرِيم مَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ مِنْ البَحِيرَة وَالسَّائِبَة وَالوَصِيلة وَالحَام، وَتَحْلِيل المَيْتَة وَالدَّم وَالقِمَار إِلَى نَحْو ذَلِكَ مِنْ الضَّلالات والجهالات البَاطِلة الَّتِي كَانُوا قَدْ اخْتَرَعُوهَا فِي جَاهِلِيَّتهمْ مِنْ التَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم وَالعِبَادَات البَاطِلة والأقوال الفَاسِدَة. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**رَأَيْت عَمْرو بْن لُحَيّ بْن قَمْعَة يَجُرّ قُصْبه فِي النَّار؛ إنه أَوَّل مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِب**»[2]، وَكَانَ هَذَا الرَّجُل أَحَد مُلُوك خُزَاعَة، وَهُوَ أَوَّل مَنْ فَعَل هَذِهِ الأَشْيَاء، وَهُوَ الَّذِي حَمَل قُرَيْشًا عَلَى عِبَادَة الأَصْنَام لعَنَهُ الله وَقَبَّحَهُ، وَلهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾ أَيْ: لعُوجِلُوا بِالعُقُوبَةِ لوْلا مَا تَقَدَّمَ مِنْ الإِنْظَار إِلَى يَوْم المَعَاد، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أَيْ: شَدِيد مُوجِع فِي جَهَنَّم وَبِئْسَ المَصِير.

ثم قال تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ أَيْ: فِي عَرَصَات القِيَامَة، ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ أَيْ: الَّذِي يَخَافُونَ مِنْهُ وَاقِع بِهِمْ لا مَحَالة، هَذَا حَالهمْ يَوْم مَعَادهمْ، وَهُمْ فِي هَذَا الخَوْف وَالوَجَل، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟ أَيْنَ مَنْ هُوَ فِي العَرَصَات فِي الذُّلّ وَالهَوَان وَالخَوْف المُحَقَّق عَلَيْهِ بِظُلْمِهِ، مِمَّنْ هُوَ فِي رَوْضَات الجَنَّات، فِيمَا يَشَاء مِنْ مَآكِل وَمَشَارِب وَمَلابِس وَمَسَاكِن، وَمَنَاظِر وَمَنَاكِح وَمَلاذّ، فِيمَا لا عَيْن رَأَت وَلا أُذُن سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر؟!

قَال الحَسَن بْن عَرَفَة: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَبْد الرَّحْمَن الأَبَّار، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَعْد الأَنْصَارِيّ عَنْ أَبِي طَيْبَة،

---

(١) صحيح: تقـدم.
(٢) صحيح: تقـدم.

قَال: إنَّ الشَّرْب مِنْ أَهْل الجَنَّة لَتُظِلّهُمْ السَّحابَة، فتَقُول: مَا أُمْطِركُمْ؟ قَال: فَمَا يَدْعُو دَاعٍ مِنْ القَوْم بِشَيْءٍ إِلَّا أَمْطَرَتْهُمْ حَتَّى إِنَّ القَائِل مِنهُمْ ليَقُولُ: أَمْطِرِينَا كَوَاعِب أَتْرَابًا. رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ الحَسَن بْن عَرَفَة بِهِ، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ أَيْ: الفَوْز العَظِيم، وَالنِّعْمَة التَّامَّة السَّابِغَة الشَّامِلة العَامَّة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

يَقُول تَعَالى لمَّا ذَكَرَ رَوْضَات الجَنَّات، لعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَات: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أَيْ: هَذَا حَاصِل لهُمْ، كَائِن لا مَحَالة بِبِشَارَةِ الله لهُمْ بِهِ. وَقَوْله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أَيْ: قُل يَا مُحَمَّد لهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّار قُرَيْش: لا أَسْأَلكُمْ عَلى هَذَا البَلاغ وَالنُّصْح لكُمْ مَالًا تُعْطُونِيهِ، وَإِنَّمَا أَطْلب مِنْكُمْ أَنْ تَكُفُّوا شَرّكُمْ عَنِّي، وَتَذَرُونِي أُبَلِّغ رِسَالات رَبِّي، إِنْ لمْ تَنْصُرُونِي فَلا تُؤْذُونِي بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ القَرَابَة. قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ عَبْد المَلك بْن مَيْسَرَة قَال: سَمِعْت طَاوُسًا عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ سُئِل عَنْ قَوْله تَعَالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: قُرْبَى آل مُحَمَّد، فَقَال ابْن عَبَّاس: عَجِلْت، إِنَّ النَّبِيّ ﷺ لمْ يَكُنْ بَطْن مِنْ قُرَيْش إِلَّا كَانَ لهُ فِيهِمْ قَرَابَة، فَقَال: إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ القَرَابَة.[1] انْفَرَدَ بِهِ البُخَارِيّ، وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ يَحْيَى القَطَّان عَنْ شُعْبَة بِهِ، وَهَكَذَا رَوَى عَامِر الشَّعْبِيّ وَالضَّحَّاك وَعَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة وَالعَوْفِيّ وَيُوسُف بْن مِهْرَان وَغَيْر وَاحِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما مِثْله، وَبِهِ قَال مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَأَبُو مَالك وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ وَغَيْرهمْ. وَقَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن زَيْد الطَّبَرَانِيّ وَجَعْفَر القَلانِسِيّ؛ قَالا: حَدَّثَنَا آدَم بْن أَبِي إِيَاس، حَدَّثَنَا شَرِيك عَنْ خُصَيْف عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال لهُمْ رَسُول الله ﷺ: «**لا أَسْأَلكُمْ عَليْهِ أَجْرًا إِلاَّ أَنْ تَوَدُّونِي فِي نَفْسِي لقَرَابَتِي مِنْكُمْ، وَتَحْفَظُوا القَرَابَة التي بَيْنِي وَبَيْنكُمْ**».[2]

وَرَوَى الإِمَام أَحْمَد عَنْ حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا قَزَعَة يَعْنِي: ابْن سُوَيْد، وَابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُسْلم ابْن إِبْرَاهِيم عَنْ قَزَعَة بْن سُوَيْد؛ عَنْ ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**لا أَسْأَلكُمْ عَلى مَا آتَيْتُكُمْ مِنْ البَيِّنَات وَالهُدَى أَجْرًا إِلاَّ أَنْ تُوَادُّوا الله، وَأَنْ تَقَرَّبُوا إِليْهِ بِطَاعَتِهِ**». وَهَكَذَا رَوَى قَتَادَة عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ مِثْله، وَهَذَا كَأَنَّهُ تَفْسِير بِقَوْلٍ ثَانٍ، كَأَنَّهُ يَقُول إِلَّا المَوَدَّة فِي القُرْبَى، أَيْ: إِلَّا أَنْ تَعْمَلُوا بِالطَّاعَةِ الَّتِي تُقَرِّبكُمْ عِنْد الله زُلفَى. وَقَوْل ثَالث: وَهُوَ مَا حَكَاهُ البُخَارِيّ وَغَيْره رِوَايَة عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر مَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَال: مَعْنَى ذَلكَ أَنْ تَوَدُّونِي فِي قَرَابَتِي، أَيْ: تُحْسِنُوا إِليْهِمْ وَتَبَرُّوهُمْ. وَقَال السُّدِّيّ عَنْ أَبِي الدَّيْلم قَال: لمَّا جِيءَ بِعَلِيّ بْن الحُسَيْن رضي الله عنه أَسِيرًا، فَأُقِيمَ عَلى دَرَج دِمَشْق؛ قَامَ رَجُل مِنْ أَهْل الشَّام، فَقَال: الحَمْد لله، الَّذِي قَتَلكُمْ وَاسْتَأْصَلكُمْ وَقَطَعَ قرني الفِتْنَة، فَقَال لهُ عَلِيّ بْن الحُسَيْن رضي الله عنه: أَقَرَأْت القُرْآن؟ قَال: نَعَمْ. قَال: أَقَرَأْت آل حم؟ قَال: قَرَأْت القُرْآن، وَلمْ أَقْرَأ آل حم، قَال: مَا قَرَأْت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قَال: وَإِنَّكُمْ أنتم هُمْ؟ قَال: نَعَمْ، وَقَال أَبُو إِسْحَاق السَّبِيعِيّ: سَأَلت عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ قَوْله تَعَالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ

---

(١) **صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٨).**
(٢) **إسناده ضعيف والحديث حسن: أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٢٣٣) بسند ضعيف إلا أن له شواهد.**

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقَال: قُرْبَى النَّبِيّ ﷺ . رَوَاهُمَا ابْن جَرِير. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا مَالك بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا عَبْد السَّلام، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن أَبِي زِيَاد عَنْ مِقْسَم عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَالتْ الأَنْصَار: فَعَلنَا وَفَعَلنَا، وَكَأَنَّهُمْ فَخَرُوا، فَقَال ابْن عَبَّاس أَوْ العَبَّاس رضي الله عنهما -شَكَّ عَبْد السَّلام-: لَنَا الفَضْل عَلَيْكُمْ، فَبَلغَ ذَلِكَ رَسُول الله ﷺ فَأَتَاهُمْ فِي مَجَالسهمْ، فَقَال: **«يَا مَعْشَر الأَنْصَار أَلمْ تَكُونُوا أَذِلَّة فَأَعَزَّكُمْ الله بِي؟»**. قَالُوا: بَلى يَا رَسُول الله، قَال ﷺ : **«أَلمْ تَكُونُوا ضُلَّالاً فَهَدَاكُمْ الله بِي؟»**. قَالُوا: بَلى يَا رَسُول الله، قَال: **«أَفَلا تُجِيبُونِي؟»**. قَالُوا: مَا نَقُول يَا رَسُول الله؟ قَال: **«أَلا تَقُولُونَ: أَلمْ يُخْرِجك قَوْمك فَآوَيْنَاك أَوَلمْ يُكَذِّبُوك فَصَدَّقْنَاك أَوَلمْ يَخْذُلُوك فَنَصَرْنَاك»**؟ قَال: فَمَا زَال ﷺ يَقُول حَتَّى جَثَوْا عَلى الرُّكَب، وَقَالُوا: أَمْوَالنَا وما فِي أَيْدِينَا لله وَلرَسُوله. قَال: فَنَزَلتْ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.(١)

وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ عَليّ بْن الحُسَيْن عَنْ عَبْد المُؤْمِن بْن عَليّ، عَنْ عَبْد السَّلام عَنْ يَزِيد بْن أَبِي زِيَاد وَهُوَ ضَعِيف بِإِسْنَادِهِ مِثْله أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي قَسْم غَنَائِم حُنَيْنٍ قَرِيب مِنْ هَذَا السِّيَاق، وَلكِنْ لَيْسَ فِيهِ ذِكْر نُزُول هَذِهِ الآيَة. وَذِكْر نُزُولهَا فِي المَدِينَة فِيهِ نَظَر؛ لأَنَّ السُّورَة مَكِّيَّة، وَلَيْسَ يَظْهَر بَيْن هَذِهِ الآيَة الكريمة وبين السِّيَاق مُنَاسَبَة، وَالله أَعْلم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَليّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا رَجُل سَمَّاهُ، حَدَّثَنَا حُسَيْن الأَشْقَر عَنْ قَيْس عَنْ الأَعْمَش عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنه قَال: لـمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قَالُوا: يَا رَسُول الله، مَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَمَرَ الله بِمَوَدَّتهمْ؟ قَال: «فَاطِمَة وَوَلدهَا عليهم السلام»(٢). وَهَذَا إِسْنَاد ضَعِيف فِيهِ مُبْهَم لا يُعْرَف عَنْ شَيْخ شِيعِيّ متحرق وَهُوَ حُسَيْن الأَشْقَر، وَلا يُقْبَل خَبَره فِي هَذَا الـمَحِلّ، وَذِكْرُ نُزُول [هذه](٣) الآيَة فِي المَدِينَة بَعِيد فَإِنَّهَا مَكِّيَّة، وَلمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ لفَاطِمَة رضي الله عنها أَوْلاد بِالكُلِّيَّةِ، فَإِنَّهَا لمْ تَتَزَوَّج بِعَليٍّ رضي الله عنه إِلَّا بَعْد بَدْر مِنْ السَّنَة الثَّانِيَة مِنْ الهِجْرَة، وَالحَقّ تَفْسِير هَذِهِ الآيَة بِمَا فَسَّرَهَا بِهِ [الإمام](٤) حَبْر الأُمَّة وَتُرْجُمَان القُرْآن عَبْد الله بْن عَبَّاس رضي الله عنهما كَمَا رَوَاهُ عَنْهُ البُخَارِيّ، وَلا تُنكر الوَصَاة بِأَهْل البَيْت وَالأَمْر بِالإِحْسَانِ إِليْهِمْ وَاحْتِرَامهمْ وَإِكْرَامهمْ، فَإِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّة طَاهِرَة، مِنْ أَشْرَف بَيْت وُجِدَ عَلى وَجْه الأَرْض فَخْرًا وَحَسَبًا وَنَسَبًا، وَلا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ للسُّنَّةِ النَّبَوِيَّة الصَّحِيحَة الوَاضِحَة الجَليَّة، كَمَا كَانَ عَليْهِ سَلفهمْ كَالعَبَّاسِ وَبَنِيهِ، وَعَليّ وَأَهْل بَيْته وذويه رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وفِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال فِي خُطْبَته بِغَدِيرِ خُمّ: **«إِنِّي تَارِك فِيكُمْ الثَّقَليْنِ كِتَاب الله وَعِتْرَتِي، وَإِنَّهُمَا لمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَليَّ الحَوْض»**.(٥)

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون أخبرنا إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي زِيَاد، عَنْ عَبْد الله ابْن الحَارِث، عَنْ العَبَّاس بْن عَبْد المُطَّلب رضي الله عنه قَال: قُلت: يَا رَسُول الله إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا لقِيَ بَعْضهمْ بَعْضًا لقُوهُمْ بِبِشْرٍ حَسَن، وَإِذَا لقُونَا لقُونَا بِوُجُوهٍ لا نَعْرِفهَا، قَال: فَغَضِبَ النَّبِيّ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُل قَلب الرَّجُل الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبّكُمْ لله وَلرَسُوله»**. ثُمَّ قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ يَزِيد بْن أَبِي زِيَاد، عَنْ عَبْد الله بْن الحَارِث عَنْ عَبْد المُطَّلب بْن رَبِيعَة، قَال: دَخَل العَبَّاس رضي الله عنه عَلى رَسُول الله ﷺ فَقَال: إِنَّا لنَخْرُج

---

(١) إسناده ضعيف : والحديث أصله في الصحيحين دون ذكر سبب نزول الآية.
أخرجه ابن جرير الطبري (٥/ ٢٥) بسند ضعيف.
(٢) ضعيف : أخرجه الطبري (١١/ ١٢٢٥٩) بسند ضعيف.
(٣) زيادة من (ط).
(٤) زيادة من (ط).
(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٣٤٠٨).

فنَرَى قُرَيْشًا تُحدِّث، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُول الله ﷺ، وَدَرَّ عِرْق بَيْن عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَال ﷺ: **«وَالله لا يَدْخُل قَلب امْرِئٍ مُسْلم إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لله وَلقَرَابَتِي»**[1]. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عَبْد الوَهَّاب، حَدَّثَنَا خَالد، حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ وَاقِد قَال: سَمِعْت أَبِي يُحدِّث عَنْ ابن عُمَر رضي الله عنهما عَنْ أَبِي بَكْر هُوَ الصِّدِّيق رضي الله عنه قَال: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْل بَيْته. وَفِي الصَّحِيح أَنَّ الصِّدِّيق قَال لعَلِيٍّ رضي الله عنهما: وَالله لقَرَابَة رَسُول الله ﷺ أَحَبّ إِلَيَّ أَنْ أَصِل مِنْ قَرَابَتِي، وَقَال عُمَر بْن الخَطَّاب للعَبَّاسِ رضي الله عنهما: وَالله لإِسْلامُكَ يَوْم أَسْلمْت كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلام الخَطَّاب لوْ أَسْلمَ، لأَنَّ إِسلامك كَانَ أَحَبَّ إِلى رَسُول الله ﷺ مِنْ إِسْلام الخَطَّاب. فَحَال الشَّيْخَيْنِ رضي الله عنهما هُوَ الوَاجِب عَلى كُلّ أَحَد أَنْ يَكُون كَذَلكَ، وَلهَذَا كَانَا أَفْضَل المُؤْمِنِينَ بَعْد النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلينَ رضي الله عنهما وَعَنْ سَائِر الصَّحَابَة أَجْمَعِينَ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد رحمه الله: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم عَنْ أَبِي حَيَّان التَّيْمِيّ، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن حَيَّان قَال: انْطَلقْتُ أَنَا وَحُصَيْن بْن مَيْسَرَة، وَعُمَر بْن مُسْلم إِلى زَيْد بْن أَرْقَم رضي الله عنه، فَلمَّا جَلسْنَا إِليْهِ قَال حُصَيْن: لقَدْ لقِيت يَا زَيْد خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْت رَسُول الله ﷺ وَسَمِعْت حَدِيثه وَغَزَوْت مَعَهُ، وَصَلَّيْت مَعَهُ، لقَدْ رَأَيْت يَا زَيْد خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْد مَا سَمِعْت مِنْ رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا بْن أَخِي؛ وَالله لقَدْ كبرت سِنِّي وَقَدِمَ عَهْدِي، وَنَسِيت بَعْض الَّذِي كُنْت أَعِي مِنْ رَسُول الله ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوهُ، وَمَا لا فَلا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَال رضي الله عنه: قَامَ رَسُول الله ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا فِينَا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْن مَكَّة وَالمَدِينَة، فَحَمِدَ الله تَعَالى وَأَثْنَى عَليْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَال ﷺ: **«أَمَّا بَعْد، ألا أَيّهَا النَّاس إِنَّمَا أَنَا بَشَر يُوشِك أَنْ يَأْتِينِي رَسُول رَبِّي فَأُجِيب، وَإِنِّي تَارِك فِيكُمْ الثَّقَليْنِ، أَوَّلهُمَا: كِتَاب الله تَعَالى فِيهِ الهُدَى وَالنُّور، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»** -فَحَثَّ عَلى كِتَاب الله وَرَغَّبَ فِيهِ- وَقَال ﷺ: **«وَأَهْل بَيْتِي، أُذَكِّركُمْ الله فِي أَهْل بَيْتِي، أُذَكِّركُمْ الله فِي أَهْل بَيْتِي»**. فَقَال لهُ حُصَيْن: وَمَنْ أَهْل بَيْته يَا زَيْد؟ أَليْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْل بَيْته؟ قَال: إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْل بَيْته، وَلكِنْ أَهْل بَيْته مَنْ حَرُمَ [عَليْهِ][2] الصَّدَقَة بَعْده، قَال: وَمَنْ هُمْ؟ قَال: هُمْ آل عَليّ وَآلُ عُقَيْل وَآلُ جَعْفَر وَآلُ العَبَّاس رضي الله عنهم، قَال: أَكُلّ هَؤُلاءِ حُرِمَ الصَّدَقَة؟ قَال: نَعَمْ.[3] وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم فِي الفضائل وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق يَزِيد بْن حيان بِهِ.

وَقَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا عَليّ بْن المُنْذِر الكُوفِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل، حَدَّثَنَا الأَعْمَش عَنْ عَطِيَّة عَنْ أَبِي سَعِيد، وَالأَعْمَش عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت، عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنِّي تَارِك فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدهمَا أَعْظَم مِنْ الآخَر: كِتَاب الله حَبْل مَمْدُود مِنْ السَّمَاء إِلى الأَرْض، وَالآخَر عِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي، وَلنْ يتفرقا حَتَّى يَرِدَا عَليَّ الحَوْض، فَانْظُرُوا كَيْف تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»**.[4] تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ [الترمذي][5]، ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث حَسَن غَرِيب.

وَقَال التِّرْمِذِيّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا نَصْر بْن عَبْد الرَّحْمَن الكُوفِيّ، حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحَسَن عَنْ جَعْفَر بْن مُحَمَّد عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنهما قَال: رَأَيْت رَسُول الله ﷺ فِي حَجَّته يَوْم عَرَفَة وَهُوَ عَلى نَاقَته القَصْوَاء يَخْطُب، فَسَمِعْته يَقُول: **«يَا أَيّهَا النَّاس، إِنِّي تَرَكْت فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لنْ تَضِلُّوا: كِتَاب الله وَعِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي»**[6]. تَفَرَّدَ بِهِ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٧) (٤/ ١٦٥) **بسند ضعيف**.
(٢) سقط من (ط).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٤٠٨).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٨٦) وانظر السابق.
(٥) سقط من (ط).
(٦) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨)، وانظر «الصحيحة» (١٧٦١).

التِّرْمِذِيّ أَيْضًا، وَقَال: حَسَن غَرِيب، وَفِي البَاب عَنْ أَبِي ذَرّ وَأَبِي سَعِيد وَزَيْد بْن أَرْقَم وَحُذَيْفَة بْن أُسَيْد رضي الله عنهم.
ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: حدثنا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَان بن الأَشْعَث حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن مَعِين حَدَّثَنَا هِشَام بْن يُوسُف عَنْ عَبْد الله ابْن سُلَيْمَان النَّوْفَلِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْد الله بْن عَبَّاس عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه عَبْد الله بْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «أَحِبُّوا الله لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِه، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ الله، وَأَحِبُّوا أَهْل بَيْتِي بِحُبِّي»[1]. ثُمَّ قَال: حَسَن غَرِيب إِنَّمَا نَعْرِفهُ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَقَدْ أَوْرَدْنَا أَحَادِيث أُخَر عِنْد قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣). بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتهَا هَهُنَا، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا سُوَيْد بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا مُفَضَّل بْن عَبْد الله عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ حَنَش، قَال: سَمِعْت أَبَا ذَرّ رضي الله عنه وَهُوَ آخِذ بِحَلْقَةِ البَاب يَقُول: يَا أَيُّهَا النَّاس، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَأَنَا أَبُو ذَرّ، سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّمَا مَثَل أَهْل بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَل سَفِينَة نُوح مَنْ دَخَلهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ»[2]. هَذَا بِهَذَا الإِسْنَاد ضَعِيف.

وَقَوْله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أَيْ: وَمَنْ يَعْمَل حَسَنَة نَزِدْ لهُ فِيهَا حُسْنًا، أَيْ: أَجْرًا وَثَوَابًا، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٠).

وَقَال بَعْض السَّلَف: مِنْ ثَوَاب الحَسَنَة الحَسَنَة بَعْدهَا، وَمِنْ جَزَاء السَّيِّئَة السَّيِّئَة بَعْدهَا. وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أَيْ: يَغْفِر الكَثِير مِنْ السَّيِّئَات، وَيُكَثِّر القَلِيل مِنْ الحَسَنَات، فَيَسْتُر وَيَغْفِر، وَيُضَاعِف فَيُشْكَر، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أَيْ: لَوْ افْتَرَيْت عَلَيْهِ كَذِبًا كَمَا يَزْعُم هَؤُلَاءِ الجَاهِلُونَ، ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أَيْ: لطبع عَلَى قَلبك، وَسَلبَك مَا كَانَ آتَاك مِنْ القُرْآن، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٧). أَيْ: لَانْتَقَمْنَا مِنْهُ أَشَدّ الانْتِقَام، وَمَا قَدَرَ أَحَد مِنْ النَّاس أَنْ يَحْجِز عَنْهُ. وَقَوْله: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ لَيْس مَعْطُوفًا عَلَى قَوْله: ﴿يَخْتِمْ﴾ فَيَكُون مَجْزُومًا، بَل هُوَ مَرْفُوع عَلَى الابْتِدَاء، قَالهُ ابْن جَرِير، قَال: وَحُذِفَتْ مِنْ كِتَابَته «الوَاو» فِي رَسْم مُصْحَف الإِمَام، كَمَا حُذِفَتْ من قَوْله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق:١٨)، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ (الإسراء:١١). وَقَوْله: ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ مَعْطُوف عَلَى ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ أَيْ: يُحَقِّقهُ وَيُثْبِته وَيُبَيِّنهُ وَيُوَضِّحهُ ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾، أَيْ: بِحُجَجِهِ وَبَرَاهِينه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أَيْ: بِمَا تُكِنّهُ الضَّمَائِر، وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى عِبَاده بِقَبُول تَوْبَتهمْ إِلَيْهِ إِذَا تَابُوا وَرَجَعُوا إِلَيْهِ: إِنَّهُ مِنْ كَرَمه وَحِلمه أَنَّهُ يَعْفُو وَيَصْفَح وَيَسْتُر وَيَغْفِر، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١١٠)، وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلم رَحِمَهُ اللهُ حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح وَزُهَيْر بْن حَرْب قَالا: حَدَّثَنَا عُمَر بْن يُونُس، حَدَّثَنَا عِكْرِمَة بْن عَمَّار، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن أَبِي طَلحَة، حَدَّثَنِي أَنَس بْن مَالك، وَهُوَ عَمّه رضي الله عنه قَال: قَال

---

(١) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٧٩٠) بسند ضعيف.
(٢) ضعيف : أخرجه الحاكم (٣/ ١٥٠) بسند ضعيف.

رَسُول الله ﷺ : «**لَلَّهُ تَعَالى أَشَدّ فَرَحًا بتَوْبَةِ عَبْده حِين يَتُوب إليْهِ مِنْ أَحَدكُمْ كان رَاحلته بأَرْضٍ فَلاة، فانْفلتَتْ مِنْهُ، وَعَليْهَا طَعَامه وَشرَابه، فَأَيسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَة فَاضْطَجَعَ فِي ظِلّهَا، قَدْ أيسَ مِنْ رَاحِلته، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلكَ إذَا هُوَ بهَا قَائِمَة عِنْده، فَأَخَذَ بخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّة الفَرَح: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبّك -أَخْطَأَ مِنْ شِدَّة الفَرَح-**»[1]. وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فِي الصَّحِيح مِنْ رِوَايَة عَبْد الله بْن مَسْعُود ﷺ نَحْوه. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ فِي قَوْله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَة ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**لله أَشَدّ فَرَحًا بتَوْبَةِ عَبْده مِنْ أَحَدكُمْ يَجِد ضَالَّته فِي المَكَان الَّذِي يَخَاف أَنْ يَقْتُلهُ العَطَش فِيهِ**». وَقَال هَمَّام بْن الحَارِث: سُئِل ابْن مَسْعُود ﷺ عَنْ الرَّجُل يَفْجُر بِالمَرْأَةِ ثُمَّ يَتَزَوَّجهَا؟ قَال: لا بَأْس بِهِ، وَقَرَأَ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ الآيَة. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث شريك القَاضِي عَنْ إِبْرَاهِيم بْن مُهَاجِر عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، عَنْ هَمَّام فَذَكَرَهُ، وَقَوْله: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَيْ: يَقْبَل التَّوْبَة فِي المُسْتَقْبَل، وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَات فِي المَاضِي، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أَيْ: هُوَ عَالم بِجَمِيع مَا فَعَلتُمْ وَصَنَعْتُمْ وَقُلتُمْ، وَمَعَ هَذَا يَتُوب عَلى مَنْ تَابَ إِليْهِ.

وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾. قَال السُّدِّيّ: يَعْنِي يَسْتَجِيب لهُمْ. وَكَذَا قَال ابْن جَرِير: مَعْنَاهُ يَسْتَجِيب الدُّعَاء لهم وَلأَصْحَابِهِمْ وَإِخْوَانهمْ. وَحَكَاهُ عَنْ بَعْض النُّحَاة، وَأَنَّهُ جَعَلهَا كَقَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ (آل عمران:١٩٥). ثُمَّ رَوَى هُوَ وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث الأَعْمَش عَنْ شَقِيق بْن سَلمَة، عَنْ سَلمَة بْن سَبْرَة قَال: خَطَبَنَا مُعَاذ ﷺ بِالشَّام، فَقَال: أَنْتُمْ المُؤْمِنُونَ وَأَنْتُمْ أَهْل الجَنَّة، وَالله إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يُدْخِل الله مَنْ تَسْبُونَ مِنْ فَارِس وَالرُّوم الجَنَّة، وَذَلكَ بِأَنَّ أَحَدكُمْ إِذَا عَمِل لهُ -يَعْنِي أَحَدهمْ عَمَلًا- قَال: أَحْسَنْت رَحِمَك الله، أَحْسَنْت بَارَكَ الله فِيك، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾.

وَحَكَى ابْن جَرِير عن بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة أَنَّهُ جَعَل ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ (الزمر:١٨)، أَيْ: هُمْ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ للحَقِّ، وَيَتَّبِعُونَهُ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام:٣٦)، وَالمَعْنَى الأَوَّل أَظْهَر؛ لقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أَيْ: يَسْتَجِيب دُعَاءَهُمْ وَيَزِيدهُمْ فَوْق ذَلكَ. وَلهَذَا قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُصَفَّى، حَدَّثَنَا بَقِيَّة، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَبْد الله الكِنْدِيّ، حَدَّثَنَا الأَعْمَش عَنْ شَقِيق عَنْ عَبْد الله ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قَال: «**الشَّفَاعَة لمَنْ وَجَبَتْ لهُ النَّار مِمَّنْ صَنَعَ إِليهِمْ مَعْرُوفًا فِي الدُّنْيَا**»[2]. وَقَال قَتَادَة: عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ اللخمي فِي قَوْله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ قَال: يُشَفَّعُونَ فِي إِخْوَانهمْ، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قَال: يُشَفَّعُونَ فِي إِخْوَان إِخْوَانهمْ. وَقَوْله: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لـمَّا ذَكَرَ المُؤْمِنِينَ وَمَا لهُمْ مِنْ الثَّوَاب الجَزِيل، ذَكَرَ الكَافِرِينَ وَمَا لهُمْ عِنْده يَوْم القِيَامَة مِنْ العَذَاب الشَّدِيد المُوجِع المُؤْلم يَوْم مَعَادهمْ وَحِسَابهمْ.

وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: لوْ أَعْطَاهُمْ فَوْق حَاجَتهمْ مِنْ الرِّزْق، لحَمَلهُمْ ذَلكَ عَلى البَغْي وَالطُّغْيَان مِنْ بَعْضهمْ عَلى بَعْض؛ أَشَرًا وَبَطَرًا. وَقَال قَتَادَة: كَانَ يُقَال: خَيْر العَيْش مَا لا يُلهِيك وَلا يُطْغِيك. وَذَكَرَ قَتَادَة حَدِيث: «**إِنَّمَا أَخَاف عَليْكُمْ مَا يُخْرِج الله مِنْ زَهْرَة الحَيَاة الدُّنْيَا وَسُؤَال السَّائِل: أَيَأْتِي الخَيْر بالشَّرِّ؟**»[3] الحَدِيث. وَقَوْله: ﴿وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ أَيْ: وَلكِنْ يَرْزُقهُمْ مِنْ الرِّزْق مَا يَخْتَارهُ مِمَّا فِيهِ صَلاحهمْ، وَهُوَ أَعْلم بِذَلكَ، فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقّ الغِنَى، وَيُفْقِر مَنْ يَسْتَحِقّ الفَقْر. كَمَا

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٧٤٧).
(٢) **ضعيف** : أخرجه ابن أبي عاصم (٨٤٦) بسند ضعيف، وضعفه الألباني.
(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٩٢١)، ومسلم (١٠٥٢).

جَاءَ فِي الحَدِيث المَرْوِيّ: «**إنَّ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لا يُصلحهُ إلاَّ الغِنَى، وَلوْ أفقرْته لأفْسَدْت عَليْهِ دِينه، وَإنَّ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لا يُصلحهُ إلاَّ الفقْر، وَلوْ أغْنَيْته لأفْسَدْت عَليْهِ دِينه**».[١]

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أَيْ: مِنْ بَعْد إِيَاس النَّاس مِنْ نُزُول المَطَر، يُنَزِّلهُ عَلَيْهِمْ فِي وَقْت حَاجَتهمْ وَفَقْرهمْ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ (الروم:٤٩)، وَقَوْله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أَيْ: يَعُمّ بِهَا الوُجُود عَلى أَهْل ذَلِكَ القُطْر وَتِلكَ النَّاحِيَة. قَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ رَجُلًا قَال لعُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ قَحَطَ المَطَر وَقَنَطَ النَّاس. فَقَال عُمَر رضي الله عنه: مُطِرْتُمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أَيْ: هُوَ المُتَصَرِّف لخَلقِهِ بِمَا يَنْفَعهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَهُوَ المَحْمُود العَاقِبَة فِي جَمِيع مَا يُقَدِّرهُ وَيَفْعَلهُ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدَّالَّة عَلى عَظَمَته وَقُدْرَته العَظِيمَة وَسُلطَانه القَاهِر ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ أَيْ: ذَرَأَ فِيهِمَا، أَيْ: فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض، ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾، وَهَذَا يَشْمَل المَلائِكَة وَالجِنّ وَالإِنْس، وَسَائِر الحَيَوَانَات عَلى اخْتِلاف أَشْكَالهمْ، وَأَلوَانهمْ وَلُغَاتهمْ، وَطِبَاعهمْ وَأَجْنَاسهمْ وَأَنْوَاعهمْ، وَقَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاء أَقْطَار الأَرْض وَالسَّمَاوَات، ﴿وَهُوَ﴾ وَمَعَ هَذَا كُلّه ﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة يَجْمَع الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَسَائِر الخَلائِق فِي صَعِيد وَاحِد، يُسْمِعهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذهُمْ البَصَر، فَيَحْكُم فِيهِمْ بِحُكْمِهِ العَدْل الحَقّ.

وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أَيْ: مَهْمَا أَصَابَكُمْ أَيُّهَا النَّاس مِنْ المَصَائِب فَإِنَّمَا هو عَنْ سَيِّئَات تَقَدَّمَتْ لكُمْ، ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ أَيْ: مِنْ السَّيِّئَات، فَلا يُجَازِيكُمْ عَليْهَا بَل يَعْفُو عَنْهَا، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ (فاطر:٤٥). وَفِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُصِيب المُؤْمِن مِنْ نَصَب وَلا وَصَب وَلا هَمّ وَلا حَزَن؛ إلاَّ كَفَّرَ الله عَنْهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ حَتَّى الشَّوْكَة يُشَاكُهَا**»[٢]. وَقَال ابْن جَرِير: ثَنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة، حَدَّثَنَا أَيُّوب قَال: قَرَأْت فِي كِتَاب أَبِي قِلابَة قَال: نَزَلتْ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة:٧-٨)، وَأَبُو بَكْر رضي الله عنه يَأْكُل فَأَمْسَكَ، وَقَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي أَرَى مَا عَمِلت مِنْ خَيْر وَشَرّ، فَقَال: «أَرَأَيْت مَا رَأَيْت مِمَّا تَكْرَه، فَهُوَ مِنْ مَثَاقِيل ذَرّ الشَّرّ وَتَدَّخِر مَثَاقِيل الخَيْر حَتَّى تُعْطَاهُ يَوْم القِيَامَة»[٣].

وَقَال: قَال أَبُو إِدْرِيس: فَإِنِّي أَرَى مِصْدَاقهَا فِي كِتَاب الله تَعَالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ وَجْه آخَر، عَنْ أَبِي قِلابَة، عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: وَالأَوَّل أَصَحّ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عِيسَى بْن الطَّبَّاع، حَدَّثَنَا مَرْوَان بن مُعَاوِيَة الفَزَارِيّ، حَدَّثَنَا الأَزْهَر بْن رَاشِد الكَاهِلِيّ عَنْ الخَضِر بْن القَوَّاس البَجَلِيّ عَنْ أَبِي سُخَيْلة عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه قَال: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَل آيَة فِي كِتَاب الله عز وجل، وَحَدَّثَنَا بِهِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قَال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

---

(١) **ضعيف**: تقدم.
(٢) **صحيح**: تقدم.
(٣) **صحيح**: أخرجه ابن جرير الطبري (٣٠/ ٢٦٨).

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، وَسَأُفَسِّرُهَا لك يَا عَلِيّ: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرَض أَوْ عُقُوبَة أَوْ بَلاء فِي الدُّنْيَا فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَالله تَعَالى أَحْلم مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْهِ العُقُوبَةَ فِي الآخِرَة، وَمَا عَفَا الله عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، فَالله تَعَالى أَكْرَم مِنْ أَنْ يَعُود بَعْد عَفْوه»[1]. وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة وعنده عَنْ أَبِي سُخَيْلة قَال: قَال عَلِيّ ﷺ فَذَكَرَ نَحْوه مَرْفُوعًا. ثُمَّ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم نَحْوه مِنْ وَجْه آخَر مَوْقُوفًا فَقَال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَنْصُور بْن أَبِي مُزَاحِم، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد ابْن أَبِي الوَضَّاح عَنْ أَبِي الحَسَن عَنْ أَبِي جُحَيْفَة قَال: دَخَلت عَلى عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ فَقَال: أَلا أُحَدِّثكُمْ بِحَدِيثٍ يَنْبَغِي لكُلِّ مُؤْمِن أَنْ يَعِيَهُ؟ قَال: فَسَأَلنَاهُ: فَتَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾. قَال: مَا عَاقَبَ الله بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَالله أَحْلم مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْهِ العُقُوبَة يَوْم القِيَامَة، وَمَا عَفَا الله عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، فَالله أَكْرَم مِنْ أَنْ يَعُود فِي عَفْوه يَوْم القِيَامَة. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَعْلى ابْن عُبَيْد، حَدَّثَنَا طَلحَة يَعْنِي ابْن يَحْيَى -عَنْ أَبِي بُرْدَة عَنْ مُعَاوِيَة- هُوَ ابْن أَبِي سُفْيَان ﷺ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**مَا مِنْ شَيْء يُصِيب المُؤْمِن فِي جَسَده يُؤْذِيه إلاَّ كَفَّرَ الله عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاته**»[2]. وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا حسين عَنْ زَائِدَة عَنْ لَيْث عَنْ مُجَاهِد عَنْ عَائِشَة ﷺ قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوب العَبْد وَلمْ يَكُنْ لهُ مَا يُكَفِّرهَا ابْتَلاهُ الله تَعَالى بِالحُزْنِ ليُكَفِّرهَا**».[3]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَبْد الله الأَوْدِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة عَنْ إِسْمَاعِيل بْن مُسْلم عَنْ الحَسَن هُوَ البَصْرِيّ، قَال فِي قَوْله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ قَال: لـمَّا نَزَلتْ قَال رَسُول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ مَا مِنْ خَدْش عُود، وَلا اخْتِلاج عِرْق، وَلا عَثْرَة قَدَم، إلاَّ بِذَنْب، وَمَا يَعْفُو الله عَنْهُ أَكْثَر**»[4]. وَقَال أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، حَدَّثَنَا هُشَيْم عَنْ مَنْصُور عَنْ الحَسَن عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن ﷺ قَال: دَخَل عَلَيْهِ بَعْض أَصْحَابه، وَقَدْ كَانَ ابْتُلِيَ فِي جَسَده، فَقَال لهُ بَعْضهمْ: إِنَّا لنبتئس لك لمَا نَرَى فِيك، قَال: فَلا تَبْتَئِس بِمَا تَرَى، فَإِنَّ مَا تَرَى بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو الله عَنْهُ أَكْثَر، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾. وَحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْد الحَمِيد الحِمَّانِيّ، حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ أَبِي البِلاد قَال: قُلت للعَلاءِ بْن بَدْر: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرِي وَأَنَا غُلام؟ قَال: فَبِذُنُوبِ وَالدَيْك. وَحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطُّنَافِسِيّ، حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ عَبْد العَزِيز ابْن أَبِي رَوَّاد عَنْ الضَّحَّاك قَال: مَا نَعْلم أَحَدًا حَفِظَ القُرْآن ثُمَّ نَسِيَهُ إِلَّا بِذَنْبٍ، ثُمَّ قَرَأَ الضَّحَّاك: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ثُمَّ يَقُول الضَّحَّاك: وَأَيّ مُصِيبَة أَعْظَم مِنْ نِسْيَان القُرْآن.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾.

يَقُول تَعَالى: وَمِنْ آيَاته الدَّالَّة عَلى قُدْرَته [البَاهِرَة][5] وَسُلطَانه، تَسْخِيره البَحْر لتَجْرِي فِيهِ الفُلك بِأَمْرِه، وَهِيَ الجَوَارِي فِي البَحْر كَالأَعْلام، أَيْ: كَالجِبَال، قَالهُ مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَالسُّدِّيّ، وَالضَّحَّاك، أَيْ: هِي فِي البَحْر كَالجِبَال فِي البَرّ، ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ أَيْ: الَّتِي تَسِير فِي البَحْر بِالسُّفُنِ، لوْ شَاءَ لسَكَنَهَا حَتَّى لا تَتَحَرَّك السُّفُن

---

(١) **ضعيف مرفوعًا والصحيح الموقوف**: أخرجه أحمد (١/ ٨٥) بسند ضعيف.
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٩٨).
(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٦/ ١٥٧) بسند ضعيف.
(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه وكيع في «الزهد» (٩٣) بسند ضعيف.
(٥) سقط من (ط).

بَل تظل رَاكِدَة لا تَجِيء وَلا تَذْهَب، بَل وَاقِفَة عَلى ظَهْره، أَيْ: عَلى وَجْه المَاء، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أَيْ فِي الشَّدَائِد، ﴿شَكُورٍ﴾ أَيْ: إِنَّ فِي تَسْخِيره البَحْر وَإِجْرَائِهِ الهواء بِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لسَيْرِهِمْ، لدَلالات عَلى نِعَمه تَعَالى عَلى خَلقه، ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أَيْ: فِي الشَّدَائِد، ﴿شَكُورٍ﴾ فِي الرَّخَاء. وقوله: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَيْ: وَلوْ شَاءَ لأَهْلكَ السُّفُن وَغرَّقَهَا بِذُنُوبِ أَهْلهَا الَّذِينَ هُمْ رَاكِبُونَ عليها، ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ أَيْ: مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَلوْ آخَذَهُمْ بِجَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ لأَهْلكَ كُلّ مَنْ رَكِبَ البَحْر.

وَقَال بَعْض عُلمَاء التَّفْسِير: مَعْنَى قَوْله: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَيْ: لوْ شَاءَ لأَرْسَل الرِّيح قَوِيَّة عَاتِيَة، فَأَخذَتْ السُّفُن وَأَحَالتْهَا عَنْ سَيْرِهَا المُسْتَقِيم فصَرَفتْهَا ذَات اليَمِين أَوْ ذَات الشِّمَال آبِقَة، لا تَسِير عَلى طَرِيق، وَلا إِلى جِهَة مَقْصِد، وَهَذَا القَوْل هُوَ يَتَضَمَّن هَلاكهَا، وَهُوَ مُنَاسِب للأَوَّل، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالى لوْ شَاءَ لسَكَّنَ الرِّيح فَوَقَفَتْ أَوْ لقَوَّاهُ فَشَرَدَتْ وَأَبِقَتْ وَهَلكَتْ، وَلكِنْ مِنْ لُطْفه وَرَحْمَته أَنَّهُ يُرْسِلهُ بِحَسَبِ الحَاجَة كَمَا يُرْسِل المَطَر بِقَدْرِ الكِفَايَة، وَلوْ أَنْزَلهُ كَثِيرًا جِدًّا لهَدَمَ البُنْيَان، أَوْ قَليلًا لمَا أَنْبَتَ الزَّرْع وَالثِّمَار، حَتَّى إِنَّهُ يُرْسِل إِلى مِثْل بِلاد مِصْر سَيْحًا مِنْ أَرْض أُخْرَى غَيْرِهَا؛ لأَنَّهُمْ لا يَحْتَاجُونَ إِلى مَطَر، وَلوْ أَنْزَل عَليْهِمْ لهَدَمَ بُنْيَانهمْ، وَأَسْقَطَ جُدْرَانهمْ. وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أَيْ: لا مَحِيد لهُمْ عَنْ بَأْسنَا وَنِقْمَتنَا، فَإِنَّهُمْ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَتِنَا.

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُحَقِّرًا لشَأْنِ الحَيَاة الدُّنْيَا وَزِينَتهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ الزَّهْرَة وَالنَّعِيم الفَانِي، بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أَيْ: مَهْمَا حَصَّلتُمْ وَجَمَعْتُمْ فَلا تَغْتَرُّوا بِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ مَتَاع الحَيَاة الدُّنْيَا، وَهِيَ دَار دَنِيئَة فَانِيَة زَائِلة لا مَحَالة، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أَيْ: وَثَوَاب الله خَيْر مِنْ الدُّنْيَا، وَهُوَ بَاقٍ سَرْمَدِيّ، فَلا تُقَدِّمُوا الفَانِي عَلى البَاقِي، وَلهَذَا قَال: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيْ: للَّذِينَ صَبَرُوا عَلى تَرْك المَلاذّ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أَيْ: ليُعِينهُمْ عَلى الصَّبْرِ فِي أَدَاء الوَاجِبَات وَتَرْك المُحَرَّمَات.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾، وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في «سورة الأعراف».

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أَيْ: سَجِيَّتهمْ تَقْتَضِي الصَّفْح وَالعَفْو عَنْ النَّاس، ليْسَ سَجِيَّتهمْ الانْتِقَام مِنْ النَّاس. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح: «أَنَّ رَسُول الله ﷺ مَا انْتَقَمَ لنَفْسِهِ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَك حُرُمَات الله»[1] وَفِي حَدِيث آخَر: «كَانَ يَقُول لأَحَدِنَا عِنْد المَعْتَبَة: مَا لهُ؟ تَرِبَتْ جبينه».[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عُمَر، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ زَائِدَة عَنْ مَنْصُور عَنْ إِبْرَاهِيم قَال: كَانَ المُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَذِلُّوا، وَكَانُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَوْا.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أَيْ: اتَّبَعُوا رُسُله وَأَطَاعُوا أَمْره، وَاجْتَنَبُوا زَجْره، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾، وَهِيَ أَعْظَم العِبَادَات لله ﷻ، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: لا يُبْرِمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ، ليَتَسَاعَدُوا بِآرَائِهِمْ فِي مِثْل

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١) (٦٠٤٦).

الحُرُوب وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا، كَمَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٥٩). وَلهَذَا كَانَ ﷺ يُشَاوِرهُمْ فِي الحُرُوب وَنَحْوهَا لِيُطَيِّب بِذَلكَ قُلُوبهمْ. وَهَكَذَا لَمَّا حَضَرَتْ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه الوَفَاة حِين طُعِنَ جَعَل الأَمْر بَعْده شُورَى فِي سِتَّة نَفَر، وَهُمْ عُثْمَان وَعَلِيّ وَطَلحَة وَالزُّبَيْر وَسَعْد وَعَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف رضي الله عنهم أجمعين، فَاجْتَمَعَ رَأْي الصَّحَابَة رضي الله عنهم كُلّهمْ عَلى تَقْدِيم عُثْمَان عَلَيْهِمْ رضي الله عنهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وَذَلكَ بِالإِحْسَانِ إِلى خَلق الله، الأَقْرَب إِليْهِمْ مِنْهُمْ فَالأَقْرَب.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أَيْ: فِيهِمْ قُوَّة الانْتِصَار مِمَّنْ ظَلمَهُمْ وَاعْتَدَى عَليْهِمْ، لَيْسُوا بعاجزين ولا أذلة، بَل يَقْدِرُونَ عَلى الانْتِقَام مِمَّنْ بَغَى عَليْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا إِذَا قَدَرُوا عَفَوْا، كَمَا قَال يُوسُف عليه السلام لإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (يوسف:٩٢)، مَعَ قُدْرَته عَلى مُؤَاخَذَتهمْ وَمُقَابَلتهمْ عَلى صَنِيعهمْ إِليْهِ، وَكَمَا عَفَا رَسُول الله ﷺ عَنْ أُولئِكَ النَّفَر الثَّمَانِينَ الَّذِينَ قَصَدُوهُ عَام الحُدَيْبِيَة وَنَزَلُوا مِنْ جَبَل التَّنْعِيم، فَلَمَّا قَدَرَ عَليْهِمْ عفا عنهم مَعَ قُدْرَته عَلى الانْتِقَام، وَكَذَلكَ عَفْوه ﷺ عَنْ غَوْرَث بْن الحَارِث لما أَرَادَ الفَتْك بِهِ حِين اخْتَرَطَ سَيْفه وَهُوَ نَائِم، فَاسْتَيْقَظَ عليه السلام وَهُوَ فِي يَده صَلتًا فَانْتَهَرَهُ فَوَضَعَهُ مِنْ يَده، وَأَخَذَ رَسُول الله ﷺ السَّيْف من يَده وَدَعَا أَصْحَابه، ثُمَّ أَعْلمَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْره وَأَمْرِ هَذَا الرَّجُل وَعَفَا عَنْهُ، وَكَذَلكَ عَفَا ﷺ عَنْ لبيد بْن الأَعْصَم الَّذِي سَحَرَهُ عليه السلام وَمَعَ هَذَا لمْ يَعْرِض لهُ وَلا عَاتَبَهُ مَعَ قُدْرَته عَليْهِ، وَكَذَلكَ عَفْوه ﷺ عَنْ المَرْأَة اليَهُودِيَّة -وَهِيَ زَيْنَب أُخْت مَرْحَب اليَهُودِيّ الخَيْبَرِيّ الَّذِي قَتَلهُ [محمد بْن مسلمة][1]- الَّتِي سَمَّتْ الذِّرَاع يَوْم خَيْبَر -فَأَخْبَرَهُ الذِّرَاع بِذَلكَ- فَدَعَاهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَقَال ﷺ: «**مَا حَمَلكِ عَلى ذَلكِ؟**». قَالتْ: أَرَدْت إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لمْ يَضُرّك، وَإِنْ لمْ تَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْك، فَأَطْلقَهَا عَليْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، وَلكِنْ لَمَّا مَاتَ مِنْهُ بِشْر بْن البَرَاء رضي الله عنه قَتَلهَا بِهِ، وَالأَحَادِيث وَالآثَار فِي هَذَا كَثِيرَة جِدًّا، ولله الحمد.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

قَوْله تَعَالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤)، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (النحل:١٢٦)، فَشَرَعَ العَدْل وَهُوَ القِصَاص، وَنَدَبَ إِلى الفَضْل، وَهُوَ العَفْو، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ (المائدة:٤٥)، وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أَيْ: لا يَضِيع ذَلكَ عِنْد الله، كَمَا صَحَّ فِي الحَدِيث: «**وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**»[2]. وَقَوْله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَيْ: المُعْتَدِينَ، وَهُوَ المُبْتَدِئ بِالسَّيِّئَةِ. ثم قال: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾. أَيْ: ليْسَ عَليْهِمْ جُنَاح فِي الانْتِصَار مِمَّنْ ظَلمَهُمْ.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن بَزِيع، حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن مُعَاذ، حَدَّثَنَا ابْن عَوْن قَال: كُنْت أَسْأَل عَنْ الانْتِصَار ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾، فَحَدَّثَنِي عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان عَنْ أُمّ مُحَمَّد امْرَأَة

---

(١) في الأزهرية: [محمود بن مسلمة].
(٢) **صحيح**: تقـدم.

أَبِيهِ -قَال ابْن عَوْن: زَعَمُوا أَنَّهَا كَانَتْ تَدْخُل عَلى أُمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَة ﵂ - قَالتْ: قَالتْ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ : دَخَل عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ وَعِنْدنَا زَيْنَب بِنْت جَحْش ﵂ ، فَجَعَل ﷺ يَصْنَع بِيَدِهِ شَيْئًا فَلمْ يَفْطِن لهَا، فَقُلت: بِيَدِهِ حَتَّى فَطَّنْته لهَا فَأَمْسَكَ، وَأَقْبَلتْ زَيْنَب ﵂ تَقَحَّمُ لعَائِشَة ﵂ فنهاهَا، فَأَبَتْ أَنْ تَنْتَهِي، فَقَال لعَائِشَة ﵂ : «سُبِّيهَا». فَسَبَّتْهَا فَغَلبَتْهَا، وَانْطَلقَتْ زَيْنَب ﵂ فَأَتَتْ عَليًّا ﵁ فَقَالتْ: إِنَّ عَائِشَة تَقَع بِكُمْ وَتَفْعَل بِكُمْ فَجَاءَتْ فَاطِمَة ﵂ فَقَال ﷺ لهَا: «إِنَّهَا حِبَّة أَبِيك وَرَبّ الكَعْبَة»[1] فَانْصَرَفَتْ، وَقَالتْ لعَليٍّ ﵁: إِنِّي قُلت لهُ ﷺ كَذَا وَكَذَا، فَقَال لي كَذَا وَكَذَا، قَال: وَجَاءَ عَليّ إِلى النَّبِيّ ﷺ وَكَلَّمَهُ فِي ذَلكَ، هَكَذَا أُورِدَ هَذَا السِّيَاق، وَعَليّ ابْن زَيْد بْن جُدْعَان، يَأْتِي فِي رِوَايَاته بِالْمُنْكَرَاتِ غَالبًا، وَهَذَا فِيهِ نكَارَة، وَالحديث الصَّحِيح خِلاف هَذَا السِّيَاق، كَمَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث خَالد بْن سَلمَة الفَأْفَاء، عَنْ عَبْد الله البَهِيّ عَنْ عُرْوَة، قَال: قَالتْ عَائِشَة ﵂ : مَا عَلمْت حَتَّى دَخَلت عَليَّ زَيْنَب بِغَيْرِ إِذْن وَهِيَ غَضْبَى، ثُمَّ قَالتْ لرَسُول الله ﷺ : حَسْبك إِذَا قَلبَتْ لك ابْنَة أَبِي بَكْر ذُرَيِّعَتَيها، ثُمَّ أَقْبَلتْ عَليَّ فَأَعْرَضْت عَنْهَا، حَتَّى قَال النَّبِيّ ﷺ : «دُونك فَانْتَصِرِي». فَأَقْبَلت عَليْهَا حَتَّى رَأَيْت رِيقهَا قَدْ يَبِسَ فِي فَمهَا، مَا تَرُدّ عَليَّ شَيْئًا، فَرَأَيْت النَّبِيّ ﷺ يَتَهَلَّل وَجْهه[2]، وَهَذَا لفْظ النَّسَائِيّ. وَقَال البَزَّار: حَدَّثَنَا يُوسُف بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَص عَنْ أَبِي حَمْزَة عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ الأَسْوَد عَنْ عَائِشَة ﵂ قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ دَعَا عَلى مَنْ ظَلمَهُ فَقَدْ انْتَصَرَ»[3]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي الأَحْوَص عَنْ أَبِي حَمْزَة وَاسْمه مَيْمُون، ثُمَّ قَال: لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثه، وَقَدْ تُكُلِّمَ فِيهِ مِنْ قِبَل حِفْظه.

وَقَوْله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أَيْ: إِنَّمَا الحَرَج وَالعَنَت ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: يَبْدَءُونَ النَّاس بِالظُّلم. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**المُسْتَبَّانِ مَا قَالا، فَعَلى البَادِئ، مَا لمْ يَعْتَدِ المَظْلُوم**»[4].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيْ: شَدِيد مُوجِع. قَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن زَيْد أَخُو حَمَّاد بْن زَيْد، حَدَّثَنَا عُثْمَان الشَّحَّام، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن وَاسِع قَال: قَدِمْت مَكَّة فَإِذَا عَلى الخَنْدَق مَنظرة، فَأُخِذْت، فَانْطُلقَ بِي إِلى مَرْوَان بْن المُهَلَّب، وَهُوَ أَمِير عَلى البَصْرَة، فَقَال: مَا حَاجَتك يَا أَبَا عَبْد الله؟ قُلت: حَاجَتِي إِنْ اسْتَطَعْت أَنْ تَكُون كَمَا قَال أَخُو بَنِي عَدِيّ، قَال: وَمَنْ أَخُو بَنِي عَدِيّ؟ قَال: العَلاء بْن زِيَاد، اسْتَعْمَل صَدِيقًا لهُ مَرَّة عَلى عَمَل، فَكَتَبَ إِليْهِ: أَمَّا بَعْد، فَإِنْ اسْتَطَعْت أَنْ لا تَبِيت إِلَّا وَظَهْرك خَفِيف، وَبَطْنك خَمِيص، وَكَفّك نَقِيَّة مِنْ دِمَاء المُسْلمِينَ وَأَمْوَالهمْ، فَإِنَّك إِذَا فَعَلت ذَلكَ، لمْ يَكُنْ عَليْك سَبِيل، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فَقَال: صَدَقَ وَالله وَنَصَحَ، ثُمَّ قَال: مَا حَاجَتك يَا أَبَا عَبْد الله؟ قُلت: حَاجَتِي أَنْ تُلحِقنِي بِأَهْلي. قَال: نَعَمْ. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

ثم إنه تَعَالى، لـمَّا ذَمَّ الظُّلم وَأَهْله وَشَرَعَ القِصَاص، قَال نَادِبًا إِلى العَفْو وَالصَّفْح: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ أَيْ: صَبَرَ عَلى الأَذَى، وَسَتَرَ السَّيِّئَة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ قَال سَعِيد بْن جُبَيْر: لمِنْ حَقّ الأُمُور الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا، أَيْ: لمِنْ الأُمُور المَشْكُورَة، وَالأَفْعَال الحَمِيدَة الَّتِي عَليْهَا ثَوَاب جَزِيل، وَثَنَاء جَمِيل.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عِمْرَان بْن مُوسَى الطَّرَسُوسِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد بْن يَزِيد خَادِم

---

(١) **إسناده ضعيف** : فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وأم محمد زوجة أبي علي مجهولة، وانظر الآتي.
(٢) **صحيح** : أخرجه أحمد (٦/ ٩٣)، والنسائي (٨٩١٤)، وابن ماجه (١٩٨١).
(٣) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٣٥٤٧) بسند ضعيف.
(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٥٨٧).

الفُضَيل بْن عِيَاض قَال: سَمِعْت الفُضَيْل بْن عِيَاض يَقُول: إِذَا أَتَاك رَجُل يَشْكُو إِلَيْك رَجُلًا، فَقُل: يَا أَخِي اعْفُ عَنْهُ فَإِنَّ العَفْو أَقْرَب للتَّقْوَى، فَإِنْ قَال: لا يَحْتَمِل قَلْبِي العَفْو، وَلكِنْ أَنْتَصِر كَمَا أَمَرَنِي الله ﷻ فَقُل لَهُ: إِنْ كُنْت تُحْسِن أَنْ تَنْتَصِر، وَإِلَّا فَارْجِعْ إِلى بَاب العَفْو، فَإِنَّهُ بَاب وَاسِع، فَإِنَّهُ مَنْ عَفَا وَأَصْلحَ فَأَجْره عَلى الله، وَصَاحِب العَفْو يَنَام عَلى فِرَاشه بِاللَّيْل، وَصَاحِب الانْتِصَار يُقَلِّب الأُمُور.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى -يَعْنِي ابْن سَعِيد القَطَّان- عَنْ ابْن عَجْلان، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه: أن رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْر رضي الله عنه وَالنَّبِيّ ﷺ جَالس، فَجَعَل النَّبِيّ ﷺ يَعْجَب وَيَتَبَسَّم، فَلَمَّا أَكْثَر رَدَّ عَلَيْهِ بَعْض قَوْله، فَغَضِبَ النَّبِيّ ﷺ وَقَامَ، فَلحِقَهُ أَبُو بَكْر رضي الله عنه، فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنَّهُ كَانَ يَشْتُمنِي وَأَنْتَ جَالس، فَلَمَّا رَدَدْت عَلَيْهِ بَعْض قَوْله غَضِبْت وَقُمْت، قَال: «**إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدّ عَنْك، فَلمَّا رَدَدْت عَلَيْهِ بَعْض قَوْله حَضَرَ الشَّيْطَان، فَلمْ أَكُنْ لأَقْعُد مَعَ الشَّيْطَان**»، ثُمَّ قَال: «يَا أَبَا بَكْر؛ ثَلاث كُلّهنَّ حَقّ: مَا مِنْ عَبْد ظُلمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لله؛ إِلَّا أَعَزّ الله بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُل بَاب عَطِيَّة يُرِيد بِهَا صِلة؛ إِلَّا زَادَهُ الله بِهَا كَثْرَة، وَمَا فَتَحَ رَجُل بَاب مَسْأَلة يُرِيد بِهَا كَثْرَة؛ إِلَّا زَادَهُ الله بِهَا قِلَّة»[1]. وكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْد الأَعْلى بْن حَمَّاد عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، قَال: وَرَوَاهُ صَفْوَان بْن عِيسَى؛ كِلاهُمَا عَنْ مُحَمَّد بْن عَجْلان، وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيق اللَّيْث عَنْ سَعِيد المَقْبُرِيّ عَنْ بَشِير بْن المُحَرَّر عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب مُرْسَلًا، وَهَذَا الحَدِيث فِي غَايَة الحُسْن فِي المَعْنَى، وَهُوَ [سبب سبه][2] للصِّدِّيق رضي الله عنه.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسه الكَرِيمَة: إنه مَا شَاءَ كَانَ وَلا رَادّ لهُ، وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ فَلا مُوجِد لهُ، وإنه مَنْ هَدَاهُ فَلا مُضِلّ لهُ، وَمَنْ يُضْلل الله فَلا هَادِيَ لهُ، كَمَا قَال: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف:١٧).

ثُمَّ قَال مُخْبِرًا عَنْ الظَّالِمِينَ، وَهُمْ المُشْرِكُونَ بِالله: ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، يتمنون الرَّجْعَة إِلى الدُّنْيَا، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ كَمَا قَال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٧-٢٨). وقَوْله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أَيْ: عَلى النَّار ﴿خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ أَيْ: الَّذِي قَدْ اعْتَرَاهُمْ بِمَا أَسْلفُوا مِنْ عِصْيَان الله.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي ذَلِيل، أَيْ: يَنْظُرُونَ إِليْهَا مُسَارَقَة خَوْفًا مِنْهَا، وَالَّذِي يَحْذَرُونَ مِنْهُ وَاقِع بِهِمْ لا مَحَالة، وَمَا هُوَ أَعْظَم مِمَّا فِي نُفُوسهمْ، أَجَارَنَا الله مِنْ ذَلكَ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أَيْ: يَقُولُونَ يَوْم القِيَامَة: ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ أَيْ: الخَسَار الأَكْبَر ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ أَيْ: ذَهَبَ بِهِمْ إِلى النَّار، فَعَدِمُوا لذَّتهمْ فِي دَار الأَبَد، وَخَسِرُوا أَنْفُسهمْ، وَفَرَّقَ بَيْنهمْ وَبَيْن أَصْحَابهمْ وأَحْبَابهمْ وَأَهَاليهمْ وَقَرَابَاتهمْ، فَخَسِرُوهُمْ، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أَيْ: دَائِم سَرْمَدِيّ أَبَدِيّ، لا خُرُوج لهُمْ مِنْهَا، وَلا مَحِيد لهُمْ عَنْهَا. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ﴾ أَيْ: ينقذونهم مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ أَيْ: ليْسَ لهُ خَلاص.

---

(١) حسن : أخرجه أبو داود (٤٨٩٧)، وأحمد (٢/ ٤٣٦) وحسنه الألباني.
(٢) في «نسخة»: [مناسب].

﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ (٤٧) فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾.

لـمَّا ذَكَرَ تَعَالى مَا يَكُون فِي يَوْم القِيَامَة مِنْ الأَهْوَال وَالأُمُور العِظَام الهَائِلة، حَذَّرَ مِنْهُ وَأَمَرَ بِالاسْتِعْدَادِ لَهُ، فَقَال: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ أَيْ: إِذَا أَمَرَ بِكَوْنِهِ، فَإِنَّهُ كَلَمْحِ البَصَر يَكُون، وَلَيْسَ لَهُ دَافِع وَلا مَانِع. وَقَوْله: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَكُمْ حِصْن تَتَحَصَّنُونَ فِيهِ، وَلا مَكَان يَسْتُرُكُمْ وَتَتَنَكَّرُونَ فِيهِ، فتغيبوا عَنْ بَصَره، تَبَارَكَ وَتَعَالى، بَل هُوَ مُحِيط بِكُمْ بِعِلمِهِ وَبَصَره وَقُدْرَته، فَلا مَلجَأ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ (القيامة:١٠-١٢).

وقَوْله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ يَعْنِي المُشْرِكِينَ ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ أَيْ: لَست عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ، وَقَال ﷻ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ (البقرة:٢٧٢)، قَال تَعَالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ (الرعد:٤٠)، وَقَال هَهُنَا: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ أَيْ: إِنَّمَا كَلَّفْنَاك أَنْ تُبَلِّغهُمْ رِسَالة الله إِلَيْهِم. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ﴾ أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ رَخَاء وَنِعْمَة فَرِحَ بِذَلِكَ، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ يَعْنِي النَّاس ﴿سَيِّئَةُۢ﴾ أَيْ: جَدْب وَنِقْمَة وَبَلاء وَشِدَّة، ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ أَيْ: يَجْحَد مَا تَقَدَّمَ مِنَ النعمة، وَلا يَعْرِف إِلَّا السَّاعَة الرَّاهِنَة، فَإِنْ أَصَابَتْهُ نِعْمَة أَشِرَ وَبَطِرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مِحْنَة يَئِسَ وَقَنِطَ، كَمَا قَال رَسُول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاء، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَر أَهْل النَّار». فَقَالتْ امْرَأَة: وَلِمَ يَا رَسُول الله؟ فَقَال ﷺ: «لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشِّكَايَة وَتَكْفُرْنَ العَشِير، لوْ أَحْسَنْت إِلى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْر ثُمَّ تَرَكْت يَوْمًا، قَالتْ: مَا رَأَيْت مِنْك خَيْرًا قَطُّ»[1]. وَهَذَا حَال أَكْثَر النَّاس، إِلَّا مَنْ هَدَاهُ الله تَعَالى، وَأَلْهَمَهُ رُشْده، وَكَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَات، فَالمُؤْمِن كَمَا قَال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاء شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاء صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ، وَليْسَ ذَلكَ لأَحَدٍ إِلاَّ للمُؤْمِنِ»[2].

﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ خَالق السَّمَاوَات وَالأَرْض وَمَالكهمَا وَالمُتَصَرِّف فِيهِمَا، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاء، وَيَمْنَع مَنْ يَشَاء، وَلا مَانِع لِمَا أَعْطَى، وَلا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ، وَأَنَّهُ يَخْلُق مَا يَشَاء، و ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا﴾ أَيْ: يَرْزُقهُ البَنَات فَقَطْ، قَال البَغَوِيّ: وَمِنْهُمْ لُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ أَيْ: يَرْزُقهُ البَنِين فَقَطْ، قَال البَغَوِيّ: كَإِبْرَاهِيم الخَليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لمْ يُولد لهُ أُنْثَى، ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ﴾ أَيْ: وَيُعْطِي مَنْ يَشَاء مِنْ النَّاس الزَّوْجَيْنِ الذَّكَر وَالأُنْثَى، أَيْ: مِنْ هَذَا وَهَذَا. قَال البَغَوِيّ: كَمُحَمَّدٍ عَليْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ أَيْ: لا يُولد لهُ. قَال البَغَوِيّ: كَيَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَجَعَل النَّاس أَرْبَعَة أَقْسَام: مِنْهُمْ مَنْ

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

يُعْطِيه البَنَات، وَمِنْهُم مَنْ يُعْطِيه البَنِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطِيه مِنَ النَّوْعَيْنِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَمِنْهُم مَنْ يَمْنَعهُ هَذَا وَهَذَا، فَيَجْعَلهُ عَقِيمًا لا نَسْل لهُ وَلا يولد لهُ، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ أَيْ: بِمَنْ يَسْتَحِق كُلّ قِسْم مِنْ هَذِهِ الأَقْسَام، ﴿قَدِيرٌ﴾ أَيْ: عَلى مَنْ يَشَاء، مِنْ تَفَاوُت النَّاس فِي ذَلِكَ. وَهَذَا المَقَام شَبِيه بِقَوْلِهِ تَعَالى عَنْ عِيسَى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ (مريم:٢١)، أَيْ: دَلالة لهُمْ عَلى قُدْرَته، تَعَالى وَتَقَدَّس، حَيْثُ خَلقَ الخَلق عَلى أَرْبَعَة أَقْسَام، فَآدَم عَلَيْهِ السَّلَامُ مَخْلُوق مِنْ تُرَاب، لا مِنْ ذَكَر وَلا أُنْثَى، وَحَوَّاء عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ ذَكَر بِلا أُنْثَى، وَسَائِر الخَلق سِوَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام مِنْ ذَكَر وَأُنْثَى، وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُنْثَى بِلا ذَكَر، فَتَمَّتْ الدَّلالة بِخَلقِ عِيسَى ابْن مَرْيَم، عَلَيْهِمَا الصَّلاة وَالسَّلام، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ (مريم:٢١)، فَهَذَا المَقَام فِي الآبَاء، وَالمَقَام الأَوَّل فِي الأَبْنَاء، وَكُلّ مِنْهُمَا أَرْبَعَة أَقْسَام، فَسُبْحَان العَليم القَدِير!

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

هَذِهِ مَقَامَات الوَحْي بِالنِّسْبَةِ إِلى جَنَاب الله ﷻ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالى تَارَة يَقْذِف فِي رَوْع النَّبِيّ ﷺ شَيْئًا لا يَتَمَارَى فِيهِ أَنَّهُ مِنْ الله ﷻ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيح ابْن حِبَّان عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ رُوح القُدُس نَفَثَ فِي رُوْعِي: أَنَّ نَفْسًا لنْ تَمُوت حتَّى تَسْتَكْمِل رِزْقهَا وَأَجَلهَا، فَاتَّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلب**»[1]. وَقَوْله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ سَأَل الرُّؤْيَة بَعْد التَّكْليم، فَحُجِبَ عَنْهَا. وَفِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لجَابِرِ ابْن عَبْد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا إلاَّ مِنْ وَرَاء حِجَاب، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاك كِفَاحًا...**». الحَدِيث، وَكَانَ قَدْ قُتِل يَوْم أُحُد، وَلكِنَّ هَذَا فِي عَالم البَرْزَخ، وَالآيَة إِنَّمَا هِيَ فِي الدَّار الدُّنْيَا.

وَقَوْله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كَمَا يَنْزِل جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْره مِنْ المَلائِكَة عَلى الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ فَهُوَ عَليّ عَليم خَبِير حَكِيم. وقَوْله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يَعْنِي: القُرْآن ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أَيْ: عَلى التَّفْصِيل الَّذِي شُرِعَ لك فِي القُرْآن، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أَيْ: القُرْآن ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (فصلت:٤٤). وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّد ﴿لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وَهُوَ الحق القَوِيم. ثم فسره بقوله: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: شَرْعه الَّذِي أَمَرَ بِهِ الله، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: رَبّهمَا وَمَالكهمَا وَالمُتَصَرِّف فِيهِمَا، وَالحَاكِم الَّذِي لا مُعَقِّب لحُكْمِهِ، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أَيْ: تَرْجِع الأُمُور، فَيَفْصِلهَا وَيَحْكُم فِيهَا.

آخِر تَفْسِير سُورَة الشورى، والحمد لله رب العالمين

---

(١) تقدم.

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

ترتيبها ٤٣ — وآياتها ٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ (١) وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ (٥) وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ (٧) فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

يقول تعالى: ﴿حمٓ (١) وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أَيْ: البيِّن الوَاضِح، الجَلِيّ المَعَانِي وَالأَلفَاظ، لأَنَّهُ نَزل بِلُغَةِ العَرب الَّتِي هِيَ أَفْصَح اللُّغَات للتَّخاطُب بَيْن النَّاس، ولهذا قَال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾ أَيْ: أَنْزلناهُ ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أَيْ: بِلُغَةِ العَرب فَصِيحًا وَاضِحًا، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ أَيْ: تَفْهَمُونَهُ وَتَتَدبَّرونَهُ، كَمَا قَال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾.

وقَوْله تَعَالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، بَيَّنَ شَرَفه فِي المَلإِ الأَعْلى لِيُشَرِّفهُ، وَيُعظِّمهُ وَيُطِيعهُ أَهْل الأَرْض، فَقَال تَعَالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أَيْ: القُرْآن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أَيْ: اللَّوْح المَحْفُوظ، قَالهُ ابْن عبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد: ﴿لَدَيۡنَا﴾ أَيْ: عِندنَا، قَالهُ قَتادَة وَغيْره، ﴿لَعَلِيٌّ﴾ أَيْ: ذُو مَكَانَة عَظِيمَة وَشَرَف وَفَضْل، قَالهُ قَتادَة، ﴿حَكِيمٌ﴾ أَيْ: مُحْكَم بَرِيء مِنَ اللَّبْس وَالزَّيْغ. وَهَذَا كُلّه تَنْبِيه عَلى شَرَفه وَفضْله، كَمَا قَال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ (٧٧) فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الواقعة:٧٧-٨٠)، وَقَال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ (١٣) مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ (١٤) بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ (عبس:١١-١٦).
وَلهَذَا اسْتَنْبَطَ العُلَمَاء رحمهم الله مِنْ هَاتَيْنِ الآيَتيْنِ، أَنَّ المُحْدِث لا يَمَسّ المُصْحَف كَمَا وَرَدَ بِهِ الحَدِيث إِنْ صَحَّ، لأَنَّ المَلائِكَة يُعَظِّمُونَ المَصَاحِف المُشْتَمِلة عَلى القُرْآن فِي المَلإِ الأَعْلى، فَأَهْل الأَرْض بِذَلكَ أَوْلى وَأَحْرَى، لأَنَّهُ نَزَل عَليْهِمْ، وَخِطَابه مُتَوَجِّه إِلَيْهِمْ، فهو أَحَقّ أَنْ يُقَابِلُوهُ بِالإِكْرَامِ وَالتَّعْظِيم، وَالانْقِيَاد لهُ بِالقَبُول وَالتَّسْليم، لقَوْلهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ﴾ اخْتَلفَ المُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهَا، فَقِيل: مَعْنَاهَا أَتَحْسَبُونَ أَنْ نَصْفَح عَنْكُمْ فَلا نُعَذِّبكُمْ وَلمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ؟! قَالهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَأَبُو صَالح وَالسُّدِّيّ، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾: وَالله لوْ أَنَّ هَذَا القُرْآن رُفِعَ حِين رَدَّتْهُ أَوَائِل هَذِهِ الأُمَّة لهَلكُوا، وَلكِنَّ الله عَادَ بِعَائِدَتِهِ وَرَحْمته فَكَرَّرَهُ عَليْهِمْ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَة، أَوْ مَا شَاءَ الله مِنْ ذَلكَ، وَقَوْل قَتادَة لطِيف المَعْنَى جِدًّا، وَحَاصِله: أَنَّهُ يَقُول فِي مَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالى مِنْ لُطْفه وَرَحْمته بِخَلقِهِ لا يَتْرُك دُعَاءَهُمْ إِلى الخَيْر وَالذِّكْر الحَكِيم وَهُوَ القُرْآن، وَإِنْ كَانُوا مُسْرِفِينَ مُعْرِضِينَ عَنْهُ، بَل أَمَرَ بِهِ لِيَهْتَدِيَ بِهِ مَنْ قَدَّرَ هِدَايَته، وَتَقُوم الحُجَّة عَلى مَنْ كَتَبَ شَقَاوَته، ثُمَّ قَال تعالى مُسَلِّيًا لنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيب مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمه، وَآمِرًا لهُ بِالصَّبْرِ عَليْهِمْ: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: فِي شِيَع الأَوَّلِينَ، ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ أَيْ: يُكَذِّبُونَهُ وَيَسْخَرُونَ بِهِ.

وقوله: ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشًا﴾ أَيْ: فَأَهْلكْنَا المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُل، وَقَدْ كَانُوا أَشَدّ بَطْشًا مِنْ هَؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ لك يَا مُحَمَّد، كَقَوْلهِ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ

مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ (غافر:٨٢)، وَالآيَات فِي ذَلكَ كَثِيرَة. وَقَوْله: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قَال مُجَاهِد: سُنَّتهمْ. وَقَال قَتَادَة: عُقُوبَتهمْ. وَقَال غَيْرهمَا: عِبْرَتهمْ، أَيْ: جَعَلنَاهُمْ عِبْرَة لمَنْ بَعْدهمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ أَنْ يُصِيبهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، كَقَوْلِهِ فِي آخِر هَذِهِ السُّورَة: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف:٥٦)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾ (غافر:٨٥)، وَقَال: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٦٢).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى: وَلئِنْ سَأَلت -يَا مُحَمَّد- هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِالله، العَابِدِينَ مَعَهُ غَيْره، ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أَيْ: ليَعْتَرِفُنَّ بِأَنَّ الخَالق لذَلكَ هُوَ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُون مَعَهُ غَيْره مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أَيْ: فِرَاشًا قَرَارًا ثَابِتَة يسِيرُونَ عليْهَا وَيقُومُونَ، وَينَامُونَ وَيتصَرَّفُونَ، مَعَ أَنَّهَا مَخْلُوقَة عَلى تَيَّار المَاء، لكِنَّهُ أَرْسَاهَا بِالجِبَال لئَلَّا تَمِيد هَكَذَا وَلا هَكَذَا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أَيْ: طُرُقًا بَيْن الجِبَال وَالأَوْدِيَة، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أَيْ: فِي سَيْركُمْ مِنْ بَلد إِلى بَلد، وَقُطْر إِلى قُطْر، وَإِقْلِيم إِلى إِقْلِيم، ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أَيْ: بِحَسَبِ الكِفَايَة لزُرُوعِكُمْ، وَثِمَاركُمْ وَشُرْبكُمْ، لأَنْفُسِكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ. وَقَوْله: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أَيْ: أَرْضًا مَيْتَة، فَلمَّا جَاءَهَا المَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلّ زَوْج بَهِيج، ثُمَّ نَبَّهَ بِإِحْيَاءِ الأَرْض عَلى إِحْيَاء الأَجْسَاد يَوْم المَعَاد بَعْد مَوْتهَا، فَقَال: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ أَيْ: مِمَّا تُنْبِت الأَرْض مِنْ سَائِر الأَصْنَاف مِنْ نَبَات وَزُرُوع، وَثِمَار وَأَزَاهِير، وَغَيْر ذَلكَ مِنْ الحَيَوَانَات عَلى اخْتِلاف أَجْنَاسهَا وَأَصْنَافهَا، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أَيْ: السُّفُن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أَيْ: ذَلَّلهَا لكُمْ وَسَخَّرَهَا، وَيَسَّرَهَا لأَكْلكُمْ لُحُومهَا، وَشُرْبكُمْ أَلبَانهَا، وَرُكُوبكُمْ ظُهُورهَا، ولهذا قال: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أَيْ: لتَسْتَوُوا مُتَمَكِّنِينَ واقفين ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أَيْ: عَلى ظُهُور هَذَا الجِنْس، ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: فِيمَا سَخَّرَ لكُمْ ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أَيْ: مُقَاوِمِينَ، وَلوْلا تَسْخِير الله لنَا هَذَا مَا قَدَرْنَا عَليْهِ. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد: مُقْرِنِينَ، أَيْ: مُطِيقِينَ، ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أَيْ: لصَائِرُونَ إِليْهِ بَعْد مَمَاتنَا، وَإِليْهِ سَيْرنَا الأَكْبَر، وَهَذَا مِنْ بَاب التَّنْبِيه بِسَيْرِ الدُّنْيَا عَلى سَيْر الآخِرَة، كَمَا نَبَّهَ بِالزَّادِ الدُّنْيَوِيّ عَلى الزَّاد الأُخْرَوِيّ فِي قَوْله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧)، وَبِاللِّبَاسِ الدُّنْيَوِيّ عَلى الأُخْرَوِيّ، فِي قَوْله: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦).

ذِكْر الأَحَادِيث الوَارِدَة عِنْد رُكُوب الدَّابَّة

حَدِيث أَمِير المُؤْمِنِينَ عَليّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه: قَال الإِمَام أحمد: حَدَّثنَا يَزِيد، حَدَّثنَا شَرِيك بْن عَبْد الله عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَليّ بْن رَبِيعَة قَال: رَأَيْت عَليًّا رضي الله عنه أُتِيَ بِدَابَّة، فَلمَّا وَضَعَ رِجْله فِي الرِّكَاب قَال: بِسْم الله، فَلمَّا اسْتَوَى عَليْهَا قَال: الحَمْد لله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، ثُمَّ حَمِدَ

اللهِ ثَلاثًا، وَكَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَال: سُبْحَانك، لا إله إِلَّا أَنْتَ، قَدْ ظَلَمْت نَفْسِي فَاغْفِرْ لي. ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلت لهُ: من أي شيء ضَحِكْت يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ؟ فَقَال ﵁: رَأَيت رَسُول الله ﷺ صنع كما صنعت ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلت: مِمَّ ضَحِكْت يَا رَسُول الله؟ فَقَال ﷺ: **«يَعْجَب الرَّبّ مِنْ عَبْده إِذَا قَال: رَبّ اغْفِرْ لي، وَيَقُول: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّهُ لا يَغْفِر الذُّنُوب غَيْرِي».**[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي الأَحْوَص، زَادَ النَّسَائِيّ وَمَنْصُور عَنْ أَبِي إِسْحَاق السَّبِيعِيّ عَنْ عَلِيّ بْن رَبِيعَة الأَسَدِيّ الوَالِبِيّ بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح، وَقَدْ قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ عَنْ شُعْبَة: قُلت لأَبِي إِسْحَاق السَّبِيعِيّ: مِمَّنْ سَمِعْت هَذَا الحَدِيث؟ قَال: مَنْ يُونُس ابْن خَبَّاب، فَلَقِيت يُونُس بْن خَبَّاب، فَقُلت: مِمَّنْ سَمِعْته؟ فَقَال: مِنْ رَجُل سَمِعَهُ مِنْ عَلِيّ بْن رَبِيعَة، وَرَوَاهُ بَعْضهمْ عَنْ يُونُس بْن خَبَّاب عَنْ شَقِيق بْن عُقْبَة الأَسَدِيّ عَنْ عَلِيّ بْن رَبِيعَة الوَالِبِيّ بِهِ.

حَدِيث عَبْد الله بْن عَبَّاس ﵄: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو المُغِيرَة، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَبْد الله عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ عَبْد الله بْن عَبَّاس ﵄: أن رَسُول الله ﷺ أَرْدَفَهُ عَلى دَابَّته، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا كَبَّرَ رَسُول الله ﷺ ثَلاثًا وَحَمِدَ ثَلاثًا، وَسَبَّحَ ثَلاثًا، وَهَلَّلَ الله وَاحِدَة، ثُمَّ اسْتَلْقَى عَلَيْهِ وَضَحِكَ، ثُمَّ أَقْبَل عَلَيْهِ فَقَال: **«مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِم يَرْكَب دَابَّة فَيَصْنَع كَمَا صَنَعْت، إِلَّا أَقْبَل الله ﷻ عَلَيْهِ، فَضَحِكَ إِلَيْهِ كَمَا ضَحِكْت إِلَيْك»**[2]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

حَدِيث عَبْد الله بْن عُمَر ﵄: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو كَامِل، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ عَلِيّ بْن عَبْد الله البَارِقِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر ﵄: أن النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكِبَ رَاحِلته كَبَّرَ ثَلاثًا ثُمَّ قَال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾. ثُمَّ يَقُول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك فِي سَفَرِي هَذَا البِرّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ العَمَل مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَر وَاطْوِ لَنَا البَعِيد، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِب فِي السَّفَر وَالخَلِيفَة فِي الأَهْل، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلنَا».** وَكَانَ ﷺ إِذَا رَجَعَ إِلى أَهْله قَال: **«آيِبُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ الله، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»**[3]. وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِم وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث ابْن جُرَيْج، وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلَمَة، كِلاهُمَا عَنْ أَبِي الزُّبَيْر بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُبَيْد حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم عَنْ عَمْرو ابْن الحَكَم بْن ثَوْبَان عَنْ أَبِي لاس الخُزَاعِيّ قَال: حَمَلَنَا رَسُول الله ﷺ عَلى إِبِل مِنْ إِبِل الصَّدَقَة إِلى الحَجّ، فَقُلْنَا: يَا رَسُول الله مَا نَرَى أَنْ تَحْمِلنَا هَذِهِ، فَقَال ﷺ: **«مَا مِنْ بَعِير إِلاَّ فِي ذِرْوَته شَيْطَان، فَاذْكُرُوا اسْم الله عَلَيْهَا إِذَا رَكِبْتُمُوهَا كَمَا آمُرُكُمْ، ثُمَّ امْتَهِنُوهَا لأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّمَا يَحْمِل الله ﷻ»**[4]. أَبُو لاس اسْمه مُحَمَّد بْن الأَسْوَد بْن خَلَف.

حَدِيث آخَر فِي مَعْنَاهُ: قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَتَّاب، أَخْبَرَنَا عَبْد الله (ح) وَعَلِيّ بْن إِسْحَاق، أَخْبَرَنَا عَبْد الله -يَعْنِي ابْن المُبَارَك-، أَخْبَرَنَا أُسَامَة بْن زَيْد، أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن حَمْزَة أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُول: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«عَلى ظَهْر كُلّ بَعِير شَيْطَان، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا الله ﷻ، ثُمَّ لا تُقَصِّرُوا عَنْ حَاجَاتكُمْ».**[5]

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وأحمد (١/ ٩٧).
(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ٣٣١) بسند ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني.
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٤٢).
(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٢١)، وصححه الألباني.
(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١١٤).

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ المُشْرِكِينَ فِيمَا افْتَرَوْهُ وَكَذَّبُوهُ فِي جَعْلهِمْ بَعْض الأَنْعَام لطَوَاغِيتِهِمْ وَبَعْضهَا لله، كَمَا ذَكَرَ الله عَنْهُمْ فِي سُورَة «الأَنْعَام»، فِي قَوْله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام:١٣٦)، وَكَذَلِكَ جَعَلُوا لهُ مِنْ قِسْمَي البَنَات وَالبَنِينَ، أَخَسّهمَا وَأَرْدَأَهُمَا، وَهُوَ البَنَات، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (النجم:٢١-٢٢)، وَقَال هَهُنَا: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾.

ثم قال: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ ، وَهَذَا إِنْكَار عَلَيْهِمْ غَايَة الإِنْكَار. ثُمَّ ذَكَرَ تَمَام الإِنْكَار، فَقَال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم [بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا][1] ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أَيْ: إِذَا بُشِّرَ أَحَد هَؤُلاءِ بِمَا جَعَلُوهُ لله مِنْ البَنَات يَأْنَف مِنْ ذَلكَ غَايَة الأَنَفَة، وَتَعْلُوهُ كَآبَة مِنْ سُوء مَا بُشِّرَ بِهِ، وَيَتَوَارَى مِنْ القَوْم مِنْ خَجَله مِنْ ذَلكَ، يَقُول تَعَالى: فَكَيْف تَأْنَفُونَ أَنْتُمْ مِنْ ذَلكَ وَتَنْسُبُونَهُ إِلى الله ﷻ ، ثم قال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أَيْ: المَرْأَة نَاقِصَة يَكْمُل نَقْصهَا بِلُبْسِ الحُليّ مُنْذُ تَكُون طِفْلة، وَإِذَا خَاصَمَتْ فَلا عِبَارَة لهَا، بَل هِيَ عَاجِزَة عَيِيَّة، أَوَمَنْ يَكُون هَكَذَا يُنْسَب إِلى جَنَاب الله ﷻ؟! فَالأُنْثَى نَاقِصَة الظَّاهِر وَالبَاطِن فِي الصُّورَة وَالمَعْنَى، فَيَكْمُل نَقْص ظَاهِرهَا وَصُورَتهَا بِلُبْسِ الحُليّ وَمَا فِي مَعْنَاهُ، لِيُجْبَر مَا فِيهَا مِنْ نَقْص، كَمَا قَال بَعْض شُعَرَاء العَرَب:

وَمَا الحُليّ إِلاَّ زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ ۞ يُتَمِّم مِنْ حُسْنٍ إِذَا الحُسْن قَصَّرَا
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الجَمَال مُوَفَّرًا ۞ كَحُسْنِك لمْ يَحْتَجْ إِلى أَنْ يُزَوَّرَا

وَأَمَّا نَقْص مَعْنَاهَا، فَإِنَّهَا ضَعِيفَة عَاجِزَة عَنْ الانْتِصَار عِنْد الانْتِصَار، لا عِبَارَة لهَا وَلا هِمَّة، كَمَا قَال بَعْض العَرَب وَقَدْ بُشِّرَ بِبِنْتٍ: مَا هِيَ بِنِعْمَ الوَلد نَصْرهَا بُكَاء، وَبِرّهَا سَرِقَة، وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ أَيْ: اعْتَقَدُوا فِيهِمْ ذَلكَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَعَالى قَوْلهمْ ذَلكَ فَقَال: ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾؟ أَيْ: شَاهَدُوهُ وَقَدْ خَلقَهُمْ الله إِنَاثًا، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ أَيْ: بِذَلكَ، ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عَنْ ذَلكَ يَوْم القِيَامَة. وَهَذَا تَهْدِيد شَدِيد، وَوَعِيد أَكِيد. ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ﴾ أَيْ: لوْ أَرَادَ الله لحَال بَيْننَا وَبَيْن عِبَادَة هذه الأَصْنَام، الَّتِي هِيَ عَلى صور المَلائِكَة، الَّتِي هِيَ بَنَات الله، فَإِنَّهُ عَالم بِذَلكَ وَهُوَ يُقَرِّرنَا عَليْهِ، فَجَمَعُوا بَيْن أَنْوَاع كَثِيرَة مِنْ الخَطَأ:

أَحَدهَا: جَعْلهمْ لله وَلدًا، تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

الثَّانِي: دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ اصْطَفَى البَنَات عَلى البَنِينَ، فَجَعَلُوا المَلائِكَة الَّذِينَ هُمْ عِبَاد الرَّحْمَن إِنَاثًا.

الثَّالث: عِبَادَتهمْ لهُمْ مَعَ ذَلكَ كُلّه بِلا دَليل وَلا بُرْهَان وَلا إِذْن مِنْ الله ﷻ، بَل بِمُجَرَّدِ الآرَاء وَالأَهْوَاء وَالتَّقْليد للأَسْلافِ وَالكُبَرَاء وَالآبَاء، وَالخَبْط فِي الجَاهِليَّة الجَهْلاء.

الرَّابِع: احْتِجَاجهمْ بِتَقْدِيرِهِمْ عَلى ذَلكَ قَدْرًا، وَقَدْ جَهِلُوا فِي هَذَا الاحْتِجَاج جَهْلًا كَبِيرًا، فَإِنَّهُ تَعَالى قَدْ

---

(١) في (ط) : [بالأنثى].

أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ الإِنْكَار، فَإِنَّهُ مُنْذُ بَعَثَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ يَأْمُرُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَه لا شَرِيكَ لهُ، وَيَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، قَالَ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:٣٦)، وَقَالَ: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (الزخرف:٤٥).

وَقَالَ: فِي هَذِهِ الآيَة بَعْد أَنْ ذَكَرَ حُجَّتهمْ هَذِه: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَيْ: بِصِحَّةِ مَا قَالُوهُ وَاحْتَجُّوا بِهِ، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أَيْ: يَكْذِبُونَ وَيَتَقَوَّلُونَ. وَقَالَ مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: مَا يَعْلَمُونَ قُدْرَة الله عَلى ذَلِكَ.

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى المُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتهمْ غَيْر الله بِلا بُرْهَان وَلا دَلِيل وَلا حُجَّة: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْل شِرْكهمْ، ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ أَيْ: فِيمَا هُمْ فِيهِ، أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم:٣٥)، أَيْ: لمْ يَكُنْ ذَلكَ. ثم قال: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَد فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْك، سِوَى تَقْلِيد الآبَاء وَالأَجْدَاد بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلى أُمَّة، وَالمُرَاد بِهَا الدين هَهُنَا. وَفِي قَوْله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الأنبياء:٩٢).

وَقَوْلهمْ: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ أَيْ: وراءَهُم ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ دَعْوَى مِنْهُمْ بِلا دَلِيل. ثُمَّ بَيَّنَ تعالى أَنَّ مَقَالة هَؤُلاءِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا أَشْبَاههمْ، وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الأُمَم السَّالفَة المُكَذِّبَة للرُّسُل، تَشَابَهَتْ قُلُوبهمْ فَقَالُوا مِثْل مَقَالتهمْ، ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات:٥٢-٥٣).

وهكذا قال ههنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾. ثم قَال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّد لهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ أَيْ: وَلوْ علمُوا وَتيقَّنُوا صِحَّة مَا جِئْتهمْ بِهِ لمَا انْقَادُوا لذَلكَ لسُوءِ قَصْدهمْ، وَمُكَابرَتهمْ للحَقِّ وَأَهْله. قَال الله تَعَالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أَيْ: مِنْ الأُمَم المُكَذِّبَة بِأَنْوَاعِ مِنْ العَذَاب، كَمَا فَصَّلهُ تَعَالى فِي قَصَصهمْ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أَيْ: كَيْف بَادُوا وَهَلكُوا، وَكَيْفَ نَجَّى الله المُؤْمِنِينَ؟

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ عَبْده وَرَسُوله وَخَليله إِمَام الحُنَفَاء، وَوَالد مَنْ بُعِثَ بَعْده مِنْ الأَنْبِيَاء، الَّذِي تُنْتَسَب إِليْهِ قُرَيْش فِي نَسَبهَا وَمَذْهَبهَا: إِنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ وَقَوْمه فِي عِبَادَتهمْ الأَوْثَان، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا

﴿ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ أَيْ: هَذِهِ الكَلِمَة، وَهِيَ عِبَادَة الله تعالى وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَخَلع مَا سِوَاهُ مِنْ الأَوْثَان، وَهِيَ «لا إِله إِلَّا الله» أَيْ: جَعَلهَا دَائِمَة فِي ذُرِّيَّته يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ الله مِنْ ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أَيْ: إِلَيْهَا. وقَال عِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ فِي قَوْله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ يَعْنِي: لا إِله إِلَّا الله، لا يَزَال فِي ذُرِّيَّته مَنْ يَقُولهَا. وَرُوِيَ نَحْوه عَنْ ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَال ابن زَيْد: كَلِمَة الإِسْلام، وَهُوَ يَرْجِع إِلَى مَا قَالهُ الجَمَاعَة، ثم قَال تعالى: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعْنِي: المُشْرِكِينَ ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ أَيْ: فَتَطَاوَل عَلَيْهِمْ العُمُر فِي ضَلالهمْ، ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ أَيْ: بَيِّن الرِّسَالة وَالنِّذَارَة، ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أَيْ: كَابَرُوهُ وَعَانَدُوهُ وَدَفَعُوا بِالصُّدُورِ وَالرَّاح كُفْرًا وَحَسَدًا وَبَغْيًا، ﴿وَقَالُواْ﴾ كَالمُعْتَرِضِينَ عَلَى الَّذِي أَنْزَلهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ أَيْ: هَلَّا كَانَ إِنْزَال هَذَا القُرْآن عَلى رَجُل عَظِيم كَبِير فِي أَعْيُنهمْ مِنْ القَرْيَتَيْنِ؟ يَعْنُونَ مَكَّة وَالطَّائِف. قَالهُ ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعِكْرِمَة وَمُحَمَّد بن كَعْب القُرَظِيّ وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابن زَيْد، وَقَدْ ذَكَرَ غَيْر وَاحِد -مِنْهُمْ قتادة-: أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلكَ الوَلِيد بْن المُغِيرَة وَعُرْوَة بْن مَسْعُود الثَّقَفِيّ. وَقَال مَالك: عَنْ زَيْد بن أَسْلمَ وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ: يَعْنُونَ: الوَلِيد بْن المُغِيرَة وَمَسْعُود بن عَمْرو الثَّقَفِيّ. وَعَنْ مُجَاهِد: عُمَيْر بن عَمْرو بن مَسْعُود الثَّقَفِيّ، وَعَنْهُ أَيْضًا، أَنَّهُمْ يَعْنُونَ: عُتْبَة بْن رَبِيعَة. وَعَنْ ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَبَّار مِنْ جَبَابِرَة قُرَيْش، وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمْ يَعْنُونَ: الوَلِيد بْن المُغِيرَة، وَحَبِيب بْن عَمْرو بن عُمَيْر الثَّقَفِيّ، وَعَنْ مُجَاهِد: يَعْنُونَ: عُتْبَة بن رَبِيعَة بِمَكَّة، وَابن عَبْد يَالِيل بِالطَّائِفِ.

وَقَال السُّدِّيّ: عَنَوْا الوَلِيد بْن المُغِيرَة، وَكِنَانَة بْن عبد عَمْرو بْن عُمَيْر الثَّقَفِيّ، وَالظَّاهِر: أَنَّ مُرَادهمْ رَجُل كَبِير، مِنْ أَيِّ البَلدَتَيْنِ كَانَ، قال تعالى، رادًا عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ أَيْ: لَيْسَ الأَمْر مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ، بَل إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالله أَعْلم حَيْثُ يَجْعَل رِسَالاته، فَإِنَّهُ لا يُنَزِّلُهَا إِلَّا عَلى أَزْكَى الخَلق قَلبًا وَنفْسًا، وَأَشْرَفهُمْ بَيْتًا، وَأَطْهَرهمْ أَصْلًا. ثُمَّ قَال تعالى مُبَيِّنًا أَنَّهُ قَدْ فَاوَتَ بَيْن خَلقه فِيمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ الأَمْوَال وَالأَرْزَاق وَالعُقُول وَالفُهُوم، وَغَيْر ذَلكَ مِنْ القُوَى الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَة، فَقَال: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾. وَقَوْله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ قِيل: مَعْنَاهُ لِيُسَخِّر بَعْضهمْ بَعْضًا فِي الأَعْمَال، لاحْتِيَاجِ هَذَا إِلى هَذَا، وَهَذَا إِلى هَذَا، قَالهُ السُّدِّيّ وَغَيْره. وَقَال قَتَادَة، وَالضَّحَّاك: ليَمْلك بَعْضهمْ بَعْضًا. وَهُوَ رَاجِع إِلى الأَوَّل.

ثُمَّ قَال: ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ أَيْ: رَحْمَة الله بِخَلقِهِ خَيْر لهُمْ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الأَمْوَال وَمَتَاع الحَيَاة الدُّنْيَا. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أَيْ: لوْلا أَنْ يَعْتَقِد كَثِير مِنْ النَّاس الجَهَلة أَنَّ إِعْطَاءَنَا المَال دَليل عَلى مَحَبَّتنَا لمَنْ أَعْطَيْنَاهُ فَيَجْتَمِعُوا عَلى الكُفْر لأَجْل المَال، هَذَا مَعْنَى قَوْل ابن عَبَّاس وَالحَسَن، وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ: ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ﴾ أَيْ: سَلالم وَدَرَجًا مِنْ فِضَّة. قَالهُ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد وَغَيْرهمْ. ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ أَيْ: يَصْعَدُونَ. ﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ أَيْ: أَغْلاقًا عَلى أَبْوَابهمْ، ﴿وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ أَيْ: جَمِيع ذَلكَ يَكُون فِضَّة. ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾ أَيْ: وَذَهَبًا، قَالهُ ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد. ثُمَّ قَال: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ أَيْ: إِنَّمَا ذَلكَ مِنْ الدُّنْيَا الفَانِيَة الزَّائِلة الحَقِيرَة عِنْد الله، أَيْ: يُعَجِّل لهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مَآكِل وَمَشَارِب ليُوَافُوا الآخِرَة، وَليْسَ لهُمْ عِنْد الله حَسَنَة يَجْزِيهِمْ بِهَا، كَمَا وَرَدَ بِهِ الحَدِيث الصَّحِيح.

وَوَرَدَ فِي حَدِيث آخَر: «لوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَزِن عِنْد الله جَنَاح بَعُوضَة مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَة مَاء»[1]. أَسْنَدَهُ البَغَوِيّ مِنْ رِوَايَة زَكَرِيَّا بْن مَنْظُور عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ سَهْل بْن سَعْد ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق زَمْعَة بْن صَالِح عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ سَهْل بْن سَعْد عَنْ النَّبِيّ ﷺ : «لوْ عَدلتْ الدُّنْيَا جَنَاح بَعُوضَة مَا أَعْطَى كَافِرًا مِنْهَا شَيْئًا». ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أَيْ: هِيَ لَهُمْ خَاصَّة لا يُشَارِكهُمْ فِيهَا غَيْرهمْ، ولهَذَا لَمَّا قَال عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ لرَسُول الله ﷺ حِين صَعِدَ إِلَيْهِ فِي تِلكَ المُشْرَبَة لَمَّا آلى ﷺ مِنْ نِسَائِهِ، فَرَآهُ عَلى رِمَال حَصِير قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ، فَابْتَدَرَتْ عَيْنَاهُ بِالبُكَاءِ، وَقَال: يَا رَسُول الله هَذَا كِسْرَى وَقَيْصَر فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ صَفْوَة الله مِنْ خلقه، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ مُتَّكِئًا فَجَلسَ وَقَال: «أَوَ فِي شَكّ أَنْتَ يَا بْن الخَطَّاب؟». ثُمَّ قَال ﷺ : «أُولئِكَ قَوْم عُجِّلتْ لهُمْ طَيِّبَاتهمْ فِي حَيَاتهمْ الدُّنْيَا». وَفِي رِوَايَة: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُون لهُمْ الدُّنْيَا وَلنَا الآخِرَة؟»[2]. وَفِي الصَّحِيحين أَيْضًا وَغَيْرهمَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «لا تَشْرَبُوا فِي آنِيَة الذَّهَب وَالفِضَّة، وَلا تَأْكُلُوا فِي صِحَافهَا، فَإِنَّهَا لهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلنَا فِي الآخِرَة»[3]. وَإِنَّمَا خَوَّلهُمْ الله تَعَالى فِي الدُّنْيَا لحَقَارَتهَا كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ طَرِيق أَبِي حَازِم عَنْ سَهْل بْن سَعْد قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «لوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِن عِنْد الله جَنَاح بَعُوضَة مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَة مَاء أَبَدًا». قَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أَيْ: يَتَعَامَى، وَيَتَغَافَل وَيُعْرِض، ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ وَالعَشَا فِي العَيْن: ضَعْف بَصَرهَا. وَالمُرَاد هَهُنَا: عَشَا البَصِيرَة، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:١١٥)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ (الصف:٥)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ (فصلت:٢٥)، ولهذا قال ههنا: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي تَغَافَل عَنْ الهُدَى نُقَيِّض لهُ مِنْ الشَّيَاطِين، مَنْ يُضِلّهُ وَيَهْدِيه إِلى صِرَاط الجَحِيم. فإذا وَافَى الله يَوْم القِيَامَة يَتَبَرَّم بالشَّيْطَان الَّذِي وُكِّل بِهِ، ﴿قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾، وَقَرَأَ بَعْضهمْ: «حَتَّى إِذَا جَاءَانَا» يَعْنِي القَرِين وَالمُقَارَن.

قَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ سَعِيد الجُرَيْرِيّ قَال: بَلغَنَا أَنَّ الكَافِر إِذَا بُعِثَ مِنْ قَبْره يَوْم القِيَامَة شَفَعَ بِيَدِهِ شَيْطَان فَلمْ يُفَارِقهُ حَتَّى يُصَيِّرهُمَا الله تَعَالى إِلى النَّار، فَذَلكَ حِين يَقُول: ﴿يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ وَالمُرَاد بِالمَشْرِقَيْنِ هنا هُوَ: مَا بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب، وَإِنَّمَا اسْتُعْمِل هَهُنَا تَغْلِيبًا، كَمَا قِيل: القَمَرَانِ

(١) صحيح : تقـدم.
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٨٩) (٥٤٢٦)، ومسلم (٢٠٦٧).

وَالعُمْرَانِ وَالأَبْوَانِ، قَالَهُ ابْن جَرِير وَغَيْره. ثم قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أَيْ: لا يُغْنِي عَنكُمْ اجْتِماعكُمْ فِي النَّار، وَاشْتِرَاككُمْ فِي العَذَاب الأَليم. وقوله: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أَيْ: لَيْسَ ذَلكَ إِلَيْك، إِنَّمَا عَلَيْك البَلاغ، وَلَيْسَ عَلَيْك هُدَاهُمْ، وَلكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاء، وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء، وَهُوَ الحَكَم العَدْل فِي ذَلكَ، ثم قال: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ أي: لابد أن ننتقم منهم، ونعاقبهم ولو ذهبت أنت، ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ أَيْ: نَحْنُ قَادِرُونَ عَلى هَذَا، وَعَلى هَذَا، وَلَمْ يَقْبِض الله رَسُوله ﷺ حَتَّى أَقَرَّ عَيْنه مِنْ أَعْدَائِهِ، وَحَكَّمَهُ فِي نَوَاصِيهِمْ، وَمَلَّكَهُ مَا تَضَمَّنَتْهُ صَيَاصِيهِمْ، هَذَا مَعْنَى قَوْل السُّدِّيّ وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابن ثَوْر عَنْ مَعْمَر قَال: تَلا قَتَادَة: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ فَقَال: ذَهَبَ النَّبِيّ ﷺ وَبَقِيَتْ النِّقْمَة، وَلَمْ يُرِ الله نَبِيّه ﷺ فِي أُمَّته شَيْئًا يَكْرَههُ حَتَّى مَضَى، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيّ قَطُّ، إِلَّا وَرَأَى العُقُوبَة فِي أُمَّته إِلَّا نَبِيّكُمْ ﷺ. قَال: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ أُرِيَ مَا يُصِيب أُمَّته مِنْ بَعْده، فَمَا رُئِيَ ضَاحِكًا مُنْبَسِطًا حَتَّى قَبَضَهُ الله ﷻ[1]، وَذَكَرَ مِنْ رِوَايَة سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة نَحْوه، ثُمَّ رَوَى ابْن جَرِير عَنْ الحَسَن نَحْو ذَلكَ أَيْضًا. وَفِي الحَدِيث: «**النُّجُوم أَمَنَة للسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُوم أَتَى السَّمَاء مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَة لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ**»[2].

ثم قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أَيْ: خُذْ بِالقُرْآنِ المُنَزَّل عَلى قَلبك، فَإِنَّهُ الحَقّ، وَمَا يَهْدِي إِلَيْهِ هُوَ الحَقّ المُفْضِي إِلى صِرَاط الله المُسْتَقِيم، المُوصِّل إِلى جَنَّات النَّعِيم، وَالخَيْر الدَّائِم المُقِيم. ثم قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ قِيل: مَعْنَاهُ لشَرَف لك وَلقَوْمِك، قَالهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَلَمْ يَحْكِ سِوَاهُ، وَأَوْرَدَ البغوي هَهُنَا حَدِيث الزُّهْرِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن جُبَيْر ابْن مُطْعِم عَنْ مُعَاوِيَة رضي الله عنه قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ هَذَا الأَمْر فِي قُرَيْش لا يُنَازِعهُمْ فِيهِ أَحَد إِلاَّ أَكَبَّهُ الله تَعَالى عَلى وَجْهه مَا أَقَامُوا الدِّين**»[3]. رَوَاهُ البُخَارِيّ. وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ شَرَف لَهُمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أُنْزِل بِلُغَتِهِمْ، فَهُمْ أَفْهَم النَّاس لهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَقْوَم النَّاس بِهِ، وَأَعْمَلهُمْ بِمُقْتَضَاهُ، وَهَكَذَا كَانَ خِيَارهمْ وَصَفْوَتهمْ مِنْ الخُلَّص مِنْ المُهَاجِرِينَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ وَمَنْ شَابَهَهُمْ وَتَابَعَهُمْ، وَقِيل: مَعْنَاهُ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ أَيْ: لتَذْكِيرٌ لك وَلقَوْمِك، وَتَخْصِيصهمْ بِالذِّكْرِ لا يَنْفِي مَنْ سِوَاهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء:٢١٤)، ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أَيْ: عَنْ هَذَا القُرْآن، وَكَيْف كُنْتُمْ فِي العَمَل بِهِ وَالاسْتِجَابَة لهُ. وَقَوْله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾. أَيْ: جَمِيع الرُّسُل دَعَوْا إِلى مَا دَعَوْت النَّاس إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَة الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَنَهَوْا عَنْ عِبَادَة الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ (النحل:٣٦). قَال مُجَاهِد: فِي قِرَاءَة عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه: (وَاسْأَل الَّذِينَ أَرْسَلنَا إِلَيْهِمْ قَبْلك رُسُلنَا). وَهَكَذَا حَكَاهُ قَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ وَابْن مَسْعُود رضي الله عنه، وَهَذَا كَأَنَّهُ تَفْسِير لا تِلاوَة، وَالله أَعْلم. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ: وَاسْأَلهُمْ لَيْلة الإِسْرَاء، فَإِنَّ الأَنْبِيَاء جُمِعُوا لهُ، وَاخْتَارَ ابْن جَرِير الأَوَّل.

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢٤/ ٧٥) بسند ضعيف.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٣١).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٠٠).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ عَبْده وَرَسُوله مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلى فِرْعَوْن وَمَلَئِهِ مِنَ الأُمَرَاء وَالوُزَرَاء وَالقَادَة وَالأَتْبَاع وَالرَّعَايَا مِنْ القِبْط وَبَنِي إِسْرَائِيل، يَدْعُوهُمْ إِلى عِبَادَة الله وَحْده لا شَرِيك لَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَة مَا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُ آيَات عِظَامًا كَيَدِهِ وَعَصَاهُ، وَمَا أُرْسِل مَعَهُ مِنَ الطُّوفَان وَالجَرَاد وَالقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم، وَمِنْ نَقْص الزُّرُوع وَالأَنْفُس وَالثَّمَرَات، وَمَعَ هَذَا كُلّه اسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعهَا وَالانْقِيَاد لَهَا، وَكَذَّبُوهَا، وَسَخِرُوا مِنْهَا، وَضَحِكُوا مِمَّنْ جَاءَهُمْ بِهَا، ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ وَمَعَ هَذَا مَا رَجَعُوا عَنْ غَيّهمْ وَضَلالهِمْ، وَجَهْلهمْ وَخَبَالهِمْ. وكُلَّمَا جَاءَتْهُمْ آيَة مِنْ هَذِهِ الآيَات يَضْرَعُونَ إِلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَتَلَطَّفُونَ لَهُ فِي العِبَارَة بِقَوْلِهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ أَيْ: العَالِم، قَالَهُ ابْن جَرِير، وَكَانَ عُلَمَاء زَمَانهمْ هُمُ السَّحَرَة. وَلَمْ يَكُنْ السِّحْر عندهم فِي زَمَانهمْ مَذْمُومًا عِنْدهمْ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْهُمْ؛ عَلى سَبِيل الانْتِقَاص مِنْهُمْ لأَنَّ الحَال حَال ضَرُورَة مِنْهُمْ إِلَيْهِ لا تُنَاسِب ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْظِيم فِي زَعْمهمْ، فَفِي كُلّ مَرَّة يَعِدُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ كَشَفَ عَنْهُمْ هَذَا أَنْ يُؤْمِنُوا، وَيُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيل، وَفِي كُلّ مَرَّة يَنْكُثُونَ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ (الأعراف:١٣٣-١٣٥).

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْن وَتَمَرُّده، وَعُتُوّه وَكُفْره وَعِنَاده، أَنَّهُ جَمَعَ قَوْمه، فَنَادَى فِيهِمْ مُتَبَجِّحًا مُفْتَخِرًا بِمُلك مِصْر وَتَصَرُّفه فِيهَا: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ قَال قَتَادَة: قَدْ كَانَتْ لَهُمْ جِنَانٌ وَأَنْهَار مَاء، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: أَفَلا تَرَوْنَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ العَظَمَة وَالمُلك، يَعْنِي: وَمُوسَى وَأَتْبَاعه فُقَرَاء ضُعَفَاء، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (النازعات:٢٣-٢٥).

وقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾. قَال السُّدِّيّ: يَقُول: بَل أَنَا خَيْر مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِين، وَهَكَذَا قَال بَعْض نُحَاة البَصْرَة: إِنَّ (أَمْ) هَهُنَا بِمَعْنَى (بَل)، وَيُؤَيِّد هَذَا مَا حَكَاهُ الفَرَّاء عَنْ بَعْض القُرَّاء، أَنَّهُ قَرَأَهَا: (أَمَا أنا خَيرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)، قَال ابْن جَرِير: وَلَوْ صَحَّتْ هَذِهِ القِرَاءَة لكَانَ مَعْنَاهَا صَحِيحًا وَاضِحًا، وَلكِنَّهَا خِلاف قِرَاءَة الأَمْصَار فَإِنَّهُمْ قَرَءُوا ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ عَلى الاسْتِفْهَام.

قُلت: وَعَلى كُلّ تَقْدِير فَإِنَّمَا يَعْنِي فِرْعَوْن -عليه اللعنة- أَنَّهُ خَيْر مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ كَذَبَ فِي قَوْله هَذَا كَذِبًا بَيِّنًا وَاضِحًا، فَعَلَيْهِ لعَائِن الله المُتَتَابِعَة إِلى يَوْم القِيَامَة. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ ﴿مَهِينٌ﴾ كَمَا قَال سُفْيَان: حَقِير، وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ: يَعْنِي ضَعِيف. وَقَال ابْن جَرِير: يَعْنِي لا مُلك لهُ، وَلا سُلطَان وَلا مَال، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يَعْنِي: لا يَكَاد يُفْصِح عَنْ كَلامه، فَهُوَ عَيِيّ حَصِر.

قَال السُّدِّيّ: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أَيْ: لا يَكَاد يُفْهِم. وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَابْن جَرِير: يَعْنِي: عَيِيّ اللِّسَان، وَقَال سُفْيَان: يَعْنِي: فِي لسَانه شَيْء مِنْ الجَمْرَة حِين وَضَعَهَا فِي فيه وَهُوَ صَغِير، وَهَذَا الذي قَالهُ فِرْعَوْن لعَنَهُ الله كَذِب وَاخْتِلاق، وَإِنَّمَا حَمَلهُ عَلى هَذَا الكُفْر وَالعِنَاد، وَهُوَ يَنْظُر إِلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَيْنٍ كَافِرَة شَقِيَّة، وَقَدْ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ الجَلالة وَالعَظَمَة وَالبَهَاء فِي صُورَة يُبْهِر أَبْصَار ذَوِي الأَلْبَاب. وَقَوْله: ﴿مَهِينٌ﴾ كَذِب. بَل هُوَ المَهِين الحَقِير، خِلقَةً وَخُلُقًا وَدِينًا، وَمُوسَى هُوَ الشَّرِيف الرَّئِيس الصَّادِق البَارّ الرَّاشِد. وَقَوْله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ افْتِرَاء أَيْضًا، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَصَابَ لسَانه فِي حَال صِغَره شَيْء مِنْ جِهَة تِلكَ الجَمْرَة، فَقَدْ سَأَل الله عَزَّ وَجَلَّ: أَنْ يَحُلّ عُقْدَة مِنْ لسَانه ليَفْقَهُوا قَوْله، وَقَدْ اسْتَجَابَ الله لهُ ذَلكَ فِي قَوْله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه:٣٦)، وَبِتَقْدِير: أَنْ يَكُون قَدْ بَقِيَ شَيْء لمْ يَسْأَل إِزَالته، كَمَا قَالهُ الحَسَن البَصْرِيّ، وَإِنَّمَا سَأَل زَوَال مَا يَحْصُل مَعَهُ الإِبْلاغ وَالإِفْهَام، فَالأَشْيَاء الخِلقِيَّة الَّتِي ليْسَتْ مِنْ فِعْل العَبْد لا يُعَاب بِهَا وَلا يُذَمّ عَليْهَا، وَفِرْعَوْن وَإِنْ كَانَ يَفْهَم وَلهُ عَقْل، فَهُوَ يَدْرِي هَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّرْوِيج عَلى رَعِيَّته فَإِنَّهُمْ كَانُوا جَهَلة أَغْبِيَاء. وهكذا قوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ أي: وَهِيَ مَا يُجْعَل فِي الأَيْدِي مِنْ الحُليّ. قَالهُ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَقَتَادَة وَغَيْر وَاحِد، ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ أَيْ: يكتنفونه خِدْمَة لهُ وَيَشْهَدُونَ بِتَصْدِيقِهِ، نَظَرَ إِلى الشَّكْل الظَّاهِر، وَلمْ يَفْهَم السِّرّ المَعْنَوِيّ الَّذِي هُوَ أَظْهَر مِمَّا نَظَرَ إِليْهِ لوْ كَانَ يعلم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ أَيْ: اسْتَخَفَّ عُقُولهمْ فَدَعَاهُمْ إِلى الضَّلالة فَاسْتَجَابُوا لهُ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿ءَاسَفُونَا﴾ أَسْخَطُونَا، وَقَال الضَّحَّاك عَنْهُ: أَغْضَبُونَا، وَهَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس أَيْضًا وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ مِنْ المُفَسِّرِينَ. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبو عُبَيْد الله ابْن أَخِي ابْن وَهْب، حَدَّثَنَا عَمِّي، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة عَنْ عُقْبَة بْن مُسْلم التَّجِيبِيّ عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِذَا رَأَيْت الله عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي العَبْد مَا شاء وَهُوَ مُقِيم عَلى مَعَاصِيه، فَإِنَّمَا ذَلكَ اسْتِدْرَاج مِنْهُ لهُ**». ثُمَّ تَلا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]. وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْد الحَمِيد الحِمَّانِيّ، حَدَّثَنَا قَيْس بْن الرَّبِيع عَنْ قَيْس بْن مُسْلم عَنْ طَارِق بْن شِهَاب قَال: كُنْت عِنْد عَبْد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَذُكِرَ عِنْده مَوْت الفَجْأَة، فَقَال: تَخْفِيف عَلى المُؤْمِن وَحَسْرَة عَلى الكَافِر، ثُمَّ قَرَأَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

وَقَال عُمَر بْن عَبْد العَزِيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَجَدْت النِّقْمَة مَعَ الغَفْلة، يَعْنِي قَوْله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. وقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾، قَال أَبُو مِجْلز: ﴿سَلَفًا﴾ لِمِثْل مَنْ عَمِل بِعَمَلهِمْ. وَقَال هُوَ وَمُجَاهِد: ﴿وَمَثَلًا﴾ أَيْ: عِبْرَة لمَنْ بعدهم.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٢ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ

---

(١) **صحيح: تقـدم.**

﴿الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ تَعَنُّت قُرَيْش فِي كُفْرهمْ وَتَعَمُّدهمْ العِنَاد وَالجَدَل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قَال غَيْر وَاحِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ: يَضْحَكُونَ أَيْ: أُعْجِبُوا بِذَلِكَ، وَقَال قَتَادَة: يَجْزَعُونَ وَيَضْحَكُونَ.

وَقَال إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: يُعْرِضُونَ. وكان السَّبَب فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي السِّيرَة حَيْثُ قَال: وَجلسَ رَسُول الله ﷺ ، فِيمَا بَلغَنِي، يَوْمًا مَعَ الوَلِيد بْن الْمُغِيرَة فِي المَسْجِد، فَجَاءَ النَّضر بْن الحَارِث حَتَّى جَلسَ مَعَهُمْ، وَفِي المَجْلس غَيْر وَاحِد مِنْ رِجَال قُرَيْش، فتكَلَّمَ رَسُول الله ﷺ ، فَعَرَضَ لهُ النَّضر بْن الحَارِث فَكَلَّمَهُ رَسُول الله ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ الآيَات (الأنبياء:٩٨). ثُمَّ قَامَ رَسُول الله ﷺ وَأَقْبَل عَبْد الله بْن الزِّبَعْرَى التَّمِيمِيّ حَتَّى جَلسَ، فَقَال الوَلِيد بْن الْمُغِيرَة لهُ: وَالله مَا قَامَ النَّضر بْن الحَارِث لابْنِ عَبْد الْمُطَّلب وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّد أَنَّا وَمَا نَعْبُد مِنْ آلِهَتنَا هَذِهِ حَصَب جَهَنَّم، فَقَال عَبْد الله بْن الزِّبَعْرَى: أَمَا وَالله لوْ وَجَدْته لخَصَمْته، سَلُوا مُحَمَّدًا أَكُلّ مَا يُعْبَد مِنْ دُون الله فِي جَهَنَّم مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُد المَلائِكَة، وَاليَهُود تَعْبُد عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُد المَسِيح ابْن مَرْيَم، فَعَجِبَ الوَلِيد وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي المَجْلس مِنْ قَوْل عَبْد الله بْن الزِّبَعْرَى، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ، فَذُكِرَ ذَلكَ لرَسُول الله ﷺ فَقَال: «**كُلّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَد مِنْ دُون الله فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُون الشَّيْطَان وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ**». فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء:١٠١)، أَيْ: عِيسَى وَعُزَيْر وَمَنْ عُبِدَ مَعَهُمَا مِنْ الأَحْبَار وَالرُّهْبَان، الَّذِينَ مَضَوْا عَلى طَاعَة الله ﷻ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يعبدهم مِنْ أَهْل الضَّلالة أَرْبَابًا مِنْ دُون الله، وَنَزَل فِيمَا يذكرون أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ المَلائِكَة وأنها بَنَات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ الآيَات (الأنبياء:٢٦)، وَنَزَل فِيمَا يُذْكَر مِنْ أَمْر عِيسَى، وَأَنَّهُ يُعْبَد مِنْ دُون الله، وَعَجِبَ الوَلِيد وَمَنْ حَضَرَ مِنْ حُجَّته وَخُصُومَته: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أَيْ: يَصِدُّونَ عَنْ أَمْرك بِذَلكَ مِنْ قَوْله. ثُمَّ ذُكِرَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام فَقَال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أَيْ: مَا وُضِعَت عَلى يَدَيْهِ مِنْ الآيَات مِنْ إِحْيَاء المَوْتَى، وَإِبْرَاء الأَسْقَام فَكَفَى بِهِ دَليلًا عَلى عِلم السَّاعَة، يَقُول: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

وَذَكَرَ ابْن جَرِير مِنْ رِوَايَة العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَوْله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ . قَال: يَعْنِي: قُرَيْشًا، لـمَّا قِيل لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء:٩٨) إِلى آخِر الآيَات. فَقَالتْ لهُ قُرَيْش: فَمَا ابْن مَرْيَم؟ قَال: «**ذَاكَ عَبْد الله وَرَسُوله**». فَقَالُوا: وَالله مَا يُرِيد هَذَا إِلَّا أَنْ نَتَّخِذهُ رَبًّا، كَمَا اتَّخَذَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْن مَرْيَم رَبًّا، فَقَال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.[1]

---

(١) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٥/ ٨٦) بسند ضعيف.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن القَاسِم، حَدَّثَنَا شَيْبَان عَنْ عَاصِم بْن أَبِي النَّجُود، عَنْ أَبِي رَزِين، عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى ابْن عُقَيْل الأَنْصَارِيّ، قَال: قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: لَقَدْ عَلِمْت آيَة مِنَ القُرْآن مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُل قَطُّ، فما أَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاس فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا فَيَسْأَلُوا عَنْهَا. قَال: ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا، فَلَمَّا قَامَ تَلاوَمْنَا أَنْ لا نَكُون سَأَلْنَاهُ عَنْهَا، فَقُلت: أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ غَدًا، فَلَمَّا رَاحَ الغَد قُلت: يَا بن عَبَّاس ذَكَرْت أَمْس أَنَّ آيَة مِنْ القُرْآن لَمْ يَسْأَلك عَنْهَا رَجُل قَطُّ، فَلا تدري أَعَلِمَهَا النَّاس أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا، فَقُلت: أَخْبِرْنِي عَنْهَا وَعَنْ اللَّاتِي قرأت قَبْلَهَا، قَال رضي الله عنه: نَعَمْ، إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لِقُرَيْشٍ: «**يَا مَعْشَر قُرَيْش، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَد يُعْبَد مِنْ دُون الله فِيهِ خَيْر**». وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْش أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُد عِيسَى ابْن مَرْيَم وَمَا تَقُول فِي مُحَمَّد ﷺ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد أَلَسْت تَزْعُم أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَاد الله صَالِحًا، فَإِنْ كُنْت صَادِقًا كَانَ آلِهَتهمْ كَمَا تَقُولُونَ: قَال: فَأَنْزَل الله: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ قُلت: مَا يَصِدُّونَ؟ قَال: يَضْحَكُونَ. ﴿**وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ قَال: هُوَ خُرُوج عِيسَى ابْن مَرْيَم قَبْل يَوْم القِيَامَة.[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يَعْقُوب الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا آدَم، حَدَّثَنَا شَيْبَان عَنْ عَاصِم بْن أَبِي النَّجُود عَنْ أَبِي أَحْمَد مَوْلَى الأَنْصَار عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَر قُرَيْش، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَد يُعْبَد مِنْ دُون الله فِيهِ خَيْر**». فَقَالُوا لَهُ: أَلَسْت تَزْعُم أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَاد الله صَالِحًا، فَقَدْ كَانَ يُعْبَد مِنْ دُون الله؟ فَأَنْزَل الله عز وجل: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾. وَقَال مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ قَالَتْ قُرَيْش: إِنَّمَا يُرِيد مُحَمَّد أَنْ نَعْبُدهُ كَمَا عَبَدَ قَوْم عِيسَى عِيسَى، وَنَحْو هَذَا قَال قَتَادَة.

وقوله: ﴿**وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾ قَال قَتَادَة: يَقُولُونَ: آلِهَتنَا خَيْر مِنْهُ. وَقَال قَتَادَة: قَرَأَ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه: «**وَقَالُوا آآلِهَتنَا خَيْر أَمْ هَذَا**»، يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﷺ. وَقَوْله: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا**﴾ أَيْ: مِرَاء، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَى الآيَة، لأَنَّهَا لِمَا لا يَعْقِل، وَهِيَ قَوْله: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾ (الأنبياء:٩٨)، ثُمَّ هِيَ خِطَاب لِقُرَيْشٍ، وَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ المَسِيح حَتَّى يُورِدُوهُ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ مَقَالَتهمْ إِنَّمَا كَانَتْ جَدَلًا مِنْهُمْ لَيْسُوا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتهَا، وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد - رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر، حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن دِينَار عَنْ أَبِي غَالِب عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْم بَعْد هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُورِثُوا الجَدَل**». ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[2] وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ وَابْن جَرِير مِنْ حَدِيث حَجَّاج بْن دِينَار بِهِ، ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثه. كَذَا قَال. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه بِزِيَادَةٍ، فَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا حُمَيْد بْن عَيَّاش الرَّمْلِيّ، حَدَّثَنَا مُؤَمَّل، حَدَّثَنَا حَمَّاد، أَخْبَرَنَا ابْن [مَخْزُوم][3] عَنْ القَاسِم أَبِي عَبْد الرَّحْمَن الشامي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَال حَمَّاد: لا أَدْرِي رَفَعَهُ أَمْ لا؟ قَال: مَا ضَلَّتْ أُمَّة بَعْد نَبِيّهَا إِلَّا كَانَ أَوَّل ضَلالهَا التَّكْذِيب بِالقَدَرِ، وَمَا ضَلَّتْ أُمَّة بَعْد نَبِيّهَا إِلَّا أُعْطُوا الجَدَل، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ**

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٣١٧) بسند حسن.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٥/ ٢٥٢)، وحسنه الألباني.

(٣) في الأزهرية: [ابن مغزوم].

خَصِمُونَ ﴾. وَقَال ابْن جَرِير أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ عباد بْن عَبَّاد عَنْ جَعْفَر عَنْ القَاسِم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَال: إِنَّ رَسُول الله ﷺ خَرَجَ عَلى النَّاس، وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي القُرْآن، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى كَأَنَّمَا صُبَّ عَلى وَجْهِه الخَلّ، ثُمَّ قَال ﷺ: **«لا تَضْرِبُوا كِتَاب الله بَعْضه بِبَعْضٍ، فَإِنَّهُ مَا ضَلَّ قَوْم قَطُّ إِلاَّ أُوتُوا الجَدَل»**. ثُمَّ تَلا ﷺ **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾**.

وقَوْله: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾** يَعْنِي: عِيسَى عليه السلام. مَا هُوَ إِلَّا عَبْد أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالة، **﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾** أَيْ: دَلالة وَحُجَّة وَبُرْهَانًا عَلى قُدْرَتنَا عَلى مَا نَشَاء، وَقَوْله: **﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾** أَيْ: بَدَلكُمْ، **﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾**، قَال السُّدِّيّ: يَخْلُفُونَك فِيهَا، وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَقَتَادَة: يَخْلُف بَعْضهمْ بَعْضًا كَمَا يَخْلُف بَعْضكُمْ بَعْضًا، وَهَذَا القَوْل يَسْتَلزِم الأَوَّل، وَقَال مُجَاهِد: يَعْمُرُونَ الأَرْض بَدَلكُمْ.

وقَوْله: **﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾** تَقَدَّمَ تَفْسِير ابْن إِسْحَاق أَنَّ المُرَاد مِنْ ذَلكَ مَا بُعِثَ بِهِ عِيسَى عليه السلام، مِنْ إِحْيَاء المَوْتَى وَإِبْرَاء الأَكْمَه وَالأَبْرَص وَغَيْر ذَلكَ مِنْ الأَسْقَام، وَفِي هَذَا نَظَر، وَأَبْعَد مِنْهُ مَا حَكَاهُ قَتَادَة عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ وَسَعِيد بْن جُبَيْر، أَنَّ الضَّمِير فِي **﴿وَإِنَّهُۥ﴾** عَائِد عَلى القُرْآن، بَل الصَّحِيح أَنَّهُ عَائِد عَلى عِيسَى، فَإِنَّ السِّيَاق فِي ذِكْره، ثُمَّ المُرَاد بِذَلكَ نُزُوله قَبْل يَوْم القِيَامَة، كَمَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى: **﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾** (النساء:١٥٩)، قَبْل مَوْت عِيسَى عليه السلام ثم **﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾** (النساء:١٥٩)، وَيُؤَيِّد هَذَا المَعْنَى القِرَاءَة الأُخْرَى: **﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾** أَيْ: أَمَارَة وَدَليل عَلى وُقُوع السَّاعَة. قَال مُجَاهِد: **﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾** أَيْ: آيَة للسَّاعَةِ خُرُوج عِيسَى ابْن مَرْيَم قَبْل يَوْم القِيَامَة. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَابْن عَبَّاس وَأَبِي العَاليَة وَأَبِي مَالك وَعِكْرِمَة وَالحَسَن وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَغَيْرهمْ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الأَحَادِيث عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِنُزُول عِيسَى ابن مريم عليه السلام قَبْل يَوْم القِيَامَة إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا.

وَقَوْله: **﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾** أَيْ: لا تَشُكُّوا فِيهَا، إِنَّهَا وَاقِعَة وَكَائِنَة لا مَحَالة، **﴿وَٱتَّبِعُونِ ﴾** أَيْ: فِيمَا أُخْبِرُكُمْ بِهِ، **﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾** أَيْ: عَنْ اتِّبَاع الحَقّ؛ **﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾** أَيْ: بِالنُّبُوَّةِ، **﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾**. قَال ابْن جَرِير: يَعْنِي مِنْ الأُمُور الدِّينِيَّة لا الدُّنْيَوِيَّة. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ حَسَن جَيِّد، ثُمَّ رَدَّ قَوْل مَنْ زَعَمَ أَنَّ «بَعْض» هَهُنَا بِمَعْنَى «كُلّ»، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْل لبِيد الشَّاعِر حَيْثُ قَال:

تَـــرَّاك أَمْكِنَـــة إِذَا لمْ أَرْضَـــهَا ۞ أَوْ يَعْتَلِـق بَعْـضَ النُّفُـوس حِمَامهَـا

وَأَوَّلُوهُ عَلى أَنَّهُ أَرَادَ جَمِيع النُّفُوس. قَال ابْن جَرِير: وَإِنَّمَا أَرَادَ نَفْسه فَقَطْ، وَعَبَّرَ بِالبَعْضِ عَنْهَا. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ مُحْتَمَل. وَقَوْله: **﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾** أَيْ: فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، **﴿وَأَطِيعُونِ ﴾** فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ؛ **﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾** أَيْ: أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيد لهُ، فُقَرَاء إِليْهِ، مُشْتَرِكُونَ فِي عِبَادَته وَحْده لا شَرِيك لهُ، **﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾** أَيْ: هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ هُوَ الصِّرَاط المُسْتَقِيم، وَهُوَ عِبَادَة الرَّبّ عز وجل وَحْده. وقوله: **﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾** أَيْ: اخْتَلفَتْ الفِرَق وَصَارُوا شِيَعًا فِيهِ، مِنْهُمْ مَنْ يُقِرّ بِأَنَّهُ عَبْد الله وَرَسُوله، وَهُوَ الحَقّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَلد الله، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول: إِنَّهُ الله؛ تَعَالى الله عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَلهَذَا قَال: **﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾**.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالى: هَل يَنْتَظِر هَؤُلاءِ المُشْرِكُونَ المُكَذِّبُونَ للرُّسُل ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَيْ: فَإِنَّهَا كَائِنَة لا مَحَالة وَوَاقِعَة، وَهَؤُلاءِ غَافِلُونَ عَنها غَيْر مُسْتَعِدِّينَ، فَإِذَا جَاءَتْ إِنَّمَا تَجِيء وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ بِهَا، فَحِينَئِذٍ يَنْدَمُونَ كُلّ النَّدَم، حَيْثُ لا يَنفعهُمْ وَلا يَدْفَع عَنْهُمْ. وقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أَيْ: كُلّ صَدَاقَة وَصَحَابَة لغَيْرِ الله، فَإِنَّهَا تَنْقَلب يَوْم القِيَامَة عَدَاوَة، إِلَّا مَا كَانَ لله ﷻ فَإِنَّهُ دَائِم بِدَوَامِهِ، وَهَذَا كَمَا قَال إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:٢٥).

وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الحَارِث عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قَال: خَلِيلانِ مُؤْمِنَانِ، وَخَلِيلانِ كَافِرَانِ، فَتُوُفِّي أَحَد المُؤْمِنَيْنِ وَبُشِّرَ بِالجَنَّةِ، فَذَكَرَ خَلِيله، فَقَال: اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانًا خَلِيلِي كَانَ يَأْمُرنِي بِطَاعَتِك وَطَاعَة رَسُولك، وَيَأْمُرنِي بِالخَيْرِ وَيَنْهَانِي عَنْ الشَّرّ، وَيُنَبِّئنِي أَنِّي مُلاقِيك، اللَّهُمَّ فَلا تُضِلّهُ بَعْدِي حَتَّى تُرِيه مِثْل مَا أَرَيْتنِي، وَتَرْضَى عَنْهُ كَمَا رَضِيت عَنِّي، فَيُقَال لَهُ: اذْهَبْ فَلَوْ تَعْلَم مَا لَهُ عِنْدِي لَضَحِكْت كَثِيرًا وَبَكَيْت قَلِيلًا، قَال: ثُمَّ يَمُوت الآخَر فَتَجْتَمِع أَرْوَاحهمَا فَيُقَال: لِيُثْنِ أَحَدكُمَا عَلَى صَاحِبه فَيَقُول كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ: نِعْمَ الأَخ وَنِعْمَ الصَّاحِب وَنِعْمَ الخَلِيل. وَإِذَا مَاتَ أَحَد الكَافِرَيْنِ وَبُشِّرَ بِالنَّارِ ذَكَرَ خَلِيله، فَيَقُول: اللَّهُمَّ إِنَّ خَلِيلِي فُلانًا كَانَ يَأْمُرنِي بِمَعْصِيَتِك وَمَعْصِيَة رَسُولك. وَيَأْمُرنِي بِالشَّرّ، وَيَنْهَانِي عَنْ الخَيْر، وَيُخْبِرنِي أَنِّي غَيْر مُلاقِيك. اللَّهُمَّ فَلا تَهْدِهِ بَعْدِي حَتَّى تُرِيَه مِثْل مَا أَرَيْتنِي، وَتَسْخَط عَلَيْهِ كَمَا سَخِطْت عَلَيَّ. قَال: فَيَمُوت الكَافِر الآخَر فَيُجْمَع بَيْن أَرْوَاحهمَا فَيُقَال: لِيُثْنِ كُلّ وَاحِد مِنْكُمَا عَلى صَاحِبه، فَيَقُول كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ: بِئْسَ الأَخ وَبِئْسَ الصَّاحِب وَبِئْسَ الخَلِيل. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَقَتَادَة: صَارَتْ كُلّ خُلَّة عَدَاوَة يَوْم القِيَامَة إِلَّا المُتَّقِينَ، وَرَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة هِشَام بْن أَحْمَد عَنْ هِشَام بْن عَبْد الله بْن كَثِير حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بْن الخَضِر بِالرَّقَّةِ عَنْ مُعَافَى [حَدَّثَنَا][1] حَكِيم بْن نَافِع عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي الله أَحَدهمَا بِالمَشْرِقِ وَالآخَر بِالمَغْرِبِ لَجَمَعَ الله بَيْنهمَا يَوْم القِيَامَة، يَقُول: هَذَا الَّذِي أَحْبَبْته فِيَّ**».[2]

وقوله: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [ثم بَشَّرَهُمْ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ أَيْ: آمَنَتْ قُلُوبهمْ وَبَوَاطِنهمْ، وَانْقَادَتْ لِشَرْعِ الله جَوَارِحهمْ وَظَوَاهِرهمْ، قَال المُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ أَبِيهِ: إِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة، فَإِنَّ النَّاس حِين يُبْعَثُونَ لا يَبْقَى أَحَد مِنْهُمْ إِلَّا فَزِعَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ

---

(١) في الأزهرية: [ابن].

(٢) إسناده ضعيف: في إسناده حكيم بن نافع القرشي ضعيف.

عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾][1] فيَرْجُوهَا النَّاس كُلّهمْ، قَال: فيَتَّبِعهَا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ قَال: فيَيْأَس النَّاس مِنْهَا غَيْر الْمُؤْمِنِينَ. ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أَيْ: يُقَال لهُمْ: ادْخُلُوا الجَنَّة ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ أَيْ: نُظَرَاؤُكُمْ ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أَيْ: تَنَعَّمُونَ وَتَسْعَدُونَ، وَقَدْ تقدَّم تفْسيرُها فِي سُورَة «الرُّوم».

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴾ أَيْ: زَبَادِي آنِيَة الطَّعَام، ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ وَهِيَ: آنِيَة الشَّرَاب، أَيْ: مِنْ ذَهَب لا خَرَاطِيم لهَا وَلا عُرَى، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ وَقَرَأَ بَعْضهمْ: «تَشْتَهِيه الأَنْفُس». ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ أَيْ: طِيب الطَّعْم وَالرِّيح وَحُسن المَنْظَر. قَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيل بْن أَبِي سَعِيد عن عِكْرِمَة مَوْلَى ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّة مَنْزِلة وَأَسْفَلهمْ دَرَجَة لرَجُلٌ لا يَدْخُل الجَنَّة بَعْده أَحَد، يُفْسَح لهُ فِي بَصَره مَسِيرَة مِائَة عَام فِي قُصُور مِنْ ذَهَب، وَخِيَام مِنْ لُؤْلُؤ، ليْسَ فِيهَا مَوْضِع شِبْر إلاَّ مَعْمُور يُغَدَّى عَليْهِ وَيُرَاح بِسَبْعِينَ أَلف صَحْفَة مِنْ ذَهَب، ليْسَ فِيهَا صَحْفَة إلاَّ فِيهَا لوْن ليْس فِي الأُخْرَى مِثْله، شَهْوَته فِي آخِرهَا كَشَهْوَتِهِ فِي أَوَّلهَا، لوْ نَزَل بِهِ جَمِيع أَهْل الأَرْض لوَسِعَ عَليْهِمْ مِمَّا أُعْطِيَ لا يَنْقُص ذَلكَ مِمَّا أُوتِيَ شَيْئًا**».[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَليّ بْن الحُسَيْن بْن الجُنَيْد، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن سَوَّاد السَّرْحِيّ، حَدَّثنا عَبْد الله ابْن وَهْب عَنْ ابْن لهِيعَة عَنْ عُقَيْل بْن خَالد عَنْ الحَسَن عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّ أَبَا أُمَامَة رضي الله عنه حَدَّثَ أَنَّ رَسُول الله ﷺ حَدَّثَهُمْ وَذَكَرَ الجَنَّة، فَقَال: «**وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ، ليَأْخُذَن أَحَدكُمْ اللُّقْمَة فَيَجْعَلهَا فِي فِيهِ، ثُمَّ يَخْطِر عَلى بَاله طَعَام آخَر، فَيَتَحَوَّل الطَّعَام الَّذِي فِي فِيهِ عَلى الَّذِي اشْتَهَى**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[3]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن -هُوَ ابْن مُوسَى- حَدَّثَنَا سكين بْن عَبْد العَزِيز، حَدَّثَنَا الأَشْعَث الضَّرِير عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّة مَنْزِلة إن لهُ لسَبْعُ دَرَجَات وَهُوَ عَلى السَّادِسَة وَفَوْقه السَّابِعَة، وَإِنَّ لهُ ثَلثمِائَةِ خَادِم، وَيُغَدَّى عَليْهِ وَيُرَاح كُلّ يَوْم بِثَلثمِائَةِ صَحْفَة، وَلا أَعْلمهُ إلاَّ قَال: مِنْ ذَهَب، فِي كُلّ صَحْفَة لوْن ليْسَ فِي الأُخْرَى، وَإِنَّهُ ليَلذّ أَوَّله كَمَا يَلذّ آخِره، وَمِنْ الأَشْرِبَة ثَلثمِائَةِ إِنَاء فِي كُلّ إِنَاء، لوْن ليْسَ فِي الآخَر، وَإِنَّهُ ليَلذّ أَوَّله كَمَا يَلذّ آخِره، وَإِنَّهُ ليَقُولُ: رَبّ لوْ أَذِنْت لي لأَطْعَمْت أَهْل الجَنَّة وَسَقَيْتهمْ لمْ يَنْقُص مِمَّا عِنْدِي شَيْء، وَإِنَّ لهُ مِنْ الحُور العِين لاثنتين وَسَبْعِينَ زَوْجَة سِوَى أَزْوَاجه مِنْ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الوَاحِدَة مِنْهُنَّ ليَأْخُذ مَقْعَدهَا قَدْر مِيل مِنْ الأَرْض**».[4]

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا﴾ أَيْ: فِي الجَنَّة ﴿خَـٰلِدُونَ﴾ أَيْ: لا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلا تَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. ثُمَّ قِيل لهُمْ عَلى وَجه التَّفَضُّل وَالامْتِنَان: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أَيْ: أَعْمَالكُمْ الصَّالحَة كَانَتْ سَبَبًا لشُمُول رَحْمَة الله إِيَّاكُمْ، فَإِنَّهُ لا يُدْخِل أَحَدًا عَمَله الجَنَّة، وَلكِنْ بفضل من الله ورحمته، وَإِنَّمَا الدَّرَجَات تَفَاوُتهَا بِحَسَبِ عمل الصَّالحَات. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الفَضْل بْن شَاذَانَ المقرئ حَدَّثَنَا يُوسُف

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) إسناده ضعيف : لإرساله.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٧) وغيره بسند ضعيف.

ابْن يَعْقُوب -يَعْنِي الصَّفَّار- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**كُلّ أَهْل النَّار يَرَى مَنْزِله مِنْ الجنَّة حَسْرَة، فَيَقُول:** ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (الزمر:٥٧)، وَكُلّ أَهْل الجنَّة يَرَى مَنْزِله مِنَ النَّار، فَيَقُول: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف:٤٣)، **فَيَكُون لهُ شُكْرًا**». قَال: وَقَال رَسُول الله ﷺ : «**مَا مِنْ أَحَد إلاّ وَلهُ مَنْزِل فِي الجنَّة، وَمَنْزِل فِي النَّار، فَالكَافِر يَرِث المُؤْمِن مَنْزِله مِنْ النَّار. وَالمُؤْمِن يَرِث الكَافِر مَنْزِله مِنْ الجنَّة**».[1] وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وقَوْله: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أَيْ: مِنْ جَمِيع الأَنْوَاع، ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أَيْ: مَهْمَا اخْتَرْتُمْ وَأَرَدْتُم. وَلـمَّا ذَكَرَ الطَّعَام وَالشَّرَاب ذَكَرَ بَعْده الفَاكِهَة لِتَتِمّ النِّعْمَة وَالغِبْطَة.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

لـمَّا ذَكَرَ حَال السُّعَدَاء ثَنَّى بِذِكْرِ الأَشْقِيَاء، فَقَال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾. أَيْ: سَاعَة وَاحِدَة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أَيْ: آيِسُونَ مِنْ كُلّ خَيْر، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَيْ: بِأَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَة بَعْد قِيَام الحجج عَلَيْهِمْ وَإِرْسَال الرُّسُل إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوا وَعَصَوْا، فَجُوزُوا بِذَلِكَ جَزَاء وِفَاقًا، وَمَا رَبّك بِظَلَّامٍ للعَبِيدِ. ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ وَهُوَ: خَازِن النَّار. قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن مِنْهَال حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ عَمْرو بْن عَطَاء عَنْ صَفْوَان بْن يَعْلى عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ عَلى المِنْبَر: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أَيْ: لِيَقْبِض أَرْوَاحنَا فَيُرِيحنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر:٣٦)، وَقَال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (الأعلى:١١-١٣).

فَلَمَّا سَأَلُوا أَنْ يَمُوتُوا أَجَابَهُمْ مَالك ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.[2] قَال ابْن عَبَّاس: مَكَثَ أَلْف سَنَة، ثُمَّ قَال: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. أَيْ: لا خُرُوج لكُمْ مِنْهَا، وَلا محِيد لكُمْ عَنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ سَبَب شِقْوَتهمْ، وَهُوَ مُخَالَفَتهمْ للحَقّ، وَمُعَانَدَتهمْ لهُ فقَال: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: بَيَّنَّاهُ لكُمْ وَوَضَّحْنَاهُ وَفَسَّرْنَاهُ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ أَيْ: وَلكِنْ كَانَتْ سَجَايَاكُمْ لا تَقْبَلهُ، وَلا تُقْبِل عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَنْقَاد للبَاطِل وَتُعَظِّمهُ، وَتَصُدّ عَنْ الحَقّ وَتَأْبَاهُ وَتُبْغِض أَهْله، فَعُودُوا عَلى أَنْفُسكُمْ بِالمَلامَةِ، وَانْدَمُوا حَيْثُ لا تَنْفَعكُمْ النَّدَامَة، ثم قَال تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ قَال مُجَاهِد: أَرَادُوا كَيْد شَرّ فَكِدْنَاهُمْ، وَهَذَا الَّذِي قَالهُ مُجَاهِد، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل:٥٠)، وَذَلِكَ لأَنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا يَتَحَيَّلُونَ فِي رَدّ الحَقّ بِالبَاطِل بِحِيَلٍ، وَمَكْر يَسْلُكُونَهُ، فَكَادَهُمْ الله وَرَدَّ وَبَال ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، ولهذا قَال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ أَيْ: سِرّهمْ وَعَلانِيَتهمْ، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أَيْ: نَحْنُ نَعْلم مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَالمَلائِكَة أَيْضًا يَكْتُبُونَ أَعْمَالهمْ، صَغِيرهَا وَكَبِيرهَا.

---

(١) صحيح : تقـدم.
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨١٩).

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

يَقُول تَعالى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أَيْ: لَوْ فُرِضَ هَذَا لعَبَدْتُهُ على ذَلكَ؛ لأَنِّي عَبْد مِنْ عَبِيده، مُطِيع لجَمِيعِ مَا يَأْمُرنِي بِهِ، لَيْسَ عِنْدِي اسْتِكْبَار وَلا إِبَاء عَنْ عِبَادَته، فَلَوْ فُرِضَ هَذَا لكَانَ هَذَا، وَلكِنَّ هَذَا مُمْتَنِع فِي حَقّه تَعَالى، وَالشَّرْط لا يَلزَم مِنْهُ الوُقُوع وَلا الجَوَاز أَيْضًا، كَمَا قَال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الزمر:٤)، وَقَال بَعْض المُفَسِّرِينَ فِي قَوْله: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أَيْ: الآنِفِينَ.

وَمِنْهُمْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ وَالبُخَارِيّ، حَكَاهُ، فَقَال: وَيُقَال: ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الجَاحِدِينَ، مِنْ عَبَدَ يَعْبَدُ، وَذَكَرَ ابْن جَرِير لِهَذَا القَوْل مِنْ الشَّوَاهِد مَا رَوَاهُ عَنْ يُونُس بْن عَبْد الأَعْلى عَنْ ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي ابْن أَبِي ذِئْب عَنْ أَبِي قُسَيْطٍ عَنْ بَعْجَة بْن زيد الجُهَنِيّ أَنَّ امْرَأَة مِنْهُمْ دَخَلتْ عَلى زَوْجهَا وَهُوَ رَجُل مِنْهُمْ أَيْضًا، فَوَلدَتْ لهُ فِي سِتَّة أَشْهُر، فَذَكَرَ ذَلكَ زَوْجهَا لعُثْمَان بْن عَفَّان ﷺ، فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُرْجَم، فَدَخَل عَليْهِ عَليّ بْن أَبِي طَالب ﷺ، فَقَال: إِنَّ الله يَقُول فِي كِتَابه: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف:١٥)، وَقَال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان:١٤)، قَال: فَوَالله مَا عَبَدَ عُثْمَان ﷺ أَنْ بَعَثَ إِليْهَا تُرَدّ، قَال يُونُس: قَال ابْن وَهْب: عَبَد اسْتَنْكَفَ، قَال الشَّاعِر:

مَتَى مَا يَشَأْ ذُو الوُدّ يَصْرُم خَليلَه ❁ وَيَعْبَدْ عَليْهِ لا مَحَالَة ظَالِمَا

وَهَذَا القَوْل فِيهِ نَظَر؛ لأَنَّهُ كَيْف يَلتَئِم مَعَ الشَّرْط فَيَكُون تَقْدِيره: إِنْ كَانَ هَذَا فَأَنَا مُمْتَنِع مِنْهُ؟ هَذَا فِيهِ نَظَر، فَليُتَأَمَّل. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَال: إِنَّ «إِن» ليْسَتْ شَرْطًا، وَإِنَّمَا هِيَ نَافِيَة، كَمَا قَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ فِي قَوْله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ يَقُول: لمْ يَكُنْ للرَّحْمَنِ وَلد، فَأَنَا أَوَّل الشَّاهِدِينَ.

وَقَال قَتَادَة: هِيَ كَلمَة مِنْ كَلام العَرَب: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أَيْ: إِنَّ ذَلكَ لمْ يَكُنْ فَلا يَنْبَغِي، وَقَال أَبُو صَخْر: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أَيْ: فَأَنَا أَوَّل مَنْ عَبَدَهُ بِأَنْ لا وَلد لهُ، وَأَوَّل مَنْ وَحَّدَهُ، وَكَذَا قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ، وَقَال مُجَاهِد: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أَيْ: أَوَّل مَنْ عَبَدَهُ وَوَحَّدَهُ وَكَذَّبَكُمْ.

وَقَال البُخَارِيّ: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الآنِفِينَ: وَهُمَا لُغَتَانِ رَجُل عَابِد، وَعَبِدٌ، وَالأَوَّل أَقْرَب عَلى أَنَّهُ شَرْط وَجَزَاء، وَلكِنْ هُوَ مُمْتَنِع، وَقَال السُّدِّيّ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ يَقُول: لوْ كَانَ لهُ وَلد كُنْت أَوَّل مَنْ عَبَدَهُ بِأَنَّ لهُ وَلدًا وَلكِنْ لا وَلد لهُ، وهذا اخْتِيَار ابْن جَرِير، وَرَدَّ قَوْل مَنْ زَعَمَ أَنَّ «إِنْ» نَافِيَة. ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَيْ: تَعَالى وَتَقَدَّس، وَتَنَزَّهَ خَالق الأَشْيَاء عَنْ أَنْ يَكُون لهُ وَلد، فَإِنَّهُ فَرْد أَحَد صمد، لا نَظِير لهُ وَلا كُفْء لهُ، فَلا وَلد لهُ. وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ أَيْ: فِي

جَهْلهمْ وَضَلالهمْ ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فِي دُنْيَاهُمْ ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وَهُوَ يَوْم القِيَامَة، أَيْ: فَسَوْفَ يَعْلمُونَ كَيْف يَكُون مَصِيرهمْ، وَمَآلهمْ وَحَالهمْ فِي ذَلكَ اليَوْم، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أَيْ: هُوَ إِله مَنْ فِي السَّمَاء، وَإِله مَنْ فِي الأَرْض يَعْبُدهُ أَهْلهمَا، وَكُلّهمْ خَاضِعُونَ لهُ، أَذِلَّاء بَيْن يَدَيْهِ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام:٣)، أَيْ: هُوَ المَدْعُوّ اللهُ فِي السَّمَوَات وَالأَرْض، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أَيْ: هُوَ خَالقهمَا وَمَالكهمَا، وَالمُتَصَرِّف فِيهِمَا، بِلا مُدَافعَة وَلا مُمَانعَة، فَسُبْحَانه وَتَعَالى عَنْ الوَلد ﴿وَتَبَارَكَ﴾، أَيْ: اسْتَقَرَّ لهُ السَّلامَة مِنْ العُيُوب وَالنَّقَائِص، لأَنَّهُ الرَّبّ العَلِيّ العَظِيم، المَالك للأَشْيَاءِ، الَّذِي بِيَدِهِ أَزِمَّة الأُمُور نَقْضًا وَإِبْرَامًا. ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أَيْ: لا يُجَلِّيهَا لوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: فَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أَيْ: مِنْ الأَصْنَام وَالأَوْثَان ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أَيْ: لا يَقْدِرُونَ عَلى الشَّفَاعَة لهُمْ، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع، أَيْ: لكِنْ مَنْ شَهِدَ بِالحَقّ عَلى بَصِيرَة وَعِلم، فَإِنَّهُ تَنْفَع شَفَاعَته عِنْده بِإِذْنِهِ لهُ. ثم قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أَيْ: وَلئِنْ سَأَلت هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِالله العَابِدِينَ مَعَهُ غَيْره: ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: هُمْ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ الخَالق للأَشْيَاءِ جَمِيعهَا، وَحْده لا شَرِيك لهُ فِي ذَلكَ، وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْره مِمَّنْ لا يَمْلك شَيْئًا وَلا يَقْدِر عَلى شَيْء، فَهُمْ فِي ذَلكَ فِي غَايَة الجَهْل وَالسَّفَاهَة وَسَخَافَة العَقْل.

وَلهَذَا قَال: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. وقوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: وَقَال مُحَمَّد ﷺ قِيله، أَيْ: شَكَا إِلى رَبّه شَكْوَاهُ مِنْ قَوْمه الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، فَقَال: يَا رَبّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْم لا يُؤْمِنُونَ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالى فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:٣٠)، وَهَذَا الَّذِي قُلنَاهُ هُوَ قَوْل ابْن مَسْعُود رضي الله عنه وَمُجَاهِد وَقَتَادَة، وَعَليْهِ فَسَّرَ ابْن جَرِير، قَال البُخَارِيّ: وَقَرَأَ عَبْد الله -يَعْنِي ابْن مَسْعُود رضي الله عنه-: (وَقَال الرَّسُول يَا رَبّ)، وَقَال مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قَال: فأبرَّ الله قَوْل مُحَمَّد ﷺ.

وَقَال قَتَادَة: هُوَ قَوْل نَبِيّكُمْ ﷺ يَشْكُو قَوْمه إِلى رَبّه عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ حَكَى ابْن جَرِير فِي قَوْله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ قِرَاءَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا النَّصْب، وَلهَا تَوْجِيهَانِ: أَحَدهمَا: أَنَّهُ مَعْطُوف عَلى قَوْله: ﴿نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾. وَالثَّانِي: أَنْ يُقَدَّر فِعْل (وَقَال قِيله)، وَالثَّانِيَة: الخَفْض، (وَقِيلِه) عَطْفًا عَلى قَوْله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وَتَقْدِيره: وَعِلم قِيله. وقوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أَيْ: المُشْرِكِينَ، ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ أَيْ: لا تُجَاوِبهُمْ بِمِثْل مَا يُخَاطِبُونَك بِهِ مِنْ الكَلام السَّيِّئ، وَلكِنْ تَأَلَّفهُمْ وَاصْفَحْ عَنْهُمْ فِعْلًا وَقَوْلًا، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا تَهْدِيد منه تَعَالى لهُمْ، وَلهَذَا أَحَلَّ بِهِمْ بَأْسه الَّذِي لا يُرَدّ، وَأَعْلى دِينه وَكَلمَته، وَشَرَعَ بَعْد ذَلكَ الجِهَاد وَالجِلاد، حَتَّى دَخَل النَّاس فِي دِين الله أَفْوَاجًا، وَانْتَشَرَ الإِسْلام فِي المَشَارِق وَالمَغَارِب.

آخِر تَفْسِير سُورَة الزُّخْرُف، ولله الحَمْدُ وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ الدُّخَانِ وهي مكية

ترتيبها ٤٤ — وآياتها ٥٩

قَال التِّرْمِذِيّ: حَدَّثنَا سُفْيَان بْن وَكِيع، حَدَّثنَا زيد بْن الحُبَاب عَنْ عمر بْن أَبِي خَثْعَم عَنْ يَحْيَى بْن أَبى كَثِير، عَنْ أَبِي سَلمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ قرَأَ حم الدُّخَان فِي ليْلة أَصبَحَ يَسْتَغفِر لهُ سَبْعُونَ أَلف ملَك»**[1]. ثُمَّ قَال: غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه، وَعَمْر بْن أَبِي خَثْعَم يُضَعَّف، قَال البُخَارِيّ: مُنْكَر الحَدِيث، ثُمَّ قَال: حَدَّثنَا نَصر بْن عَبْد الرَّحْمَن الكُوفِيّ حَدَّثنَا زَيْد بْن الحُبَاب عَنْ هِشَام أَبِي المِقْدَام عَنْ الحَسَن عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ قرَأَ (حم الدُّخَان) فِي ليْلة الجُمُعَة غُفِرَ لهُ»**[2]. ثُمَّ قَال: غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه، وَهِشَام أَبُو المِقْدَام يُضَعَّف، وَالحَسَن لمْ يَسْمَع مِنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه. كَذَا قَال [أَيُّوب][3] وَيُونُس بْن عُبَيْد وَعَليّ بْن زَيْد، وَفِي مُسْنَد البَزَّار مِنْ رِوَايَة أَبِي الطُّفَيْل عَامِر بْن وَاثِلة عَنْ زَيْد ابْن حَارِثَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لابْنِ صَيَّاد: **«إِنِّي قدْ خَبَأْت خَبأً فَمَا هُوَ؟»**. وَخَبَّأَ لهُ رَسُول الله ﷺ سُورَة الدُّخَان، فَقَال: هُوَ الدُّخّ، فَقَال: **«اخسَأْ، مَا شَاءَ الله كَان»**. ثُمَّ انْصَرَف.[4]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ⑥ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ⑦ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ القُرْآن العَظِيم إنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر:١)، وَكَانَ ذَلكَ فِي شَهْر رَمَضَان، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ (البقرة:١٨٥)، وَقَدْ ذَكَرْنَا الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي ذَلكَ فِي سُورَة البَقَرَة بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته، وَمَنْ قَال: إِنَّهَا ليْلة النِّصْف مِنْ شَعْبَان، كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَة فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَة، فَإِنَّ نَصَّ القُرْآن أَنَّهَا فِي رَمَضَان، وَالحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ عَبْد الله بْن صَالح عَنْ اللَّيْث عَنْ عُقَيْل عَنْ الزُّهْرِيّ، أَخْبَرَنِي عُثْمَان بْن مُحَمَّد بْن المُغِيرَة بْن الأَخْنَس: أن رَسُول الله ﷺ قَال: **«تُقْطَع الآجَال مِنْ شَعْبَان إِلى شَعْبَان حَتَّى إِنَّ الرَّجُل ليَنْكِحُ وَيُولد لهُ وَقَدْ أُخْرِجَ اسْمه فِي المَوْتَى»**[5]. فَهُوَ حَدِيث مُرْسَل، وَمِثْله لا يُعَارَض بِهِ النُّصُوص.

وَقَوْله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أَيْ: مُعَلِّمِينَ النَّاس مَا يَنْفَعهُمْ وَيَضُرّهُمْ شَرْعًا؛ لتَقُومَ حُجَّة الله عَلى عِبَاده. وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أَيْ: فِي ليْلة القَدْر يُفْصَل مِنْ اللَّوْح المَحْفُوظ إِلى الكَتَبَة أَمْر السَّنَة، وَمَا يَكُون فِيهَا مِنْ الآجَال وَالأَرْزَاق وَمَا يَكُون فِيهَا إِلى آخِرهَا. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن عمر وَأَبِي مَالك وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف. وَقَوْله: ﴿حَكِيمٍ﴾ أَيْ: مُحْكَم لا يُبَدَّل وَلا يُغَيَّر، ولهذا قال: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أَيْ: جَمِيع مَا يَكُون وَيُقَدِّرهُ الله تَعَالى، وَمَا يُوحِيه فَبِأَمْرِهِ وَإِذْنه وَعِلمه، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أَيْ: إِلى النَّاس رَسُولًا يَتْلُو عَليْهِمْ آيَات الله مُبَيِّنَات، فَإِنَّ الحَاجَة كَانَتْ مَاسَّة إِليْهِ؛ ولهذا قال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ⑥ رَبِّ

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٨٨٨) بسند ضعيف.
(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٩٠) بسند ضعيف. هشام أبو المقدام ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.
(٣) في الأزهرية: [أبو زيد].
(٤) صحيح من حديث ابن مسعود: هذا الإسناد أخرجه البزار (٣٣٩٢) «كشف»، والحديث أصله في «الصحيحين».
(٥) ضعيف: لإرساله، ولضعف عبد الله بن صالح.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ أَيْ: الَّذِي أَنْزَل القُرْآن هُوَ رَبّ السَّمَوَات وَالأَرْض، وَخَالقهمَا وَمَالكهمَا وَمَا فِيهِمَا، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتم متحققين. ثم قَال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ (الأعراف:١٥٨) الآيَة.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى: بَل هَؤُلاءِ المُشْرِكُونَ ﴿فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾، أَيْ: قَدْ جَاءَهُمْ الحَقّ اليَقِين، وَهُمْ يَشُكُّونَ فِيهِ، وَيَمْتَرُونَ وَلا يُصَدِّقُونَ بِهِ، ثم قال تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾.

قَال سُليمَان بْن مِهْرَان الأَعْمَش: عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلم بْن صُبَيْح، عَنْ مَسْرُوق قَال: دَخَلنَا المَسْجِد -يَعْنِي: مَسْجِد الكُوفَة- عِنْد أَبْوَاب كِنْدَة، فَإِذَا رَجُل يَقُصّ عَلى أَصْحَابه، ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ تَدْرُونَ مَا ذَلكَ الدُّخَان؟ ذَلكَ دُخَان يَأْتِي يَوْم القِيَامَة، فَيَأْخُذ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ وَأَبْصَارهِمْ، وَيَأْخُذ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ شِبْه الزُّكَام، قَال: فَأَتَيْنَا ابْن مَسْعُود ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلكَ لهُ وَكَانَ مُضْطَجِعًا، فَفَزِعَ فَقَعَدَ، وَقَال: إِنَّ الله ﷻ قَال لنَبِيِّكُمْ ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص:٨٦)، إِنَّ مِنْ العِلم أَنْ يَقُول الرَّجُل لمَا لا يَعْلم: الله أَعْلم سَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلكَ، إِنَّ قُرَيْشًا لمَّا أَبْطَأَتْ عَنْ الإِسْلام وَاسْتَعْصَتْ عَلى رَسُول الله ﷺ دَعَا عَليْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُف، فَأَصَابَهُمْ مِنْ الجَهْد وَالجُوع حَتَّى أَكَلُوا العِظَام وَالمَيْتَة، وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ أَبْصَارهمْ إِلى السَّمَاء فَلا يَرَوْنَ إِلَّا الدُّخَان، وَفِي رِوَايَة: فَجَعَل الرَّجُل يَنْظُر إِلى السَّمَاء فَيَرَى مَا بَيْنه وَبَيْنهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَان مِنْ الجَهْد.

قَال الله تَعَالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، فَأُتِيَ رَسُول الله ﷺ، فَقِيل: يَا رَسُول الله، اسْتَسْقِ الله لمُضَرَ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلكَتْ، فَاسْتَسْقَى ﷺ لهُمْ فَسُقُوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ قَال ابْن مَسْعُود ﷺ: فَيُكْشَف عَنْهُمْ العَذَاب يَوْم القِيَامَة، فَلمَّا أَصَابَهُمْ الرَّفَاهِيَة عَادُوا إِلى حَالهِمْ، فَأَنْزَل الله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قَال: يَعْنِي يَوْم بَدْر. قَال ابْن مَسْعُود ﷺ فَقَدْ مَضَى خَمْسَة: الدُّخَان، وَالرُّوم، وَالقَمَر، وَالبَطْشَة، وَاللِّزَام. وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّج فِي الصَّحِيحَيْنِ.[1] وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَده، وَهُوَ عِنْد التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي تَفْسِيرَيْهِمَا، وَعِنْد ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طُرُق مُتَعَدِّدَة عَنْ الأَعْمَش بِهِ، وَقَدْ وَافَقَ ابْن مَسْعُود ﷺ عَلى تَفْسِير الآيَة بِهَذَا، وَأَنَّ الدُّخَان مَضَى: جَمَاعَة مِنْ السَّلف، كَمُجَاهِدٍ وَأَبِي العَاليَة وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ وَالضَّحَّاك وَعَطِيَّة العَوْفِيّ، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن مُسَافِر، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن حَسَّان، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن الأَعْرَج فِي قَوْله: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ قَال: كَانَ يَوْم فَتْح مَكَّة، وَهَذَا القَوْل غَرِيب جِدًّا بَل مُنْكَر. وَقَال آخَرُونَ: لمْ يَمْضِ الدُّخَان بَعْد، بَل هُوَ مِنْ أَمَارَات السَّاعَة، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيث أَبِي سَرِيحَة حُذَيْفَة بْن أَسِيد الغِفَارِيّ ﷺ، قَال: أَشْرَفَ عَليْنَا رَسُول الله ﷺ مِنْ غُرْفَة، وَنَحْنُ نَتَذَاكَر السَّاعَة، فَقَال ﷺ: **«لا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى تَرَوْا عَشْر آيَات: طُلُوع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا، وَالدُّخَان، وَالدَّابَّة، وَخُرُوج يَأْجُوج وَمَأْجُوج، وَخُرُوج عِيسَى ابْن مَرْيَم، وَالدَّجَّال، وَثَلاثَة خُسُوف: خَسْف بِالمَشْرِق، وَخَسْف بِالمَغْرِب، وَخَسْف بِجَزِيرَة العَرَب،**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨).

وَنَار تَخرُج مِنْ قَعْر عَدَن تَسُوق النَّاس -أَوْ تَحْشِر النَّاس-: تَبِيت مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيل مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا»[١]. انفرد بِإِخْرَاجِهِ مُسْلم فِي صَحِيحه، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لابْنِ صَيَّاد: «**إِنِّي خَبَّأْت لك خبأ**». قَال: هُوَ الدُّخ، فَقَال له ﷺ: «**اخسأ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرك**». قَال: وَخَبَّأَ لهُ رَسُول الله ﷺ: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾[٢]. وَهَذَا فِيهِ إِشْعَار بِأَنَّهُ مِنَ الْمُنْتَظَر الْمُرْتَقب، وَابْن صَيَّاد كَاشِف عَلى طَرِيقَة الكُهَّان بِلِسَانِ الجَانّ، وَهُمْ يُقَرطمون العِبَارَة، وَلِهَذَا قَال: «**هُوَ الدُّخ**»، يَعْنِي: الدُّخَان. فَعِنْدهَا عَرَفَ رَسُول الله ﷺ مَادَّته وَأَنَّهَا شَيْطَانِيَّة، فَقَال له ﷺ: «**اخسأ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرك**».

ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: وَحَدَّثَنِي عِصَام بْن رَوَّاد بْن الجَرَّاح، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن سَعِيد الثَّوْرِيّ، حَدَّثَنَا مَنْصُور بْن الْمُعْتَمِر عَنْ رِبْعِيّ بْن حِرَاش قَال: سَمِعْت حُذَيْفَة بْن اليَمَان رضي الله عنه يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّل الآيَات الدَّجَّال وَنُزُول عِيسَى ابْن مَرْيَم، وَنَار تَخرُج مِنْ قَعْر عَدَن أَبْيَن، تَسُوق النَّاس إِلى المَحْشَر، تَقِيل مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَالدُّخَان** -قَال حُذَيْفَة رضي الله عنه: يَا رَسُول الله وَمَا الدُّخَان؟ فَتَلا رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾- **يَمْلأ مَا بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب، يَمْكُث أَرْبَعِين يَوْمًا وَلَيْلَة، أَمَّا الْمُؤْمِن فَيُصِيبهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكْمَة، وَأَمَّا الكَافِر فَيَكُون بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَان، يَخْرُج مِنْ مَنْخِرَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَدُبُره**».[٣] قَال ابْن جَرِير: ولَوْ صَحَّ هَذَا الحَدِيث لكَانَ فَاصِلًا، وَإِنَّمَا لَمْ أَشْهَد لهُ بِالصِّحَّةِ؛ لأَنَّ مُحَمَّد بْن خَلف العَسْقَلانِيّ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَأَل رَوَّادًا عَنْ هَذَا الحَدِيث هَل سَمِعَهُ مِنْ سُفْيَان؟ فَقَال لهُ: لا، قَال: أَقَرأْته عَلَيْهِ؟ قَال: لا، قَال: فَقُلت لهُ: فَقُرِئَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ حَاضِر فَأَقَرَّ بِهِ؟ فَقَال: لا. فَقُلت لهُ: فَمِنْ أَيْنَ جِئْت بِهِ؟ فَقَال: جَاءَنِي بِهِ قَوْم فَعَرَضُوهُ عَلَيَّ، وَقَالُوا لِي: اسمعه مِنَّا، فَقَرَءُوهُ عَلَيَّ، ثُمَّ ذَهَبُوا به، فَحَدَّثُوا بِهِ عَنِّي، أَوْ كَمَا قَال. وَقَدْ أَجَادَ ابْن جَرِير فِي هَذَا الحَدِيث هَهُنَا، فَإِنَّهُ مَوْضُوع بِهَذَا السَّنَد، وَقَدْ أَكْثَرَ ابْن جَرِير مِنْ سِيَاقه فِي أَمَاكِن مِنْ هَذَا التَّفْسِير، وَفِيهِ مُنْكَرَات كَثِيرَة جِدًّا، وَلاسِيَّمَا فِي أَوَّل سُورَة بَنِي إِسْرَائِيل فِي ذِكْر المَسْجِد الأَقْصَى، وَالله أَعْلَم.

[وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا صَفْوَان، حَدَّثَنَا الوَلِيد، حَدَّثَنَا خُلَيد عَنْ الحَسَن عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**يَهِيج الدُّخَان بِالنَّاسِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيَأْخُذهُ كَالزُّكْمَةِ، وَأَمَّا الكَافِر فَيَنْفُخهُ حَتَّى يَخرُج مِنْ كُلّ مِسْمَع مِنْهُ**».[٤] وَرَوَاهُ سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة عَنْ الحَسَن عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه مَوْقُوفًا، ورواه عَوْف عَنْ الحَسَن قوله][٥].

وَقَال ابْن جَرِير أَيْضًا: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَوْف، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل [بْن عَيَّاش، حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي ضَمْضَم ابْن زُرْعَة عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد][٦] عَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ رَبّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلاثًا: الدُّخَان يَأْخُذ الْمُؤْمِن كَالزُّكْمَةِ، وَيَأْخُذ الكَافِر فَيَنْتَفِخ حَتَّى يَخرُج مِنْ كُلّ مِسْمَع مِنْهُ، وَالثَّانِيَة الدَّابَّة وَالثَّالِثَة الدَّجَّال**»[٧]. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ عَنْ هَاشِم بْن يَزِيد عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش بِهِ، وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن صَالح بْن مُسْلم، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ

---

(١) **صحيح**: تقـدم.
(٢) **صحيح**: تقـدم.
(٣) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٨) بسند ضعيف.
(٤) **إسناده ضعيف**: ويشهد له حديث حذيفة السابق.
(٥) سقط من الأزهرية.
(٦) سقط من الأزهرية.
(٧) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٨)، والطبراني (٣/ ٢٩٢) بسند ضعيف.

الحَارِث عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه قَال: لَمْ تَمْضِ آيَة الدُّخَان بَعْد، يَأْخُذ الْمُؤْمِن كَهَيْئَةِ الزُّكَام، وَتَنْفُخ الكَافِر حَتَّى [يَنْفُذ](١).

وَرَوَى ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث الوَلِيد بْن جُمَيْع عَنْ عَبْد المَلِك بْن المُغِيرَة، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن البيلماني عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: يَخْرُج الدُّخَان فَيَأْخُذ الْمُؤْمِن كَهَيْئَةِ الزُّكَام، وَيَدْخُل فِي مَسَامِع الكَافِر وَالْمُنَافِق حَتَّى يَكُون كَالرَّأْسِ الحَنِيذ أَيْ: المَشْوِيّ عَلَى الرَّضْف، ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة عَنْ ابْن جُرَيْج عَنْ عَبْد الله ابْن أَبِي مُلَيْكَة، قَال: غَدَوْت عَلَى ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما ذَات يَوْم، فَقَال: مَا نِمْتُ اللَّيْلَة حَتَّى أَصْبَحْت. قُلت: لِمَ؟ قَال: قَالُوا: طَلَعَ الكَوْكَب ذُو الذَّنَب، فَخَشِيت أَنْ يَكُون الدُّخَان قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْت حَتَّى أَصْبَحْت.(٢) وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن أَبِي عُمَر عَنْ سُفْيَان عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي يَزِيد، عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فَذَكَرَهُ، وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح إِلَى ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما حَبْر الأُمَّة وَتُرْجُمَان القُرْآن. وَهَكَذَا قَوْل مَنْ وَافَقَهُ مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ أَجْمَعِينَ مَعَ الأَحَادِيث المَرْفُوعَة مِنْ الصِّحَاح وَالحِسَان وَغَيْرهمَا الَّتِي أوردناها مِمَّا فِيهِ مَقْنَع، وَدَلالة ظَاهِرَة عَلَى أَنَّ الدُّخَان مِنْ الآيَات المُنْتَظَرَة مَعَ أَنَّهُ ظَاهِر القُرْآن، قَال الله تَعَالَى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: بَيِّن وَاضِح يَرَاهُ كُلّ أَحَد، وَعَلَى مَا فَسَّرَ بِهِ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه إِنَّمَا هُوَ خَيَال رَأَوْهُ فِي أَعْيُنهمْ مِنْ شِدَّة الجُوع وَالجَهْد، وهكذا قَوْله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أَيْ: يَتَغَشَّاهُمْ وَيَعُمُّهم، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا خَيَالِيًّا يَخُصّ أَهْل مَكَّة المُشْرِكِينَ لَمَا قِيل فِيهِ: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾.

وَقَوْله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيْ: يُقَال لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (الطور:١٣،١٤)، أَوْ يَقُول بَعْضهمْ لبَعْضٍ ذَلكَ. وقَوْله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: يَقُول الكَافِرُونَ إِذَا عَايَنُوا عَذَاب الله، وَعِقَابه سَائِلِينَ رَفْعه وَكَشْفه عَنْهُمْ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام:٢٧)، وَكَذَا قَوْله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (إبراهيم:٤٤). وهكذا قَال هَهُنَا: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

[يَقُول: كَيْف لَهُمْ بِالتَّذَكُّر وَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا بَيِّنَ الرِّسَالة وَالنِّذَارَة، وَمَعَ هَذَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَمَا وَافَقُوهُ، بَل كَذَّبُوهُ وَقَالُوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾](٣) وَهَذَا كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ الآيَة (الفجر:٢٣-٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ (سبأ:٥١-٥٤) وقَوْله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾، يَحْتَمِل مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدهمَا: أَنَّهُ يقوله تَعَالَى: وَلَوْ كَشَفْنَا عَنْكُمْ العَذَاب وَرَجَعْنَاكُمْ إِلَى الدَّار الدُّنْيَا، لعُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ الكُفْر وَالتَّكْذِيب، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (المؤمنون:٧٥)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٨).

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُون المُرَاد: إِنَّا مُؤَخِّرُو العَذَاب عَنْكُمْ **قَلِيلًا بَعْد انْعِقَاد أَسْبَابه وَوُصُوله إِلَيْكُمْ.** وَأَنْتُمْ

(١) في «نسخة»: [ينفد].
(٢) أخرجه الطبري (٢٥/ ٦٨).
(٣) سقط من الأزهرية.

مُسْتَمِرُّونَ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ الطُّغْيَان وَالضَّلال، وَلا يَلزَم مِنْ الكَشْف عَنْهُمْ أَنْ يَكُون بَاشَرَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس:٩٨). وَلَمْ يَكُنْ العَذَاب بَاشَرَهُمْ، وَاتَّصل بِهِمْ، بَل كَانَ قَدْ انْعَقَدَ سَبَبه عَليْهِمْ، وَلا يَلزَم أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا قَدْ أَقْلعُوا عَنْ كُفْرهمْ ثُمَّ عَادُوا إِليْهِ، قَال الله تَعَالى إِخْبَارًا عَنْ شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَال لقَوْمِهِ حِين قَالُوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ﴾ (الأعراف:٨٨، ٨٩)، وَشُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَامُ لمْ يَكُنْ قَطُّ عَلى مِلَّتهمْ وَطَرِيقَتهمْ، وَقَال قَتَادَة: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إِلى عَذَاب الله. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: فَسَّرَ ذَلكَ ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِيَوْم بَدْر، وَهَذَا قَوْل جَمَاعَة مِمَّنْ وَافَقَ ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلى تَفْسِيره الدُّخَان بِمَا تَقَدَّمَ، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ رِوَايَة العَوْفِيّ عَنْهُ، وَعَنْ أُبَيّ بْن كَعْب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [وجماعه][1] وَهُوَ مُحْتَمَل، وَالظَّاهِر أَنَّ ذَلكَ يَوْم القِيَامَة، وَإِنْ كَانَ يَوْم بَدْر يَوْم بَطْشَة أَيْضًا. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب حَدَّثَنَا ابْن عُليَّة، حَدَّثَنَا خَالد الحَذَّاء عَنْ عِكْرِمَة قَال: قَال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَال ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: البَطْشَة الكُبْرَى يَوْم بَدْر، وَأَنَا أَقُول: هِيَ يَوْم القِيَامَة. وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح عَنْهُ، وَبِهِ يَقُول الحَسَن البَصْرِيّ وَعِكْرِمَة فِي أَصَحّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾.

يَقُول تَعَالى: وَلقَدْ اخْتَبَرْنَا قَبْل هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ قَوْم فِرْعَوْن وَهُمْ قِبْط مِصْر، ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يَعْنِي: مُوسَى كَليمه، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ (طه:٤٧)، وَقَوْله: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أَيْ: مَأْمُون عَلى مَا أُبَلِّغكُمُوهُ. وَقَوْله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ أَيْ: لا تَسْتَكْبِرُوا عَنْ اتِّبَاع آيَاته، وَالانْقِيَاد لحُجَجِهِ، وَالإِيمَان بِبَرَاهِينِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠)، ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: بِحُجَّةٍ ظَاهِرَة وَاضِحَة، وَهِيَ مَا أَرْسَلهُ الله بِهِ مِنْ الآيَات البَيِّنَات، وَالأَدِلَّة القَاطِعَات. ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَبُو صَالح: هُوَ الرَّجْم بِاللِّسَانِ، وَهُوَ الشَّتْم. وَقَال قَتَادَة: الرَّجْم بِالحِجَارَةِ، أَيْ أَعُوذ بِالله الَّذِي خَلقَنِي وَخَلقَكُمْ مِنْ أَنْ تَصِلُوا إِليَّ بِسُوءٍ مِنْ قَوْل أَوْ فِعْل، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أَيْ: فَلا تَتَعَرَّضُوا لِي وَدَعُوا الأَمْر بَيْنِي وَبَيْنكُمْ مُسَالمَة إِلى أَنْ يَقْضِيَ الله بَيْننَا. فَلمَّا طَال مَقَامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْن أَظْهُرهمْ وَأَقَامَ حُجَج الله عَليْهِمْ. كُلّ ذَلكَ وَمَا زَادَهُمْ ذَلكَ إِلَّا كُفْرًا وَعِنَادًا، دَعَا رَبّه عَليْهِمْ دَعْوَة نَفَذَتْ فِيهِمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ

(١) زيادة من (ط).

رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ (يونس:٨٨، ٨٩). وهكَذَا قَال هَهُنَا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ فَعِنْد ذَلكَ أَمَرَهُ الله تَعالى أَنْ يَخْرُج بِبَنِي إِسْرَائِيل مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ مِنْ غَيْر أَمْر فِرْعَوْن وَمُشَاوَرَته وَاسْتِئْذَانه، وَلهَذَا قَال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ كَمَا قَال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (طه:٧٧).

وقوله ههنا: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وَذَلكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لـمَّا جَاوَزَ هُوَ وَبَنُو إِسْرَائِيل البَحْر، أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبهُ بِعَصَاهُ حَتَّى يَعُود كَمَا كَانَ، لِيَصِيرَ حَائِلًا بَيْنهمْ وَبَيْن فِرْعَوْن فَلا يَصِل إِلَيْهِمْ، فَأَمَرَهُ الله أَنْ يَتْرُكهُ عَلى حَاله سَاكِنًا، وَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُمْ جُنْد مُغْرَقُونَ فِيهِ، وَأَنَّهُ لا يَخَاف دَرَكًا وَلا يَخْشَى، قَال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ كهيئته وَامْضِهِ، وَقَال مُجَاهِد: ﴿رَهْوًا﴾ طَرِيقًا يَبَسًا كهيئته. يَقُول: لا تَأْمُرهُ يَرْجِع اتْرُكْهُ حَتَّى يَرْجِع آخِرهمْ، وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَابْن زَيْد وَكَعْب الأَحْبَار وَسِمَاك بْن حَرْب وَغَيْر وَاحِد. ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾ وَهِيَ: البَسَاتِين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ﴾ وَالمُرَاد بِهَا: الأَنْهَار وَالآبَار، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ وَهِيَ المَسَاكِن الأَنِيقَة وَالأَمَاكِن الحَسَنَة، وَقَال مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ المَنَابِر، وَقَال ابْن لَهِيعَة عَنْ وَهْب بْن عَبْد الله المَعَافِرِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: نِيل مِصْر سَيِّد الأَنْهَار، سَخَّرَ الله لَهُ كُلّ نَهَر بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب، وذلّله لَهُ، فَإِذَا أَرَادَ الله أَنْ يُجْرِي نِيل مِصْر أَمَرَ كُلّ نَهَر أَنْ يَمُدّهُ فَأَمَدَّتْهُ الأَنْهَار بِمَائِهَا، وَفَجَّرَ الله لَهُ الأَرْض عُيُونًا، فَإِذَا انْتَهَى جَرْيه إِلى مَا أَرَادَ الله أَوْحَى الله إِلى كُلّ مَاء أَنْ يَرْجِع إِلى عُنْصُره.

وَقَال فِي قوله تَعَالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ قَال: كَانَتْ الجِنَان بِحَافَّتَيْ هذا النِّيل مِنْ أَوَّله إِلى آخِره فِي الشِّقَّيْنِ جَمِيعًا، مَا بَيْن أَسْوَان إِلى رَشِيد، وَكَانَ لَهُ تسعة خلج: خَلِيج الإِسْكَنْدَرِيَّة، وَخَلِيج دِمْيَاط، وَخَلِيج سَرْدُوس، وَخَلِيج مَنْف، وَخَلِيج الفَيُّوم، وَخَلِيج المَنْهِي، مُتَّصِلة لا يَنْقَطِع مِنْهَا شَيْء عَنْ شَيْء، وَزَرْع مَا بَيْن الجَبَلَيْنِ، كُلّه مِنْ أَوَّل مِصْر إِلى آخِر مَا يَبْلُغهُ المَاء، وَكَانَتْ جَمِيع أَرْض مِصْر تُرْوَى مِنْ سِتَّة عَشَرَ ذِرَاعًا، لَمَّا قَدَّرُوا وَدَبَّرُوا مِنْ قَنَاطِرهَا وَجُسُورهَا وَخُلُجهَا، ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ أَيْ: عِيشَة كَانُوا يَتَفَكَّهُونَ فِيهَا، فَيَأْكُلُونَ مَا شَاءُوا، وَيَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا مَعَ الأَمْوَال، والجَاهَات وَالحُكْم فِي البِلاد، فَسُلِبُوا ذَلكَ جَمِيعه فِي صَبِيحَة وَاحِدَة وَفَارَقُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلى جَهَنَّم وَبِئْسَ المَصِير، وَاسْتَوْلى عَلى البِلاد المِصْرِيَّة وَتِلك الحَوَاصِل الفِرْعَوْنِيَّة وَالمَمَالك القِبْطِيَّة بَنُو إِسْرَائِيل، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء:٥٩)، وَقَال فِي موضع آخر: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف:١٣٧)، وقَال هَهُنَا: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيل، كَمَا تَقَدَّمَ.

وقَوْله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أَيْ: لمْ تَكُنْ لهُمْ أَعْمَال صَالحَة تَصْعَد فِي أَبْوَاب السَّمَاء فَتَبْكِي عَلى فَقْدهمْ، وَلا لهُمْ فِي الأَرْض بِقَاع عَبَدُوا الله فِيهَا فَقَدَتْهُمْ، فَلهَذَا اسْتَحَقُّوا أَنْ لا يُنْظَرُوا وَلا يُؤَخَّرُوا؛ لكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامهمْ وَعُتُوِّهِمْ وَعِنَادهمْ.

قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ فِي مُسْنَده: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِسْحَاق البَصْرِيّ، حَدَّثَنَا مَكِّيّ بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا مُوسَى ابْن عُبَيْدَة، حَدَّثَنِي يَزِيد الرَّقَاشِيّ حَدَّثَنِي أَنَس بْن مَالِك ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَا مِنْ عَبْد إِلاَّ وَلَهُ فِي السَّمَاء بَابَان: بَاب يَخْرُج مِنْهُ رِزْقه، وَبَاب يَدْخُل فِيه عَمَله وَكَلامه، فَإِذَا مَاتَ فَقَدَاهُ وَبَكَيَا عَلَيْهِ»[1]. وَتَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى الأَرْض عَمَلًا صَالِحًا يَبْكِي عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَصْعَد لَهُمْ إِلَى السَّمَاء مِنْ كَلامهمْ وَلا مِنْ عَمَلهمْ كَلام طَيِّب وَلا عَمَل صَالِح، فَتَفْقِدهُمْ فَتَبْكِي عَلَيْهِمْ. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث مُوسَى بْن عُبَيْدَة وَهُوَ الرَّبَذِيّ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن طَلْحَة، حَدَّثَنِي عِيسَى بْن يُونُس عَنْ صَفْوَان بْن عَمْرو عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد الحَضْرَمِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «إِنَّ الإِسْلام بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، أَلا لا غُرْبَة عَلى مُؤْمِن، مَا مَاتَ مُؤْمِن فِي غُرْبَة غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيه إِلاَّ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاء وَالأَرْض». ثُمَّ قَرَأَ رَسُول الله ﷺ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثُمَّ قَال: «إِنَّهُمَا لا يَبْكِيَانِ عَلَى الكَافِر».[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عِصَام، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد -يَعْنِي الزُّبَيْرِيّ- حَدَّثَنَا العَلاء بْن صَالِح عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو عَنْ عَبَّاد بْن عَبْد الله قَال: سَأَل رَجُل عَلِيًّا ﷺ: هَل تَبْكِي السَّمَاء وَالأَرْض عَلَى أَحَد؟ فَقَال لَهُ: لَقَدْ سَأَلتنِي عَنْ شَيْء مَا سَأَلنِي عَنْهُ أَحَد قَبْلك، إِنَّهُ لَيْسَ عَبْد إِلَّا لَهُ مُصَلًّى فِي الأَرْض ومُصْعَد عَمَله مِنْ السَّمَاء. وَإِنَّ آل فِرْعَوْن لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَمَل صَالِح فِي الأَرْض، وَلا عَمَل يَصْعَد فِي السَّمَاء، ثُمَّ قَرَأَ عَلِيّ ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا طَلق بْن غَنَّام عَنْ زَائِدَة عَنْ مَنْصُور عَنْ مِنْهَال عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: أَتَى ابْن عَبَّاس ﷺ رَجُل فَقَال: يَا أَبَا عَبَّاس، أَرَأَيْت قَوْل الله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾. فَهَل تَبْكِي السَّمَاء وَالأَرْض عَلَى أَحَد؟ قَال ﷺ : نَعَمْ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَد مِنْ الخَلائِق إِلَّا وَلَهُ بَاب فِي السَّمَاء، مِنْهُ يَنْزِل رِزْقه وَفِيهِ يَصْعَد عَمَله، فَإِذَا مَاتَ المُؤْمِن فَأُغْلِقَ بَابه مِنْ السَّمَاء الَّذِي كَانَ يَصْعَد فِيهِ عَمَله وَيَنْزِل مِنْهُ رِزْقه؛ بَكَى عَلَيْهِ، وَإِذَا فَقَدَهُ مُصَلَّاهُ مِنْ الأَرْض الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَيَذْكُر الله فِيهَا بَكَتْ عَلَيْهِ، وَإِنَّ قَوْم فِرْعَوْن لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الأَرْض آثَار صَالِحَة، وَلَمْ يَكُنْ يَصْعَد إِلَى الله مِنْهُمْ خَيْر، فَلَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمْ السَّمَاء وَالأَرْض، وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ نَحْو هَذَا. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي يَحْيَى القَتَّات عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ قَال: كَانَ يُقَال: تَبْكِي الأَرْض عَلَى المُؤْمِن أَرْبَعِينَ صَبَاحًا. [وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَغَيْر وَاحِد. وَقَال مُجَاهِد أَيْضًا: مَا مَاتَ مُؤْمِن إِلَّا بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاء وَالأَرْض أَرْبَعِينَ صَبَاحًا][3]، قَال: فَقُلت لَهُ: أَتَبْكِي الأَرْض؟ فَقَال: أَتَعْجَبُ؟ وَمَا للأَرْض لا تَبْكِي عَلَى عَبْد كَانَ يَعْمُرهَا بِالرُّكُوع وَالسُّجُود؟ وَمَا للسَّمَاء لا تَبْكِي عَلَى عَبْد كَانَ لتَكْبِيرِهِ وَتَسْبِيحه فِيهَا دَوِيّ كَدَوِيّ النَّحْل؟ وَقَال قَتَادَة: كَانُوا أَهْوَن عَلَى الله مِنْ أَنْ تَبْكِي عَلَيْهِمْ السَّمَاء وَالأَرْض.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا عَبْد السَّلام بْن عَاصِم، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا المُسْتَوْرِد بْن سَابِق عَنْ عُبَيْد المُكْتِب عَنْ إِبْرَاهِيم قَال: مَا بَكَتْ السَّمَاء مُنْذُ كَانَتْ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى اثْنَيْن، قُلت

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٤١٣٣) بسند ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢٥/ ٧٥) بسند ضعيف، لكن الفقرة الأولى صحيحة.
(٣) سقط من الأزهرية.

لعُبَيْدٍ: أَلَيْسَ السَّمَاء وَالأَرْض تَبْكِي عَلى الْمُؤْمِن؟ قَال: ذَاكَ مَقَامه حَيْثُ يَصْعَد عَمَله. قَال: وَتَدْرِي مَا بُكَاء السَّمَاء؟ قُلت: لا. قَال: تَحْمَرّ وَتَصِير وَرْدَة كَالدِّهَانِ، إِنَّ يَحْيَى بْن زَكَرِيَّا لَـمَّا قُتِل احْمَرَّتْ السَّمَاء وَقَطَرَتْ دَمًا، وَإِنَّ الْحُسَيْن بْن عَلِيّ رضي الله عنهما لَـمَّا قُتِل احْمَرَّتْ السَّمَاء. وَحَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الْحُسَيْن، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان مُحَمَّد بْن عَمْرو - زُنَيْج - حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ يَزِيد بْن أَبِي زِيَاد قَال: لَـمَّا قُتِل الْحُسَيْن بْن عَلِيّ رضي الله عنهما احْمَرَّتْ آفَاق السَّمَاء أَرْبَعَة أَشْهُر، قَال يَزِيد: وَاحْمِرَارهَا بُكَاؤُهَا، وَهَكَذَا قَال السُّدِّيّ الْكَبِير، وَقَال عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ: بُكَاؤُهَا أَنْ تَحْمَرّ أَطْرَافهَا، وَذَكَرُوا أَيْضًا فِي مَقْتَل الْحُسَيْن رضي الله عنه أَنَّهُ مَا قُلِّبَ حَجَر يَوْمئِذٍ إِلَّا وُجِدَ تَحْته دَم عَبِيط، وَأَنَّهُ كَسَفَتْ الشَّمْس وَاحْمَرَّ الأُفُق وَسَقَطَتْ حِجَارَة، وَفِي كُلّ ذَلكَ نَظَر، وَالظَّاهِر أَنَّهُ مِنْ سُخْف الشِّيعَة وَكَذِبهِمْ؛ لِيُعَظِّمُوا الأَمْر، وَلا شَكَّ أَنَّهُ عَظِيم، وَلكِنْ لَمْ يَقَع هَذَا الَّذِي اخْتَلقُوهُ وَكَذَبُوهُ، وَقَدْ وَقَعَ مَا هُوَ أَعْظَم مِنْ قَتْل الْحُسَيْن رضي الله عنه وَلَمْ يَقَع شَيْء مِمَّا ذَكَرُوهُ، فَإِنَّهُ قَدْ قُتِل أَبُوهُ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه، وَهُوَ أَفْضَل مِنْهُ بِالإِجْمَاعِ، وَلَمْ يَقَع ذَلكَ، وَعُثْمَان بْن عَفَّان رضي الله عنه قُتِل مَحْصُورًا مَظْلُومًا، وَلَمْ يَكُنْ شَيْء مِنْ ذَلكَ، وَعُمَر بْن الْخَطَّاب رضي الله عنه قُتِل فِي الْمِحْرَاب فِي صَلاة الصُّبْح، وَكَأَنَّ الْمُسْلمِينَ لَمْ تَطْرُقهُمْ مُصِيبَة قَبْل ذَلكَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْء مِنْ ذَلكَ. وَهَذَا رَسُول الله ﷺ، وَهُوَ سَيِّد الْبَشَر فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، يَوْم مَاتَ لَمْ يَكُنْ شَيْء مِمَّا ذَكَرُوهُ. وَيَوْم مَاتَ إِبْرَاهِيم ابْن النَّبِيّ ﷺ خَسَفَتْ الشَّمْس، فَقَال النَّاس: خَسَفَتْ لمَوْتِ إِبْرَاهِيم، فَصَلَّى بِهِمْ رَسُول الله ﷺ صَلاة الْكُسُوف، وَخَطَبَهُمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الشَّمْس وَالْقَمَر لا يَنْخَسِفَانِ لمَوْتِ أَحَد وَلا لحَيَاتِهِ.

وقَوْله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يَمْتَنّ عَليْهِمْ تَعَالى بِذَلكَ، حَيْثُ أَنْقَذَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ إِهَانَة فِرْعَوْن وَإِذْلاله لهُمْ، وَتَسْخِيره إِيَّاهُمْ فِي الأَعْمَال الْمُهِينَة الشَّاقَّة. وَقَوْله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ أَيْ: مُسْتَكْبِرًا جَبَّارًا عَنِيدًا، كَقَوْلهِ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص:٤)، وَقَوْله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ (المؤمنون:٤٦)، سَرِفًا فِي أَمْره، سَخِيف الرَّأْي عَلى نَفْسه.

وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال مجاهد: ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على مَنْ هُمْ بَيْن ظَهْرَيْهِ. وَقَال قَتَادَة: اخْتِيرُوا عَلى أَهْل زَمَانهمْ ذَلكَ، وَكَانَ يُقَال: إِنَّ لكُلِّ زَمَان عَالمًا، وهذه كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (الأعراف:١٤٤)، أَيْ: أَهْل زَمَانه، وكَقَوْلهِ لمَرْيَم: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٤٢)، أَيْ: فِي زمانها، فَإِنَّ خَدِيجَة رضي الله عنها أَفْضَل مِنْهَا، وَكَذَا آسِيَة بِنْت مُزَاحِم امْرَأَة فِرْعَوْن أَوْ مُسَاوِيَة لهَا فِي الفَضْل، وَفَضْل عَائِشَة رضي الله عنها عَلى النِّسَاء كَفَضْل الثَّرِيد عَلى سَائِر الطَّعَام.

وقَوْله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أَيْ: الْحُجَج وَالبَرَاهِين وَخَوَارِق العَادَات، ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ أَيْ: اخْتِبَار ظَاهِر جَليّ لمَنْ اهْتَدَى بِهِ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى الْمُشْرِكِينَ فِي إِنْكَارهمْ البَعْث وَالمَعَاد، وَأَنَّهُ مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الحَيَاة الدُّنْيَا، وَلا حَيَاة بَعْد المَمَات وَلا بَعْث وَلا نُشُور، وَيَحْتَجُّونَ بِآبَائِهِمْ المَاضِينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا، فَلَمْ يَرْجِعُوا، فَإِنْ كَانَ البَعْث حَقًّا ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. وَهَذِهِ حُجَّة بَاطِلة وَشُبْهَة فَاسِدَة، فَإِنَّ المَعَاد إِنَّمَا هُوَ يَوْم القِيَامَة لا فِي هذه الدَّار بَعْد

انْقِضَائِهَا وَذَهَابِهَا وَفَرَاغِهَا، يُعِيد الله العَالِمِينَ خَلقًا جَدِيدًا، وَيَجْعَل الظَّالِمِينَ لنَارِ جَهَنَّم وَقُودًا، يَوْم تَكُونُون شُهَدَاء عَلَى النَّاس، وَيَكُون الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، ثُمَّ قَال تَعَالى مُتَهَدِّدًا لهُمْ، وَمُتَوَعِّدًا وَمُنْذِرًا لهُمْ بَأْسه الَّذِي لا يُرَدّ كَمَا حَلَّ بِأَشْبَاهِهِمْ وَنُظَرَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ والْمُنْكِرِينَ للبَعْثِ وكَقَوْمِ تُبَّع، وَهُمْ سَبَأ، حَيْثُ أَهْلَكَهُمْ الله وَخَرَّبَ بِلادهمْ وَشَرَّدَهُمْ فِي البِلاد وَفَرَّقَهُمْ شَذَر مَذَر، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلكَ فِي سُورَة سَبَأ وَهِيَ مُصَدَّرَة بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ للمَعَادِ، وَكَذَلكَ هَهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأُولئِكَ، وَقَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحطَان، كَمَا أَنَّ هَؤُلاءِ عَرَب مِنْ عَدْنَان، وَقَدْ كَانَتْ حِمْيَر وَهُمْ سَبَأ، كُلَّمَا مَلكَ فِيهِمْ رَجُل سَمَّوْهُ تُبَّعًا، كَمَا يُقَال كِسْرَى لمَنْ مَلكَ الفَرس، وَقَيْصَر لمَنْ مَلك الرُّوم، وَفِرْعَوْن لمَنْ مَلكَ مِصْر كَافِرًا، وَالنَّجَاشِيّ لمَنْ مَلكَ الحَبَشَة، وَغَيْر ذَلكَ مِنْ أَعْلام الأَجْنَاس. وَلكِنْ اتُّفِقَ أَنَّ بَعْض تَبَابِعَتهمْ خَرَجَ مِنْ اليَمَن، وَسَارَ فِي البِلاد حَتَّى وَصَل إِلى سَمَرْقَنْد، وَاشْتَدَّ مُلكه، وَعَظُمَ سُلطَانه وَجَيْشه، وَاتَّسَعَتْ مَمْلكَته وَبِلاده، وَكَثُرَتْ رَعَايَاهُ، وَهُوَ الَّذِي مَصَّرَ الحِيرَة، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَّ بِالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة وَذَلكَ فِي أَيَّام الجَاهِلِيَّة، فَأَرَادَ قِتَال أَهْلهَا فَمَانَعُوهُ وَقَاتَلُوهُ بِالنَّهَارِ، وَجَعَلُوا يَقْرُونَهُ باللَّيْل فَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ حَبْرَيْنِ مِنْ أَحْبَار يَهُود كَانَا قَدْ نَصَحَاهُ، وَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُ لا سَبِيل لهُ عَلى هَذِهِ البَلدَة، فَإِنَّهَا مُهَاجَر نَبِيّ يَكُون فِي آخِر الزَّمَان، فَرَجَعَ عَنْهَا، وَأَخَذَهُمَا مَعَهُ إِلى بِلاد اليَمَن، فَلَمَّا اجْتَازَ بِمَكَّة أَرَادَ هَدْم الكَعْبَة فَنَهَيَاهُ أَيْضًا، وَأَخْبَرَاهُ بِعَظَمَةِ هَذَا البَيْت، وَأَنَّهُ مِنْ بِنَاء إِبْرَاهِيم الخَلِيل، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لهُ شَأْن عَظِيم عَلى يَدَيْ ذَلكَ النَّبِيّ المَبْعُوث فِي آخِر الزَّمَان، فَعَظَّمَهَا وَطَافَ بِهَا وَكَسَاهَا المُلاء وَالوَصَائِل والحبير، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلى اليَمَن، وَدَعَا أَهْلهَا إِلى التهوُّد مَعَهُ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ دِين مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِيهِ مَنْ يَكُون عَلى الهِدَايَة قَبْل بَعْثَة المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَهَوَّدَ مَعَهُ عَامَّة أَهْل اليَمَن، وَقَدْ ذَكَرَ القِصَّة بِطُولهَا الإِمَام مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي كِتَابه السِّيرَة، وَقَدْ تَرْجَمَهُ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَارِيخه تَرْجَمَة حَافِلة، أَوْرَدَ فِيهَا أَشْيَاء كَثِيرَة مِمَّا ذَكَرْنَا وما لمْ [يَذْكُر][1]. وَذَكَرَ أَنَّهُ مَلكَ دِمَشْق وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَعْرَضَ الخَيْل صُفَّتْ لهُ الخيل مِنْ دِمَشْق إِلى اليَمَن. ثُمَّ سَاقَ مِنْ طَرِيق عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ ابْن أَبِي ذِئْب عَنْ المَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**مَا أَدْرِي الحُدُود طَهَارَة لأَهْلهَا أَمْ لا؟ وَلا أَدْرِي تُبَّع لَعِينًا كَانَ أَمْ لا؟ وَلا أَدْرِي ذُو القَرْنَيْنِ نَبِيًّا كَانَ أَمْ مَلكًا؟**».[2] وَقَال غَيْره: «**أعزيرًا كان نَبِيًّا أَمْ لا؟**». وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ مُحَمَّد بْن حَمَّاد الطَّهْرَانِيّ عَنْ عَبْد الرَّزَّاق. قَال الدَّارَقُطْنِيّ: تَفَرَّدَ بِهِ عَبْد الرَّزَّاق.

ثُمَّ رَوَى ابْن عَسَاكِر مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن كُرَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: «**عُزَيْر لا أَدْرِي أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لا؟ وَلا أَدْرِي أَلعِين تُبَّع أَمْ لا؟**». ثُمَّ أَوْرَدَ مَا جَاءَ فِي النَّهْي عَنْ سَبّه وَلعْنَته، كَمَا سَيَأْتِي. وَكَأَنَّهُ -وَالله أَعْلم- كَانَ كَافِرًا ثُمَّ أَسْلمَ، وَتَابَعَ دِين الكَلِيم عَلى يَدَيْ مَنْ كَانَ مِنْ أَحْبَار اليَهُود فِي ذَلكَ الزَّمَان عَلى الحَقّ قَبْل بَعْثَة المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَجَّ البَيْت فِي زَمَن الجُرْهُمِيِّينَ، وَكَسَاهُ المُلاء وَالوَصَائِل مِنْ الحَرِير وَالحُبُر، وَنَحَرَ عِنْده سِتَّة آلاف بَدَنَة وَعَظَّمَهُ وَأَكْرَمَهُ. ثُمَّ عَادَ إِلى اليَمَن. وَقَدْ سَاقَ قِصَّته بِطُولهَا الحَافِظ ابْن عَسَاكِر مِنْ طُرُق مُتَعَدِّدَة مُطَوَّلة مَبْسُوطَة عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب، وَعَبْد الله بْن سَلام وَعَبْد الله بْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَكَعْب الأَحْبَار، وَإِليْهِ

---

(١) في (ط) : [نذكر].

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، وصححه الألباني.

الْمَرْجِع فِي ذَلكَ كُلّه، وَإِلى عَبْد الله بْن سَلام أَيْضًا، وَهُوَ أَثْبَت وَأَكْبَر وَأَعْلم. وَكَذَا رَوَى قِصَّته وَهْب بْن مُنَبّه وَمُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي السِّيرَة، كَمَا هُوَ مَشْهُور فِيهَا. وَقَدْ اخْتَلطَ عَلى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي بَعْض السِّيَاقَات تَرْجَمَة تُبّع هَذَا بِتَرْجَمَةِ آخر مُتَأَخِّر عَنْهُ بِدَهْرٍ طَوِيل، فَإِنَّ تُبَّعًا هَذَا الْمُشَار إِلَيْهِ فِي القُرْآن أَسْلمَ قَوْمه عَلى يَدَيْهِ، ثُمَّ لَـمَّا مات عَادُوا بَعْده إِلى عِبَادَة الأَصْنَام والنيران، فَعَاقَبَهُمْ الله تَعَالى كَمَا ذكر فِي سُورَة سَبَأ، وَقَدْ بَسَطْنَا قِصَّتهمْ هُنَالكَ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: كَسَا تُبَّع الكَعْبَة، وَكَانَ سَعِيد يَنْهَى عَنْ سَبّه، وَتُبَّع هَذَا هُوَ تُبَّع الأَوْسَط، وَاسْمه أَسْعَد أَبُو كُرَيْب بْن مَلْكيكَرب اليَمَانِيّ، ذَكَرُوا أَنَّهُ مَلكَ عَلى قَوْمه ثَلاثمِائَةِ سَنَة وَسِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَة، وَلَمْ يَكُنْ فِي حِمْيَر أَطْوَل مُدَّة مِنْهُ، وَتُوُفِّيَ قَبْل مَبْعَث رَسُول الله ﷺ بِنَحْوٍ مِنْ سَبْعمِائَةِ عام. وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ الحَبْرَانِ مِنْ يَهُود المَدِينَة أَنَّ هَذِهِ البَلْدَة مُهَاجَر نَبِيّ فِي آخِر الزَّمَان اسْمه أَحْمَد، قَال فِي ذَلكَ شِعْرًا، وَاسْتَوْدَعَهُ عِنْد أَهْل المَدِينَة، فَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهُ وَيَرْوُونَهُ خَلفًا عَنْ سَلف، وَكَانَ مِمَّنْ يَحْفَظهُ أَبُو أَيُّوب خَالد بْن زَيْد الَّذِي نَزَل رَسُول الله ﷺ فِي دَاره وَهُوَ:

شَهِدْتُ عَلى أَحْمَد أَنَّهُ	رَسُولٌ مِنْ الله بَارِي النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلى عُمْره	لكُنْت وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمْ
وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ	وَفَرَّجْتُ عَنْ صَدْره كُلّ غَمْ

وَذَكَرَ ابْن أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ حُفِرَ قَبْر بِصَنْعَاء فِي الإِسْلام، فَوَجَدُوا فِيهِ امْرَأَتَيْنِ صَحِيحَتَيْنِ، وَعِنْد رُءُوسهمَا لَوْح مِنْ فِضَّة مَكْتُوب فِيهِ بِالذَّهَبِ: «هَذَا قَبْر حبي ولميس -وَرُوِي حبي وَتُمَاضِر- ابْنَتَيْ تُبَّع، مَاتَتَا وَهُمَا تَشْهَدَانِ أَنْ لا إِله إِلَّا الله، وَلا تُشْرِكَانِ بِهِ شَيْئًا، وَعَلى ذَلكَ مَاتَ الصَّالحُونَ قَبْلهمَا». وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي «سُورَة سَبَأ» شِعْر سَبَأ فِي ذَلكَ أَيْضًا. قَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ كَعْبًا كَانَ يَقُول فِي تُبَّع: نُعِتَ نَعْت الرَّجُل الصَّالح، ذَمَّ الله تَعَالى قَوْمه وَلَمْ يَذُمّهُ. قَال: وَكَانَتْ عَائِشَة رضي الله عنها تَقُول: لا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ رَجُلًا صَالحًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا صَفْوَان، حَدَّثَنَا الوَليد، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن لهِيعَة عَنْ أَبِي زُرْعَة -يَعْنِي: عَمْرو بْن جَابِر الحَضْرَمِيّ- قَال: سَمِعْت سَهْل بْن سَعْد السَّاعِدِيّ رضي الله عنه يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلمَ**».(١) وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَده عَنْ حَسَن بْن مُوسَى عَنْ ابْن لهِيعَة بِهِ. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَليّ الأَبَّار، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن أَبِي بَزَّة، حَدَّثَنَا مُؤَمّل بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ سِمَاك بْن حَرْب عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**لا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلمَ**». وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ ابْن أَبِي ذِئْب عَنْ المَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا أَدْرِي تُبَّع نَبِيًّا كَانَ أَمْ غَيْر نَبِيّ**».(٢) وَتَقَدَّمَ بِهَذَا السَّنَد مِنْ رِوَايَة ابْن أَبِي حَاتِم، كَمَا أَوْرَدَهُ ابْن عَسَاكِر: «**لا أَدْرِي تُبَّع كَانَ لعِينًا أَمْ لا؟**». فَالله أَعْلم. وَرَوَاهُ ابْن عَسَاكِر مِنْ طَرِيق زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى البدي عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس مَوْقُوفًا. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا عِمْرَان أَبُو الهُذَيْل، أَخْبَرَنِي تَمِيم بْن عَبْد الرَّحْمَن قَال: قَال عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح: لا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّ رَسُول الله ﷺ نَهَى عَنْ سَبّه.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠) وحسنه الألباني.
(٢) تقدم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

يَقُول تَعَالَى مُخبِرًا عَنْ عَدْله، وَتَنْزِيهه نَفْسه عَنْ اللَّعِب وَالعَبَث وَالبَاطِل، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص:٢٧). وقَال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون:١١٥-١١٦). ثم قَال: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ وَهُوَ يَوْم القِيَامَة، يَفْصِل الله تَعَالَى فِيهِ بَيْن الخلائق، فَيُعَذِّب الكَافِرِينَ وَيُثِيب المُؤْمِنِينَ.

وَقَوْله: ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أَيْ: يَجْمَعهُمْ كُلّهم أَوَّلهمْ وَآخِرهمْ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ أَيْ: لا يَنْفَع قَرِيب قَرِيبًا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْۚ﴾ (المعارج:١٠-١١)، أَيْ: لا يَسْأَل أَخًا لهُ عَنْ حَاله وَهُوَ يَرَاهُ عِيَانًا. وَقَوْله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أَيْ: لا يَنْصُر القَرِيب قَرِيبه، وَلا يَأْتِيه نَصْره مِنْ الخارج. ثم قَال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ أَيْ: لا يَنْفَع يَوْمئِذٍ إِلَّا مَنْ رحمه الله ﷻ بِخَلقِهِ؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَيْ: هُوَ عَزِيز ذُو رَحْمَة وَاسِعَة.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾

يَقُول تَعَالَى مُخبِرًا عَمَّا يُعَذِّب بِهِ الكَافِرِينَ الجاحِدِينَ للقَائِهِ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ وَالأَثِيم: أَيْ فِي قَوْله وَفِعْله، وَهُوَ الكَافِر. وَذَكَرَ غَيْر وَاحِد أَنَّهُ أَبُو جَهْل، وَلا شَكَّ فِي دُخُوله فِي هَذِهِ الآيَة، وَلكِنْ لَيْسَتْ خَاصَّة بِهِ. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ الأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ هَمَّام بْن الحارِث؛ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاء كَانَ يُقْرِئ رَجُلًا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ فَقَال: طَعَام اليَتِيم، فَقَال أَبُو الدَّرْدَاء ﷺ: قُل: إِنَّ شَجَرَة الزَّقُّوم طَعَام الفَاجِر. أَيْ: لَيْسَ لهُ طَعَام مِنْ غَيْرهَا. قَال مُجَاهِد: وَلَوْ وَقَعَتْ مِنْهَا قَطْرَة فِي الأَرْض لأَفْسَدَتْ عَلى أَهْل الأَرْض مَعَايِشهمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَحْوه مَرْفُوعًا. وَقَوْله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قَالُوا: كَعَكَر الزَّيْت، ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أَيْ: مِنْ حَرَارَتهَا وَرَدَاءَتهَا. قَوْله: ﴿خُذُوهُ﴾ أَيْ: الكَافِر، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ تَعَالى إِذَا قَال للزَّبَانِيَة: ﴿خُذُوهُ﴾ ابْتَدَرَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ. ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أَيْ: سُوقُوهُ سَحْبًا وَدَفْعًا فِي ظَهْره. قَال مُجَاهِد: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ أَيْ: خُذُوهُ فَادْفَعُوهُ. وَقَال الفَرَزْدَق:

لَيْسَ الكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمْ ... حَتَّى تُرَدَّ إِلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾. أي: وسطها ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾. كَقَوْلِهِ: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ (الحج:١٩-٢٠). وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ المَلك يَضْرِبهُ بِمِقْمَعَة مِنْ حَدِيد، فَيَفْتَح دِمَاغه، ثُمَّ يُصَبّ الحمِيم عَلى رَأْسه، فَيَنْزِل فِي بَدَنه، فَيَسْلُت مَا فِي بَطْنه مِنْ أَمْعَائِهِ حَتَّى تَمْرُق مِنْ كَعْبَيْهِ -أَعَاذَنَا الله تَعَالى مِنْ ذَلكَ-، وَقَوْله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ أَيْ: قُولُوا لهُ ذَلكَ عَلى وَجْه التَّهَكُّم وَالتَّوْبِيخ، وَقَال الضَّحَّاك: عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَيْ: لسْتَ بِعَزِيز وَلا كَرِيم. وَقَدْ قَال الأُمَوِيّ فِي

مَغَازِيه: حَدَّثَنَا أَسْبَاط، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر الْهُذَلِيّ عَنْ عِكْرِمَة قَال: لَقِيَ رَسُول الله ﷺ أَبَا جَهْل -لَعَنَهُ الله- فَقَال: «إِنَّ الله تَعَالى أَمَرَنِي أَنْ أَقُول لك، ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ (القيامة:٣٤-٣٥)»، قَال: فَنَزَعَ ثَوْبه مِنْ يَده، وَقَال: مَا تَسْتَطِيع لي أَنْتَ، وَلا صَاحِبك مِنْ شَيْء، وَلقَدْ عَلمْت أَنِّي أَمْنَعُ أَهْل البَطْحَاء، وَأَنَا العَزِيز الكَرِيم، قَال: فَقَتَلَهُ الله تَعَالى يَوْم بَدْر وَأَذَلَّهُ وَعَيَّرَهُ بِكَلمَتِهِ، وَأَنْزَل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.[1] وَقَوْله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الطور:١٣-١٥)، وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

لَـمَّا ذَكَرَ تَعَالى حَال الأَشْقِيَاء عَطَفَ بِذِكْرِ السُّعَدَاء -وَلهَذَا سُمِّيَ القُرْآن مَثَانِي-، فَقَال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أَيْ: لله فِي الدُّنْيَا ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ أَيْ: فِي الآخِرَة وَهُوَ الجَنَّة، قَدْ أَمِنُوا فِيهَا مِنْ المَوْت وَالخُرُوج، وَمِنْ كُلّ هَمّ وَحُزْن وَجَزَع وَتَعَب وَنَصَب، وَمِنْ الشَّيْطَان وَكَيْده، وَسَائِر الآفَات وَالمَصَائِب ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾، وَهَذَا فِي مُقَابَلة مَا أُولئِكَ فِيهِ مِنْ شَجَرَة الزَّقُّوم وَشُرْب الحَمِيم. وَقَوْله تَعَالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ وَهُوَ: رَفِيع الحَرِير، كَالقُمْصَانِ وَنَحْوهَا، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وَهُوَ: مَا فِيهِ بَرِيق وَلمَعَان، وَذَلكَ كَالرِّيَاشِ، وَمَا يُلبَس عَلى أَعَالي القُمَاش، ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أَيْ: عَلى السُّرَر، لا يَجْلس أَحَد مِنْهُمْ وَظَهْره إِلى غَيْره. وَقَوْله: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أَيْ: هَذَا العَطَاء مَعَ مَا قَدْ مَنَحْنَاهُمْ مِنْ الزَّوْجَات الحُور العِين الحِسَان اللَّاتِي ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ (الرحمن:٥٦)، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن:٥٨)، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ (الرحمن:٦٠). قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نُوح بْن حَبِيب، حَدَّثَنَا [نَصْر][2] بْن مُزَاحِم العَطَّار، حَدَّثَنَا عُمَر بْن سَعْد عَنْ رَجُل عَنْ أَنَس رضي الله عنه -رَفَعَهُ نُوح- قَال: لوْ أَنَّ حَوْرَاء بَزَقَتْ فِي بَحْر لُجِّيّ لعَذُبَ المَاء لعُذُوبَةِ رِيقهَا. وَقَوْله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ أَيْ: مَهْمَا طَلبُوا مِنْ أَنْوَاع الثِّمَار أُحْضِرَ لهُمْ، وَهُمْ آمِنُونَ مِنْ انْقِطَاعه وَامْتِنَاعه، بَل يُحْضَر إِليْهِمْ كُلَّمَا أَرَادُوا.

وَقَوْله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاء يُؤَكِّد النَّفْي، فَإِنَّهُ اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْت أَبَدًا، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«يُؤْتَى بِالمَوْتِ فِي صُورَة كَبْش أَمْلح فَيُوقَف بَيْن الجَنَّة وَالنَّار ثُمَّ يُذْبَح، ثُمَّ يُقَال: يَا أَهْل الجَنَّة، خُلُود فَلا مَوْت، وَيَا أَهْل النَّار خُلُود فَلا مَوْت»**.[3] وَقَدْ تَقَدَّمَ الحَدِيث فِي سُورَة مَرْيَم. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: حَدَّثَنَا سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ أَبِي مُسْلم الأَغَرّ عَنْ أَبِي سَعِيد وَأَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنهما؛ قَالا: قَال رَسُول الله ﷺ: **«يُقَال لأَهْل الجَنَّة: إِنَّ لكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لكُمْ أَنْ تَعِيشُوا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لكُمْ أَنْ**

---

(١) إسناده ضعيف: لإرساله.
(٢) في الأزهرية: [نعمة].
(٣) صحيح: تقدم.

تشيبوا فلا تهرموا أبدًا»[1]. رَوَاهُ مُسلم عَنْ إِسْحَاق بن رَاهْوَيْهِ وَعَبْد بن حُمَيْد، كِلاهُمَا عَنْ عَبْد الرَّزَّاق بِهِ. هَكَذَا يَقُول أَبُو إِسْحَاق وَأَهْل العِرَاق: أَبُو مُسْلم الأَغَرّ، وَأَهْل المَدِينَة يَقُولُونَ: أَبُو عَبْد الله الأَغَرّ.

وَقَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن حَفص عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِبْرَاهِيم بن طَهْمَان عَنْ الحَجَّاج - هُوَ ابن حَجَّاج- عَنْ عُبَادَة عَنْ عبيد الله بْن عَمْرو عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ اتَّقَى الله دَخَل الجنَّة، يُنَعَّم فِيهَا وَلا يَبْأَس، وَيَحْيَا فِيهَا فَلا يَمُوت، لا تَبْلَى ثِيَابه، وَلا يَفْنَى شَبَابه». وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن مُحَمَّد النَّاقِد، حَدَّثَنَا سليمان بْن عبيد الله الرَّقِّيّ، حَدَّثَنَا مُصْعَب ابْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا عِمْرَان بْن الرَّبِيع الكُوفِيّ عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد الأَنْصَارِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن الْمُنْكَدِر عَنْ جَابِر ﷺ قَال: سُئِل نَبِيّ الله ﷺ: أَيَنَامُ أَهْل الجَنَّة؟ فَقَال ﷺ: «النَّوْم أَخُو المَوْت، وَأَهْل الجنَّة لا يَنَامُونَ»[2]. وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو بَكْر ابْن مَرْدَوَيْهِ فِي تَفْسِيرِه: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن القَاسِم بْن صَدَقَة المِصْرِيّ، حَدَّثَنَا المِقْدَام بْن دَاوُد، حَدَّثَنَا عَبْد الله ابْن المُغِيرَة، حَدَّثَنَا سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «النَّوْم أَخُو المَوْت، وَأَهْل الجنَّة لا يَنَامُونَ».

وَقَال أَبُو بَكْر البَزَّار فِي مُسْنَده: حَدَّثَنَا الفَضْل بْن يَعْقُوب، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يُوسُف الفِرْيَابِيّ عَنْ سُفْيَان عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر عَنْ جَابِر ﷺ قَال: قِيل: يَا رَسُول الله؛ هَل يَنَام أَهْل الجَنَّة؟ قَال ﷺ: «لا؛ النَّوْم أَخُو المَوْت». ثُمَّ قَال: لا نَعْلم أَحَدًا أَسْنَدَهُ عَنْ ابْن المُنْكَدِر عَنْ جَابِر ﷺ إِلَّا الثَّوْرِيّ، وَلا عَنْ الثَّوْرِيّ إِلَّا الفِرْيَابِيّ، هَكَذَا قَال، وَقَدْ تَقَدَّمَ خِلاف ذَلِكَ، وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أَيْ: مَعَ هَذَا النَّعِيم العَظِيم المُقِيم قَدْ وَقَاهُمْ، وَسَلَّمَهُمْ وَنَجَّاهُمْ وَزَحْزَحَهُمْ من العَذَاب الأَلِيم فِي دَرَكَات الجَحِيم، فَحَصَل لَهُمْ المَطْلُوب، وَنَجَّاهُمْ مِنْ المَرْهُوب؛ وَلهذا قَال: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أَيْ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانه إِلَيْهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا لنْ يُدْخِلهُ عَمَله الجنَّة». قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ: «وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدنِي الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْل»[3]. وَقَوْله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا القُرْآن الَّذِي أَنْزَلنَاهُ سَهْلًا وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيًّا بِلِسَانِك الَّذِي هُوَ أَفْصَح اللُّغَات وَأَجْلاهَا وَأَحْلاهَا وَأَعْلاهَا؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيْ: يَتَفَهَّمُونَ وَيَعْلمُونَ. ثُمَّ لَمَّا كَانَ مَعَ هَذَا البَيَان وَالوُضُوح مِنْ النَّاس مَنْ كَفَرَ وَخَالفَ وَعَانَدَ، قَال الله تَعَالى لِرَسُوله ﷺ مُسَلِّيًا لهُ وَوَاعِدًا لهُ بِالنَّصْر، وَمُتَوَعِّدًا لِمَنْ كَذَّبَهُ بِالعَطَب وَالهَلاك: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أَيْ: انْتَظِرْ؛ ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ أَيْ: فَسَيَعْلمُونَ لِمَنْ يكُون النصر وَالظَّفَر وَعُلُوّ الكَلمَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَإِنَّهَا لك يَا مُحَمَّد وَلإِخْوَانِك مِنْ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنْ المُؤْمِنِينَ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:٢١)، وَقَال تَعَالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (غافر:٥١-٥٢).

آخر تفسير سُورَة الدُّخَان، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعصْمَة

---

(١) صحيح: تقـدم.
(٢) صحيح: انظر «الصحيحة» (١٠٨٧).
(٣) صحيح: تقـدم.

تفسير سُورَةُ الجَاثِيَةِ وهي مكية

ترتيبها ٤٥ — وآياتها ٣٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

يُرْشِد تَعَالى خَلقه إِلى التَّفكُّر فِي آلائِهِ وَنِعَمه، وَقُدْرَته العَظِيمَة الَّتِي خَلقَ بها السَّمَوَات الأَرْض، وَمَا فِيهِمَا مِنْ المَخْلُوقَات المُخْتَلفَة الأَجْنَاس، وَالأَنْوَاع مِنْ المَلائِكَة وَالجِنّ وَالإِنْس وَالدَّوَابّ وَالطُّيُور وَالوُحُوش وَالسِّبَاع وَالحَشَرَات، وَمَا فِي البَحْر مِنْ الأَصْنَاف المُتَنوِّعَة وَاخْتِلاف اللَّيْل وَالنَّهَار فِي تَعَاقُبهما دَائِبَيْنِ لا يَفْتُرَانِ، هَذَا بِظَلامِهِ وَهَذَا بِضِيَائِهِ، وَمَا أَنْزَل الله تَعَالى مِنَ السَّحَاب مِنْ المَطَر، فِي وَقْت الحَاجَة إِلَيْهِ، وَسَمَّاهُ رِزْقًا؛ لأَنَّ بِهِ يَحْصُل الرِّزْق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَيْ: بَعْدَمَا كَانَتْ هَامِدَة لا نَبَات فِيهَا وَلا شَيْء. وَقَوْله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أَيْ: جَنُوبًا وشَآمًا وَدَبُورًا وَصَبًا، بَحْرِيَّة وبَرِّيَّة، لَيْلِيَّة وَنَهَارِيَّة. وَمِنْهَا مَا هُوَ للمَطَرِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ للِّقَاحِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ غِذَاء الأرواح، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَقِيم، وَقَال: أَوَّلًا: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ثُمَّ ﴿يُوقِنُونَ﴾. ثُمَّ ﴿يَعْقِلُونَ﴾ وَهُوَ تَرَقٍّ مِنْ حَال شَرِيف إِلى مَا هُوَ أَشْرَف مِنْهُ وَأَعْلى، هَذِهِ الآيَات شَبِيهَة بِآيَةِ البَقَرَة، وَهِيَ قَوْله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤). وَقَدْ أَوْرَدَ ابن أَبِي حَاتِم هَهُنَا عَنْ وَهْب بن مُنَبِّه أَثَرًا طَوِيلًا غَرِيبًا فِي خَلق الإِنْسَان مِنْ الأَخْلاط الأَرْبَعَة.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

يَقُول تَعَالى: هذه آيات الله، يَعْنِي: القُرْآن بِمَا فِيهِ مِنْ الحُجَج وَالبَيِّنَات، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: مُتَضَمِّنَة الحَقّ مِنْ الحَقّ، فَإِذَا كَانُوا لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَلا يَنْقَادُونَ لَهَا، فَبِأَيِّ حَدِيث بَعْد الله وَآيَاته يُؤْمِنُونَ؟! ثُمَّ قَال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أَيْ: أَفَّاك فِي قَوْله، كَذَّاب، حَلَّاف مَهِين، أَثِيم فِي فِعْله وقيله، كَافِر بِآيَاتِ الله. وَلِهَذَا قَال: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أَيْ: تُقْرَأ عَلَيْهِ، ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ أَيْ: عَلى كُفْره وَجُحُوده اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أَيْ: كَأَنَّهُ مَا سَمِعَهَا، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَيْ: فَأَخْبِرْهُ أَنَّ لهُ عِنْد الله يَوْم القِيَامَة عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا، ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أَيْ: إِذَا حَفِظَ شَيْئًا مِنْ القُرْآن كَفَرَ بِهِ، وَاتَّخَذَهُ سُخْرِيًّا وَهُزُوًا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أَيْ: فِي مُقَابَلة مَا اسْتَهَانَ بِالقُرْآنِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَلِهَذَا رَوَى مُسْلم فِي صَحِيحه عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: «نَهَى

رَسُول الله ﷺ أَنْ يُسَافِر بِالقُرْآنِ إِلَى أَرْض العَدُوّ؛ مَخَافَة أَنْ يَنَالَهُ العَدُوّ»[1]، ثُمَّ فَسَّرَ العَذَاب الحَاصِل لَهُ يَوْم مَعَاده فَقَال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أَيْ: كُلّ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ سَيَصِيرُونَ إِلَى جَهَنَّم يَوْم القِيَامَة، ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ أَيْ: لا تَنْفَعهُمْ أَمْوَالهمْ وَلا أَوْلادهمْ، ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أَيْ: وَلا تُغْنِي عَنْهُمْ الآلِهَة الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُون الله شَيْئًا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ثُمَّ قَال تَعَالَى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يَعْنِي القُرْآن، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: وَهُوَ المُؤْلِم المُوجِع.

﴿۞ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

يَذْكُر تَعَالَى نِعَمه عَلَى عَبِيده فِيمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنْ البَحْر؛ ﴿لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ﴾ وَهِيَ السُّفُن فِيهِ بِأَمْرِهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ البَحْر أن يحملها، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أَيْ: فِي المَتَاجِر وَالمَكَاسِب، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: عَلَى حُصُول المَنَافِع المَجْلُوبَة إِلَيْكُمْ مِنْ الأَقَالِيم النَّائِيَة وَالآفَاق القَاصِيَة. ثم قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾ أَيْ: مِنْ الكَوَاكِب وَالجِبَال وَالبِحَار وَالأَنْهَار، وَجَمِيع مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ، أَيْ: الجَمِيع مِنْ فَضْله وَإِحْسَانه وَامْتِنَانه وَلِهَذَا قَال: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أَيْ: مِنْ عِنْده وَحْده لا شَرِيك لَهُ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ (النحل:٥٣). وَرَوَى ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾: كُلّ شَيْء هُوَ مِنْ الله، وَذَلِكَ الاسْم فِيهِ اسْم مِنْ أَسْمَائِهِ، فَذَلِكَ جَمِيعًا مِنْهُ، وَلا يُنَازِعهُ فِيهِ المُنَازِعُونَ، وَاسْتَيْقَنَ أَنَّهُ كَذَلِكَ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن خَلَف العَسْقَلانِيّ، حَدَّثَنَا الفِرْيَابِيّ عَنْ سُفْيَان عَنْ الأَعْمَش عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو عَنْ أَبِي أَرَاكَة قَال: سَأَل رَجُل عَبْد الله بْن عمرو رضي الله عنهما قَال: مِمَّ خُلِقَ الخَلْق؟ قَال: مِنْ النُّور وَالنَّار وَالظُّلْمَة وَالثَّرَى. قَال: وَائْتِ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فَاسْأَلْهُ، فَأَتَاهُ فَقَال لَهُ مِثْل ذَلِكَ، فَقَال: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَسَلْهُ: مِمَّ خُلِقَ ذَلِكَ كُلّه؟ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَتَلا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾. هَذَا أَثَر غَرِيب، وَفِيهِ نَكَارَة. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. قَوْله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أَيْ: لِيَصْفَحُوا عَنْهُمْ، ويحملوا الأَذَى مِنْهُمْ، وهذا كان فِي ابْتِدَاء الإِسْلام، أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلى أَذَى المُشْرِكِينَ وَأَهْل الكِتَاب؛ لِيَكُونَ ذَلكَ لتأليف قلوبهم، ثُمَّ لَمَّا أَصَرُّوا عَلى العِنَاد شَرَعَ الله لِلمُؤْمِنِينَ الجِلاد وَالجِهَاد. هَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَقَتَادَة، وَقَال مُجَاهِد: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ لا يَنَالُونَ نِعَم الله، وَقَوْله: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ أَيْ: إِذَا صَفَحُوا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الله مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَة فِي الآخِرَة، وَلِهَذَا قَال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أَيْ: تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْم القِيَامَة، فَتُعْرَضُونَ بِأَعْمَالكُمْ فيجازيكم بِأَعْمَالكُمْ خَيْرهَا وَشَرّهَا.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٦٩).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

يَذْكُر تَعَالى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلى بَنِي إِسْرَائِيل، مِنْ إِنْزَال الكُتُب عَلَيْهِمْ، وَإِرْسَال الرُّسُل إِلَيْهِمْ، وَجَعْله المُلك فِيهِ، وَلِهَذَا قَال تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أَيْ: مِنَ المَآكِل وَالمَشَارِب، ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: فِي زَمَانهمْ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أَيْ: حُجَجًا وَبَرَاهِين وَأَدِلَّة قَاطِعَات، فَقَامَتْ عَلَيْهِمْ الحُجَج ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْد ذَلِكَ مِنْ بَعْد قِيَام الحُجَّة، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلكَ بَغْيًا مِنْهُمْ عَلى بَعْضهمْ بَعْضًا، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَيْ: سَيَفْصِلُ بَيْنهمْ بِحُكْمِهِ العَدْل، وَهَذَا فِيهِ تَحْذِير لِهَذِهِ الأُمَّة أَنْ تَسْلُك مَسْلكهمْ وَأَنْ تَقْصِد مَنْهَجهمْ، وَلِهَذَا قَال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ أَيْ: اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْك مِنْ رَبّك لا إِله إِلَّا هُوَ، وَأَعْرِض عَنْ المُشْرِكِينَ، وَقَال هَهُنَا: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أَيْ: وَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ وَلايَتهمْ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَإِنَّهُمْ لا يَزِيدُونَهُمْ إِلَّا خَسَارًا وَدَمَارًا وَهَلاكًا، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وَهُوَ تَعَالى يُخْرِجهُمْ مِنَ الظُّلُمَات إِلى النُّور، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوت يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّور إِلى الظُّلُمَات، ثُمَّ قَال: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ يَعْنِي: القُرْآن، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى: لا يَسْتَوِي المُؤْمِنُونَ وَالكَافِرُونَ، كَمَا قَال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ (الحشر: ٢٠)، وَقَال ههنا: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أَيْ: عَمِلُوهَا وَكَسَبُوهَا ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ أَيْ: نُسَاوِيهِمْ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة! ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَيْ: سَاءَ مَا ظَنُّوا بِنَا وَبِعَدْلِنَا أَنْ نُسَاوِيَ بَيْن الأَبْرَار وَالفُجَّار فِي الدَّار الآخِرَة، وَفِي هَذِهِ الدَّار.

قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا مُؤَمَّل بْن إِهَاب، حَدَّثَنَا بُكَيْر بْن عُثْمَان التَّنُوخِيّ، حَدَّثَنَا الوَضِين بْن عَطَاء عَنْ يَزِيد بْن مَرْثَد الصنعاني عَنْ أَبِي ذَرّ ﷺ قَال: إِنَّ الله بَنَى دِينه عَلى أَرْبَعَة أَرْكَان، فَمَنْ صَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَلَمْ يَعْمَل بِهِنَّ لَقِيَ الله مِنَ الفَاسِقِينَ، قِيل: وَمَا هُنَّ يَا أَبَا ذَرّ؟ قَال: يُسَلِّم حَلال الله لله، وَحَرَام الله لله، وَأَمْر الله لله، وَنَهْي الله لله لا يُؤْتَمَن عَلَيْهِنَّ إِلَّا الله. قَال أَبُو القَاسِم ﷺ: «كَمَا أَنَّهُ لا يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْك العِنَب، كَذَلِكَ لا يَنَال الفُجَّار

منَازِل الأَبْرَار»[١]. هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه، وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي كِتَاب السيرة أَنَّهُمْ وَجَدُوا حَجَرًا بِمَكَّة فِي أُسّ الكَعْبَة مَكْتُوب عَلَيْهِ: تَعْمَلُونَ السَّيِّئَات، وَتَرْجُونَ الحَسَنَات؟! أَجَل كَمَا يجتنى مِنْ الشَّوْك العِنَب. وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوق أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ قَامَ لَيْلَة حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّد هَذِهِ الآيَة: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. وَقَالَ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: بِالعَدْل، ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَأْتَمِر بِهَوَاهُ، فَمَهْمَا رَآهُ حَسَنًا فَعَلَهُ، وَمَهْمَا رَآهُ قَبِيحًا تَرَكَهُ، وَهَذَا قَدْ يُسْتَدَلّ بِهِ عَلَى المُعْتَزِلَة فِي قَوْلهمْ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيح العَقْلِيَّيْنِ، وَعَنْ مَالك فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ التَّفْسِير: لا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا عَبَدَهُ. وَقَوْله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل قَوْلَيْنِ: أَحَدهمَا: وَأَضَلَّهُ الله لِعِلْمِهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقّ ذَلِكَ، وَالآخر: وَأَضَلَّهُ الله بَعْد بُلُوغ العِلم إِلَيْهِ وَقِيَام الحُجَّة عَلَيْهِ. وَالثَّانِي يَسْتَلزِم الأَوَّل وَلا يَنْعَكِس. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ أَيْ: فَلا يَسْمَع مَا يَنْفَعهُ، وَلا يَعِي شَيْئًا يَهْتَدِي بِهِ، وَلا يَرَى حُجَّة يَسْتَضِيء بِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأعراف:١٨٦).

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ قَوْل الدَّهْرِيَّة مِنْ الكُفَّار وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي العَرَب فِي إِنْكَار المَعَاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أَيْ: مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّار، يَمُوت قَوْم وَيَعِيش آخَرُونَ، وَمَا ثَمَّ مَعَاد وَلا قِيَامَة، وَهَذَا يَقُولهُ مُشْرِكُو العَرَب المُنْكِرُونَ للمعاد، ويقوله الفَلاسِفَة الإِلَهِيُّونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ البدَاءَة وَالرَّجْعَة، ويقوله الفَلاسِفَة الدَّهْرِيَّة الدورية المُنْكِرُونَ للصَّانِع، المُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلّ سِتَّة وَثَلاثِينَ أَلف سَنَة يَعُود كُلّ شَيْء إِلى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّات لا تَتَنَاهَى، فَكَابَرُوا المعقول وَكَذَّبُوا المَنْقُول، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، قَال الله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أَيْ: يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُون، فَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي أَخْرَجَهُ صَاحِبَا الصَّحِيح وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ مِنْ رِوَايَة سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«يَقُول الله تَعَالى: يُؤْذِينِي ابْن آدَم، يَسُبّ الدَّهْر وَأَنَا الدَّهْر، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّب لَيْله وَنَهَاره»**. وَفِي رِوَايَة: **«لا تَسُبُّوا الدَّهْر، فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْر»**.[٢]

وَقَدْ أَوْرَدَهُ ابْن جَرِير بِسِيَاقٍ غَرِيب جِدًّا، فَقَال: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«كَانَ أَهْل الجَاهِلِيَّة يَقُولُون: إِنَّمَا يُهْلِكنَا اللَّيْل وَالنَّهَار، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكنَا يُمِيتنَا وَيُحْيِينَا»**، فَقَال الله فِي كِتَابه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾

(١) صحيح: انظر «الصحيحة» (٢٠٤٦).
(٢) صحيح: تقدم.

قال: «**وَيَسُبُّونَ الدَّهْر، فَقَال الله ﷻ: يُؤْذِينِي ابْن آدَم، يَسُبّ الدَّهْر وَأَنَا الدَّهْر، بِيَدِي الأَمْر أُقَلِّب اللَّيْل وَالنَّهَار**».[1] وَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَحْمَد بْن مَنْصُور عَنْ شُرَيْح بْن النُّعْمَان عَنْ ابْن عُيَيْنَة مِثْله. ثُمَّ رُوِيَ عَنْ يُونُس عَنْ ابْن وَهْب عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سَلَمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه : سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «**قَال الله تَعَالى: يَسُبّ ابْن آدَم الدَّهْر، وَأَنَا الدَّهْر، بِيَدِي اللَّيْل وَالنَّهَار**». وَأَخْرَجَهُ صَاحِبَا الصَّحِيح وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث يُونُس بْن يَزِيد بِهِ.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ العَلاء بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**يَقُول الله: اسْتَقْرَضْت عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُول: وَادَهْرَاه، وَأَنَا الدَّهْر**».[2] قَال الشَّافِعِيّ وَأَبُو عبيد وَغَيْرهمَا مِنْ الأَئِمَّة فِي تَفْسِير قَوْله عليه الصلاة والسلام: «**لا تَسُبُّوا الدَّهْر؛ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْر**». كَانَتْ العَرَب فِي جَاهِلِيَّتهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّة أَوْ بَلاء أَوْ نَكْبَة قَالُوا: يَا خَيْبَة الدَّهْر، فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الأَفْعَال إِلى الدَّهْر وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلهَا هُوَ الله، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا الله ﷻ، لأَنَّهُ فَاعِل ذَلِكَ فِي الحَقِيقَة، فَلِهَذَا نُهِيَ عَنْ سَبّ الدَّهْر بِهَذَا الاعْتِبَار، لأَنَّ الله هُوَ الدَّهْر الَّذِي يَعْنُونَهُ، وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الأَفْعَال، هَذَا أَحْسَن مَا قِيل فِي تَفْسِيره، وَهُوَ المُرَاد، وَالله أَعْلَم. وَقَدْ غَلِطَ ابْن حَزْم وَمَنْ نَحَا نَحْوه مِنْ الظَّاهِرِيَّة فِي عَدّهمْ الدَّهْر مِنْ الأَسْمَاء الحُسْنَى أَخْذًا مِنْ هَذَا الحَدِيث. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: إذا استُدلَّ عليهم وبُيِّن لهم الحقّ، وَأَنَّ الله تَعَالى قَادِر عَلى إِعَادَة الأَبْدَان بَعْد فَنَائِهَا وَتَفَرُّقهَا، ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَيْ: أَحْيُوهُمْ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقًّا. قَال الله تَعَالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ أَيْ: كَمَا تُشَاهِدُونَ ذَلِكَ، يُخْرِجكُمْ مِنْ العَدَم إِلى الوُجُود، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (البقرة:٢٨)، أَيْ: الَّذِي قَدَرَ عَلى البَدَاءَة قَادِر عَلى الإِعَادَة بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم:٢٧)، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَجْمَعكُمْ إِلى يَوْم القِيَامَة لا يُعِيدكُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى تَقُولُوا: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ (التغابن:٩)، ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (المرسلات:١٢-١٣)، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ (هود:١٠٤)، وَقَال هَهُنَا: ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَيْ: لا شَكَّ فِيهِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: فَلِهَذَا يُنْكِرُونَ المَعَاد، وَيَسْتَبْعِدُونَ قِيَام الأَجْسَاد، قَال الله تَعَالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (المعارج:٦-٧)، أَيْ: يَرَوْنَ وُقُوعه بَعِيدًا، وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ ذَلِكَ سَهْلًا قَرِيبًا.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ۝٢٧ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ مَالك السَّمَوَات وَالأَرْض؛ الحَاكِم فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَلِهَذَا قَال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾، وَهُمْ الكَافِرُونَ بِالله الجَاحِدُونَ ما أَنْزَلَهُ عَلى رُسُله مِنْ الآيَات البَيِّنَات وَالدَّلائِل الوَاضِحَات.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: قَدِمَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ المَدِينَة، فَسَمِعَ المَعَافِرِيّ يَتَكَلَّم بِبَعْضِ مَا يَضْحَك بِهِ النَّاس،

---

(١) صحيح: أخرجه الطبري (٢٥/ ٩٢).

(٢) حسن: أخرجه الطبري (٢٥/ ٩٢) بسند ضعيف، لكن يشهد له ما تقدم.

فَقَال لهُ: يَا شَيْخ، أَمَا عَلمت أَنَّ لله يَوْمًا يَخْسَر فِيهِ المُبْطِلُونَ؟ قَال: فَمَا زَالتْ تُعْرَف فِي المَعَافِرِيّ حَتَّى لحِقَ بالله ﷻ. ذَكَرَهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

ثُمَّ قَال: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أَيْ: عَلى رُكَبهَا مِنْ الشِّدَّة وَالعَظَمَة، وَيُقَال: إِنَّ هَذَا إِذَا جِيءَ بِجَهَنَّم فَإِنَّهَا تَزْفِر زَفْرَة، لا يَبْقَى أَحَد إِلَّا جَثَا لرُكْبَتَيْهِ، حَتَّى إِبْرَاهِيم الخَلِيل وَيَقُول: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي! لا أَسْأَلك اليَوْم إِلَّا نَفْسِي. وَحَتَّى إن عِيسَى ليَقُولُ: لا أَسْأَلك اليَوْم إِلَّا نَفْسِي، لا أَسْأَلك مَرْيَم الَّتِي وَلدَتْنِي! قَال مُجَاهِد وَكَعْب الأَحْبَار وَالحَسَن البَصْرِيّ: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أَيْ: عَلى الرُّكَب. وَقَال عِكْرِمَة: جَاثِيَة مُتَمَيِّزَة عَلى نَاحِيَتهَا، وَليْسَ عَلى الرُّكَب، وَالأَوَّل أَوْلى.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن يَزِيد المقرئ، حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ عَمْرو عَنْ عَبْد الله بْن بَابَاهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**كَأَنِّي أَرَاكُمْ جَاثِينَ بِالكَوْمِ دُون جَهَنَّم**»[1]. وَقَال إِسْمَاعِيل بْن رَافِع المَدَنِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه مَرْفُوعًا فِي حَدِيث الصُّور[2]: «**فَيَتَمَيَّز النَّاس وَتَجْثُو الأُمَم، وَهِيَ الَّتِي يَقُول الله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾**». وَهَذَا فِيهِ جَمْع بَيْن القَوْليْنِ، وَلا مُنَافَاة، وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ يَعْنِي: كِتَاب أَعْمَالهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ (الزمر:٦٩)، وَلهَذَا قَال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: تُجَازَوْنَ بِأَعْمَالكُمْ خَيْرهَا وَشَرّهَا، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ (القيامة:١٣-١٥). ثم قَال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: يَسْتَحْضِر جَمِيع أَعْمَالكُمْ مِنْ غَيْر زِيَادَة وَلا نَقْص، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف:٤٩)، وَقَوْله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: إِنَّا كُنَّا نَأْمُر الحَفَظَة أَنْ تَكْتُب أَعْمَالكُمْ عَليْكُمْ. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَغَيْره: تَكْتُب المَلائِكَة أَعْمَال العِبَاد، ثُمَّ تَصْعَد بِهَا إِلى السَّمَاء، فَيُقَابِلُونَ المَلائِكَة الَّذِينَ فِي دِيوَان الأَعْمَال عَلى مَا بأيديهم، مِمَّا قَدْ أُبْرِزَ لهُمْ مِنْ اللَّوْح المَحْفُوظ فِي كُلّ ليْلة قَدْر مِمَّا قد كَتَبَهُ الله فِي القِدَم عَلى العِبَاد قَبْل أَنْ يَخْلُقهُمْ فَلا يَزِيد حَرْفًا وَلا يَنْقُص حَرْفًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أ[illegible] نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٩٩) بسند ضعيف.

(٢) **ضعيف**: تقدم.

يُخبِر تَعَالى عَنْ حُكْمه فِي خَلقه يَوْم القِيَامَة، فَقَال تَعَالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أَيْ: آمَنَتْ قُلُوبهمْ وَعَمِلتْ جَوَارِحهمْ الأَعْمَال الصَّالحَات، وَهِيَ الخَالصَة المُوَافِقَة للشَّرْعِ، ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، وَهِيَ الجنَّة، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ الله قَال للجَنَّةِ: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَم بِكِ مَنْ أَشَاء»[1] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ أَيْ: البَيِّن الوَاضِح. ثُمَّ قَال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أَيْ: يُقَال لَهُمْ ذَلكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا، أَمَا قُرِئَتْ عَليكُمْ آيَات الرحمن فَاسْتَكْبَرْتُمْ عَنْ اتِّبَاعهَا، وَأَعْرَضْتُمْ عند سَمَاعهَا؟! ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: فِي أَفْعَالكُمْ مَعَ مَا اشْتَمَلتْ عَليْهِ قُلُوبكُمْ مِنْ التَّكْذِيب؟! ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أَيْ: إِذَا قَال لكُمْ المُؤْمِنُونَ ذَلكَ ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أَيْ: لا نَعْرِفهَا ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أَيْ: إِنْ نَتَوَهَّم وُقُوعهَا إِلَّا تَوَهُّمًا، أَيْ: مَرْجُوحًا، وَلهَذَا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أَيْ: بِمُتَحَقِّقِينَ. قَال الله تَعَالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أَيْ: وَظَهَرَ لهُمْ عُقُوبَة أَعْمَالهمْ السَّيِّئَة، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أَيْ: أَحَاطَ بِهِمْ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَيْ: مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال. ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أَيْ: نُعَامِلكُمْ مُعَامَلة النَّاسِي لكُمْ فِي نَار جَهَنَّم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أَيْ: فَلمْ تَعْمَلُوا لهُ؛ لأَنَّكُمْ لمْ تُصَدِّقُوا بِهِ، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح: أَنَّ الله تَعَالى يَقُول لبَعْضِ العَبِيد يَوْم القِيَامَة: **«أَلمْ أُزَوِّجكَ؟ أَلمْ أُكْرِمكَ؟ أَلمْ أُسَخِّر لكَ الخَيْل وَالإِبل، وَأَذَرك تَرْأَس وَتَرْبَع؟ فَيَقُول: بَلى يَا رَبِّ. فَيَقُول: أَفَظَنَنْت أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُول: لا. فَيَقُول الله تَعَالى: فَاليَوْم أَنْسَاك كَمَا نَسِيتنِي»**.[2]

قَال الله تَعَالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أَيْ: إِنَّمَا جَازَيْنَاكُمْ هَذَا الجَزَاء؛ لأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ حُجَج الله عَليْكُمْ سُخْرِيًّا تَسْخَرُونَ، وَتَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أَيْ: خَدَعَتْكُمْ فَاطْمَأْنَنْتُمْ إِليْهَا، فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ الخَاسِرِينَ، وَلهَذَا قَال: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ أَيْ: مِنْ النَّار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أَيْ: لا يُطْلب مِنْهُمْ العُتْبَى، بَل يُعَذَّبُونَ بِغَيْرِ حِسَاب وَلا عِتَاب، كَمَا تَدْخُل طَائِفَة مِنْ المُؤْمِنِينَ الجَنَّة بِغَيْرِ عَذَاب وَلا حِسَاب. ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالى حُكْمه فِي المُؤْمِنِينَ وَالكَافِرِينَ، قَال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: المَالك لهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَلهَذَا قَال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثُمَّ قَال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي: السُّلطَان، أَيْ: هُوَ العَظِيم المُمَجَّد الَّذِي كُلّ شَيْء خَاضِع لدَيْهِ، فَقِير إِليْهِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: **«يَقُول الله تَعَالى: العَظَمَة إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاء رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَسْكَنْته نَارِي»**[3]. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث الأَعْمَش عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الأَغَرّ أَبِي مُسْلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَأَبِي سَعِيد رضي الله عنهما عَنْ رَسُول الله ﷺ بِنَحْوِهِ. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أَيْ: الَّذِي لا يُغَالب وَلا يُمَانَع، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله، وَشَرْعه وَقَدَره، تَعَالى وَتَقَدَّسَ، لا إِله إِلَّا هُوَ.

آخِر تَفْسِير سُورَة الجَاثِيَة، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٨).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

تفسير سورة الأحقاف وهي مكية

ترتيبها ٤٦ وآياتها ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ نَزَل الكِتَاب عَلى عَبْده وَرَسُوله مُحَمَّد -صَلَوَات الله وَسَلامه عَلَيْهِ، دَائِمًا إِلى يَوْم الدِّين- وَوَصَف نَفْسَهُ بِالعِزَّةِ الَّتِي لا تُرَام، وَالحِكْمَة فِي الأَقْوَال وَالأَفْعَال، ثُمَّ قَال: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: لا عَلى وَجْه العَبَث وَالبَاطِل، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَيْ: وَإِلى مُدَّة مُعَيَّنَة مَضْرُوبَة، لا تَزِيد وَلا تَنْقُص، وَقَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ أَيْ: لاهُونَ عَمَّا يُرَاد بِهِمْ، وَقَدْ أَنْزَل الله تَعَالى إِلَيْهِمْ كِتَاب، وَأُرْسِل إِلَيْهِمْ رسول، وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْ ذَلكَ كُلّه، أَيْ: وَسَيَعْلَمُونَ غِبَّ ذَلكَ.

ثُمَّ قَال: ﴿قُلْ﴾ أَيْ: لهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ العَابِدِينَ مَعَ الله غَيْره، ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: أَرْشِدُونِي إِلى المَكَان الَّذِي اسْتَقَلُّوا بِخَلقِهِ مِنْ الأَرْض، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أَيْ: وَلا شِرْك لَهُمْ فِي السَّمَاوَات وَلا فِي الأَرْض، وَمَا يَمْلكُونَ مِنْ قِطْمِير، إِنْ المُلك وَالتَّصَرُّف كُلّه إِلَّا لله عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْف تَعْبُدُون مَعَهُ غَيْره وَتُشْرِكُونَ بِهِ؟ مَنْ أَرْشَدَكُمْ إِلى هَذَا ؟ مَنْ دَعَاكُمْ إِلَيْهِ؟ أَهُوَ أَمَرَكُمْ بِهِ؟ أَمْ هُوَ شَيْء اقْتَرَحْتُمُوهُ مِنْ عِنْد أَنْفُسكُمْ؟ وَلهَذَا قَال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أَيْ: هَاتُوا كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الله المُنَزَّلة عَلى الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ الصَّلاة وَالسَّلام، يَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الأَصْنَام، ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أَيْ: دَليل بَيِّن عَلى هَذَا المَسْلك الَّذِي سَلكْتُمُوهُ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ إِذ لا دَليل لكُمْ نَقْليًّا وَلا عَقْليًّا عَلى ذَلكَ، وَلهَذَا قَرَأَ آخَرُون: (أَوْ أَثَرَةٌ مِنْ عِلمْ)، أَيْ: أَوْ عِلم صَحِيح يأثرونه عَنْ أَحَد مِمَّنْ قبلهم، كَمَا قَال مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أَوْ أَحَد يَأْثُر عِلمًا، وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَوْ بَيِّنَة مِنْ الأَمْر. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَان حدثنا صَفْوَان بْن [سُليْم][1] عَنْ أَبِي سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما -قَال سُفْيَان: لا أَعْلم إِلَّا عَنْ النَّبِيّ ﷺ-: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، قَال: الخَطّ.[2] وَقَال أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش: أَوْ بَقِيَّة مِنْ عِلم.

وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ﴾ شَيْء يَسْتَخْرِجُهُ فَيُثِيرهُ. وَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَأَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش أَيْضًا: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ يَعْنِي: الخَطّ. وَقَال قَتَادَة: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ خَاصَّة مِنْ عِلم. وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال مُتَقَارِبَة. وَهِيَ رَاجِعَة إِلى مَا قُلنَاهُ، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير رحمه الله وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ مَثْوَاهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ أَيْ: لا أَضَلّ مِمَّنْ يَدْعُو أَصْنَامًا، وَيَطْلُب مِنْهَا مَا لا تَسْتَطِيعهُ إِلى يَوْم القِيَامَة، وَهِيَ غَافِلة عَمَّا يَقُول، لا تَسْمَع وَلا تُبْصِر، وَلا تَبْطِش، لأَنَّهَا جَمَاد حِجَارَة صُمّ، وَقَوْله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟

---

(١) في الأزهرية: [حكيم].

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٢٦).

لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم:٨١-٨٢)، أَيْ: سَيَخُونُونَهُمْ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ الخَلِيل: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (العنكبوت:٢٥).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

يَقُول تعالى مُخْبِرًا عَنْ المُشْرِكِينَ فِي كُفْرهمْ وَعِنَادهمْ: إنهم إِذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ آيَات الله بَيِّنَات، أَيْ: فِي حَال بَيَانهَا وَوُضُوحهَا وَجَلائِهَا، يَقُولُونَ: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أَيْ: سِحْر وَاضِح، وَقَدْ كَذَبُوا وَافْتَرَوْا وَضَلُّوا وَكَفَرُوا، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يَعْنُونَ: مُحَمَّدًا ﷺ. قَال الله: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَيْ: لَوْ كَذَبْت عَلَيْهِ وَزَعَمْت أَنَّهُ أَرْسَلنِي، وَلَيْسَ كَذَلِكَ لعَاقَبَنِي أَشَدّ العُقُوبَة، وَلَمْ يَقْدِر أَحَد مِنْ أَهْل الأَرْض، لا أَنْتُم وَلا غَيْركُمْ، أَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ (الجن:٢٢-٢٣)، وَقَال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٧)، وَلِهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ هَذَا تَهْدِيد لهُمْ، وَوَعِيد أَكِيد، وَتَرْهِيب شَدِيد. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ تَرْغِيب لهُمْ إِلى التَّوْبَة وَالإِنَابَة، أَيْ: وَمَعَ هَذَا كُلّه إِنْ رَجَعْتُمْ وَتُبْتُمْ تَاب عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ وَغَفَر وَرَحِم، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ فِي سُورَة الفُرْقَان: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان:٥-٦). وَقَوْله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أَيْ: لسْت بِأَوَّل رَسُول طَرَق العَالم، بَل قَدْ جَاءَتْ الرُّسُل مِنْ قَبْلي، فَمَا أَنَا بِالأَمْرِ الَّذِي لا نَظِير لهُ حَتَّى تَسْتَنْكِرُونِي، وتستبعدوا بَعْثَتِي إِلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ أَرْسَل الله قَبْلِي جَمِيع الأَنْبِيَاء إِلى الأُمَم، قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَقَتَادَة: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ مَا أَنَا بِأَوَّل رَسُول، وَلَمْ يَحْكِ ابْن جَرِير وَلا ابْن أَبِي حَاتِم غَيْر ذَلكَ.

وَقَوْله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الآيَة: نَزَل بَعْدهَا: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)، وَهَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَالحَسَن وَقَتَادَة: إِنَّهَا مَنْسُوخَة بِقَوْلِهِ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)، قَالُوا: وَلـمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة، قَال رَجُل مِنْ المُسْلِمِينَ: هَذَا قَدْ بَيَّنَ الله، مَا هُوَ فَاعِل بِك يَا رَسُول الله، فَمَا هُوَ فَاعِل بِنَا؟ فَأَنْزَل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ...﴾ هَكَذَا قَال، وَالَّذِي هُوَ ثَابِت فِي الصَّحِيح أَنَّ المُؤْمِنِينَ قَالُوا: هَنِيئًا لك يَا رَسُول الله، فَمَا لنَا؟ فَأَنْزَل الله هَذِهِ الآيَة[1]، وَقَال الضَّحَّاك: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وَمَا أَدْرِي بِمَاذَا أُوْمَرُ وَبِمَاذَا أُنْهَى بَعْد هَذَا؟ وَقَال أَبُو بَكْر الهُذَليّ عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ فِي قَوْله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قَال: أَمَّا فِي الآخِرَة فَمَعَاذَ الله وَقَدْ عَلمَ أَنَّهُ فِي الجَنَّة، وَلكِنْ قَال: لا أَدْرِي مَا يُفْعَل بِي وَلا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا، أُخْرَجُ كَمَا أُخْرِجَتْ الأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلي؟ أَمْ أُقْتَلُ كَمَا قُتِلتْ الأَنْبِيَاء مِنْ قَبْلي؟ وَلا أَدْرِي أَيُخْسَفُ بِكُمْ أَوْ تُرْمَوْنَ بِالحِجَارَةِ؟ وَهَذَا القَوْل هُوَ الَّذِي عَوَّل عَلَيْهِ

(١) صحيح.

ابْن جَرِير، وَأَنَّهُ لا يَجُوز غَيْره، وَلا شَكَّ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّائِق بِهِ -صلوات الله وسلامه عليه-؛ فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلى الآخِرَة جَازِم أَنَّهُ يَصِير إِلى الجَنَّة هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَدْرِ مَا كَانَ يَئُول إِلَيْهِ أَمْره وَأَمْر مُشْرِكِي قُرَيْش، إِلى مَاذَا؟ أَيُؤْمِنُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ، فَيُعَذَّبُونَ فَيُسْتَأْصَلُونَ بِكُفْرِهِمْ. فَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَعْقُوب حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْن شِهَاب عَنْ خَارِجَة بن زَيْد بْن ثَابِت عَنْ أُمّ العَلاء -وَهِيَ امْرَأَة مِنْ نِسَائِهِمْ- أَخْبَرَتْهُ، وَكَانَتْ بَايَعَتْ رَسُول الله ﷺ، قَالَتْ: طَارَ لَهُمْ فِي السُّكْنَى حِين اقْتَرَعَتْ الأَنْصَار عَلى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ عُثْمَان بْن مَظْعُون رضي الله عنه، فَاشْتَكَى عُثْمَان رضي الله عنه عِنْدَنَا فَمَرَّضْنَاهُ، حَتَّى إِذَا تُوُفِّيَ أَدْرَجْنَاهُ فِي أَثْوَابه، فَدَخَل عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ، فَقُلت: رَحْمَة الله عَلَيْك أَبَا السَّائِب، شَهَادَتِي عَلَيْك لَقَدْ أَكْرَمَك الله، فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«وَمَا يُدْرِيك أَنَّ الله تَعَالى أَكْرَمَهُ؟»**. فَقُلت: لا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِين مِنْ رَبّه، وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الخَيْر، وَالله مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُول الله مَا يُفْعَل بِي»**. قَالَتْ: فَقُلت: وَالله لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْده أَبَدًا، وَأَحْزَنَنِي ذَلِك، فَنِمْت فَرَأَيْت لِعُثْمَان رضي الله عنه عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْت إِلى رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرْته بِذَلِك، فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«ذَاك عَمَلُهُ»**.[1] فَقَدْ انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ البُخَارِيّ دُون مُسْلِم. وَفِي لَفْظ لَهُ: **«مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ الله مَا يُفْعَل بِهِ»**.

وَهَذَا أَشْبَهُ أَنْ يَكُون هُوَ المَحْفُوظ بِدَلِيل قَوْلِهَا: فَأَحْزَنَنِي ذَلِك، وَفِي هَذَا وَأَمْثَاله دَلالَة عَلى أَنَّهُ لا يُقْطَع لِمُعَيَّنٍ بِالجَنَّةِ؛ إِلَّا الَّذِي نَصَّ الشَّارِع عَلى تَعْيِينهمْ كَالعَشَرَةِ، وابْن سَلام والغميصاء وَبِلال وَسُرَاقَة، وَعَبْد الله بْن عَمْرو ابْن حَرَام وَالد جَابِر، وَالقُرَّاء السَّبْعِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبِئْرِ مَعُونَة، وَزَيْد بْن حَارِثَة وَجَعْفَر وَابْن رَوَاحَة، وَمَا أَشْبَهَ هَؤُلاءِ رضي الله عنهم. وَقَوْله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أَيْ: إِنَّمَا أَتَّبِع مَا يُنَزِّلُهُ الله عَلَيَّ مِنْ الوَحْي، ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَيْ: بَيِّن النِّذَارَة، وَأَمْرِي ظَاهِر لِكُلِّ ذِي لُبّ وَعَقْل.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الكَافِرِينَ بِالقُرْآنِ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هَذَا القُرْآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أَيْ: مَا ظَنُّكُمْ أَنَّ الله صَانِع بِكُمْ إِنْ كَانَ هَذَا الكِتَاب الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ قَدْ أَنْزَلَهُ عَلَيَّ لأُبَلِّغَكُمُوهُ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهِ، وَكَذَّبْتُمُوهُ، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أَيْ: وَقَدْ شَهِدَتْ بِصِدْقِهِ، وَصِحَّته الكُتُبُ المُتَقَدِّمَة المُنَزَّلَة عَلى الأَنْبِيَاء قَبْلِي، بَشَّرَتْ بِهِ، وَأَخْبَرَتْ بِمِثْل مَا أَخْبَرَ هَذَا القُرْآن بِهِ. وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي شَهِدَ بِصِدْقِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل لِمَعْرِفَتِهِ بِحقيته، ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أَنْتُمْ عَنْ اتِّبَاعه، وَقَال مَسْرُوق: فَآمَنَ هَذَا الشَّاهِد بِنَبِيِّهِ وَكِتَابه، وَكَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِنَبِيِّكُمْ وَكِتَابكُمْ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وَهَذَا الشَّاهِد اسْم جِنْس يَعُمّ عَبْد الله بْن سَلام رضي الله عنه وَغَيْره، فَإِنَّ هَذِهِ الآيَة مَكِّيَّة، نَزَلَتْ قَبْل إِسْلام عَبْد الله بْن سَلام رضي الله عنه، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ (القصص:٥٣)، وَقَال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (الإسراء:١٠٧-١٠٨).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٤٣).

قَال مَسْرُوق وَالشَّعْبِيّ: لَيْسَ بِعَبْدِ الله بْن سَلام، هَذِهِ الآيَة مَكِّيَّة، وَإِسْلام عَبْد الله بْن سَلام ﷺ كَانَ بِالمَدِينَةِ. رَوَاهُ عَنْهُمَا ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال مَالك عَنْ أَبِي النَّضْر عَنْ عَامِر بْن سَعْد عَنْ أَبِيهِ قَال: مَا سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول لأَحَدٍ يَمْشِي عَلى وَجْه الأَرْض: إِنَّهُ مِنْ أَهْل الجَنَّة، إِلَّا لعَبْدِ الله بْن سَلام رضي الله عنه، قَال: وَفِيهِ نَزَلتْ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾[1] رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيث مَالك بِهِ، وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة وَعِكْرِمَة وَيُوسُف بْن عَبْد الله بْن سَلام وَهِلال بْن يَسَاف وَالسُّدِّيّ وَالثَّوْرِيّ وَمَالك بْن أَنَس وَابْن زَيْد أَنَّهُمْ كُلّهمْ قَالُوا: إِنَّهُ عَبْد الله بْن سَلام.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ أَيْ: قَالُوا عَنْ المُؤْمِنِينَ بِالقُرْآنِ لَوْ كَانَ القُرْآن خَيْرًا مَا سَبَقَنَا هَؤُلاءِ إِلَيْهِ، يَعْنُونَ: بِلالًا وَعَمَّارًا وَصُهَيْبًا وَخَبَّابًا رضي الله عنهم، وَأَشْبَاههمْ وَأَضْرَابهمْ مِنْ المُسْتَضْعَفِينَ وَالعَبِيد وَالإِمَاء، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لأَنَّهُمْ عِنْد أَنْفُسهمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْد الله وَجَاهَة، وَلهُ بِهِمْ عِنَايَة. وَقَدْ غَلِطُوا فِي ذَلكَ غَلطًا فَاحِشًا، وَأَخْطَئُوا خَطأً بَيِّنًا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ (الأنعام:٥٣)، أَيْ: يَتَعَجَّبُونَ كَيْف اهْتَدَى هَؤُلاءِ دُوننَا، وَلهَذَا قَالُوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾، وَأَمَّا أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، فَيَقُولُونَ فِي كُلّ فِعْل وَقَوْل لمْ يَثْبُت عَنْ الصَّحَابَة رضي الله عنهم: هُوَ بِدْعَة؛ لأَنَّهُ لوْ كَانَ خَيْرًا لسَبَقُونَا إِليْهِ، لأَنَّهُمْ لمْ يَتْرُكُوا خَصْلة مِنْ خِصَال الخَيْر إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِليْهَا. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ أَيْ: بِالقُرْآنِ ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ﴾ أَيْ: كَذِب ﴿قَدِيمٌ﴾ أَيْ: مَأْثُور عَنْ الأَقْدَمِينَ فَيَنْتَقِصُونَ القُرْآن وَأَهْله، وَهَذَا هُوَ الكِبْر الَّذِي قَال رَسُول الله ﷺ: «بَطَرُ الحَقِّ وغَمْص النَّاسِ».[2]

ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وَهُوَ التَّوْرَاة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ يَعْنِي: القُرْآن ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ أَيْ: لمَا قَبْله مِنْ الكُتُب، ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أَيْ: فَصِيحًا بَيِّنًا وَاضِحًا؛ ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أَيْ: مُشْتَمِل عَلى النِّذَارَة للكَافِرِينَ، وَالبِشَارَة للمُؤْمِنِينَ، وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرهَا فِي سُورَة حم السَّجْدَة، وَقَوْله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلى مَا خَلَّفُوا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: الأَعْمَال سَبَب لنَيْل الرَّحْمَة لهُمْ وَسُبُوغهَا عَليْهِمْ.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

لمَّا ذَكَرَ تَعَالى فِي الآيَة الأُولى التَّوْحِيد لهُ، وَإِخْلاص العِبَادَة، وَالاسْتِقَامَة إِليْهِ، عَطَفَ بِالوَصِيَّةِ بِالوَالدَيْنِ كَمَا هُوَ مَقْرُون فِي غَيْر مَا آيَة مِنْ القُرْآن، كَقَوْلهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الإسراء:٢٣)، وقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤)، إِلى غَيْر ذَلكَ مِنْ الآيَات الكَثِيرَة. وَقَال هَهُنَا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أَيْ: أَمَرْنَاهُ بِالإِحْسَانِ إِليْهِمَا، وَالحُنُوّ عَليْهِمَا، وَقَال أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالسِيّ: حَدَّثَنَا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

(٢) صحيح : تقـدم.

شُعْبَة، أَخْبَرَنِي سِمَاك بْن حَرْب قَال: سَمِعْت مُصْعَب بْن سَعْد يُحَدِّث عَنْ سَعْد ﷺ قَال: قَالَتْ أُمّ سَعْد لسَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ الله بِطَاعَةِ الوَالدَيْنِ، فَلا آكُل طَعَامًا، وَلا أَشْرَب شَرَابًا حَتَّى تَكْفُر بِالله، فَامْتَنَعَتْ مِنْ الطَّعَام وَالشَّرَاب حَتَّى جَعَلُوا يَفْتَحُونَ فَاهَا بِالعَصَا، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ الآيَة.[1] وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَهْل السُّنَن إِلَّا ابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث شُعْبَة بإسناده نَحْوه وَأَطْوَل مِنْهُ، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أَيْ: قَاسَتْ بِسَبَبِهِ فِي حَال حَمْله مَشَقَّة وَتَعَبًا مِنْ وَحَام، وغشيان وَثِقَل وَكَرْب، إِلى غَيْر ذَلِكَ مِمَّا تَنَال الحَوَامِل مِنْ التَّعَب وَالمَشَقَّة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أَيْ: بِمَشَقَّةٍ أَيْضًا مِنْ الطَّلْق وَشِدَّته، ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ عَلِيّ ﷺ بِهَذِهِ الآيَة مَعَ الَّتِي فِي لُقْمَان: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان:١٤)، [وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾][2] (البقرة:٢٣٣)، عَلَى أَنَّ أَقَلّ مُدَّة الحَمْل سِتَّة أَشْهُر، وَهُوَ اسْتِنْبَاطٌ قَوِيٌّ صَحِيح، وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ عُثْمَان وَجَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة ﷺ.

قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار عَنْ يَزِيد بْن عَبْد الله بْن قُسَيْط عَنْ بَعْجة بْن عَبْد الله الجُهَنِيّ قَال: تَزَوَّج رَجُل مِنَّا امْرَأَة مِنْ جُهَيْنَة، فَوَلَدَتْ لَهُ لِتَمَام سِتَّة أَشْهُر، فَانْطَلَقَ زَوْجهَا إِلى عُثْمَان ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَامَتْ لِتَلبَس ثِيَابهَا بَكَتْ أُخْتُهَا، فَقَالَتْ: مَا يُبْكِيك؟ فَوَالله مَا التَبَسَ بِي أَحَدٌ مِنْ خَلق الله غَيْره قَطُّ، فَيَقْضِي الله فِيَّ مَا شَاءَ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا عُثْمَان ﷺ أَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا ﷺ، فَأَتَاهُ فَقَال لَهُ: مَا تَصْنَع؟ قَال: وَلَدَتْ تَمَامًا لِسِتَّةِ أَشْهُر، وَهَل يَكُون ذَلِكَ؟ فَقَال لَهُ: أَمَا تَقْرَأُ القُرْآن؟ قَال: بَلَى. قَال: أَمَا سَمِعْتَ الله يَقُول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وَقَال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة:٢٣٣)، فَلَمْ نَجِدهُ بَقِيَ إِلَّا سِتَّة أَشْهُر، قَال: فَقَال عُثْمَان ﷺ: وَالله مَا فَطِنْت لهذا، عَلَيَّ بِالمَرْأَةِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ فُرِغَ مِنْهَا قَال: فَقَال بَعْجة: فَوَالله مَا الغُرَاب بِالغُرَابِ، وَلا البَيْضَة بِالبَيْضَةِ بِأَشْبَهَ مِنْهُ بِأَبِيهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُوهُ قَال: ابْنِي. وَالله لا أَشُكُّ فِيهِ. قَال: وأبلاه الله بِهَذِهِ القُرْحَة قرحة الأكلة، فَمَا زَالَتْ تَأْكُلهُ حَتَّى مَاتَ، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَقَدْ أَوْرَدْنَاهُ مِنْ وَجه آخر عِنْد قَوْله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ (الزخرف:٨١).

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا فَرْوَة بْن أَبِي المَغْرَاءِ، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُسْهِر عَنْ دَاوُد بْن أَبِي هِنْد عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ قَال: إِذَا وَضَعَتْ المَرْأَة لِتِسْعَةِ أَشْهُر كَفَاهُ مِنْ الرَّضَاع أَحَد وَعِشْرُونَ شَهْرًا، وَإِذَا وَضَعَتْهُ لِسَبْعَةِ أَشْهُر كَفَاهُ مِنْ الرَّضَاع ثَلاثَة وَعِشْرُونَ شَهْرًا، وَإِذَا وَضَعَتْهُ لِسِتَّةِ أَشْهُر فَحَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ؛ لأَنَّ الله تَعَالَى يَقُول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أَيْ: قَوِيَ وَشَبَّ وَارْتَجَل. ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أَيْ: تَنَاهَى عَقْله، وَكَمُل فَهْمُهُ وَحِلمه. وَيُقَال: إِنَّهُ لا يَتَغَيَّر غَالبًا عَمَّا يَكُون عَلَيْهِ ابْن الأَرْبَعِينَ.

قَال أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش: عَنْ الأَعْمَش عَنْ القَاسِم بْن عَبْد الرَّحْمَن قَال: قُلت لِمَسْرُوقٍ: مَتَى يُؤْخَذ الرَّجُل بِذُنُوبِهِ؟ قَال: إِذَا بَلَغْت الأَرْبَعِينَ فَخُذْ حِذْرك. وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى المَوْصِلِيّ: حَدَّثَنَا عبيد الله القَوَارِيرِيّ، حَدَّثَنَا عزرة بْن قَيْس الأَزْدِيّ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِائَة سَنَة، حَدَّثَنَا أَبُو الحَسَن السلولي عنه، وزادني قَال: قَال مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن عُثْمَان عَنْ عُثْمَان ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«العَبْد المُسْلم إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَة خَفَّفَ الله حِسَابه، وَإِذَا بَلَغَ سِتِّينَ سَنَة رَزَقَهُ الله الإِنَابَة إِلَيْهِ، وَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَة أَحَبَّهُ أَهْل السَّمَاء، وَإِذَا بَلَغَ ثَمَانِينَ سَنَة ثَبَّتَ الله حَسَنَاته**

---

(١) صحيح: تقــدم.
(٢) سقط من الأزهرية.

وَمَحَا سَيِّئَاته، وَإِذَا بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ، وَشَفَّعَهُ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِه، وَكُتِبَ فِي السَّمَاءِ أَسِيرَ اللهِ فِي أَرْضِه»[١]. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْه، وَهُوَ فِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَد، وَقَدْ قَالَ الحَجَّاج بْن عَبْد الله الحَكَمِيّ أَحَد أُمَرَاء بَنِي أُمَيَّة بِدِمَشْق: تَرَكْت المَعَاصِي وَالذُّنُوب أَرْبَعِينَ سَنَة حَيَاءً مِنَ النَّاس، ثُمَّ تَرَكْتهَا حَيَاء مِنَ الله ﷻ. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ ۞ فَلَمَّا عَلاهُ قَالَ لِلبَاطِلِ: ابْطُلِ

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أَيْ أَلْهِمْنِي، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أَيْ: فِي المُسْتَقْبَل، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ أَيْ: نَسْلِي وَعَقِبِي، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وَهَذَا فِيهِ إِرْشَاد لِمَنْ بَلَغَ الأَرْبَعِينَ أَنْ يُجَدِّد التَّوْبَة وَالإِنَابَة إِلَى الله ﷻ، وَيَعْزِم عَلَيْهَا، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنه عَنْ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يُعَلِّمهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِي التَّشَهُّد: «اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور، وَجَنِّبْنَا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّاب الرَّحِيم، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتْمِمْهَا عَلَيْنَا إِنك أنت التواب الرحيم»[٢].

قَالَ الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أَيْ: هَؤُلاءِ المُتَّصِفُونَ بِمَا ذَكَرْنَا، التَّائِبُونَ إِلَى الله المُنِيبُونَ إِلَيْهِ، المُسْتَدْرِكُونَ مَا فَاتَ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَار، هُمْ الَّذِينَ يتقبل عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، ويتجاوز عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيُغْفَر لَهُمْ الكَثِير مِنَ الزَّلل، ويتقبل مِنْهُمْ اليَسِير مِنَ العَمَل ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أَيْ: هُمْ فِي جُمْلَة أَصْحَاب الجَنَّة، وَهَذَا حُكْمهمْ عِنْد الله، كَمَا وَعَدَ الله مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

قَالَ ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا المُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ الحَكَم بْن أَبَان عَنْ الغِطْرِيف، عَنْ جَابِر بْن زَيْد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما عَنْ رَسُول الله ﷺ عَنْ الرُّوح الأَمِين عليه السلام قَالَ: «يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْد وَسَيِّئَاته، فَيُقْتَصّ بَعْضهَا بِبَعْضٍ، فَإِنْ بَقِيَتْ حَسَنَة وَسَّعَ الله لَهُ فِي الجَنَّة»[٣]. قَالَ: فَدَخَلت عَلَى يَزْدَاد فَحُدِّثَ بِمِثْل هَذَا الحديث، قَالَ: قُلت: فَإِنْ ذَهَبَتْ الحَسَنَة؟ قَالَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يتقبل عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَز عَنْ سَيِّئَاتهمْ فِي أَصْحَاب الجَنَّة، وَعْد الصِّدْق الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ». وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الأَعْلَى الصَّنْعَانِيّ عَنْ المُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان بِإِسْنَادِهِ مِثْله، وَزَادَ: عَنْ الرُّوح الأَمِين. قَالَ: قَالَ الرَّبّ جَلَّ جَلاله: «يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْد وَسَيِّئَاته» فَذَكَرَهُ، وَهُوَ حَدِيث غَرِيب، وَإِسْنَاده جَيِّد لا بَأْس بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن مَعْبَد، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَاصِم الكِلابِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة عَنْ أَبِي بِشْر جَعْفَر بْن أَبِي وَحْشِيَّة [عن أَبِي وَحْشِيَّة][٤] عَنْ يُوسُف بْن سَعْد، عَنْ مُحَمَّد بْن حَاطِب قَالَ: وَنَزَل فِي دَارِي حَيْثُ ظَهَرَ عَلِيّ رضي الله عنه عَلى أَهْل البَصْرَة، فَقَال لِي يَوْمًا: لَقَدْ شَهِدْت أَمِير المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رضي الله عنه وَعِنْده عَمَّار وَصَعْصَعَة وَالأَشْتَر وَمُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر رضي الله عنهم، فَذَكَرُوا عُثْمَان رضي الله عنه فَنَالُوا مِنْهُ، وكان عَلِيّ رضي الله عنه عَلَى السَّرِير

---

(١) ضعيف: في إسناده عزرة بن قيس الأزدي وهو ضعيف.
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٩٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٣) إسناده ضعيف: تقدم.
(٤) سقط من الأزهرية.

وَمَعَهُ عُودٌ فِي يَدِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: إِنَّ عِنْدَكُمْ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ قَالَ: وَاللهِ؛ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُ عُثْمَانَ رضي الله عنهم، قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ يُوسُفُ: فَقُلْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ: آللهِ لَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه؟ قَالَ: آللهِ لَسَمِعْتُ هَذَا مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الدَّاعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ الْبَارِّينَ بِهِمَا وَمَا لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ، عَطَفَ بِحَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْعَاقِّينَ لِلْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ قَالَ هَذَا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ابْنٍ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما، وَفِي صِحَّةِ هَذَا نَظَرٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما. وهذا أيضًا قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَهَذَا أَيْضًا قَالَهُ السُّدِّيُّ، وَإِنَّمَا هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ، فَقَالَ لِوَالِدَيْهِ: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ عَقَّهُمَا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمَدِينِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَفِي الْمَسْجِدِ حِينَ خَطَبَ مَرْوَانُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي يَزِيدَ رَأْيًا حَسَنًا، وَإِنْ يَسْتَخْلِفْهُ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما: أَهِرَقْلِيَّةٌ؟ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه وَاللهِ مَا جَعَلَهَا فِي أَحَدٍ مِنْ وَلَدِهِ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وما جَعَلَهَا مُعَاوِيَةُ فِي وَلَدِهِ إِلَّا رَحْمَةً وَكَرَامَةً لِوَلَدِهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: أَلَسْتَ الَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ: أُفٍّ لَكُمَا؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه: أَلَسْتَ ابْنَ اللَّعِينِ الَّذِي لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَاكَ؟ قَالَ: وَسَمِعَتْهُمَا عَائِشَةُ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: يَا مَرْوَانُ أَنْتَ الْقَائِلُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ كَذَا وَكَذَا؟ كَذَبْتَ، مَا فِيهِ نَزَلَتْ، وَلَكِنْ نَزَلَتْ فِي فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، ثُمَّ انْتَحَبَ مَرْوَانُ، ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ، حَتَّى أَتَى بَابَ حُجْرَتِهَا، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهَا حَتَّى انْصَرَفَ[1]، وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِإِسْنَادٍ آخَرَ، وَلَفْظٍ آخَرَ؛ فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ: كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ، اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما، فَخَطَبَ فجعل يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ؛ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما شَيْئًا، فَقَالَ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: مَا أَنْزَلَ اللهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عُذْرِي.

طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ النَّسَائِيُّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: لَمَّا بَايَعَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه لِابْنِهِ، قَالَ مَرْوَانُ: سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما.

---

(١) صحيح في إسناده ضعف إلا أنه يشهد له رواية البخاري الآتية.

فَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر ﵄: سُنَّة هِرَقْل وَقَيْصَر. فَقَال مَرْوَانُ: هَذَا الَّذِي أَنْزَل الله فِيهِ: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾ الآيَة. فَبَلغَ ذَلكَ عَائِشَةَ ﵂، فَقَالتْ: كَذَبَ مَرْوَان وَالله مَا هُوَ بِهِ، وَلوْ شِئْت أَنْ أُسَمِّي الَّذِي أُنْزلتْ فِيهِ لسَمَّيْته، وَلكِنَّ رَسُول الله ﷺ لعَنَ أَبَا مَرْوَان وَمَرْوَانُ فِي صُلبِهِ، فَمَرْوَان فَضَضٌ مِنْ لعْنَةِ الله.[1]

وَقَوْله: ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أَيْ: أُبْعَث، ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أَيْ: قَدْ مَضَى النَّاس، فَلمْ يَرْجِع مِنْهُمْ مُخْبِر، ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أَيْ: يَسْأَلانِ الله فِيهِ أَنْ يَهْدِيه، وَيَقُولانِ لوَلدِهِمَا: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. قَال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ أَيْ: دَخَلُوا فِي زُمْرَة أَشْبَاههمْ وَأَضْرَابهمْ، مِنْ الكَافِرِينَ الخَاسِرِينَ أَنْفُسهمْ وَأَهْليهِمْ يَوْم القِيَامَة.

وَقَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بَعْد قَوْله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾ دَليل عَلى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ جِنْس يَعُمّ كُلّ مَنْ كَانَ كَذَلكَ، وَقَال الحَسَن وَقَتَادَة: هُوَ الكَافِر الفَاجِر العَاقّ لوَالدَيْهِ المُكَذِّب بِالبَعْثِ. وَقَدْ رَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة سَهْل بْن دَاوُدَ مِنْ طَرِيق هشام بْن عَمَّار، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا خَالد بن الزِّبْرِقَان الحلبي عَنْ سليمان ابْن حَبِيب المحاربي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِليّ ﵁، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «أَرْبَعَة لعَنَهُمْ الله مِنْ فَوْق عَرْشه، وَأَمَّنَتْ عَليْهِمْ المَلائِكَة: مُضِلّ المَسَاكِين». قَال خَالد: الَّذِي يَهْوِي بِيَدِهِ إِلى المِسْكِين فَيَقُول: هَلُمَّ أُعْطِيك، فَإِذَا جَاءَهُ قَال: ليْسَ مَعِي شَيْء: «وَالَّذِي يَقُول للمكفوف: اتق الدابة، وَليْسَ بَيْن يَدَيْهِ شَيْء، وَالرَّجُل يَسْأَل عَنْ دَار القَوْم فَيَدُلُّونَهُ عَلى غَيْرهَا، وَالَّذِي يَضْرِب الوَالدَيْنِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا».[2] غَرِيب جِدًّا. وَقَوْله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أَيْ: لكُلٍّ عَذَاب بِحَسَبِ عَمَله، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أَيْ: لا يَظْلمهُمْ مِثْقَال ذَرَّة فَمَا دُونهَا. قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ: دَرَجَات النَّار تَذْهَب سَفَالًا، وَدَرَجَات الجَنَّة تَذْهَب عُلُوًّا، وَقَوْله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ أَيْ: يُقَال لهُمْ ذَلكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا، وَقَدْ تَوَرَّعَ أَمِير المُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الخَطَّاب ﵁ عَنْ كَثِير مِنْ طَيِّبَات المَآكِل وَالمَشَارِب وَتَنَزَّهَ عَنْهَا، وَيَقُول: أَخَاف أَنْ أَكُون كَالَّذِينَ قَال الله تعالى لهُمْ وَقَرَّعَهُمْ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾.

وَقَال أَبُو مِجْلز: ليتفقدون أَقْوَام حَسَنَات كَانَتْ لهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيُقَال لهُمْ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾.

وَقَوْله: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ فَجُوزُوا مِنْ جِنْس عَمَلهِمْ، فَكَمَا مَتَّعُوا أَنْفُسهمْ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاع الحَقّ، وَتَعَاطَوْا الفِسْق وَالمَعَاصِي، جَازَاهُمْ الله بِعَذَابِ الهُون، وَهُوَ الإِهَانَة وَالخِزْي وَالآلام المُوجِعَة، وَالحَسَرَات المُتَتَابِعَة، وَالمَنَازِل فِي الدَّرَكَات المُفْظِعَة، أَجَارَنَا الله مِنْ ذَلكَ كُلّه.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٥٨) بسند ضعيف.
(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٤٨٩) بسند ضعيف.

يَقُول تَعالى مُسَلِّيًا لنبيِّه ﷺ فِي تَكْذِيب مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ وَهُوَ هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعَثَهُ الله إِلَى عَادِ الأُولى، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الأَحْقَاف، جَمْع حِقْف وَهُوَ الجَبَل مِنْ الرَّمْل، قَالَهُ ابْن زَيْد، وَقَال عِكْرِمَة: الأَحْقَاف: الجَبَل وَالغَار، وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الأَحْقَاف وَادٍ بِحَضْرَمَوْتَ يُدْعَى بَرَهُوتَ تُلقَى فِيهِ أَرْوَاح الكُفَّار، وَقَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ عَادًا كَانُوا حَيًّا بِاليَمَنِ أَهْل رَمْل، مُشْرِفِينَ عَلى البَحْر بِأَرْضٍ يُقَال لهَا: الشَّحْرُ، قَال ابْن مَاجَهْ: (بَاب إِذَا دَعَا فَليَبْدَأْ بِنَفْسِهِ). حَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَلِيّ الخَلَّال، حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثَنَا عن أَبِي إِسْحَاق عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «يَرْحَمُنَا الله وَأَخَا عَادٍ»[1]. وَقَوْله: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ يَعْنِي: وَقَدْ أَرْسَل الله إِلى مَنْ حَوْل بِلادهمْ من القُرَى مُرْسَلينَ وَمُنْذِرِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ (البقرة:٦٦)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ (فصلت:١٣-١٤)، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ (الأعراف:٥٩)، أَيْ: قَال لهُمْ هُود ذَلكَ، فَأَجَابَهُ قَوْمه قَائِلينَ: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ أَيْ: لتَصُدّنَا عَنْ آلهتنَا ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ اسْتَعْجَلُوا عَذَاب الله وَعُقُوبَته، اسْتِبْعَادًا مِنْهُمْ وُقُوعه، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ (الشورى:١٨). ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ الله أَعْلمُ بِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَحِقِّينَ لتَعْجِيل العَذَاب فيفعل ذَلكَ بِكُمْ، وَأَمَّا أَنَا فَمِنْ شَأْنِي أن أُبَلِّغَكُمْ مَا أُرْسِلت بِهِ، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ أَيْ: لا تَعْقِلُونَ وَلا تَفْهَمُونَ.

قَال الله تَعَالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾ أَيْ: لـمَّا رَأَوْا العَذَاب مُسْتَقْبِلهمْ، اعْتَقَدُوا أَنَّهُ عَارِض مُمْطِر، فَفَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا، وَقَدْ كَانُوا مُمْحِلينَ مُحْتَاجِينَ إِلى المَطَر. قَال الله تَعَالى: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أَيْ: هُوَ العَذَاب الَّذِي قُلتُمْ ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ﴿تُدَمِّرُ﴾ أَيْ: تُخَرِّب ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ مِنْ بِلادهمْ مِمَّا مِنْ شَأْنه الخَرَاب، ﴿بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ أَيْ: بِإِذْنِ الله لهَا فِي ذَلكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ (الذاريات:٤٢)، أَيْ: كَالشَّيْءِ البَالي، وَلهَذَا قَال: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ أَيْ قَدْ بَادُوا كُلُّهُمْ عَنْ آخِرهِمْ وَلمْ تَبْقَ لهُمْ بَاقِيَة: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أَيْ: هَذَا حُكْمُنَا فِيمَنْ كَذَّبَ رُسُلنَا وَخَالفَ أَمْرَنَا.

وَقَدْ وَرَدَ حَدِيث فِي قِصَّتهمْ، وَهُوَ غَرِيب جِدًّا مِنْ غَرَائِب الحَدِيث وَأَفْرَاده، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثَنِي أَبُو المُنْذِر سَلَّام بْن سُليمان النَّحْوِيّ قَال: حَدَّثَنَا عَاصِم بْن أَبِي النَّجُود عَنْ أَبِي وَائِل عَنْ الحَارِث البَكْرِيّ قَال: خَرَجْت أَشْكُو العَلاء بْن الحَضْرَمِيّ إِلى رَسُول الله ﷺ، فَمَرَرْت بِالرَّبْذَةِ، فَإِذَا عَجُوز مِنْ بَنِي تَمِيم مُنْقَطِع بِهَا، فَقَالتْ لي: يَا عَبْد الله إِنَّ لي إِلى رَسُول الله ﷺ حَاجَة، فَهَل أَنْتَ مُبَلِّغِي إِليْهِ؟ قَال: فَحَمَلتهَا فَأَتَيْت بِهَا المَدِينَة، فَإِذَا المَسْجِد غَاصّ بِأَهْلهِ، وَإِذَا رَايَة سَوْدَاء تَخْفِق، وَإِذَا بِلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مُتَقَلِّد السَّيْف بَيْن يَدَيْ رَسُول الله ﷺ فَقُلت: مَا شَأْن النَّاس؟ قَالُوا: يُرِيد أَنْ يَبْعَث عَمْرو بْن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجْهًا، قَال: فَجَلسْت فَدَخَل مَنْزِله، أَوْ قَال: رَحْله فَاسْتَأْذَنْت عَليْهِ، فَأَذِنَ لي، فَدَخَلت [فَسَلَّمْت، فَقَال ﷺ: «هَل كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْن تَمِيم شَيْء؟». قُلت: نَعَمْ وَكَانَتْ لنَا الدبرة عَليْهِمْ، وَمَرَرْت بِعَجُوزٍ مِنْ بَنِي تَمِيم مُنْقَطِع بِهَا، فَسَأَلتْنِي أَنْ أَحْمِلهَا إِليْك وها هِيَ بِالبَابِ، فَأْذَنْ لهَا، فَدَخَلتْ][2]، فَقُلت: يَا رَسُول الله إن رَأَيْت أَنْ تَجْعَل بَيْننَا وَبَيْن تَمِيم حَاجِزًا، فَاجْعَل الدَّهْنَاء.

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٢) بسند ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٤٢٧).
(٢) سقط من الأزهرية.

فَحَمِيَتْ العَجُوز وَاسْتَوْفَزَتْ، وَقَالتْ: يَا رَسُول الله فَإِلى أَيْنَ [تَضْطَرّ مُضَرك؟][١] قَال: قُلت: إِنَّ مَثَلي مَا قَال الأَوَّلُ: مِعْزَى حَمَلتْ حَتْفَهَا، حَمَلت هَذِهِ وَلا أَشْعُر أَنَّهَا كَانَتْ لِي خَصْمًا، أَعُوذ بِالله وَرَسُوله أَنْ أَكُون كَوَافِدِ عَادٍ، قَال لِي: «**وَمَا وَافِدُ عَادٍ؟**». وَهُوَ أَعْلَمُ بِالحَدِيثِ مِنْهُ، وَلكِنْ يَسْتَطْعِمُهُ، قُلت: إِنَّ عَادًا قُحِطُوا فَبَعَثُوا وافدًا لَهُمْ يُقَال لهُ: قَيْل، فَمَرَّ بِمُعَاوِيَةَ بْن بَكْر، فَأَقَامَ عِنْده شَهْرًا يَسْقِيه الخَمْر وَتُغَنِّيه جَارِيَتَانِ يُقَال لَهُمَا: الجَرَادَتَانِ، فَلَمَّا مَضَى الشَّهْرُ خَرَجَ إِلى جِبَال مُهْرَةَ، فَقَال: اللَّهُمَّ إِنَّك تَعْلمُ أَنِّي لمْ أَجِئْ إِلى مَرِيض فَأُدَاوِيه، وَلا إِلى أَسِيرٍ فَأُفَادِيه، اللَّهُمَّ اسْقِ عَادًا مَا كُنْت تَسْقِيه، فَمَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سُودٌ، فَنُودِيَ مِنْهَا: اخْتَرْ. فَأَوْمَأَ إِلى سَحَابَةٍ مِنْهَا سَوْدَاء فَنُودِيَ مِنْهَا، خُذْهَا رَمَادًا رِمْدَدًا، لا تُبْقِي مِنْ عَادٍ أَحَدًا، قَال: فَمَا بَلغَنِي أَنَّهُ أُرْسِل عَلَيْهِمْ مِنْ الرِّيح إِلَّا [قَدْرُ][٢] مَا يَجْرِي فِي خَاتَمِي هَذَا حَتَّى هَلكُوا، قَال أَبُو وَائِل: وَصَدَقَ. وَكَانَتْ المَرْأَة وَالرَّجُل إِذَا بَعَثُوا وَافِدًا لَهُمْ قَالُوا: لا تَكُنْ كَوَافِدِ عَادٍ.[٣] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة الأَعْرَاف.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَارُون بْن مَعْرُوف، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنَا عَمْرو أَنَّ أَبَا النَّضْر حَدَّثَهُ عَنْ سُلَيْمَان بْن يَسَار عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالتْ: مَا رَأَيْت رَسُول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاته، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّم. قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلكَ فِي وَجْهه، قَالتْ: يَا رَسُول الله؛ النَّاس إِذَا رَأَوْا الغَيْم فَرِحُوا رَجَاء أَنْ يَكُون فِيهِ المَطَر، وَأَرَاك إِذَا رَأَيْته عُرِفَتْ فِي وَجْهك الكَرَاهِيَة، فَقَال: «**يَا عَائِشَة مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُون فِيهِ عَذَاب، قَدْ عُذِّبَ قَوْم بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْم العَذَاب فَقَالُوا: هَذَا عَارِض مُمْطِرنَا**»[٤]. وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث ابْن وَهْب.

طَرِيق أُخْرَى: قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن عَنْ سُفْيَان عَنْ المِقْدَام بْن شُرَيْح عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها: أَن رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أُفُق مِنْ آفَاق السَّمَاء، تَرَكَ عَمَله، وَإِنْ كَانَ فِي صَلاته، ثُمَّ يَقُول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذ بِك مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ**». فَإِنْ كَشَفَهُ الله حَمِدَ الله، وَإِنْ أَمْطَرَ قَال: «**اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**».[٥]

طَرِيق أُخْرَى: قَال مُسْلم فِي صَحِيحه: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِر، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب سَمِعْت ابْن جُرَيْج يحدث عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا عَصَفَتْ الرِّيح قَال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك خَيْرهَا، وَخَيْر مَا فِيهَا، وَخَيْر مَا أُرْسِلتْ بِهِ، وَأَعُوذ بِك مِنْ شَرِّهَا، وَشَرّ مَا فِيهَا، وَشَرّ مَا أُرْسِلتْ بِهِ**». قَالتْ: وَإِذَا تخيلت السَّمَاء تَغَيَّرَ لوْنه، وَخَرَجَ وَدَخَل، وَأَقْبَل وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفَتْ ذَلكَ عَائِشَة رضي الله عنها فَسَأَلتْهُ، فَقَال: «**لعَلَّهُ يَا عَائِشَة كَمَا قَال قَوْم عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾**»[٦].

وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّة هَلاك عَادٍ فِي سورتي الأَعْرَاف وَهُود بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا عَبْدَان بْن أَحْمَد، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن زَكَرِيَّا الكُوفِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالك بْن مُسْلم المُلائِيّ عَنْ مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا فُتِحَ عَلى عَادٍ مِنْ الرِّيح، إِلاَّ مِثْل مَوْضِع الخَاتَم، ثُمَّ أُرْسِلتْ عَليْهِمْ البَدْو إِلى الحَضَر، فَلمَّا رَآهَا أَهْل الحَضَر قَالُوا: هَذَا عَارِض مُمْطِرنَا مُسْتَقْبِل**

---

(١) في (ط) : [يضطر].
(٢) في «نسخة»: [كقدر].
(٣) تقـدم.
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٢٨)، ومسلم (٨٩٩).
(٥) صحيح : أخرجه أبو داود (٥٠٩٩)، وأحمد (٦/ ١٩٠).
(٦) صحيح : أخرجه مسلم (٨٩٩).

أَوْدِيَتنَا، وَكَانَ أَهْل البَوَادِي فِيهَا، فَأُلقِيَ أَهْل البَادِيَة عَلى أَهْل الحَاضِرَة حَتَّى هَلكُوا -قَال- عَتَتْ عَلى خُزَّانِهَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ خِلال الأَبْوَاب».(١)

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى: وَلقَدْ مَكَّنَّا الأُمَم السَّالفَة فِي الدُّنْيَا مِنْ الأَمْوَال وَالأَوْلاد، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْهَا مَا لمْ نُعْطِكُمْ مِثْله وَلا قَرِيبًا مِنْهُ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَيْ: وَأَحَاطَ بِهِمْ العَذَاب، وَالنَّكَال الَّذِي كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ وَيَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعه، أَيْ: فَاحْذَرُوا أَيّهَا المُخَاطَبُونَ أَنْ تَكُونُوا مِثْلهمْ، فَيُصِيبكُمْ مِثْل مَا أَصَابَهُمْ مِنْ العَذَاب فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. وَقَوْله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يَعْنِي: أَهْل مَكَّة، قَدْ أَهْلَكَ الله الأُمَم المُكَذِّبَة بِالرُّسُل مِمَّا حَوْلهَا كَعَادٍ، وَكَانُوا بِالأَحْقَافِ بِحَضْرَمَوْت عِنْد اليَمَن، وَثَمُود وَكَانَتْ مَنَازِلهمْ بَيْنهمْ وَبَيْن الشَّام، وَكَذَلِكَ سَبَأ وَهُمْ أَهْل اليَمَن، وَمَدْيَن وَكَانَتْ فِي طَرِيقهمْ وَمَمَرّهمْ إِلى غَزَّة، وَكَذَلِكَ بُحَيْرَة قَوْم لُوط كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا أَيْضًا، وَقَوْله: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ أَيْ: بَيَّنَّاهَا ووضحناها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ أَيْ: فهلا نَصَرُوهُمْ عِنْد احْتِيَاجهمْ إِليْهِمْ؟ ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أَيْ: بَل ذَهَبُوا عَنْهُمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِليْهِمْ، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أَيْ: كَذِبهمْ، ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أَيْ: وَافْتِرَاؤُهُمْ فِي اتِّخَاذهمْ إِيَّاهُمْ آلهَة، وَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا فِي عِبَادَتهمْ لهَا، وَاعْتِمَادهمْ عَليْهَا.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا عَمْرو، سَمِعْت عِكْرِمَة عَنْ الزُّبَيْر: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قَال: بِنَخْلة، وَرَسُول الله ﷺ يُصَلِّي العِشَاء الآخِرَة، ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن:١٩).

قَال سُفْيَان: اللِّبَد بَعْضُهُمْ عَلى بَعْض، كَاللِّبَدِ بَعْضه عَلى بَعْض، تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد، وَسَيَأْتِي مِنْ رِوَايَة ابْن جَرِير عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُمْ سَبْعَة مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا أبو عَوَانَة (ح) وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ فِي كِتَابه «دَلائِل النُّبُوَّة»: أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن عَلِيّ بْن أَحْمَد بْن عَبْدَان، أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن عُبَيْد الصَّفَّار، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل القَاضِي أَخْبَرَنَا مُسَدَّد حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة عَنْ أَبِي بِشْر عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: مَا قَرَأَ رَسُول الله ﷺ عَلى الجِنّ وَلا رَآهُمْ، انْطَلقَ رَسُول الله ﷺ فِي طَائِفَة مِنْ أَصْحَابه عَامِدِينَ إِلى سُوق عُكَاظ، وَقَدْ حِيل بَيْن الشَّيَاطِين وَبَيْن خَبَر السَّمَاء، وَأُرْسِلتْ عَليْهِمْ الشُّهُب، فَرَجَعَتْ

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني (١٢٤١٦) بسند ضعيف، وذكره الهيثمي في «المجمع»، قال: رواه الطبراني، وفيه مسلم الملائي وهو ضعيف.

الشَّيَاطِين إلى قَوْمهمْ، فَقَالُوا: مَا لكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيل بَيْننَا وَبَيْن خَبَر السَّمَاء، وَأُرْسِلتْ عَلَيْنَا الشُّهُب، قَالُوا: مَا حَال بَيْنكُمْ وَبَيْن خَبَر السَّمَاء إِلَّا شَيْء حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا، وَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَال بَيْنكُمْ وَبَيْن خَبَر السَّمَاء. فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا، يَبْتَغُونَ مَا هَذَا الَّذِي حَال بَيْنهمْ وَبَيْن خَبَر السَّمَاء. فَانْصَرَفَ أُولئِكَ النَّفَر الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْو تِهَامَة إِلى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ بِنَخْلة عَامِدًا إِلى سُوق عُكَاظ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاة الفَجْر، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآن اسْتَمَعُوا لهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَالله الَّذِي حَال بَيْنكُمْ وَبَيْن خَبَر السَّمَاء، فَهُنَالكَ حِين رَجَعُوا إِلى قَوْمهمْ قالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (الجن:١-٢)، وَأَنْزَل الله عَلى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْل الجِنّ.[1] رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ مُسَدَّد بِنَحْوِهِ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلم عَنْ شَيْبَان بْن فروخ، عَنْ أَبِي عَوَانَة بِهِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير مِنْ حَدِيث أَبِي عَوَانَة.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: كَانَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ الوَحْي، فَيَسْمَعُونَ الكَلمَة، فَيَزِيدُونَ فِيهَا عَشْرًا، فَيَكُون مَا سَمِعُوا حَقًّا وَمَا زَادُوا بَاطِلًا، وَكَانَتْ النُّجُوم لا يُرْمَى بِهَا قَبْل ذَلكَ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُول الله ﷺ كَانَ أَحَدهمْ لا يَأْتِي مَقْعَده إِلَّا رُمِيَ بِشِهَابٍ يُحْرِق مَا أَصَابَ، فَشَكَوْا ذَلكَ إِلى إِبْليس، فَقَال: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْر قَدْ حَدَثَ، فَبَثَّ جُنُوده، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يُصَلِّي بَيْن جَبَليْ نَخْلة، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَال: هَذَا الحَدَث الَّذِي حَدَثَ فِي الأَرْض، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي كِتَابَيْ التَّفْسِير مِنْ سُنَنَيْهِمَا مِنْ حَدِيث إِسْرَائِيل بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

وَهَكَذَا رَوَاهُ أَيُّوب عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَكَذَا رَوَاهُ العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَيْضًا بِمِثْل هَذَا السِّيَاق بِطُوله، وَهَكَذَا قَال الحَسَن البَصْرِيّ: إِنَّهُ عليه السلام مَا شَعَرَ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى أَنْزَل الله عَليْهِ بِخَبَرِهِمْ، وَذَكَرَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ يَزِيد بْن رُومَان عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ قِصَّة خُرُوج رسول الله ﷺ إِلى الطَّائِف وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلى الله عز وجل، وَإِبَائِهِمْ عَليْهِ، فَذَكَرَ القِصَّة بِطُولهَا، وَأَوْرَدَ ذَلكَ الدُّعَاء الحَسَن: «اللَّهُمَّ إِليْك أَشْكُو ضَعْف قُوَّتِي، وَقِلَّة حِيلتِي» إلى آخره. قَال: فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ بَاتَ بِنَخْلة، فَقَرَأَ تِلكَ اللَّيْلة مِنْ القُرْآن فاستمعته الجِنّ مِنْ أَهْل نَصِيبِينَ. وَهَذَا صَحِيح. وَلكِنَّ قَوْله: إِنَّ الجِنّ كَانَ اسْتِمَاعهمْ تِلكَ اللَّيْلة فِيهِ نَظَر، لأن الجِنّ كَانَ اسْتِمَاعهمْ فِي ابْتِدَاء الإِيحَاء، كَمَا دَلَّ عَليْهِ حَدِيث ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما المَذْكُور، وَخُرُوجه عليه السلام إِلى الطَّائِف كَانَ بَعْد مَوْت عَمّه، وَذَلكَ قَبْل الهِجْرَة بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ، كَمَا قَرَّرَهُ ابْن إِسْحَاق وَغَيْره، وَقَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ عَاصِم عَنْ زِرّ عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه قَال: هَبَطُوا عَلى النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأ القُرْآن بِبَطْنِ نَخْلة، فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا. قَال: صَهٍ، وَكَانُوا تِسْعَة أَحَدهمْ زَوْبَعَة، فَأَنْزَل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ إلى: ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

فَهَذَا مَعَ الأَوَّل مِنْ رِوَايَة ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما يَقْتَضِي أَنَّ رَسُول الله ﷺ لمْ يَشْعُر بِحُضُورِهِمْ فِي هَذِهِ المَرَّة، وَإِنَّمَا اسْتَمَعُوا قِرَاءَته ثُمَّ رَجَعُوا إِلى قَوْمهمْ، ثُمَّ بَعْد ذَلكَ وَفَدُوا إِليْهِ أَرْسَالًا قَوْمًا بَعْد قَوْم، وَفَوْجًا بَعْد فَوْج، كَمَا سَتَأْتِي بِذَلكَ الأَخْبَار فِي مَوْضِعهَا وَالآثَار مِمَّا سَنُورِدُهَا هَهُنَا إِنْ شَاءَ الله تَعَالى وَبِهِ الثِّقَة. فَأَمَّا مَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم جَمِيعًا عَنْ أَبِي قُدَامَة عُبَيْد الله بْن سَعِيد السَّرَخْسِيّ، عَنْ أَبِي أُسَامَة حَمَّاد بْن أُسَامَة عَنْ مِسْعَر بْن كِدَام، عَنْ مَعْن بْن عَبْد الرَّحْمَن، قَال: سَمِعْت أَبِي قَال: سَأَلت مَسْرُوقًا: مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ لَيْلة اسْتَمَعُوا القُرْآن؟ فَقَال:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٧٣) (٤٨٢١)، ومسلم (٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حَدَّثَنِي أَبُوك -يَعْنِي ابْن مَسْعُود رضي الله عنه- أَنَّهُ آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ[١]. فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هَذَا فِي المَرَّة الأُولى، وَيَكُون إِثْبَاتًا مُقَدَّمًا عَلى نَفْيِ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما والله أعلم. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هَذَا فِي بَعْض المَرَّات المُتَأَخِّرَات، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون فِي الأولى، ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة أي: أعلمته باستماعهم، وَالله أَعْلم.

قَال الحَافِظ البَيْهَقِيّ: وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما إِنَّمَا هُوَ فِي أَوَّل مَا سَمِعَتْ الجِنّ قِرَاءَة رَسُول الله ﷺ، وَعَلمَتْ حَاله، وَفِي ذَلكَ الوَقْت لمْ يَقْرَأ عَليْهِمْ وَلمْ يرَهُمْ، ثُمَّ بَعْد ذَلكَ أَتَاهُ دَاعِي الجِنِّ فَقَرَأَ عَليْهِمْ القُرْآن، وَدَعَاهُمْ إِلى الله عز وجل، كَمَا رَوَاهُ عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه.

ذِكر الرِّوَايَة عَنْه بِذَلك: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا دَاوُد عَنْ الشَّعْبِيّ. وَابْن أَبِي زَائِدَة، أَخْبَرَنَا دَاوُد عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ عَلقَمَة قَال: قُلت لعَبْدِ الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه: هَل صَحِبَ رَسُول الله ﷺ ليْلة الجِنّ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَال: مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ، وَلكِنَّا فَقَدْنَاهُ ذَات ليْلة بِمَكَّة، فَقُلنَا: اغْتِيل؟ اسْتُطِيرَ؟ مَا فَعَل؟ قَال: فَبِتْنَا بِشَرِّ ليْلة بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلمَّا كَانَ فِي وَجْه الصُّبْح، أَوْ قَال: فِي السَّحَر إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيء مِنْ قِبَل حِرَاء، فَقُلنَا: يَا رَسُول الله -فَذَكَرُوا لهُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ- فَقَال: «**إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الجِنّ فَأَتَيْتهمْ فقرَأْت عليْهِمْ**». قَال: فَانْطَلقَ، فَأَرَانَا آثَارهِمْ وَآثَار نِيرَانهِمْ[٢] -قَال: وقَال الشَّعْبِيّ: سَأَلُوهُ الزَّاد- قَال عَامِر: سَأَلُوهُ ليلتئذ، وَكَانُوا مِنْ جِنّ الجَزِيرَة، فَقَال: «**كُلّ عَظْم ذُكِرَ اسْم الله عَليْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كان عليه لحمًا، وَكُلّ بَعْرَة أَوْ رَوْثَة علف لدَوَابِّكُمْ- قَال: فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنْ الجِنّ**». وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم فِي صَحِيحه عَنْ عَليّ بْن حُجْر عَنْ إِسْمَاعِيل بْن عُليَّة بِهِ نَحْوه. وَقَال مُسْلم أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا دَاوُد -وَهُوَ ابْن أَبِي هِنْد- عَنْ عَامِر قَال: سَأَلت عَلقَمَة: هَل كَانَ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه شَهِدَ مَعَ رَسُول الله ﷺ ليْلة الجِنّ؟ قَال: فَقَال عَلقَمَة: أَنَا سَأَلت ابْن مَسْعُود رضي الله عنه، فَقُلت: هَل شَهِدَ أَحد مِنْكُمْ مَعَ رَسُول الله ﷺ ليْلة الجِنّ؟ قَال: لا، وَلكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ ذَات ليْلة فَفَقَدْنَاهُ، فَالتَمَسْنَاهُ فِي الأَوْدِيَة وَالشِّعَاب، فقلنا: اسْتُطِيرَ؟ اغْتِيل؟ قَال: فَبِتْنَا بِشَرِّ ليْلة بَاتَ بِهَا قَوْم، فَلمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَل حِرَاء، قَال: فقلنا: يا رَسُول الله فَقَدْنَاك فَطَلبْنَاك فَلمْ نَجِدك، فَبِتْنَا بِشَرِّ ليْلة بَاتَ بِهَا قَوْم، فَقَال: «**أَتَانِي دَاعِي الجِنّ فَذَهَبْت مَعَهُمْ، فَقَرَأْت عَليْهِمْ القُرْآن**». قَال: فَانْطَلقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارهِمْ وَآثَار نِيرَانهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّاد فَقَال: «**كُلّ عَظْم ذُكِرَ اسْم الله عَليْهِ يَقَع فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَر مَا يَكُون لحْمًا، وَكُلّ بَعْرَة أَوْ رَوْثَة علفٌ لدَوَابِّكُمْ**». قَال رَسُول الله ﷺ: «**فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَام إِخْوَانكُمْ**».

طَرِيق أُخْرَى عَنْ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه: قَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنِي يُونُس عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عُبَيْد الله بن عبد الله: أن ابن مَسْعُود رضي الله عنه قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**بِتّ الليْلة أَقْرَأ عَلى الجِنّ رُبعًا بِالحَجُون**».

طَرِيق أُخْرَى: فِيهَا أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ ليْلة الجِنّ، قال ابْن جَرِير رحمه الله: حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن وَهْب، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْد الله بْن وَهْب، أَخْبَرَنِي يُونُس عَنْ ابْن شِهَاب عَنْ أَبِي عُثْمَان ابْن سنة الخُزَاعِيّ، وَكَانَ مِنْ أَهْل الشَّام: أن عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه قَال: قال رَسُول الله ﷺ لأَصْحَابِهِ وَهُوَ بِمَكَّة: «**مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَحْضُر أَمْر الجِنّ الليْلة فَليَفْعَل**». فَلمْ يَحْضُر مِنْهُمْ أَحَد غَيْرِي، قَال: فَانْطَلقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلى مَكَّة خَطَّ لِي بِرِجْلِهِ خطًّا، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أَجْلس فِيهِ، ثُمَّ انْطَلقَ حَتَّى قَامَ، فَافْتَتَحَ القُرْآن فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ كَثِيرَةٌ حَالتْ بَيْنِي وَبَيْنه حَتَّى مَا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٥٩)، ومسلم (٤٥٠).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٥٠).

أَسْمَعُ صَوْته، ثُمَّ طَفِقُوا يَتَقَطَّعُونَ مِثْل قِطَع السَّحَاب، ذَاهِبِينَ حَتَّى بَقِيَ مِنْهُمْ رَهْط، فَفَرَغَ رَسُول الله ﷺ مَعَ الفَجْر، فَانْطَلَقَ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَال: **«مَا فَعَل الرَّهْط؟»**. قُلت: هُمْ أُولئِكَ يَا رَسُول الله، فَأَعْطَاهُمْ عَظْمًا وَرَوْثًا زَادًا، ثُمَّ نَهَى أَنْ يَسْتَطِيب أَحَدٌ بِرَوْثٍ أَوْ عَظْم.[1] وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن عَبْد الحَكَم عَنْ أَبِي زُرْعَة وَهْب الله بْن رَاشِد عَنْ يُونُس بْن يَزِيد الأَيْلِيّ بِهِ. وَرَوَاهُ البَيْهَقِيّ فِي الدَّلائِل مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن صَالح كَاتِب اللَّيْث عن الليث عَنْ يُونُس بِهِ، وَقَدْ رَوَى إِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ عَنْ جَرِير عَنْ قَابُوس بْن أَبِي ظَبْيَان عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن مَسْعُود ﷺ فَذَكَرَ نَحْو مَا تَقَدَّمَ. وَرَوَاهُ الحَافِظ أَبُو نُعَيْم مِنْ طَرِيق مُوسَى بْن عُبَيْدَة عَنْ سَعِيد ابْن الحَارِث عَنْ أَبِي المُعَلَّى عَنْ ابْن مَسْعُود ﷺ فَذَكَرَ نَحْوه أَيْضًا.

طَرِيق أُخْرَى: قَال أَبُو نُعَيْم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن مَالك، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن حَنْبَل، حَدَّثَنِي أَبِي قَال: حَدَّثَنَا عَفَّان وعارم قَالا: حَدَّثَنَا مُعْتَمِر قَال: قَال أَبِي: حَدَّثَنِي أَبُو تَمِيمَة عَنْ عَمْرو -وَلعَلَّهُ قَدْ يَكُون قَال البِكَالِيّ- يُحَدِّثهُ عَمْرو عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﷺ قَال: استبعثني رَسُول الله ﷺ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَكَان كَذَا وَكَذَا، فَخَطَّ لِي خطة فَقَال: **«كُنْ بَيْن ظهري هَذِهِ لا تَخْرُج مِنْهَا؛ فَإِنَّك إِنْ خَرَجْت مِنْهَا هَلَكْت...»**[2]. فَذَكَرَ الحَدِيث بِطُوله. وَفِيهِ غَرَابَة شَدِيدَة.

طَرِيق أُخْرَى: قَال ابْن جَرِير: وحَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْر عَنْ مَعْمَر عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن غَيْلان الثَّقَفِيّ أَنَّهُ قَال لابْنِ مَسْعُود ﷺ: حُدِّثْت أَنَّك كُنْت مَعَ رَسُول الله ﷺ لَيْلَة وَفْدِ الجِنِّ. قَال: أَجَل، قَال: فَكَيْف كَانَ؟ فَذَكَرَ الحَدِيث كله، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ خطَّ عَلَيْهِ خطًّا وَقَال: **«لا تَبْرَح مِنْهَا»**. فَذَكَرَ مِثْل العَجَاجَة السَّوْدَاء غشيت رَسُول الله ﷺ، فَذُعِرَ ثَلاث مَرَّات حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ الصُّبْح أَتَانِي النَّبِيّ ﷺ فَقَال: **«أَنِمْت؟»**. فَقُلت: لا وَالله، وَلقَدْ هَمَمْت مِرَارًا أَنْ أَسْتَغِيث بِالنَّاس حَتَّى سَمِعْتُك تَقْرَعُهُمْ بِعَصَاك تَقُول: **«اجْلسُوا»**. فَقَال ﷺ: **«لوْ خَرَجْت لمْ آمَنْ أَنْ يخطفك بَعْضُهُمْ»**. ثُمَّ قَال ﷺ: **«هَل رَأَيْت شَيْئًا؟»**. فقلت: نَعَمْ. رَأَيْت رِجَالًا سُودًا مستشعرين ثِيَابًا بَيَاضًا، قَال ﷺ: **«أُولئِك جِنّ نَصِيبِينَ سَأَلُونِي المَتَاع** -وَالمَتَاع: الزَّاد- **فَمَتَّعْتهمْ بِكُلّ عَظْم حَائِل، أَوْ بَعْرَة أَوْ رَوْثَة»**، فَقُلت: يَا رَسُول الله وَمَا يُغْنِي ذَلكَ عَنْهُمْ؟ فَقَال ﷺ: **«إِنَّهُمْ لا يَجِدُونَ عَظْمًا إِلاَّ وَجَدُوا عَليْهِ لحْمه يَوْم أُكِل. وَلا رَوْثًا إِلَّا وَجَدُوا فِيهَا حَبَّهَا يَوْم أُكِلتْ، فَلا يَسْتَنْقِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ مِنْ الخَلاء بِعَظْم وَلا بَعْرَة وَلا رَوْثَة»**.

طَرِيق أُخْرَى: قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن السَّلمِيّ وَأَبُو نَصْر ابْن قَتَادة قالا: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّد يَحْيَى بْن مَنْصُور القَاضِي، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله محمد بْن إِبْرَاهِيم البُوشَنْجِي، حَدَّثَنَا رَوْح بْن صَلاح، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُلَيّ بْن رَبَاح عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﷺ قَال: اسْتَتْبَعَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَال: «إِنَّ نَفَرًا مِنْ الجِنّ خَمْسَة عَشَرَ بَنِي إِخْوَة، وَبَنِي عَمّ، يَأْتُونَنِي اللَّيْلة فأقرأ عَليْهِمْ القُرْآن». فَانْطَلَقْت مَعَهُ إِلى المَكَان الَّذِي أَرَادَ فَخَطَّ لِي خَطًّا، وَأَجْلسَنِي فِيهِ وَقَال لِي: **«لا تَخْرُج مِنْ هَذَا»**. فَبِتّ فِيهِ حَتَّى أَتَانِي رَسُول الله ﷺ مَعَ السَّحَر فِي يَده عَظْم حَائِل وَرَوْثَة وحُمَمة فَقَال لِي: **«إِذَا ذَهَبْت إِلى الخَلاء فَلا تَسْتَنْجِ بِشَيْء مِنْ هَؤُلاء»**. قَال: فَلمَّا أَصْبَحْت قُلت: لأُعَلِّمَنَّ علمي حَيْثُ كَانَ رَسُول الله ﷺ، قَال: فَذَهَبْت فَرَأَيْت مَوْضِع مَبْرَك سِتِّينَ بَعِيرًا.

---

(١) صحيح: أخرجه الطبري (٢٦/ ٣٢)، والنسائي (١/ ٣٧)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٩) بسند ضعيف وله شواهد.

طَرِيق أُخْرَى: قَال البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، أَخْبَرَنَا أَبُو العَبَّاس الأَصَمّ، حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن مُحَمَّد الدَّوْرِيّ، حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن عُمَر عَنْ [المستمر][1] بْن الرَّيَّان عَنْ أَبِي الجَوْزَاء عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﵁ قَال: انْطَلَقْت مَعَ رَسُول الله ﷺ لَيْلَة الجِنّ حَتَّى أَتَى الحَجُون، فَخَطَّ لِي خَطًّا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ، فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، فَقَال سَيِّد لَهُمْ يُقَال لَهُ وردان: أَنَا أُرَحِّلُهُمْ عَنْك، فَقَال: إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنْ الله أَحَدٌ.

طَرِيق أُخْرَى: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ أَبِي فَزَارَة العَبْسِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْد مَوْلَى عَمْرو بْن حُرَيْث عَنْ ابْن مَسْعُود ﵁ قَال: لَـمَّا كَانَ لَيْلَة الجِنّ قَال لِي النَّبِيّ ﷺ : «**أَمَعَكَ مَاء؟**». قُلْت: لَيْسَ مَعِي مَاء، وَلَكِنْ مَعِي إِدَاوَة فِيهَا نَبِيذٌ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «**تَمْرَة طَيِّبَة وَمَاء طَهُور فتوضأ**»[2]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث أَبِي زَيْد بِهِ.

طَرِيق أُخْرَى: قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن إِسْحَاق، أَخْبَرَنَا ابْن لَهِيعَة عَنْ قَيْس بْن الحَجَّاج عَنْ حَنَش الصَّنْعَانِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود ﵁ : أنه كَانَ مَعَ رَسُول الله ﷺ لَيْلَة الجِنّ، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**يَا عَبْد الله أَمَعَكَ مَاء؟**». قَال: مَعِي نَبِيذ فِي إِدَاوَة. قَال ﷺ : «**اصْبُبْ عَلَيَّ**». فَتَوَضَّأَ. فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «**يَا عَبْد الله شَرَاب وَطَهُور**»[3]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه، وَقَدْ أَوْرَدَهُ الدَّارَقُطْنِيّ مِنْ طَرِيق آخر عَنْ ابْن مَسْعُود ﵁ بِهِ.

طَرِيق أُخْرَى: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ مِينَاء عَنْ عَبْد الله ﵁ قَال: كُنْت مَعَ رَسُول الله ﷺ لَيْلَة وَفْدِ الجِنّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَنَفَّسَ، فَقُلت: مَا شَأْنك؟ فقال لِي: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي يَا بن مَسْعُود»[4]. هَكَذَا رَأَيْته فِي المُسْنَد مُخْتَصَرًا، وَقَدْ رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو نُعَيْم فِي كِتَابه «دَلائِل النُّبُوَّة» فَقَال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن أَحْمَد بْن أَيُّوب، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْن مَالك حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن حَنْبَل، حَدَّثَنَا أَبِي؛ قَالا: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق عَنْ أَبِيهِ عَنْ مِينَاء عَنْ ابْن مَسْعُود قَال: كُنْت مَعَ رَسُول الله ﷺ ، لَيْلَة وَفْدِ الجِنّ فَتَنَفَّسَ، فَقُلت: مَا لك يَا رَسُول الله؟ قَال: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي يَا بن مَسْعُود». قُلت: اسْتَخْلِفْ، قَال: «مَنْ؟». قُلت: أَبَا بَكْر. فَسَكَتَ، ثُمَّ مَضَى سَاعَة، فَتَنَفَّسَ، فَقُلت: مَا شَأْنك بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُول الله؟ قَال: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي يَا ابْن مَسْعُود». قُلت: استخلف، قَال: «مَنْ؟». قُلت: عُمَر. فَسَكَتَ ثُمَّ مَضَى سَاعَة ثُمَّ تَنَفَّسَ فَقُلت: مَا شَأْنك؟ قَال: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي». قُلت: فَاسْتَخْلِفْ قَال ﷺ : «مَنْ؟». قُلت: عَلِيّ بْن أَبِي طَالب قَال ﷺ : «أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَطَاعُوهُ لَيَدْخُلُنَّ الجَنَّة أَجْمَعِينَ أَكْتَعِينَ». وَهُوَ حَدِيث غَرِيب جِدًّا، وَأَحْرَى بِهِ أَنْ لا يَكُون مَحْفُوظًا، وَبِتَقْدِيرِ صِحَّته فَالظَّاهِر أَنَّ هَذَا بَعْد وُفُودهمْ إِلَيْهِ بِالمَدِينَةِ عَلى مَا سَنُورِدُهُ، فَإِنَّ فِي ذَلكَ الوَقْت فِي آخر الأَمْر لَـمَّا فُتِحَتْ مَكَّة، وَدَخَل النَّاس وَالجَانّ أَيْضًا فِي دِين الله أَفْوَاجًا نَزَلتْ سُورَة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ (النصر)، وَهِيَ السُّورَة الَّتِي نُعِيَتْ نَفْسُهُ الكَرِيمَةُ فِيهَا إِلَيْهِ، كَمَا قد نَصّ عَلى ذَلكَ ابْن عَبَّاس ﵄ ، وَوَافَقَهُ عُمَر بْن الخَطَّاب ﵁ عَليْهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلكَ حَدِيث سَنُورِدُهُ عِنْد تَفْسِيرهَا، وَالله أَعْلم. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْم أَيْضًا عَنْ الطَّبَرَانِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله الحَضْرَمِيّ عَنْ عَليّ بْن الحُسَيْن بْن أَبِي بُرْدَة، عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد

---

(١) في الأزهرية: [المشتم].
(٢) **ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ٤٤٩)، وأبو داود (٨٤)، والترمذي (٨١)، وابن ماجه (٣٨٤) بسند ضعيف.
(٣) **ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨)، وابن ماجه (٣٨٥) بسند ضعيف.
(٤) **موضوع** : أخرجه أحمد (١/ ٤٤٩) بسند ضعيف جدًا فيه ميناء بن أبي ميناء كذاب.

الأَسْلمِيّ، عَنْ حَرْب بْن صُبَيْح عَنْ سَعِيد بْن مسلمة عَنْ أَبِي مُرَّة الصَّنْعَانِيّ، عَنْ أَبِي عَبْد الله الجُدَلِيّ عَنْ ابْن مَسْعُود ﷺ، فَذَكَره وَذَكَرَ فِيهِ قِصَّة الاسْتِخْلاف، وَهَذَا إِسْنَاد غَرِيب وَسِيَاق عَجِيب.

طَرِيق أُخْرَى: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد، حَدَّثنَا حَمَّاد بْن سَلمَة عَنْ عَليّ بْن زَيْد عَنْ أَبِي رَافِع عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَطَّ حَوْله، فَكَانَ يجيء أَحَدهمْ مِثْل سَوَاد النخل، وَقَال لي: «**لا تَبْرَح مَكَانك فَأُقْرِئهُمْ كِتَاب الله**». فَلَمَّا رَأَى الزُّط قَال: كَأَنَّهُمْ هَؤُلاءِ، وَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**أَمَعَك مَاء؟**». قُلت: لا، قَال: «**أَمَعَك نَبِيذ؟**». قُلت: نَعَمْ. فَتَوَضَّأَ بِهِ.[1]

طَرِيق أُخْرَى مُرْسَلَة: قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبُو عَبْد الله الطِّهْرَانِيّ، أَخْبَرَنَا حَفْص بْن عُمَر العَدَنِيّ، حَدَّثنَا الحَكَم بْن أَبَان عَنْ عِكْرِمَة فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قَال: هُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا جَاءُوا مِنْ جَزِيرَة المَوْصِل، فَقَال النَّبِيّ ﷺ لابْنِ مَسْعُود ﷺ: «**أَنْظِرْنِي حَتَّى آتِيك**». وَخَطَّ عَلَيْهِ خطة، وَقَال: «**لا تَبْرَح حَتَّى آتِيك**». فَلَمَّا خَشِيَهُمْ ابْن مَسْعُود ﷺ كَادَ أَنْ يَذْهَب، فَذَكَرَ قَوْل رَسُول الله ﷺ فَلمْ يَبْرَح، فَقَال لَهُ النَّبِيّ ﷺ: «**لوْ ذَهَبْت مَا التَقَيْنَا إِلى يَوْم القِيَامَة**».

طَرِيق أُخْرَى مُرْسَلَة أَيْضًا: قَال سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قَال: ذُكِرَ لنَا أَنَّهُمْ صُرِفُوا إِليْهِ مِنْ نِينَوَى، وَأَنَّ نَبِيّ الله ﷺ قَال: «**إِنِّي أُمِرْت أَنْ أَقْرَأَ عَلى الجِنّ، فَأَيّكُمْ يَتْبَعُنِي؟**». فَأَطْرَقُوا، ثُمَّ اسْتَتْبَعَهُمْ فَأَطْرَقُوا، ثُمَّ اسْتَتْبَعَهُمْ الثَّالِثَة فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله إِنَّ ذَاكَ لذُو نُدْبَة، فَأَتْبَعَهُ ابْن مَسْعُود ﷺ أَخُو هُذَيْل، قَال: فَدَخَل النَّبِيّ ﷺ شِعْبًا يُقَال لهُ: شِعْب الحَجُون وَخطَّ عَليْه، وَخطَّ عَلى ابْن مَسْعُود ﷺ ليُثَبِّتهُ بِذَلِكَ، قَال: فَجَعَلت أُهَال وَأَرَى أَمْثَال النُّسُور تَمْشِي فِي [دُفُوفهَا][2] وَسَمِعْت لغَطًا شَدِيدًا حَتَّى خِفْت عَلى نَبِيّ الله ﷺ، ثُمَّ تَلا القُرْآن، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُول الله ﷺ قُلت: يَا رَسُول الله مَا اللَّغَط الَّذِي سَمِعْت؟ قَال: «**اخْتَصَمُوا فِي قَتِيل، فَقُضِيَ بَيْنهمْ بِالحَقّ**»[3]. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم. فَهَذِهِ الطُّرُق كُلّهَا تَدُلّ عَلى أَنَّهُ ﷺ ذَهَبَ إِلى الجِنّ قَصْدًا، فَتَلا عَليْهِمْ القُرْآن، وَدَعَاهُمْ إِلى الله ﷻ، وَشَرَعَ الله لهُمْ عَلى لسَانه مَا هُمْ مُحْتَاجُونَ إِليْهِ فِي ذَلكَ الوَقْت. وَقَدْ يَحْتَمِل أَنَّ أَوَّل مَرَّة سَمِعُوهُ يَقْرَأ القُرْآن لمْ يَشْعُر بِهِمْ، كَمَا قَالهُ ابْن عَبَّاس ﷺ. ثُمَّ بَعْد ذَلكَ وَفَدُوا إِليْهِ كَمَا رَوَاهُ ابْن مَسْعُود ﷺ، وَأَمَّا ابْن مَسْعُود ﷺ فَإِنَّهُ لمْ يَكُنْ مَعَ رَسُول الله ﷺ حَال مُخَاطَبَته للجن وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُ وَلمْ يَخْرُج مَعَ النَّبِيّ ﷺ أَحَد سِوَاهُ، وَمَعَ هَذَا لمْ يَشْهَد حَال المُخَاطَبَة، هَذِهِ طَرِيقَة البَيْهَقِيّ، وَقَدْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون أَوَّل مَرَّة خَرَجَ إِليْهِمْ لمْ يَكُنْ مَعَهُ ﷺ ابْن مَسْعُود ﷺ وَلا غَيْره، كَمَا هُوَ ظَاهِر سِيَاق الرِّوَايَة الأُولى مِنْ طَرِيق الإِمَام أَحْمَد، وَهِيَ عِنْد مُسْلم، ثُمَّ بَعْد ذَلكَ خَرَجَ مَعَهُ ليْلة أُخْرَى، وَالله أَعْلم، كَمَا رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم فِي تَفْسِير: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ مِنْ حَدِيث ابْن جُرَيْج قَال: قَال عَبْد العَزِيز بْن عُمَر: أَمَّا الجِنّ الَّذِينَ لقَوْهُ بِنَخْلة فَجِنّ نِينَوَى، وَأَمَّا الجِنّ الَّذِينَ لقَوْهُ بِمَكَّة فَجِنّ نَصِيبِينَ، وَتَأَوَّلهُ البَيْهَقِيّ عَلى أَنَّهُ يَقُول: فَبِتْنَا بِشَرّ ليْلة بَاتَ بِهَا قَوْم، عَلى غَيْر ابْن مَسْعُود ﷺ مِمَّنْ لمْ يَعْلم بِخُرُوجِهِ ﷺ إِلى الجِنّ، وَهُوَ مُحْتَمَل عَلى بُعْد، وَالله أَعْلم. وَقَدْ قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرو مُحَمَّد بْن عَبْد الله الأَدِيب، حَدَّثنَا أَبُو بَكْر الإِسْمَاعِيلِيّ، أَخْبَرَنَا الحَسَن بْن سُفْيَان، حَدَّثَنِي سُوَيْد بْن سَعِيد، حَدَّثنَا عَمْرو بْن يَحْيَى عَنْ جَدّه سَعِيد بْن عَمْرو، قَال: كَانَ أَبُو هُرَيْرَة ﷺ يَتْبَع رَسُول الله ﷺ بِإِدَاوَةٍ لوُضُوئِهِ وَحَاجَته، فَأَدْرَكَهُ يَوْمًا فَقَال: «**مَنْ هَذَا؟**». قَال: أَنَا أَبُو هُرَيْرَة. قَال ﷺ: «**ائْتِنِي بِأَحْجَارٍ أَسْتَنْج**

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٤٥٥) بسند ضعيف، فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٢) في «نسخة»: [رفوفها].

(٣) إسناده ضعيف: فيه حفص بن عمر العدني وهو ضعيف.

بهَا وَلا تَأْتِنِي بعَظْمٍ وَلا رَوْثَة»، فَأَتَيْته بِأَحْجَارٍ فِي ثَوْبِي، فَوَضَعْتهَا إِلى جَنْبه، حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَقَامَ اتَّبَعْته، فَقُلت: يَا رَسُول الله مَا بَال العَظْمِ وَالرَّوْثَة؟ قَال ﷺ: «**أَتَانِي وَفْد جِنّ نَصِيبِينَ فَسَأَلُونِي الزَّاد، فَدَعَوْت الله تَعَالى لهُمْ أَنْ لا يَمُرُّوا بعظم ولا روثة إلاَّ وَجَدُوا طَعَامًا**». أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ فِي صَحِيحه عَنْ مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل عَنْ عَمْرو بْن يَحْيَى بِإِسْنَادِهِ قَرِيبًا مِنْهُ[1]، فَهَذَا يَدُلّ مَعَ مَا تَقَدَّمَ عَلى أَنَّهُمْ وَفَدُوا عَلَيْهِ بَعْد ذَلِكَ. وَسَنَذْكُرُ مَا يَدُلّ عَلى تَكْرَار ذَلِكَ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس غَيْر مَا ذكرعَنْهُ أَوَّلًا مِنْ وَجْه جَيِّد، فَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا عَبْد الحَمِيد الحِمَّانِيّ، حَدَّثَنَا النَّضْر بْن عَرَبِيّ عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآيَة، قَال: كَانُوا سَبْعَة نَفَر، مِنْ أَهْل نَصِيبِينَ، فَجَعَلهُمْ رَسُول الله ﷺ رُسُلًا إِلى قَوْمهمْ. فَهَذَا يَدُلّ عَلى أَنَّهُ قَدْ رَوَى القِصَّتَيْنِ.

وَقَال ابْن أَبِي حاتم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا سُوَيْد بْن عَبْد العَزِيز، حَدَّثَنَا رَجُل سَمَّاهُ عَنْ ابْن جُرَيْج عَنْ مُجَاهِد ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآيَة، قَال: كَانُوا سَبْعَة نَفَر، ثَلاثَة مِنْ أَهْل حَرَّان، وَأَرْبَعَة مِنْ أَهْل نَصِيبِينَ، وَكَانَتْ أَسْمَاؤُهُمْ حيي وحسي ومسي وشاصر وناصر والأزد، وإبيان، والأحقم، وَذَكَرَ أَبُو حَمْزَة الثُّمَالِيّ أَنَّ هَذَا الحَيّ مِنْ الجِنّ كَانَ يُقَال لهُمْ بَنُو الشيصبان، وَكَانُوا أَكْثَرَ الجِنّ عَدَدًا وَأَشْرَفهُمْ نَسَبًا، وَهُمْ كَانُوا عَامَّة جُنُود إِبْلِيس. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَنْ عَاصِم عَنْ ذَرّ عَنْ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه: كَانُوا تِسْعَة أَحَدهمْ زَوْبَعَة، أَتَوْهُ مِنْ أَصْل نَخْلة، وَتَقَدَّمَ عَنْهُ أَنَّهُمْ كَانُوا خَمْسَة عَشَر، وَفِي رِوَايَة أَنَّهُمْ كَانُوا عَلى سِتِّينَ رَاحِلة، وَتَقَدَّمَ عَنْهُ: أَنَّ اسْم سَيِّدهمْ وَرْدَان، وَقِيل: كَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ، وَتَقَدَّمَ عَنْ عِكْرِمَة أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، فَلعَلَّ هَذَا الاخْتِلاف دَلِيل عَلى تَكَرُّر وِفَادَتهمْ عَلَيْهِ -صلوات الله وسلامه عليه-، وَمِمَّا يَدُلّ عَلى ذَلِكَ مَا قَالهُ البُخَارِيّ فِي صَحِيحه[2]: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سُليْمَان حَدَّثَنِي ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي عُمَر -هُوَ ابْن مُحَمَّد-: أن سَالمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: مَا سَمِعْت عُمَر رضي الله عنه يَقُول لشَيْءٍ قَطُّ: إِنِّي لأَظُنّهُ كذا إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنّ، بَيْنَمَا عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه جَالس إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُل جَمِيل، فَقَال: لقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي أَوْ إِنَّ هَذَا عَلى دِينه فِي الجَاهِليَّة أَوْ لقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ، عَلَيَّ بِالرَّجُل، فَدُعِيَ لهُ، فَقَال لهُ ذَلكَ فَقَال: مَا رَأَيْت كَاليَوْمِ اسْتُقْبِل بِهِ رَجُلٌ مُسْلمٌ، قَال: فَإِنِّي أَعْزِمُ عَليْك إِلَّا مَا أَخْبَرْتنِي، قَال: كُنْت كَاهِنهمْ فِي الجَاهِليَّة قَال: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْك بِهِ جِنِّيَّتُك، قَال: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا فِي السُّوق جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الفَزَعَ فَقَالتْ:

أَلمْ تَرَ الجِنَّ وَإِبْلاسهَا ✻ وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا

وَلُحُوقهَا بِالقِلاصِ وَأَحْلاسِهَا

قَال عُمَر رضي الله عنه: صَدَقَ، بَيْنَمَا أَنَا نَائِم عِنْد آلهَتهمْ إِذْ جَاءَ رَجُل بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لمْ أَسْمَع صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ يَقُول: يَا جَليح، أَمْرٌ نَجِيح رَجُلٌ فَصِيح، يَقُول: لا إِله إِلَّا الله، فَوَثَبَ القَوْم، فَقُلت: لا أَبْرَح حَتَّى أَعْلم مَا وَرَاء هَذَا، ثُمَّ نَادَى: يَا جَليحْ أَمْرٌ نَجِيحْ رَجُل فَصِيحْ يَقُول لا إِله إِلَّا الله، فَقُمْت، فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيل: هَذَا نَبِيّ. هَذَا سِيَاق البُخَارِيّ، وَقَدْ رَوَاهُ البَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيث ابْن وَهْب بِنَحْوِهِ، ثُمَّ قَال: وَظَاهِر هَذِهِ الرِّوَايَة يُوهِمُ أَنَّ عُمَر رضي الله عنه بِنَفْسِهِ سَمِعَ الصَّارِخ يَصْرُخ مِنْ العِجْل الَّذِي ذُبِحَ، وَكَذَلكَ هُوَ صَرِيح فِي رِوَايَة ضَعِيفَة عَنْ عُمَر رضي الله عنه فِي إسلامه. وَسَائِر الرِّوَايَات تَدُلّ عَلى أَنَّ هَذَا الكَاهِن هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ بِذَلكَ عَنْ رُؤْيَته وَسَمَاعه، وَالله أَعْلم. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ البَيْهَقِيّ هُوَ المُتَّجه، وَهَذَا الرَّجُل هُوَ سَوَاد بْن قَارِب، وَقَدْ ذَكَرْت هَذَا مُسْتَقْصًى فِي سِيرَة عُمَر رضي الله عنه، فَمَنْ أَرَادَهُ فَليَأْخُذْهُ مِنْ ثَمَّ، وَلله الحَمْد.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٥٥).

(٢) صحيح: البخاري (٣٨١٦).

قَال البَيْهَقِيّ: (حَدِيث سَوَاد بْن قَارِب)، وَيُشْبِه أَنْ يَكُون هَذَا هُوَ الكَاهِن الَّذِي لَمْ يُذْكَر اسْمه فِي الحَدِيث الصَّحِيح، أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِم الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن حَبِيب المُفَسِّر مِنْ أَصْل سَمَاعه، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بْن عَبْد الله الصَّفَّار الأَصْبَهَانِيّ قِرَاءَة عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر أَحْمَد بْن مُوسَى الحَمَّار الكُوفِيّ بِالكُوفَةِ، حَدَّثَنَا زِيَاد بْن يَزِيد بْن بادويه أَبُو بَكْر القَصْرِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن النواس الكُوفِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ البَرَاء ﵁ قَال: بَيْنَمَا عُمَر بْن الخَطَّاب ﵁ يَخْطُب النَّاس عَلَى مِنْبَر رَسُول الله ﷺ إِذْ قَال: يا أَيُّهَا النَّاس أَفِيكُمْ سَوَاد بْن قَارِب؟ قَال: فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَد تِلْكَ السَّنَة. فَلَمَّا كَانَتْ السَّنَةُ المُقْبِلَةُ، قَال: أَيُّهَا النَّاس أَفِيكُمْ سَوَاد بْن قَارِب؟ قَال: فَقُلت: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ وَمَا سَوَاد بْن قَارِب؟ قَال: فَقَال لَهُ عُمَر ﵁: إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئًا عجيبًا، قال: فبينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب، قال: فقال له عمر: يَا سَوَاد حَدِّثْنَا بِبَدْءِ إِسْلامك كَيْف كَانَ؟ قَال سَوَاد ﵁: فَإِنِّي كُنْت نَازِلًا بِالهِنْدِ وَكَانَ لِي رَئِيّ مِنْ الجِنّ، قَال: فَبَيْنَا أَنَا ذَات لَيْلَة نَائِم إِذْ جَاءَنِي فِي مَنَامِي ذَلِكَ، قَال: قُمْ فَافْهَمْ وَاعْقِل إِنْ كُنْت تَعْقِل، قَدْ بُعِثَ رَسُول مِنْ لُؤَيّ بْن غَالِب، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُول:

عَجِبْتُ للجِنِّ وأنجاسها ❁ وشَدِّها العِيسَ بأحْلاسها
تَهْوِي إِلى مَكَّة تَبْغِي الهُدَى ❁ مَا مؤمنو الجِنّ كأَرجاسِهَا
فَانْهَضْ إِلى الصَّفْوَة مِنْ هَاشِم ❁ وَاسْمُ بعَيْنَيْك إِلى رَأْسِهَا

قَال: ثُمَّ أَنْبَهَنِي فَأَفْزَعَنِي، وَقَال: يَا سَوَاد بْن قَارِب، إِنَّ الله بَعَثَ نَبِيًّا فَانْهَض إِلَيْهِ تَهْتَدِ وَتَرْشُد. فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلَة الثَّانِيَة أَتَانِي فَأَنْبَهَنِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُول كذلك:

عَجِبْت للجِنِّ وَتَطْلابِهَا ❁ وَشَدِّهَا العِيس بأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلى مَكَّة تَبْغِي الهُدَى ❁ لَيْسَ قَدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا
فَانْهَضْ إِلى الصَّفْوَة مِنْ هَاشِم ❁ وَاسْمُ بعَيْنَيْك إِلى نابِهَا

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَة الثَّالثَة أَتَانِي فَأَنْبَهَنِي، ثُمَّ قَال:

عَجِبْت للجِنِّ وَتِخْبَارِهَا ❁ وَشَدِّهَا العِيسَ بأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلى مَكَّة تَبْغِي الهُدَى ❁ لَيْسَ ذَوُو الشَّرِّ كَأَخْيَارِهَا
فَانْهَضْ إِلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِم ❁ مَا مُؤْمِنُو الجِنِّ كَكُفَّارِهَا

قَال: فَلَمَّا سَمِعْته تَكَرَّرَ لَيْلَة بَعْد لَيْلَة؛ وَقَعَ فِي قَلْبِي حُبُّ الإِسْلام مِنْ أَمْر رَسُول الله ﷺ مَا شَاءَ الله، قَال: فَانْطَلَقْت إِلى رَحْلِي فَشَدَدْته عَلى رَاحِلَتِي، فَمَا حَللت نسْعةً وَلا عَقَدْت أُخْرَى حَتَّى أَتَيْت رَسُول الله ﷺ فَإِذَا هُوَ بِالمَدِينَةِ -يَعْنِي: مَكَّة- وَالنَّاس عَلَيْهِ كَعُرْفِ الفَرَس، فَلَمَّا رَآنِي النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَرْحَبًا بِك يَا سَوَاد بْن قَارِب، قَدْ عَلِمْنَا مَا جَاءَ بِك». قَال : قُلت: يَا رَسُول الله، قَدْ قُلت شِعْرًا، فَاسْمَعْهُ مِنِّي. قَال سَوَاد: فَقُلت:

أَتَانِي رَئِيٌّ بعد لَيْلٍ وهَجْعَةٍ ❁ وَلمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْت بكَاذِبِ
ثَلاث لَيَالٍ قَوْله كُلّ لَيْلَة: ❁ أَتَاك رَسُول مِنْ لُؤَيّ بْن غَالب
فَشَمَّرْت عَنْ سَاقِي الإِزَار وَوَسَّطَتْ ❁ بِي الزِّعلب الوَجْنَاء عند السَّبَاسِب
فَأَشْهَدُ أَنَّ الله لا شيء غَيْرُهُ ❁ وَأَنَّك مَأْمُونٌ عَلى كُلّ غَائِب
وَأَنَّك أَدْنَى المُرْسَلِينَ وَسِيلَةً ❁ إِلى الله يَا بن الأَكْرَمِينَ الأَطَايِب
فَمُرْنَا بمَا يَأْتِيك يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ ❁ وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْم لا ذُو شَفَاعَة ❁ سِوَاك بمُغْن عَنْ سَوَاد بْن قَارب

قَال: فَضَحِكَ رسول الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذه، وَقَال لي: «**أَفْلَحْت يَا سَوَاد**». فَقَال لهُ عُمَر رضي الله عنه: هَل يَأْتِيك رَئِيّك الآن؟ فَقَال: مُنْذُ قَرَأْت القُرْآن لمْ يَأْتِنِي، وَنِعْمَ العِوَضُ كِتَابُ الله مِنْ الجنّ.[1] ثُمَّ أَسْنَدَهُ البَيْهَقِيّ مِنْ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ. وَمِمَّا يَدُلّ عَلى وِفَادَتِهِمْ إِلَيْهِ عليه السلام بَعْدَمَا هَاجَرَ إِلى المَدِينَة الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو نُعَيْم فِي كِتَاب «دَلائِل النُّبُوَّة»: حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن أَحْمَد حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْدَة المصيصي، حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَة الرَّبِيع بْن نَافِع حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بن سَلَّام عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّام يَقُول: حَدَّثَنِي مَنْ حَدَّثَهُ عَمْرو بْن غَيْلان الثَّقَفِيّ قَال: أَتَيْت عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه، فَقُلت لهُ: حُدِّثْت أَنَّك كُنْت مَعَ رَسُول الله ﷺ ليْلة وَفْدِ الجِنِّ. قَال: أَجَل، قُلت: حَدِّثْنِي كَيْف كَانَ شَأْنه؟ فَقَال: إِنَّ أَهْل الصُّفَّة أَخَذَ كُلَّ رَجُل مِنْهُمْ رَجُلٌ يُعَشِّيه، وَتُرِكْت فَلمْ يَأْخُذنِي أَحَد مِنْهُمْ، فَمَرَّ بِي رَسُول ﷺ فَقَال: «**مَنْ هَذَا؟**». فَقُلت: أَنَا ابْن مَسْعُود فَقَال ﷺ: «**مَا أَخَذَك أَحَد يُعَشِّيك؟**». فَقُلت: لا، قَال ﷺ: «**فَانْطَلقْ لعَلِّي أَجِد لك شَيْئًا**». قَال: فَانْطَلقْنَا حَتَّى أَتَى حُجْرَة أُمّ سَلمَة رضي الله عنها فَتَرَكَنِي وَدَخَل إِلى أَهْله، ثُمَّ خَرَجَتْ الجَارِيَة فَقَالتْ: يَا بن مَسْعُود إِنَّ رَسُول الله ﷺ لمْ يَجِد لك عَشَاء، فَارْجِعْ إِلى مَضْجَعك، قَال: فَرَجَعْت إِلى المَسْجِد، فَجَمَعْت حَصْبَاء المَسْجِد فتوسدته وَالتَفَفْت بِثَوْبِي، فَلمْ أَلبَث إِلَّا قَليلًا حَتَّى جَاءَتْ الجَارِيَة، فقالت: أَجِبْ رَسُول الله. فَاتَّبَعْتهَا وَأَنَا أَرْجُو العَشَاء حَتَّى إِذَا بَلغْت مَقَامِي خَرَجَ رَسُول الله ﷺ وَفِي يَده عَسِيب مِنْ نَخْل، فَعَرَضَ بِهِ عَلى صَدْرِي، فَقَال ﷺ: «**أَتنطلق أَنْتَ مَعِي حَيْثُ انْطَلَقْت؟**». قُلت: مَا شَاءَ الله، فَأَعَادَهَا عَليَّ ثَلاث مَرَّات. كُلّ ذَلكَ أَقُول: مَا شَاءَ الله، فَانْطَلَق وَانْطَلَقْت مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا بَقِيع الغَرْقَد، فَخَطَّ ﷺ بِعَصَاهُ خطة، ثُمَّ قَال: «**اجْلسْ فِيهَا، وَلا تبرح حَتَّى آتِيك**». ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي، وَأَنَا أَنْظُر إِليْهِ خِلال النَّخْل، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حَيْثُ لا أَرَاهُ ثَارَتْ العَجَاجَة السَّوْدَاء فَفرِقْت، فَقُلت: أَلحق بِرَسُول الله ﷺ، فَإِنِّي أَظُنّ أَنَّ هَوَازِن مَكَرُوا بِرَسُول الله ﷺ ليقْتُلوهُ، فَأَسْعَى إِلى البُيُوت فَأَسْتَغِيث النَّاس، فَذَكَرْت أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَوْصَانِي أَنْ لا أَبْرَح مَكَانِي الَّذِي أَنَا فِيهِ، فَسَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقْرَعهُمْ بِعَصَاهُ وَيَقُول: «**اجْلسُوا**». فَجَلسُوا حَتَّى كَادَ يَنْشَقّ عَمُود الصُّبْح، ثُمَّ ثَارُوا وَذَهَبُوا، فَأَتَانِي رَسُول الله ﷺ فَقَال: «**أَنِمْت بَعْدِي؟**». فَقُلت: لا، وَلقَدْ فَزِعْت الفَزْعَة الأُولى حَتَّى رَأَيْت أَنْ آتِي البُيُوت، فَأَسْتَغِيثَ النَّاس حَتَّى سَمِعْتُك تَقْرَعهُمْ بِعَصَاك، وَكُنْت أَظُنّهَا هَوَازِن مَكَرُوا بِرَسُول الله ﷺ ليقْتُلوهُ، فَقَال: «لوْ أَنَّك خَرَجْت مِنْ هَذِهِ الحَلقَة مَا آمنهم عَليْك أَنْ يَخْتَطِفَك بَعْضهمْ، فَهَل رَأَيْت مِنْ شَيْء مِنْهُمْ»؟ فَقُلت: رَأَيْت رِجَالًا سُودًا مستشعرين بِثِيَابٍ بِيض، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**أُولئِكَ وَفْد جِنّ نَصِيبِينَ، أَتَوْنِي فَسَأَلُونِي الزَّاد وَالمَتَاع، فَمَتَّعْتهمْ بِكُلِّ عَظْم حَائِل أَوْ رَوْثَة أَوْ بَعْرَة**». قُلت: وما يُغْنِي عَنْهُمْ ذَلكَ؟ قَال ﷺ: «**إِنَّهُمْ لا يَجِدُونَ عَظْمًا إِلاَّ وَجَدُوا عَليْهِ لحْمه الَّذِي كَانَ عَليْهِ يَوْم أُكِل، وَلا رَوْثَة إِلاَّ وَجَدُوا فِيهَا حَبَّهَا الَّذِي كَانَ فِيهَا يَوْم أُكِلتْ، فَلا يَسْتَنْقِي أَحَد مِنْكُمْ بِعَظْمٍ وَلا بَعْرَة**»[2]. وَهَذَا إِسْنَاد غَرِيب جِدًّا وَلكِنْ فِيهِ رَجُل مُبْهَم لمْ يُسَمَّ.

وَقَدْ رَوَى الحَافِظ أَبُو نُعَيْم مِنْ حَدِيث بَقِيَّة بْن الوَليد: حَدَّثَنِي نُمَيْر بْن زَيْد القَنْبَر، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قُحَافَة ابْن رَبِيعَة، حَدَّثَنِي الزُّبَيْر بْن العَوَّام رضي الله عنه قَال: صَلَّى بِنَا رَسُول الله ﷺ صَلاة الصُّبْح فِي مَسْجِد المَدِينَة، فَلمَّا

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٤٨) بسند ضعيف.

(٢) **إسناده ضعيف.**

انْصَرَفَ قَال: «أَيّكُمْ يَتْبَعنِي إِلى وَفْد الجِنّ اللَّيْلة؟». فَأُسْكِتَ القَوْمُ ثَلاثًا، فَمَرَّ بِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَعلت أَمْشِي مَعَهُ حَتَّى حُبِسَتْ عَنَّا جِبَال المَدِينَة كُلّهَا، وَأَفْضَيْنَا إِلى أَرْض بَراز، فَإِذَا بِرِجَالٍ طِوَال كَأَنَّهُمْ الرِّمَاح مستشعرين بِثِيَابِهِمْ مِنْ بَيْن أَرْجُلهمْ، فَلَمَّا رَأَيْتهمْ غَشِيَتْنِي رَعْدَة شَدِيدَة، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْو حَدِيث ابْن مَسْعُود المُتَقَدِّم، وَهَذَا حَدِيث غَرِيب، وَالله أَعْلم.

وَمِمَّا يَتَعلَّق بِوُفُودِ الجِنّ مَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو نُعَيْم: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّد ابْن حِيَّان حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّب أَحْمَد بْن رَوْح، حَدَّثَنَا يَعْقُوب الدَّوْرَقِيّ، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن بُكَيْر التَّمِيمِيّ، حَدَّثَنَا حُصَيْن بْن عُمَر، أَخْبَرَنِي عُبَيْد المكتب عَنْ إِبْرَاهِيم قَال: خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَاب عَبْد الله يُرِيدُونَ الحَجّ حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي بَعْض الطَّرِيق إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ تَنْثَنِي عَلى الطَّرِيق أَبْيَض، يَنْفَح مِنْهُ رِيح المِسْك، فَقُلت لأَصْحَابِي: امْضُوا، فَلَسْت بِبَارِحٍ حَتَّى أَنْظُر إِلى مَا يَصِير إِلَيْهِ أَمْرُ هَذِهِ الحَيَّة. قَال: فَمَا لبِثَتْ أَنْ مَاتَتْ، فَعَمَدْت إِلى خِرْقَة بَيْضَاء فَلَفَفْتهَا فِيهَا، ثُمَّ نَحَّيْتهَا عَنْ الطَّرِيق، فَدَفَنْتهَا وَأَدْرَكْت أَصْحَابِي فِي المُتَعَشَّى. قَال: فَوَالله إِنَّا لقُعُودٌ إِذْ أَقْبَل أَرْبَع نِسْوَة مِنْ قِبَل المَغْرِب، فَقَالتْ وَاحِدَة مِنْهُنَّ: أَيّكُم دَفَنَ عَمْرًا؟ قُلنَا: وَمَنْ عَمْرٌو؟ قَالتْ: أَيّكُم دَفَنَ الحَيَّة؟ قَال: قلت: أَنَا. قَالتْ: أَمَّا وَالله لقَدْ دَفَنْت صَوَّامًا قَوَّامًا، يَأْمُر بِمَا أَنْزَل الله، وَلقَدْ آمَنَ بِنَبِيِّكُمْ وَسَمِعَ صِفَته مِنَ السَّمَاء قَبْل أَنْ يُبْعَث بِأَرْبَعِمِائَةِ عَام. قَال الرَّجُل: فَحَمِدْنَا الله ثُمَّ قَضَيْنَا حَجَّتنَا، ثُمَّ مَرَرْت بِعُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه فِي المدينة، فَأَنْبَأْته بِأَمْرِ الحَيَّة، فَقَال: صَدَقَتْ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «لقَدْ آمَنَ بِي قَبْل أَنْ أُبْعَث بِأَرْبَعِمِائَةِ سَنَة». وَهَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا[1]، وَالله أَعْلم.

قَال أَبُو نُعَيْم: وَقَدْ رَوَى الثَّوْرِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ رَجُل مِنْ ثَقِيف بِنَحْوِهِ، وَرَوَى عَبْد الله بْن أَحْمَد وَالطَّبَرَانِيّ عَنْ صَفْوَان بْن المُعَطَّل: هُوَ الَّذِي نَزَل وَدَفَنَ تِلكَ الحَيَّة مِنْ بَيْن الصَّحَابَة، وَأَنَّهُمْ قَالُوا: أما إِنَّهُ آخِر التِّسْعَة مَوْتًا الَّذِينَ أَتَوْا رَسُول الله ﷺ يَسْتَمِعُونَ القُرْآن، وَرَوَى أَبُو نُعَيْم مِنْ حَدِيث اللَّيْث بْن سَعْد عَنْ عَبْد العَزِيز بْن أَبِي سَلمَة المَاجِشُون عَنْ عَمّه، عَنْ مُعَاذ بْن عبيد الله بْن مَعْمَر قَال: كُنْت جَالسًا عِنْد عُثْمَان بْن عَفَّان رضي الله عنه، فَجَاءَ رَجُل فَقَال: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ إِنِّي كُنْت بِفَلاةٍ مِنْ الأَرْض، فَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى ثُعْبَانَيْنِ اقْتَتَلا، ثُمَّ قَتَل أَحَدُهُمَا الآخَرَ، قَال: فَذَهَبْت إِلى المُعْتَرَك فَوَجَدْت حَيَّات كَثِيرَة مَقْتُولة، وإِذا يَنْفَح مِنْ بَعْضهَا رِيح المِسْك، فَجَعَلت أَشُمّهَا وَاحِدَة وَاحِدَة حَتَّى وَجَدْت ذَلكَ مِنْ حَيَّة صَفْرَاء دقِيقَة، فَلفَفْتهَا فِي عِمَامَتِي وَدَفَنْتهَا، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ نَادَانِي مُنَادٍ: يَا عَبْد الله لقَدْ هُدِيت، هَذَانِ حَيَّانِ مِنْ الجِنّ بَنُو أشعيبان وَبَنُو أقيش التَقَوْا، فَكَانَ مِنْ القَتْلى مَا رَأَيْت، وَاسْتُشْهِدَ الَّذِي دَفَنْته، وَكَانَ مِنْ الَّذِينَ سَمِعُوا الوَحْي مِنْ رَسُول الله ﷺ، قَال: فَقَال عُثْمَان لذَلكَ الرَّجُل إِنْ كُنْت صَادِقًا فَقَدْ رَأَيْت عَجَبًا، وَإِنْ كُنْت كَاذِبًا فَعَليْك كَذِبك.[2] فقوله تَعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أَيْ: طَائِفَة مِنْ الجِنّ، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ أَيْ: اسْتَمِعُوا، وَهَذَا أَدَب مِنْهُمْ.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص ٣٠٥) بسند فيه ضعف.

وَقَدْ قَال الحَافِظ البَيْهَقِي: حَدَّثَنَا الإِمَام أَبُو الطَّيِّب سَهْل بْن مُحَمَّد بْن سُلَيْمان، أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن مُحَمَّد بْن عَبْد الله الدَّقَّاق، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم البُوشَنْجِيّ، حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم عَنْ زُهَيْر بْن مُحَمَّد عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنهما قَال: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ سُورَة الرَّحْمَن حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَال: «**مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟ لَلجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْت عَلَيْهِمْ هَذِهِ الآيَة مِنْ مَرَّة:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن:١٣)، **إِلاَّ قَالُوا: وَلا بِشَيْءٍ مِنْ آلائِك -أَوْ نِعَمِك- رَبّنَا نُكَذِّب، فَلَك الحَمْد**»(١). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي التَّفْسِير عَنْ أَبِي مُسْلم عَبْد الرَّحْمَن بْن وَاقِد عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم بِهِ، قَال: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ عَلى أَصْحَابه، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَة الرَّحْمَن ..» فَذَكَرَهُ، ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث الوَلِيد عَنْ زُهَيْر كَذَا قَال. وَقَدْ رَوَاهُ البَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيث مَرْوَان بْن مُحَمَّد الطَّاطَرِيّ عَنْ زُهَيْر بْن مُحَمَّد بِهِ مِثْله. وَقَوْله: ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أَيْ: فَرَغَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ (الجمعة:١٠)، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت:١٢)، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ (البقرة:٢٠٠)، ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أَيْ: رَجَعُوا إِلى قَوْمهمْ فَأَنْذَرُوهُمْ مَا سَمِعُوهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ، كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، وَقَدْ اسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الآيَة عَلى أَنَّهُ فِي الجِنّ نُذُر، وَلَيْسَ فِيهِمْ رُسُل، وَلا شَكَّ أَنَّ الجِنّ لَمْ يَبْعَث الله مِنْهُمْ رَسُولًا، لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ (يوسف:١٠٩).

وَقَال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان:٢٠)، وَقَال عَنْ إِبْرَاهِيم الخَلِيل: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ (العنكبوت:٢٧)، فَكُلّ نَبِيّ بَعَثَهُ الله بَعْد إِبْرَاهِيم فَمِنْ ذُرِّيَّته وَسُلالته، فَأَمَّا قَوْله تَعَالى فِي الأَنْعَام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (الأنعام:١٣٠)، فَالمُرَاد مِنْ مَجْمُوع الجِنْسَيْنِ فَيَصْدُق عَلى أَحَدهمَا، وَهُوَ الإِنْس، كَقَوْلِهِ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن:٢٢) أَيْ: أَحَدهمَا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالى فَسَّرَ إِنْذَار الجِنّ لِقَوْمِهِمْ، فَقَال مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ وَلَمْ يَذْكُرُوا عِيسَى؛ لأَنَّ عِيسَى عليه السلام أُنْزِل عَلَيْهِ الإِنْجِيل فِيهِ مَوَاعِظ وَتَرْقِيقَات وَقَلِيل مِنْ التَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم، وَهُوَ فِي الحَقِيقَة كَالمُتَمِّم لِشَرِيعَةِ التَّوْرَاة، فَالعُمْدَة هُوَ التَّوْرَاة، فَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾. وَهَكَذَا قَال وَرَقَة بْن نَوْفَل حِين أَخْبَرَهُ النَّبِيّ ﷺ بِقِصَّةِ نُزُول جِبْرِيل عَلَيْهِ أَوَّل مَرَّة، فَقَال: بَخٍ بَخٍ! هَذَا النَّامُوس الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، يَا لَيْتَنِي أَكُون فِيهَا جَذَعًا. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَيْ: مِنْ الكُتُب المُنْزَلة قَبْله عَلى الأَنْبِيَاء. وَقَوْلهمْ: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: فِي الاعْتِقَاد وَالإِخْبَار، ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فِي الأَعْمَال، فَإِنَّ القُرْآن يشتمل عَلى شَيْئَيْنِ: خَبَر وَطَلَب، فَخَبَره صِدْق، وَطَلَبُهُ عَدْل، كَمَا قَال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام:١١٥).

وَقَال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ (التوبة:٣٣)، فَالهُدَى هُوَ العِلم النَّافِع، وَدِين الحَقّ هُوَ العَمَل الصَّالح، وهكذا قَالتْ الجِنّ: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ فِي الاعْتِقَادَات ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أَيْ: فِي

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٥٠).

العَمَليَّات. ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ فِيهِ دَلالة عَلى أَنَّهُ تَعالى أَرْسَل مُحَمَّدًا -صلوات الله وسلامه عليه- إِلى الثَّقَلَيْنِ الإنس والجن، حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلى الله وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ السُّورَة الَّتِي فِيهَا خِطَاب القومين، وَتَكْليفهمْ وَوَعْدهمْ وَوَعِيدهمْ، وَهِيَ سُورَة الرَّحْمَن، وَلهَذَا قَال: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾. وَقَوْله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قِيل: إِنَّ «مِنْ» هَهُنَا زَائِدَةٌ، وَفِيهِ نَظَر؛ لأَنَّ زِيَادَتها فِي الإِثْبَات قَليل، وَقِيل: إِنَّهَا عَلى بَابهَا للتبعيض، ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَيْ: وَيَقِيكُمْ مِنْ عَذَابه الأَلِيم، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة مَنْ ذَهَبَ مِنْ العُلَمَاء إِلى أَنَّ الجِنّ المُؤْمِنِينَ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّة، وَإِنَّمَا جَزَاء صَالِحِيهِمْ أَنْ يُجَارُوا مِنْ عَذَاب النَّار يَوْم القِيَامَة، وَلهَذَا قَالُوا هَذَا فِي هَذَا المَقَام، وَهُوَ مَقَام تَبَجُّح وَمُبَالغَة، فَلوْ كَانَ لهُمْ جَزَاء عَلى الإِيمَان أَعْلى مِنْ هَذَا لأَوْشَكَ أَنْ يَذْكُرُوهُ.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي قَال: حُدِّثْت عَنْ جَرِير عَنْ ليْث عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: لا يَدْخُل مُؤْمِنُو الجِنِّ الجَنَّة؛ لأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّة إِبْليس، وَلا تَدْخُل ذُرِّيَّة إِبْليس الجَنَّة. وَالحَقّ أَنَّ مؤمنهم كمؤمن الإِنْسِ يَدْخُلُونَ الجَنَّة، كَمَا هُوَ مَذْهَب جَمَاعَة مِنْ السَّلف، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضهمْ لهَذَا بِقَوْلهِ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ (الرحمن:٧٤)، وَفِي هَذَا الاسْتِدْلال نَظَر، وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فَقَدْ امْتَنَّ تَعَالى عَلى الثَّقَليْن، بِأَنْ جَعَل جَزَاء مُحْسِنهمْ الجَنَّة، وَقَدْ قَابَلتْ الجِنّ هَذِهِ الآيَة بِالشُّكْرِ القَوْليّ أَبْلغ مِنْ الإِنْس، فَقَالُوا: وَلا بِشَيْءٍ مِنْ آلائِك رَبّنَا نُكَذِّب، فَلك الحَمْد. فَلمْ يَكُنْ تَعالى ليَمْتَنَّ عَليْهِمْ بِجَزَاءٍ لا يَحْصُل لهُمْ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يُجَازِي كَافِرهمْ بِالنَّارِ، وَهُوَ مَقَام عَدْل، فَلأَنْ يُجَازِيَ مُؤْمِنَهُمْ بِالجَنَّةِ وَهُوَ مَقَام فَضْل بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى. وَمِمَّا يَدُلّ أَيْضًا عَلى ذَلكَ عُمُوم قَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (الكهف:١٠٧)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلكَ مِنْ الآيَات. وَقَدْ أُفْرِدَتْ هَذِهِ المَسْأَلةُ فِي جُزْء عَلى حِدَة، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَهَذِهِ الجَنَّة لا يَزَال فِيهَا فَضْل حَتَّى يُنْشِئ الله لهَا خَلقًا، أَفَلا يَسْكُنهَا مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِل لهُ صَالحًا؟ وَمَا ذَكَرُوهُ هَهُنَا من الجزاء عَلى الإِيمَان مِنْ تَكْفِير الذُّنُوب، وَالإِجَارَة مِنْ العَذَاب الأَليم؛ هُوَ يَسْتَلزِم دُخُول الجَنَّة، لأَنَّهُ ليْسَ فِي الآخِرَة إِلَّا الجَنَّة أَوْ النَّار، فَمَنْ أُجِيرَ مِنْ النَّار دَخَل الجَنَّة لا مَحَالة، وَلمْ يَرِد مَعَنَا نَصٌّ صَرِيح وَلا ظَاهِر عَنْ الشَّارِع أَنَّ مُؤْمِنِي الجِنّ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّة، وَإِنْ أُجِيرُوا مِنْ النَّار، وَلوْ صَحَّ لقُلنَا بِهِ، وَالله أَعْلمُ.

وَهَذَا نُوحٌ عليه السلام يَقُول لقَوْمِهِ: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (نوح:٤)، وَلا خِلاف أَنَّ مُؤْمِنِي قَوْمه فِي الجَنَّة، فَكَذَلكَ هَؤُلاءِ. وَقَدْ حُكِيَ فِيهِمْ أَقْوَال غَرِيبَة. فَعَنْ عُمَر بْن عَبْد العَزِيز رضي الله عنه أَنَّهُمْ لا يَدْخُلُونَ بُحْبُوحَة الجَنَّة، وَإِنَّمَا يَكُونُونَ فِي رَبَضِهَا وَحَوْلهَا وَفِي أَرْجَائِهَا، وَمِنْ النَّاس مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ فِي الجَنَّة يَرَاهُمْ بَنُو آدَم وَلا يَرَوْنَ هم بَنِي آدَم عَكْسِ مَا كَانُوا عَليْهِ فِي الدَّار الدُّنْيَا. وَمِنْ النَّاس مَنْ قَال: لا يَأْكُلُونَ فِي الجَنَّة وَلا يَشْرَبُونَ، وَإِنَّمَا يُلهَمُونَ التَّسْبِيح وَالتَّحْمِيد وَالتَّقْدِيس عِوَضًا عَنْ الطَّعَام وَالشَّرَاب، كَالمَلائِكَةِ لأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسهِمْ، وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال فِيهَا نَظَر، وَلا دَليل عَليْهَا. ثُمَّ قَال مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: بَل قُدْرَة الله شَامِلة لهُ وَمُحِيطَة بِهِ، ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أَيْ: لا يُجِيرهُمْ مِنْهُ أَحَد ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وَهَذَا مَقَام تَهْدِيد وَتَرْهِيب، فَدَعَوْا قَوْمهمْ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب، وَلهَذَا نَجَعَ فِي كَثِير مِنْهُمْ، وَجَاءُوا إِلى رَسُول الله ﷺ وُفُودًا وُفُودًا، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانه، وَلله الحَمْد والمنة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

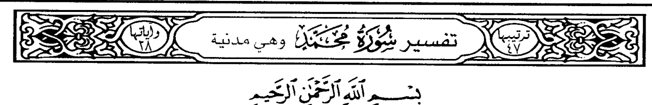
يَقُول تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: هَؤُلاءِ المُنْكِرُونَ للبَعْثِ يَوْم القِيَامَة، المُسْتَبْعِدُونَ لِقِيَامِ الأَجْسَاد يَوْم المَعَاد: ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أَيْ: وَلَمْ يُكْرِثْهُ خَلقُهُنَّ، بَل قَال لَهَا: كُونِي؛ فَكَانَتْ بِلا مُمَانَعَة وَلا مُخَالفَة، بَل طَائِعَة مُجِيبَة خَائِفَة وَجِلة، أَفَلَيْسَ ذَلكَ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِي المَوْتَى؟ كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر:٥٧)، وَلهَذَا قَال: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثُمَّ قَال متهددًا وَمُتَوَعِّدًا لِمَنْ كَفَرَ بِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ أَيْ: يُقَال لَهُمْ: أَمَا هَذَا حَقّ؟ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أَيْ: لا يَسَعُهُمْ إِلَّا الاعْتِرَاف ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ثُمَّ قَال تَعَالى آمِرًا رَسُوله ﷺ بِالصَّبْرِ عَلى تَكْذِيب مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أَيْ: عَلى تَكْذِيب قَوْمهمْ لَهُمْ. وَقَدْ اخْتَلفُوا فِي تَعْدَاد أُولِي العَزْم عَلى أَقْوَال، وَأَشْهَرُهَا أَنَّهُمْ نُوح وَإِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى، وَخَاتَم الأَنْبِيَاء كُلّهِمْ مُحَمَّد ﷺ، وقَدْ نَصَّ الله عَلى أَسْمَائِهِمْ مِنْ بَيْن الأَنْبِيَاء فِي آيَتَيْنِ مِنْ سُورَتَيْ الأَحْزَاب وَالشُّورَى، وَقَدْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِأُولِي العَزْم جَمِيع الرُّسُل، وتكون ﴿مِنَ﴾ فِي قَوْله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ لبَيَانِ الجِنْس، وَالله أَعْلم. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الحَجَّاج الحَضْرَمِيّ، حَدَّثَنَا السَّرِيّ بْن حَيَّان، حَدَّثَنَا عَبَّاد بْن عَبَّاد، حَدَّثَنَا مُجَالد بْن سَعِيد عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ مَسْرُوق قَال: قَالتْ لِي عَائِشَة رضي الله عنها: ظَلَّ رَسُول الله ﷺ صَائِمًا، ثُمَّ طَوَاهُ، ثُمَّ ظَلَّ صَائِمًا، ثُمَّ طَوَاهُ، ثُمَّ ظَلَّ صَائِمًا، قَال: «يَا عَائِشَة؛ إِنَّ الدُّنْيَا لا تَنْبَغِي لِمُحَمَّدٍ وَلا لآل مُحَمَّد، يَا عَائِشَة إِنَّ الله لمْ يَرْضَ مِنْ أُولِي العَزْم مِنْ الرُّسُل إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلى مَكْرُوهِهَا، وَالصَّبْر عَنْ مَحْبُوبِهَا، ثُمَّ لمْ يَرْضَ مِنِّي إِلَّا أَنْ يُكَلِّفنِي مَا كَلَّفَهُمْ، فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وَإِنِّي -وَالله- لأَصْبِرَنَّ كَمَا صَبَرُوا جَهْدِي، وَلا قُوَّة إِلَّا بالله»[1]. ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أَيْ: لا تَسْتَعْجِل لهُمْ حُلُول العُقُوبَة بِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ (المزمل:١١)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق:١٧)، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات:٤٦)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس:٤٥)، وَقَوْله: ﴿بَلَاغٌ﴾ قَال ابْن جَرِير: يَحْتَمِل مَعْنَيَيْنِ: أَحَدهمَا: أَنْ يَكُون تَقْدِيره: وَذَلكَ لبَثٌ بَلاغ. والآخر: أَنْ يَكُون تَقْدِيره: هَذَا القُرْآن بَلاغ.

وَقَوْله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أَيْ: لا يَهْلك عَلى الله إِلَّا هَالك، وَهَذَا مِنْ عَدْله تعالى أَنَّهُ لا يُعَذِّب إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقّ العَذَاب.

آخِر تَفْسِير سُورَة الأَحْقَاف، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة

---

(١) **ضعيف**: فيه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ: بِآيَاتِ الله، ﴿وَصَدُّوا﴾ غَيْرهم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَيْ: أَبْطَلَهَا وَأَذْهَبَهَا، وَلَمْ يَجْعَل لها جَزَاءً وَلا ثَوَابًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣). ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أَيْ: آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ وَسَرَائِرهمْ، وَانْقَادَتْ جَوَارِحُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ، ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ عَطْفُ خَاصٍّ عَلى عَامّ، وَهُوَ دَليل عَلى أَنَّهُ شَرْط فِي صِحَّة الإِيمَان بَعْد بَعْثَته -صلوات الله وسلامه عليه-.

وَقَوْله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ جُمْلة مُعْتَرِضَة حَسَنَة، وَلهَذَا قَال: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَيْ: أَمْرهمْ. وَقَال مُجَاهِد: شَأْنهمْ. وَقَال قَتَادَة وَابْن زَيْد: حَالهمْ. وَالكُلّ مُتَقَارِب. وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيث تَشْمِيت العَاطِس: «يَهْدِيكُمْ الله وَيُصْلِح بَالكُمْ»[1]. ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ أَيْ: [إِنَّمَا أَبْطَلنَا أَعْمَال الكُفَّار، وَتَجَاوَزْنَا عَنْ سَيِّئَات الأَبْرَار، وَأَصْلحْنَا شُؤُونهم؛ لأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِل. أَيْ][2]: اخْتَارُوا البَاطِل عَلى الحَقّ، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أَيْ: يُبَيِّن لَهُمْ مَآل أَعْمَالهمْ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادهمْ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

يَقُول تَعَالى مُرْشِدًا للمُؤْمِنِينَ إِلى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي حُرُوبهمْ مَعَ المُشْرِكِينَ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أَيْ: إِذَا وَاجَهْتُمُوهُمْ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا بِالسُّيُوفِ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أَيْ: أَهْلَكْتُمُوهُمْ قَتْلًا ﴿فَشُدُّوا﴾ الأُسَارَى الَّذِينَ تَأْسِرُونَهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْد انْقِضَاء الحَرْب وَانْفِصَال المَعْرَكَة مُخَيَّرُونَ فِي أَمْرهمْ، إِنْ شِئْتُمْ مَنَنْتُمْ عَليْهِمْ، فَأَطْلَقْتُمْ أُسَارَاهُمْ مَجَّانًا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ بِمَالٍ تَأْخُذُونَهُ مِنْهُمْ وَتُشَاطِرُونَهُمْ عَليْهِ، وَالظَّاهِر أَنَّ هَذِهِ الآيَة نَزَلتْ بَعْد وَقْعَة بَدْر، فَإِنَّ الله سُبْحَانه عَاتَبَ المُؤْمِنِينَ عَلى الاسْتِكْثَار مِنْ الأُسَارَى يَوْمئِذٍ، ليَأْخُذُوا مِنْهُمْ الفِدَاء والتقلل مِنْ القَتْل يَوْمئِذٍ، فَقَال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٧-٦٨)، ثُمَّ قَدْ ادَّعَى بَعْض العُلَماء أَنَّ هَذِهِ الآيَة -المُخَيِّرَة بَيْن مُفَادَاة الأَسِير وَالمَنّ عَليْهِ- مَنْسُوخَة بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ (التوبة:٥) الآيَة، رَوَاهُ العَوْفِيّ عَنْ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٢٤).
(٢) سقط من الأزهرية.

ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما . وَقَالهُ قَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ وَابْن جُرَيْج، وَقَال الآخَرُونَ -وَهُمْ الأَكْثَرُونَ-: لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٍ، ثُمَّ قَال بَعْضهمْ: إِنَّمَا الإِمَام مُخَيَّر بَيْن المَنّ عَلى الأَسِير وَمُفَادَاته فَقَطْ، وَلا يَجُوز لهُ قَتْلُهُ.

وَقَال آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَل لهُ أَنْ يَقْتُلهُ إِنْ شَاءَ؛ لِحَدِيثِ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ النَّضْرَ بْنَ الحَارِثِ وَعُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط مِنْ أُسَارَى بَدْر. وَقَال ثُمَامَة بْن أُثَال لِرَسُول الله ﷺ حِين قَال لهُ: «مَا عِنْدك يَا ثُمَامَة؟». فَقَال: إِنْ تَقْتُل تَقْتُل ذَا دَم، وَإِنْ تَمْنُنْ تَمْنُنْ عَلى شَاكِر، وَإِنْ كُنْت تُرِيد المَال فسل تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْت.[1] وَزَادَ الشَّافِعِيّ رحمه الله فَقَال: الإِمَام مُخَيَّر بَيْن قَتْله أَوْ المَنّ عَليْهِ أَوْ مُفَادَاته أَوْ اسْتِرْقَاقه أَيْضًا، وَهَذِهِ المَسْأَلة مُحَرَّرَة فِي عِلم الفُرُوع، وَقَدْ دَلَّلنَا عَلى ذَلِكَ فِي كِتَابنَا الأَحْكَام، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَوْله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قَال مُجَاهِد: حَتَّى يَنْزِل عِيسَى ابْن مَرْيَم، وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْله ﷺ : «**لا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحَقّ حَتَّى يُقَاتِل آخِرهمْ الدَّجَّال**»[2]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الحَكَم بْن نَافِع، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش عَنْ إِبْرَاهِيم بْن سُليْمَان، عَنْ الوَليد بْن عَبْد الرَّحْمَن الجُرَشِيّ عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر: أَن سَلمَة بْن نُفَيْل أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى رَسُول الله ﷺ فَقَال: إِنِّي سَيَّبْت الخَيْل، وَأَلقَيْت السِّلاح، وَوَضَعَتْ الحَرْبُ أَوْزَارهَا، وَقُلت: لا قِتَال، فَقَال لهُ النَّبِيّ ﷺ : «**الآن جَاءَ القِتَال، لا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلى النَّاس، يُزِيغ الله قُلُوب أَقْوَام، فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقهمْ الله مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله وَهُمْ عَلى ذَلِكَ، أَلا إِنَّ عقر دَار المُؤْمِنِينَ الشام، وَالخَيْل مَعْقُود فِي نَوَاصِيهَا الخَيْر إِلى يَوْم القِيَامَة**»[3]. وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر عَنْ سَلمَة بْن نُفَيْل السَّكُونِيّ بِهِ.

وَقَال أَبُو القَاسِم البَغَوِيّ: حَدَّثَنَا دَاوُد بْن رَشِيد، حَدَّثَنَا الوَليد بن مسلم عَنْ مُحَمَّد بْن مُهَاجِر، عَنْ الوَليد ابْن عَبْد الرَّحْمَن الجُرَشِيّ عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر عَنْ النَّوَّاس بْن سَمْعَان رضي الله عنه قَال: لَمَّا فُتِحَ عَلى رَسُول الله ﷺ فَتْح، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله سُيِّبَتْ الخَيْل وَوُضِعَتْ السِّلاح، وَوَضَعَتْ الحَرْب أَوْزَارهَا، قَالُوا: لا قِتَال، قَال: «**كَذَبُوا الآن جَاءَ القِتَال، لا يَزَال الله يرفع قُلُوب قَوْم يُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَرْزُقهمْ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله، وَهُمْ عَلى ذَلِكَ، وعقر دَار المُسْلمِينَ بِالشَّام**». وَهَكَذَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ عَنْ دَاوُدَ بْن رَشِيد بِهِ، وَالمَحْفُوظ أَنَّهُ مِنْ رِوَايَة سَلمَة بْن نُفَيْل كَمَا تَقَدَّمَ، وَهَذَا يُقَوِّي القَوْل بِعَدَمِ النَّسْخ كَأَنَّهُ شُرِعَ هَذَا الحُكْم فِي الحَرْب إِلى أَنْ لا يَبْقَى حَرْب. وَقَال قَتَادَة: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ حَتَّى لا يَبْقَى شِرْك، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة:١٩٣).

ثُمَّ قَال بَعْضهمْ: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أَيْ: أَوْزَار المُحَارِبِينَ وَهُمْ المُشْرِكُونَ بِأَنْ يَتُوبُوا إِلى الله عز وجل، وَقِيل: أَوْزَار أَهْلهَا بِأَنْ يَبْذُلُوا الوُسْع فِي طَاعَة الله عز وجل. وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أَيْ: هَذَا وَلوْ شَاءَ الله لانْتَقَمَ مِنْ الكَافِرِينَ بِعُقُوبَةٍ وَنَكَال مِنْ عِنْده، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ أَيْ: وَلكِنْ شَرَعَ لكُمْ الجِهَاد وَقِتَال الأَعْدَاء ليَخْتَبِركُمْ، ويبلو أَخْبَارَكُمْ كَمَا ذَكَرَ حِكْمَته فِي شَرْعِيَّة الجِهَاد فِي سُورَتَيْ «آل عِمْرَان»، وَ«بَرَاءَة» فِي قَوْله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٢)، وَقَال فِي سُورَة بَرَاءَة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:١٤-١٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).
(٢) **صحيح**: تقدم.
(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٤)، والنسائي (٦/ ٢١٤)، من حديث سلمة بن نفيل.

ثُمَّ لـمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ القِتَال أَنْ يُقْتَل كَثِير مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَال: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أَيْ: لنْ يُذْهِبهَا، بَل يُكْثِرهَا وَيُنَمِّيهَا وَيُضَاعِفهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْرِي عَلَيْهِ عَمَله فِي طُول بَرْزَخه، كَمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَده، حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا زَيْد بْن يَحْيَى الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْبَان عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَكْحُول عَنْ كَثِير بْن مُرَّة عَنْ قَيْس الجُذَامِيّ -رَجُل كَانَتْ لهُ صُحْبَة- قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«يُعْطَى الشَّهِيد ستّ خِصَال: عِنْد أَوَّل قَطْرَة مِنْ دَمه يكفَّر عَنْهُ كُلّ خَطِيئَة، وَيَرَى مَقْعَده مِنْ الجَنَّة، وَيُزَوَّج مِنَ الحُور العِين، ويؤمَّن مِنَ الفَزَع الأَكْبَر، وَمِنْ عَذَاب القَبْر، وَيُحَلَّى حُلَّة الإِيمَان»**[1]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ.

حَدِيث آخَر: قَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا الحَكَم بْن نَافِع، حدثنا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش عَنْ بحير بْن سعد عَنْ خَالد ابْن مَعْدَان عَنْ المِقْدَام بْن مَعْدِي كَرِب الكِنْدِيّ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«إِنَّ للشَّهِيدِ عِنْد الله سِتّ خِصَال: أَنْ يَغْفِر لهُ فِي أَوَّل دفعة مِنْ دَمه، وَيَرَى مَقْعَده مِنَ الجَنَّة، وَيُحَلَّى حُلَّة الإِيمَان، وَيُزَوَّج مِنْ الحُور العِين، وَيُجَار مِنْ عَذَاب القَبْر، وَيَأْمَن مِنَ الفَزَع الأَكْبَر، وَيُوضَع عَلى رَأْسه تَاج الوَقَار، اليَاقُوتَة مِنْهُ خَيْر مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّج اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَة مِنَ الحُور العِين، وَيَشْفَع فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبه»**.[2] وَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ وَابْن مَاجَهْ. وَفِي صَحِيح مُسْلم عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما. وعَنْ أَبِي قَتَادَة رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«يُغْفَر للشَّهِيدِ كُلّ شَيْء إِلاَّ الدَّيْن»**[3]. وَرُوِيَ مِنْ حَدِيث جَمَاعَة مِنَ الصَّحَابَة رضي الله عنهم، وَقَال أَبُو الدَّرْدَاء رضي الله عنه: قَال رَسُول الله ﷺ : **«يَشْفَع الشَّهِيد فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْل بَيْته»**.[4] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَالأَحَادِيث فِي فَضْل الشَّهِيد كَثِيرَة جِدًّا.

وقوله: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ أَيْ: إِلى الجَنَّة، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (يونس:٩). وَقَوْله: ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ أَيْ: أَمْرهمْ وَحَالهمْ، ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ أَيْ: عَرَّفَهُمْ بِهَا وَهَدَاهُمْ إِليْهَا. قَال مُجَاهِد: يَهْتَدِي أَهْلهَا إِلى بُيُوتهمْ وَمَسَاكِنهمْ، وَحَيْثُ قَسَمَ الله لهُمْ مِنْهَا لا يُخْطِئُونَ كَأَنَّهُمْ سَاكِنُوهَا مُنْذُ خُلقُوا، لا يَسْتَدِلُّونَ عَليْهَا أَحَدًا، وَرَوَى مَالك عَنْ ابن زَيْد بْن أَسْلمَ نَحْو هَذَا، وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: يَعْرِفُونَ بُيُوتهمْ إِذَا دَخَلُوا الجَنَّة كَمَا تَعْرِفُونَ بُيُوتكُمْ إِذَا انْصَرَفْتُمْ مِنْ الجُمُعَة. وَقَال مُقَاتِل بن حَيَّان: بَلغَنَا أَنَّ المَلك الَّذِي كَانَ وُكِّل بِحِفْظِ عَمَله فِي الدُّنْيَا يَمْشِي بَيْن يَدَيْهِ فِي الجَنَّة، وَيَتْبَعهُ ابْن آدَم حَتَّى يَأْتِي أَقْصَى مَنْزِل هُوَ لهُ، فَيُعَرِّفهُ كُلّ شَيْء أَعْطَاهُ الله فِي الجَنَّة، فَإِذَا انْتَهَى إِلى أَقْصَى منزله فِي الجَنَّة دَخَل إِلى مَنْزِله وَأَزْوَاجه، وَانْصَرَفَ المَلك عَنْهُ، ذكرهن ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ وَرَدَ الحَدِيث الصَّحِيح بِذَلكَ أَيْضًا، رَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث قَتَادَة عَنْ أَبِي المُتَوَكِّل النَّاجِي عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِذَا خُلِّصَ المُؤْمِنُونَ مِنْ النَّار حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْن الجَنَّة وَالنَّار، يَتَقَاصُّونَ مَظَالم كَانَتْ بَيْنهمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لهُمْ فِي دُخُول الجَنَّة، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدهمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّة أَهْدَى مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»**.[5] ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٠) بسند ضعيف، وله شواهد يصح بها.

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٨٢).

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٨٨٦).

(٤) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٢٥٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٩٣).

(٥) **صحيح** : تقــدم.

﴿ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (الحج:٤٠)، فَإِنَّ الجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**مَنْ بَلَّغَ ذَا سُلطَان حَاجَة مَنْ لا يَسْتَطِيع إبْلاغهَا ثَبَّتَ الله قدمه على الصِّرَاط يَوْم القِيَامَةِ**». ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ عَكْس تَثْبِيت الأَقْدَام للمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِينَ لله وَلرَسُولِهِ ﷺ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الحَدِيث عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «تَعِسَ عَبْد الدِّينَار، تَعِسَ عَبْد الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبْد القَطِيفَة، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ!»[1]. وَقَوْله: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أَيْ: أَحْبَطَهَا وَأَبْطَلَهَا؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أَيْ: لا يُرِيدُونَهُ ولا يُحِبُّونَهُ، ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

﴿۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ يَعْنِي: المُشْرِكِينَ بِالله المُكَذِّبِينَ لرَسُولِهِ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أَيْ: عَاقَبَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، أَيْ: وَنَجَّى المُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾. ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾. وَلهَذَا قَال أَبُو سُفْيَان صَخْر ابْن حَرْب رَئِيس المُشْرِكِينَ يَوْم أُحُد، حِين سَأَل عَنْ النَّبِيّ ﷺ وَعَنْ أَبِي بَكْر وَعُمَر رضي الله عنهما فَلَمْ يُجَبْ وَقَال: أَمَّا هَؤُلاءِ فَقَدْ هَلكُوا، وَأَجَابَهُ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه فَقَال: كَذَبْت يَا عَدُوّ الله، بَل أَبْقَى الله لك مَا يَسُوءك، وَإِنَّ الَّذِينَ عَدَدْت لأَحْيَاءٌ، فَقَال أَبُو سُفْيَان: يَوْم بِيَوْم بَدْر، وَالحَرْب سِجَال، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ مُثْلَة لَمْ آمُرْ بِهَا، وَلَمْ تسؤنِي، ثم ذَهَبَ يَرْتَجِز، وَيَقُول: اعْلُ هُبَل، اعْلُ هُبَل. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**أَلا تُجِيبُوهُ؟**». قَالُوا: يَا رَسُول الله وَمَا نَقُول؟ قَال ﷺ: «**قُولُوا: الله أَعْلى وَأَجَلّ**».

ثُمَّ قَال أَبُو سُفْيَان: لنَا العُزَّى وَلا عُزَّى لكُمْ، فَقَال: «**أَلا تُجِيبُوهُ؟**». قَالُوا: وَمَا نَقُول يَا رَسُول الله؟ قَال «قُولُوا: الله مَوْلانَا وَلا مَوْلى لكُمْ»[2]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أَيْ: فِي دُنْيَاهُمْ، يَتَمَتَّعُونَ بِهَا وَيَأْكُلُونَ مِنْهَا كَأَكْل الأَنْعَام، خَضْمًا وَقَضْمًا، لَيْسَ لهُمْ هِمَّة إِلَّا فِي ذَلكَ. وَلهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح: «**المُؤْمِن يَأْكُل فِي مِعًى وَاحِد، وَالكَافِر يَأْكُل فِي سَبْعَة أَمْعَاء**».[3] ثُمَّ قَال: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ أَيْ: يَوْم جَزَائِهِمْ، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ يَعْنِي: مَكَّة ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ وَهَذَا تَهْدِيد شَدِيد وَوَعِيد أَكِيد لأَهْل مَكَّة، فِي تَكْذِيبِهِمْ لرَسُول الله ﷺ، وَهُوَ سَيِّد المرسلين وَخَاتَم الأَنْبِيَاء، فَإِذَا كَانَ الله عز وجل قَدْ أَهْلكَ الأُمَم الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُل قَبْله بِسَبَبِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّة مِنْ هَؤُلاءِ، فَمَاذَا ظَنَّ هَؤُلاءِ أَنْ يَفْعَل الله بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى؟ فَإِنْ رَفَعَ عَنْ كَثِير مِنْهُمْ العُقُوبَة فِي الدُّنْيَا لبَرَكَةِ وُجُودِ الرَّسُول نَبِيّ الرَّحْمَة، فَإِنَّ العَذَاب يُوفَر عَلى الكَافِرِينَ بِهِ فِي مَعَادهمْ، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ (هود:٢٠)، وَقَوْله: ﴿مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ أَيْ: الَّذِينَ أَخْرَجُوك مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ.

---

(١) **صحيح**: تقدم.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٤٣).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦١).

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذَكَرَ أَبِي عَنْ مُحَمَّد بن عَبْد الأَعْلَى عَنْ الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَنَش، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ لَـمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّة إِلَى الغَار أراه قال: التفت إلى مَكَّة وَقَال: «**أَنْتِ أَحَبُّ بِلاد الله إلى الله، وَأَنْتِ أَحَبُّ بلاد الله إليَّ، ولو أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لم يخرجوني لمْ أَخْرُج مِنْك**»[1]. فَأَعْدَى الأَعْدَاء مَنْ عَدَا عَلَى الله تَعَالَى فِي حَرَمِهِ، أَوْ قَتَل غَيْر قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَل بِذُحُول الجَاهِلِيَّة، فَأَنْزَل الله عَلَى نَبِيّه ﷺ: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾.

﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم (١٤) مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ**﴾.

يقول: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ**﴾ أَيْ: عَلَى بَصِيرَة وَيَقِين فِي أَمْر الله وَدِينه، بِمَا أَنْزَل الله فِي كِتَابه مِنْ الْهُدَى وَالعِلم، وَبِمَا جَبَلَهُ الله عَلَيْهِ مِنْ الفِطْرَة الْمُسْتَقِيمَة، ﴿**كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم**﴾ أَيْ: لَيْسَ هَذَا كَهَذَا، كَقَوْلِهِ: ﴿**أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ**﴾ (الرعد:١٩)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ**﴾ (الحشر:٢٠). ثم قال: ﴿**مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ**﴾ قَال عِكْرِمَة: ﴿**مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ**﴾ أَيْ: نَعْتهَا ﴿**فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ**﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَالحَسَن وَقَتَادَة: يَعْنِي غَيْر مُتَغَيِّر. وَقَال قَتَادَة وَالضَّحَّاك وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ: غَيْر مُنْتِن، وَالعَرَب تَقُول: أَسِنَ المَاء إِذَا تَغَيَّرَ رِيحه، وَفِي حَدِيث مَرْفُوع أَوْرَدَهُ ابْن أَبِي حَاتِم: «غَيْر آسِن: يَعْنِي الصَّافِي الَّذِي لا كَدَرَ فِيهِ».

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ الأَعْمَش عَنْ عَبْد الله بْن مُرَّة، عَنْ مَسْرُوق قَال: قَال عَبْد الله رضي الله عنه: «**أَنْهَار الجَنَّة تَفَجَّر مِنْ جَبَل مِنْ مِسْك**»[2]. ﴿**وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ**﴾ أَيْ: بَل فِي غَايَة البَيَاض وَالحَلاوَة وَالدُّسُومَة، وَفِي حَدِيث مَرْفُوع: «**لمْ يَخْرُج مِنْ ضُرُوع المَاشِيَة**». ﴿**وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ**﴾ أَيْ: لَيْسَتْ كَرِيهَة الطَّعْم وَالرَّائِحَة كَخَمْرِ الدُّنْيَا بَل حَسَنَة الْمَنْظَر وَالطَّعْم وَالرَّائِحَة وَالفِعْل، ﴿**لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾ (الصافات:٤٧)، ﴿**لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ**﴾ (الواقعة:١٩)، ﴿**بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ**﴾ (الصافات:٤٦)، وَفِي حَدِيث مَرْفُوع: «**لمْ تعصرها الرِّجَال بأقدامها**». ﴿**وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾ أَيْ: وَهُوَ فِي غَايَة الصَّفَاء وَحُسْن اللَّوْن وَالطَّعْم وَالرِّيح. وَفِي حَدِيث مَرْفُوع: «**لمْ يَخْرُج مِنْ بُطُون النَّحْل**». وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنَا الجَرِيرِيّ عَنْ حَكِيم بْن مُعَاوِيَة عَنْ أَبِيهِ، قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**فِي الجَنَّة بَحْر اللَّبَن وَبَحْر المَاء، وَبَحْر العَسَل، وَبَحْر الخَمْر، ثُمَّ تَشَقَّقُ الأَنْهَار مِنْهَا بَعْد**»[3]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي صِفَة الجَنَّة عَنْ مُحَمَّد بْن بشار عَنْ يَزِيد بْن هَارُون، عَنْ سَعِيد بْن إِيَاس الجَرِيرِيّ به، وَقَال: حَسَن صَحِيح. وقَال أَبُو بَكْر ابْن مَرْدُوَيْهِ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَاصِم، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن النُّعْمَان، حَدَّثَنَا مُسْلم بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا الحَارِث بْن عُبَيْد أَبُو قُدَامَة الإِيادي، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ عَنْ [أَبِي بَكْر][4] بْن عَبْد الله بْن قَيْس عَنْ أَبِيهِ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**هَذِهِ الأَنْهَار تَشْخَب مِنْ جَنَّة عَدْن فِي جَوْبَة، ثُمَّ تَصْدَع بَعْدُ أَنْهَارًا**»[5].

---

(١) **صحيح**: تقـدم.
(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٧)، وسنده صحيح موقوفًا.
(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٥)، والترمذي (٢٥٧١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٢٢).
(٤) في الأزهرية: [يزيد].
(٥) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٤/ ٤١٦) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٦٣٥).

وَفِي الصَّحِيح: «إِذَا سَأَلْتُمْ الله فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْس فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّة، وَأَعْلَى الجَنَّة، وَمِنْهُ تَفَجَّر أَنْهَار الجَنَّة، وَفَوْقه عَرْش الرَّحْمَن».[1] •

وَقَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُصْعَب بْن إِبْرَاهِيم بْن حَمْزَة الزُّبَيْرِيّ وَعَبْد الله بْن الصقر السكري؛ قَالا: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الْمُنْذِر الحِزَامِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن الْمُغِيرَة، حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن عَيَّاش عَنْ دَلْهَم بْن الأَسْوَد بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر، قَال دَلْهَم: وَحَدَّثَنِيهِ أَيْضًا أَبِي الأَسْوَدُ عَنْ عَاصِم بْن لَقِيط: أن لَقِيط بْن عَامِر خَرَجَ وَافِدًا إِلَى رَسُول الله ﷺ، قُلت: يَا رَسُول الله فَعَلَى مَا نَطَّلع مِنْ الجَنَّة؟ قَال ﷺ: «عَلَى أَنْهَار مِنْ عَسَل مُصَفًّى، وَأَنْهَار مِنْ خَمْر مَا بِهَا صُدَاع وَلا نَدَامَة، وَأَنْهَار مِنْ لَبَن لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمه، وَمَاء غَيْر آسِن، وَفَاكِهَة لَعَمْر إِلهك مَا تَعْلَمُونَ وَخَيْر مِنْ مِثْله، وَأَزْوَاج مُطَهَّرَة». قُلت: يَا رَسُول الله، أَوَلنَا فِيهَا أَزْوَاج مُصْلحَات؟ قَال: «الصَّالحَات للصَّالحِينَ، تَلذُّونَهُنَّ مِثْل لذَّاتكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَلذُّونكُمْ، غَيْر أَنْ لا تَوَالُد».

وَقَال أَبُو بَكْر عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن عبيدة عَنْ يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنِي الجَرِيرِيّ عَنْ مُعَاوِيَة بْن قُرَّة عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَال: لعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَار الجَنَّة تَجْرِي فِي أُخْدُود فِي الأَرْض، وَالله إِنَّهَا لتَجْرِي سَائِحَة عَلَى وَجْه الأَرْض، حَافَّتَاهَا قِبَاب اللُّؤْلُؤ، وَطِينهَا المِسْك الأَذْفَر، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْر بْن مَرْدُوَيْهِ مِنْ حَدِيث مَهْدِيّ بْن حَكِيم عَنْ يَزِيد بْن هَارُون بِهِ مَرْفُوعًا. وَقَوْله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ (الدخان:٥٥)، وَقَوْله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (الرحمن:٥٢). وَقَوْله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيْ: مَعَ ذَلكَ كُلّه. وَقَوْله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا مَنْزِلتهمْ مِنْ الجَنَّة كَمَنْ هُوَ خَالد فِي النَّار؟ ليْسَ هَؤُلاءِ كَهَؤُلاءِ، أَي: ليْسَ مَنْ هُوَ فِي الدَّرَجَات كَمَنْ هُوَ فِي الدَّرَكَات، ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ أَيْ: حَارًّا شَدِيد الحَرّ، لا يُسْتَطَاع ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ أَيْ: قَطَّعَ مَا فِي بُطُونهمْ مِنْ الأَمْعَاء وَالأَحْشَاء، عِيَاذًا بِالله مِنْ ذَلكَ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الْمُنَافِقِينَ فِي بَلادَتهمْ وَقِلَّة فَهْمهمْ، حَيْثُ كَانُوا يَجْلسُونَ إِلى رَسُول الله ﷺ، وَيَسْتَمِعُونَ كَلامه، ولا يَفْهَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْده، ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ مِنْ الصَّحَابَة رضي الله عنهم: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أَيْ: السَّاعَة. لا يَعْقِلُونَ مَا يقال، وَلا يَكْتَرِثُونَ لهُ. قَال الله تَعَالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أَيْ: فَلا فَهْم صَحِيح، وَلا قَصْد صَحِيح. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ أَيْ: وَالَّذِينَ قَصَدُوا الهِدَايَة وَفَّقَهُمْ الله لهَا فَهَدَاهُمْ إِليْهَا، وَثَبَّتَهُمْ عَليْهَا، وَزَادَهُمْ مِنْهَا، ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أَيْ: أَلهَمَهُمْ رُشْدَهُمْ. وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أَيْ: وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أَيْ: أَمَارَات اقْتِرَابهَا، كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ (النجم:٥٦،٥٧)، وَكَقَوْله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ

---

(١) صحيح: تقدم.

ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر:١)، وَقَوْله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل:١)، وَقَوْله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء:١)، فَبَعْثَة رَسُول الله ﷺ مِنْ أَشْرَاط السَّاعَة، لأَنَّهُ خَاتَم الرُّسُل الَّذِي أَكْمَل الله بِهِ الدِّين، وَأَقَامَ بِهِ الحُجَّة عَلى العَالمِينَ. وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ بِأَمَارَاتِ السَّاعَة وَأَشْرَاطِهَا، وَأَبَانَ عَنْ ذَلكَ وَأَوْضَحَهُ بِمَا لمْ يُؤْتَهُ نَبِيّ قَبْله كَمَا هُوَ مَبْسُوط فِي مَوْضِعه وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: بَعْثَة مُحَمَّد ﷺ مِنْ أَشْرَاط السَّاعَة، وَهُوَ كَمَا قَال، وَلهَذَا جَاءَ فِي أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ نَبِيّ التَّوْبَة وَنَبِيّ المَلحَمَة، وَالحَاشِر الَّذِي يُحْشَر النَّاس عَلى قَدَمَيْهِ، وَالعَاقِب الَّذِي لَيْسَ بَعْده نَبِيّ. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن المِقْدَام، حَدَّثَنَا فُضَيْل بْن سُليْمَان، حَدَّثَنَا أَبُو حازم، حَدَّثَنَا سَهْل بْن سَعْد رضي الله عنه قَال: رَأَيْت رَسُول الله ﷺ قَال بِأُصْبُعَيْهِ هَكَذَا بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَليهَا: «بُعِثْت أَنَا وَالسَّاعَة كَهَاتَيْنِ».[(١)]

ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ أَيْ: فَكَيْف للكَافِرِينَ بِالتَّذَكُّر إِذَا جَاءَتْهُمْ القِيَامَة، حَيْثُ لا يَنْفَعهُمْ ذَلكَ؟ كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ (الفجر:٢٣)، ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (سبأ:٥٢).

وقوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ هَذَا إِخْبَار بِأَنَّهُ لا إِلَه إِلَّا الله، وَلا يَتَأَتَّى كَوْنه آمِرًا بِعِلم ذَلكَ، وَلهَذَا عَطَفَ عَليْهِ بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾، وَفِي الصَّحِيح: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي هَزْلي وَجِدِّي وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلّ ذَلكَ عِنْدِي»[(٢)]. وَفِي الصَّحِيح أَنَّهُ كَانَ يَقُول فِي آخِر الصَّلاة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت، وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلنْت، وَمَا أَسْرَفْت، وَمَا أَنْتَ أَعْلمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلهي، لا إِله إِلاَّ أَنْتَ»[(٣)]. وَفِي الصَّحِيح أَنَّهُ قَال: «يَا أَيهَا النَّاس تُوبُوا إِلى رَبّكُمْ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِر الله وَأَتُوب إِليْهِ فِي اليَوْم أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّة».[(٤)] وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا محمد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ عَاصِم الأَحْوَل قَال: سَمِعْت عَبْد الله بْن سَرْجس قَال: أَتَيْت رَسُول الله ﷺ فَأَكَلت مَعَهُ مِنْ طَعَامه، فَقُلت: غَفَرَ الله لك يَا رَسُول الله، فَقَال ﷺ: «وَلك». فَقُلت: أَسْتَغْفِر لك؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ وَلكُمْ». وَقَرَأَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾، ثُمَّ نَظَرْت إِلى نغض كَتِفه الأَيْمَن -أَوْ: كَتِفه الأَيْسَر، شُعْبَة الَّذِي شَكَّ- فَإِذَا هُوَ كَهَيْئَةِ الجُمْع عَليْهِ الثَّآليل[(٥)]، رَوَاهُ مُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طُرُق عَنْ عَاصِم الأَحْوَل بِه، وَفِي الحَدِيث الآخَر الَّذِي رَوَاهُ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَوْن، حَدَّثَنا عُثْمَان بْن مَطَر، حَدَّثَنَا عَبْد الغَفُور عَنْ أَبِي نصيرة عَنْ أَبِي رَجَاء عَنْ أَبِي بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنه عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «عَليْكُمْ بِلا إِله إِلاَّ الله وَالاسْتِغْفَار، فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْليس قَال: إِنَّمَا أَهْلكْتُ النَّاس بِالذُّنُوب، وَأَهْلكُونِي بِلا إِلَهَ إِلاَّ الله وَالاسْتِغْفَار، فَلَمَّا رَأَيت ذَلكَ أَهْلكْتهم بِالأَهْوَاءِ، فَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ»[(٦)]. وَفِي الأَثَر المَرْوِيّ: «قَال إِبْليس: وَعِزَّتك وَجَلالك لا أَزَالُ أُغْوِيهِمْ مَا دَامَتْ أَرْوَاحهمْ فِي أَجْسَادهمْ، فَقَال الله عز وجل: وَعِزَّتِي وَجَلالي لا أَزَالُ أَغْفِر لهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[(٧)]. وَالأَحَادِيث فِي فَضْل الاسْتِغْفَار كَثِيرَة جِدًّا. وَقَوْله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ أَيْ: يَعْلم تَصَرُّفكُمْ فِي نَهَاركُمْ وَمُسْتَقَرّكُمْ فِي ليْلكُمْ، كَقَوْلهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠).
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩).
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٧٧١).
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣٠٧).
(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٤٦).
(٦) موضوع : تقدم.
(٧) حسن : حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٥٠).

بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ (الأنعام:٦٠)، وكقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود:٦)، وَهَذَا القَوْل ذَهَبَ إِلَيْهِ ابن جُرَيْج، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِير، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مُتَقَلَّبَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَثْوَاكُمْ فِي الآخِرَةِ. وَقَال السُّدِّيّ: مُتَقَلَّبَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَثْوَاكُمْ فِي قُبُورِكُمْ. وَالأَوَّلُ أَوْلَى وَأَظْهَرُ، وَالله أَعْلَمُ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّة الجِهَاد، فَلَمَّا فَرَضَهُ الله عز وجل، وَأَمَرَ بِهِ نَكَل عَنْهُ كَثِير مِنْ النَّاس، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء:٧٧)، وَقَال هَهُنَا: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ أَيْ: مُشْتَمِلة عَلى حُكْم القِتَال؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أَيْ: مِنْ فَزَعِهِمْ وَرُعْبِهِمْ، وَجُبْنِهِمْ مِنْ لِقَاء الأَعْدَاء، ثم قَال مُشَجِّعًا لَهُمْ: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ أَيْ: وَكَانَ الأَوْلى بِهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا، أَيْ: فِي الحَالة الرَّاهِنَة، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أَيْ: جَدَّ الحَال، وَحَضَرَ القِتَال، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أَيْ: أَخْلَصُوا لهُ النِّيَّة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾. وقوله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أَيْ: عَنْ الجِهَاد وَنَكَلتُمْ عَنْهُ، ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ أَيْ: تَعُودُوا إِلى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ الجَاهِلِيَّة الجَهْلاء، تَسْفِكُونَ الدِّمَاء، وَتُقَطِّعُونَ الأَرْحَام، ولهذا قال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ وَهَذَا نَهْيٌ عَنْ الإِفْسَاد فِي الأَرْض عُمُومًا، وَعَنْ قَطْع الأَرْحَام خُصُوصًا، بَل قَدْ أَمَرَ تَعَالى بِالإِصْلاحِ فِي الأَرْض وَصِلة الأَرْحَام، وَهُوَ الإِحْسَان إِلى الأَقَارِب فِي المَقَال والفعال وَبَذْل الأَمْوَال.

وَقَدْ وَرَدَتْ الأَحَادِيث الصِّحَاح وَالحِسَان بِذَلِكَ عَنْ رَسُول الله ﷺ مِنْ طُرُق عَدِيدَة وَوُجُوه كَثِيرَة، قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا خَالد بْن مَخْلد، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَة بْن أَبِي مُزَرِّد عَنْ سَعِيد بْن يَسَار عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**خَلَقَ الله تَعَالى الخَلق، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِم فَأَخَذَتْ بِحَقْو الرَّحْمَن عز وجل فَقَال: مَهْ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَام العَائِذ بِك مِنْ القَطِيعَة، فَقَال تَعَالى: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِل مَنْ وَصَلك، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك؟ قَالَتْ: بَلى، قَال: فَذَاكَ**». قَال أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[1] ثُمَّ رَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ طَرِيقَيْنِ آخَرَيْنِ عَنْ مُعَاوِيَة بْن أَبِي مُزَرِّد بِهِ، قَال رَسُول الله ﷺ: «**اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾». وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث مُعَاوِيَة بْن أَبِي مُزَرِّد بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، أخبرنا عُيَيْنَة بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن جَوْشَن عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّل الله عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِر لِصَاحِبِهِ فِي الآخِرَة: مِنْ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤).

البغْي وَقطِيعَة الرَّحِم»[١]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل -هُوَ ابْن عُلَيَّة- بِهِ، وَقَال التِّرمِذِيّ: هَذَا حَدِيث صَحِيح. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن بَكْر، حَدَّثنَا مَيْمُون أَبُو مُحَمَّد المرئي، حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عَبَّاد المَخْزُومِيّ عَنْ ثَوْبَان ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «مَنْ سَرَّهُ النَّسَاء فِي الأَجَل وَالزِّيَادَة فِي الرِّزْق فَليَصِل رَحِمَهُ»[٢]. تفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد، وَلهُ شَاهِد فِي الصَّحِيح. وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثنَا يَزِيد بْن هَارُون، حَدَّثنَا حَجَّاج ابن أَرْطَاة عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَال: جَاءَ رَجُل إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُول الله إِنَّ لي ذَوِي أَرْحَام، أَصِل وَيَقْطَعُونَ، وَأَعْفُو وَيَظْلمُونَ، وَأُحْسِنُ وَيُسِيئُونَ، أَفَأُكَافِئُهُمْ؟ قَال ﷺ: **«لا، إِذْن تُتْرَكُون جَمِيعًا، وَلكِنْ جُدْ بِالفَضْل وَصِلهُمْ، فَإِنَّهُ لنْ يَزَال مَعَك ظَهِير مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا كُنْت عَلى ذَلك»**[٣]. تفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَلهُ شَاهِد مِنْ وَجْه آخر. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا يَعْلى، حَدَّثنَا فطر عَنْ مُجَاهِد عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنَّ الرَّحِم مُعَلَّقَة بِالعَرْشِ، وَليْسَ الوَاصِل بِالمُكَافِئ، وَلكِنَّ الوَاصِل الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلهَا»**[٤]. رَوَاهُ البُخَارِيّ. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثنَا بَهْز، حَدَّثنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، أَخْبَرَنَا قَتَادَة عَنْ أَبِي ثُمَامَة الثَّقَفِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«تُوضَع الرَّحِم يَوْم القِيَامَة لهَا حَجْنَة كَحَجْنَةِ المِغْزَل، تَكَلَّم بِلسَان طَلق ذَلق، فتَصِل مَنْ وَصَلهَا وتَقْطَع مَنْ قَطَعَهَا»**[٥].

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا سُفْيَان، حَدَّثنَا عَمْرو عَنْ أَبِي قَابُوس عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما يَبْلغ بِهِ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَن، ارْحَمُوا أَهْل الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْل السَّمَاء، وَالرَّحِم شَجْنَة مِنْ الرَّحْمَن، مَنْ وَصَلهَا وَصَلته، وَمَنْ قَطعَهَا بَتَّتْهُ»**[٦]. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ عَمْرو بْن دِينَار بِهِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُرْوَى بِتَسَلسُل الأَوَّليَّة، وَقَال التِّرمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا يَزِيد بْن هَارُون حَدَّثنَا هِشَام الدَّسْتُوَائِيّ عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير عَنْ إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الله بْن قَارِظ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَل عَلى عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف رضي الله عنه وَهُوَ مَرِيض، فَقَال لهُ عَبْد الرَّحْمَن رضي الله عنه: وَصَلتْك رَحِمٌ، إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«قَال الله عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَن خَلقْت الرَّحِم وَشَقَقْت لهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ يَصِلهَا أَصِلهُ، وَمَنْ يَقْطَعهَا أَقْطَعهُ فَأَبُتَّه -أَوْ قَال: مَنْ بِيتهَا أَبُتّه»**[٧]. تفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَرَوَاهُ أَحْمَد أَيْضًا مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سَلمَة عَنْ الرَّدَّاد -أَوْ أَبِي الرداد- عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف بِهِ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيّ مِنْ رِوَايَة أَبِي سَلمَة عَنْ أَبِيهِ، وَالأَحَادِيث فِي هَذَا كَثِيرَة. وَقَال الطبراني: حَدَّثنَا عَلِيّ بْن عَبْد العَزِيز، حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عَمَّار المَوْصِليّ، حَدَّثنَا عِيسَى بْن يُونُس عَنْ الحَجَّاج بْن يُونُس عَنْ الحَجَّاج بْن الفُرَافِصَة، عَنْ أَبِي عُمَر البَصْرِيّ عَنْ سُليْمَان قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«الأَرْوَاح جُنُود مُجَنَّدَة، فَمَا تَعَارَف مِنْهَا ائْتَلفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلفَ»**[٨]. وَبِهِ قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِذَا ظَهَرَ القَوْلُ، وَخُزِنَ العَمَل وَائْتَلفَتْ الأَلسِنَة، وَتَبَاغَضَتْ القُلُوب، وَقَطَعَ كُلّ ذِي رَحِم رَحِمَهُ، فَعِنْد ذَلكَ: لعَنَهُمْ الله وَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ»**[٩].

---

(١) **صحيح** : تقـدم.
(٢) **صحيح** : وهو في الصحيحين بنحوه.
(٣) **صحيح لغيره** : أخرجه أحمد (٢/ ١٨١) بسند ضعيف، وله شاهد آخر صحيح.
(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٩٩١).
(٥) **صحيح** : أخرجه أحمد (٢/ ١٨٩) بسند ضعيف، وللحديث شواهد تقدمت.
(٦) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، وصححه الألباني.
(٧) **صحيح** : أخرجه أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧)، وأحمد (١/ ١٩١).
(٨) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة.
(٩) **ضعيف** : أخرجه الطبراني (٦/ ٦١٧٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع»، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير أبي ثمامة الثقفي، وثقه ابن حبان.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

يَقُول تَعالى آمِرًا بِتَدَبُّرِ القُرْآن وَتَفَهُّمه، وَنَاهِيًا عَنْ الإعْرَاض عَنْهُ، فقَال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أَيْ: بَل عَلى قُلُوب أَقْفَالهَا، فَهِيَ مُطْبَقَة لا يَخْلُص إِليْهَا شَيْء مِنْ مَعَانِيه. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا بِشْر، قَال: حدثنا يزيد؛ قَال: حدثنا سعيد؛ قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن زَيْد، حَدَّثَنَا هِشَام بْن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَال: تَلا رَسُول الله ﷺ يَوْمًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فَقَال شَابٌّ مِنْ أَهْل اليَمَن: بَل عَلَيْهَا أَقْفَالُهَا حَتَّى يَكُونَ الله ﷻ يَفْتَحُهَا أَوْ يُفَرِّجُهَا، فَمَا زَال الشَّابُّ فِي نَفْسِ عُمَرَ رضي الله عنه حَتَّى وُلِّيَ فَاسْتَعَانَ بِهِ.[1] ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾ أَيْ: فَارَقُوا الإِيمَان وَرَجَعُوا إِلى الكُفْر، ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أَيْ: زَيَّنَ لهُمْ ذَلكَ وَحَسَّنَهُ، ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أَيْ: غَرَّهُمْ وَخدَعَهُمْ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أَيْ: مَالَئُوهُمْ وَنَاصَحُوهُمْ فِي البَاطِنِ عَلى البَاطِل، وَهَذَا شَأْن المُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ خِلاف مَا يُبْطِنُونَ. وَلِهَذَا قَال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أَيْ: مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُخْفُونَ، الله مُطَّلع عَلَيْهِ وَعَالم بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ (النساء:٨١). ثم قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أَيْ: كَيْف حَالهمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ المَلائِكَة لقَبْضِ أَرْوَاحهمْ وَتَعَاصَتْ الأَرْوَاح فِي أَجْسَادهمْ، وَاسْتَخْرَجَتْهَا المَلائِكَة بِالعُنْفِ وَالقَهْر وَالضَّرْب، كَمَا قَال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ الآيَة (الأنفال:٥٠).

وَقَال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ (الأنعام:٩٣) أَيْ: بِالضَّرْب ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣). ولهذا قال ههنا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ أَيْ: أَيَعْتَقِدُ المُنَافِقُونَ أَنَّ الله لا يَكْشِف أَمْرَهُمْ لعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ؟ بَل سَيُوَضِّحُ أَمْرَهُمْ، وَيُجْلِيه حَتَّى يُفْهِمَهُمْ ذَوُو البَصَائِر، وَقَدْ أَنْزَل الله تَعَالى فِي ذَلكَ سُورَة بَرَاءَة، فَبَيَّنَ فِيهَا فَضَائِحَهُمْ، وَمَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنْ الأَفْعَال الدَّالَّة عَلى نِفَاقِهِمْ؛ وَلِهَذَا إنما كَانَتْ تُسَمَّى الفَاضِحَة.

وَالأَضْغَان: جَمْع ضِغْن، وَهُوَ مَا فِي النُّفُوس مِنْ الحَسَد وَالحِقْد للإِسْلام وَأَهْله وَالقَائِمِينَ بِنَصْرِهِ. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ يَقُول تعالى: وَلوْ نَشَاء يَا مُحَمَّد لأَرَيْنَاك أَشْخَاصهمْ فَعَرَفْتهمْ عِيَانًا، وَلكِنْ لمْ يَفْعَل تَعَالى ذَلكَ فِي جَمِيع المُنَافِقِينَ سَتْرًا مِنْهُ عَلى خَلقه، وَحَمْلًا للأُمُورِ عَلى ظَاهِر السَّلامَة، ورد السرائر إلى عَالمهَا، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أَيْ: فِيمَا يَبْدُو مِنْ كَلامهمْ الدَّالّ عَلى مَقَاصِدهمْ، يُفْهَم المُتَكَلِّمُ مِنْ أَيّ الحِزْبَيْنِ هُوَ بِمَعَانِي كَلامه وَفَحْوَاهُ، وَهُوَ المُرَاد مِنْ لحْن القَوْل، كَمَا قَال أَمِير المُؤْمِنِينَ عُثْمَان بْن عَفَّان رضي الله عنه: مَا أَسَرَّ أَحد

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبري (٢٦/ ٥٨)، وسنده صحيح.

سَرِيرَة إِلَّا أَبْدَاهَا الله عَلى صَفَحَات وَجْهه وَفَلَتَات لسَانه. وَفِي الحَدِيث: «مَا أَسَرَّ أَحَد سَرِيرَة إلاَّ كَسَاهُ الله جِلبَابهَا: إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ»[١]. وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا يُسْتَدَلّ بِهِ عَلَى نِفَاق الرَّجُل، وَتَكَلَّمْنَا عَلَى نِفَاق العَمَل وَالاعْتِقَاد فِي أَوَّل شَرْح البُخَارِيّ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث تَعْيِين جَمَاعَة مِنْ المُنَافِقِينَ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ سَلمَة عن [عياض بْن عِيَاض][٢] عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مَسْعُود عُقْبَة بْن عَمْرو رضي الله عنه قَال: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةً، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَال: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَافِقِينَ فَمَنْ سَمَّيْت فَليَقُمْ -ثُمَّ قَال- قُمْ يَا فُلان، قُمْ يَا فُلان، قُمْ يَا فُلان -حَتَّى سَمَّى سِتَّة وَثَلاثِينَ رَجُلًا، ثُمَّ قَال: إِنَّ فِيكُمْ -أَوْ مِنْكُمْ- فَاتَّقُوا الله». قَال: فَمَرَّ عُمَر رضي الله عنه بِرَجُلٍ مِمَّنْ سُمِّيَ مُقَنَّع قَدْ كَانَ يَعْرِفهُ، فَقَال: مَا لك؟ فَحَدَّثَهُ بِمَا قَال: رَسُول الله ﷺ فَقَال: بُعْدًا لك سَائِر اليَوْم.[٣] وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أَيْ: ولنَخْتَبِرَنَّكُم بِالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾، وَليْسَ فِي تَقَدُّم عِلم الله تَعَالى بِمَا هُوَ كَائِن أَنَّهُ سَيَكُونُ شَكّ، وَلا رَيْب، فَالمُرَاد: حَتَّى نَعْلم وُقُوعَهُ، وَلهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي مِثْل هَذَا: إِلَّا لنَعْلمَ، أَيْ: لنَرَى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾.

يُخْبِرُ تَعَالى عَمَّنْ كَفَرَ وَصَدَّ عَنْ سَبِيل الله، وَخَالفَ الرَّسُول وَشَاقَّهُ، وَارْتَدَّ عَنْ الإِيمَان مِنْ بَعْد مَا تَبَيَّنَ لهُ الهُدَى: أَنَّهُ لنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَضُرّ نَفْسَهُ وَيَخْسَرهَا يَوْم مَعَادهَا، وَسَيُحْبِطُ الله عَمَله، فَلا يُثِيبهُ عَلى سَالف مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَقَّبَهُ بِرِدَّتِهِ مِثْقَال بَعُوضَة مِنْ خَيْر، بَل يُحْبِطهُ وَيَمْحَقهُ بِالكُلِّيَّةِ، كَمَا أَنَّ الحَسَنَات يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات. وَقَدْ قَال الإِمَام مُحَمَّد بْن نَصْر المَرْوَزِيّ فِي كِتَاب الصَّلاة: حَدَّثَنَا أَبُو قُدَامَة، حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس عَنْ أَبِي العَاليَة قَال: كَانَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ يظنون أَنَّهُ لا يَضُرّ مَعَ «لا إِله إِلَّا الله» ذَنْب كَمَا لا يَنْفَع مَعَ الشِّرْك عَمَل فنزلت: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فَخَافُوا أَنْ يُبْطِل الذَّنْبُ العَمَل[٤]، ثُمَّ رُوِيَ مِنْ طَرِيق عَبْد الله بْن المُبَارَك أَخْبَرَنِي بَكْير بْن مَعْرُوف عَنْ مُقَاتِل بْن حَيَّان عَنْ نَافِع عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما قَال: كُنَّا مَعْشَر أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ نَرَى أَنَّهُ ليْسَ شَيْء مِنْ الحَسَنَات إِلَّا مَقْبُول حَتَّى نَزَلتْ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾. فَقُلنَا: مَا هَذَا الَّذِي يُبْطِلُ أَعْمَالنَا؟ فَقُلنَا: الكَبَائِرُ المُوجِبَاتُ، وَالفَوَاحِشُ، حَتَّى نزلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، فَلَمَّا نَزَلتْ كَفَفْنَا عَنْ القَوْل فِي ذَلكَ، فَكُنَّا نَخَاف عَلى مَنْ أَصَابَ الكَبَائِر وَالفَوَاحِش، وَنَرْجُو لمَنْ لمْ يُصِبْهَا.[٥] ثُمَّ أَمَرَ تَعَالى عِبَاده المُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولهِ الَّتِي هِيَ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَنَهَاهُمْ عَنْ الارْتِدَاد الَّذِي هُوَ مُبْطِلٌ للأَعْمَال، وَلهَذَا قَال: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أَيْ: بِالرِّدَّةِ. ولهذا قال بعدها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾، كَقَوْلهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الآيَة (النساء:٤٨).

---

(١) ضعيف جدًا : تقدم.
(٢) في الأزهرية: [عياض بن عياض].
(٣) ضعيف : أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٣) بسند ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف : أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٩٨).
(٥) تقدم.

ثم قَال لعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أَيْ: لا تَضْعُفُوا عَنْ الأَعْدَاء، ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أَيْ: المُهَادَنَة وَالمُسَالَمَة، وَوَضْع القِتَال بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الكُفَّار فِي حَال قُوَّتِكُمْ وَكَثْرَة عَدَدكُمْ وعُدَدكم؛ وَلهَذَا قَال: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أَيْ: فِي حَال عُلُوِّكُمْ على عَدُوِّكُمْ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ الكُفَّار فِيهِمْ قُوَّة وَكَثْرَة بِالنِّسْبَةِ إِلى جَمِيع المُسْلِمِينَ، وَرَأَى الإِمَام فِي المُعَاهَدَة والمُهَادَنَة مَصْلحَةً، فَلهُ أَنْ يَفْعَل ذَلكَ، كَمَا فَعَل رَسُول الله ﷺ حِين صَدَّهُ كُفَّار قُرَيْش عَنْ مَكَّة، وَدَعَوْهُ إِلى الصُّلح، وَوَضْع الحَرْب بَيْنهمْ وَبَيْنه عَشْر سِنِينَ، فَأَجَابَهُمْ ﷺ إِلى ذَلكَ. وَقَوْله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فِيهِ بِشَارَة عَظِيمَة بِالنَّصْرِ وَالظَّفَر عَلى الأَعْدَاء، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أَيْ: وَلنْ يُحْبِطَهَا وَيُبْطِلهَا وَيَسْلُبكُمْ إِيَّاهَا، بَل يُوفِّيكُمْ ثَوَابهَا وَلا يُنْقِصُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾.

يَقُول تَعَالى تَحْقِيرًا لأَمْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينًا لشَأْنِهَا: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أَيْ: حَاصِلهَا ذَلكَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لله ﷻ، وَلهَذَا قَال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أَيْ: هُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ لا يَطْلُب مِنْكُمْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا فَرَضَ عَليْكُمْ الصَّدَقَات مِنْ الأَمْوَال مُوَاسَاة لإِخْوَانِكُمْ الفُقَرَاء، ليَعُودَ نَفْع ذَلكَ عَليْكُمْ، وَيَرْجِع ثَوَابه إِليْكُمْ، ثم قال: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ أَيْ: يحوجكم تَبْخَلُوا، ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾. قَال قَتَادَة: قَدْ عَلمَ الله أَنَّ فِي إِخْرَاج الأَمْوَال إِخْرَاج الأَضْغَان. وَصَدَقَ قَتَادَة، فَإِنَّ المَال مَحْبُوب، وَلا يُصْرَف إِلَّا فِيمَا هُوَ أَحَبُّ إِلى الشَّخْص مِنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ أَيْ: لا يُجِيب إِلى ذَلكَ، ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أَيْ: إِنَّمَا نَقَصَ نَفْسه مِنْ الأَجْر، وَإِنَّمَا يَعُود وَبَال ذَلكَ عَليْهِ، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ أَيْ: عَنْ كُلّ مَا سِوَاهُ، وَكُلّ شَيْء فَقِير إِليْهِ دَائِمًا، وَلهَذَا قَال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ أَيْ: بِالذَّاتِ إِليْهِ، فَوَصْفُهُ بِالغَنِيِّ وَصْفٌ لازِم لهُ، وَوَصْفُ الخَلق بِالفَقْرِ وَصْفٌ لازِم لهُمْ لا يَنْفَكُّون عَنْهُ. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ أَيْ: عَنْ طَاعَته، وَاتِّبَاع شَرْعه؛ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ أَيْ: وَلكِنْ يَكُونُون سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لهُ وَلأَوَامِرِه.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير: حَدَّثَنَا يُونُس بْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي مُسْلم بْن خَالد عَنْ العَلاء بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ قَالُوا: يَا رَسُول الله، مَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبْدَل بِنَا، ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالنَا؟ قَال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى كَتِف سَلمَان الفَارِسِيّ رضي الله عنه، ثُمَّ قَال: «**هَذَا وَقَوْمه، وَلوْ كَانَ الدِّين عِنْد الثُّرَيَّا لتَنَاوَلهُ رِجَال مِنْ الفُرْس**»[1]. تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلم بْن خَالد الزِّنْجِيّ، وَرَوَاهُ عَنْهُ غَيْر وَاحِد، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْض الأَئِمَّة، وَالله أَعْلم.

آخِر تَفْسِير سُورَة القِتَال، ولله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صحيح: أخرجه بنحوه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

تفسير سُورَةُ الفَتْحِ وهي مدنية

ترتيبها ٤٨ — وآياتها ٢٩

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ مُعَاوِيَة بْن قُرَّة قَال: سَمِعْت عَبْد الله بْن مُغَفَّل يَقُول: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ عَام الفَتْح فِي مَسِيره سُورَة الفَتْح عَلى رَاحِلته، فَرَجَّعَ فِيهَا، قَال مُعَاوِيَة: لوْلا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَجْتَمِع النَّاس عَلَيْنَا لحَكَيْت لكم قِرَاءَته[1]، أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

نَزَلتْ هَذِهِ السُّورَة الكَرِيمَة لـمَّا رَجَعَ رَسُول الله ﷺ مِنْ الحُدَيْبِيَة فِي ذِي القَعْدَة مِنْ سَنَة سِتّ مِنْ الهِجْرَة حِين صَدَّهُ المُشْرِكُونَ عَنْ الوُصُول إلى المَسْجِد الحَرَام، [فَيَقْضِي][2] عُمْرَته فِيهِ، وَحَالُوا بَيْنه وَبَيْن ذَلكَ، ثُمَّ مَالُوا إلى المُصَالحَة وَالمُهَادَنَة، وَأَنْ يَرْجِع عَامه هَذَا ثُمَّ يَأْتِي مِنْ قَابِل، فَأَجَابَهُمْ إلى ذَلكَ عَلى كُرْه مِنْ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة، مِنْهُمْ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه، كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيله فِي مَوْضِعه مِنْ تَفْسِير هَذِهِ السُّورَة إِنْ شَاءَ الله، فَلَمَّا نَحَرَ هَدْيه حَيْثُ أُحْصِرَ وَرَجَعَ أَنْزَل الله عز وجل هَذِهِ السُّورَة فِيمَا كَانَ مِنْ أَمْره وَأَمْرهمْ، وَجَعَل ذَلكَ الصُّلح فَتْحًا بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنْ المَصْلحَة، وَمَا آل الأَمْر إِليْهِ، كَمَا رُوْي عن ابْن مَسْعُود رضي الله عنه وَغَيْره أَنَّهُ قَال: إِنَّكُمْ تَعُدُّونَ الفَتْح فَتْح مَكَّة، وَنَحْنُ نَعُدّ الفَتْح صُلحَ الحُدَيْبِيَة. وَقَال الأَعْمَش، عَنْ أَبِي سُفْيَان، عَنْ جَابِر رضي الله عنه قَال: مَا كُنَّا نَعُدّ الفَتْح إِلَّا يَوْم الحُدَيْبِيَة.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ البَرَاء رضي الله عنه قَال: تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الفَتْح فَتْح مَكَّة، وَقَدْ كَانَ فَتْح مَكَّة فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدّ الفَتْح بَيْعَة الرِّضْوَان يَوْم الحُدَيْبِيَة، كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ أَرْبَع عَشْرَةَ مِائَة، وَالحُدَيْبِيَة بِئْر، فَنَزَحْنَاهَا فَلمْ نَتْرُك فِيهَا قَطْرَة، فَبَلغَ ذَلكَ رَسُول الله ﷺ فَأَتَاهَا فَجَلسَ عَلى شَفِيرهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاء فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَدَعَا، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْر بَعِيد، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَائِبنَا.[3]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أبو نُوح، حَدَّثَنَا مَالك بْن أَنَس، عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب؛ قَال: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي سَفَر، قَال: فَسَأَلته عَنْ شَيْء -ثَلاث مَرَّات- فَلمْ يَرُدّ عَليَّ، قَال: فَقُلت لنَفْسِي: ثَكِلتْك أُمّك يَا بن الخَطَّاب نَزَرْت رَسُول الله ﷺ ثَلاث مَرَّات فَلمْ يَرُدّ عَليْك؟ قَال: فَرَكِبْت رَاحِلتِي فَتَقَدَّمْت مَخَافَة أَنْ يَكُون نَزَل فِيَّ شَيْءٌ، قَال: فَإِذَا أَنَا بِمُنَادٍ ينادي: يَا عُمَر، أين عمر؟ قَال: فَرَجَعْت وَأَنَا أَظُنّ أَنَّهُ نَزَل فِيَّ شَيْء، قَال: فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«نزلت عَليَّ الليلة سُورَة هِيَ أَحَبُّ إليَّ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾»**[4]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق عَنْ مَالك رحمه الله. وَقَال عَليّ بْن المَدِينِيّ: هَذَا إِسْنَاد مدينِي جَيِّد لمْ نَجِدهُ إِلَّا عِنْدهمْ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أخبرنا مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَال: نَزَلت عَلى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٨١)، ومسلم (٧٩٤).
(٢) في «نسخة»: [ليقضي].
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٥٠).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرْجِعهُ مِنْ الحُدَيْبِيَة. قَال النَّبِيّ ﷺ: «لقدْ أُنْزِلت عليَّ آية أَحبُّ إليَّ مِمَّا على الأَرْض». ثُمَّ قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالُوا: هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ الله، لقد بَيَّنَ الله ﷻ مَاذا يَفْعَل بِك، فَمَاذَا يَفْعَل بِنَا؟ فَنَزَلتْ عَلَيْهِ ﷺ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ -حَتَّى بَلغَ- ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَة قَتَادَة بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن عِيسَى، حَدَّثَنَا مُجَمِّع بْن يَعْقُوب؛ قَال: سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ الأَنْصَارِيّ، عَنْ عَمِّه مُجَمِّع بْن حَارِثَة الأَنْصَارِيّ ﷺ -وَكَانَ أَحَد القُرَّاء الَّذِينَ قَرَءُوا القُرْآن- قَال: شَهِدْنَا الحُدَيْبِيَة، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إِذَا النَّاس يُنْفِرُونَ الأَبَاعِر، فَقَال النَّاس بَعْضهمْ لِبَعْضٍ: مَا لِلنَّاسِ؟ قَالُوا: أُوحِيَ إِلى رَسُول الله ﷺ، فَخَرَجْنَا مَعَ النَّاسِ نُوجِف، فَإِذَا رَسُول الله ﷺ عَلى رَاحِلتِهِ عِنْد كُرَاع الغَمِيم، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قَال: فَقَال رَجُل مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ: أَيْ رَسُول الله؛ وَفَتْحٌ هُوَ؟ قَال ﷺ: «إِي وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ إِنَّهُ لفَتْحٌ». فَقُسِمَتْ خَيْبَر عَلى أَهْل الحُدَيْبِيَة لمْ يَدْخُل مَعَهُمْ فِيهَا أَحَد إِلَّا مَنْ شَهِدَ الحُدَيْبِيَة، فَقَسَمَهَا رَسُول الله ﷺ على ثَمَانِيَة عَشَرَ سَهْمًا، وَكَانَ الجَيْش أَلفًا وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْهُمْ ثَلاثِمِائَةِ فَارِس، فَأَعْطَى الفَارِس سَهْمَيْنِ، وَأَعْطَى الرَّاجِل سَهْمًا.[1] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الجِهَاد عَنْ مُحَمَّد بْن عِيسَى عَنْ مُجَمِّع بْن يَعْقُوب بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن بَزِيع، حَدَّثَنَا أَبُو بحر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، حَدَّثَنَا جَامِع بْن شَدَّاد، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي عَلقَمَة؛ قَال: سَمِعْت عَبْد الله بْن مَسْعُود؛ يَقُول: لـمَّا أَقْبَلنَا مِنْ الحُدَيْبِيَة عَرَّسْنَا فَنِمْنَا، فَلمْ نَسْتَيْقِظ إِلَّا وَالشَّمْس قَدْ طَلعَتْ، فَاسْتَيْقَظْنَا وَرَسُول الله ﷺ نَائِم. قَال: فَقُلنَا: «امضوا». فَاسْتَيْقَظَ رَسُول الله ﷺ فَقَال: «افْعَلُوا كمَا كُنْتُمْ تَفعَلُونَ، وَكَذَلكَ مَنْ نَامَ أَوْ نَسِيَ». قَال: وَفَقَدْنَا نَاقَة رَسُول الله ﷺ، فَطَلَبْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا قَدْ تَعَلَّقَ خِطَامهَا بِشَجَرَةٍ، فَأَتَيْته بِهَا فَرَكِبَهَا، فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِير إِذْ أَتَاهُ الوَحْي، قَال: وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ أُنْزِل عَلَيْهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.[2] وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَد، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ مِنْ غَيْر وَجْه عَنْ جَامِع بْن شَدَّاد بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ زِيَاد بْن عِلاقَة؛ قَال: سَمِعْت المُغِيرَة بْن شُعْبَة؛ يَقُول: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، فَقِيل لهُ: أَليْسَ قَدْ غَفَرَ الله لك مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبك وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَال ﷺ: «أفلا أكُون عَبْدًا شكُورًا؟». أَخْرَجَاهُ وَبَقِيَّة الجَمَاعَة إِلَّا أَبَا دَاوُدَ، مِنْ حَدِيث زِيَاد بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَارُون بْن مَعْرُوف، حَدَّثَنَا ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْر، عَنْ ابْن قُسَيْط عَنْ عُرْوَة ابْن الزُّبَيْر عَنْ عَائِشَة ﷺ؛ قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تتفطر رِجْلاهُ، فَقَالتْ لهُ عَائِشَة: يَا رَسُول الله، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ لك الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبك وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَال ﷺ: «يَا عائِشَة؛ أفلا أكُون عبْدًا شكُورًا؟»[3]. أَخْرَجَهُ مُسْلم فِي الصَّحِيح مِنْ رِوَايَة عَبْد الله بْن وَهْب بِهِ. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عَوْن الخَرَّاز -وَكَانَ ثِقَة بِمَكَّة- حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بِشْر، حَدَّثَنَا مِسْعَر، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس، قَال: قَامَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ -أَوْ قَال: سَاقَاهُ- فَقِيل لهُ: أَليْسَ قَدْ غَفَرَ الله لك مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبك وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَال: «أفلا أكُون عبْدًا شكُورًا». غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه. فَقَوْله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أَيْ: بَيِّنًا

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٢٧٣٦)، وأحمد (٣/ ٤٢) بسند ضعيف.
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٤٧).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

ظَاهِرًا، وَالْمُرَاد بِهِ صُلح الحُدَيْبِيَة، فَإِنَّهُ حَصَل بِسَبَبِهِ خَيْر جَزِيل، وَآمَنَ النَّاس وَاجْتَمَعَ بَعْضهمْ بِبَعْضٍ، وَتَكَلَّمَ الْمُؤْمِن مَعَ الكَافِر، وَانْتَشَرَ العِلم النَّافِع وَالإِيمَان. وَقَوْله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هَذَا مِنْ خَصَائِصه ﷺ الَّتِي لا يُشَارِكهُ فِيهَا غَيْره. وَلَيْسَ فِي حَدِيث صَحِيح فِي ثَوَاب الأَعْمَال لِغَيْرِهِ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه وَمَا تَأَخَّرَ. وَهَذَا فِيهِ تَشْرِيف عَظِيم لِرَسُول الله ﷺ، وَهُوَ ﷺ فِي جَمِيع أُمُوره عَلَى الطَّاعَة وَالبِرّ وَالاسْتِقَامَة الَّتِي لَمْ يَنَلْهَا بَشَر سِوَاهُ، لا مِنْ الأَوَّلِينَ وَلا مِنْ الآخِرِينَ، وَهُوَ ﷺ أَكْمَلُ البَشَر عَلَى الإِطْلَاق، وَسَيِّدهمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. وَلَمَّا كَانَ أَطْوَعَ خَلق الله لله، وأكثرهم تَعْظِيمًا لأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيه قَال حِين بَرَكَتْ بِهِ النَّاقَة: «حَبَسَهَا حَابِس الفِيل». ثُمَّ قَال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَسْأَلُونِي اليَوْم شَيْئًا يُعَظِّمُونَ بِهِ حُرُمَات الله إلاَّ أَجَبْتهمْ إِلَيْهَا».

فَلَمَّا أَطَاعَ الله فِي ذَلِكَ وَأَجَابَ إِلى الصُّلح، قَال الله لَهُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أَيْ: بِمَا يَشْرَعهُ لك مِنْ الشَّرْع العَظِيم وَالدِّين القَوِيم، ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أَيْ: بِسَبَبِ خُضُوعك لأَمْرِ الله يَرْفَعك الله، وَيَنْصُرك عَلى أَعْدَائِك. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ الله»[1]. وَعَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه أَنَّهُ قَال: مَا عَاقَبْت –أي: في الدنيا والآخرة– أَحَدًا عَصَى الله فِيك بِمِثْل أَنْ تُطِيع الله فِيهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أَيْ: جَعَل الطُّمَأْنِينَة. قَالهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَعَنْهُ: الرَّحْمَة. وَقَال قَتَادَة: الوَقَار فِي قُلُوب الْمُؤْمِنِينَ. وَهُمْ الصَّحَابَة يَوْم الحُدَيْبِيَة، الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَلِرَسُولِهِ، وَانْقَادُوا لِحُكْم الله وَرَسُوله، فَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ قُلُوبهمْ بِذَلِكَ، وَاسْتَقَرَّتْ، زَادَهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانهمْ. وَقَدْ اسْتَدَلَّ به البُخَارِيّ، وَغَيْره مِنْ الأَئِمَّة عَلى تَفَاضُل الإِيمَان فِي القُلُوب. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لانْتَصَرَ مِنْ الكَافِرِينَ، فَقَال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: وَلَوْ أَرْسَل عَلَيْهِمْ مَلَكًا وَاحِدًا لأَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالى شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الجِهَاد وَالقِتَال، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الحِكْمَة البَالِغَة، وَالحُجَّة القَاطِعَة، وَالبَرَاهِين الدَّامِغَة، وَلِهَذَا قَال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ثم قال تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، قَدْ تَقَدَّمَ حَدِيث أَنَس: قَالُوا: هَنِيئًا لك يَا رَسُول الله، هَذَا لك فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أَيْ: خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبهمْ، فَلا يُعَاقِبهُمْ عَلَيْهَا، بَل يَعْفُو وَيَصْفَح وَيَغْفِر، وَيَسْتُر وَيَرْحَم وَيَشْكُر، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، وقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أَيْ: يَتَّهِمُونَ الله تَعَالى فِي حُكْمِهِ، وَيَظُنُّونَ بِالرَّسُول ﷺ وَأَصْحَابه أَنْ يُقْتَلُوا وَيَذْهَبُوا بِالكُلِّيَّةِ، وَلِهَذَا قَال: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أَيْ: أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَته، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. ثم قَال مُؤَكِّدًا لِقُدْرَتِهِ عَلى الانْتِقَام مِنْ الأَعْدَاء أَعْدَاء الإِسْلام مِنْ الكَفَرَة وَالْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) صحيح: تقدم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: على الخلق، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أَيْ: للمُؤْمِنِينَ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ أَيْ: للكَافِرِينَ. وتقدم تفسيرها في «سورة الأحزاب». ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قَال ابْن عَبَّاس وَغَيْر وَاحِد: يعَظِّمُوهُ. ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ مِنْ التَّوْقِير وَهُوَ الاحْتِرَام وَالإِجْلال وَالإِعْظَام، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أَيْ: تُسَبِّحُونَ الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أَيْ: أَوَّل النَّهَار وَآخِره. ثُمَّ قَال تعالى لرَسُولهِ ﷺ تَشْرِيفًا لهُ وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أَيْ: هُوَ حَاضِر مَعَهُمْ يَسْمَع أَقْوَالهمْ وَيَرَى مَكَانهمْ، وَيَعْلم ضَمَائِرهمْ وَظَوَاهِرهمْ، فَهُوَ تَعَالَى هُوَ المُبَايِع بِوَاسِطَةِ رسوله ﷺ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا الفَضْل بْن يَحْيَى الأَنْبَارِيّ، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن بَكَّار، عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو، عَنْ أَبِي سَلمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيل الله، فَقَدْ بَايَعَ الله»[1]. وَحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا يَحْيَى ابْنُ المُغِيرَةِ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْم، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ فِي الحَجَر: «وَالله لَيَبْعَثَنَّهُ الله يَوْم القِيَامَة لهُ عَيْنَانِ يَنْظُر بِهِمَا، وَلِسَان يَنْطِق بِهِ، وَيَشْهَد على مَنْ اسْتَلمَهُ بِالحَقِّ، فَمَنْ اسْتَلمَهُ فَقَدْ بَايَعَ الله».

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2]. وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَعُود وَبَالُ ذَلكَ عَلى النَّاكِثِ، وَالله غَنِيٌّ عَنْهُ، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أَيْ: ثَوَابًا جَزِيلًا. وَهَذِهِ البَيْعَة هِيَ بَيْعَة الرِّضْوَان، وَكَانَتْ تَحْت شَجَرَة سمر بِالحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ الصَّحَابَة الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُول الله ﷺ يَوْمئِذٍ قِيل: أَلف وَثَلاثمائَةِ. وَقِيل: وأَرْبَعمائَةِ. وَقِيل: وَخَمْسمائَةِ. وَالأَوْسَط أَصَحُّ.

ذِكْر الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي ذَلك

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو، عَنْ جَابِر؛ قَال: كُنَّا يَوْم الحُدَيْبِيَة أَلفًا وَأَرْبَعمائَةِ.[3] وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ بِهِ. وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث الأَعْمَش، عَنْ سَالم بْن أَبِي الجَعْد، عَنْ جَابِر؛ قَال: كُنَّا يَوْمئِذٍ أَلفًا وَأَرْبَعمائَةِ، وَوَضَعَ يَده فِي ذَلكَ المَاء فنبع المَاء مِنْ بَيْن أَصَابعه، حَتَّى رَوَوْا كُلُّهُمْ. وَهَذَا مُخْتَصَر مِنْ سِيَاق آخر حِين ذَكَرَ قِصَّة عَطَشِهِمْ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَأَنَّ رَسُول الله ﷺ أَعْطَاهُمْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعُوهُ فِي بِئْر الحُدَيْبِيَةِ، فَجَاشَتْ بِالمَاءِ، حَتَّى كَفَتْهُمْ، فَقِيل لجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمئِذٍ؟ قَال: كُنَّا أَلفًا وَأَرْبَعمائَةِ، وَلوْ كُنَّا مِائَةَ أَلفٍ لكَفَانَا. وَفِي رِوَايَة فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَابِر: أَنَّهُمْ كَانُوا خَمْس عَشْرَة مِائَة.[4] وَرَوَى البُخَارِيّ مِنْ

---

(١) ضعيف : ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٦٣١).
(٢) حسن : أخرجه الترمذي (٩٦١)، وابن ماجه (٢٩٤٤).
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦).
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٣٩)، ومسلم (١٨٥٦).

حَدِيث قَتَادَة قُلت لسَعِيد بن المُسَيَّب: كَمْ كَانَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَة الرِّضْوَان؟ قَالَ: خَمس عَشْرَة مِائَة. قُلت: فَإِنَّ جَابِر بْن عَبْد الله ﷺ قَالَ: كَانُوا أَرْبَع عَشْرَة مِائَة. قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَهِمَ، هُوَ حَدَّثَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا خَمس عَشْرَة مِائَة.

قَال البَيْهَقِيّ: هَذِهِ الرِّوَايَة تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي القَدِيم يَقُول: خَمس عَشْرَة مِائَة، ثُمَّ ذَكَرَ الوَهْم، فَقَال: أَرْبَع عَشْرَة مِائَة. وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابن عَبَّاس؛ أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ وَخَمْسَة وَعِشْرِين. وَالمَشْهُور الَّذِي رَوَاهُ غَيْر وَاحِد عَنْهُ أَرْبَع عَشْرَة مِائَة، وَهَذَا هُوَ الَّذِي رَوَاهُ البَيْهَقِيّ، عَنْ الحَاكِم، عَنْ الأَصَمّ، عَنْ العَبَّاس الدُّورِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن مَعِين، عَنْ شَبَّابَة بْن سِوَار، عَنْ شُعْبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ تَحْت الشَّجَرَة أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ. وَكَذَلِكَ هُوَ فِي رِوَايَة سَلمَة بْن الأَكْوَع، وَمَعْقِل بْن يَسَار، وَالبَرَاء بْن عَازِب. وَبِهِ يَقُول غَيْر وَاحِد مِنْ أَصْحَاب المَغَازِي وَالسِّيَر. وَقَدْ أَخْرَجَ صَاحِبَا الصَّحِيح مِنْ حَدِيث شُعْبَة، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة؛ قَالَ: سَمِعْت عَبْد الله بْن أَبِي أَوْفَى؛ يَقُول: كَانَ أَصْحَاب الشَّجَرَة أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَكَانَتْ أَسْلَمُ يَوْمَئِذٍ ثُمُنَ المُهَاجِرِينَ. وَرَوَى مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي «السِّيرَة»، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، عَنْ المِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَان بْن الحَكَم أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ؛ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ البَيْتِ، لا يُرِيد قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الهَدْي سَبْعِينَ بَدَنَة، وَكَانَ النَّاس سَبْعَمِائَةِ رَجُل، كُلّ بَدَنَة عَنْ عَشْرَة نَفَر.[1] وَكَانَ جَابِر بْن عَبْد الله -فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ- يَقُول: كُنَّا أَصْحَاب الحُدَيْبِيَة أَرْبَع عَشْرَة مِائَة، كَذَا قَال ابن إِسْحَاق، وَهُوَ مَعْدُود مِنْ أَوْهَامه، فَإِنَّ المَحْفُوظ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّهُمْ كَانُوا بِضْع عَشْرَة مِائَة.

ذِكْر سَبَب هَذِهِ البَيْعَة العَظِيمَة

قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار فِي «السِّيرَة»: ثُمَّ دَعَا رَسُول الله ﷺ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ لِيَبْعَثَهُ إِلى مَكَّة، لِيُبَلِّغ عَنْهُ أَشْرَاف قُرَيْش مَا جَاءَ لَهُ، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنِّي أَخَاف قُرَيْشًا عَلى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّة مِنْ بَنِي عَدِيّ ابن كَعْب مَنْ يَمْنَعنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْش عَدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَدُلُّك عَلى رَجُل أَعَزّ بِهَا مِنِّي، عُثْمَان بْن عَفَّان، فَبَعَثَهُ إِلى أَبِي سُفْيَان وَأَشْرَاف قُرَيْش، يُخْبِرهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْب، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا البَيْت، وَمُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَان إِلى مَكَّة، فَلَقِيَهُ أَبَان بْن سَعِيد بْن العَاصِ حِين دَخَل مَكَّة، أَوْ قَبْل أَنْ يَدْخُلهَا، فَحَمَلَهُ بَيْن يَدَيْهِ، ثُمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَة رَسُول الله ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَان ﷺ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَان وَعُظَمَاء قُرَيْش، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُول الله ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَان حِين فَرَغَ مِنْ رِسَالَة رَسُول الله ﷺ إِلَيْهِمْ: إِنْ شِئْت أَنْ تَطُوف بِالبَيْتِ فَطُفْ. فَقَال: مَا كُنْت لأَفْعَل حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ ﷺ وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْش عِنْدهَا، فَبَلَغَ رَسُول الله ﷺ وَالمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَان قَدْ قُتِل. قَال ابن إِسْحَاق: فَحَدَّثَنِي عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال حِين بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَان قَدْ قُتِل: **«لا نَبْرَح حَتَّى نُنَاجِز القَوْم»**. وَدَعَا رَسُول الله ﷺ النَّاس إِلى البَيْعَة، فَكَانَتْ بَيْعَة الرِّضْوَان تَحْت الشَّجَرَة، فَكَانَ النَّاس يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ عَلى المَوْتِ. وَكَانَ جَابِر بْن عَبْد الله؛ يَقُول: إِنَّ رَسُول الله ﷺ لَمْ يُبَايِعهُمْ عَلى المَوْت، وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلى أَنْ لا نَفِرّ. فَبَايَعَ النَّاس وَلَمْ يَتَخَلَّف أَحَد مِنْ المُسْلِمِينَ حَضَرَهَا إِلَّا الجَدّ بْن قَيْس أَخُو بَنِي سَلمَة، فَكَانَ جَابِر يَقُول: وَالله لَكَأَنِّي أَنْظُر إِلَيْهِ لاصِقًا بِإِبْطِ نَاقَته، قَدْ ضَبأَ إِلَيْهَا يَسْتَتِر بِهَا مِنْ النَّاس، ثُمَّ أَتَى رَسُول الله ﷺ: أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْر عُثْمَان بَاطِل.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٣).

وَذَكَرَ ابْن لهِيعَة، عَنْ الأَسْوَد، عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر قَرِيبًا مِنْ هَذَا السِّيَاق، وَزَادَ فِي سِيَاقه: أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا - وَعِنْدهمْ عُثْمَان- سُهَيْل بْن عَمْرو، وَحُوَيْطِبَ بْن عَبْد العُزَّى، وَمِكْرَز بْن حَفْص إِلى رَسُول الله ﷺ، فَبَيْنَمَا هُمْ عِنْدهمْ إِذْ وَقَعَ كَلام بَيْن بَعْض المُسْلِمِينَ وَبَعْض المُشْرِكِينَ، وَتَرَامَوْا بِالنَّبْل وَالحِجَارَة، وَصَاحَ الفَرِيقَانِ كِلاهُمَا، وَارْتَهَنَ كُلّ مِنْ الفَرِيقَيْنِ مَنْ عِنْده مِنْ الرُّسُل، وَنَادَى مُنَادِي رَسُول الله ﷺ: أَلَا إِنَّ رُوح القُدُس قَدْ نَزَل عَلى رَسُول الله ﷺ، فَأَمَرَ بِالبَيْعَةِ، فَاخْرُجُوا عَلى اسْم الله فَبَايِعُوا. فَسَارَ المُسْلِمُونَ إِلى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ تَحْت الشَّجَرَة، فَبَايَعُوهُ عَلى أَنْ لا يَفِرُّوا أَبَدًا، فَأَرْعَبَ ذَلكَ المُشْرِكِينَ، وَأَرْسَلُوا مَنْ كَانَ عِنْدهمْ مِنْ المُسْلِمِينَ، وَدَعَوْا إِلى المُوَادَعَة وَالصُّلح.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا عَلِيّ بْن أَحْمَد بْن عَبْدَان، أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن عُبَيْد الصَّفَّار، حَدَّثنَا تمتام، حَدَّثنَا الحَسَن بْن بشر، حَدَّثنَا الحَكَم بْن عَبْد المَلك، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ؛ قَال: لـمَّا أَمَرَ رَسُول الله ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَان كَانَ عُثْمَان بْن عَفَّان ﷺ رَسُولَ رسولِ الله ﷺ إِلى أَهْل مَكَّة، فَبَايَعَ النَّاس، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ عُثْمَان فِي حَاجَة الله وَحَاجَة رَسُوله**»[1]. فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَد رَسُول الله ﷺ لعُثْمَان ﷺ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ.[2] قَال ابْن هِشَام: وحَدَّثَنِي مَنْ أَثِق بِهِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ بِإِسْنَادٍ لهُ، عَنْ ابن أَبِي مُلَيْكَة، عَنْ ابْن عُمَر ﷺ قَال: بَايَعَ رَسُول الله ﷺ لعُثْمَان ﷺ، فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلى الأُخْرَى. وَقَال عَبْد المَلك بْن هِشَام النَّحْوِيّ: فَذَكَرَ وَكِيع، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ: أن أَوَّل مَنْ بَايَعَ رَسُول الله ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ أَبُو سِنَان الأَسَدِيّ. وَقَال أَبُو بَكْر عَبْد الله بْن الزُّبَيْر الحُمَيْدِيّ: حَدَّثنَا سُفْيَان، حَدَّثنَا ابْن أَبِي خَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ؛ قَال: لَمَّا دَعَا رَسُول الله ﷺ النَّاس إِلى البَيْعَة، كَانَ أَوَّلَ مَنْ انْتَهَى إِليْهِ أَبُو سِنَان، فَقَال: ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**عَلامَ تُبَايِعُنِي؟**». فَقَال أَبُو سِنَان ﷺ: عَلى مَا فِي نَفْسك.[3] هَذَا أَبُو سِنَان وَهْب الأَسَدِيّ ﷺ.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثنَا شُجَاع بْن الوَليد، سَمِعَ النَّضْر بْن مُحَمَّد، حَدَّثنَا صَخْر، عَنْ نَافِع ﷺ قَال: إِنَّ النَّاس يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ ابْن عُمَر ﷺ أَسْلمَ قَبْل عُمَر، وَليْسَ كَذَلكَ[4]، وَلكِنَّ عُمَر ﷺ يَوْم الحُدَيْبِيَة أَرْسَل عَبْد الله إِلى فرس لهُ عِنْد رَجُل مِنْ الأَنْصَار أَنْ يَأْتِي بِهِ ليُقَاتِل عَليْهِ وَرَسُول الله ﷺ يُبَايِع عِنْد الشَّجَرَة، وَعُمَر ﷺ لا يَدْرِي بِذَلكَ، فَبَايَعَهُ عَبْد الله ﷺ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلى الفَرَس، فَجَاءَ بِهِ إِلى عُمَر ﷺ، وَعُمَر ﷺ يَسْتَلئِم للقِتَال، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ يُبَايِع تَحْت الشَّجَرَة، فَانْطَلَقَ فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُول الله ﷺ وَهِيَ الَّتِي يَتَحَدَّث النَّاس أَنَّ ابْن عُمَر أَسْلمَ قَبْل عُمَر ﷺ. ثُمَّ قَال البُخَارِيّ: وَقَال هِشَام بْن عَمَّار: حَدَّثنَا الوَليد بْن مُسْلم، حَدَّثنَا عمر ابْن مُحَمَّد العُمَرِيّ، أَخْبَرَنِي نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر ﷺ: أن النَّاس كَانُوا مَعَ رَسُول الله ﷺ يوم الحديبية قَدْ تَفَرَّقُوا فِي ظِلال الشَّجَر؛ فَإِذَا النَّاس مُحْدِقُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَال -يَعْنِي عُمَر-: يَا عَبْد الله؛ انْظُرْ مَا شَأْن النَّاس قَدْ أَحْدَقُوا بِرَسُول الله ﷺ. فَوَجَدَهُمْ يُبَايِعُونَ، فَبَايَعَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى عُمَر ﷺ فَخَرَجَ فَبَايَعَ. وَقَدْ أَسْنَدَهُ البَيْهَقِيّ عَنْ أَبِي عَمْرو الأَدِيب، عَنْ أَبِي بَكْر الإِسْمَاعِيلِيّ، عَنْ الحَسَن بْن سُفْيَان، عَنْ دُحَيْم: حَدَّثَنِي الوَليد بْن مُسْلم، فَذَكَرَهُ.

وَقَال اللَّيْث، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر، عَنْ جَابِر ﷺ قَال: كُنَّا يَوْم الحُدَيْبِيَة أَلفًا وَأَرْبَعمِائَةٍ فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَر ﷺ آخذ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) سنده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٣٧) بسند ضعيف.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٨٦).

بِيَدِهِ تَحْت الشَّجَرَة وَهِيَ سَمُرَة، وَقَال: بَايَعْنَاهُ عَلى أَنْ لا نَفِرّ، وَلمْ نُبَايِعهُ عَلى المَوْت.(١) رَوَاهُ مُسْلِم، عَنْ قُتَيْبَة، عَنْهُ. وَرَوَى مُسْلم عَنْ يَحْيَى بن يحيي، عَنْ يَزِيد بْن زُرَيْع، عَنْ خَالد، عَنْ الحَكَم بْن عَبْد الله الأَعْرَج، عَنْ مَعْقِل ابْن يَسَار ﷺ قَال: لقَدْ رَأَيْتنِي يَوْم الشَّجَرَة وَالنَّبِيّ ﷺ يُبَايِع النَّاس، وَأَنَا رَافِع غُصْنًا مِنْ أَغْصَانها عن رَأْسه، وَنَحْنُ أَرْبَع عَشْرَة مِائَة، قَال: وَلمْ نُبَايِعهُ عَلى المَوْت، ولكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلى أَنْ لا نَفِرّ.(٢) وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا المَكِّيّ ابْن إِبْرَاهِيم، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي عُبَيْد، عَنْ سَلمَة بْن الأَكْوَع ﷺ قَال: بَايَعْت رَسُول الله ﷺ تَحْت الشَّجَرَة. قَال يَزِيد: قُلت: يَا أَبَا مَسْلمَ، عَلى أَيّ شَيْء كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمئِذٍ؟ قَال: عَلى المَوْت. وَقَال البُخَارِيّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِم، حَدَّثَنَا يَزِيد بن أَبِي عُبَيْد، عَنْ سَلمَة ﷺ قَال: بَايَعْت رَسُول الله ﷺ يَوْم الحُدَيْبِيَة، ثُمَّ تَنَحَّيْت، فَقَال ﷺ : **«يَا سَلمَة أَلا تُبَايِع؟»**. قُلت: قَدْ بَايَعْت، قَال ﷺ : **«أَقْبِل فَبَايِعْ»**. فَدَنَوْت فَبَايَعْته، قُلت: عَلامَ بَايَعْته يَا سَلمَة؟ قَال: عَلى المَوْت.(٣) وَأَخْرَجَهُ مُسْلم مِنْ وَجْه آخر عَنْ يَزِيد بْن أَبِي عُبَيْد. وَكَذَا رَوَى البُخَارِيّ عَنْ عَبَّاد بْن تَمِيم: أَنَّهُمْ بَايَعُوهُ عَلى المَوْت.

وَقَال البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، أَخْبَرَنَا أَبُو الفَضْل ابْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سَلمَة، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر العَقَدِيّ عَبْد المَلك بْن عَمْرو، حَدَّثَنَا عِكْرِمَة بْن عَمَّار اليَمَامِيّ، عَنْ إِيَاس بْن سَلمَة، عَنْ أَبِيهِ سَلمَة بْن الأَكْوَع ﷺ قَال: قَدِمْنَا الحُدَيْبِيَة مَعَ رَسُول الله ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَع عَشْرَة مِائَة، وَعَليْهَا خَمْسُونَ شَاة لا تُرْوِيهَا، فَقَعَدَ رَسُول الله ﷺ عَلى جَبَاهَا -يَعْنِي الرُّكِيّ- فَإِمَّا دَعَا وَإِمَّا بَصَق فِيهَا، فَجَاشَتْ فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا. قَال: ثُمَّ إِنَّ رَسُول الله ﷺ دَعَا إِلى البَيْعَة فِي أَصْل الشَّجَرَة، فَبَايَعْته أَوَّل النَّاس، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسَط النَّاس قَال ﷺ : **«بَايِعْنِي يَا سَلمَة»**. قَال: قُلت: يَا رَسُول الله، قَدْ بَايَعْتُك فِي أَوَّل النَّاس قَال ﷺ : **«وَأَيْضًا»**. قَال: وَرَآنِي رَسُول الله ﷺ عَزِلًا فَأَعْطَانِي حَجَفَة -أَوْ دَرَقَة-، ثُمَّ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِر النَّاس قَال ﷺ : **«أَلا تُبَايِع يَا سَلمَة؟»**. قَال: قُلت: يَا رَسُول الله؛ قَدْ بَايَعْتُك فِي أَوَّل النَّاس وَأَوْسَطِهِمْ. قَال ﷺ : **«وَأَيْضًا»**. فَبَايَعْته الثَّالثَة، فَقَال: **«يَا سَلمَة؛ أَيْنَ حَجَفَتك أَوْ دَرَقَتك الَّتِي أَعْطَيْتُك؟»**. قَال: قُلت: يَا رَسُول الله؛ لقِيَنِي عَامِرٌ عَزِلًا فَأَعْطَيْتهَا إِيَّاهُ، فَضَحِكَ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ قَال: **«إِنَّك كَالَّذِي قَال الأَوَّلُ: اللَّهُمَّ؛ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ نَفْسِي»**.(٤) قَال: ثُمَّ إِنَّ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْل مَكَّة رَاسَلُونَا فِي الصُّلح حَتَّى مَشَى بَعْضنَا فِي بَعْض فَاصْطَلَحْنَا. قَال: وَكُنْت خَادِمًا لطَلحَةَ بْن عُبَيْد الله ﷺ أَسْقِي فَرَسه وأحسه وَآكُل مِنْ طَعَامه، وَتَرَكْت أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلى الله وَرَسُوله. فَلمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْل مَكَّة، وَاخْتَلطَ بَعْضنَا ببعض، أَتَيْت شَجَرَة فكسحت شَوْكهَا، ثُمَّ اضْطَجَعْت فِي أَصْلهَا فِي ظِلّهَا، فَأَتَانِي أَرْبَعَة مِنْ مُشْرِكِي أَهْل مَكَّة، فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُول الله ﷺ فَأَبْغَضْتهمْ، وَتَحَوَّلت إِلى شَجَرَة أُخْرَى فَعَلَّقُوا سِلاحهمْ وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَل الوَادِي: يَا للمُهَاجِرِينَ، قُتِل ابْن زُنَيْم. فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي فَشَدَدْت عَلى أُولئِكَ الأَرْبَعَة وَهُمْ رُقُود فَأَخَذْت سِلاحهمْ وَجَعَلته ضِغْثًا فِي يَدِي، ثُمَّ قُلت: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْه مُحَمَّد ﷺ لا يَرْفَع أَحَد مِنْكُمْ رَأْسه إِلَّا ضَرَبْت الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ. قَال: ثُمَّ جِئْت بِهِمْ أَسُوقهُمْ إِلى رَسُول الله ﷺ، قَال: وَجَاءَ عَمِّي عَامِر بِرَجُلٍ مِنْ العَبَلات يُقَال لهُ: «مِكْرَز» مِنْ المُشْرِكِينَ

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٨٥٦).
(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٨٥٨).
(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٢٠٨)، ومسلم (١٨٦٠).
(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٨٠٧).

يَقُودهُ، حَتَّى وَقفْنَا بِهِمْ عَلى رَسُول الله ﷺ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُول الله ﷺ ، وَقَال: «دَعُوهُمْ يَكُنْ لهُمْ بَدْء الفُجُور وَثِنَاهُ». فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُول الله ﷺ ، وَأَنْزَل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآيَة. وَهكَذَا رَوَاهُ مُسْلم عَنْ إِسْحَاق بْن إبراهيم بن رَاهْوَيْه بِسَنَدِهِ نَحوه أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ.

وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث أَبِي عَوَانَة، عَنْ طَارِق، عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب؛ قَال: كَانَ أَبِي مِمَّنْ بَايَعَ رَسُول الله ﷺ تَحْت الشَّجَرَة. قَال: فَانْطَلَقْنَا مِنْ قَابِل حَاجِّينَ، فَخَفِيَ عَلَيْنَا مَكَانهَا، فَإِنْ كَانَ تَبَيَّنت لكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلم.[1]

وَقَال أَبُو بَكْر الحُمَيْدِيّ: حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْر، حَدَّثَنَا جَابِر رضي الله عنه قَال: لَمَّا دَعَا رَسُول الله ﷺ النَّاس إِلى البَيْعَة، وَجَدْنَا رَجُلًا مِنَّا يُقَال لهُ: «الجَدّ بْن قَيْس» مُخْتَبِئًا تَحْت إِبْط بَعِيره.[2] رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث ابْن جُرَيْج، عَنْ ابْن الزُّبَيْر بِهِ. وَقَال الحُمَيْدِيّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو، سَمِعَ جَابِرًا رضي الله عنه قَال: كُنَّا يَوْم الحُدَيْبِيَة أَلفًا وَأَرْبَعمِائَةٍ، فَقَال لنَا رَسُول الله ﷺ : «أَنْتُمْ خَيْر أَهْل الأَرْض اليَوْم»[3]. قَال جَابِر رضي الله عنه: لوْ كُنْت أُبْصِرُ لأَرَيْتُكُمْ مَوْضِع الشَّجَرَة. قَال سُفْيَان: إِنَّهُمْ اخْتَلفُوا فِي مَوْضِعهَا. أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث سُفْيَان. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يُونُس، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر، عَنْ جَابِر رضي الله عنه، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «لا يَدْخُل النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْت الشَّجَرَة».[4]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن هَارُون الفَلَّاس المَخْرَمِيّ، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن عَمْرو الأَشْعَثِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابْن ثَابِت العَبْدِيّ، عَنْ خِدَاش بْن عَيَّاش، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «يَدْخُل مَنْ بَايَعَ تَحْت الشَّجَرَة كُلّهمْ الجَنَّة إِلاَّ صَاحِب الجَمَل الأَحْمَر». قَال: فَانْطَلَقْنَا نَبْتَدِرهُ، فَإِذَا رَجُل قَدْ أَضَلَّ بَعِيره، فَقُلنَا: تَعَال فَبَايِعْ. فقَال: أُصِيبُ بَعِيرِي أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أُبَايِع.[5] وَقَال عَبْد الله بْن أَحْمَد: حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُعَاذ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قُرَّة، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «مَنْ يَصْعَد الثَّنِيَّة ثَنِيَّة المُرَار فَإِنَّهُ يُحَطّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيل». فَكَانَ أَوَّل مَنْ صَعِدَ خَيْل بَنِي الخَزْرَج، ثُمَّ تَبَادَرَ النَّاس بَعْد، فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «كُلّكُمْ مَغْفُور لهُ إِلاَّ صَاحِب الجَمَل الأَحْمَر». فَقُلنَا: تَعَال يَسْتَغْفِر لك رَسُول الله ﷺ . فَقَال: وَالله لأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِر لِي صَاحِبكُمْ. فَإِذَا هُوَ رَجُل يَنْشُد ضَالَّة.[6] رَوَاهُ مُسْلم عَنْ عُبَيْد الله بِهِ.

وَقَال ابْن جُرَيْج: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْر، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رضي الله عنه يَقُول: أَخْبَرَتْنِي أُمّ مُبَشِّر، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُول الله ﷺ يَقُول عِنْد حَفْصَة رضي الله عنها : «لا يَدْخُل النَّار -إِنْ شَاءَ الله- مِنْ أَصْحَاب الشَّجَرَة الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتهَا أَحَدٌ». قَالتْ: بَلى يَا رَسُول الله. فَانْتَهَرَهَا. فَقَالتْ حَفْصَة رضي الله عنها : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «قَدْ قَال الله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾»[7] رَوَاهُ مُسْلم. وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ قُتَيْبَة، عَنْ اللَّيْث، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر رضي الله عنه أَنَّ عَبْدًا لحَاطِبِ بْن أَبِي بَلتَعَة جَاءَ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ ليَدْخُلنَّ حَاطِبٌ النَّار، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «كَذَبْتَ: لا يَدْخُلهَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَة»[8]. وَلهَذَا قَال تَعَالى فِي الثَّنَاء عَليْهِمْ: ﴿إِنَّ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤١٦٣)، ومسلم (١٨٥٩).
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٥٦).
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦).
(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠).
(٥) صحيح : أخرجه الترمذي (٥٨٦٣).
(٦) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٨٠).
(٧) صحيح : تقـدم.
(٨) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٩٥).

ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا رَسُوله ﷺ بِمَا يَعْتَذِر بِهِ المُخَلَّفُونَ مِنْ الأَعْرَاب الَّذِينَ اخْتَارُوا المُقَام فِي أَهْلِيهِمْ وَشُغْلِهِمْ، وَتَرَكُوا المَسِير مَعَ رَسُول الله ﷺ، فَاعْتَذَرُوا بِشُغْلِهِمْ بِذَلِكَ، وَسَأَلُوا أَنْ يَسْتَغْفِر لَهُمْ الرَّسُول ﷺ، وَذَلِكَ قَوْل مِنْهُمْ لا عَلى سَبِيل الاعْتِقَاد، بَل عَلى وَجْه التَّقِيَّة وَالمُصَانَعَة، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ﴾ أَيْ: لا يَقْدِر أَحَد أَنْ يَرُدّ مَا أَرَادَهُ الله فِيكُمْ -تَعَالى وَتَقَدَّس-، وَهُوَ العَلِيم بِسَرَائِرِكُمْ وَضَمَائِرِكُمْ، وَإِنْ صَانَعْتُمُونَا وتابعتمونا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾. ثم قال: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ أَيْ: لمْ يَكُنْ تَخَلُّفُكُمْ تَخَلُّفَ مَعْذُورٍ وَلا عَاصٍ، بَل تَخَلُّف نِفَاق، ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ أَيْ: اعْتَقَدْتُمْ أَنَّهُمْ يُقْتَلُونَ وَتُسْتَأْصَل شَأْفَتُهُمْ، وَتُسْتَبَاد خَضْرَاؤُهُمْ، وَلا يَرْجِع مِنْهُمْ مُخْبِرٌ، ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ أَيْ: هَلكَى. قَالهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَمُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد. وَقَال قَتَادَة: فَاسِدِينَ. وَقِيل: هِيَ بلغة عمان. ثم قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أَيْ: مَنْ لمْ يُخْلص العَمَل فِي الظَّاهِر وَالبَاطِن لله، فَإِنَّ الله تَعَالى سَيُعَذِّبُهُ فِي السَّعِير، وَإِنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا يَعْتَقِدُونَ خِلاف مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي نَفْس الأَمْر. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالى أَنَّهُ الحَاكِم المَالِك المُتَصَرِّف فِي أَهْل السَّمَاوَات وَالأَرْض: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أَيْ: لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ، وَخَضَعَ لَدَيْهِ.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الأَعْرَاب الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُول الله ﷺ فِي غزوة الحُدَيْبِيَة، إِذْ ذَهَبَ النَّبِيّ ﷺ وَأَصْحَابه رضي الله عنهم إِلى خَيْبَر يفتتحونها: أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ إِلى المَغْنَم، وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنْ وَقْت مُحَارَبَة الأَعْدَاء وَمُجَالدَتهمْ وَمُصَابَرَتهمْ، فَأَمَرَ الله رَسُولهُ ﷺ أَنْ لا يَأْذَن لَهُمْ فِي ذَلِكَ، مُعَاقَبَة لَهُمْ مِنْ جِنْس ذَنْبهمْ، فَإِنَّ الله تَعَالى وَعَدَ أَهْل الحُدَيْبِيَة بِمَغَانِم خَيْبَرَ وَحْدهمْ لا يشركهم فِيهَا غَيْرهمْ مِنْ الأَعْرَاب المُتَخَلِّفِينَ، فَلا يَقَع غَيْر ذَلِكَ شَرْعًا وَقَدَرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَجُوَيْبِر: وَهُوَ الوَعْد الَّذِي وَعَدَ بِهِ أَهْل الحُدَيْبِيَة. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير.

وَقَال ابْن زَيْد: هُوَ قَوْله: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ ابْن زَيْد فِيهِ نَظَر؛ لأَنَّ هَذِهِ الآيَة الَّتِي فِي «بَرَاءَة» نَزَلتْ فِي غَزْوَة تَبُوك، وَهِيَ مُتَأَخِّرَة عَنْ غزوة الحُدَيْبِيَة. وَقَال ابْن جُرَيْج: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ يَعْنِي: بِتَثْبِيطِهِمْ المُسْلِمِينَ عَنْ الجِهَادِ. ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ أَيْ:

وَعَدَ اللهُ أَهْلَ الحُدَيْبِيَة قَبْلَ سُؤَالِكُمْ الخُرُوج مَعَهُمْ، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَيْ: أَنْ نَشْرَكَكُمْ فِي المَغَانِم، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَمَا زَعَمُوا، وَلَكِنْ لا فَهْمَ لَهُمْ.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي هَؤُلاءِ القَوْمِ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَيْهِمْ، الَّذِينَ هُمْ أُولُو بَأْس شَدِيد عَلَى أَقْوَال: أَحَدهَا: أَنَّهُمْ هَوَازِن؛ رَوَاهُ شُعْبَة، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر -أَوْ عِكْرِمَة، أَوْ جَمِيعًا- وَرَوَاهُ هُشَيْم عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْهُمَا، وَبِهِ يَقُول قَتَادَة فِي رِوَايَة عَنْهُ. الثَّانِي: ثَقِيف. قَالَهُ الضَّحَّاك. الثَّالِث: بَنُو حَنِيفَة، قَالَهُ جُوَيْبِر، وَرَوَاهُ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ الزُّهْرِيّ، وَرُوِيَ مِثْله عَنْ سَعِيد وَعِكْرِمَة. الرَّابِع: هُمْ أَهْل فَارِس. رَوَاهُ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَبِهِ يَقُول عَطَاء، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة فِي إِحْدَى الرِّوَايَات عَنْهُ. وَقَال كَعْب الأَحْبَار: هُمْ الرُّوم. وَعَنْ ابْن أَبِي لَيْلَى، وَعَطَاء، وَالحَسَن، وَقَتَادَة: هُمْ فَارِس وَالرُّوم. وَعَنْ مُجَاهِد: هُمْ أَهْل الأَوْثَان. وَعَنْهُ أَيْضًا: هُمْ رِجَال أُولُو بَأْس شَدِيد، وَلَمْ يُعَيِّن فِرْقَة. وَبِهِ يَقُول ابْن جُرَيْج، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الأَشَجّ، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن الحسن القَوَارِيرِيّ، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ فِي قَوْله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، قَال: لَمْ يَأْتِ أُولَئِكَ بَعْد. وَحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عُمَر، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ ابْن أَبِي خَالد، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه فِي قَوْله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، قَال: هُمْ البَارِزُونَ. قَال: وَحَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«لا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى تُقَاتِلُوا قومًا صِغَار الأَعْيُن ذُلفَ الأُنُف، كَأَنَّ وُجُوههمْ المَجَانُّ المُطْرَقَة»**[1]. قَال سُفْيَان: هُمْ التُّرْك. قَال ابْن أَبِي عُمَر: وَجَدْت فِي مَكَان آخَر: ابْن أَبِي خَالد عَنْ أَبِيهِ قَال: نَزَل عَلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه، فَفَسَّرَ قَوْل رَسُول الله ﷺ: **«تقاتلون قومًا نِعالهمْ الشَّعَر»**. قَال: هُمْ البَارِزُونَ؛ يَعْنِي: الأَكْرَاد.

وَقَوْله: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ يَعْنِي يشرع لكُمْ جِهَادهمْ وَقِتَالهمْ، فَلا يَزَال ذَلكَ مُسْتَمِرًّا عَلَيْهِمْ، وَلكُمْ النُّصْرَة عَلَيْهِمْ، أَوْ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ فِي دِينكُمْ بِلا قِتَال بَل بِاخْتِيَار. ثُمَّ قَال: ﴿فَإِن تُطِيعُوا﴾ أَيْ: تَسْتَجِيبُوا وَتَنْفِرُوا فِي الجِهَاد وَتُؤَدُّوا الَّذِي عَلَيْكُمْ فِيهِ، ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يَعْنِي زَمَن الحُدَيْبِيَة حَيْثُ دُعِيتُمْ فَتَخَلَّفْتُمْ، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد، فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر، وعارض كالمرض الذي يطرأ أيامًا ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ. ثم قال تعالى مرغبًا في الجهاد وطاعة الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: ينكل عن الجهاد، ويُقبل على المعاش ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، في الدنيا بالمذلة، وفي الآخرة بالنار.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنْ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُول الله ﷺ تَحْت الشَّجَرَة، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ عُدَّتِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعمِائَةٍ، وَأَنَّ الشَّجَرَة كَانَتْ سَمُرَة بِأَرْضِ الحُدَيْبِيَة. قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مَحْمُود، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ طَارِق بن عَبْد الرَّحْمَن؛ قَال: انْطَلَقْت حَاجًّا فَمَرَرْت بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ، فَقُلْت: مَا هَذَا المَسْجِد؟

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٢٩)، ومسلم (٢٩١٢).

قَالُوا: هَذِهِ الشَّجَرَة، حَيْثُ بَايَعَ رَسُول الله ﷺ بَيْعَة الرِّضْوَان. فَأَتَيْت سَعِيد بْن الْمُسَيِّب فَأَخْبَرْته، فَقَال سَعِيد: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُول الله ﷺ تَحْت الشَّجَرَة. قَال: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ العَام الْمُقْبِل نَسِينَاهَا فَلَمْ نَقْدِر عَلَيْهَا، فَقَال سَعِيد: إِنَّ أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ، فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ.[1]

وَقَوْله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ: مِنْ الصِّدْق وَالوَفَاء، وَالسَّمْع وَالطَّاعَة، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ وَهِيَ الطُّمَأْنِينَة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وَهُوَ مَا أَجْرَى الله عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ الصُّلح بَيْنهمْ وَبَيْن أَعْدَائِهِمْ، وَمَا حَصَل بِذَلِكَ مِنْ الخَيْر العَامّ الْمُسْتَمِرّ الْمُتَّصِل بِفَتْحِ خَيْبَر وَفَتْح مَكَّة، ثُمَّ فَتْح سَائِر البِلاد وَالأَقَالِيم عَلَيْهِمْ، وَمَا حَصَل لَهُمْ مِنْ العِزّ وَالنَّصْر وَالرِّفْعَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ . قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى، أخبرنا موسى -يَعْنِي ابْن عُبَيْدَة- حَدَّثَنِي إِيَاس بْن سَلَمَة، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: بَيْنَمَا نَحْنُ قَائِلُونَ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُول الله ﷺ: أَيُّهَا النَّاس؛ البَيْعَة البَيْعَة، نَزَل رُوح القُدُس. قَال: فَثُرْنَا إِلَى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ تَحْت شَجَرَة سَمُرَة فَبَايَعْنَاهُ، فَذَلِكَ قَوْل الله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ، فَبَايَعَ لِعُثْمَان ﵁ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَقَال النَّاس: هَنِيئًا لابْنِ عَفَّان، يَطُوف بِالبَيْتِ وَنَحْنُ هَهُنَا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**لَوْ مَكَثَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطُوفَ**».[2]

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ .

قَال مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هِيَ جَمِيع الْمَغَانِم إِلَى اليَوْم، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يَعْنِي فَتْح خَيْبَر. وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يَعْنِي صُلح الْحُدَيْبِيَة. ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أَيْ: لَمْ يَنَلْكُمْ سُوءٌ مِمَّا كَانَ أَعْدَاؤُكُمْ أَضْمَرُوهُ لَكُمْ مِنْ الْمُحَارَبَة وَالقِتَال. وَكَذَلِكَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاس الَّذِينَ خَلَّفْتُمُوهُمْ وَرَاء أظهركم عَنْ عِيَالكُمْ وَحَرِيمكُمْ، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: يَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ، فَإِنَّ الله تَعَالَى حَافِظهمْ وَنَاصِرهمْ عَلَى سَائِر الأَعْدَاء، مَعَ قِلَّة عَدَدهمْ، وَلِيَعْلَمُوا بِصَنِيعِ الله هَذَا بِهِمْ أَنَّهُ العليم بِعَوَاقِب الأُمُور، وَأَنَّ الْخِيرَة فِيمَا يَخْتَارهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَرِهُوهُ فِي الظَّاهِر، كَمَا قَال: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَيْ: بِسَبَبِ انْقِيَادكُمْ لأَمْرِهِ وَاتِّبَاعكُمْ طَاعَته، وَمُوَافَقَتكُمْ رَسُوله ﷺ وقوله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أَيْ: وَغَنِيمَة أُخْرَى وَفَتْحًا آخر مُعَيَّنًا لَمْ تَكُونُوا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، قَدْ يَسَّرَهَا الله عَلَيْكُمْ، وَأَحَاطَ بِهَا لَكُمْ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَرْزُق عِبَاده الْمُتَّقِينَ لهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُونَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الغَنِيمَة، مَا الْمُرَاد بِهَا؟ فَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄: هِيَ خَيْبَر. وَهَذَا عَلَى قَوْله فِي قَوْله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: إِنَّهَا صُلح الْحُدَيْبِيَة.

وَقَالَهُ الضَّحَّاك، وَابْن إِسْحَاق، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَمَ. وَقَال قَتَادَة: هِيَ مَكَّة. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال ابْن أَبِي لَيْلَى، وَالْحَسَن البَصْرِيّ: هِيَ فَارِس وَالرُّوم. وَقَال مُجَاهِد: هِيَ كُلّ فَتْح وَغَنِيمَة إِلَى يَوْم القِيَامَة.

وَقَال أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ: حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ سِمَاك الْحَنَفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤١٦٣).

(٢) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٦/ ٨٦) بسند ضعيف.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ قَال: هَذِهِ الفُتُوح الَّتِي تُفْتَح إِلى اليَوْم. وقوله: ﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ يَقُول تعالى مُبَشِّرًا لعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لوْ نَاجَزَهُمْ المُشْرِكُونَ لنَصَرَ الله رَسُوله وَعِبَاده المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَلانْهَزَمَ جَيْش الكُفْر فَارًّا مُدْبِرًا، لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا، لأَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لله وَلرَسُولِهِ وَلِحِزْبِهِ المُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أَيْ: هَذِهِ سُنَّة الله وَعَادَته فِي خَلقه، مَا تَقَابَل الكُفْر وَالإِيمَان فِي مَوْطِن فَيْصَل إِلَّا نَصَرَ الله الإِيمَانَ عَلى الكُفْر، فَرَفَعَ الحَقّ وَوَضَعَ البَاطِل، كَمَا فَعَل تَعَالى يَوْم بَدْر بِأَوْلِيَائِهِ المُؤْمِنِينَ، نَصَرَهُمْ عَلى أَعْدَائِهِ مِنْ المُشْرِكِينَ، مَعَ قِلَّة عَدَد المُسْلِمِينَ وَعُدَدهمْ، وَكَثْرَة المُشْرِكِينَ وَعُدَدهمْ.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ : هَذَا امْتِنَان مِنْ الله عَلى عِبَاده المُؤْمِنِينَ حِين كَفَّ أَيْدِيَ المُشْرِكِينَ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَصِل إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ سُوء، وَكَفَّ أَيْدِي المُؤْمِنِينَ عَنْ المُشْرِكِينَ فَلَمْ يُقَاتِلُوهُمْ عِنْد المَسْجِد الحَرَام، بَل صَانَ كُلًّا مِنْ الفَرِيقَيْنِ، وَأَوْجَدَ بَيْنَهُمْ صُلحًا فِيهِ خِيَرَة للمُؤْمِنِينَ، وَعَاقِبَة لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث سَلَمَة بْن الأَكْوَع ﷺ حِين جَاءُوا بِأُولَئِكَ السَّبْعِينَ الأُسَارَى، فَأَوْثَقُوهُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُول الله ﷺ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَال: «**أَرْسِلُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْء الفُجُور وَثِنَاهُ**»[1]. قَال: وَفِي ذَلِكَ أَنْزَل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآيَة. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ قَال: لَـمَّا كَانَ يَوْم الحُدَيْبِيَة هَبَطَ عَلى رَسُول الله ﷺ، وَأَصْحَابه ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْل مَكَّة بِالسِّلاح مِنْ قِبَل جَبَل التَّنْعِيم يُرِيدُونَ غِرَّة رَسُول الله ﷺ فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَأُخِذُوا -قَال عَفَّان: فَعَفَا عَنْهُمْ-، وَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.[2] وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنه»، وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير مِنْ «سُنَنَيْهِمَا»، مِنْ طُرُق، عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَة بِهِ.

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثَنَا الحُسَيْن بْن وَاقِد؛ حَدَّثَنَا ثَابِت البُنَانِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن مُغَفَّل المُزَنِيّ ﷺ قَال: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ، فِي أَصْل الشَّجَرَة الَّتِي قَال تَعَالى فِي القُرْآن، وَكَانَ يَقَع مِنْ أَغْصَان تِلكَ الشَّجَرَة عَلى ظَهْر رَسُول الله ﷺ وَعَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ، وَسُهَيْل بْن عَمْرو بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَال رَسُول الله ﷺ لعَلِيٍّ ﷺ: «**اكْتُبْ: بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم**»: فَأَخَذَ سُهَيْل بِيَدِهِ وَقَال: مَا نَعْرِف الرَّحْمَن الرَّحِيم. اكْتُبْ فِي قَضِيَّتنَا مَا نَعْرِف. فَقَال: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**». وَكَتَبَ: «**هَذَا مَا صَالحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله أَهْل مَكَّة**». فَأَمْسَكَ سُهَيْل ابْن عَمْرو بِيَدِهِ وَقَال: لقَدْ ظَلَمْنَاك إِنْ كُنْت رَسُولهُ، اكْتُبْ فِي قَضِيَّتنَا مَا نَعْرِف. فَقَال: «**اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالحَ عَلَيْهِ مُحَمَّد بْن عَبْد الله**». فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلاثُونَ شَابًّا عَلَيْهِمْ السِّلاح، فَثَارُوا فِي وُجُوهنَا، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُول الله ﷺ، فَأَخَذَ الله بِأَسْمَاعِهِمْ، فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذْنَاهُمْ، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**هَل جِئْتُمْ فِي عَهْد أَحَد؟**» أَوْ: «**هَل جَعَل لكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا؟**». فَقَالُوا: لا. فَخَلَّى سَبِيلهمْ، فَأَنْزَل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[3]. رَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث حُسَيْن بْن وَاقِد بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَعْقُوب القُمِّيّ، حَدَّثَنَا جَعْفَر، عَنْ ابْن أَبْزَى، قَال: لَـمَّا خَرَجَ النَّبِيّ ﷺ بِالهَدْيِ وَانْتَهَى إِلى ذِي الحُلَيْفَة، قَال لهُ عُمَر ﷺ: يَا نَبِيّ الله؛ تَدْخُل عَلى قَوْم لك حَرْب بِغَيْرِ سِلاح

---

(١) تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٠٨).
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٨٦).

وَلا كُرَاع؟ قَال: فَبَعَثَ إِلى المَدِينَة، فَلَمْ يَدَع فِيهَا كُرَاعًا وَلا سِلاحًا إِلَّا حَمَلهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّة مَنَعُوهُ أَنْ يَدْخُل، فَسَارَ حَتَّى أَتَى مِنًى، فَنَزَل بِمِنًى فَأَتَاهُ عَيْنه أَنَّ عِكْرِمَة بْن أَبِي جَهْل قَدْ خَرَجَ عَلَيْك فِي خَمْسِمِائَةٍ، فَقَال لِخَالِدِ بْن الوَلِيد ﷺ: «يَا خَالِد؛ هَذَا ابْن عَمِّك أَتَاك فِي الخَيْل». فَقَال خَالد ﷺ: أَنَا سَيْفُ الله، وَسَيْفُ رَسُولِهِ -فَيَوْمئِذٍ سُمِّيَ سَيْف الله- يَا رَسُول الله، ارمِ بِي أَيْنَ شِئْت. فَبَعَثَهُ عَلى خَيْل، فَلقِيَ عِكْرِمَة فِي الشِّعْب فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلهُ حِيطَان مَكَّة، ثُمَّ عَادَ فِي الثَّانِيَة فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلهُ حِيطَان مَكَّة، ثُمَّ عَادَ فِي الثَّالثَة فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلهُ حِيطَان مَكَّة، فَأَنْزَل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ إِلى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾. قَال: فَكَفَّ الله النَّبِيَّ ﷺ عَنهُمْ مِنْ بَعْد أَنْ أَظْفَرَهُ عَليْهِمْ لبَقَايَا مِنَ المُسْلمِينَ كَانُوا بقوا فِيهَا كَرَاهِيَة أَنْ تَطَأَهُمْ الخَيْل. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ ابْن أَبْزَى بِنَحْوِهِ. وَهَذَا السِّيَاق فِيهِ نَظَر، فَإِنَّهُ لا يَجُوز أَنْ يَكُون عَام الحُدَيْبِيَة؛ لأَنَّ خَالدًا ﷺ، لمْ يَكُنْ أَسْلمَ، بَل قَدْ كَانَ طَليعَة للمُشْرِكِينَ يَوْمئِذٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح. وَلا يَجُوز أَنْ يَكُون فِي عُمْرَة القَضَاء؛ لأَنَّهُمْ قَاضَوْهُ عَلى أَنْ يَأْتِي من العَام المقبل فَيَعْتَمِر وَيُقِيم بِمَكَّة ثَلاثَة أَيَّام، فلَمَّا قَدِمَ لمْ يُمَانِعُوهُ وَلا حَارَبُوهُ وَلا قَاتَلُوهُ. فَإِنْ قِيل: فَيَكُون يَوْم الفَتْح؟ فَالجَوَاب: وَلا يَجُوز أَنْ يَكُون يَوْم الفَتْح؛ لأَنَّهُ لمْ يَسُقْ عَام الفَتْح هَدْيًا وَإِنَّمَا جَاءَ مُحَارِبًا مُقَاتِلًا فِي جَيْش عَرَمْرَم، فَهَذَا السِّيَاق فِيهِ خَلل، وَقَدْ وَقَعَ فِيهِ شَيْء فَليُتَأَمَّل، والله أَعْلمُ. وَقَال ابْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِم، عَنْ عِكْرِمَة مَوْلى ابْن عَبَّاس ﷺ: أن قُرَيْشًا بَعَثُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُول الله ﷺ لِيُصِيبُوا مِنْ أَصْحَابه أَحَدًا، فَأُخِذُوا أَخْذًا، فَأُتِيَ بِهِمْ رَسُول الله ﷺ فَعَفَا عَنْهُمْ وَخَلَّى سَبِيلهمْ، وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا إِلى عَسْكَر رَسُول الله ﷺ بِالحِجَارَةِ وَالنَّبْل. قَال ابْن إِسْحَاق: وَفِي ذَلكَ أَنْزَل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآيَة.

وَقَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ رَجُلًا يُقَال لهُ: «ابْن زُنَيْم» اطَّلعَ عَلى الثَّنِيَّة مِنْ الحُدَيْبِيَة، فَرَمَاهُ المُشْرِكُونَ بِسَهْم فَقَتَلُوهُ، فَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ خَيْلًا فَأَتَوْهُ بِاثْنَيْ عَشَرَ فارسًا مِنْ الكُفَّار، فَقَال لهُمْ: «هَل لكُمْ عَليَّ عَهْدٌ؟ هَل لكُمْ عَليَّ ذِمَّة؟». قَالُوا: لا. فَأَرْسَلهُمْ، وَأَنْزَل الله فِي ذَلكَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآيَة.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الكُفَّار مِنْ مُشْرِكِي العَرَب مِنْ قُرَيْش وَمَنْ مَالأَهُمْ عَلى نُصْرَتهم عَلى رَسُول الله ﷺ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أَيْ: هُمْ الكُفَّار دُون غَيْرِهِمْ، ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أَيْ: وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ، وَأَنْتُمْ أَهْله فِي نَفْس الأَمْر، ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أَيْ: وَصَدُّوا الهَدْي أَنْ يَصِل إِلى مَحِلّه، وَهَذَا مِنْ بَغْيهِمْ وَعِنَادهِمْ، وَكَانَ الهَدْيُ سَبْعِينَ بَدَنَة، كَمَا سَيَأْتِي بيانه.

وَقَوْله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ أَيْ: بَيْن أَظْهُرهمْ مِمَّنْ يَكْتُم إِيمَانه وَيُخْفِيه مِنْهُمْ خِيفَة عَلى أَنْفُسهمْ مِنْ قَوْمهمْ، لكُنَّا سَلَّطْنَاكُمْ عَليْهِمْ فَقَتَلتُمُوهُمْ وَأَبَدْتُمْ خَضْرَاءَهُمْ، وَلكِنْ بَيْن أَفْنَائِهِمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات أَقْوَام لا تَعْرِفُونَهُمْ حَالة القَتْل، وَلهَذَا قَال: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أَيْ: إِثْم وَغَرَامَة، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أَيْ: يُؤَخِّر عُقُوبَتهمْ ليُخَلِّص مِنْ بَيْن أَظْهُرِهِمْ المُؤْمِنِينَ، وَليَرْجِع كَثِير مِنْهُمْ إِلى الإِسْلام. ثُمَّ قَال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ أَيْ: لوْ تَمَيَّزَ الكُفَّار مِنَ المُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أَيْ: لَسَلَّطْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ فَلَقَتَلْتُمُوهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا. قَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو الزنباع رَوْح بْن الفَرَج، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي عَبَّاد المَكِّيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الله أبو سعيد -مَوْلَى بَنِي هَاشِم- حَدَّثَنَا حُجْر بْن خَلَف: سَمِعْت عَبْد الله بْن عوف يَقُول: سَمِعْت جُنَيْد بْن سَبُع؛ يَقُول: قَاتَلت رَسُول الله ﷺ أَوَّل النَّهَار كَافِرًا وَقَاتَلت مَعَهُ آخِر النَّهَار مُسْلِمًا، وَفِينَا نَزَلَتْ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ قَال: كُنَّا تِسْعَة نَفَر: سَبْعَة رِجَال وَامْرَأَتَيْنِ.[1] ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ مُحَمَّد بْن عَبَّاد المَكِّيّ بِهِ، وَقَال فِيهِ: عَنْ أَبِي جُمُعَة جُنَيْد بْن سُبَع... فَذَكَرَهُ، وَالصَّوَاب أَبُو جَعْفَر: حَبِيب بْن سِبَاع. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث حُجْر بْن خَلَف بِهِ. وَقَال: كُنَّا ثَلاثَة رِجَال وَتِسْع نِسْوَة، وَفِينَا نَزَلَتْ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عُثْمَان بْن جَبَلَة، عَنْ أَبِي حَمْزَة، عَنْ عَطَاء، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يَقُول: لَوْ تَزَيَّل الكُفَّار مِنَ المُؤْمِنِينَ، لَعَذَّبَهُمْ الله عَذَابًا أَلِيمًا بِقَتْلِهِمْ إِيَّاهُمْ.

وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، وَذَلِكَ حِين أَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا «بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم»، وَأَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّد رَسُول الله»، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ وَهِيَ قَوْل «لا إِله إِلَّا الله»، كَمَا قَال ابْن جَرِير، وَعَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن قَزَعَة أَبُو عَلِيّ البَصْرِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن حَبِيب، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ ثَوْير، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الطُّفَيْل -يَعْنِي ابْن أُبَيّ بْن كَعْب- عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قَال: «**لا إله إلاَّ الله**». وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ الحَسَن بْن قَزَعَة، وَقَال: «غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثه، وَسَأَلت أَبَا زُرْعَة عَنْهُ فَلَمْ يَعْرِفهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْه».

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مَنْصُور الرَّمَادِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن صَالِح، حَدَّثَنِي اللَّيْث، حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن خَالد، عَنْ ابْن شِهَاب، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَة رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِل النَّاس حَتَّى يَقُولُوا: لا إله إلاَّ الله، فَمَنْ قَال: لا إله إلاَّ الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَاله وَنَفْسه إلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابه على الله**»[2]. وَأَنْزَل الله فِي كِتَابه، وَذَكَرَ قَوْمًا فَقَال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَقَال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وَهِيَ: «لا إله إلاَّ الله، مُحَمَّد رَسُول الله». فَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا وَاسْتَكْبَرَ عَنْهَا المُشْرِكُونَ يَوْم الحُدَيْبِيَة، فَكَاتَبَهُمْ رَسُول الله ﷺ عَلَى قَضِيَّة المُدَّة. وَكَذَا رَوَاهُ بِهَذِهِ الزِّيَادَات ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ. وَالظَّاهِر أَنَّهَا مُدْرَجَة مِنْ كَلام الزُّهْرِيّ، وَالله أَعْلَمُ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾: الإِخْلاص. وَقَال عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح: هِيَ لا إِله إِلَّا الله وَحْده لا شَرِيك لَهُ، لَهُ المُلك وَلَهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير. وَقَال يُونُس بْن بُكَيْر، عَنْ ابْن إِسْحَاق، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ المِسْوَر: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قَال: لا إِله إِلَّا الله، وَحْده لا شَرِيك لَهُ. وَقَال الثَّوْرِيّ، عَنْ سَلَمَة بْن كُهَيْل، عَنْ عَبَايَة بْن رِبْعِيّ، عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قَال: لا إِله إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ. [وَكَذَا قَال ابْن عُمَر رضي الله عنهما][3]، وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، قَوْله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١٥٦٠).
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) سقط من الأزهرية.

قَال: يَقُول: شَهَادَة أَنْ لا إله إِلَّا الله، وَهِيَ رَأس كُلّ تَقْوَى. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قَال: لا إله إِلَّا الله، وَالجِهَاد فِي سَبِيله. وَقَال عَطَاء الخُرَاسَانِيّ: هِيَ لا إله إِلَّا الله، مُحَمَّد رَسُول الله. وَقَال عَبْد الله ابْن المُبَارَك، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾، قَال: بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم.

وَقَال قَتَادَة: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾، قَال: لا إله إِلَّا الله. ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ كَانَ المُسْلِمُونَ أَحَقّ بِهَا وَكَانُوا أَهْلهَا. [﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أَيْ: هُوَ عَلِيم بِمَنْ يَسْتَحِقّ الخَيْر مِمَّنْ يَسْتَحِقّ الشَّرّ][1]. وَقَدْ قَال النَّسَائِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن [سَعِيد][2]، حَدَّثَنَا شَبَّابَة بْن سِوَار، عَنْ أَبِي رَزِين، عَنْ عَبْد الله بْن العَلاء بْن زَبْر، عَنْ بِسر بْن عُبَيْد الله، عَنْ أَبِي إِدْرِيس، [عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب][3] ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وَلَوْ حَمِيتُمْ كَمَا حَمُوا لَفَسَدَ المَسْجِد الحَرَام. فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَر ﷺ فَأَغْلَظ لَهُ، فَقَال: إِنَّك لَتَعْلَمُ أَنِّي كُنْت أَدْخُل عَلَى رَسُول الله ﷺ فَيُعَلِّمنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله، فَقَال عُمَر ﷺ: بَل أَنْتَ رَجُل عِنْدك عِلم وَقُرْآن، فَاقْرَأ وَعَلِّمْ مِمَّا عَلَّمَك الله وَرَسُوله.

وَهَذَا ذِكْر الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي قِصَّة الحُدَيْبِيَة وَقِصَّة الصُّلح

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، عَنْ المِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَان بْن الحَكَم ﷺ قالا: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ عام الحديبية يُرِيد زِيَارَة البَيْت لا يُرِيد قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الهَدْي سَبْعِينَ بَدَنَة، وَكَانَ النَّاس سَبْعمِائَة رَجُل، فَكَانَتْ كُلّ بَدَنَة عَنْ عَشَرَة، وَخَرَجَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْر بْن سُفْيَان الكَعْبِيّ، فَقَال: يَا رَسُول الله ﷺ هَذِهِ قُرَيْش قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِك، فَخَرَجَتْ مَعَهَا العُوذ المَطَافِيل، قَدْ لَبِسَتْ جُلُود النُّمُور، يُعَاهِدُونَ الله أَنْ لا تَدْخُلهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَة أَبَدًا، وَهَذَا خَالد بْن الوَلِيد فِي خَيْلهمْ قَدْ قَدَّمُوهُ إِلَى كُرَاع الغَمِيم، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**يَا وَيْح قُرَيْش! قَدْ أَكَلَتْهُمْ الحَرْب، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْن سَائِر النَّاس؟ فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي الله دَخَلُوا فِي الإِسْلام وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّة، فَمَاذَا تَظُنّ قُرَيْش؟ فَوَالله لا أَزَالُ أُجَاهِدهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي الله بِهِ، حَتَّى يُظْهِرنِي الله أَوْ تَنْفَرِد هَذِهِ السَّالِفَة**».

ثُمَّ أَمَرَ النَّاس فَسَلَكُوا ذَات اليَمِين بَيْن ظَهْرَيْ الحَمْضِ عَلَى طَرِيقٍ تُخْرِجهُ عَلَى ثَنِيَّة المُرَار وَالحُدَيْبِيَة مِنْ أَسْفَل مَكَّة. قَال: فَسَلكَ بِالجَيْشِ تِلكَ الطَّرِيق، فَلَمَّا رَأَتْ خَيْل قُرَيْش قَتَرَة الجَيْش قَدْ خَالفُوا عَنْ طَرِيقهمْ، رَكَضُوا رَاجِعِينَ إِلَى قُرَيْش، فَخَرَجَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى إِذَا سَلكَ ثَنِيَّة المُرَار، بَرَكَتْ نَاقَته، فَقَال النَّاس: خَلأَتْ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا خَلأَتْ، وَمَا ذَلكَ لَهَا بِخُلُق، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِس الفِيل عَنْ مَكَّة، وَالله لا تَدْعُونِي قُرَيْش اليَوْمَ إِلَى خُطَّة يَسْأَلُونِي فِيهَا صِلة الرَّحِم، إِلاَّ أَعْطَيْتهمْ إِيَّاهَا**». ثُمَّ قَال ﷺ لِلنَّاسِ: «**انْزِلُوا**». قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ مَا بِالوَادِي مِنْ مَاء يَنْزِل عَلَيْهِ النَّاس. فَأَخْرَجَ رَسُول الله ﷺ سَهْمًا مِنْ كِنَانَته، فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابه، فَنَزَل فِي قَلِيب مِنْ تِلكَ القُلُب، فَغَرَزَهُ فِيهِ فَجَاشَ بِالمَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاس عَنْهُ بِعَطَنٍ. فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُول الله ﷺ إِذَا بُدَيْل بْن وَرْقَاء فِي رِجَال مِنْ خُزَاعَة، فَقَال لَهُمْ كَقَوْلِهِ لِبِشْرِ بْن سُفْيَان، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْش فَقَالُوا: يَا مَعْشَر قُرَيْش؛ إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ، وإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ، إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا البَيْت مُعَظِّمًا لِحَقِّهِ، فَاتَّهَمُوهُمْ.

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) في الأزهرية: [شهيد].

(٣) في الأزهرية: [عن أبي إدريس عن أبي بن كعب].

قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: قَال الزُّهْرِيّ: وَكَانَتْ خُزَاعَة فِي عَيْبَة رَسُول الله ﷺ مُشْرِكهَا وَمُسْلمهَا، لا يُخْفُونَ عَلى رَسُول الله ﷺ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّة، فَقَالُوا: وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا جَاءَ لِذَلكَ فَوَالله لا يَدْخُلُهَا أَبَدًا عَلَيْنَا عَنْوَة، وَلا يَتَحَدَّث بِذَلكَ العَرَب. ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ مِكْرَز بْن حَفْص أَحَد بَنِي عَامِر بْن لُؤَيّ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُول الله ﷺ قَال: «**هَذَا رَجُل غَادِر**». فَلَمَّا انْتَهَى إِلى رَسُول الله ﷺ كَلَّمَهُ رَسُول الله ﷺ بِنَحْوٍ مِمَّا كلم بِهِ أَصْحَابه، ثُمَّ رَجَعَ إِلى قُرَيْش فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَال لهُ رَسُول الله ﷺ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الحليس بْن عَلقَمَة الكِنَانِيّ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّد الأَحَابِيش، فَلَمَّا رَآهُ رَسُول الله ﷺ قَال: «**هَذَا مِنْ قَوْم يَتَأَلَّهُون، فَابْعَثُوا الهَدْي فِي وجهه**». فبعثوا الهدي فَلَمَّا رَأَى الهَدْي يَسِيل عَلَيْهِ مِنْ عَرْض الوَادِي فِي قَلائِده قَدْ أَكَل أوتاره مِنْ طُول الحَبْس عَنْ مَحِلِّهِ، رَجَعَ وَلَمْ يَصِل إِلى رَسُول الله ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى، فَقَال: يَا مَعْشَر قُرَيْش، لقَدْ رَأَيْت مَا لا يَحِلّ صَدُّه، الهَدْي فِي قَلائِدِهِ قَدْ أَكَل أوتاره مِنْ طُول الحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ. قَالُوا: اجْلسْ، إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لا عِلمَ لك. فَبَعَثُوا إِلَيْهِ عُرْوَة بْن مَسْعُود الثَّقَفِيّ، فَقَال: يَا مَعْشَر قُرَيْش، إِنِّي قَدْ رَأَيْت مَا يَلقَى مِنْكُمْ مَنْ تَبْعَثُونَ إِلى مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَكُمْ، مِنْ التَّعْنِيفِ وَسُوء اللَّفْظ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّكُمْ وَالِدٌ وأني وَلدٌ، وَقَدْ سَمِعْت بِالَّذِي نَابَكُمْ، فَجَمَعْت مَنْ أَطَاعَنِي مِنْ قَوْمِي، ثُمَّ جِئْت حَتَّى آسَيْتُكُمْ بِنَفْسِي. قَالُوا: صَدَقْت، مَا أَنْتَ عِنْدنَا بِمُتَّهَم. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُول الله ﷺ فَجَلسَ بَيْن يَدَيْهِ، فَقَال: يَا مُحَمَّد، جَمَعْت أَوْبَاشَ النَّاسِ، ثُمَّ جِئْت بِهِمْ لبَيْضَتِكَ لتَفُضَّهَا، إِنَّهَا قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا العود المَطَافِيل، قَدْ لبِسُوا جُلُود النُّمُور، يُعَاهِدُونَ الله أَنْ لا تَدْخُلهَا عَليْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا. وَايْم الله لكَأَنِّي بِهَؤُلاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْك غَدًا. قَال: وَأَبُو بَكْر ﷺ قَاعِد خَلف رَسُول الله ﷺ فَقَال: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ! أَنَحْنُ نَنْكَشِف عَنْهُ؟! قَال: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّد؟ قَال ﷺ: «**هَذَا ابْن أَبِي قُحَافَة**». قَال: أَمَا والله لوْلا يَد كَانَتْ لك عِنْدِي لكَافَأْتُك بِهَا، وَلكِنَّ هَذِهِ بِهَا. ثُمَّ تَنَاوَل لحْيَة رَسُول الله ﷺ وَالمُغِيرَة بْن شُعْبَة ﷺ وَاقِف عَلى رَأْس رَسُول الله ﷺ فِي الحديد، قَال: فَقَرَعَ يَده. ثُمَّ قَال: أَمْسِكْ يَدك عَنْ لحْيَة رَسُول الله ﷺ قَبْل -وَالله- لا تَصِل إِلَيْك. قَال: وَيْحك! مَا أَفَظَّك وَأَغْلظَك! فَتَبَسَّمَ رَسُول الله ﷺ، قَال: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّد؟ قَال ﷺ: «**هَذَا ابْن أَخِيك المُغِيرَة بْن شُعْبَة**». قَال: أَغُدَرُ، وَهَل غَسَلت سَوْأَتَك إِلَّا بِالأَمْسِ؟! قَال: فَكَلَّمَهُ رَسُول الله ﷺ بِمِثْل مَا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابه، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لمْ يَأْتِ يُرِيد حَرْبًا. قَال: فَقَامَ مِنْ عِنْد رَسُول الله ﷺ، وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَع بِهِ أَصْحَابه، لا يَتَوَضَّأ وُضُوءًا إِلَّا ابْتَدَرُوه، وَلا يَبْصُق بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ، وَلا يَسْقُط مِنْ شَعْره شَيْء إِلَّا أَخَذُوهُ. فَرَجَعَ إِلى قُرَيْش، فَقَال: يَا مَعْشَر قُرَيْش، إِنِّي جِئْت كِسْرَى فِي مُلكه، وَجِئْت قَيْصَر وَالنَّجَاشِيّ فِي مُلكهمَا، والله مَا رَأَيْت مَلكًا قَطُّ مِثْل مُحَمَّد ﷺ فِي أَصْحَابه، وَلقَدْ رَأَيْت قَوْمًا لا يُسْلمُونَهُ لشَيْءٍ أَبَدًا، فَرَوا رَأْيكُمْ. قَال: وَقَدْ كَانَ رَسُول الله ﷺ قَبْل ذَلكَ بَعَثَ خِرَاش بْن أُمَيَّة الخُزَاعِيّ إِلى مَكَّة، وَحَمَلهُ عَلى جَمَلٍ لهُ يُقَال لهُ: «**الثَّعْلب**»، فَلَمَّا دَخَل مَكَّة عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْش، وَأَرَادُوا قَتْل خِرَاش، فَمَنَعَتْهُمْ الأَحَابِيش حَتَّى أَتَى رَسُول الله ﷺ، فَدَعَا عُمَر ﷺ ليَبْعَثَهُ إِلى مَكَّة، فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي أَخَاف قُرَيْشًا عَلى نَفْسِي، وَليْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيّ أَحَد يَمْنَعنِي. وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْش عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلظَتِي عَليْهَا، وَلكِنْ أَدُلُّك عَلى رَجُل هُوَ أَعَزّ مِنِّي: عُثْمَان بْن عَفَّان ﷺ، قَال: فَدَعَاهُ رَسُول الله ﷺ فَبَعَثَهُ إِلى قريش يُخْبِرهُمْ أَنَّهُ لمْ يَأْتِ لحَرْبِ أَحَد، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لهَذَا البَيْت، مُعَظِّمًا لحُرْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَان ﷺ حَتَّى أَتَى مَكَّة، فَلقِيَهُ أَبَان بْن سَعِيد بْن العَاصِ، فَنَزَل عَنْ دَابَّته وَحَمَلهُ بَيْن يَدَيْهِ وردف خَلفه، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالة رَسُول الله ﷺ، فَانْطَلقَ عُثْمَان ﷺ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَان وَعُظَمَاء قُرَيْش فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُول الله ﷺ مَا أَرْسَلهُ بِهِ، فَقَالُوا لعُثْمَان ﷺ: إِنْ شِئْت أَنْ

تَطُوف بِالبَيْتِ فَطُفْ بِهِ. فَقَال: مَا كُنْت لأَفْعَل حَتَّى يَطُوف بِهِ رَسُول الله ﷺ، قَال: وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْش عِنْدهَا، قَال: وَبَلغَ رَسُول الله ﷺ أَنَّ عُثْمَان رضي الله عنه قَدْ قُتِل.[1]

قَال مُحَمَّد: فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيّ: أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا سُهَيْل بْن عَمْرو، وَقَالُوا: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ، وَلا تكن فِي صُلحه إِلَّا أَنْ يَرْجِع عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فَوَالله لا تُحَدِّث العَرَب أَنَّهُ دَخلهَا عَلينَا عَنْوَة أَبَدًا. فَأَتَاهُ سُهَيْل بْن عَمْرو، فَلمَّا رَآهُ رَسُول الله ﷺ قَال: «**قَدْ أَرَادَ القَوْم الصُّلح حِين بَعثُوا هَذا الرَّجُل**». فَلمَّا انْتَهَى إِلى رَسُول الله ﷺ تكلَّمَا وَأَطَالا الكَلام، وَتَرَاجَعَا حَتَّى جَرَى بَيْنهمَا الصُّلح، فَلمَّا التَأَمَ الأَمْر وَلمْ يَبْقَ إِلَّا الكِتَاب، وَثَبَ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه، فَأَتَى أَبَا بَكْر رضي الله عنه فَقَال: يَا أَبَا بَكْر؛ أَوَليْسَ بِرَسُول الله؟ أَوَ لسْنَا بِالمُسْلِمِينَ؟ أَوَ ليْسُوا بِالمُشْرِكِينَ؟ قَال: بَلى. قَال: فَعلامَ نُعْطِي الذلة فِي دِينِنَا؟ فَقَال أَبُو بَكْر رضي الله عنه: يا عمر؛ الزَمْ غَرْزَهُ حَيْثُ كَانَ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُول الله. قَال عُمَر رضي الله عنه: وَأَنَا أَشْهَدُ. ثُمَّ أَتَى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُول الله، أَوَلسْنَا بِالمُسْلِمِينَ؟ أَوَ ليْسُوا بِالمُشْرِكِينَ؟ قَال ﷺ: «**بَلى**». قَال: فَعلامَ نُعْطِي الذلة فِي دِينِنَا؟ فَقَال ﷺ: «**أَنَا عَبْد الله وَرَسُوله، لنْ أُخَالف أَمْرَهُ، وَلنْ يُضَيِّعَنِي**». ثُمَّ قَال عُمَر رضي الله عنه: مَا زِلت أَصُوم وَأُصَلِّي وَأَتَصَدَّق وَأُعْتِق مِنْ الَّذِي صَنَعْت مَخَافَة كَلامِي الَّذِي تَكَلَّمْت بِهِ يَوْمئِذٍ، حَتَّى رَجَوْت أَنْ يَكُون خيْرًا. قَال: ثُمَّ دَعَا رَسُول الله ﷺ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه فَقَال: «**اكْتُبْ بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم**». فَقَال سُهَيْل بن عمرو: ولا أَعْرِف هَذَا، وَلكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِك اللَّهُمَّ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِك اللَّهُمَّ. هَذَا مَا صَالحَ عَليْهِ مُحَمَّد رَسُول الله سهيل بن عمرو**». فَقَال سُهَيْل ابْن عَمْرو: ولوْ شَهِدْت أَنَّك رَسُول الله لمْ أُقَاتِلك، وَلكِنْ اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالحَ عَليْهِ مُحَمَّد بْن عَبْد الله وَسُهَيْل بْن عَمْرو، عَلى وَضع الحَرْب عَشْر سِنِينَ، يَأْمَن فِيهَا النَّاس، وَيَكُفّ بَعْضهمْ عَنْ بَعْض، عَلى أَنَّهُ مَنْ أَتَى رَسُول الله ﷺ مِنْ أَصْحَابه بِغَيْرِ إِذْن وَليّه، رَدَّهُ [عَليْهِ][2]، وَمَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُول الله ﷺ لمْ يَرُدُّوهُ عَليْهِ، وَأَنَّ بَيْننَا عَيْبَة مَكْفُوفَة، وَأَنَّهُ لا أَسْلال وَلا أَغْلال.

وَكَانَ فِي شَرْطهمْ حِين كَتَبُوا الكِتَاب: أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُل فِي عَقْد مُحَمَّد ﷺ وَعَهْده دَخل فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُل فِي عَقْد قُرَيْش وَعَهْدهمْ دَخل فِيهِ. فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَة فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْد رَسُول الله ﷺ وَعَهْده. وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْر فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْد قُرَيْش وَعَهْدهمْ. وَأَنَّك تَرْجِع عَنَّا عَامنَا هَذَا فَلا تَدْخُل عَليْنَا مَكَّة، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَام قَابِل خَرَجْنَا عَنْك فَتَدْخُلهَا بِأَصْحَابِك، وَأَقَمْت بِهَا ثَلاثًا مَعَك سِلاح الرَّاكِب لا تَدْخُلهَا بِغَيْرِ السُّيُوف فِي القِرَب[3]، فَبَيْنَا رَسُول الله ﷺ يَكْتُب الكِتَاب إِذْ جَاءَهُ أَبُو جَنْدَل ابْن سُهَيْل بْن عَمْرو فِي الحَدِيد قَدْ انْفَلتَ إِلى رَسُول الله ﷺ، قَال: وَقَدْ كَانَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ خَرَجُوا وَهُمْ لا يَشُكُّونَ فِي الفَتْح، لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُول الله ﷺ، فَلمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنْ الصُّلح وَالرُّجُوع، وَمَا تَحَمَّل رَسُول الله ﷺ عَلى نَفْسه، دَخَل النَّاس مِنْ ذَلكَ أَمْرٌ عَظِيم، حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلكُوا. فَلمَّا رَأَى سُهَيْل أَبَا جَنْدَل قَامَ إِليْهِ فَضَرَبَ وَجْهه، وَقَال: يَا مُحَمَّد، قَدْ لجت القَضِيَّة بَيْنِي وَبَيْنك قَبْل أَنْ يَأْتِيك هَذَا. قَال: «**صَدَقْت**». فَقَامَ إِليْهِ فَأَخَذَ بِتَلابِيبِهِ. قَال: وَصَرَخَ أَبُو جَنْدَل بِأَعْلى صَوْته: يَا معاشر المُسْلِمِينَ، أَتَرُدُّونَنِي إِلى أَهْل الشِّرْك فَيَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟ قَال: فَزَادَ النَّاس شَرًّا إِلى مَا بِهِمْ، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**يَا أَبَا جَنْدَل اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ الله جَاعِل لك وَلِمَنْ مَعَك مِنْ المُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْننَا وَبَيْن القَوْم صُلحًا، فَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلى ذَلك وَأَعْطَوْنَا عَليْهِ عَهْدًا، وَإِنَّا لنْ نَغْدِر بِهِمْ**».

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٣١)، ومسلم (١٧٨٥).
(٢) في «نسخة»: [عليهم].
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٨٤).

قَال: فَوَثَبَ إِلَيْهِ عُمر بن الخَطَّاب ﷺ، فَجَعَل يَمْشِي مَعَ أَبِي جَنْدَل إِلى جَنْبه، وَهو يَقُول: اصْبِرْ أَبَا جَنْدَل، فَإِنَّمَا هُمْ المُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا دَم أَحَدهمْ دَم كَلب. قَال: وَيُدْنِي قَائِم السَّيْف مِنْهُ، قَال: يَقُول: رَجَوْت أَنْ يَأْخُذ السَّيْف فَيَضْرِب بِهِ أَبَاهُ. قَال: فَضَنَّ الرَّجُل بِأَبِيهِ. قَال: وَنَفَذَتْ القَضِيَّة، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ الكِتَاب، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي فِي الحَرَم، وَهُوَ مُضْطَرِب فِي الحِلّ، قَال: فَقَامَ رَسُول الله ﷺ فَقَال: **«يا أيها النَّاس، انْحَرُوا وَاحْلقُوا»**. قَال: فَمَا قَامَ أَحَد. قَال: ثُمَّ عَادَ ﷺ بِمِثْلهَا، فَمَا قَامَ رَجُل، حتى عَادَ ﷺ بِمِثْلها، فَمَا قَامَ رَجُل. فَرَجعَ رَسُول الله ﷺ، فَدَخل عَلى أُمّ سَلمَة ﷺ فَقَال: **«يَا أُمّ سلمَة مَا شَأن النَّاس؟»**. قَالتْ: يَا رَسُول الله قَدْ دَخلهُمْ مَا رَأَيت، فَلا تُكَلِّمَنّ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، وَاعْمِدْ إِلى هَدْيك حَيْثُ كَانَ فَانْحَرْهُ وَاحْلقْ، فَلوْ قَدْ فَعَلت ذَلكَ فَعَل النَّاس ذَلكَ، فَخَرجَ رَسُول الله ﷺ لا يُكَلِّم أَحَدًا حَتَّى إِذَا أَتَى هَدْيه فَنحَرَهُ، ثُمَّ جلسَ فَحلقَ، قَال: فَقَامَ النَّاس يَنْحَرُونَ وَيَحْلقُونَ. قَال: حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ مَكَّة وَالمَدِينَة فِي وَسَط الطَّرِيق نَزَلتْ سُورَة الفَتْح. هَكَذَا سَاقَهُ أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه، وَهَكَذَا رَوَاهُ يُونُس بْن بُكَيْر وَزِيَاد البَكَّائِيّ عَنْ ابن إِسْحَاق بِنَحْوِهِ وفيه إغراب. وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، بِهِ نَحْوه، وَخَالفَهُ فِي أَشْيَاء.

وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحه»، فَسَاقَهُ سِيَاقَة حَسَنَة مُطَوَّلة بِزِيَادَاتٍ جَيِّدَة، فَقَال فِي كِتَاب الشُّرُوط مِنْ «صَحِيحه»: حَدَّثنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد، حَدَّثنَا عَبْد الرَّزَّاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيّ، أَخْبَرَنِي عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، عَنْ المِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَان بْن الحَكَم، يُصَدِّق كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا حَدِيث صَاحِبه، قَالا: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ زَمَن الحُدَيْبِيَة فِي بِضْع عَشْرَة مِائَة مِنْ أَصْحَابه، فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَة قَلَّدَ الهَدْي وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَث عَيْنًا له مِنْ خُزَاعَة، وَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بغدير الأَشْطَاط أَتَاهُ عَيْنُهُ، فَقَال: إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ جَمَعُوا لك جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لك الأَحَابِيش وَهُمْ مُقَاتِلُوك وَصَادُّوك وَمَانِعُوك. فَقَال ﷺ: **«أَشِيرُوا أَيهَا النَّاس عَليَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيل عَلى عِيَالهمْ وَذَرَارِيّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ البَيْت؟»**. وَفِي لفْظ: **«تَرَوْنَ أَنْ نَمِيل عَلى ذَرَارِيّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ الله قَدْ قَطعَ عُنُقًا مِنْ المُشْرِكِينَ وَإِلاَّ تَرَكْنَاهُمْ مَحْزُونِينَ»**. وَفِي لفْظ: **«فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَجْهُودِينَ محروبين، وَإِنْ نَجَوْا يَكُنْ عُنُقًا قَطعَهَا الله، أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمّ البَيْت فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلنَاهُ؟»**. فَقَال أَبُو بَكْر ﷺ: يَا رَسُول الله؛ خَرَجْت عَامِدًا لهَذَا البَيْت لا تُرِيد قَتْل أَحَد وَلا حَرْبًا. فَتَوَجَّهْ لهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلنَاهُ، وَفِي لفظ: فَقَال أَبُو بَكْر ﷺ: الله ورَسُوله أعلم إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلمْ نَجِئْ لِقِتَال أَحَد، وَلكِنْ مَنْ حَال بَيْننَا وَبَيْن البَيْت قَاتَلنَاهُ. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«فَرُوحُوا إِذَنْ»**. وَفِي لفْظ: **«فَامْضُوا عَلى اسْم الله»**. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيق، قَال النَّبِيّ ﷺ: **«إِنَّ خَالد بْن الوَليد فِي خَيْل لقُرَيْشٍ طَليعَة، فَخُذُوا ذَات اليَمِين»**. فَوَالله مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالد حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْش، فَانْطَلقَ يَرْكُض نَذِيرًا لقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَط عَليْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلتُهُ، فَقَال النَّاس: حَل حَل، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلأَتْ القَصْوَاء، خَلأَتْ القَصْوَاء، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«مَا خَلأَتْ القَصْوَاء، وَمَا ذَاكَ لهَا بِخُلقٍ، وَلكِنْ حَبَسَهَا حَابِس الفِيل»**. ثُمَّ قَال ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَسْأَلُونِي خُطَّة يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَات الله، إِلاَّ أَعْطَيْتهمْ إِيَّاهَا»**. ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، فَعَدَل عَنْهُمْ حَتَّى نَزَل بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَة عَلى ثَمَدٍ قَليل المَاء يَتَبَرَّضُهُ النَّاس تَبَرُّضًا، فَلمْ يَلبَث النَّاس حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلى رَسُول الله ﷺ العَطَش، فَانْتَزَعَ ﷺ مِنْ كِنَانَته سَهْمًا، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَالله مَا زَال يَجِيش لهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْل بْن وَرْقَاء الخُزَاعِيّ فِي نَفَر مِنْ قَوْمه مِنْ خُزَاعَة، وَكَانُوا عَيْبَة نُصْح رَسُول الله ﷺ مِنْ أَهْل تِهَامَة، فَقَال: إِنِّي تَرَكْت كَعْب بْن لُؤَيّ وَعَامِر بْن لُؤَيّ، نَزَلُوا أعدادًا مِيَاه الحُدَيْبِيَة مَعَهُمْ العُوذ المَطَافِيل، وَهُمْ مُقَاتِلُوك وَصَادُّوك عَنْ البَيْت. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«إِنَّا لمْ نَجِئْ لقِتَال أَحَد،**

وَلكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمْ الحرْب فَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتهمْ مُدَّة وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْن النَّاس، فَإِنْ أَظْهَر، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَل فِيهِ النَّاس فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِد سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ الله أَمْره». قَال بُدَيْل: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُول.

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا فَقَال: إِنَّا قَدْ جِئْنَا مِنْ عِنْد هَذَا الرَّجُل، وَسَمِعْنَاهُ يَقُول قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضهُ عَلَيْكُمْ فَعَلنَا. فَقَال سُفَهَاؤُهُمْ: لا حَاجَة لنَا أَنْ تُخْبِرنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَال ذَوُو الرَّأْي مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْته يَقُول، قَال: سَمِعْته يَقُول كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَال رَسُول الله ﷺ ، فَقَامَ عُرْوَة بْن مَسْعُود فَقَال: أَيْ قَوْم، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلى. قَال: أَوَلَسْت بِالوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلى. قَال: فَهَل تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لا. قَال: أَلَسْتُمْ تَعْلمُونَ أَنِّي استنفرت أَهْل عُكَاظ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلى. قَال: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ودعوني آتِهِ. قَالُوا: ائْتِهِ. فَأَتَاهُ فَجَعَل يُكَلِّم رسول الله ﷺ ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ لهُ نَحْوًا مِنْ قَوْله لبُدَيْل بْن وَرْقَاء. فَقَال عُرْوَة عِنْد ذَلكَ: أَيْ مُحَمَّد، أَرَأَيْت إِنْ اسْتَأْصَلت أمر قَوْمك، هَل سَمِعْت بِأَحَدٍ مِنْ العَرَب اجْتَاحَ أَصْله قَبْلك؟ وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى فَإِنِّي وَالله لا أرى وُجُوهًا، وَإِنِّي لأَرَى أشوابًا مِنْ النَّاس خَليقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوك. فَقَال لهُ أَبُو بَكْر ﷺ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّات! أَنَحْنُ نَفِرّ وَنَدَعهُ؟! قَال: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْر. قَال: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لوْلا يَدٌ كانت لك عِنْدِي لمْ أُجْزِك بِهَا، لأَجَبْتُك. قَال: وَجَعَل يُكَلِّم النَّبِيّ ﷺ ، فَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلحْيَتِهِ ﷺ ، وَالمُغِيرَة بْن شُعْبَة ﷺ قَائِم عَلى رَأْس النَّبِيّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْف وَعَليْهِ المِغْفَر، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَة بِيَدِهِ إِلى لحْيَة النَّبِيّ ﷺ ضَرَبَ يَده بِنَعْل السَّيْف، وَقَال له: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لحْيَة النبي ﷺ . فَرَفَعَ عُرْوَة رَأْسه وَقَال: مَنْ هَذَا؟ قَال: المُغِيرَة بْن شُعْبَة. فقَال: أَيْ غُدَرُ، أَلسْت أَسْعَى فِي غَدْرَتك؟! وَكَانَ المُغِيرَة بْن شُعْبَة ﷺ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّة فَقَتَلهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَاهِمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلمَ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ : **«أَمَّا الإِسْلام فَأَقْبَل، وَأَمَّا المَال فَلسْتُ مِنْهُ فِي شَيْء».** ثُمَّ إِنَّ عُرْوَة جَعَل يَرْمُق أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَال: فَوَالله مَا تَنَخَّمَ رَسُول الله ﷺ نُخَامَة إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُل مِنْهُمْ، فَدَلكَ بِهَا وَجْهه وَجِلده، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْره، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتهمْ عِنْده، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَر إِليْهِ تَعْظِيمًا لهُ ﷺ . فَرَجَعَ عُرْوَة إِلى أَصْحَابه فَقَال: أَيْ قَوْم، وَالله لقَدْ وَفَدْت عَلى المُلُوك، وَوَفَدْت عَلى كِسْرَى وَقَيْصَر وَالنَّجَاشِيّ، وَالله إِنْ رَأَيْت مَلكًا قَطُّ يُعَظِّمهُ أَصْحَابه مَا يُعَظِّم أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَة إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفّ رَجُل مِنْهُمْ، فَدَلكَ بِهَا وَجْهه وَجِلده، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْره وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتهمْ عِنْده، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَر إِليْهِ تَعْظِيمًا لهُ. وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَليْكُمْ خُطَّة رُشْد فَاقْبَلُوهَا. فَقَال رَجُل مِنْهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَة: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلى النَّبِيّ ﷺ وَأَصْحَابه ﷺ، قَال النَّبِيّ ﷺ : **«هَذَا فُلان، وَهُوَ مِنْ قَوْم يُعَظِّمُونَ البُدْن، فَابْعَثُوهَا لهُ».** فَبُعِثَتْ لهُ، وَاسْتَقْبَلهُ النَّاس يُلبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلكَ قَال: سُبْحَان الله! مَا يَنْبَغِي لهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ البَيْت. فَلَمَّا رَجَعَ إِلى أَصْحَابه قَال: رَأَيْت البُدْن قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ البَيْت. فَقَامَ رَجُل مِنْهُمْ يُقَال لهُ: «مِكْرَز بْن حَفْص». فَقَال: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَليْهِمْ قَال النَّبِيّ ﷺ : **«هَذَا مِكْرَز، وَهُوَ رَجُل فَاجِر».** فَجَعَل يُكَلِّم النَّبِيّ ﷺ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْل بْن عَمْرو. وَقَال مَعْمَر: أَخْبَرَنِي أَيُّوب، عَنْ عِكْرِمَة أَنَّهُ قَال: لـمَّا جَاءَ سُهَيْل بْن عَمْرو قَال النَّبِيّ ﷺ : **«قَدْ سَهُل لكُمْ مِنْ أَمْركُمْ».** قَال مَعْمَر: قَال الزُّهْرِيّ فِي حَدِيثه: فَجَاءَ سُهَيْل بْن عَمْرو فَقَال: هَاتِ اكْتُب بَيْننَا وَبَيْنك كِتَابًا. فَدَعَا النَّبِيّ ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ : **«اكْتُبْ بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم».** فَقَال سُهَيْل: أَمَّا «الرَّحْمَن» فَوَالله

مَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ وَلكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْت تَكْتُب. فَقَال المُسْلمُونَ: والله لا نَكْتُبهَا إِلَّا: «بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم». فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**». ثُمَّ قَال: «**هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّد رَسُول الله**». فَقَال سُهَيْل: والله لوْ كُنَّا نَعْلم أَنَّك رَسُول الله مَا صَدَدْنَاك عَنْ البَيْت وَلا قَاتَلنَاك، وَلكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّد بْن عَبْد الله. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**والله إِنِّي لرَسُول الله وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله**». قَال الزُّهْرِيّ: وَذَلكَ لقَوْلهِ: «**والله لا يَسْأَلُونِي خُطَّة يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَات الله إلاَّ أَعْطَيْتهمْ إِيَّاهَا**». فَقَال لهُ النَّبِيّ ﷺ: «**عَلى أَنْ تُخَلُّوا بَيْننَا وَبَيْنَ البَيْت فَنَطُوف بِهِ**». فَقَال سُهَيْل: والله لا تَتَحَدَّث العَرَب أَنَّا أُخِذْنَا ضَغْطَة، وَلكِنَّ ذَلكَ مِنْ العَام المُقْبِل. فَكَتَبَ، فَقَال سُهَيْل: وَعَلى أَنْ لا يَأْتِيك مِنَّا رَجُل وَإِنْ كَانَ عَلى دِينك إِلَّا رَدَدْته إِلَيْنَا. فَقَال المُسْلمُونَ: سُبْحَان الله! كَيْف يُرَدّ إِلى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَل ابْن سُهَيْل بْن عَمْرو يَرْسُف فِي قُيُوده، قَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَل مَكَّة حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُر المُسْلمِينَ، فَقَال سُهَيْل: هَذَا يَا مُحَمَّد أَوَّل مَنْ أُقَاضِيك عَليْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِليَّ. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّا لمْ نَقْضِ الكِتَاب بَعْدُ**». قَال: فَوَالله إِذًا لا أُصَالحك عَلى شَيْء أَبَدًا. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لي**». فَقَال: مَا أَنَا بِمُجِيزٍ ذَلكَ لك. قَال: «**بل فَافْعَل**». قَال: مَا أَنَا بِفَاعِل. قَال مِكْرَز: بَلى قَدْ أَجَزْنَاهُ لك. قَال أَبُو جَنْدَل: أَيْ مَعْشَر المُسْلمِينَ، أُرَدّ إِلى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْت مُسْلمًا؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ لقِيت؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الله عَزَّ وَجَلَّ. قَال عُمَر رضي الله عنه: فَأَتَيْت نَبِيّ الله ﷺ، فَقُلت: أَلسْت نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَال ﷺ: «**بَلى**». قُلت: أَلسْنَا عَلى الحَقّ وَعَدُوُّنَا عَلى البَاطِل؟ قَال ﷺ: «**بَلى**». قُلت: فَلمَ نُعْطِي الدَّنِيَّة فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَال ﷺ: «**إِنِّي رَسُول الله، ولسْت أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**». قُلت: أَوَلسْت كُنْت تُحَدِّثنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْت وَنَطُوف بِهِ؟ قَال ﷺ: «**بَلى أفَأَخْبَرْتُك أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟**». قُلت: لا، قَال ﷺ: «**فَإِنَّك آتِيه وَمُطَوِّف بِهِ**». قَال: فَأَتَيْت أَبَا بَكْر، فَقُلت: يَا أَبَا بَكْر؛ أَليْسَ هَذَا نَبِيّ الله حَقًّا؟ قَال: بَلى. قُلت: أَلسْنَا عَلى الحَقّ وَعَدُوّنَا عَلى البَاطِل؟ قَال: بَلى. قُلت: فَلمَ نُعْطِي الدَّنِيَّة فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَال: أَيُّهَا الرَّجُل؛ إِنَّهُ رَسُول الله، وَليْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَالله إِنَّهُ عَلى الحَقّ. قُلت: أَوَ ليْسَ كَانَ يُحَدِّثنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْت وَنَطُوف بِهِ؟ قَال: بَلى. قَال: أَفَأَخْبَرَك أَنَّك تَأْتِيه العَامَ؟ قُلت: لا. قَال: فَإِنَّك تَأْتِيه وَتَطُوف بِهِ.

قَال الزُّهْرِيّ: قَال عُمَر رضي الله عنه فَعَمِلت لذَلكَ أَعْمَالًا. قَال: فَلمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّة الكِتَاب، قَال رَسُول الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلقُوا**». قَال: فَوَالله مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُل حَتَّى قَال ﷺ ذَلكَ ثَلاث مَرَّات!! فَلمَّا لمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَد دَخَل ﷺ عَلى أُمّ سَلمَة رضي الله عنها، فَذَكَرَ لهَا مَا لقِيَ مِنْ النَّاس، قَالتْ لهُ أُمّ سَلمَة رضي الله عنها: يَا نَبِيّ الله؛ أَتُحِبُّ ذَلكَ؟ اخْرُجْ، ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلمَة، حَتَّى تَنْحَر بُدْنَك وَتَدْعُو حَالقك فَيَحْلقَك. فَخَرَجَ فَلمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَل ذَلكَ، نَحَرَ بدنه، وَدَعَا حَالقَهُ فَحَلقَهُ، فَلمَّا رَأَوْا ذَلكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَل بَعْضهمْ يَحْلق بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضهمْ يَقْتُل بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَة مُؤْمِنَات، فَأَنْزَل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ حَتَّى بَلغَ: ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، فَطَلَّقَ عُمَر رضي الله عنه يَوْمئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لهُ فِي الشِّرْك، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْن أَبِي سُفْيَان، وَالأُخْرَى صَفْوَان بْن أُمَيَّة. ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيّ ﷺ إِلى المَدِينَة، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِير -رَجُل مِنْ قُرَيْش- وَهُوَ مُسْلم، فَأَرْسَلُوا فِي طَلبه رَجُليْنِ، فَقَالُوا: العَهْد الَّذِي جَعَلت لنَا؟ فَدَفَعَهُ إِلى الرَّجُليْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى إِذَا بَلغَا ذَا الحُليْفَة، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْر لهُمْ، فَقَال أَبُو بَصِير لأَحَدِ الرَّجُليْنِ: والله إِنِّي لأَرَى سَيْفك هَذَا يَا فُلان جَيِّدًا. فَاسْتَلَّهُ الآخَر. فَقَال: أَجَل وَالله إِنَّهُ لجَيِّد، لقَدْ جَرَّبْت مِنْهُ ثُمَّ جَرَّبْت. فَقَال أَبُو بَصِير: أَرِنِي أَنْظُر إِليْهِ. فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَر حَتَّى أَتَى المَدِينَة، فَدَخَل المَسْجِد يَعْدُو، فَقَال رَسُول الله ﷺ

حِين رَآهُ: «**لقدْ رَأى هَذا ذُعْرًا**». فَلَمَّا انْتَهَى إِلى النَّبِيّ ﷺ، قَال: قُتِل وَالله صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُول. فَجَاءَ أَبُو بَصِير فَقَال: يَا رَسُول الله؛ قَدْ وَالله أَوْفَى الله ذِمَّتك، قَدْ رَدَدْتنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ نَجَّانِي الله مِنْهُمْ. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَر حَرْبٍ! لوْ كَانَ له أَحَد**». فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ، قَال: وَتَفَلَّتَ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَل ابْن سُهَيْل، فَلحِقَ بِأَبِي بَصِير، فَجَعَل لا يَخْرُج مِنْ قُرَيْش رَجُل قَدْ أَسْلمَ إِلَّا لحِقَ بِأَبِي بَصِير، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَة، فَوَالله مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لقُرَيْشٍ إِلى الشَّام إِلَّا اعْتَرَضُوا لها فَقَتَلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالهمْ. فَأَرْسَلتْ قُرَيْش إِلى النَّبِيّ ﷺ تُنَاشِدُهُ الله وَالرَّحِم لمَّا أَرْسَل إِلَيْهِمْ: «فَمَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ». فَأَرْسَل النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهِمْ وَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ حَتَّى بَلغَ ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، وَكَانَتْ حَمِيَّتهمْ أَنَّهُمْ لمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ رَسُول الله، وَلمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، وَحَالُوا بَيْنهمْ وَبَيْن البَيْت.

هَكَذَا سَاقَهُ البُخَارِيّ هَهُنَا، وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّفْسِير. وَفِي عُمْرَة الحُدَيْبِيَة، وَفِي الحَجّ، وَغَيْر ذَلكَ مِنْ حَدِيث مَعْمَر وَسُفْيَان بن عُيَيْنَةَ، كليهما عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ. وَوَقَعَ فِي بَعْض الأَمَاكِن عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عن مَرْوَان وَالمِسْوَر، عَنْ رِجَال مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ بِذَلكَ. وَهَذَا أَشْبَهُ، والله أَعْلم. وَلمْ يَسُقْهُ أَبْسَطَ مِنْ هَهُنَا، وَبَيْنه وَبَيْن سِيَاق ابْن إِسْحَاق تَبَايُن فِي مَوَاضِع، وَهُنَاكَ فَوَائِد يَنْبَغِي إِضَافَتهَا إِلى مَا هاهُنَا، وَلذَلكَ سُقْنَا تِلكَ الرِّوَايَة وَهَذِهِ، والله المُسْتَعَان وَعَليْهِ التُّكْلان، وَلا حَوْل وَلا قُوَّة إِلَّا بِالله العَزِيز الحَكِيم.

وَقَال البُخَارِيّ فِي التَّفْسِير: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِسْحَاق السُّلمِيّ، حَدَّثَنَا يَعْلى، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيز بْن سِيَاهٍ، عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت؛ قَال: أَتَيْت أَبَا وَائِل أَسْأَلُهُ فَقَال: كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَال رَجُل: أَلمْ تَرَ إِلى الَّذِين يُدْعَوْنَ إِلى كِتَاب الله؟ فَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﵁: نَعَمْ. فَقَال سهيل بْن حُنَيْف: اتَّهِمُوا أَنْفُسكُمْ، فَلقَدْ رَأَيْتنَا يَوْم الحُدَيْبِيَة -يَعْنِي الصُّلح الَّذِي كَانَ بَيْن النَّبِيّ ﷺ وَالمُشْرِكِينَ- وَلوْ نَرَى قِتَالًا لقَاتَلنَا، فَجَاءَ عُمَر ﵁، فَقَال: أَلسْنَا عَلى الحَقّ وَهُمْ عَلى البَاطِل؟ أَليْسَ قَتْلانَا فِي الجَنَّة وَقَتْلاهُمْ فِي النَّار؟ فَقَال: «**بَلى**». قَال: فَفِيم نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِع وَلمَّا يَحْكُم الله بَيْننَا؟ فَقَال ﷺ: «**يَا بن الخَطَّاب؛ إِنِّي رَسُول الله، وَلنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا**». فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا، فَلمْ يَصْبِر حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْر ﵁ فَقَال: يَا أَبَا بَكْر؛ أَلسْنَا عَلى الحَقّ وَهُمْ عَلى البَاطِل؟ فَقَال: يَا بن الخَطَّاب؛ إِنَّهُ رَسُول الله، وَلنْ يُضَيِّعهُ الله أَبَدًا. فَنَزَلتْ سُورَة الفَتْح. وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ أَيْضًا فِي مَوَاضِع أُخَر، وَمُسْلم وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق أُخَر عَنْ أَبِي وَائِل سُفْيَان بْن سَلمَة، عَنْ سهيل بْن حُنَيْف بِهِ. وَفِي بَعْض أَلفَاظه: يَا أَيُّهَا النَّاس؛ اتَّهِمُوا الرَّأْي، فَلقَدْ رَأَيْتنِي يَوْم أَبِي جَنْدَل، وَلوْ أَقْدِر عَلى أَنْ أَرُدّ عَلى رَسُول الله ﷺ أَمْره لرَدَدْته. وَفِي رِوَايَة: فَنَزَلتْ سُورَة الفَتْح، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ عُمَر بْن الخَطَّاب ﵁، فَقَرَأَهَا عَليْهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس ﵁: أَنَّ قُرَيْشًا صَالحُوا النَّبِيّ ﷺ وَفِيهِمْ سُهَيْل بْن عَمْرو، فَقَال النَّبِيّ ﷺ لعَلِيٍّ ﵁: «**اكْتُبْ: بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم**». فَقَال سُهَيْل: لا نَدْرِي مَا بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، وَلكِنْ اكْتُبْ مَا نعرف: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. فَقَال ﷺ: «**اكْتُبْ: مِنْ مُحَمَّد رَسُول الله**». قَال: لوْ نَعْلم أَنَّك رَسُول الله لاتَّبَعْنَاك، وَلكِنْ اكْتُبْ اسْمك وَاسْم أَبِيك. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**اكْتُبْ: مِنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله**». وَاشْتَرَطُوا عَلى النَّبِيّ ﷺ أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لا نَرُدّهُ عَليْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَليْنَا. فَقَال: يَا رَسُول الله؛ أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَال: ﷺ: «**نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِليْهِمْ فَأَبْعَدَهُ الله**».

رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلمَة بِهِ.

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، عَنْ عِكْرِمَة بْن عَمَّار قَال: حَدَّثَنِي سِمَاك، عَنْ عَبْد الله بْن

عبَّاس رضي الله عنهما قَال: لـمَّا خَرَجَتْ الحَرُورِيَّة اعْتَزَلُوا، فَقُلت لَهُمْ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ يَوْم الحُدَيْبِيَة صَالح المُشْرِكِينَ، فَقَال لعَلِيٍّ: «**اكْتُبْ يَا عَلِيّ؛ هَذَا مَا صَالحَ عَلَيْهِ مُحَمَّد رَسُول الله**». قَالُوا: لوْ نَعْلم أَنَّك رَسُول الله مَا قَاتَلْنَاك. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**امْحُ يَا عَلِيّ؛ اللَّهُمَّ إِنَّك تَعلم أَنِّي رَسُولُك، امْحُ يَا عَلِيّ، وَاكْتُبْ: هَذَا مَا صَالحَ عَلَيْهِ مُحَمَّد بْن عَبْد الله**». وَالله لرَسُولُ الله خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ محَا نَفْسه، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوه ذَلكَ يمحاه مِنْ النُّبُوَّة، أَخرَجْت مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.[1] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث عِكْرِمَة بْن عَمَّار اليَامِيّ، بِنَحْوِهِ.

وَرَوَى الإِمَام أَحْمَد، عَنْ يَحْيَى بْن آدَم حدثنا [زُهَيْر بْن حَرْب][2] عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلى، عَنْ الحَكَم، عَنْ مِقْسَم، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما ؛ قَال: نَحَرَ رَسُول الله ﷺ يَوْم الحُدَيْبِيَة سَبْعِينَ بَدَنَة فِيهَا جَمَلٌ لأَبِي جَهْل، فَلَمَّا صُدَّتْ عَنْ البَيْت حَنَّتْ كَمَا تَحِنّ إِلى أَوْلادهَا.[3]

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

كَانَ رَسُول الله ﷺ قَدْ أُرِيَ فِي المَنَام أَنَّهُ دَخَل مَكَّة وَطَافَ بِالبَيْتِ، فَأَخْبَرَ أَصْحَابه بِذَلك وَهُوَ بِالمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَام الحُدَيْبِيَة لمْ يَشُكَّ جَمَاعَة مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَتَفَسَّرُ هَذَا العَام، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّة الصُّلح، وَرَجَعُوا عَامهمْ ذَلكَ عَلى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِل، وَقَعَ فِي نفوس بَعْض الصَّحَابَة رضي الله عنهم مِنْ ذَلكَ شَيْء، حَتَّى سَأَل عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه فِي ذَلكَ، فَقَال لهُ فِيمَا قَال: أَفَلمْ تَكُنْ تُخْبِرنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْت وَنَطُوف بِهِ؟ قَال: «**بَلى، أَفَأَخْبَرْتُك أَنَّك تَأْتِيه عَامَك هَذَا؟**». قَال: لا، قَال: «**فَإِنَّك آتِيه وَمُطَوِّف بِهِ**». وَبِهَذَا أَجَابَ الصِّدِّيق رضي الله عنه أَيْضًا حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ. وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هَذَا لتَحْقِيقِ الخَبَر وَتَوْكِيده، وَليْسَ هَذَا مِنْ الاسْتِثْنَاء فِي شَيْء. [﴿ءَامِنِينَ﴾ أَيْ: فِي حَال دُخُولكُمْ][4]. وَقَوْله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ حَالٌ مُقَدَّرَة، لأَنَّهُمْ فِي حَال حرمهم لمْ يَكُونُوا مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا فِي ثَانِي الحَال، كَانَ مِنْهُمْ مَنْ حلقَ رَأْسَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَصَّرَهُ. وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**رَحِمَ الله المُحَلِّقِينَ**». قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ : «**رَحِمَ الله المُحَلِّقِينَ**». قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ : «**رَحِمَ الله المُحَلِّقِينَ**». قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ : «**وَالمُقَصِّرِينَ**». فِي الثَّالثَة أَوْ الرَّابِعَة.[5]

وَقَوْله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ حَال مُؤَكِّدَةٌ فِي المَعْنَى، فَأَثْبَتَ لهُمْ الأَمْن حَال الدُّخُول، وَنَفَى عَنْهُمْ الخَوْف حَال اسْتِقْرَارهمْ فِي البَلد لا يَخَافُونَ مِنْ أَحَد. وَهَذَا كَانَ فِي عُمْرَة القَضَاء فِي ذِي القَعْدَة سَنَة سَبْع، فَإِنَّ النَّبِيّ ﷺ لـمَّا رَجَعَ مِنْ الحُدَيْبِيَة فِي ذِي القَعْدَة رَجَعَ إِلى المَدِينَة، فَأَقَامَ بِهَا ذَا الحَجَّة وَالمُحَرَّم، وَخَرَجَ فِي صَفَر إِلى خَيْبَر فَفَتَحَهَا الله عَليْهِ بَعْضَهَا عَنْوَةً وَبَعْضَهَا صُلحًا، وَهِيَ إِقْليم عَظِيم كَثِير النخيل وَالزُّرُوع، فَاسْتَخْدَمَ مَنْ فِيهَا مِنْ اليَهُود عَليْهَا عَلى الشَّطْر، وَقَسَمَهَا بَيْن أَهْل الحُدَيْبِيَة وَحْدهمْ، وَلمْ يَشْهَدهَا أَحد غَيْرهمْ إِلَّا الَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ الحَبَشَة، جَعْفَر بْن

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٣٤٢).

(٢) في الأزهرية: [ابن نمير].

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٣١٤) بسند ضعيف.

(٤) سقط من الأزهرية.

(٥) صحيح: تقدم.

أَبِي طَالب وَأَصْحَابه، وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيّ وَأَصْحَابه رضي الله عنهم، وَلَمْ يَغِبْ مِنْهُمْ أَحَد، قَال ابْن زَيْد: إِلَّا أَبَا دُجَانَة سِمَاك بْن خَرَشَة، كَمَا هُوَ مُقَرَّر فِي مَوْضِعه، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِينَة. فَلَمَّا كَانَ فِي ذِي القَعْدَة سَنَة سَبْع خَرَجَ ﷺ إِلَى مَكَّة مُعْتَمِرًا هُوَ وَأَهْل الحُدَيْبِيَة، فَأَحْرَمَ مِنْ ذِي الحُلَيْفَة، وَسَاقَ مَعَهُ الهَدْي، قِيل: كَانَ سِتِّينَ بَدَنَة. فَلَبَّى وَسَارَ، وأَصْحَابه يُلَبُّونَ. فَلَمَّا كَانَ ﷺ قَرِيبًا مِنْ مَرِّ الظَّهْرَانِ بَعَثَ مُحَمَّد بْن مسلمة بِالخَيْل وَالسِّلاح أَمَامه، فَلَمَّا رَآهُ المُشْرِكُونَ رُعِبُوا رُعْبًا شَدِيدًا، وَظَنُّوا أَنَّ رَسُول الله ﷺ يَغْزُوهُمْ، وَأَنَّهُ قَدْ نَكَثَ العَهْد الَّذِي بَيْنهمْ وَبَيْنه مِنْ وَضْعِ القِتَال عَشْر سِنِينَ، وذهبوا، فَأَخْبَرُوا أَهْل مَكَّة، فَلَمَّا جَاءَ رَسُول الله ﷺ فَنَزَل بِمَرِّ الظَّهْرَانِ حَيْثُ يَنْظُر إِلَى أَنْصَاب الحَرَم بَعَثَ السِّلاح مِنْ القِسِيّ وَالنَّبْل وَالرِّمَاح إِلَى بَطْن يأجج، وَسَارَ إِلَى مَكَّة بِالسُّيُوفِ مُغْمَدَة فِي قِرَبِهَا، كَمَا شَارَطَهُمْ عَلَيْهِ. فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاء الطَّرِيق بَعَثَتْ قُرَيْش مِكْرَز بْن حَفْص فَقَال: يَا مُحَمَّد، مَا عَرَفْنَاك تَنْقُض العَهْد. فَقَال ﷺ: **«وَمَا ذَاكَ؟»**. قَال: دَخَلت عَلَيْنَا بِالسِّلاحِ وَالقِسِيّ وَالرِّمَاح. فَقَال ﷺ: **«لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، وَقَدْ بَعَثْنَا بِهِ إِلَى يأجج؟»**. فَقَال: بِهَذَا عَرَفْنَاك، بِالبِرِّ وَالوَفَاء. وَخَرَجَتْ رُءُوس الكُفَّار مِنْ مَكَّة؛ لِئَلَّا يَنْظُرُوا إِلَى رَسُول الله ﷺ وَإِلَى أَصْحَابه رضي الله عنهم غَيْظًا وَحَنَقًا. وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْل مَكَّةَ مِنْ الرِّجَال وَالنِّسَاء وَالوِلْدَان، فَجَلَسُوا فِي الطُّرُق وَعَلَى البُيُوت يَنْظُرُونَ إِلَى رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه، فَدَخَلهَا عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام، وَبَيْن يَدَيْهِ أَصْحَابه يُلَبُّونَ، وَالهَدْي قَدْ بَعَثَهُ إِلَى ذِي طُوًى وَهُوَ رَاكِب نَاقَتَهُ القَصْوَاء الَّتِي كَانَ رَاكِبهَا يَوْم الحُدَيْبِيَة، وَعَبْد الله ابْن رَوَاحَة الأَنْصَارِيّ آخِذ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُول الله ﷺ يَقُودهَا، وَهُوَ يَقُول:

بِاسْمِ الَّذِي لا دِينَ إِلاَّ دِينُهُ ۞ بِاسْمِ الَّذِي مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ
خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيله ۞ اليَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ۞ ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ ۞ قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ ۞ بِأَنَّ خَيْرَ القَتْلِ فِي سَبِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

فَهَذَا مَجْمُوع مِنْ رِوَايَات مُتَفَرِّقَة.

قَال يُونُس بْن بُكَيْر، عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر ابْن حَزْم قَال: لَمَّا دَخَل رَسُول الله ﷺ مَكَّة فِي عُمْرَة القَضَاء، دَخَلهَا وَعَبْد الله بْن رَوَاحَة رضي الله عنه آخِذ بِخِطَام نَاقَته ﷺ وَهُوَ يَقُول:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ۞ قَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ القَتْلِ فِي سَبِيلِهِ ۞ يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ۞ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ۞ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أخبرنا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه؛ قَال: لَمَّا دَخَل رَسُول الله ﷺ مَكَّة فِي عُمْرَة القَضَاء، مَشَى عَبْد الله بْن رَوَاحَة رضي الله عنه بَيْن يَدَيْهِ[1]، وَفِي رِوَايَة: وَابْن رَوَاحَة آخِذ بِغَرْزِهِ، وَهُوَ رضي الله عنه يَقُول:

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٢٢).

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ۞ إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ
خَلُّوا فَكُلُّ الخَيْرِ فِي رَسُولِهِ ۞ يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ۞ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ۞ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل -يَعْنِي ابْن زَكَرِيَّا- عَنْ عَبْد الله -يَعْنِي ابْن عُثْمَان- عَنْ أَبِي الطُّفَيْل، عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄: أن رَسُول الله ﷺ لـمَّا نَزَل مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عُمْرَته، بَلَغَ أَصْحَابَ رَسُول الله ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا مَا يَتَبَاعَثُونَ مِنْ العَجَفِ، فَقَال أَصْحَابه: لَوْ انْتَحَرْنَا مِنْ ظَهْرِنَا فَأَكَلنَا مِنْ لحمه، وَحَسَوْنَا مِنْ مَرَقِهِ، أَصْبَحْنَا غَدًا حِين نَدْخُل عَلَى القَوْم وَبِنَا جَمَامَةٌ. قَال ﷺ: «**لا تَفْعَلُوا وَلَكِنْ اجْمَعُوا لي مِنْ أَزْوَادِكُمْ**». فَجَمَعُوا لَهُ وَبَسَطُوا الأَنْطَاعَ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوا، وَحَثَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي جِرَابه.[1] ثُمَّ أَقْبَل رَسُول الله ﷺ حَتَّى دَخَل المَسْجِد وَقَعَدَتْ قُرَيْش نَحْو الحِجْر، فاضطبع ﷺ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَال: «**لا يَرَى القَوْمُ فِيكُمْ غميزة**». فَاسْتَلَمَ الرُّكْن، ثُمَّ رَمَل حَتَّى إِذَا تَغَيَّبَ بِالرُّكْنِ اليَمَانِيِّ مَشَى إِلى الرُّكْن الأَسْوَد فَقَالَتْ قُرَيْش: مَا تَرْضَوْنَ بِالمَشْيِ، أَمَا إِنَّكُمْ لَتَنْقُزُونَ نَقْزَ الظِّبَاء، فَفَعَل ذَلِكَ ثَلاثَة أَشْوَاط، فَكَانَتْ سُنَّة. قَال أَبُو الطُّفَيْل: فَأَخْبَرَنِي ابْن عَبَّاس ﵄: أَنَّ رَسُول الله ﷺ فَعَل ذَلِكَ فِي حَجَّة الوَدَاع. وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا يُونُس، حَدَّثَنَا حَمَّاد ابْن زَيْد، حَدَّثَنَا أَيُّوب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄ قَال: قَدِمَ رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه مَكَّة وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِب، وَلقَوْا مِنْهَا سُوءًا، فَقَال المُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَم عَلَيْكُمْ قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِب وَلقَوْا مِنْهَا شَرًّا. وَجلسَ المُشْرِكُونَ مِنْ النَّاحِيَة الَّتِي تَلِي الحِجْر، فَأَطْلَعَ الله نَبِيَّه ﷺ عَلَى مَا قَالُوا، فَأَمَرَ رَسُول الله ﷺ أَصْحَابه أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاط الثَّلاثَة لِيَرَى المُشْرِكُونَ جَلدَهُمْ، قَال: فَرَمَلُوا ثَلاثَة أَشْوَاط، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْشُوا بَيْن الرُّكْنَيْنِ حَيْثُ لا يَرَاهُمْ المُشْرِكُونَ، وَلمْ يَمْنَع النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاط كُلَّهَا إِلَّا إِبْقَاء عَلَيْهِمْ، فَقَال المُشْرِكُونَ: أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ؟ هَؤُلاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا.[2] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن زَيْد بِهِ. وَفِي لفْظ: قَدِمَ النَّبِيّ ﷺ وَأَصْحَابه ﵃ صَبِيحَة رَابِعَة، أَي: مِنْ ذِي القَعْدَة، فَقَال المُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَم عَلَيْكُمْ وَفْدٌ قَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِب. فَأَمَرَهُمْ النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاط الثَّلاثَة وَلَمْ يمنعهم أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاط كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ.

قَال البُخَارِيّ: وَزَادَ ابْن سَلمَة -يَعْنِي حَمَّاد بْن سَلمَة- عَنْ أَيُّوب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄ قَال: لـمَّا قَدِمَ النَّبِيّ ﷺ لعَامِهِ الَّذِي اسْتَأْمَنَ، قَال: «**ارْمُلُوا**». لِيُرِيَ المُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمْ، وَالمُشْرِكُونَ مِنْ قِبَل قُعَيْقِعَان. وَحَدَّثَنَا مُحَمَّد، حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس ﵄ قَال: إِنَّمَا سَعَى النَّبِيّ ﷺ بِالبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالمَرْوَة، لِيَرَى المُشْرِكُونَ قُوَّته. وَرَوَاهُ فِي مَوَاضِع أُخَر، وَمُسْلم وَالنَّسَائِيّ، مِنْ طُرُق، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ بِهِ. وَقَال أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (١/ ٣٠٥).
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٦٠٢)، ومسلم (١٢٦٦).

أَبِي خَالد سَمِعَ ابْن أَبِي أَوْفَى؛ يَقُول: لـمَّا اعْتَمَرَ رَسُول الله ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلمَان المُشْرِكِينَ، وَمِنْهُمْ؛ أَنْ يُؤْذُوا رَسُول الله ﷺ[1] انْفَرَدَ بِهِ البُخَارِيّ دُون مُسْلم.

وَقَال البُخَارِيّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن رَافِع، حَدَّثَنَا سُرَيج بْن النُّعْمَان، حَدَّثَنَا فُلَيْح /ح/ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن الحُسَيْن بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا فُلَيْح بْن سُلَيْمَان، عَنْ نَافِع عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَحَال كُفَّار قُرَيْش بَيْنه وَبَيْن البَيْت، فَنَحَرَ هَدْيَهُ وَحَلقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلى أَنْ يَعْتَمِر العَام المُقْبِل، وَلا يَحْمِل سِلاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا، وَلا يُقِيم بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا. فَاعْتَمَرَ ﷺ مِنْ العَام المُقْبِل، فَدَخَلهَا كَمَا كَانَ صَالحَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقام بِهَا ثَلاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُج، فَخَرَجَ ﷺ.[2] وَهُوَ فِي «صَحِيح مُسْلم» أَيْضًا.

وَقَال البُخَارِيّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ البَرَاء رضي الله عنه قَال: اعْتَمَرَ النَّبِيّ ﷺ فِي ذِي القَعْدَة، فَأَبَى أَهْل مَكَّة أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُل مَكَّة حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلى أَنْ يقيم بِهَا ثَلاثَة أَيَّام، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَاب كَتَبُوا: هَذَا مَا قاضانا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله». قَالُوا: لا نُقِرّ بِهَذَا، وَلوْ نَعْلم أَنَّك رَسُول الله مَا مَنَعْنَاك شَيْئًا، وَلكِنْ أنت مُحَمَّد بْن عَبْد الله، قَال ﷺ: **«أَنَا رَسُول الله، وَأَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله»**. ثُمَّ قَال ﷺ لعَلِيّ ابْن أَبِي طَالب رضي الله عنه: **«امْحُ رَسُول الله»**. قَال رضي الله عنه: لا، وَالله لا أَمْحُوك أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُول الله ﷺ الكِتَاب وَليْسَ يُحْسِنُ يَكْتُب، فَكَتَبَ: **«هَذَا مَا قَاضَى عَليْهِ مُحَمَّد بْن عَبْد الله: لا يَدْخُل مَكَّة بالسِّلاحِ إلاَّ السيف فِي القِرَاب، وَأَنْ لا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلهَا بِأَحَدٍ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لا يَمْنَع مِنْ أَصْحَابه أَحَدًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيم بِهَا»**. فَلَمَّا دَخَلهَا وَمَضَى الأَجَل، أَتَوْا عَليًّا فَقَالُوا: قُل لصَاحِبك: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ. فَخَرَجَ النَّبِيّ ﷺ فَتَبِعَتْهُ ابْنَة حَمْزَة رضي الله عنه تُنَادِي: يَا عَمِّ يَا عَمِّ. فَتَنَاوَلهَا عَلِيٌّ رضي الله عنه فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَال لفَاطِمَةَ رضي الله عنها: دُونَك ابْنَة عَمِّك. فَحَمَلتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيّ وَزَيْد وَجَعْفَر رضي الله عنهم، فَقَال عَلِيّ رضي الله عنه: أَنَا أَخَذْتهَا وَهِيَ ابْنَة عَمِّي. وَقَال جَعْفَر رضي الله عنه: ابْنَة عَمِّي وَخَالتهَا تَحْتِي. وَقَال زَيْد رضي الله عنه: ابْنَة أَخِي. فَقَضَى بِهَا النَّبِيّ ﷺ لخَالتِهَا، وَقَال: **«الخَالةُ بِمَنْزِلةِ الأُمّ»**. وَقَال لعَلِيٍّ رضي الله عنه: **«أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْك»**. وَقَال لجَعْفَرٍ رضي الله عنه: **«أَشْبَهْت خَلقِي وَخُلُقِي»**، وَقَال لزَيْدٍ رضي الله عنه: **«أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلانَا»**. قَال عَلِيّ رضي الله عنه: أَلا تَتَزَوَّج ابْنَة حَمْزَة رضي الله عنه؟ قَال ﷺ: **«إِنَّهَا ابْنَة أَخِي مِنْ الرَّضَاعَة»**[3]. انفرد بِهِ من هَذَا الوَجْه.

وَقَوْله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أَيْ: فَعَلمَ الله تعالى مِنْ الخِيَرَة وَالمَصْلحَة فِي صَرْفكُمْ عَنْ مَكَّة وَدُخُولكُمْ إِليْهَا عَامكُمْ ذَلكَ مَا لمْ تعلموه أَنْتُمْ، ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: قِبَل دُخُولكُمْ الَّذِي وُعِدْتُمْ بِهِ فِي رُؤْيَا النَّبِيّ ﷺ فَتْحًا قَرِيبًا، وَهُوَ الصُّلح الَّذِي كَانَ بَيْنكُمْ وَبَيْن أَعْدَائِكُمْ مِنْ المُشْرِكِينَ.

ثُمَّ قَال تَعَالى مُبَشِّرًا للمُؤْمِنِينَ بِنُصْرَةِ الرَّسُول ﷺ عَلى عَدُوِّهُ وَعَلى سَائِر أَهْل الأَرْض: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أَيْ: بِالعِلمِ النَّافِع وَالعَمَل الصَّالح، فَإِنَّ الشَّرِيعَة تَشْتَمِل عَلى شَيْئَيْنِ: عِلم وَعَمَل، فَالعِلمُ الشَّرْعِيُّ صَحِيحٌ، وَالعَمَلُ الشَّرْعِيُّ مَقْبُولٌ، فَإِخْبَارَاتهَا حَقّ وَإِنْشَاءَاتهَا عَدْل، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٥٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٧١)، ومسلم (١٢٢٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٥١).

أيْ: على أَهْل جَمِيع الأَدْيَان مِنْ سَائِر أَهْل الأَرْض، مِنْ عَرَب وَعَجَم، ومِلِّيين وَمُشْرِكِينَ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أيْ: أَنَّهُ رَسُوله، وَهُوَ نَاصِره.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ مُحَمَّد ﷺ أَنَّهُ رَسُوله حَقًّا بِلا شَكٍّ وَلا رَيْب، فَقَال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ وَهَذَا مُبْتَدَأ وَخَبَر، وَهُوَ مُشْتَمِل عَلى كُلّ وَصْفٍ جَمِيلٍ. ثُمَّ ثَنَّى بِالثَّنَاءِ عَلى أَصْحَابه رضي الله عنهم، فَقَال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾، كَمَا قَال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وَهَذِهِ صِفَة المُؤْمِنِينَ: أَنْ يَكُون أَحَدهمْ شَدِيدًا عَنِيفًا عَلى الكُفَّار، رَحِيمًا بَرًّا بِالأَخْيَار، غَضُوبًا عَبُوسًا فِي وَجْه الكَافِر، ضَحُوكًا بَشُوشًا فِي وَجْه أَخِيهِ المُؤْمِن، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ﴾. وَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«مَثَل المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَل الجَسَد الوَاحِد إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِر الجَسَد بِالحُمَّى وَالسَّهَر»**. وَقَال ﷺ: **«المُؤْمِن لِلمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدّ بَعْضه بَعْضًا»**. وَشَبَّكَ ﷺ بَيْن أَصَابِعه. كِلا الحَدِيثَيْنِ فِي الصَّحِيح. وَقَوْله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾، وَصَفَهُمْ بِكَثْرَةِ العَمَل وَكَثْرَة الصَّلاة، وَهِيَ خَيْر الأَعْمَال، وَوَصَفَهُمْ بِالإِخْلاصِ فِيهَا لله عز وجل وَالاحْتِسَاب عِنْد الله جَزِيل الثَّوَاب، وَهُوَ الجَنَّة المُشْتَمِلة عَلى فَضْل الله، وَهُوَ سَعَة الرِّزْق عَلَيْهِمْ، وَرِضَاهُ تَعَالى عَنْهُمْ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ الأَوَّل، كَمَا قَال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾. وَقَوْله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ يَعْنِي: السَّمْت الحَسَن. وَقَال مُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد: يَعْنِي الخُشُوع وَالتَّوَاضُع. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ، حَدَّثَنَا حُسَيْن الجُعْفِيّ، عَنْ زَائِدَة، عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ قَال: الخُشُوع. قُلت: مَا كُنْت أَرَاهُ إِلَّا هَذَا الأَثَر فِي الوَجْه. فَقَال: رُبَّمَا كَانَ بَيْن عَيْنَيْ مَنْ هُوَ أَقْسَى قَلبًا مِنْ فِرْعَوْن. وَقَال السُّدِّيّ: الصَّلاةُ تُحْسِن وُجُوههمْ.

وَقَال بَعْض السَّلف: مَنْ كَثُرَتْ صَلاته بِاللَّيْل حَسُنَ وَجْهه بِالنَّهَارِ. وَقَدْ أَسْنَدَهُ ابْن مَاجَهْ فِي «سُنَنه»، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن مُحَمَّد الطَّلْحي، عَنْ ثَابِت بْن مُوسَى، عَنْ شَرِيك، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي سُفْيَان، عَنْ جَابِر رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ كَثُرَتْ صَلاته بِاللَّيْل حَسُنَ وَجْهه بِالنَّهَارِ»**[1]. وَالصَّحِيح أَنَّهُ مَوْقُوف. وَقَال بَعْضهمْ: إِنَّ لِلحَسَنَةِ نُورًا فِي القَلب، وَضِيَاء فِي الوَجْه، وَسَعَة فِي الرِّزْق، وَمَحَبَّة فِي قُلُوب النَّاس.

وَقَال أَمِير المُؤْمِنِينَ عُثْمَان رضي الله عنه: مَا أَسَرَّ أَحَد سَرِيرَة إِلَّا أَبْدَاهَا الله عَلى صَفَحَات وَجْهه، وَفَلتَات لِسَانه. وَالغَرَض أَنَّ الشَّيْء الكَامِن فِي النَّفْس يَظْهَر عَلى صَفَحَات الوَجْه، فَالمُؤْمِن إِذَا كَانَتْ سَرِيرَته صَحِيحَة مَعَ الله

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣) بسند ضعيف.

أَصْلحَ الله ظَاهِرَهُ للنَّاسِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَصْلحَ سَرِيرَته أَصْلحَ الله عَلانِيَته.
وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثنَا مَحْمُود بْن مُحَمَّد المَرْوَزِيّ، حَدَّثنَا حَامِد بْن آدَم المَرْوَزِيّ، حَدَّثنَا الفَضْل بْن مُوسَى، عَنْ مُحَمَّد بْن عُبَيْد الله العَرْزَمِيّ، عَنْ سَلمَة بْن كُهَيْل، عَنْ جُنْدَب بْن سُفْيَان البَجَلِيّ ﷺ قَال: قَال النَّبِيّ ﷺ : «**مَا أَسَرَّ أَحَد سَرِيرَة إِلاَّ أَلبَسَهُ الله رِدَاءَهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ**»[1]. العَرْزَمِيّ مَتْرُوك.
وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثنَا ابْن لهِيعَة، حَدَّثنَا دَرَّاج، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**لوْ أَنَّ أَحَدكُمْ يَعْمَل فِي صَخْرَة صَمَّاء ليْسَ لهَا بَاب وَلا كَوَّة، لخَرَجَ عَمَلهُ للنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ**»[2]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا حَسَن، حَدَّثنَا زُهَيْر، حَدَّثنَا قَابُوس بْن أَبِي ظَبْيَان؛ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِنَّ الهَدْيَ الصَّالح، وَالسَّمْتَ الصَّالح، وَالاقْتِصَاد جُزْء مِنْ خَمْسَة وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّة**»[3]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْد الله بْن مُحَمَّد النُّفَيْلِيّ، عَنْ زُهَيْر بِهِ.
فَالصَّحَابَة ﷺ خَلصَتْ نِيَّاتهمْ وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَكُلّ مَنْ نَظَرَ إِليْهِمْ أَعْجَبُوهُ فِي سَمْتِهِمْ وَهَدْيِهِمْ.

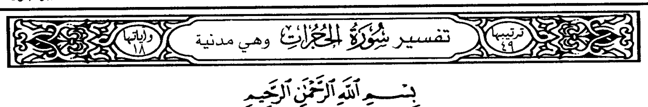
وَقَال مَالك رَحِمَهُ اللهُ : بَلغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَّحَابَة ﷺ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّام يَقُولُونَ: «والله هَؤُلاءِ خَيْرٌ مِنْ الحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلغَنَا». وَصَدَقُوا فِي ذَلكَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّة مُعَظَّمَة فِي الكُتُب المُتَقَدِّمَة، وَأَعْظَمُهَا وَأَفْضَلُهَا أَصْحَابُ رَسُول الله ﷺ ، وَقَدْ نَوَّهَ الله بِذِكْرِهِمْ فِي الكُتُب المُنَزَّلة وَالأَخْبَار المُتَدَاوَلة؛ وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ، ثُمَّ قَال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أَيْ: فِرَاخَهُ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أَيْ: شَدَّهُ، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أَيْ: شَبَّ وَطَال، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أَيْ: فَكَذَلكَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

وَمِنْ هَذِهِ الآيَة انْتَزَعَ الإِمَام مَالكٌ -رحمه الله، فِي رِوَايَة عَنْهُ- بِتَكْفِيرِ الرَّوَافِض الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَة ﷺ ، قَال: لأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَ الصَّحَابَة ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ لهَذِهِ الآيَة. وَوَافَقَهُ طَائِفَة مِنْ العُلمَاء ﷺ عَلى ذَلكَ. وَالأَحَادِيث فِي فضائل الصَّحَابَة ﷺ وَالنَّهْي عَنْ التَّعَرُّض لهم بمسَاءةٍ كَثِيرَة، وَيَكْفِيهِمْ ثَنَاء الله عَليْهِمْ، وَرِضَاهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ قَال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم﴾، (مِنْ) هَذِهِ لبَيَانِ الجِنْس، ﴿مَّغْفِرَةً﴾ أَيْ: لذُنُوبِهِمْ، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أَيْ: ثَوَابًا جَزِيلًا وَرِزْقًا كَرِيمًا، وَوَعْدُ الله حَقٌّ وَصِدْق، لا يُخْلف وَلا يُبَدَّل، وَكُلّ مَنْ اقْتَفَى أَثَر الصَّحَابَة ﷺ فَهُوَ فِي حُكْمهمْ، وَلهُمْ الفَضْل وَالسَّبْق وَالكَمَال الَّذِي لا يَلحَقهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة، رضي الله عنهم وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَل جَنَّات الفِرْدَوْس مَأْوَاهُمْ، وَقَدْ فَعَل. قَال مُسْلم فِي صَحِيحه: حَدَّثنَا يَحْيَى بْن يَحْيَى، حَدَّثنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**».[4]

آخِر تَفْسِير سُورَة الفَتْح، وَلله الحَمْدُ وَالمِنَّةُ

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.
(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٧٧٦)، وأحمد (١/ ٢٩٦).
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

هَذِهِ آداب أَدَّبَ الله بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُعَامِلُونَ بِهِ الرَّسُول ﷺ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالاحْتِرَامِ وَالتَّبْجِيلِ وَالإِعْظَامِ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَيْ: لا تتسرعوا فِي الأَشْيَاء بَيْن يَدَيْهِ، أَيْ: قَبْلَهُ، بَل كُونُوا تَبَعًا له فِي جَمِيع الأُمُور، حَتَّى يَدْخُل فِي عُمُوم هَذَا الأَدَب الشَّرْعِيّ حَدِيثُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، قَال لَهُ النَّبِيّ ﷺ حِين بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَن: «بِمَ تَحْكُمُ؟». قَال: بِكِتَابِ الله. قَال ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَجِد؟». قَال: بِسُنَّةِ رَسُول الله ﷺ. قَال ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَجِد؟». قَال: أَجْتَهِد رَأْيِي. فَضَرَبَ فِي صَدْره، وَقَال: «**الْحَمْد لله الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله لِمَا يُرْضِي رَسُول الله** ﷺ»[1]. وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَد، وَأَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ، وَابْن مَاجَهْ. فَالغَرَض مِنْهُ أَنَّهُ أَخَّرَ رَأْيه وَنَظَرَهُ وَاجْتِهَاده إِلَى مَا بَعْد الكِتَاب وَالسُّنَّة، وَلَوْ قَدَّمَهُ قَبْل الْبَحْث عَنْهُمَا لَكَانَ مِنْ بَاب التَّقْدِيم بَيْن يَدَيْ الله وَرَسُوله. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لا تَقُولُوا خِلاف الكِتَاب وَالسُّنَّة. وَقَال العَوْفِيّ عَنْهُ: نُهُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْن يَدَيْ كَلامه.

وَقَال مُجَاهِد: لا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُول الله ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِي الله عَلَى لِسَانه، وَقَال الضَّحَّاك: لا تَقْضُوا أَمْرًا دُون الله وَرَسُوله فِي شَرَائِع دِينكُمْ. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بِقَوْلٍ وَلا فِعْل. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قَال: لا تَدْعُوا قَبْل الإِمَام. وَقَال قَتَادَة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ أُنْزِل فِي كَذَا وَكَذَا. وكذا لو صنع كَذَا، فَكَرِهَ الله ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ فِيهِ. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَيْ: فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أَيْ: لأَقْوَالكُمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِنِيَّاتِكُمْ.

وَقَوْله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هَذَا أَدَب ثَانٍ أَدَّبَ الله بِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لا يَرْفَعُوا أَصْوَاتهمْ بَيْن يَدَيْ النَّبِيّ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْر وَعُمَر رضي الله عنهما.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَسَرَة بْن صَفْوَان اللَّخْمِيّ، حَدَّثَنَا نَافِع بْن عُمَر، عَنْ ابْن أَبِي مُلَيْكَة؛ قَال: كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْر وَعُمَر رضي الله عنهما رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْد النَّبِيّ ﷺ، حِين قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْب بَنِي تَمِيم، فَأَشَارَ أَحَدهمَا بِالأَقْرَع بْن حَابِس رضي الله عنه أَخِي بَنِي مُجَاشِع، وَأَشَارَ الآخَر بِرَجُلٍ آخَر -قَال نَافِع: لا أَحْفَظ اسْمه- فَقَال أَبُو بَكْر لِعُمَرَ رضي الله عنهما: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلافِي. قَال: مَا أَرَدْتُ خِلافَك. فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتهمَا فِي ذَلِكَ؛ فَأَنْزَل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الآيَة. قَال ابْن الزُّبَيْر رضي الله عنهما: فَمَا كَانَ عُمَر رضي الله عنه يُسْمِعُ رَسُول الله ﷺ بَعْد هَذِهِ الآيَة حَتَّى يَسْتَفْهِمهُ، وَلَمْ يَذْكُر ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ؛ يَعْنِي أَبَا بَكْر رضي الله عنه انْفَرَدَ بِهِ دُون مُسْلم.[2] ثُمَّ قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا الحسن بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا حَجَّاج، عَنْ ابْن جُرَيْج، حَدَّثَنِي ابْن أَبِي مُلَيْكَة؛

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، وأحمد (٥/ ٢٣٠) بسند ضعيف.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٤٥).

أَنَّ عَبْدَ الله بْن الزُّبَيْر ﵄ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْب مِنْ بَنِي تَمِيم عَلى النَّبِيّ ﷺ فَقَال أَبُو بَكْر ﵁: أَمِّرْ القَعْقَاعَ بْن مَعْبَد. وَقَال عُمَر ﵁: بَل أَمِّرْ الأَقْرَع بْن حَابِس. فَقَال أَبُو بَكْر ﵁: مَا أَرَدْت إلى -أو: إِلَّا- خِلَافِي، فَقَال عُمَر ﵁: مَا أَرَدْتُ خِلافَك. فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتهمَا، فَنَزَلتْ فِي ذَلكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حَتَّى انْقَضَتْ الآيَة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ الآيَة. وَهَكَذَا رَوَاهُ هَهُنَا مُنْفَرِدًا بِهِ أَيْضًا. وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا الفَضْل بْن سَهْل، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا حُصَيْن بْن عُمَر، عَنْ مُخَارِق، عَنْ طَارِق بْن شِهَاب، عَنْ أَبِى بَكْر الصِّدِّيق ﵁ قَال: لـمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ قُلت: يَا رَسُول الله، وَالله؛ لا أُكَلِّمك إِلَّا كَأَخِي السِّرَار.[1] حُصَيْن بْن عُمَر هَذَا - وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا- لكِنْ قَدْ رُوِّينَاهُ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف، وَأَبِي هُرَيْرَة ﵄ بِنَحْوِ ذَلكَ، وَالله أَعْلم.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا أَزْهَر بْن سَعْد، أَخْبَرَنَا ابْن عَوْن، أَنْبَأَنِي مُوسَى بْن أَنَس، عَنْ أَنَس بْن مَالك ﵁ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِت بْن قَيْس ﵁: فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله؛ أَنَا أَعْلم لك عِلمه. فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ فِي بَيْته مُنَكِّسًا رَأْسه، فَقَال لهُ: مَا شَأْنك؟ فَقَال: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْته فَوْق صَوْت النَّبِيّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، فَهُوَ مِنْ أَهْل النَّار. فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَال كَذَا وَكَذَا. قَال مُوسَى: فَرَجَعَ إِليْهِ المَرَّة الآخِرَة بِبِشَارَةٍ عَظِيمَة، فَقَال: **«اذْهَبْ إِليْهِ فَقُل لهُ: إِنَّك لسْت مِنْ أَهْل النَّار، وَلكِنَّك مِنْ أَهْل الجَنَّة»**[2]. تَفَرَّدَ بِهِ البُخَارِيّ مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم، حَدَّثَنَا سُليْمَان بْن المُغِيرَة، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس ﵁ قَال: لـمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إلى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وَكَانَ ثَابِت بْن قَيْس بْن الشَّمَّاس رَفِيع الصَّوْت، فَقَال: أَنَا الَّذِي كُنْت أَرْفَعُ صَوْتِي عَلى رَسُول الله ﷺ، حَبِطَ عَمَلِي، [أَنَا مِنْ أَهْل النَّار، وَجَلسَ فِي أَهْله حَزِينًا، فَفَقَدَهُ رَسُول الله ﷺ][3] فَانْطَلقَ بَعْض القَوْم إِليْهِ، فَقَالُوا لهُ: تَفَقَّدَك رَسُولُ الله ﷺ مَا لك؟ قَال: أَنَا الَّذِي أَرْفَعُ صَوْتِي فَوْق صَوْت النَّبِيّ ﷺ وَأَجْهَر لهُ بِالقَوْل، حَبِطَ عَمَلِي، أَنَا مِنْ أَهْل النَّار. فَأَتَوْا النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَال. فَقَال ﷺ: **«لا، بَل هُوَ مِنْ أَهْل الجَنَّة»**. قَال أَنَس ﵁: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْن أَظْهُرِنَا، وَنَحْنُ نَعْلم أَنَّهُ مِنْ أَهْل الجَنَّة. فَلمَّا كَانَ يَوْم اليَمَامَة كَانَ فِينَا بَعْض الانْكِشَاف، فَجَاءَ ثَابِت بْن قَيْس بْن شَمَّاس وَقَدْ تَحَنَّطَ وَلبِسَ كَفَنه، فَقَال: بِئْسَمَا تُعَوِّدُونَ أَقْرَانكُمْ. فَقَاتَلهُمْ حَتَّى قُتِل ﵁.

وَقَال مُسْلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ ثَابِت البُنَانِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك ﵁ قَال: لـمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إِلى آخِر الآيَة جَلسَ ثَابِت ﵁ فِي بَيْته، قَال: أَنَا مِنْ أَهْل النَّار، وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَقَال النَّبِيّ ﷺ، لسَعْدِ بْن مُعَاذ: **«يَا أَبَا عَمْرو، مَا شَأْن ثَابِت، أَشْتَكَى؟»**. فَقَال سَعْد ﵁: إِنَّهُ لجَارِي وَمَا عَلمْت لهُ بِشَكْوَى. قَال: فَأَتَاهُ سَعْد ﵁ فَذَكَرَ لهُ قَوْل رَسُول الله ﷺ فَقَال ثَابِت ﵁: أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلقَدْ عَلمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلى رَسُول الله ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْل النَّار، فَذَكَرَ ذَلكَ سَعْد ﵁ للنَّبِيِّ ﷺ، فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«بَل هُوَ مِنْ أَهْل الجَنَّة»**[4]. ثُمَّ رَوَاهُ مُسْلم عَنْ أَحْمَد بْن سَعِيد الدَّارِمِيّ، عَنْ حَيَّان بْن هِلال عَنْ سُليْمَان بْن المُغِيرَة بِهِ، قَال: وَلمْ

---

(١) ضعيف جدًا : أخرجه البزار (١٥٠٥) بسند ضعيف جدًا.
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٤٦).
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١١٩).

يَذْكُر سَعْد بْن مُعَاذ ﷺ. وَعَنْ قَطَن بْن نُسَيْر عَنْ جَعْفَر بْن سُليمان، عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس ﷺ بِنَحْوِهِ. وَقَال: لَيْسَ فِيهِ ذِكْر سَعْد بْن مُعَاذ ﷺ. حدثنا هُرَيم بْن عَبْد الأَعْلى الأَسَدِيّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بْن سُليمان، سَمِعْت أَبِي يَذْكُر عن ثابت عَنْ أَنَس ﷺ قَال: لَمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة ... واقتص الحَدِيث، وَلمْ يَذْكُر سَعْد بْن مُعَاذ ﷺ، وَزَادَ: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْن أَظْهُرِنَا رَجُل مِنْ أَهْل الجَنَّة.

فَهَذِهِ الطُّرُق الثَّلاث مُعَلَّلة لِرِوَايَةِ حَمَّاد بْن سَلمَة فِيمَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ ذِكْر سَعْد بْن مُعَاذ ﷺ. وَالصَّحِيح أَنَّ حَال نُزُول هَذِهِ الآيَة لمْ يَكُنْ سَعْد بْن مُعَاذ ﷺ مَوْجُودًا، لأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ بَعْد بَنِي قُرَيْظَة بِأَيَّامٍ قَلائِل سَنَة خَمْس، وَهَذِهِ الآيَة نَزَلتْ فِي وَفْد بَنِي تَمِيم، وَالوُفُود إِنَّمَا تَوَاتَرُوا فِي سَنَة تِسْع مِنْ الهِجْرَة، وَالله أَعْلم. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثَنَا أَبُو ثَابِت ابْن ثَابِت بْن قَيْس بْن شَمَّاس، حَدَّثَنِي عَمِّي إِسْمَاعِيل ابْن مُحَمَّد بْن ثَابِت بْن قَيْس بْن شَمَّاس، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَال: لَـمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ قَال: قَعَدَ ثَابِت بْن قَيْس ﷺ فِي الطَّرِيق يَبْكِي، قَال: فَمَرَّ بِهِ عَاصِم بْن عَدِيّ مِنْ بَنِي العَجْلان فَقَال: مَا يُبْكِيك يَا ثَابِت؟ قَال: هَذِهِ الآيَة أَتَخَوَّف أَنْ تَكُون نَزَلتْ فِيَّ، وَأَنَا صَيِّت رَفِيع الصَّوْت. قَال: فَمَضَى عَاصِم بْن عَدِيّ ﷺ إِلى رَسُول الله ﷺ قَال: وَغَلبَهُ البُكَاء، فَأَتَى امْرَأَته جَمِيلة ابْنَة عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول فَقَال لهَا: إِذَا دَخَلت بَيْت فَرَسِي فَشُدِّي عَليَّ الضَّبَّة بِمِسْمَارٍ، فَضَرَبَتْهُ بِمِسْمَارٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَ عَطَفَهُ، وَقَال: لا أَخْرُج حَتَّى يَتَوَفَّانِي الله ﷻ أَوْ يَرْضَى عَنِّي رَسُول الله ﷺ، قَال: وَأَتَى عَاصِم ﷺ رَسُول الله ﷺ، فَأَخْبَرَهُ خَبَره، فَقَال: **«اذْهَبْ فَادْعُهُ لي»**. فَجَاءَ عَاصِم ﷺ إِلى المَكَان فَلمْ يَجِدهُ، فَجَاءَ إِلى أَهْله فَوَجَدَهُ فِي بَيْت الفَرَس، فَقَال لهُ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ يَدْعُوك. فَقَال: اكْسِرْ الضَّبَّة. قَال: فَخَرَجَا، فَأَتَيَا النَّبِيّ ﷺ، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: **«مَا يُبْكِيك يَا ثَابِت؟»**. فَقَال ﷺ: أَنَا صَيِّت وَأَتَخَوَّف أَنْ تَكُون هَذِهِ الآيَة نَزَلتْ فِيَّ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾، فَقَال لهُ النَّبِيّ ﷺ: **«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيش حَمِيدًا، وَتُقْتَل شَهِيدًا، وَتَدْخُل الجَنَّة؟»**. فَقَال: رَضِيت بِبُشْرَى الله وَرَسُوله ﷺ، وَلا أَرْفَع صَوْتِي أَبَدًا عَلى صَوْت رَسُول الله ﷺ. قَال: وَأَنْزَل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآيَة.[١]

وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ القِصَّةَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ التَّابِعِينَ كَذَلكَ، فَقَدْ نَهَى الله ﷻ عَنْ رَفْع الأَصْوَات بِحَضْرَةِ رَسُول الله ﷺ، وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ صَوْت رَجُليْنِ فِي مَسْجِد رسول الله ﷺ قَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتهمَا، فَجَاءَ فَقَال: أَتَدْرِيَانِ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ ثُمَّ قَال: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالا: مِنْ أَهْل الطَّائِف. فَقَال: لوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْل المَدِينَة لأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا. وَقَال العُلمَاء: يُكْرَه رَفْع الصَّوْت عِنْد قَبْره، كَمَا كَانَ يُكْرَه فِي حَيَاته، لأَنَّهُ مُحْتَرَم حَيًّا وَفِي قَبْره -صلوات الله وسلامه عليه- دَائِمًا. ثُمَّ نَهَى عَنْ الجَهْر لهُ بِالقَوْل كَمَا يَجْهَر الرَّجُل لمُخَاطِبِهِ مِمَّنْ عَدَاهُ، بَل يُخَاطَب بِسَكِينَةٍ وَوَقَار وَتَعْظِيم؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ كَمَا قَال: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾. وَقَوْله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ رَفْع الصَّوْت عِنْده خَشْيَة أَنْ يَغْضَب مِنْ ذَلكَ، فَيَغْضَب الله لغَضَبِهِ، فَيُحْبِط الله عَمَل مَنْ أَغْضَبَهُ وَهُوَ لا يَدْرِي، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح: **«إِنَّ الرَّجُل ليَتَكَلَّم بِالكَلمَةِ مِنْ رِضْوَان الله لا يُلقِي لهَا بَالاً يُكْتَب لهُ بهَا الجَنَّة، وَإِنَّ الرَّجُل ليَتَكَلَّم بِالكَلمَةِ مِنْ سَخَط الله لا يُلقِي لهَا بَالاً، يَهْوِي بهَا فِي النَّار أَبْعَدَ مَا بَيْن السموات وَالأَرْض»**[٢]. ثُمَّ نَدَبَ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١١٨) بسند ضعيف.

(٢) **صحيح**: تقـدم.

الله ﷻ إلى خفضِ الصَّوْتِ عِنْده، وَحَثَّ عَلى ذَلكَ وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، فَقَال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أَيْ: أَخْلصَهَا لَهَا وَجعَلهَا أَهْلًا وَمَحَلًّا، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. وَقَدْ قَالَ الإِمَام أَحْمَد فِي كِتَاب «الزُّهْد»: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد قَال: كُتِبَ إِلى عُمَرَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، رَجُلٌ لا يَشْتَهِي المَعْصِيَةَ وَلا يَعْمَلُ بِهَا أَفْضَلُ، أَمْ رَجُلٌ يَشْتَهِي المَعْصِيَةَ وَلا يَعْمَلُ بِهَا؟ فَكَتَبَ عُمَر ﵁: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَهُونَ المَعْصِيَة وَلا يَعْمَلُونَ بِهَا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعالى ذَمَّ الَّذِينَ يُنَادُونَهُ مِنْ وَرَاء الحُجُرَات، وَهِيَ بُيُوت نِسَائِهِ، كَمَا يَصْنَع أَجْلاف الأَعْرَاب، فَقَال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. ثُمَّ أَرْشَدَ إِلى الأَدَب فِي ذَلكَ، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، أي: لكان لهم في ذلك الخيرَةُ والمصلحة في الدنيا والآخرة. ثم قال داعيًا لهم إلى التوبة والإنابة: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهَا نَزَلتْ فِي الأَقْرَع بْن حَابِس التَّمِيمِيّ ﵁ فِيمَا أَوْرَدَهُ غَيْر وَاحِد، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا وُهَيْب، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُقْبَة، عَنْ أَبِي سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ الأَقْرَع بْن حَابِس ﵁؛ أَنَّهُ نَادَى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا مُحَمَّد؛ يَا مُحَمَّد -وَفِي رِوَايَة: يَا رَسُول الله-؛ فَلمْ يُجِبْهُ. فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنَّ حَمْدِي لزَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي لشَيْنٌ، فَقَال: «**ذَاكَ الله عَزَّ وَجَلَّ**»[1]. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو عَمَّار الحُسَيْن بْن حُرَيْث المَرْوَزِيّ، حَدَّثَنَا الفَضْل بْن مُوسَى، عَنْ الحُسَيْن بْن وَاقِد، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ البَرَاء فِي قَوْله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قَال: جَاءَ رَجُل إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا مُحَمَّد؛ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْن. فَقَال ﷺ: «**ذَاكَ الله عَزَّ وَجَلَّ**». وَهَكَذَا ذَكَرَهُ الحَسَن البَصْرِيّ، وَقَتَادَة مُرْسَلًا.

وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ حَبِيب بْن أَبِي عَمْرَة؛ قَال: كَانَ بِشْر بْن غَالب وَلبِيد بْن عُطَارِد -أَوْ بِشْر بْن عُطَارِد وَلبِيد بْن غَالب- وَهُمَا عِنْد الحَجَّاج جَالسَانِ، فَقَال بِشْر بْن غَالب للبِيد بْن عُطَارِد: نَزَلتْ فِي قَوْمك بَنِي تَمِيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قَال: فَذَكَرْت ذَلكَ لسَعِيد بْن جُبَيْر، فَقَال: أَمَا إِنَّهُ لوْ عَلمَ بِآخِرِ الآيَة أَجَابَهُ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ قَالُوا: أَسْلمْنَا، وَلمْ يُقَاتِلك بَنُو أَسَد.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَليّ البَاهِليّ، حَدَّثَنَا المُعْتَمِر بْن سُليْمَان سَمِعْت دَاوُدَ الطفاوي يُحَدِّث عَنْ أَبِي مُسْلم البَجَليّ، عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم ﵁ قَال: اجْتَمَعَ أُنَاس مِنْ العَرَب فَقَالُوا: انْطَلقُوا بِنَا إِلى هَذَا الرَّجُل، فَإِنْ يَكُ نَبِيًّا، فَنَحْنُ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ يَكُ مَلكًا نَعِشْ بِجَنَاحِهِ. قَال: فَأَتَيْت رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرْته بِمَا قَالُوا: فَجَاءُوا إِلى حجرته ﷺ، فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُوَ فِي حُجْرَته: يَا مُحَمَّد؛ يَا مُحَمَّد؛ فَأَنْزَل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قَال: فَأَخَذَ رَسُول الله ﷺ بِأُذُنِي فَمَدَّهَا فَجَعَل يَقُولُ: «**لقَدْ صَدَّقَ الله قَوْلك يَا زَيْدُ، لقَدْ صَدَّقَ الله قَوْلك يَا زَيْد**»[2]. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ الحَسَن بْن عَرَفَة، عَنْ المُعْتَمِر بْن سُليْمَان، بِهِ.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٦٣).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٦/ ١٢١) بسند ضعيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

يَأْمُر تَعَالى بِالتَّثَبُّتِ فِي خَبَرَ الفَاسِق لِيُحْتَاطَ لَهُ، لِئَلَّا يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ، فَيَكُون -فِي نَفْس الأَمْر- كَاذِبًا أَوْ مُخْطِئًا، فَيَكُون الحَاكِم بِقَوْلِهِ قَدْ اقْتَفَى وَرَاءَهُ. وَقَدْ نَهَى الله عَنْ اتِّبَاع سَبِيل المُفْسِدِينَ، وَمِنْ ههنا امْتَنَعَ طَوَائِف مِنَ العُلَمَاء مِنْ قَبُول رِوَايَة مَجْهُول الحَال لاحْتِمَال فِسْقه فِي نَفْس الأَمْر، وَقَبِلَهَا آخَرُونَ لأَنَّا إِنَّمَا أُمِرْنَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْد خَبَر الفَاسِق، وَهَذَا لَيْسَ بِمُحَقَّقِ الفِسْق؛ لأَنَّهُ مَجْهُول الحَال. وَقَدْ قَرَّرْنَا هَذِهِ المَسْأَلَة فِي كِتَاب العِلم مِنْ شَرْح البُخَارِيّ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَدْ ذَكَرَ كَثِير مِنَ المُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الآيَة نَزَلَتْ فِي الوَلِيد بْن عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط، حِين بَعَثَهُ رَسُول الله ﷺ عَلَى صَدَقَات بَنِي المُصْطَلق. وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ طُرُق، وَمِنْ أَحْسَنِهَا مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي «مُسْنَده» مِنْ رِوَايَة مَلك بَنِي المُصْطَلق؛ وَهُوَ الحَارِث بْن ضِرَار وَالد جُوَيْرِيَة بِنْت الحَارِث أُمّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَابِق، حَدَّثَنَا عِيسَى بْن دِينَار، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ الحَارِث بْن ضِرَار الخُزَاعِيّ رضي الله عنه يَقُول: قَدِمْت عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَدَعَانِي إِلَى الإِسْلام، فَدَخَلت فِيهِ وَأَقْرَرْت بِهِ. وَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاة فَأَقْرَرْت بِهَا، وَقُلت: يَا رَسُول الله؛ أَرْجِع إِلَيْهِمْ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلام وَأَدَاء الزَّكَاة، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْت زَكَاته. ويرسل إِلَيَّ رَسُول الله رَسُولًا إِبَّان كَذَا وَكَذَا؛ لِيَأْتِيَك مَا جَمَعْت مِنْ الزَّكَاة. فَلَمَّا جَمَعَ الحَارِث الزَّكَاة مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ، وَبَلَغَ الإِبَّان الَّذِي أَرَادَ رَسُول الله ﷺ أَنْ يَبْعَث إِلَيْهِ، احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُول وَلَمْ يَأْتِهِ، فظن الحَارِث أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخْطَةٌ مِنْ الله وَرَسُوله، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ، فَقَال لَهُمْ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُوله لِيَقْبِض مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ الزَّكَاة، وَلَيْسَ مِنْ رَسُول الله ﷺ الخُلْفُ، وَلا أَرَى حَبْس رَسُوله إِلَّا مِنْ سَخْطَة كانت، فَانْطَلِقُوا فنأتي رَسُول الله ﷺ، وَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ الوَلِيد بْن عُقْبَة إِلَى الحَارِث لِيَقْبِض مَا كَانَ عِنْده مِمَّا جَمَعَ مِنْ الزَّكَاة، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الوَلِيد حَتَّى بَلَغَ بَعْض الطَّرِيق فَرِقَ -أَيْ خَافَ-، فَرَجَعَ فأتى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنَّ الحَارِث مَنَعَنِي الزَّكَاة وَأَرَادَ قَتْلِي. فضرب رَسُول الله ﷺ البَعْث إِلَى الحَارِث رضي الله عنه، وَأَقْبَل الحَارِث بِأَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَقْبَل البَعْث وَفَصَل عَنْ المَدِينَة لَقِيَهُمْ الحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الحَارِثُ. فَلَمَّا غَشِيَهُمْ قَال لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْك. قَال: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُول الله ﷺ كان بَعَثَ إِلَيْك الوَلِيد بْن عُقْبَة، فَزَعَمَ أَنَّك مَنَعْته الزَّكَاة وَأَرَدْت قَتْله. قَال رضي الله عنه: لا. وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ مَا رَأَيْته بَتَّةً وَلا أَتَانِي. فَلَمَّا دَخَل الحَارِث عَلَى رَسُول الله ﷺ قَال: «**مَنَعْت الزَّكَاة وَأَرَدْت قَتْل رَسُولِي؟**». قَال: لا. وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا رَأَيْته وَلا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلت إِلَّا حِين احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رسولِ الله ﷺ، خَشِيت أَنْ يَكُون كَانَتْ سَخْطَة مِنْ الله وَرَسُوله. قَال: فَنَزَلَتْ الحُجُرَات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿حَكِيمٌ﴾[1]. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ المُنْذِر بْن شَاذَان التَّمَّار، عَنْ مُحَمَّد بْن سَابِق بِهِ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن سَابِق، بِهِ، غَيْر أَنَّهُ سَمَّاهُ الحَارِث بْن سِرَار، وَالصَّوَاب: أَنَّهُ الحَارِث بْن ضِرَار، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن عَوْن عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة، عَنْ ثَابِت مَوْلَى أُمّ سَلَمَة، عَنْ أُمّ سَلَمَة رضي الله عنها قَالَتْ: بَعَثَ رَسُول الله ﷺ رَجُلًا فِي صَدَقَات بَنِي المُصْطَلق بَعْد الوَقِيعَة، فَسَمِعَ بِذَلِكَ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩) بسند ضعيف.

القَوْم، فَتلقَّوْهُ يُعظِّمُونَ أَمْر رَسُول الله ﷺ قَالتْ: فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَان أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْله، قَالتْ: فَرَجَعَ إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: إِنَّ بَنِي المُصْطَلق قَدْ مَنَعُونِي صَدَقَاتهِمْ. فَغَضِبَ رَسُول الله ﷺ وَالمُسْلمُونَ، قَالتْ: فَبَلغَ القَوْمَ رُجُوعُهُ، فَأَتَوْا رَسُول الله ﷺ فَصُفُّوا لهُ حِينَ صَلَّى الظُّهْر، فَقَالُوا: نَعُوذ بِالله مِنْ سَخَط الله وَسَخَط رَسُوله، بَعَثْت إِلَيْنَا رَجُلًا مُصَدِّقًا فَسُرِرْنَا بِذَلكَ، وَقَرَّتْ بِهِ أَعْيُنُنَا. ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ مِنْ بَعْضِ الطَّرِيق، فَخَشِينَا أَنْ يَكُون ذَلكَ غَضَبًا مِنْ الله وَمِنْ رَسُوله ﷺ، فَلمْ يَزَالُوا يُكَلِّمُونَهُ حَتَّى جَاءَ بِلال ﷺ فَأَذَّنَ بِصَلاةِ العَصْر. قَالتْ: وَنَزَلتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾.[1] وَرَوَى ابْن جَرِير أَيْضًا مِنْ طَرِيق العَوْفِيّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ بَعَثَ الوَلِيد بْن عُقْبَة ابْن أَبِي مُعَيْط إِلَى بَنِي المُصْطَلق ليَأْخُذ مِنْهُمْ الصَّدَقَات، وإنهم لـمَّا أَتَاهُمْ الخَبَرُ فَرِحُوا وَخَرَجُوا يَتلقَّوْنَ رَسُول رَسُولِ الله ﷺ وَأَنَّهُ لـمَّا حُدِّثَ الوَلِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَتلقَّوْنَهُ، رَجَعَ الوَلِيد إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنَّ بَنِي المُصْطَلق قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ. فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ ذَلكَ غَضَبًا شَدِيدًا، فَبَيْنَا هُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَغْزُوَهُمْ إِذْ أَتَاهُ الوَفْد، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ رَسُولك رَجَعَ مِنْ نِصْف الطَّرِيق، وَإِنَّا خَشِينَا أَنَّمَا رَدَّهُ كِتَاب جَاءَ مِنْك لغَضَبٍ غَضِبْته عَليْنَا، وَإِنَّا نَعُوذ بِالله مِنْ غَضَبه وَغَضَب رَسُوله. وَإِنَّ النَّبِيّ ﷺ اسْتَغَشَّهُمْ وَهَمَّ بِهِمْ، فَأَنْزَل الله عُذْرهمْ فِي الكِتَاب، فَقَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إِلَى آخِر الآيَة.[2] وَقَال مُجَاهِد وَقَتَادَة: أَرْسَل رَسُولُ الله ﷺ الوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي المُصْطَلق ليُصْدِقهُمْ، فَتلقَّوْهُ بِالصَّدَقَةِ، فَرَجَعَ، فَقَال: إِنَّ بَنِي المُصْطَلق قَدْ جَمَعَتْ لك لتُقَاتِلك -زَادَ قَتَادَة: وَإِنَّهُمْ قَدْ ارْتَدُّوا عَنْ الإِسْلام- فَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ خَالد بْن الوَلِيد ﷺ إليهم، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَثَبَّت وَلا يَعْجَل. فَانْطَلقَ حَتَّى أَتَاهُمْ ليْلًا، فَبَعَثَ عُيُونَهُ، فَلَمَّا جَاءُوا أَخْبَرُوا خَالدًا ﷺ أَنَّهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِالإِسْلام، وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلاتهمْ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالد ﷺ فَرَأَى الَّذِي يُعْجِبُهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ الخَبَر، فَأَنْزَل الله تَعَالى هَذِهِ الآيَة. قَال قَتَادَة: فَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**التبيُّن مِنْ الله، وَالعَجَلةُ مِنْ الشَّيْطَان**»[3]. وَكَذَا ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف، مِنْهُمْ: ابْن أَبِي ليْلى، وَيَزِيد بْن رُومَان، وَالضَّحَّاك، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان، وَغَيْرهمْ فِي هَذِهِ الآيَة: أَنَّهَا نَزَلتْ فِي الوَلِيد بْن عُقْبَة، وَالله أَعْلمُ.

وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ أَيْ: اعْلمُوا أَنَّ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَسُول الله فَعَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ، وَتَأَدَّبُوا مَعَهُ، وَانْقَادُوا لأَمْرِهِ، فَإِنَّهُ أَعْلمُ بِمَصَالِحِكُمْ، وَأَشْفَقُ عَليْكُمْ مِنكُمْ، وَرَأْيه فِيكُمْ أَتَمُّ مِنْ رَأْيِكُمْ لأَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾. ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ رَأْيهمْ سَخِيف بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُرَاعَاة مَصَالحهمْ، فَقَال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ أَيْ: لوْ أَطَاعَكُمْ فِي جَمِيع مَا تَخْتَارُونَهُ لأَدَّى ذَلكَ إِلَى عَنَتِكُمْ وَحَرَجكُمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾. وَقَوْله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أَيْ: حَبَّبَهُ إِلَى نُفُوسكُمْ وَحَسَّنَهُ فِي قُلُوبكُمْ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا بَهْز، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مَسْعَدَةَ، حَدَّثَنَا قَتَادَة، عَنْ أَنَس ﷺ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**الإِسْلام عَلانِيَة، وَالإِيمَان فِي القَلب**». قَال: ثُمَّ يُشِير بِيَدِهِ إِلَى صَدْره ثَلاث مَرَّات، ثُمَّ يَقُول: «**التَّقْوَى**

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٢٣) بسند ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢٦/ ١٢٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري (٢٦/ ١٢٤) بسند ضعيف، وحسنه الألباني.

هَهُنَا، التَّقْوَى هَهُنَا»[١]. ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ أَيْ: وَبَغَّضَ إِلَيْكُمْ الكُفْر وَالفُسُوق -وَهِيَ الذُّنُوب الكِبَار-، وَالعِصْيَان، وَهِيَ جَمِيع المَعَاصِي. وَهَذَا تَدْرِيج لِكَمَال النِّعْمَة. وَقَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أَيْ: المُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَة هُمْ الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ قَدْ آتَاهُمْ الله رُشْدَهُمْ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة الفَزَارِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الوَاحِد بْن [أَيْمَنَ][٢] المَكِّيّ، عَنْ أَبِي رِفَاعَة الزُّرَقِيّ، عَنْ أَبِيهِ قَال: لَـمَّا كَانَ يَوْم أُحُد وَانْكَفَأَ المُشْرِكُونَ، قَال رَسُول الله ﷺ: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ». فَصَارُوا خَلفه صُفُوفًا، فَقَال ﷺ: «اللَّهُمَّ، لَك الحَمْد كُلّه. اللَّهُمَّ، لا قَابِض لِمَا بَسَطْت، وَلا بَاسِط لِمَا قَبَضْت، وَلا هَادِي لِمَنْ أَضْلَلت، وَلا مُضِلّ لِمَنْ هَدَيْت، وَلا مُعْطِي لِمَا مَنَعْت، وَلا مَانِع لِمَا أَعْطَيْت، وَلا مُقَرِّب لِمَا بَاعَدْت، وَلا مُبَاعِد لِمَا قَرَّبْت، اللَّهُمَّ؛ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتك وَرَحْمَتك وَفَضْلك وَرِزْقك. اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُك النَّعِيم المُقِيم الَّذِي لا يَحُول وَلا يَزُول، اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُك النَّعِيم يَوْم العَيْلَة، وَالأَمْن يَوْم الخَوْف، اللَّهُمَّ؛ إِنِّي عَائِذ بِك مِنْ شَرّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَمِنْ شَرّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ؛ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَان وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْر وَالفُسُوق وَالعِصْيَان وَاجْعَلنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ؛ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلحِقْنَا بِالصَّالحِينَ غَيْر خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ؛ قَاتِل الكَفَرَة الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلك وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلك، وَاجْعَل عَلَيْهِمْ رِجْزَك وَعَذَابَك، اللَّهُمَّ، قَاتِل الكَفَرَة الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَاب، إِلَه الحَقّ»[٣]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي «اليَوْم وَاللَّيْلَة» عَنْ زِيَاد بْن أَيُّوب، عَنْ مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة، عَنْ عَبْد الوَاحِد بْن أَيْمَنَ، عَنْ عُبَيْد بْن رِفَاعَة، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ. وَفِي الحَدِيث المَرْفُوع: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ؛ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٤]. ثم قَال: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أَيْ: هَذَا العَطَاء الَّذِي مَنَحَكُمُوهُ هُوَ فَضْل مِنْهُ عَلَيْكُمْ وَنِعْمَة مِنْ لَدُنْهُ. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أَيْ: عَلِيم بِمَنْ يَسْتَحِقّ الهِدَايَة مِمَّنْ يَسْتَحِقّ الغَوَايَة، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِه، وَشَرْعه وَقَدَره.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى آمِرًا بِالإِصْلاح بَيْن المسلمين الباغين بَعْضهمْ عَلَى بَعْض: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾، فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ مَعَ الاقْتِتَال، وبِهَذَا اسْتَدَلَّ البُخَارِيّ وَغَيْره عَلَى أَنَّهُ لا يَخْرُج من الإِيمَان بِالمَعْصِيَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ، لا كَمَا يَقُولهُ الخَوَارِج وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ المُعْتَزِلة وَنَحْوهمْ. وَهَكَذَا ثَبَتَ فِي صَحِيح البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث الحَسَن، عَنْ أَبِي بَكْرَة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ خَطَبَ يَوْمًا وَمَعَهُ عَلَى المِنْبَر الحَسَن بْن عَلِيّ رضي الله عنهما، فَجَعَل يَنْظُر إِلَيْهِ مَرَّة وَإِلَى النَّاس أُخْرَى، وَيَقُول: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلعَلَّ الله أَنْ يُصْلِح بِهِ بَيْن فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ المُسْلمِينَ»[٥]. فَكَانَ كَمَا قَال ﷺ، أَصْلحَ الله تَعَالى بِهِ بَيْن أَهْل الشَّام وَأَهْل العِرَاق بَعْد الحُرُوب الطَّوِيلة وَالوَاقِعَات المَهُولة. وَقَوْله: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: حَتَّى تَرْجِع إِلَى أَمْر الله وَتَسْمَع للحَقّ وَتُطِيعهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ أَنَس رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «انْصُرْ أَخَاك ظَالمًا أَوْ مَظْلُومًا». قُلت: يَا رَسُول الله، هَذَا نَصَرْته مَظْلُومًا فَكَيْف أَنْصُرُهُ ظَالمًا؟ قَال ﷺ: «تَمْنَعهُ مِنْ

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥) بسند ضعيف، وضعفه الألباني.
(٢) في الأزهرية: [أنس].
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٦).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

الظُّلم؛ فَذَاكَ نَصرُك إِيَّاهُ». قَال الإمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَارِم، حَدَّثَنَا مُعْتَمِر؛ قَال: سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث أَنَّ أَنَسًا ﷺ قَال: قِيل للنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْت عَبْد الله بْن أُبَيّ؟ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا، وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ، وَهِيَ أَرْض سَبِخَة، فَلَمَّا انْطَلَقَ النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهِ قَال: إِلَيْك عَنِّي، فَوَالله لَقَدْ آذَانِي رِيحُ حِمَارِك. فَقَال رَجُل مِنَ الأَنْصَار: وَالله لَحِمَارُ رَسُول الله ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْك. قَال: فَغَضِبَ لِعَبْدِ الله رِجَال مِنْ قَوْمِه، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا أَصْحَابه، قَال: فَكَانَ بَيْنَهمْ ضَرْب بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَال، فَبَلَغَنَا أَنَّهُ أُنْزِلتْ فِيهِمْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[1]. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي «الصُّلح» عَنْ مُسَدَّد، وَمُسْلم فِي الْمَغَازِي عَنْ مُحَمَّد ابْن عَبْد الأَعْلَى، كِلاهُمَا عَنْ الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان، عَنْ أَبِيه، بِهِ نَحْوه. وَذَكَرَ سَعِيد بْن جُبَيْر: أَنَّ الأَوْس وَالْخَزْرَج كَانَ بَيْنَهمَا قِتَالٌ بِالسَّعَفِ وَالنِّعَال، فَأَنْزَل الله هَذِهِ الآيَة، فَأَمَرَ بِالصُّلح بَيْنَهمَا.

وَقَال السُّدِّيّ: كَانَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَار يُقَال لَهُ «عِمْرَان» كَانَتْ لَهُ امْرَأَة تُدْعَى أُمّ زَيْد، وَإِنَّ الْمَرْأَة أَرَادَتْ أَنْ تَزُور أَهْلهَا فَحَبَسَهَا زَوْجُهَا، وَجَعَلَهَا فِي عَلِيَّةٍ لَهُ لا يَدْخُل عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلهَا، وَإِنَّ الْمَرْأَة بَعَثَتْ إِلَى أَهْلهَا فَجَاءَ قَوْمهَا وَأَنْزَلُوهَا لِيَنْطَلِقُوا بِهَا، وَإِنَّ الرَّجُل كَانَ قَدْ خَرَجَ، فَاسْتَعَانَ أَهْل الرَّجُل، فَجَاءَ بَنُو عَمِّهِ لِيَحُولُوا بَيْن الْمَرْأَة وَبَيْن أَهْلهَا، فَتَدَافَعُوا وَاجْتَلَدُوا بِالنِّعَال، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَة. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْلَحَ بَيْنَهمْ، وَفَاءُوا إِلَى أَمْر الله. وَقَوْله: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أَيْ: اعْدِلُوا بينهم فِيمَا كَانَ أَصَابَ بَعْضهمْ لِبَعْضٍ، بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْر الْمُقَدَّمِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الأَعْلَى، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما أن رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلى مَنَابِر مِنْ لُؤْلُؤ بَيْن يَدَيْ الرَّحْمَن، بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا»**[2]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّد بْن الْمُثَنَّى عَنْ عَبْد الأَعْلَى بِهِ. وَهَذَا إِسناد جَيِّد قَوِيّ، رِجَاله عَلى شَرْط الصَّحِيح. وَحَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن يَزِيد، حَدَّثَنَا سُفْيَان ابْن عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ عَمْرو بْن أَوْس، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«الْمُقْسِطُونَ عِنْد الله يَوْم الْقِيَامَة عَلى مَنَابِر مِنْ نُور عَلى يَمِين الْعَرْش، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمهمْ وَأَهَالِيهمْ وَمَا وُلُّوا»**[3]. وَرَوَاهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ بِهِ. وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أَيْ: الْجَمِيع إِخْوَة فِي الدِّين، كَمَا قَال رَسُول الله ﷺ: **«الْمُسْلم أَخُو الْمُسْلم لا يَظْلمهُ وَلا يُسْلمهُ»**[4]. وَفِي الصَّحِيح: **«وَالله فِي عَوْن الْعَبْد مَا كَانَ الْعَبْد فِي عَوْن أَخِيهِ»**[5]. وَفِي الصَّحِيح أَيْضًا: **«إِذَا دَعَا الْمُسْلم، لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْب؛ قَال الْمَلَكُ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِهِ»**.[6]

وَالأَحَادِيث فِي هَذَا كَثِيرَة، وَفِي الصَّحِيح: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمهمْ وَتَوَاصُلهمْ كَمَثَل الْجَسَد الْوَاحِد، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْو تَدَاعَى لَهُ سَائِر الْجَسَد بِالْحُمَّى وَالسَّهَر»**[7]. وَفِي الصَّحِيح أَيْضًا: «الْمُؤْمِن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤٣)، ومسلم (١٧٩٣).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩).
(٣) صحيح: تقدم.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٢).
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

للمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بعْضُهُ بعْضًا، وَشبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعه ﷺ»[١]. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثنَا أَحْمَد بْن الحَجَّاج، حَدَّثنَا عَبْد الله، أَخْبَرَنَا مُصْعَب بْن ثَابِت، حَدَّثنِي أَبُو حَازِم قَال: سَمِعْت سَهْل بْن سَعْد السَّاعِدِيّ ﷺ يُحدِّث عَنْ رَسُول الله ﷺ؛ قَال: «إنَّ المُؤْمِن مِنْ أَهْل الإيمَانِ بمَنْزلةِ الرَّأسِ مِنْ الجسَدِ، يَألمُ المُؤْمِنُ لأَهْل الإيمَان، كمَا يَألم الجسَد لمَا فِي الرَّأس»[٢]. تَفرَّدَ بِهِ، وَلا بَأْس بِإِسْنَادِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾ يَعْنِي: الفِئَتَيْنِ المُقْتَتِلَتَيْنِ، ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ أَيْ: فِي جَمِيع أُمُوركُمْ؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَهَذَا تَحْقِيق مِنْهُ تَعَالى للرَّحْمَةِ لِمَنْ اتَّقَاهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

يَنْهَى تَعَالى عَنْ السُّخْرِيَة بِالنَّاسِ، وَهُوَ احْتِقَارُهُمْ وَالاسْتِهْزَاء بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «الكِبْر بطَرُ الحَقّ وغَمْصُ النَّاسِ». وَيُرْوَى «وَغمْط النَّاس»[٣]. وَالمُرَاد مِنْ ذَلكَ احْتِقَارهمْ وَاسْتِصْغَارهمْ، وَهَذَا حَرَام، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُون المُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْد الله وَأَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ السَّاخِر مِنْهُ المُحْتَقِر لهُ، وَلهَذَا قَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ﴾ فَنصَّ عَلى نَهْي الرِّجَال وَعطَفَ بِنَهْيِ النِّسَاء. وَقَوْله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أَيْ: لا تَلمِزُوا النَّاس. وَالهَمَّاز اللَّمَّاز مِنْ الرِّجَال مَذْمُوم مَلعُون، كَمَا قَال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ فالهمز بِالفِعْل وَاللَّمْز بِالقَوْل، كَمَا قَال: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أَيْ: يَحْتَقِر النَّاس وَيَهْمِزهُمْ طاعنًا عَليْهِمْ، وَيَمْشِي بَيْنهمْ بِالنَّمِيمَةِ، وَهِيَ: اللَّمْز بِالمَقَال، وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ كَمَا قَال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أَيْ: لا يَقْتُل بَعْضكُمْ بَعْضًا. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَقَتَادَة، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أَيْ: لا يَطْعَن بَعْضكُمْ عَلى بَعْض. وَقَوْله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ﴾ أَيْ: لا تَدَاعَوْا بالأَلقَاب، وَهِيَ الَّتِي يَسُوء الشَّخْص سَمَاعُهَا.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثنَا دَاوُد بْن أَبِي هِنْد، عَنْ الشَّعْبِيّ؛ قَال: حَدَّثنِي أَبُو جبيرَة ابْن الضَّحَّاك قَال: فِينَا نَزَلتْ فِي بَنِي سَلمَة: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ﴾ قَال: قَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَة وَليْسَ فِينَا رَجُل إِلَّا وَلهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلاثَة، فَكَانَ إِذَا دُعِي أحد مِنْهُمْ بِاسْم مِنْ تِلكَ الأَسْمَاء قَالُوا: يَا رَسُول الله، إِنَّهُ يَغْضَب مِنْ هَذَا. فَنَزَلتْ: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ﴾.[٤] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل عَنْ وَهْب عَنْ دَاوُد، بِهِ.

وَقَوْله: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ﴾ أَيْ: بِئْسَ الصِّفَة وَالاسْم الفُسُوق وَهُوَ: التَّنَابُز بالأَلقَابِ، كَمَا كَانَ أَهْل الجَاهِليَّة يَتَنَاعَتُونَ؛ بَعْدَمَا دَخَلتُمْ فِي الإِسْلام وَعَقَلتُمُوهُ. ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ أَيْ: مِنْ هَذَا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

يَقُول تَعَالى نَاهِيًا عِبَاده المُؤْمِنِينَ عَنْ كَثِير مِنْ الظَّنّ، وَهُوَ التُّهْمَة وَالتَّخَوُّن للأَهْل وَالأَقَارِب وَالنَّاس فِي غَيْر مَحَلِّهِ؛ لأَنَّ بَعْض ذَلكَ يَكُون إِثْمًا مَحْضًا، فَليُجْتَنَبْ كَثِيرٌ مِنْهُ احْتِيَاطًا، وَرُوِّينَا عَنْ أَمِير المُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ أَنَّهُ قَال: وَلا تَظُنَّنَّ بِكَلمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيك المسلم إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْتَ تَجِد لهَا فِي الخَيْر مَحْمَلًا. وَقَال أَبُو عَبْد الله ابْن مَاجَهْ: حَدَّثنَا أَبُو القَاسِم ابْن أَبِي ضَمْرَة نَصْر بْن مُحَمَّد بْن سُليْمَان الحِمْصِيّ، حَدَّثنَا أَبِي

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٢) ضعيف : أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠) بسند ضعيف.
(٣) صحيح : تقــدم.
(٤) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٩٦٢)، وأحمد (٤/ ٦٩).

حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَبِي قَيْس النَّصْرِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عُمَر رضي الله عنهما، قَال: رَأَيْت النَّبِيّ ﷺ يَطُوف بِالكَعْبَةِ وَيَقُول: «**مَا أَطْيَبَك وَأَطْيَبَ رِيحَك! مَا أَعْظَمَك وَأَعْظَمَ حُرْمَتك! وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ لحُرْمَةُ المُؤْمِن أَعْظَمُ عِنْد الله حُرْمَة مِنْك، مَاله وَدَمه، وَأَنْ يَظُنّ بِهِ إلاَّ خَيْرًا**»[1]. تَفَرَّدَ بِهِ ابْن مَاجَهْ مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَال مَالك: عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنْ الأَعْرَج عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنّ، فَإِنَّ الظَّنّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَنَافَسُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَاد الله إِخْوَانًا**»[2]. رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ عَبْد الله بْن يُوسُف، وَمُسْلم عَنْ يَحْيَى بْن يَحْيَى، وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ العُتْبِيّ، عَنْ مَالك بِهِ.

وَقَال سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لا تَقَاطَعُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَاد الله إِخْوَانًا. وَلا يَحِلّ لمُسْلمٍ أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوْق ثَلاثَة أَيَّام**»[3]. رَوَاهُ مُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ، وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ بِهِ. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله القِرْمِطِيّ العَدَوِيّ، حَدَّثَنَا بَكْر بْن عَبْد الوَهَّاب المَدَنِيّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن قَيْس الأَنْصَارِيّ، حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن أَبِي الرِّجَال، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه حَارِثَة بْن النُّعْمَان رضي الله عنه؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**ثَلاث لازِمَات لأُمَّتِي: الطِّيَرَة، وَالحَسَد، وَسُوء الظَّنّ**». فَقَال رَجُل: مَا يُذْهِبهُنَّ يَا رَسُول الله مِمَّنْ هُنَّ فِيهِ؟ قَال ﷺ: «**إِذَا حَسَدْت فَاسْتَغْفِرْ الله، وَإِذَا ظَنَنْت فَلا تُحَقِّقْ، وَإِذَا تَطَيَّرْت فَامْضِ**»[4]. وَقَال أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ زَيْد رضي الله عنه قَال: أُتِيَ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه بِرَجُلٍ فَقِيل لَهُ: هَذَا فُلان تَقْطُر لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَال عَبْد الله رضي الله عنه: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنْ التَّجَسُّس، وَلكِنْ إِنْ يَظْهَر لَنَا شَيْء نَأْخُذ بِهِ.[5] سَمَّاهُ ابْن أَبِي حَاتِم فِي رِوَايَته الوَلِيد بْن عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم، حَدَّثَنَا لَيْث، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن نَشِيط الخَوْلانِيّ، عَنْ كَعْب بْن عَلقَمَة، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ دُخَيْن كَاتِب عُقْبَة؛ قَال: قُلت لعُقْبَةَ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الخَمْر، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمْ الشُّرَط فَيَأْخُذُونَهُمْ. قَال: لا تَفْعَل، وَلكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ. قَال: فَفَعَل فَلَمْ يَنْتَهُوا. قَال: فَجَاءَهُ دُخَيْن فَقَال: إِنِّي قَدْ نَهَيْتهمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، وَإِنِّي دَاعٍ لَهُمْ الشُّرَطَ فَتَأْخُذهُمْ. فَقَال لَهُ عُقْبَة: وَيْحك لا تَفْعَل، فَإِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَة مُؤْمِن فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا**»[6]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث اللَّيْث بْن سَعْد بِهِ نَحْوه. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ ثَور، عَنْ رَاشِد بْن سَعْد، عَنْ مُعَاوِيَة رضي الله عنه؛ قَال: سَمِعْت النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «**إِنَّك إِنْ اتَّبَعْت عَوْرَات النَّاس أَفْسَدْتهمْ، أَوْ: كِدْت أَنْ تُفْسِدهُمْ**». فَقَال أَبُو الدَّرْدَاء رضي الله عنه: كَلِمَة سَمِعَهَا مُعَاوِيَة رضي الله عنه مِنْ رَسُول الله ﷺ نَفَعَهُ الله بِهَا.[7] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مُنْفَرِدًا بِهِ مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ بِهِ.

وَقَال أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا سَعِيد بْن عَمْرو الحَضْرَمِيّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، حَدَّثَنَا ضَمْضَم بْن زُرْعَة، عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد، عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر، وَكَثِير بْن مُرَّة، وَعَمْرو بْن الأَسْوَد، وَالمِقْدَام بْن مَعْد يكَرِب، وَأَبِي

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢) بسند ضعيف.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩).
(٤) **ضعيف**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٣٢٢٧) بسند ضعيف.
(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٩٠)، وصححه الألباني.
(٦) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٢٧٣٤)، وأحمد (٤/ ١٥٣) بسند ضعيف.
(٧) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٨٨).

أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «**إِنَّ الأَمِير إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاس أَفْسَدَهُمْ**»[١]. ﴿**وَلَا تَجَسَّسُواْ**﴾ أَيْ: عَلَى بَعْضكُمْ بَعْضًا. وَالتَّجَسُّس غَالبًا يُطْلق فِي الشَّرّ، وَمِنْهُ الجَاسُوس. وَأَمَّا التَّحَسُّس فَيَكُون غَالبًا فِي الخَيْر، كَمَا قَال تعالى إِخْبَارًا عَنْ يَعْقُوب أَنَّهُ قَال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ وَقَدْ يُسْتَعْمَل كُلّ مِنْهُمَا فِي الشَّرّ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**لا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَاد الله إِخْوَانًا**»[٢]. وَقَال الأَوْزَاعِيّ: التَّجَسُّس: البَحْث عَنْ الشَّيْء. وَالتَّحَسُّس: الاسْتِمَاع إِلَى حَدِيث القَوْم وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أن يستمع عَلَى أدبارهم. وَالتَّدَابُر: الصَّرْم. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْهُ.

وَقَوْله: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ**﴾ فِيهِ نَهْي عَنْ الغِيبَة، وَقَدْ فَسَّرَهَا الشَّارِع كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا القَعْنَبِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن مُحَمَّد، عَنْ العَلاء، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قِيل: يَا رَسُول الله، مَا الغِيبَة؟ قَال ﷺ: «**ذِكْرُك أَخَاك بِمَا يَكْرَه**». قِيل: أَفَرَأَيْت إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُول؟ قَال ﷺ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُول فَقَدْ اغْتَبْته، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُول فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[٣]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ قُتَيْبَة عَنْ الدَّرَاوَرْدِيّ، بِهِ. وَقَال: «حَسَن صَحِيح». وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بُنْدَار عَنْ غُنْدَر عَنْ شُعْبَة عَنْ العَلاء. وَهَكَذَا قَال ابْن عُمَر رضي الله عنهما، وَمَسْرُوق، وَقَتَادَة، وَأَبُو إِسْحَاق، وَمُعَاوِيَة بْن قُرَّة. وَقَال أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُسَدَّد، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَان حَدَّثَنِي عَلِيّ بْن الأَقْمَر، عَنْ أَبِي حُذَيْفَة، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ: قُلت لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُك مِنْ صَفِيَّة كَذَا وَكَذَا! قَال غَيْر مُسَدَّد: تَعْنِي قَصِيرَة، فَقَال ﷺ: «**لَقَدْ قُلتِ كَلِمَة لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْر لَمَزَجَتْهُ**». قَالَتْ: وَحَكَيْت لَهُ إِنْسَانًا فَقَال ﷺ: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْت إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**»[٤]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث يَحْيَى القَطَّان، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، وَوَكِيع، ثَلاثَتهمْ عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عَلِيّ بْن الأَقْمَر، عَنْ أَبِي حُذَيْفَة سَلمَة بْن صُهَيْب الأَرْحَبِيّ، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها بِهِ. وَقَال: «حَسَن صَحِيح».

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي ابْن أَبِي الشَّوَارِب: حَدَّثَنَا عَبْد الوَاحِد بْن زِيَاد، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان الشَّيْبَانِيّ، حَدَّثَنَا حَسَّان بْن المُخَارِق أَنَّ امْرَأَة دَخَلتْ عَلَى عَائِشَة رضي الله عنها، فَلَمَّا قَامَتْ لِتَخْرُج أَشَارَتْ عَائِشَة رضي الله عنها بِيَدِهَا إِلَى النَّبِيّ ﷺ أَيْ: أَنَّهَا قَصِيرَة، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**اغْتَبْتِيهَا**»[٥]. وَالغِيبَة مُحَرَّمَة بِالإِجْمَاع، ولا يُسْتَثْنَى مِنْ ذَلكَ إِلَّا مَا رُجِّحَتْ مَصْلحَتُهُ، كَمَا فِي الجَرْح وَالتَّعْدِيل وَالنَّصِيحَة، كَقَوْلِهِ ﷺ لَـمَّا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ذَلكَ الرَّجُل الفَاجِر: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَة**»[٦]. وَكَقَوْلِهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ بِنْت قَيْس رضي الله عنها وَقَدْ خَطَبَهَا مُعَاوِيَة وَأَبُو الجَهْم: «**أَمَّا مُعَاوِيَة فَصُعْلُوك، وَأَمَّا أَبُو الجَهْم فَلا يَضَع عَصَاهُ عَنْ عَاتِقه**»[٧]. وَكَذَا مَا جَرَى مَجْرَى ذَلكَ. ثُمَّ بَقِيَّتُهَا عَلَى التَّحْرِيم الشَّدِيد، وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا الزَّجْر الأَكِيد، وَلِهَذَا شَبَّهَهَا تَعَالَى بِأَكْل اللَّحْم مِنْ الإِنْسَان المَيِّت، كَمَا قَال تعالى: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ**﴾ أَيْ: كَمَا تَكْرَهُونَ هَذَا طَبْعًا، فَاكْرَهُوا ذَاكَ شَرْعًا، فَإِنَّ عُقُوبَته أَشَدُّ مِنْ هَذَا. وَهَذَا مِنْ التَّنْفِير عَنْهَا وَالتَّحْذِير مِنْهَا، كَمَا قَال عليه السلام فِي العَائِد فِي هِبَته: «**كَالكَلب يَقِيء ثُمَّ**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٨٩).
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٧٤)، والحديث بنحوه أخرجه مسلم.
(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٧٥).
(٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٠٥).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).
(٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٨٠).

يَرْجِع فِي قَيْئِهِ»(١). وَقَدْ قَال: «لِيْسَ لنَا مَثَل السَّوْء». وَثَبَتَ فِي الصِّحَاح وَالحِسَان وَالمَسَانِيد مِنْ غَيْر وَجْه أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَال فِي خُطْبَة الوَدَاع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضكُمْ عَليْكُمْ حَرَام كَحُرْمَةِ يَوْمكُمْ هَذَا، فِي شَهْركُمْ هَذَا، فِي بَلدكُمْ هَذَا».(٢)

وَقَال أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا وَاصِل بْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثنَا أَسْبَاط بْن مُحَمَّد، عَنْ هِشَام بْن سَعْد، عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «كُلّ المُسْلم عَلى المُسْلم حَرَام: مَاله وَعِرْضه وَدَمه، حَسْب امرئ مِنْ الشَّرّ أَنْ يَحْقِر أَخَاهُ المُسْلم»(٣). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عُبَيْد بْن أَسْبَاط بْن مُحَمَّد، عَنْ أَبِيهِ بِهِ. وَقَال: «حَسَن غَرِيب». وَحَدَّثنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثنَا الأَسْوَد بْن عَامِر، حَدَّثنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ سَعِيد بْن عَبْد الله بْن جُرَيْج، عَنْ أَبِي بَرْزَة الأسلمي؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بِلسَانِهِ وَلمْ يَدْخُل الإِيمَان قَلبه، لا تَغْتَابُوا المُسْلمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِع عَوْرَاتهمْ يَتَّبِع الله عَوْرَته، وَمَنْ يَتَّبِع الله عَوْرَته يَفْضَحهُ فِي بَيْته»(٤). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيث البَرَاء بْن عَازِب، فَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى فِي «مُسْنَده»: حَدَّثنَا إِبْرَاهِيم بْن دِينَار، حَدَّثنَا مُصْعَب بْن سَلَّام، عَنْ حَمْزَة بْن حَبِيب الزَّيَّات، عَنْ أَبِي إِسْحَاق السَّبِيعِيّ، عَنْ البَرَاء بْن عَازِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَال: خَطَبَنَا رَسُول الله ﷺ حَتَّى أَسْمَعَ العَوَاتِق فِي بُيُوتِهَا -أَوْ قَال: فِي خُدُورهَا، فَقَال: «يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بِلسَانِهِ، لا تَغْتَابُوا المُسْلمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتهمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِع عَوْرَة أَخِيهِ يَتَّبِع الله عَوْرَته، وَمَنْ يَتَّبِع الله عَوْرَته يَفْضَحهُ فِي جَوْف بَيْته».

طَرِيق أُخْرَى: عَنْ ابْن عُمَر، قَال أَبُو بَكْر أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم الإِسْمَاعِيلِيّ: أخبرنا عَبْد الله بْن نَاجِيَة، حَدَّثنَا يَحْيَى ابْن أَكْثَم، حَدَّثنَا الفَضْل بْن مُوسَى الشَّيْبَانِيّ، عَنْ الحُسَيْن بْن وَاقِد، عَنْ أَوْفَى بْن دَلْهَم، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بِلسَانِهِ وَلمْ يُفْضِ الإِيمَان إِلى قَلبه، لا تَغْتَابُوا المُسْلمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتهمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِع عَوْرَات المُسْلمِينَ يَتَّبِع الله عَوْرَته، وَمَنْ يَتَّبِع الله عَوْرَته يَفْضَحهُ وَلوْ فِي جَوْف رَحْله».
قَال: وَنَظَرَ ابْن عُمَر يَوْمًا إِلى الكَعْبَة، فَقَال: مَا أَعْظَمَك وَأَعْظَمَ حُرْمَتك، وَللمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْد الله مِنْك.
قَال أَبُو دَاوُدَ: وحَدَّثنَا حَيْوَة بْن شُرَيْح، حَدَّثنَا بقية، عَنْ [ابْن ثَوْبَان](٥)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَكْحُول، عَنْ وَقَّاص بْن رَبِيعَة، عَنْ المستورد أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَنْ أَكَل بِرَجُلٍ مُسْلم أَكْلة، فَإِنَّ الله يُطْعِمهُ مِثْلهَا فِي جَهَنَّم، وَمَنْ كُسِي ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلم؛ فَإِنَّ الله يَكْسُوهُ مِثْله فِي جَهَنَّم. وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَام سُمْعَة وَرِيَاء؛ فَإِنَّ الله يَقُوم بِهِ مَقَام سُمْعَة وَرِيَاء يَوْم القِيَامَة»(٦). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ. وَحَدَّثنَا ابْن مُصَفًّى، حَدَّثنَا بَقِيَّة وَأَبُو المُغِيرَة، قالا: حَدَّثنَا صَفْوَان، حَدَّثَنِي رَاشِد بْن سَعْد وَعَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر، عَنْ أَنَس بْن مَالك؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْت بِقَوْمٍ لهُمْ أَظْفَار مِنْ نُحَاس يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورهمْ، قُلت: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جبريل؟ قَال: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُوم النَّاس، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضهمْ»(٧). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ، وهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، عَنْ أَبِي المُغِيرَة عَبْد القُدُّوس بْن الحَجَّاج الشَّامِيّ بِهِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٢٢)، ومسلم (١٦٢٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٨٢)، والترمذي (١٩٢٨).
(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٨٠).
(٥) في الأزهرية: [ثوبان].
(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٨١)، وصححه الألباني.
(٧) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٧٨).

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْدَة، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الصَّمَد عَبْد العَزِيز بن عبد الصمد العَمِّيّ، حدثنا أَبُو هَارُون العَبْدِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ؛ قَال: قُلنَا: يَا رَسُول الله، حَدِّثْنَا مَا رَأَيت لَيْلَة أُسْرِيَ بِك؟ قَال: «ثُمَّ انطَلَقَ بِي إِلى خَلق مِنْ خَلق الله كَثِير، رِجَال وَنِسَاء مُوَكَّل بِهِمْ رِجَالٌ يَعْمِدُونَ إِلى عَرْض جَنْب أَحَدهمْ فَيَحذُونَ مِنْهُ الحُذْوَة مِثل النَّعْل، ثُمَّ يَضعُونَهُ فِي فِيِّ أَحَدهِمْ، فَيُقَال لَهُ: كُل كَمَا أَكَلت. وَهُوَ يَجِد مِنْ أَكْلهِ المَوْتَ -يَا مُحَمَّد- لوْ يَجِد المَوْت وَهُوَ يُكْرَه عَليْهِ. فَقُلت: يَا جبريل، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَال: هَؤُلاءِ الهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ أَصْحَاب النَّمِيمَة. فَيُقَال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وَهُوَ يُكْرَه عَلى أَكْل لحْمه».[1] هَكَذَا أُورِدَ هَذَا الحَدِيثُ، وَقَدْ سُقْنَاهُ بِطُولِهِ فِي أَوَّل تَفْسِير «سُورَة سُبْحَان». وَلله الحَمْد.

وَقَال أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا الرَّبِيع، عَنْ يَزِيد، عَنْ أَنَس؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَ النَّاس أَنْ يَصُومُوا يَوْمًا وَلا يُفطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَن لهُ. فَصَامَ النَّاس، فَلَمَّا أَمْسَوْا جَعَل الرَّجُل يَجِيء إِلى رَسُول الله ﷺ فَيَقُول: ظَللتُ مُنْذُ اليَوْم صَائِمًا، فَأْذَنْ لِي فَأُفْطِر. فيأذن لهُ، وَيَجِيء الرَّجُل فَيَقُول ذَلكَ، فَيَأْذَن لهُ، حَتَّى جَاءَ رَجُل فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنَّ فتاتين مِنْ أَهْلك ظَلَّتَا مُنْذُ اليَوْم صَائِمَتَيْنِ، فَأْذَنْ لهُمَا فَليُفْطِرَا. فَأَعْرَض عَنْهُ، ثُمَّ أَعَادَ، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «مَا صَامَتَا، وَكَيْف صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُل لُحُوم النَّاس؟! اذْهَبْ فَمُرْهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ يَسْتَقِيئَا». فَفَعَلتَا، فَقَاءَتْ كُلّ وَاحِدَة مِنْهُمَا عَلقَة علقة فَأَتَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «لوْ مَاتَتَا وَهُمَا فِيهِمَا لأَكَلتْهُمَا النَّارُ»[2]. إِسْنَاد ضَعِيف، وَمَتْنٌ غَرِيب. وَقَدْ رَوَاهُ الحَافِظ البَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيث يَزِيد بْن هَارُون: حَدَّثَنَا سُليْمَان التَّيْمِيّ؛ قَال: سَمِعْت رَجُلًا يُحَدِّث فِي مَجْلس أَبِي عُثْمَان النَّهْدِيّ عَنْ عُبَيْد مَوْلى رَسُول الله ﷺ : أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ ، وَأَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنَّ هَهُنَا امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا، وَإِنَّهُمَا كَادَتَا تَمُوتَانِ مِنْ العَطَش -أُرَاهُ قَال: بِالهَاجِرَةِ -فَأَعْرَض عَنْهُ- أَوْ: سَكَتَ عَنْهُ- فَقَال: يَا نَبِيّ الله؛ إِنَّهُمَا -وَالله- قَدْ مَاتَتَا أَوْ كَادَتَا تَمُوتَانِ. فَقَال: «ادْعُهُمَا». فَجَاءَتَا، قَال: فَجِيءَ بِقَدَح -أَوْ عُسٍّ- فَقَال لإِحْدَاهُمَا: «قِيئِي». فَقَاءَتْ مِنْ قَيْح وَدَم وَصَدِيد، حَتَّى قَاءَتْ نِصْف القَدَح. ثُمَّ قَال للأُخْرَى: «قِيئِي». فَقَاءَتْ قَيْحًا وَدَمًا وَصَدِيدًا وَلحمًا وَدَمًا عَبِيطًا وَغَيْره حَتَّى مَلأَتْ القَدَح. فقال: «إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ الله لهُمَا، وَأَفطَرَتَا عَلى مَا حَرَّمَ الله عَليْهِمَا، جَلسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلى الأُخْرَى، فَجَعَلتَا تَأْكُلانِ لُحُوم النَّاس». وَهَكَذَا قد رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ يَزِيد بْن هَارُون، وَابْن أَبِي عَدِيّ؛ كليهما عَنْ سُليْمَان بْن طرخان التَّيْمِيّ بِهِ مِثْله أَوْ نَحْوه.

ثُمَّ رَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث مُسَدَّد، عَنْ يَحْيَى القَطَّان، عَنْ عُثْمَان بْن غِيَاث، حَدَّثَنِي رَجُل أَظُنُّهُ فِي حَلقَة أَبِي عُثْمَان، عَنْ سَعْد مَوْلى رَسُول الله ﷺ : أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِصِيَام، فَجَاءَ رَجُل فِي نِصْف النَّهَار، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ فُلانَة وَفُلانَة قَدْ بَلغَتَا الجَهْد. فَأَعْرَض عَنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قَال: «ادْعُهُمَا». فَجَاءَ بِعُسٍّ -أَوْ: قَدَح- فَقَال لإِحْدَاهُمَا: «قِيئِي». فَقَاءَتْ لحمًا وَدَمًا عَبِيطًا وَقَيْحًا، وَقَال للأُخْرَى مِثْل ذَلكَ، فقال: «إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ الله لهُمَا، وَأَفْطَرَتَا عَلى مَا حَرَّمَ الله عَليْهِمَا، أَتَتْ إِحْدَاهُمَا للأُخْرَى فَلمْ تَزَالا تَأْكُلانِ لُحُوم النَّاس حَتَّى امْتَلأَتْ أَجْوَافهمَا قَيْحًا». قَال البَيْهَقِيّ: كَذَا قَال عَنْ سَعْد، وَالأَوَّل -وَهُوَ عُبَيْد- أَصَحُّ.

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن الضَّحَّاك بْن مَخْلد، حَدَّثَنَا أَبِي أبو عاصم، حَدَّثَنَا ابْن جُرَيْج، أَخْبَرَنِي

---

(١) تقـدم.

(٢) ضعيف : سنده ضعيف فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ ابن عم لأَبِي هُرَيْرَة أَنَّ مَاعِزًا جَاءَ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنِّي قَدْ زَنَيْت. فَأَعْرَضَ عَنْهُ -قَالهَا أَرْبعًا- فَلَمَّا كَانَ فِي الخَامِسَة قَال: «زَنَيْت». قَال: نَعَمْ. قَال: «وَتَدْرِي مَا الزِّنَا». قَال: نَعَمْ، أَتَيْت مِنْهَا حَرَامًا مَا يَأْتِي الرَّجُل مِنْ امْرَأَته حَلالًا. قَال: «مَا تُرِيد إِلَى هَذَا القَوْل»؟ قَال: أُرِيد أَنْ تُطَهِّرنِي. قَال: فَقَال رَسُول الله ﷺ : «أَدْخَلت ذَلكَ مِنْك فِي ذَلكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيب المِيل فِي المُكْحُلَة والعصا فِي البِئْر؟». قَال: نَعَمْ، يَا رَسُول الله. قَال: فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ فَرُجِمَ، فَسَمِعَ النَّبِيّ ﷺ رَجُلَيْنِ يَقُول أَحَدُهُمَا لصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ الله عَلَيْهِ فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِم رَجْمَ الكَلْبِ. ثُمَّ سَارَ النَّبِيّ ﷺ حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَار، فَقَال: «أَيْنَ فُلان وَفُلان؟ انْزِلا فَكُلا مِنْ جِيفَة هَذَا الحِمَار». قَالا: غَفَرَ الله لك يَا رَسُول الله، وَهَل يُؤْكَل هَذَا؟ قَال ﷺ : «فَمَا نِلتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنِفًا أَشَدُّ أَكْلاً مِنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الآن لفِي أَنْهَار الجَنَّة [يَنْغَمِس فِيهَا][(١)]».[(٢)]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا وَاصِل مَوْلى ابن عُيَيْنَةَ حَدَّثَنِي خَالد بْن عُرْفُطَة، عَنْ طَلحَة بْن نَافِع، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله ﵁؛ قَال: كُنَّا مَعَ النَّبِيّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيح جِيفَة مُنْتِنَة، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيح؟ هَذِهِ رِيح الَّذِينَ يَغْتَابُونَ المُؤْمنين؟».[(٣)]

طَرِيق أُخْرَى: قَال عَبْد بْن حُمَيْد فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الأَشْعَث، حَدَّثَنَا الفُضَيْل بْن عِيَاض، عَنْ سُليمَان، عَنْ أَبِي سُفْيَان -وَهُوَ طَلحَة بْن نَافِع- عَنْ جَابِر؛ قَال كُنَّا مَعَ النَّبِيّ ﷺ فِي سَفَر فَهَاجَتْ رِيح مُنْتِنَة، فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «إِنَّ نَفَرًا مِنْ المُنَافِقِينَ اغْتَابُوا أُنَاسًا مِنْ المُسْلمِينَ، فَلذَلكَ بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيح». وَرُبَّمَا قَال: «فَلذَلكَ هَاجَتْ هَذِهِ الرِّيح». وَقَال السُّدِّيّ فِي قَوْله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ : زَعَمَ أَنَّ سَلمَان الفَارِسِيّ ﵁ كَانَ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ فِي سَفَر يَخْدُمهُمَا وَيَخِفّ لهُمَا، وَيَنَال مِنْ طَعَامهمَا، وَأَنَّ سَلمَان ﵁ لَمَّا سَارَ النَّاس ذَات يَوْم وَبَقِيَ سَلمَان ﵁ نَائِمًا، لمْ يَسِرْ مَعَهُمْ، فَجَعَل صَاحِبَاهُ يكلمانه فَلمْ يَجِدَاهُ، فَضَرَبَا الخِبَاء فَقَالا: مَا يُرِيد سَلمَان -أَوْ: هَذَا العَبْد- شَيْئًا غَيْر هَذَا: أَنْ يَجِيء إِلَى طَعَام مَقْدُور، وَخِبَاء مَضْرُوب! فَلمَّا جَاءَ سلمان أَرْسَلاهُ إِلَى رَسُول الله ﷺ يَطْلُب لهُمَا إِدَامًا، فَانْطَلقَ فَأَتَى رَسُول الله ﷺ وَمَعَهُ قَدَح لهُ، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ بَعَثَنِي أَصْحَابِي لتُؤْدِمَهُمْ إِنْ كَانَ عِنْدك؟ قَال ﷺ : «مَا يَصْنَع أَصْحَابك بِالأُدْمِ؟ قَدْ ائْتَدَمُوا». فَرَجَعَ سَلمَان ﵁ يُخْبِرهُمَا بِقَوْل رَسُول الله ﷺ ، فَانْطَلقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُول الله ﷺ ، فَقَالا: لا، وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا أَصَبْنَا طَعَامًا مُنْذُ نَزَلنَا. قَال رَسُول الله ﷺ : «إِنَّكُمَا قَدْ ائْتَدَمْتُمَا بِسَلمَان بِقَوْلكُمَا». قَال: وَنَزَلتْ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ إِنَّهُ كَانَ نَائِمًا.[(٤)] وَرَوَى الحَافِظ الضِّيَاء المَقْدِسِيّ فِي كِتَابه «المُخْتَارة» مِنْ طَرِيق حَبَّان بْن هِلال، عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس بْن مَالك ﵁؛ قَال: كَانَتْ العَرَب تَخْدُم بَعْضهَا بَعْضًا فِي الأَسْفَار، وَكَانَ مَعَ أَبِي بَكْر وَعُمَر ﵄ رَجُل يَخْدُمهُمَا، فَنَامَا فَاسْتَيْقَظَا وَلمْ يُهَيِّئ لهُمَا طَعَامًا، فَقَالا: إِنَّ هَذَا لنَئُوم، فَأَيْقَظَاهُ، فَقَالا لهُ: ائْتِ رَسُول الله ﷺ فَقُل لهُ: إِنَّ أَبَا بَكْر وَعُمَر ﵄ يُقْرِئَانِك السَّلام، وَيَسْتَأْدِمَانِك. فَقَال ﷺ : «إِنَّهُمَا قَدْ ائْتَدَمَا». فَجَاءَا فَقَالا: يَا رَسُول الله، بِأَيِّ شَيْء ائْتَدَمْنَا؟ فَقَال ﷺ : «بِلحْمِ أَخِيكُمَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى لحْمه بَيْن ثَنَايَاكُمَا». فَقَالا ﵄ : اسْتَغْفِرْ لنَا يَا رَسُول الله،

(١) في «نسخة»: [ينغمس] والمثبت من مسند أبي يعلى (٦٠٠٦).
(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٠٠٦) وسنده ضعيف فيه إبهام.
(٣) حسـن : أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٠)، وابن حبان في «التوبيخ والتنبيه» (٢٤٨) بسند ضعيف مرسل.

فَقَال ﷺ : «مُرَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمَا»[1]. وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا الحَكَم بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مَسْلَمَ، عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ عَمّه مُوسَى بْن يَسَار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ أَكَل مِنْ لحْم أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا، قُرِّبَ له لحْمُهُ فِي الآخِرَة، فَيُقَال لهُ: كُلهُ مَيْتًا كَمَا أَكَلته حَيًّا». قَال: «فَيَأْكُلهُ وَيَكْلح وَيَصِيح»[2]. غَرِيب جِدًّا.

وَقَوْله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَيْ: فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَرَاقِبُوهُ فِي ذَلكَ وَاخْشَوْا مِنْهُ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أَيْ: تَوَّاب عَلى مَنْ تَابَ إِليْهِ، رَحِيم لمَنْ رَجَعَ إِليْهِ، وَاعْتَمَدَ عَليْهِ. قَال الجُمْهُور مِنْ العُلمَاء: طَرِيق المُغْتَاب للنَّاسِ فِي تَوْبَته أَنْ يُقْلع عَنْ ذَلكَ، وَيَعْزِم عَلى أَنْ لا يَعُود. وَهَل يُشْتَرَط النَّدَم عَلى مَا فَاتَ؟ فِيهِ نِزَاع، وَأَنْ يَتَحَلَّل مِنْ الَّذِي اغْتَابَهُ. وَقَال آخَرُونَ: لا يُشْتَرَط أَنْ يَتَحَلَّلهُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَعْلمَهُ بِذَلكَ رُبَّمَا تَأَذَّى أَشَدَّ مِمَّا إِذَا لمْ يَعْلم بِمَا كَانَ مِنْهُ، فَطَرِيقه إِذًا أَنْ يُثْنِي عَليْهِ بِمَا فِيهِ فِي المَجَالس الَّتِي كَانَ يَذُمّهُ فِيهَا، وَأَنْ يَرُدّ عَنْهُ الغِيبَةَ بِحَسَبِهِ وَطَاقَته، فتكون تِلكَ بِتِلكَ، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن الحَجَّاج، أخبرنا عَبْد الله، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْن أَيُّوب، عَنْ عَبْد الله بْن سُليْمَان؛ أَنَّ إِسْمَاعِيل بْن يَحْيَى المُعَافِرِيّ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَهْل بْن مُعَاذ بْن أَنَس الجُهَنِيّ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِق يعيبه، بَعَثَ الله إِليْهِ مَلكًا يَحْمِي لحْمه يَوْم القِيَامَة مِنْ نَار جَهَنَّم. وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِشَيْءٍ يُرِيد شينه، حَبَسَهُ الله عَلى جِسْر جَهَنَّم حَتَّى يَخْرُج مِمَّا قَال»[3]. وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث عَبْد الله -وَهُوَ ابْن المُبَارَك- بِهِ بِنَحْوِهِ. وَقَال أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن الصَّبَّاح، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي مَرْيَم، أَخْبَرَنَا اللَّيْث: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن سُليْم أَنَّهُ سَمِعَ إِسْمَاعِيل بْن بَشِير؛ يَقُول: سَمِعْت جَابِر بْن عَبْد الله، وَأَبَا طَلحَة ابْن سَهْل الأَنْصَارِيّ رضي الله عنهما يَقُولانِ: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَا مِنْ امرِئٍ يَخْذُل امرءًا مُسْلمًا فِي مَوْضِع تُنْتَهَك فِيهِ حُرْمَته وَيُنْتَقَص فِيهِ مِنْ عِرْضه، إِلاَّ خَذَلهُ الله تَعَالى فِي مَوَاطِن يُحِبّ فِيهَا نُصْرَته، وَمَا مِنْ امرِئٍ يَنْصُر امرءًا مُسْلمًا فِي مَوْضِع يُنْتَقَص فِيهِ مِنْ عِرْضه، وَيُنْتَهَك فِيهِ مِنْ حُرْمَته، إِلاَّ نَصَرَهُ الله عز وجل فِي مَوَاطِن يُحِبّ فِيهَا نُصْرَته»[4]. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا للنَّاسِ أَنَّهُ خَلقَهُمْ مِنْ نَفْس وَاحِدَة، وَجَعَل مِنْهَا زَوْجهَا، وَهُمَا آدَم وَحَوَّاء، وَجَعَلهُمْ شُعُوبًا وَهِيَ أَعَمُّ مِنْ القَبَائِل، وَبَعْد القَبَائِل مَرَاتِب أُخَر كَالفَصَائِل وَالعَشَائِر وَالعَمَائِر وَالأَفْخَاذ وَغَيْر ذَلكَ.

وَقِيل: المُرَاد بِالشُّعُوبِ بُطُون العَجَم، وَبِالقَبَائِل بُطُون العَرَب، كَمَا أَنَّ الأَسْبَاط بُطُون بَنِي إِسْرَائِيل. وَقَدْ لخَّصْت هَذَا فِي مُقَدِّمَة مُفْرَدَة جَمَعْتهَا مِنْ كِتَاب «الإنباه» لأَبِي عُمَر ابْن عَبْد البَرّ، وَمِنْ كِتَاب «القَصْد وَالأَمَم، فِي مَعْرِفَة أَنْسَاب العَرَب وَالعَجَم». فَجَمِيع النَّاس فِي الشَّرَف بِالنِّسْبَةِ الطِّينِيَّة إِلى آدَم وَحَوَّاء عليهما السلام سَوَاء، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالأُمُورِ الدِّينِيَّة، وَهِيَ طَاعَة الله وَمُتَابَعَة رَسُوله ﷺ ؛ وَلهَذَا قَال تَعَالى بَعْد النَّهْي عَنْ الغِيبَة وَاحْتِقَار بَعْض النَّاس بَعْضًا، مُنَبِّهًا عَلى تَسَاوِيهِمْ فِي البَشَرِيَّة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ

---

(١) صحيح : أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (١٦٩٧) وقال: إسناده صحيح.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) حسن : أخرجه أبو داود (٤٨٨٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٤) ضعيف : أخرجه أبو داود (٤٨٨٤).

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أَيْ: لِيَحْصُل التَّعَارُف بَيْنهمْ، كُلّ يَرْجِع إِلَى قَبِيلته. وَقَالَ مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ كَمَا يُقَال: فُلان ابْن فُلان مِنْ كَذَا وَكَذَا. أَيْ: مِنْ قَبِيلة كَذَا وَكَذَا. وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ: كَانَتْ حِمْيَر يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَخَالِيفهَا، وَكَانَتْ عَرَب الحِجَاز يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلهَا.

وَقَدْ قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن المُبَارَك عَنْ عَبْد المَلِك بْن عِيسَى الثَّقَفِيّ، عَنْ يَزِيد مَوْلَى المُنْبَعِث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامكُمْ، فَإِنَّ صِلَة الرَّحِم مَحَبَّةٌ فِي الأَهْل، مَثْرَاة فِي المَال، مَنْسَأَة فِي الأَثَر»[1]. ثُمَّ قَالَ: غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَوْله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ أَيْ: إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْد الله بِالتَّقْوَى لا بِالأَحْسَاب. وَقَدْ وَرَدَتْ الأَحَادِيث بِذَلِكَ عَنْ رَسُول الله ﷺ: قَالَ البُخَارِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَلَّام، حَدَّثَنَا عَبْدَة، عَنْ عُبَيْد الله، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ؛ قَالَ: سُئِلَ رَسُول الله ﷺ: أَيُّ النَّاس أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْد الله أَتْقَاهُمْ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُك. قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاس يُوسُف نَبِيّ الله، ابْن نَبِيّ الله، ابْن نَبِيّ الله، ابْن خَلِيل الله». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلك، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِن العَرَب تَسْأَلُونِي؟». قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّة خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلام إِذَا فَقِهُوا»[2]. وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي غَيْر مَوْضِع مِنْ طُرُق عَنْ عَبْدَة بْن سُلَيْمَان. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير مِنْ حَدِيث عُبَيْد الله وَهُوَ ابْن عُمَر العُمَرِيّ بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَالَ مُسْلِم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا عَمْرو النَّاقِد، حَدَّثَنَا كَثِير بْن هِشَام، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن بُرْقَان، عَنْ يَزِيد ابْن الأَصَمّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الله لا يَنْظُر إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبكُمْ وَأَعْمَالكُمْ»[3]. وَرَوَاهُ ابْن مَاجَة عَنْ أَحْمَد بْن سِنَان عَنْ كَثِير بْن هِشَام بِهِ.

حَدِيث آخَر: وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ أَبِي هِلال، عَنْ بَكْر، عَنْ أَبِي ذَرّ ﷺ قَالَ: إِنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «انْظُرْ فَإِنَّك لَسْت بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَر وَلا أَسْوَد، إِلا أَنْ تَفْضُلهُ بِتَقْوَى». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.[4]

حَدِيث آخَر: وَقَالَ الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَة عَبْد الوَارِث بْن إِبْرَاهِيم العَسْكَرِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن عَمْرو بْن جَبَلَة، حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن حُنَيْن الطَّائِيّ، سَمِعْت مُحَمَّد بْن حَبِيب بْن خِرَاش العَصْرِيّ يُحَدِّث عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «المُسْلِمُونَ إِخْوَة، لا فَضْل لأَحَدٍ عَلَى أَحَد إِلا بِالتَّقْوَى».[5]

حَدِيث آخَر: قَالَ أَبُو بَكْر البَزَّار فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن يَحْيَى الكُوفِيّ، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا قَيْس -يَعْنِي ابْن الرَّبِيع- عَنْ شَبِيب بْن غَرْقَدَة، عَنْ المُسْتَظِلّ بْن حُصَيْن، عَنْ حُذَيْفَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ بَنُو آدَم، وَآدَم خُلِقَ مِنْ تُرَاب، وَلَيَنْتَهِيَنَّ قَوْم يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى الله مِنْ الجِعْلان».[6] ثُمَّ قَالَ: لا نَعْرِفهُ عَنْ حُذَيْفَة إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٩٨٠)، وصححه الألباني.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٩)، ومسلم (٢٣٧٨).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٤) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٥/ ١٥٨) بسند ضعيف، لكن له شواهد يحسن بها.
(٥) ضعيف جدًا: أخرجه الطبراني (٣٥٤٧) بسند ضعيف جدًا، فيه ابن جبلة وهو متروك.
(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٥١١٦).

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا الرَّبِيع بْن سُلَيْمَان، حَدَّثَنَا أَسَد بن مُوسَى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن زَكَرِيَّا القَطَّان، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُبَيْدَة، عَنْ عَبْد الله بْن دِينَار، عَنْ ابْن عُمَر رضي الله عنهما، قَال: طَافَ رَسُول الله ﷺ يَوْم فَتْح مَكَّة عَلَى نَاقَته القَصْوَاء يَسْتَلِم الأَرْكَان بِمِحْجَنٍ فِي يَده، فَمَا وَجَدَ لَهَا مُنَاخًا فِي المَسْجِد حَتَّى نَزَل ﷺ عَلَى أَيْدِي الرِّجَال، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى بَطْن المَسِيل فَأُنِيخَتْ. ثُمَّ إِنَّ رَسُول الله ﷺ خَطَبَهُمْ عَلَى رَاحِلته، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْل، ثُمَّ قَال: «يَا أَيُّهَا النَّاس؛ إِنَّ الله قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبية الجاهليَّة وَتَعَظُّمهَا بآبَائِهَا، فالنَّاس رَجُلان: رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى الله. وفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى الله، إِنَّ الله يَقُول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾». ثُمَّ قَال ﷺ: «أَقُول قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِر الله لِي لَكُمْ».[1] وهَكَذَا رَوَاهُ عَبْد بْن حُمَيْد عَنْ أَبِي عَاصِم الضَّحَّاك بن مَخْلَد عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة بِهِ.

حديث آخر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، عَنْ الحَارِث بْن يَزِيد، عَنْ عَلِيّ بْن رَبَاح، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ قَال: «إِنَّ أَنْسَابكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَد، كُلّكُمْ بَنُو آدَم طَفُّ الصَّاع لَمْ يَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَد فَضْل إِلاَّ بِدِينٍ وَتَقْوَى، وَكَفَى بِالرَّجُل أَنْ يَكُون بَذِيًّا بَخِيلاً فَاحِشًا».[2]. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ يُونُس، عَنْ ابْن وَهْب، عَنْ ابْن لهِيعَة بِهِ. وَلَفْظه: «النَّاس لآدَم وَحَوَّاء، طَفُّ الصَّاع لَمْ يَمْلَئُوهُ، إِنَّ الله لا يَسْأَلكُمْ عَنْ أَحْسَابكُمْ وَلا عَنْ أَنْسَابكُمْ يَوْم القِيَامَة، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْد الله أَتْقَاكُمْ». وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْء مِنْ الكُتُب السِّتَّة مِنْ هَذَا الوَجْه.

حديث آخر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد المَلِك، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ سِمَاك، عَنْ عَبْد الله بْن عميرة زَوْج دُرَّة بِنْت أَبِي لَهَب عَنْ دُرَّة بِنْت أَبِي لَهَب رضي الله عنها قَالَتْ: قَامَ رَجُل إِلَى النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَر فَقَال: يَا رَسُول الله؛ أَيّ النَّاس خَيْر؟ فقال ﷺ: «خَيْر النَّاس أَقْرَؤُهُمْ، وَأَتْقَاهُمْ لله -عَزَّ وَجَلَّ- وَآمَرُهُمْ بِالمَعْرُوف، وَأَنْهَاهُمْ عَنْ المُنْكَر، وَأَوْصَلهُمْ للرَّحِم».[3]

حديث آخر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، حَدَّثَنَا أَبُو الأَسْوَد، عَنْ القَاسِم بْن مُحَمَّد، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها؛ قَالَتْ: مَا أَعْجَبَ رَسُول الله ﷺ شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيَا، وَلا أَعْجَبَهُ أَحَدٌ قَطُّ، إِلَّا ذُو تُقًى.[4] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد رحمه الله.

وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ أَيْ: عَلِيم بِكُمْ، خَبِير بِأُمُورِكُمْ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاء، وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء، وَيَرْحَم مَنْ يَشَاء، وَيُعَذِّب مَنْ يَشَاء، وَيُفَضِّل مَنْ يَشَاء عَلَى مَنْ يَشَاء، وَهُوَ الحَكِيم العَلِيم الخَبِير فِي ذَلِكَ كُلّه. وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة، وَهَذِهِ الأَحَادِيث الشَّرِيفَة، مَنْ ذَهَبَ مِنْ العُلَمَاء إِلَى أَنَّ الكَفَاءَة فِي النِّكَاح لا تُشْتَرَط، وَلا يُشْتَرَط سِوَى الدِّين، لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾. وَذَهَبَ الآخَرُونَ إِلَى أَدِلَّة أُخْرَى

---

(١) حسن: انظر «صحيح الجامع» (٧٧٤٤).
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٨).
(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٢) بسند ضعيف.
(٤) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ٦٩) بسند ضعيف.

مَذْكُورَة فِي كُتُب الفِقه، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي «كِتَاب الأَحْكَام»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة. وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ عَنْ عَبْد الرَّحْمَن أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِم يَقُول: أَنَا أَوْلَى النَّاس بِرَسُول الله ﷺ، فَقَال: غيرك أَوْلَى بِهِ مِنْك وَلك مِنْهُ نسبه.

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الأَعْرَاب الَّذِينَ أَوَّل مَا دَخَلُوا فِي الإِسْلام ادَّعَوْا لأَنْفُسِهِمْ مَقَام الإِيمَان، وَلَمْ يَتَمَكَّن الإِيمَان فِي قُلُوبهمْ بَعْدُ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وَقَدْ اسْتُفِيدَ مِنْ هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة أَنَّ الإِيمَان أَخَصُّ مِنَ الإِسْلام، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَيَدُلّ عَلَيْهِ حَدِيث جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلام حِين سَأَل عَنْ الإِسْلام، ثُمَّ عَنْ الإِيمَان، ثُمَّ عَنْ الإِحْسَان، فَتَرَقَّى مِنَ الأَعَمّ إِلى الأَخَصّ، ثُمَّ للأَخَصِّ مِنْهُ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عَامِر بْن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: أَعْطَى رَسُول الله ﷺ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَال سَعْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُول الله أَعْطَيْت فُلانًا وَفُلانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلانًا شَيْئًا، وَهُوَ مُؤْمِن؟ فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «أَوْ مُسْلم». حَتَّى أَعَادَهَا سَعْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثَلاثًا، وَالنَّبِيّ ﷺ يَقُول: «أَوْ مُسْلم». ثُمَّ قَال النَّبِيّ ﷺ: **«إِنِّي لأُعْطِي رِجَالاً وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ، فلا اعطيه شَيْئًا مَخَافَة أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّار عَلى وُجُوههم»**[1]. أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ. فَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيّ ﷺ بَيْن المُسْلم وَالمُؤْمِن فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الإِيمَان أَخَصُّ مِنَ الإِسْلام. وَقَدْ قَرَّرْنَا ذَلِكَ بِأَدِلَّتِهِ فِي أَوَّل شَرْح كِتَاب الإِيمَان مِنْ «صَحِيح البُخَارِيّ»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الرَّجُل كَانَ مُسْلمًا لَيْسَ مُنَافِقًا؛ لأَنَّهُ تَرَكَهُ مِنَ العَطَاء، وَوَكَلَهُ إِلى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الإِسْلام، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَؤُلاءِ الأَعْرَاب المَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الآيَة لَيْسُوا بِمُنَافِقِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ مُسْلمُونَ لَمْ يَسْتَحْكِمِ الإِيمَان فِي قُلُوبهمْ، فَادَّعَوْا لأَنْفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلى مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ، فَأُدِّبُوا فِي ذَلِكَ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْل ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وَقَتَادَة، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَإِنَّمَا قُلنَا هَذَا؛ لأَنَّ البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ ذَهَبَ إِلى أَنَّ هَؤُلاءِ كَانُوا مُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ الإِيمَان وَلَيْسُوا كَذَلِكَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، وَمُجَاهِد، وَابْن زَيْد أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أَيْ: اسْتَسْلَمْنَا خَوْف القَتْل وَالسِّبَاء. قَال مُجَاهِد: نَزَلَتْ فِي بَنِي أَسَد بْن خُزَيْمَة. وَقَال قَتَادَة: نَزَلَتْ فِي قَوْم امْتَنُّوا بِإِيمَانِهِمْ عَلى رَسُول الله ﷺ. وَالصَّحِيح الأَوَّل: أَنَّهُمْ قَوْم ادَّعَوْا لأَنْفُسِهِمْ مَقَام الإِيمَان، وَلَمْ يَحْصُل لَهُمْ بَعْد، فَأُدِّبُوا وَأُعْلِمُوا

---

(١) صحيح: تقـدم.

أَنَّ ذَلكَ لمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بَعْد، وَلوْ كَانُوا مُنَافِقِينَ لعُنِّفُوا وَفُضِحُوا، كَمَا ذُكِرَ المُنَافِقُونَ فِي سُورَة بَرَاءَة. وَإِنَّمَا قِيل لهَؤُلاءِ تَأْدِيبًا: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أَيْ: لمْ تَصِلُوا إِلى حَقِيقَة الإِيمَان بَعْد. ثُمَّ قَال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أَيْ: لا يُنْقِصكُمْ مِنْ أُجُوركُمْ ﴿شَيْـًٔا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أَيْ: لمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَاب. وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الكُمَّل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أَيْ: لمْ يَشُكُّوا وَلا تَزَلزَلُوا، بَل ثَبَتُوا عَلى حَال وَاحِدَة، وَهِيَ التَّصْدِيق المَحْض، ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: وَبَذَلُوا مُهَجهمْ وَنَفَائِس أَمْوَالهمْ فِي طَاعَة الله وَرِضْوَانه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أَيْ: فِي قَوْلهمْ إِذَا قَالُوا: إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، لا كَبَعْضِ الأَعْرَاب الَّذِينَ لَيْسَ معهم مِنْ الدين إِلَّا الكَلمَة الظَّاهِرَة.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن غَيْلان، حَدَّثَنَا رِشْدِين، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن الحَارِث، عَنْ أَبِي السَّمْح، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَال: إِنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**المُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا على ثلاثةِ أَجْزَاء: الَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرَسُوله ثُمَّ لمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ فِي سَبِيل الله. وَالَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ على أَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ. الَّذِي إِذَا أَشْرَفَ على طَمَع تَرَكَهُ لله عَزَّ وَجَلَّ**»[1]. وقوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أَيْ: أَتُخْبِرُونَهُ بِمَا فِي ضَمَائِركُمْ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: لا يَخْفَى عَلَيْهِ مِثْقَال ذَرَّة فِي الأَرْض وَلا فِي السَّمَاء، وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلكَ وَلا أَكْبَرُ، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ يَعْنِي الأَعْرَاب يَمُنُّونَ بِإِسْلامِهِمْ وَمُتَابَعَتهمْ وَنُصْرَتهمْ عَلى الرَّسُول ﷺ، يَقُول الله رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ فَإِنَّ نَفْعَ ذَلكَ إِنَّمَا يَعُود عَلَيْكُمْ، وَلله المِنَّة عَلَيْكُمْ فِيهِ، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَيْ: فِي دَعْوَاكُمْ ذَلكَ، كَمَا قَال النَّبِيّ ﷺ للأَنْصَارِ يَوْم حُنَيْن: «**يَا مَعْشَر الأَنْصَار، أَلمْ أَجِدكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ الله بِي؟ وَكُنْتُمْ عَالة فَأَغْنَاكُمْ الله بِي؟**». كُلَّمَا قَال شَيْئًا قَالُوا: الله وَرَسُوله أَمَنُّ.[2]

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن سَعِيد الجَوْهَرِيّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد الأُمَوِيّ، عَنْ مُحَمَّد ابْن قَيْس، عَنْ أَبِي عَوْن، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ؛ قَال: جَاءَتْ بَنُو أَسَد إِلى رَسُول الله ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُول الله؛ أَسْلمْنَا وَقَاتَلتْك العَرَب، وَلمْ نُقَاتِلك، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ فِقْهَهمْ قَلِيل، وَإِنَّ الشَّيْطَان يَنْطِق عَلى أَلسِنَتهمْ**». وَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. ثم قال: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله، عن سعيد بن جبير، غير هذا الحديث. ثم كَرَّرَ الإِخْبَار بِعِلمِهِ بِجَمِيعِ الكَائِنَات، وَبَصَره بِأَعْمَال المَخْلُوقَات فَقَال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة الحُجُرَات، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٨) بسند ضعيف.

(٢) صحيح: تقدم.

تفسير سُورَةُ قٓ وهي مكية

ترتيبها ٥٠ وآياتها ٤٥

وهَذِهِ السُّورَة هِيَ أَوَّل الحِزْب المُفَصَّل عَلى الصَّحِيح، وَقِيل: مِنْ الحُجُرَات. وَأَمَّا مَا يَقُولهُ العَامة: إِنَّهُ مِنْ ﴿عَمّ﴾ فَلا أَصْل لهُ، وَلمْ يَقُلهُ أَحَد مِنْ العُلَماء المُعْتَبَرِينَ فِيمَا نَعْلم. وَالدَّلِيل عَلى أَنَّ هَذِهِ السُّورَة هِيَ أَوَّل المُفَصَّل مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنه»، بَاب «تَحْزِيب القُرْآن»، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا مُسَدَّد، حَدَّثَنَا قُرَّان بْن تَمَّام، /ح/ وَحَدَّثَنَا عَبْد الله بْن سَعِيد أَبُو سعيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالد سُليْمان بْن حِبَّان -وَهَذَا لفْظه- عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن يَعْلى، عَنْ عُثْمان بْن عَبْد الله بْن أَوْس، عَنْ جَدّه -قَال عَبْد الله بْن سَعِيد: حَدَّثَنِيهِ أَوْس بْن حُذَيْفَة- ثُمَّ اتَّفَقَا قَال: قَدِمْنَا عَلى رَسُول الله ﷺ فِي وَفْد ثَقِيف، قَال: فَنَزَلتْ الأَحْلاف عَلى المُغِيرَة بْن شُعْبَة رضي الله عنه، وَأَنْزَل رَسُول الله ﷺ بَنِي مَالك فِي قُبَّة لهُ. قَال مُسَدَّد: وَكَانَ فِي الوَفْد الَّذِينَ قَدِمُوا عَلى رَسُول الله ﷺ مِنْ ثَقِيف قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَأْتِينَا كُل ليْلة بَعْد العِشَاء يُحَدِّثنَا. قَال أَبُو سَعِيد: قَائِمًا عَلى رجليه حَتَّى يُرَاوِح بَيْن رِجْليْهِ مِنْ طُول القِيَام، فَأَكْثَرُ مَا يُحَدِّثنَا ﷺ مَا لقِيَ مِنْ قَوْمه قُرَيْش، ثُمَّ يَقُول ﷺ: «لا سَوَاءَ، وكُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ -قَال مُسَدَّد: بِمَكَّة- فَلمَّا خَرَجْنَا إِلى المَدِينَة كَانَتْ سجال الحَرْب بَيْننَا وَبَيْنهمْ، نُدَال عَليْهِمْ وَيُدَالُون عَليْنَا». فَلمَّا كَانَتْ ليْلة أَبْطَأَ عَنَّا ﷺ الوَقْت الَّذِي كَانَ يَأْتِينَا فِيهِ، فَقُلنَا: لقَدْ أَبْطَأْت عنا اللَّيْلة! قَال ﷺ: «**إِنَّهُ طرَأَ عَليَّ جزئي مِنْ القُرْآن، فكَرِهْت أَنْ أَجيء حَتَّى أُتِمَّهُ**».

قَال أَوْس: سَأَلت أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ: كَيْف يُحَزِّبُونَ القُرْآن؟ فَقَالُوا: ثَلاث، وَخَمْس، وَسَبْع، وَتِسْع، وَإِحْدَى عَشْرَة، وَثَلاث عَشْرَة، وَحِزْب المُفَصَّل وَحْده.[1] وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ أَبِي خَالد الأَحْمَر بِهِ. وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن، هُوَ ابْن يَعْلى الطَّائِفِيّ بِهِ. إِذَا عُلمَ هَذَا فَإِذَا عَدَدْت ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سُورَة، فَالَّتِي بَعْدهنَّ سُورَة «ق»، بَيَانه: ثَلاث: البَقَرَة، وَآل عِمْرَان، وَالنِّسَاء. وَخَمْس: المَائِدَة، وَالأَنْعَام، وَالأَعْرَاف، وَالأَنْفَال، وَبَرَاءَة. وَسَبْع: يُونُس، وَهُود، وَيُوسُف، وَالرَّعْد، وَإِبْرَاهِيم، وَالحِجْر، وَالنَّحْل. وَتِسْع: سُبْحَان، وَالكَهْف، وَمَرْيَم، وَطَه، وَالأَنْبِيَاء، وَالحَجّ، وَالمُؤْمِنُونَ، وَالنُّور، وَالفُرْقَان. وَإِحْدَى عَشْرَة: الشُّعَرَاء، وَالنَّمْل، وَالقَصَص، وَالعَنْكَبُوت، وَالرُّوم، وَلُقْمَان، وَألم السَّجْدَة، وَالأَحْزَاب، وَسَبَأ، وَفَاطِر، وَيس. وَثَلاث عَشْرَة: الصَّافَّات، وَص، وَالزُّمَر، وَغَافِر، وَحم السَّجْدَة، وَعسق، وَالزُّخْرُف، وَالدُّخَان، وَالجَاثِيَة، وَالأَحْقَاف، وَالقِتَال، وَالفَتْح، وَالحُجُرَات. ثُمَّ بَعْد ذَلكَ الحِزْب المُفَصَّل، كَمَا قَالهُ الصَّحَابَة رضي الله عنهم. فَتَعَيَّنَ أَنَّ أَوَّله سُورَة «ق» وَهُوَ الَّذِي قُلنَاهُ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، حَدَّثَنَا مَالك، عَنْ ضَمْرَة بْن سَعِيد عَنْ عبيد الله بْن عَبْد الله، أَنَّ عُمَر بْن الخَطَّاب سَأَل أَبَا وَاقِد اللَّيْثِيّ: مَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ فِي العِيد؟ قَال: بِقاف، وَاقْتَرَبَتْ[2]. وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَهْل السُّنَن الأَرْبَعَة مِنْ حَدِيث مَالك بِهِ. وَفِي رِوَايَة لمُسْلمٍ عَنْ فليح عَنْ ضَمْرَة عَنْ عبيد الله عَنْ أَبِي وَاقِد؛ قَال: سَأَلنِي عُمَر رضي الله عنه فَذَكَرَهُ.

حَدِيث آخَر: وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا أَبِي، عن ابن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر ابْن عَمْرو بْن حَزْم، عَنْ يَحْيَى بْن عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَسْعَد بْن زُرَارَة، عَنْ أُمّ هِشَام بِنْت حَارِثَة؛ قَالتْ:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٩١).

لَقَدْ كَانَ تَنُّورنَا وَتَنُّور النَّبِيّ ﷺ وَاحِدًا سَنَتَيْنِ، أَوْ سَنَة وَبَعْض سَنَة، وَمَا أَخَذْت ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إِلَّا عَلى لِسَان رَسُول الله ﷺ ، كَانَ يَقْرَؤُهَا كُلّ يَوْم جُمُعَة عَلى الْمِنْبَر إِذَا خَطَبَ النَّاس.[1] رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث ابْن إِسْحَاق بِهِ. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ حَبِيب بْن عَبْد الله ابْن مُحَمَّد بْن مَعْن، عَنْ ابْنَة الْحَارِث بْن النُّعْمَان؛ قَالتْ: مَا حَفِظْت «ق» إِلَّا مِنْ فِي رَسُول الله ﷺ يَخْطُب بِهَا كُلّ جُمُعَة. قَالتْ: وَكَانَ تَنُّورنَا وَتَنُّور رَسُول الله ﷺ وَاحِدًا. وكذا رَوَاهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ. وَالْقَصْد أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ بِهَذِهِ السُّورَة فِي الْمَجَامِع الكِبَار، كَالعِيدِ وَالجُمَع، لاشْتِمَالهَا عَلى ابْتِدَاء الْخَلق وَالبَعْث وَالنُّشُور، وَالْمَعَاد وَالقِيَام، وَالحِسَاب، وَالجَنَّة وَالنَّار، وَالثَّوَاب وَالعِقَاب، وَالتَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ② أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ④ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

﴿قٓ﴾ حَرْف مِنْ حُرُوف الهِجَاء الْمَذْكُورَة فِي أَوَائِل السُّوَر، كَقَوْلِهِ: (ص، ن، وَألم، وَحم، وَطس) وَنَحْو ذَلكَ، قَالهُ مُجَاهِد وَغَيْره. وَقَدْ أَسْلفْنَا الكَلام عَليْهَا، فِي أَوَّل «سُورَة البَقَرَة» بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْض السَّلف أَنَّهُمْ قَالُوا ﴿قٓ﴾ جَبَل مُحِيط بِجَمِيعِ الأَرْض، يُقَال لهُ: جَبَل قَاف، وَكَأَنَّ هَذَا وَالله أَعْلمُ مِنْ خُرَافَات بَنِي إِسْرَائِيل الَّتِي أَخَذَهَا عَنْهُمْ بَعْض النَّاس لَمَا رَأَى مِنْ جَوَاز الرِّوَايَة عَنْهُمْ فِيمَا لا يُصَدَّقُ وَلا يُكَذَّب، وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا وَأَمْثَاله وَأَشْبَاهه مِنْ اخْتِلاق بَعْض زَنَادِقَتهمْ يَلبِسُونَ بِهِ عَلى النَّاس أَمْر دِينهِمْ، كَمَا افْتُرِيَ فِي هَذِهِ الأُمَّة -مَعَ جَلالة قَدْر عُلمَائِهَا وَحُفَّاظهَا وَأَئِمَّتهَا- أَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيّ ﷺ ، وَمَا بِالعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ، فَكَيْف بِأُمَّةِ بَنِي إِسْرَائِيل مَعَ طُول الْمَدَى، وَقِلَّة الحُفَّاظ النُّقَّاد فِيهِمْ، وَشُرْبهمْ الخُمُور، وَتَحْرِيف عُلمَائِهِمْ الكَلم عَنْ مَوَاضِعه، وَتَبْدِيل كُتُب الله وَآيَاته! وَإِنَّمَا أَبَاحَ الشَّارِع الرِّوَايَة عَنْهُمْ فِي قَوْله: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيل، وَلا حَرَج» فِيمَا قَدْ يُجَوِّزهُ العَقْلُ، فَأَمَّا فِيمَا تُحِيلهُ العُقُول وَيُحْكَم عليه بِالبُطْلانِ. وَيَغْلب عَلى الظُّنُون كَذِبه، فَليْسَ مِنْ هَذَا القَبِيل، وَالله أَعْلمُ.

وَقَدْ أَكْثَرَ كَثِير مِنْ السَّلف مِنْ الْمُفَسِّرِينَ، وَكَذَا طَائِفَة كَثِيرَة مِنْ الخَلف، مِنْ الحِكَايَة عَنْ كُتُب أَهْل الكِتَاب فِي تَفْسِير القُرْآن الْمَجِيد، وَليْسَ بِهِمْ احْتِيَاج إِلى أَخْبَارهمْ، وَلله الحَمْد وَالْمِنَّة، حَتَّى إِنَّ الإِمَام أَبَا مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي حَاتِم الرَّازِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَوْرَدَ هَهُنَا أَثَرًا غَرِيبًا لا يَصِح سَنَدُهُ عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَال: حَدَّثَنَا أَبِي، قَال: حُدِّثْت عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل الْمَخْزُومِيّ، حَدَّثَنَا ليْث بْن أَبِي سُليْم، عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: خَلقَ الله مِنْ وَرَاء هَذِهِ الأَرْض بَحْرًا مُحِيطًا، ثُمَّ خَلقَ مِنْ وَرَاء ذَلكَ البَحْر جَبَلًا يُقَال لهُ: «قَ»، السَّمَاء الدُّنْيَا مَرْفُوعَة عَليْهِ، ثُمَّ خَلقَ الله مِنْ وَرَاء ذَلكَ الجَبَل أَرْضًا مِثْل تِلكَ الأَرْض سَبْع مَرَّات. ثُمَّ خَلقَ مِنْ وَرَاء ذَلكَ بَحْرًا مُحِيطًا بِهَا، ثُمَّ خَلقَ مِنْ وَرَاء ذَلكَ جَبَلًا يُقَال لهُ «قَ»، السَّمَاء الثَّانِيَة مَرْفُوعَة عَليْهِ، حَتَّى عَدَّ سَبْع أَرَضِينَ، وَسَبْعَة أَبْحُر، وَسَبْعَة أَجْبُل، وَسَبْع سَمَاوَات. قَال: وَذَلكَ قَوْله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨٧٣).

بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٍ ﴾[1] . فَإِسْنَاد هَذَا الأَثَر فِيهِ انْقِطَاع، وَالَّذِي رَوَاهُ ابن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿قٓ﴾ قال: هُوَ اسْم مِنْ أَسْمَاء الله، عَزَّ وَجَلَّ.[2] وَالَّذِي ثَبَتَ من مُجَاهِد، أَنَّهُ حَرْف مِنْ حُرُوف الهِجَاء، كَقَوْلِهِ: (ص - ن - حم - طس - طسم - ألم) وَنَحْو ذَلكَ. فَهَذِهِ تُبْعِد مَا تَقَدَّمَ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما .

وَقِيل: المُرَاد: «قُضِيَ الأَمْر وَالله» وَأَنَّ قَوْله: ﴿قٓ﴾ دَلَّتْ عَلَى المَحْذُوف مِنْ بَقِيَّة الكَلِمَة، كَقَوْل الشَّاعِر: (قُلت لهَا: قِفِي فَقَالتْ «ق»). وَفِي هَذَا التَّفْسِير نَظَرٌ؛ لأَنَّ الحَذْف فِي الكَلام إِنَّمَا يَكُون إِذَا دَلَّ دَليل عَلَيْهِ، وَمِنْ أَيْنَ يُفْهَم هَذَا مِنْ ذِكْر هَذَا الحَرْف؟ وَقَوْله: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ أَيْ: الكَرِيم العَظِيم الَّذِي لا يَأْتِيه البَاطِل مِنْ بَيْن يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلفه، تَنْزِيل مِنْ حَكِيم حَمِيد. وَاخْتَلفُوا فِي جَوَاب القَسَم مَا هُوَ؟ فَحَكَى ابْن جَرِير عَنْ بَعْض النُّحَاة أَنَّهُ قَوْله تَعَالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾. وَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ بَل الجَوَابُ هُوَ مَضْمُونُ الكَلام بَعْدَ القَسَم، وَهُوَ إِثْبَات النُّبُوَّةِ، وَإِثْبَاتُ المَعَادِ، وَتَقْرِيره وَتَحْقِيقه وَإِنْ لَمْ يَكُنْ القَسَم متلقًّى لفْظًا، وَهَذَا كَثِير فِي أَقْسَام القُرْآن، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْله: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾.

وهكذا قَال هَهُنَا: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ أَيْ: تَعَجَّبُوا مِنْ إِرْسَال رَسُول إِليْهِمْ مِنْ البَشَر، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أَيْ: وَليْسَ هَذَا بِعَجِيب، فَإِنَّ الله يَصْطَفِي مِنْ المَلائِكَة رُسُلًا وَمِنْ النَّاس.

ثُمَّ قَال مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي تَعَجُّبهمْ أَيْضًا مِنْ المَعَاد وَاسْتِبْعَادهمْ لوُقُوعِهِ: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أَيْ يَقُولُونَ: أَئذَا مِتْنَا وَبَلينَا، وَتَقَطَّعَتْ الأَوْصَالُ مِنَّا، وَصِرْنَا تُرَابًا كَيْفَ يُمْكِنُ الرُّجُوعُ بَعْدَ ذَلكَ إِلى هَذِهِ البِنْيَةِ وَالتَّرْكِيبِ؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أَيْ: بَعِيد الوُقُوع. ومعنى هذا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ اسْتِحَالته وَعَدَم إِمْكَانه، قَال الله تَعَالى رَادًّا عَليْهِمْ: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ أَيْ: مَا تَأْكُل مِنْ أَجْسَادهمْ فِي البِلى، نَعْلم ذَلكَ، وَلا يَخْفَى عَليْنَا أَيْنَ تَفَرَّقَتْ الأَبْدَان، وَأَيْنَ ذَهَبَتْ، وَإِلى أَيْنَ صَارَتْ؟ ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ أَيْ: حَافِظٌ لذَلكَ، فَالعِلم شَامِل، وَالكِتَاب أَيْضًا فِيهِ كُلّ الأَشْيَاء مَضْبُوطَة.

قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ أَيْ: مَا تَأْكُل مِنْ لُحُومهمْ وَأَبْشَارهمْ، وَعِظَامهمْ وَأَشْعَارهمْ، وكَذَا قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَغَيْرهمْ. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالى سَبَب كُفْرهمْ وَعِنَادهمْ وَاسْتِبْعَادهمْ مَا ليْسَ بِبَعِيدٍ؛ فقال: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ أَيْ: وَهَذَا حَال كُلّ مَنْ خَرَجَ عَنْ الحَقّ، مَهْمَا قَال بَعْد ذَلكَ فَهُوَ بَاطِل. وَالمَرِيج: المُخْتَلف المُضْطَرِب المُلتَبِس المُنْكَر خِلاله، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾.

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنَبِّهًا للعِبَادِ عَلى قُدْرَته العَظِيمَة الَّتِي أَظْهَرَ بِهَا مَا هُوَ أَعْظَم مِمَّا تَعَجَّبُوا مُسْتَبْعِدِينَ لوُقُوعِهِ:

---

(١) ضعيف : فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٢) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٦/ ١٤٧) بسند ضعيف.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ أَيْ: بِالْمَصَابِيحِ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي مِنْ شُقُوق. وَقَال غَيْره: فُتُوق. وَقَال غَيْره: من صُدُوع. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِب؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أَيْ: كَلِيل، أَيْ: عَنْ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ نَقْصًا. وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ أَيْ: وَسَّعْنَاهَا وَفَرَشْنَاهَا، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ وَهِيَ الْجِبَال، لِئَلَّا تَمِيد بِأَهْلِهَا وَتَضْطَرِب، فَإِنَّهَا مُقَرَّة عَلَى تَيَّار الْمَاء الْمُحِيط بِهَا مِنْ جَمِيع جَوَانِبِهَا، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ أَيْ: مِنْ جَمِيع الزُّرُوع وَالثِّمَار وَالنَّبَات وَالأَنْوَاع، ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وَقَوْله: ﴿بَهِيجٍ﴾ أَيْ: حَسَن نَضِر. ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أَيْ: وَمُشَاهَدَة خَلق السَّمَاوَات وَالأَرْض وَمَا جُعِل فِيهِمَا مِنْ الآيَات الْعَظِيمَة تَبْصِرَة وَدَلالة وَذِكْرَى ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أَيْ: خَاضِع خَائِف وَجِل رَجَّاع إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ أَيْ: نَافِعًا، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ أَيْ: حَدَائِق مِنْ بَسَاتِين وَنَحْوهَا، ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وَهُوَ: الزَّرْع الَّذِي يُرَاد لِحَبِّهِ وَادِّخَاره. ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ أَيْ: طِوَال شَاهِقَات. وَقَال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرهمْ: البَاسِقَات الطِّوَال، ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أَيْ: مَنْضُود، ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أَيْ: للخَلق، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وَهِيَ الأَرْض الَّتِي كَانَتْ هَامِدَة، فَلَمَّا نَزَل عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلّ زَوْج بَهِيج، مِنْ أَزَاهِير وَغَيْر ذَلِكَ، مِمَّا يَحَار الطَّرْف فِي حُسْنهَا، وَذَلِكَ بَعْدَمَا كَانَتْ لا نَبَات بِهَا، فَأَصْبَحَتْ تَهْتَزّ خَضْرَاء، فَهَذَا مِثَال لِلبَعْثِ بَعْد الْمَوْت وَالهَلاك، كَذَلِكَ يُحْيِي الله الْمَوْتَى. وَهَذَا الْمُشَاهَد مِنْ عَظِيم قُدْرَته بِالحِسّ أَعْظَمُ مِمَّا أَنْكَرَهُ الجَاحِدُونَ لِلبَعْثِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾، وَقَوْله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. وَقَال تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُتَهَدِّدًا لِكُفَّارِ قُرَيْش بِمَا أَحَلَّهُ بِأَشْبَاهِهِمْ وَنُظَرَائِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَهُ، مِنْ النِّقَمَات وَالعَذَاب الأَلِيم فِي الدُّنْيَا، كَقَوْمِ نُوح وَمَا عَذَّبَهُمْ الله بِهِ مِنْ الغَرَق العَامّ لِجَمِيعِ أَهْل الأَرْض، وَأَصْحَاب الرَّسّ وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّتهمْ فِي «سُورَة الفُرْقَان»، ﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ وَهُمْ أُمَّته الَّذِين بُعِثَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْل سَدُوم وَمُعَامَلَتهَا مِنْ الغَوْر، وَكَيْف خَسَفَ الله تَعَالَى بِهِمْ الأَرْض، وَأَحَال أَرْضهمْ بُحَيْرَة مُنْتِنَة خَبِيثَة؛ بِكُفْرِهِمْ وَطُغْيَانهمْ وَمُخَالَفَتهمْ الحَقّ، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وَهُمْ قَوْم شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام، ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وَهُوَ اليَمَانِيّ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ شَأْنه فِي «سُورَة الدُّخَان» بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، وَللهِ الحَمْد.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أَيْ: كُلّ مِنْ هَذِهِ الأُمَم وَهَؤُلاءِ القُرُون كَذَّبَ رَسُوله، وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُول فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ بِجَمِيع الرُّسُل، كَقَوْلِهِ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُول وَاحِد، فَهُمْ فِي نَفْس الأَمْر لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيع الرُّسُل كَذَّبُوهُمْ، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أَيْ: فَحَقَّ عَلَيْهِمْ مَا أَوْعَدَهُمْ الله عَلَى التَّكْذِيب مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال. فَلْيَحْذَرْ الْمُخَاطَبُونَ أَنْ يُصِيبهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا رَسُولهمْ كَمَا كَذَّبَ أُولَئِكَ. وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أَيْ: أَفَأَعْجَزَنَا ابْتِدَاءُ الخَلق حَتَّى هُمْ فِي شَكّ مِنْ الإِعَادَة، ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ : وَالْمَعْنَى أَنَّ

ابْتِدَاء الخَلق لَمْ يُعْجِزْنَا، وَالإِعَادَة أَسْهَلُ مِنْهُ، كَمَا قَال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، وَقَال الله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيح: «**يَقُول الله تَعَالى: يُؤْذِينِي ابْن آدَم، يَقُول: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي. وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلق بِأَهْوَنَ عَليَّ مِنْ إِعَادَته**».[1]

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ قُدْرَته عَلى الإِنْسَان بِأَنَّهُ خَالقه، وعلمه مُحِيط بِجَمِيع أُمُوره، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالى يَعْلم مَا تُوَسْوِس بِهِ نُفُوس بَنِي آدَم مِنْ الخَيْر وَالشَّرّ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسهَا مَا لمْ تَقُل أَوْ تَعمَل**»[2]. وَقَوْله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ يَعْنِي مَلائِكَته تَعَالى أَقْرَبُ إِلى الإِنْسَان مِنْ حَبْل وَرِيده إِلَيْهِ. وَمَنْ تَأَوَّلَهُ عَلى العِلم فَإِنَّمَا فَرَّ لِئَلَّا يَلزَمُ حُلُولٌ أَوْ اتِّحَادٌ، وَهُمَا مَنْفِيَّانِ بِالإِجْمَاع، تَعَالى الله وَتَقَدَّس، وَلكِنَّ اللَّفْظ لا يَقْتَضِيه، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُل: وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْل الوَرِيد، وَإِنَّمَا قَال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، كَمَا قَال فِي المُحْتَضَر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ يَعْنِي: مَلائِكَته؛ وَكَمَا قَال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ فَالمَلائِكَة نَزَلتْ بِالذِّكْرِ -وَهُوَ القُرْآن- بِإِذْنِ الله ﷻ. وَكَذَلكَ المَلائِكَة أَقْرَبُ إِلى الإِنْسَان مِنْ حَبْل وَرِيده إِلَيْهِ بِإِقْدَارِ الله لهُمْ عَلى ذَلكَ، فَللمَلكِ لَمَّة فِي الإِنْسَان، كَمَا أَنَّ للشَّيْطَانِ لَمَّة، وَكَذَلكَ: «**الشَّيْطَان يَجْرِي مِنْ ابْن آدَم مَجْرَى الدَّم**»[3]. كَمَا أَخْبَرَ بِذَلكَ الصَّادِق المَصْدُوق؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يَعْنِي: المَلكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَل الإِنْسَان. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أَيْ: مُتَرَصِّد، ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أَيْ: ابْنُ آدَم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أَيْ: مَا يَتَكَلَّم بِكَلِمَةٍ ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أَيْ: إِلَّا وَلهَا مَنْ يَرْقُبهَا مُعَدٌّ لِذَلكَ يَكْتُبهَا، لا يَتْرُك كَلمَة وَلا حَرَكَة، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾. وَقَدْ اخْتَلفَ العُلمَاء: هَل يَكْتُب المَلك كُل شَيْء مِنْ الكَلام، وَهُوَ قَوْل الحَسَن وَقَتَادَة، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُب مَا فِيهِ ثَوَاب وَعِقَاب، كَمَا هُوَ قَوْل ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما؟ عَلى قَوْليْنِ، وَظَاهِر الآيَة الأَوَّل؛ لعُمُومِ قَوْله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن عَلقَمَة اللَّيْثِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلقَمَة، عَنْ بِلال بْن الحَارِث المُزَنِيّ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُل ليَتَكَلَّم بِالكَلمَةِ مِنْ رِضْوَان الله تَعَالى مَا يَظُنّ أَنْ تَبْلُغ مَا بَلغَتْ، يَكْتُب الله لهُ بِهَا رِضْوَانه إِلى يَوْم يَلقَاهُ. وَإِنَّ الرَّجُل ليَتَكَلَّم بِالكَلمَةِ مِنْ سَخَط الله، مَا يَظُنّ أَنْ تَبْلُغ مَا بَلغَتْ، يَكْتُب الله عَليْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلى يَوْم يَلقَاهُ**». قَال: فَكَانَ عَلقَمَة يَقُول: كَمْ مِنْ كَلام قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلال بْن الحَارِث.[4] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن عَمْرو، بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح». وَلهُ شَاهِد فِي الصَّحِيح.

---

(١) **صحيح**: تقدم.

(٢) **صحيح**: تقدم.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٤١٧٥).

(٤) **صحيح**: تقدم.

وَقَال الأَحْنَف بْن قَيْس: صَاحِب اليَمِين يَكْتُب الخَيْر، وَهُوَ أمير عَلى صَاحِب الشِّمَال، فَإِنْ أَصَابَ العَبْد خَطِيئَة قَال لَهُ: أَمْسِكْ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ الله تَعَالى نَهَاهُ أَنْ يَكْتُبهَا، وَإِنْ أَبَى كَتَبَهَا. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: وَتَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ : يَا بن آدَم، بُسِطَتْ لك صَحِيفَةٌ، وَوُكِّل بك مَلكَانِ كَرِيمَانِ، أَحَدهمَا عَنْ يَمِينك، وَالآخر عَنْ شِمَالك، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينك فَيَحْفَظ حَسَنَاتك، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارك فَيَحْفَظ سَيِّئَاتك، فَاعْمَل مَا شِئْت، أَقْلل أَوْ أَكْثِرْ حَتَّى إِذَا مُتّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُك، وَجُعِلتْ فِي عُنُقك مَعَك فِي قَبْرك، حَتَّى تَخْرُج يَوْم القِيَامَة، فَعِنْد ذَلكَ يَقُول: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ثُمَّ يَقُول: عَدَل -وَالله- فِيك مَنْ جَعَلك حَسِيب نَفْسك.

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، قَال: يَكْتُب كُلّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْر أَوْ شَرّ، حَتَّى إِنَّهُ ليَكْتُب قَوْله: «أَكَلت، شَرِبْت، ذَهَبْت، جِئْت، رَأَيْت»، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْم الخَمِيس عُرِضَ قَوْله وَعَمَله، فَأَقَرَّ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْر أَوْ شَرّ وَأَلْقَى سَائِره، وَذَلكَ قَوْله: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾. وَذُكِرَ عَنْ الإِمَام أَحْمَد أَنَّهُ كَانَ يَئِنّ فِي مَرَضه، فَبَلغَهُ عَنْ طَاوُس أَنَّهُ قَال: يَكْتُب المَلك كُلّ شَيْء حَتَّى الأَنِين. فَلمْ يَئِنّ أَحْمَد حَتَّى مَاتَ رحمه الله. وقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يَقُول تعالى: وَجَاءَتْ -أَيهَا الإِنْسَان- سَكْرَة المَوْت بِالحَقّ، أَيْ: كَشَفَتْ لك عَنْ اليَقِين الَّذِي كُنْت تَمْتَرِي فِيهِ، ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أَيْ: هَذَا هُوَ الَّذِي كُنْت تَفِرّ مِنْهُ قَدْ جَاءَك، فَلا مَحِيد وَلا مَنَاص، وَلا فِكَاك وَلا خَلاص.

وَقَدْ اخْتَلفَ المُفَسِّرُونَ فِي المُخَاطَب بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، فَالصَّحِيح أَنَّ المُخَاطَب بِذَلكَ الإِنْسَان مِنْ حَيْثُ هُوَ. وَقِيل: الكَافِر، وَقِيل غَيْر ذَلكَ. وَقَال أَبُو بَكْر بْن أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن زِيَاد -سبلان- أَخْبَرَنَا عَبَّاد بْن عَبَّاد عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن عَلقَمَة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه عَلقَمَة بْن وَقَّاص؛ أن عَائِشَة رضي الله عنها قَالتْ: حَضَرْت أَبِي رضي الله عنه وَهُوَ يَمُوت وَأَنَا جَالسَة عِنْد رَأْسِهِ، فأخذته غَشْيَة فَتَمَثَّلت بِبَيْتٍ مِنْ الشِّعْر:

مَنْ لا يَزَال دَمْعُهُ مُقَنَّعًا ۞ فَإِنَّهُ لا بُدَّ مَرَّة مَدْفُوق

قَالتْ: فَرَفَعَ رضي الله عنه رَأْسه، فَقَال: يَا بُنَيَّة؛ لَيْسَ كَذَلكَ، وَلكِنْ كَمَا قَال الله تَعَالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ . وَحَدَّثَنَا خلف بْن هِشَام، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَاب، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ البَهِيّ قَال: لـمَّا أَنْ ثَقُل أَبُو بَكْر رضي الله عنه جَاءَتْ عَائِشَة رضي الله عنها فَتَمَثَّلتْ بِهَذَا البَيْت:

لعَمْرك مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنْ الفَتَى ۞ إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فَكَشَفَ عَنْ وَجْهه، وَقَال رضي الله عنه: لَيْسَ كَذَلكَ، وَلكِنْ قُولِي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾. وَقَدْ أَوْرَدْت هَذَا الأَثَر طُرُقًا فِي «سِيرَة الصِّدِّيق رضي الله عنه» عِنْد ذِكْر وَفَاته رضي الله عنه. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا تَغَشَّاهُ المَوْت جَعَل يَمْسَح العَرَق عَنْ وَجْهه، وَيَقُول: «**سُبْحَان الله! إِنَّ للمَوْتِ لسَكَرَاتٍ**»[1]. وَفِي قَوْله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ قَوْلانِ: **أَحَدهمَا**: أَنَّ «مَا» هَهُنَا مَوْصُولةٌ، أَيْ: الَّذِي كُنْت مِنْهُ تَحِيد -بِمَعْنَى: تَبْتَعِد وتنأى وَتَفِرّ- قَدْ حَلَّ بِك وَنَزَل بِسَاحَتِك. **وَالقَوْل الثَّانِي**: أَنَّ «مَا» نَافِيَة، بِمَعْنَى: ذَلكَ مَا كُنْت تَقْدِر عَلى الفرار

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥١٠).

مِنْهُ وَلا الحَيْد عَنْهُ. وَقَدْ قَالَ الطَّبَرَانِيّ فِي «المُعْجَم الكَبِير»: حَدَّثَنَا محمد بْن عَلِيّ الصَّائِغ المَكِّيّ، حَدَّثَنَا حَفْص بن عُمَر الحدي، حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن مُحَمَّد الهُذَلِيّ، عَنْ يُونُس بْن عُبَيْد، عَنْ الحَسَن، عَنْ سَمُرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَثَل الَّذِي يَفِرّ مِنَ المَوْت مَثَل الثَّعْلَب، تَطْلُبهُ الأَرْض بدَيْن، فَجَاءَ يَسْعَى حَتَّى إِذَا أَعْيَا وَأَسْهَرَ دَخَل جُحْرَهُ، فقالت لهُ الأَرْض: يَا ثَعْلَب؛ دَيْنِي. فَخَرَجَ وَلهُ حُصَاص، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ عُنُقه وَمَاتَ»**.[1]

وَمَضْمُون هَذَا المَثَل: كَمَا لا انْفِكَاك لهُ وَلا مَحِيد عَنْ الأَرْض، كَذَلِكَ الإِنْسَان لا مَحِيد لهُ عَنْ المَوْت.

وَقَوْله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلَى حَدِيث النَّفْخ فِي الصُّور وَالفَزَع وَالصَّعْق وَالبَعْث، وَذَلِكَ يَوْم القِيَامَة. وَفِي الحَدِيث أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«كَيْف أَنْعَمُ وَصَاحِب القَرْن قَدْ التَقَمَ القَرْن وَحَنَى جَبْهَته، وَانْتَظَرَ أَنْ يُؤْذَن لهُ»**. قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ كَيْف نَقُول؟ قَال ﷺ: **«قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»**. فَقَال القَوْم: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ.[2] ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أَيْ: مَلك يَسُوقهُ إِلى المَحْشَر، وَمَلك يَشْهَد عَلَيْهِ بِأَعْمَالِهِ. هَذَا هُوَ الظَّاهِر مِنْ الآيَة الكَرِيمَة. وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير، ثُمَّ رُوِيَ مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل بْن أَبِى خَالد، عَنْ يَحْيَى بْن رَافِع -مَوْلَى لِثَقِيفٍ- قَال: سَمِعْت عُثْمَان بْن عَفَّان ﷺ يَخْطُب، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، فَقَال: سَائِق يَسُوقهَا إِلى الله، وَشَاهِد يَشْهَد عَلَيْهَا بِمَا عَمِلتْ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة وَابْن زَيْد. وَقَال مُطَرِّف، عَنْ أَبِي جَعْفَر -مَوْلى أَشْجَعَ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ: السَّائِق المَلك، وَالشَّهِيد العَمَل. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ: السَّائِق مِنْ المَلائِكَة، وَالشَّهِيد الإِنْسَان نَفْسه، يَشْهَد عَلى نَفْسه. وَبِهِ قَال الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم أَيْضًا.

وحَكَى ابْن جَرِير ثَلاثَة أَقْوَال فِي المُرَاد بِهَذَا الخِطَاب فِي قَوْله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أَحَدُهَا: أَنَّ المُرَاد بِذَلكَ الكَافِر. رَوَاهُ عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ. وَبِهِ يَقُول الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم وَصَالح بْن كَيْسَان. وَالثَّانِي: أَنَّ المُرَاد بِذَلكَ كُلّ أَحَد مِنْ بَرّ وَفَاجِر؛ لأَنَّ الآخِرَة بِالنِّسْبَةِ إِلى الدُّنْيَا كَاليَقَظَةِ وَالدُّنْيَا كَالمَنَام. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير، وَنَقَلهُ عَنْ حُسَيْن بْن عَبْد الله بْن عُبَيْد الله بْن عَبَّاس. وَالثَّالث: أَنَّ المُخَاطَب بِذَلكَ النَّبِيّ ﷺ. وَبِهِ يَقُول زَيْد بْن أَسْلمَ وَابْنه. وَالمَعْنَى عَلى قَوْلهِمَا: لَقَدْ كُنْت فِي غَفْلة مِنْ هَذَا الشأن قَبْل أَنْ يُوحَى إِليْك، فَكَشَفْنَا عَنْك غِطَاءَكَ بِإِنْزَالهِ إِليْك، فَبَصَرُك اليَوْم حَدِيدٌ. وَالظَّاهِر مِنْ السِّيَاق خِلاف هَذَا، بَل الخِطَاب مَعَ الإِنْسَان مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَالمُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يَعْنِي: مِنْ هَذَا اليَوْم، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أَيْ: قَوِيّ؛ لأَنَّ كُلّ واحد يَوْم القِيَامَة يَكُون مُسْتَبْصِرًا، حَتَّى الكُفَّار فِي الدُّنْيَا يَكُونُونَ يَوْم القِيَامَة عَلى الاسْتِقَامَة، لكِنْ لا يَنْفَعهُمْ ذَلكَ، قَال الله تَعَالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ وَقَال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ المَلك المُوَكَّل بِعَمَل ابْن آدَم: إنه يَشْهَد عَلَيْهِ يَوْم القِيَامَة بِمَا فَعَل، وَيَقُول: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ

---

(١) ضعيف : أخرجه الطبراني (٦٩٢٢) بسند ضعيف.

(٢) صحيح : تقـدم.

عَتِيدٌ﴾ أَيْ: مُعْتَدّ مُحْضَر بِلا زِيَادَة وَلا نُقْصَان. وَقَال مُجَاهِد: هَذَا كَلام المَلك السَّائِق، يَقُول: هَذَا ابْن آدَم الَّذِي وَكَّلتنِي بِهِ قَدْ أَحْضَرْته. وَقَدْ اخْتَارَ ابْن جَرِير أنه يَعُمّ السَّائِق وَالشَّهِيد، وَلهُ اتِّجاه وَقُوَّة. فَعِنْد ذَلِكَ يَحْكُم الله -سبحانه وتَعَالى- فِي الخَلِيقَة بِالعَدْل، فَيَقُول: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾. وَقَدْ اخْتَلفَ النُّحَاة فِي قَوْله: ﴿أَلْقِيَا﴾ فَقَال بَعْضهمْ: هِيَ لُغَة لبَعْضِ العَرَب يُخَاطِبُونَ المُفْرَد بِالتَّثْنِيَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ الحَجَّاج أَنَّهُ كَانَ يَقُول: يَا حَرَسِي، اضْرِبَا عُنُقه. وَمِمَّا أَنْشَدَ ابْن جَرِير عَلى هَذِهِ اللغة قَوْل الشَّاعِر:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ ۞ وَإِنْ تَتْرُكَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعَا

وَقِيل: بَل هِيَ نُون التَّأْكِيد، سُهِّلتْ إِلى الأَلف. وَهَذَا بَعِيد؛ لأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُون فِي الوَقْف، وَالظَّاهِر أَنَّهَا مُخَاطَبَة مَعَ السَّائِق وَالشَّهِيد، فَالسَّائِق أَحْضَرَهُ إِلى عَرْصَة الحِسَاب، فَلمَّا أَدَّى الشَّهِيد عَليْهِ، أَمَرَهُمَا الله تَعَالى بِإِلقَائِهِ فِي نَار جَهَنَّم وَبِئْسَ المَصِير. ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أَيْ: كَثِير الكُفْر وَالتَّكْذِيب بِالحَقِّ، ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحَقِّ، مُعَارِض لهُ بِالبَاطِل مَعَ عِلمه بِذَلكَ. ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أَيْ: لا يُؤَدِّي مَا عَليْهِ مِنْ الحُقُوق، وَلا بِرّ فِيهِ وَلا صِلة وَلا صَدَقَة، ﴿مُعْتَدٍ﴾ أَيْ: فِيمَا يُنْفِقهُ وَيَصْرِفهُ، يَتَجَاوَز فِيهِ الحَدّ. وَقَال قَتَادَة: مُعْتَدٍ فِي مَنْطِقه وسيرته وَأَمْره. ﴿مُّرِيبٍ﴾ أَيْ: شَاكّ فِي أَمْره، مُرِيب لمَنْ نَظَرَ فِي أَمْره. ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أَيْ: أَشْرَكَ بِالله فَعَبَدَ مَعَهُ غَيْره، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الحَدِيث أَنَّ عُنُقًا مِنْ النَّار يَبْرُز للخَلائِق، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ يُسْمِع الخَلائِق: إِنِّي وُكِّلت بِثَلاثَةٍ؛ بِكُلِّ جَبَّار عَنِيد، وَمَنْ جَعَل مَعَ الله إِلهًا آخر، وَبِالمُصَوِّرِينَ. ثُمَّ تلوى عَليْهِمْ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة -هُوَ ابْن هِشَام- حَدَّثَنَا شَيْبَان، عَنْ فِرَاس، عَنْ عَطِيَّة، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه، عَنْ نبي الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**يَخْرُج عُنُق مِنْ النَّار يَتَكَلَّم، يَقُول: وُكِّلت اليَوْم بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّار، وَمَنْ جَعَل مَعَ الله إِلهًا آخَر، وَمَنْ قَتَل نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْس. فَتَنْطَوِي عَليهِمْ، فَتَقْذِفهُمْ فِي غَمَرَات جَهَنَّم**».[1]

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمْ: هُوَ الشَّيْطَان الَّذِي وُكِّل بِهِ. ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أَيْ: يَقُول عَنْ الإِنْسَان الَّذِي قَدْ وَافَى القِيَامَة كَافِرًا، يَتَبَرَّأ مِنْهُ شَيْطَانه، فَيَقُول: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أَيْ: مَا أَضْللته، ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أَيْ: بَل كَانَ هُوَ فِي نَفْسه ضَالًّا قَابِلًا للبَاطِل مُعَانِدًا للحَقِّ. كَمَا أَخْبَرَ تَعَالى فِي الآيَة الأُخْرَى فِي قَوْله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وَقَوْله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يَقُول الرَّبّ -عَزَّ وَجَلَّ- للإِنْسِيِّ وَقَرِينه مِنْ الجِنّ، وَذَلكَ أَنَّهُمَا يَخْتَصِمَانِ بَيْن يَدَيْ الحَقّ، فَيَقُول الإِنْسِيّ: يَا رَبّ، هَذَا أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْر بَعْد إِذْ جَاءَنِي. وَيَقُول الشَّيْطَان: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أَيْ: عَنْ مَنْهَج الحَقّ. فَيَقُول الرَّبّ عز وجل لهُمَا: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أَيْ: عِنْدِي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ أَيْ: قَدْ أَعْذَرْت إِليْكُمْ عَلى أَلسِنَة الرُّسُل، وَأَنْزَلت الكُتُب، وَقَامَتْ عَليْكُمْ الحُجَج وَالبَيِّنَات وَالبَرَاهِين. ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قَال مُجَاهِد: يَعْنِي قَدْ قَضَيْت مَا أَنَا قَاضٍ، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أَيْ: لسْت أُعَذِّب أَحَدًا بِذَنْبِ أَحَد، وَلكِنْ لا أُعَذِّب أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ، بَعْد قِيَام الحُجَّة عَليْهِ.

---

(١) ضعيف بهذا اللفظ: أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) بسند ضعيف.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ يَقُول لِجَهَنَّم يَوْم القِيَامَة: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾؟ وَذَلكَ أنه وَعَدَهَا أَنْ سيملأها مِنْ الجِنَّة وَالنَّاس أَجْمَعِينَ، فَهُوَ سُبْحَانه يَأْمُر بِمَنْ يَأْمُر بِهِ إِلَيْهَا، وَيُلْقَى وَهِيَ تَقُول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أَيْ: هَل بَقِيَ شَيْء تَزِيدُونِي؟ هَذَا هُوَ الظَّاهِر مِنْ سِيَاق الآيَة، وَعَلَيْهِ تَدُلّ الأَحَادِيث، قَال البُخَارِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَبِي الأَسْوَد، حَدَّثَنَا حَرَمِيّ بْن عُمَارَة، حَدَّثَنا شُعْبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**يُلقَى فِي النَّار وَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيد؟ حَتَّى يَضَع قَدَمه فِيهَا، فَتَقُول: قَطْ قَط**»[1]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الوَهَّاب، عَنْ سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لا تَزَال جَهَنَّم يُلقَى فِيهَا وَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيد؟ حَتَّى يَضَع رَبّ العِزَّة فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضهَا إِلى بَعْض، وَتَقُول: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتك وَكَرَمِك. وَلا يَزَال فِي الجَنَّة فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ الله لهَا خَلقًا آخَر، فَيُسْكِنهُمْ الله فِي فُضُول الجَنَّة**». ثُمَّ رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث قَتَادَة بِنَحْوِهِ. وَقد رَوَاهُ أَبَان العَطَّار وَسُلَيْمَان التَّيْمِيّ، عَنْ قَتَادَة، بِنَحْوِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُوسَى القَطَّان، حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَان الحِمْيَرِيّ سَعِيد بْن يَحْيَى بْن مَهْدِيّ، حَدَّثَنَا عَوْف، عَنْ مُحَمَّد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه -رَفَعَهُ، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ يُوقِفهُ أَبُو سُفْيَان-: «**يُقَال لِجَهَنَّم: هَل امْتَلأْت، وَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيد؟ فَيَضَع الرَّبّ عز وجل قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُول: قَطْ قَطْ**». وَرَوَاهُ أَيُّوب، وَهِشَام بْن حَسَّان، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ بِهِ.

طَرِيق أُخْرَى: قَال البُخَارِيّ: وَحَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ [هَمَّام][2]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال النبي ﷺ: «**تَحَاجَّتْ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالتْ النَّار: أُوثِرْت بِالمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالتْ الجَنَّة: مَا لي لا يَدْخُلنِي إِلاَّ ضُعَفَاء النَّاس وَسَقَطهمْ. قَال الله عز وجل للجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِك مَنْ أَشَاء مِنْ عِبَادِي. وَقَال للنَّار: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّب بِك مَنْ أَشَاء مِنْ عِبَادِي، وَلكُلٍّ وَاحِدَة مِنْكُمَا مِلؤُهَا، فَأَمَّا النَّار فَلا تَمْتَلِئ حتى يَضَع رِجْله، فَتَقُول: قَطْ قَطْ قط، فَهُنَالكَ تَمْتَلِئ ويزوي بَعْضهَا إِلى بَعْض، وَلا يَظْلم الله عز وجل من خَلقَهُ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّة فَإِنَّ الله يُنْشِئ لهَا خَلقًا**».

حَدِيث آخَر: قَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**احْتَجَّتْ الجَنَّة وَالنَّار، فَقَالتْ النَّار: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالتْ الجَنَّة: فِيَّ ضُعَفَاء النَّاس وَمَسَاكِينهمْ. فَقَضَى بَيْنهمَا، فَقَال للجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَم بِك مَنْ أَشَاء مِنْ عِبَادِي. وَقَال للنَّار: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّب بِك مَنْ أَشَاء مِنْ عِبَادِي، وَلكُلٍّ وَاحِدَة مِنْكُمَا مِلؤُهَا**»[3]. انْفَرَدَ بِهِ مُسْلم دُون البُخَارِيّ، مِنْ هَذَا الوَجْه، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى أَعْلمُ. وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد مِنْ طَرِيق أُخْرَى، عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه بِأَبْسَطَ مِنْ هَذَا السِّيَاق؛ فَقَال: حَدَّثَنَا حَسَن وَرَوْح؛ قَالا: حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الله بْن عُتْبَة، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**افْتَخَرَتْ الجَنَّة وَالنَّار، فَقَالتْ النَّار:**

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٢) في الأزهرية: [تمام].
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٤٧).

يَا رَبِّ؛ يَدْخُلنِي الجَبَابِرَة وَالمُتَكَبِّرُونَ وَالمُلُوك وَالأَشْرَاف. وَقَالَتْ الجَنَّة: أَيْ رَبِّ؛ يَدْخُلنِي الضُّعَفَاء وَالفُقَرَاء وَالمَسَاكِين. فَيَقُول الله ﷻ للنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيب بِك مَنْ أَشَاء. وَقَال للجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلكُلٍّ وَاحِدَة مِنْكُمَا مِلؤُهَا، فَيُلقَى فِي النَّار أَهْلُهَا فَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيد؟». قَال: «وَيُلقَى فِيهَا وَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيد؟ وَيُلقَى فِيهَا، وَتَقُول: هَل مِنْ مَزِيد، حَتَّى يَأْتِيهَا ﷻ فَيَضَع قَدَمه عَلَيْهَا، فَتُزْوَي وَتَقُول: قَدْنِي، قَدْنِي! وَأَمَّا الجَنَّة فَيَبْقَى فِيهَا مَا شَاءَ الله تَعَالى أَنْ يَبْقَى، فَيُنْشِئُ الله لهَا خَلقًا مَا يَشَاء».

حَدِيث آخَر: وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا عُقْبَة بْن مُكْرَم، حَدَّثَنَا يُونُس، حَدَّثَنَا عَبْد الغَفَّار بْن القَاسِم، عَنْ عَدِيّ بْن ثَابِت، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ قَال: **«يُعَرِّفنِي الله ﷻ نَفْسه يَوْم القِيَامَة، فَأَسْجُد سَجْدَة يَرْضَى بِهَا عَنِّي، ثُمَّ أَمْدَحهُ مِدْحَة يَرْضَى بِهَا عَنِّي، ثُمَّ يُؤْذَن لي فِي الكَلَام، ثُمَّ تَمُرُّ أُمَّتِي عَلى الصِّرَاط -مَضْرُوب بَيْن ظَهْرَانَيْ جَهَنَّم- فَيَمُرُّونَ أَسْرَعَ مِنْ الطَّرْف وَالسَّهْم، وَأَسْرَعَ مِنْ أَجْوَد الخَيْل، حَتَّى يَخْرُج الرَّجُل مِنْهَا يَحْبُو، وَهِيَ الأَعْمَال. وَجَهَنَّم تَسْأَل المَزِيد، حَتَّى يَضَع فِيهَا قَدَمه، فَيَنْزَوِي بَعْضهَا إلى بَعْض، وَتَقُول: قَطْ قَطْ! وَأَنَا عَلى الحَوْض».** قِيل: وَمَا الحَوْض يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ شَرَابه أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَن، وَأَحْلى مِنْ العَسَل، وَأَبْرَدُ مِنْ الثَّلج، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنْ المِسْك، وَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَد النُّجُوم، لا يَشْرَب مِنْهُ إِنْسَانٌ فَيَظْمَأَ أَبَدًا، وَلا يُصْرَفُ فَيَرْوَى أَبَدًا»**[1]. وَهَذَا القَوْل هُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى الحِمَّانِيّ عَنْ نضر الخزاز عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟ قَال: مَا امْتَلأْت، قَال: تَقُول: وَهَل فِيَّ مِنْ مَكَان يُزَاد فِيَّ. وَكَذَا رَوَاهُ الحَكَم بْن أَبَان عَنْ عِكْرِمَة: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ وَهَل فِيَّ مَدْخَل وَاحِد؟ قَدْ امْتَلأْت. قَال الوَلِيد بْن مُسْلم، عَنْ يزيد بْن أَبِي مَرْيَم: أَنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُول: لا يَزَال يُقْذَف فِيهَا حَتَّى تَقُول: قَدْ امْتَلأْت، فَتَقُول: هَل من مَزِيد. وَعَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ نَحْو هَذَا. فَعِنْد هَؤُلاءِ أَنَّ قَوْله تَعَالى: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَمَا يَضَع عَليْهَا قَدَمه، فَتَنْزَوِي وَتَقُول حِينَئِذٍ: هَل بَقِيَ فِيَّ مَزِيد يَسَع شَيْئًا؟ قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: وَذَلكَ حِين لا يَبْقَى فِيهَا مَوْضِع يَسَع إِبْرَة. فالله أَعْلمُ.

وَقَوْله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قَال قَتَادَة، وَأَبُو مَالك، وَالسُّدِّيّ: ﴿أُزْلِفَتْ﴾ أُدْنِيَتْ وَقُرِّبَتْ مِنْ المُتَّقِينَ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، وَذَلكَ يَوْم القِيَامَة، وَليْسَ بِبَعِيدٍ لأَنَّهُ وَاقِع لا مَحَالة، وَكُلّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أَيْ: رَجَّاع، تَائِب مُقْلع، ﴿حَفِيظٍ﴾ أَيْ: يَحْفَظ العَهْد فَلا يَنْقُضهُ وَلا يَنْكُثهُ. وَقَال عُبَيْد بْن عمير: الأَوَّاب الحَفِيظ الَّذِي لا يَجْلس مَجْلسًا فَيَقُوم حَتَّى يَسْتَغْفِر الله عَزَّ وَجَلَّ. ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أَيْ: مَنْ خَافَ الله فِي سِرِّهِ حَيْثُ لا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا الله؛ كَقَوْلِهِ عليه السلام: **«وَرَجُل ذَكَرَ الله خَاليًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**. ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أَيْ: وَلقِيَ الله ﷻ يَوْم القِيَامَة بِقَلبٍ سَليم مُنِيب إِليْهِ خَاضِع لدَيْهِ. ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أَيْ: الجَنَّة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ قَال قَتَادَة: سَلمُوا مِنْ عَذَاب الله، وَسَلَّمَ عَليْهِمْ مَلائِكَة الله. وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أَيْ: يَخْلُدُونَ فِي الجَنَّة فَلا يَمُوتُونَ أَبَدًا، وَلا يَظْعَنُونَ أَبَدًا، وَلا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أَيْ: مَهْمَا اخْتَارُوا وَجَدُوا، مِنْ أَيِّ أَصْنَاف المَلاذّ طَلبُوا أُحْضِرَ لهُمْ. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا عُمَر بْن عُثْمَان، حَدَّثَنَا بَقِيَّة، عَنْ بَحير بْن سَعِد، عَنْ خَالد بْن مَعْدَان، عَنْ كَثِير بْن مُرَّة؛ قَال: مِنْ المَزِيد أَنْ تَمُرّ السَّحَابَة بِأَهْل

---

(١) إسناده ضعيف جدًا: فيه عبد الغفار بن القاسم، قال ابن المديني: كان يضع الحديث.

الجَنَّة فتَقُول: مَاذَا تُرِيدُونَ فَأُمْطِرهُ لكُمْ؟ فَلا يَدْعُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَمْطَرَتْهُمْ. قَال كَثِير: لئِنْ أَشْهَدَنِي الله ذَلكَ لأَقُولنَّ: أَمْطِرِينَا جوَارِي مُزَيَّنَات.

وَفِي الحَدِيث عَنْ ابْن مَسْعُود ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ قَال لهُ: «**إِنَّك لتَشْتَهِي الطَّيْر فِي الجَنَّة، فَيخِرّ بَيْن يَدَيْك مَشْوِيًّا**»[1]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عَليّ بْن عَبْد الله، حَدَّثنَا مُعَاذ بْن هِشَام، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَامِر الأَحْوَل، عَنْ أَبِي الصِّدِّيق، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِذَا اشْتَهَى المُؤْمِن الوَلد فِي الجَنَّة، كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَة وَاحِدَة**»[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ عَنْ بُنْدَار، عَنْ مُعَاذ بْن هِشَام بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن غَرِيب». وَزَادَ: «**كَمَا يشتهي**». وَقَوْله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «صَحِيح مُسْلم» عَنْ صُهَيْب بْن سِنَان الرُّومِيّ: أَنَّهَا النَّظَر إِلى وَجْه الله الكَرِيم. وَقَدْ رَوَى البَزَّار وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث شَرِيك القَاضِي، عَنْ عُثْمَان بْن عُمَيْر أَبِي اليَقْظَان، عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ فِي قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، قَال: يَظْهَر لَهُمْ الرَّبّ ﷻ فِي كُلّ جُمُعَة. وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَبُو عَبْد الله الشَّافِعِيّ مَرْفُوعًا، فَقَال فِي «مُسْنَده»: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنِي مُوسَى بْن عُبَيْدَة، حَدَّثنِي أَبُو الأَزْهَر مُعَاوِيَة بْن إِسْحَاق بْن طَلحَة، عَنْ عُبَيْد بْن عمير أَنَّهُ سَمِعَ أَنَس بْن مَالك ﷺ يَقُول: أَتَى جِبْرَائِيل بِمِرْآةٍ بَيْضَاء فِيهَا نُكْتَة إِلى رَسُول الله ﷺ فَقَال النبي ﷺ: «**مَا هَذِهِ؟**». فَقَال: هَذِهِ الجُمُعَة، فُضِّلت بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتك، فَالنَّاس لكُمْ فِيهَا تَبَع، اليَهُود وَالنَّصَارَى، ولكُمْ [فِيهَا][3] خَيْر، وَلكُمْ فِيهَا سَاعَة لا يُوَافِقهَا مُؤْمِن يَدْعُو الله تَعَالى فِيهَا بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لهُ، وَهُوَ عِنْدنَا يَوْم المَزِيد. قَال النَّبِيّ ﷺ: «**يَا جِبْرِيلُ وَمَا يَوْم المَزِيد؟**». قَال: إِنَّ رَبّك اتَّخَذَ فِي الفِرْدَوْس وَادِيًا أَفْيَح فِيهِ كُثُب المِسْك، فَإِذَا كَانَ يَوْم الجُمُعَة أَنْزَل الله مَا شَاءَ مِنْ مَلائِكَته، وَحَوْله مَنَابِر مِنْ نُور، عَليْهَا مَقَاعِد النَّبِيِّينَ، وحف تِلكَ المَنَابِر بمنابر مِنْ ذَهَبٍ، مُكَلَّلة بِاليَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَد، عَليْهَا الشُّهَدَاء وَالصِّدِّيقُونَ، فَجَلسُوا مِنْ وَرَائِهِمْ عَلى تِلكَ الكُثُب، فَيَقُول الله ﷻ: أَنَا رَبّكُمْ، قَدْ صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، فَسَلُونِي أُعْطِكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبّنَا؛ نَسْأَلك رِضْوَانك، فَيَقُول: قَدْ رَضِيت عَنْكُمْ، وَلكُمْ عَليَّ مَا تَمَنَّيْتُمْ، وَلدَيَّ مَزِيد. فَهُمْ يُحِبُّونَ يَوْم الجُمُعَة لمَا يُعْطِيهِمْ فِيهِ رَبّهمْ مِنْ الخَيْر، وَهُوَ اليَوْم الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ رَبّكُمْ عَلى العَرْش، وَفِيهِ خَلقَ آدَم، وَفِيهِ تَقُوم السَّاعَة.[4] هَكَذَا أَوْرَدَهُ الإِمَام الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَاب الجُمُعَة مِنْ «الأُمّ»، وَلهُ طُرُق عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ، وَقَدْ أَوْرَدَ ابْن جَرِير هَذَا مِنْ رِوَايَة عُثْمَان بْن عُمَيْر، عَنْ أَنَس ﷺ بِأَبْسَطَ مِنْ هَذَا، وَذَكَرَ هَهُنَا أَثَرًا مُطَوَّلًا عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ مَوْقُوفًا وَفِيهِ غَرَائِبُ كَثِيرَةٌ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا حَسَن، حَدَّثنَا ابْن لهِيعَة، حَدَّثنَا دَرَّاج عَنْ [أَبِي الهَيْثَم][5]، عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ الرَّجُل فِي الجَنَّة ليَتَّكِئُ فِي الجَنَّة سَبْعِينَ سَنَة قَبْل أَنْ يَتَحَوَّل، ثُمَّ تَأْتِيه امْرَأَة فتضرب عَلى مَنْكِبه، فَيَنْظُر وَجْهه فِي خَدّهَا أَصْفَى مِنْ المِرْآة، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَة عَليْهَا تُضِيء مَا بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب؛**

---

(١) **ضعيف** : أخرجه العقيلي (١/ ٢٦٨) بسند ضعيف.

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٥٦٦)، وأحمد (٣/ ٩)، وصححه الألباني.

(٣) سقط من (ط).

(٤) **صحيح** : صححه الألباني.

(٥) في الأزهرية: [إبراهيم].

فَتُسلّم عليْهِ، فَيَرُدّ السَّلام، فَيَسْأَلهَا: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُول: أَنَا مِنْ المَزِيد. وَإِنَّهُ ليكُون عليْهَا سَبْعُونَ حُلّة، أَدْنَاهَا مِثْل النُّعْمَان، مِنْ طُوبَى، فَيَنْفُذُهَا بَصرُهُ حَتَّى يَرَى مُخّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاء ذَلك، وَإِنَّ عليْهَا مِنْ التِّيجَان، إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَة مِنْهَا لتُضِيء مَا بَيْن المَشْرق وَالمَغْرِب». وَهَكَذَا رَوَاهُ عَبْد الله بْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن [الحَارِث][1] عَنْ دَرَّاج بِهِ.[2]

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ قبل هؤلاء المنكرين: ﴿مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشًا﴾ أَيْ: كَانُوا أَكْثَر مِنْهُمْ وَأَشَدّ قُوَّة، وَأَثَارُوا الأَرْض وَعَمَرُوهَا أَكْثَر مِمَّا عَمَرُوهَا؛ وَلِهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: أَثَّرُوا فِيهَا. وَقَال مُجَاهِد: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: ضَرَبُوا فِي الأَرْض. وَقَال قَتَادَة: فَسَارُوا فِي البِلاد، أَيْ: سَارُوا فِيهَا يَبْتَغُونَ الأَرْزَاق وَالمَتَاجِر وَالمَكَاسِب أَكْثَر مِمَّا طُفْتُمْ أَنْتُمْ فيهَا. وَيُقَال لِمَنْ طَوَّفَ فِي البِلاد: نَقَّبَ فِيهَا. قَال امْرُؤُ القَيْس:

لقَدْ نَقَّبْتُ فِي الآفَاق حَتَّى ۞ رَضِيتُ مِنْ الغَنِيمَة بالإِيَاب

وَقَوْله: ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ أَيْ: هَل مِنْ مَفَرّ كَانَ لَهُمْ مِنْ قَضَاء الله وَقَدَره؟ وَهَل نَفَعَهُمْ مَا جَمَعُوهُ وَرَدَّ عَنْهُمْ عَذَاب الله إِذْ جَاءَهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُل؟ فَأَنْتُمْ أَيْضًا لا مَفَرّ لكُمْ وَلا مَحِيد وَلا مَنَاص وَلا مَحِيص. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ أَيْ: لعِبْرَة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ أَيْ: لُبّ يَعِي بِهِ. وَقَال مُجَاهِد: عَقْل ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ أَيْ: اسْتَمَعَ الكَلام فَوَعَاهُ، وَتَعَقَّلَهُ بقلبه وَتَفَهَّمَهُ بِلُبِّهِ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ يَعْنِي: لا يُحَدِّث نَفْسه بغيره ﴿وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ وقال: شاهد بالقَلب. وَقَال الضَّحَّاك: العَرَب تَقُول: أَلقَى فُلان سَمْعه: إِذَا اسْتَمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَهُوَ شَاهِد، يقول: غَيْر غَائِب. وَهَكَذَا قَال الثَّوْرِيّ وَغَيْر وَاحِد. وقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ فِيهِ تَقْرِير المَعَاد، لأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلى خَلق السَّمَاوَات وَالأَرْض وَلَمْ يَعْيَ بِخَلقِهِنَّ، قَادِر عَلى أَنْ يُحْيِي المَوْتَى بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى. وَقَال قَتَادَة: قَالتْ اليَهُود -عَلَيْهِمْ لعَائِن الله-: خَلقَ الله السَّمَاوَات وَالأَرْض فِي سِتَّة أَيَّام، ثُمَّ اسْتَرَاحَ فِي اليَوْم السَّابع، وَهُوَ يَوْم السَّبْت، وَهُمْ يُسَمُّونَهُ يَوْم الرَّاحَة، فَأَنْزَل الله تَكْذِيبهمْ فِيمَا قَالُوهُ وَتَأَوَّلُوهُ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ أَيْ: مِنْ إِعْيَاء وَلا تَعَب، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وَكَمَا قَال: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾، وَقَال: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾.

وقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي: المُكَذِّبِينَ، اصْبِرْ عَلَيْهِمْ، وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾، وَكَانَتْ الصَّلاة المَفْرُوضَة قَبْل الإِسْرَاء، ثِنْتَانِ قَبْل طُلُوع الشَّمْس، فِي وَقْت الفَجْر، وَقَبْل الغُرُوب فِي وَقْت العَصْر، وَقِيَام اللَّيْل كَانَ وَاجِبًا عَلى النَّبِيّ ﷺ وَعَلى أُمَّته حَوْلًا، ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقّ الأُمَّة وُجُوبه. ثُمَّ بَعْد ذَلكَ نَسَخَ الله ذَلكَ كُلّه ليْلة الإِسْرَاء بِخَمْسِ صَلوَات، وَلكِنْ مِنْهُنَّ صَلاة الصُّبْح

---

(١) في الأزهرية: [قطرب].
(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٧٥) بسند ضعيف.

وَالعَصْر، فَهُمَا قَبْل طُلُوع الشَّمْس وَقَبْل الغُرُوب. وَقَدْ قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ قَيْس بْن أَبِي حَازِم، عَنْ جَرِير بْن عَبْد الله رضي الله عنهما قَال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْد النَّبِيّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَر لَيْلَة البَدْر فَقَال: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ، فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَر، لا تضارون فِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاة قَبْل طُلُوع الشَّمْس وَقَبْل غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[1]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَبَقِيَّة الجَمَاعَة، مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل بِهِ.

وَقَوْله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أَيْ: فَصَلِّ لَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: هُوَ التَّسْبِيح بَعْد الصَّلاة. وَيُؤَيِّد هَذَا مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّهُ قَال: جَاءَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله. ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلى وَالنَّعِيم المُقِيم. فَقَال: «**وَمَا ذَاكَ؟**». قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُوم، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلا نَتَصَدَّق، وَيُعْتِقُونَ وَلا نُعْتِق! قَال ﷺ: «**أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُون أَحَد أَفْضَل مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ فَعَل مِثْل مَا فَعَلْتُمْ؟ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبُر كُلّ صَلاة ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**». قَال: فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَال بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْله. قَال ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء**»[2]. وَالقَوْل الثَّانِي: أَنَّ المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، هُمَا الرَّكْعَتَانِ بَعْد المَغْرِب، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُمَر وَعَلِيّ، وَابْنه الحَسَن، وَابْن عَبَّاس، وَأَبِي هُرَيْرَة، وَأَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنهم، وَبِهِ يَقُول مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالشَّعْبِيّ، وَالنَّخَعِيّ، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمْ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع وَعَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَاصِم بْن ضَمْرَة، عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي عَلَى أَثَر كُلّ صَلاة مَكْتُوبَة رَكْعَتَيْنِ إِلَّا الفَجْر وَالعَصْر. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن: دُبُر كُلّ صَلاة[3]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ بِهِ. زَادَ النَّسَائِيّ: وَمُطَرِّف، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا هَارُون بْن إِسْحَاق الهَمْدَانِيّ، حَدَّثَنَا ابْن فُضَيْل، عَنْ رِشْدِين بْن كُرَيْب، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: بِتّ لَيْلَة عِنْد رَسُول الله ﷺ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، اللَّتَيْنِ قَبْل الفَجْر. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاة، فَقَال: «**يَا بن عَبَّاس؛ رَكْعَتَيْنِ قَبْل صَلاة الفَجْر إِدْبَار النُّجُوم، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْد المَغْرِب أدبار السُّجُود**»[4]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ أَبِي هِشَام الرِّفَاعِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن فُضَيْل بِهِ. وَقَال: غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَحَدِيث ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَأَنَّهُ بَاتَ فِي بَيْت خَالته مَيْمُونَة رضي الله عنها، وَصَلَّى تِلْكَ اللَّيْلَة مَعَ النَّبِيّ ﷺ ثَلاث عَشْرَة رَكْعَة؛ ثَابِت فِي «الصَّحِيحَيْن» وَغَيْرهمَا. فَأَمَّا هَذِهِ الزِّيَادَة فَغَرِيبَة، لا تُعْرَف إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه، وَرِشْدِين ابْن كُرَيْب ضَعِيف، وَلعَلَّهُ مِنْ كَلام ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَالله أَعْلَم.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو داود (١٢٧٥)، وأحمد (١/ ١٢٤) بسند ضعيف.

(٤) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٢٧١) بسند ضعيف.

نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ يا مُحَمَّد ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾، قَال قَتَادَة: قَال كَعْب الأَحْبَار: يَأْمُر الله تَعالى مَلكًا أَنْ يُنادِيَ عَلى صَخْرَة بَيْت المَقْدِس: أَيَّتهَا العِظَام البَالِيَة، وَالأَوْصَال المُتَقَطِّعَة، إِنَّ الله يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لفَصْل القَضَاء، ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ يَعْنِي النَّفْخَة فِي الصُّور الَّتِي تَأْتِي بِالحَقِّ الَّذِي كَانَ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ يَمْتَرُونَ. ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ أَيْ: مِنْ الأَجْدَاث، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ أَيْ: هُوَ الَّذِي يَبْدَأ الخَلق ثُمَّ يُعِيدهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ مَصِير الخَلائِق كُلّهمْ، فَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ. وقوله: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الله تعالى يُنْزِل مَطَرًا مِنْ السَّمَاء تنبت به أَجْسَاد الخَلائِق فِي قُبُورهَا، كَمَا يَنْبُت الحَبّ فِي الثَّرَى بِالمَاءِ، فَإِذَا تَكَامَلتْ الأَجْسَاد أَمَرَ الله إِسْرَافِيل فَيَنْفُخ فِي الصُّور، وَقَدْ أُودِعَتْ الأَرْوَاح فِي ثَقْب فِي الصُّور، فَإِذَا نَفَخَ إِسْرَافِيلُ فِيهِ خَرَجَتْ الأَرْوَاح تَتَوَهَّج بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، فَيَقُول الله ﷻ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي، لتَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوح إِلى الجَسَد الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ، فَتَرْجِع كُلّ رُوح إِلى جَسَدهَا، فَتَدِبّ فِيهِ كَمَا يَدِبّ السُّمّ فِي اللَّدِيغ، وَتَنْشَقّ الأَرْض عَنْهُمْ، فَيَقُومُونَ إِلى مَوْقِف الحِسَاب سِرَاعًا مُبَادِرِينَ إِلى أَمْر الله ﷻ: ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾. وَقَال الله تَعَالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وَفِي «صَحِيح مُسْلم» عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«أَنَا أَوَّل مَنْ تَنْشَقّ عَنْهُ الأَرْض»**[1]. وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ أَيْ: تِلكَ إِعَادَة سَهْلة عَلَيْنَا، يَسِيرَة لدَيْنَا، كَمَا قَال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ﴾.

وَقَال تَعَالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾. وَقَوْله: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ أَيْ: نَحْنُ عِلمُنَا مُحِيطٌ بِمَا يَقُول لك المُشْرِكُونَ مِنْ التَّكْذِيب فَلا يَهِيدَنَّك ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ أَيْ: وَلسْت بِالَّذِي تُجْبِر هَؤُلاءِ عَلى الهُدَى، وَليْسَ ذَلكَ مما كُلِّفْت بِهِ. وقَال قَتَادَة، ومُجَاهِد، وَالضَّحَّاك: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ أَيْ: لا تَتَجَبَّر عَليْهِمْ. وَالقَوْل الأَوَّل أَوْلى، وَلوْ أَرَادَ مَا قَالُوهُ لقَال: وَلا تَكُنْ جَبَّارًا عَليْهِمْ، وَإِنَّمَا قَال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ بِمَعْنَى: وَمَا أَنْتَ بِمُجْبِرِهِمْ عَلى الإِيمَان، إِنَّمَا أَنْتَ مُبَلِّغ. قَال الفَرَّاء: سَمِعْت العَرَب تَقُول: جَبَرَ فُلان فُلانًا عَلى كَذَا بِمَعْنَى أَجْبَرَهُ. ثُمَّ قَال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أَيْ: بَلِّغْ أَنْتَ رِسَالة رَبّك، فَإِنَّمَا يَتَذَكَّر مَنْ يَخَاف الله وَوَعِيده، وَيَرْجُو وَعْدَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾، وَقَوْله: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾، ﴿۞لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾، ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾، وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، كَانَ قَتَادَة يَقُول: اللَّهُمَّ اجْعَلنَا مِمَّنْ يَخَاف وَعِيدَك، وَيَرْجُو مَوْعُودَك، يَا بَارُّ يَا رَحِيمُ.

آخِر تَفْسِير سُورَة ق، وَالحَمْد لله وَحْدَهُ، وَحَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيل

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

تفسير سُورَةُ الذَّارِيَاتِ وهي مكية

ترتيبها ٥١ — وآياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قَال شُعْبَة بْن الحَجَّاج عَنْ سِمَاك، عَنْ خَالد بْن عَرْعَرَة أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا ﷺ. وَشُعْبَة أَيْضًا، عَنْ القَاسِم بْن أَبِي بَزَّة، عَنْ أَبِي الطُّفَيْل، سَمِعَ عَلِيًّا ﷺ. وَثَبَتَ أَيْضًا مِنْ غَيْر وَجْه، عَنْ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ، أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرَ الكُوفَة فَقَال: لا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَة فِي كِتَاب الله، وَلا عَنْ سُنَّة عَنْ رَسُول الله ﷺ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلكَ. فَقَامَ إِلَيْهِ ابْن الكَوَّاء. فَقَال: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا مَعْنَى قَوْله تَعَالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾، قَال: الرِّيح. ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾؟ قَال: السَّحَاب. ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ قَال: السُّفُن. ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾؟ قَال: المَلائِكَة.

وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلكَ حَدِيث مَرْفُوع، فَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن هَانِئ، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سَلَّام العَطَّار، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي سَبْرَة، عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب؛ قَال: جَاءَ صَبِيغ التَّمِيمِيّ إِلى عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ؛ فَقَال: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ؛ أَخْبِرْنِي عَنْ «الذَّارِيَات ذَرْوًا»؟ فَقَال ﷺ: هِيَ الرِّيَاح، وَلَوْلا أَنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُولهُ مَا قُلته. قَال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ «المُقَسِّمَات أَمْرًا»؟ قَال ﷺ: هِيَ المَلائِكَة، وَلَوْلا أَنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُولهُ مَا قُلته. قَال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ «الجَارِيَات يُسْرًا»؟ قَال ﷺ: هِيَ السُّفُن، وَلَوْلا أَنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُولُهُ مَا قُلته. ثُمَّ أَمَرَ به فَضُرِبَ مِائَة، وَجُعِل فِي بَيْت، فَلَمَّا بَرِئَ ضربه مِائَة أُخْرَى، وَحَمَلهُ عَلى قَتَب، وَكَتَبَ إِلى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ ﷺ: امْنَعْ النَّاس مِنْ مُجَالسَته. فَلَمْ يَزَل كَذَلكَ حَتَّى أَتَى أَبَا مُوسَى ﷺ، فَحَلفَ بِالأَيْمَانِ الغليظة مَا يَجِد فِي نَفْسه مِمَّا كَانَ يَجِد شَيْئًا. فَكَتَبَ فِي ذَلكَ إِلى عُمَر ﷺ، فَكَتَبَ عُمَر: مَا إِخَالهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ، فَخَلِّ بَيْنه وَبَيْن مُجَالسَة النَّاس.[1] قَال أَبُو بَكْر البَزَّار: فَأَبُو بَكْر ابْن أَبِي سَبْرَة لَيِّنٌ، وَسَعِيد بْن سَلَّام لَيْسَ مِنْ أَصْحَاب الحَدِيث. **قُلت**: فَهَذَا الحَدِيث ضَعِيف رَفْعُهُ، وَأَقْرَب مَا فِيهِ أَنَّهُ مَوْقُوف عَلى عُمَر ﷺ، فَإِنَّ قِصَّة صَبِيغ بْن عَسَل مَشْهُورَة مَعَ عُمَر ﷺ، وَإِنَّمَا ضَرَبَهُ لأَنَّهُ ظَهَرَ لهُ مِنْ أَمْرِهِ فِيمَا يَسْأَل تَعَنُّتًا وَعِنَادًا، والله أَعْلم.

وَقَدْ ذَكَرَ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر هَذِهِ القِصَّة فِي تَرْجَمَة صَبِيغ مُطَوَّلة، وَهَكَذَا فَسَّرَهَا ابْن عَبَّاس، وَابْن عُمَر، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْر وَاحِد. وَلمْ يَحْكِ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم غَيْر ذَلكَ. وَقَدْ قِيل: إِنَّ المُرَاد بِالذَّارِيَاتِ: الرِّيح، كَمَا تَقَدَّمَ، وَبِالحَامِلاتِ وِقْرًا: السَّحَاب، كَمَا تَقَدَّمَ، لأَنَّهَا تَحْمِل المَاء، كَمَا قَال زَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل:

وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ۞ لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلالاً

فَأَمَّا الجَارِيَات يُسْرًا [فَالمَشْهُور عَنْ الجُمْهُور -كَمَا تَقَدَّمَ- أَنَّهَا السُّفُن تَجْرِي مُيَسَّرَةً فِي المَاء جَرْيًا سَهْلًا. وَقَال بَعْضهمْ: هِيَ النُّجُوم تَجْرِي يُسْرًا][2] فِي أَفْلاكهَا، لِيَكُونَ ذَلكَ تَرَقِّيًا مِنْ الأَدْنَى إِلى الأَعْلى، إِلى مَا هُوَ أَعْلى مِنْهُ، فَالرِّيَاح فَوْقهَا السَّحَاب، وَالنُّجُوم فَوْق ذَلكَ، وَالمُقَسِّمَات أَمْرًا المَلائِكَة فَوْق ذَلكَ، تَنْزِل بِأَوَامِر الله الشَّرْعِيَّة

---

(١) سنده ضعيف جدًا.
(٢) سقط من الأزهرية.

وَالكَوْنِيَّة. وَهَذَا قَسَم مِنْ الله ﷻ على وُقُوع المَعَاد؛ ولهذا قَال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أَيْ: لخَبَر صِدْق، ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ وَهُوَ الحِسَاب ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أَيْ: لكَائِن لا محَالة.

ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ذَات الجَمال وَالبَهَاء وَالحُسْن وَالاسْتِوَاء. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبُو مَالك، وَأَبُو صالح، وَالسُّدِّيّ وَقَتَادَة، وَعَطِيَّة العَوْفِيّ، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَغَيْرهمْ. وَقَال الضَّحَّاك، وَالمِنْهَال بْن عَمْرو، وَغَيْرهما: مِثْل تجَعُّد المَاء وَالرَّمْل وَالزَّرْع إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيح، فَيَنْسِج بَعْضه بَعْضًا طَرَائِق، فَذَلكَ الحُبُك. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة، حَدَّثَنَا أَيُّوب، عَنْ أَبِي قِلابَة، عَنْ رَجُل مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ الكَذَّابَ المُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسه مِنْ وَرَائِهِ حُبُك حُبُك**». يَعْنِي بِالحُبُكِ: الجُعُودَة.[1] وَعَنْ أَبِي صَالح ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ الشِّدَّة. وَقَال خُصَيْف: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: ذَات الصفاقة. وَقَال الحَسَن بْن أَبِي الحَسَن البَصْرِيّ ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: حُبِكَتْ بِالنُّجُوم. وَقَال قَتَادَة: عَنْ سَالم بْن أَبِيّ الجعد، عَنْ مَعْدَان بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ عَمْرو البِكَالِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ يَعْنِي: السَّماء السَّابِعَة. وَكَأَنَّهُ -وَالله أَعْلم- أَرَادَ بِذَلكَ السَّماء الَّتِي فِيهَا الكَوَاكِب الثَّابِتَة، وَهِيَ عِنْد كَثِير مِنْ عُلَماء الهَيْئَة فِي الفَلك الثَّامِن الَّذِي فَوْق السَّابع، وَالله أَعْلم. وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال تَرْجع إِلى شَيْء وَاحِد، وَهُوَ الحُسْن وَالبَهَاء، كَما قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، فَإِنَّهَا مِنْ حُسْنها مُرْتَفِعَة شَفَّافَة صَفِيقَة، شَدِيدَة البِنَاء، مُتَّسِعَة الأَرْجَاء، أَنِيقَة البَهَاء، مُكَلَّلة بِالنُّجُوم الثَّوَابِت وَالسَّيَّارَات، مُوَشَّحَة بِالشَّمْسِ وَالقَمَر وَالكَوَاكِب الزَّاهِرَات. وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أَيْ: إِنَّكُمْ أَيهَا المُشْرِكُونَ المُكَذِّبُونَ للرُّسُل لفِي قَوْل مُخْتَلف مُضْطَرِب، لا يَلتَئِم وَلا يَجْتَمِع. وَقَال قَتَادَة: إِنَّكُمْ لفِي قَوْل مُخْتَلف، مَا بَيْن مُصَدِّق بِالقُرْآنِ وَمُكَذِّب بِهِ. ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أَيْ: إِنَّما يَرُوج عَلى مَنْ هُوَ ضَالّ فِي نَفْسه؛ لأَنَّهُ قَوْل بَاطِل، إِنَّما يَنْقَاد لهُ وَيَضِلّ بِسَبَبِهِ وَيُؤْفَك عَنْهُ مَنْ هُوَ مَأْفُوك ضَالّ غُمْر، لا فَهْم لهُ، كَما قَال تَعَالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، السُّدِّيّ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يَضِلّ عَنْهُ مَنْ ضَلَّ.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يُؤْفَن عَنْهُ مَنْ أُفِنَ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: يُصْرَف عَنْ هَذَا القُرْآن مَنْ كَذَّبَ بِهِ. وَقَوْله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ قَال مُجَاهِد: الكَذَّابُونَ. قَال: وَهِيَ مِثْل الَّتِي فِي عَبَسَ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ وَالخَرَّاصُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لا نُبْعَث، وَلا يُوقِنُونَ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أَيْ: لُعِنَ المُرْتَابُونَ. وَهَكَذَا كَانَ مُعَاذ رضي الله عنه يَقُول فِي خطبه: هَلكَ المُرْتَابُونَ. وَقَال قَتَادَة: ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أَهْل الغِرَّة وَالظُّنُون. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾. قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَغَيْر وَاحِد: فِي الكُفْر وَالشَّكّ غَافِلُونَ لاهُونَ. ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، وَإِنَّما يَقُولُونَ هَذَا تَكْذِيبًا وَعِنَادًا وَشَكًّا وَاسْتِبْعَادًا. قَال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾.

قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن وَغَيْر وَاحِد: ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يُعَذَّبُونَ كَما يُفْتَنُ الذَّهَب عَلى النَّار. وَقَال جَمَاعَة آخَرُونَ كَمُجَاهِدٍ أَيْضًا، وَعِكْرِمَة، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وَزَيْد بْن أَسْلمَ، وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يُحْرَقُونَ. ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ قَال مُجَاهِد: حَرِيقكُمْ. وَقَال غَيْره: عَذَابكُمْ، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أَيْ: يُقَال لهُمْ ذَلك تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَتَحْقِيرًا وَتَصْغِيرًا.

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه الطبري (٢٦/ ١٩٠) بسند ضعيف.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخبِرًا عَنْ المُتَّقِينَ لله ﷻ: أَنَّهُمْ يَوْم مَعَادهمْ يَكُونُونَ فِي جَنَّات وَعُيُون، بِخِلافِ مَا أُولئِكَ الأَشْقِيَاء فِيهِ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال وَالحَرِيق وَالأَغْلال. وقوله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾. قَال ابْن جَرِير: أَيْ عَامِلِينَ بِمَا آتَاهُمْ الله مِنْ الفَرَائِض: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أَيْ: قَبْل أَنْ يُفْرَض عَلَيْهِمْ الفَرَائِض كَانُوا مُحْسِنِينَ فِي الأَعْمَال أَيْضًا. ثُمَّ رَوَى عَنْ ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي عُمَر، عَنْ مُسْلم البَطِين، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فِي قَوْله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قَال: مِنْ الفَرَائِض، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قَبْل الفَرَائِض يَعْمَلُونَ. وَهَذَا الإِسْنَاد ضَعِيف، وَلا يَصِحّ عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما. وَقَدْ رَوَاهُ عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ مُعَاوِيَة بْن هِشَام، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي عُمَر البَزَّار، عَنْ مُسْلم البَطِين، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما فَذَكَرَهُ. وَالَّذِي فَسَّرَ بِهِ ابْن جَرِير فِيهِ نَظَر؛ لأَنَّ قَوْله: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حَال مِنْ قَوْله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾، فَالمُتَّقُونَ فِي حَال كَوْنهمْ فِي الجَنَّات وَالعُيُون آخِذُون مَا آتَاهُمْ رَبّهمْ، أَيْ: مِنْ النَّعِيم وَالسُّرُور وَالغِبْطَة. وَقَوْله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: فِي الدَّار الدُّنْيَا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالى بَيَّنَ إِحْسَانهمْ فِي العَمَل فَقَال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ عَلى قَوْلَيْنِ:

أَحَدهمَا: أَنَّ مَا نَافِيَة تَقْدِيره: كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْل لا يَهْجَعُونَهُ. قَال ابْن عَبَّاس: لَمْ تَكُنْ تَمْضِي عَلَيْهِمْ لَيْلَة إِلَّا يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَلَوْ شَيْئًا. وَقَال قَتَادَة عَنْ مُطَرِّف بْن عَبْد الله: قَلَّ لَيْلَة تَأْتِي عَلَيْهِمْ لا يُصَلُّونَ فِيهَا لله ﷻ، إِمَّا مِنْ أَوَّلهَا وَإِمَّا مِنْ أَوْسَطهَا. وَقَال مُجَاهِد: قَلَّ مَا يَرْقُدُونَ لَيْلَة حَتَّى الصَّبَاح لا يَتَهَجَّدُونَ. وَكَذَا قَال قَتَادَة. وَقَال أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه وَأَبُو العَالِيَة: كَانُوا يُصَلُّونَ بَيْنَ المَغْرِب وَالعِشَاء. وَقَال أَبُو جَعْفَر البَاقِر: كَانُوا لا يَنَامُونَ حَتَّى يُصَلُّوا العَتَمَة.

وَالقَوْل الثَّانِي: أَنَّ (مَا) مَصْدَرِيَّة، تَقْدِيره: كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْل هُجُوعُهُمْ وَنَوْمُهُمْ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير.

وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ كَابَدُوا قِيَام اللَّيْل، فَلا يَنَامُونَ مِنْ اللَّيْل إِلَّا أَقَلّه، وَنَشِطُوا فَمَدُّوا إِلى السَّحَر، حَتَّى كَانَ الاسْتِغْفَار بِسَحَرٍ. وَقَال قَتَادَة: قَال الأَحْنَف بْن قَيْس: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ كَانُوا لا يَنَامُونَ إِلَّا قَلِيلًا. ثُمَّ يَقُول: لَسْت مِنْ أَهْل هَذِهِ الآيَة. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: كَانَ الأَحْنَف ابْن قَيْس يَقُول: عَرَضْت عَمَلِي عَلى عَمَل أَهْل الجَنَّة، فَإِذَا قَوْم قَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا، إِذَا قَوْم لا نَبْلُغ أَعْمَالهمْ، كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْل مَا يَهْجَعُونَ. وَعَرَضْت عَمَلِي عَلى عَمَل أَهْل النَّار فَإِذَا قَوْم لا خَيْر فِيهِمْ، يكَذِّبُونَ بِكِتَاب الله وَبِرُسُل الله، يكذبون بِالبَعْثِ بَعْد المَوْت، فوجدت مِنْ خَيْرِنَا مَنْزِلَةً قَوْمًا خَلطُوا عَمَلًا صَالحًا وَآخَر سَيِّئًا. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلمَ: قَال رَجُل مِنْ بَنِي تَمِيم لأَبِي: يَا أَبَا أُسَامَة؛ صِفَة لا أَجِدهَا فِينَا، ذَكَرَ الله قَوْمًا فَقَال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وَنَحْنُ وَالله قَلِيلًا مِنْ اللَّيْل مَا نَقُوم. فَقَال لَهُ أَبِي طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ، وَاتَّقَى الله إِذَا اسْتَيْقَظَ. وَقَال عَبْد الله بْن سَلام: لَـمَّا قَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَة انْجَفَل النَّاس إِلَيْهِ، فَكُنْت فِيمَنْ انْجَفَل. فَلَمَّا رَأَيْت وَجْهه ﷺ عَرَفْت أَنَّ وَجْهه لَيْسَ بِوَجْهِ رَجُل كَذَّاب، فَكَانَ أَوَّل مَا سَمِعْته ﷺ يَقُول: «**يَا أَيُّهَا النَّاس؛ أَطْعِمُوا الطَّعَام، وَصِلُوا الأَرْحَام، وَأَفْشُوا السَّلام، وَصَلُّوا بِاللَّيْل وَالنَّاس نِيَام، تَدْخُلُوا الجَنَّة بِسَلامٍ**».[1]

---

(١) صحيح: تقـدم.

وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، حَدَّثَنِي حيي بْن عَبْد الله، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن الحُبُلِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عمرو رضي الله عنهما أن رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ فِي الجنَّة غُرَفًا يُرَى ظَاهِرهَا مِنْ بَاطِنهَا، وبَاطِنهَا مِنْ ظَاهِرهَا**». فَقَال أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُول الله؟ قَال ﷺ: «**لِمَنْ أَلانَ الكَلام، وَأَطْعَمَ الطَّعَام، وبَاتَ لله قَائِمًا، وَالنَّاس نِيَام**»[1]. وَقَال مَعْمَر فِي قَوْله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ كَانَ الزُّهْرِيّ وَالحَسَن يَقُولانِ: كَانُوا كَثِيرًا مِنْ اللَّيْل مَا يُصَلُّونَ. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ مَا يَنَامُونَ. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلًا﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَال: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾.

وَقَوْله ﷻ: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ قَال مُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد: يُصَلُّونَ. وَقَال آخَرُونَ: قَامُوا اللَّيْل، وَأَخَّرُوا الاسْتِغْفَار إِلى الأَسْحَار. كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾، فَإِنْ كَانَ الاسْتِغْفَار فِي صَلاة فَهُوَ أَحْسَن. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاح وَغَيْرهَا عَنْ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة رضي الله عنهم عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ الله يَنْزِل كُلّ لَيْلَة إِلى سَمَاء الدُّنْيَا حِين يَبْقَى ثُلُث اللَّيْل الآخر، فَيَقُول: هَل مِنْ تَائِب فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَل مِنْ مُسْتَغْفِر فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَل مِنْ سَائِل فَيُعْطَى سُؤْلهُ؟ حَتَّى يَطْلُع الفَجْر**».[2] وَقَال كَثِير مِنْ المُفَسِّرِينَ فِي قَوْله تَعَالى إِخْبَارًا عَنْ يَعْقُوب: إنه قَال لِبَنِيهِ: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾ قَالُوا: أَخَّرَهُمْ إِلى وَقْت السَّحَر.

وقوله: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾: لـمَّا وَصَفَهُمْ بِالصَّلاةِ ثَنَّى بِوَصْفِهِمْ بِالزَّكَاةِ وَالبِرّ وَالصِّلة، فَقَال: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ﴾ أَيْ: جُزْء مَقْسُوم، قَدْ أَفْرَزُوهُ لِلسَّائِل وَالمَحْرُوم، أَمَّا السَّائِل فَمَعْرُوف، وَهُوَ الَّذِي يَبْتَدِئ بِالسُّؤَال وَلَهُ حَقّ؛ كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع وَعَبْد الرَّحْمَن؛ قَالا: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ مُصْعَب بْن مُحَمَّد، عَنْ يَعْلى بْن أَبِي يَحْيَى، عَنْ فَاطِمَة بِنْت الحُسَيْن، عَنْ أَبِيهَا الحُسَيْن بْن عَلِيّ رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لِلسَّائِل حَقّ، وَإِنْ جَاءَ عَلى فَرَس**»[3]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ بِهِ. ثُمَّ أَسْنَدَهُ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه. وَرُوِيَ مِنْ حَدِيث الهِرْمَاس بْن زِيَاد مَرْفُوعًا. وَأَمَّا المَحْرُوم فَقَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد: هُوَ [المُحَارِف][4] الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي الإِسْلام سَهْم. يَعْنِي لا سَهْم لَهُ فِي بَيْت المَال، وَلا كَسْب لَهُ وَلا حِرْفَة يَتَقَوَّت مِنْهَا. وَقَالَتْ أُمّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَة رضي الله عنها: هُوَ [المُحَارِف][4] الَّذِي لا يَكَاد يَتَيَسَّر لَهُ مَكْسَبُهُ. وَقَال الضَّحَّاك: هُوَ الَّذِي لا يَكُون لَهُ مَال إِلَّا ذَهَبَ، قَضَى الله لَهُ ذَلِكَ. وَقَال أَبُو قِلابَةَ: جَاءَ سَيْل بِاليَمَامَةِ فَذَهَبَ بِمَال رَجُل، فَقَال رَجُل مِنْ الصَّحَابَة: هَذَا المَحْرُوم. وَقَال ابْن عَبَّاس أَيْضًا، وَسَعِيد بْن المُسَيَّب، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وَنَافِع مَوْلى ابْن عُمَر، وَعَطَاء بْن أَبِي رَبَاح: المَحْرُوم: المُحَارِف. وَقَال قَتَادَة، وَالزُّهْرِيّ: المَحْرُوم: الَّذِي لا يَسْأَل النَّاس شَيْئًا.

قَال الزُّهْرِيّ: وَقَدْ قَال رَسُول الله ﷺ: «**لَيْسَ المِسْكِين بِالطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدّهُ اللُّقْمَة وَاللُّقْمَتَان، وَالتَّمْرَة وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لا يَجِد غِنًى يُغْنِيه، وَلا يُفْطَن لَهُ فَيُتَصَدَّق عَلَيْهِ**»[5]. وَهَذَا الحَدِيث قَدْ أَسْنَدَهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» مِنْ وَجْه آخَر. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: هُوَ الَّذِي يَجِيء وَقَدْ قُسِمَ المَغْنَم فَيُرْضَخ لَهُ. وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي بَعْض أَصْحَابنَا؛ قَال: كُنَّا مَعَ عُمَر بْن عَبْد العَزِيز رضي الله عنه فِي طَرِيق مَكَّة، فَجَاءَ كَلب فَانْتَزَعَ عُمَر رضي الله عنه كَتِف شَاة فَرَمَى بِهَا إِلَيْهِ، وَقَال: يَقُولُونَ: إِنَّهُ المَحْرُوم. وَقَال الشَّعْبِيّ: أَعْيَانِي أَنْ أَعْلم مَا

---

(١) صحيح لغيره: تقدم.
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) ضعيف: تقدم.
(٤) في الأزهرية: [المحارب].
(٥) صحيح: تقدم.

المَحْرُوم؟ وَاخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّ المَحْرُوم الَّذِي لا مَال لهُ بِأَيِّ سَبَب كَانَ قَدْ ذَهَبَ مَاله، سَوَاء كَانَ لا يَقْدِر عَلى الكَسْب، أَوْ قَدْ هَلكَ مَاله أَوْ نَحْوه بِآفَةٍ أَوْ نَحْوهَا. وَقَال الثَّوْرِيّ، عَنْ قَيْس [ابْن مُسْلم][1]، عَنْ الحَسَن بْن مُحَمَّد رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ بَعَثَ سَرِيَّة فَغَنِمُوا، فجاء قَوْم لمْ يَشْهَدُوا الغَنِيمَة فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾. وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ مَدَنِيَّة، وَليْسَ كَذَلكَ، بَل هِيَ مَكِّيَّة شَامِلة لمَا بَعْدهَا. وقوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أَيْ: فِيهَا مِنْ الآيَات الدَّالَّة عَلى عَظَمَة خَالقهَا وَقُدْرَتِهِ البَاهِرَة، مِمَّا قَدْ ذَرَأَ فِيهَا مِنْ صُنُوف النَّبَات وَالحَيَوَانَات، وَالمِهَاد وَالجِبَال، وَالقِفَار وَالأَنْهَار وَالبِحَار، وَاخْتِلاف أَلْسِنَة النَّاس وَأَلْوَانهمْ، وَمَا جُبِلُوا عَليْهِ مِنْ الإِرَادَات وَالقُوَى، وَمَا بَيْنهمْ مِنْ التَّفَاوُت فِي العُقُول وَالفُهُوم وَالحَرَكَات، وَالسَّعَادَة وَالشَّقَاوَة، وَمَا فِي تَرْكِيبهمْ مِنْ الحِكَم فِي وَضْع كُلّ عُضْو مِنْ أَعْضَائِهِمْ فِي المَحِلّ الَّذِي هُوَ مُحْتَاج إِليْهِ فِيهِ، وَلهَذَا قَال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قَال قَتَادَة: مَنْ تَفَكَّرَ فِي خَلق نَفْسه عَرَفَ أَنَّهُ إِنَّمَا خُلقَ وَلُيِّنَتْ مَفَاصِله للعِبَادَةِ.

ثم قال: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يَعْنِي: المَطَر ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يَعْنِي الجَنَّة. قَالهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: قَرَأَ وَاصِل الأَحْدَب هَذِهِ الآيَة: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فَقَال: أَلا إِنِي أَرَى رِزْقِي فِي السَّمَاء وَأَنَا أَطْلُبهُ فِي الأَرْض؟ فَدَخَل خَرِبَة فَمَكَثَ ثَلاثًا لا يُصِيب شَيْئًا، فَلمَّا أَنْ كَانَ فِي اليَوْم الثَّالث إِذَا هُوَ بِدَوْخَلةٍ مِنْ رُطَب، وَكَانَ لهُ أَخ أَحْسَن نِيَّة مِنْهُ، فَدَخَل مَعَهُ فَصَارَتَا دَوْخَلتَيْنِ، فَلمْ يَزَل ذَلكَ دَأْبهمَا حَتَّى فَرَّقَ بَيْنهمَا. وَقَوْله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ يُقْسِم تَعَالى بِنَفْسِهِ الكَرِيمَة أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ أَمْر القِيَامَة وَالبَعْث وَالجَزَاء، كَائِن لا مُحَالة، وَهُوَ حَقّ لا مِرْيَة فِيهِ، فَلا تَشُكُّوا فِيهِ كَمَا لا تَشُكُّوا فِي نُطْقكُمْ حِين تَنْطِقُونَ. وَكَانَ مُعَاذ رضي الله عنه إِذَا حَدَّثَ بِالشَّيْءِ يَقُول لصَاحِبِهِ: إِنَّ هَذَا لحَقّ كَمَا أَنَّك هَهُنَا. قَال مُسَدَّد، عَنْ ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ عَوْف، عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ؛ قَال: بَلغَنِي أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«قَاتَل الله أَقْوَامًا أَقْسَمَ لهُمْ رَبّهمْ ثُمَّ لمْ يُصَدِّقُوا»**[2] وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بُنْدَار عَنْ ابْن أَبِي عَدِيّ عَنْ عَوْف عَنْ الحَسَن فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

هَذِهِ القِصَّة قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي سُورَة «هُود» وَالحِجْر أَيْضًا. فَقَوْله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أَيْ: الَّذِينَ أَرْصَدَ لهُمْ الكَرَامَة. وَقَدْ ذَهَبَ الإِمَام أَحْمَد وَطَائِفَة مِنْ العُلمَاء إِلى وُجُوب الضِّيَافَة للنَّزِيل، وَقَدْ وَرَدَتْ السُّنَّة بِذَلكَ كَمَا هُوَ ظَاهِر التَّنْزِيل. وقوله: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ الرَّفْع أَقْوَى وَأَثْبَتُ مِنْ النَّصْب، فَرَدُّهُ أَفْضَل مِنْ التَّسْليم، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ فَالخَليل اخْتَارَ الأَفْضَل. وَقَوْله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ وَذَلكَ أَنَّ المَلائِكَة وَهُمْ: جِبْرِيل وَمِيكَائِيل وَإِسْرَافِيل قَدِمُوا عَليْهِ فِي صُورَة شُبَّانٍ حِسَانٍ، عَليْهِمْ مَهَابَة عَظِيمَة؛ وَلهَذَا قَال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾. وَقَوْله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أَيْ: انْسَلَّ خُفْيَة فِي سُرْعَة، ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أَيْ: مِنْ خِيَار مَاله. وَفِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أَيْ: مَشْوِيّ عَلى الرَّضْف، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ أَيْ: أَدْنَاهُ مِنْهُمْ، ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: تَلطُّفٌ فِي العِبَارَة وَعَرْضٌ حَسَن. وَهَذِهِ الآيَة انْتَظَمَتْ آدَاب الضِّيَافَة، فَإِنَّهُ جَاءَ بِطعامه مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ بِسُرْعَةٍ، وَلمْ يَمْتَنَّ عَليْهِمْ أَوَّلًا فَقَال: «نَأْتِيكُمْ بِطَعَامٍ؟» بَل جَاءَ بِهِ بِسُرْعَةٍ وَخَفَاء، وَأَتَى

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢٦/ ٢٠٦) بسند مرسل.

بِأَفْضَل مَا وَجَدَ مِنْ مَاله، وَهُوَ عِجْل فَتِيّ سَمِين مَشْوِيٌّ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، لَمْ يَضَعهُ، وَقَال: اقْتَرِبُوا، بَل وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقّ عَلَى سَامِعه بِصِيغَةِ الجَزْم، بَل قَال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ عَلَى سَبِيل العَرْض وَالتَّلَطُّف، كَمَا يَقُول القَائِل اليَوْم: إِنْ رَأَيْت أَنْ تَتَفَضَّل وَتُحْسِن وَتَتَصَدَّق فَافْعَل. وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هَذَا مُحَال عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي القِصَّة فِي السُّورَة الأُخْرَى، وَهِيَ قَوْله: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ أَيْ: اسْتَبْشَرَتْ بِهلاكِهِمْ، لِتَمَرُّدِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ عَلَى الله. فَعِنْدَ ذَلِكَ بَشَّرَتْهَا المَلائِكَة بِإِسْحَاق، وَمِنْ وَرَاء إِسْحَاق يَعْقُوب، ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾، وَلِهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾، فَالبِشَارَة لَهُ هِيَ بِشَارَة لَهَا، لأَنَّ الوَلَد مِنْهُمَا فَكُلّ مِنْهُمَا بُشِّرَ بِهِ.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أَيْ: فِي صَرْخَة عَظِيمَة وَرَنَّة. قَالَهُ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة، وَأَبُو صَالِح، وَالضَّحَّاك، وَزَيْد بْن أَسْلَمَ، وَالثَّوْرِيّ، وَالسُّدِّيّ، وَهِيَ قَوْلهَا: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أَيْ: ضَرَبَتْ بِيَدِهَا عَلَى جَبِينهَا. قَالَهُ مُجَاهِد وَابْن سَابِط. وَقَال ابْن عَبَّاس: لَطَمَتْ، أَيْ: تَعَجُّبًا كَمَا تَتَعَجَّب النِّسَاء مِنَ الأَمْر الغَرِيب، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أَيْ: كَيْفَ أَلِد وَأَنَا عَجُوز، وَقَدْ كُنْت فِي حَال الصِّبَا عَقِيمًا لا أَحْبَل؟ ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أَيْ: عَلِيم بِمَا تَسْتَحِقُّونَ مِنَ الكَرَامَة، حَكِيم فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله.

﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

قَال الله مُخْبِرًا عَنْ إِبْرَاهِيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾. وَقَال هَهُنَا: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أَيْ: مَا شَأْنكُم وَفِيمَ جِئْتُمْ؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يَعْنُونَ قَوْم لُوط، ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً﴾ أَيْ: مُعَلَّمَة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أَيْ: مُكْتَتَبَة عِنْده بِأَسْمَائِهِمْ، كُلّ حَجَر عَلَيْهِ اسْم صَاحِبه، فَقَال فِي سُورَة العَنْكَبُوت: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. وَقَال هَهُنَا: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَهُمْ لُوط وَأَهْل بَيْته إِلَّا امْرَأَته، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. احْتَجَّ بِهَذِهِ مِنْ ذَهَبَ إِلَى رَأْي المُعْتَزِلَة، مِمَّنْ لا يُفَرِّق بَيْنَ مُسَمَّى الإِيمَان وَالإِسْلام، لأَنَّهُ أَطْلَقَ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ. وَهَذَا الاسْتِدْلال ضَعِيف، لأَنَّ هَؤُلاءِ كَانُوا قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، وَعِنْدَنَا أَنَّ كُلّ مُؤْمِن مُسْلِم، ولا يَنْعَكِس، فَاتَّفَقَ الاسْمَانِ هَهُنَا لِخُصُوصِيَّةِ الحَال، وَلا يَلْزَم ذَلِكَ فِي كُلّ حَال.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أَيْ: جَعَلْنَاهَا عِبْرَة، لِمَا أَنْزَلْنَا بِهِمْ مِنَ العَذَاب وَالنَّكَال وَحِجَارَة السِّجِّيل، وَجَعَلْنَا مَحَلَّتهمْ بُحَيْرَة مُنْتِنَة خَبِيثَة، فَفِي ذَلِكَ عِبْرَة لِلمُؤْمِنِينَ ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: بِدَلِيلٍ بَاهِرٍ وَحُجَّة قَاطِعَة، ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أَيْ: فَأَعْرَضَ فِرْعَوْن عَمَّا جَاءَهُ بِهِ مُوسَى مِنَ الحَقّ المُبِين اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا. وَقَال مُجَاهِد: تَعَزَّزَ بِأَصْحَابِهِ. وَقَال قَتَادَة:

غلبَ عدُوّ الله على قَوْمه. وَقَال ابْن زَيْد: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أَيْ: بِجُمُوعِهِ الَّتِي مَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. وَالمَعْنَى الأَوَّل قَوِيّ كَقَوْلِهِ: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: مُعْرِض عَنْ الحَقّ مُسْتَكبِر. ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أَيْ: لا يَخْلُو أَمْرك فِيمَا جِئْتنِي بِهِ مِنْ أَنْ تَكُون سَاحِرًا أَوْ مَجْنُونًا، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ أَيْ: أَلقَيْنَاهُمْ ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾ وَهُوَ البَحْر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أَيْ: وَهُوَ مَلُوم كَافِر جَاحِد فَاجِر مُعَانِد.

ثُمَّ قَال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ أَيْ: المُفْسِدَة الَّتِي لا تُنْتِج شَيْئًا. قَالهُ الضَّحَّاك، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمَا. وَلهَذَا قَال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أَيْ: مِمَّا تُفْسِدهُ الرِّيح ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ أَيْ: كَالشَّيْءِ الهَالك البَالي. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْد الله ابْن أَخِي ابْن وَهْب، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْد الله بْن وَهْب، حَدَّثَنِي عَبْد الله -يَعْنِي ابْن عَيَّاش- القتْبَانِي حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن سُلَيْمَان، عَنْ دَرَّاج عَنْ عِيسَى بْن هِلَال الصَّدَفِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «الرِّيح مُسَخَّرَة مِنْ الثَّانِيَة -يَعْنِي مِنْ الأَرْض الثَّانِيَة- فَلَمَّا أَرَادَ الله أَنْ يُهْلك عَادًا أَمَرَ خَازِن الرِّيح أَنْ يُرْسِل عَلَيْهِمْ رِيحًا تُهْلك عَادًا، قَال: أَيْ رَبِّ؛ أُرْسِل عَلَيْهِمْ من الرِّيح قَدْرَ مَنْخِرِ الثَّوْر؟ قَال لهُ الجَبَّار: لا إِذًا تُكْفَأُ الأَرْض وَمَنْ عَليْهَا، وَلكِنْ أَرْسِل عَلَيْهِمْ بِقَدْرِ خَاتَم. فَهِيَ الَّتِي يقول الله فِي كِتَابه: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾»[1]. هَذَا الحَدِيث رَفْعه مُنْكَر، وَالأَقْرَب أَنْ يَكُون مَوْقُوفًا عَلى عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما مِنْ زَامِلتَيْهِ اللَّتَيْنِ أَصَابَهُمَا يَوْم اليَرْمُوك، وَالله أَعْلم. قَال سَعِيد بْن المُسَيَّب وَغَيْره فِي قَوْله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ قَالُوا: هِيَ الجَنُوب. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح مِنْ رِوَايَة شُعْبَة، عَنْ الحَكَم، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**نُصِرْت بِالصَّبَا وَأُهْلكَتْ عَادٌ بِالدَّبُور**»[2]. ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قَال ابْن جَرِير: يَعْنِي إِلى وَقْت فَنَاء آجَالكُمْ. وَالظَّاهِر أَنَّ هَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾، وَهَكَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، وَذَلكَ أَنَّهُمْ انْتَظَرُوا العَذَاب ثَلاثَة أَيَّام، وجاءهم فِي صَبِيحَة اليَوْم الرَّابِع بُكْرَةَ النَّهَار، ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أَيْ: مِنْ هَرَبٍ وَلا نُهُوض، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أَيْ: وَلا يَقْدِرُونَ عَلى أَنْ يَنْتَصِرُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ. وَقَوْله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أَيْ: وَأَهْلكْنَا قَوْم نُوح مِنْ قَبْل هَؤُلاءِ؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ وَكُلّ هَذِهِ القَصَص قَدْ تَقَدَّمَتْ مَبْسُوطَة فِي أَمَاكِن كَثِيرَة، مِنْ سُوَر مُتَعَدِّدَة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنَبِّهًا عَلى خَلق العَالم العُلوِيّ وَالسُّفْليّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أَيْ: جَعَلنَاهَا سَقْفًا رَفِيعًا ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ أَيْ: بِقُوَّةٍ. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالثَّوْرِيّ، وَغَيْر وَاحِد. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أَيْ: وقَدْ وَسَّعْنَا أَرْجَاءَهَا وَرَفَعْنَاهَا بِغَيْرِ عَمَد، حَتَّى اسْتَقَلَّتْ كَمَا هِيَ، ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ أَيْ: جَعَلنَاهَا فِرَاشًا للمَخْلُوقَاتِ ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ أَيْ: وَجَعَلنَاهَا مَهْدًا لأَهْلهَا، ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أَيْ: جَمِيع المَخْلُوقَات أَزْوَاج: سَمَاء وَأَرْض، وَليْل وَنَهَار، وَشَمْس وَقَمَر، وَبَرّ وَبَحْر، وَضِيَاء وَظَلام، وَإِيمَان وَكُفْر، وَمَوْت وَحَيَاة، وَشَقَاء وَسَعَادَة، وَجَنَّة وَنَار، حَتَّى الحَيَوَانَات وَالنَّبَاتَات؛ وَلهَذَا قَال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أَيْ: لتَعْلمُوا أَنَّ الخَالق وَاحِد لا شَرِيك لهُ، ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أَيْ: الجَئُوا إِليْهِ، وَاعْتَمِدُوا فِي أُمُوركُمْ عَليْهِ، ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾. ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أَيْ: لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) منكر: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٣٥).

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُسَلِّيًا نبيه ﷺ: وَكَمَا قَال لك هَؤُلاءِ المُشْرِكُون، قَال المُكَذِّبُونَ الأَوَّلُون لرُسُلِهِمْ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، قال الله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ أَيْ: أَوْصَى بَعْضهمْ بَعْضًا بِهَذِهِ المَقَالة؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَيْ: لكِنْ هُمْ قَوْم طُغَاة، تَشَابَهَتْ قُلُوبهمْ، فَقَال مُتَأَخِّرهمْ كَمَا قَال مُتَقَدِّمهمْ. قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أَيْ: فَأَعْرِض عَنْهُمْ يَا مُحَمَّد، ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ يَعْنِي: فَمَا نَلُومك عَلى ذَلكَ، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا تَنْتَفِع بِهَا القُلُوب المُؤْمِنَة. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: إِنَّمَا خَلقْتُهُمْ لآمُرهُمْ بِعِبَادَتِي، لا لاحْتِيَاجِي إِليْهِمْ. وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: إِلَّا ليُقِرُّوا بِعِبَادَتِي، طَوْعًا أَوْ كَرْهًا. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَقَال ابْن جُرَيْج: إِلَّا ليَعْرِفُونِ. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: إِلَّا للعِبَادَةِ. وَقَال السُّدِّيّ: مِنْ العِبَادَة مَا يَنْفَع وَمِنْهَا مَا لا يَنْفَع، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ هَذَا مِنْهُمْ عِبَادَة، وَليْسَ يَنْفَعهُمْ مَعَ الشِّرْك. وَقَال الضَّحَّاك: المُرَاد بِذَلكَ المُؤْمِنُون.

وقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن آدَم وَأَبُو سَعِيد؛ قَالا: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه قَال: أَقْرَأَنِي رَسُول الله ﷺ: «**إِنِّي أَنَا الرَّزَّاق ذُو القُوَّة المَتِين**»[1]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث إِسْرَائِيل، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَمَعْنَى الآيَة أَنَّهُ تَعَالى خَلقَ العِبَاد ليَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لا شَرِيك لهُ، فَمَنْ أَطَاعَهُ جَازَاهُ أَتَمَّ الجَزَاء، وَمَنْ عَصَاهُ عَذَّبَهُ أَشَدّ العَذَاب. وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْر مُحْتَاج إِليْهِمْ، بَل هُمْ الفُقَرَاء إِليْهِ فِي جَمِيع أَحْوَالهمْ؛ فَهُوَ خَالقهمْ وَرَازِقهمْ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا عِمْرَان -يَعْنِي ابْن زَائِدَة بْن نَشِيط- عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي خَالد -هُوَ الوَالبِيّ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**قَال الله: يَا بن آدَم؛ تَفَرَّغْ لعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرك غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرك، وَإِلاَّ تَفْعَل مَلأْت صَدْرك شُغْلاً وَلمْ أَسُدَّ فَقْرك**»[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث عِمْرَان بْن زَائِدَة، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن غَرِيب.

قَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَد عَنْ وَكِيع وَأَبِي مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ سَلَّام أَبِي شُرَحْبِيل، سَمِعْت حَبَّة وَسَوَاء ابْنَيْ خَالد يَقُولانِ: أَتَيْنَا رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَعْمَل عَمَلًا -أَوْ يَبْنِي بِنَاء- وَقَال أَبُو مُعَاوِيَة: يُصْلح شَيْئًا -فَأَعَنَّاهُ عَليْهِ، فَلمَّا فَرَغَ دَعَا لنَا وَقَال: «**لا تَيْأَسَا مِنْ الرِّزْق مَا تَهَزْهَزَتْ رُءُوسكُمَا، فَإِنَّ الإِنْسَان تَلدهُ أُمُّهُ أَحْمَر ليْسَ عَليْهِ قِشْرَة ثُمَّ يُعْطِيه الله وَيَرْزُقهُ**». وَفِي بَعْض الكُتُب الإِلهِيَّة: يَقُول الله تَعَالى: «ابْن آدَم؛ خَلقْتُك لعِبَادَتِي فَلا تَلعَبْ. وَتَكَفَّلت بِرِزْقِك فَلا تَتْعَب. فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتنِي وَجَدْت كُلّ شَيْء، وَإِنْ فُتُّك فَاتَك كُلّ شَيْء، وَأَنَا أَحَبُّ إِليْك مِنْ كُلّ شَيْء».

وقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾ أَيْ: نَصِيبًا مِنْ العَذَاب، ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أَيْ: فَلا يستعجلوا ذَلكَ، فَإِنَّهُ وَاقِع بهم لا مَحَالة، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ يَعْنِي: يَوْم القِيَامَة.

آخر تفسير سورة الذاريات

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٩٤١)، وأحمد (١/ ٣٩٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٦٨)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٨)

تفسير سُورَةُ الطُّورِ وهي مكية

ترتيبها ٥٢ — وآياتها ٤٩

قَال مَالك: عَنْ الزُّهرِيّ، عَنْ مُحَمَّد بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عَنْ أَبِيهِ: «سَمِعْت النَّبِيّ ﷺ يَقْرَأ فِي المَغْرب بِالطُّورِ، فَمَا سَمِعْت أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا -أَوْ: قِرَاءَة- مِنْهُ»[1] أَخْرَجَاهُ مِنْ طَرِيق مَالك. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن يُوسُف، أَخْبَرَنَا مَالك، عَنْ مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بْن نَوْفَل، عَنْ عُرْوَة، عَنْ زَيْنَب بِنْت أَبِي سَلَمَة، عَنْ أُمّ سَلَمَة قَالَتْ: شَكَوْت إِلَى رَسُول الله ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي، فَقَال: «طُوفِي مِنْ وَرَاء النَّاس وَأَنْتِ رَاكِبَة». فَطُفْت وَرَسُول الله ﷺ يُصَلِّي إِلَى جَنْب البَيْت يَقْرَأ بِالطُّورِ وَكِتَاب مَسْطُور.[2]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ① وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ② فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ③ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ④ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ⑤ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ⑦ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ⑩ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑪ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ⑬ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يُقْسِم تَعَالى بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّة عَلى قُدْرَته العَظِيمَة، أَنَّ عَذَابه وَاقِع بِأَعْدَائِهِ، وَأَنَّهُ لا دَافِع لهُ عَنْهُمْ. فَالطُّور هُوَ: الجَبَل الَّذِي يَكُون فِيهِ أَشْجَار، مِثْل الَّذِي كَلَّمَ الله عَلَيْهِ مُوسَى، وَأَرْسَل مِنْهُ عِيسَى. وَمَا لمْ يَكُنْ فِيهِ شَجَر لا يُسَمَّى طُورًا، إِنَّمَا يُقَال لهُ: جَبَل. ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ قِيل: هُوَ اللَّوْح المَحْفُوظ. وَقِيل: الكُتُب المُنَزَّلة المَكْتُوبَة الَّتِي تُقْرَأ عَلى النَّاس جِهَارًا؛ وَلهَذَا قَال: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ③ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾. وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال فِي حَدِيث الإِسْرَاء بَعْد مُجَاوَزَته إِلى السَّمَاء السَّابِعَة: «ثُمَّ رُفِعَ بِي إِلى البَيْت المَعْمُور، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلهُ فِي كُلّ يَوْم سَبْعُونَ أَلفًا لا يَعُودُونَ إِليْهِ آخِر مَا عَليْهِمْ»[3]. يَعْنِي: يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ وَيَطُوفُونَ بِهِ، كَمَا يَطُوف أَهْل الأَرْض بِكَعْبَتِهِمْ. كَذَلكَ ذَاكَ البَيْت، هُوَ كَعْبَة أَهْل السَّمَاء السَّابِعَة؛ وَلهَذَا وَجَدَ إِبْرَاهِيم الخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلى البَيْت المَعْمُور؛ لأَنَّهُ بَانِي الكَعْبَة الأَرْضِيَّة، وَالجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل، وَهُوَ بِحِيَال الكَعْبَة، وَفِي كُلّ سَمَاء بَيْتٌ يَتَعَبَّد فِيهِ أَهْلهَا، وَيُصَلُّونَ إِليْهِ، وَالَّذِي فِي السَّمَاء الدُّنْيَا يُقَال لهُ: بَيْت العِزَّة. وَالله أَعْلم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم حَدَّثَنَا رَوْح بْن جَنَاح، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «فِي السَّمَاء السَّابِعَة بَيْت يُقَال لهُ: المَعْمُور، بِحِيَال الكَعْبَة، وَفِي السَّمَاء الرَّابِعَة نَهْر يُقَال لهُ: الحَيَوَان، يَدْخُلهُ جِبْرِيل كُلّ يَوْم، فَيَنْغَمِس فِيهِ انْغِمَاسَةً، ثُمَّ يَخْرُج فَيَنْتَفِض انْتِفَاضَة يَخِرّ عَنْهُ سَبْعُونَ أَلف قَطْرَة، يَخْلُق الله من كُلّ قَطْرَة مَلكًا يُؤْمَرُون أَنَّ يأتوا البَيْت المَعْمُور، فيصلوا فِيهِ فَيَفْعَلُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُون فَلا يَعُودُونَ إِليْهِ أَبَدًا، وَيُوَلَّى عَليْهِمْ أَحَدهمْ، يُؤْمَر أَنْ يَقِف بِهِمْ مِنْ السَّمَاء مَوْقِفًا يُسَبِّحُونَ الله فِيهِ إِلى أَنْ تَقُوم السَّاعَة»[4]. هَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، تَفَرَّدَ بِهِ رَوْح بْن جَنَاح هَذَا، وَهُوَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٤)، ومسلم (١٢٧٦).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).
(٤) سنده ضعيف.

القُرَشِيّ الأُمَوِيّ مَوْلاهُمْ أَبُو سعد الدِّمَشْقِيّ، وَقَدْ أَنْكَرَ هَذَا الحَدِيث عَلَيْهِ جَمَاعَة مِنَ الحُفَّاظ، مِنْهُمْ: الجَوْزَجَانِيّ، وَالعُقَيْلِيّ، وَالحَاكِم أَبُو عَبْد الله النَّيْسَابُورِيّ، وَغَيْرهمْ. قَال الحَاكِم: لا أَصْل لهُ مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة، وَلا سَعِيد، وَلا الزُّهْرِيّ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا هَنَّاد بْن السَّرِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَص، عَنْ سِمَاك بْن حَرْب، عَنْ خَالد بْن عَرْعَرَة؛ أَنَّ رَجُلًا قَال لعَلِيّ: مَا البَيْت المَعْمُور؟ قَال: بَيْت فِي السَّمَاء يُقَال لهُ «الضِّرَاح»، وَهُوَ بِحِيَال الكَعْبَة مِنْ فَوْقهَا، حُرْمَتُهُ فِي السَّمَاء كَحُرْمَةِ البَيْت فِي الأَرْض، يُصَلِّي فِيهِ كُلّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلائِكَة، لا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا. وَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَة وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ سِمَاك. وَعِنْدهمَا أَنَّ ابْن الكَوَّاء هُوَ السَّائِل عَنْ ذَلكَ. ثُمَّ رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ طَلق بْن غَنَّام، عَنْ زَائِدَة عَنْ عَاصِم، عَنْ عَلِيّ بْن رَبِيعَة؛ قَال: سَأَل ابْن الكَوَّاء عَلِيًّا عَنْ البَيْت المَعْمُور؟ قَال: مَسْجِد فِي السَّمَاء يُقَال لهُ «الضِّرَاح»، يَدْخُلهُ كُلّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلائِكَة، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا.[1] رَوَاهُ مِنْ حَدِيث أَبِي الطُّفَيْل عَنْ عَلِيّ بِمِثْلهِ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ بَيْت حِذَاء العَرْش تَعْمُرهُ المَلائِكَة، ويُصَلِّي فِيهِ كُلّ ليلة سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلائِكَة، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِليْهِ.[2] وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَالسُّدِّيّ، وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف.

وَقَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال يَوْمًا لأَصْحَابِهِ: «هَل تَدْرُونَ مَا البَيْت المَعْمُور؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم، قَال: «فَإِنَّهُ مَسْجِد فِي السَّمَاء بِحِيَال الكَعْبَة، لوْ خَرَّ لخَرَّ عَليْهَا، يُصَلِّي فِيهِ كُلّ يَوْم سَبْعُونَ أَلف مَلك، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لمْ يَعُودُوا آخر مَا عَليْهِمْ»[3]. وَزَعَمَ الضَّحَّاك أَنَّهُ يَعْمُرهُ طَائِفَة مِنْ المَلائِكَة يُقَال لهُمْ الجن مِنْ قَبِيلة إِبْليس، فَالله أَعْلم. وَقوله: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، وَشُعْبَة، وَأَبُو الأَحْوَص، عَنْ سِمَاك، عَنْ خَالد بْن عَرْعَرَة، عَنْ عَلِيّ: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ يَعْنِي: السَّمَاء. قَال سُفْيَان: ثُمَّ تَلا: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَابْن جَرِيج، وَابْن زَيْد، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: هُوَ العَرْش. يَعْنِي: أَنَّهُ سَقْف لجَمِيعِ المَخْلُوقَات، وَلهُ اتِّجَاه، وَهُوَ يراد مَعَ غَيْره، كَمَا قَالهُ الجُمْهُور.

وقوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾. قَال الرَّبِيع بْن أَنَس: هُوَ المَاء الَّذِي تَحْت العَرْش، الَّذِي يُنْزِل الله مِنْهُ المَطر الَّذِي يحيي بِهِ الأَجْسَاد فِي قُبُورهَا يَوْم مَعَادهَا. وَقَال الجُمْهُور: هُوَ هَذَا البَحْر. وَاخْتُلفَ فِي مَعْنَى قَوْله: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ فَقَال بَعْضهمْ: المُرَاد أَنَّهُ يُوقِد يَوْم القِيَامَة نَارًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أَيْ: أُضْرِمَتْ، فَتَصِير نَارًا تَتَأَجَّج، مُحِيطَة بِأَهْل المَوْقِف. رَوَاهُ سَعِيد بْن المُسَيَّب، عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب، وَرُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس. وَبِهِ يَقُول سَعِيد بْن جُبَيْر، وَمُجَاهِد، وَعَبْد الله بْن عُبَيْد بْن عُمَيْر وَغَيْرهمْ. وَقَال العَلاء بْن بَدْر: إِنَّمَا سُمِّيَ البَحْر المَسْجُور؛ لأَنَّهُ لا يُشْرَب مِنْهُ مَاء، وَلا يُسْقَى بِهِ زَرْع، وَكَذَلكَ البِحَار يَوْم القِيَامَة. كَذَا رَوَاهُ عَنْهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَعَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ يَعْنِي: المُرْسَل. وَقَال قَتَادَة: المَسْجُور: المَمْلُوء. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَوَجَّهَهُ بِأَنَّهُ ليْسَ مُوقَدًا اليَوْم فَهُوَ مَمْلُوء. وَقِيل: المُرَاد بِهِ الفَارِغ، قَال الأَصْمَعِيّ، عَنْ أَبِي عَمْرو ابْن العَلاء، عَنْ ذِي الرُّمَّة، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ قَال: الفَارِغ؛ خَرَجَتْ أَمَة تَسْتَسْقِي فَرَجَعَتْ فَقَالتْ: إِنَّ الحَوْض مَسْجُور، تَعْنِي: فَارِغًا. رَوَاهُ ابْن مَرْدَوَيْهِ فِي مَسَانِيد الشُّعَرَاء. وَقِيل: المُرَاد بِالمَسْجُورِ المَمْنُوع المَكْفُوف عَنْ الأَرْض؛ لئَلَّا

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢٧/ ١٦) بسند ضعيف.

(٢) سنده ضعيف: فيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢٧/ ١٧) بسند مرسل.

يَغْمُرَهَا فَيُغْرِق أَهْلهَا. قَالَهُ عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس. وَبِهِ يَقُول السُّدِّيّ وَغَيْره، وَعَلَيْهِ يَدُلّ الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُسْنَده» فَإِنَّهُ قَال: حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا العَوَّام، حَدَّثَنِي شَيْخ كَانَ مُرَابِطًا بِالسَّاحِل؛ قَال: لقِيت أَبَا صَالح مَوْلى عُمَر بْن الخَطَّاب فَقَال: حَدَّثَنَا عُمَر بْن الخَطَّاب، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «ليْسَ مِنْ ليْلة إِلَّا وَالبَحْر يُشْرِف فِيهَا ثَلاث مَرَّات، يَسْتَأْذِن الله أَنَّ ينفضح عَليْهِمْ فَيَكُفّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ».[1]

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر الإِسْمَاعِيليّ: حدثنا الحَسَن بْن سُفْيَان، عَنْ إِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ، عَنْ يَزِيد -وَهُوَ ابْن هَارُون- عَنْ العَوَّام بن حَوْشَب، حَدَّثَنِي شَيْخ مَرَابِط؛ قَال: خَرَجْت ليْلة لحرسي لمْ يَخْرُج أَحَد مِنْ الحَرَس غَيْرِي، فَأَتَيْت المِينَاء فَصَعِدْت، فَجَعَل يُخَيَّل إِليَّ أَنَّ البَحْر يُشْرِف يُحَاذِي رُءُوسَ الجِبَال، فَعَل ذَلكَ مِرَارًا وَأَنَا مُسْتَيْقِظ، فَلقِيت أَبَا صَالح فَقَال: حَدَّثَنَا عُمَر بْن الخَطَّاب؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**مَا مِنْ ليْلة إلاَّ وَالبَحْر يُشْرِف ثَلاث مَرَّات، يَسْتَأْذِن الله أَنْ يَنْفَضِخ عليهِمْ، فَيَكُفُّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ**». فِيهِ رَجُل مُبْهَم لمْ يُسَمَّ.

وَقَوْله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هَذَا هُوَ المُقْسَم عَليْهِ، أَيْ: لوَاقِع بِالكَافِرِينَ، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ أَيْ: ليْسَ لهُ دَافِع يَدْفَعهُ عَنْهُمْ إِذَا أَرَادَ الله بِهِمْ ذَلكَ. قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر ابْن أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن دَاوُد، عَنْ صَالح المُرِّيّ، عَنْ جَعْفَر بْن زَيْد العَبْدِيّ؛ قَال: خَرَجَ عُمَر يَعُسّ المَدِينَة ذَات ليْلة، فَمَرَّ بِدَارِ رَجُل مِنْ المُسْلمِينَ، فَوَافَقَهُ قَائِمًا يُصَلِّي، فَوَقَفَ يَسْتَمِع قِرَاءَتَهُ، فَقَرَأَ: ﴿وَالطُّورِ﴾ حَتَّى بَلغَ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ قَال: قَسَمٌ -وَرَبِّ الكَعْبَة- حَقٌّ. فَنَزَل عَنْ حِمَاره، وَاسْتَنَدَ إِلى حَائِط، فَمَكَثَ مَليًّا ثُمَّ رَجَعَ إِلى مَنْزِله، فَمَكَثَ شَهْرًا يَعُودهُ النَّاس، لا يَدْرُونَ مَا مَرَضه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَال الإِمَام أَبُو عُبَيْد فِي «فَضَائِل القُرْآن»: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن صَالح، حَدَّثَنَا هِشَام بْن حَسَّان، عَنْ الحَسَن؛ أَنَّ عُمَر قَرَأَ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فَرَبَا لهَا ربوة عِيدَ مِنْهَا عِشْرِينَ يَوْمًا. وقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا﴾ قَال ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة: تَتَحَرَّك تَحْرِيكًا. وَعَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ تَشَقُّقُهَا، وَقَال مُجَاهِد: تَدُور دَوْرًا. وَقَال الضَّحَّاك: اسْتِدَارَتهَا وَتَحَرُّيكهَا لأَمْرِ الله وَمَوْج بَعْضهَا فِي بَعْض. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير: أنه التَّحَرُّك فِي اسْتِدَارَة. قَال: وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَة مَعْمَر بْن المُثَنَّى بَيْت الأَعْشَى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْت جَارَتِهَا ❁ مَوْرُ السَّحَابَة لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أَيْ: تَذْهَب فَتَصِير هَبَاء مُنْبَثًّا، وَتُنْسَف نَسْفًا، ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَيْ: وَيْل لهُمْ ذَلكَ اليَوْم مِنْ عَذَاب الله وَنَكَاله بِهِمْ، وَعِقَابه لهُمْ، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أَيْ: هُمْ فِي الدُّنْيَا يَخُوضُونَ فِي البَاطِل، وَيَتَّخِذُونَ دِينهمْ هُزُوًا وَلعِبًا، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أَيْ: يُدْفَعُونَ وَيُسَاقُونَ ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾. وَقَال مُجَاهِد، وَالشَّعْبِيّ، وَمُحَمَّد بْن كَعْب، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، وَالثَّوْرِيّ: يُدْفَعُونَ فِيهَا دَفْعًا، ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أَيْ: تَقُول لهم الزَّبَانِيَة ذَلكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮ اصْلَوْهَا﴾ أَيْ: ادْخُلُوهَا دُخُول مَنْ تَغْمُرهُ مِنْ جَمِيع جِهَاته، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ: سَوَاء صَبَرْتُمْ عَلى عَذَابهَا وَنَكَالهَا أَمْ لمْ تَصْبِرُوا، لا مَحِيدَ لكُمْ عَنْهَا وَلا خَلاص لكُمْ مِنْهَا، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: وَلا يَظْلم الله أَحَدًا، بَل يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلهِ.

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٤٣) بسند ضعيف.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

يخبر تَعَالَى عَنْ حَال السُّعَدَاء، فَقَال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾، وَذَلكَ بِضِدِّ مَا أُولَئِكَ فِيهِ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال، ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أَيْ: يَتفكَّهُون بِمَا آتاهُمْ الله مِنْ النَّعِيم، مِنْ أَصْنَاف المَلاذِّ، مِنْ مَآكِل وَمَشَارِب وَمَلابِس وَمَسَاكِنَ وَمَرَاكِب وَغَيْرِ ذَلكَ، ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أَيْ: وَقَدْ نَجَّاهُمْ مِنْ عَذَاب النَّار، وَتِلكَ نِعْمَة مُسْتَقِلَّة بِذَاتِهَا عَلى حِدَتِهَا مَعَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهَا مِنْ دُخُول الجَنَّة، الَّتِي فِيهَا مِنْ السُّرُور مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلب بَشَرٍ. وقَوْلِهِ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أَيْ: هَذَا بِذَاكَ، تَفَضُّلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا. وَقَوْله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ حُصَيْن، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس: السُّرُر فِي الحِجَال.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا أَبُو اليَمَان، حَدَّثنَا صَفْوَان بْن عَمْرو؛ أَنَّهُ سَمِعَ الهَيْثَم بْن مَالك الطَّائِيّ يَقُول: إِنَّ رَسُول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ الرَّجُل لَيَتَّكِئُ المُتَّكَأَ مِقْدَار أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا يَتَحَوَّل عَنْهُ وَلا يَمَلّهُ، يَأْتِيه مَا اشْتَهَتْ نَفْسه وَلَذَّتْ عَيْنه»**[1]. وَحَدَّثنَا أَبِي حَدَّثنَا هُدْبَة بْن خَالد، عَنْ سُلَيْمَان بْن المُغِيرَة، عَنْ ثَابِت قَال: «بَلغَنَا أَنَّ الرَّجُل لَيَتَّكِئ فِي الجَنَّة سَبْعِينَ سَنَة، عِنْده مِنْ أَزْوَاجه وَخَدَمِهِ وَمَا أَعْطَاهُ الله مِنْ الكَرَامَة وَالنَّعِيم، فَإِذَا حَانَتْ مِنْهُ نَظْرَة فَإِذَا أَزْوَاج لَهُ لَمْ يَكُنْ رَآهُنَّ قَبْل ذَلكَ، فَيَقُلنَ: قَدْ آنَ لك أَنْ تَجْعَل لنَا مِنْك نَصِيبًا»[2]. وَمَعْنَى: ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ أَيْ: وُجُوه بَعْضهمْ إِلى بَعْض؛ كَقَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أَيْ: وَجَعَلنَا لهُمْ قَرِينَاتٍ صَالحَاتٍ، وَزَوْجَات حسانًا مِنْ الحُور العِين. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ أَنْكَحْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ وصفهن فِي غَيْر مَوْضِع بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ فَضْله وَكَرَمه، وَامْتِنَانه وَلُطْفه بِخَلقِهِ وَإِحْسَانه؛ أَنَّ المُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتهمْ فِي الإِيمَان يُلحِقُهُمْ بِآبَائِهِمْ فِي المَنْزِلة وَإِنْ لمْ يَبْلُغُوا عَمَلهُمْ، لتَقَرَّ أَعْيُن الآبَاء بِالأَبْنَاءِ عِنْدهمْ فِي مَنَازِلهمْ، فَيَجْمَع بَيْنهمْ عَلى أَحْسَن الوُجُوه، بِأَنْ يَرْفَع النَّاقِصَ العَمَل بِكَامِلِ العَمَل، وَلا يُنْقَص ذَاك مِنْ عَمَله وَمَنْزِلته، للتَّسَاوِي بَيْنه وَبَيْن ذَاكَ؛ وَلهَذَا قَال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: إِنَّ الله ليَرْفَع ذُرِّيَّةَ المُؤْمِن فِي دَرَجَته، وَإِنْ كَانُوا دُونه فِي العَمَل، لتَقَرّ بِهِمْ عَيْنه. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[3]. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث شُعْبَة، عَنْ

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٤) عن ابن عباس موقوفًا، وهو أصح من المرفوع. لكن لا يقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع.

عَمْرو بْن مُرَّة بِهِ. وَرَوَاهُ البزار، عَنْ سَهْل بْن بَحْر، عَنْ الحَسَن بْن حَمَّاد الوَرَّاق، عَنْ قَيْس بْن [الرَّبِيع، عَنْ عَمْرو][١] بْن مُرَّة، عَنْ سَعِيد، عَنْ ابْن عَبَّاس مَرْفُوعًا، فَذَكَرَهُ، ثُمَّ قَال: وَقَدْ رَوَاهُ الثَّوْرِيّ، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ سَعِيد عن ابْن عَبَّاس مَوْقُوفًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن الوَلِيد بْن مزيد البَيْرُوتِيّ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن شعيب أَخْبَرَنِي شَيْبَان، أَخْبَرَنِي ليْث، عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت الأَسَدِيّ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قَال: هُمْ ذُرِّيَّة المُؤْمِن، يَمُوتُونَ عَلى الإِيمَان، فَإِنْ كَانَتْ مَنَازِل آبَائِهِمْ أَرْفَع مِنْ مَنَازِلهِمْ أُلحِقُوا بِآبَائِهِمْ، وَلَمْ يُنْقَصُوا مِنْ أَعْمَالهِمْ الَّتِي عملوا شَيْئًا.[٢] وَقَال الحَافِظ الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا الحُسَيْن بْن إِسْحَاق التُّسْتَرِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن غَزْوَان، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ سَالم الأَفْطَس، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس أَظُنّهُ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِذَا دَخَل الرَّجُل الجَنَّة سَأَل عَنْ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلدِهِ، فَيُقَال: إِنَّهُمْ لمْ يَبْلُغُوا دَرَجَتَك. فَيَقُول: يَا رَبّ؛ قَدْ عَمِلتُ لِي وَلهُمْ. فَيُؤْمَر بِإِلحَاقِهِمْ بِهِ، وَقَرَأَ ابْن عَبَّاس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ﴾ الآيَة.[٣]

وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي هَذِهِ الآيَة، يَقُول: وَالَّذِينَ أَدْرَكَ ذُرِّيَّتهمْ الإِيمَان فَعَمِلُوا بِطَاعَتِي، أَلحَقْتهمْ بِإِيمَانِهِمْ إِلى الجَنَّة، وَأَوْلادهمْ الصِّغَار تُلحَق بِهِمْ. وَهَذَا رَاجِع إِلى التَّفْسِير الأَوَّل، فَإِنَّ ذَاك مفسر أَصْرَح مِنْ هَذَا. وَهَكَذَا يَقُول الشَّعْبِيّ، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَإِبْرَاهِيم، وَقَتَادَة، وَأَبُو صَالح، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد. وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَقَدْ قَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل، عَنْ مُحَمَّد بْن عُثْمَان، عَنْ زَاذَان، عَنْ عَلِيّ؛ قَال: سَأَلتْ خَدِيجَةُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ وَلدَيْنِ مَاتَا لهَا فِي الجَاهِلِيَّة؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**هُمَا فِي النَّار**». فَلمَّا رَأَى الكراهة فِي وَجْههَا، قَال: «**لوْ رَأَيْت مَكَانَهُمَا لأَبْغَضْتهمَا**». قَالتْ: يَا رَسُول الله؛ فَوَلدِي مِنْك؟ قَال: «**فِي الجَنَّة**». قَال: ثُمَّ قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ المُؤْمِنِينَ وَأَوْلادَهُمْ فِي الجَنَّة، وَإِنَّ المُشْرِكِينَ وَأَوْلادَهُمْ فِي النَّار**». ثُمَّ قَرَأَ رَسُول الله ﷺ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾[٤] الآيَة. هَذَا فَضْله تَعَالى عَلى الأَبْنَاء بِبَرَكَةِ عَمَل الآبَاء، وَأَمَّا فَضْله عَلى الآبَاء بِبَرَكَةِ دُعَاء الأَبْنَاء، فَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ عَاصِم بْن أَبِي النَّجُود، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﵁ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ الله ليَرْفَع الدَّرَجَة للعَبْدِ الصَّالح فِي الجَنَّة فَيَقُول: يَا رَبّ؛ أَنَّى لي هَذِهِ؟ فَيَقُول: باسْتِغْفَارِ وَلدك لك**»[٥]. إِسْنَادُهُ صَحِيح وَلمْ يُخَرِّجُوهُ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَلكِنْ لهُ شَاهِد فِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ : «**إِذَا مَاتَ ابْن آدَم انْقَطَعَ عَمَله إِلاَّ مِنْ ثَلاث: صَدَقَة جَارِيَة، أَوْ عِلم يُنْتَفَع بِهِ، أَوْ وَلد صَالح يَدْعُو لهُ**».[٦]

---

(١) فِي الأزهرية: [الربيع بن عمرو].
(٢) إسناده ضعيف: فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.
(٣) ضعيف: أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٠) بسند ضعيف.
(٤) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٣٤) بسند ضعيف.
(٥) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩) بسند ضعيف، لكن له شواهد.
(٦) صحيح: تقدم.

وَقَوْله: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لَـمَّا أَخْبَرَ عَنْ مَقَام الفَضْل، وَهُوَ رَفْع دَرَجَة الذُّرِّيَّة إِلى مَنْزِلة الآبَاء من غَيْر عَمَل يَقْتَضِي ذَلكَ، أَخْبَرَ عَنْ مَقَام العَدْل، وَهُوَ أَنَّهُ لا يُؤَاخِذ أَحَدًا بِذَنْبِ أَحَد، فَقَال تَعَالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أَيْ: مُرْتَهن بِعَمَلهِ، لا يُحْمَل عَلَيْهِ ذَنْب غَيْره مِنْ النَّاس، سَوَاء كَانَ أَبًا أَوْ ابْنًا، كَمَا قَال: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحْمٖ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أَيْ: وَأَلحقْنَاهُمْ بِفَوَاكِهَ وَلُحُوم مِنْ أَنْوَاع شَتَّى، مِمَّا يُسْتَطَاب وَيُشْتَهَى. وَقَوْله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أَيْ: يَتَعَاطَوْنَ فِيهَا كَأْسًا، أَيْ: مِنْ الخَمْر؛ قَالهُ الضَّحَّاك: ﴿لَّا لَغْوٞ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٞ﴾ أَيْ: لا يَتَكَلَّمُونَ عنها بِكَلام لاغٍ، أَيْ: هَذَيَان وَإِثْم، أَيْ: فُحْش، كَمَا تتكلم بِهِ الشَّرَبَةُ مِنْ أَهْل الدُّنْيَا. وقَال ابْن عَبَّاس: اللَّغْو: البَاطِل، وَالتَّأْثِيم: الكَذِب. وَقَال مُجَاهِد: لا يَسْتَبُّونَ وَلا يُؤَثِّمُونَ. وَقَال قَتَادَة: كَانَ ذَلكَ فِي الدُّنْيَا مَعَ الشَّيْطَان. فَنَزَّهَ الله خَمْر الآخِرَة عَنْ قَاذُورَات خَمْر الدُّنْيَا وَأَذَاهَا، فَنَفَى عَنْهَا -كَمَا تَقَدَّمَ- صُدَاع الرَّأْس، وَوَجَع البَطْن وَإِزَالة العَقْل بِالكُلِّيَّةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا لا تَحْمِلُهُمْ عَلى الكَلام السَّيِّئ الفَارِغ عَنْ الفَائِدَة المُتَضَمِّن هَذَيَانًا وَفُحْشًا، وَأَخْبَرَ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا وَطِيب طَعْمِهَا وَمَخْبَرِهَا، فَقَال: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٞ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾، وَقَال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ وَقَال هَهُنَا: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسٗا لَّا لَغْوٞ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٞ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٞ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٞ مَّكْنُونٞ﴾ إِخْبَار عَنْ خَدَمِهِمْ وَحَشَمِهِمْ فِي الجَنَّة كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤ الرَّطْب، المَكْنُون فِي حُسْنهمْ وَبَهَائِهِمْ وَنَظَافَتهمْ وَحُسْن مَلابِسهمْ؛ كَمَا قَال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾. وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أَيْ: أَقْبَلُوا يَتَحَادَثُونَ وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَعْمَالهمْ وَأَحْوَالهمْ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا كَمَا يتحادث أَهْل الشَّرَاب عَلى شَرَابهمْ، إِذَا أَخَذَ فِيهِمْ الشَّرَاب بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرهمْ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أَيْ: قد كُنَّا فِي الدَّار الدُّنْيَا وَنَحْنُ بَيْن أهلنا خَائِفِينَ مِنْ رَبِّنَا مُشْفِقِينَ مِنْ عَذَابه وَعِقَابه، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أَيْ: فَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا وَأَجَارَنَا مِمَّا نَخَاف، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أَيْ: نَتَضَرَّع إِلَيْهِ، فَاسْتَجَابَ لنَا وَأَعْطَانَا سُؤَالنَا، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾. وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا المَقَام حَدِيث، رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار فِي «مُسْنَده» فَقَال: حَدَّثَنَا سَلمَة بْن شَبِيب، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن دِينَار، حَدَّثَنَا الرَّبِيع بْن صُبَيْح، عَنْ الحَسَن، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ اشْتَاقُوا إِلى الإِخْوَان، فَيَجِيء سَرِير هَذَا، حَتَّى يُحَاذِيَ سَرِيرَ هَذَا، فَيَتَحَدَّثَانِ فَيَتَّكِئُ هَذَا وَيَتَّكِئُ هَذَا، فَيَتَحَدَّثَانِ بِمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُول أَحَدهمَا لصَاحِبِهِ: يَا فُلانُ؛ تَدْرِي أَيَّ يَوْم غَفَرَ الله لنَا؟ يَوْم كُنَّا فِي مَوْضِع كَذَا وَكَذَا، فَدَعَوْنَا الله عَزَّ وَجَلَّ فَغَفَرَ لنَا»**[1]. ثُمَّ قَال البَزَّار: لا نَعْرِفُهُ يُرْوَى إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَاد. قُلت: وَسَعِيد بْن دِينَار الدِّمَشْقِيّ، قَال أَبُو حَاتِم: هُوَ مَجْهُول، وَشَيْخه الرَّبِيع بْن صُبَيْح قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْر وَاحِد مِنْ جِهَة حِفْظِهِ، وَهُوَ رَجُل صَالح ثِقَة فِي نَفْسه.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَبْد الله الأَوْدِيّ، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَائِشَة؛ أَنَّهَا قَرَأَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ فَقَالتْ: اللَّهُمَّ؛ مُنَّ عَليْنَا وَقِنَا عَذَاب السَّمُوم، إِنَّك أَنْتَ البَرّ الرَّحِيم. قِيل للأَعْمَش: فِي الصَّلاة؟ قَال: نَعَمْ.

---

(١) ضعيف : فيه سعيد بن دينار والربيع بن صبيح، وكلاهما ضعيف.

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا رَسُوله ﷺ بِأَنْ يُبَلِّغَ رِسَالته إِلى عِبَاده، وَأَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِمَا أَنْزَل الله عَلَيْهِ. ثُمَّ نَفَى عَنْهُ مَا يَرْمِيه بِهِ أَهْل البُهْتَان وَالفُجُور، فَقَال: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ أَيْ: لسْت بِحَمْدِ الله بِكَاهِنٍ كَمَا تقوّله الجَهَلة مِنْ كُفَّار قُرَيْش. وَالكَاهِن: الَّذِي يَأْتِيه الرَّئِيّ مِنْ الجَانّ بِالكَلِمَةِ يَتَلقَّاهَا مِنْ خَبَر السَّمَاء، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَخَبَّطهُ الشَّيْطَان مِنْ المَسّ. ثُمَّ قَال تَعَالى مُنْكِرًا عَليْهِمْ فِي قَوْلهمْ فِي الرَّسُول ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أَيْ: قَوَارِع الدَّهْر. وَالمَنُون: المَوْت. يَقُولُونَ: نَنْظِرهُ وَنَصْبِر عَليْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ المَوْت فَنَسْتَرِيح مِنْهُ وَمِنْ شَأْنه، قَال الله تَعَالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أَيْ: انْتَظِرُوا فَإِنِّي مُنْتَظِر مَعَكُمْ، وَسَتَعْلمُونَ لمَنْ تَكُون العَاقِبَة وَالنُّصْرَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: إِنَّ قُرَيْشًا لمَّا اجْتَمَعُوا فِي دَار النَّدْوَة فِي أَمْر النَّبِيّ ﷺ قَال قَائِل مِنْهُمْ: احْتَبِسُوهُ فِي وَثَاق، ثم تَرَبَّصُوا بِهِ رَيْب المَنُون حَتَّى يَهْلك، كَمَا هَلكَ مَنْ هلك قَبْلهُ مِنْ الشُّعَرَاء: زُهَيْر وَالنَّابِغَة، إِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَنْزَل الله فِي ذَلكَ مِنْ قَوْلهمْ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[1]. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ أَيْ: عُقُولهمْ تَأْمُرهُمْ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ فِيك مِنْ الأَقوال البَاطِلة الَّتِي يَعْلمُونَ فِي أَنْفُسهمْ أَنَّهَا كَذِبٌ وَزُور، ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَيْ: وَلكِنْ هُمْ قَوْم ضُلَّال مُعَانِدُون، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْمِلهُمْ عَلى مَا قَالُوهُ فِيك. وَقَوْله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ﴾ أَيْ: اخْتَلقَهُ وَافْتَرَاهُ مِنْ عِنْد نَفْسه، يَعْنُونَ القُرْآن. قَال الله: ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: كُفْرُهُمْ هُوَ الَّذِي حَمَلهُمْ عَلى هَذِهِ المَقَالة، ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ أَيْ: إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي قَوْلهمْ: تَقَوَّلهُ وَافْتَرَاهُ، فَليَأْتُوا بِمِثْل مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ هَذَا القُرْآن، فَإِنَّهُمْ لوْ اجْتَمَعُوا هُمْ وَجَمِيع أَهْل الأَرْض مِنْ الجِنّ وَالإِنْس، مَا جَاءُوا بِمِثْلِهِ، وَلا بِعَشْرِ سُوَر مِثْله، وَلا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْله.

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

هَذَا المَقَام فِي إِثْبَات الرُّبُوبِيَّة وَتَوْحِيد الأُلُوهِيَّة، فَقَال تَعَالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ أَيْ: أَوُجِدُوا مِنْ غَيْر مُوجِد؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ أَيْ: لا هَذَا وَلا هَذَا، بَل الله هُوَ الَّذِي خَلقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْد أَنْ لمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا. قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان؛ قَال: حدثوني عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ مُحَمَّد ابْن جُبَيْر بْن مُطْعِم، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: سَمِعْت النَّبِيّ ﷺ يَقْرَأ فِي المَغْرِب بِالطُّورِ، فَلمَّا بَلغَ هَذِهِ الآيَة: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ

---

(١) إسناده ضعيف: لعنعنة ابن إسحاق.

﴿غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.[1] وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْن» مِنْ طُرُق، عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ. وَجُبَيْر بْن مُطْعِم كَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى النَّبِيّ ﷺ بَعْد وَقْعَة بَدْر فِي فِدَاء الأُسَارَى، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا، وكان سَمَاعه هَذِهِ الآيَة مِنْ هَذِهِ السُّورَة مِنْ جُمْلَة مَا حَمَلَهُ عَلَى الدُّخُول فِي الإِسْلام بَعْد ذَلِكَ. ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ ؟ أَيْ: أَهُمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ وَهَذَا إِنْكَار عَلَيْهِمْ فِي شِرْكهمْ بِالله، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الخَالِق وَحْدَهُ، لا شَرِيك لَهُ. وَلَكِنَّ عَدَم إِيقَانهمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أَيْ: أَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي المُلك وَبِيَدِهِمْ مَفَاتِيح الخَزَائِن، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أَيْ: المُحَاسِبُونَ للخَلائِق، لَيْسَ الأَمْر كَذَلِكَ، بَل الله ﷻ هُوَ المَالك المُتَصَرِّف الفَعَّال لِمَا يُرِيد.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أَيْ: مِرْقَاة إِلَى المَلإِ الأَعْلَى، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: فَلْيَأْتِ الَّذِي يَسْتَمِع لَهُمْ بِحُجَّةٍ ظَاهِرَة عَلَى صِحَّة مَا هُمْ فِيهِ مِنْ الفِعَال وَالمَقَال، أَيْ: وَلَيْسَ لَهُمْ سَبِيل إِلَى ذَلِكَ، فَلَيْسُوا عَلَى شَيْء، وَلا لَهُمْ دَلِيل. ثُمَّ قَال مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مِنْ البَنَات، وجعلهم المَلائِكَة إِنَاثًا، وَاخْتِيَارهمْ لأَنْفُسِهِمْ الذُّكُور عَلَى الإِنَاث، بِحَيْثُ إِذَا بُشِّرَ أَحَدهمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيم. هَذَا وَقَدْ جَعَلُوا المَلائِكَة بَنَات الله، وَعَبَدُوهُمْ مَعَ الله، فقال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ أَيْ: أُجْرَة عَلَى إِبْلاغك إِيَّاهُمْ رِسَالَة الله؟ أَيْ: لَسْت تَسْأَلهُمْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أَيْ: فإنهم مِنْ أَدْنَى شَيْء يَتَبَرَّمُونَ مِنْهُ، وَيُثْقِلهُمْ وَيَشُقّ عَلَيْهِمْ، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لا يَعْلم أَحَد مِنْ أَهْل السَّمَوَات وَالأَرْض الغَيْبَ إِلَّا الله، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ يَقُول تَعَالَى: أَمْ يُرِيد هَؤُلاءِ بِقَوْلِهِمْ هَذَا فِي الرَّسُول وَفِي الدِّين غُرُور النَّاس وَكَيْد الرَّسُول وَأَصْحَابه، فَكَيْدهمْ إِنَّمَا يَرْجِع وَبَالُهُ عَلَى أَنْفُسهمْ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ المَكِيدُونَ، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَهَذَا إِنْكَار شَدِيد عَلَى المُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتهمْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد مَعَ الله. ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسه الكَرِيمَة عَمَّا يَقُولُونَ وَيَفْتَرُونَ وَيُشْرِكُونَ، فَقَال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝٤٤ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٧ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ المُشْرِكِينَ بِالعِنَادِ وَالمُكَابَرَة للمَحْسُوس: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ أَيْ: عَلَيْهِمْ يُعَذَّبُونَ بِهِ، لَمَا صَدَّقُوا، وَلَمَا أَيْقَنُوا، بَل يَقُولُونَ: هَذَا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ أَيْ: مُتَرَاكِم. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾. قَال الله تَعَالَى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أَيْ: دَعْهُمْ يَا مُحَمَّد ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وَذَلِكَ يَوْم القِيَامَة، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أَيْ: لا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمْ وَلا مَكرهمْ الَّذِي اسْتَعْمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا، لا يجدي عَنْهُمْ يَوْم القِيَامَة

(١) صحيح: تقـدم.

شَيْئًا، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: قَبْل ذَلكَ فِي الدَّار الدُّنْيَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وَلهَذَا قَال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: نُعَذِّبهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَنَبْتَليهِمْ فِيهَا بِالْمَصَائِبِ، لعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَيُنِيبُونَ، فَلا يَفْهَمُونَ مَا يُرَاد بِهِمْ، بَل إِذَا جُلِّيَ عَنْهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ، عَادُوا إِلى أَسْوَإِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي بَعْض الأَحَادِيث: «إِنَّ الْمُنَافِق إِذَا مَرِضَ وَعُوفِيَ، مَثَله فِي ذَلكَ كَمَثَل البَعِير، لا يَدْرِي فِيمَا عَقَلُوهُ وَلا فِيمَا أَرْسَلُوهُ». وَفِي الأَثَر الإِلهِيّ: كَمْ أَعْصِيك وَلا تُعَاقِبنِي؟ قَال الله: يَا عَبْدِي كَمْ أعافيك وَأَنْتَ لا تَدْرِي؟ وَقَوْله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أَيْ: اصْبِرْ عَلى أَذَاهُمْ وَلا تُبَالِهِمْ، فَإِنَّك بِمَرْأى مِنَّا وَتَحْت كِلاءَتنَا، وَالله يَعْصِمك مِنْ النَّاس. وَقَوْله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قَال الضَّحَّاك: أَيْ إِلى الصَّلاة: سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، وَتَبَارَكَ اسْمك، وَتَعَالى جَدُّك، وَلا إِله غَيْرك. وَقَدْ رُوِيَ مِثْله عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَمَ وَغَيْرهمَا. وَرَوَى مُسْلم فِي «صَحِيحه»، عَنْ عُمَر أَنَّهُ كَانَ يَقُول هَذَا فِي ابْتِدَاء الصَّلاة. وَرَوَاهُ أَحْمَد وَأَهْل السُّنَن، عَنْ أَبِي سَعِيد وَغَيْره، عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُول ذَلكَ.

وَقَال أَبُو الجَوْزَاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أَيْ: مِنْ نَوْمك مِنْ فِرَاشك. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَيَتَأَيَّد هَذَا القَوْل بِمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيّ، حَدَّثَنِي عُمَيْر بْن هَانِئ، حَدَّثَنِي جُنَادَة بْن أَبِي أُمَيَّة حَدَّثَنَا عُبَادَة بْن الصَّامِت؛ أن رَسُول الله ﷺ قَال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْل فَقَال: لا إِله إِلاَّ الله، وَحْده لا شَرِيك لهُ، لهُ المُلك وَلهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْء قَدِير، سُبْحَان الله، وَالحَمْد لله، وَلا إِله إِلاَّ الله، وَالله أَكْبَر، وَلا حَوْل وَلا قُوَّة إِلاَّ بِالله، ثُمَّ قَال: رَبّ اغْفِرْ لي -أَوْ قَال: ثُمَّ دَعَا -اسْتُجِيبَ لهُ، فَإِنْ عَزَمَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى تقبلت صَلاته**»[1]. وَأَخْرَجَهُ البُخَارِيّ فِي «صَحِيحه» وَأَهْل السُّنَن مِنْ حَدِيث الوَلِيد بْن مُسْلم بِه.

وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قَال: مِنْ كُلّ مَجْلس. وَقَال الثَّوْرِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي الأَحْوَص: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قَال: إِذَا أَرَادَ الرَّجُل أَنْ يَقُوم مِنْ مَجْلسه قَال: سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك. وَقَال ابن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْر إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن شُعَيْب، أَخْبَرَنِي طَلحَة بن عَمْرو الحَضْرَمِيّ، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح؛ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ قَوْل الله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يَقُول: حِين تَقُوم مِنْ كُلّ مَجْلس، إِنْ كُنْت أَحْسَنْت ازْدَدْت خَيْرًا، وَإِنْ كان غَيْر ذَلكَ كَانَ هَذَا كَفَّارَة لهُ. وَقَدْ قَال عَبْد الرَّزَّاق فِي «جَامِعه»: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ عَبْد الكَرِيم الجَزَرِيّ، عَنْ أَبِي عُثْمَان الفَقِير؛ أَنَّ جِبْرِيل عَلَّمَ النَّبِيّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلسه أَنْ يَقُول: «سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرك وَأَتُوب إِلَيْك». [2] قَال مَعْمَر: وَسَمِعْت غَيْره يَقُول: هَذَا القَوْل كَفَّارَة المَجَالس. وَهَذَا مُرْسَل، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث مُسْنَدَة مِنْ طُرُق يُقَوِّي بَعْضهَا بَعْضًا بِذَلكَ، فَمِنْ ذَلكَ حَدِيث ابْن جُرَيْج، عَنْ سُهَيْل بْن أَبِي صَالح، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «**مَنْ جَلسَ فِي مَجْلس فَكَثُرَ فِيهِ لغَطُهُ، فَقَال قَبْل أَنْ يَقُوم مِنْ مَجْلسه: سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرك وَأَتُوب إِليْك، إِلاَّ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١١٥٤).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٤) بسند ضعيف.

غُفِرَ لهُ مَا كَانَ فِي مَجْلسه ذَلكَ».[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيّ -وَهَذَا لفْظه- وَالنَّسَائِيّ فِي «اليَوْم وَاللَّيْلة» مِنْ حَدِيث ابْن جُرَيْج. وَقَال التِّرمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح». وَأَخْرَجَهُ الحَاكِم فِي «مُسْتَدْرَكه» وَقَال: «إسناد عَلى شَرْط مُسْلم إِلَّا أَنَّ البُخَارِيّ عَلَّلهُ». **قُلت:** عَلَّلهُ الإِمَام أَحْمَد، وَالبُخَارِيّ، وَمُسْلم، وَأَبُو حَاتِم، وَأَبُو زُرْعَة، وَالدَّارَقُطْنِيّ، وَغَيْرهمْ. وَنَسَبُوا الوَهْم فِيهِ إِلى ابْن جُرَيْج، عَلى أَنَّ أَبَا دَاوُد قَدْ رَوَاهُ فِي «سُنَنه» مِنْ طَرِيق غَيْر ابْن جُرَيْج إِلى أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ بِنَحْوِهِ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد -وَاللَّفْظ لهُ- وَالنَّسَائِيّ، وَالحَاكِم فِي «المُسْتَدْرَك»، مِنْ طَرِيق الحَجَّاج بْن دِينَار، عَنْ أبي هَاشِم، عَنْ أَبِي العَالِيَة، عَنْ أَبِي بَرْزَة الأَسْلمِيّ؛ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول بآخرة إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُوم مِنْ المَجْلس: «**سُبْحَانك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرك وَأَتُوب إِليْك**». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله؛ إِنَّك لتَقُول قَوْلًا مَا كُنْت تَقُولهُ فِيمَا مَضَى؟! قَال: «**كَفَّارَة لمَا يَكُون فِي المَجْلس**». وَقَدْ رُوِيَ مُرْسَلًا عَنْ أَبى العَالِيَة، والله أَعْلم.

وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَالحَاكِم، مِنْ حَدِيث الرَّبِيع بْن أَنَس عَنْ أَبِي العَالِيَة، عَنْ رَافِع بْن خَدِيج، عَنْ النَّبِيّ ﷺ مِثْله سَوَاء. وَرُوِيَ مُرْسَلًا أَيْضًا، فَالله أَعْلم. وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو أَنَّهُ قَال: «كَلِمَات لا يَتَكَلَّم بِهِنَّ أَحَد فِي مَجْلسه عِنْد قِيَامه ثَلاث مَرَّات إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلا يَقُولهُنَّ فِي مَجْلس خَيْر وَمَجْلس ذِكْر إِلَّا خُتِمَ لهُ بِهِنَّ كَمَا يُخْتَم بِالخَاتَم على الصحيفة: سُبْحَانك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، لا إِله إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرك وَأَتُوب إِليْك». وَأَخْرَجَهُ الحَاكِم مِنْ حَدِيث أُمّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَة، وَصَحَّحَهُ، وَمِنْ رِوَايَة جُبَيْر بْن مُطْعِم. وَرَوَاهُ أَبُو بَكْر الإِسْمَاعِيليّ عَنْ أَمِير المُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الخَطَّاب، كُلّهمْ عَنْ النَّبِيّ ﷺ. وَقَدْ أَفْرَدْت لذَلكَ جُزْءًا عَلى حِدَة بِذِكْرِ طُرُقه وَأَلفَاظه وَعِلله، وَمَا يَتَعَلَّق بِهِ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَوْله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أَيْ: اذْكُرْهُ وَاعْبُدْهُ بِالتِّلاوَةِ وَالصَّلاة فِي اللَّيْل، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾. وَقَوْله: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث ابْن عَبَّاس: أَنَّهمَا الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ قَبْل صَلاة الفَجْر[٢]، فَإِنَّهمَا مَشْرُوعَتَانِ عِنْد إِدْبَار النُّجُوم، أَيْ: عِنْد جُنُوحهَا للغَيْبُوبَة. وَقَدْ رَوَى ابْن سَيْلانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا: «**لا تَدَعُوهُمَا، وَإِنْ طَرَدَتْكُمْ الخَيْل**». يَعْنِي: رَكْعَتَيْ الفَجْر.[٣] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. وَمِنْ هَذَا الحَدِيث حُكِيَ عَنْ بَعْض أَصْحَاب الإمام أَحْمَد القَوْل بِوُجُوبِهمَا، وَهُوَ ضَعِيف لحَدِيثِ: «**خَمْس صَلوَات فِي اليَوْم وَاللَّيْلة**». قَال: هَل عَليَّ غَيْرهَا؟ قَال: «**لا، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ**»[٤]. وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها أنها قَالتْ: لمْ يَكُنْ رَسُول الله ﷺ عَلى شَيْء مِنْ النَّوَافِل أَشَدّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلى رَكْعَتَيْ الفَجْر.[٥] وَفِي لفْظ لمُسْلمٍ: «**رَكْعَتَا الفَجْر خَيْر مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».[٦]

آخِر تَفْسِير سورة الطُّور، وَلله الحَمْدُ وَالمِنَّةُ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٤٢٩).
(٢) ضعيف: تقدم.
(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٧٥٨)، وأحمد (٢/ ٤٠٥) بسند ضعيف.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٩١)، ومسلم (١١).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤).
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢٥).

تفسير سُورَةُ النَّجْمِ وهي مكية

ترتيبها ٥٣ — وآياتها ٦٢

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا نَصْر بْن عَلِيّ، أَخْبَرَنِي أَبُو أَحْمَد، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ الأَسْوَد بْن يَزِيد، عَنْ عَبْد الله قَال: أَوَّل سُورَة أُنْزِلتْ فِيهَا سَجْدَة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، قَال: فَسَجَدَ النَّبِيّ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ خَلفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْته أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَاب فَسَجَدَ عَليْهِ، فَرَأَيْته بَعْد ذَلكَ قُتِل كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّة بْن خَلف.[1] وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ أَيْضًا فِي مَوَاضِع، وَمُسْلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، مِنْ طُرُق، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، بِهِ. وَقَوْله فِي المُمْتَنِع: إِنَّهُ أُمَيَّة بْن خَلف فِي هَذِهِ الرِّوَايَة مُشْكِل، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مِنْ غَيْر هَذِهِ الطَّرِيق أَنَّهُ عُتْبَة بْن رَبِيعَة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.

قَال الشَّعْبِيّ وَغَيْره: الخَالق يُقْسِم بِمَا شَاءَ مِنْ خَلقه، وَالمَخْلُوق لا يَنْبَغِي لهُ أَنْ يُقْسِم إِلَّا بِالخَالقِ. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَاخْتَلفَ المُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: يَعْنِي بِالنَّجْم: الثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ مَعَ الفَجْر. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَزَعَمَ السُّدِّيّ: أَنَّهَا الزُّهْرَة. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إِذَا رُمِي بِهِ الشَّيَاطِين، وَهَذَا القَوْل لهُ اتِّجَاه. وَرَوَى الأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ يَعْنِي: القُرْآن إِذَا نَزَل. وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾: هَذَا هُوَ المُقْسَم عَليْهِ، وَهُوَ الشَّهَادَة للرَّسُول ﷺ بِأَنَّهُ بارٌّ رَاشِد تَابع للحَقِّ ليْسَ بِضَالٍّ، وَهُوَ: الجَاهِل الَّذِي يَسْلُك عَلى غَيْر طَرِيق بِغَيْرِ عِلم، وَالغَاوِي: هُوَ العَالم بِالحَقِّ العَادِل عَنْهُ قَصْدًا إِلى غَيْره، فَنَزَّهَ الله رَسُوله وَشَرْعه عَنْ مُشَابَهَة أَهْل الضَّلال كَالنَّصَارَى وَطَرَائِق اليَهُود، وَهِيَ عِلم الشَّيْء وَكِتْمَانه وَالعَمَل بِخِلافِهِ، بَل هُوَ -صلوات الله وَسَلامه عَليْهِ- وَمَا بَعَثَهُ الله بِهِ مِنْ الشَّرْع العَظِيم فِي غَايَة الاسْتِقَامَة وَالاعْتِدَال وَالسَّدَاد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أَيْ: مَا يَقُول قَوْلًا عَنْ هَوًى وَغَرَضٍ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَقُول مَا أُمِرَ بِهِ، يُبَلِّغهُ إِلى النَّاس كَامِلًا مُوَفَّرًا مِنْ غَيْر زِيَادَة وَلا نُقْصَان، كَمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا حَرِيز بْن عُثْمَان، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَيْسَرَة، عَنْ أَبِي أُمَامَة؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«ليدخلن الجنَّة بشفَاعَةِ رَجُل ليْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الحَيَّيْنِ -أَوْ مِثْل أَحَد الحَيَّيْنِ-: رَبِيعَة وَمُضَر»**. فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله؛ أَوَ مَا رَبِيعَة مِنْ مُضَرَ؟ قَال: **«إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُوَّلُ»**.[2]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد، عَنْ عُبَيْد الله بْن الأَخْنَس، أَخْبَرَنَا الوَليد بْن عَبْد الله، عَنْ يُوسُف بْن مَاهَك، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو؛ قَال: كُنْت أَكْتُب كُل شَيْء أَسْمَعهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ أُرِيد حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْش، فَقَالُوا: إِنَّك تَكْتُب كُل شَيْء تَسْمَعهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ، وَرَسُول الله ﷺ بَشَرٌ، يَتَكَلَّم فِي الغَضَب. فَأَمْسَكْت عَنْ الكِتَاب. فَذَكَرْتُ ذَلكَ لرَسُول الله ﷺ، فَقَال: **«اكْتُبْ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلاَّ الحَقّ»**[3]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ مُسَدَّد وَأَبِي بَكْر ابن أَبِي شَيْبَة؛ كِلاهُمَا عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٣)، ومسلم (٥٧٦).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧).
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وأحمد (٥/ ١٦٢).

وَقَال الحَافِظ أَبو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا أَحْمَد بن مَنْصُور، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن صَالح، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ ابْن عَجْلان، عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «**مَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ الذي مِنْ عِنْد الله، فَهُوَ الَّذِي لا شَكَّ فِيهِ**»[1]. ثُمَّ قَال: لا نَعْلمهُ يُرْوَى إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَاد. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يُونُس، حَدَّثَنَا لَيْث، عن بحر عَنْ سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**لا أَقُول إِلاَّ حَقًّا**». قَال بَعْض أَصْحَابه: فَإِنَّك تُدَاعِبُنَا يَا رَسُول الله؟ قَال: «**إِنِّي لا أَقُول إِلاَّ حَقًّا**».[2]

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ عَبْده وَرَسُوله مُحَمَّد ﷺ أَنَّهُ عَلَّمَهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلى النَّاس، ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وَهُوَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾. وقَال هَهُنَا: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أَيْ: ذُو قُوَّة. قَالهُ مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَابْن زَيْد. وَقَال ابْن عَبَّاس: ذُو مَنْظَر حَسَن، وَقَال قَتَادَة: ذُو خَلق طَوِيل حَسَن. وَلا مُنَافَاة بَيْن القَوْلَيْنِ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُو مَنْظَر حَسَن وَقُوَّة شَدِيدَة. وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح مِنْ رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة وابْن عُمَر أَنَّ رسول الله ﷺ قَال: «**لا تَحِلّ الصَّدَقَة لغَنِيٍّ، وَلا لذِي مِرَّة سَوِيّ**»[3]. وَقَوْله تَعَالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ يَعْنِي جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالهُ مُجَاهِد والحَسَن وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس. ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يَعْنِي: جِبْرِيل، اسْتَوَى فِي الأُفُق الأَعْلى. قَالهُ عِكْرِمَة وَغَيْر وَاحِد. قَال عِكْرِمَة: وَالأُفُق الأَعْلى: الَّذِي يَأْتِي مِنْهُ الصُّبْح. وَقَال مُجَاهِد: هُوَ مَطْلع الشَّمْس. وَقَال قَتَادَة: هُوَ الَّذِي يَأْتِي مِنْهُ النَّهَار. وَكَذَا قَال ابْن زَيْد، وَغَيْرهمْ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا مُصَرِّف بْن عَمْرو اليَامِيّ أَبُو القَاسِم، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن طَلحَة بْن مُصَرِّف، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ الوَلِيد -هُوَ ابْن قَيْس- عَنْ إِسْحَق بْن أَبِي الكَهْتَلَةِ -أَظُنُّهُ ذَكَرَهُ عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود- أَنَّ رَسُول الله ﷺ لمْ يَرَ جِبْرِيل فِي صُورَته إِلَّا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا وَاحِدَة فَإِنَّهُ سَأَلهُ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَته فَسَدَّ الأُفُق. وَأَمَّا الثَّانِيَة فَإِنَّهُ كَانَ مَعَهُ حَيْثُ صَعِدَ، فَذَلكَ قَوْله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4]. وَقَدْ قَال ابْن جَرِير هَهُنَا قَوْلًا لمْ أَرَهُ لغَيْرِهِ، وَلا حَكَاهُ هُوَ عَنْ أَحَد، وَحَاصِله: أَنَّهُ ذَهَبَ إِلى أَنَّ المَعْنَى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أَيْ: هَذَا الشَّدِيد القُوَى ذُو المِرَّة هُوَ وَمُحَمَّد -صلى الله عليهما وسلم- بِالأُفُقِ الأَعْلى، أَيْ: اسْتَوَيَا جَمِيعًا بِالأُفُقِ، وَذَلكَ لَيْلة الإِسْرَاء. كَذَا قَال وَلمْ يُوَافِقهُ أَحَد عَلى ذَلكَ. ثُمَّ شَرَعَ يُوَجِّه مَا قَال مِنْ حَيْثُ العَرَبِيَّة، فَقَال: وهذا كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ فَعَطَفَ بِالآبَاءِ عَلى المُكَنَّى فِي ﴿كُنَّا﴾ مِنْ غَيْر إِظْهَار «نَحْنُ»، فَكَذَلكَ قَوْله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ﴾ قَال: وَذَكَرَ الفَرَّاء عَنْ بَعْض العَرَب أَنَّهُ أَنْشَدَهُ:

أَلمْ تَــرَ أَنَّ النَّبْــع يَـصْلُب عُــودُهُ ۞ وَلا يَــسْتَوِي وَالخِــرْوَعُ المُتَقَــصِّفُ

وَهَذَا الَّذِي قَالهُ مِنْ جِهَة العَرَبِيَّة مُتَّجِهٌ، وَلكِنْ لا يُسَاعِدهُ المَعْنَى عَلى ذَلكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَة لجِبْرِيل لمْ تَكُنْ لَيْلة الإِسْرَاء، بَل قَبْلهَا وَرَسُول الله ﷺ فِي الأَرْض، فهَبَطَ عَلَيْهِ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَدَلَّى إِليْهِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَهُوَ عَلى

---

(١) **سنده ضعيف**: فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف.
(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠).
(٣) **صحيح**: تقدم.
(٤) **إسناده ضعيف**: مصرف بن عمرو اليامي مجهول.

الصُّورَة الَّتِي خَلقَهُ الله عَلَيْهَا، لهُ سِتُّمائَةِ جَناح، ثُمَّ رَآهُ بَعْد ذَلكَ نَزْلةً أُخْرَى عِنْد سِدْرَة المُنْتَهى -يَعْنِي لَيْلة الإِسْرَاء- وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَة الأُولى فِي أَوَائِل البَعْثَة بَعْدَمَا جَاءَهُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّل مَرَّة، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ صَدْر «سُورَة اقْرَأْ»، ثُمَّ فَتَرَ الوَحْي فَتْرَة، ذَهَبَ النَّبِيّ ﷺ فِيهَا مِرَارًا ليَتَرَدَّى مِنْ رُءُوس الجِبَال، فَكُلَّمَا هَمَّ بِذَلكَ نَادَاهُ جِبْرِيل مِنْ الهَوَاء: «**يَا مُحَمَّد، أَنْتَ رَسُول الله حَقًّا، وَأَنَا جِبْرِيل**». فَيَسْكُن لذَلكَ جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ عَيْنه، وَكُلَّمَا طَال عَلَيْهِ الأَمْر عَادَ لِمِثْلهَا، حَتَّى تَبَدَّى لهُ جِبْرِيل وَرَسُول الله ﷺ ، فِي الأَبطح فِي صُورَته الَّتِي خَلقَهُ الله عَلَيْهَا، لهُ سِتُّمائَةِ جَناح قَدْ سَدَّ عِظَمُ خلقه الأُفُق، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ عَنْ الله ﷻ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَعَرَفَ عِنْد ذَلكَ عَظَمَة المَلك الَّذِي جَاءَهُ بِالرِّسَالةِ، وَجَلالة قَدْره وَعُلُوّ مَكَانَته عِنْد خَالقه الَّذِي بَعَثَهُ إِليْهِ.[1] فَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو بَكْر البزار فِي «مُسْنَده» حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا سَلمَة بْن شَبِيب، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا الحَارِث بْن عُبَيْد، عَنْ أَبِي عِمْرَان الجَوْنِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «بَيْنَا أَنَا قَاعِد إِذْ جَاءَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَكَزَ بَيْن كَتِفَيَّ، فَقُمْت إِلى شَجَرَة فِيهَا كَوَكْرَيْ الطَّيْر، فَقَعَدَ فِي أَحَدهمَا وَقَعَدْت فِي الآخَر. فَسَمَتْ وَارْتَفَعَتْ حَتَّى سَدَّتْ الخَافِقَيْنِ، وَأَنَا أُقَلِّب طَرْفِي، وَلوْ شِئْت أَنْ أَمَسَّ السَّمَاءَ لمَسِسْت، فَالتَفَتَ إِليَّ جِبْرِيلُ كَأَنَّهُ حلس لاط فَعَرَفْت فَضْل عِلمه بِالله عَليَّ، وَفُتِحَ لي بَاب مِنْ أَبْوَاب السَّمَاء، وَرَأَيْت النُّور الأَعْظَم، وَإِذَا دُون الحِجَاب رفرفة الدُّرّ وَاليَاقُوت. وَأَوْحَى إِليَّ مَا شَاءَ الله أَنْ يُوحِيَ»[2]. ثُمَّ قَال البَزَّار: لا يَرْوِيه إِلَّا الحَارِث بْن عُبَيْد، وَكَانَ رَجُلًا مَشْهُورًا مِنْ أَهْل البَصْرَة.

قُلت: الحَارِث بْن عُبَيْد هَذَا هُوَ أَبُو قُدَامَة الإِيَادِيّ، أَخْرَجَ لهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه» إِلَّا أَنَّ ابْن مَعِين ضَعَّفَهُ، وَقَال: ليْسَ هُوَ بِشَيْءٍ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: مُضْطَرِب الحَدِيث. وَقَال أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: يُكْتَب حَدِيثه وَلا يُحْتَجّ بِهِ. وَقَال ابْن حِبَّان: كَثُرَ وَهْمُهُ فَلا يَجُوز الاحْتِجَاج بِهِ إِذَا انْفَرَدَ. فَهَذَا الحَدِيث مِنْ غَرَائِب رِوَايَاته، فَإِنَّ فِيهِ نَكَارَةً وَغَرَابَةَ أَلفَاظ وَسِيَاقًا عَجِيبًا، وَلعَلَّهُ مَنَام، وَالله أَعْلم. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَجَّاج، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ عَاصِم، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَبْد الله قَال: «رَأَى رَسُول الله ﷺ جِبْرِيل فِي صُورَته وَلهُ سِتُّمائَةِ جَنَاح، كُلّ جَنَاح مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُق، يَسْقُط مِنْ جَنَاحه مِنْ التَّهَاوِيل وَالدُّرّ وَاليَاقُوت مَا الله بِهِ عَليم»[3]، انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن آدَم، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش عَنْ إِدْرِيس بْن مُنَبِّه عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: سَأَل النَّبِيّ ﷺ جِبْرِيل أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَته، فَقَال: ادْعُ رَبّك. فَدَعَا رَبّه ﷻ فَطَلَعَ عَليْهِ سَوَاد مِنْ قِبَل المَشْرِق، فَجَعَل يَرْتَفِع وَيَنْتَشِر، فَلمَّا رَآهُ النَّبِيّ ﷺ صُعِقَ، فَأَتَاهُ فنعشه وَمَسَحَ البُزَاق عَنْ شِدْقِهِ.[4] انفرد بِهِ أَحْمَد.

وَقَدْ رَوَاهُ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة «عُتْبَة بْن أَبِي لهَب» مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ عُثْمَان بْن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر عَنْ أَبِيهِ عَنْ هبار بْن الأَسْوَد قَال: كَانَ أَبُو لهَب وَابْنه عُتْبَة قَدْ تَجَهَّزَا إِلى الشَّام، فَتَجَهَّزْت مَعَهُمَا، فَقَال ابْنه عُتْبَة: وَالله لأَنْطَلقَنَّ إِلى مُحَمَّد وَلأُوذِيَنَّهُ فِي رَبّه سُبْحَانه، فَانْطَلقَ حَتَّى أَتَى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: يَا مُحَمَّد هُوَ يَكْفُر بِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَاب قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ ابعث إليه كَلبًا مِنْ كِلابك». ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَرَجَعَ إِلى أَبِيهِ فَقَال: يَا بُنَيَّ مَا قُلت لهُ؟ فَذَكَرَ لهُ مَا قَال له، قَال: فَمَا قَال لك؟ قَال: قَال: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَليْهِ كَلبًا مِنْ كِلابك». قَال: يَا بُنَيَّ، وَالله مَا آمَنُ عَليْك دُعَاءَهُ. فَسِرْنَا حَتَّى نَزَلنَا الشراة وَهِيَ مأسدة وَنَزَلنَا إِلى صَوْمَعَة رَاهِب، فَقَال الرَّاهِب: يَا مَعْشَر

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٩٨٢).
(٢) **منكر** : أخرجه البزار (٥٨) «كشف»، بسند ضعيف.
(٣) **حسن** : أخرجه أحمد (١/ ٣٩٥). له شاهد في «الصحيحين» من حديث أبي ذر.
(٤) **ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ٣٢٢) بسند ضعيف.

العَرَب، مَا أَنْزَلكُمْ هَذِهِ البِلاد، فإنما تسرح الأُسْدُ فِيهَا كَمَا تَسْرَحُ الغَنَم؟ فَقَال لنَا أَبُو لهَب: إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ كِبَرَ سِنّي وَحَقِّي، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُل قَدْ دَعَا عَلى ابْنِي دَعْوَة -وَالله- مَا آمَنُهَا عَلَيْهِ، فَاجْمَعُوا مَتَاعَكُمْ إِلى هَذِهِ الصَّوْمَعَة، وَافْرِشُوا لابْنِي عَلَيْهَا، ثُمَّ افْرِشُوا حَوْلهَا. فَفَعَلنَا، فَجَاءَ الأَسَد فَشَمَّ وُجُوهَنَا، فَلَمَّا لمْ يَجِدْ مَا يُرِيدُ تَقَبَّض، فَوَثَبَ وَثْبَة، فَإِذَا هُوَ فَوْق المَتَاع، فَشَمَّ وَجْهَهُ، ثُمَّ هَزَمَهُ هَزْمَة ففتح رَأْسه. فَقَال أَبُو لهَب: قَدْ عَرَفْت أَنَّهُ لا يَنْفَلت عَنْ دَعْوَة مُحَمَّد.[1]

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، أَيْ: فَاقْتَرَبَ جِبْرِيل إِلى مُحَمَّد لَمَّا هَبطَ عَلَيْهِ إِلى الأَرْض، حَتَّى كَانَ بَيْنه وَبَيْن مُحَمَّد ﷺ قَاب قَوْسَيْنِ، أَيْ: بِقَدْرِهِمَا إِذَا مُدَّا. قَالهُ مُجَاهِد، وَقَتَادَة. وَقَدْ قِيل: إِنَّ المُرَاد بِذَلكَ بُعْد مَا بَيْن وَتَر القَوْس إِلى كَبِدهَا. وَقَوْله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَة تُسْتَعْمَل فِي اللُّغَة لإِثْبَاتِ المُخْبَر عَنْهُ وَنَفْيِ مَا زَادَ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، أَيْ: مَا هِيَ بِأَلْيَنَ مِنْ الحِجَارَة، بَل هِيَ مِثْلُهَا أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا فِي الشِّدَّة وَالقَسْوَة. وَكَذَا قَوْله: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ وَقَوْله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أَيْ: لَيْسُوا أَقَلَّ مِنْهَا بَل هُمْ مِائَة أَلف حَقِيقَة، أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا. فَهَذَا تَحْقِيقٌ للمُخْبَرِ بِهِ لا شَكّ وَلا تَرَدُّد، فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِع هَهُنَا، وَهَكَذَا هَذِهِ الآيَة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾. وَهَذَا الَّذِي قُلنَاهُ مِنْ أَنَّ هَذَا المُقْتَرِب الدَّانِي الَّذِي صَارَ بَيْنه وَبَيْن مُحَمَّد ﷺ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام، وَهُوَ قَوْل أُمّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَة، وَابْن مَسْعُود، وَأَبِي ذَرّ، وَأَبِي هُرَيْرَة، كَمَا سَنُورِدُ أَحَادِيثهمْ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ الله.

وَرَوَى مُسْلم فِي «صَحِيحه»، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال: «رَأَى مُحَمَّد رَبّه بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[2]. فَجَعَل هَذِهِ إِحْدَاهُمَا، وَجَاءَ فِي حَدِيث شَرِيك بْن أَبِي نَمِر، عَنْ أَنَس فِي حَدِيث الإِسْرَاء: «ثُمَّ دَنَا الجَبَّار رَبّ العِزَّة فَتَدَلَّى»[3]. وَلهَذَا قَدْ تَكَلَّمَ كَثِير مِنْ النَّاس فِي مَتْن هَذِهِ الرِّوَايَة، وَذَكَرُوا أَشْيَاء فِيهَا مِنْ الغَرَابَة، فَإِنْ صَحَّ فَهُوَ مَحْمُول عَلى وَقْت آخَر وَقِصَّة أُخْرَى، لا أَنَّهَا تَفْسِير لهَذِهِ الآيَة، فَإِنَّ هَذِهِ كَانَتْ وَرَسُول الله ﷺ فِي الأَرْض لا لَيْلَة الإِسْرَاء وَلهَذَا قَال بَعْده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ فَهَذِهِ هِيَ لَيْلَة الإِسْرَاء وَالأُولى كَانَتْ فِي الأَرْض.

وَقَدْ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد المَلك بْن أَبِي الشَّوَارِب، حَدَّثنَا عَبْد الوَاحِد بْن زِيَاد، حَدَّثنَا سُليْمَان الشَّيْبَانِيّ، حَدَّثنَا زِرّ بْن حُبَيْش قَال: قَال عَبْد الله بْن مَسْعُود فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «رَأَيْت جِبْرِيل لهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاح».[4]

وَقَال ابْن وَهْب: حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، عَنْ أَبِي الأَسْوَد، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالتْ: كَانَ أَوَّل شَأْن رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامه جِبْرِيل بِأَجْيَادٍ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَج ليَقْضِيَ حَاجَته، فَصَرَخَ بِهِ جِبْرِيل: يَا مُحَمَّد. يَا مُحَمَّد، فَنظَرَ رَسُول الله ﷺ، يَمِينًا وَشِمَالًا فَلمْ يَرَ أَحَدًا -ثَلاثًا-، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ فَإِذَا هُوَ ثَانِي إِحْدَى رِجْليْهِ مَعَ الأُخْرَى عَلى أُفُق السَّمَاء فَقَال: يَا مُحَمَّد، جِبْرِيل جِبْرِيل -يُسَكِّنُهُ- فَهَرَبَ النَّبِيّ ﷺ، حَتَّى دَخَل فِي النَّاس، فَنظَرَ فَلمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ النَّاس، ثُمَّ نَظَرَ فَرَآهُ، فَدَخَل فِي النَّاس فَلمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ فَنظَرَ فَرَآهُ[5]، فَذَلكَ قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إِلى قَوْله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يَعْنِي جِبْرِيل إِلى مُحَمَّد، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وَيَقُولُونَ: القَاب نِصْف الأُصْبُع. وَقَال بَعْضهمْ: ذِرَاعَيْنِ كَانَ بَيْنهمَا. رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث ابْن

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٩) بسند ضعيف.
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٦).
(٣) تقدم.
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).
(٥) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٩) بسند ضعيف.

وَهْب. وَفِي حَدِيث الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي سَلمَة، عَنْ جَابِر شَاهِدٌ لهَذَا. [وَرَوَى البُخَارِيّ عَنْ طَلق بْن غَنَّام عَنْ زَائِدَة، عَنْ الشَّيْبَانِيّ قَال: سَأَلت زِرًّا عَنْ قَوْله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قَال: حَدَّثنَا عَبْد الله أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيل لهُ سِتّمِائَةِ جَنَاح. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثنِي ابْن بَزِيع البَغْدَادِيّ، حَدَّثنَا إِسْحَاق ابْن مَنْصُور، حَدَّثنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد، عَنْ عَبْد الله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قَال: رَأَى رَسُول الله ﷺ جِبْرِيل عَلَيْهِ حُلَّتَا رَفْرَف قَدْ مَلأَ مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض][(١)]. فعلى ما ذكرناه يكون قوله: [﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ مَعْنَاهُ: فَأَوْحَى جِبْرِيلُ إِلَى عَبْد الله مُحَمَّد مَا أَوْحَى، أَوْ][(١)]: فَأَوْحَى الله إِلَى عَبْده مُحَمَّد مَا أَوْحَى بِوَاسِطَةِ جِبْرِيل. وَكِلا المَعْنَيَيْنِ صَحِيح. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قَال: أَوْحَى إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. وَقَال غَيْره: أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّ الجَنَّة مُحَرَّمَةٌ عَلى الأَنْبِيَاء حَتَّى تَدْخُلهَا، وَعَلى الأُمَم حَتَّى تَدْخُلهَا أُمَّتك.

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾. قَال مُسْلم: حَدَّثنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثنَا وَكِيع، حَدَّثنَا الأَعْمَش، عَنْ زِيَاد بْن حُصَيْن، عَنْ أَبِي العَاليَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قَال: رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ. وَكَذَا رَوَاهُ سِمَاك عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس مِثْله. وَكَذَا قَال أَبُو صَالح وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمَا: إِنَّهُ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ. وَقَدْ خَالفَهُ ابْن مَسْعُود وَغَيْره، وَفِي رِوَايَة عَنْهُ أَنَّهُ أَطْلقَ الرُّؤْيَة، وَهِيَ مَحْمُولة عَلى المُقَيَّدَة بِالفُؤَادِ. وَمَنْ رُوِيَ عَنْهُ بِالبَصَرِ فَقَدْ أَغْرَب، فَإِنَّهُ لا يَصِحّ فِي ذَلكَ شَيْء عَنْ الصَّحَابَة رضي الله عنهم. وَقَوْل البَغَوِيّ فِي «تَفْسِيره»: وَذَهَبَ جَمَاعَة إِلى أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ -وَهُوَ قَوْل أَنَس وَالحَسَن وَعِكْرِمَة- فِيهِ نَظَر، وَالله أَعْلم.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن نَبْهان بْن صَفْوَان، حَدَّثنَا يَحْيَى بْن كَثِير العَنْبَرِيّ، عَنْ سَلْم بْن جَعْفَر، عَنْ الحَكَم بْن أَبَان، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: رَأَى مُحَمَّد رَبّه! قُلت: أَليْسَ الله يَقُول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قَال: وَيْحَك! ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُوره وَقَدْ رَأَى رَبّه مَرَّتَيْنِ.[(٢)] ثُمَّ قَال: «حَسَنٌ غَرِيبٌ». وَقَال أَيْضًا: حَدَّثنَا ابْن أَبِي عُمَر، حَدَّثنَا سُفْيَان، عَنْ مُجَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ، قَال: لقِيَ ابْن عَبَّاس كَعْبًا بِعَرَفَة، فَسَأَلهُ عَنْ شَيْء فَكَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الجِبَال، فَقَال ابْن عَبَّاس: إِنَّا بَنُو هَاشِم. فَقَال كَعْب: إِنَّ الله قَسَمَ رُؤْيَته وَكَلامَهُ بَيْنَ مُحَمَّد وَمُوسَى، فَكَلَّم مُوسَى مَرَّتَيْنِ، وَرَآهُ مُحَمَّد مَرَّتَيْنِ.[(٣)] وَقَال مَسْرُوق: دَخَلتُ عَلى عَائِشَة فَقُلت: هَل رَأَى مُحَمَّد رَبّه؟ فَقَالتْ: لقَدْ تَكَلَّمْت بِشَيْءٍ قَفَّ لهُ شَعْرِي. فَقُلت: رُوَيْدًا! ثُمَّ قَرَأْت: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فَقَالتْ: أَيْنَ يُذْهَب بِك؟ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيل، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبّه أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُمِرَ بِهِ أَوْ يَعْلم الخَمْس الَّتِي قَال الله تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ الآيَات. فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَة، وَلكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيل، لمْ يَرَهُ فِي صُورَته إِلَّا مَرَّتَيْنِ، مَرَّة عِنْد سِدْرَة المُنْتَهَى وَمَرَّة فِي جياد، وَلهُ سِتّمِائَةِ جَنَاح قَدْ سَدَّ الأُفُق.[(٤)]

وَقَال النَّسَائِيّ: حَدَّثنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثنَا مُعَاذ بْن هِشَام، حَدَّثنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَة، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُون الخُلَّة لإِبْرَاهِيم، وَالكَلام لمُوسَى، وَالرُّؤْيَة لمُحَمَّدٍ عليهم السلام؟![(٥)] وَفِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: سَأَلت رَسُول الله ﷺ: هَل رَأَيْتَ رَبّك؟ فَقَال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**». وَفِي رِوَايَة: «**رَأَيْتُ نُورًا**».[(٦)]

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٢٧٥) بسند ضعيف.
(٣) **ضعيف**: فيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.
(٤) **إسناده ضعيف**: فيه أيضًا مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، والحديث أصله صحيح.
(٥) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤٢).
(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٨).

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالد، عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب، قَال: قَالُوا: يَا رَسُول الله، رَأَيت رَبّك؟ قَال: «رَأَيْته بِفُؤَادِي مَرَّتَيْن». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ . وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ ابْن حُمَيْد عَنْ مِهْرَان عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب، عَنْ بَعْض أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ قَال: قُلنَا: يَا رَسُول الله، هَل رَأَيت رَبّك؟ قَال: «لمْ أَرَهُ بِعَيْنِي، وَرَأَيْته بِفُؤَادِي مَرَّتَيْن». ثُمَّ تَلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.[1]

ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: وَحَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله الأَنْصَارِيّ، أَخْبَرَنِي عَبَّاد بْن مَنْصُور قَال: سَأَلت عِكْرِمَة: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ فَقَال عِكْرِمَة: تُرِيد أَنْ أُخْبِرك أَنَّهُ قَدْ رَآهُ؟ قُلت: نَعَمْ. قَال: قَدْ رَآهُ. ثُمَّ قَدْ رَآهُ. قَال: فَسَأَلت عَنْهُ الحَسَن فَقَال: قَدْ رَأَى جَلالهُ وَعَظَمَتهُ وَرِدَاءَهُ. وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُجَاهِد، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر العَقَدِيّ، أَخْبَرَنَا أَبُو خَلدَة، عَنْ أَبِي العَالِيَة قَال: سُئِل رَسُول الله ﷺ : هَل رَأَيْت رَبّك؟ قَال: «رَأَيْت نَهَرًا، وَرَأَيْت وَرَاء النَّهَر حِجَابًا، وَرَأَيْت وَرَاء الحِجَاب نُورًا لمْ أَرَ غَيْر ذلك».[2] وَذَلكَ غَرِيب جِدًّا. فَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَسْوَد بْن عَامِر، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «رَأَيْت رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»[3]. فَإِنَّهُ حَدِيث إِسْنَاده عَلى شَرْط الصَّحِيح، لكِنَّهُ مُخْتَصَر مِنْ حَدِيث المَنَام، كَمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ أَيُّوب، عَنْ أَبِي قِلابَة، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «أَتَانِي رَبِّي اللَّيْلة فِي أَحْسَن صُورَة -أَحْسَبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْم- فَقَال: يَا مُحَمَّد، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلى؟ قَال: قُلت: لا. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْت بَرْدَهَا بَيْن ثَدْيَيَّ -أَوْ قَال: نَحْرِي- فَعَلمْت مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْض، ثُمَّ قَال: يَا مُحَمَّد، هَل تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِم المَلأ الأَعْلى؟ قَال: قُلت: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الكَفَّارَات وَالدَّرَجَات. قَال: وَمَا الكَفَّارَات والدرجات؟ قَال: قُلت: المُكْثُ فِي المَسَاجِد بَعْد الصَّلوَات، وَالمَشْي عَلى الأَقْدَام إِلى الجمعات، وَإِبْلاغ الوُضُوء فِي المَكَارِه. مَنْ فَعَل ذَلكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَته كَيَوْمَ وَلدَتْهُ أُمُّهُ. وقال: قل يَا مُحَمَّد إِذَا صَليْت: اللهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُك فِعْل الخَيْرَات، وَتَرْك المُنْكَرَات، وَحُبّ المَسَاكِين، وَإِذَا أَرَدْت بِعِبَادِك فِتْنَة أَنْ تَقْبِضَنِي إِليْك غَيْر مَفْتُون. قَال: وَالدَّرَجَات بَذْل الطَّعَام، وَإِفْشَاء السَّلام، وَالصَّلاة بِاللَّيْل وَالنَّاس نِيَام»[4]. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آخِر سُورَة «ص» عَنْ مُعَاذ نَحْوه. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ وَجْه آخَر عَنْ ابْن عَبَّاس، وَفِيهِ سِيَاق آخَر وَزِيَادَة غَرِيبَة، فَقَال: حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن عِيسَى التَّمِيمِيّ، حَدَّثَنِي سُليْمَان بْن عُمَر بْن سَيَّار، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سَعِيد بْن زَرْبِيٍّ، عَنْ عُمَر بْن سُليْمَان، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال النَّبِيّ ﷺ : «رَأَيْت رَبِّي فِي أَحْسَن صُورَة، فَقَال لِي: يَا مُحَمَّد هَل تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِم المَلأ الأَعْلى؟ فَقُلت: لا، يَا رَبّ. فَوَضَعَ يَده بَيْن كَتِفَيَّ فَوَجَدْت بَرْدَهَا بَيْن ثَدْيَيَّ، فَعَلمْت مَا فِي السَّمَوَات وَالأَرْض، فَقُلت: يَا رَبّ، فِي الدَّرَجَات وَالكَفَّارَات، وَنَقْل الأَقْدَام إِلى الجمَاعَات، وَانْتِظَار الصَّلاة بَعْد الصَّلاة. فَقُلت: يَا رَبّ: إِنَّك اتَّخَذْت إِبْرَاهِيم خَليلاً، وَكَلَّمْت مُوسَى تَكْليمًا، وَفَعَلت وَفَعَلت. فَقَال: أَلمْ أَشْرَح لك صَدْرك؟ أَلمْ أَضَع عَنْك وِزْرك؟ أَلمْ أَفْعَل بِكَا؟ أَلمْ أَفْعَل؟ قَال: فَأَفْضَى إِليَّ بِأَشْيَاءَ لمْ يُؤْذَن لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهَا. قَال: فَذَاكَ قَوْله فِي كِتَابه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ فَجَعَل نُور بَصَرِي فِي فُؤَادِي، فَنَظَرْت إِليْهِ بِفُؤَادِي» إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ . وَقد ذَكَرَ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر بِسَنَدِهِ إِلى هَبَّار بْن الأَسْوَد رضي الله عنه:

---

(١) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٧/ ٤٩) بسند ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف : مرسل.
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٨٥)، وسيأتي.
(٤) صححه الألباني، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥).

أَنَّ عُتْبَة بْن أَبِي لهب لَمَّا خَرَجَ فِي تِجَارَة إِلَى الشَّام قَال لأَهْل مَكَّة: اعْلمُوا أَنِّي كَافِر بِالَّذِي دَنَا فتدَلَّى. فَبلغ قَوْلُهُ رَسُول الله ﷺ فَقَال: «سَلَّط الله عَلَيْهِ كَلبًا مِنْ كِلابه». قَال هَبَّار: فَكُنْت مَعَهُمْ، فنزَلنا بِأَرْضٍ كَثِيرَة الأُسْد، قَال: فلقَدْ رَأَيْت الأَسَد جَاءَ فَجَعَل يَشُمّ رُءُوس القَوْم وَاحِدًا وَاحِدًا، حَتَّى تَخطَّى إِلَى عُتْبَة فَاقْتَطَعَ رَأْسه مِنْ بَيْنهم.[1] وَذكَرَ ابْن إِسْحَاق وَغيْره فِي «السِّيرَة»: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِأَرْضِ الزَّرْقَاء، وَقِيل بِالشَّرَاةِ، وَأَنَّهُ خَاف ليْلتئِذٍ، وَأَنَّهُمْ جعَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَنَامُوا مِنْ حَوْله، فَجَاءَ الأَسَد فَجَعَل يَزْأَرُ، ثُمَّ تَخطَّاهُم إِلَيْهِ فَضَغَمَ رَأْسه، لعَنَهُ الله.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ هَذِهِ هِيَ المَرَّة الثَّانِيَة الَّتِي رَأَى رَسُول الله ﷺ فِيهَا جِبْرِيل عَلَى صُورَته الَّتِي خلقَهُ الله عَلَيْهَا، وَكَانَتْ ليْلة الإِسْرَاء. وَقَدْ قَدَّمْنَا الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي الإِسْرَاء بِطُرُقِهَا وَأَلفَاظهَا فِي أَوَّل سُورَة «سُبْحَانَ» بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، وَتقَدَّمَ أَنَّ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما كَانَ يُثْبِت الرُّؤْيَة لِيْلة الإِسْرَاء، وَيَسْتَشْهِد بِهَذِهِ الآيَة. وَتَابَعَهُ جَمَاعَة مِنْ السَّلف وَالخَلف، وَقَدْ خَالفَهُ جَمَاعَات مِنْ الصَّحَابَة رضي الله عنهم وَالتَّابِعِينَ وَغيْرهمْ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ عَاصِم بْن بَهْدَلة، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، عَنْ ابْن مَسْعُود فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «رَأَيْت جِبْرِيل وَلهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاح، يَنْتَثِر مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيل: الدُّرّ وَاليَاقُوت»[2]. وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد قَوِيّ. وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثنَا يَحْيَى بْن آدَم، حَدَّثنَا شَرِيك، عَنْ جَامِع بْن أَبِي رَاشِد، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَبْد الله قَال: رَأَى رَسُول الله ﷺ جِبْرِيل فِي صُورَته وَلهُ سِتّمِائَةِ جَنَاح، كُلّ جَنَاح مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُق، يَسْقُط مِنْ جَنَاحه مِنْ التَّهَاوِيل مِنْ الدُّرّ وَاليَاقُوت مَا الله بِهِ عَلِيم. إِسْنَاده حَسَن أَيْضًا.

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثنِي حُسَيْن، حَدَّثنِي عَاصِم بْن بَهْدَلة قَال: سَمِعْت [شَقِيق][3] بْن سَلمَة يَقُول: سَمِعْت ابْن مَسْعُود يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «رَأَيْت جِبْرِيل عَلى سِدْرَة المُنْتَهَى، وَلهُ سِتّمِائَةِ جَنَاح». سَأَلت عَاصِمًا عَنْ الأَجْنِحَة؟ فَأَبَى أَنْ يُخْبِرَنِي. قَال: فَأَخْبَرَنِي بَعْض أَصْحَابه أَنَّ الجَنَاح مَا بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب.[4] وَهَذَا أَيْضًا إِسْنَاد جَيِّد. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حدثني حُسَيْن، حَدَّثنِي [حصين حَدَّثنِي شَقِيق][5] قَال: سَمِعْت ابْن مَسْعُود يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيل عليه السلام فِي خُضر مُعلَّق بِهِ الدُّرّ»[6]. إِسْنَاده جَيِّد أَيْضًا. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيل، حَدَّثنَا عَامِر قَال: أَتَى مَسْرُوق عَائِشَةَ فَقَال: يَا أُمّ المُؤْمِنِينَ، هَل رَأَى مُحَمَّد ﷺ رَبّه عز وجل؟ قَالتْ: سُبْحَانَ الله! لقَدْ قَفَّ شَعْرِي لمَا قُلت، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاث مَنْ حَدَّثكَهُنَّ فقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثك أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبّه فقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾. وَمَنْ أَخْبَرَك أَنَّهُ يَعْلم مَا فِي غَد فقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ الآيَة. وَمَنْ أَخْبَرَك أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ كَتَمَ، فقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وَلكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيل فِي صُورَته مَرَّتَيْنِ.[7]

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ دَاوُد، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ مَسْرُوق قَال: كُنْت عِنْد عَائِشَة

---

(١) سنده ضعيف: تقدم.
(٢) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤١٢).
(٣) في الأزهرية: [منصور].
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧)، وسبق أن الحديث في «الصحيحين».
(٥) في الأزهرية: [حصين حدثني سفيان].
(٦) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧).
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٣٠٦٨).

فَقُلت: أَلَيْسَ الله يَقُول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّل هَذِهِ الأُمَّة سأل رَسُول اللهﷺ عَنْهَا فقَال: «إِنَّمَا ذَاكِ جِبْرِيل». لمْ يَرَهُ فِي صُورَته الَّتِي خُلقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ، رَآهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاء إِلى الأَرْض، سَادًّا عِظَمُ خَلقه مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض.[1] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْن» مِنْ حَدِيث الشَّعْبِيّ بِهِ.

رِوَايَة أَبِي ذَرّ: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا هَمَّام، حَدَّثَنَا قَتَادَة، عَنْ عَبْد الله بْنَ شَقِيق قَال: قُلت لأَبِي ذَرّ: لوْ رَأَيْتُ رَسُول اللهﷺ لسَأَلته، قَال: وَمَا كُنْت تَسْأَلهُ؟ قَال: كُنْت أَسْأَلهُ: هَل رَأَى رَبَّهُ ﷻ؟ فقَال: إِنِّي قَدْ سَأَلته فَقَال: «قَدْ رَأَيْته نورًا أَنَّى أَرَاهُ»[2]. هَكَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَة الإِمَام أَحْمَد، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلم مِنْ طَرِيقَيْنِ بِلفْظَيْنِ فَقَال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ يَزِيد بْن إِبْرَاهِيم، عَنْ قَتَادَة، عَنْ عَبْد الله بْن شَقِيق عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: سَأَلت رَسُول اللهﷺ : هَل رَأَيْت رَبّك؟ فقَال: «نور أَنَّى أَرَاهُ». وَقَال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن هِشَام، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ قَتَادَة، عَنْ عَبْد الله بْن شَقِيق، قَال: قُلت لأَبِي ذَرّ: لوْ رَأَيْت رَسُول اللهﷺ لسَأَلته. فقَال: عَنْ أَيّ شَيْء كُنْت تَسْأَلهُ؟ قَال: كُنْت أَسْأَلهُ: هَل رَأَيْت رَبّك؟ قَال أَبُو ذَرّ: قَدْ سَأَلته؛ فقَال: «رَأَيْت نُورًا».[3] وَقَدْ حَكَى الخَلَّال فِي «عِللِهِ» أَنَّ الإِمَام أَحْمَد سُئِل عَنْ هَذَا الحَدِيث؟ فَقَال: مَا زِلت مُنْكِرًا لهُ، وَمَا أَدْرِي مَا وَجْهه.

وَقد قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَوْن الوَاسِطِيّ، أَخْبَرَنَا هُشَيْم، عَنْ مَنْصُور، عَنْ الحَكَم، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: رَآهُ بِقَلبِهِ، وَلمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ. وَحَاوَل ابْن خُزَيْمَةَ أَنْ يَدَّعِيَ انْقِطَاعَهُ بَيْن عَبْد الله بْن شَقِيق وَبَيْن أَبِي ذَرّ، وَأَمَّا ابْن الجَوْزِيّ فَتَأَوَّلهُ عَلى أَنَّ أَبَا ذَرّ لعَلَّهُ سَأَل رَسُول اللهﷺ قَبْل الإِسْرَاء، فَأَجَابَهُ بِمَا أَجَابَهُ بِهِ، وَلوْ سَأَلهُ بَعْد الإِسْرَاء لأَجَابَهُ بِالإِثْبَاتِ. وَهَذَا ضَعِيف جِدًّا، فَإِنَّ عَائِشَة أُمّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَدْ سَأَلتْ عَنْ ذَلكَ بَعْد الإِسْرَاء، وَلمْ يُثْبِت لهَا الرُّؤْيَة. وَمَنْ قَال: إِنَّهُ خَاطَبَهَا عَلى قَدْر عَقْلهَا، أَوْ حَاوَل تَخْطِئَتَهَا فِيمَا ذَهَبَتْ إِليْهِ -كَابْنِ خُزَيْمَةَ فِي «كِتَاب التَّوْحِيد»- فَإِنَّهُ هُوَ المُخْطِئُ، وَالله أَعْلم. وَقَال النَّسَائِيّ: حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا هِشَام، عَنْ مَنْصُور، عَنْ الحَكَم، عَنْ يَزِيد بْن شَرِيك، عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: رَأَى رَسُول اللهﷺ رَبّه بِقَلبِهِ، وَلمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ عَليّ ابْن مُسْهِر، عَنْ عَبْد المَلك بْن أَبِي سُليْمَان، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّهُ قَال فِي قَوْله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قَال: رَأَى جِبْرِيل عليه السلام.

وَقَال مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قَال: رَأَى رَسُول اللهﷺ جِبْرِيل فِي صُورَته مَرَّتَيْنِ. وَكَذَا قَال قَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَغَيْرهمْ. وقَوْله تَعَالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَحَادِيث الإِسْرَاء أَنَّهُ غَشِيَتْهَا المَلائِكَة مِثْل الغِرْبَان، وَغَشِيَهَا نُور الرَّبّ، وَغَشِيَهَا أَلوَان مَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مَالك بْن مِغْوَل، حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بْن عَدِيّ، عَنْ طَلحَة، عَنْ مُرَّة، عَنْ عَبْد الله -هُوَ ابْن مَسْعُود- قَال: لـمَّا أُسْرِيَ بِرَسُول اللهﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلى سِدْرَة المُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاء السَّابِعَة، إِليْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَج بِهِ مِنْ الأَرْض فَيُقْبَض مِنْهَا، وَإِليْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِط بِهِ مِنْ فَوْقهَا فَيُقْبَض مِنْهَا، ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قَال: فَرَاش مِنْ ذَهَب. قَال: وَأُعْطِيَ رَسُول اللهﷺ ثَلاثًا: أُعْطِيَ الصَّلوَاتِ الخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيم سُورَة البَقَرَة، وَغُفِرَ لمَنْ لا يُشْرِك بِالله شَيْئًا مِنْ أُمَّته المُقْحِمَات.[4] انْفَرَدَ بِهِ مُسْلم. وَقَال أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ الرَّبِيع، عَنْ أَبِي العَاليَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَوْ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٨٠)، ومسلم (١٧٧).
(٢) صحيح : تقـدم.
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٨).
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٣).

غَيْره -شَكَّ أَبُو جَعْفَر- قَال: لـمَّا أُسْرِيَ بِرَسُول الله ﷺ انْتَهَى إِلى السِّدْرَة، فَقِيل لهُ: هَذِهِ السِّدْرَة، فَغَشِيَهَا نُور الخَلَّاق، وَغَشِيَتْهَا المَلائِكَة مِثْل الغِرْبَان حِين يَقَعْنَ عَلى الشَّجَر، وَقَال: فَكَلَّمَهُ عِنْد ذَلكَ فَقَال لهُ: سَل... إلخ.
وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قَال: كَانَ أَغْصَان السِّدْرَة لُؤْلُؤًا وَيَاقُوتًا وَزَبَرْجَدًا، فَرَآهَا مُحَمَّد ﷺ، وَرَأَى رَبّه بِقَلْبِهِ. وَقَال ابْن زَيْد: قِيل: يَا رَسُول الله، أَيَّ شَيْء رَأَيْت يَغْشَى تِلكَ السِّدْرَة؟ قَال: «رَأَيْت يَغْشَاهَا فِرَاش مِنْ ذَهَب، وَرَأَيْت عَلى كُلِّ وَرَقَة مِنْ وَرَقِهَا مَلكًا قَائِمًا يُسَبِّح الله ﷻ».[1]

وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ قَال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: مَا ذَهَبَ يَمِينًا وَلا شِمَالًا، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: مَا جَاوَزَ مَا أُمِرَ بِهِ. وَهَذِهِ صِفَة عَظِيمَة فِي الثَّبَات وَالطَّاعَة، فَإِنَّهُ مَا فَعَل إِلَّا مَا أُمِرَ بِهِ، وَلا سَأَل فَوْق مَا أُعْطِيَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَال النَّاظِم:

رَأَى جَنَّـةَ المَـأْوَى وَمَـا فَوْقهَـا وَلَـوْ ۞ رَأَى غَيْـرُهُ مَـا قَـدْ رَآهُ لتَاهَـا

وَقَوْله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ أَيْ: الدَّالَّة عَلى قُدْرَتِنَا وَعَظَمَتِنَا. وَبِهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ اسْتَدَلَّ مَنْ ذَهَبَ مِنْ أَهْل السُّنَّة أَنَّ الرُّؤْيَة تِلكَ اللَّيْلة لمْ تَقَع، لأَنَّهُ قَال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، وَلوْ كَانَ رَأَى رَبّه لأَخْبَرَ بِذَلكَ وَلقَال ذَلكَ للنَّاسِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِير ذَلكَ فِي سُورَة «سُبْحَان». وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْر، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن طَلحَة، عَنْ الوَلِيد بْن قَيْس، عَنْ إِسْحَاق بْن أَبِي الكَهْتَلةِ قَال مُحَمَّد: أَظُنّهُ عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّهُ قَال: إِنَّ مُحَمَّدًا لمْ يَرَ جِبْرِيل فِي صُورَته إِلَّا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا مَرَّة فَإِنَّهُ سَأَلهُ أَنْ يُرِيَهُ نفسه فِي صُورَته، فَأَرَاهُ صُورَتَهُ فَسَدَّ الأُفُق. وَأَمَّا الأُخْرَى فَإِنَّهُ صَعِدَ مَعَهُ حِين صَعِدَ بِهِ. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قال: فَلمَّا أحس جِبْرِيل رَبّه ﷻ عَادَ فِي صُورَته وَسَجَدَ، فَقَوْله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۞ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قَال: خَلق جِبْرِيل عليه السلام. وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، وَهُوَ غَرِيب.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۞ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۞ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۞ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۞ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۞ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

يَقُول تَعَالى مُقَرِّعًا للمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتهمْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد وَالأَوْثَان، وَاتِّخَاذِهِمْ لهَا البُيُوتَ مُضَاهَاةً للكَعْبَةِ الَّتِي بَنَاهَا خَلِيل الرَّحْمَن عليه السلام: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾ وَكَانَتْ «اللات» صَخْرَة بَيْضَاء مَنْقُوشَة وَعَليْهَا بَيْت بِالطَّائِفِ لهُ أَسْتَار وَسَدَنَة، وَحَوْله فِنَاء مُعَظَّم عِنْد أَهْل الطَّائِف، وَهُمْ ثَقِيف وَمَنْ تَابَعَهَا يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلى مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ أَحْيَاء العَرَب بَعْد قُرَيْش. قَال ابْن جَرِير: وَكَانُوا قَدْ اشْتَقُّوا اسْمهَا مِنْ اسْم الله، فَقَالُوا: اللَّات، يَعْنُونَ مُؤَنَّثَة مِنْهُ، تَعَالى الله عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَحُكِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالرَّبِيع بْن أَنَس: أَنَّهُمْ قَرَءُوا (اللَّاتّ) بِتَشْدِيدِ التَّاء، وَفَسَّرُوهُ بِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا يَلُتّ للحَجِيج فِي الجَاهِليَّة السَّوِيق، فَلمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلى قَبْره فَعَبَدُوهُ. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُسْلم -هُوَ ابْن إِبْرَاهِيم- حَدَّثَنَا أَبُو الأَشْهَب، حَدَّثَنَا أَبُو الجَوْزَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما عن: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ قَال: كَانَ اللَّاتّ رَجُلًا يَلُتّ السَّوِيقَ سَوِيقَ الحَاجّ.[2] قَال ابْن جَرِير: وَكَذَا العُزَّى مِنْ

---

(١) سنده مرسل.
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٥٧٤).

العَزِيز. وَكَانَتْ شَجَرَة عَلَيْهَا بِنَاء وَأَسْتَار بِنَخْلةٍ، وَهِيَ بَيْنَ مَكَّة وَالطَّائِف، وَكَانَتْ قُرَيْش يُعَظِّمُونَه، كَمَا قَال أَبُو سُفْيَان يَوْم أُحُد: لنَا العُزَّى وَلا عُزَّى لكُمْ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**قُولُوا: الله مَوْلانَا وَلا مَوْلى لكُمْ**». وَرَوَى البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ، عَنْ حُمَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ حلفَ فقَال فِي حَلفِهِ: وَاللاَّت وَالعُزَّى فَليَقُل: لا إله إلاَّ الله. وَمَنْ قَال لصَاحِبِهِ: تَعَال أُقَامِرْك، فَليَتَصَدَّقْ**»[1]. وهَذَا مَحْمُول عَلى مَنْ سَبَقَ لسَانه إلى ذَلكَ، كَمَا كَانَتْ أَلسِنَتُهُمْ قَدْ اعْتَادَتْهُ فِي زَمَن الجَاهِليَّة، كَمَا قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن بَكَّار وعَبْد الحَمِيد بْن مُحَمَّد قَالا: حَدَّثَنَا مَخْلد، حَدَّثَنَا يُونُس، عَنْ أَبِيهِ: حَدَّثَنِي مُصْعَب بْن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص، عَنْ أَبِيهِ قَال: حَلفْت بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَقَال لي أَصْحَابِي: بِئْسَ مَا قُلت! قُلت هُجْرًا. فَأَتَيْت رَسُول الله ﷺ فَذَكَرْت ذَلكَ لهُ، فَقَال: «**قُل: لا إِلهَ إِلاَّ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، لهُ المُلك وَلهُ الحَمْد، وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْء قَدِير. وَانفثْ عَنْ شِمَالك ثَلاثًا، وَتَعَوَّذْ بالله مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيم، ثُمَّ لا تَعُدْ**»[2]. وَأَمَّا مَنَاة فَكَانَتْ بِالمُشَلَّل عِنْد قُدَيْد، بَيْن مَكَّة وَالمَدِينَة، وَكَانَتْ خُزَاعَة وَالأَوْس وَالخَزْرَج فِي جَاهِليَّتهَا يُعَظِّمُونَهَا، وَيُهِلُّونَ مِنْهَا للحَجِّ إِلى الكَعْبَة. وَرَوَى البُخَارِيّ عَنْ عَائِشَة نَحْوه. وَقَدْ كَانَتْ بِجَزِيرَةِ العَرَب وَغَيْرهَا طَوَاغِيت أُخَر تُعَظِّمهَا العَرَب كَتَعْظِيم الكَعْبَة غَيْر هَذِهِ الثَّلاثَة الَّتِي نَصَّ عَليْهَا فِي كِتَابه العَزِيز، وَإِنَّمَا أَفْرَدَ هَذِهِ بِالذِّكْرِ لأَنَّهَا أَشْهَر مِنْ غَيْرهَا.

قَال ابْن إِسْحَاق فِي «السِّيرَة»: وَقَدْ كَانَتْ العَرَب اتَّخَذَتْ مَعَ الكَعْبَة طَوَاغِيت، وَهِيَ بُيُوت تُعَظِّمهَا كَتَعْظِيم الكَعْبَة، لهَا سَدَنَة وَحُجَّاب، وَتُهْدِي لهَا كَمَا يُهدي للكَعْبَةِ، وَتَطُوف بِهَا كطوفانها بِهَا، وَتَنْحَر عِنْدهَا، وَهِيَ تَعْرِف فَضْل الكَعْبَة عَليْهَا، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْت إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَسْجِده. فَكَانَتْ لقُرَيْشٍ وَلبَنِي كِنَانَة العُزَّى بِنَخْلةٍ، وَكَانَ سَدَنَتهَا وَحُجَّابهَا بَنِي شَيْبَان مِنْ سُليْم حُلفَاء بَنِي هَاشِم.

قُلت: بَعَثَ إِليْهَا رَسُول الله ﷺ، خَالد بْن الوَليد فَهَدَمَهَا، وَجَعَل يَقُول:

يَا عُزَّى كُفْرَانك لا سُبْحَانك ۞ إِنِّي رَأَيْتُ الله قَدْ أَهَانَك

وَقَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا عَليّ بْن المُنْذِر أَخْبَرَنَا ابْن فُضَيْل حَدَّثنَا الوَليد بْن جُمَيْع عَنْ أَبِي الطُّفَيْل قَال: لـمَّا فَتَح رَسُول الله ﷺ مَكَّة بَعَثَ خَالد بْن الوَليد إِلى نَخْلة، وَكَانَتْ بِهَا العُزَّى، فَأَتَاهَا خَالد وَكَانَتْ عَلى ثَلاث سَمُرَات فَقَطَعَ السَّمُرَات، وَهَدَمَ البَيْت الَّذِي كَانَ عَليْهَا. ثُمَّ أَتَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَال: «**ارْجِعْ فَإِنَّك لمْ تَصْنَع شَيْئًا**». فَرَجَعَ خَالد، فَلمَّا أَبْصَرَتْهُ السَّدَنَة -وَهُمْ حَجَبَتُهَا- أَمْعَنُوا فِي الحِيَل وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى، يَا عُزَّى. فَأَتَاهَا خَالد فَإِذَا امْرَأَة عُرْيَانَة نَاشِرَة شَعْرهَا تحفن التُّرَاب عَلى رَأْسهَا، فَغَمَسَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلهَا. ثُمَّ رَجَعَ إِلى رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَال: «**تِلك العُزَّى**».[3]

قَال ابْن إِسْحَاق: وَكَانَتْ اللَّات لثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ، وَكَانَ سَدَنَتهَا وَحُجَّابهَا بَنِى مُعَتِّب. **قُلت**: وَقَدْ بَعَث إِليْهَا رَسُول الله ﷺ المُغِيرَة بْن شُعْبَة وَأَبَا سُفْيَان صَخْر بْن حَرْب، فَهَدَمَاهَا وَجَعَلا مَكَانهَا مسجد الطائف. قَال ابْن إِسْحَاق: وَكَانَتْ مَنَاة للأَوْسِ وَالخَزْرَج وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ مِنْ أَهْل يَثْرِب عَلى سَاحِل البَحْر مِنْ نَاحِيَة المُشَلَّل بِقُدَيْدٍ، فَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ أَبَا سُفْيَان صَخْر بْن حَرْب فَهَدَمَهَا. وَيُقَال: عَليّ بْن أَبِي طَالب. قَال: وَكَانَتْ ذُو الخَلصَة لدَوْسٍ، وَخَثْعَمَ، وَبَجِيلةَ، وَمَنْ كَانَ بِبِلادِهِمْ مِنْ العَرَب بِتَبَالةَ. **قُلت**: وَكَانَ يُقَال لهَا:

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٤٥٧٩).
(٢) **حسن** : أخرجه النسائي (٧/ ٨).
(٣) **حسن** : أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٥٤٧)، والضياء في «المختارة» (٢٥٩)، وقال: إسناده صحيح.

الكَعْبَة اليَمانِيَة، وَللكَعْبَةِ الَّتِي بِمَكَّة: الكَعْبَة الشَّامِيَّة. فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ جَرِير بْن عَبْد الله البَجَلِيّ فَهَدَمَهُ. قَال: وَكَانَتْ فلس لطيئ وَمَنْ يَليهَا بجبلي طيئ من سُلمَى وَأَجَاء. قَال ابْن هِشَام: فَحَدَّثَنِي بَعْض أَهْل العِلم أَنَّ رَسُول الله ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيَّ بْن أَبِي طَالب فهَدَمَهُ، وَاصْطَفَى مِنْهُ سَيْفَيْنِ: الرَّسُوب وَالمُخْذَم، فَنَفَّلَهُ إِيَّاهُمَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَهُمَا سَيْفَا عَلِيّ.

قَال ابْن إِسْحَاق: وَكَانَ لِحِمْيَر وَأَهْل اليَمَن بَيْت بِصَنْعَاءَ يُقَال لهُ: رئام، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ بِهِ كَلب أَسْوَد، وَأَنَّ الحَبْرَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَهَبَا مَعَ تُبَّع اسْتَخْرَجَاهُ وَقَتَلاهُ، وَهَدَمَا البَيْت. قَال ابْن إِسْحَاق: وَكَانَتْ «رِضَاء» بَيْتًا لبَنِي رَبِيعَة ابْن كَعْب بْن سَعْد بْن زَيْد مَنَاة بْن تَمِيم، وَلَهَا يَقُول المُسْتَوْغِر بْن رَبِيعَة بْن كَعْب بْن سَعْد حِين هَدَمَهَا فِي الإِسْلام:

وَلقَدْ شَدَدْت عَلى رِضَاء شَدَّة ۞ فَتَرَكْتهَا قَفْرًا بقَاعٍ أَسْحَمَا

قَال ابْن هِشَام: يُقَال: إِنَّهُ عَاشَ ثَلاثَمِائَةٍ وَثَلاثِينَ سَنَة، وَهُوَ القَائِل:

وَلقَدْ سَئِمْت مِنْ الحَيَاة وَطُولهَا ۞ وَعُمِّرْت مِنْ عَدَد السِّنِينَ مِئِينَا

مِائَةٌ حَدَتْهَا بَعْدَهَا مِائَتَانِ لِي ۞ وَعُمِّرْت مِنْ عَدَد الشُّهُور سِنِينَا

هَل مَا بَقِي إِلاَّ كَمَا قَدْ فَاتَنَا ۞ يَوْمٌ يَمُرُّ وَليْلَةٌ تَحْدُونَا

قَال ابْن إِسْحَاق: وَكَانَ ذُو الكَعَبَات لبَكْر وَتَغْلب ابْنَيْ وَائِل، وَإِيَاد بِسِنْدَاد وَلهُ يَقُول أَعْشَى بْن قَيْس بْن ثَعْلبَة:

بَيْنَ الخَوَرْنَق وَالسَّدِير وَبَارِقٍ ۞ وَالبَيْت ذُو الكَعَبَات فِي سِنْدَاد

وَلهَذَا قَال: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾.

ثم قال: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ أَيْ: أَتَجْعَلُونَ لهُ وَلدًا، وَتَجْعَلُونَ وَلدَهُ أُنْثَى، وَتَخْتَارُونَ لأَنْفُسِكُمْ الذُّكُور، فلوْ اقْتَسَمْتُمْ أَنْتُمْ وَمَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ هَذِهِ القِسْمَة؛ لكَانَتْ ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ أَيْ: جَوْرًا بَاطِلة، فَكَيْف تُقَاسِمُون رَبَّكُمْ هَذِهِ القِسْمَة الَّتِي لوْ كَانَتْ بَيْن مَخْلُوقِينَ كَانَتْ جَوْرًا وَسَفَهًا. ثم قال منكرًا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ أَيْ: مِنْ تِلقَاءِ أَنْفُسكُمْ، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ أَيْ: مِنْ حُجَّة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ أَيْ: ليْسَ لهم مُسْتَنَد إِلَّا حُسْن ظَنِّهِمْ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ سَلكُوا هَذَا المَسْلك البَاطِل قَبْلهمْ، وَإِلَّا حَظّ نُفُوسهِمْ فِي رِيَاسَتهِمْ وَتَعْظِيم آبَائِهِمْ الأَقْدَمِينَ، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أَيْ: وَلقَدْ أَرْسَل الله إِلَيْهِمْ الرُّسُل بِالحَقِّ المُنِير وَالحُجَّة القَاطِعَة، وَمَعَ هَذَا مَا اتَّبَعُوا مَا جاءوهم بِهِ وَلا انْقَادُوا لهُ. ثم قال: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ أَيْ: ليْسَ كُلّ مَنْ تَمَنَّى خَيْرًا حَصَل لهُ، ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ مَا كُل مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُهْتَدٍ يَكُون كَمَا قَال، وَلا كُلّ مَنْ وَدَّ شَيْئًا يَحْصُلُ لهُ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْحَاق، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة، عَنْ عُمَر بْن أَبِي سَلمَة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِذَا تَمَنَّى أَحَدكُمْ فَليَنْظُرْ مَا تمنَّى، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا يُكْتَب لهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ**»[1] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ أَيْ: إِنَّمَا الأَمْر كُله لله، مَالك الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَالمُتصَرِّف فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَهُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ. وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾، كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقّ المَلائِكَة المُقَرَّبِينَ، فَكَيْف تَرْجُونَ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد عِنْد الله، وَهُوَ لمْ يَشْرَع عِبَادَتهَا وَلا أَذِنَ فِيهَا، بَل قَدْ نَهَى عَنْهَا عَلى أَلسِنَة جَمِيع رُسُله، وَأَنْزَل بِالنَّهْي عَنْ ذَلكَ جَمِيع كُتُبِهِ؟!

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٧) بسند ضعيف.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

يَقُول تَعالَى مُنْكِرًا عَلى المُشْرِكِينَ فِي تَسْمِيَتهمْ المَلائِكَة تَسْمِيَةَ الأُنْثَى، وَجَعْلِهِمْ لَهَا أَنَّهَا بَنَات الله، كَمَا قَال تَعالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾، ولهذا قال: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ صَحِيحٌ يُصدِّق مَا قَالُوهُ، بَل هُوَ كَذِبٌ وَزُورٌ وَافْتِرَاءٌ وَكُفْرٌ شَنِيعٌ، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أَيْ: لا يُجْدِي شَيْئًا، وَلا يَقُوم أَبَدًا مَقَام الحَقّ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ».[1]

وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أَيْ: أَعْرِضْ عَنْ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ الحَقّ وَاهْجُرْهُ. وَقَوْله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أَيْ: وَإِنَّمَا أَكْثَر هَمِّهِ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِ الدُّنْيَا، فذلك هُوَ غَايَة مَا لا خَيْر فِيهِ. ولذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾، أَيْ: طَلَب الدُّنْيَا وَالسَّعْي لَهَا هُوَ غَايَة مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ. وَقَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَد عَنْ أُمّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «الدُّنْيَا دَار مَنْ لا دَار لَهُ، وَمَال مَنْ لا مَال لَهُ، وَلَهَا يَجْمَع مَنْ لا عَقْل لَهُ»[2]. وَفِي الدُّعَاء المَأْثُور: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَل الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلا مَبْلَغ عِلْمِنَا».[3] وَقَوْله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أَيْ: هُوَ الخَالِق لِجَمِيع المَخْلُوقَات، وَالعَالِم بِمَصَالِح عِبَاده، وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاء، وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء، وَذَلِكَ كُلّه عَنْ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ العَادِل الَّذِي لا يَجُور أَبَدًا، لا فِي شَرْعه وَلا فِي قَدَرِهِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

يُخْبِر تَعالَى أَنَّهُ مَالِك السَّمَوَات وَالأَرْض، وَأَنَّهُ الغَنِيّ عَمَّا سِوَاهُ، الحَاكِم فِي خَلْقه بِالعَدْل، وَخَلَقَ الخَلْق بِالحَقِّ، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ أَيْ: يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، ثم فَسَّرَ المُحْسِنِينَ بِأَنَّهُمْ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أَيْ: لا يَتَعَاطَوْنَ المُحَرَّمَات الكَبَائِر، وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بَعْض الصَّغَائِر فَإِنَّهُ يَغْفِر لَهُمْ وَيَسْتُر عَلَيْهِمْ، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾. وَقَال هَهُنَا: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ وَهَذَا اسْتِثْنَاء مُنْقَطِعٌ؛ لأَنَّ اللَّمَم مِنْ صَغَائِر الذُّنُوب وَمُحَقَّرَات الأَعْمَال. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حدثنا مَعْمَر، عَنْ ابْن طَاوُس، [عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: مَا رَأَيْت شَيْئًا أَشْبَه بِاللَّمَم مِمَّا قَال أَبُو هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال][4]: «إِنَّ الله تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْن آدَم حَظَّه مِنْ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْن النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَان النُّطْقُ، وَالنَّفْس تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْج يُصَدِّق ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ».[5] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق بِهِ.

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) ضعيف: تقدم.
(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٤٩٧).
(٤) في الأزهرية: [ابن عيسي].
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْن ثَوْر، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي الضُّحَى: أَنَّ ابْن مَسْعُود قَال: **«زِنَا العَيْنَيْنِ النَّظَر، وَزِنَا الشَّفَتَيْنِ التَّقْبِيل، وَزِنَا اليَدَيْنِ البَطْش، وَزِنَا الرِّجْلَيْنِ المَشْي، وَيُصَدِّق ذَلكَ الفَرْج أَوْ يُكَذِّبهُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِفَرْجِهِ كَانَ زَانِيًا، وَإِلاَّ فَهُوَ اللَّمَم»**. وَكَذَا قَال مَسْرُوق وَالشَّعْبِيّ. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن ابْن نَافِع -الَّذِي يُقَال لَهُ: ابْن لُبَابَة الطَّائِفِيّ- قَال: سَأَلت أَبَا هُرَيْرَة عَنْ قَوْل الله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: القُبْلَة، وَالغَمْزَة، وَالنَّظْرَة، وَالمُبَاشَرَة، فَإِذَا مَسَّ الخِتَان الخِتَان فَقَدْ وَجَبَ الغُسْل، وَهُوَ الزِّنَا. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ إِلَّا مَا سَلفَ. وَكَذَا قَال زَيْد بْن أَسْلمَ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد أَنَّهُ قَال فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: الَّذِي يُلِمُّ بِالذَّنْبِ ثُمَّ يَدَعُهُ، قَال الشَّاعِر:

إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ۞ وَأَيّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْل الله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ ، قَال: الرَّجُل يُلمّ بِالذَّنْبِ ثُمَّ يَنْزِع عَنْهُ. قَال: وَكَانَ أَهْل الجَاهِلِيَّة يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ، وَهُمْ يَقُولُونَ:

إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ۞ وَأَيّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير وَغَيْره مَرْفُوعًا. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بْن عَبْد الجَبَّار، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِم، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْن إِسْحَاق، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: هُوَ الرَّجُل يُلمّ بِالفَاحِشَةِ ثُمَّ يَتُوب. وَقَال: قَال رَسُول الله ﷺ:

إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ۞ وَأَيّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا[1]

وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، عَنْ أَحْمَد بْن عُثْمَان أَبِي عثمان البَصْرِيّ، عَنْ أَبِي عَاصِم النَّبِيل، ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث حسن صَحِيح حَسَن غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث زَكَرِيَّا بْن إِسْحَاق. وَكَذَا قَال البَزَّار: لا نَعْلمهُ يُرْوَى مُتَّصِلًا إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَسَاقَهُ ابْن أَبِي حَاتِم وَالبَغَوِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي عَاصِم النَّبِيل. وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ البَغَوِيّ فِي تَفْسِير «سُورَة تَنْزِيل»، وَفِي صِحَّته مَرْفُوعًا نَظَرٌ.

ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن بَزِيع، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن زُرَيْع، حَدَّثَنَا يُونُس، عَنْ الحَسَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ -أَرَاهُ رَفَعَهُ- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: اللَّمَّة مِنْ الزِّنَا ثُمَّ يَتُوب وَلا يَعُود، واللمة مِنْ السَّرِقَة ثُمَّ يَتُوب وَلا يَعُود، وَاللَّمَّة مِنْ شُرْب الخَمْر ثُمَّ يَتُوب وَلا يَعُود، قَال: ذلك الإِلْمَام.[2] وَحَدَّثَنَا ابْن بَشَّار، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ عَوْف، عَنْ الحَسَن فِي قَوْل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: اللَّمَم مِنْ الزِّنَا أَوْ السَّرِقَة أَوْ شُرْب الخَمْر، ثُمَّ لا يَعُود. وَحَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة، عَنْ أَبِي رَجَاء، عَنْ الحَسَن فِي قَوْل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: كَانَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ يَقُولُونَ: هُوَ الرَّجُل يُصِيب اللَّمَّة مِنْ الزِّنَا، وَاللَّمَّة مِنْ شُرْب الخَمْر، فَيَجْتَنِبهَا وَيَتُوب مِنْهَا. وَقَال ابْن جَرِير، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ : يُلمّ بِهَا فِي الحِين. قُلت: الزِّنَا؟ قَال: الزِّنَا ثُمَّ يَتُوب. وَقَال ابْن جَرِير أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا ابْن عُيَيْنَة، عَنْ عَمْرو، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس ﷺ قَال: اللَّمَم: الَّذِي يُلمّ المَرَّة.

وَقَال السُّدِّيّ: قَال أَبُو صَالح: سُئِلت عَنْ اللَّمَم؟ فَقُلت: هُوَ الرَّجُل يُصِيب الذَّنْب ثُمَّ يَتُوب. وَأَخْبَرْتُ بِذَلكَ ابْن عَبَّاس فَقَال: لَقَدْ أَعَانَك عَلَيْهَا مَلكٌ كَرِيمٌ. حَكَاهُ البَغَوِيّ. وَرَوَى ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق المُثَنَّى بْن

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٣٢٨٠).
(٢) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٧/٦٦) بسند ضعيف.

الصَّبَّاح -وَهُوَ ضَعِيف- عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب: أَنَّ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: اللَّمَم: مَا دُون الشِّرْك. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ جَابِر الجُعْفِيّ، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابن الزُّبَيْر: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قَال: مَا بَيْن الحَدَّيْنِ: حَدّ الدنيا وَعَذَاب الآخِرَة، وَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَة عَنْ الحَكَم عَنْ ابن عَبَّاس مِثْله سَوَاء. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ كُلّ شَيْء بَيْن الحَدَّيْنِ: حَدّ الدُّنْيَا وَحَدّ الآخِرَة، تُكَفِّرهُ الصَّلوَات، وهو اللَّمَم، وَهُوَ دُون كُلّ مُوجِب، فَأَمَّا حَدّ الدُّنْيَا فَكُلّ حَدّ فَرَضَ الله عُقُوبَته فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا حَدّ الآخِرَة فَكُلّ شَيْء خَتَمَهُ الله بِالنَّارِ، وَأَخَّرَ عُقُوبَته إِلى الآخِرَة. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك. وَقَوْله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أَيْ: رَحْمَته وَسِعَتْ كُلّ شَيْء، وَمَغْفِرَته تَسَع الذُّنُوب كُلّهَا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا، .كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وَقَوْله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: هُوَ بَصِيرٌ بِكُمْ، عَلِيم بِأَحْوَالكُمْ وَأَفْعَالكُمْ وَأَقْوَالكُمْ الَّتِي تصدر عَنْكُمْ وَتَقَع مِنْكُمْ، حِين أَنْشَأَ أَبَاكُمْ آدَم مِنْ الأَرْض، وَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلبه أَمْثَال الذَّرّ، ثُمَّ قَسَمَهُمْ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقًا للجَنَّةِ، وَفَرِيقًا للسَّعِيرِ. وَكَذَا قَوْله: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ : قَدْ كَتَبَ المَلك الَّذِي يُوَكَّل بِهِ رِزْقه وَأَجَله وَعَمَله وَشَقِيّ أَمْ سَعِيد؟ قَال مَكْحُول: كُنَّا أَجِنَّة فِي بُطُون أُمَّهَاتِنَا، فَسَقَطَ مِنَّا مَنْ سَقَطَ، وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ، ثُمَّ كُنَّا مراضع فَهَلكَ مِنَّا مَنْ هَلكَ، وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ، ثُمَّ صِرْنَا يَفَعَةً، فَهَلكَ مِنَّا مَنْ هَلكَ. وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ثُمَّ صِرْنَا شبابًا فَهَلكَ مِنَّا مَنْ هَلكَ. وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ثُمَّ صِرْنَا شُيُوخًا -لا أَبَا لك- فَمَاذَا بَعْد هَذَا نَنْتَظِر؟ رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْهُ. وَقَوْله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أَيْ: تَمْدَحُوهَا وَتَشْكُرُوهَا وَتَمُنُّوا بِأَعْمَالكُمْ، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ كَمَا قَال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

وَقَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا عَمْرو النَّاقِد، حَدَّثَنَا هَاشِم بْن القَاسِم، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن عَطَاء قَال: سَمَّيْت ابْنَتِي بَرَّة، فَقَالتْ لِي زَيْنَبُ بِنْت أَبِي سَلمَة: إِنَّ رَسُول الله ﷺ نَهَى عَنْ هَذَا الاسْم، وَسُمِّيتُ بَرَّة، فَقَال رَسُول الله ﷺ : **«لا تُزَكُّوا أَنْفُسكُمْ، إِنَّ الله أَعْلَمُ بِأَهْل البِرِّ مِنْكُمْ»**. فَقَالُوا: بِمَ نُسَمِّيهَا؟ قَال: **«سَمُّوهَا زَيْنَب»**(١). وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا وُهَيْب، حَدَّثَنَا خَالد الحَذَّاء، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْرَة، عَنْ أَبِيهِ قَال: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْد النَّبِيّ ﷺ، فَقَال رَسُول الله: **«وَيْلك قَطَعْت عُنُقَ صَاحِبِك -مِرَارًا- إِذَا كَانَ أَحَدكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لا مَحَالةَ فَليَقُل: أَحْسِب فُلانًا وَالله حَسِيبُهُ، وَلا أُزَكِّي عَلى الله أَحَدًا، أَحْسِبهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلم ذَلكَ»**(٢). ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ [غُنْدَر](٣) عَنْ شُعْبَة عَنْ خَالد الحَذَّاء بِهِ. [وَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ، وَمُسْلم وَأَبُو دَاوُد، وَابْن مَاجَهْ، مِنْ طُرُق، عَنْ خَالد الحَذَّاء، بِهِ.](٤)

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، وَعَبْد الرَّحْمَن؛ قَالا: حدثنا سُفْيَان، عَنْ مَنْصُور، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ هَمَّام بْن الحَارِث قَال: جَاءَ رَجُل إِلى عُثْمَان فَأَثْنَى عَليْهِ فِي وَجْهه، قَال: فَجَعَل المِقْدَاد بْن الأَسْوَد يَحْثُو فِي وَجْهه التُّرَاب، وَيَقُول: أَمَرَنَا رَسُول الله ﷺ إِذَا لقِينَا المَدَّاحِينَ أَنْ نَحْثُوَ فِي وُجُوههمْ التُّرَاب. وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ عَنْ مَنْصُور بِهِ.

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢١٤٢).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).
(٣) في الأزهرية: [عبيد].
(٤) سقط من الأزهرية.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

يَقُول تَعالى ذَامًّا لِمَنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَة الله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ قَال ابْن عَبَّاس: أَطَاعَ قَليلًا ثُمَّ قَطعَهُ. وَكَذَا قَال مُجاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَغَيْر وَاحِد.

قَال عِكْرِمَة، وَسَعِيد: كَمَثَل القَوْم إِذَا كَانُوا يَحْفِرُونَ بِئْرًا، فَيَجِدُونَ فِي أَثْنَاء الحَفْر صَخْرَة تَمْنَعُهُمْ مِنْ تَمَام العَمَل، فَيَقُولُونَ: أَكْدَيْنَا، وَيَتْرُكُونَ العَمَل.

وقوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أَيْ: أَعِنْدَ هَذَا الَّذِي قَدْ أَمْسَكَ يَده خَشْيَة الإِنْفَاق، وَقَطَعَ مَعْرُوفه، أَعِنْدَهُ عِلم الغَيْب أَنَّهُ سَيَنْفَدُ مَا فِي يَده، حَتَّى قَدْ أَمْسَكَ عَنْ مَعْرُوفه، فَهُوَ يَرَى ذَلكَ عِيَانًا؟! أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَذَلكَ، وَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَنْ الصَّدَقَة وَالمَعْرُوف وَالبِرّ وَالصِّلة بُخْلًا وَشُحًّا وَهَلعًا؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**أَنْفِقْ بلال، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي العَرْش إِقْلالاً**»⁽¹⁾. وَقَدْ قَال الله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

وَقَوْله: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾، قَال سعيد بْن جُبَيْر وَالثَّوْرِيّ: أَيْ بَلَّغَ جَمِيع مَا أُمِرَ بِهِ. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ لله بِالبَلَاغ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ مَا أُمِرَ بِهِ. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ طَاعَة الله، وَأَدَّى رِسَالته إِلى خَلقه. وَهَذَا القَوْل هُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير، وَهُوَ يَشْمَل الَّذِي قَبْله، وَيَشْهَد لهُ قَوْله تَعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ فَقَامَ بِجَمِيعِ الأَوَامِر، وَتَرَكَ جَمِيع النَّوَاهِي، وَبَلَّغَ الرِّسَالة عَلى التَّمَام وَالكَمَال، فَاسْتَحَقَّ بِهَذَا أَنْ يَكُون للنَّاسِ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ فِي جَمِيع أَحْوَاله وأفعاله وَأَقْوَاله؛ قَال الله تَعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَوْف الحِمْصِيّ، حَدَّثَنَا آدَم بْن أَبِي إِيَاس العَسْقَلانِيّ، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن الزُّبَيْر، عَنْ القَاسِم، عَنْ أَبِي أُمَامَة قَال: تَلا رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ قَال: «أَتَدْرِي مَا وَفَّى؟». قُلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلمُ. قَال: «وَفَّى عَمَل يَوْمه بِأَرْبَعِ رَكَعَات مِنْ أَوَّل النَّهَار»⁽²⁾.

وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث جَعْفَر بْن الزُّبَيْر وَهُوَ ضَعِيف.

وَقَال التِّرْمِذِيّ فِي «جَامِعه»: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر السِّمْنَانِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِر، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، عَنْ بحير بْن سَعْد، عَنْ خَالد بْن مَعْدَان، عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء وَأَبِي ذَرّ، عَنْ رَسُول الله ﷺ عَنْ الله ﷻ أَنَّهُ قَال: «**ابْن آدَم، ارْكَعْ لي أَرْبَع رَكَعَات مِنْ أَوَّل النَّهَار، أَكْفِكَ آخِره**»⁽³⁾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الرَّبِيع بْن سُليْمَان، حَدَّثَنَا أَسَد بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْن لِهيعَة، حَدَّثَنَا [زَبَّان]⁽⁴⁾ بْن فَائِد، عَنْ سَهْل بْن مُعَاذ بْن أَنَس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى الله تَعَالى إِبْرَاهِيم خَليلهُ الَّذِي وَفَّى؟ إِنَّهُ كَانَ يَقُول كلما أَصْبَحَ وَأَمْسَى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ حَتَّى خَتَمَ الآيَة».⁽⁵⁾ وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ رِشْدِين بْن سعد عَنْ زَبَّان بِهِ. ثُمَّ شَرَعَ تَعَالى

---

(١) **حسن** : تقدم.
(٢) **موضوع** : تقدم.
(٣) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٤٧٥).
(٤) في الأزهرية: [زياد].
(٥) **موضوع** : تقدم.

يُبَيِّن مَا كَانَ أَوْحَاهُ فِي صُحُف إِبْرَاهِيم وَمُوسَى، فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أَيْ: كُلّ نَفْس ظَلَمَتْ نَفْسهَا بِكُفْرٍ أَوْ شَيْء مِنَ الذُّنُوب فَإِنَّمَا عَلَيْهَا وِزرهَا، لا يَحْمِلهُ عَنْهَا أَحَد، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أَيْ: كَمَا لا يُحْمَل عَلَيْهِ وِزْر غَيْره، كَذَلِكَ لا يُحَصِّل مِنَ الأَجْر إِلَّا مَا كَسَبَ هُوَ لِنَفْسِهِ. وَمِنْ هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة اسْتَنْبَطَ الشَّافِعِيّ رحمه الله وَمَنْ اتَّبَعَهُ أَنَّ القِرَاءَة لا يَصِل إِهْدَاء ثَوَابهَا إِلَى المَوْتَى، لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلهمْ وَلا كَسْبهمْ. وَلِهَذَا لَمْ يَنْدُب إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ أُمَّته وَلا حَثَّهُمْ عَلَيْهِ، وَلا أَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ بِنَصٍّ وَلا إِيمَاء، وَلَمْ يُنْقَل ذَلِكَ عَنْ أَحَد مِنَ الصَّحَابَة رضي الله عنهم، وَلَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، وَبَاب القُرُبَات يُقْتَصَر فِيهِ عَلَى النُّصُوص، وَلا يُتَصَرَّف فِيهِ بِأَنْوَاعِ الأَقْيِسَة وَالآرَاء، فَأَمَّا الدُّعَاء وَالصَّدَقَة فَذَاكَ مُجْمَع عَلَى وُصُولهمَا، وَمَنْصُوص مِنَ الشَّارِع عَلَيْهِمَا.

وَأَمَّا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِم فِي «صَحِيحه»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَان انْقَطَعَ عَمَله إِلاَّ مِنْ ثَلاث: مِنْ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ، أَوْ صَدَقَة جَارِيَة مِنْ بَعْده، أَوْ عِلْم يُنْتَفَع بِهِ»**[1]. فَهَذِهِ الثَّلاثَة فِي الحَقِيقَة هِيَ مِنْ سَعْيه وَكَدِّهِ وَعَمَله، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: **«إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَل الرَّجُل مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبه»**.[2] وَالصَّدَقَة الجَارِيَة كَالوَقْفِ وَنَحْوه هِيَ مِنْ آثَار عَمَله وَوَقْفه، وَقَدْ قَال تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ...﴾ الآيَة. وَالعِلم الَّذِي نَشَرَهُ فِي النَّاس فَاقْتَدَى بِهِ النَّاس بَعْدَهُ، هُوَ أَيْضًا مِنْ سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ، وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيح»: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْر مِثْل أُجُور مَنْ اتَّبَعَهُ، مِنْ غَيْر أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورهمْ شَيْئًا»**.

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة، كما قال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: فَيُخْبِركُمْ بِهِ، وَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهِ أَتَمّ الجَزَاء، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ. وهكذا قَال ههنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، أَيْ: الأَوْفَر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أَيْ: المَعَاد يَوْم القِيَامَة. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُوَيْد بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا مُسْلِم بْن خَالِد، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن سَابِط، عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون الأَوْدِيّ قَالَ: قَامَ فِينَا مُعَاذ بْن جَبَل، فَقَال: يَا بَنِي أَوْد، إِنِّي رَسُولُ رَسُول الله ﷺ إِلَيْكُمْ، تَعْلَمُونَ أَنَّ المَعَاد إِلَى الله، إِلَى الجَنَّة أَوْ إِلَى النَّار. وَذَكَرَ البَغَوِيّ مِنْ رِوَايَة أَبِي جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس، عَنْ أَبِي العَالِيَة، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾. قَال: «لا فِكْرَةَ فِي الرَّبّ».[3] قَال البَغَوِيّ: وَهَذَا مِثْل مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا: **«تَفَكَّرُوا فِي الخَلق، وَلا تَفَكَّرُوا فِي الخَالق، فَإِنَّهُ لا تُحِيط بِهِ الفِكْرَة»**[4]. كَذَا أَوْرَدَهُ، وَلَيْسَ بِمَحْفُوظٍ بِهَذَا اللَّفْظ، وَإِنَّمَا الَّذِي فِي الصَّحِيح: **«يَأْتِي الشَّيْطَان أَحَدَكُمْ فَيَقُول: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى**

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٧/ ٢٤١)، وابن ماجه (٢٢٩٠).
(٣) ضعيف: أخرجه البغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٣) بسند ضعيف.
(٤) صحيح: انظر «الصحيحة» (١٧٨٨).

يَقُول: مَنْ خَلقَ رَبّك؟ فَإِذَا بَلغَ أَحَدكُمْ ذَلكَ فَليَسْتَعِذْ بِالله وَليَنْتَه»[1]. وَفِي الحَدِيث الآخَر الَّذِي فِي السُّنَن: «تَفكَّرُوا فِي مَخْلُوقَات الله، وَلا تَفكَّرُوا فِي ذَات الله، فَإِنَّ الله خَلقَ مَلكًا مَا بَيْن شَحْمَة أُذُنه إِلى عَاتِقه مَسِيرَة ثَلاثمِائَةِ سَنَة»[2] أَوْ كَمَا قَال. وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ أَيْ: خَلقَ فِي عِبَاده الضَّحِكَ وَالبُكَاء وَسَبَبهمَا وَهُمَا مُخْتَلفَانِ، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾. ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أَيْ: كَمَا خَلقَ البُدَاءَة هُوَ قَادِر عَلى الإِعَادَة، وَهِيَ النَّشْأَة الآخِرَة يَوْم القِيَامَة ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أَيْ: مَلَّكَ عِبَادَهُ المَال، وَجَعَلهُ لهُمْ قِنْيَةً مُقِيمًا عِنْدهمْ، لا يَحْتَاجُونَ إِلى بَيْعه، فَهَذَا تَمَام النِّعْمَة عَليْهِمْ. وَعَلى هَذَا يَدُور كَلام كَثِير مِنْ المُفَسِّرِينَ، مِنْهُمْ أَبُو صَالح، وَابْن جَرِير، وَغَيْرهمَا. وَعَنْ مُجَاهِد: ﴿أَغْنَىٰ﴾: مَوَّل، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أَخْدَمَ. وَكَذَا قَال قَتَادَة. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد أَيْضًا: ﴿أَغْنَىٰ﴾ أَعْطَى ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: رَضِيَ. وَقِيل: مَعْنَاهُ أَغْنَى نَفْسه وَأَفْقَرَ الخَلائِقَ إِليْهِ. قَالهُ الحَضْرَمِيّ بْن لاحِق. وَقِيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلقه ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أَيْ أَفْقَرَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ. قاله ابْن زَيْد. حَكَاهُمَا ابْن جَرِير، وَهُمَا بَعِيدَانِ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد وَغَيْرهمْ: هُوَ هَذَا النَّجْم الوَقَّاد الَّذِي يُقَال لهُ: «مِرْزَم الجَوْزَاء»، كَانَتْ طَائِفَة مِنْ العَرَب يَعْبُدُونَهُ. ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾، وهُمْ: قَوْم هُود. وَيُقَال لهُمْ: عَادَ بْن إِرَم بْن سَام بْن نُوح، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾، فَكَانُوا مِنْ أَشَدّ النَّاس وَأَقْوَاهُمْ وَأَعْتَاهُمْ عَلى الله وَعَلى رَسُوله، فَأَهْلكَهُمْ الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.

وقوله: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ أَيْ: دَمَّرَهُمْ فَلمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْل هَؤُلاءِ؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أَيْ: أَشَدُّ تَمَرُّدًا مِنْ الَّذِينَ مِنْ بَعْدهمْ، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يَعْنِي: مَدَائِن لُوط، قَلبهَا عَليْهِمْ، فَجَعَل عَاليَهَا سَافِلهَا، وَأَمْطَرَ عليها حِجَارَة مِنْ سِجِّيل مَنْضُود؛ ولهذا قَال: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يَعْنِي: مِنْ الحِجَارَة الَّتِي أَرْسَلهَا عَليْهِمْ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾. قَال قَتَادَة: كَانَ فِي مَدَائِن لُوط أَرْبَعَة آلاف أَلف إِنْسَان فَانْضَرَمَ عَليْهِمْ الوَادِي شَيْئًا مِنْ نَار وَنَفْط وَقَطْرَانٍ كَفَم الأَتُون. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ أَبِيه، عَنْ مُحَمَّد بْن وَهْب بْن عَطِيَّة، عَنْ الوَليد بْن مُسْلم، عَنْ خُليْد عَنْهُ، بِهِ. وَهُوَ غَرِيب جِدًّا. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أَيْ: فَفِي أَيّ نِعَم الله عَليْك أَيّهَا الإِنْسَان تَمْتَرِي؟ قَالهُ قَتَادَة. وَقَال ابْن جُرَيْج: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ ؟ يَا مُحَمَّد. وَالأَوَّل أَوْلى، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير.

﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾.

﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أَيْ: مِنْ جِنْسهمْ، أُرْسِل كَمَا أُرْسِلُوا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾، ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾، أَيْ: اقْتَرَبَتْ القَرِيبَة، وَهِيَ القِيَامَة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أَيْ: لا يَدْفَعهَا إِذًا مِنْ دُون الله أَحَد، وَلا يَطَّلع عَلى عِلمهَا سِوَاهُ. ثم قَال تَعَالى مُنْكِرًا عَلى المُشْرِكِينَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢) سنده حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٦)، وانظر «الصحيحة» (٤/ ٣٩٦).

فِي اسْتِمَاعِهِمْ القُرْآن وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَتَلَهِّيهِمْ: ﴿تَعْجَبُونَ﴾ مِنْ أَنْ يَكُون صَحِيحًا، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ مِنْهُ اسْتِهْزَاء وَسُخْرِيَة، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أَيْ: كَمَا يَفْعَل المُوقِنُونَ بِهِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾. وقوله: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: الغِنَاء هِيَ يَمَانِيَّةٌ، أَسْمِدْ لنَا: غَنِّ لنَا. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة. وَفِي رِوَايَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿سَامِدُونَ﴾ مُعْرِضُونَ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة. وَقَال الحَسَن: غَافِلُونَ. وَهُوَ رِوَايَة عَنْ أَمِير المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب. وَفِي رِوَايَة عَنْ ابْن عَبَّاس: تَسْتَكْبِرُونَ. وَبِهِ يَقُول السُّدِّيّ. ثُمَّ قَال آمِرًا لعِبَادِهِ بِالسُّجُودِ لهُ، وَالعِبَادَة والمُتَابَعَة لرَسُولِهِ ﷺ وَالتَّوْحِيد وَالإِخْلاص: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أَيْ: فَاخْضَعُوا لهُ وَأَخْلِصُوا ووَحِّدوا.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَر، حَدَّثَنَا عَبْد الوَارِث، حَدَّثَنَا أَيُّوب، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: سَجَدَ النَّبِيّ ﷺ بِالنَّجْم، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنّ وَالإِنْس.[1] انْفَرَدَ بِهِ دُون مُسْلم.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن خَالد، حَدَّثَنَا رَبَاح، عَنْ مَعْمَر، عَنْ ابْن طَاوُس، عَنْ عِكْرِمَة بْن خَالد، عَنْ جَعْفَر بْن المُطَّلب بْن أَبِي وَدَاعَة، عَنْ أَبِيهِ قَال: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ بِمَكَّة سُورَة النَّجْم، فَسَجَدَ وَسَجَدَ مَنْ عِنْده، فَرَفَعْت رَأْسِي وأبيت أَنْ أَسْجُد وَلمْ يَكُنْ أَسْلمَ يَوْمَئِذٍ المُطَّلب، فَكَانَ بَعْد ذَلكَ لا يَسْمَع أَحَدًا يَقْرَؤُهَا إِلَّا سَجَدَ مَعَهُ.[2] وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي الصَّلاة، عَنْ عَبْد المَلك بْن عَبْد الحَمِيد، عَنْ أَحْمَد بْن حَنْبَل بِهِ.

آخر سورة النجم، ولله الحمد والمنة

ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ [فإن النَّذِير هو: الحَذِر لمَا يُعَاين مِنْ الشَّرّ، الَّذِي يَخْشَى وُقُوعه فِيمَنْ أَنْذَرَهُمْ، كَمَا قَال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. وَفِي الحَدِيث: «**أَنَا النَّذِير العُرْيَان**»[3]. أَيْ: الَّذِي أَعْجَلهُ شِدَّة مَا عَايَنَ مِنْ الشَّرّ عَنْ أَنْ يَلبَس عَليْهِ شَيْئًا، بَل بَادَرَ، إِلى إِنْذَار قَوْمه قَبْل ذَلكَ، فَجَاءَهُمْ عُرْيَانًا مُسْرِعًا، وَهُوَ مُنَاسِب لقَوْلهِ: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾، أَيْ: اقْتَرَبَتْ القَرِيبَة. يَعْنِي يَوْم القِيَامَة، كَمَا قَال فِي أَوَّل السُّورَة الَّتِي بَعْدهَا: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَنَس بْن عِيَاض، حَدَّثَنِي أَبُو حازم لا أَعْلم إِلَّا عَنْ سَهْل بْن سَعْد قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَات الذُّنُوب! فَإِنَّمَا مَثَل مُحَقَّرَات الذُّنُوب كَمَثَل قَوْم نَزَلُوا بِبَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَات الذُّنُوب مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»[4]. وَقَال أَبُو حَازِم: قَال رَسُول الله ﷺ -قَال أَبُو ضمرة: لا أَعْلم إِلَّا عَنْ سَهْل بْن سَعْد- قَال: «**مَثَلِي وَمَثَل السَّاعَة كَهَاتَيْنِ**»[5]. وَفَرَّقَ بَيْن أُصْبُعَيْهِ الوُسْطَى وَالَّتِي تَلي الإِبْهَام، ثُمَّ قَال: «**مَثَلِي وَمَثَل السَّاعَة كَمَثَل فَرَسَيْ رِهَان**». ثُمَّ قَال: «**مَثَلِي وَمَثَل السَّاعَة كَمَثَل رَجُل بَعَثَهُ قَوْمه طَلِيعَة، فَلمَّا خَشِيَ أَنْ يُسْبَق أَلاحَ بِثَوْبِهِ: أُتِيتُمْ أُتِيتُمْ**». ثُمَّ يَقُول رَسُول الله ﷺ: «**أَنَا ذَلكَ**». وَلهُ شَوَاهِد مِنْ وُجُوه أُخَر مِنْ صِحَاحٍ وَحِسَانٍ][6].

وَلله الحَمْدُ وَالمِنَّةُ، وبه الثقة والعصمة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٢).
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٩)، والنسائي (٢/ ١٦٠).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).
(٤) صحيح: تقدم.
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١).
(٦) تقديم وتأخير بالأزهرية.

تفسير سُورَةُ القَمَرِ وهي مكية

ترتيبها ٥٤ — وآياتها ٥٥

قَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث أَبِي وَاقِد: «أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ بِقاف وَاقْتَرَبَتْ السَّاعَة، فِي الأَضْحَى وَالفِطْر»[١]، وَكَانَ يَقْرَأ بِهِمَا فِي المَحَافِل الكِبَار، لاشْتِمَالِهِمَا عَلَى ذِكْر الوَعْد وَالوَعِيد، وَبَدْء الخَلْق وَإِعَادَته، وَالتَّوْحِيد وَإِثْبَات النُّبُوَّات، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ المَقَاصِد العَظِيمَة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ اقْتِرَاب السَّاعَة وَفَرَاغ الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، قَال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾. وَقَدْ وَرَدَتْ الأَحَادِيث بِذَلِكَ، قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُثَنَّى وَعَمْرو بْن عَلِيّ؛ قَالا: حَدَّثَنَا خَلَف بْن مُوسَى، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَطَبَ أَصْحَابه ذَات يَوْم، وَقَدْ كَادَتْ الشَّمْس أَنْ تَغْرُب فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا شَفّ يَسِير، فَقَال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا بَقِيَ مِنْ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إلاَّ كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ**». وَمَا نَرَى مِنْ الشَّمْس إِلَّا يَسِيرًا.[٢] **قُلت**: هَذَا حَدِيث مَدَاره عَلَى خَلَف بْن مُوسَى بْن خَلَف العَمِّيّ، عَنْ أَبِيهِ. وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْن حِبَّان فِي «الثِّقَات»، وَقَال: رُبَّمَا أَخْطَأَ.

حَدِيث آخَر يُعَضِّد الَّذِي قَبْله وَيُفَسِّرهُ، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الفَضْل بْن دُكَيْن، حَدَّثَنَا شَرِيك، حَدَّثَنَا سَلَمَة بْن كُهَيْل، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عُمَر قَال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْد النَّبِيّ ﷺ وَالشَّمْس عَلَى قُعَيْقِعَان بَعْد العَصْر فَقَال: «**مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَار مِنْ مَضَى إلاَّ كَمَا بَقِيَ مِنْ النَّهَار فِيمَا مَضَى**»[٣]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حُسَيْن، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُطَرِّف، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ سَهْل بن سَعْد قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**بُعِثْت وَالسَّاعَة هَكَذَا**». وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ: السَّبَّابَة وَالوُسْطَى.[٤] أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث أَبِي حَازِم سَلَمَة بْن دِينَار.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُبَيْد، حدثنا الأَعْمَش، عَنْ أَبِي خَالد، عَنْ وَهْب السَّوَائِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**بُعِثْت أَنَا وَالسَّاعَة كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، إِنْ كَادَتْ لتسبقها**»[٥]. وَجَمَعَ الأَعْمَش بَيْن السَّبَّابَة وَالوُسْطَى. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو المُغِيرَة، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيّ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بْن عُبَيْد الله قَال: قَدِمَ أَنَس ابْن مَالك عَلَى الوَلِيد بْن عَبْد المَلك، فَسَأَلَهُ: مَاذَا سَمِعْت مِنْ رَسُول الله ﷺ يَذْكُر بِهِ السَّاعَة؟ فَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**أَنْتُمْ وَالسَّاعَة كَهَاتَيْنِ**»[٦]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد رَحِمَهُ اللهُ وَشَاهِد ذَلِكَ أَيْضًا فِي الصَّحِيح فِي أَسْمَاء

---

(١) تـقــدم.
(٢) **حسن لغيره** : في إسناده خلف بن موسى بن خلف العمي، فيه خلاف؛ إلا أن للحديث شواهد.
(٣) **حسـن** : أخرجه أحمد (٢/ ١١٥) وسنده ضعيف فيه شريك القاضي: وهو سيء الحفظ، لكن يشهد له الحديث السابق.
(٤) **صحيح** : تـقــدم.
(٥) **إسناده ضعيف** : لكن يشهد له الحديث السابق، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٨)، وفيه أبو خالد الوالبي، قال الحافظ في «التقريب»: مقبول.
(٦) **إسناده ضعيف** : لكن يشهد له الحديث السابق. أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٣) بسند ضعيف.

رَسُول الله ﷺ : أَنَّهُ الحَاشِر الَّذِي يُحْشَر النَّاس عَلى قَدَمِهِ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا بَهْز بْن أَسَد، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن المُغِيرَة، حَدَّثَنَا حُمَيْد بْن هِلال، عَنْ خَالد بْن عُمَيْر قَال: خَطَبَ عُتْبَة بْن غَزْوَان -قَال بَهْز: وَقَال قَبْل هَذِهِ المَرَّة: خَطَبَنَا رَسُول الله ﷺ -، قَال: فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَال: «أَمَّا بَعْد، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْم وَوَلَّتْ حَذَّاء، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَة كَصُبَابَةِ الإِنَاء يَتَصَابُّهَا صَاحِبهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَار لا زَوَال لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَر يُلْقَى مِنْ شَفِير جَهَنَّم فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، مَا يُدْرِك لَهَا قَعْرًا، وَالله لَتُمْلؤنه، أَفَعَجِبْتُمْ! وَالله لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْن مِصْرَاعَيْ الجَنَّة مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْم وَهُوَ كَظِيظ مِنْ الزِّحَام»[1]. وَذَكَرَ تَمَام الحَدِيث. انْفَرَدَ بِهِ مُسْلم. وَقَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثَنِي ابْن عُلَيَّة، أَخْبَرَنَا عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن السُّلمِيّ قَال: نَزَلنَا المَدَائِن فَكُنَّا مِنْهَا عَلى فَرْسَخ، فَجَاءَتْ الجُمُعَة، فَحَضَرَ أَبِي وَحَضَرْتُ مَعَهُ، فَخَطَبَنَا حُذَيْفَة فَقَال: «أَلا إِنَّ الله يَقُول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، أَلا وَإِنَّ السَّاعَة قَدْ اقْتَرَبَتْ، أَلا وَإِنَّ القَمَر قَدْ انْشَقَّ، أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِفِرَاقٍ، أَلا وَإِنَّ اليَوْم المِضْمَار وَغَدًا السِّبَاق». فَقُلت لأَبِي: أَيَسْتَبِقُ النَّاس غَدًا؟ فَقَال: يَا بُنَيّ، إِنَّك لجَاهِل، إِنَّمَا هُوَ السِّبَاق بِالأَعْمَال. ثُمَّ جَاءَتْ الجُمُعَة الأُخْرَى فَحَضَرْنَا فَخَطَبَ حُذَيْفَة فَقَال: «أَلا إِنَّ الله ﷻ يَقُول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِفِرَاقٍ، أَلا وَإِنَّ اليَوْم المِضْمَار وَغَدًا السِّبَاق، أَلا وَإِنَّ الغَايَة النَّار، وَالسَّابِق مَنْ سَبَقَ إِلى الجَنَّة». وَقَوْله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ : قَدْ كَانَ هَذَا فِي زَمَان رَسُول الله ﷺ ، كَمَا ثبت ذَلكَ فِي الأَحَادِيث المُتَوَاتِرَة بِالأَسَانِيدِ الصَّحِيحَة. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّهُ قَال: «خَمْس قَدْ مَضَيْنَ: الرُّوم، وَالدُّخَان، وَاللِّزَام، وَالبَطْشَة، وَالقَمَر»[2]. وَهَذَا أَمْر مُتَّفَق عَلَيْهِ بَيْن العُلَمَاء: أَنَّ انْشِقَاق القَمَر قَدْ وَقَعَ فِي زَمَان النَّبِيّ ﷺ ، وَأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى المُعْجِزَات البَاهِرَات.

ذِكْرُ الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي ذَلكَ: رِوَايَة أَنَس بْن مَالك: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: سَأَل أَهْل مَكَّة النَّبِيّ ﷺ آيَة، فَانْشَقَّ القَمَر بِمَكَّة مَرَّتَيْنِ، فَقَال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ مُحَمَّد بْن رَافِع عَنْ عَبْد الرَّزَّاق. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن عَبْد الوَهَّاب، حَدَّثَنَا بِشْر بْن المُفَضَّل، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس بْن مَالك: «أَنَّ أَهْل مَكَّة سَأَلُوا رَسُول الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَة، فَأَرَاهُمْ القَمَر شِقَّيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاء بَيْنهمَا». [3] وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث يُونُس بْن مُحَمَّد المُؤَدِّب، عَنْ شَيْبَان، عَنْ قَتَادَة. وَرَوَاهُ مُسْلم أَيْضًا من حَدِيث أَبِي دَاوُد الطَّيَالسِيّ وَيَحْيَى القَطَّان وَغَيْرهمَا عَنْ شُعْبَة عَنْ قَتَادَة بِهِ.

رِوَايَة جُبَيْر بْن مُطْعِم ؓ: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن كَثِير، حدثنا سُلَيْمَان بْن كَثِير عَنْ حُصَيْن بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم، عَنْ أَبِيهِ قَال: انْشَقَّ القَمَر عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ ، فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَة عَلى هَذَا الجَبَل، وَفِرْقَة عَلى هَذَا الجَبَل، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّد. فَقَالُوا: إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لا يَسْتَطِيع أَنْ يَسْحَر النَّاس كُلّهمْ.[4] تَفَرَّدَ بِهِ الإِمَام أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه. وَأَسْنَدَهُ البَيْهَقِيّ فِي «الدَّلائِل» مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن كَثِير، عَنْ أَخِيهِ سُلَيْمَان بْن كَثِير، عَنْ حُصَيْن بْن عَبْد الرَّحْمَن. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٦٧).
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٦٧) (٤٨٢٠).
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).
(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٨)، والترمذي (٣٢٨٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي».

[فُضَيْل][1] وَغَيْره، عَنْ حُصَيْن بِهِ. وَرَوَاهُ البَيْهَقِيّ أَيْضًا مِنْ طَرِيق إِبْرَاهِيم بْن طَهْمَان وَهُشَيْم، كِلاهُمَا عَنْ حُصَيْن، عَنْ جُبَيْر ابْن مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه فَذَكَرَهُ.

رِوَايَة عَبْد الله بْن عَبَّاس رضي الله عنهما: قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن بكير، حَدَّثَنَا بَكْر، عَنْ جَعْفَر، عَنْ عِرَاك بْن مَالك، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الله بْن عُتْبَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: انْشَقَّ القَمَر فِي زَمَان رسول الله ﷺ.[2] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ أَيْضًا وَمُسْلم، مِنْ حَدِيث بَكْر بْن مُضَر، عَنْ جَعْفَر بْن رَبِيعَة، عَنْ عِرَاك، بِهِ مِثْله. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن [مُثَنَّى][3]، حَدَّثَنَا عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا دَاوُد بْن أَبِي هِنْد، عَنْ عَليّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس. قَوْله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، قَال: قَدْ مَضَى ذَلكَ، كَانَ قَبْل الهِجْرَة، انْشَقَّ القَمَر حَتَّى رَأَوْا شِقَّيْهِ. وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس نَحْو هَذَا. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد ابْن عَمْرو البَزَّار، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يَحْيَى القُطَعِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بكْر، حَدَّثَنَا ابْن جُرَيْج، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: كُسِفَ القَمَر عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ، فَقَالُوا: سُحِرَ القَمَر. فَنَزَلَتْ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إِلى قَوْله: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾.

رِوَايَة عَبْد الله بْن عُمَر: قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، وَأَبُو بَكْر أَحْمَد بْن الحَسَن القَاضِي؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاس الأَصَمّ، حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن مُحَمَّد الدَّوْرِيّ، حَدَّثَنَا وَهْب بْن جَرِير، عَنْ شُعْبَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر فِي قَوْله تَعَالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قَال: وَقَدْ كَانَ ذَلكَ عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ انْشَقَّ فِلقَتَيْنِ: فِلقَة مِنْ دُون الجَبَل، وَفِلقَة مِنْ خَلف الجَبَل، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».[4] وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ، مِنْ طُرُق عَنْ شُعْبَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ مُجَاهِد، بِهِ. قَال مُسْلم: كَرِوَايَةِ مُجَاهِد عَنْ أَبِي مَعْمَر عَنْ ابْن مَسْعُود. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

رِوَايَة عَبْد الله بْن مَسْعُود: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ أَبِي مَعْمَر، عَنْ ابْن مَسْعُود قَال: انْشَقَّ القَمَر عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ شِقَّتَيْنِ حَتَّى نَظَرُوا إِليْهِ، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**»[5]. وَهَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم، مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، بِهِ. وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث الأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ أَبِي مَعْمَر عَبْد الله بْن سَخْبَرَة، عَنْ ابْن مَسْعُود بِهِ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي عِيسَى بْن عُثْمَان بْن عِيسَى الرَّمْليّ، حَدَّثَنَا عَمِّي يَحْيَى بْن عِيسَى، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ رَجُل، عَنْ عَبْد الله قَال: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ بِمِنَى فَانْشَقَّ القَمَر، فَأَخَذَتْ فِرْقَة خَلف الجَبَل، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا، اشْهَدُوا**». قَال البُخَارِيّ: وَقَال أَبُو الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْد الله: بِمَكَّة. وَقَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالسِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة، عَنْ المُغِيرَة، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: انْشَقَّ القَمَر عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ فَقَالتْ قُرَيْش: هَذَا سِحْر ابْن أَبِي كَبْشَة. قَال: فَقَالُوا: انْظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَار، فَإِنَّ مُحَمَّدًا لا يَسْتَطِيع أَنْ يَسْحَر النَّاس كُلّهمْ. قَال: فَجَاءَ السُّفَار فَقَالُوا ذَلكَ. وَقَال البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، أَخْبَرَنَا أَبُو العَبَّاس مُحَمَّد بْن يَعْقُوب، حَدَّثَنَا العَبَّاس ابْن مُحَمَّد الدَّوْرِيّ، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سُليْمَان، حَدَّثَنَا هشيم، حَدَّثَنَا مُغِيرَة، عَنْ أَبِى الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ

---

(١) في الأزهرية: [الفضل].
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٢٨٠٣).
(٣) في الأزهرية: [عسى].
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٠١)، والترمذي (٣٢٨٤).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠).

عَبْد الله قَال: انْشَقَّ القَمَر بِمَكَّة حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَقَال كُفَّار قُرَيْش أَهْل مَكَّة: هَذَا سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ ابْن أَبِي كَبْشَة، انْظُرُوا السِّفَار، فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُم فَقَدْ صَدَق، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مِثْل مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْر سَحَرَكُمْ بِهِ. قَال: فَسُئِل السِّفَار، قَال وَقَدِمُوا مِنْ كُلّ وَجِهَة، فَقَالُوا: رَأَيْنَا. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث المُغِيرَة، بِهِ. وَزَادَ: فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا [ابْن عُلَيَّة][(١)]، أَخْبَرَنَا أَيُّوب، عَنْ مُحَمَّد -هُوَ ابْن سِيرِينَ- قَال: نُبِّئْت أَنَّ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه كَانَ يَقُول: لَقَدْ انْشَقَّ القَمَر.

وَقَال ابْن جَرِير أَيْضًا: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عُمَارَة، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن حَمَّاد، حَدَّثَنَا أَسْبَاط، عَنْ سِمَاك، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ الأَسْوَد، عَنْ عَبْد الله قَال: لَقَدْ رَأَيْت الجَبَل مِنْ فَرْج القَمَر حِين انْشَقَّ. وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ مُؤَمِّل عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ الأَسْوَد، عَنْ عَبْد الله قَال: انْشَقَّ القَمَر عَلَى عَهْد رَسُول الله ﷺ حَتَّى رَأَيْت الجَبَل مِنْ بَيْن فُرْجَتَيْ القَمَر. وَقَال لَيْث، عَنْ مُجَاهِد: انْشَقَّ القَمَر عَلَى عَهْد رَسُول الله ﷺ، فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ لأَبِي بَكْر: «اشْهَدْ يَا أَبَا بَكْر». فَقَال المُشْرِكُونَ: سُحِرَ القَمَر حَتَّى انْشَقَّ.[(٢)] وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً﴾ أَيْ: دَلِيلًا وَحُجَّة وَبُرْهَانًا ﴿يُعْرِضُواْ﴾ أَيْ: لا يَنْقَادُون لَهُ، بَل يُعْرِضُونَ عَنْهُ وَيَتْرُكُونَهُ وَرَاء ظُهُورهِمْ، ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أَيْ: وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي شاهدنا مِنْ الحُجَج، سِحْر سَحَرَنَا بِهِ. وَمَعْنَى: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ أَيْ: ذَاهِب قَالَهُ مُجَاهِد وَقَتَادَة وَغَيْرهمَا. أَيْ: بَاطِل مُضْمَحِلّ لا دَوَام لَهُ. ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ﴾، أَيْ: كَذَّبُوا بِالحَقّ إِذْ جَاءَهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَتْهُمْ بِهِ آرَاؤُهُمْ وَأَهْوَاؤُهُمْ مِنْ جَهْلهمْ وَسَخَافَة عَقْلهمْ.

وَقَوْله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قَال قَتَادَة: مَعْنَاهُ أَنَّ الخَيْر وَاقِع بِأَهْل الخَيْر، وَالشَّرّ وَاقِع بِأَهْل الشَّرّ. وَقَال ابْن جُرَيْج: مُسْتَقِرّ بِأَهْلِهِ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ أَيْ: وَاقِع. وَقَوْله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أَيْ: مِنْ الأَخْبَار عَنْ قَصَص الأُمَم المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُل، وَمَا حَلّ بِهِمْ مِنْ العِقَاب وَالنَّكَال وَالعَذَاب، مِمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ فِي هَذَا القُرْآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أَيْ: مَا فِيهِ وَاعِظ لَهُمْ عَنْ الشِّرْك وَالتَّمَادِي عَلَى التَّكْذِيب. وَقَوْله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ﴾ أَيْ: فِي هِدَايَته تَعَالَى لِمَنْ هَدَاهُ وَإِضْلاله لِمَنْ أَضَلَّهُ، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يَعْنِي: أَيّ شَيْء تُغْنِي النُّذُر عَمَّنْ كَتَبَ الله عَلَيْهِ الشَّقَاوَة، وَخَتَمَ عَلَى قَلْبه؟ فَمَنْ الَّذِي يَهْدِيه مِنْ بَعْد الله؟ وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وكذلك قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

يَقُول تَعَالَى: فَتَوَلَّ يَا مُحَمَّد عَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَة يعرضون وَيَقُولُون: هَذَا سِحْر مُسْتَمِرّ، أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْهُمْ ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ أَيْ: إِلَى شَيْء مُنْكَر فَظِيع، وَهُوَ مَوْقِف الحِسَاب، وَمَا فِيهِ مِنْ البَلاء وَالزَّلازِل وَالأَهْوَال، ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أَيْ: ذَلِيلَةً أَبْصَارُهُمْ، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وَهِيَ القُبُور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أَيْ: كَأَنَّهُمْ فِي انْتِشَارهمْ وَسُرْعَة سَيْرهمْ إِلَى مَوْقِف الحِسَاب إِجَابَةً لِلدَّاعِي ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ فِي الآفَاق، ولهذا قال: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أَيْ: مُسْرِعِينَ ﴿إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ لا يُخَالِفُونَ وَلا يَتَأَخَّرُونَ. ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أَيْ: يَوْم شَدِيد الهَوْل عَبُوسٌ قَمْطَرِير، ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

---

(١) في الأزهرية: [أبو علية].

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٧/ ٨٢) بسند ضعيف.

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قَبْل قَوْمك يَا مُحَمَّد ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أَيْ: صَرَّحُوا لهُ بِالتَّكْذِيبِ، وَاتَّهَمُوهُ بِالجُنُونِ، ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ قَال مُجَاهِد: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أَيْ: اسْتُطِيرَ جُنُونًا. وَقِيل: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أَيْ: انْتَهَرُوهُ وَزَجَرُوهُ وَأَوْعَدُوهُ؛ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ قَالهُ ابْن زَيْد، وَهَذَا مُتَوَجِّه حَسَن. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ أَيْ: إِنِّي ضَعِيف عَنْ هَؤُلاءِ وَعَنْ مُقَاوَمَتهمْ ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أَنْتَ لدِينِك. قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾. قَال السُّدِّيّ: وَهُوَ الكَثِير. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أَيْ: نَبعَتْ جَمِيع أَرْجَاء الأَرْض، حَتَّى التَّنَانِير الَّتِي هِيَ مَحَالّ النِّيرَان نَبعَتْ عُيُونًا، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أَيْ: مِنْ السَّمَاء وَمن الأَرْض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أَيْ: أَمْر مُقَدَّر.

قَال ابْن جُرَيْج عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ كَثِير، لمْ تُمْطِر السَّمَاء قَبْل ذَلكَ اليَوْم وَلا بَعْده، ولا مِنْ السَّحَاب، فُتِحَتْ أَبْوَاب السَّمَاء بِالمَاءِ مِنْ غَيْر سَحَاب ذَلكَ اليَوْم، فَالتَقَى المَاءَانِ عَلى أَمْر قَدْ قُدِرَ. وَرَوَى ابْن أَبِي حَاتِم أَنَّ ابْن الكَوَّاء سَأَل عَليًّا عَنْ المَجَرَّة؟ فَقَال: هِيَ شَرْج السَّمَاء، وَمِنْهَا فُتِحَتْ السَّمَاء بِمَاءٍ مُنْهَمِر. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالقُرَظِيّ، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد: هِيَ المَسَامِير. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، قَال: وَوَاحِدهَا دِسَار، وَيُقَال: دُسَيْر، كَمَا يُقَال: حُبَيْك وَحِبَاك، وَالجَمْع حُبُك. وَقَال مُجَاهِد: الدُّسُر: أَضْلاع السَّفِينَة. وَقَال عِكْرِمَة وَالحَسَن: هُوَ صَدْرهَا الَّذِي تضرب بِهِ المَوْج. وَقَال الضَّحَّاك: الدُّسُر: طَرَفَاهَا وَأَصْلهَا. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ كَلكَلُهَا. وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أَيْ: بِأَمْرِنَا بِمَرْأًى مِنَّا وَتَحْت حِفْظِنَا وَكِلاءَتنَا؛ ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ أَيْ: جَزَاء لهُمْ عَلى كُفْرهمْ بالله وَانْتِصَارًا لنُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قَال قَتَادَة: أَبْقَى الله سَفِينَة نُوح حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَّل هَذِهِ الأُمَّة. وَالظَّاهِر أَنَّ المُرَاد مِنْ ذَلكَ جِنْس السُّفُن، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾. وَقَال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾. وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ أَيْ: فَهَل مَنْ يَتَذَكَّر وَيَتَّعِظ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَجَّاج، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ الأَسْوَد عَنْ ابْن مَسْعُود قَال: أَقْرَأَنِي رَسُول الله ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن؛ (مدّكر)، أو (مذّكر)؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ: (مدّكر). وَهَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ الأَسْوَد بْن يَزِيد، عَنْ عَبْد الله قَال: قَرَأْت عَلى النَّبِيّ ﷺ: (فهل من مُذّكر). فقال النَّبِيّ ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.[1] وَرَوَى البُخَارِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ الأَسْوَد، عَنْ عَبْد الله قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. وَقَال: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا زُهَيْر، عَنْ أَبِي إِسْحَاق: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يسأل الأَسْوَد: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾، أَوْ: (مُذَّكِر)؟ قَال: سَمِعْت عَبْد الله يَقْرَأ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾. وَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقْرَؤُهَا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ دالاً. وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلم هَذَا الحَدِيث وَأَهْل السُّنَن إِلَّا ابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث أَبِي إِسْحَاق.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، أَيْ: كَيْف كَانَ عَذَابِي لمَنْ كَفَرَ بِي وَكَذَّبَ رُسُلي وَلمْ يَتَّعِظْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ نُذُرِي، وَكَيْف انْتَصَرْت لهُمْ، وَأَخَذْت لهُمْ بِالثَّأْرِ؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أَيْ: سَهَّلنَا لفْظَهُ، وَيَسَّرْنَا مَعْنَاهُ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٧٢) (٤٨٧٤)، ومسلم (٨٢٣)، وأحمد (١/ ٣٩٥).

لِمَنْ أَرَادَهُ، لِيَتَذَكَّرَ النَّاسُ. كَمَا قَالَ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. وَقَال تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾. قَال مُجَاهِد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ يَعْنِي: هَوَّنَّا قِرَاءَتَهُ. وَقَال السُّدِّيّ: يَسَّرْنَا تِلاوَته عَلى الأَلْسُن. وَقَال الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: لوْلا أَنَّ الله يَسَّرَهُ عَلى لسَان الآدَمِيِّينَ، مَا اسْتَطَاعَ أَحَد مِنْ الخَلق أَنْ يَتكَلَّم بِكَلامِ الله ﷻ. قُلت: وَمِنْ تَيْسِيره تَعَالى عَلى النَّاس تِلاوَة القُرْآن مَا تَقَدَّمَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إنَّ هَذَا القُرآن أُنْزِل على سَبْعَة أَحْرُف**»[1]. وَأَوْرَدْنَا الحَدِيث بِطُرُقِهِ وَأَلفَاظه بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، ولله الحَمْد وَالمِنَّة. وَقَوْله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أَيْ: فَهَل مِنْ مُتَذَكِّر بِهَذَا القُرْآن الَّذِي قَدْ يَسَّرَ الله حِفْظَهُ وَمَعْنَاهُ؟ وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ: فَهَل مِنْ مُنْزَجِر عَنْ المَعَاصِي؟

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن رَافِع، حَدَّثَنَا ضَمْرَة، عَنْ ابْن شَوْذَب، عَنْ مَطَر -هُوَ الوَرَّاق- فِي قَوْله تَعَالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ هَل مِنْ طَالب عِلم فَيُعَان عَلَيْهِ؟ وَكَذَا عَلَّقَهُ البُخَارِيّ بِصِيغَةِ الجَزْم عَنْ مَطَر الوَرَّاق. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَة مِثْله.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ عَاد قَوْم هُود: إِنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولهُمْ أَيْضًا، كَمَا صَنَعَ قَوْم نُوح، وَأَنَّهُ تَعَالى أَرْسَل: ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وَهِيَ البَارِدَة الشَّدِيدَة البَرْد ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أَيْ: عَليْهِمْ. قَالهُ الضَّحَّاك، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ عَليْهِمْ نَحْسُهُ وَدَمَاره، لأَنَّهُ يَوْم اتَّصَل فِيهِ عَذَابهمْ الدُّنْيَوِيّ بِالأُخْرَوِيِّ.

وقوله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وهَذَا إِخْبَار عَنْ ثَمُود أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولهمْ صَالحًا، ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾، يَقُولُونَ: لقَدْ خِبْنَا وَخسِرْنَا إِنْ سَلَّمْنَا كُلّنَا قِيَادَنَا لوَاحِدٍ مِنَّا! ثُمَّ تَعَجَّبُوا مِنْ إِلقَاء الوَحْي عَليْهِ خَاصَّة مِنْ دُونهمْ، ثُمَّ رَمَوْهُ بِالكَذِب، فَقَالُوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾، أَيْ: مُتَجَاوِز فِي حَدّ الكَذِب. قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ هَذَا تَهْدِيد لهُمْ شَدِيد وَوَعِيد أَكِيد. ثم قَال تَعَالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أَيْ: اخْتِبَارًا لهُمْ، أَخْرَجَ الله لهُمْ نَاقَة عَظِيمَة عُشَرَاء مِنْ صَخْرَة صَمَّاء طِبْق مَا سَأَلُوا، لتكُونَ حُجَّة الله عَليْهِمْ فِي تَصْدِيق صَالح عَلَيْهِ السَّلَام فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ. ثُمَّ قَال آمِرًا لعَبْدِهِ وَرَسُوله صَالح: ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾، أَيْ: انْتَظِرْ مَا يَؤُولُ إِليْهِ أَمْرهمْ، وَاصْبِرْ عَليْهِمْ، فَإِنَّ العَاقِبَة لك وَالنَّصْر فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: يَوْم لهُمْ وَيَوْم للنَّاقَةِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

وَقَوْله: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾. قَال مُجَاهِد: إِذَا غَابَتْ حَضَرُوا المَاء، وَإِذَا جَاءَتْ حَضَرُوا اللَّبَن. ثم قال تعالى:

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٩١)، ومسلم (٨١٩).

﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾. قَال المُفَسِّرُونَ: هُوَ عَاقِرِ النَّاقَة، وَاسْمه قِدَار بْن سَالف، وَكَانَ أَشْقَى قَوْمه؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾، ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أَيْ: فجسرَ، ﴿فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أَيْ: فَعَاقَبْتهمْ فَكَيْف كَانَ عِقَابِي لَهُمْ عَلى كُفْرهمْ بِي وَتَكْذِيبهمْ رَسُولِي؟ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ أَيْ: فَبَادُوا عَنْ آخِرهمْ لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَة، وَخَمَدُوا وَهَمَدُوا كَمَا يَهْمَد يَبِيس الزَّرْع وَالنَّبَات. قَالَهُ غَيْر وَاحِد مِنْ المُفَسِّرِينَ. وَالمُحْتَظِر قَال السُّدِّيّ: هُوَ المَرْعَى بِالصَّحْرَاءِ حِين ييبس وتحرَّق ونفسته الرِّيح. وَقَال ابْن زَيْد: كَانَتْ العَرَب يَجْعَلُونَ حِظَارًا عَلى الإِبِل وَالمَوَاشِي مِنْ يَبِيس الشَّوْك، فَهُوَ المُرَاد مِنْ قَوْله: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: هَشِيم المُحْتَظِر: هُوَ التُّرَاب المُتَنَاثِر مِنْ الحَائِط. وَهَذَا قَوْل غَرِيب، وَالأَوَّل أَقْوَى، وَالله أَعْلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ قَوْم لُوط كَيْف كَذَّبُوا رَسُولهمْ وَخَالفُوهُ، وَارْتَكَبُوا المَكْرُوه مِنْ إِتْيَان الذُّكُور، وَهِيَ الفَاحِشَة الَّتِي لمْ يَسْبِقهُمْ بِهَا أَحَد مِنْ العَالمِينَ. وَلهَذَا أَهْلكَهُمْ الله هَلاكًا لمْ يُهْلكْهُ أُمَّة مِنْ الأُمَم. فَإِنَّهُ تَعَالى أَمَرَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فحمل مَدَائِنهمْ حَتَّى وَصَل بِهَا إِلى عَنَان السَّمَاء، ثُمَّ قَلبهَا عليهم وَأَرْسَلهَا، وَأُتْبِعَتْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وَهِيَ: الحِجَارَة، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ أَيْ: خَرَجُوا مِنْ آخِر اللَّيْل فَنَجَوْا مِمَّا أَصَابَ قَوْمهمْ، وَلمْ يُؤْمِن بِلُوطٍ مِنْ قَوْمه أَحَد وَلا رَجُل وَاحِد، حَتَّى وَلا امْرَأَته، أَصَابَهَا مَا أَصَابَ قَوْمهَا، وَخَرَجَ نَبِيّ الله لُوط وَبَنَات لهُ مِنْ بَيْن أَظْهُرهِمْ سَالمًا لمْ يَمْسَسْهُ سُوء.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أَيْ: وَلقَدْ كَانَ قَبْل حُلُول العَذَاب بِهِمْ قَدْ أَنْذَرَهُمْ بَأْس الله وَعَذَابه، فَمَا التَفَتُوا إِلى ذَلكَ، وَلا أَصْغَوْا إِليْهِ، بَل شَكُّوا فِيهِ وَتَمَارَوْا بِهِ، ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ وذَلكَ ليْلةَ وَرَدَ عَليْهِ المَلائِكَة: جِبْرِيل، وَمِيكَائِيل، وَإِسْرَافِيل فِي صورة شَبَاب مُرْدٍ حِسَان مِحْنَة مِنْ الله بِهِمْ، فَأَضَافَهُمْ لُوط [وَبَعَثَتْ امْرَأَته العَجُوز السُّوء إِلى قَوْمهَا، فَأَعْلمَتْهُمْ بِأَضْيَافِ لُوط][1]، فَأَقْبَلُوا يُهْرَعُونَ إِليْهِ مِنْ كُلّ مَكَان، فَأَغْلقَ لُوط دُونهمْ البَاب، فَجَعَلُوا يُحَاوِلُونَ كَسْر البَاب، وَذَلكَ عَشِيَّةً، وَلُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُدَافِعهُمْ وَيُمَانِعهُمْ دُون أَضْيَافه، وَيَقُول لهُمْ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ يَعْنِي: نِسَاءَهُمْ ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾، ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أَيْ: ليْسَ لنَا فِيهِنَّ أَرَبٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ فَلمَّا اشْتَدَّ الحَال وَأَبَوْا إِلَّا الدُّخُول، خَرَجَ عَليْهِمْ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَرَبَ أَعْيُنهمْ بِطَرَفِ جَنَاحه، فَانْطَمَسَتْ أَعْيُنهمْ. يُقَال: إِنَّهَا غَارَتْ مِنْ وُجُوههمْ. وَقِيل: إِنَّهُ لمْ تَبْقَ لهُمْ عُيُون بِالكُلِّيَّةِ، فَرَجَعُوا عَلى أَدْبَارهمْ يَتَحَسَّسُونَ بِالحِيطَانِ، وَيَتَوَعَّدُونَ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلى الصَّبَاح. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾، أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ٤٢ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ٤٤ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْن وَقَوْمه أَنهم جَاءَهُمْ رَسُول الله مُوسَى وَأَخُوهُ هَارُون بِالبِشَارَةِ إِنْ آمَنُوا، وَالنِّذَارَة إِنْ كَفَرُوا، وَأَيَّدَهُمَا بِمُعْجِزَاتٍ عَظِيمَة وَآيَات مُتَعَدِّدَة، فَكَذَّبُوا بِهَا كُلّهَا، فَأَخَذَهُمْ الله أَخْذ عَزِيز مُقْتَدِر، أَيْ: فَأَبَادَهُمْ الله وَلمْ يُبْقِ مِنْهُمْ مُخْبِرًا وَلا عَيْنًا وَلا أَثَرًا. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أَيْ: أَيّهَا المُشْرِكُونَ مِنْ كُفَّار

---

(١) سقط من الأزهرية.

قُرَيْش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يَعْنِي مِنَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرهمْ مِمَّنْ أُهْلكُوا بِسَبَبِ تَكْذِيبهمْ الرُّسُل، وَكُفْرهمْ بِالكُتُبِ: أَأَنْتُمْ خَيْر مِنْ أولئك؟ ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أَيْ: أَمْ مَعَكُمْ مِنْ الله بَرَاءَة أَنْ لا يَنالكُمْ عَذَاب وَلا نَكَال؟ ثم قال تَعَالى مُخْبرًا عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أَيْ: يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ مناصرون بَعْضهمْ بَعْضًا، وَأَنَّ جَمْعَهُمْ يُغْنِي عَنْهُمْ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، قال الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أَيْ: سَيَتَفَرَّقُ شَمْلهمْ وَيُغْلَبُونَ.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إِسْحَاق، حَدَّثَنَا خَالد، عَنْ خَالد. وَقَال أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد حدثنا عَفَّان بن مسلم عَنْ وُهَيْب عَنْ خَالد، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال -وَهُوَ فِي قُبَّة لهُ يَوْم بَدْر-: «**أَنْشُدُك عَهْدَك وَوَعْدَك، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْت لمْ تُعْبَدْ بَعْد اليَوْم أَبَدًا**». فَأَخَذَ أَبُو بَكْر ﷺ بِيَدِهِ، وَقَال: حَسْبُك يَا رَسُول الله، أَلْحَحْت عَلى رَبّك. فَخَرَجَ وَهُوَ يَثِب فِي الدِّرْع، وَهُوَ يَقُول: «﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾»[1]. وَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي غَيْر مَوْضِع، مِنْ حَدِيث خَالد -وَهُوَ ابْن مِهْرَان الحَذَّاء- بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيع الزَّهْرَانِيّ، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ أَيُّوب، عَنْ عِكْرِمَة قَال: لَمَّا نَزَلتْ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قَال عُمَر: أَيّ جَمْع يُهْزَم؟ أَيّ جَمْع يُغْلب؟ قَال عُمَر: فَلَمَّا كَانَ يَوْم بَدْر رَأَيْت رَسُول الله ﷺ يَثِب فِي الدِّرْع، وَهُوَ يَقُول: «﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾» فَعَرَفْت تَأْوِيلهَا يَوْمَئِذٍ.[2]

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا هِشَام بْن يُوسُف؛ أَنَّ ابْن جُرَيْج أَخْبَرَهُمْ، أَخْبَرَنِي يُوسُف ابْن مَاهَك قَال: إِنِّي عِنْد عَائِشَة أُمّ المُؤْمِنِينَ، قَالتْ: نَزَل عَلى مُحَمَّد ﷺ بِمَكَّة وَإِنِّي لجَارِيَةٌ أَلعَب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[3] هَكَذَا رَوَاهُ هَهُنَا مُخْتَصَرًا، وَرَوَاهُ فِي فَضَائِل القُرْآن مُطَوَّلًا. وَلمْ يُخْرِجْهُ مُسْلم.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾.

يُخْبِرُ تَعَالى عَنْ المُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ فِي ضَلال عَنْ الحَقّ، وَسُعُر مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ الشُّكُوك وَالاضْطِرَاب فِي الآرَاء، وَهَذَا يَشْمَل كُلّ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلكَ مِنْ كَافِر وَمُبْتَدِع مِنْ سَائِر الفِرَق. ثم قال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أَيْ: كَمَا كَانُوا فِي سُعُر وَشَكّ وَتَرَدُّد أَوْرَثَهُمْ ذَلكَ النَّار، وَكَمَا كَانُوا ضُلَّالًا سحبوا فِيهَا عَلى وُجُوههمْ، لا يَدْرُون أَيْنَ يَذْهَبُونَ، وَيُقَال لهُمْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾. وَقَوْله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ وَكَقَوْلِهِ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أَيْ: قَدَّرَ قَدَرًا، وَهَدَى الخَلائِق إِليْهِ. وَلهَذَا يَسْتَدِلّ بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة أَئِمَّة السُّنَّة عَلى إِثْبَات قَدَر الله السَّابِق لخَلقِهِ، وَهُوَ عِلمه الأَشْيَاء قَبْل كَوْنهَا، وَكِتَابَته لهَا قَبْل بَرْئِهَا، وَرَدُّوا بِهَذِهِ الآيَة وَبِمَا شَاكَلهَا مِنْ الآيَات، وَمَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنْ الأَحَادِيث الثَّابِتَات عَلى الفِرْقَة القَدَرِيَّة الَّذِينَ نَبَغُوا فِي أَوَاخِر عَصْر الصَّحَابَة، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلى هَذَا المَقَام مُفَصَّلًا، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ الأَحَادِيث فِي شَرْح «كِتَاب الإِيمَان» مِنْ «صَحِيح البُخَارِيّ» رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلنَذْكُرْ هَهُنَا الأَحَادِيث المُتَعَلِّقَة بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة.

قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ زِيَاد بْن إِسْمَاعِيل السَّهْمِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبَّاد بْن جَعْفَر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْش إِلى النَّبِيّ ﷺ يُخَاصِمُونَهُ فِي القَدَر، فَنَزَلتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٧٧).
(٢) إسناده ضعيف : أخرجه الطبري (٢٧/ ١٠٨) بسند ضعيف.
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[١]. وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث وَكِيع عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ بِهِ.

وَقَال البَزَّار: حَدَّثَنَا عَمْرو بن عَلي، حَدَّثَنَا الضَّحَّاك بْن مَخْلد، حَدَّثَنَا يُونُس بْن الحَارِث، عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه قَال: مَا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَات: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ إِلَّا فِي أَهْل القَدَر.[٢]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَهْل بْن صَالح الأَنْطَاكِيّ، حَدَّثَنِي قُرَّة بْن حَبِيب عَنْ كِنَانَة، حَدَّثَنِا جَرِير بْن حَازِم، عَنْ سَعِيد بْن عَمْرو بْن جَعْدَة، عَنْ ابْن زُرَارَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾. قَال: «**نَزَلتْ فِي أُنَاس مِنْ أُمَّتِي يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَان، يُكَذِّبُونَ بِقَدَرِ الله**».[٣]

وَحَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَرَفَة، حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن شُجَاع الجَزَرِيّ، عَنْ عَبْد المَلك بْن جُرَيْج، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح قَال: أَتَيْت ابْن عَبَّاس، وَهُوَ يَنْزع مِنْ زَمْزَم، وَقَدْ ابْتَلَّتْ أَسَافِل ثِيَابه، فَقُلت لهُ: قَدْ تُكُلِّمَ فِي القَدَر. فَقَال: أَوَ فَعَلُوهَا؟ قُلت: نَعَمْ. قَال: فَوَالله مَا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة إِلَّا فِيهِمْ: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾، أُولئِكَ شِرَار هَذِهِ الأُمَّة، فَلا تَعُودُوا مَرَضَاهُمْ، وَلا تُصَلُّوا عَلى مَوْتَاهُمْ، إِنْ رَأَيْت أَحَدًا مِنْهُمْ فَقَأْت عَيْنَيْهِ بِأُصْبُعَيَّ هَاتَيْنِ. وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد مِنْ وَجْه آخر وَفِيهِ مَرْفُوع، فَقَال: حَدَّثَنَا أَبُو المُغِيرَة، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيّ، عَنْ بَعْض إِخْوَته عَنْ مُحَمَّد بْن عُبَيْد المَكِّيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَبَّاس قَال: قِيل لهُ: إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَليْنَا يُكَذِّب بِالقَدَر. فَقَال: دُلُّونِي عَليْهِ -وَهُوَ أَعْمَى- قَالُوا: وَمَا تَصْنَع بِهِ يَا أَبَا عَبَّاس. قَال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لئِنْ اسْتَمْكَنْت مِنْهُ لأَعُضَّنَّ أَنْفَهُ حَتَّى أَقْطَعَهُ، وَلئِنْ وَقَعَتْ رَقَبَته فِي يَدِي لأَدُقَّنَّهَا، فَإِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «كَأَنِّي بِنِسَاءِ بَنِي فِهْر يَطُفْنَ بِالخَزْرَج، تَصْطَفِق أَلْيَاتهُنَّ مُشْرِكَاتٍ، هَذَا أَوَّل شِرْك هَذِهِ الأُمَّة، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْتَهِيَنَّ بِهِمْ سُوء رَأْيهمْ حَتَّى يُخْرِجُوا الله مِنْ أَنْ يَكُون قَدَّرَ خَيْرًا، كَمَا أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يَكُون قَدَّرَ شَرًّا»[٤]. ثُمَّ رَوَاهُ أَحْمَد عَنْ أَبِي المُغِيرَة، عَنْ الأَوْزَاعِيّ، عَنْ العَلاء بْن الحَجَّاج، عَنْ مُحَمَّد بْن عُبَيْد، فَذَكَرَ مِثْله. لمْ يُخْرِجُوهُ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن يَزِيد، حَدَّثَنَا سَعِيد بن أَبِي أَيُّوب، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْر، عَنْ نَافِع قَال: كَانَ لابْنِ عُمَر صَدِيق مِنْ أَهْل الشَّام يُكَاتِبهُ، فَكَتَبَ إِليْهِ عَبْد الله بْن عُمَر: إِنَّهُ بَلغَنِي أَنَّك تَكَلَّمْت فِي شَيْء مِنْ القَدَر، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِليَّ، فَإِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَام يُكَذِّبُونَ بِالقَدَرِ**»[٥]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ أَحْمَد بْن حَنْبَل، بِهِ.

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَنَس بْن عِيَاض، حَدَّثَنَا عُمَر بْن عَبْد الله مَوْلى غَفْرَة، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**لِكُلِّ أُمَّة مَجُوس، وَمَجُوس أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: لا قَدَر. إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ**»[٦]. لمْ يُخْرِجهُ أَحَد مِنْ أَصْحَاب الكُتُب السِّتَّة مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا رِشْدِين، عَنْ أَبِي صَخْر حُمَيْد بْن زِيَاد، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّة مَسْخ، أَلا وَذَاكَ**

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٦٥٦)، وأحمد (٢/ ٤٤٤).
(٢) **حسن لغيره** : في سنده الحارث: فيه كلام، ولكن تشهد له الرواية السابقة.
(٣) **صحيح** : أخرجه الطبراني (٥/ ٢٧٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٩).
(٤) **ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠)، وسنده ضعيف، فيه جهالة بعض إخوة الأوزاعي.
(٥) **حسن** : أخرجه أبو داود (٤٧١٠)، وأحمد (٢/ ٩٠)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود».
(٦) **حسن** : أخرجه أحمد (٢/ ٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٣٩).

فِي المُكَذِّبِينَ بِالقَدَرِ وَالزِّنْدِيقِيَّة»[١]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث أَبِي صَخْر حُمَيْد بْن زِيَاد، بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح غَرِيب.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن الطَّبَّاع، أَخْبَرَنِي مَالك، عَنْ زِيَاد بْن سَعْد، عَنْ عَمْرو بْن مُسْلم، عَنْ طَاوُس اليَمَانِي قَال: سَمِعْت ابْن عُمَر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**كُلّ شَيْء بِقَدَرٍ، حَتَّى العَجْز وَالكَيْس**»[٢]. وَرَوَاهُ مُسْلم مُنْفَرِدًا بِهِ، مِنْ حَدِيث مَالك. وَفِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**اسْتَعِنْ بِالله وَلا تَعْجزْ، فَإِنْ أَصَابَك أَمْر فَقُل: قَدَّرَ الله وَمَا شَاءَ فَعَل، وَلا تَقُل: لَوْ أَنِّي فَعَلت لكَانَ كَذَا. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَح عَمَلَ الشَّيْطَان**»[٣]. وَفِي حَدِيث ابْن عَبَّاس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لَهُ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّة لَوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَكْتُبْهُ الله لَك، لَمْ يَنْفَعُوك. وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَكْتُبْهُ الله عَلَيْك، لَمْ يَضُرُّوك. جَفَّتْ الأَقْلام وَطُوِيَتْ الصُّحُف**»[٤].

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن سِوَار، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ مُعَاوِيَة، عَنْ أَيُّوب بْن زِيَاد، حَدَّثَنِي عُبَادَة بْن الوَلِيد بْن عُبَادَة، حَدَّثَنِي أَبِي قَال: دَخَلت عَلى عبادة وَهُوَ مَرِيض أَتَخَايَل فِيهِ المَوْت، فَقُلت: يَا أَبَتَاهُ، أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَال: أَجْلِسُونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَال: يَا بَنِي، إِنَّك لَم تَطْعَمْ طَعْم الإِيمَان، وَلَمْ تَبْلُغْ حَقّ حَقِيقَة العِلم بِالله، حَتَّى تُؤْمِن بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قُلت: يَا أَبَتَاهُ، وَكَيْف لِي أَنْ أَعْلم مَا خَيْر القَدَر وَشَرُّهُ؟ قَال: تَعْلم أَنَّ مَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك. يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ الله القَلَم. ثُمَّ قَال لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلك السَّاعَة بِمَا هُوَ كَائِن إِلى يَوْم القِيَامَة**». يَا بُنَيَّ، إِنْ مُتّ وَلسْت عَلى ذَلكَ دَخَلت النَّار.[٥] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ يَحْيَى بْن مُوسَى البَلخِيّ، عَنْ أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ عَبْد الوَاحِد بْن سُلَيْم، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، عَنْ الوَلِيد بْن عُبَادَة، عَنْ أَبِيهِ. وَقَال: حَسَن صَحِيح غَرِيب. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ رِبْعِيّ بْن خِرَاش، عَنْ رَجُل، عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**لا يُؤْمِن عبد حَتَّى يُؤْمِن بِأَرْبَعٍ: يَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُول الله، بَعَثَنِي بِالحَقّ، وَيُؤْمِن بِالموت، وَيؤمن بِالبَعْثِ بَعْد المَوْت، وَيُؤْمِن بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّه**»[٦]. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث النَّضْر بْن شُمَيْل، عَنْ شُعْبَة، عَنْ مَنْصُور، بِهِ. وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيث أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ شُعْبَة، عَنْ مَنْصُور، عَنْ رِبْعِيّ، عَنْ عَلِيّ فَذَكَرَهُ. وَقَال: هَذَا عِنْدِي أَصَحّ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث شَرِيك، عَنْ مَنْصُور، عَنْ رِبْعِيّ، عَنْ عَلِيّ بِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي «صَحِيح مُسْلم»، مِنْ رِوَايَة عَبْد الله بْن وَهْب وَغَيْره، عَنْ أَبِي هَانِئٍ الخَوْلانِيّ، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن الحُبُلِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ الله كَتَبَ مَقَادِير الخلائق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَوَات وَالأَرْض بِخَمْسِينَ أَلف سَنَةٍ**». زَادَ ابْن وَهْب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.[٧] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَقَال: حَسَن صَحِيح غَرِيب. وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ وَهُوَ إِخْبَار عَنْ نُفُوذ مَشِيئَتِهِ فِي خَلقه كَمَا أَخْبَرَ بِنُفُوذِ قَدَرِهِ

---

(١) حسن : أخرجه الترمذي (٢١٥٣) (٢١٥٤)، وابن ماجه (٤٠٦١)، وأحمد (٢/ ١٠٨)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن النسائي».

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) صحيح : تقدم.

(٥) صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، والترمذي (٢١٥٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي».

(٦) صحيح : أخرجه الترمذي (٢١٤٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي».

(٧) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

فِيهِمْ، فَقَال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إِنَّمَا نَأْمُر بِالشَّيْءِ مَرَّة وَاحِدَة، لا نَحْتَاج إِلى تَأْكِيد بِثَانِيَةٍ، فَيَكُون ذَلِكَ الَّذِي نَأْمُر بِهِ حَاصِلًا مَوْجُودًا، كَلَمْحِ البَصَر، لا يَتَأَخَّر طَرْفَة عَيْن، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَال بَعْض الشُّعَرَاء:

إِذَا مَــــا أَرَادَ الله أَمْــــرًا فَإِنَّمَــــا ۞ يَقُــول لَــهُ كُــنْ قَوْلَــةً فَيَكُــونُ

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ يَعْنِي: أَمْثَالكُمْ وَسَلفَكُمْ مِنْ الأُمَم السالفة المُكَذِّبِينَ بِالرُّسُل، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أَيْ: فَهَل مِنْ مُتَّعِظ بِمَا أَخْزَى الله أُولئِكَ، وَقَدَّرَ لَهُمْ مِنْ العَذَاب. كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾. وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أَيْ: مَكْتُوب عَلَيْهِمْ فِي الكُتُب الَّتِي بِأَيْدِي المَلائِكَة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ أَيْ: مِنْ أَعْمَالهمْ ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ أَيْ: مَجْمُوع عَلَيْهِمْ وَمُسَطَّر فِي صَحَائِفِهِمْ، لا يُغَادِر صَغِيرَة وَلا كَبِيرَة إِلَّا أَحْصَاهَا. وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن مُسْلم بن بَانَك: سَمِعْت عَامِر بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، حَدَّثَنِي عَوْف بْن الحَارِث -وَهُوَ ابْن أَخِي عَائِشَة لأُمِّهَا- عَنْ عَائِشَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول: «**يَا عَائِشَة، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوب؛ فَإِنَّ لهَا مِنْ الله طَالبًا**».[1]

وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن مُسْلم بْن بانك المَدَنِيّ. وَثَّقَهُ أَحْمَد وَابْن مَعِين، وَأَبُو حَاتِم وَغَيْرهمْ. وَقَدْ رَوَاهُ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة سَعِيد بْن مُسْلم هَذَا مِنْ وَجْه آخَر، ثُمَّ قَال سَعِيد: فَحَدَّثْت بِهَذَا الحَدِيث عَامِر بْن هِشَام فَقَال لِي: وَيْحَك يَا سَعِيد بْن مُسْلم! لَقَدْ حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بْن المُغِيرَة أَنَّهُ عَمِل ذَنْبًا فَاسْتَصْغَرَهُ، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامه فَقَال لَهُ: يَا سُلَيْمَان:

لا تَحْقِـرَنَّ مِـنْ الـذُّنُوب صَـغِيرًا ۞ إِنَّ الـصَّغِير غَـدًا يَعُـودُ كَـبِيرًا

إِنَّ الـصَّغِير وَلَـوْ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ ۞ عِنْـد الإِلَـه مُـسَطَّرٌ تَـسْطِيرًا

فَـازْجُرْ هَـوَاك عَـنْ البَطَالَـة لا تَكُـنْ ۞ صَـعْب القِيَـاد وَشَـمِّرَنْ تَـشْمِيرًا

إِنَّ المُحِـبّ إِذَا أَحَـبَّ إِلَهَـهُ ۞ طَـارَ الفُـؤَاد وَأُلهِـمَ الـتَّفْكِيرًا

فَاسْـأَل هِـدَايَتَك الإِلَـهَ بِنِيَّـةٍ ۞ فَكَفَـى بِرَبِّـك هَادِيًـا وَنَـصِيرًا

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ أَيْ: بِعَكْسِ مَا الأَشْقِيَاء فِيهِ مِنْ الضَّلال وَالسُّعُر، وَالسَّحْب فِي النَّار عَلى وُجُوههمْ مَعَ التَّوْبِيخ وَالتَّقْرِيع وَالتَّهْدِيد. وقوله: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾، أَيْ: فِي دَار كَرَامَة الله وَرِضْوَانه وَفَضْله، وَامْتِنَانه وَجُوده وَإِحْسَانه، ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ أَيْ: عِنْد المَلك العَظِيم الخَالق للأَشْيَاءِ كُلّهَا وَمُقَدِّرهَا، وَهُوَ مُقْتَدِر عَلى مَا يَشَاء مِمَّا يَطْلُبُونَ وَيُرِيدُونَ.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ عَمْرو بْن أَوْس، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو يَبْلُغ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَال: «**المُقْسِطُونَ عِنْد الله يوم القيامة علي مَنَابِرَ مِنْ نُور، عَنْ يَمِين الرَّحْمَن، وَكِلتَا يَدَيْهِ يَمِين، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمهمْ وَأَهْليهمْ وَمَا وَلُوا**»[2]. انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان ابْن عُيَيْنَةَ بِإِسْنَادِهِ مِثْله.

آخِر تَفْسِير سُورَة اقْتَرَبَتْ، ولله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٥١)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٢) صحيح: تقدم.

تفسير سُورَةُ الرَّحْمَٰن وهي مدنية

ترتيبها ٥٥ — وآياتها ٧٨

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ عَاصِم، عَنْ زِرّ؛ أَنَّ رَجُلًا قَال لابن مسعود: كَيْف تَعْرِف هَذَا الحَرْف: مَاء غَيْر يَاسِنٍ أَوْ آسِن؟ فقَال: كُلّ القُرْآن قَدْ قَرَأْتَ؟ قَال: إِنِّي لأَقْرَأُ المُفَصَّل فِي رَكْعَة وَاحِدَة. فقَال: أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْر، لا أَبَا لك! قَدْ عَلمْت قَرَائِن النَّبِيّ ﷺ الَّتِي كَانَ يَقْرِن قَرِينَتَيْنِ قَرِينَتَيْنِ مِنْ أَوَّل المُفَصَّل، وَكَانَ أَوَّل مُفَصَّل ابْن مَسْعُود ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[1]. وَقَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن وَاقِدٍ وَأَبُو مُسْلم السَّعْدِيّ حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم، عَنْ زُهَيْر بْن مُحَمَّد، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عَنْ جَابِر؛ قَال: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ عَلى أَصْحَابه فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ «سُورَة الرَّحْمَن»، مِنْ أَوَّلهَا إِلى آخِرهَا، فَسَكَتُوا فَقَال: «**لقَدْ قَرَأْتها على الجِنّ، ليْلة الجِنّ، فكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْت كُلَّمَا أَتَيْت على قَوْله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، قَالُوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمك رَبَّنَا نُكَذِّب فَلك الحَمْد**».[2] ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث غَرِيب، لا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث الوَلِيد بْن مُسْلم، عَنْ زُهَيْر بْن مُحَمَّد. ثُمَّ حَكَى عَنْ الإِمَام أَحْمَد أَنَّهُ كَانَ لا يَعْرِفهُ، يُنْكِر رِوَايَة أَهْل الشَّام عَنْ زُهَيْر بْن مُحَمَّد هَذَا. وَرَوَاهُ الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار، عَنْ عَمْرو بْن مَالك، عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم. وَعَنْ عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن شَبُّويَه، عَنْ هِشَام بْن عُمَارَة؛ كِلاهُمَا عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم بِهِ. ثُمَّ قَال: لا نَعْرِفهُ يُرْوَى إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبَّاد بْن مُوسَى وَعَمْرو بْن مَالك البَصْرِيّ؛ قَالا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سُلَيْم، عَنْ إِسْمَاعِيل ابْن أُمَيَّة، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ «**سُورَة الرَّحْمَن**» -أَوْ: قُرِئَتْ عِنْده- فَقَال: «**مَا لي أَسْمَع الجِنّ أَحْسَنَ جَوَابًا لربِّهَا مِنْكُمْ؟**». قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُول الله؟ قَال: «مَا أَتَيْت عَلى قَوْل الله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالتْ الجِنّ: لا بِشَيْءٍ مِنْ نعمة رَبّنَا نُكَذِّب». وَرَوَاهُ الحَافِظ البَزَّار، عَنْ عَمْرو بْن مَالك بِهِ. ثُمَّ قَال: لا نَعْلمهُ يُرْوَى عَنْ النَّبِيّ ﷺ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه بِهَذَا الإِسْنَاد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ فَضْله وَرَحْمَته بِخَلْقِهِ؛ أَنَّهُ أَنْزَل عَلى عِبَاده القُرْآن، وَيَسَّرَ حِفْظَهُ وَفَهْمَهُ عَلى مَنْ رَحِمَهُ، فَقَال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ قَال الحَسَن: يَعْنِي النُّطْق. وَقَال الضَّحَّاك، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمَا: يَعْنِي الخَيْر وَالشَّرّ. وَقَوْل الحَسَن هَهُنَا أَحْسَن وَأَقْوَى؛ لأَنَّ السِّيَاق فِي تَعْليمه تَعَالى القُرْآن، وَهُوَ أَدَاء تِلاوَته، وَإِنَّمَا يَكُون ذَلكَ بِتَيْسِيرِ النُّطْق عَلى الخَلق، وَتَسْهِيل خُرُوج الحُرُوف مِنْ مَوَاضِعهَا، مِنْ الحَلق وَاللِّسَان وَالشَّفَتَيْنِ، عَلى اخْتِلاف مَخَارِجهَا وَأَنْوَاعهَا.

وقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، أي: يجريان متعاقبين بحساب مُقَنَّن لا يختلف ولا يضطرب، ﴿لَا

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤١٢).
(٢) حسن: تقدم.

ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ جَعَلَ الله نُور جَمِيع أَبْصَار الإِنْس وَالجِنّ وَالدَّوَابّ وَالطَّيْر فِي عَيْنَيْ عَبْد، ثُمَّ كَشَفَ حِجَابًا وَاحِدًا مِنْ سَبْعِينَ حِجَابًا دُون الشَّمْس، لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا. وَنُور الشَّمْس جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُور الكُرْسِيّ، وَنُور الكُرْسِيّ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُور العَرْش، وَنُور العَرْش جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُور السِّتْر. فَانْظُرْ مَاذَا أَعْطَى الله عَبْده مِنْ النُّور فِي عَيْنَيْهِ وَقْتَ النَّظَر إِلى وَجْه رَبّه الكَرِيم عِيَانًا. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وقوله: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾. قَال ابْن جَرِير: اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْله: ﴿ وَٱلنَّجْمُ ﴾ بَعْد إِجْمَاعِهِمْ عَلى أَنَّ الشَّجَر مَا قَامَ عَلى سَاقٍ، فَرُوِيَ عَنْ ابْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: النَّجْم مَا انْبَسَطَ عَلى وَجْه الأَرْض -يَعْنِي مِنْ النَّبَات. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَالسُّدِّيّ، وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ، وَقَدْ اخْتَارَهُ ابْن جَرِير رحمه الله. وَقَال مُجَاهِد: النَّجْم الَّذِي فِي السَّمَاء. وَكَذَا قَال الحَسَن، وَقَتَادَة، وَهَذَا القَوْل هُوَ الأَظْهَر، وَالله أَعْلَم، لِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الآية. وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾، يَعْنِي: العَدْل، كَمَا قَال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾، وَهَكَذَا قَال هَهُنَا: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ أَيْ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَالعَدْل لِتَكُونَ الأَشْيَاء كُلّهَا بِالحَقِّ وَالعَدْل. ولهذا قال: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾، أَيْ: لا تَبْخَسُوا الوَزْن، بَل زِنُوا بِالحَقِّ وَالقِسْط، كَمَا قَال: ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾. وقوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ أَيْ: كَمَا رَفَعَ السَّمَاء وَضَعَ الأَرْض وَمَهَّدَهَا، وَأَرْسَاهَا بِالجِبَال الرَّاسِيَات الشَّامِخَات، لِتَسْتَقِرَّ لِمَا عَلى وَجْههَا مِنْ الأَنَام، وَهُمْ: الخَلائِق المُخْتَلِفَة أَنْوَاعهمْ وَأَشْكَالهمْ وَأَلْوَانهمْ وَأَلْسِنَتهمْ، فِي سَائِر أَقْطَارهَا وَأَرْجَائِهَا. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد: الأَنَام: الخَلْق. ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ ﴾ أَيْ: مُخْتَلِفَة الأَلْوَان وَالطُّعُوم وَالرَّوَائِح، ﴿ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾ أَفْرَدَهُ بِالذِّكْر لِشَرَفِهِ وَنَفْعِهِ، رُطَبًا وَيَابِسًا. وَالأَكْمَام قَال ابْن جُرَيْج، عَنْ ابْن عَبَّاس: هِيَ أَوْعِيَة الطَّلْع. وَهَكَذَا قَال غَيْر وَاحِد مِنْ المُفَسِّرِينَ، وَهُوَ الَّذِي يَطْلُع فِيهِ القنو، ثُمَّ يَنْشَقّ عَنْ العُنْقُود فَيَكُون بُسْرًا، ثُمَّ رُطَبًا، ثُمَّ يَنْضَج وَيَتَنَاهَى نَفْعُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذُكِرَ عَنْ عَمْرو بْن عَلِيّ الصَّيْرَفِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا يُونُس بْن الحَارِث الطَّائِفِيّ، عَنْ الشَّعْبِيّ قَال: كَتَبَ قَيْصَر إِلى عُمَر بْن الخَطَّاب: أُخْبِرُك أَنَّ رُسُلِي أَتَتْنِي مِنْ قِبَلك، فَزَعَمَتْ أَنَّ قِبَلكُمْ شَجَرَةً لَيْسَتْ بِخَلِيقَةٍ لِشَيْءٍ مِنْ الخَيْر، تُخْرِج مِثْل آذَان الحَمِير، ثُمَّ تَشَقَّقُ مِثْل اللُّؤْلُؤ، ثُمَّ تَخْضَرّ فَتَكُون مِثْل الزُّمُرُّد الأَخْضَر، ثُمَّ تَحْمَرّ فَتَكُون كَاليَاقُوتِ الأَحْمَر، ثُمَّ تَيْنَع فَتَنْضَج فَتَكُون كَأَطْيَبِ فَالُوذَج أُكِل، ثُمَّ تَيْبَس فَتَكُون عِصْمَة لِلمُقِيم وَزَادًا لِلمُسَافِرِ، فَإِنْ تَكُنْ رُسُلِي صَدَقَتْنِي، فَلا أَرَى هَذِهِ الشَّجَرَة إِلَّا مِنْ شَجَر الجَنَّة. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَر بْن الخَطَّاب: مِنْ عُمَر أَمِير المُؤْمِنِينَ إِلى قَيْصَر مَلك الرُّوم: إِنَّ رُسُلك قَدْ صَدَقُوك، هَذِهِ الشَّجَرَة عِنْدنَا، وَهِيَ الشَّجَرَة الَّتِي أَنْبَتَهَا الله عَلى مَرْيَم حِين نُفِسَتْ بِعِيسَى ابْنهَا. فَاتَّقِ الله وَلا تَتَّخِذْ عِيسَى إِلهًا مِنْ دُون الله، فَإِنَّ ﴿ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾.

وَقِيل: الأَكْمَام: رُفَاتهَا، وَهُوَ اللِّيف الَّذِي عَلى عُنُق النَّخْلة. وَهُوَ قَوْل الحَسَن وَقَتَادَة.

﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾ قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ ﴾ يَعْنِي: التِّبْن. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ ٱلْعَصْفِ ﴾ وَرَق الزَّرْع الأَخْضَر الَّذِي قُطِعَ رُءُوسُهُ، فَهُوَ يُسَمَّى العَصْف، إِذَا يَبِس.

وَكَذَا قَال قَتَادَة وَالضَّحَّاك. وَأَبُو مَالك: عَصْفُهُ: تِبْنُهُ. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ يَعْنِي: الوَرَق. وَقَال الحَسَن: هُوَ رَيْحَانُكُمْ هَذَا. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ : خُضْر الزَّرْع. وَمَعْنَى هَذَا -وَالله أَعْلم- أَنَّ الحَبّ كَالقَمْحِ وَالشَّعِير وَنَحْوهمَا لهُ فِي حَال نَبَاته عَصْف، وَهُوَ: مَا عَلى السُّنْبُلة، وَرَيْحَان، وَهُوَ: الوَرَق المُلتَفّ عَلى سَاقِهَا. وَقِيل: العَصْف: الوَرَق أَوَّل مَا يُنْبِت الزَّرْع بَقْلًا. وَالرَّيْحَان: وَالوَرَق، يَعْنِي: إِذَا أَدْجَنَ وَانْعَقَدَ فِيهِ الحَبّ. كَمَا قَال زَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل فِي قَصِيدَته المَشْهُورَة:

وَقُولا لهُ: مَنْ يُنْبِت الحَبّ فِي الثَّرَى ۞ فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْل يَهْتَزّ رَابِيَا[1]

وَيُخْرِج مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُءُوسِهِ؟ ۞ فَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أَيْ: فَبِأَيِّ الآلاء -يَا مَعْشَر الثَّقَلَيْنِ، مِنْ الإِنْس وَالجِنّ- تُكَذِّبَانِ؟ قَالهُ مُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد. وَيَدُلّ عَلَيْهِ السِّيَاق بَعْده، أَيْ: النِّعَم ظَاهِرَة عَليْكُمْ وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِهَا، لا تَسْتَطِيعُونَ إِنْكَارهَا وَلا جُحُودهَا، فَنَحْنُ نَقُول كَمَا قَالتْ الجِنّ المُؤْمِنُونَ: اللَّهُمَّ؛ وَلا بِشَيْءٍ مِنْ آلائِك رَبّنَا نُكَذِّب، فَلك الحَمْد. وَكَانَ ابْن عَبَّاس يَقُول: لا، بِأَيِّهَا يَا رَبّ. أَيْ: لا نُكَذِّب بِشَيْءٍ مِنْهَا.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، عَنْ أَبِي الأَسْوَد، عَنْ عُرْوَة، عَنْ أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر؛ قَالتْ: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَقْرَأ، وَهُوَ يُصَلِّي نَحْو الرُّكْن قَبْل أَنْ يَصْدَعَ بِمَا يُؤْمَر، وَالمُشْرِكُون يَسْتَمِعُونَ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٢٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يَذْكُر تَعَالى خَلقه الإِنْسَان مِنْ صَلصَال كَالفَخَّارِ، وَخَلقه الجَانّ مِنْ مَارِج مِنْ نَار، وَهُوَ: طَرَف لهَبِهَا. قَالهُ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس. وَبِهِ يقول عِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَالحَسَن وَابْن زَيْد. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ : مِنْ لهَب النَّار، مِنْ أَحْسَنهَا. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ مِنْ خَالص النَّار. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَغَيْرهمْ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أخبرنا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**خُلقَتْ المَلائِكَة مِنْ نُور، وَخُلقَ الجَانّ مِنْ مَارِج مِنْ نَار، وَخُلقَ آدَم مِمَّا وُصِفَ لكُمْ**»[2]. وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ مُحَمَّد بْن رَافِع وَعَبْد بْن حُمَيْد؛ كِلاهُمَا عَنْ عَبْد الرَّزَّاق بِهِ. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، تقدم تفسيره. ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يَعْنِي مَشْرِقَيْ الصَّيْف وَالشِّتَاء، وَمَغْرِبَيْ الصَّيْف وَالشِّتَاء، وَقَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ وَذَلكَ بِاخْتِلافِ مَطَالع الشَّمْس وَتَنَقُّلهَا فِي كُلّ يَوْم، وَبُرُوزهَا مِنْهُ إِلى النَّاس. وَقَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، وَهَذَا المُرَاد مِنْهُ جِنْس المَشَارِق وَالمَغَارِب، وَلمَّا كَانَ فِي اخْتِلاف هَذِهِ المَشَارِق وَالمَغَارِب مَصَالحُ للخَلقِ مِنْ الجِنّ وَالإِنْس قَال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قَال ابْن عَبَّاس: أَيْ: أَرْسَلهُمَا. [وَقَوْله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ قَال ابْن زَيْد: أَيْ مَنَعَهُمَا أَنْ يَلتَقِيَا، بِمَا جَعَل بَيْنهمَا مِنْ البَرْزَخ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) صحيح: تقدم.

الحَاجِز الفَاصِل بَيْنهمَا][1]. وَالمُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ المِلح وَالحُلو، فَالحُلو هَذِهِ الأَنْهَار السَّارِحَة بَيْن النَّاس. وَقَدْ قَدَّمْنَا الكَلَام عَلى ذَلِكَ فِي «سُورَة الفُرْقَان» عِنْد قَوْله تَعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾. وَقَدْ اخْتَارَ ابْن جَرِير هَهُنَا أَنَّ المُرَاد بِالبَحْرَيْنِ: بَحْر السَّمَاء وَبَحْر الأَرْض. وَهُوَ يُرْوَى عَنْ مُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَطِيَّة، وَابْن أَبْزَى. قَال ابْن جَرِير: لأَنَّ اللُّؤْلُؤ يَتَوَلَّد مِنْ مَاء السَّمَاء وَأَصْدَاف بَحْر الأَرْض. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ هَكَذَا لكِنْ لَيْسَ المُرَاد بِذَلكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لا يُسَاعِدهُ اللَّفْظ، فإنه تعالى قد قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أَيْ: وَجَعَل بَيْنهمَا بَرْزَخًا، وَهُوَ: الحَاجِز مِنْ الأَرْض، لئَلَّا يَبْغِيَ هَذَا عَلى هَذَا، وَهَذَا عَلى هَذَا فَيُفْسِد كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا الآخَرَ، وَيُزِيلهُ عَنْ صِفَته الَّتِي هِيَ مَقْصُودَة مِنْهُ. وَمَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض لا يُسَمَّى بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا.

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أَيْ: مِنْ مَجْمُوعهمَا، فَإِذَا وُجِدَ ذَلكَ لأحدهما كَفَى، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، وَالرُّسل إِنَّمَا كَانُوا فِي الإِنْس خَاصَّة دُون الجِنّ، وَقَدْ صَحَّ هَذَا الإِطْلَاق. وَاللُّؤْلُؤ مَعْرُوف، وَأَمَّا المَرْجَان فَقِيل: هُوَ صِغَار اللُّؤْلُؤ. قَالهُ مُجَاهِد وَقَتَادَة، وَأَبُو رَزِين وَالضَّحَّاك. وَرُوِيَ عَنْ عَليّ. وَقِيل: كِبَاره وَجَيِّده. حَكَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بَعْض السَّلَف. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس، وَحَكَاهُ عن السُّدِّيّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ ابْن عَبَّاس. وَرُوِيَ مِثْله عَنْ عَليّ وَمُجَاهِد أَيْضًا، وَمُرَّة الهَمْدَانِيّ. وَقِيل: هُوَ نَوْع مِنْ الجَوَاهِر أَحْمَر اللَّوْن. قَال [السُّدِّيّ][2]: عَنْ أَبِي مَالك، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْد الله قَال: المَرْجَان: الخَرَز الأَحْمَر. قَال السُّدِّيّ: وَهُوَ البَسَد بِالفَارِسِيَّة. وَأَمَّا قَوْله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ فَاللَّحْم مِنْ كُلٍّ مِنْ الأُجَاج وَالعَذْب، وَالحِليَة إِنَّمَا هِيَ مِنْ الملح دُون العَذْب. قَال ابْن عَبَّاس: مَا سَقَطَتْ قَطُّ قَطْرَة مِنْ السَّمَاء فِي البَحْر، فَوَقَعَتْ فِي صَدَفَة إِلَّا صَارَ مِنْهَا لُؤْلُؤَة. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَزَاد: فَإِذَا لمْ تَقَع فِي صَدَفَة نَبَتَتْ بِهَا عَنْبَرَة. وَرُوِيَ مِنْ غَيْر وَجه عَنْ ابْن عَبَّاس نَحْوه. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَحْمَد بْن سِنَان، حَدَّثنَا عَبْد الرَّحْمَن ابْن مَهْدِيّ، حَدَّثنَا سُفْيَان، عَنْ الأَعْمَش عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الله، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: إِذَا أَمْطَرَتْ السَّمَاء، فَتَحْت الأَصْدَاف فِي البَحْر أَفْوَاههَا، فَمَا وَقَعَ فِيهَا -يَعْنِي مِنْ قَطْر- فَهُوَ اللُّؤْلُؤ. إِسْنَاده صَحِيح، وَلـمَّا كَانَ اتِّخَاذ هَذِهِ الحِليَة نِعْمَة عَلى أَهْل الأَرْض، امْتَنَّ بِهَا عَلَيْهِمْ، فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ يَعْنِي: السُّفُن الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْر. قَال مُجَاهِد: مَا رُفِعَ قَلعُهُ مِنْ السُّفُن فَهِيَ مُنْشَأَة، وَمَا لمْ يُرْفَع قَلعُهُ فَلَيْسَ بِمُنْشَأَة. وَقَال قَتَادَة: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: يَعْنِي المَخْلُوقَات. وَقَال غَيْره: المُنْشِئَات -بِكَسْرِ الشِّين-: يَعْنِي البَادِئَات. ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ أَيْ: كَالجِبَال فِي كِبَرهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ المَتَاجِر وَالمَكَاسِب المَنْقُولة مِنْ قُطْر إِلى قُطْر، وَإِقْليم إِلى إِقْليم، مِمَّا فِيهِ صَلاح للنَّاسِ فِي جَلب مَا يَحْتَاجُونَ إِليْهِ مِنْ سَائِر أَنْوَاع البَضَائِع، وَلهَذَا قَال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي حَدَّثنَا مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، حَدَّثنَا العرار بْن سُوَيْد، عَنْ عميرة بْن سعد، قَال: كُنْت مَعَ عَليّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه عَلى شَاطِئ الفُرَات، إِذْ أَقْبَلتْ سَفِينَة مَرْفُوع شِرَاعُهَا، فَبَسَطَ عَليّ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَال: يَقُول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾، وَالَّذِي أَنْشَأَهَا تَجْرِي فِي بُحُوره مَا قَتَلتُ عُثْمَان، وَلا مَالأْت عَلى قَتْله.

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) في الأزهرية: [ابن عياش].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّ جَمِيع أَهْل الأَرْض سَيَذْهَبُونَ وَيمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وَكَذَلكَ أَهْل السَّماوَات، إِلَّا مَنْ شَاءَ الله، وَلا يَبْقَى أَحَد سِوَى وَجْهه الكَرِيم، فَإِنَّ الرَّبّ تَعَالى وَتَقَدَّس لا يَمُوت، بَل هُوَ الحَيّ الَّذِي لا يَمُوت أَبَدًا. قَال قَتَادَة: أَنْبَأَ بِما خلقَ، ثُمَّ أَنْبَأَ أَنَّ ذَلكَ كُلّه فَانٍ. وَفِي الدُّعَاء المَأْثُور: يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا بَدِيع السَّمَوَات وَالأَرْض، يَا ذَا الجَلال وَالإِكْرَام، لا إِله إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِك نَسْتَغِيث، أَصْلِحْ لنَا شَأْنَنا كُلَّهُ، وَلا تَكِلنَا إِلى أَنْفُسِنَا طَرْفَة عَيْن وَلا إِلى أَحَد مِنْ خَلقك. وَقَال الشَّعْبِيّ: إِذَا قَرَأْت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فَلا تَسْكُتْ حَتَّى تَقْرَأ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وَقَدْ نَعَتَ تَعَالى وَجْهَهُ الكَرِيم فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة بِأَنَّهُ ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أَيْ: هُوَ أَهْل أَنْ يُجَلَّ فَلا يُعْصَى، وَأَنْ يُطَاع فَلا يُخَالف، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، وَكَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ المُتَصَدِّقِينَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذُو العَظَمَة وَالكِبْرِيَاء. وَلَمَّا أَخْبَرَ تَعَالى عَنْ تَسَاوِي أَهْل الأَرْض كُلّهمْ فِي الوَفَاة، وَأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلى الدَّار الآخِرَة، فَيَحْكُم فِيهِمْ ذُو الجَلال وَالإِكْرَام بِحُكْمِهِ العَدْل؛ قَال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وَهَذَا إِخْبَار عَنْ غِنَاهُ عَمَّا سِوَاهُ، وَافْتِقَار الخَلائِق إِلَيْهِ فِي جَمِيع الآنَاتِ، وَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ بِلسَانِ حَالهمْ وَقَالِهِمْ، وَأَنَّهُ كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأْن. قَال الأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد، عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قَال: مِنْ شَأْنه أَنْ يُجِيبَ دَاعِيًا، أَوْ يُعْطِيَ سَائِلًا أَوْ يَفُكَّ عَانِيًا، أَوْ يَشْفِيَ سَقِيمًا. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد؛ قَال: كُلَّ يَوْم هُوَ يُجِيب دَاعِيًا، وَيَكْشِف كَرْبًا، وَيُجِيبَ مُضْطَرًّا، وَيَغْفِر ذَنْبًا. وَقَال قَتَادَة: لا يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَهْل السَّمَوَات وَالأَرْض، يُحْيِي حَيًّا، وَيُمِيت مَيِّتًا، وَيُرَبِّي صَغِيرًا، وَيَفُكّ أَسِيرًا، وَهُوَ مُنْتَهَى حَاجَات الصَّالِحِينَ وَصَرِيخِهِمْ، وَمُنْتَهَى شَكْوَاهُمْ. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو اليَمان الحِمْصِيّ، حَدَّثَنَا جَرِير بْن عُثْمان، عَنْ سُوَيْد بْن جَبَلة -هُوَ الفَزَارِيّ- قَال: إِنَّ رَبّكُمْ كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأْن، فَيُعْتِق رِقَابًا، وَيُعْطِي رِغَابًا، وَيُقْحِم عِقَابًا.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن [عَمْرو][1] الغُزِّيّ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن يُوسُف الفِرْيَابِيّ، حَدَّثَنِي عَمْرو بْن بَكْر السَّكْسَكِيّ، حَدَّثَنَا الحَارِث بْن عَبْدَة بْن رَبَاح الغَسَّانِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُنِيب بْن عَبْد الله بْن مُنِيت الأَزْدِيّ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: تَلا رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فَقُلنَا: يَا رَسُول الله؛ وَمَا ذَاكَ الشَّأْن؟ قَال: «**أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ**»[2].

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار، وَسُليمان بْن أَحْمَد الوَاسِطِيّ؛ قَالا: حَدَّثَنَا الوَزِير بْن صُبَيْح الثَّقَفِيّ أَبُو رَوْح الدِّمَشْقِيّ -وَالسِّيَاق لِهِشَام- قَال: سَمِعْت يُونُس بْن مَيْسَرَة بْن حَلبَس يُحَدِّث عَنْ أُمّ الدَّرْدَاء، عن أبي الدرداء عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**قَال الله ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قَال: مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ**». وَقَدْ رَوَاهُ ابْن عَسَاكِر مِنْ طُرُق مُتَعَدِّدَة، عَنْ هِشَام بْن عَمَّار بِهِ. ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ حَدِيث أَبِي همام الوَلِيد بْن شُجَاع عَنْ الوَزِير بْن صُبَيْح؛ قَال: ودلنا عليه الوَلِيد بْن مُسْلم، عَنْ مُطَرِّف، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ أُمّ الدَّرْدَاء، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ. قَال: وَالصَّحِيح الأَوَّل. يَعْنِي: إِسْنَاده الأَوَّل.

---

(١) في الأزهرية: [عمر].

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، والطبري (٢٧/ ١٣٥)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

قُلت: وَقَدْ رُوِيَ مَوْقُوفًا كَمَا عَلَّقَهُ الْبُخَارِيّ بِصِيغَةِ الْجَزْم، فَجَعَلَهُ مِنْ كَلام أَبِي الدَّرْدَاء، فَالله أَعْلم. وَقَال الْبَزَّار: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْحَارِث، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن [الْبَيْلَمَانِيّ](١)، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْن عُمَر، عَنِ النَّبِيّ ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. قَال: «**يَغْفِر ذَنْبًا، وَيَكْشِف كَرْبًا**». ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى، عَنْ أَبِي حَمْزَة الثُّمَالِيّ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: «إِنَّ الله خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، دَفَّتَاهُ يَاقُوتَة حَمْرَاء، قَلَمُهُ نُور، وكتابته نُور، عَرْضُهُ مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، يَنْظُر فِيهِ كُلّ يَوْم ثَلَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ نَظْرَة، يَخْلُق فِي كُلّ نَظْرَة، وَيُحْيِي وَيُمِيت، وَيُعِزّ وَيُذِلّ، وَيَفْعَل مَا يَشَاء»(٢).

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ قَال: وَعِيد مِنْ الله للعِبَادِ، وَلَيْسَ بِالله شُغْل وَهُوَ فَارِغ. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك: هَذَا وَعِيد. وَقَال قَتَادَة: قَدْ دَنَا مِنْ الله فَرَاغ لِخَلْقِهِ. وَقَال ابْن جُرَيْج: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أَيْ: سَنَقْضِي لكُم. وَقَال الْبُخَارِيّ: سَنُحَاسِبُكُمْ، لا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْء، وَهُوَ مَعْرُوف فِي كَلام الْعَرَب، يُقَال: لأَتَفَرَّغَنَّ لك وَمَا بِهِ شُغْل، يَقُول: لآخُذَنَّكَ عَلَى غِرَّتِك.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الثَّقَلان: الإِنْس وَالْجِنّ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح: «**يَسْمَعهُ كُلّ شَيْء إلاَّ الثَّقَلَيْنِ**». وَفِي رِوَايَة: «**إلاَّ الجنّ والإنْس**». وَفِي حَدِيث الصُّور: «**الثَّقَلان: الإنْس وَالجنّ**». ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم قَال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾، أَيْ: لا تَسْتَطِيعُونَ هَرَبًا مِنْ أَمْر الله وَقَدَرِه، بَل هُوَ مُحِيط بِكُمْ، لا تَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّص مِنْ حُكْمه، وَلا النُّفُوذ عَنْ حُكْمه فِيكُمْ، أَيْنَمَا ذَهَبْتُمْ أُحِيطَ بِكُمْ. وَهَذَا فِي مَقَام المحشر؛ الْمَلائِكَة مُحْدِقَة بِالْخَلائِق، سَبْع صُفُوف مِنْ كُلّ جَانِب، فَلا يَقْدِر أَحَد عَلَى الذَّهَاب. ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾، أَيْ: إِلَّا بِأَمْرِ الله، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾، وَقَال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ولهذا قَال: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾.

قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: الشُّوَاظ: هُوَ لَهَب النَّار. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس: الشُّوَاظ: الدُّخَان. وَقَال مُجَاهِد: هُوَ اللهيب الأَخْضَر الْمُنْقَطِع. وَقَال أَبُو صَالح: الشُّوَاظ هُوَ اللهيب الَّذِي فَوْق النَّار وَدُون الدُّخَان. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: سَيْل مِنْ نَار. وَقَوْله: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: دُخَان النَّار، وَرُوِيَ مِثْله عَنْ أَبِي صَالح، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبِي سِنَان. وَقَال ابْن جَرِير: وَالْعَرَب تُسَمِّي الدُّخَان نُحَاسًا -بِضَمِّ النُّون وَكَسْرِهَا-، والقراء مُجْمِعَة عَلَى الضَّمِّ، وَمِنْ النُّحَاس بِمَعْنَى الدُّخَان قَوْل نَابِغَة بني جَعْدَة:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيط ۞ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا

يَعْنِي دُخَانًا، هَكَذَا قَال. وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق جُوَيْبِر، عَنْ الضَّحَّاك: أَنَّ نَافِع بْن الأَزْرَق سَأَل ابْن عَبَّاس عَنْ الشُّوَاظ فَقَال: هُوَ اللَّهَب الَّذِي لا دُخَان مَعَهُ. فَسَأَلَهُ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ مِنْ اللُّغَة، فَأَنْشَدَهُ قول أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلت فِي حَسَّان:

---

(١) في الأزهرية: [السلماني].

(٢) **ضعيف** : أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٥) بسند ضعيف، في إسناده أبو حمزة الثمالي: وهو ضعيف.

أَلا مَـــنْ مُبْلِــغٌ حَــسَّان عَنِّـــي ❁ مُغَلْغَلَــــةً تَـــدِبُّ إلى عُكَــــاظِ
أَلَــيْسَ أَبُــوك فِينَـا كَـانَ قَينـا ❁ إلى القَيْنَـات فَــلا بــي الحفَــاظِ
يَمَانِيًّــا يَظَــلُّ يــشب كِــيراً ❁ وَيَــنْفُخُ دَائِبًــا لَهَــبَ الــشُّوَاظِ

قَال: صَدَقْت، فَمَا النُّحَاس؟ قَال: هُوَ الدُّخَان الَّذِي لا لَهَبَ لَهُ. قال: فَهَل تَعْرِفهُ العَرَب؟ قَال: نَعَمْ، أَمَّا سَمِعْت نَابغَةَ بَنِي ذُبْيَان يَقُول:

يُـضِيءُ كَـضَوْءِ سِـرَاجِ الـسَّلِيط ❁ لمْ يَجْعَــل الله فِيـــهِ نُحَاسَـــا

وَقَال مُجَاهِد: النُّحَاس: الصُّفر، يُذَاب فَيُصَبُّ عَلى رُءُوسِهِمْ. وَكَذَا قَال قَتَادَة. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: سَيْل مِنْ نُحَاس. وَالمَعْنَى عَلى كُلّ قَوْل: لوْ ذَهَبْتُمْ هَارِبِينَ يَوْم القِيَامَة لرَدَّتْكُمْ المَلائِكَة وَالزَّبَانِيَة بِإِرْسَال اللَّهَب مِنْ النَّار وَالنُّحَاس المُذَاب عَليْكُمْ لتَرْجِعُوا، وَلهَذَا قَال: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يَقُول: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يَوْم القِيَامَة، كَمَا دَلَّتْ عَليْهِ هَذِهِ الآيَات مَعَ مَا شَاكَلهَا مِنْ الآيَات الوَارِدَة فِي مَعْنَاهَا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، وَقَوْله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾. وَقَوْله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾. وَقَوْله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أَيْ: تَذُوب كَمَا يَذُوب الدُّرْدِيُّ وَالفِضَّةُ فِي السَّبْك، وَتَتَلوَّنُ كَمَا تَتَلوَّنُ الأَصْبَاغ الَّتِي يُدْهَنُ بِهَا، فَتَارَةً حَمْرَاء وَصَفْرَاء وَزَرْقَاء وَخَضْرَاء، وَذَلكَ مِنْ شِدَّة الأَمْر وَهَوْل يَوْم القِيَامَة العَظِيم. وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد المَلك، حَدَّثَنا عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي الصَّهْبَاء، حَدَّثَنَا نَافِع أَبُو غَالب البَاهِلِيّ، حَدَّثَنَا أَنَس بْن مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**يُبْعَث النَّاس يَوْم القِيَامَة وَالسَّمَاء تَطِشّ عَليْهِمْ**»[1]. قَال الجَوْهَرِيّ: الطَّشّ: المَطَر الضَّعِيف.

وَقَال الضَّحَّاك: عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾. قَال: هُوَ الأَدِيم الأَحْمَر. وَقَال أَبُو كُرَيب، عَنْ قَابُوس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾. كَالفَرَسِ الوَرْد. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: تَغَيَّرَ لوْنهَا. وَقَال أَبُو صَالح: كَالبِرْذَوْنِ الوَرْد، ثُمَّ كَانَتْ بَعْدُ كَالدِّهَانِ. وَحَكَى البَغَوِيّ وَغَيْره: أَنَّ الفَرَس الوَرْد تَكُون فِي الرَّبِيع صَفْرَاء، وَفِي الشِّتَاء حَمْرَاء، فَإِذَا اشْتَدَّ البَرْد اغبر لوْنهَا. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: تَكُون أَلوَانًا. وَقَال السُّدِّيّ: تَكُون كَلوْنِ البَغْلة الوَرْدَة، وَتَكُون كَالمُهْل كَدُرْدِيِّ الزَّيْت. وَقَال مُجَاهِد: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كَأَلوَانِ الدِّهَان. وَقَال عَطَاء الخُرَاسَانِيّ: كَلوْنِ دُهْن الوَرْد فِي الصُّفْرَة. وَقَال قَتَادَة: هِيَ اليَوْم خَضْرَاء، وَيَوْمَئِذٍ لوْنهَا إِلى الحُمْرَة، يَوْم ذِي أَلوَان. وَقَال أَبُو الجَوْزَاء: فِي صَفَاء الدُّهْن. وَقَال ابْن جُرَيْج: تَصِير السَّمَاء كَالدُّهْنِ الذَّائِب، وَذَلكَ حِين يُصِيبُهَا حَرّ جَهَنَّم.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، فَهَذَا فِي حَال، وَثَمَّ حَال يَسْأَل الخَلائِق عَنْ جَمِيع أَعْمَالهِمْ، قَال الله تَعَالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. وَلهَذَا قَال قَتَادَة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، قَال: قَدْ كَانَتْ مَسْأَلة، ثُمَّ خُتِمَ عَلى أَفْوَاه القَوْم، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَقَدْ قَال عَلِيّ بن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: لا يَسْأَلُهُمْ: هَل عَمِلتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ لأَنَّهُ أَعْلم بِذَلكَ مِنْهُمْ، وَلكِنْ يَقُول: لِمَ عَمِلتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ فَهَذَا قَوْل ثَانٍ.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦) بسند ضعيف.

وَقَال مُجَاهد فِي هَذِهِ الآيَة: لا يسأل المَلائِكَةُ عَنْ المجرم، يُعْرَفُون بِسِيمَاهُمْ. [وَهَذَا قَوْل ثَالث. وَكَأَنَّ هَذَا بَعْدَمَا يُؤْمَر بِهِمْ إِلى النَّار، فَذَلكَ الوَقْت لا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبهمْ، بَل يُقَادُونَ إِليْهَا وَيُلقَوْنَ فِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾][1] أَيْ: بِعَلامَاتٍ تَظْهَر عَليْهِمْ. وَقَال الحَسَن وَقَتَادَة: يَعْرِفُونَهُمْ بِاسْوِدَادِ الوُجُوه وَزُرْقَة العُيُون. قُلت: وَهَذَا كَمَا يُعْرَف المُؤْمِنُونَ بِالغُرَّةِ وَالتَّحْجِيل مِنْ آثَار الوُضُوء.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أَيْ: تجمع الزَّبَانِيَة نَاصِيَتَهُ مَعَ قَدَمَيْهِ، وَيُلقُونَهُ فِي النَّار كَذَلكَ. وَقَال الأَعْمَش، عَنْ ابْن عَبَّاس: يُؤْخَذ بِنَاصِيَتِهِ وقدمه، فَيُكْسَر كَمَا يُكْسَر الحَطَب فِي التَّنُّور. وَقَال الضَّحَّاك: يُجْمَع بَيْن نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ فِي سِلسِلةٍ مِنْ وَرَاء ظَهْرِهِ. وَقَال السُّدِّيّ: يُجْمَع بَيْن نَاصِيَة الكَافِر وَقَدَمَيْهِ، فَتُرْبَط نَاصِيَتُهُ بِقَدَمِهِ، وَيُفْتَل ظَهْرُهُ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَة الرَّبِيع بْن نَافِع، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن سَلَّام، عَنْ أَخِيهِ زَيْد بْن سَلَّام: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّام -يَعْنِي جَدَّهُ- أَخْبَرَنِي عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنِي رَجُل مِنْ كِنْدَة قَال: أَتَيْت عَائِشَة فَدَخَلت عَليْهَا وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَاب، فَقُلت: حَدَّثَك رَسُول الله ﷺأَنَّهُ يَأْتِي عَليْهِ سَاعَة لا يمْلك لأَحَدٍ فِيهَا شَفَاعَة؟ قَالتْ: نَعَمْ، لقَدْ سَأَلته عَنْ هَذَا وَأَنَا وَهُوَ فِي شِعَارٍ وَاحِد، قَال: «**نَعَمْ، حِين يُوضَع الصِّرَاط، لا أَمْلك لأَحدٍ فِيهَا شَفَاعَة، حَتَّى أَعْلم أَيْنَ يُسْلك بِي؟ وَيَوْم تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه، حَتَّى أَنْظُر مَاذَا يُفْعَل بِي -أَوْ قَال: يُوحَى- وَعِنْد الجِسْر حِين يُسْتَحَدّ وَيُسْتَحَرّ**». فَقَالتْ: وَمَا يُسْتَحَدّ وَمَا يُسْتَحَرّ؟ قَال: «**يُسْتَحَدّ حَتَّى يَكُون مِثْل شَفْرَة السَّيْف، وَيُسْتَحَرّ حَتَّى يَكُون مِثْل الجَمْرَة، فَأَمَّا المُؤْمِن فيجيزه لا يَضُرُّهُ، وَأَمَّا المُنَافِق فَيَتَعَلَّق حَتَّى إِذَا بَلغَ أَوْسَطَهُ خَرَّ مِنْ قدمه فَيُهْوِي بِيَدَيْهِ إِلى قَدَمَيْهِ**». قَالتْ: فَهَل رَأَيْت مَنْ يَسْعَى حَافِيًا فَتَأْخُذهُ شَوْكَة حَتَّى تَكَاد تَنْفُذ قَدَمَيْهِ، فَإِنَّهَا كَذَلكَ، يُهْوِي بِيَدِهِ وَرَأْسه إِلى قَدَمَيْهِ، فَتَضْرِبُهُ الزَّبَانِيَةُ بِخَطَّافٍ فِي نَاصِيَته وَقَدَمِهِ، فَتَقْذِفُهُ فِي جَهَنَّم، فَيَهْوِي فِيهَا مِقْدَار خَمْسِينَ عَامًا. قُلت: مَا ثِقَل الرَّجُل؟ قَالتْ: ثِقَل عَشْر خَلفَات سِمَان، فَيَوْمَئِذٍ يُعْرَف المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَام.[2] هَذَا حَدِيث غَرِيب، وَفِيهِ أَلفَاظ مُنْكَرٌ رَفْعُهَا، وَفِي الإِسْنَاد مَنْ لمْ يُسَمَّ، وَمِثْله لا يُحْتَجّ بِهِ، وَالله أَعْلم.

وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أَيْ: هَذِهِ النَّار الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِوُجُودِهَا هَا هِيَ حَاضِرَة تُشَاهِدُونَهَا عِيَانًا، يُقَال لهُمْ ذَلكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَتَحْقِيرًا.

وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أَيْ: تَارَةً يُعَذَّبُونَ فِي الجَحِيم، وَتَارَة يُسْقَوْنَ مِنْ الحَمِيم، وَهُوَ الشَّرَاب الَّذِي هُوَ كَالنُّحَاسِ المُذَاب يُقَطِّع الأَمْعَاء وَالأَحْشَاء. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾. وَقَوْله: ﴿ءَانٍ﴾ أَيْ: حَارٌّ قَدْ بَلغَ الغَايَة فِي الحَرَارَة، لا يُسْتَطَاع مِنْ شِدَّة ذَلكَ.

قَال ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أَيْ: قَدْ انْتَهَى غَليُهُ وَاشْتَدَّ حَرُّهُ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالضَّحَّاك، وَالحَسَن، وَالثَّوْرِي، وَالسُّدِّي. وَقَال قَتَادَة: قَدْ آنَ طَبْخُهُ مُنْذُ خَلقَ الله السَّمَوَات وَالأَرْض. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ: يُؤْخَذ العَبْد فَيُحَرَّك بِنَاصِيَتِهِ فِي ذَلكَ الحَمِيم، حَتَّى يَذُوبَ اللَّحْم وَيَبْقَى العَظْم وَالعَيْنَانِ فِي الرَّأْس، وَهِيَ كَالَّتِي يَقُول الله تَعَالى: ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، وَالحَمِيم الآن:

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) **ضعيف**: في إسناده من لم يسم، وقال الحافظ ابن كثير كما في «المتن»: هذا حديث غريب جدًا.

يَعْنِي الحَارّ. وَعَنْ القُرَظِيّ رِوَايَة أُخْرَى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أَيْ: حارة. وَهُوَ قَوْل ابْن زَيْد أَيْضًا، وَالحَاضِر، لا يُنَافِي مَا رُوِيَ عَنْ القُرَظِيّ أَوَّلًا أَنَّهُ الحَارّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أَيْ: حَارَّة شَدِيدَة الحَرّ لا تُسْتَطَاع، وَكَقَوْلِهِ: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يَعْنِي: اسْتِوَاءَهُ وَنُضْجَهُ. فَقَوْله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، أَيْ: حميم حَارّ جِدًّا. وَلَمَّا كَانَ مُعَاقَبَة العُصَاة المُجْرِمِينَ وَتَنْعِيم المُتَّقِينَ مِنْ فَضْله وَرَحْمَته وَعَدْله وَلُطْفه بِخَلْقِهِ، وَكَانَ إِنْذَاره لَهُمْ عَذَابه وَبَأْسه مِمَّا يَزْجُرهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ الشِّرْك وَالمَعَاصِي وَغَيْر ذَلِكَ، قَال مُمْتَنًّا بِذَلِكَ عَلَى بَرِيَّتِهِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قَال ابْن شَوْذَب وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فِي أَبِي بَكْر الصِّدِّيق[1].

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُصَفَّى، حَدَّثَنَا بَقِيَّة، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي مَرْيَم، عَنْ عَطِيَّة بْن قَيْس فِي قَوْله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ : نَزَلَتْ فِي الَّذِي قَال: أَحْرِقُونِي بِالنَّارِ لَعَلِّي أُضِلّ الله، قَال: تَاب يَوْمًا وَلَيْلَة بَعْد أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا، فَقَبِلَ الله مِنْهُ وَأَدْخَلَهُ الجَنَّة.[2] وَالصَّحِيح أَنَّ هَذِهِ الآيَة عَامَّة كَمَا قَالَهُ ابْن عَبَّاس وَغَيْره، يَقُول تَعَالَى: وَلِمَنْ خَافَ مقامه بَيْن يَدَيْ الله ﷻ يَوْم القِيَامَة، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ وَلَمْ يَطْغَ وَلا آثَرَ الحَيَاة الدُّنْيَا، وَعَلِمَ أَنَّ الآخِرَة خَيْر وَأَبْقَى، فَأَدَّى فَرَائِض الله، وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ، فَلَهُ يَوْم القِيَامَة عِنْد رَبّه جَنَّتَانِ، كَمَا قَال البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ : حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَبِي الأَسْوَد، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن عَبْد الصَّمَد العَمِّيّ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن عَبْد الله بْن قَيْس، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّة، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتهمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْن القَوْم وَبَيْن أَنْ يَنْظُرُوا إِلى رَبِّهِمْ ﷻ إِلاَّ رِدَاء الكِبْرِيَاء عَلى وَجْهه فِي جَنَّة عَدْن**»[3]. وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّة الجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُد مِنْ حَدِيث عَبْد العَزِيز بِهِ. [وَقَال حَمَّاد بْن سَلَمَة، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ -قَال حَمَّاد: وَلا أَعْلمهُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ- فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. وَفِي قَوْله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَب لِلمُقَرَّبِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ وَرِق لأَصْحَابِ اليَمِين][4].

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى بْن أَبَانَ المصري، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي مَرْيَم، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي حَرْمَلَة، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، أَخْبَرَنِي أَبُو الدَّرْدَاء: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ يَوْمًا هَذِهِ الآيَة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فَقُلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ فَقَال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ، فَقُلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ فَقَال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فَقُلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُول الله؟ فَقَال: «**وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاء**».[5] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث مُحَمَّد [بْن أَبِي حَرْمَلَة][6]، بِهِ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضًا عَنْ مُؤَمِّل بْن هِشَام، عَنْ إِسْمَاعِيل عَنْ الجُرَيْرِيّ، عَنْ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّد بْن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، بِهِ. وَقَدْ رُوِيَ مَوْقُوفًا عَلى أَبِي الدَّرْدَاء وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَال: إِنَّ مَنْ خَافَ مَقَام رَبّه لَمْ يَزْنِ وَلَمْ يَسْرِق. وَهَذِهِ الآيَة عَامَّة فِي الإِنْس وَالجِنّ، فَهِيَ مِنْ أَدَلّ دَلِيل عَلى أَنَّ الجِنّ يَدْخُلُونَ الجَنَّة إِذَا آمَنُوا وَاتَّقَوْا، وَلِهَذَا امْتَنَّ الله تَعَالى عَلى الثَّقَلَيْنِ بِهَذَا الجَزَاء فَقَال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثُمَّ نَعَتَ هَاتَيْنِ الجَنَّتَيْنِ فَقَال: ﴿ذَوَاتَآ

---

(١) **إسناده ضعيف** : لإرساله.

(٢) **ضعيف** : لإرساله، وفيه أيضًا بقية بن الوليد وقد كان يدلس ويسوي، وفيه أيضًا أبو بكر ابن أبي مريم.

(٣) **صحيح** : تقدم.

(٤) سقط من الأزهرية.

(٥) **حسن** : أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ظلال الجنة».

(٦) في الأزهرية: [من حرملة].

أَفْنَانٍ﴾ أَيْ: أَغْصَان نَضِرَة حَسَنَة، تَحْمِل مِنْ كُلّ ثَمَرَة نَضِيجه فَائِقَة، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هَكَذَا قَال عَطَاء الخُرَاسَانِيّ وَجَمَاعَة: إِنَّ الأَفْنَان أَغْصَان الشَّجَر، يَمَسّ بَعْضهَا بَعْضًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، حَدَّثَنَا مُسْلم بْن قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن النُّعْمَان، سَمِعْت عِكْرِمَة يَقُول: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ يقول: ظِلّ الأَغْصَان عَلَى الحِيطَان، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْل الشَّاعِر حيث يقول:

مَا هَاجَ شَوْقَك مِنْ هَدِيل حَمَامَةٍ ❁ تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الغُصُون حَمَامَا

تَدْعُو أَبَا فَرْخَيْنِ صَادَفَ طَاوِيًا ❁ ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنْ الصُّقُور قَطَامَا

وَحَكَى البَغَوِيّ عَنْ مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك وَالكَلْبِيّ: أَنَّهُ الغُصْن المُسْتَقِيم. قال: وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا عَبْد السَّلام بْن حَرْب، حَدَّثَنَا عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: ذَوَاتَا أَلْوَان. قَال: وَرُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، وَالحَسَن وَالسُّدِّيّ وَخُصَيْف، وَالنَّضْر بْن عَرَبِيّ [وأبي سِنَان][1] مِثْلُ ذَلِكَ. وَمَعْنَى هَذَا القَوْل أَنَّ فِيهِمَا فُنُونًا مِنَ المَلاذّ، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال عَطَاء: كُلّ غُصْن يَجْمَع فُنُونًا مِنْ الفَاكِهَة. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ وَاسِعَتَا الفِنَاء. وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال صَحِيحَة، وَلا مُنَافَاة بَيْنهَا، وَالله أَعْلم. وَقَال قَتَادَة: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ ينبئ بِفَضْلهَا وسَعَتهَا وَمَزِيَّتهَا عَلى مَا سِوَاهَا. وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ يَحْيَى بْن عَبَّاد بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاء قَالَتْ: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ وَذَكَرَ سِدْرَة المُنْتَهَى فَقَال: «**يَسِير فِي ظِلّ الفَنَن مِنْهَا الرَّاكِب مِائَة سَنَة -أَوْ قَال: يَسْتَظِلّ فِي ظِلّ الفَنَن مِنْهَا مِائَة رَاكِب-، فِيهَا فَرَاش الذَّهَب، كَأَنَّ ثَمَرهَا القِلال**»[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث يُونُس بْن بَكْر بِه.

وَقَال حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ ثَابِت عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ -قَال حَمَّاد: وَلا أَعْلمهُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ- فِي قَوْله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ وَفِي قَوْله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قَال: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَب لِلْمُقَرَّبِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ وَرِق لأَصْحَاب اليَمِين.[3] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أَيْ: تَسْرَحَانِ لِسَقْيِ تِلْكَ الأَشْجَار وَالأَغْصَان، فَتُثْمِر مِنْ جَمِيع الأَلْوَان، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَال الحَسَن البَصْرِيّ: إِحْدَاهُمَا يُقَال لَهَا: «**تَسْنِيم**»، وَالأُخْرَى: «**السَّلْسَبِيل**». وَقَال عَطِيَّة: إِحْدَاهُمَا مِنْ مَاء غَيْر آسِن، وَالأُخْرَى مِنْ خَمْر لَذَّة لِلشَّارِبِينَ. ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، أَيْ: مِنْ جَمِيع أَنْوَاع الثِّمَار مِمَّا يَعْلمُونَ وَخَيْر مِمَّا يَعْلمُونَ، وَمِمَّا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعْت، وَلا خَطَرَ عَلى قَلب بَشَر، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. قَال إِبْرَاهِيم بْن الحَكَم بْن أَبَان، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: مَا فِي الدُّنْيَا ثَمَرَة حُلوَة وَلا مُرَّة إِلَّا وَهِيَ فِي الجَنَّة حَتَّى الحَنْظَلَة. وَقَال ابْن عَبَّاس: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الآخِرَة إِلَّا الأَسْمَاء. يَعْنِي أَنَّ بَيْن ذَلِكَ بَوْنًا عَظِيمًا وَفَرْقًا بَيِّنًا فِي التَّفَاضُل.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ يَعْنِي أَهْل الجَنَّة. وَالمُرَاد بِالاتِّكَاءِ هَهُنَا: الاضْطِجَاع. وَيُقَال: الجُلُوس عَلى صِفَة التَّرَبُّع، ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، وَهُوَ: مَا غَلُظَ مِنْ الدِّيبَاج. قَالهُ عِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة. وَقَال أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ: هُوَ الدِّيبَاج المغرى بِالذَّهَب. فَنَبَّهَ عَلى شَرَف الظِّهَارَة بِشَرَفِ البِطَانَة. وهذا مِنْ التَّنْبِيه

---

(١) في الأزهرية: [ابن سنان].

(٢) حسن: تقدم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٤٦).

بِالأَدْنَى عَلى الأَعْلى. قَال أَبُو إِسْحَاق عَنْ هُبَيْرَة بْن ريم، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: هَذِهِ البَطَائِن، فَكَيْف لَوْ رَأَيْتُمْ الظَّوَاهِر؟ وَقَال مَالك بْن دِينَار: بَطَائِنهَا مِنْ إِسْتَبْرَق، وَظَوَاهِرهَا مِنْ نُور. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ -أَوْ شَرِيك-: بَطَائِنهَا مِنْ إِسْتَبْرَق، وَظَوَاهِرهَا مِنْ نُور جَامِد. وَقَال القَاسِم بْن مُحَمَّد: بَطَائِنهَا مِنْ إِسْتَبْرَق، وَظَوَاهِرهَا مِنْ الرَّحْمَة. وَقَال ابْن شَوْذَب، عَنْ أَبِي عَبْد الله الشَّامِيّ: ذَكَرَ الله البَطَائِن وَلمْ يَذْكُرْ الظَّوَاهِر، وَعَلى الظَّوَاهِر [المَحَابِس][1]، وَلا يَعْلم مَا تَحْت [المَحَابِس][1] إِلَّا الله. ذَكَرَ ذَلكَ كُلّه الإِمَام ابْن أَبِي حَاتِم. ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أَيْ: ثَمَرُهُمَا قَرِيب إِليْهِمْ، مَتَى شَاءُوا تَنَاوَلُوهُ، عَلى أَيِّ صِفَة كَانُوا، كَمَا قَال: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، وَقَال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أَيْ: لا تَمْتَنِع مِمَّنْ تَنَاوَلهَا، بَل تَنْحَطّ إِليْهِ مِنْ أَغْصَانهَا، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ولما ذكر الفرش وعظمتها قَال بَعْد ذَلكَ: ﴿فِيهِنَّ﴾ أَيْ: فِي الفُرُش ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أَيْ: غَضِيضَات عَنْ غَيْر أَزْوَاجِهِنَّ، فَلا يَرَيْنَ شَيْئًا أَحْسَنَ فِي الجَنَّة مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَقَتَادَة، وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ، وَابْن زَيْد. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الوَاحِدَة مِنْهُنَّ تَقُول لبَعْلهَا: وَاللهِ مَا أَرَى فِي الجَنَّة شَيْئًا أَحْسَن مِنْك، وَلا فِي الجَنَّة شَيْئًا أَحَبَّ إِليَّ مِنْك، فَالحَمْد لله الَّذِي جَعَلك لي وَجَعَلنِي لك.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾، أَيْ: بَل هُنَّ أَبْكَارٌ عُرُب أَتْرَاب، لمْ يَطَأْهُنَّ أَحَد قَبْل أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ الإِنْس وَالجِنّ. وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ الأَدِلَّة عَلى دُخُول مُؤْمِنِي الجِنّ الجَنَّة. قَال أَرْطَاة بْن المُنْذِر: سُئِل ضَمْرَة بْن حَبِيب: هَل يَدْخُل الجِنّ الجَنَّة؟ قَال: نَعَمْ وَيَنْكِحُونَ، للجِنِّ جِنِّيَات، وَللإِنْسِ إِنْسِيَّات. وَذَلكَ قَوْله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم قال يَنْعَتُهُنَّ للخُطَّاب: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. [قَال مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَابْن زَيْد، وَغَيْرهمْ: فِي صَفَاء اليَاقُوت وَبَيَاض المَرْجَان][2]. فَجَعَلُوا المَرْجَان هَهُنَا اللُّؤْلُؤ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا [مُحَمَّد بْن حَاتِم][3]، حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن حُمَيْد، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون الأَوْدِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِنَّ المَرْأَة مِنْ نِسَاء أَهْل الجَنَّة ليُرَى بَيَاض سَاقِهَا مِنْ وَرَاء سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ الحرير حَتَّى يُرَى مُخُّهَا، وَذَلكَ أن الله تَعَالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، فَأَمَّا اليَاقُوت فَإِنَّهُ حَجَر لوْ أَدْخَلت فِيهِ سِلكًا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرَأَيْته مِنْ وَرَائِهِ».[4] وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث عَبِيدَة بْن حُمَيْد وَأَبِي الأَحْوَص، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، بِهِ. وَرَوَاهُ مَوْقُوفًا، ثُمَّ قَال: وَهُوَ أَصَحّ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، أَخْبَرَنَا يُونُس، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«للرَّجُل مِنْ أَهْل الجَنَّة زَوْجَتَانِ مِنْ الحُور العِين، عَلى كُلّ وَاحِدَة سَبْعُونَ حُلَّة، يُرَى مُخّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاء الثِّيَاب»**[5]. تَفَرَّدَ بِهِ الإِمَام أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَدْ رواه مُسْلم من حَدِيث إِسْمَاعِيل ابْن عُليَّة، عَنْ أَيُّوب، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ قَال: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تذاكروا، الرِّجَال أَكْثَر فِي الجَنَّة أَمْ النِّسَاء؟ فَقَال أَبُو هُرَيْرَة: أَوَلمْ يَقُل أَبُو القَاسِم ﷺ: **«إِنَّ أَوَّل زُمْرَة تَدْخُل الجَنَّة عَلى صُورَة القَمَر ليْلة البَدْر، وَالَّتِي تَليهَا عَلى أضوأ كَوْكَب دُرِّيّ فِي السَّمَاء، لكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخّ سوقهما مِنْ وَرَاء اللَّحْم، وَمَا فِي الجَنَّة أَعْزَب»**[6]. وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّج فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث هَمَّام بْن مُنَبِّه وَأَبِي زُرْعَة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه.

---

(١) في الأزهرية: [المحاسن].
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) في الأزهرية: [حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم].
(٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٥٣٦)، بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٥) **صحيح** : أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٥).
(٦) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٨٣٤)، وهو أيضًا في البخاري (٣٣٢٧).

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضر، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن طَلْحَة، عَنْ حُمَيْد، عَنْ أَنَس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«لغَدْوَة فِي سَبِيل الله أَوْ رَوْحَة خَيْر مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلقَابُ قَوْسِ أَحَدكُمْ -أَوْ مَوْضِع قيده؛ يَعْنِي سَوْطه- مِنْ الجنَّة خَيْر مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلوْ اطَّلعَتْ امْرَأَة مِنْ نِسَاء أَهْل الجنَّة إِلى الأَرْض لَمَلأَتْ مَا بَيْنهمَا رِيحاً، وَلطَابَ مَا بَيْنهمَا، وَلنَصِيفُهَا عَلى رَأْسهَا خَيْر مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»**[1]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي إِسْحَاق عَنْ حُمَيْد عَنْ أَنَس بِنَحْوِهِ.

وَقَوْله: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ أَيْ: ما لَمَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا العَمَل إِلَّا الإِحْسَان إِلَيْهِ فِي الدار الآخِرَة، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. وَقَال البَغَوِيّ: أخبرنا أَبُو سَعِيد الشُّرَيْحِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق الثَّعْلبِيّ، أَخْبَرَنِي ابْن فنجويه، حَدَّثَنَا ابْن شَيْبَة، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم بْن بَهْرَام، حَدَّثَنَا الحَجَّاج ابْن يُوسُف المُكْتِب، حَدَّثَنَا بِشْر بْن الحُسَيْن، عَنْ الزُّبَيْر بْن عَدِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ وَقَال: «هَل تَدْرُونَ مَا قَال رَبّكُمْ؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «يَقُول: هَل جَزَاء مَنْ أَنْعَمْت عَليْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلاَّ الجَنَّة»[2]. وَلَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذُكِرَ نِعَم عَظِيمَة لا يُقَاوِمهَا عَمَل، بَل مُجَرَّد تَفَضُّل وَامْتِنَان، قال بعد ذلك كله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ، ما رواه الترمذي والبغوي، من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، عن أبي عقيل الثقفي، عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاوي، عن بكير بن فيروز، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة»**[3]. ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر. وروى البغوي من حديث علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة -مولى حويطب بن عبد العزى- عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر وهو يقول: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾». قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾». فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: **«وإن رَغِم أنف أبي الدرداء»**.[4]

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

هَاتَانِ الجَنَّتَانِ دُون اللَّتَيْنِ قَبْلهمَا فِي المَرْتَبَة وَالفَضِيلة وَالمَنْزِلة بِنَصِّ القُرْآن، قَال الله تَعَالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الحَدِيث: **«جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَّتهمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّة آنِيَّتهمَا وَمَا فِيهِمَا»**. فَالأُولَيَانِ للمُقَرَّبِينَ، وَالأُخْرَيَانِ لأَصْحَابِ اليَمِين. وَقَال أَبُو مُوسَى: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَب للمُقَرَّبِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّة لأَصْحَابِ اليَمِين. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ مِنْ دُونهمَا فِي

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٩٦).

(٢) **ضعيف جدًا**: في إسناده بشر بن الحسين، قال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: يكذب على الزبير.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٤٥٢)، وانظر «الصحيحة» (٢٣٣٥).

(٤) **صحيح**: تقدم.

الدَّرَج. وَقَال ابْن زَيْد: مِنْ دُونِهِمَا فِي الفَضْل. وَالدَّلِيل عَلَى شَرَف الأُولَيَيْنِ عَلى الأُخْرَيَيْنِ وُجُوه: أَحَدهَا: أَنَّهُ نَعَتَ الأُولَيَيْنِ قَبْل هَاتَيْنِ، وَالتَّقْدِيم يَدُلّ عَلى الاعْتِنَاء. ثُمَّ قَال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ وَهَذَا ظَاهِر فِي شَرَف التَّقَدُّم وَعُلُوّهُ عَلى الثَّانِي. وَقَال هُنَاكَ: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ وَهِيَ الأَغْصَان أَوْ الفُنُون فِي المَلاذّ، وَقَال هَهُنَا: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ ، أَيْ: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّة الرِّيّ. قَال ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ : قَدْ اسْوَدَّتَا مِنْ الخُضْرَة مِنْ شِدَّة الرِّيّ مِنْ المَاء.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا ابْن فُضَيْل، حَدَّثَنَا عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ﴾، قَال: خَضْرَاوَانِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ، وَعَبْد الله بْن الزُّبَيْر، وَعَبْد الله بْن أَبِي أَوْفَى، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَمُجَاهِد فِي إِحْدَى الرِّوَايَات وَعَطَاء، وَعَطِيَّة العَوْفِيّ، وَالحَسَن البَصْرِيّ، وَيَحْيَى بْن رَافِع، وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ، نَحْو ذَلِكَ. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ : مُمْتَلِئَتَانِ مِنْ الخُضْرَة. وَقَال قَتَادَة: خَضْرَاوَانِ مِنْ الرِّيّ نَاعِمَتَانِ. وَلا شَكَّ فِي نَضَارَة الأَغْصَان عَلى الأَشْجَار المُشْتَبِكَة بَعْضهَا فِي بَعْض. وقال هناك: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وقال هاهنا: ﴿نَضَّاخَتَانِ ﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي: فَيَّاضَتَانِ. وَالجَرْي أَقْوَى مِنْ النَّضْخ. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿نَضَّاخَتَانِ ﴾ أَيْ: مُمْتَلِئَتَانِ لا تَنْقَطِعَانِ.

وَقَال هناك: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ وقال هاهنا: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، وَلاشَكَّ أَنَّ الأُولى أَعَمُّ وَأَكْثَر فِي الأَفْرَاد وَالتَّنْوِيع عَلى فَاكِهَة، وَهِيَ نَكِرَة فِي سِيَاق الإِثْبَات لا تَعُمّ. وَلهَذَا فسر قَوْله: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ مِنْ بَاب عَطْف الخَاصّ عَلى العَامّ كَمَا قَرَّرَهُ البُخَارِيّ وَغَيْره، وَإِنَّمَا أَفْرَدَ النَّخْل وَالرُّمَّان بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِمَا عَلى غَيْرهمَا. قَال عَبْد بْن حُمَيْد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْد الحَمِيد، حَدَّثَنَا حُصَيْن بْن عُمَر، حَدَّثَنَا مُخَارِق، عَنْ طَارِق بْن شِهَاب، عَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب قَال: جَاءَ أُنَاس مِنْ اليَهُود إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، أَفِي الجَنَّة فَاكِهَة؟ قَال: «نَعَمْ، فِيهَا فَاكِهَة وَنَخْل وَرُمَّان». قَالُوا: أَفَيَأْكُلُونَ كَمَا يَأْكُلُونَ فِي الدُّنْيَا؟ قال: «نَعَمْ وَأَضْعَاف». قَالُوا: فَيَقْضُونَ الحَوَائِج؟ قَال: «لا، وَلكِنَّهُمْ يَعْرَقُونَ وَيَرْشَحُونَ، فَيُذْهِب الله مَا فِي بُطُونهمْ مِنْ أَذًى».[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الفَضْل بْن دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ حَمَّاد، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: نَخْل الجَنَّة سَعَفُهَا كِسْوَة لأَهْل الجَنَّة، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَمِنْهَا حُللُهُمْ وَكَرَبهَا ذَهَب أَحْمَر، وَجُذُوعهَا زُمُرُّد أَخْضَر، وَثَمَرهَا أَحْلى مِنْ العَسَل، وَأَلْيَن مِنْ الزُّبْد، وَليْسَ لهُ عَجَم. وَحَدَّثَنَا أَبِي: حَدَّثَنَا مُوسَى ابْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا حَمَّاد -هُوَ ابْن سَلمَة- عَنْ أَبِي هَارُون، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «نَظَرْت إِلى الجَنَّة فَإِذَا الرُّمَّانَة مِنْ رُمَّانهَا كمثل البعير المُقَتَّب».[2]

ثم قَال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾. قيل: المُرَاد خَيْرَات كَثِيرَة حَسَنَة فِي الجَنَّة. قَالهُ قَتَادَة: وَقِيل: خَيْرَات، جَمْع خَيْرَة، وَهِيَ المَرْأَة الصَّالحَة الحَسَنَة الخَلق الحَسَنَة الوَجْه. قَالهُ الجُمْهُور. وَرُوِيَ مَرْفُوعًا عَنْ أُمّ سَلمَة. وَفِي الحَدِيث الآخر الَّذِي سَنُورِدُهُ فِي «سُورَة الوَاقِعَة»: أَنَّ الحُور العِين يُغَنِّين: نَحْنُ الخَيْرَات الحِسَان، خُلقْنَا لأَزْوَاج كِرَام. وَلهَذَا قَرَأَ بَعْضهمْ: ﴿فِيهِنَّ خَيِّرَاتٌ حِسَانٌ﴾ بِالتَّشْدِيد. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ وَهُنَاكَ قَال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ وَلا شَكَّ أَنَّ الَّتِي قَدْ قَصَرَتْ طَرْفَهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَل مِمَّنْ قُصِرَتْ وَإِنْ كَانَ الجَمِيع مُخَدَّرَات.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا : فيه الحصين بن عمرو الأحمسي: وهو متروك.
(٢) إسناده ضعيف جدًا : فيه أبو هارون العبدي: وهو متروك.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَبْد الله الأَوْدِيّ، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان، عَنْ جَابِر، عَنْ القَاسِم بْن أَبِي بَزَّة، عَنْ أَبِي عُبَيْدَة، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْد الله قَال: إِنَّ لكُلِّ مُسْلم خَيْرَة، وَلكُلِّ خَيْرَة خَيْمَة، وَلكُلِّ خَيْمَة أَرْبَعَة أَبْوَاب، يَدْخُل عَلَيْهِ كُلّ يَوْم تُحْفَة وَكَرَامَة وَهَدِيَّة لمْ تَكُنْ قَبْل ذَلكَ، لا مَرِحَات وَلا طَمِحَات وَلا بَخِرَات وَلا ذَفِرَات، حُور عِين، كَأَنَّهُنَّ بَيْض مَكْنُون. وَقَوْله: ﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾، قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن عَبْد الصَّمَد، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن عَبْد الله بْن قَيْس، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ فِي الجنَّة خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَة مُجَوَّفَة، عَرْضُهَا ستُّونَ مِيلاً، فِي كُلّ زَاوِيَة مِنْهَا أَهْل مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوف عَلَيْهِمْ المُؤْمِنُونَ**»[1]. وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث أَبِي عِمْرَان بِهِ، وَقَال: «**ثَلاثُونَ مِيلاً**». وَأَخْرَجَهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث أَبِي عِمْرَان بِهِ وَلَفْظه: «**إِنَّ للمُؤْمِنِ فِي الجنَّة لخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَة وَاحِدَة مُجَوَّفَة، طُولهَا ستُّونَ مِيلاً، للمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْله، يَطُوف عَلَيْهِمْ المُؤْمِن فَلا يَرَى بَعْضهمْ بَعْضًا**».

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن أَبِي الرَّبِيع، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة، أَخْبَرَنِي خُلَيْد العَصَرِيّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَال: الخَيْمَة لُؤْلُؤَة وَاحِدَة، فِيهَا سَبْعُونَ بَابًا مِنْ دُرّ. وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عِيسَى بْن أَبِي فَاطِمَة، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ هِشَام، عَنْ مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾، قَال: فِي خِيَام اللُّؤْلُؤ، وَفِي الجنَّة خَيْمَة وَاحِدَة مِنْ لُؤْلُؤَة، أَرْبَعة فَرَاسِخ فِي أربعة فَرَاسِخ، عَلَيْهَا أَرْبَعَة آلاف مِصْرَاع مِنْ الذَهَب. وَقَال عَبْد الله بْن وَهْب: أَخْبَرَنَا عَمْرو أَنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْح حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**أَدْنَى أَهْل الجنَّة مَنْزِلة الَّذِي لهُ ثَمَانُونَ أَلف خَادِم، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَة، وَتُنْصَب لهُ قُبَّة مِنْ لُؤْلُؤ وَزَبَرْجَد وَيَاقُوت، كَمَا بَيْن الجَابِيَة وَصَنْعَاء**»[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث عَمْرو بْن الحَارِث بِهِ. وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾: تقدم مثله سواء، إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وَقَوْله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: الرَّفْرَف: المَحَابِس. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْرهمْ: هِيَ المَحَابِس. وَقَال العَلاء بْن بدر: الرَّفْرَف عَلى السَّرِير، كَهَيْئَةِ المَحَابِس المُتَدَلِّي.

وَقَال عَاصِم الجَحْدَرِيّ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ يَعْنِي: الوَسَائِد. وَهُوَ قَوْل الحَسَن البَصْرِيّ فِي رِوَايَة عَنْهُ. وَقَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ شُعْبَة، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قَال: الرَّفْرَف رِيَاض الجنَّة. وَقَوْله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾. قَال ابْن عَبَّاس، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ: العَبْقَرِيّ: الزَّرَابِيّ، وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: هِيَ عِتَاق الزَّرَابِيّ، يَعْنِي: جِيَادهَا، وَقَال مُجَاهِد: العَبْقَرِيّ: الدِّيبَاج، وَسُئِل الحَسَن البَصْرِيّ عَنْ قَوْله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فَقَال: هِيَ بُسُط أَهْل الجنَّة لا أَبَا لكُمْ فَاطْلُبُوهَا. وَعَنْ الحَسَن رِوَايَة: أَنَّهَا المَرَافِق. وَقَال زَيْد بْن أَسْلمَ: العَبْقَرِيّ: أَحْمَر وَأَصْفَر وَأَخْضَر. وَسُئِل العَلاء بْن زَيْد عَنْ العَبْقَرِيّ، فَقَال: البُسُط أَسْفَل مِنْ ذَلكَ. وَقَال [أَبُو حَرْزَةَ][3] يَعْقُوب بْن مُجَاهِد: العَبْقَرِيّ: مِنْ ثِيَاب أَهْل الجنَّة، لا يَعْرِفهُ أَحَد. وَقَال أَبُو العَالِيَة: العَبْقَرِيّ: الطَّنَافِس المُحَمَّلة، إِلى الرِّقَّة مَا هِيَ.

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٢٤٣) (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٢) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٥٦٥) بسند ضعيف، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الجامع» (٢٦٦).
(٣) في الأزهرية: [ابن مزرة].

وَقَال القتيبي: كُلّ ثَوْب مُوَشًّى عِنْد العَرَب عَبْقَرِيّ. وَقَال أَبُو عُبَيْدَة: هُوَ مَنْسُوب إِلى أَرْض يُعْمَل بِهَا الوَشْي.
وَقَال الخَليل بْن أَحْمَد: كُلّ شَيْء يسر مِنْ الرِّجَال وَغَيْر ذَلكَ يُسَمَّى عِنْد العَرَب عَبْقَرِيًّا. وَمِنْهُ قَوْل النَّبِيّ ﷺ فِي عُمَر: «**فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ**»[1]. وَعَلى كُلّ تَقْدِير فَصِفَة مَرَافِق أَهْل الجَنَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ أَرْفَع وَأَعْلى مِنْ هَذِهِ الصِّفَة، فَإِنَّهُ قَدْ قَال هُنَاكَ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ فَنعتَ بَطَائِن فُرُشهمْ وَسَكَتَ عَنْ ظَهَائِرِهَا، اكْتِفَاء بِمَا مَدَحَ بِهِ البَطَائِن بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى. وَتَمَام الخَاتِمَة أَنَّهُ قَال بَعْد الصِّفَات المُتَقَدِّمَة: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ فَوَصَفَ أَهْلَهَا بِالإِحْسَانِ وَهُوَ أَعْلى المَرَاتِب وَالنِّهَايَات. كَمَا فِي حَدِيث جِبْرِيل لَمَّا سَأَل عَنْ الإِسْلام، ثُمَّ الإِيمَان، ثُمَّ الإِحْسَان. فَهَذِهِ وُجُوه عَدِيدَة فِي تَفْضِيل الجَنَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ عَلى هَاتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ، وَنَسْأَل الله الكَرِيم الوَهَّاب أَنَّ يَجْعَلنَا مِنْ أَهْل الأُولَيَيْنِ.

ثُمَّ قَال: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أَيْ: هُوَ أَهْل أَنْ يُجَلَّ فَلا يُعْصَى، وَأَنْ يُكْرَم فَيُعْبَد، وَيُشْكَر فَلا يُكْفَر، وَأَنْ يُذْكَر فَلا يُنْسَى. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ذو العَظَمَة وَالكِبْرِيَاء. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن دَاوُد، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن ثَابِت بْن ثَوْبَان، عَنْ عمر بْن هَانِئ. عَنْ أَبِي العَذْرَاء، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أَجِلُّوا الله يَغْفِرْ لكُمْ**».[2] وَفِي الحَدِيث الآخَر: «**إِنَّ مِنْ إِجْلال الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَة المُسْلم، وَذِي السُّلْطَان، وَحَامِل القُرْآن غَيْر الغَالي فِيهِ وَلا الجَافِي عَنْهُ**»[3].

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُف الحيري، حَدَّثَنَا مُؤَمّل بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا حَمَّاد، حَدَّثَنَا حُمَيْد الطَّوِيل، عَنْ أَنَس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**أَلظُّوا بِيَا ذَا الجَلال وَالإِكْرَام**»[4]. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، عَنْ مَحْمُود ابْن غَيْلان، عَنْ مُؤَمّل بْن إِسْمَاعِيل، عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَة، بِهِ. ثُمَّ قَال: غَلطَ المُؤَمّل فِيهِ، وَهُوَ غَرِيب وَلَيْس بِمَحْفُوظٍ، وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا غير حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ حُمَيْد، عَنْ الحَسَن، عَنْ النَّبِيّ ﷺ.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن المُبَارَك، عَنْ يَحْيَى بْن حَسَّان المَقْدِسِيّ، عَنْ رَبِيعَة بْن عَامِر قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**أَلظُّوا بِذِي الجَلال وَالإِكْرَام**». وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن المُبَارَك، بِهِ. وَقَال الجَوْهَرِيّ: أَلظَّ فُلان بِفُلان: إِذَا لزِمَهُ. وَقَوْل ابْن مَسْعُود: أَلظُّوا بِيَا ذَا الجَلال وَالإِكْرَام. أَيْ: الزَمُوا. يُقَال: الإِلظَاظ هُوَ الإِلحَاح.

قُلت: وَكِلاهُمَا قَرِيب مِنْ الآخَر -وَالله أَعْلم- وَهُوَ المُدَاوَمَة وَاللُّزُوم وَالإِلحَاح. وَفِي «صَحِيح مُسْلم» وَالسُّنَن الأَرْبَعَة، مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن الحَارِث، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا سَلَّمَ لا يَقْعُد -يَعْنِي بَعْد الصَّلاة- إِلَّا قدر مَا يَقُول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلام، وَمِنْك السَّلام، تَبَارَكْت يَا ذَا الجَلال وَالإِكْرَام**»[5].

آخِر تَفْسِير سُورَة الرَّحْمَن، ولله الحَمْدُ

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (٢٣٩٣).
(٢) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ١٩٩) بسند ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الجامع» (١٠٣).
(٣) **حسن** : من حديث أبي موسى. حديث أبي الدرداء ذكره الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣١٨)، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط» وقال: في إسناده عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الحوت: وثقه ابن حبان ودحيم، وضعفه أبو داود وغيره، وبقية رجاله ثقات.
وحديث أبي موسى أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٩٩) وفي غير موضع.
(٤) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٣٥٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٥٠).
(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم (٥٩١).

تفسير سُورَةُ الوَاقِعَةِ وهي مكية

ترتيبها ٥٦ — وآياتها ٩٦

قَال أَبُو إِسْحَاق، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال أَبُو بَكْر: يَا رَسُول الله، قَدْ شِبْتَ! قَال: «**شَيَّبَتْنِي هُود، وَالوَاقِعَة، وَالمُرْسَلات، وَعَمّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْس كُوِّرَتْ**»[1]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَقَال: حَسَن غَرِيب. وقَال الحَافِظ ابن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة عَبْد الله بْن مَسْعُود بِسَنَدِهِ إِلى عَمْرو بْن الرَّبِيع بْن طَارِق المِصْرِيّ: حَدَّثَنَا السَّرِيّ ابْن يَحْيَى الشَّيْبَانِيّ، عَنْ أَبِي شُجَاع، عَنْ أَبِي ظَبْيَة قَال: مَرِضَ عَبْد الله مَرَضَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَعَادَهُ عُثْمَان بْن عَفَّان فَقَال: مَا تَشْتَكِي؟ قَال: ذُنُوبِي. قَال: فَمَا تَشْتَهِي؟ قَال: رَحْمَة رَبِّي. قَال: أَلا آمُر لك بِطَبِيب؟ قَال: الطَّبِيب أَمْرَضَنِي. قَال: أَلا آمُر لك بِعَطَاءٍ؟ قَال: لا حَاجَة لِي فِيهِ. قَال: يَكُون لبَنَاتِك مِنْ بَعْدك؟ قَال: أَتَخْشَى عَلى بَنَاتِي الفَقْر؟ إِنِّي أَمَرْت بَنَاتِي يَقْرَأْنَ كُلّ لَيْلَة سُورَة الوَاقِعَة، إِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَنْ قَرَأَ سُورَة الوَاقِعَة كُلّ لَيْلَة لَمْ تُصِبْهُ فَاقَة أَبَدًا»[2]. ثُمَّ قَال ابْن عَسَاكِر: كَذَا قَال، وَالصَّوَاب عَنْ «شُجَاع» كَمَا رَوَاهُ عَبْد الله بْن وَهْب، عَنْ السَّرِيّ.

وَقَال عَبْد الله بْن وَهْب: أَخْبَرَنِي السَّرِيّ بْن يَحْيَى أَنَّ شُجَاعًا حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي ظَبْيَة، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَنْ قَرَأَ سُورَة الوَاقِعَة كُلّ لَيْلَة لَمْ تُصِبْهُ فَاقَة أَبَدًا». فَكَانَ أَبُو ظَبْيَة لا يَدَعهَا.

وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلى، عَنْ إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم، عَنْ مُحَمَّد بْن مُنِيب، عَنْ السَّرِيّ بْن يَحْيَى، عَنْ شُجَاع، عَنْ أَبِي ظَبْيَة، عَنْ ابْن مَسْعُود بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ إِسْحَاق بْن إسرائيل، عَنْ مُحَمَّد بْن مُنِيب [العَدَنِيّ][3]، عَنْ السَّرِيّ بْن يَحْيَى، عَنْ أَبِي ظَبْيَة، عَنْ ابْن مَسْعُود: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «مَنْ قَرَأَ سُورَة الوَاقِعَة فِي كُلّ لَيْلَة لَمْ تُصِبْهُ فَاقَة أَبَدًا». لَمْ يَذْكُر فِي سنده «شُجَاعًا»، قَال: وَقَدْ أَمَرْت بَنَاتِي أَنْ يَقْرَأْنَهَا كُلّ لَيْلَة. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن عَسَاكِر أَيْضًا مِنْ حَدِيث حَجَّاج بْن نُصَيْر وَعُثْمَان بْن اليَمَان، عَنْ السَّرِيّ بْن يَحْيَى، عَنْ شُجَاع عَنْ أَبِي فَاطِمَة قَال: مَرِضَ عَبْد الله فَأَتَاهُ عُثْمَان بْن عَفَّان يَعُودهُ، فَذَكَرَ الحَدِيث بِطُولِهِ. قَال عُثْمَان بْن اليَمَان: كَانَ أَبُو فَاطِمَة هَذَا مَوْلًى لِعَلِيّ بْن أَبِي طَالب: وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل؛ وَيَحْيَى بْن آدم، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك بْن حَرْب: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِر بْن سَمُرَة يَقُول: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي الصَّلَوَات كَنَحْوٍ مِنْ صَلاتكُمْ الَّتِي تُصَلُّونَ اليَوْم، وَلكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّف، كَانَتْ صَلاته أَخَفّ مِنْ صَلاتكُمْ، وَكَانَ يَقْرَأ فِي الفَجْر «الوَاقِعَة» وَنَحْوهَا مِنْ السُّوَر.[4]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

الوَاقِعَة: اسم مِنْ أَسْمَاء يَوْم القِيَامَة، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لتَحَقُّق كَوْنهَا وَوُجُودهَا، كَمَا قَال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾. وَقَوْله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ لوُقُوعِهَا إِذَا أَرَادَ الله كَوْنهَا صَارِف يَصْرِفهَا وَلا دَافِع يَدْفَعهَا،

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) ضعيف: انظر «الضعيفة» (٢٨٩).
(٣) في الأزهرية: [العدني].
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٠٤)، والحاكم (١/ ٢٤٠)، وصححه الألباني.

كَمَا قَال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾، وَقَال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وَمَعْنَى: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كَمَا قَال مُحَمَّد بْن كَعْب: لابُدّ أَنْ تَكُون. وَقَال قَتَادَة: لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّة وَلا ارْتِدَاد وَلا رَجْعَة. قَال ابْن جَرِير: وَالكَاذِبَة: مَصْدَر كَالعَاقِبَةِ وَالعَافِيَة.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾، أَيْ: تَخْفِض أَقْوَامًا إِلى أَسْفَل سَافِلِينَ إِلى الجَحِيم، وَإِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَعِزَّاء، وَتَرْفَع آخَرِينَ إِلى أَعْلى عِلِّيِّينَ إِلى النَّعِيم المُقِيم، وَإِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا وُضَعَاء. وهَكَذَا قَال الحَسَن، وَقَتَادَة وَغَيْرهمَا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا يزيد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مُصْعَب المَعْنَى، حَدَّثَنَا حُمَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن الرُّؤَاسِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سِمَاك، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تَخْفِض أَقْوَامًا وَتَرْفَع آخَرِينَ. وَقَال عُبَيْد الله العَتَكِيّ، عَنْ عُثْمَان بْن سُرَاقَة ابْن خَالة عُمَر بْن الخَطَّاب: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ السَّاعَة خَفَضَتْ أَعْدَاء الله إِلى النَّار، وَرَفَعَتْ أَوْلِيَاء الله إِلى الجَنَّة. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: تَخْفِض رِجَالًا كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُرْتَفِعِينَ، وَتَرْفَع رِجَالًا كَانُوا فِي الدُّنْيَا مَخْفُوضِينَ. وَقَال السُّدِّيّ: خَفَضَتْ المُتَكَبِّرِينَ وَرَفَعَتْ المُتَوَاضِعِينَ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: أَسْمَعَتْ القَرِيب وَالبَعِيد. وَقَال عِكْرِمَة: خَفَضَتْ فَأَسْمَعَتْ الأَدْنَى، وَرَفَعَتْ فَأَسْمَعَتْ الأَقْصَى. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك وَقَتَادَة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾، أَيْ: حُرِّكَتْ تَحْرِيكًا فَاهْتَزَّتْ وَاضْطَرَبَتْ بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا؛ وَلِهَذَا قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَغَيْر وَاحِد فِي قَوْله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾، أَيْ: زُلْزِلَتْ زِلْزَالًا. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: تُرَجّ بِمَا فِيهَا كَرَجِّ الغِرْبَال بِمَا فِيهِ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾. وقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾، أَيْ: فُتِّتَتْ فَتًّا. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَغَيْرهم. وَقَال ابْن زَيْد: صَارَتْ الجِبَال كَمَا قَال تَعَالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾، قَال أَبُو إِسْحَاق عَنْ الحَارِث عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كَرَهْجِ الغُبَار يَسْطَع ثُمَّ يَذْهَب، فَلا يَبْقَى مِنْهُ شَيْء. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾: الهَبَاء الَّذِي يَطِير مِنَ النَّار إِذَا اضْطَرَمَتْ يَطِير مِنْهُ الشَّرَر، فَإِذَا وَقَعَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا. وَقَال عِكْرِمَة: المُنْبَثّ: الَّذِي قَدْ ذَرَتْهُ الرِّيح وَبَثَّتْهُ. وَقَال قَتَادَة: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كَيَبِيسِ الشَّجَر الَّذِي تَذْرُوهُ الرِّيَاح. وَهَذِهِ الآيَة كَأَخَوَاتِهَا الدَّالَّة عَلى زَوَال الجِبَال عَنْ أَمَاكِنِهَا يَوْم القِيَامَة، وَذَهَابِهَا وَتَسْيِيرِهَا وَنَسْفِهَا وَصَيْرُورَتِهَا كَالعِهْنِ المَنْفُوش.

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَـٰثَةً﴾، أَيْ: يَنْقَسِم النَّاس يَوْم القِيَامَة إِلى ثَلاثَة أَصْنَاف: قَوْم عَنْ يَمِين العَرْش، وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ شِقّ آدَم الأَيْمَن، وَيُؤْتَوْنَ كُتُبهمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَيُؤْخَذ بِهِمْ ذَات اليَمِين. قَال السُّدِّيّ: وَهُمْ جُمْهُور أَهْل الجَنَّة. وَآخَرُونَ عَنْ يَسَار العَرْش، وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ شِقّ آدَم الأَيْسَر، وَيُؤْتَوْنَ كُتُبهمْ بِشِمَائِلِهِمْ، وَيُؤْخَذ بِهِمْ ذَات الشِّمَال، وَهُمْ عَامَّة أَهْل النَّار -عِيَاذًا بالله مِنْ صَنِيعهمْ-، وَطَائِفَة سَابِقُونَ بَيْن يَدَيْهِ عز وجل وَهُمْ أَخَصّ وَأَحْظَى وَأَقْرَب مِنْ أَصْحَاب اليَمِين الَّذِينَ هُمْ سَادَاتهمْ، فِيهِمْ الرُّسُل وَالأَنْبِيَاء وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء، وَهُمْ أَقَلّ عَدَدًا مِنْ أَصْحَاب اليَمِين؛ ولِهَذَا قَال: ﴿فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ﴾. وَهَكَذَا قَسَّمَهُمْ إِلى هَذِهِ الأَنْوَاع الثَّلاثَة فِي آخِر السُّورَة وَقْت احْتِضَارهمْ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُمْ فِي قَوْله تَعَالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآيَة. وَذَلكَ عَلى أَحَد القَوْلَيْنِ فِي الظَّالِم لنَفْسِهِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانه. قَال سُفْيَان

الثَّوْرِيّ، عَنْ جابر الجُعْفِيّ، عَنْ مُجاهِد، عَنِ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾، قَال: هِيَ الَّتِي فِي سُورَة المَلائِكَة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾. وَقَال ابْن جُرَيْج، عَنِ ابْن عَبَّاس: هَذِهِ الأَزْوَاج الثَّلاثَة هُمْ المَذْكُورُونَ فِي آخِر السُّورَة، وَفِي سُورَة المَلائِكَة. وَقَال يَزِيد الرَّقَاشِيّ: سَأَلت ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾، قَال: أَصْنَافًا ثَلاثَة. وَقَال مُجَاهِد: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ يَعْنِي: فِرَقًا ثَلاثَة. وَقَال مَيْمُون بْن مِهْرَان: أَفْوَاجًا ثَلاثَة. وَقَال عُبَيْد الله العَتَكِيّ، عَنْ عُثْمَان بن سُرَاقَة ابْن خَالة عُمَر بْن الخَطَّاب: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾: اثْنَانِ فِي الجَنَّة، وَوَاحِد فِي النَّار.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن أَبِي ثَوْر، عَنْ سِمَاك، عَنِ النُّعْمَان بْن بَشِير؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قَال: الضُّرَبَاء، كُلّ رَجُل مِنْ كُلّ قَوْم كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَله، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله يَقُول: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾، قَال: هُمْ الضُّرَبَاء.[1]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا البَرَاء الغَنَوِيّ، حَدَّثَنَا الحَسَن، عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل: أَنَّ رَسُول الله ﷺ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾، فَقَبَض بِيَدِهِ قَبْضَتَيْنِ فَقَال: **«هَذِهِ لِلجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَهَذِهِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي»**[2]. وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَسَن، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنَا خَالد بْن أَبِي عِمْرَان، عَنْ القَاسِم بْن مُحَمَّد، عَنْ عَائِشَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: **«أَتَدْرُونَ مَنْ السَّابِقُونَ إِلى ظِلّ الله يَوْم القِيَامَة؟»**. قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: **«الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الحَقّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ»**[3]. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب وَأَبُو حَرْزَة وَيَعْقُوب بْن مُجَاهِد: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾: هم الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلامُ. وَقَال السُّدِّيّ: هُمْ أَهْل عِلِّيِّينَ. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، عَنِ ابْن عَبَّاس: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾، قَال: يُوشَع بْن نُون سَبَقَ إِلى مُوسَى، وَمُؤْمِن آل «يس» سَبَقَ إِلى عِيسَى، وَعَلِيّ بْن أَبِي طَالب سَبَقَ إِلى مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ . رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ مُحَمَّد بْن هَارُون الفَلَّاس، عَنْ عَبْد الله بْن إِسْمَاعِيل المَدَائِنِيّ البزاز، عَنْ شعيب بْن الضَّحَّاك المَدَائِنِيّ، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، عَنِ ابْن أَبِي نَجِيح بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: وَذَكَرَ مُحَمَّد بْن أَبِي حَمَّاد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ خَارِجَة، عَنْ قُرَّة، عَنِ ابْن سِيرِين: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ الَّذِينَ صَلَّوْا القِبْلَتَيْنِ. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث خَارِجَة بِهِ. وَقَال الحَسَن وَقَتَادَة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ أَيْ: مِنْ كُلّ أُمَّة. وَقَال الأَوْزَاعِيّ، عَنْ عُثْمَان بْن أَبِي سَوْدَة أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ثُمَّ قَال: أَوَّلهم رَوَاحًا إِلى المَسْجِد، وَأَوَّلهم خُرُوجًا فِي سَبِيل الله. وَهَذِهِ الأَقْوَال كُلّهَا صَحِيحَة؛ فَإِنَّ المُرَاد بِالسَّابِقِينَ هُمْ المُبَادِرُونَ إِلى فِعْل الخَيْرَات كَمَا أُمِرُوا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾، وَقَال: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، فَمَنْ سَابَقَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَبَقَ إِلى الخَيْر؛ كَانَ فِي الآخِرَة مِنْ السَّابِقِينَ إِلى الكَرَامَة، فَإِنَّ الجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل، وَكَمَا تَدِين تُدَان؛ وَهَذَا قَال تَعَالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن زَكَرِيَّا القزاز الرَّازِيّ، حَدَّثَنَا خَارِجَة بْن مُصْعَب، عَنْ

---

(١) **إسناده ضعيف** : في إسناده الوليد بن أبي ثور: ضعيف، كما قال الحافظ في «التقريب».
(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٩) بسند ضعيف، فيه انقطاع بين الحسن ومعاذ، وفيه أيضًا البراء الغنوي: ضعيف.
(٣) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٦/ ٦٧) بسند ضعيف، فيه ابن لهيعة: وهو ضعيف، وضعف الحديث الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الجامع» (١٠١).

زَيْد بْن أَسْلم، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: قَالتْ المَلائِكَة: يَا رَبّ، جَعَلت لبَنِي آدَم الدُّنْيَا فَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ، فَاجْعَل لنَا الآخِرَة. فَقَال: لا أَفْعَل. فَرَاجَعُوا ثَلاثًا، فَقَال: لا أَجْعَل مَنْ خَلقت بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلت لهُ: كُنْ فَكَانَ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْد الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1]. وَقَدْ رَوَى هَذَا الأَثَر الإِمَام عُثْمَان بْن سَعِيد الدَّارِمِيّ فِي كِتَابه «الرَّدّ عَلى الجَهْمِيَّة»، وَلفْظه: «**فقَال الله عَزَّ وَجَلَّ: لنْ أَجْعَل صَالح ذُرِّيَّة مَنْ خَلقْت بِيَدَيَّ، كَمَنْ قُلت لهُ: كُنْ، فكان**».

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلاءِ السَّابِقِينَ المقربين: إِنَّهُمْ ﴿ ثُلَّةٌ ﴾، أَيْ: جَمَاعَة مِنْ الأَوَّلينَ وَقَليل مِنْ الآخِرِينَ. وَقَدْ اخْتَلفُوا فِي المُرَاد بِقَوْلهِ ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، و﴿ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾. فَقِيل: المُرَاد بِالأَوَّلينَ الأُمَم المَاضِيَة، وَبالآخِرِينَ هَذِهِ الأُمَّة. هَذَا رِوَايَة عَنْ مُجَاهِد، وَالحَسَن البَصْرِيّ، رَوَاهَا عَنْهُمَا ابْن أَبِي حَاتِم. وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير، وَاسْتَأْنَس بِقَوْلِهِ ﷺ : «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْم القِيَامَة**».[2] وَلمْ يَحْكِ غَيْره وَلا عَزَاهُ إِلى أَحَد. وَمِمَّا يُسْتَأْنَس بِهِ لِهَذَا القَوْل مَا رَوَاهُ الإِمَام أَبُو مُحَمَّد ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عِيسَى بْن الطَّبَّاع، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: لَمَّا نَزَلتْ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ شَقَّ ذَلكَ عَلى أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ فَنَزَلتْ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُع أَهْل الجَنَّة، ثُلُث أَهْل الجَنَّة، بَل أَنْتُمْ نِصْف أَهْل الجَنَّة -أَوْ: شَطْر أَهْل الجَنَّة- وَتُقَاسِمُونَهُمْ النِّصْف الثَّانِي**»[3].

وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، عَنْ أَسْوَد بْن عَامِر، عَنْ شَرِيك، عَنْ مُحَمَّد بَيَّاع المُلاء، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة فَذَكَرَهُ.

وَقَدْ رَوَى مِنْ حَدِيث جَابِر نَحْو هَذَا، وَرَوَاهُ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر مِنْ طَرِيق هِشَام بْن عَمار: حَدَّثَنَا عَبْد رَبّه بْن صَالح، عَنْ عُرْوَة بْن رُوَيْم، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله، عَنْ النَّبِيّ ﷺ لَمَّا نَزَلتْ: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ ذُكِرَ فِيهَا ثُلَّة مِنْ الأَوَّلينَ وَقَليل مِنْ الآخِرِينَ. قَال عُمَر: يَا رَسُول الله، ثُلَّة مِنْ الأَوَّلينَ وَقَليل مِنَّا؟ قَال: فَأَمْسَكَ آخِر السُّورَة سَنَة، ثُمَّ نَزَل: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «يَا عُمَر، تَعَال فَاسْمَعْ مَا قَدْ أَنْزَل الله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ ، أَلا وَإِنَّ مِنْ آدَم إِليَّ ثُلَّة، وَأُمَّتِي ثُلَّة، وَلنْ نَسْتَكْمِل ثُلَّتنَا حَتَّى نَسْتَعِين بِالسُّودَانِ مِنْ رُعَاة الإِبِل مِمَّنْ شَهِدَ أَنْ لا إِله إِلاَّ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ»[4]. هَكَذَا أَوْرَدَهُ فِي تَرْجَمَة «عُرْوَة ابْن رُوَيْم»، إِسْنَادًا وَمَتْنًا، وَلكِنْ فِي إِسْنَاده نَظَر. وَقَدْ وَرَدَتْ طُرُق كَثِيرَة مُتَعَدِّدَة بِقَوْلهِ ﷺ : «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُع أَهْل الجَنَّة** ...» الحَدِيث بِتَمَامِهِ، وَهُوَ مُفْرَد فِي «صِفَة الجَنَّة»، ولله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ ابْن جَرِير هَهُنَا فِيهِ نَظَر، بَل هُوَ قَوْل ضَعِيف، لأَنَّ هَذِهِ الأُمَّة هِيَ خَيْر الأُمَم بِنَصِّ القُرْآن، فَيَبْعُد أَنْ يَكُون المُقَرَّبُونَ فِي غَيْرهَا أَكْثَر مِنْهَا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَابل مَجْمُوع الأُمَم بِهَذِهِ الأُمَّة، وَالظَّاهِر أَنَّ

---

(١) تقــدم.

(٢) **صحيح** : تقــدم.

(٣) **حســن** : تقــدم.

(٤) **إسناده ضعيف** : في إسناده عروة بن رويم: روايته عن جابر مرسلة.

المُقَرَّبِينَ مِنْ هَؤُلاءِ أَكْثَر مِنْ سَائِر الأُمَم، وَالله أَعْلم. فَالقَوْل الثَّانِي فِي هَذَا المَقَام هُوَ الرَّاجِح، وَهُوَ أَنْ يَكُون المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أَيْ: مِنْ صَدْر هَذِهِ الأُمَّة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أَيْ: مِنْ هَذِهِ الأُمَّة. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، حَدَّثنَا عفَّان، حَدَّثنَا عَبْد الله بْن بَكْر المُزَنِيّ، سَمِعْت الحَسَن أَتَى عَلى هَذِهِ الآيَة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ فَقَال: أَمَّا السَّابِقُونَ فَقَدْ مَضَوْا. وَلكِنْ اللَّهُمَّ اجْعَلنَا مِنْ أَهل اليَمِين. ثُمَّ قَال: حَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا أَبُو الوَلِيد، حَدَّثنَا السَّرِيّ بْن يَحْيَى قَال: قَرَأَ الحَسَن: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قَال: ثُلَّة مِمَّنْ مَضَى مِنْ هَذِهِ الأُمَّة. وَحَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا عَبْد العَزِيز بْن المُغِيرَة المِنْقَرِيّ، حَدَّثنَا أَبُو هِلال، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ أَنَّهُ قَال فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قَال: كَانُوا يَقُولُونَ أَوْ يَرْجُونَ أَنْ يَكُونُوا كُلّهمْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة. فَهَذَا قَوْل الحَسَن وَابْن سِيرِينَ أَنَّ الجَمِيع مِنْ هَذِهِ الأُمَّة. وَلا شَكَّ أَنَّ أَوَّل كُلّ أُمَّة خَيْر مِنْ آخِرهَا، فَيَحْتَمِل أَنْ يعم الأمر جَمِيع الأُمَم، كُلّ أُمَّة بِحَسَبِهَا؛ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاح وَغَيْرهَا مِنْ غَيْر وَجْه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**خَيْر القُرُون قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1]. الحَدِيث بِتَمَامِهِ. أما الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثنَا زِيَاد أَبُو عُمَر، عَنْ الحَسَن، عَنْ عَمَّار بْن يَاسِر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**مَثَل أُمَّتِي مَثَل المَطَر، لا يُدْرَى أَوَّله خَيْر أَمْ آخِره**»[2]. فَهَذَا الحَدِيث -بَعْد الحُكْم بِصِحَّةِ إِسْنَاده- مَحْمُول عَلى أَنَّ الدِّين كَمَا هُوَ مُحْتَاج إِلى أَوَّل الأُمَّة فِي إِبْلاغه إِلى مَنْ بَعْدهمْ، كَذَلِكَ هُوَ مُحْتَاج إِلى القَائِمِينَ بِهِ فِي أَوَاخِرهَا، وَتَثْبِيت النَّاس عَلى السُّنَّة وَرِوَايَتهَا وَإِظْهَارهَا، وَالفَضْل لِلمُتَقَدِّم، وَكَذَلِكَ الزَّرْع الذي يحتاج إِلى المَطَر الأَوَّل وَإِلى المَطَر الثَّانِي، وَلكِنَّ العُمْدَة الكُبْرَى عَلى الأَوَّل، وَاحْتِيَاج الزَّرْع إِلَيْهِ آكَد، فَإِنَّهُ لَوْلاهُ مَا نَبَتَ فِي الأَرْض وَلا تَعَلَّقَ أَسَاسه فِيهَا، وَلِهَذَا قَال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**لا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحَقّ، لا يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلهمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ إِلى قِيَام السَّاعَة**». وَفِي لَفْظ: «**حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله وَهُمْ كَذَلِكَ**»[3]. وَالغَرَض أَنَّ هَذِهِ الأُمَّة أَشْرَف مِنْ سَائِر الأُمَم، وَالمُقَرَّبُونَ فِيهَا أَكْثَر مِنْ غَيْرهَا وَأَعْلَى مَنْزِلة، لِشَرَفِ دِينهَا وَعِظَم نَبِيّهَا، وَلِهَذَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّة سَبْعِينَ أَلفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب، وَفِي لَفْظ: «**مَعَ كُلّ أَلف سَبْعُونَ أَلفًا**»، وَفِي آخَر: «**مَعَ كُلّ وَاحِد سَبْعُونَ أَلفًا**»[4].

وَقَدْ قَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثنَا هِشَام بْن يَزِيد الطَّبَرَانِيّ، حَدَّثنَا مُحَمَّد -هُوَ ابْن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش-، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي ضَمْضَم -يَعْنِي ابْن زُرْعَة-، عَنْ شُرَيْح -هُوَ ابْن عُبَيْد-، عَنْ أَبِي مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُبْعَثَن مِنْكُمْ يَوْم القِيَامَة مِثْل اللَّيْل الأَسْوَد زُمْرَة جَمِيعهَا يُحِيطُونَ الأَرْض تَقُول المَلائِكَة: لَمَا جَاءَ مَعَ مُحَمَّد ﷺ ، أَكْثَر مِمَّا جَاءَ مَعَ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**»[5]. وَحَسَن أَنْ يُذْكَر هَهُنَا الَّذِي رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ فِي «دَلائِل النُّبُوَّة» حَيْثُ قَال: أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْر ابْن قَتَادَة، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرو بْن مَطَر، أَخْبَرَنَا جَعْفَر بْن مُحَمَّد بْن المُسْتَفَاض الفِرْيَابِيّ، حَدَّثَنِي أَبُو وَهْب الوَلِيد بْن عَبْد المَلك بْن عَبْد الله بْن مُسَرِّح الحَرَّانِيّ، حَدَّثنَا سُليمَان بْن عَطَاء القُرَشِيّ الحَرَّانِيّ، عَنْ مُسْلمة بْن عَبْد الله الجهني، عَنْ عَمّه أَبِي مَشْجَعَة

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) صحيح : أخرجه أحمد (١/ ٣١٩) بسند ضعيف، لكن له شواهد يصح بها، انظر «الصحيحة» (٢٢٨٦).
(٣) صحيح : تقدم.
(٤) صحيح : تقدم.
(٥) ضعيف : فيه انقطاع بين شريح وأبي مالك.

ابْن رِبْعِيّ، عَنْ ابن زِمْل الجُهَنِيّ رضي الله عنه قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبح قال وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ: «سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِر الله إِنَّ الله كَانَ تَوَّابًا». سَبْعِينَ مَرَّة، ثُمَّ يَقُول: «سَبْعِينَ بِسَبْعِمِائَةٍ، لا خَيْر لِمَنْ كَانَتْ ذُنُوبه فِي يَوْم وَاحِد أَكْثَر مِنْ سَبْعِمِائَةٍ». ثُمَّ يَقُول ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَقْبِل النَّاس بِوَجْهِهِ.

وَكَانَ رَسُول الله ﷺ تُعْجِبهُ الرُّؤْيَا، ثُمَّ يَقُول: «**هَل رَأَى أَحَد مِنكُمْ شَيْئًا؟**». قَال ابن زِمْل: فَقُلت: أَنَا يَا رَسُول الله. فَقَال: «خَيْر تَلقَاهُ، وَشَرّ تُوقَاهُ، وَخَيْر لنَا، وَشَرّ عَلى أَعْدَائِنَا، وَالحَمْد لله رَبّ العَالِمِينَ، اقْصُصْ رُؤْيَاكَ». فَقُلت: رَأَيْت جَمِيع النَّاس عَلى طَرِيق رَحْب سَهْل لاحِب، وَالنَّاس عَلى الجَادَّة مُنْطَلِقِينَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَشْفَى ذَلِكَ الطَّرِيق عَلى مَرَج لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْله، يَرِفّ رَفِيفًا، يَقْطُر مَاؤُهُ، فِيهِ مِنْ أَنْوَاع الكَلأ، قَال: وكأنِي بِالرَّعْلَةِ الأُولى حِين أَشْفَوْا عَلى المَرَج كَبَّرُوا، ثُمَّ أَكَبُّوا رَوَاحِلهمْ فِي الطَّرِيق، فَلَمْ يَظْلِمُوهُ يَمِينًا وَلا شِمَالًا، قَال: فَكَأَنِّي أَنْظُر إِلَيْهِمْ مُنْطَلِقِينَ. ثُمَّ جَاءَتْ الرَّعْلَة الثَّانِيَة وَهُمْ أَكْثَر مِنْهُمْ أَضْعَافًا، فَلَمَّا أَشْفَوْا عَلى المَرَج كَبَّرُوا ثُمَّ أَكَبُّوا رَوَاحِلهمْ فِي الطَّرِيق فَمِنْهُمْ المُرْتِع، وَمِنْهُمْ الآخِذ الضِّغْث. وَمَضَوْا عَلى ذَلِكَ. قَال: ثُمَّ قَدِمَ عِظَم النَّاس، فَلَمَّا أَشْفَوْا عَلى المَرَج كَبَّرُوا وَقَالُوا: هَذَا خَيْر المَنْزِل. كَأَنِّي أَنْظُر إِلَيْهِمْ يَمِيلُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَمَّا رَأَيْت ذَلِكَ لَزِمْت الطَّرِيق حَتَّى آتِي أَقْصَى المَرَج، فَإِذَا أَنَا بِك يَا رَسُول الله عَلى مِنْبَر فِيهِ سَبْع دَرَجَات وَأَنْتَ فِي أَعْلاهَا دَرَجَة، وَإِذَا عَنْ يَمِينك رَجُل آدَم شَثْل أَقْنَى، إِذَا هُوَ تَكَلَّمَ يَسْمُو فيفرع الرِّجَال طُولًا، وَإِذَا عَنْ يَسَارك رَجُل، رَبْعَة بَاز كَثِير خَيلان الوَجْه، كَأَنَّمَا حُمِّمَ شَعْره بِالمَاءِ، إِذَا هُوَ تَكَلَّمَ أَصْغَيْتُمْ إِكْرَامًا لهُ، وَإِذَا أَمَام ذَلِكَ رَجُل شَيْخ أَشْبَهَ النَّاس بِك خُلُقًا وَوَجْهًا، كُلّكُمْ تَأُمُّونَهُ تُرِيدُونَهُ، وَإِذَا أَمَام ذَلِكَ نَاقَة عَجْفَاء شَارِف، وَإِذَا أَنْتَ يَا رَسُول الله كَأَنَّك تَبْعَثهَا. قَال: فَامْتَقَعَ لوْن رَسُول الله ﷺ سَاعَة، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، وَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَمَا مَا رَأَيْت مِنْ الطَّرِيق السَّهْل الرَّحْب اللاحِب، فَذَاكَ مَا حَمَلتُكُمْ عَليْهِ مِنْ الهُدَى وَأَنْتُمْ عَليْهِ. وَأَمَّا المَرَج الَّذِي رَأَيْت فَالدُّنْيَا وَغَضَارَة عَيْشهَا، مَضَيْت أَنَا وَأَصْحَابِي لَمْ نَتَعَلَّق مِنْهَا بِشَيْءٍ، وَلَمْ تَتَعَلَّق مِنَّا، وَلَمْ نُرِدْهَا وَلَمْ تُرِدْنَا. ثُمَّ جَاءَتْ الرَّعْلَة الثَّانِيَة مِنْ بَعْدنَا وَهُمْ أَكْثَر مِنَّا أَضْعَافًا، فَمِنْهُمْ المُرْتِع وَمِنْهُمْ الآخِذ الضِّغْث، وَنَجَوْا عَلى ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَ عِظَم النَّاس فَمَالُوا فِي المَرَج يَمِينًا وَشِمَالاً، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَأَمَّا أَنْتَ فَمَضَيْت عَلى طَرِيقَة صَالحَة، فَلنْ تَزَال عَليْهَا حَتَّى تَلقَانِي، وَأَمَّا المِنْبَر الَّذِي رَأَيْت فِيهِ سَبْع دَرَجَات وَأَنَا فِي أَعْلاهَا دَرَجَة، فَالدُّنْيَا سَبْعَة آلاف سَنَة، أَنَا فِي آخِرهَا أَلفًا، وَأَمَّا الرَّجُل الَّذِي رَأَيْت عَلى يَمِينِي الآدَم الشَّثْل فذاك مُوسَى عليه السلام إِذَا تَكَلَّمَ يَعْلُو الرِّجَال بِفَضْل كَلام الله إِيَّاهُ، وَالَّذِي رَأَيْت عَنْ يَسَارِي البَاز الرَّبْعَة الكَثِير خَيلان الوَجْه، كَأَنَّمَا حُمِّمَ شَعْره بِالمَاءِ، فَذَلِكَ عِيسَى ابْن مَرْيَم، نُكْرِمهُ لإِكْرَام الله إِيَّاهُ. وَأَمَّا الشَّيْخ الَّذِي رَأَيْت أَشْبَهَ النَّاس بِي خَلقًا وَوَجْهًا فَذَاكَ أَبُونَا إِبْرَاهِيم، كُلّنَا نَؤُمّهُ وَنَقْتَدِي بِهِ. وَأَمَّا النَّاقَة الَّتِي رَأَيْت وَرَأَيْتنِي أَبْعَثهَا، فَهِيَ السَّاعَة، عَليْنَا تَقُوم، لا نَبِيّ بَعْدِي، وَلا أُمَّة بَعْد أُمَّتِي». قَال: فَمَا سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ رُؤْيَا بَعْد هَذَا إِلَّا أَنْ يَجِيء الرَّجُل فَيُحَدِّثهُ بِهَا مُتَبَرِّعًا.[1]

وَقَوْله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: أَيْ مَرْمُولة بِالذَّهَبِ؛ يَعْنِي: مَنْسُوجَة بِهِ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَزَيْد بْن أَسْلم، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْره. وَقَال السُّدِّيّ: مَرْمُولة بِالذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤ. وَقَال عِكْرِمَة: مُشَبَّكَة بِالدُّرِّ وَاليَاقُوت. وَقَال ابْن جَرِير: وَمِنْهُ سمِّي وَضِين النَّاقَة الَّذِي تَحْت بَطْنهَا، وَهُوَ فَعِيل بِمَعْنَى مَفْعُول، لأَنَّهُ مَضْفُور، وَكَذَلِكَ السُّرُر فِي الجَنَّة مَضْفُورَة بِالذَّهَبِ وَاللآلئ.

---

(١) **موضوع**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٣٦)، وفيه سليمان بن عطاء، قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٥): يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة عن ربعي بأشياء موضوعة.

وَقَوْله: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾، أَيْ: وُجُوه بَعْضهمْ إِلى بَعْض، لَيْسَ أَحَد وَرَاء أَحَد. ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أَيْ: مُخَلَّدُونَ عَلى صِفَة وَاحِدَة، لا يَكْبُرُونَ عَنْهَا وَلا يَشِيبُونَ وَلا يَتَغَيَّرُونَ، ﴿ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴾، أَمَّا الأَكْوَاب فَهِيَ: الكِيزَان الَّتِي لا خَرَاطِيم لهَا وَلا آذَان، وَالأَبَارِيق: الَّتِي جَمَعَتْ الوَصْفَيْنِ. وَالكُؤُوس: الهنابات، وَالجَمِيع مِنْ خَمْر مِنْ عَيْن جَارِيَة مَعِين، لَيْسَ مِنْ أَوْعِيَة تَنْقَطِع وَتَفْرُغ، بَل مِنْ عُيُون سَارِحَة. وَقَوْله: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾، أَيْ: لا تُصَدَّع رُءُوسُهُمْ وَلا تُنْزَف عُقُولهمْ، بَل هِيَ ثَابِتَة مَعَ الشِّدَّة المُطْرِبَة وَاللَّذَّة الحَاصِلة. وَرَوَى الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال: فِي الخَمْر أَرْبَع خِصَال: السُّكْر، وَالصُّدَاع، وَالقَيْء، وَالبَوْل. فَذَكَرَ الله خَمْر الجَنَّة وَنَزَّهَهَا عَنْ هَذِهِ الخِصَال. وَقَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد ابْن جُبَيْر، وَعَطِيَّة، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا ﴾، يَقُول: لَيْسَ لهُمْ فِيهَا صُدَاع رَأْس. وَقَالُوا فِي قَوْله: ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ أَيْ: لا تَذْهَب بِعُقُولِهِمْ.

وَقَوْله: ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾، أَيْ: وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِمَا يَتَخَيَّرُونَ مِنْ الثِّمار. وَهَذِهِ الآيَة دَلِيل عَلى جَوَاز أَكْل الفَاكِهَة عَلى صِفَة التَّخَيُّر لهَا، وَيَدُلّ عَلى ذَلِكَ حَدِيث [عِكْرَاش][1] بْن ذُؤَيْب الَّذِي رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن الوَلِيد [النَّرْسِيّ][2]، حَدَّثَنَا العَلاء بْن الفَضْل بْن عَبْد المَلك بْن أَبِي سَوِيَة، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن عِكْرَاش، عَنْ أَبِيهِ عِكْرَاش بْن ذُؤَيْب قَال: بَعَثَنِي بنو مُرَّة فِي صَدَقَات أَمْوَاهِمْ إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَدِمْت المَدِينَة فَإِذَا هُوَ جَالس بَيْن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، وَقَدِمْت عَلَيْهِ بِإِبِل كَأَنَّهَا عُرُوق الأَرْطَى، قَال: «مَنْ الرَّجُل؟». قُلت: عِكْرَاش بْن ذُؤَيْب. قَال: «ارْفَعْ فِي النَّسَب». فَانْتَسَبْت لهُ إِلى مُرَّة بْن عُبَيْد. وَهَذِهِ صَدَقَة مُرَّة ابْن عُبَيْد، فَتَبَسَّمَ رَسُول الله ﷺ، قَال: «هَذِهِ إِبِل قَوْمِي، هَذِهِ صَدَقَات قَوْمِي». ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُوسَم بِمِيسَم إِبِل الصَّدَقَة وَتُضَمّ إِليْهَا. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلقْنَا إِلى مَنْزِل أُمّ سَلمَة، فَقَال: «هَل مِنْ طَعَام؟». فَأُتِينَا بجفنة كَثِيرَة الثَّرِيد وَالوَذْر، فَجَعَل يَأْكُل مِنْهَا، فَأَقْبَلت أَخْبِط بِيَدِي فِي جَوَانِبِهَا، فقبض رَسُول الله ﷺ بِيَدِهِ اليُسْرَى عَلى يَدِي اليُمْنَى، فَقَال: «يَا عِكْرَاش، كُل مِنْ مَوْضِع وَاحِد، فَإِنَّهُ طَعَام وَاحِد». ثُمَّ أُتِينَا بِطَبَقٍ فِيهِ تَمْر أَوْ رُطَب -شَكَّ عُبَيْد الله رُطَبًا كَانَ أَوْ تَمْرًا- فَجَعَلت آكُل مِنْ بَيْن يَدِي، وَجَالتْ يَد رَسُول الله ﷺ فِي الطَّبَق، وَقَال: «يَا عِكْرَاش، كُل مِنْ حَيْثُ شِئْت، فَإِنَّهُ غَيْر لوْن وَاحِد». ثُمَّ أَتَيْنَا بِمَاءٍ فَغَسَل رَسُول الله ﷺ يَده وَمَسَحَ بِبَلل كَفَّيْهِ وَجْهه وَذِرَاعَيْهِ وَرَأْسه ثَلاثًا، ثُمَّ قَال: «يَا عِكْرَاش، هَذَا الوُضُوء مِمَّا غَيَّرَتْ النَّار»[3]. وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مُطَوَّلًا وَابْن مَاجَهْ جَمِيعًا، عَنْ مُحَمَّد بْن بَشَّار، عَنْ أَبِي الهذيل العَلاء بْن الفَضْل، بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا بَهْز ابْن أَسَد وَعَفَّان -وَقَال الحَافِظ أبو يَعْلى: حَدَّثَنَا شَيْبَان- قَالُوا: حَدَّثَنَا سُليْمَان بْن المُغِيرَة، حَدَّثَنَا ثَابت قَال: قَال أَنَس: كَانَ رَسُول الله ﷺ تُعْجِبهُ الرُّؤْيَا، فَرُبَّمَا رَأَى الرَّجُل الرُّؤْيَا فَسَأَل عَنْهُ إِذَا لمْ يَكُنْ يَعْرِفهُ، فَإِذَا أَثْنَى عَليْهِ مَعْرُوفًا كَانَ أَعْجَب لرُؤْيَاهُ إِليْهِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَة فَقَالتْ: يَا رَسُول الله، رَأَيْت كَأَنِّي أُتِيت فَأُخْرِجْت مِنْ المَدِينَة فَأُدْخِلت الجَنَّة، فَسَمِعْت وَجْبَة انْتَحَبَتْ لهَا الجَنَّة، فَنَظَرْت فَإِذَا فُلان ابْن فُلان، وَفُلان ابْن فُلان -فَسَمَّتْ اثْنَيْ عَشَر رَجُلًا، كَانَ النَّبِيّ ﷺ قَدْ بَعَثَ سَرِيَّة قَبْل ذَلِكَ- فَجِيءَ بِهِمْ عَليْهِمْ ثِيَاب طُلْس تَشْخُب أَوْدَاجهمْ، فَقِيل: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلى نَهَر البَيْذَخ، أَوْ: البَيْذَخ، قَال: فَغُمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَوُجُوههمْ كَالقَمَرِ ليْلة البَدْر،

---

(١) في الأزهرية: [علي بن أنس].

(٢) في الأزهرية: [المرسي].

(٣) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (١٨٤٩)، وابن ماجه (٣٢٧٤) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

فَأَتَوْا بِصَحْفَةٍ مِنْ ذَهَب فِيهَا بُسْر، فَأَكَلُوا مِنْ بُسْره مَا شَاءُوا، فَمَا يُقَلِّبُونَهَا مِنْ وَجْه إِلَّا أَكَلُوا مِنْ الفَاكِهَة مَا أَرَادُوا، وَأَكَلتُ مَعَهُمْ، فَجَاءَ البَشِير مِنْ تِلكَ السَّرِيَّة، فَقَال: كَانَ مِنْ أمرنا كَذَا وَكَذَا، وأصيب فُلان وَفُلان. حَتَّى عَدَّ اثْنَيْ عَشَر رَجُلًا، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ المَرْأَة فَقَال: قُصِّي رُؤْيَاك. فَقَصَّتْهَا. وَجَعَلتْ تَقُول: فَجِيءَ بِفُلانٍ وَفُلان كَمَا قَال[1]. وهَذَا لفْظ أَبِي يَعْلى، قَال الحَافِظ الضِّيَاء: وَهَذَا عَلى شَرْط مُسْلم.

وَقَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثنَا مُعَاذ بْن المُثَنَّى، حَدَّثنَا عَليّ بْن المَدِينِيّ، حَدَّثنَا رَيْحَان بْن سَعِيد، عَنْ عَبَّاد بْن مَنْصُور، عَنْ أَيُّوب، عَنْ أَبِي قِلابَة، عَنْ أَبِي أَسْمَاء، عَنْ ثَوْبَان قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «إِنَّ الرَّجُل إِذَا نَزَعَ ثَمَرَة فِي الجَنَّة، عَادَتْ مَكَانهَا أُخْرَى»[2]. وَقَوْله: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا سَيَّار بْن حَاتِم، حَدَّثنَا جَعْفَر بْن سُلَيْمَان الضُّبَعِيّ، حَدَّثنَا ثَابِت، عَنْ أَنَس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«إِنَّ طَيْر الجَنَّة كَأَمْثَال البُخْت ترعى فِي شَجَر الجَنَّة»**. فَقَال أَبُو بَكْر: يَا رَسُول الله، إِنَّ هَذِهِ لطَيْر نَاعِمَة. فَقَال: **«أَكَلتُهَا أَنْعَم مِنْهَا -قَالهَا ثَلاثًا- وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُون مِمَّنْ يَأْكُل مِنْهَا»**[3]. تفرد بِهِ أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه. وَرَوَى الحَافِظ أَبُو عَبْد الله المَقْدِسِيّ فِي كِتَابه «صِفَة الجَنَّة» مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل بْن عَليّ الخَطْبِيّ، عَنْ أَحْمَد بْن عَليّ الخيوطي، عَنْ عَبْد الجَبَّار بْن عَاصِم، عَنْ عَبْد الله بْن زِيَاد، عَنْ زُرْعَة، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر قَال: ذَكَرْت عِنْد النَّبِيّ ﷺ طُوبَى، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «يَا أَبَا بَكْر هَل بَلغَك مَا طُوبَى؟». قَال: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «طُوبَى شَجَرَة فِي الجَنَّة، مَا يَعْلم طُولهَا إِلاَّ الله، يَسِيْر الرَّاكِب تَحْت غُصْن مِنْ أَغْصَانهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَرَقهَا الحُلل، يَقَع عَلَيْهَا الطَّيْر كَأَمْثَال البُخْت». فَقَال أَبُو بَكْر: يَا رَسُول الله، إِنَّ هُنَاكَ لطَيْرًا نَاعِمًا؟ قَال: «أَنْعَم مِنْهُ مَنْ يَأْكُلهُ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ الله»[4]. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾: ذُكِرَ لنَا أَنَّ أَبَا بَكْر قَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي أَرَى طَيْرهَا نَاعِمَة كَمَا أهلها نَاعِمُونَ. قَال: **«مَنْ يَأْكُلهَا -وَالله يَا أَبَا بَكْر- أَنْعَمَ مِنْهَا، وَإِنَّهَا لأَمْثَال البُخْت، وَإِنِّي لأَحْتَسِب عَلى الله أَنْ تَأْكُل مِنْهَا يَا أَبَا بَكْر»**.

وَقَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي مُجَاهِد بْن مُوسَى، حَدَّثنَا مَعْن بْن عِيسَى، حَدَّثَنِي ابْن أَخِي ابْن شِهَاب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَس بْن مَالك: أَنَّ رَسُول الله ﷺ سُئِل عَنْ الكَوْثَر؟ فَقَال: **«نَهَر أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَجَّلَ فِي الجَنَّة، أَشَدّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَن، وَأَحْلى مِنْ العَسَل، فِيهِ طُيُور أَعْنَاقهَا -يَعْنِي: كَأَعْنَاقِ- الجُزُر»**. فَقَال عُمَر: إِنَّهَا لنَاعِمَة. قَال رَسُول الله ﷺ : **«آكِلهَا أَنْعَم مِنْهَا»**[5]. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد، عَنْ القَعْنَبِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن مُسْلم بْن شِهَاب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَس، وَقَال: حَسَن.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا عَليّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافُسِيّ، حَدَّثنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ عُبَيْد الله بْن الوَلِيد الوصَافِيّ، عَنْ عَطِيَّة العَوْفِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّة لطَيْرًا فِيهِ سَبْعُونَ أَلف رِيشَة، فَيَقَع عَلى صَحْفَة الرَّجُل مِنْ أَهْل الجَنَّة فَيَنْتَفِض، فَيَخْرُج مِنْ كُلّ رِيشَة؛ يَعْنِي لوْنًا أَبْيَض مِنْ اللَّبَن، وَأَلين مِنْ الزُّبْد، وَأَعْذَب مِنْ الشَّهْد، لَيْسَ مِنْهَا لوْن يشبه صَاحِبه، ثُمَّ يَطِير»[6]. هَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، والوصافي وَشَيْخه ضَعِيفَانِ. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا عَبْد الله بْن صَالح كَاتِب اللَّيْث، حَدَّثَنِي اللَّيْث،

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥).
(٢) **ضعيف** : أخرجه الطبراني، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٤٦).
(٣) **حسن** : أخرجه أحمد (٣/ ٢٢١)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب».
(٤) **إسناده ضعيف** : فيه عبد الله بن زياد، ولكن يشهد له الحديث السابق.
(٥) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٥٤٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٧٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
(٦) **ضعيف** : أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٦) بسند ضعيف، فيه عبد الله الوصافي: ضعيف، وعطية العوفي: ضعيف مدلس.

حَدَّثَنَا خَالد بْن يَزِيد، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلال، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ عَطَاء عَنْ كَعْب قَال: إِنَّ طَائِر الجَنَّة كأَمْثَال البُخْت، يَأْكُل مما خلق مِنْ ثَمَرَات الجَنَّة، وَيَشْرَب مِنْ أَنْهَار الجَنَّة، فَيَصْطَفِفْنَ لهُ، فَإِذَا اشْتَهَى مِنْهَا شَيْئًا أتاه حَتَّى يَقَع بَيْن يَدَيْهِ، فَيَأْكُل مِنْ خَارِجه وَدَاخِله، ثُمَّ يَطِير لمْ يَنْقُص مِنْهُ شَيْء.[1] صَحِيح إِلى كَعْب. وَقَال الحَسَن بْن عَرَفَة: حَدَّثَنَا خَلف بْن خَلِيفَة، عَنْ حُمَيْد الأَعْرَج، عَنْ عَبْد الله بْن الحَارِث، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: قَال لي رَسُول الله ﷺ: «إِنَّك لتَنْظُر إِلى الطَّيْر فِي الجَنَّة فَتَشْتَهِيه، فَيَخِرّ بَيْن يَدَيْك مَشْوِيًّا».[2]

وَقَوْله: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ : قَرَأَ بَعْضهمْ بِالرَّفْع، وَتَقْدِيره: وَلَهُمْ فِيهَا حُور عِين. وَقِرَاءَة الجَرّ تَحْتَمِل مَعْنَيَيْنِ: أَحَدهمَا: أَنْ يَكُون الإِعْرَاب عَلى الإِتْبَاع بِمَا قَبْله، كَقَوْلِهِ: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٍ عِينٍ ﴾ ، كَمَا قَال: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾، وَكَمَا قَال: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾.

وَالاحْتِمَال الثَّانِي: أَنْ يَكُون مِمَّا يَطُوف بِهِ الوِلدَان المُخَلَّدُونَ عَليْهِمْ الحُور العِين، وَلكِنْ يَكُون ذَلكَ فِي القُصُور، لا بَيْن بَعْضهمْ بَعْضًا، بَل فِي الخِيَام يَطُوف عَليْهِمْ الخُدَّام بِالحُورِ العِين، وَالله أَعْلم. وَقَوْله: ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾، أَيْ: كَأَنَّهُنَّ اللُّؤْلُؤ الرُّطَب فِي بَيَاضه وَصَفَائِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة الصَّافَّات: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَة الرَّحْمَن وَصْفُهُنَّ أَيْضًا، وَلهَذَا قَال: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي أتحفناهم بِهِ مُجَازَاة لهُمْ عَلى مَا أَحْسَنُوا مِنْ العَمَل.

ثم قَال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾، أَيْ: لا يَسْمَعُونَ فِي الجَنَّة كَلامًا لاغِيًا، أَيْ: غَثًّا خَاليًا عَنْ المَعْنَى، أَوْ مُشْتَمِلًا عَلى مَعْنَى حَقِير أَوْ ضَعِيف، كَمَا قَال: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أَيْ: كَلمَة لاغِيَة ﴿ وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ أَيْ: وَلا كَلامًا فِيهِ قُبْح، ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ أَيْ: إِلَّا التَّسْليم مِنْهُمْ بَعْضهمْ عَلى بَعْض، كَمَا قَال: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾، وَكَلامهمْ أَيْضًا سَالم مِنْ اللَّغْو وَالإِثْم.

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾.

لـمَّا ذَكَرَ تَعَالى مَآل السَّابِقِينَ -وَهُمْ المُقَرَّبُونَ- عَطَفَ عَليْهِمْ بِذِكْرِ أَصْحَاب اليَمِين -وَهُمْ الأَبْرَار- كَمَا قَال مَيْمُون بْن مِهْرَان: أَصْحَاب اليَمِين منزلة دُون المُقَرَّبِينَ، فَقَال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ أَيّ: أَيُّ شَيْء أَصْحَاب اليَمِين؟ وَمَا حَالهمْ؟ وَكَيْفَ مَآلُهُمْ؟ ثم فسر ذلك فَقَال: ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾. قَال ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَأَبُو الأَحْوَص، وَقَسَامَة بْن زُهَيْر، وَالسَّفَر بْن بشير، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَعَبْد الله بْن كَثِير، وَالسُّدِّيّ، وَأَبُو حزرة، وَغَيْرهمْ: هُوَ الَّذِي لا شَوْك فِيهِ، وَعَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ المُوقَر بِالثَّمَر. وَهُوَ رِوَايَة عَنْ عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد. وَكَذَا قَال قَتَادَة أَيْضًا: كُنَّا نُحَدَّث أَنَّهُ المُوقَر الَّذِي لا شَوْك فِيهِ. وَالظَّاهِر أَنَّ المُرَاد هَذَا وَهَذَا؛ فَإِنَّ سِدْر الدُّنْيَا كَثِير الشَّوْك قَليل الثَّمَر، وَفِي الآخِرَة وَالعَكْس مِنْ هَذَا، لا شَوْك فِيهِ، وَفِيهِ الثَّمَر الكَثِير الَّذِي قَدْ أَثْقَل أَصْله. كَمَا قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر أَحْمَد بْن سَلمَان النَّجَّاد: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد -هُوَ البَغَوِيّ- حَدَّثَنِي حَمْزَة بْن العَبَّاس، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عُثْمَان، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن المُبَارَك، أَخْبَرَنَا صَفْوَان بْن

---

(١) إسناده ضعيف : فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث: ضعيف.

(٢) ضعيف : تـقـــدم.

عَمْرو عَنْ سُلَيْم بْن عَامِر قَال: كَانَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ يَقُولُونَ: إِنَّ الله لَيَنْفَعنَا بِالأَعْرَابِ وَمَسَائِلهِمْ. قَال: أَقْبَل أَعْرَابِيّ يَوْمًا؛ فَقَال: يَا رَسُول الله؛ ذَكَرَ الله فِي الجَنَّة شَجَرَة تُؤْذِي صَاحِبهَا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «وَمَا هِيَ؟». قَال: السِّدْر، فَإِنَّ لَهُ شَوْكًا مُؤْذِيًا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**أَلَيْسَ الله يَقُول: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾، خَضَّدَ الله شَوْكه، فَجَعَل مَكَان كُلّ شَوْكه ثَمَرَة، فَإِنَّهَا لَتُنْبِت ثَمَرًا تَفتَّقَ الثَّمَرَة مِنْهَا عَنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا مِنْ طَعَام، مَا فِيهَا لَوْن يُشْبِه الآخَر**».[1]

طَرِيق أخرى: قَال أَبُو بَكْر بْن أَبِي دَاوُد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْمُصَفَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْمُبَارَك، حَدَّثَنِا يَحْيَى بْن حَمْزَة، حَدَّثَنِي ثَوْر بْن يزيد، حَدَّثَنِي حَبِيب بْن عُبَيْد، عَنْ عُتْبَة بْن عَبْد السُّلَمِيّ؛ قَال: كُنْت جَالِسًا مَعَ رَسُول الله ﷺ فَجَاءَ أَعْرَابِيّ؛ فَقَال: يَا رَسُول الله؛ أَسْمَعك تَذْكُر فِي الجَنَّة شَجَرَة لا أَعْلَم شجرة أَكْثَر شَوْكًا مِنْهَا؟ يَعْنِي: الطَّلْح فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ الله يَجْعَل مَكَان كُلّ شَوْكَة مِنْهَا ثَمَرَة مِثْل خُصْوَة التَّيْس المَلبُود، فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنْ الطَّعَام، لا يُشْبِه لَوْن الآخَر**». وَقَوْله: ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾، الطَّلْح: شَجَر عِظَام يَكُون بِأَرْضِ الحِجَاز، مِنْ شَجَر العِضَاه، وَاحِدَته طَلْحَة، وَهُوَ شَجَر كَثِير الشَّوْك، وَأَنْشَدَ ابْن جَرِير لبَعْضِ الحُدَاة:

بَشَّرَهَا دَلِيلـهَا وَقَالا: ❁ غَدًا تَـرَيْنَ الطَّلْـح وَالجِبَـالا

[2]قَال مُجَاهِد: ﴿مَنضُودٍ﴾، أَيْ مِتَرَاكِم الثَّمَر، يَذْكُر بذلك قُرَيْشًا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْجَبُونَ مِنْ وَجّ وَظِلَاله مِنْ طَلح وَسِدْر. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿مَنضُودٍ﴾ مَصْفُوف. قَال ابْن عَبَّاس: يُشْبِه طَلْح الدُّنْيَا، وَلكِنْ لَهُ ثَمَر أَحْلَى مِنْ العَسَل. قَال الجَوْهَرِيّ: وَالطَّلْح لُغَة فِي الطَّلْع. قُلت: وَقَدْ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث الحَسَن بْن سَعْد، عَنْ شَيْخ مِنْ هَمْدَان؛ قَال: سَمِعْت عَلِيًّا يَقُول هَذَا الحَرْف فِي ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ قَال: «طلع منضود»، فَعَلَى هَذَا يَكُون مِنْ صِفَة السِّدْر، فَكَأَنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَخْضُود، وَهُوَ الَّذِي لا شَوْك لَهُ، وَأَنَّ طَلعه مَنْضُود، وَهُوَ كَثْرَة ثَمَرِه، وَالله أَعْلَم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ إِدْرِيس، عَنْ جَعْفَر بْن إِيَاس، عَنْ أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾، قَال: المَوْز. قَال: وَرُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَأَبِي هُرَيْرَة، وَالحَسَن، وَعِكْرِمَة، وَقَسَامَة بْن زُهَيْر، وَقَتَادَة، وَأَبِي حزرة، مَثَل ذَلِكَ. وَبِهِ قَال مُجَاهِد، وَابْن زَيْد، وَزَادَ فَقَال: أَهْل اليَمَن يُسَمُّونَ المَوْز الطَّلْح. وَلَمْ يَحْكِ ابْن جَرِير غَيْر هَذَا القَوْل.

وَقَوْله: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾، قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنْ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة يَبْلُغ بِهِ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة عَام لا يَقْطَعهَا، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾**». وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث الأَعْرَج بِهِ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُرَيج، حَدَّثَنَا فُلَيْح، عَنْ هِلال بْن عَلِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي عَمْرَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة سنة، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾**». وَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ مُحَمَّد ابْن [سنان][3] عَنْ فُلَيْح بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر، [عَنْ هَمَّام][4]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة. وَكَذَا رَوَاهُ حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، وَاللَّيْث بْن سَعْد، عَنْ سَعِيد المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة. وَعَوْف عَنْ ابْن سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٤٢).
(٢) زيادة من الأزهرية: [كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمن المقربين].
(٣) في الأزهرية: [شيبان].
(٤) في الأزهرية: [بن همام].

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر وَحَجَّاج؛ قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَة، سَمِعْت أَبَا الضَّحَّاك يُحَدِّث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا سَبْعِينَ -أَوْ مِائَة- سَنَة، هِيَ شَجَرَة الخُلد**».[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو، عن أَبِي سَلمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة عَام مَا يَقْطَعهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾**». إِسْنَاد جَيِّد، وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ عَبْدَة وَعَبْد الرَّحِيم، عَنْ مُحَمَّد بْن [عَمْرو بِهِ][2]. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحِيم بْن سُلَيْمَان بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ زِيَاد -مَوْلَى بَنِي مَخْزُوم- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: إِنَّ فِي الجَنَّة لشَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة سنة، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. فَبَلغَ ذَلكَ كَعْبًا فَقَال: صَدَقَ، وَالَّذِي أَنْزَل التَّوْرَاة عَلى مُوسَى، وَالفُرْقَان عَلى مُحَمَّد، لوْ أَنَّ رَجُلًا رَكِبَ حِقَّة أَوْ جَذَعَة ثُمَّ دَارَ بِأَعْلى تِلكَ الشَّجَرَة مَا بَلغَهَا حَتَّى يَسْقُط هَرِمًا، إِنَّ الله غَرَسَهَا بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحه، وإن أفنانها لَمِنْ وَرَاء سُور الجَنَّة، وَمَا فِي الجَنَّة نَهَر إِلَّا وَهُوَ يَخْرُج مِنْ أَصْل تِلكَ الشَّجَرَة.

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مِنْهَال الضَّرِير، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن زُرَيْع، عَنْ [سعيد][3] بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْل الله ﷻ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾، قَال: «**فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة عَام لا يَقْطَعهَا**». وَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ رَوْح بْن عَبْد المُؤْمِن عَنْ يَزِيد بْن زُرَيْع. وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ عِمْرَان بْن دَاوَر القَطَّان، عَنْ قَتَادَة بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ مَعْمَر، وَأَبُو هِلال، عَنْ قَتَادَة بِهِ. وَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلم مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد وَسَهْل بْن سَعْد، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب الجَوَاد المُضمِر السَّرِيع مِائَة عَام مَا يَقْطَعهَا**».[4] فَهَذَا حَدِيث ثَابِت عَنْ رَسُول الله ﷺ، بَل مُتَوَاتِر مَقْطُوع بِصِحَّتِهِ عِنْد أَئِمَّة الحَدِيث النُّقَّاد؛ لتَعَدُّدِ طُرُقه وَقُوَّة أَسَانِيده وَثِقَة رِجَاله. وَقَدْ قَال الإِمَام أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر، حَدَّثَنَا أَبُو حُصَيْن؛ قَال: كُنَّا عَلى بَاب فِي مَوْضِع، وَمَعَنَا أَبُو صَالح وَشَقِيق -يَعْنِي الضَّبِّيّ-، فَحَدَّثَ أَبُو صَالح؛ قَال: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَة؛ قَال: إِنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا سَبْعِينَ عَامًا، قَال أَبُو صَالح: أَتُكَذِّبُ أَبَا هُرَيْرَة؟ قَال: مَا أُكَذِّب أَبَا هُرَيْرَة، وَلكِنِّي أُكَذِّبك أَنْتَ. فَشَقَّ ذَلكَ عَلى القُرَّاء يَوْمئِذ.

قُلت: فَقَدْ أَبْطَل مَنْ يُكَذِّب بِهَذَا الحَدِيث، مَعَ ثُبُوته وَصِحَّته وَرَفْعه إِلى رَسُول الله ﷺ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا زِيَاد بْن الحَسَن بْن الفُرَات القَزَّاز، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا فِي الجَنَّة شَجَرَة إِلاّ سَاقهَا مِنْ ذَهَب**»[5]. ثُمَّ قَال: حَسَن غَرِيب.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن أَبِي الرَّبِيع، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر العَقَدِيّ، عَنْ [زَمْعَة][6] بْن صَالح، عَنْ سَلمَة ابْن وَهْرَام، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: الظِّلّ المَمْدُود شَجَرَة فِي الجَنَّة عَلى سَاق ظِلّهَا قَدْر مَا يَسِير

---

(١) **صحيح**: تقدم.
(٢) في الأزهرية: [بن عبد ربه].
(٣) في الأزهرية: [حميد].
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).
(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٧).
(٦) في الأزهرية: [ربيعة].

الرَّاكِب فِي نَوَاحِيهَا مِائَة عَام. قَال: فَيَخْرُج إِلَيْهَا أَهْل الجَنَّة -أَهْل الغُرَف وَغَيْرهمْ- فَيَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلّهَا. قَال: فَيَشْتَهِي بَعْضهمْ وَيَذْكُر لَهْو الدُّنْيَا، فَيُرْسِل الله رِيحًا مِنْ الجَنَّة، فَتُحَرِّك تِلْكَ الشَّجَرَة بِكُلِّ لَهْو فِي الدُّنْيَا. هَذَا أَثَر غَرِيب، وَإِسْنَاده جَيِّد قَوِيّ حَسَن.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا ابْن يَمَان، حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق، عَنْ عَمْرو ابْن مَيْمُون فِي قَوْله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾، قَال: سَبْعُونَ أَلْف سَنَة. وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بُنْدَار عَنْ ابْن مَهْدِيّ، عَنْ سُفْيَان، مِثْله. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ قَال: خَمْسمِائَة أَلْف سَنَة.

[وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيد الطَّيَالِسِيّ، حَدَّثَنَا حُصَيْن بْن نَافِع، عَنْ الحَسَن فِي قول الله تَعَالَى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾][1] قَال: فِي الجَنَّة شَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة أَلْف سَنَة لا يَقْطَعهَا. وَقَال عَوْف عَنْ الحَسَن: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ فِي الجَنَّة لشَجَرَة يَسِير الرَّاكِب فِي ظِلّهَا مِائَة عَام، لا يَقْطَعهَا**». رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَقَال شَبِيب: عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: فِي الجَنَّة شَجَر لا يُحْمَل، يُسْتَظَلّ بِهِ. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال الضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، وَأَبُو حَزْرَة فِي قَوْله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: لا يَنْقَطِع، لَيْسَ فِيهَا شَمْس وَلا حَرّ، مِثْل قَبْل طُلُوع الفَجْر. وَقَال ابْن مَسْعُود: الجَنَّة سَجْسَجٌ كَمَا بَيْن طُلُوع الفَجْر إِلَى طُلُوع الشَّمْس. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ الآيَات كَقَوْلِهِ: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾، وَقَوْله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾، وَقَوْله: ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الآيَات. وَقَوْله: ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾ قَال الثَّوْرِيّ: يَجْرِي فِي غَيْر أُخْدُود. وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عِنْد تَفْسِير قَوْله تَعَالَى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ الآيَة. بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا.

وَقَوْله: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ أَيْ: وَعِنْدهمْ مِنْ الفَوَاكِه الكَثِيرَة المُتَنَوِّعَة فِي الأَلْوَان ما لا عَيْن رَأَتْ، وَلا أُذُن سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾، أَيْ: يُشْبِه الشَّكْلُ الشكلَ، وَلكِنَّ الطَّعْم غَيْر الطَّعْم. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» فِي ذِكْر سِدْرَة المُنْتَهَى قَال: «**فَإِذَا وَرَقهَا كَآذَانِ الفِيَلَة، وَنَبْقهَا مِثْل قِلال هَجَر**». وَفِيهِمَا أَيْضًا، مِنْ حَدِيث مَالِك، عَنْ زَيْد، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: خُسِفَتْ الشَّمْس، فَصَلَّى رَسُول الله ﷺ وَالنَّاس مَعَهُ، فَذَكَرَ الصَّلاة. وَفِيهِ: «قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ رَأَيْنَاك تَنَاوَلت شَيْئًا فِي مَقَامك هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاك تَكَعْكَعْت! قَال: **إِنِّي رَأَيْت الجَنَّة، فَتَنَاوَلت مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْته لأَكَلتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا**».[2] وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَة، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله، حَدَّثَنَا ابن عَقِيل، عَنْ جَابِر قَال: بَيْنَا نَحْنُ فِي صَلاة الظُّهْر، إِذْ تَقَدَّمَ رَسُول الله ﷺ فَتَقَدَّمْنَا مَعَهُ، ثُمَّ تَنَاوَل شَيْئًا لِيَأْخُذهُ ثُمَّ تَأَخَّرَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاة قَال لَهُ أُبَيّ بْن كَعْب: يَا رَسُول الله، صَنَعْت اليَوْم فِي الصَّلاة شَيْئًا مَا كُنْت تَصْنَعهُ! فَقَال: «**إِنَّهُ عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّة، وَمَا فِيهَا مِنْ الزَّهْرَة وَالنَّضْرَة، فَتَنَاوَلت مِنْهَا قِطْفًا مِنْ عِنَب لآتِيَكُمْ بِهِ، فَحِيل بَيْنِي وَبَيْنه، وَلَوْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ لأَكَل مِنْهُ مَنْ بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض لا يَنْقُصونه**».[3] وَرَوَى مُسْلِم مِنْ حَدِيث أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر نَحْوه.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن بَحْر، حَدَّثَنَا هِشَام بْن يُوسُف، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ أَبِي يَحْيَى ابْن أَبِي كَثِير، عَنْ عَامِر بْن زَيْد البُكَالِيّ: أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَة بْن عَبْد السُّلَمِيّ يَقُول: جَاءَ أَعْرَابِيّ إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنْ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٨)، ومسلم (٩٠٧).
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٠٤)، بنحوه.

الحَوْض وَذَكَرَ الجَنَّة، ثُمَّ قَال الأَعْرَابِيّ: فِيهَا فَاكِهَة؟ قَال: «نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَة تُدْعَى طُوبَى»، فَذَكَرَ شَيْئًا لا أَدْرِي مَا هُوَ، قَال: أَيّ شَجَر أَرْضنَا تُشْبِه؟ قَال: «لَيْسَتْ تُشْبِه شَيْئًا مِنْ شَجَر أَرْضك». فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «أَتَيْتَ الشَّام؟». قَال: لا. قَال: «تُشْبِه شَجَرَة بِالشَّامِ تُدْعَى الجَوْزَة، تَنْبُت عَلَى سَاق وَاحِد، وَيَنْفَرِش أَعْلاهَا». قَال: مَا عِظَم أَصْلهَا؟ قَال: «لَوْ ارْتَحَلَتْ جَذَعَة مِنْ إِبِل أَهْلك مَا أَحَاطَتْ بِأَصْلهَا حَتَّى تَنْكَسِر تَرْقُوَتهَا هَرَمًا». قَال: فِيهَا عِنَب؟ قَال: «نَعَمْ». [قَال: فَمَا عِظَم العنقود؟ قَال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفتر». قَال: فما عظم الحبة؟ قَال: «هَل ذَبَحَ أَبُوك تَيْسًا مِنْ غَنَمه قَطُّ عَظِيمًا؟». قَال: نَعَمْ][1]. قَال: «فَسَلَخَ إِهَابه فَأَعْطَاهُ أُمّك فَقَال: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا؟». قَال: نَعَمْ. قَال الأَعْرَابِيّ: فَإِنَّ تِلْكَ الحَبَّة لَتُشْبِعنِي وَأَهْل بَيْتِي؟ قَال: «نَعَمْ وَعَامَّة عَشِيرَتك».[2]

وَقَوْله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، أَيْ: لا تَنْقَطِع شِتَاء وَلا صَيْفًا، بَل أُكُلهَا دَائِم مُسْتَمِرّ أَبَدًا، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، لا يَمْتَنِع عَلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ الله شَيْء. وَقَال قَتَادَة: لا يَمْنَعهُمْ مِنْ تَنَاوُلهَا عُود وَلا شَوْك وَلا بُعْد. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الحَدِيث: إِذَا تَنَاوَل الرَّجُل الثَّمَرَة عَادَتْ مَكَانهَا أُخْرَى. وَقَوْله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أَيْ: عَالِيَة وَطِيئَة نَاعِمَة. قَال النَّسَائِيّ وَأَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا رِشْدِين بْن سَعْد، عَنْ عمرو بْن الحَارِث، عَنْ دَرَّاج، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾، قَال: «ارْتِفَاعهَا كَمَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، وَمَسِيرَة مَا بَيْنهمَا خَمْسمِائَةِ عَام»[3]. ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث حَسَن غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث رِشْدِين ابْن سَعْد. قَال: وَقَال بَعْض أَهْل العِلم: مَعْنَى هَذَا الحَدِيث: ارْتِفَاع الفُرُش فِي الدَّرَجَات، وَبُعْد مَا بَيْن الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض. هَكَذَا قَال: إِنَّهُ لا يَعْرِف هَذَا إِلَّا مِنْ رِوَايَة رِشْدِين بْن سَعْد، وَهُوَ المِصْرِيّ، وَهُوَ ضَعِيف. وهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير، عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ رِشْدِين بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ هُوَ وَابْن أَبِي حَاتِم، كِلاهُمَا عَنْ يُونُس بْن عَبْد الأَعْلَى، عَنْ ابْن وَهْب، عَنْ عمرو بْن الحَارِث فَذَكَرَهُ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم أَيْضًا عَنْ نُعَيْم ابْن حَمَّاد، عَنْ ابْن وَهْب، وَأَخْرَجَهُ الضِّيَاء فِي «صِفَة الجَنَّة» مِنْ حَدِيث حَرْمَلَة، عَنْ ابْن وَهْب بِهِ، مِثْله. وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ حَسَن بْن مُوسَى، عَنْ ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنَا دَرَّاج، فَذَكَرَهُ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عن [جُوَيْبِر][4]، عَنْ أَبِي سَهْل -يَعْنِي كَثِير ابْن زِيَاد- عَنْ الحَسَن: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قَال: ارْتِفَاع فِرَاش الرَّجُل مِنْ أَهْل الجَنَّة مَسِيرَة ثَمَانِينَ سَنَة. وَقَوْله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، جَرَى الضَّمِير عَلَى غَيْر مَذْكُور. لَكِنْ لَـمَّا دَلَّ السِّيَاق وَهُوَ ذِكْر الفُرُش عَلَى النِّسَاء اللَّاتِي يُضَاجِعْنَ فِيهَا اكْتَفَى بِذَلِكَ عَنْ ذِكْرهنَّ، وَعَادَ الضَّمِير عَلَيْهِنَّ، كَمَا فِي قَوْله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ يَعْنِي الشَّمْس عَلَى المَشْهُور مِنْ قَوْل المُفَسِّرِينَ. قَال الأَخْفَش فِي قَوْله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾: أَضْمَرَهُنَّ وَلَمْ يذكرهن قَبْل ذَلِكَ. وَقَال أَبُو عُبَيْدَة: ذُكِرْنَ فِي قَوْله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾. فَقَوْله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ أَيْ: أَعَدْنَاهُنَّ فِي النَّشْأَة الأُخْرَى بَعْدَمَا كُنَّ عَجَائِز رُمْصًا، صِرْنَ أَبْكَارًا عُرُبًا، أَيْ: بَعْد الثُّيُوبَة عُدْنَ أَبْكَارًا عُرُبًا، أي: مُتَحَبِّبَات إِلَى أَزْوَاجهنَّ بِالحَلاوَةِ وَالظَّرَافَة وَالمَلاحَة. وَقَال بَعْضهمْ: ﴿عُرُبًا﴾ أَيْ:

---

(١) تقديم وتأخير من الأزهرية.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ١٨٣)، وصححه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٢٩).

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٥٤٠) بسند ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٦١٠٩).

(٤) في الأزهرية: [جوهر].

غَنِجَات. قَال مُوسَى بْن عُبَيْدَة الرَّبَذِيّ: عَنْ يَزِيد الرَّقَاشِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾، قَال: «نِسَاء عَجَائِز كُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمْشًا رُمْصًا»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَابْن جَرِير، وَابْن أَبِي حَاتِم. ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب، وَمُوسَى وَيَزِيد ضَعِيفَانِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَوْف الحِمْصِيّ، حَدَّثَنَا آدَم -يَعْنِي ابْن أَبِي إِيَاس- حَدَّثَنَا شَيْبَان، عَنْ جَابِر عَنْ يَزِيد بْن مُرَّة، عَنْ سَلمَة بْن يَزِيد قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي قَوْله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ يَعْنِي: الثَّيِّب وَالأَبْكَار اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا.(٢) وَقَال عَبْد بْن حُمَيْد: حَدَّثَنَا مُصْعَب بْن المِقْدَام، حَدَّثَنَا المُبَارَك بْن فَضَالَة، عَنْ الحَسَن قَال: أَتَتْ عَجُوز فَقَالت: يَا رَسُول الله؛ ادْعُ الله أَنْ يُدْخِلنِي الجَنَّة. فَقَال: «**يَا أُمّ فُلان، إِنَّ الجَنَّة لا يدخلها عَجُوز**». قَال: فَوَلَّتْ تَبْكِي، قَال: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لا تَدْخُلهَا وَهِيَ عَجُوز، إِنَّ الله تَعَالى يَقُول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾»(٣). وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي «الشَّمَائِل» عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد. وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا بَكْر بْن سَهْل الدِّمْيَاطِيّ، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن هَاشِم البَيْرُوتِيّ، حدثنا سُليْمَان بْن أَبِي كَرِيمَة، عَنْ هِشَام ابْن حَسَّان، عَنْ الحَسَن، عَنْ أُمّه، عَنْ أُمّ سَلمَة قَالتْ: قُلت: يَا رَسُول الله، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْل الله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾، قَال: «حُور: بِيض. عِين: ضِخَام العُيُون، شَفْر الحَوْرَاء بِمَنْزِلةِ جَنَاح النَّسْر». قُلت: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾، قَال: «صَفَاؤُهُنَّ صَفَاء الدُّرّ الَّذِي فِي الأَصْدَاف الَّذِي لمْ تَمَسّهُ الأَيْدِي»، قُلت: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾. قَال: «خَيْرَات الأَخْلاق، حِسَان الوُجُوه». قُلت: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾. قَال: «رِقَّتهنَّ كَرِقَّةِ الجِلد الَّذِي رَأَيْت فِي دَاخِل البَيْضَة مِمَّا يَلِي القِشْر، وَهُوَ: الغِرْقِئ». «قُلت: يَا رَسُول الله، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. قَال: «هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي الدَّار الدُّنْيَا عَجَائِز رُمْصًا شُمْطًا، خَلقَهُنَّ الله بَعْد الكِبَر، فَجَعَلهُنَّ عَذَارَى عُرُبًا مُتَعَشِّقَات مُحَبَّبَات، أَتْرَابًا عَلى مِيلاد وَاحِد». قُلت: يَا رَسُول الله، نِسَاء الدُّنْيَا أَفْضَل أَمْ الحُور العِين؟ قَال: «بَل نِسَاء الدُّنْيَا أَفْضَل مِنْ الحُور العِين، كَفَضْل الظِّهَارَة عَلى البِطَانَة». قُلت: يَا رَسُول الله، وَبِمَ ذَاكَ؟ قَال: «بِصَلاتِهِنَّ وَصِيَامهنَّ وَعِبَادَتهنَّ الله ﷻ أَلبَسَ الله وُجُوههنَّ النُّور، وَأَجْسَادهنَّ الحَرِير، بِيض الأَلْوَان، خُضْر الثِّيَاب، صُفْر الحُلِيّ، مَجَامِرهنَّ الدُّرّ، وَأَمْشَاطهنَّ الذَّهَب، يَقُلنَ: نَحْنُ الخَالدَات فَلا نَمُوت، وَنَحْنُ النَّاعِمَات فَلا نَبْأَس أَبَدًا، وَنَحْنُ المُقِيمَات فَلا نَظْعَن أَبَدًا، أَلا وَنَحْنُ الرَّاضِيَات فَلا نَسْخَط أَبَدًا، طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لهُ وَكَانَ لنَا». قُلت: يَا رَسُول الله؛ المَرْأَة مِنَّا تَتَزَوَّج الزوجين وَالثَّلاثَة وَالأَرْبَعَة، ثُمَّ تَمُوت تَدْخُل الجَنَّة وَيَدْخُلونَ مَعَهَا، مَنْ يَكُون زَوْجهَا؟ قَال: «يَا أُمّ سَلمَة، إِنَّهَا تُخَيَّر فَتَخْتَار أَحْسَنهمْ خُلقًا، فَتَقُول: يَا رَبّ، إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَن خُلُقًا مَعِي فَزَوِّجْنِيهِ، يَا أُمّ سَلمَة؛ ذَهَبَ حُسْن الخُلُق بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة».(٤)

وَفِي حَدِيث الصُّور الطَّوِيل المَشْهُور: أَنَّ رَسُول الله ﷺ يَشْفَع للمُؤْمِنِينَ كُلّهمْ فِي دُخُول الجَنَّة، فَيَقُول الله: قَدْ شَفَّعْتُك وَأَذِنْت لهُمْ فِي دُخُولهَا. فَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ مَا أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَعْرَف

---

(١) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٢٩٢) بسند ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٩٩٧).
(٢) إسناده ضعيف : فيه جابر الجعفي: وهو ضعيف.
(٣) حسن : أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٤١) بسند ضعيف، والحديث حسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصر الشمائل» (ص ١٢٨).
(٤) منكر : أخرجه الطبراني (١٣/ ٣٦٧) بسند ضعيف، فيه سليمان بن أبي كريمة: ضعيف، قال ابن عدي: وعامة أحاديثه مناكير، وهذا منها. وقال الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٢٣٠): منكر.

بِأَزْوَاجِكُمْ وَمَسَاكِنكُمْ مِنْ أَهْل الجَنَّة بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنهمْ، فَيَدْخُل الرَّجُل مِنْهُمْ عَلى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَة، سبعين مِمَّا يُنْشِئ الله، وَثِنْتَيْنِ مِنْ وَلد آدَم، لهُما فَضْل عَلى مَنْ أَنْشَأَ الله، بِعِبَادَتِهِمَا الله فِي الدُّنْيَا، يَدْخُل عَلى الأُولى مِنْهُمَا فِي غُرْفَة مِنْ يَاقُوتَة، عَلى سَرِير مِنْ ذَهَب مُكَلَّل بِاللُّؤْلُؤِ، عَلَيْهِ سَبْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُس وَإِسْتَبْرَق، وَإِنَّهُ لَيَضَع يَده بَيْن كَتِفَيْهَا، ثُمَّ يَنْظُر إِلى يَده مِنْ صَدْرهَا مِنْ وَرَاء ثِيَابهَا وَجِلدهَا وَلحمهَا، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلى مُخّ سَاقهَا كَمَا يَنْظُر أَحدكُمْ إِلى السِّلك فِي قَصَبَة اليَاقُوت، كَبِده لهَا مِرْآة -يَعْنِي: وَكَبِدهَا لهُ مِرْآة- فَبَيْنَما هُوَ عِنْدهَا لا يَملّهَا وَلا تَملّهُ، وَلا يَأْتِيهَا مِنْ مَرَّة إِلَّا وَجَدهَا عَذْرَاء، مَا يَفْتُر ذَكَره وَلا تشتكي قُبُلهَا إِلَّا أَنَّهُ لا مَنِيّ وَلا مَنِيَّة، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إِذْ نُودَى: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّك لا تَمَلّ وَلا تُمَلّ، إلاَّ أَنَّ لك أَزْوَاجًا غَيْرهَا. فَيَخْرُج، فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَة وَاحِدَة، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَة قَالتْ: وَالله مَا فِي الجَنَّة شَيْء أَحْسَن مِنْك وَمَا فِي الجَنَّة شَيْء أَحَبّ إِليَّ مِنْك».[1]

وَقَال عَبْد الله بْن وَهْب: أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحَارِث، عَنْ دَرَّاج، عَنْ ابْن حُجَيْرَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال لهُ: أَنَطَأُ فِي الجَنَّة؟ قَال: «**نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، دَحْمًا دَحْمًا، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجِعَتْ مُطَهَّرَة بِكْرًا**».[2]

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن جَابِر الفَقِيه البَغْدَادِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد المَلك الدقيقي الوَاسِطِي، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْن عَبْد الرَّحْمَن الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ عَاصِم الأَحْوَل، عَنْ أَبِي المُتَوَكِّل، عَنْ أَبِي سَعِيد قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْل الجَنَّة إِذَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُدْنَ أَبْكَارًا»[3]. وَقَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ: حدثنا عِمْرَان عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**يُعْطَى المُؤْمِن فِي الجَنَّة قُوَّة كَذَا وَكَذَا فِي النِّسَاء**». قُلت: يَا رَسُول الله، وَيُطِيق ذَلكَ؟! قَال: «**يُعْطَى قُوَّة مِائَة**»[4]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي دَاوُد، وَقَال: صَحِيح غَرِيب. وَرَوَى أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث حُسَيْن بْن عَلِيّ الجُعْفِيّ، عَنْ زَائِدَة، عَنْ هِشَام بْن حَسَّان، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قِيل: يَا رَسُول الله، هَل نَصِل إِلى نِسَائِنَا فِي الجَنَّة؟ قَال: «**إِنَّ الرَّجُل لَيَصِل فِي اليَوْم إِلى مِائَة عَذْرَاء**». قَال الحَافِظ أَبُو عَبْد الله المَقْدِسِيّ: هَذَا الحَدِيث عِنْدِي عَلى شَرْط الصَّحِيح، وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿عُرُبًا﴾، قَال سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي مُتَحَبِّبَات إِلى أَزْوَاجهنَّ، أَلَمْ تَرَ إِلى النَّاقَة الضَّبِعَة هِيَ كَذَلكَ. وَقَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: العُرُب: العَوَاشِق لأَزْوَاجِهِنَّ، وَأَزْوَاجهنَّ لهُنَّ عَاشِقُونَ. وَكَذَا قَال عَبْد الله بْن سَرْجِس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَأَبُو العَالِيَة، وَيَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، وَعَطِيَّة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْرهمْ. وَقَال [ثَوْر بْن زيد][5] عَنْ عِكْرِمَة؛ قَال: سُئِل ابْن عَبَّاس عَنْ قَوْله: ﴿عُرُبًا﴾ قَال: هِيَ المَلِقَة لزَوْجِهَا. وَقَال شُعْبَة عَنْ سِمَاك عَنْ عِكْرِمَة: هِيَ الغِنْجَة. وَقَال الأَجْلح بْن عَبْد الله، عَنْ عِكْرِمَة: هِيَ الشِّكْلة. وَقَال صَالح بْن حَيَّان، عَنْ عَبْد الله بْن بُرَيْدَة. فِي قَوْله: ﴿عُرُبًا﴾ قَال: الشِّكْلة بِلُغَةِ أَهْل مَكَّة، وَالغِنْجَة بِلُغَةِ أَهْل

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٠)، ومداره علي إسماعيل بن رافع: وهو ضعيف جدًا.
وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢): منكر. حديث رقم (٢٢٢٤).

(٢) **صحيح** : أخرجه ابن حبان (٧٤٠٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٣٣٥١).

(٣) **ضعيف** : أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٩١)، وفي إسناده شريك القاضي: سيئ الحفظ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (١٨٣٠).

(٤) **حسن لغيره** : رواه الطيالسي (٢٠١٢)، والترمذي (٢٦٥٩).
قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ : حسن صحيح، في «صحيح سنن الترمذي» (٤/ ٦٧٧) (٢٥٣٦).

(٥) في الأزهرية: [أبو يزيد].

المَدِينَة. وَقَال تَمِيم بْن حَذْلم: هِيَ حُسْن التَّبَعُّل. وَقَال زَيْد بْن أَسْلم، وَابْنه عَبْد الرَّحْمَن: العُرُب: حَسَنَات الكَلام. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذَكَرَ عَنْ سَهْل بْن عُثْمَان العَسْكَرِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيّ، عَنْ جَعْفَر بْن مُحَمَّد، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : ﴿عُرُبًا﴾ قَال: «كَلامهنَّ عَرَبِيّ».[1]

وَقَوْله: ﴿أَتْرَابًا﴾ قَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي فِي سِنّ وَاحِدَة؛ ثَلاث وَثَلاثِينَ سَنَة. وَقَال مُجَاهِد: الأَتْرَاب: المُسْتَوِيَات. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: الأَمْثَال. وَقَال عَطِيَّة: الأَقْرَان. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿أَتْرَابًا﴾، أَيْ: فِي الأَخْلاق المُتَوَاخِيَات بَيْنهنَّ، لَيْسَ بَيْنهنَّ تَبَاغُض وَلا تَحَاسُد، يَعْنِي لا كَمَا كُنَّ ضَرَائِر مُتَعَادِيَات.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة عَنْ عَبْد الله بْن الكَهْف، عَنْ الحَسَن وَمُحَمَّد: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، قَالا: المُسْتَوِيَات الأَسْنَان، يَأْتلفْنَ جَمِيعًا، وَيَلعَبْنَ جَمِيعًا. وَقَدْ رَوَى أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ، عَنْ أَحْمَد بْن مَنِيع، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْحَاق، عَنْ النُّعْمَان بْن سَعْد، عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «إِنَّ فِي الجَنَّة لَمُجْتَمَعًا للحُورِ العِين، يَرْفَعْنَ أَصْوَاتًا لَمْ تَسْمَع الخَلائِق بِمِثْلهَا، يَقُلنَ: نَحْنُ الخَالِدَات فَلا نَبِيد، وَنَحْنُ النَّاعِمَات فَلا نَبْأَس، وَنَحْنُ الرَّاضِيَات فَلا نَسْخَط، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ»[2]. ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث غَرِيب.

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حدثنا أَبُو خَيْثَمَة، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عُمَر، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي ذِئْب، عَنْ فُلان ابن عَبْد الله بْن رَافِع، عَنْ بَعْض وَلد أَنَس بْن مَالك، عَنْ أَنَس، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ الحُور العِين لَيُغَنِّينَ فِي الجَنَّة، يَقُلنَ: نَحْنُ خَيْرَات حِسَان، خُبِّئْنَا لأَزْوَاجٍ كِرَام**»[3]. **قُلت:** إِسْمَاعِيل بْن عُمَر هَذَا هُوَ أَبُو المُنْذِر الوَاسِطِيّ أَحَد الثِّقَات الأَثْبَات. وَقَدْ رَوَى هَذَا الحَدِيث الإِمَام عَبْد الرَّحِيم بْن إِبْرَاهِيم المُلقَّب بِدُحَيْم، عَنْ ابْن أَبِي فُدَيْك، عَنْ ابْن أَبِي ذِئْب، عَنْ عَوْن بْن الخَطَّاب بْن عَبْد الله بْن رَافِع، عَنْ ابْن لأَنَس، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ الحُور العِين يُغَنِّينَ فِي الجَنَّة: نَحْنُ الجوار الحِسَان، خُلِقْنَا لأَزْوَاجٍ كِرَام**». وَقَوْله: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾، أَيْ: خُلِقْنَ لأَصْحَابِ اليَمِين، أَوْ: ادُّخِرْنَ لأَصْحَابِ اليَمِين، أَوْ: زُوِّجْنَ لأَصْحَابِ اليَمِين. وَالأَظْهَر أَنَّهُ مُتَعَلِّق بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ فَتَقْدِيره: أَنْشَأْنَاهُنَّ لأَصْحَابِ اليَمِين. وَهَذَا تَوْجِيه ابْن جَرِير. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَال: صَلَّيْت لَيْلَة، ثُمَّ جَلَسْت أَدْعُو، وَكَانَ البَرْد شَدِيدًا، فَجَعَلت أَدْعُو بِيَدٍ وَاحِدَة، فَأَخَذَتْنِي عَيْنِي فَنِمْت، فَرَأَيْت حَوْرَاء لَمْ يُرَ مِثْلهَا وَهِيَ تَقُول: يَا أَبَا سُلَيْمَان، أَتَدْعُو بِيَدٍ وَاحِدَة وَأَنَا أُغَذَّى لك فِي النَّعِيم مُنْذُ خَمْسِمِائَةِ سَنَة!

قُلت: وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَوْله: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ مُتَعَلِّقًا بِمَا قَبْله، وَهُوَ قَوْله: ﴿أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أَيْ: فِي أَسْنَانهمْ. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم، مِنْ حَدِيث جَرِير، عَنْ عُمَارَة بْن القَعْقَاع، عَنْ أَبِي زُرْعَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَوَّل زُمْرَة يَدْخُلُونَ الجَنَّة عَلى صُورَة القَمَر لَيْلَة البَدْر، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى ضَوْء أَشَدّ كَوْكَب دُرِّيّ فِي السَّمَاء إِضَاءَة، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ وَلا يَتَمَخَّطُونَ، أَمْشَاطهمْ الذَّهَب، وَرَشْحهمْ المِسْك، وَمَجَامِرهمْ الأَلُوَّة، وَأَزْوَاجهمْ الحُور العِين،**

---

(١) **ضعيف** : عزاه لابن أبي حاتم، وسنده ضعيف.

(٢) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٥٦٧)، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف. وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: الحديث (منكر). في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٢٣١).

(٣) **صحيح لغيره** : أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٧٤٩).

أخلاقهمْ على خَلْق رَجُل وَاحِد، عَلى صُورَة أَبِيهِمْ آدَم، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاء»[١]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون وَعَفَّان؛ قَالا: حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة. وَرَوَى الطَّبَرَانِيّ وَاللَّفْظ لهُ، مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلمَة عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «يَدْخُل أَهْل الجنَّةِ الجنةَ جُرْدًا مُرْدًا بيضًا جعَادًا مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاء ثَلاث وَثَلاثِينَ، وَهُمْ عَلى خَلق آدم سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْض سَبْعَة أَذْرُع»[٢]. وَرَوَى التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ عِمْرَان القَطَّان، عَنْ قَتَادَة، عَنْ شَهر بْن حَوْشَب، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن غَنَم، عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «يَدْخُل أَهْل الجنَّةِ الجنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أبناء ثلاثين أو ثَلاث وَثَلاثِينَ سَنَة». ثُمَّ قَال: «حَسَن غَرِيب». وَقَال ابْن وَهْب: أَخْبَرَنَا عَمْرو بْن الحَارِث أَنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْح حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْل الجَنَّة مِنْ صَغِير أَوْ كَبِير، يُرَدُّونَ بَنِي ثَلاث وَثَلاثِينَ فِي الجَنَّة، لا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا، وَكَذَلكَ أَهْل النَّار»[٣]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ سُوَيْد بْن نَصْر عَنْ ابْن المُبَارَك عَنْ رِشْدِين بْن سَعْد عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث بِهِ.

وَقَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا القَاسِم بْن هَاشِم، حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن صَالح، حدثني رَوَّاد بْن الجَرَّاح العَسْقَلانِيّ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيّ، عَنْ هَارُون بْن رئاب، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «يَدْخُل أَهْل الجنَّة الجنَّة عَلى طُول آدَم، سِتِّينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ المَلك! عَلى حُسْن يُوسُف، وَعَلى مِيلاد عِيسَى ثَلاث وَثَلاثِينَ سَنَة، وَعَلى لسَان مُحَمَّد، جُرْد مُرْد مُكَحَّلُونَ».[٤] وَقَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي دَاوُد: حَدَّثَنَا محمود بْن خَالد وَعَبَّاس بْن الوَلِيد؛ قَالا: حَدَّثَنَا عُمَر، عَنْ الأَوْزَاعِيّ، عَنْ هَارُون بْن رئاب، عَنْ أَنَس بْن مَالك؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «يُبْعَث أَهْل الجنَّة عَلى صُورَة آدَم فِي مِيلاد عِيسَى ثَلاث وَثَلاثِينَ، جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ، ثُمَّ يُذْهَب بِهِمْ إِلى شَجَرَة فِي الجنَّة فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا لا تَبْلى ثِيَابهمْ وَلا يَفْنَى شَبَابهمْ».[٥]

وَقَوْله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: جَمَاعَة مِنْ الأَوَّلِينَ، وَجَمَاعَة مِنْ الآخِرِينَ. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا المُنْذِر بْن شَاذَان، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَكَّار، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن بَشِير، عَنْ قَتَادَة، عَنْ الحَسَن، عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: وَكَانَ بَعْضهمْ يَأْخُذ عَنْ بَعْض قَال: أكرينا ذَات لَيْلة عِنْد رَسُول الله ﷺ ، ثُمَّ غَدَوْنَا عَلَيْهِ، فَقَال: «عُرِضَتْ عَليَّ الأَنْبِيَاء وَأَتْبَاعها بِأُمَمِهَا، فَيَمُرّ عَليَّ النَّبِيّ، وَالنَّبِيّ فِي العِصَابَة، وَالنَّبِيّ فِي الثَّلاثَة، وَالنَّبِيّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَد». وَتَلا قَتَادَة هَذِهِ الآيَة: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، قَال: «حَتَّى مَرَّ عَليَّ مُوسَى بْن عِمْرَان فِي كَبْكَبَة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل». قَال: «قُلت: رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَال: هَذَا أَخُوك مُوسَى بْن عِمْرَان وَمَنْ معه مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل». قَال: «قُلت: رَبّ، فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ قَال: انْظُرْ عَنْ يَمِينك فِي الظِّرَاب». قَال: «فَإِذَا وُجُوه الرِّجَال». قَال: «قَال: أَرَضِيت؟» قَال: «قُلت: قَدْ رَضِيت، رَبّ. قَال: انْظُرْ إِلى الأُفُق عَنْ يَسَارك. فَإِذَا وُجُوه الرِّجَال. قَال: أَرَضِيت؟ قُلت: رَضِيت، رَبّ. قَال: فَإِنَّ مَعَ هَؤُلاءِ سَبْعِينَ أَلفًا، يَدْخُلُونَ الجنَّة بِغَيْرِ حِسَاب»[٦]. قَال: وَأَنْشَأَ عُكَّاشَة بْن مِحْصَن مِنْ بَنِي أَسَد -قَال سَعِيد: وَكَانَ بَدْرِيًّا- قَال: يَا نَبِيّ الله؛ ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلنِي مِنْهُمْ.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٥٨٣٤).
(٢) صحيح لغيره : أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥)، وفيه علي بن زيد بن جدعان. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٧٠٠).
(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٢٥٦٥) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٤/ ٦٩٥) (٢٥٦٢).
(٤) حسن لغيره : أخرجه ابن أبي الدنيا (٢١٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٥١٢).
(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٥).
(٦) صحيح : أخرجه أحمد (١/ ٤٠١، ٤٢٠). قال الألباني: صحيح الإسناد.

قال: فَقَال: «اللَّهُمَّ؛ اجْعَلهُ مِنهُمْ». قَال: أَنْشَأَ رَجُل آخر؛ قَال: يَا نَبِيّ الله؛ ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلنِي مِنهُم. فقَال: «سَبَقَك بِهَا عُكَّاشَة». قَال: فَقَال رَسُول الله ﷺ: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ -فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي- أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَصْحَاب السَّبْعِينَ فَافعَلُوا، وَإِلاَّ فَكُونُوا مِنْ أَصْحَاب الظراب، وَإِلاَّ فَكُونُوا مِنْ أَصْحَاب الأُفُق، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْت نَاسًا كَثِيرًا قَدْ تَأشَّبُوا حوله». ثُمَّ قَال: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبع أَهْل الجنَّة». فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَال: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُث أَهْل الجنَّة». قَال: فَكَبَّرْنَا، قَال: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصف أَهْل الجنَّة». قَال: فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ تَلا رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾، قَال: فَقُلنَا بَيْننَا: مَنْ هَؤُلاءِ السَّبْعُونَ أَلفًا؟ فَقُلنَا: هُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلام وَلَمْ يُشْرِكُوا. قَال: فَبَلغَهُ ذَلكَ، فَقَال: «بَل هُمْ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ طَرِيقَيْنِ آخَرَيْنِ عَنْ قَتَادَة بِهِ نَحْوه. وَهَذَا الحَدِيث لهُ طُرُق كَثِيرَة مِنْ غَيْر هَذَا الوَجْه فِي الصِّحَاح وَغَيْرهَا. وقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَبَان بْن أَبِي عَيَّاش، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «هُمَا جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي».(١)

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾.

لـمَّا ذَكَرَ تَعَالى حَال أَصْحَاب اليَمِين، عَطَفَ عَليْهِمْ بِذِكْرِ أَصْحَاب الشِّمَال، فَقَال: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾. أَيّ: أَيّ شَيْء هُمْ أَصْحَاب الشِّمَال؟ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلكَ فَقَال: ﴿ فِي سَمُومٖ ﴾، وَهُوَ: الهَوَاء الحَارّ، ﴿ وَحَمِيمٖ ﴾، وَهُوَ: المَاء الحَارّ، ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: ظِلّ الدُّخَان. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَأَبُو صَالح، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرهمْ. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾، وَلهَذَا قَال هاهنا: ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾ وَهُوَ: الدُّخَان الأَسْوَد، ﴿ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أَيْ: ليْسَ طَيِّبَ الهُبُوب وَلا حَسَن المَنْظَر، كَمَا قَال الحَسَن وَقَتَادَة: ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾. أَيْ: وَلا كَرِيم المَنْظَر. وَقَال الضَّحَّاك: كُلّ شَرَاب ليْسَ بِعَذْبٍ فَليْسَ بِكَرِيم.

وَقَال ابْن جَرِير: العَرَب تَتْبَع هَذِهِ اللَّفْظَة فِي النَّفْي، فَيَقُولُونَ: هَذَا الطَّعَام ليْسَ بِطَيِّبٍ وَلا كَرِيم، هَذَا اللَّحْم ليْسَ بِسَمِينٍ وَلا كَرِيم، وَهَذِهِ الدَّار ليْسَتْ بِنَظِيفَةٍ وَلا كَرِيمَة. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالى اسْتِحْقَاقهمْ لذَلك؛ فَقَال تَعَالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴾ أَيْ: كَانُوا فِي الدَّار الدُّنْيَا مُنَعَّمِينَ مُقْبِلينَ عَلى لذَّات أَنْفُسهمْ، لا يَلوُونَ عَلى مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُل. ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ ﴾ أَيْ: يُصَمِّمون وَلا يَنْوُونَ تَوْبَة، ﴿ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾. وَهُوَ الكُفْر بالله، وَجَعْل الأَوْثَان وَالأَنْدَاد أَرْبَابًا مِنْ دُون الله.

قَال ابْن عَبَّاس: ﴿ ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾: الشرك. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرهمْ. وَقَال الشَّعْبِيّ: هُوَ اليَمِين الغَمُوس. ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

(١) ضعيف: تقـدم.

أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ يعْنِي: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مثلَ ذَلكَ مُكَذِّبِينَ بِهِ مُسْتَبْعِدِينَ لوُقُوعِهِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾، أَيْ: أَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّد أَنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنْ بَنِي آدم سَيُجْمَعُونَ إِلى عَرَصَات القِيَامَة، لا نغادر مِنْهُمْ أَحَدًا. كَمَا قَالَ: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾؛ ولهذا قَالَ هَهُنَا: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أَيْ: هُوَ مُوَقَّت بِوَقْتٍ مَحْدُود، لا يَتَقَدَّم وَلا يَتَأَخَّر، وَلا يَزِيد وَلا يَنْقُص.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾، وَذَلكَ أَنَّهُمْ يَقْبِضُونَ وَيَسْجُرُونَ حَتَّى يَأْكُلُوا مِنْ شَجَر الزَّقُّوم، حَتَّى يَمْلَئُوا مِنْهَا بُطُونهمْ، ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ وَهِيَ الإِبِل العِطَاش، وَاحِدهَا أَهْيَم وَالأُنْثَى هَيْمَاء، وَيُقَال: هَائِم وَهَائِمَة. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَعِكْرِمَة: الهِيم: الإِبِل العِطَاش الظِّمَاء. وَعَنْ عِكْرِمَة أَنَّهُ قَال: الهِيم: الإِبِل المِرَاض، تَمُصّ المَاء مَصًّا وَلا تُرْوَى. وَقَال السُّدِّيّ: الهِيم: دَاء يَأْخُذ الإِبِل فَلا تُرْوَى أَبَدًا حَتَّى تَمُوت، فَكَذَلكَ أَهْل جَهَنَّم لا يُرْوُونَ مِنْ الحَمِيم أَبَدًا. وَعَنْ خَالد بْن مَعْدَان: أَنَّهُ كَانَ يَكْرَه أَنْ يَشْرَب شُرْب الهِيم عِبَّة وَاحِدَة مِنْ غَيْر أَنْ يَتَنَفَّس ثَلاثًا.

ثُمَّ قَال تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي وَصَفْنَا هُوَ ضِيَافَتهمْ عِنْد رَبّهمْ يَوْم حِسَابهمْ، كَمَا قَالَ فِي حَقّ المُؤْمِنِينَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾، أَيْ: ضِيَافَة وَكَرَامَة.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُقَرِّرًا للمَعَادِ، وَرَادًّا عَلى المُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْ أَهْل الزَّيْغ وَالإِلحَاد، مِنْ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، وَقَوْلهم ذَلكَ صَدَرَ مِنْهُمْ عَلى وَجْه التَّكْذِيب وَالاسْتِبْعَاد، فَقَال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾، أَيْ: نَحْنُ ابْتَدَأْنَا خَلقكُمْ بَعْد أَنْ لمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، أَفَلَيْسَ الَّذِي قَدَرَ عَلى البُدَاءَة بِقَادِرٍ عَلى الإِعَادَة بِطَرِيقِ الأَوْلى وَالأَحْرَى؟ وَلهَذَا قَال: ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ أَيْ: فَهَلَّا تُصَدِّقُونَ بِالبَعْثِ! ثُمَّ قَال مُسْتَدِلًّا عَليْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾، أَيْ: أَنْتُمْ تُقِرُّونَهُ فِي الأَرْحَام وَتَخْلُقُونَهُ فِيهَا، أَمْ الله الخَالق لذَلكَ؟ ثُمَّ قَال: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾. أَيْ: صَرَفْنَاهُ بَيْنكُمْ. وَقَال الضَّحَّاك: سَاوَى فِيهِ بَيْن أَهْل السَّمَاء وَالأَرْض. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أَيْ: وَمَا نَحْنُ بِعَاجِزِينَ ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ ﴾ أَيْ: نُغَيِّر خلقكُمْ يَوْم القِيَامَة، ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أَيْ: مِنْ الصِّفَات وَالأَحْوَال.

ثُمَّ قَال: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أَيْ: قَدْ علمْتُمْ أَنَّ الله أَنْشَأَكُم بَعْد أَنْ لمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، فَخَلقَكُمْ وَجَعَل لكُمْ السَّمْع وَالأَبْصَار وَالأَفْئِدَة، فَهَلَّا تَتَذَكَّرُونَ وَتَعْرِفُونَ أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلى هَذِهِ النَّشْأَة وَهِيَ البُدَاءَة قَادِر عَلى النَّشْأَة الأُخْرَى وَهِيَ الإِعَادَة بِطَرِيقِ الأَوْلى والأحرى؟ كَمَا قَال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، وَقَال: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

يَقُول: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾، وَهُوَ شَقّ الأَرْض وَإِثَارَتهَا وَالبَذْر فِيهَا، ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ﴾ أَيْ: تُنْبِتُونَهُ فِي الأَرْض ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ أَيْ: بلى نَحْنُ الذين نُقِرّهُ قَرَاره وَنُنْبِتهُ فِي الأَرْض. قَال ابْن جَرِير: وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن الوَلِيد القُرَشِيّ، حَدَّثَنَا مُسْلم بْن أَبِي مُسْلم الجَرْمِيّ، حَدَّثَنَا مَخْلد بْن الحُسَيْن، عَنْ هِشَام، عَنْ مُحَمَّد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لا تَقُولن: زَرَعْت، وَلكِنْ قُل: حَرَثْت». قَال أَبُو هُرَيْرَة: أَلَمْ تَسْمَع إِلَى قَوْله: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[1]. وَرَوَاهُ البَزَّار عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم عَنْ مُسْلم الجَرْمِيّ بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ عَطَاء عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن. «لا تَقُولُوا: زَرَعنَا، وَلكِنْ قُولُوا: حَرَثْنَا». وَرُوِي عَنْ حُجْر المَدَرِيّ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾. وَأَمْثَالهَا يَقُول: بَل أَنْتَ يَا رَبّ.

وَقَوْله: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾. أَيْ: نَحْنُ أَنْبَتْنَاهُ بِلُطْفِنَا وَرَحْمَتنَا، وَأَبْقَيْنَاهُ لكُمْ رَحْمَة بِكُمْ، وَلَوْ نَشَاء لجَعَلنَاهُ حُطَامًا، أَيْ: لأَيْبَسْنَاهُ قَبْل اسْتِوَائِهِ وَاسْتِحْصَاده، ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾. ثُمَّ فَسَّرَ ذَلكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾، أَيْ: لوْ جَعَلنَاهُ حُطَامًا لظَللتُمْ تَفَكَّهُونَ فِي المَقَالة، تُنَوِّعُونَ كَلامكُمْ، فَتَقُولُونَ تَارَة: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾، أَيْ: لَمُلقُونَ، وَقَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة: إِنَّا لمولع بِنَا. وَقَال قَتَادَة: مُعَذَّبُونَ. وَتَارَه تَقُولُونَ: بَل نَحْنُ مَحْرُومُونَ. وَقَال مُجَاهِد أَيْضًا: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ مُلقُونَ للشَّرّ، أَيْ: بَل نَحْنُ مُحَارِفُونَ. قَالهُ قَتَادَة، أَيْ: لا يَثْبُت لنَا مَال، وَلا يُنْتَج لنَا رِبْح. وَقَال مُجَاهِد: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أَيْ: مَجْدُودُونَ، يَعْنِي: لا حَظّ لنَا. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾: تُعْجِبُونَ. وَقَال مُجَاهِد أَيْضًا: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾: تَفْجَعُونَ وَتَحْزَنُونَ على مَا فَاتَكُمْ مِنْ زَرْعكُمْ. وَهَذَا يَرْجِع إِلَى الأَوَّل، وَهُوَ التَّعَجُّب مِنْ السَّبَب الَّذِي مِنْ أَجْله أُصِيبُوا فِي مَالهمْ. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾: تَلاوَمُونَ. وَقَال الحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾، تَنْدَمُونَ. وَمَعْنَاهُ إِمَّا عَلى مَا أَنْفَقْتُمْ أَوْ عَلى مَا أَسْلفْتُمْ مِنْ الذُّنُوب. قَال الكِسَائِيّ: تَفَكَّهَ مِنْ الأَضْدَاد، تَقُول العَرَب: تَفَكَّهْت بِمَعْنَى تَنَعَّمْت، وَتَفَكَّهْت بِمَعْنَى حَزِنْت.

ثم قَال تَعَالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ ﴾، يُعْنَى: السَّحَاب. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾، يَقُول: بَل نَحْنُ المُنْزِلُونَ. ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ أَيْ: زُعَاقًا مُرًّا لا يَصْلُح لشُرْب وَلا زَرْع، ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ أَيْ: فَهَلَّا تَشْكُرُونَ نِعْمَة الله عَليْكُمْ فِي إِنْزَاله المَطَر عَليْكُمْ عَذْبًا زُلالًا؟! ﴿ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن سَعِيد بْن مُرَّة، حَدَّثَنَا فُضَيْل بْن مَرْزُوق، عَنْ جَابِر، عَنْ أَبِي جَعْفَر، عَنْ النَّبِيّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا شَرِبَ المَاء قَال: «الحَمْد لله الَّذِي سقاناه عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلمْ

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٩٨).

يَجْعَلهُ مِلحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا».[١] ثم قَال: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾، أَيْ: تَقْدَحُونَ مِنَ الزِّنَاد، وَتَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ أَصْلهَا، ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾، أَيْ: بَل نَحْنُ الَّذِينَ جَعَلنَاهَا مُودَعَة فِي مَوْضِعهَا، وَللعَرَبِ شَجَرَتَانِ، إِحْدَاهُمَا: المَرخ، وَالأُخْرَى: العِفَار، إِذَا أُخِذَ مِنْهُمَا غُصْنَانِ أَخْضَرَانِ، فَحُكَّ أَحَدهمَا بِالآخَرِ، تَنَاثَرَ مِنْ بَيْنهمَا شَرَر النَّار.

وَقَوْله: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً ﴾ قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة: أَيْ تَذَكُّر النَّار الكُبْرَى. قَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**يَا قَوْم؛ نَاركُمْ هَذهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَار جَهَنَّم**». قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ إِنْ كَانَتْ لكَافِيَة! قَال: «**قَدْ ضُرِبَتْ بِالماء ضَرْبَتَيْنِ -أَوْ: مَرَّتَيْنِ- حَتَّى يَسْتَنْفِع بهَا بَنُو آدَم وَيَدْنُوا مِنْهَا**». وَهَذَا الَّذِي أَرْسَلهُ قَتَادَة قَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي «مُسْنَده»؛ فَقَال: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنْ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِنَّ نَاركُمْ هَذهِ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَار جَهَنَّم، وَضُرِبَتْ بِالبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلوْلا ذَلكَ مَا جَعَل الله فِيهَا مَنْفَعَة لأَحَدٍ**»[٢]. وَقَال الإِمَام مَالك عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنْ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**نَار بَنِي آدَم الَّتِي يُوقِدُونَ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَار جَهَنَّم**». فَقَالُوا: يَا رَسُول الله؛ إِنْ كَانَتْ لكَافِيَة. فَقَال: «**إِنَّهَا فُضِّلتْ عَليْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا**»[٣]. رَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث مَالك، وَمُسْلم مِنْ حَدِيث أَبِي الزِّنَاد. وَرَوَاهُ مُسْلم، مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر عَنْ هَمَّام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة بِهِ. وَفِي لفْظ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لقَدْ فُضِّلتْ عَليْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلّهنَّ مِثْل حَرّهَا**». وَقَدْ قَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَمْرو الخَلَّال، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن المُنْذِر الحرامي، حَدَّثَنَا مَعْن بْن عِيسَى القَزَّاز، عَنْ مَالك، عَنْ عَمّه أَبِي السَهْيل، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَتَدْرُونَ مَا مِثْل نَاركُمْ هَذهِ مِنْ نَار جَهَنَّم؟ لهِيَ أَشَدّ سَوَادًا مِنْ نَاركُمْ هَذهِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا**». قَال الضِّيَاء المَقْدِسِيّ: وَقَدْ رَوَاهُ ابن مُصْعَب عَنْ مَالك وَلمْ يَرْفعهُ، وَهُوَ عِنْدِي عَلى شَرْط الصَّحِيح.

وَقَوْله: ﴿وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالنَّضْر بْن عَرَبِيّ: معنى ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: المُسَافِرِينَ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَقَال: وَمِنْهُ قَوْلهمْ: أَقْوَتْ الدَّار إِذَا رَحَل أَهْلهَا. وَقَال غَيْره: القِيّ وَالقِوَاء: القَفْر الخَالي البَعِيد مِنْ العُمْرَانِ. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: المُقْوِيّ هَهُنَا: الجَائِع. وَقَال ليْث بْن أَبِي سُليْم: عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ : للحَاضِرِ وَالمُسَافِر، لكُلِّ طَعَام لا يُصْلحهُ إِلَّا النَّار، وَكَذَا رَوَى سُفْيَان، عَنْ جَابِر الجُعْفِيّ، عَنْ مُجَاهِد. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد قَوْله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المُسْتَمْتِعِينَ، النَّاس أَجْمَعِينَ. وَكَذَا ذَكَرَ عَنْ عِكْرِمَة. وَهَذَا التَّفْسِير أَعَمّ مِنْ غَيْره، فَإِنَّ الحَاضِر وَالبَادِي مِنْ غَنِيّ وَفَقِير، الجَمِيع مُحْتَاجُونَ للطَّبْخ وَالاصْطِلاء وَالإِضَاءَة وَغَيْر ذَلكَ مِنْ المَنَافِع. ثُمَّ مِنْ لُطْف الله تَعَالى أَنْ أَوْدَعَهَا فِي الأَحْجَار وَخَالص الحَدِيد، بِحَيْثُ يَتَمَكَّن المُسَافِر مِنْ حَمْل ذَلكَ فِي مَتَاعه وَبَيْن ثِيَابه، فَإِذَا احْتَاجَ إِلى ذَلكَ فِي مَنْزِله أَخْرَجَ زَنْده وَأَوْرَى، وَأَوْقَدَ نَاره فَأَطْبَخَ بِهَا وَاصْطَلى، وَاشْتَوَى وَاسْتَأْنَس بِهَا، وَانْتَفَعَ بِهَا سَائِر الانْتِفَاعَات. فَلهَذَا أَفْرَدَ المُسَافِرُونَ وَإِنْ كَانَ ذَلكَ عَامًّا فِي حَقّ النَّاس كُلّهمْ. وَقَدْ يُسْتَدَلّ لهُ بِمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث أَبِي خِدَاش حِبَّان بْن زَيْد الشَّرْعِبِيّ الشَّامِيّ، عَنْ رَجُل مِنْ المُهَاجِرِينَ مِنْ قَرْن، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال:

---

(١) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٤٢٢).

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٦٦٦).

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٢).

«المُسْلِمُونَ شُرَكَاء فِي ثَلاثَة: النَّار، وَالكَلأ، وَالمَاء».[١] وَرَوَى ابْن مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ جَيِّد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «ثَلاث لا يُمْنَعْنَ: المَاء، وَالكَلأ، وَالنَّار». وَلَهُ مِنْ حَدِيث ابْن عَبَّاس مَرْفُوعًا مِثْل هَذَا وَزِيَادَة: «وَثَمَنه حرام». وَلكِنْ فِي إِسْنَاده عَبْد الله بْن خِرَاش بْن حَوْشَب، وَهُوَ ضَعِيف، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أَيْ: الَّذِي بِقُدْرَتِهِ خلقَ هَذِهِ الأَشْيَاء المُخْتَلفَة المُتَضَادَّة: المَاء العذب الزُّلال العَذْب البَارِد، وَلَوْ شَاءَ لجَعَلَهُ مِلحًا أُجَاجًا كَالبِحَارِ المُغْرِقَة، وَخَلقَ النَّار المُحْرِقَة، وَجَعَل ذَلكَ مَصْلحَة للعِبَادِ، وَجَعَل هَذِهِ مَنْفَعَة لَهُمْ فِي مَعَاش دُنْيَاهُمْ، وزاجرًا لَهُمْ فِي المَعَاد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾.

قَال جُوَيْبِر عَنْ الضَّحَّاك: إِنَّ الله لا يُقْسِم بِشَيْءٍ مِنْ خَلقه، وَلكِنَّهُ اسْتِفْتَاح يَسْتَفْتِح بِهِ كَلامه. وَهَذَا القَوْل ضَعِيف. وَالَّذِي عَلَيْهِ الجُمْهُور أَنَّهُ قَسَم مِنْ الله ﷻ يُقْسِم بِمَا شَاءَ مِنْ خَلقه، وَهُوَ دَلِيل عَلى عَظَمَته، ثُمَّ قَال بَعْض المُفَسِّرِينَ: «لا» هَهُنَا زَائِدَة، وَتَقْدِيره: أُقْسِم بِمَوَاقِع النُّجُوم. ورَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر. وَيَكُون جَوَابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. وَقَال آخَرُونَ: لَيْسَتْ «لا» زَائِدَة لا مَعْنَى لهَا، بَل يُؤْتَى بِهَا فِي أَوَّل القَسَم إِذَا كَانَ مُقْسَمًا بِهِ عَلى مَنْفِيّ، كَقَوْل عَائِشَة ﵂: «لا، وَالله مَا مَسَّتْ يَد رَسُول الله ﷺ يَد امْرَأَة قَطُّ».[٢] وَهَكَذَا هَهُنَا تَقْدِير الكَلام: لا أُقْسِم بِمَوَاقِع النُّجُوم: لَيْسَ الأَمْر كَمَا زَعَمْتُمْ فِي القُرْآن أَنَّهُ سِحر أَوْ كِهَانَة، بَل هُوَ قُرْآن كَرِيم.

وَقَال ابْن جَرِير: وَقَال بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة: مَعْنَى قَوْله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾، فَلَيْسَ الأَمْر كَمَا تَقُولُونَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ القَسَم بَعْدُ، فَقِيل: أُقْسِم. وَاخْتَلفُوا فِي مَعْنَى قَوْله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فَقَال حَكِيم بْن جُبَيْر عَنْ سَعِيد ابْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي نُجُوم القُرْآن، فَإِنَّهُ نَزَل جُمْلة لَيْلة القَدْر مِنْ السَّمَاء العُلْيَا إِلى السَّمَاء الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَل مُفَرَّقًا فِي السِّنِينَ بَعْدُ. ثُمَّ قَرَأَ ابْن عَبَّاس هَذِهِ الآيَة. وَقَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: نَزَل القُرْآن جُمْلة مِنْ عِنْد الله مِنْ اللَّوْح المَحْفُوظ إِلى السَّفَرَة الكِرَام الكَاتِبِينَ فِي السَّمَاء الدُّنْيَا، فَنَجَّمَتْهُ السَّفَرَة عَلى جِبْرِيل عِشْرِينَ لَيْلة، وَنَجَّمَهُ جِبْرِيل عَلى مُحَمَّد ﷺ عِشْرِينَ سَنَة، فَهُوَ قَوْله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ نُجُوم القُرْآن. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَمُجَاهِد، وَالسُّدِّيّ وَأَبُو حزرة. وَقَال مُجَاهِد أَيْضًا: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فِي السَّمَاء، وَيُقَال: مَطَالعهَا وَمَشَارِقهَا. وَكَذَا قَال الحَسَن، وَقَتَادَة، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَعَنْ قَتَادَة: مَوَاقِعهَا: مَنَازِلهَا. وَعَنْ الحَسَن أَيْضًا: أَنَّ المُرَاد بِذَلكَ انْتِثَارهَا يَوْم القِيَامَة. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾. يَعْنِي بِذَلكَ الأَنْوَاء الَّتِي كَانَ أَهْل الجَاهِلِيَّة إِذَا مُطِرُوا قَالُوا: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. وَقَوْله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أَيْ: وَإِنَّ هَذَا القَسَم الَّذِي أَقْسَمْت بِهِ لقَسَم عَظِيم، لوْ تَعْلمُونَ عَظَمَته لعَظَّمْتُمْ المُقْسَم بِهِ عَليْهِ، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. أَيْ: إِنَّ هَذَا القُرْآن الَّذِي نَزَل عَلى مُحَمَّد لكِتَاب عَظِيم. ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ أَيْ: مُعَظَّم فِي كِتَاب مُعَظَّم مَحْفُوظ مُوَقَّر.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بْن مُوسَى، أَخْبَرَنَا شَرِيك، عَنْ حَكِيم -هُوَ ابْن جُبَيْر-، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ قَال: الكِتَاب الَّذِي فِي السَّمَاء. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿إِلَّا

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٧١٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧١٣).

ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ يَعْنِي المَلائِكَة. وَكَذَا قَال أَنَس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالضَّحَّاك، وَأَبُو الشَّعْثَاء جَابِر ابْن زَيْد، وَأَبُو نَهِيك، وَالسُّدِّيّ، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم، وَغَيْرهمْ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْر، حَدَّثنَا مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾، قَال: لا يَمَسّهُ عِنْد الله إِلَّا المُطَهَّرُون، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَمَسّهُ المَجُوسِيّ النَّجِس، وَالمُنَافِق الرِّجْس. وقَال: وَهِيَ فِي قِرَاءَة ابْن مَسْعُود: (مَا يَمَسّهُ إِلَّا المُطَهَّرُون). وَقَال أَبُو العَالِيَة: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ لَيْسَ أَنْتُمْ، أَنْتُمْ أَصْحَاب الذُّنُوب. وَقَال ابْن زَيْد: زَعَمَتْ كُفَّار قُرَيْش أَنَّ هَذَا القُرْآن تَنَزَّلتْ بِهِ الشَّيَاطِين، فَأَخْبَرَ الله تَعَالى أَنَّهُ: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾، كَمَا قَال: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾. وَهَذَا القَوْل قَوْل جَيِّد، وَهُوَ لا يَخْرُج عَنْ الأَقْوَال الَّتِي قَبْله. وَقَال الفَرَّاء: لا يَجِد طَعْمه وَنَفْعه إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ. وَقَال آخَرُونَ: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾، أَيْ: مِنْ الجَنَابَة وَالحَدَث. قَالُوا: وَلفْظ الآيَة خَبَر وَمَعْنَاهَا الطَّلب. قَالُوا: وَالمُرَاد بِالقُرْآنِ هَهُنَا المُصْحَف، كَمَا رَوَى مُسْلم، عَنْ ابْن عُمَر أَنَّ رَسُول الله ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَر بِالقُرْآنِ إِلى أَرْض العَدُوّ، مَخَافَة أَنْ يَنَالهُ العَدُوّ.[1] وَاحْتَجُّوا فِي ذَلكَ بِمَا رَوَاهُ الإِمَام مَالك فِي «مُوَطَّئِهِ»، عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر بْن مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن حَزْم، أَنَّ فِي الكِتَاب الَّذِي كَتَبَهُ رَسُول الله ﷺ لعَمْرِو ابْن حَزْم: أَنْ لا يَمَسّ القُرْآن إِلَّا طَاهِر. وَرَوَى أَبُو دَاوُد فِي «المَرَاسِيل»، مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ؛ قَال: قَرَأْت فِي صَحِيفَة عِنْد أَبِي بَكْر بْن مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن حَزْم؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«وَلا يَمَسّ القُرْآن إِلاَّ طَاهِر»**[2]. وَهَذِهِ وِجَادَة جَيِّدَة، قَدْ قَرَأَهَا الزُّهْرِيّ وَغَيْره، وَمِثْل هَذَا يَنْبَغِي الأَخْذ بِهِ. وَقَدْ أَسْنَدَهُ الدَّارَقُطْنِيّ عَنْ عَمْرو بْن حَزْم، وَعَبْد الله بْن عُمَر، وعُثْمَان بْن أَبِي العَاصِ، وَفِي إِسْنَاد كُلّ منها نَظَر، وَالله أَعْلم. وَقَوْله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. أَيْ: هَذَا القُرْآن مُنَزَّل مِنْ رَبّ العَالمِينَ، وَليْسَ هُوَ كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ سِحْر، أَوْ كِهَانَة، أَوْ شِعْر، بَل هُوَ الحَقّ الَّذِي لا مِرْيَة فِيهِ، وَليْسَ وَرَاءَهُ حَقّ نَافِع. وَقَوْله: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾، قَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: أَيْ مُكَذِّبُونَ غَيْر مُصَدِّقِينَ. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك، وَأَبُو حَزْرة، وَالسُّدِّيّ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿ مُّدْهِنُونَ ﴾ أَيْ: تُرِيدُونَ أَنْ تُمَالئُوهُمْ فِيهِ، وَتَرْكَنُوا إِليْهِم. ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾، قَال بَعْضهمْ: يعني وَتَجْعَلُونَ رِزْقكُمْ بِمَعْنَى شُكْركُمْ ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [أَيْ: تُكَذِّبُونَ بَدَل الشُّكْر. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَليّ وَابْن عَبَّاس أَنَّهُمَا قَرَآهَا: (وَتَجْعَلُونَ شُكْركُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) كَمَا سَيَأْتِي][3]. وَقَال ابْن جَرِير: وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ [الهَيْثَم][4] بْن عَدِيّ؛ أَنَّ مِنْ لُغَة أَزْدِ شَنُوءَةَ: مَا رِزْق فُلان، بِمَعْنَى: مَا شُكْر فُلان.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ عَبْد الأَعْلى، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ عَليّ رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾، يَقُول: شُكْركُمْ، ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾، تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، بِنَجْم كَذَا وَكَذَا»[5]. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُخَوَّل بْن إِبْرَاهِيم النَّهْدِيّ، وَابْن جَرِير، عَنْ مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، عَنْ عُبَيْد الله بْن مُوسَى، وَعَنْ يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي بُكَيْر، ثَلاثَتهمْ عَنْ إِسْرَائِيل، بِهِ مَرْفُوعًا. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ أَحْمَد بْن مَنِيع، عَنْ حُسَيْن بْن مُحَمَّد -وَهُوَ المَرْوَزِيّ- بِهِ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٦٩).
(٢) صححه الألباني في «إرواء الغليل» (١/ ١٢٢).
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) في الأزهرية: [القسم].
(٥) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٥/ ٤٠١) (٣٢٩٥).

وَقَال: حَسَن غَرِيب. وَقَدْ رَوَاهُ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عَبْد الأَعْلَى، وَلَمْ يَرْفَعهُ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: مَا مُطِرَ قَوْم قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضهمْ كَافِرًا، يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. وَقَرَأَ ابْن عَبَّاس: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ). وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح إِلَى ابْن عَبَّاس. وَقَال مَالك فِي «الْمُوَطَّأ»: عَنْ صَالح بْن كَيْسَان، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الله بْن عُتْبَة بْن مَسْعُود، عَنْ زَيْد بْن خَالد الْجُهَنِيّ؛ أَنَّهُ قَال: صَلَّى لنا رَسُول الله ﷺ صَلاة الصُّبْح بِالْحُدَيْبِيَة فِي أَثَر سَمَاء كَانَتْ مِنْ اللَّيْل، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس، فَقَال: «هَل تَدْرُونَ مَاذَا قَال رَبّكُمْ؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلَم. قَال: «قَال: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِن بِي وَكَافِر، فَأَمَّا مَنْ قَال: مُطِرْنَا بِفَضْل الله وَرَحْمَته، فَذَلكَ مُؤْمِن بِي كَافِر بِالكَوْكَب. وَأَمَّا مَنْ قَال: مُطِرْنَا بِنَوْء كَذَا وَكَذَا، فَذَلكَ كَافِر بِي مُؤْمِن بِالكَوْكَب»[١]. أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ؛ كُلّهمْ مِنْ حَدِيث مَالك بِهِ.

وَقَال مُسْلم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَلَمَة الْمُرَادِيّ وَعَمْرو بْن سَوَاد، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن وَهْب، عَنْ عمرو بْن الحَارث: أَنَّ أَبَا يُونُس حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «مَا أَنْزَل الله مِنْ السَّمَاء مِنْ بَرَكَة إِلاَّ أَصْبَحَ فَرِيق مِنْ النَّاس بِهَا كَافِرِينَ، يَنْزِل الغَيْث فَيَقُولُونَ: بِكَوْكَب كَذَا وَكَذَا»[٢]. تفرَّد بِهِ مُسْلم مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس، أَخْبَرَنَا سُفْيَان، عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم بْن الحَارث التَّيْمِيّ، عَنْ أَبِي سَلَمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «إِنَّ الله لَيُصَبِّح القَوْم بِالنِّعْمَة أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِهَا، فَيُصْبِح بِهَا قَوْم كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْء كَذَا وَكَذَا»[٣]. قَال مُحَمَّد -هُوَ ابْن إِبْرَاهِيم-: فَذَكَرْت هَذَا الحَدِيث لِسَعِيد بْن الْمُسَيِّب، فَقَال: وَنَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَة، وَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ وَهُوَ يَسْتَسْقِي، فَلَمَّا اسْتَسْقَى التَفَتَ إِلَى العَبَّاس؛ فَقَال: يَا عَبَّاس، يَا عَمّ رَسُول الله، كَمْ بَقِيَ مِنْ نَوْء الثُّرَيَّا؟ فَقَال: العُلَمَاء يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَعْتَرِض فِي الأُفُق بَعْد سُقُوطهَا سَبْعًا. قَال: فَمَا مَضَتْ سَابِعَة حَتَّى مُطِرُوا. وَهَذَا مَحْمُول عَلَى السُّؤَال عَنْ الوَقْت الَّذِي أَجْرَى الله فِيهِ العَادَة بِإِنْزَال الْمَطَر، لا أَنَّ ذَلكَ النَّوْء يُؤَثِّر بِنَفْسِهِ فِي نُزُول الْمَطَر، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمَنْهِيّ عَنْ اعْتِقَاده. وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْء مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيث عِنْد قَوْله: ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس، أَخْبَرَنَا سُفْيَان، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أُمَيَّة -أَحْسَبهُ أَوْ غَيْره- أَنَّ رَسُول الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا -وَمُطِرُوا- يَقُول: مُطِرْنَا بِبَعْض عَثَانِين الأَسَد، فَقَال: «كَذَبْت! بَل هُوَ رِزْق الله»[٤]. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي أَبُو صَالح الصِّرَاوِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَابِر مُحَمَّد بْن عَبْد الْمَلك الأَزْدِيّ، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن الزُّبَيْر، عَنْ القَاسِم، عَنْ أَبِي أُمَامَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَا مُطِرَ قَوْم مِنْ لَيْلَة إِلاَّ أَصْبَحَ قَوْم بِهَا كَافِرِينَ». ثُمَّ قَال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾. يَقُول قَائِل: مُطِرْنَا بِنَجْم كَذَا وَكَذَا.[٥] وَفِي حَدِيث عَنْ أَبِي سَعِيد مَرْفُوعًا: «لَوْ قَحَطَ النَّاس سَبْع سِنِينَ ثُمَّ مُطِرُوا لَقَالُوا: مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْمِجْدَح»[٦]. وَقَال مُجَاهِد: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قَال: قَوْلهمْ فِي الأَنْوَاء: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وَبِنَوْءِ كَذَا، يَقُول: قُولُوا: هُوَ مِنْ عِنْد الله، وَهُوَ رِزْقه. وَهَكَذَا قَال

(١) صحيح : تقـدم.
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٧٢).
(٣) حسـن : أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٨).
(٤) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٨).
(٥) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٠٩).
(٦) ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ٧).

الضَّحَّاك وَغيْر وَاحِد. وَقَال قَتَادَة: أَمَّا الحَسَن فكَانَ يقُول: بِئْس مَا أَخذَ قَوْم لأنفسهم! لمْ يُرْزَقُوا مِنْ كِتَاب الله إِلَّا التَّكْذِيب. فمَعْنَى قَوْل الحَسَن هَذَا: وَتَجْعَلُونَ حَظّكُمْ مِنْ كِتَاب الله أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ؛ وَلهَذَا قَال قَبْله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

يقُول تَعالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أَيْ: الرُّوح ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ أَيْ: الحَلق وَذَلكَ حِين الاحْتِضَار. كَمَا قَال تَعالَى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾. وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أَيْ: إِلَى المُحْتَضَر وَمَا يُكَابِدهُ مِنْ سَكَرَات المَوْت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أَيْ: بِملائِكَتِنَا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: وَلكِنْ لا تَروْنَهُمْ، كَمَا قَال تَعالَى فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾. وَقَوْله تَعالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾ مَعْنَاهُ فَهَلَّا تُرْجِعُونَ هَذِهِ النَّفْس الَّتِي قَدْ بَلغَتْ الحُلقُوم إِلَى مَكَانهَا الأَوَّل وَمَقَرّهَا مِنْ الجَسَد ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾. قَال ابْن عَبَّاس يَعْنِي: مُحَاسَبِينَ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِد وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ، وَأَبِي حَزْرَة مِثْله.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَالحَسَن البَصْرِيّ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غَيْر مُصَدِّقِينَ أَنَّكُمْ تُدَانُون وَتُبْعَثُونَ وَتُجْزَوْنَ فَرُدُّوا هَذِهِ النَّفْس. وَعَنْ مُجَاهِد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غَيْر مُوقِنِينَ، وَقَال مَيْمُون بْن مِهْرَان: غَيْر مُعَذَّبِينَ مَقْهُورِينَ.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

هَذِهِ الأَحْوَال الثَّلاثَة هِيَ أَحْوَال النَّاس عِنْد احْتِضَارهِمْ، إِمَّا أَنْ يَكُون مِنْ المُقَرَّبِينَ، أَوْ يَكُون مِمَّنْ دُونهمْ مِنْ أَصْحَاب اليَمِين، وَإِمَّا أَنْ يَكُون مِنْ المُكَذِّبِينَ بِالحَقّ الضَّالِّينَ عَنْ الهُدَى الجَاهِلِينَ بِأَمْرِ الله؛ وَلهَذَا قَال تَعالَى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أَيْ: المُحْتَضَر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ فَعَلُوا الوَاجِبَات وَالمُسْتَحَبَّات، وَتَرَكُوا المُحَرَّمَات وَالمَكْرُوهَات وَبَعْض المُبَاحَات، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أَيْ: فَلهُمْ رَوْح وَرَيْحَان، وَتُبَشِّرهُمْ المَلائِكَة بِذَلكَ عِنْد المَوْت. كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيث البَرَاء أَنَّ مَلائِكَة الرَّحْمَة؛ تَقُول: أَيَّتهَا الرُّوح الطَّيِّبَة فِي الجَسَد الطَّيِّب كُنْت تَعْمُرِينَهُ، اخْرُجِي إِلَى رَوْح وَرَيْحَان وَرَبّ غَيْر غَضْبَان. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فَرَوْحٌ﴾ يَقُول رَاحَة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يَقُول مُسْتَرَاحَة، وَكَذَا قَال مُجَاهِد: إِنَّ الرَّوْح الاسْتِرَاحَة. وَقَال أَبُو حَزْرَة: الرَّاحَة مِنْ الدُّنْيَا، وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَالسُّدِّيّ: الرَّوْح: الفَرَح. وَعَنْ مُجَاهِد: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: جَنَّة وَرَخَاء. وَقَال قَتَادَة: فَرَوْح وَرحمة. وَقَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: وَرِزْق. وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال مُتَقَارِبَة صَحِيحَة، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ مُقَرَّبًا حَصَل لهُ جَمِيع ذَلكَ مِنْ الرَّحْمَة وَالرَّاحَة وَالاسْتِرَاحَة، وَالفَرَح وَالسُّرُور، وَالرِّزْق الحَسَن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾. وَقَال أَبُو العَالِيَة: لا يُفَارِق أَحَد مِنْ المُقَرَّبِينَ حَتَّى يُؤْتَى بِغُصْنٍ مِنْ رَيْحَان الجَنَّة فَيَقْبِض رُوحه فِيهِ. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: لا يَمُوت أَحَد مِنْ النَّاس حَتَّى يَعْلم أَمِنْ أَهْل الجَنَّة هُوَ أَمْ مِنْ أَهْل النَّار؟ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَحَادِيث الاحْتِضَار عِنْد قَوْله تَعالَى فِي سُورَة إِبْرَاهِيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ وَلوْ كُتِبَتْ هَهُنَا لكَانَ حَسَنًا، ومن جملتها حَدِيث تَمِيم الدَّارِيّ، عَنْ النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «يَقُول الله تَعالَى لمَلكِ المَوْت: انْطَلقْ إِلَى

فُلان فَأْتِنِي بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَّبْته بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاء فَوَجَدْته حَيْثُ أُحِبّ، ائْتِنِي به فَلأُرِيحَنَّهُ، قَال: فَيَنْطَلق إِلَيْهِ مَلك المَوْت وَمَعَهُ خَمْسمِائَةِ مِنْ المَلائِكَة، مَعَهُمْ أَكْفَان وَحَنُوط مِنْ الجَنَّة وَمَعَهُمْ ضَبَائِر الرَّيْحَان أَصْل الرَّيْحَانَة وَاحِد، وَفِي رَأْسهَا عِشْرُونَ لوْنًا، لِكُلِّ لوْن مِنْهَا رِيح سِوَى رِيح صَاحِبه، وَمَعَهُمْ الحَرِير الأَبْيَض فِيهِ المِسْك»[1]. وَذَكَر تَمَام الحَدِيث بِطُولِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث تَتَعَلَّق بِهَذِهِ الآيَة.

وقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا يُونُس بْن مُحَمَّد، حَدَّثنَا هَارُون عَنْ بُدَيْل بْن مَيْسَرَة، عَنْ عَبْد الله بْن شَقِيق عَنْ عَائِشَة أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ: «فَرُوح وَرَيْحَان» بِرَفْعِ الرَّاء.[2] وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث هَارُون، وَهُوَ ابْن مُوسَى الأَعْوَر بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثه، وَهَذِهِ القِرَاءَة هِيَ قِرَاءَة يَعْقُوب وَحْده، وَخَالَفَهُ البَاقُونَ فَقَرَءُوا: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بِفَتْحِ الرَّاء.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا حَسَن، حَدَّثنَا ابْن لَهِيعَة، حَدَّثنَا أَبُو الأَسْوَد مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن نَوْفَل؛ أَنَّهُ سَمِعَ دُرَّة بِنْت مُعَاذ تُحَدِّث عَنْ أُمّ هَانِئ؛ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُول الله ﷺ : أَنَتَزَاوَرُ إِذَا مُتْنَا وَيَرَى بَعْضنَا بَعْضًا؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ : «تكُون النَّسَم طَيْرًا يَعْلق بِالشَّجَرِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة دَخَلتْ كُلّ نَفْس فِي جَسَدهَا»[3].

هَذَا الحَدِيث فِيهِ بِشَارَة لِكُلِّ مُؤْمِن؛ وَمَعْنَى يَعْلق: يَأْكُل، وَيَشْهَد لهُ بِالصِّحَّةِ أَيْضًا مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، عَنْ الإِمَام مُحَمَّد بْن إِدْرِيس الشَّافِعِيّ، عَنْ الإِمَام مَالك بْن أَنَس عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب بْن مَالك، عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّمَا نَسَمَة المُؤْمِن طَائِر يُعَلَّق فِي شَجَر الجَنَّة، حَتَّى يُرْجِعهُ الله إِلى جَسَده يَوْم يَبْعَثهُ»**[4]. وَهَذَا إِسْنَاد عَظِيم وَمَتْن قَوِيم.

وَفِي «الصَّحِيح» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ أَرْوَاح الشُّهَدَاء فِي حَوَاصِل طير خُضْر تَسْرَح فِي رِيَاض الجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلى قَنَادِيل مُعَلَّقَة بِالعَرْشِ»**[5] الحَدِيث.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عَفَّان حَدَّثنَا هَمَّام، حَدَّثنَا عَطَاء بْن السَّائِب؛ قَال: كَانَ أَوَّل يَوْم عَرَفْت فِيهِ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلى رَأَيْت شَيْخًا أَبْيَض الرَّأْس وَاللِّحْيَة عَلى حِمَار، وَهُوَ يَتْبَع جِنَازَة، فَسَمِعْته يَقُول: حَدَّثنِي فُلان بْن فُلان سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«مَنْ أَحَبَّ لقَاء الله أَحَبَّ الله لقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لقَاء الله كَرِهَ الله لقَاءَهُ»**. قَال: فَأَكَبَّ القَوْم يَبْكُونَ؛ فَقَال: **«مَا يُبْكِيكُمْ؟»**. فَقَالُوا: إِنَّا نَكْرَه المَوْت. قَال: **«ليْسَ ذَاكَ، وَلكِنَّهُ إِذَا احْتُضِرَ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلكَ أَحَبَّ لقَاء الله ﷻ، وَالله ﷻ للقَائِهِ أَحَبّ. ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلكَ كَرِهَ لقَاء الله. وَالله تَعَالى لِلقَائِهِ أَكْرَه»**[6]. هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، وفِي «الصحيح» عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها شَاهِد لِمَعْنَاهُ.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أَيْ: وَأَمَّا إِنْ كَانَ المُحْتَضَر مِنْ أَصْحَاب اليَمِين؛ ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أَيْ: تُبَشِّرهُمْ المَلائِكَة بِذَلكَ، تَقُول لأَحَدِهِمْ: سَلام لك. أَيْ: لا بَأْس عَليْك، أَنْتَ إِلى سَلامَة، أَنْتَ مِنْ أَصْحَاب اليَمِين.

---

(١) **ضعيف** : تقدم.
(٢) صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٩١).
(٣) **ضعيف** : أخرجه أحمد.
(٤) **صحيح** : تقدم.
(٥) **صحيح** : تقدم.
(٦) **صحيح** : تقدم.

وَقَال قَتَادَة وَابْن زَيْد: سَلمَ مِنْ عَذَاب الله، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ مَلائِكَة الله. كَمَا قَال عِكْرِمَة: تُسَلِّم عَلَيْهِ المَلائِكَة، وَتُخْبِرهُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَاب اليَمِين. وَهَذَا مَعْنَى حَسَن. وَيَكُون ذَلِكَ كَقَوْل الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾. قَال البُخَارِيّ: ﴿فَسَلَـٰمٌ لَّكَ﴾ أَيْ: مُسَلَّم لك أَنَّك مِنْ أَصْحَاب اليَمِين، وَأُلغِيَتْ (أَنَّ)، وهو مَعْنَاهَا. كَمَا تَقُول: أَنْتَ مُصَدَّق مُسَافِر عَنْ قَلِيل إِذَا كَانَ قَدْ قَال: إِنِّي مُسَافِر عَنْ قَلِيل. وَقَدْ يَكُون كَالدُّعَاءِ لهُ كَقَوْلك: سَقْيًا لك مِنْ الرِّجَال. إِنْ رَفَعْت (السَّلام) فَهُوَ مِنْ الدُّعَاء. وَقَدْ حَكَاهُ ابْن جَرِير هَكَذَا عَنْ بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة وَمَال إِلَيْهِ، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أَيْ: وَأَمَّا إِنْ كَانَ المُحْتَضَر مِنْ المُكَذِّبِينَ بِالحَقِّ الضَّالِّينَ عَنْ الهُدَى ﴿فَنُزُلٌ﴾ أَيْ: فَضِيَافَة ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وَهُوَ المُذَاب الَّذِي يُصْهر بِهِ مَا فِي بُطُونهمْ وَالجُلُود، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أَيْ: وَتَقْرِير لهُ فِي النَّار الَّتِي تَغْمُرهُ مِنْ جَمِيع جِهَاته. ثم قَال تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أَيْ: إِنَّ هَذَا الخَبَر لَهُوَ حَقّ اليَقِين الَّذِي لا مِرْيَة فِيهِ، وَلا مَحِيد لأَحَدٍ عَنْهُ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن أَيُّوب الغَافِقِي، حَدَّثَنِي عمي إِيَاس بْن عَامِر عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر الجُهَنِيّ؛ قَال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول الله ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قَال: **«اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعكُمْ»**. وَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قَال رَسُول الله ﷺ: **«اجْعَلُوهَا فِي سُجُودكُمْ»**[1]. وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن المُبَارَك عَنْ مُوسَى بْن أَيُّوب بِهِ.

وَقَال رَوْح بْن عُبَادَة: حَدَّثَنَا حَجَّاج الصَّوَّاف عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ قَال: سُبْحَان الله العَظِيم وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لهُ نَخْلة فِي الجَنَّة»**[2]. هَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث رَوْح، وَرَوَاهُ هُوَ وَالنَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلمَة مِنْ حَدِيث أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر عَنْ النَّبِيّ ﷺ بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث أَبِي الزُّبَيْر.

وَقَال البُخَارِيّ فِي آخِر كِتَابه: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِشْكَاب، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل، حَدَّثَنَا عُمَارَة بْن القَعْقَاع عَنْ أَبِي زُرْعَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَان، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَان، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَن: سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَان الله العَظِيم»**[3]. وَرَوَاهُ بَقِيَّة الجَمَاعَة إِلَّا أَبَا دَاوُد مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن فُضَيْل بِإِسْنَادِهِ مِثْله.

آخِر تَفْسِير سُورَة الوَاقِعَة، ولله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (١/ ٢٨٧) (٨٨٧).

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٣٤٦٠)، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٥/ ٥١١) (٣٤٦٤).

(٣) **صحيح** : تقـدم.

تفسير سورة الحديد وهي مدنية

ترتيبها ٥٧ — وآياتها ٢٩

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن عَبْد رَبّه، حَدَّثَنَا بَقِيَّة بْن الوَلِيد، حَدَّثَنِي بحير بْن سَعْد، عَنْ خَالد بْن مَعْدَان، عَنْ ابْن أَبِي بِلال، عَنْ عِرْبَاض بْن سَارِيَة؛ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ المُسبِّحات قَبْل أَنْ يَرْقُد. وَقَال: «إِنَّ فِيهنَّ آيَة أَفْضَل مِنْ أَلف آيَة»[1]. وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِي، وَالنَّسَائِي، مِنْ طُرُق عَنْ بَقِيَّة بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن غَرِيب». وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ ابْن أَبِي السَّرْح، عَنْ ابْن وَهْب، عَنْ مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ بحير بْن سَعْد، عَنْ خَالد بْن مَعْدَان؛ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا، وَلَمْ يَذْكُر عَبْد الله بْن أَبِي بِلال، وَلا العِرْبَاض بْن سَارِيَة، وَالآيَة المُشَار إِلَيْهَا فِي الحَدِيث هِيَ -وَالله أَعْلم- قَوْله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانه إِنْ شَاءَ الله وَبِهِ الثِّقَة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ يُسبِّح لهُ ﴿مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَيْ: مِنْ الحَيَوَانَات والنَّبات، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾، أَيْ: الَّذِي قَدْ خَضَعَ لهُ كُلّ شَيْء، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي خَلقه وَأَمْره وَشَرْعه. ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾. أَيْ: هُوَ المَالك المُتَصرِّف فِي خَلقه، فَيُحْيِي وَيُمِيت، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاء مَا يَشَاء، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيْ: مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ. وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، وَهَذِهِ الآيَة هِيَ المُشَار إِلَيْهَا فِي حَدِيث عِرْبَاض بْن سَارِيَة، أَنَّهَا أَفْضَل مِنْ أَلف آيَة. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا عَبَّاس بْن عَبْد العَظِيم، حَدَّثَنَا النَّضْر بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عِكْرِمَة -يَعْنِي ابْن عَمَّار- حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْل؛ قَال: سَأَلت ابْن عَبَّاس فَقُلت: مَا شَيْء أَجِدهُ فِي صَدْرِي؟ قَال: مَا هُوَ ؟ قُلت: وَالله لا أَتَكَلَّم بِهِ. قَال: فَقَال لي: أَشَيْء مِنْ شَكّ؟ قَال: وَضَحِكَ، قَال: مَا نَجَا مِنْ ذَلكَ أَحَد، قَال: حَتَّى أَنْزَل الله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيَة. قَال: وَقَال لي: إِذَا وَجَدْت فِي نَفْسك شَيْئًا فَقُل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.[2] وَقَدْ اخْتَلفَتْ عِبَارَات المُفَسِّرِينَ فِي هَذِهِ الآيَة، وَأَقْوَالهمْ عَلى نَحْو مِنْ بِضْعَة عَشَر قَوْلًا.

وَقَال البُخَارِيّ: قَال يَحْيَى: الظَّاهِر عَلى كُلّ شَيْء عِلمًا، وَالبَاطِن عَلى كُلّ شَيْء عِلمًا. وَقَال شَيْخنَا الحَافِظ المِزِّيّ: يَحْيَى هَذَا هُوَ ابْن زِيَاد الفَرَّاء، لهُ كِتَاب سَمَّاهُ «مَعَانِي القُرْآن». وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلكَ أَحَادِيث، فَمِنْ ذَلكَ مَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا خَلف بْن الوَلِيد، حَدَّثَنَا ابْن عَيَّاش، عَنْ سُهَيْل بْن أَبِي صَالح، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَدْعُو عِنْد النَّوْم: **«اللَّهُمَّ؛ رَبّ السَّمَاوَات السَّبْع وَرَبّ العَرْش العَظِيم، رَبّنَا وَرَبّ كُلّ شَيْء، مُنَزِّل التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالفُرْقَان، فَالق الحَبّ وَالنَّوَى، لا إِله إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذ بِك مِنْ شَرّ كُلّ شَيْء أَنْتَ آخِذ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّل فَلَيْسَ قَبْلك شَيْء، وَأَنْتَ الآخِر فَلَيْسَ بَعْدك شَيْء، وَأَنْتَ الظَّاهِر فَلَيْسَ**

---

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٤/ ١٢٨)، وأبو داود (٥٠٥٧)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٤/ ٣١٣) (٥٠٥٧).

(٢) حسن : أخرجه أبو داود (٤٢٦٢). وقال الألباني: حسن الإسناد.

فَوْقك شَيْء، وَأَنْتَ البَاطِن ليْسَ دُونك شَيْء. اقْضِ عَنَّا الدَّيْن، وَأَغْنِنَا مِنْ الفَقْر»[١]. وَرَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنِي زُهَيْر بْن حَرْب، حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ سهيل؛ قَال: كَانَ أَبُو صَالح يَأْمُرنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدنَا أَنْ يَنَام أَنْ يَضْطَجِع عَلى شِقّه الأَيْمَن، ثُمَّ يَقُول: «اللَّهُمَّ؛ رَبّ السَّمَاوَات وَرَبّ الأَرْض وَرَبّ العَرْش العَظِيم، رَبّنَا وَرَبّ كُلّ شَيْء، فَالق الحَبّ وَالنَّوَى، وَمُنَزِّل التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالفُرْقَان، أَعُوذ بِك مِنْ شَرّ كُلّ ذِي شَرّ أَنْتَ آخِذ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ؛ أَنْتَ الأَوَّل فَليْسَ قَبْلك شَيْء، وَأَنْتَ الآخِر فَليْسَ بَعْدك شَيْء، وَأَنْتَ الظَّاهِر فَليْسَ فَوْقك شَيْء، وَأَنْتَ البَاطِن فَليْسَ دُونك شَيْء، اقْضِ عَنَّا الدَّيْن، وَأَغْنِنَا مِنْ الفَقْر». وَكَانَ يُرْوَى ذَلكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ . وَقَدْ رَوَى الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ فِي «مُسْنَده» عَنْ عَائِشَة أُمّ المُؤْمِنِينَ نَحْو هَذَا. فَقَال: حَدَّثَنَا عُقْبَة، حَدَّثَنَا يُونُس، حَدَّثَنَا السَّرِيّ بْن إِسْمَاعِيل، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَائِشَة أَنَّهَا قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَأْمُر بِفِرَاشِهِ فَيُفْرَش لهُ مُسْتَقْبِل القِبْلة، فَإِذَا أَوَى إِليْهِ تَوَسَّدَ كَفّه اليُمْنَى، ثُمَّ هَمَسَ -مَا يُدْرَى مَا يَقُول- فَإِذَا كَانَ فِي آخِر اللَّيْل رَفَعَ صَوْته فَقَال: «اللَّهُمَّ؛ رَبّ السَّمَاوَات السَّبْع وَرَبّ العَرْش العَظِيم، إِله كُلّ شَيْء، ورب كُلّ شَيْء وَمُنَزِّل التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالفُرْقَان، فَالق الحَبّ وَالنَّوَى. أَعُوذ بِك مِنْ شَرّ كُلّ شَيْء أَنْتَ آخِذ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ؛ أَنْتَ الأَوَّل الَّذِي ليْسَ قَبْلك شَيْء، وَأَنْتَ الآخِر الَّذِي ليْسَ بَعْدك شَيْء، وَأَنْتَ الظَّاهِر فَليْسَ فَوْقك شَيْء، وَأَنْتَ البَاطِن فَليْسَ دُونك شَيْء، اقْضِ عَنَّا الدَّيْن، وَأَغْنِنَا مِنْ الفَقْر». السَّرِيّ بْن إِسْمَاعِيل هَذَا هُوَ ابْن عَمّ الشَّعْبِيّ، وَهُوَ ضَعِيف جِدًّا، وَالله أَعْلم.

وَقَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: حَدَّثَنَا عَبْد بْن حُمَيْد وَغَيْر وَاحِد -المَعْنَى وَاحِد- قَالُوا: حَدَّثَنَا يُونُس بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا شَيْبَان بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ قَتَادَة؛ قَال: حَدَّثَ الحَسَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: بَيْنَمَا رسول الله ﷺ جَالس وَأَصْحَابه، إِذْ أَتَى عَليْهِمْ سَحَاب، فَقَال نَبِيّ الله ﷺ : «هَل تَدْرُونَ مَا هَذَا؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «هَذَا العَنَان، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْض تَسُوقهُ إِلى قَوْم لا يَشْكُرُونَهُ، وَلا يَدْعُونَهُ». ثُمَّ قَال: «هَل تَدْرُونَ مَا فَوْقكُمْ؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «فَإِنَّهَا الرَّقِيع سَقْف مَحْفُوظ، وَمَوْج مَكْفُوف». ثُمَّ قَال: «هَل تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنهَا؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنهَا خَمْسِمِائَةِ سَنَة». ثُمَّ قَال: «هَل تَدْرُونَ مَا فَوْق ذَلكَ؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «فَإِنَّ فَوْق ذَلكَ سماءين بُعْدُ مَا بَيْنهمَا مَسِيرَة خَمْسِمِائَةِ سَنَة»، حَتَّى عَدَّ سَبْع سَمَاوَات مَا بَيْن كُلّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، ثُمَّ قَال: «هَل تَدْرُونَ مَا فَوْق ذَلكَ؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «فَإِنَّ فَوْق ذَلكَ العَرْش، وَبَيْنه وَبَيْن السَّمَاء بُعْد مَا بَيْن السَّمَاءَيْنِ»، ثُمَّ قَال: «هَل تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتكُمْ؟» قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «فَإِنَّهَا الأَرْض». ثُمَّ قَال: «هَل تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْت ذَلكَ؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «فَإِنَّ تَحْتهَا أَرْضًا أُخْرَى بَيْنهمَا مَسِيرَة خَمْسِمِائَةِ سَنَة». حَتَّى عَدَّ سَبْع أَرْضِينَ بَيْن كُلّ أَرْضِينَ مَسِيرَة خَمْسِمِائَةِ سَنَة، ثُمَّ قَال: «وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ، لوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ رجلاً بحبل إِلى الأَرْض السُّفْلى لَهَبَطَ عَلى الله». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه، وَيُرْوَى عَنْ أَيُّوب وَيُونُس -يَعْنِي ابْن عُبَيْد- وَعَليّ بْن زَيْد، قَالُوا: لمْ يَسْمَع الحَسَن مِنْ أَبِي هُرَيْرَة. وَفَسَّرَ بَعْض أَهْل العِلم هَذَا الحَدِيث، فَقَالُوا: إِنَّمَا هَبَطَ عَلى عِلم الله وَقُدْرَته وَسُلطَانه، وَعِلم الله وَقُدْرَته وَسُلطَانه فِي كُلّ مَكَان، وَهُوَ عَلى العَرْش، كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابه. انْتَهَى كَلامه. وَقَدْ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢١١٣)، وأحمد (٢/ ٤٠٤).

(٢) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٢٩٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٥/ ٤٠٣) (٣٢٩٨).

رَوَى الإِمَام أَحْمَد هَذَا الحَدِيث عَنْ سُرَيج، عَنْ الحَكَم بْن عَبْد المَلك، عَنْ قَتَادَة، عَنْ الحَسَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ، وَعِنْده: «بُعْدُ مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ مَسِيرَة سَبْعمِائَةِ عَام». وَقَال: «لَوْ دَلَّيْتُمْ أَحدكُمْ بِحَبْلٍ إِلى الأَرْض السُّفْلى السَّابِعَة لَهَبَطَ عَلى الله» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم وَالبَزَّار مِنْ حَدِيث أَبِي جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ قَتَادَة، عَنْ الحَسَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة... فَذَكَرَ الحَدِيث، وَلَمْ يَذْكُر ابْن أَبِي حَاتِم آخِره وَهُوَ قَوْله: «لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ». وَإِنَّمَا قَال: «حَتَّى عَدَّ سَبْع أَرَضِينَ بَيْن كُلّ أَرضَينِ مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ عَام». ثُمَّ تَلا: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. وَقَال البَزَّار: لَمْ يَرْوِهِ عَنْ النَّبِيّ ﷺ إِلَّا أَبُو هُرَيْرَة. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ بِشْر، عَنْ يَزِيد، عَنْ سَعِيد، عَنْ قَتَادَة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيّ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالس فِي أَصْحَابه إِذْ ثَار عَلَيْهِمْ سَحَاب، فَقَال: «هَل تَدْرُونَ مَا هَذَا؟..». وَذَكَرَ الحَدِيث مِثْل سِيَاق التِّرْمِذِيّ سَوَاء، إِلَّا أَنَّهُ مُرْسَل مِنْ هَذَا الوَجْه. وَلعَلَّ هَذَا هُوَ المَحْفُوظ، وَالله أَعْلم. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيث أَبِي ذَرّ الغِفَارِيّ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ، رَوَاهُ البَزَّار فِي «مُسْنَده»، وَالبَيْهَقِيّ فِي كِتَاب «الأَسْمَاء وَالصِّفَات». وَلكِنَّ فِي إِسْنَاده نَظَر، وَفِي مَتْنه غَرَابَة وَنَكَارَة، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى أَعْلم.

وَقَال ابْن جَرِير عِنْد قَوْله تَعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة؛ قَال: التَقَى أَرْبَعَة مِنْ المَلائِكَة بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، فَقَال بَعْضهمْ لبَعْضٍ: مِنْ أَيْنَ جِئْت؟ قَال أَحَدهمْ: أَرْسَلنِي رَبِّي عز وجل مِنْ السَّمَاء السَّابِعَة وَتَرَكْته ثَمَّ. قَال الآخَر: أَرْسَلنِي رَبِّي عز وجل مِنْ الأَرْض السَّابِعَة وَتَرَكْته ثَمَّ. قَال الآخَر: أَرْسَلنِي رَبِّي مِنْ المَشْرِق وَتَرَكْته ثَمَّ. قَال الآخَر: أَرْسَلنِي رَبِّي مِنْ المَغْرِب وَتَرَكْته ثَمَّ.[1] وَهَذَا غَرِيب جِدًّا، وَقَدْ يَكُون الحَدِيث الأَوَّل مَوْقُوفًا عَلى قَتَادَة كَمَا رُوِيَ هَهُنَا مِنْ قَوْله، وَالله أَعْلم.

[illegible]

يخبر تعالى عن خلقه السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر باستوائه على العرش بعد خلقهن. وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها في «سورة الأعراف» بما أغني، عن إعادته هاهنا. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. أَيْ: يَعْلم عَدَد مَا يَدْخُل فِيهَا مِنْ حَبّ وَقَطْر، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾. مِنْ زَرْع وَنَبَات وَثِمَار، كَمَا قَال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾. وَقَوْله: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أَيْ: مِنْ الأَمْطَار، وَالثُّلُوج وَالبَرَد، وَالأَقْدَار وَالأَحْكَام مَعَ المَلائِكَة الكِرَام، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «سُورَة البَقَرَة» أَنَّهُ مَا يَنْزِل مِنْ قَطْرَة مِنْ السَّمَاء إِلَّا وَمَعَهَا مَلك يُقَرِّرهَا فِي المَكَان الَّذِي يَأْمُرُه الله بِهِ حَيْثُ يَشَاء تَعَالى. وَقَوْله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ أَيْ: مِنْ المَلائِكَة وَالأَعْمَال، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيح»: «يُرْفَع إِليهِ عَمَل اللَّيْل قَبْل النَّهَار، وَعَمَل النَّهَار قَبْل اللَّيْل»[2].

وَقَوْله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. أَيْ: رَقِيب عَليكُمْ، شَهِيد عَلى أَعْمَالكُمْ حَيْثُ أنتم، وأين كُنْتُمْ، مِنْ بَرّ أَوْ بَحْر، فِي ليْل أَوْ نَهَار، فِي البُيُوت أَوْ فِي القِفَار، الجَمِيع فِي عِلمه عَلى السَّوَاء، وَتَحْت بَصَره وَسَمْعه، فَيَسْمَع كَلامكُمْ وَيَرَى مَكَانكُمْ، وَيَعْلم سِرّكُمْ وَنَجْوَاكُمْ. كَمَا قَال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥٤) بسند ضعيف.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٩)، وابن ماجه (١٩٥).

مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. وَقَال: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ فَلا إِله غَيْره وَلا رَبّ سِوَاهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح» أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال لِجِبْرِيل لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ الإِحْسَان: «أَنْ تَعْبُد الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك». وَرَوَى الحَافِظ أَبُو بَكْر الإِسْمَاعِيلِيّ مِنْ حَدِيث نَصْر بْن خُزَيْمَة بْن جُنَادَة بْن مَحْفُوظ بْن عَلقَمَة، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ نَصْر بْن عَلقَمَة، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عائذ؛ قَال: قَال عُمَر: جَاءَ رَجُل إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: زَوِّدْنِي كلمةً أَعِيش بِهَا. [فَقَال][1]: «اسْتَحِ الله كَمَا تَسْتَحِي رَجُلاً مِنْ صَالِحِ عَشِيرَتك لا يُفَارِقك».[2] هَذَا حَدِيث غَرِيب. وَرَوَى أَبُو نُعَيْم مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن معاوية الغاضري مَرْفُوعًا: «ثَلاث مَنْ فَعَلهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ الإِيمَان: مَنْ عَبَدَ الله وَحْده، وَأَعْطَى زَكَاة مَاله طَيِّبَة بِهَا نَفْسه فِي كُلّ عَام، وَلَمْ يُعْطِ الهَرِمَة وَلا الدرنة، وَلا الشَّرِطَ اللَّئِيمَة، وَلا المَرِيضَة، وَلكِنْ مِنْ أَوْسَط أَمْوَالكُمْ، وَزَكَّى نَفْسه». وَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله؛ مَا تَزْكِيَة المَرْء نَفْسه؟ فَقَال: «يَعْلم أَنَّ الله مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[3]. وَقَال نُعَيْم بْن حَمَّاد رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن سَعِيد بْن كَثِير بْن دِينَار الحِمْصِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن مُهَاجِر، عَنْ عُرْوَة بْن رُوَيْم، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن غُنْم، عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَال: قَال رَسُول اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَل الإِيمَان أَنْ تَعْلم أَنَّ الله مَعَك حَيْثُمَا كُنْت»[4]. غَرِيب.

وَكَانَ الإِمَام أَحْمَد يُنْشِد هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ:

إِذَا مَا خَلَوْت الدَّهْر يَوْمًا فَلا تَقُل: ۞ خَلَوْتُ، وَلكِنْ قُل: عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُل سَاعَة ۞ وَلا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. أَيْ: هُوَ المَالِك للدُّنْيَا وَالآخِرَة. كَمَا قَال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ وَهُوَ المَحْمُود عَلَى ذَلكَ كَمَا قَال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، وَقَال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، فَجَمِيع مَا فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض مِلك لهُ، وَأَهْلهمَا عَبِيد أَرِقَّاء أَذِلَّاء بَيْن يَدَيْه. كَمَا قَال: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. وَلهَذَا قَال: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أَيْ: إِليْهِ المَرْجِع يَوْم القِيَامَة، فَيَحْكُم فِي خَلقه بِمَا يَشَاء، وَهُوَ العَادِل الَّذِي لا يَجُور وَلا يَظْلم مِثْقَال ذَرَّة، بَل إِنْ يَكُنْ أَحدهمْ عَمِل حَسَنَة وَاحِدَة يُضَاعِفهَا إِلى عَشْر أَمْثَالهَا: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وكَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾. وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، أَيْ: هُوَ المُتَصَرِّف فِي الخَلق، يُقَلِّب اللَّيْل وَالنَّهَار وَيُقَدِّرهُمَا بِحِكْمَتِهِ كَمَا يَشَاء، فَتَارَة يُطَوِّل اللَّيْل وَيُقَصِّر النَّهَار، وَتَارَة بِالعَكْسِ، وَتَارَة يَتْرُكهُمَا مُعْتَدِليْنِ. وَتَارَة يَكُون الفَصْل شِتَاء ثُمَّ رَبِيعًا ثُمَّ قَيْظًا ثُمَّ خَرِيفًا، وَكُلّ ذَلكَ بِحِكْمَتِهِ وَتَقْدِيره لِمَا يُرِيدهُ بِخَلقِهِ، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أَيْ: يَعْلم السَّرَائِر وَإِنْ دَقَّتْ، وَخَفِيَتْ.

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

(١) فِي «نسخة»: [قال].
(٢) صححه الألباني في «الصحيحة» (٧٤١).
(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٥٨٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٢/ ١٠٣) (١٥٨٢).
(٤) ضعيف: أخرجه أبو نعيم (٦/ ١٢٤)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦/ ٢٥٨٩).

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

أَمَرَ تَعَالَى بِالإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَل، وَالدَّوَام وَالثَّبَات عَلَى ذَلِكَ وَالاسْتِمْرَار، وَحَثَّ عَلَى الإِنْفَاق ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أَيْ: مِمَّا هُوَ مَعَكُمْ عَلَى سَبِيل العَارِيَة، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَيْدِي مَنْ قَبْلكُمْ ثُمَّ صَارَ إِلَيْكُمْ، فَأَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى اسْتِعْمَال مَا اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهِ مِنْ المَال فِي طَاعَته، فَإِنْ يَفْعَلُوا وَإِلَّا حَاسَبَهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقَبَهُمْ لِتَرْكِهِمْ الوَاجِبَات فِيهِ. وَقَوْله: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: إِشَارَة إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ مُخَلَّفًا عَنْك، فَلَعَلَّ وَارِثك أَنْ يُطِيع الله فِيهِ، فَيَكُون أَسْعَد بِمَا أَنْعَمَ الله بِهِ عَلَيْك مِنْك، أَوْ يَعْصِي الله به فَتَكُون قَدْ سَعَيْت فِي مُعَاوَنَته عَلَى الإِثْم وَالعُدْوَان. قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، سَمِعْت قَتَادَة يُحَدِّث، عَنْ مُطَرِّف -يَعْنِي ابْن عَبْد الله بْن الشِّخِّير- عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: انْتَهَيْت إِلَى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَقُول: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. **يَقُول ابْن آدَم: مَالِي مَالِي! وَهَل لَك مِنْ مَالك إِلاَّ مَا أَكَلت فَأَفْنَيْت، أَوْ لبِسْت فَأَبْلَيْت، أَوْ تَصَدَّقْت فَأَمْضَيْت؟!»**[1]. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ وَزَادَ: «**وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِب وَتَارِكه لِلنَّاسِ**».

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. تَرْغِيب فِي الإِيمَان وَالإِنْفَاق فِي الطَّاعَة. ثم قَال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾. أَيْ: وَأَيّ شَيْء يَمْنَعكُمْ مِنْ الإِيمَان، وَالرَّسُول بَيْن أَظْهُركُمْ، يَدْعُوكُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُبَيِّن لكُمْ الحِجَج وَالبَرَاهِين عَلَى صِحَّة مَا جَاءَكُمْ بِهِ؟ وَقَدْ رَوَينا فِي الحَدِيث مِنْ طُرُق فِي أَوَائِل شَرْح «كِتَاب الإِيمَان» مِنْ «صَحِيح البُخَارِيّ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال يَوْمًا لأَصْحَابِهِ: «أَيّ المُؤْمِنِينَ أَعْجَب إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟». قَالُوا: المَلائِكَة. قَال: «وَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْد رَبّهمْ؟» قَالُوا: فَالأَنْبِيَاء. قَال: «وَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَالوَحْي يَنْزِل عَلَيْهِمْ». قَالُوا: فَنَحْنُ؟ قَال: «وَمَا لكُمْ لا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْن أَظْهُركُمْ؟ وَلكِنْ أَعْجَب المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا قَوْم يَجِيئُونَ بَعْدكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا».[2] وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ هذا فِي أَوَّل سُورَة البَقَرَة عِنْد قَوْله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، كَمَا قَال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وَيَعْنِي بِذَلِكَ بَيْعَة الرَّسُول ﷺ. وَزَعَمَ ابْن جَرِير: أَنَّ المُرَاد بِذَلِكَ المِيثَاق الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ فِي صُلب آدَم. وَهُوَ مَذْهَب مُجَاهِد، فَالله أَعْلَم. وقَوْله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾. أَيْ: حُجَجًا وَاضِحَات، وَدَلائِل بَاهِرَات، وَبَرَاهِين قَاطِعَات، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. أَيْ: مِنْ ظُلُمَات الجَهْل وَالكُفْر وَالآرَاء المُتَضَادَّة، إِلى نُور الهُدَى وَاليَقِين والإِيمان، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. أَيْ: فِي إِنْزَاله الكُتُب وَإِرْسَاله الرُّسُل لِهِدَايَةِ النَّاس، وَإِزَاحَة العِلل وَإِزَالة الشُّبَه. وَلَمَّا أَمَرَهُمْ أَوَّلًا بِالإِيمَانِ وَالإِنْفَاق، ثُمَّ حَثّهمْ عَلَى الإِيمَان، وَبَيَّنَ أَنَّهُ قَدْ أَزَال عَنْهُمْ مَوَانِعه، حَثَّهُمْ أَيْضًا عَلَى الإِنْفَاق فَقَال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، [أَيْ: أَنْفِقُوا وَلا تَخْشَوْا فَقْرًا وَإِقْلالًا، فَإِنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيله هُوَ مَالك السَّمَاوَات وَالأَرْض][3] وَبِيَدِهِ مَقَالِيدهمَا، وَعِنْده خَزَائِنهمَا، وَهُوَ مَالك العَرْش بِمَا حَوَى، وَهُوَ القَائِل: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. وَقَال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا

(١) صحيح: تقدم.
(٢) ضعيف: تقدم.
(٣) سقط من الأزهرية.

عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾. فَمَنْ تَوَكَّل عَلى الله أَنْفَقَ، وَلمْ يَخْشَ مِنْ ذِي العَرْش إقلالًا، وَعَلمَ أَنَّ الله سَيُخْلِفُهُ عَلَيْهِ. وَقَوْله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾. أَيْ: لا يَسْتَوِي هَذَا وَمَنْ لمْ يَفْعَل كَفِعْلِهِ، وَذَلكَ أَنَّ قَبْل فَتْح مَكَّة كَانَ الحَال شَدِيدًا، فَلمْ يَكُنْ يُؤْمِن حِينَئِذٍ إلَّا الصِّدِّيقُونَ، وَأَمَّا بَعْد الفَتْح فَإِنَّهُ ظَهَرَ الإِسْلام ظُهُورًا عَظِيمًا، وَدَخَل النَّاس فِي دِين الله أَفْوَاجًا، وَلهَذَا قَال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾.

وَالجُمْهُور عَلى أَنَّ المُرَاد بِالفَتْحِ هَهُنَا فَتْح مَكَّة. وَعَنْ الشَّعْبِيّ وَغَيْره أَنَّ المُرَاد بِالفَتْحِ هَهُنَا: صُلح الحُدَيْبِيَة، وَقَدْ يُسْتَدَلّ لهَذَا القَوْل بِمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد المَلك، حَدَّثَنَا زُهَيْر، حَدَّثَنَا حُمَيْد الطَّوِيل، عَنْ أَنَس؛ قَال: كَانَ بَيْنَ خَالد بْن الوَليد وَبَيْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف كَلام، فَقَال خَالد لعَبْدِ الرَّحْمَن: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّام سَبَقْتُمُونَا بِهَا؟ فَبَلغَنَا أَنَّ ذَلكَ ذُكِرَ للنَّبِيِّ ﷺ فَقَال: «**دَعُوا لي أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُد –أَوْ: مِثْل الجِبَال– ذَهَبًا، مَا بَلغْتُمْ أَعْمَالهمْ**»[1]. وَمَعْلُوم أَنَّ إِسْلام خَالد بْن الوَليد المُوَاجه بِهَذَا الخِطَاب كَانَ بَيْن صُلح الحُدَيْبِيَة وَفَتْح مَكَّة، وَكَانَتْ هَذِهِ المُشَاجَرَة بَيْنهمَا فِي بَنِي جَذِيمَة الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُول الله ﷺ خَالد بْن الوَليد بَعْد الفَتْح، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: «صَبَأْنَا صَبَأْنَا». فَلمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: «أَسْلمْنَا». فَأَمَرَ خَالد بِقَتْلهِمْ وَقَتَل مَنْ أُسِرَ مِنْهُمْ، فَخَالفَهُ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف، وَعَبْد الله بْن عُمَر وَغَيْرهمَا، فَاخْتَصَمَ خَالد وَعَبْد الرَّحْمَن بِسَبَبِ ذَلكَ. وَالَّذِي فِي «الصَّحِيح» عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لوْ أَنْفَقَ أَحَدكُمْ مِثْل أُحُد ذَهَبًا، مَا بَلغَ مُدَّ أَحَدهمْ وَلا نَصِيفه**».[2]

وَرَوَى ابْن جَرِير، وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث ابْن وَهْب: أَخْبَرَنَا هِشَام بْن سَعْد، عَنْ زَيْد بْن أَسْلم، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ أَنَّهُ قَال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ عَام الحُدَيْبِيَة، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِعُسْفَانَ قَال رَسُول الله ﷺ: «**يُوشِك أَنْ يَأْتِي قَوْم تَحْقِرُونَ أَعْمَالكُمْ مَعَ أَعْمَالهمْ**». فَقُلنَا: مَنْ هُمْ يَا رَسُول الله؟ أَقُرَيْش؟ قَال: «**لا، وَلكِنْ أَهْل اليَمَن، هُمْ أَرَقّ أَفْئِدَة وَأَليَن قُلُوبًا**». فَقُلنَا: هُمْ خَيْر مِنَّا يَا رَسُول الله؟ قَال: «**لوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ جَبَل مِنْ ذَهَب فَأَنْفَقَهُ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدكُمْ وَلا نَصِيفه، ألا إن هَذَا فَضْل مَا بَيْننَا وَبَيْن النَّاس.** ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»[3] [وَهَذَا الحَدِيث غَرِيب بِهَذَا السِّيَاق، وَالَّذِي فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَة جَمَاعَة، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ أَبِي سَعِيد ذَكَرَ الخَوَارِج: «**تَحْقِرُونَ صَلاتكُمْ مَعَ صَلاتهمْ، وَصِيَامكُمْ مَعَ صِيَامهمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّين كَمَا يَمْرُق السَّهْم مِنْ الرَّمِيَّة**»[4] الحَدِيث. وَلكِنْ رَوَى ابْن جَرِير هَذَا الحَدِيث مِنْ وَجْه آخَر فَقَال: حَدَّثَنِي ابْن البَرْقِيّ، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي مَرْيَم، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، أَخْبَرَنِي زَيْد بْن أَسْلم، عَنْ أَبِي سَعِيد التَّمَّار، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**يُوشِك أَنْ يَأْتِي قَوْم تَحْقِرُونَ أَعْمَالكُمْ مَعَ أَعْمَالهمْ**». قُلنَا: مَنْ هُمْ يَا رَسُول الله؟ قُرَيْش؟ قَال: «**لا، وَلكِنْ أَهْل اليَمَن؛ لأَنَّهُمْ أَرَقّ أَفْئِدَة، وَأَليَن قُلُوبًا**». وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى اليَمَن فَقَال: «**هُمْ أَهْل اليَمَن، أَلا إِنَّ الإِيمَان يَمَان، وَالحِكْمَة يَمَانِيَة**». فَقُلنَا: يَا رَسُول الله؛ هُمْ خَيْر مِنَّا؟ قَال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ جَبَل مِنْ ذَهَب يُنْفِقهُ مَا أَدَّى مُدَّ أَحَدكُمْ وَلا نَصِيفه**». ثُمَّ جَمَعَ أَصَابِعه وَمَدَّ خِنْصَره، وَقَال: «**أَلا، إِنَّ هَذَا فَضْل مَا بَيْننَا وَبَيْن النَّاس،** ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦).
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٧)، وقال ابن كثير: رجاله ثقات لكنه غريب السياق.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

﴿ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾»[(١)]. فَهَذَا السِّيَاق لَيْسَ فِيهِ ذِكر الحُدَيْبِيَة، فَإِنْ كَانَ ذاك محْفُوظًا كَمَا تَقَدَّمَ، فَيُحْتَمَل أَنَّهُ أُنزِل قَبْل الفَتْح إخبَارًا عَمَّا بَعْده، كَمَا فِي قَوْله تَعَالى فِي «سُورَة المُزَّمِّل» وَهِيَ مَكِّيَّة، مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَل: ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيَة. فَهِيَ بِشَارَة بِمَا يَسْتَقْبِل، وَهَكَذَا هَذِهِ، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يَعْنِي: المُنْفِقِينَ قَبْل الفَتْح وَبَعْده، كُلّهمْ لَهُمْ ثَوَاب عَلَى مَا عَمِلُوا، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهمْ تَفَاوُت فِي تَفَاضُل الجَزَاء، كَمَا قَالَ: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾. وَهَكَذَا الحَدِيث الَّذِي فِي الصَّحِيح: «**المُؤْمِن القَوِيّ خَيْر وَأَحَبّ إِلى الله مِن المُؤْمِن الضَّعِيف، وَفِي كُلٍّ خَيْر**»[(٢)]. وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا لِئَلَّا يُهْدَر جَانِب الآخَر بِمَدْحِ الأَوَّل دُون الآخَر، فَيَتَوَهَّم مُتَوَهِّم ذَمّه، فَلِهَذَا عُطِفَ بِمَدْحِ الآخَر وَالثَّنَاء عَلَيْهِ؛ مَعَ تَفْضِيل الأَوَّل عَلَيْهِ، لِهَذَا قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾، أَيْ: فَلِخِبْرَتِهِ فَاوَتَ بَيْن ثَوَاب مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْل الفَتْح وَقَاتَل، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْد ذَلِكَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ بِقَصْدِ الأَوَّل وَإِخلاصه التَّامّ، وَإِنْفَاقه فِي حَال الجَهْد وَالقِلَّة وَالضِّيق. وَفِي الحَدِيث: «**سَبَقَ دِرْهَم مِائَةَ أَلْف**»[(٣)]. وَلَا شَكَّ عِنْد أَهْل الإِيمَان أَنَّ الصِّدِّيق أَبَا بَكْر ﷺ لَهُ الحَظّ الأَوْفَر مِنْ هَذِهِ الآيَة، فَإِنَّهُ سَيِّد مَنْ عَمِل بِهَا مِنْ سَائِر أُمَم الأَنْبِيَاء، فَإِنَّهُ أَنْفَقَ مَاله كُلّه ابْتِغَاء وَجْه الله ﷻ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْده نِعْمَة يَجْزِيه بِهَا.

وَقَدْ قَال أَبُو مُحَمَّد الحُسَيْن بْن مَسْعُود البَغَوِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم الشُّرَيْحِيّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاق أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن [إِبْرَاهِيم الثَّعْلَبِيّ][(٤)]، أَخْبَرَنَا عَبْد الله بْن حَامِد بْن مُحَمَّد، أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن إِسْحَاق بْن أَيُّوب، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن يُونُس، حَدَّثَنَا العَلَاء بْن عَمْرو الشَّيْبَانِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق الفَزَارِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن سَعِيد، عَنْ آدَم بْن عَلِيّ، عَنْ ابْن عُمَر قَال: كُنْت عِنْد النَّبِيّ ﷺ وَعِنْده أَبُو بَكْر الصِّدِّيق، وَعَلَيْهِ عَبَاءَة قَدْ خَلَّهَا فِي صَدْره بِخِلَالٍ، فَنَزَل جِبْرِيل فَقَال: مَا لِي أَرَى أَبَا بَكْر عَلَيْهِ عَبَاءَة قَدْ خَلَّهَا فِي صَدْره بِخِلَالٍ؟ فَقَال: «أَنْفَقَ مَاله عَلَيَّ قَبْل الفَتْح». قَال: فَإِنَّ الله يَقُول: اقْرَأْ عليه السلام، وَقُل لَهُ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرك هَذَا أَمْ سَاخِط؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ : «يَا أَبَا بَكْر، إِنَّ الله يَقْرَأ عَلَيْكَ السَّلَام، وَيَقُول لَك: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرك هَذَا أَمْ سَاخِط؟». فَقَال أَبُو بَكْر ﷺ: أَسْخَط عَلَى رَبِّي ﷻ؟! إِنِّي عَنْ رَبِّي رَاضٍ.[(٥)] هَذَا الحَدِيث ضَعِيف الإِسْنَاد مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَوْله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾. قَال عُمَر بْن الخَطَّاب: هُوَ الإِنْفَاق فِي سَبِيل الله. وَقِيل: هُوَ النَّفَقَة عَلَى العِيَال. وَالصَّحِيح أَنَّهُ أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ، فَكُلّ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيل الله بِنِيَّة خَالِصَة، وَعَزِيمَة صَادِقَة، دَخَل فِي عُمُوم هَذِهِ الآيَة؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾. كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾، ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ أَيْ: جَزَاء جَمِيل، وَرِزْق بَاهِر -وَهُوَ الجَنَّة- يَوْم القِيَامَة.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَرَفَة، حَدَّثَنَا خَلَف بْن خَلِيفَة، عَنْ حُمَيْد الأَعْرَج، عَنْ عَبْد الله بْن الحَارِث، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾. قَال أَبُو الدَّحْدَاح الأَنْصَارِيّ: يَا رَسُول الله؛ وَإِنَّ الله لَيُرِيد مِنَّا القَرْض؟ قَال: «**نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاح**». قَال:

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) رواه مسلم (٢٦٠٤).
(٣) حسن: أخرجه النسائي (٥/ ٥٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥/ ٥٩) (٢٥٢٧).
(٤) في الأزهرية: [محمد بن إبراهيم الثعلبي].
(٥) منكر.

أَرِنِي يَدكَ يَا رَسُول الله. قَال: فَنَاوَلهُ يَده، قَال: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي -وَلهُ حَائِط فِيهِ سِتّمائَةِ نَخْلة، وَأُمّ الدَّحْدَاح فِيهِ وَعِيَالهَا، قَال: فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاح فَنَادَاهَا: يَا أُمّ الدَّحْدَاح. قَالتْ: لَبَّيْكَ. فَقَال: اخْرُجِي، فَقَدْ أَقْرَضْته رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. وَفِي رِوَايَة أَنَّهَا قَالتْ لهُ: رَبِحَ بَيْعك يَا أَبَا الدَّحْدَاح. وَنَقَلتْ مِنْهُ مَتَاعهَا وَصِبْيَانهَا، وَإِنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «كَمْ مِنْ عِذْق رَدَاح فِي الجَنَّة لأَبِي الدَّحْدَاح». وَفِي لفْظ: «رُبَّ نَخْلة مُدلَاّة، عُرُوقهَا دُرّ وَيَاقُوت، لأَبِي الدَّحْدَاح فِي الجَنَّة».(١)

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ: إِنَّهُمْ يَوْم القِيَامَة يَسْعَى نُورهمْ بَيْن أَيْدِيهمْ فِي عَرَصَات القِيَامَة، بِحَسَبِ أَعْمَالهمْ، كَمَا قَال عَبْد الله بْن مَسْعُود فِي قَوْله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قَال: عَلى قَدْر أَعْمَالهمْ يَمُرُّونَ عَلى الصِّرَاط، مِنْهُمْ مَنْ نُوره مِثْل الجَبَل، وَمِنْهُمْ مَنْ نُوره مِثْل النَّخْلة، وَمِنْهُمْ مَنْ نُوره مِثْل الرَّجُل القَائِم، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُوره فِي إِبْهَامه يَتَّقِد مَرَّة وَيُطْفَأ مَرَّة.(٢) رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَابْن جَرِير. وَقَال قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ نَبِيّ الله ﷺ كَانَ يَقُول: «مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيء نُوره مِنْ الْمَدِينَة إِلى عَدَن أَبْيَن وَصَنْعَاء، فَدُون ذَلكَ، حَتَّى إِنَّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيء نُوره مَوْضِع قَدَمَيْهِ»(٣). وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَنْ حُصَيْن، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ جُنَادَة بْن أَبِي أُمَيَّة قَال: إِنَّكُمْ مَكْتُوبُون عِنْد الله بِأَسْمَائِكُمْ، وَسِيمَاكُمْ وَحِلاكُمْ، وَنَجْوَاكُمْ وَمَجَالسكُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة قِيل: يَا فُلان، هَذَا نُورك. يَا فُلان، لا نُور لك. وَقَرَأَ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾. وَقَال الضَّحَّاك: ليْسَ أَحَد إِلَّا يُعْطَى نُورًا يَوْم القِيَامَة، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلى الصِّرَاط طُفِئَ نُور الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا أَنْ يُطْفَأ نُورهمْ كَمَا طُفِئَ نُور الْمُنَافِقِينَ. فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾. وَقَال الحَسَن: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: يَعْنِي عَلى الصِّرَاط. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ الله: حَدَّثَنَا أَبُو [عُبَيْد](٤) الله ابْن أَخِي ابْن وَهْب، أَخْبَرَنَا عَمِّي، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ سعد بْن مَسْعُود؛ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر يُحَدِّث؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الدَّرْدَاء وَأَبَا ذَرّ يُخْبِرَانِ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «أَنَا أَوَّل مَنْ يُؤْذَن لهُ يَوْم القِيَامَة بِالسُّجُودِ، وَأَوَّل مَنْ يُؤْذَن لهُ بِرَفْع رَأْسه، فَأَنْظُر مِنْ بَيْن يَدَيَّ وَمِنْ خَلفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالي، فَأَعْرِف أُمَّتِي مِنْ بَيْن الأُمَم». فَقَال لهُ رَجُل: يَا نَبِيّ الله؛ كَيْفَ تَعْرِف أُمَّتك مِنْ بَيْن الأُمَم، مَا بَيْن نُوح إِلى أُمَّتك؟! قَال: «أَعْرِفهُمْ، مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَر الوُضُوء، وَلا يَكُون لأَحَدٍ مِنْ الأُمَم غَيْرهمْ، وَأَعْرِفهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبهمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوههمْ، وَأَعْرِفهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْن أَيْدِيهمْ وذريتهم».(٥)

وَقَوْله: ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ قَال الضَّحَّاك: أَيْ: وَبِأَيْمَانِهِمْ كُتُبهمْ. كَمَا قَال: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾. وَقَوْله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾. أَيْ: يُقَال لهُمْ: بُشْرَاكُمْ اليَوْم جَنَّات. أَيْ: لكُمْ البِشَارَة بِجَنَّاتٍ تَجْرِي

---

(١) ضعيف: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٣).
(٣) مرسل: أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٢).
(٤) في الأزهرية: [عبد].
(٥) حسن: تقدم.

مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. وَهَذَا إِخْبَار مِنْهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَع يَوْم القِيَامَة فِي العَرَصَات مِنْ الأَهْوَال المُزْعِجَة، وَالزَّلازِل العَظِيمَة، وَالأُمُور الفَظِيعَة، وَإِنَّهُ لا يَنْجُو يَوْمئِذٍ إِلَّا مَنْ آمَنَ بالله وَرَسُوله، وَعَمِل بِمَا أَمَرَ الله وَتَرَكَ مَا عَنْهُ زُجِرَ. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدَة بْن سُلَيْمَان، حَدَّثَنَا ابْن المُبَارَك، حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن عَمْرو، حَدَّثَنِي سُلَيْم بْن عَامِر قَال: خَرَجْنَا عَلَى جِنَازَة فِي بَاب دِمَشْق، وَمَعَنَا أَبُو أُمَامَة البَاهِلِيّ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الجِنَازَة وَأَخَذُوا فِي دَفْنِهَا، قَال أَبُو أُمَامَة: أَيُّهَا النَّاس؛ إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ وَأَمْسَيْتُمْ فِي مَنْزِل تَقْتَسِمُونَ فِيهِ الحَسَنَات وَالسَّيِّئَات، وَتُوشِكُونَ أَنْ تَظْعَنُوا مِنْهُ إِلَى مَنْزِل آخَر، وَهُوَ هَذَا -يُشِير إِلَى القَبْر- بَيْت الوَحْدَة، وَبَيْت الظُّلْمَة، وَبَيْت الدُّود، وَبَيْت الضِّيق، إِلَّا مَا وَسَّعَ الله، ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَوَاطِن يَوْم القِيَامَة، فَإِنَّكُمْ فِي بَعْض تِلْكَ المَوَاطِن حَتَّى يَغْشَى النَّاس أَمْر مِنْ الله، فَتَبْيَضّ وُجُوه، وَتَسْوَدّ وُجُوه، ثُمَّ تَنْتَقِلُونَ مِنْهُ إِلَى مَنْزِل آخَر فتغشى النَّاس ظُلْمَةٌ شَدِيدَة، ثُمَّ يُقْسَم النُّور فَيُعْطَى المُؤْمِن نُورًا، وَيُتْرَك الكَافِر وَالمُنَافِق فَلا يُعْطَيَانِ شَيْئًا، وَهُوَ المَثَل الَّذِي ضَرَبَهُ الله فِي كِتَابه، قَال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ إِلَى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، فَلا يَسْتَضِيء الكَافِر وَالمُنَافِق بِنُورِ المُؤْمِن كَمَا لا يَسْتَضِيء الأَعْمَى بنور البَصِير، وَيَقُول المُنَافِقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾. وَهِيَ خُدْعَة الله الَّتِي خَدَعَ بِهَا المُنَافِقِينَ حَيْثُ قَال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾. فَيَرْجِعُونَ إِلَى المَكَان الَّذِي قُسِمَ فِيهِ النُّور، فَلا يَجِدُونَ شَيْئًا، فَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنهمْ بِسُورٍ لَهُ بَاب، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الآيَة.

يَقُول سُلَيْم بْن عَامِر: فَمَا يَزَال المُنَافِق مُغْتَرًّا حَتَّى يُقْسَم النُّور، وَيَمِيز الله بَيْن المؤمن والمُنَافِق. ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عُثْمَان، حَدَّثَنَا ابْن حَيْوَة، حَدَّثَنَا أرطأة بْن المُنْذِر، حَدَّثَنَا يُوسُف بْن الحَجَّاج عَنْ أَبِي أُمَامَة قَال: تُبعث ظُلْمَة يَوْم القِيَامَة، فَمَا مِنْ مُؤْمِن وَلا كَافِر يَرَى كَفّه، حَتَّى يَبْعَث الله بِالنُّورِ إِلَى المُؤْمِنِينَ بِقَدْرِ أَعْمالهم، فَيَتْبَعهُمْ المُنَافِقُونَ فَيَقُولُونَ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. وَقَال العَوْفِيّ وَالضَّحَّاك، وَغَيْرهمَا، عَنْ ابْن عَبَّاس: بَيْنَمَا النَّاس فِي ظُلْمَة إِذْ بَعَثَ الله نُورًا، فَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ النُّور تَوَجَّهُوا نَحْوه، وَكَانَ النُّور لهم دَلِيلًا مِنْ الله إِلَى الجَنَّة، فَلَمَّا رَأَى المُنَافِقُونَ المُؤْمِنِينَ قَدْ انطَلَقُوا اتَّبَعُوهُمْ، فَأَظْلَمَ الله عَلَى المُنَافِقِينَ، فَقَالُوا حِينَئِذٍ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فَإِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا. قَال المُؤْمِنُونَ: ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ مِنْ الظُّلْمَة، فَالتَمِسُوا هُنَالكَ النُّور.

وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَلوِيَّة القطان، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عِيسَى العَطَّار، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن بِشْر بْن حُذَيْفَة، حَدَّثَنَا ابْن جُرَيْج، عَنْ ابْن أَبِي مُلَيْكَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: إِنَّ الله تَعَالَى يَدْعُو النَّاس يَوْم القِيَامَة بِأَسْمَائِهِمْ سَتْرًا مِنْهُ عَلَى عِبَاده. وَأَمَّا عِنْد الصِّرَاط فَإِنَّ الله يُعْطِي كُلّ مُؤْمِن نُورًا، وَكُلّ مُنَافِق نُورًا، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاط سَلَبَ الله نُور المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَات، فَقَال المُنَافِقُونَ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. وَقَال المُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾. فَلا يَذْكُر عِنْد ذَلِكَ أَحد أَحَدًا.[1]

وَقَوْله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، قَال الحَسَن، وَقَتَادَة: هُوَ حَائِط بَيْن الجَنَّة وَالنَّار. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: هُوَ الَّذِي قَال الله تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ﴾. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِد رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْر وَاحِد وَهُوَ الصَّحِيح. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أَيْ: الجَنَّة وَمَا فِيهَا، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾،

---

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٢/ ١١٢٤٢) بسند ضعيف جدًا. قال الألباني: «موضوع»، في «الضعيفة» (٤٣٤).

أَيْ: النَّار. قَالَهُ قَتَادَة [وَابْن زَيْد][1]، وَغَيْرهمَا. قَال ابْن جَرِير: وَقَدْ قِيل: إِنَّ ذَلِكَ السُّور سُور بَيْت المَقْدِس عِنْد وَادِي جَهَنَّم، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا ابْن البَرْقِيّ، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن أَبِي سَلمَة، عَنْ سَعِيد بْن عَطِيَّة بْن قَيْس، عَنْ أَبِي العَوَّام -مُؤَذِّن بَيْت المَقْدِس- قَال: سَمِعْت عَبْد الله بْن عَمْرو؛ يَقُول: إِنَّ السُّور الَّذِي ذَكَرَ الله فِي القُرْآن: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، هُوَ السُّور الشَّرْقِيّ بَاطِنه المَسْجِد وَمَا يَلِيه، وَظَاهِره وَادِي جَهَنَّم. ثُمَّ رُوِيَ عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت وَكَعْب الأَحْبَار، وَعَلِيّ بْن الحُسَيْن زَيْن العَابِدِينَ نَحْو ذَلِكَ، وَهَذَا مَحْمُول مِنْهُمْ عَلى أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَذَا تَقْرِيب المَعْنَى وَمِثَالًا لذَلكَ، لا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي أُرِيدَ مِنْ القُرْآن هَذَا الجِدَار المُعَيَّن وَنَفْس المَسْجِد وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ الوَادِي المَعْرُوف بِوَادِي جَهَنَّم، فَإِنَّ الجَنَّة فِي السَّمَوَات فِي أَعْلى عِلِّيِّينَ، وَالنَّار فِي الدَّرَكَات أَسْفَل سَافِلِينَ، وَقَوْل كَعْب الأَحْبَار: إِنَّ البَاب المَذْكُور فِي القُرْآن هُوَ بَاب الرَّحْمَة الَّذِي هُوَ أَحَد أَبْوَاب المَسْجِد، فَهَذَا مِنْ إِسْرَائِيلِيَّاته وَتُرَّهَاته. وَإِنَّمَا المُرَاد بِذَلكَ سُور يُضْرَب يَوْم القِيَامَة لِيَحْجِز بَيْن المُؤْمِنِينَ وَالمُنَافِقِينَ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ المُؤْمِنُونَ دَخَلُوهُ مِنْ بَابه، فَإِذَا اسْتَكْمَلُوا دُخُولهمْ أُغْلِقَ البَاب، وَبَقِيَ المُنَافِقُونَ مِنْ وَرَائِهِ فِي الحِيرَة وَالظُّلمَة وَالعَذَاب، كَمَا كَانُوا فِي الدَّار الدُّنْيَا فِي كُفْر وَجَهْل وَشَكّ وَحِيرَة، ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أَيْ: يُنَادِي المُنَافِقُونَ المُؤْمِنِينَ: أَمَا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدَّار الدُّنْيَا، نَشْهَد مَعَكُمْ الجُمُعَات، وَنُصَلِّي مَعَكُمْ الجَمَاعَات، وَنَقِف مَعَكُمْ بِعَرَفَاتٍ وَنَحْضُر مَعَكُمْ الغَزَوَات، وَنُؤَدِّي مَعَكُمْ سَائِر الوَاجِبَات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾، أَيْ: فَأَجَاب المُؤْمِنُونَ المُنَافِقِينَ قَائِلِينَ: ﴿بَلَىٰ﴾، قَدْ كُنْتُمْ مَعَنَا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾، قَال بَعْض السَّلف: أَيْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسكُمْ بِاللَّذَّاتِ وَالمَعَاصِي وَالشَّهَوَات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، أَيْ: أَخَّرْتُمْ التَّوْبَة مِنْ وَقْت إِلى وَقْت. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بِالحَقِّ وَأَهْله. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أَيْ: بِالبَعْثِ بَعْد المَوْت، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أَيْ: قُلتُمْ: سَيُغْفَرُ لنَا. وَقِيل: غَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: مَا زِلتُمْ فِي هَذَا حَتَّى جَاء المَوْت، ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أَيْ: الشَّيْطَان.

قَال قَتَادَة: كَانُوا عَلى خُدْعَة مِنْ الشَّيْطَان، وَالله مَا زَالُوا عَليْهَا حَتَّى قَذَفَهُمْ الله فِي النَّار. وَمَعْنَى هَذَا الكَلام مِنْ المُؤْمِنِينَ للمُنَافِقِينَ: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مَعَنَا بِأَبْدَانٍ لا نِيَّة لهَا وَلا قُلُوب مَعَهَا، وَإِنَّمَا كُنْتُمْ فِي حِيرَة وَشَكّ، فَكُنْتُمْ تُرَاءُونَ النَّاس، وَلا تَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَليلًا. قَال مُجَاهِد: كَانَ المُنَافِقُونَ مَعَ المُؤْمِنِينَ أَحْيَاء يُنَاكِحُونَهُمْ ويعينونهم وَيُعَاشِرُونَهُمْ، وَكَانُوا مَعَهُمْ أَمْوَاتًا، وَيُعْطَوْنَ النُّور جَمِيعًا يَوْم القِيَامَة، وَيُطْفَأُ النُّور مِنْ المُنَافِقِينَ إِذَا بَلغُوا السُّور، وَيُمَاز بَيْنهمْ حِينَئِذٍ. وَهَذَا القَوْل مِنْ المُؤْمِنِينَ لا يُنَافِي قَوْلهمْ الَّذِي أَخْبَرَ الله بِهِ عَنْهُمْ، حَيْثُ يَقُول -وَهُوَ أَصْدَق القَائِلِينَ-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾. فَهَذَا إِنَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ عَلى وَجْه التَّقْرِيع لهُمْ وَالتَّوْبِيخ، ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾. كما قال تعالى هاهنا: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. أَيْ: لوْ جَاءَ أَحَدكُمْ اليَوْم بِمِلْءِ الأَرْض ذَهَبًا وَمِثْله مَعَهُ لِيَفْتَدِيَ بِهِ مِنْ عَذَاب الله، مَا قُبِل مِنْهُ. وَقَوْله: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾. أَيْ: هِيَ مَصِيركُمْ، وَإِليْهَا مُنْقَلبكُمْ. وَقَوْله: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾، أَيْ: هِيَ أَوْلى بِكُمْ مِنْ كُلّ مَنْزِل عَلى كُفْركُمْ وَارْتِيَابكُمْ، وَبِئْسَ المَصِير.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) في الأزهرية: [أبو زيد].

يَقُول تَعَالى: أَمَا آنَ للمُؤْمِنِينَ ﴿أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: تلينَ عِنْد الذِّكْر وَالمَوْعِظَة وَسَمَاع القُرْآن، فَتفْهمهُ وَتَنْقَاد لهُ وَتَسْمَع لهُ وَتُطِيعهُ. قَال عَبْد الله بْن المُبَارَك: حَدَّثَنَا صَالح [المُرِّيّ][1]، عَنْ قَتَادَة، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال: إِنَّ الله اسْتَبْطَأَ قُلُوب المُؤْمِنِينَ فَعَاتَبَهُمْ عَلى رَأْس ثَلاث عَشْرَة مِنْ نُزُول القُرْآن، فَقَال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[2] الآيَة. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، عَنْ حُسَيْن المَرْوَزِيّ، عَنْ ابْن المُبَارَك، بِهِ. ثُمَّ قَال هُوَ وَمُسْلم: حَدَّثَنَا يُونُس بْن عَبْد الأَعْلَى، [أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحَارِث، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلال -يَعْنِي اللَّيْثِيّ- عَنْ عَوْن بْن عَبْد الله][3] عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: مَا كَانَ بَيْن إِسْلامنَا وَبَيْن أَنْ عَاتَبَنَا الله بِهَذِهِ الآيَة: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا أَرْبَع سِنِينَ.[4] كَذَا رَوَاهُ مُسْلم فِي آخِر الكِتَاب. وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة عَنْ هَارُون بْن سَعِيد الأَيْلِيّ، عَنْ ابْن وَهْب بِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث مُوسَى بْن يَعْقُوب الزَّمْعِيّ، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ عَامِر بْن عَبْد الله ابْن الزُّبَيْر، عَنْ أَبِيهِ، مِثْله. فَجَعَلهُ مِنْ مُسْنَد ابْن الزُّبَيْر. لكِنْ رَوَاهُ البَزَّار فِي «مُسْنَده» مِنْ طَرِيق مُوسَى بْن يَعْقُوب، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ عَامِر، عَنْ ابْن الزُّبَيْر، عَنْ ابْن مَسْعُود، فَذَكَرَهُ.

وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ المَسْعُودِيّ، عَنْ القَاسِم؛ قَال: مَلَّ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ مِلَّة، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُول الله، فَأَنْزَل الله تَعَالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾، قَال: ثُمَّ مَلُّوا مِلَّة، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُول الله، فَأَنْزَل الله تَعَالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾. ثُمَّ مَلُّوا مِلَّة؛ فَقَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُول الله. فَأَنْزَل الله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[5]. وَقَال قَتَادَة: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: ذُكِرَ لنَا أَنَّ شَدَّاد بْن أَوْس كَانَ يَرْوِي عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ أَوَّل مَا يُرْفَع مِنْ النَّاس الخُشُوع**»[6]. وَقَوْله: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: نَهَى الله المُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ حُمِّلُوا الكِتَاب مِنْ قَبْلهمْ مِنْ اليَهُود وَالنَّصَارَى، لَمَّا تَطَاوَل عَلَيْهِمْ الأَمَد بَدَّلُوا كِتَاب الله الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورهمْ، وَأَقْبَلُوا عَلى الآرَاء المُخْتَلفَة وَالأَقْوَال المُؤْتَفِكَة، وَقَلَّدُوا الرِّجَال فِي دِين الله وَاتَّخَذُوا أَحْبَارهمْ وَرُهْبَانهمْ أَرْبَابًا، مِنْ دُون الله، فَعِنْد ذَلكَ قَسَتْ قُلُوبهمْ، فَلا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَة، وَلا تَلِينَ قُلُوبهمْ بِوَعْدٍ وَلا وَعِيد. ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ أَيْ: فِي الأَعْمَال، فَقُلُوبهمْ فَاسِدَة، وَأَعْمَالهمْ بَاطِلة؛ كَمَا قَال: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾، أَيْ: فَسَدَتْ قُلُوبهمْ فَقَسَتْ وَصَارَ مِنْ سَجِيَّتهمْ تَحْرِيف الكَلم عَنْ مَوَاضِعه، وَتَرَكُوا الأَعْمَال الَّتِي أُمِرُوا بِهَا، وَارْتَكَبُوا مَا نُهُوا عَنْهُ وَلِهَذَا نَهَى الله المُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي شَيْء مِنْ الأُمُور الأَصْليَّة وَالفَرْعِيَّة.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار حَدَّثَنَا شِهَاب بْن خِرَاش، حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن دِينَار، عَنْ مَنْصُور بْن المُعْتَمِر، عَنْ الرَّبِيع بْن عُمَيْلة الفَزَارِيّ، قَال: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مَسْعُود حديثًا مَا سَمِعْت أَعْجَب إِلَيَّ مِنْهُ، إِلَّا شَيْئًا مِنْ كِتَاب الله، أَوْ شَيْئًا قَالهُ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيل لَمَّا طَال عَلَيْهِمْ الأَمَد فَقَسَتْ قُلُوبهمْ، اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِنْ عِنْد أَنْفُسهمْ، اسْتَهْوَتْهُ قُلُوبهمْ، وَاسْتَحَلَّتْهُ أَلسِنَتهمْ وَاسْتَلَذَّتْهُ، وَكَانَ الحَقّ يَحُول بَيْنهمْ

(١) في الأزهرية: [المدني].
(٢) **ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم، وفيه صالح المري: ضعيف.
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) رواه مسلم (٥٣٥٢).
(٥) **حسن**: تقدم.
(٦) **صحيح**: أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢٥٧٢).

وَبَيْن كَثِير مِنْ شَهَوَاتِهِمْ، فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَدْعُ بَنِي إِسْرَائِيل إِلَى كِتَابنَا هَذَا، فَمَنْ تَابَعَنَا عَلَيْهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ كَرِهَ أَنْ يُتَابِعنَا قَتَلنَاهُ. فَفَعَلُوا ذَلكَ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُل فَقِيه، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ عَمَدَ إِلَى مَا يُعْرَف مِنْ كِتَاب الله فَكَتَبَهُ فِي شَيْء لطِيف، ثُمَّ أَدْرَجَهُ، فَجَعَلهُ فِي قَرْن ثُمَّ عَلَّقَ ذَلكَ القَرْن فِي عُنُقه، فَلَمَّا أَكْثَرُوا القَتْل قَال بَعْضهمْ لبَعْضٍ: يَا هَؤُلاءِ، إِنَّكُمْ قَدْ أَفْشَيْتُمْ القَتْل فِي بَنِي إِسْرَائِيل، فَادْعُوا فُلانًا فَاعْرِضُوا عَلَيْهِ كِتَابكُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَابَعَكُمْ فَسَيُتَابِعُكُمْ بَقِيَّة النَّاس وَإِنْ أَبَى فَاقْتُلُوهُ. فَدَعَوْا فُلانًا ذَلكَ الفَقِيه؛ فَقَالُوا: أَتُؤْمِنُ بِمَا فِي كِتَابنَا؟ قَال: وَمَا فِيهِ؟ اعْرِضُوهُ عَلَيَّ. فَعَرَضُوهُ عَلَيْهِ إِلَى آخِره، ثُمَّ قَالُوا: أَتُؤْمِنُ بِهَذَا؟ قَال: نَعَمْ، آمَنْت بِمَا فِي هَذَا -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى القَرْن- فَتَرَكُوهُ، فَلَمَّا مَاتَ نبشوه فَوَجَدُوهُ متعلقًا ذَلكَ القَرْن، فَوَجَدُوا فِيهِ مَا يُعْرَف مِنْ كِتَاب الله، فَقَال بَعْضهمْ لبَعْضٍ: يَا هَؤُلاءِ، مَا كُنَّا نَسْمَع هَذَا أَصَابَهُ فِتْنَة. فَافْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيل عَلَى ثنتين وَسَبْعِينَ مِلَّة، وَخَيْر مِللهمْ مِلَّة أَصْحَاب ذِي القَرْن». قَال ابْن مَسْعُود: أَوْشَكَ بِكُمْ إِنْ بَقِيتُمْ -أَوْ بَقِي مَنْ بَقِي مِنْكُمْ- أَنْ تَرَوْا أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، لا تَسْتَطِيعُونَ لهَا غَيْرًا، فَبِحَسْب المَرْء مِنْكُمْ أَنْ يَعْلم الله مِنْ قَلبه أَنَّهُ لهَا كَارِه.[1] وقال أَبُو جَعْفَر الطَّبَرِيّ: حَدَّثَنَا [ابْن حُمَيْد][2]، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ مُغِيرَة، عَنْ أَبِي مَعْشَر، عَنْ إِبْرَاهِيم؛ قَال: جَاءَ عِتْرِيس بْن عُرْقُوب إِلَى ابْن مَسْعُود؛ فَقَال: يَا عَبْد الله؛ هَلكَ مَنْ لمْ يَأْمُر بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنْ المُنْكَر. فَقَال عَبْد الله: هَلكَ مَنْ لمْ يَعْرِف قَلبه مَعْرُوفًا وَلمْ يُنْكِر قَلبه مُنْكَرًا؛ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيل لَمَّا طَال عَلَيْهِمْ الأَمَد وَقَسَتْ قُلُوبهمْ، اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِنْ بَيْن أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلهمْ، اسْتَهْوَتْهُ قُلُوبهمْ، وَاسْتَحَلَّتْهُ أَلسِنَتهمْ، وَقَالُوا: نَعْرِض عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل هَذَا الكِتَاب فَمَنْ آمَنَ بِهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ قَتَلنَاهُ. قَال: فَجَعَل رَجُل مِنْهُمْ كِتَاب الله فِي قَرْن، ثُمَّ جَعَل القَرْن بَيْن ثُنْدُوَتَيْهِ، فَلَمَّا قِيل لهُ: أَتُؤْمِنُ بِهَذَا؟ قَال: آمَنْت بِهِ -وَيُومِئ إِلَى القَرْن بَيْن ثُنْدُوَتَيْهِ- وَمَا لِي لا أُؤْمِن بِهَذَا الكِتَاب؟ فَمِنْ خَيْر مِللهمْ اليَوْم مِلَّة صَاحِب القَرْن.

وقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: فِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّه تَعَالَى يُلِين القُلُوب بَعْد قَسْوَتهَا، وَيَهْدِي الحَيَارَى بَعْد ضَلَّتهَا، وَيُفَرِّج الكُرُوب بَعْد شِدَّتهَا، فَكَمَا يُحْيِي الأَرْض المَيْتَة المُجْدِبَة الهَامِدَة بِالغَيْثِ الهَتَّان، كَذَلكَ يَهْدِي القُلُوب القَاسِيَة بِبَرَاهِين القُرْآن وَالدَّلائِل، وَيُولج إِليْهَا النُّور بَعْد ما كَانَتْ مُقْفَلة لا يَصِل إِليْهَا الوَاصِل، فَسُبْحَان الهَادِي لِمَنْ يَشَاء بَعْد الإِضلال، وَالمُضِلّ لِمَنْ أَرَادَ بَعْد الكَمَال، الَّذِي هُوَ لِمَا يَشَاء فَعَّال، وَهُوَ الحكم العَدْل فِي جَمِيع الفِعَال، اللَّطِيف الخَبِير الكَبِير المُتَعَال.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَمَّا يُثِيب بِهِ المُصَّدِّقِينَ وَالمُصَّدِّقَات بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَهْل الحَاجَة وَالفَقْر وَالمَسْكَنَة، ﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾، أَيْ: دَفَعُوهُ بِنِيَّةٍ خَالصَة ابْتِغَاء وجه الله، لا يُرِيدُونَ جَزَاء مِمَّنْ أَعْطَوْهُ وَلا شُكُورًا؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ﴾ أَيْ: يُقَابِل لَهُمْ الحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالهَا، وَيُزَاد عَلَى ذَلكَ إِلَى سَبْعمِائَةِ ضِعْف وَفَوْق ذَلكَ، ﴿وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾، أَيْ: ثَوَاب جَزِيل حَسَن، وَمَرْجِع صَالح وَمَآب ﴿كَرِيمٞ﴾. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾: هَذَا تَمَام الجُمْلة، وَصْف المُؤْمِنِينَ بالله وَرُسُله بِأَنَّهُمْ صِدِّيقُونَ. قَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾: هَذِهِ مَفْصُولة، ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ

(١) حسـن : عزاه لابن أبي حاتم، فيه هشام بن عمار: صدوق.
(٢) في الأزهرية: [أبو حميد].

وَنُورُهُمْ ﴾ وَقَال أَبو الضُّحى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الكَلام فَقَال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ وَهَكَذَا قَال مَسْرُوق، وَالضَّحَّاك، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان، وَغَيْرهمْ.

وَقَال الأَعْمَش عَنْ أَبِي الضُّحى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْد الله فِي قَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قَال: هُمْ ثَلاثه أَصْنَاف: يَعْنِي المُصَدِّقِينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاء. كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. فَفَرَّقَ بَيْنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء، فَدَلَّ عَلى أَنَّهُمَا صِنْفَانِ. وَلا شَكّ أَنَّ الصِّدِّيق أَعْلَى مَقَامًا مِنَ الشَّهِيد، كَمَا رَوَاهُ الإِمَام مَالِك بْن أَنَس رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابه «المُوَطَّأ»، عَنْ صَفْوَان بْن سُلَيْم، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ أَهْل الجَنَّة لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْل الغُرَف مِنْ فَوْقهمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَب الدُّرِّيّ الغَابِر فِي الأُفُق مِنْ المَشْرِق أَوْ المَغْرِب، لِتَفَاضُل مَا بَيْنهمْ»**. قَالوا: يَا رَسُول الله؛ تِلْكَ مَنَازِل الأَنْبِيَاء لا يَبْلُغهَا غَيْرهمْ؟ قَال: **«بَلى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَال آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»**[1]. اتَّفَقَ البُخَارِيّ وَمُسْلم عَلى إِخْرَاجه مِنْ حَدِيث مَالك بِهِ. وَقَال آخَرُونَ: بَل المُرَاد مِنْ قَوْله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فَأَخْبَرَ عَنْ المُؤْمِنِينَ بِالله وَرُسُله بِأَنَّهُمْ صِدِّيقُونَ وَشُهَدَاء. حَكَاهُ ابْن جَرِير عَنْ مُجَاهِد، ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي صَالح بْن حَرْب -أَبُو مَعْمَر- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل ابْن يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْن عَجْلان، عَنْ زَيْد بْن أَسْلم، عَنْ البَرَاء بْن عَازِب؛ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاء»**. قَال: ثُمَّ تَلا النَّبِيّ ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[2] هَذَا حَدِيث غَرِيب. وَقَال أَبُو إِسْحَاق: عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون فِي قَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾، قَال: يَجِيئُونَ يَوْم القِيَامَة مَعًا كَالأُصْبُعَيْنِ.

وَقَوْله: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أَيْ: فِي جَنَّات النَّعِيم كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: **«إِنَّ أَرْوَاح الشُّهَدَاء فِي حَوَاصِل طَيْر خُضْر تَسْرَح فِي الجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلى تِلْكَ القَنَادِيل، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبّك اطِّلاعَة فَقَال: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نُحِبّ أَنْ تَرُدّنَا إِلى الدَّار الدُّنْيَا فَنُقَاتِل فِيك فَنُقْتَل كَمَا قُتِلنَا أَوَّل مَرَّة. فَقَال: إِنِّي قَضَيْت أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يَرْجِعُونَ»**[3]. وَقَوْله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ أَيْ: لَهُمْ عِنْد ربهم أَجْر جَزِيل وَنُور عَظِيم يَسْعَى بَيْن أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ بِحَسْب مَا كَانُوا فِي الدَّار الدُّنْيَا مِنْ الأَعْمَال، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، عَنْ عَطَاء بْن دِينَار، عَنْ أَبِي يَزِيد الخَوْلانِيّ؛ قَال: سَمِعْت فَضَالة بْن عُبَيْد، يَقُول: سَمِعْت عُمَر بْن الخَطَّاب، يَقُول: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «الشُّهَدَاء أَرْبَعَة: رَجُل مُؤْمِن جَيِّد الإِيمَان، لَقِيَ العَدُوّ فَصَدَّقَ الله فَقُتِلَ، فذلك الَّذِي يَنْظُر النَّاس إِلَيْهِ هَكَذَا». وَرَفَعَ رَأسه حَتَّى سَقَطَتْ قَلَنْسُوَة رَسُول الله ﷺ أو قَلَنْسُوَة عُمَر، «وَالثَّانِي: مُؤْمِن لقِيَ العَدُوّ فَكَأَنَّمَا يَضْرِب ظَهْره بِشَوْكِ الطَّلح جَاءَهُ سَهْم غَرْب فَقَتَلَهُ، فَذَاكَ فِي الدَّرَجَة الثَّانِيَة. وَالثَّالِث: رَجُل مُؤْمِن خَلطَ عَمَلاً صَالحًا وَآخَر سَيِّئًا لقِيَ العَدُوّ فَصَدَّقَ الله حَتَّى قُتِل، فَذَاكَ فِي الدَّرَجَة الثَّالثَة. وَالرَّابع: رَجُل مُؤْمِن أَسْرَفَ عَلى نَفْسه إِسْرَافًا كَثِيرًا، لقِيَ العَدُوّ فَصَدَّقَ الله حَتَّى قُتِل، فَذَاكَ فِي الدَّرَجَة الرَّابِعَة»[4]. وَهَكَذَا رَوَاهُ عَلِيّ بْن المَدِينِيّ، عَنْ أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ ابْن المُبَارَك، عَنْ ابْن لهِيعَة، وَقَال: هَذَا إِسْنَاد مِصْرِيّ صَالح، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ

---

(١) صحيح: تقـدم.

(٢) منكـر: رواه الطبري (٢٧/ ٢٣١) فيه إسماعيل بن يحيى متهم بالكذب.

(٣) صحيح: تقـدم.

(٤) ضعف: أخرجه أحمد (١/ ٢٣)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٠٠٤).

حَدِيث ابْن لِهيعَة وَقَال: حَسَن غَرِيب. وَقَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: لَمَّا ذَكَرَ السُّعَدَاء وَمَآلهمْ، عَطَفَ بِذِكْرِ الأَشْقِيَاء وَبَيَّنَ حَالهمْ؛ فقال:

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُوهِنًا أَمْر الحَيَاة الدُّنْيَا، وَمُحَقِّرًا لهَا: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾. أَيْ: إِنَّمَا حَاصِل أَمْرهَا عِنْد أَهْلهَا هَذَا، كَمَا قَال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾. ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى مَثَل الحَيَاة الدُّنْيَا فِي أَنَّهَا زَهْرَة فَانِيَة وَنِعْمَة زَائِلة؛ فَقَال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وَهُوَ: المَطَر الَّذِي يَأْتِي بَعْد قُنُوط النَّاس، كَمَا قَال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾.

وَقَوْله: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أَيْ: يُعْجِب الزُّرَّاع نَبَات ذَلِكَ الزَّرْع الَّذِي نَبَتَ بِالغَيْثِ، وَكَمَا يُعْجِب الزُّرَّاع ذَلِكَ؛ كَذَلِكَ تُعْجِب الحَيَاة الدُّنْيَا الكُفَّار، فَإِنَّهُمْ أَحْرَص شَيْء عَلَيْهَا وَأَمْيَل النَّاس إِلَيْهَا، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا﴾، أَيْ: يَهِيج ذَلِكَ الزَّرْع فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا بَعْد مَا كَانَ خَضِرًا نَضِرًا، ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ بَعْد ذَلِكَ كُلّه حُطَامًا أَيْ: يَصِير يَبِسًا مُتَحَطِّمًا، هَكَذَا الحَيَاة الدُّنْيَا تَكُون أَوَّلًا شَابَّة، ثُمَّ تُكْتَهَل، ثُمَّ تَكُون عَجُوزًا شَوْهَاء، وَالإِنْسَان كَذَلِكَ يَكُون فِي أَوَّل عُمْره وَعُنْفُوَان شَبَابه غَضًّا طَرِيًّا لَيِّن الأَعْطَاف، بَهِيّ المَنْظَر، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَع فِي الكُهُولة فَتَتَغَيَّر طِبَاعه وينفد بَعْض قُوَاهُ، ثُمَّ يَكْبُر فَيَصِير شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيف القُوَى قَلِيل الحَرَكَة، يُعْجِزهُ الشَّيْء اليَسِير، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾. وَلَمَّا كَانَ هَذَا المَثَل دَالًّا عَلَى زَوَال الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا وَفَرَاغهَا لا مَحَالَة، وَأَنَّ الآخِرَة كَائِنَة لا مَحَالَة، حَذَّرَ مِنْ أَمْرهَا، وَرَغَّبَ فِيمَا فِيهَا مِنْ الخَيْر، فَقَال: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، أَيْ: وَلَيْسَ فِي الآخِرَة الآتِيَة القَرِيبَة إِلَّا إِمَّا هَذَا وَإِمَّا هَذَا؛ إِمَّا عَذَاب شَدِيد، وَإِمَّا مَغْفِرَة مِنْ الله وَرِضْوَان.

وَقَوْله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، أَيْ: هِيَ مَتَاع فَانٍ غَارٌّ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرّ بِهَا، وَتُعْجِبهُ حَتَّى يَعْتَقِد أَنْ لا دَار سِوَاهَا، وَلا مَعَاد وَرَاءَهَا، وَهِيَ حَقِيرَة قَلِيلة بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّار الآخِرَة. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن حَرْب المَوْصِلِيّ، حَدَّثَنَا المُحَارِبِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمْرو، عَنْ أَبِي سَلمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَوْضِع سَوْط فِي الجَنَّة خَيْر مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. اقْرَءُوا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾».(١) وَهَذَا الحَدِيث ثَابِت فِي «الصَّحِيح» بِدُونِ هَذِهِ الزِّيَادَة، وَالله أَعْلَم. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر وَوَكِيع، كِلاهُمَا عَنْ الأَعْمَش، عَنْ شَقِيق، عَنْ عَبْد الله؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لَلْجَنَّة أَقْرَب إِلَى أَحَدكُمْ مِنْ شِرَاك نَعْله، وَالنَّار مِثْل ذَلِكَ**»(٢). انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ البُخَارِيّ فِي الرِّقَاق مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ عَنْ الأَعْمَش بِهِ. فَفِي هَذَا الحَدِيث دَلِيل عَلَى اقْتِرَاب الخَيْر وَالشَّرّ مِنْ الإِنْسَان، وَإِذَا كَانَ الأَمْر كَذَلِكَ، فَلِهَذَا حَثَّهُ الله عَلَى المُبَادَرَة إِلَى

---

(١) حسن صحيح: تقدم.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٨).

الخَيْرَات، مِنْ فِعْل الطَّاعَات، وَتَرْك المُحَرَّمَات، الَّتِي تُكَفِّر عَنْهُ الذُّنُوب وَالزَّلَّات، وتحصِّل لهُ الثَّوَاب وَالدَّرَجَات، فَقَال تَعَالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وَالمُرَاد جِنْس السَّماء وَالأَرض، كَما قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وَقَال هَهُنَا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي أَهَّلَهُمْ الله لهُ هُوَ مِنْ فَضْله وَمَنِّهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانه إِلَيْهِمْ، كَما قَدَّمْنَا فِي «الصَّحِيح» أَنَّ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُول الله، ذَهَبَ أَهْل الدُّثُور بالدرجات العُلى وَالنَّعِيم المُقِيم. قَال: «وَمَا ذَاكَ؟». قَالُوا: يُصَلُّونَ كَما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَما نَصُوم، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلا نَتَصَدَّق، وَيُعْتِقُونَ وَلا نُعْتِق. قَال: «أَفَلا أَدُلّكُمْ عَلى شَيْءٍ إِذَا فَعَلتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدكُمْ، وَلا يَكُون أَحَد أَفْضَل مِنْكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْل مَا صَنَعْتُمْ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُر كُلّ صَلاة ثَلاثَة وَثَلاثِينَ». قَال: فَرَجَعُوا فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَاننَا أَهْل الأَمْوَال مَا فَعَلنَا، فَفَعَلُوا مِثْله! فَقَال رَسُول الله ﷺ: «ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء».[1]

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ قَدَره السَّابِق فِي خَلقه قَبْل أَنْ يَبْرَأ البَرِيَّة، فَقَال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، أَيْ: فِي الآفَاق وَفِي نُفُوسكُمْ، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، أَيْ: مِنْ قَبْل أَنْ نَخْلُق الخَليقَة وَنَبْرَأ النَّسَمَة. وَقَال بَعْضهمْ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، عَائِد عَلى النُّفُوس. وَقِيل: عَائِد عَلى المُصِيبَة. وَالأَحْسَن عَوْده عَلى الخَليقَة وَالبَرِيَّة، لدَلالةِ الكَلام عَليْهَا، كَما قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُليَّة، عَنْ مَنْصُور بْن عَبْد الرَّحْمَن، قَال: كُنْت جَالسًا مَعَ الحَسَن فقال رَجُل: سَلهُ عَنْ قَوْله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ فَسَأَلته عَنْهَا، فَقَال: سُبْحَان الله! وَمَنْ يَشُكّ فِي هَذَا؟ كُلّ مُصِيبَة بَيْن السَّماء وَالأَرْض فَفِي كِتَاب الله مِنْ قَبْل أَنْ يَبْرَأ النَّسَمَة. وَقَال قَتَادَة: مَا أَصَاب مِنْ مُصِيبَة فِي الأَرْض. قَال: هِيَ السُّنُونَ. يَعْنِي: الجَدْب، ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، يَقُول: الأَوْجَاع وَالأَمْرَاض. قَال: وَبلَغْنَا أَنَّهُ ليْس أَحَد يُصِيبهُ خَدْش عُود، وَلا نَكْبَة قَدَم، وَلا خَلجَان عِرْق إِلَّا بِذَنْب، وَمَا يَعْفُو الله عَنْهُ أَكْثَر. وَهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة العَظِيمَة مِنْ أَدَلّ دَليل عَلى القَدَرِيَّة نُفَاة العِلم السَّابِق قَبَّحَهُمْ الله. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا حَيْوَة وَابْن لهِيعَة؛ قَالا: حدثنا أَبُو هَانِئٍ الخَوْلانِيّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْد الرَّحْمَن الحُبُليّ؛ يَقُول: سَمِعْت عَبْد الله بْن عَمْرو بْن العَاص؛ يَقُول: سَمِعْت رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «قَدَّرَ الله المَقَادِير قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَوَات وَالأَرْض بِخَمْسِينَ أَلف سَنَة»[2]. وَرَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه»، مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن وَهْب وَحَيْوَة بْن شُرَيْح وَنَافِع بْن يَزِيد، ثَلاثَتهمْ عَنْ أَبِي هَانِئٍ بِهِ. وَزَادَ ابْن وَهْب: «وَكَانَ عَرْشه عَلى المَاء». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَال: حَسَن صَحِيح.

وَقَوْله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أَيْ: أَنَّ عِلمه تَعَالى الأَشْيَاء قَبْل كَوْنهَا وَكِتَابَته لهَا طِبْق مَا يُوجَد فِي حِينهَا، سَهْل عَلى الله ﷻ لأَنَّهُ يَعْلم مَا كَانَ وَمَا يَكُون، وَمَا لمْ يَكُنْ لوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٦)، ومسلم (٥٩٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

وَقَوْله: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾، أَيْ: أَعْلَمْنَاكُمْ بِتَقَدُّمِ عِلمنَا وَسَبْق كِتَابَتنَا للأَشْيَاءِ قَبْل كَوْنهَا، وَتَقْدِيرنَا الكَائِنَات قَبْل وُجُودهَا، لتَعْلَموا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ، وَمَا أَخْطَأَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكُمْ، فَلا تَأْسَوْا عَلى مَا فَاتَكُمْ، فإنه لَوْ قُدِّرَ شَيْء لكَانَ، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أتاكم﴾ أَيْ: جَاءَكُمْ، ويُقرأ ﴿ آتَاكُمْ ﴾، أَيْ: أَعْطَاكُمْ. وَكِلاهُمَا مُتَلازِم، أَيْ: لا تَفْخَرُوا عَلى النَّاس بِمَا أَنْعَمَ الله بِهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلكَ لَيسَ بِسَعْيِكُمْ وَلا كَدّكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَر الله وَرِزْقه لَكُمْ، فَلا تَتَّخِذُوا نِعَم الله أَشَرًا وَبَطَرًا، تَفْخَرُونَ بِهَا عَلى النَّاس، وَلهَذَا قَال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، أَيْ: مُخْتَال فِي نَفْسه، مُتَكَبِّر ﴿فَخُورٍ﴾ أَيْ: عَلى غَيْره. وَقَال عِكْرِمَة: لَيسَ أَحَد إِلَّا وَهُوَ يَفْرَح وَيَحْزَن، وَلكِنْ اجْعَلُوا الفَرَح شُكْرًا، وَالحُزْن صَبْرًا. ثم قَال: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾، أَيْ: يَفْعَلُونَ المُنْكَر وَيَحُضُّونَ النَّاس عَلَيْهِ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، أَيْ: عَنْ أَمْر الله وَطَاعَته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، كَمَا قَال مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أَيْ: بِالمُعْجِزَاتِ، وَالحِجَج البَاهِرَات، وَالدَّلائِل القَاطِعَات، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وَهُوَ النَّقْل المصدَّقُ ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾، وَهُوَ: العَدْل. قَالهُ مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمَا، وَهُوَ الحَقّ الَّذِي تَشْهَد بِهِ العُقُول الصَّحِيحَة المُسْتَقِيمَة المُخَالفَة للآرَاءِ السَّقِيمَة، كَمَا قَال: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾، وَقَال: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾. وَقَال: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾. وَلهَذَا قَال فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أَيْ: بِالحَقِّ وَالعَدْل، وَهُوَ اتِّبَاع الرُّسُل فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتهمْ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ، فَإِنَّ الَّذِي جَاءُوا بِهِ هُوَ الحَقّ الَّذِي لَيسَ وَرَاءَهُ حَقّ، كَمَا قَال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾. أَيْ: صِدْقًا فِي الإِخْبَار، وَعَدْلًا فِي الأَوَامِر وَالنَّوَاهِي، وَلهَذَا يَقُول المُؤْمِنُونَ إِذَا تَبَوَّءُوا غُرَف الجَنَّات، وَالمَنَازِل العَالِيَات، وَالسُّرُر المَصْفُوفَات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، أَيْ: وَجَعَلنَا الحَدِيد رَادِعًا لمَنْ أَبَى الحَقّ وَعَانَدَهُ بَعْد قِيَام الحُجَّة عَلَيْهِ؛ وَلهَذَا أَقَامَ رَسُول الله ﷺ بِمَكَّة بَعْد النُّبُوَّة ثَلاث عَشْرَة سَنَة تُوحَى إِلَيْهِ السُّوَر المَكِّيَّة، وَكُلّهَا جِدَال مَعَ المُشْرِكِينَ، وَبَيَان وَإِيضَاح للتَّوْحِيد، وتبيان وَدَلائل، فَلمَّا قَامَتْ الحُجَّة عَلى مَنْ خَالفَ منهم، شَرَعَ الله الهِجْرَة، وَأَمَرَهُمْ بِالقِتَال بِالسُّيُوفِ، وَضَرْب الرِّقَاب وَالهَام لمَنْ خَالفَ القُرْآن وَكَذَّبَ بِهِ وَعَانَدَهُ. وَقَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد، مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن ثَابِت بْن ثَوْبَان، عَنْ حَسَّان بْن عَطِيَّة، عَنْ أَبِي المُنِيب الجُرَشِيّ الشَّامِيّ، عَنْ ابْن عُمَر؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«بُعِثْت بِالسَّيْفِ بَيْن يَدَيْ السَّاعَة حَتَّى يُعْبَد الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَجُعِل رِزْقِي تَحْت ظِلّ رُمْحِي، وَجُعِل الذِّلَّة وَالصَّغَار على مَنْ خَالفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**[1]. وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يَعْنِي: السِّلاح، كَالسُّيُوفِ وَالحِرَاب، وَالسِّنَان وَالنِّصَال، وَالدُّرُوع وَنَحْوهَا ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، أَيْ:

(١) حسن : تقدم.

فِي مَعَايِشهِمْ كَالسِّكَّةِ وَالفَأْس وَالقَدُوم، وَالمِنْشَار، وَالأَزْمِيل، وَالمِجْرَفَة، وَالآلات الَّتِي يُسْتَعَان بِهَا فِي الحِرَاثَة وَالحِيَاكَة وَالطَّبْخ وَالخَبْز، وَمَا لا قِوَام للنَّاسِ بِدُونِهِ، وَغَيْر ذَلِكَ. قَال عِلبَاء بْن أَحْمَد عَنْ عِكْرِمَة، عن ابْن عَبَّاس؛ قَال: ثَلاثَة أَشْيَاء نَزَلتْ مَعَ آدَم: السِّنْدَان وَالكَلبَتَانِ وَالمِيقَعَة، يَعْنِي المِطْرَقَة. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم. وَقَوْله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أَيْ: منْ نِيَّته فِي حَمْل السِّلاح نُصْرَة الله ورسله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أَيْ: هُوَ قَوِيّ عَزِيز، يَنْصُر مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْر احْتِيَاج مِنْهُ إِلى النَّاس، وَإِنَّمَا شَرَعَ الجِهَاد لِيَبْلُوَ بَعْضكُمْ بِبَعْضٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ مُنْذُ بَعَثَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لمْ يُرْسِل بَعْده رَسُولًا وَلا نَبِيًّا إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّته، وَكَذَلكَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيل الرَّحْمَن، لمْ يُنْزِل مِنَ السَّمَاء كِتَابًا، وَلا أَرْسَل رَسُولًا، وَلا أَوْحَى إِلى بَشَر مِنْ بَعْده إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلالته، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾، حَتَّى كَانَ آخِر أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل عِيسَى ابْن مَرْيَم الَّذِي بَشَّرَ بَعْده بِمُحَمَّدٍ صَلوَات الله وَسَلامه عَليْهِمَا، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾، وَهُوَ الكِتَاب الَّذِي أَوْحَاهُ الله إِليْهِ، ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، وَهُمْ الحَوَارِيُّونَ ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أَيْ: رَأْفَةً وَهِيَ الخَشْيَة ﴿وَرَحْمَةً﴾ بِالخَلقِ. وَقَوْله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾، أَيْ: ابتدعها أُمَّة النَّصَارَى، ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: مَا شَرَعْنَاهَا لهم، وَإِنَّمَا هُمْ التَزَمُوهَا مِنْ تِلقَاء أَنْفُسهمْ.

وَقَوْله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ فِيهِ قَوْلانِ، أَحَدهمَا: أَنَّهُمْ قَصَدُوا بِذَلكَ رِضْوَان الله، قاله سَعِيد بْن جُبَيْر وَقَتَادَة. وَالآخَر: مَا كَتَبْنَا عَليْهِمْ ذَلكَ إِنَّمَا كَتَبْنَا عَليْهِمْ ابْتِغَاء رِضْوَان الله. وَقَوْله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، أَيْ: فَمَا قَامُوا بِمَا التَزَمُوهُ حَقّ القِيَام. وَهَذَا ذَمّ لهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ؛ أَحَدهمَا: فِي الابْتِدَاع فِي دِين الله مَا لمْ يَأْمُر بِهِ الله. وَالثَّانِي: فِي عَدَم قِيَامهمْ بِمَا التَزَمُوهُ مِمَّا زَعَمُوا أَنه قُرْبَة يُقَرِّبهم إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن أَبِي حَمْزَة أَبُو يَعْقُوب الرَّازِيّ، حَدَّثَنَا السندي ابْن عبدويه، حَدَّثَنَا بُكَيْر بْن مَعْرُوف، عَنْ مُقَاتِل بْن حَيَّان، عَنْ القَاسِم بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الله بْن مَسْعُود، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه ابْن مَسْعُود؛ قَال: قَال لي رَسُول الله ﷺ : «يَا ابْن مَسْعُود». قُلت: لبَّيْكَ يَا رَسُول الله قَال: «هَل عَلمْت أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيل افْتَرَقُوا على ثنتين وَسَبْعِينَ فِرْقَة، لمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلاَّ ثَلاث فِرَق، قَامَتْ بَيْنَ المُلُوك وَالجَبَابِرَة بَعْد عِيسَى ابْن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَتْ إِلى دِين الله وَدِين عِيسَى ابْن مَرْيَم، فَقَاتَلتْ الجَبَابِرَة فَقُتِلتْ فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ، ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَة أُخْرَى لمْ تَكُنْ لهَا قُوَّة بِالقِتَال، فَقَامَتْ بَيْنَ المُلُوك وَالجَبَابِرَة، فَدَعَوْا إِلى دِين الله وَدِين عِيسَى ابْن مَرْيَم، فَقُتِلتْ، وَقُطِّعَتْ بِالمَيَاشِير، وَحُرِّقَتْ بِالنِّيرَانِ، فَصَبَرَتْ وَنَجَتْ، ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَة أُخْرَى لمْ يَكُنْ لهَا قُوَّة بِالقِتَال، وَلم تطِقِ القِيَام بِالقِسْطِ، فَلحِقَتْ بِالجِبَال، فَتَعَبَّدَتْ وَتَرَهَّبَتْ، وَهُمْ الذِينَ ذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾».[1]

(١) في سنده من لم أقف له على ترجمة.

وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير بِلفْظٍ آخر مِنْ طَرِيق أخرى، فَقَال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن أَبِي طَالب، حَدَّثنَا دَاوُد بْن المُحبَّر، حَدَّثَنَا الصَّعْق بْن حَزْن حَدَّثَنَا عُقَيْل الجَعْدِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق الهَمْدَانِيّ، عَنْ سُوَيْد بْن غَفَلة، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «اخْتلفَ مَنْ كَانَ قَبلنَا عَلى ثَلاث وَسَبْعِينَ فِرْقَة، نَجَا مِنْهُمْ ثَلاث، وَهَلكَ سَائِرهمْ...»[1]. وَذَكَرَ نَحْو مَا تَقدَّمَ وَفِيهِ: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾: هُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَصَدَّقُونِي، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾، وَهُمْ الَّذِينَ كَذَّبُونِي وَخَالفُونِي. وَلا يُقْدَح فِي هَذِهِ المُتَابَعَة لحَال دَاوُد بْن [المُحبَّر][2]، فَإِنَّهُ أَحَد الوَضَّاعِينَ للحَدِيثِ، وَلكِنْ قَدْ أَسْنَدَهُ أَبُو يَعْلى، وسنده عَنْ شَيْبَان بْن فَرُّوخ، عَنْ الصَّعْق بْن حَزْن، بِهِ مِثْل ذَلكَ. فَقَوِيَ الحَدِيث مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَال ابْن جَرِير، وَأَبُو عَبْد الرَّحْمَن النَّسَائِيّ -وَاللَّفْظ لهُ-: أَخْبَرَنَا الحُسَيْن بْن حُرَيْث، حَدَّثَنَا الفَضْل بْن مُوسَى، عَنْ سُفْيَان بْن سَعِيد، عَنْ عَطَاء بن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: كَانَ مُلُوك بَعْد عِيسَى عليه السلام بَدَّلتْ التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل، فَكَانَ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل، فَقِيل لمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِد شَيْئًا أَشَدّ مِنْ شَتْم يَشْتُمُونَا هَؤُلاءِ إِنَّهُمْ يَقْرَءُونَ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ هؤلاء الآيَات، مَعَ مَا يَعِيبُونَنَا بِهِ مِنْ أَعْمَالنَا فِي قِرَاءَتهِمْ، فَادْعُهُمْ فَليَقْرَءُوا كَمَا نَقْرَأ، وَليُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا؛ فَدَعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَعَرَضَ عَليْهِمْ القَتْل أَوْ يَتْرُكُوا قِرَاءَة التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل، إِلَّا مَا بَدَّلُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: مَا تُرِيدُونَ إِلى ذَلكَ؟ دَعُونَا، فَقَالتْ طَائِفَة مِنْهُمْ: ابْنُوا لنَا أُسْطُوَانَة، ثُمَّ ارْفَعُونَا إِليْهَا، ثُمَّ أَعْطُونَا شَيْئًا نَرْفَع بِهِ طَعَامنَا وَشَرَابنَا فَلا نَرُدّ عَليْكُمْ. وَقَالتْ طَائِفَة: دَعُونَا نَسِيح فِي الأَرْض وَنَهِيم وَنَشْرَب كَمَا يَشْرَب الوَحْش، فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَليْنَا فِي أَرْضكُمْ فَاقْتُلُونَا. وَقَالتْ طَائِفَة: ابْنُوا لنَا دُورًا فِي الفَيَافِي، وَنَحْتَفِر الآبَار ونحترث البُقُول فَلا نَرُدّ عَليْكُمْ وَلا نَمُرّ بِكُمْ. وَليْسَ أَحَد مِنْ القَبَائِل إِلَّا لهُ حَمِيم فِيهِمْ، فَفَعَلُوا ذَلكَ، فَأَنْزَل الله عز وجل: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾. وَالآخَرُونَ قَالُوا: نَتَعَبَّد كَمَا تَعَبَّدَ فُلان، وَنَسِيح كَمَا سَاحَ فُلان، وَنَتَّخِذ دُورًا كَمَا اتَّخَذَ فُلان، وَهُمْ عَلى شِرْكهِمْ لا عِلم لهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اقْتَدُوا بهم، فَلمَّا بُعِثَ النَّبِيّ ﷺ وَلمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا القَليل، انْحَطَّ مِنْهُمْ رَجُل مِنْ صَوْمَعَته، وَجَاءَ سَائِح مِنْ سِيَاحَته، وَصَاحِب الدَّيْر مِنْ دَيْره، فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَقَال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أَجْرَيْنِ: بِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى ابْن مَرْيَم، وَنَصْب أَنْفُسهمْ بالتوراة وَالإِنْجِيل، وَبِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقهمْ، قَال: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾: القُرْآن، وَاتِّبَاعهمْ النَّبِيّ ﷺ قَال: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الَّذِينَ يَتَشَبَّهُونَ بِكُمْ ﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.[3] هَذَا السِّيَاق فِيهِ غَرَابَة، وَسَيَأْتِي تَفْسِير هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الأخريين عَلى غَيْر هَذَا، وَالله أَعْلم.

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عِيسَى، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن وَهْب، حَدَّثَنِي سَعِيد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي العَمْيَاء؛ أَنَّ سَهْل بْن أَبِي أُمَامَة حَدَّثَهُ؛ أَنَّهُ دَخَل هُوَ وَأَبُوهُ عَلى أنس بْن مَالك بِالمَدِينَةِ زَمَان عُمَر بْن عَبْد العَزِيز وَهُوَ أَمِير، وَهُوَ يُصَلِّي صَلاة خَفِيفَة، كَأَنَّهَا صَلاة مُسَافِر أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، فَلمَّا سَلَّمَ قَال: يَرْحَمك الله!

---

(١) إسناده ضعيف جدًا : أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٩)، والطبراني (١٠/ ٢٧١) بسند ضعيف جدًا، فيه عقيل الجعدي وهو منكر الحديث.
(٢) في الأزهرية: [المجير].
(٣) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٧/ ٢٣٩) بسند ضعيف.

أَرَأَيت هَذِهِ الصَّلاة المَكْتُوبَة، أَمْ شَيْء تَنَفَّلته؟ قَال: إِنَّهَا المَكْتُوبَة، وَإِنَّهَا صَلاة رَسُول الله ﷺ مَا أَخطأْت إِلَّا شَيْئًا سَهَوْت عَنْهُ، إِنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول: «لا تُشَدِّدُوا عَلى أَنْفُسكُمْ فَيُشَدَّد عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلى أَنْفُسهمْ فَشَدَّدَ الله عَلَيْهِمْ، فَتِلكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِع وَالدِّيَارَات، رَهْبَانِيَّة ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ». ثُمَّ غَدَوْا مِنْ الغَد فَقَالُوا: نَرْكَب فَنَنْظُر وَنَعْتَبِر. قَال: نَعَمْ، فَرَكِبُوا جَمِيعًا، فَإِذَا هُمْ بِدِيَارٍ قَفْر قَدْ بَادَ أَهْلهَا وَانْقَرَضُوا وَفَنُوا، خَاوِيَة عَلى عُرُوشهَا، فَقَالُوا: تَعْرِفُ هَذِهِ الدِّيَار؟ قَال: مَا أَعْرَفَنِي بِهَا وَبِأَهْلهَا. هَؤُلاءِ أَهْل الدِّيَار، أَهْلَكَهُمْ البَغْي وَالحَسَد، إِنَّ الحَسَد يُطْفِئ نُور الحَسَنَات، وَالبَغْي يُصَدِّق ذَلكَ أَوْ يُكَذِّبهُ، وَالعَيْن تَزْنِي وَالكَفّ وَالقَدَم وَالجَسَد وَاللِّسَان، وَالفَرْج يُصَدِّق ذَلكَ أَوْ يُكَذِّبهُ.[١]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مَعْمَر، حَدَّثَنَا عَبْد الله، أَخْبَرَنَا سُفْيَان، عَنْ زَيْد العَمِّيّ، عَنْ أَبِي إِيَاس، عَنْ أَنَس بْن مَالك؛ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «لِكُلِّ نَبِيّ رَهْبَانِيَّة، وَرَهْبَانِيَّة هَذِهِ الأُمَّة الجِهَاد فِي سَبِيل الله ﷻ». وَرَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى عَنْ عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن أَسْمَاء، عَنْ عَبْد الله بْن المُبَارَك بِهِ، وَلَفْظه: «لِكُلِّ أُمَّة رَهْبَانِيَّة، وَرَهْبَانِيَّة هَذِهِ الأُمَّة الجِهَاد فِي سَبِيل الله».[٢]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا حُسَيْن -هُوَ ابْن مُحَمَّد- حَدَّثَنَا ابن [عَيَّاش][٣] -يَعْنِي إِسْمَاعِيل- عَنْ الحَجَّاج [بْن مروان الكَلاعِيّ، وَعُقَيْل بْن مُدْرك السُّلَمِيّ][٤] عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَال: أَوْصِنِي. فَقَال: «سَأَلتَ عَمَّا سَأَلتُ عَنْهُ رَسُول الله ﷺ مِنْ قَبْلك؛ أُوصِيك بِتَقْوَى الله، فَإِنَّهُ رَأْس كُلّ شَيْء، وَعَلَيْك بِالجِهَاد، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّة الإِسْلام، وَعَلَيْك بِذِكْر الله وَتِلاوَة القُرْآن، فَإِنَّهُ رُوحك فِي السَّمَاء وَذِكْرك فِي الأَرْض»[٥]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

قَدْ تَقَدَّمَ فِي رِوَايَة النَّسَائِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ حَمَل هَذِهِ الآيَة عَلى مُؤْمِنِي أَهْل الكِتَاب، وَأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ أَجْرهمْ مَرَّتَيْنِ، كَمَا فِي الآيَة الَّتِي فِي القَصَص، وَكَمَا فِي حَدِيث الشَّعْبِيّ عَنْ أَبِي بُرْدَة، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**ثَلاثَة يُؤْتَوْنَ أَجْرهمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُل مِنْ أَهْل الكِتَاب آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْد مَمْلُوك أَدَّى حَقّ الله وَحَقّ مَوَالِيه فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُل أَدَّبَ أَمَته فَأَحْسَن تَأْدِيبهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ**»[٦]. أَخْرَجَاه فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَوَافَقَ ابْن عَبَّاس عَلى هَذَا التَّفْسِير الضَّحَّاك وَعُتْبَة بْن أَبِي حَكِيم، وَغَيْرهمَا، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: لَمَّا افْتَخَرَ أَهْل الكِتَاب بِأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ أَجْرهمْ مَرَّتَيْنِ، أَنْزَل الله هَذِهِ الآيَة فِي حَقّ هَذِهِ الأُمَّة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾، أَيْ: ضِعْفَيْنِ، وَزَادَهُمْ ﴿ وَيَجْعَل

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦٩٤) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».
(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦)، وأبو يعلى (١٢٤٩) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٣٩).
(٣) في الأزهرية: [عياض].
(٤) سقط من الأزهرية.
(٥) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٨٢) بسند ضعيف، فيه عقيل بن مدرك السلمي: ضعيف. وإسماعيل بن عياش: روايته عن غير أهل بلده ضعيفة.
(٦) صحيح: تقدم.

لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يَعْنِي: هُدًى يُتَبَصَّر بِهِ مِنْ العَمَى وَالجَهَالة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ فَفَضَّلهُمْ بِالنُّورِ وَالمَغْفِرَة. ورَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْهُ.

وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وَقَال سَعِيد بْن عَبْد العَزِيز: سَأَل عُمَر بْن الخَطَّاب حَبْرًا مِنْ أَحْبَار يَهُود: كم أَفْضَل مَا ضُعِّفَ لكُمْ حَسَنَة؟ قَال: كِفْل ثَلاثِمِائَةٍ وخمسون حَسَنَة. قَال: فَحَمِدَ الله عُمَر عَلى أَنَّهُ أَعْطَانَا كِفْلَيْنِ. ثُمَّ ذَكَرَ سَعِيد قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾، قَال سَعِيد: وَالكِفْلانِ فِي الجُمُعَة مِثْل ذَلكَ. رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَمِمَّا يُؤَيِّد هَذَا القَوْل مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثنَا أَيُّوب، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَثَلكُمْ وَمَثَل اليَهُود وَالنَّصَارَى كَمَثَل رَجُل اسْتَعْمَل عُمَّالاً، فَقَال: مَنْ يَعْمَل لي مِنْ صَلاة الصُّبْح إِلى نِصْف النَّهَار عَلى قِيرَاط قِيرَاط؟ أَلا فَعَمِلتْ اليَهُود. ثُمَّ قَال: مَنْ يَعْمَل لي مِنْ نِصْفِ النّهارِ إِلى صَلاة العَصْر عَلى قِيرَاط قِيرَاط؟ أَلا فَعَمِلتْ النَّصَارَى. ثُمَّ قَال: مَنْ يَعْمَل لي مِنْ صَلاة العَصْر إِلى غُرُوب الشَّمْس عَلى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ أَلا فَأَنْتُمْ الَّذِينَ عَمِلتُمْ. فَغَضِبَتْ النَّصَارَى وَاليَهُود، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَر عَمَلاً وَأَقَلّ عَطَاء. قَال: هَل ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا. قَال: فَإِنَّمَا هُوَ فَضْلي أُوتِيه مَنْ أَشَاء». [1]

قَال أَحْمَد: وَحَدَّثَنَاهُ مُؤَمِّل، عَنْ سُفْيَان، عَنْ عَبْد الله بْن دِينَار، عَنْ ابْن عُمَر، نَحْو حَدِيث نَافِع، عَنْهُ. انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ البُخَارِيّ، فَرَوَاهُ عَنْ سُلَيْمان بْن حَرْب، عَنْ حَمَّاد، عَنْ نَافِع بِهِ، وَعَنْ قُتَيْبَة عَنْ اللَّيْث عَنْ نَافِع بِمِثْلِهِ.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن العَلاء، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، عَنْ بريد، عَنْ أَبِي بُرْدَة، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَثَل المُسْلمِينَ وَاليَهُود وَالنَّصَارَى كَمَثَل رَجُل استأجر قَوْمًا يَعْمَلُونَ لهُ عَملاً يَوْمًا إِلى اللَّيْل عَلى أَجْر مَعْلُوم، فَعَمِلُوا إِلى نِصْف النَّهَار، فَقَالُوا: لا حَاجَة لنَا إِلى أَجْرك الَّذِي شَرَطْت لنَا، وَمَا عَمِلنَا بَاطِل. فَقَال لهُمْ: لا تَفْعَلُوا، أَكْمِلُوا بَقِيَّة عَمَلكُمْ وَخُذُوا أَجْركُمْ كَامِلاً، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدهمْ فَقَال: أَكْمِلُوا بَقِيَّة يَوْمكُمْ وَلكُمْ الَّذِي شَرَطْت لهُمْ مِنْ الأَجْر. فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِين صَلَّوْا العَصْر قَالُوا: مَا عَمِلنَا بَاطِل، وَلك الأَجْر الَّذِي جَعَلت لنَا فِيهِ. فَقَال: أَكْمِلُوا بَقِيَّة عَمَلكُمْ؛ فَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْ النَّهَار يَسِيرًا. فَأَبَوْا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لهُ بَقِيَّة يَوْمهمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّة يَوْمهمْ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْس، فَاسْتَكْمَلُوا أَجْر الفَرِيقَيْنِ كِليْهِمَا فَذَلك مَثَلهمْ وَمَثَل مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّور» [2] انْفَرَدَ بِهِ البُخَارِيّ. ولهذا قال تَعَالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: ليَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ عَلى رَدّ مَا أَعْطَاهُ الله وَلا إِعْطَاء مَا مَنَعَ الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قَال ابْن جَرِير: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أَيْ: ليَعْلم. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّهُ قَرَأَهَا: ﴿لِكَيْ يَعْلَمَ﴾. وَكَذَا حطان بْن عَبْد الله، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، قَال ابْن جَرِير: لأَنَّ العَرَب تَجْعَل «لا» صِلة فِي كُلّ كَلام دَخَل فِي أَوَّله أو آخِره جَحْد غَيْر مُصَرَّح، فَالسَّابِق كَقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة الحَدِيد، ولله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٦٨).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٧١).

تفسير سورة المجادلة وهي مدنية

ترتيبها ٥٨ — وآياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الأَعْمَش، عَنْ تَمِيم بْن سَلَمَة، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: الحَمْد لله الَّذِي وَسِعَ سَمْعه الأَصْوَات، لقَدْ جَاءَتْ المُجَادِلة إِلى النَّبِيّ ﷺ تُكَلِّمهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَة البَيْت، مَا أَسْمَع مَا تَقُول، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إِلى آخِر الآيَة.[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي كِتَاب التَّوْحِيد تَعْلِيقًا، فَقَال: وَقَال الأَعْمَش: عَنْ تَمِيم بْن سَلَمَة عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة .. فَذَكَرَهُ. وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ، وَابْن أَبِي حَاتِم، وَابْن جَرِير مِنْ غَيْر وَجْه، عَنْ الأَعْمَش، بِهِ. وَفِي رِوَايَة لابْنِ أَبِي حَاتِم عَنْ الأَعْمَش، عَنْ تَمِيم بْن سَلَمَة، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة أَنَّهَا قَالتْ: تَبَارَكَ الَّذِي أَوْعَى سَمْعه كُلّ شَيْء، إِنِّي لأَسْمَع كَلام خَوْلة بِنْت ثَعْلبَة، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضه، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجهَا إِلى رَسُول الله ﷺ، وَهِيَ تَقُول: يَا رَسُول الله؛ أَكَل شَبَابِي، وَنَثَرْت لهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِليْك. قَالتْ: فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَل جِبْرِيل بِهَذِهِ الآيَة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. وقال: وَزَوْجهَا أَوْس بْن الصَّامِت. وَقَال ابْن لهِيعَة، عَنْ أَبِي الأَسْوَد، عَنْ عُرْوَة: هو أَوْس بْن الصَّامِت. وَكَانَ أَوْس امرءًا بِهِ لمَم، فَكَانَ إِذَا أَخَذَهُ لمَمه وَاشْتَدَّ بِهِ يُظَاهِر مِنْ امْرَأَته، وَإِذَا ذَهَبَ لمْ يَقُل شَيْئًا، فَأَتَتْ رَسُول الله ﷺ تَسْتَفْتِيه فِي ذَلكَ وَتَشْتَكِي إِلى الله، فَأَنْزَل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.. الآيَة.[2] وَهَكَذَا رواه هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ لمَم، فَذَكَرَ مِثْله.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل -أَبُو سَلمَة- حَدَّثَنَا جَرِير -يَعْنِي: ابْن حَازِم- قَال: سَمِعْت أَبَا يَزِيد يُحَدِّث قَال: لقِيَتْ امْرَأَةٌ عُمَرَ -يُقَال لهَا: خَوْلة بِنْت ثَعْلبَة- وَهُوَ يَسِير مَعَ النَّاس، فَاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لهَا وَدَنَا مِنْهَا وَأَصْغَى إِليْهَا رَأْسه، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلى مَنْكِبَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتهَا وَانْصَرَفَتْ. فَقَال لهُ رَجُل: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ حَبَسْت رِجَالات قُرَيْش عَلى هَذِهِ العَجُوز؟! قَال: وَيْحك! وَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ قَال: لا. قَال: هَذِهِ امْرَأَة سَمِعَ الله شَكْوَاهَا مِنْ فَوْق سَبْع سَمَوَات، هَذِهِ خَوْلة بِنْت ثَعْلبَة، وَالله لوْ لمْ تَنْصَرِف عَنِّي إِلى اللَّيْل مَا انْصَرَفْت عَنْهَا حَتَّى تَقْضِي حَاجَتهَا إِلى أَنْ تَحْضُر صَلاة فَأُصَلِّيهَا، ثُمَّ أَرْجِع إِليْهَا حَتَّى تَقْضِي حَاجَتهَا. هَذَا مُنْقَطِع بَيْن أَبِي يَزِيد وَعُمَر بْن الخَطَّاب. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْر هَذَا الوَجْه. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم أَيْضًا: حَدَّثَنَا المُنْذِر بْن شَاذَان، حَدَّثَنَا يَعْلى، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِر قَال: المَرْأَة الَّتِي جَادَلتْ فِي زَوْجهَا: خَوْلة بِنْت الصَّامِت، وَأُمّهَا مُعَاذَة الَّتِي أَنْزَل الله فِيهَا: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾. صَوَابه: خَوْلة امْرَأَة أَوْس بْن الصَّامِت.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦)، وفي سنده ابن لهيعة: وهو ضعيف.

ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سَعْد بْن إِبْرَاهِيم وَيَعْقُوب؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنِي مَعْمَر ابْن عَبْد الله بْن حَنْظَلَة، عَنْ يُوسُف بْن عَبْد الله بْن سَلام، عَنْ خُويلة بِنْت ثَعْلبَة قَالَتْ: فِيَّ -وَالله- وَفِي أَوْس بْن الصَّامِت أَنْزَل الله صَدْر سُورَة «الْمُجَادِلَة»، قَالَتْ: كُنْت عِنده وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقه، قَالَتْ: فَدَخَل عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْته بِشَيْءٍ فَغَضِبَ فَقَال: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمه سَاعَة، ثُمَّ دَخَل عَلَيَّ فَإِذَا هُوَ يُرِيدنِي عَنْ نَفْسِي، قَالَتْ: قُلت: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْس خُوَيْلة بِيَدِهِ لا تَخْلُصُ إِلَيَّ، وَقَدْ قُلت مَا قُلت حَتَّى يَحْكُم الله وَرَسُوله فِينَا بِحُكْمِهِ، قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي وامتنعت مِنْهُ، فَغَلَبْته بِمَا تَغْلب بِهِ الْمَرْأَة الشَّيْخ الضَّعِيف، فَأَلْقَيْته عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْت إِلَى بَعْض جَارَاتِي، فَاسْتَعَرْت مِنْهَا ثِيَابًا، ثُمَّ خَرَجْت حَتَّى جِئْت رَسُول الله ﷺ فَجَلَسْت بَيْن يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لقِيت مِنْهُ، وَجَعَلت أَشْكُو إِلَيْهِ مَا أَلْقَى مِنْ سُوء خُلُقه، قَالَتْ: فَجَعَل رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**يَا خُوَيْلة، ابْن عَمّك شَيْخ كَبِير، فَاتَّقِي الله فِيهِ**». قَالَتْ: فَوَالله مَا بَرِحْت حَتَّى نَزَل فِيَّ الْقُرْآن، فَتَغَشَّى رَسُول الله ﷺ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَال: «**يَا خُوَيْلة، قَدْ أَنْزَل الله فِيك وَفِي صَاحِبك**»، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قَالَتْ: فَقَال لِي رَسُول الله ﷺ: «**مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَة**». قَالَتْ: فَقُلت: يَا رَسُول الله؛ مَا عِنْده مَا يُعْتِق. قَال: «**فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**». قَالَتْ: فَقُلت: وَالله إِنَّهُ لَشَيْخ كَبِير، مَا بِهِ مِنْ صِيَام. قَال: «**فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَسْقًا مِنْ تَمْر**». قَالَتْ: فَقُلت: يَا رَسُول الله؛ مَا ذَاكَ عِنْده. قَالَتْ: فَقَال رَسُول الله ﷺ «**فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعرقٍ مِنْ تَمْر**». قَالَتْ: فَقُلت: يَا رَسُول الله، وَأَنَا سَأُعِينُهُ بِعرقٍ آخَر. قَال: «**قَدْ أَصَبْت وَأَحْسَنْت، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي بِهِ عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمّك خَيْرًا**». قَالَتْ: فَفَعَلت.(١) وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي كِتَاب الطَّلَاق مِنْ «سُنَنه» مِنْ طَرِيقَيْنِ، عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار، بِهِ. وَعِنْده: خَوْلة بِنْت ثَعْلبَة، وَيُقَال فِيهَا: خَوْلة بِنْت مَالك بْن ثَعْلبَة. وَقَدْ تُصَغَّر فَيُقَال: خُوَيْلة. وَلا مُنَافَاة بَيْن هَذِهِ الأَقْوَال، فَالأَمْر فِيهَا قَرِيب، وَالله أَعْلم.

هَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي سَبَب نُزُول صدر هَذِهِ السُّورَة، فَأَمَّا حَدِيث سَلَمَة بْن صَخْر فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ سَبَب النُّزُول، وَلكِنْ أُمِرَ بِمَا أَنْزَل الله فِي هَذِهِ السُّورَة، مِنْ العِتْق أَوْ الصِّيَام أَوْ الإِطْعَام، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن عَطَاء، عَنْ سُلَيْمَان بْن يَسَار، عَنْ سَلَمَة بْن صَخْر الأَنْصَارِيّ قَال: كُنْت امرءًا قَدْ أُوتِيت مِنْ جِمَاع النِّسَاء مَا لَمْ يُؤْتَ غَيْرِي، فَلَمَّا دَخَل رَمَضَان تَظَهَّرْت مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخ رَمَضَان، فَرَقًا مِنْ أَنْ أُصِيب فِي لَيْلَتِي شَيْئًا فَأَتَابع فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُدْرِكَنِي النَّهَار، وَأَنَا لا أَقْدِر أَنْ أَنْزِع، فَبَيْنَمَا هِيَ تَخْدُمنِي مِنْ اللَّيْل إِذْ تَكَشَّفَ لِي مِنْهَا شَيْء، فَوَثَبْت عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْت غَدَوْت عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتهمْ خَبَرِي، وَقُلت: انْطَلقُوا مَعِي إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَأُخبِرهُ بِأَمْرِي. فَقَالُوا: لا، وَالله لا نَفْعَل، نَتَخَوَّف أَنْ يَنْزِل فِينَا -أَوْ: يَقُول فِينَا رَسُول الله ﷺ مَقَالة يَبْقَى عَلَيْنَا عَارهَا، وَلكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لك. قَال: فَخَرَجْت حَتَّى أَتَيْت النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرْته خَبَرِي. فَقَال لِي: «**أَنْتَ بِذَاكَ؟**». فَقُلت: أَنَا بِذَاكَ. فَقَال: «**أَنْتَ بِذَاكَ؟**». فَقُلت: أَنَا بِذَاكَ. قَال: «**أَنْتَ بِذَاكَ؟**». قُلت: نَعَمْ، هَأَنَذَا فَأَمْضِ فِيَّ حُكْم الله تعالى فَإِنِّي صَابِر لهُ. قَال: «**اعْتِقْ رَقَبَة**». قَال:

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٢١٤)، وأحمد (٦/ ٤١٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

فَضَرَبْت صَفْحَة رَقَبَتِي بِيَدِي وَقُلت: لا، وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا أَصْبَحْت أَمْلك غَيْرهَا. قَال: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ». قُلت: يَا رَسُول الله، وَهَل أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَام؟! قَال: «فَتَصَدَّقَ». فَقُلت: وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ لَقَدْ بِتْنَا لَيْلتنَا هَذِهِ وَحْشَى مَا لنَا عَشَاء. قَال: «اذْهَبْ إِلى صَاحِب صَدَقَة بَنِي زُرَيْق فَقُل لهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْك، فَأَطْعِمْ عَنْك مِنْهَا وَسْقًا مِنْ تَمْر سِتِّينَ مِسْكِينًا، ثُمَّ اسْتَعِنْ بِسَائِرِهِ عَلَيْك وَعَلى عِيَالك». قَال: فَرَجَعْت إِلى قَوْمِي فَقُلت: وَجَدْت عِنْدكُمْ الضِّيق وَسُوء الرَّأْي، وَوَجَدْت عِنْد رَسُول الله ﷺ السَّعَة وَالبَرَكَة، قَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ، فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ فَدَفَعُوهَا إِلَيَّ.[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن مَاجَهْ، وَاخْتَصَرَهُ التِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ. وَظَاهِر السِّيَاق أَنَّ هَذِهِ القِصَّة كَانَتْ بَعْد قِصَّة أَوْس بْن الصَّامِت وَزَوْجَته خُوَيْلة بِنْت ثَعْلبَة، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاق تِلكَ وَهَذِهِ بَعْد التَّأَمُّل.

قَال خُصَيْف: عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَوَّل مَنْ ظَاهَرَ مِنْ امْرَأَته أَوْس بْن الصَّامِت، أَخُو عُبَادَة بْن الصَّامِت، وَامْرَأَته خَوْلة بِنْت ثَعْلبَة بْن مَالك، فَلَمَّا ظَاهَرَ مِنْهَا خَشِيَتْ أَنْ يَكُون ذَلكَ طَلاقًا، فَأَتَتْ رَسُول الله ﷺ فَقَالتْ: «يَا رَسُول الله، إِنَّ أَوْسًا ظَاهَرَ مِنِّي، وَإِنَّا إِنْ افْتَرَقْنَا هَلكْنَا، وَقَدْ نَثَرْت بَطْنِي مِنْهُ وَقَدَّمْت صُحْبَته». وَهِيَ تَشْكُو ذَلكَ وَتَبْكِي، وَلمْ يَكُنْ جَاءَ فِي ذَلكَ شَيْء، فَأَنْزَل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، إِلى قَوْله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فَدَعَاهُ رَسُول الله ﷺ فَقَال: «أَتَقْدِرُ عَلى رَقَبَة تُعْتِقهَا؟». قَال: لا وَالله يَا رَسُول الله مَا أَقْدِر عَليْهَا. قَال: فَجَمَعَ لهُ رَسُول الله ﷺ حَتَّى أَعْتَقَ عنه، ثُمَّ رَاجَعَ أَهْله.[2] رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَلهَذَا ذَهَبَ ابْن عَبَّاس وَالأَكْثَرُونَ إِلى مَا قُلنَاهُ، وَالله أَعْلم. فَقَوْله تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾: أَصْل الظِّهَار مُشْتَقّ مِنْ الظَّهْر، وَذَلكَ أَنَّ الجَاهِليَّة كَانُوا إِذَا تظاهر أَحَدهمْ مِنْ امْرَأَته قَال لهَا: أَنْتِ عَليَّ كَظَهْرِ أُمِّي. ثُمَّ فِي الشَّرْع كَانَ الظِّهَار فِي سَائِر الأَعْضَاء قِيَاسًا عَلى الظَّهْر، وَكَانَ الظِّهَار عِنْد الجَاهِليَّة طَلاقًا، فَأَرْخَصَ الله لهَذِهِ الأُمَّة وَجَعَل فِيهِ كَفَّارَة، وَلمْ يَجْعَلهُ طَلاقًا كَمَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَهُ فِي جَاهِليَّتهمْ. هَكَذَا قَال غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى، عَنْ أَبِي حَمْزَة، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: كَانَ الرَّجُل إِذَا قَال لامْرَأَتِهِ فِي الجَاهِليَّة: أَنْتِ عَليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، حُرِّمَتْ عَليْهِ، فَكَانَ أَوَّل مَنْ ظَاهَرَ فِي الإِسْلام أَوْس، وَكَانَ تَحْته ابْنَة عَمّ لهُ يُقَال لهَا «خُوَيْلة بِنْت خويلد» فَظَاهَرَ مِنْهَا، فَأَسْقَطَ فِي يَدَيْهِ، وَقَال: مَا أَرَاك إِلَّا قَدْ حُرِّمْت عَليَّ. وَقَالتْ لهُ مِثْل ذَلكَ، قَال: فَانْطَلقِي إِلى رَسُول الله ﷺ. فَأَتَتْ رَسُول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه، فقال: «يا خويلة، ما أمرنا في أمرك بشيء». فأنزل الله على رسوله ﷺ، فَقَال: «يَا خُوَيْلة أَبْشِرِي». قَالتْ: خَيْرًا. فَقَرَأَ عَليْهَا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾، إِلى قَوْله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ قَالتْ: وَأَيّ رَقَبَة لنَا؟ وَالله مَا يَجِد رَقَبَة غَيْرِي. قَال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، قَالتْ: وَالله لوْلا أَنَّهُ يَشْرَب فِي اليَوْم ثَلاث مَرَّات لذَهَبَ بَصَره! قَال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾، قَالتْ: مِنْ أَيْنَ؟ مَا هِيَ إِلَّا أَكْلة إِلى مِثْلهَا قَال: فَدَعَا بِشَطْرِ وَسْق -ثَلاثِينَ صَاعًا، وَالوَسْق: سِتُّونَ صَاعًا- فَقَال: «ليُطْعِم سِتِّينَ مِسْكِينًا وَليُرَاجِعك»[3].
وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد قَوِيّ وَسِيَاق غَرِيب، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي العَالِيَة نَحْو هَذَا.

فَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن الهَرَوِيّ، حَدَّثَنَا عَلي بْن عَاصِم، عَنْ دَاوُد بْن أَبِي هِنْد، عَنْ

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٢١٣).
(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣)، وإسناده ضعيف.
(٣) حسن لغيره: رواه الطبري (٢٨/ ٣)، وفيه أبو حمزة الثمالي: ضعيف. وله شواهد.

أَبِي العَالِيَة قَال: كَانَتْ خَوْلة بِنْت دُلَيْج تَحْت رَجُل مِنْ الأَنْصَار، وَكَانَ ضَرِير البَصَر فَقِيرًا سَيِّئ الخُلُق، وَكَانَ طَلاق أَهْل الجَاهِلِيَّة إِذَا أَرَادَ الرَّجُل أَنْ يُطَلِّق امْرَأَته، قَال: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. وَكَانَ لهَا مِنْهُ عَيِّل أَوْ عَيِّلانِ، فَنَازَعَتْهُ يَوْمًا فِي شَيْء، فَقَال: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. فَاحْتَمَلَتْ عَلَيْهَا ثِيَابهَا حَتَّى دَخَلتْ عَلى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ فِي بَيْت عَائِشَة، وَعَائِشَة تَغْسِل شِقّ رَأْسه فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ وَمَعَهَا عَيِّلهَا، فَقَالتْ: يَا رَسُول الله، إِنَّ زَوْجِي ضَرِير البَصَر، فَقِير لا شَيْء لهُ، سَيِّئ الخُلُق، وَإِنِّي نَازَعْته فِي شَيْء فَغَضَب، فَقَال: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، وَلمْ يُرِدْ بِهِ الطَّلاق، وَلِيَ مِنْهُ عَيِّل أَوْ عَيِّلانِ، فَقَال: «**مَا أَعْلمك إِلاَّ قَدْ حُرِّمْت عَليْهِ**». فَقَالتْ: أَشْكُو إِلى الله مَا نَزَل بِي وَأَبَا صَبِيَّتِي قَال: وَدَارَتْ عَائِشَة فَغَسَلتْ شِقّ رَأْسه الآخَر، فَدَارَتْ مَعَهَا، فَقَالتْ: يَا رَسُول الله، زَوْجِي ضَرِير البَصَر، فَقِير سَيِّئ الخُلُق، وَإِنَّ لِي مِنْهُ عَيِّلًا أَوْ عَيِّلَيْنِ، وَإِنِّي نَازَعْته فِي شَيْء فَغَضِبَ، وَقَال: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، وَلمْ يُرِدْ بِهِ الطَّلاق! قَالتْ: فَرَفَعَ إِلَيَّ رَأْسه وَقَال: «**مَا أَعْلمك إِلاَّ قَدْ حُرِّمْت عَليْهِ**». فَقَالتْ: أَشْكُو إِلى الله مَا نَزَل بِي وَأَبَا صَبِيَّتِي قَال: وَرَأَتْ عَائِشَة وَجْه النَّبِيِّ ﷺ تَغَيَّرَ، فَقَالتْ لهَا: وَرَاءَك وَرَاءَك. فَتَنَحَّتْ، فَمَكَثَ رَسُول الله ﷺ فِي غَشَيَانه ذَلكَ مَا شَاءَ الله، فَلَمَّا انْقَطَعَ الوَحْي قَال: «**يَا عَائِشَة، أَيْنَ المَرْأَة؟**» فَدَعَتْهَا، فَقَال لهَا رَسُول الله ﷺ : «**اذْهَبِي فَأْتِينِي بِزَوْجِك**». فَانْطَلَقَتْ تَسْعَى فَجَاءَتْ بِهِ، فَإِذَا هُوَ كَمَا قَالتْ ضَرِير البَصَر، فَقِير، سَيِّئ الخُلُق.

فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «**أَسْتَعِيذ بِالله السَّمِيع العَلِيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾** إِلى قَوْله: **﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾** قَال النَّبِيّ ﷺ : «**أَتَجِدُ رَقَبَة تُعْتِقهَا مِنْ قَبْل أَنْ تَمَسّهَا؟**». قَال: لا. قَال: «**أَتَسْتَطِيع أَنْ تَصُوم شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**». قَال: وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ، إِنِّي إِذَا لمْ آكُل المَرَّتَيْنِ وَالثَّلاث يَكَاد أَنْ يَعْشُو بَصَرِي. وقَال: «**أَفَتَسْتَطِيع أَنْ تُطْعِم سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**». قَال: لا، إِلَّا أَنْ تُعِينَنِي. قَال: فَأَعَانَهُ رَسُول الله ﷺ ، فَقَال: «**أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا**». قَال: وَحَوَّل الله الطَّلاق، فَجَعَلهُ ظِهَارًا. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ ابْن المُثَنَّى، عَنْ عَبْد الأَعْلى، عَنْ دَاوُد، سَمِعْت أَبَا العَالِيَة، فذكره نَحْوه، بِأَخْصَر مِنْ هَذَا السِّيَاق.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: كَانَ الإِيلاء وَالظِّهَار مِنْ طَلاق الجَاهِلِيَّة، فَوَقَّتَ الله الإِيلاء أَرْبَعَة أَشْهُر، وَجَعَل فِي الظِّهَار الكَفَّارَة، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، بِنَحْوِهِ. وَقَدْ اسْتَدَلَّ الإِمَام مَالك عَلى أَنَّ الكَافِر لا يَدْخُل فِي هَذِهِ الآيَة بِقَوْلهِ: **﴿مِنكُمْ﴾** فَالخِطَاب للمُؤْمِنِينَ، وَأَجَابَ الجُمْهُور بِأَنَّ هَذَا خَرَجَ مَخْرَج الغَالب فَلا مَفْهُوم لهُ، وَاسْتَدَلَّ الجُمْهُور عَليْهِ بِقَوْلهِ: **﴿مِّن نِّسَآئِهِمْ﴾**، عَلى أَنَّ الأَمَة لا ظِهَار مِنْهَا، وَلا تَدْخُل فِي هَذَا الخِطَاب.

وَقَوْله تَعَالى: **﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ﴾** أَيْ: لا تَصِير المَرْأَة بِقَوْل الرَّجُل: «أَنْتِ عَلَيَّ كَأُمِّي»، أَوْ: «**مِثْل أُمِّي**»، أَوْ: «كَظَهْرِ أُمِّي»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلكَ، لا تَصِير أُمّه بِذَلكَ، إِنَّمَا أُمّه الَّتِي وَلدَتْهُ؛ وَلهَذَا قَال: **﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ﴾**، أَيْ: كَلامًا فَاحِشًا بَاطِلًا، **﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾**، أَيْ: عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي حَال الجَاهِلِيَّة. وَهَكَذَا أَيْضًا عَمَّا خَرَجَ مِنْ سَبْق اللِّسَان، وَلمْ يَقْصِد إِليْهِ المُتَكَلِّم، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد: أَنَّ رَسُول الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُول لامْرَأَتِهِ: يَا أُخَيَّتِي. فَقَال: «**أُخْتك هِيَ؟!**»[1]. فَهَذَا إِنْكَار، وَلكِنْ لمْ يُحَرِّمهَا عَليْهِ بِمُجَرَّدِ ذَلكَ؛ لأَنَّهُ لمْ يَقْصِده، وَلوْ قَصَدَهُ لحُرِّمَتْ عَليْهِ؛ لأَنَّهُ لا فَرْق عَلى الصَّحِيح بَيْن الأُمّ وَبَيْن غَيْرهَا مِنْ سَائِر المَحَارِم مِنْ أُخْت وَعَمَّة وَخَالة وَمَا أَشْبَهَ ذَلكَ.

وَقَوْله: **﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾** اخْتَلفَ السَّلف وَالأَئِمَّة فِي المُرَاد بِقَوْلهِ: **﴿ثُمَّ يَعُودُونَ**

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٢٢١٠) مرسلاً، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٢٢١٠).

لِمَا قَالُواْ﴾ فَقَال بَعْض النَّاس: العَوْد هُوَ أَنْ يَعُود إِلى لفْظ الظِّهَار فَيُكَرِّرهُ، وَهَذَا القَوْل بَاطِل، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن حَزْم، وَقَوْل دَاوُد، وحَكَاهُ أَبُو عُمَر بْن عَبْد البَرّ عَنْ بُكَيْر بْن الأَشَجّ، وَالفَرَّاء وَفِرْقَة مِنْ أَهْل الكَلام. وَقَال الشَّافِعِيّ: هُوَ أَنْ يُمْسِكهَا بَعْد الظهار زَمَانًا يُمْكِنهُ أَنْ يُطَلِّق فِيهِ فَلا يُطَلِّق. وَقَال أَحْمَد بْن حَنْبَل: هُوَ أَنْ يَعُود إِلى الجِمَاع، أَوْ يَعْزِم عَلَيْهِ فَلا يحل لهُ حَتَّى يُكَفِّر بِهَذِهِ الكَفَّارَة. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ مَالك أَنَّهُ العَزْم عَلى الجِمَاع والإِمْسَاك، وَعَنْهُ أَنَّهُ الجِمَاع. وَقَال أَبُو حَنِيفَة: هُوَ أَنْ يَعُود إِلى الظِّهَار بَعْد تَحْرِيمه، وَرَفْع مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمْر الجَاهِلِيَّة، فَمَتَى تظاهر الرَّجُل مِنْ امْرَأَته فَقَدْ حَرَّمَهَا تَحْرِيمًا لا يَرْفَعهُ إِلَّا الكَفَّارَة. وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَصْحَابه، وَاللَّيْث بْن سَعْد. وَقَال ابْن لِهِيعَة: حَدَّثَنِي عَطَاء عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ يَعْنِي: يُرِيدُون أَنْ يَعُودُوا فِي الجِمَاع الَّذِي حَرَّمُوهُ عَلى أَنْفُسهمْ.

وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: يَعْنِي: الغَشَيَان فِي الفَرْج. وَكَانَ لا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَغْشَى فِيمَا دُون الفَرْج قَبْل أَنْ يُكَفِّر.

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ وَالمَسّ: النِّكَاح. وَكَذَا قَال عَطَاء، وَالزُّهْرِيّ، وَقَتَادَة، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان. وَقَال الزُّهْرِيّ: لَيْسَ لهُ أَنْ يُقَبِّلهَا وَلا يَمَسّهَا حَتَّى يُكَفِّر. وَقَدْ رَوَى أَهْل السُّنَن مِنْ حَدِيث عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ أَنَّ رَجُلًا قَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي ظَاهَرْت مِنْ امْرَأَتِي فَوَقَعْت عَلَيْهَا قَبْل أَنْ أُكَفِّر. فَقَال: «**مَا حَمَلكَ عَلى هَذا يَرْحَمكَ الله**». قَال: رَأَيْت خَلخَالهَا فِي ضَوْء القَمَر. قَال: «**فَلا تَقْرَبهَا حَتَّى تَفْعَل مَا أَمَرَك الله عَزَّ وَجَلَّ**».[1] وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن غَرِيب صَحِيح، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث عِكْرِمَة مُرْسَلًا. قَال النَّسَائِيّ: وَهُوَ أَوْلى بِالصَّوَاب.

وَقَوْله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، أَيْ: فَإِعْتَاق رَقَبَة كَامِلة مِنْ قَبْل أَنْ يَتَمَاسَّا، فَهَاهُنَا الرَّقَبَة مُطْلَقَة غَيْر مُقَيَّدَة بِالإِيمَانِ، وَفِي كَفَّارَة القَتْل مُقَيَّدَة بِالإِيمَانِ، فَحَمَل الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أُطْلق هَهُنَا عَلى مَا قُيِّدَ هُنَاكَ لاتِّحَادِ المُوجِب، وَهُوَ عِتْق الرَّقَبَة، وَاعْتَضَدَ فِي ذَلِكَ بِمَا رَوَاهُ عَنْ مَالك بِسَنَدِهِ، عَنْ مُعَاوِيَة بْن الحَكَم السُّلمِيّ، فِي قِصَّة الجَارِيَة السَّوْدَاء، وَأَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة**»[2]. وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَد فِي «مُسْنَده»، وَمُسْلم فِي «صَحِيحه». وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا يُوسُف بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن نُمَيْر، عَنْ إِسْمَاعِيل بن مُسْلم، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ طَاوُس، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: أَتَى رَسُول الله ﷺ رَجُلٌ فَقَال: إِنِّي تظاهرت مِنْ امْرَأَتِي ثُمَّ وَقَعْت عَليْهَا قَبْل أَنْ أُكَفِّر، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَلَمْ يَقُل الله ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾؟». قَال: أَعْجَبَتْنِي. قَال: «أَمْسِكْ حَتَّى تُكَفِّر»[3]. ثُمَّ قَال البَزَّار: لا يُرْوَى عَنْ ابْن عَبَّاس بِأَحْسَن مِنْ هَذَا، وَإِسْمَاعِيل بْن مُسلِّم تَكَلَّمَ فِيهِ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَة كَثِيرَة مِنْ أَهْل العِلم. وَفِيهِ مِنْ الفِقْه أَنَّهُ لمْ يَأْمُرهُ إِلَّا بِكَفَّارَةٍ وَاحِدَة.

وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ أَيْ: تُزْجَرُونَ بِهِ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَيْ: خَبِير بِمَا يُصْلحكُمْ، عَليم بِأَحْوَالكُمْ. وقوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾. وقَدْ تَقَدَّمَتْ الأَحَادِيث الواردة بِهَذَا عَلى التَّرْتِيب، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» فِي قِصَّة الَّذِي جَامَعَ امْرَأَته فِي رَمَضَان.[4] ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ أَيْ: شَرَعْنَا هَذَا لهَذَا. وَقَوْله: ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾، أَيْ: محَارِمه فَلا تَنْتَهِكُوهَا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).
(٣) **ضعيف**: قال الحافظ الزيلعي في «نصب الراية»: فيه إسماعيل بن مسلم تُكلم فيه.
(٤) أخرجه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

وَقَوْله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أَيْ: الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلا التَزَمُوا بِأَحْكَامِ هَذِهِ الشَّرِيعَة، لا تَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ البَلاء، كَلَّا لَيْسَ الأَمْر كَمَا زَعَمُوا، بَل لَهُمْ عَذَاب أَلِيم، أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَمَّنْ شَاقُّوا الله وَرَسُوله وَعَانَدُوا شَرْعه، ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أَيْ: أُهِينُوا وَلُعِنُوا وَأُخْزُوا، كَمَا فُعِلَ بِمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِمَّنْ قَبْلهمْ، ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، أَيْ: وَاضِحَات لا يُخَالِفهَا وَيُعَانِدهَا إِلَّا كَافِر فَاجِر مُكَابِر، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أَيْ: فِي قِبَالَةِ مَا اسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاع شَرْع الله، وَالانْقِيَاد لَهُ، وَالخُضُوع لَدَيْهِ.

ثم قَالَ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، وَذَلِكَ يَوْم القِيَامَة، يَجْمَع الله الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيد وَاحِد، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾، أَيْ: فَيُخْبِرهُمْ بِالَّذِي صَنَعُوا مِنْ خَيْر وَشَرّ، ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أَيْ: ضَبَطَهُ الله وَحَفِظَهُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ قَدْ نَسُوا مَا كَانُوا عَمِلُوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أَيْ: لا يَغِيب عَنْهُ شَيْء، وَلا يَخْفَى، وَلا يَنْسَى شَيْئًا. ثم قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِحَاطَة عِلمه بِخَلْقِهِ وَاطِّلاعه عَلَيْهِمْ، وَسَمَاعه كَلامهمْ، وَرُؤْيَته مَكَانهمْ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا فَقَال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، أَيْ: مِنْ سِرّ ثَلاثه ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾، أَيْ: يطَّلع عَلَيْهِمْ وَيَسْمَع كَلامهمْ وَسِرّهمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَرُسُله أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ تَكْتُب مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، مَعَ عِلم الله وَسَمْعه لَهُم، كَمَا قَالَ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾. وَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ وَلِهَذَا حَكَى غَيْر وَاحِد الإِجْمَاع عَلَى أَنَّ المُرَاد بِهَذِهِ الآيَة مَعِيَّة عِلم الله تَعَالَى، وَلا شَكّ فِي إِرَادَة ذَلِكَ، وَلَكِنْ سَمْعه أَيْضًا مَعَ عِلمه محيط بِهِمْ، وَبَصَره نَافِذ فِيهِمْ، فَهُوَ سُبْحَانه مُطَّلع عَلَى خَلقه، لا يَغِيب عَنْهُ مِنْ أُمُورهمْ شَيْء. ثُمَّ قَال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: افْتَتَحَ الآيَة بِالعِلم، وَاخْتَتَمَهَا بِالعِلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

قَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ قَال: اليَهُود. وَكَذَا قَال مُقَاتِل بْن حَيَّان، وَزَادَ: كَانَ بَيْنَ النَّبِيّ ﷺ وَبَيْنَ اليَهُود مُوَادَعَة، وَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ الرَّجُل مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ بَيْنهمْ، حَتَّى يَظُنّ المُؤْمِن أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ -أَوْ: بِمَا يَكْرَه المُؤْمِن-، فَإِذَا رَأَى المُؤْمِن ذَلِكَ خَشِيَهُمْ، فَتَرَكَ طَرِيقه عَلَيْهِمْ. فَنَهَاهُمْ النَّبِيّ ﷺ عَنْ النَّجْوَى، فَلَمْ يَنْتَهُوا وَعَادُوا إِلَى النَّجْوَى، فَأَنْزَل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾.(1)

---

(١) مرسل ضعيف.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثنَا إِبْرَاهِيم بْن الْمُنْذِر الحزامي، حَدَّثَنِي سُفْيَان بْن حَمْزَة، عَنْ كَثِير بنْ زَيْد، عَنْ رُبَيْح بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه قَال: كُنَّا نَتَنَاوَب رَسُول الله ﷺ نَبِيت عِنْده؛ يَطْرُقهُ مِنْ اللَّيْل أَمْر، وَتَبْدُو لهُ حَاجَة؛ فَلَمَّا كَانَتْ ذَات لَيْلَة كَثُر أَهْل النَّوْب وَالْمُحْتَسِبُونَ، حَتَّى كُنَّا أَنْدِيَة نتحَدَّث، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ فَقَال: «مَا هذا النَّجْوَى؟ أَلَمْ تُنْهَوْا عَنْ النَّجْوَى؟». قُلنَا: تُبْنَا إِلى الله يَا رَسُول الله؛ إِنَّا كُنَّا فِي ذِكْر الْمَسِيح، فَرَقًا مِنْهُ. فَقَال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَف عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْهُ!». قُلنَا: بَلى يَا رَسُول الله؟ قَال: «الشِّرْك الخَفِيّ أَنْ يَقُوم الرَّجُل يَعْمَل لِمَكَانِ رَجُل»[1]. هَذَا إِسْنَاد غَرِيب وَفِيهِ بَعْض الضُّعَفَاء.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أَيْ: يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنهمْ بِالإِثْم وَهُوَ مَا يَخْتَصّ بِهِمْ، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّق بِغَيْرِهِمْ، وَمِنْهُ مَعْصِيَة الرَّسُول وَمُخَالَفته يُصِرُّونَ عَلَيْهَا وَيَتَوَاصَوْنَ بِهَا.
وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر عَنْ الأَعْمَش عَنْ مَسْرُوق عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: دَخَل عَلى رَسُول الله ﷺ يَهُود، فَقَالُوا: السَّام عَليْك يَا أَبَا القَاسِم، فَقَالتْ عَائِشَة: وَعَليْكُمْ السَّام، قَالتْ: فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«يَا عَائِشَة؛ إِنَّ الله لا يُحِبّ الفُحْش وَلا التَّفَحُّش»**. قُلت: أَلا تَسْمَعهُمْ يَقُولُونَ السَّام عَليْك؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«أَوَ مَا سَمِعْت أَقُول: وَعَليْكُمْ»**. فَأَنْزَل الله تَعَالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾. وَفِي رِوَايَة فِي «الصَّحِيح» أَنَّهَا قَالتْ لهُمْ: عَليْكُمْ السَّام وَالذَّام وَاللَّعْنَة، وَأَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّهُ يُسْتَجَاب لنَا فِيهِمْ، وَلا يُسْتَجَاب لهُمْ فِينَا»**.[2]

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا بِشْر، حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس بْن مَالك؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالس مَعَ أَصْحَابه، إِذْ أَتَى عَليْهِمْ يَهُودِيّ فَسَلَّمَ عَليْهِمْ، فَرَدُّوا عَليْهِ، فَقَال نَبِيّ الله ﷺ: **«هَل تَدْرُونَ مَا قَال؟»**. قَالُوا: سَلَّمَ يَا رَسُول الله. قَال: **«بَل قَال: سَام عَليْكُمْ»**. أَيْ: تُسَامُونَ دِينكُمْ. قَال رَسُول الله ﷺ: **«رُدُّوهُ»**. فَرَدُّوهُ عَليْهِ، فَقَال نَبِيّ الله: **«أَقُلت: سَام عَليْكُمْ؟»**. قَال: نَعَمْ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«إِذَا سَلَّمَ عَليْكُمْ أَحَد مِنْ أَهْل الكِتَاب فَقُولُوا: عَليْك»**.[3] أَيْ: عَليْك مَا قُلت. وَأَصْل حَدِيث أَنَس مُخَرَّج فِي «الصَّحِيح»، وَهَذَا الحَدِيث فِي «الصَّحِيح» عَنْ عَائِشَة نَحْوه.

وَقَوْله: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أَيْ: يَفْعَلُونَ هَذَا، وَيَقُولُونَ مَا يُحَرِّفُونَ مِنْ الكَلام وَإِيهَام السَّلام، وَإِنَّمَا هُوَ شَتْم فِي البَاطِن، وَمَعَ هَذَا يَقُولُونَ فِي أَنْفُسهمْ: لوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لعَذَّبَنَا الله بِمَا نَقُول لهُ فِي البَاطِن، لأَنَّ الله يَعْلم مَا نُسِرّهُ، فَلوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا حَقًّا لأَوْشَكَ أَنْ يُعَاجِلنَا الله بِالعُقُوبَة فِي الدُّنْيَا، فَقَال الله تَعَالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، أَيْ: جَهَنَّم كِفَايَتهمْ فِي الدَّار الآخِرَة، ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرو؛ أَنَّ اليَهُود كَانُوا يَقُولُونَ لرَسُول الله ﷺ: سَام عَليْكَ، ثُمَّ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسهمْ: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾؟ فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4]. إِسْنَاد حَسَن وَلمْ يُخَرِّجُوهُ.

---

(١) **ضعيف**: فيه ربيع بن عبد الرحمن: مقبول كما في التقريب.
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٦٩٢٦).
(٤) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾، قَال: كَانَ المُنَافِقُونَ يَقُولُونَ لِرَسُول الله ﷺ إِذَا حَيَّوْهُ: سَام عَلَيْك، قَال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ثُمَّ قَال الله مُؤَدِّبًا عِبَاده المُؤْمِنِينَ أَنْ لا يَكُونُوا مِثْل الكَفَرَة وَالمُنَافِقِينَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أَيْ: كَمَا يَتَنَاجَى بِهِ الجَهَلَة مِنْ كَفَرَة أَهْل الكِتَاب وَمَنْ مَالأَهُمْ عَلَى ضَلالهمْ مِنْ المُنَافِقِينَ، ﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أَيْ: فَيُخْبِركُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالكُمْ وَأَقْوَالكُمْ الَّتِي قد أَحْصَاهَا عَلَيْكُمْ وَسَيَجْزِيكُمْ بِهَا. وقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا بَهْز وَعَفَّان؛ قَالا: أَخْبَرَنَا هَمَّام، حدثنا قَتَادَة، عَنْ صَفْوَان بْن مُحْرِز؛ قَال: كُنْت آخِذًا بِيَدِ ابْن عُمَر، إِذْ عَرَض لهُ رَجُل، فَقَال: كَيْفَ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي النَّجْوَى يَوْم القِيَامَة؟ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ الله يُدْنِي المُؤْمِن فَيَضَع عَلَيْهِ كَنَفه وَيَسْتُرهُ مِنْ النَّاس، وَيُقَرِّرهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُول لهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْب كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْب كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْب كَذَا؟ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسه أنه قَدْ هَلَكَ، قَال: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتهَا عَلَيْك فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرهَا لك اليَوْم، ثُمَّ يُعْطَى كِتَاب حَسَنَاته، وَأَمَّا الكُفَّار وَالمُنَافِقُونَ فَيَقُول الأَشْهَاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[1] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث قَتَادَة.

ثم قَال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا النَّجْوَى -وَهِيَ المُسَارَّة- حَيْثُ يَتَوَهَّم منها مُؤْمِن سُوءًا ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يَعْنِي: إِنَّمَا يَصْدُر هَذَا مِنْ المُتَنَاجِينَ عَنْ تَسْوِيل الشَّيْطَان وَتَزْيِينه، ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أَيْ: لِيَسُوءَهُمْ، وَلَيْسَ ذَلكَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ الله، وَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلكَ شَيْئًا فَلْيَسْتَعِذْ بِالله، وَلْيَتَوَكَّل عَلى الله؛ فَإِنَّهُ لا يَضُرّهُ شَيْء، بِإِذْنِ الله. وَقَدْ وَرَدَتْ السُّنَّة بِالنَّهْيِ عَنْ التَّنَاجِي، حَيْثُ يَكُون فِي ذَلكَ تَأَذٍّ عَلى مُؤْمِن. كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع وَأَبُو مُعَاوِيَة؛ قَالا: حَدَّثَنَا الأَعْمَش، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَة فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُون صَاحِبهمَا، فَإِنَّ ذَلكَ يُحْزِنهُ»[2]. أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث الأَعْمَش. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ أَيُّوب، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَة فَلا يتناجينَّ اثْنَانِ دُون الثَّالث إلاَّ بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ ذَلكَ يُحْزِنهُ». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلم عَنْ أَبِي الرَّبِيع وَأَبِي كَامِل، كِلاهُمَا عَنْ حَمَّاد بْن زَيْد، عَنْ أَيُّوب، بِهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُؤَدِّبًا عِبَاده المُؤْمِنِينَ، وَآمِرًا لهُمْ أَنْ يُحْسِن بَعْضهمْ إِلى بَعْض فِي المَجَالس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجْلِسِ﴾ وَقُرِئَ ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾، ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وَذَلكَ أَنَّ الجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا بَنَى الله لهُ بَيْتًا فِي الجَنَّة»[3]. وَفِي الحَدِيث الآخَر: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِر يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَمَنْ سَتَر مُسْلمًا سَتَره اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَالله فِي عَوْن العَبْد مَا كَانَ العَبْد فِي عَوْن أَخِيهِ»[4]. وَلهَذَا أَشْبَاه كَثِيرَة، وَلهَذَا قَال: ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

قَال قَتَادَة: نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة فِي مَجَالس الذِّكْر، وَذَلكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوْا أَحدهمْ مُقْبِلًا ضَنُّوا بِمَجَالِسِهِمْ عِنْد رَسُول الله ﷺ، فَأَمَرَهُمْ الله أَنْ يُفْسِح بَعْضهمْ لبَعْضٍ.

وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَة يَوْم جُمُعَة وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَوْمئِذٍ فِي الصُّفَّة، وَفِي المَكَان ضِيق، وَكَانَ يُكْرِم أَهْل بَدْر مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، فَجَاءَ أناس مِنْ أَهْل بَدْر وَقَدْ سَبَقُوا إِلى المَجَالس، فَقَامُوا حِيَال رَسُول الله ﷺ، فَقَالُوا: السَّلام عَلَيْك أَيُّهَا النَّبِيّ وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته. فَرَدَّ النَّبِيّ ﷺ عَليْهِمْ، ثُمَّ سَلَّمُوا على القَوْم بَعْد ذَلكَ، فَرَدُّوا عَليْهِمْ، فَقَامُوا عَلى أَرْجُلهمْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ يُوَسَّع لهُمْ، فَعَرَفَ النَّبِيّ ﷺ مَا يَحْمِلهُمْ عَلى القِيَام، فَلمْ يُفْسَح لهُمْ، فَشَقَّ ذَلكَ عَلى النَّبِيّ ﷺ، فَقَال لمَنْ حَوْله مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، مِنْ غَيْر أَهْل بَدْر: «قُمْ يَا فُلان، وَأَنْتَ يَا فُلان». فَلمْ يَزَل يُقِيمهُمْ بِعِدَّةِ النَّفَر الَّذِينَ هُمْ قِيَام بَيْن يَدَيْهِ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار أَهْل بَدْر، فَشَقَّ ذَلكَ عَلى مَنْ أُقِيمَ مِنْ مَجْلسه، وَعَرَفَ النَّبِيّ ﷺ الكَرَاهَة فِي وُجُوههمْ، فَقَال المُنَافِقُونَ: أَلسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صَاحِبكُمْ هَذَا يَعْدِل بَيْن النَّاس؟ وَالله مَا رَأَيْنَاهُ قَبْلُ عَدَل عَلى هَؤُلاءِ، إِنَّ قَوْمًا أَخَذُوا مَجَالسهمْ وَأَحَبُّوا القُرْب مِنْ نَبِيّهمْ، فَأَقَامَهُمْ وَأَجْلسَ مَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ. فَبَلغْنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «رَحِمَ الله رَجُلاً فَسَح لأَخِيهِ». فَجَعَلُوا يَقُومُونَ بَعْد ذَلكَ سِرَاعًا، فَتفْسِح القَوْم لإِخْوَانِهِمْ، وَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة يَوْم الجُمُعَة.[1] رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد وَالشَّافِعِيّ: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَيُّوب، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«لا يُقِيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلسه فَيَجْلس فِيهِ، وَلكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»**[2]. وَأَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث نَافِع بِهِ. وَقَال الشَّافِعِيّ: أَخْبَرَنَا عَبْد المَجِيد، عَنْ ابْن جُرَيْج قَال: قَال سُليْمَان بْن مُوسَى، عَنْ جَابِر بن عَبْد الله: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«لا يُقِيمَن أَحَدكُمْ أَخَاهُ يَوْم الجُمُعَة، وَلكِنْ ليَقُل: افْسَحُوا»**[3]. عَلى شَرْط السُّنَن، وَلمْ يُخَرِّجُوهُ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد المَلك بْن عَمْرو، حَدَّثَنَا فُليْح، عَنْ أَيُّوب عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي صَعْصَعَة، عَنْ يَعْقُوب بْن أَبِي يَعْقُوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«لا يُقِمْ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلسه ثُمَّ يَجْلس فِيهِ، وَلكِنْ افْسَحُوا يَفْسَح الله لكُمْ»**. وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ سُرَيج بْن يُونُس، وَيُونُس بْن مُحَمَّد المُؤَدِّب، عَنْ فُليْح، بِهِ. وَلفْظه: **«لا يَقُوم الرَّجُلُ للرَّجُل مِنْ مَجْلسه، وَلكِنْ افْسَحُوا يَفْسَح الله لكُمْ»**. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَقَدْ اخْتَلفَ الفُقَهَاء فِي جَوَاز القِيَام للوَارِدِ إِذَا جَاءَ عَلى أَقْوَال: فَمِنْهُمْ مَنْ رَخَّصَ فِي ذَلكَ مُحْتَجًّا بِحَدِيثِ: **«قُومُوا إِلى سَيِّدكُمْ»**[4]. وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَ مِنْ ذَلكَ مُحْتَجًّا بِحَدِيثِ: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُتَمَثَّل لهُ الرِّجَال قِيَامًا، فَليَتَبَوَّأْ مَقْعَده مِنْ النَّار»**[5]. وَمِنْهُمْ مَنْ فَصَّل فَقَال: يَجُوز عِنْد القُدُوم مِنْ سَفَر، وَللحَاكِم فِي مَحَلّ وِلايَته، كَمَا دَلَّ عَليْهِ قِصَّة سَعْد بْن مُعَاذ، فَإِنَّهُ لمَّا اسْتَقْدَمَهُ النَّبِيّ ﷺ حَاكِمًا فِي بَنِي قُرَيْظَة، فَرَآهُ مُقْبِلًا قَال للمُسْلمِينَ: **«قُومُوا إِلى سَيِّدكُمْ»**. وَمَا ذَاكَ إِلَّا ليَكُونَ أَنْفَذ لحُكْمِهِ، وَالله أَعْلم. فَأَمَّا اتِّخَاذه دَيْدَنًا فَإِنَّهُ مِنْ شِعَار العَجَم. وَقَدْ جَاءَ فِي «السُّنَن» أَنَّهُ لمْ يَكُنْ شَخْص أَحَبّ إِليْهِمْ مِنْ رَسُول الله ﷺ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ لا يَقُومُونَ لهُ، لمَا يَعْلمُونَ مِنْ كَرَاهَته لذَلكَ.[6] وَفِي الحَدِيث المَرْوِيّ فِي «السُّنَن» أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَجْلس حَيْثُ انْتَهَى بِهِ المَجْلس، وَلكِنْ حَيْثُ

---

(١) **مرسل ضعيف** : عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم، ولا يصح.
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٧٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).
(٥) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٥٧).
(٦) صححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٦٩٨).

يَجْلس يَكُون صَدْر ذَلكَ المَجْلس، فَكَانَ الصَّحَابَة رضي الله عنهم يَجْلسُونَ مِنْهُ عَلى مَرَاتِبهمْ، فَالصِّدِّيق رضي الله عنه يُجْلسهُ عَنْ يَمِينه، وَعُمَر عَنْ يَسَاره، وَبَيْن يَدَيْهِ غَالبًا عُثْمَان وَعَلِيّ، لأَنَّهمَا كَانَا مِمَّنْ يَكْتُب الوَحْي، وَكَانَ يَأْمُرهُمَا بِذَلكَ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث الأَعْمَش، عَنْ عُمَارَة بْن عُمَيْر، عَنْ أَبِي مَعْمَر، عَنْ أَبِي مَسْعُود: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقُول: «**لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلام وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1]. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنْهُ مَا يَقُولهُ صَلَوَات الله وَسَلامه عَلَيْهِ وَلهَذَا أَمَرَ أُولئِكَ النَّفَر بِالقِيَامِ لِيَجْلس الَّذِينَ وَرَدُوا مِنْ أَهْل بَدْر، إِمَّا لِتَقْصِير أُولئِكَ فِي حَقّ البَدْرِيِّينَ، أَوْ لِيَأْخُذ البَدْرِيُّونَ مِنَ العِلم بِنَصِيبهمْ، كَمَا أَخَذَ أُولئِكَ قَبْلهمْ، أَوْ تَعْلِيمًا بِتَقْدِيم الأَفَاضِل إِلى الأَمَام. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ عُمَارَة بْن عُمَيْر التيمي، عَنْ أَبِي مَعْمَر، عَنْ أَبِي مَسْعُود قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَمْسَح مَنَاكِبنَا فِي الصَّلاة، وَيَقُول: «**اسْتَوُوا، وَلا تَخْتَلفُوا فَتَخْتَلف قُلُوبكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلام وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». قَال أَبُو مَسْعُود: فَأَنْتُمْ اليَوْم أَشَدّ اخْتِلافًا.[2] وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم وَأَهْل السُّنَن -إِلَّا التِّرْمِذِيّ- مِنْ طُرُق عَنْ الأَعْمَش بِهِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا أَمْره لهُمْ فِي الصَّلاة أَنْ يَلِيه العُقَلاء ثُمَّ العُلَمَاء، فَبِطَرِيقِ الأَوْلى أَنْ يَكُون ذَلكَ فِي غَيْر الصَّلاة. وَرَوَى أَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّة، عَنْ كَثِير بْن مُرَّة، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**أَقِيمُوا الصُّفُوف، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِب، وَسُدُّوا الخَلَل، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانكُمْ، وَلا تَذَرُوا فُرُجَات للشَّيْطَان، وَمَنْ وَصَل صَفًّا وَصَلهُ الله، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله**»[3]. وَلهَذَا كَانَ أُبَيّ بْن كَعْب سَيِّد القُرَّاء إِذَا انْتَهَى إِلى الصَّفّ الأَوَّل انْتَزَعَ مِنْهُ رَجُلًا يَكُون مِنْ أَفْنَاء النَّاس، وَيَدْخُل هُوَ فِي الصَّفّ المُقَدَّم، وَيَحْتَجّ بِهَذَا الحَدِيث: «**لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلام وَالنُّهَى**». وَأَمَّا عَبْد الله بْن عُمَر فَكَانَ لا يَجْلس فِي المَكَان الَّذِي يَقُوم لهُ صَاحِبه عَنْهُ، عَمَلًا بِمُقْتَضَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَته الحَدِيث الَّذِي أَوْرَدْنَاهُ. وَلنَقْتَصِر عَلى هَذَا المِقْدَار مِنَ الأُنْمُوذَج المُتَعَلِّق بِهَذِهِ الآيَة، وَإِلَّا فَبَسْطه يَحْتَاج إِلى غَيْر هَذَا المَوْضِع. وَفِي الحَدِيث الصَّحِيح: بَيْنَا رَسُول الله ﷺ جَالس، إِذْ أَقْبَل ثَلاثَة نَفَر، فَأَمَّا أَحَدهمْ فَوَجَدَ فُرْجَة فِي الحَلقَة فَدَخَل فِيهَا، وَأَمَّا الآخَر فَجَلسَ وَرَاء النَّاس، وَأَدْبَرَ الثَّالث ذَاهِبًا. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**أَلا أُنَبِّئكُمْ بِخَبَرِ الثَّلاثَة؟ أَمَّا الأَوَّل فَآوَى إِلى الله فَآوَاهُ الله، وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله مِنْهُ. وَأَمَّا الثَّالث فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ**».[4]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا [عَتَّاب][5] بْن زِيَاد، أَخْبَرَنَا عَبْد الله أَخْبَرَنَا أُسَامَة بْن زَيْد، عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**لا يَحِلّ لرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّق بَيْن اثْنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا**»[6]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أُسَامَة بْن زَيْد اللَّيْثِيّ بِهِ. وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيّ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس وَالحَسَن البَصْرِيّ، وَغَيْرهمَا أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْله تَعَالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾، يَعْنِي: فِي مَجَالس الحَرْب. قَالُوا: وَمَعْنَى قَوْله: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾، أَيْ: انْهَضُوا للقِتَال.

وَقَال قَتَادَة: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ أَيْ: إِذَا دُعِيتُمْ إِلى خَيْر فَأَجِيبُوا. وَقَال مُقَاتِل: إِذَا دُعِيتُمْ إِلى

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٢).
(٢) أخرجه مسلم (٤٣٢).
(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).
(٥) في الأزهرية: [عثمان].
(٦) **حسن صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٤٥). قال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: حسن صحيح.

الصَّلاة فَارْتَفِعُوا إِلَيْهَا. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: كَانُوا إِذَا كَانُوا عِنْد النَّبِيّ ﷺ فِي بَيْته فَأَرَادُوا الانْصِرَاف، أَحَبَّ كُلّ مِنْهُمْ أَنْ يَكُون هُوَ آخِرهمْ خُرُوجًا مِنْ عِنْده، فَرُبَّمَا يَشُقّ ذَلكَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ تَكُون لهُ الحَاجَة، فَأُمِرُوا أَنَّهُمْ إِذَا أُمِرُوا بِالانْصِرَافِ أَنْ يَنْصَرِفُوا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾.

وَقَوْله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أَيْ: لا تَعْتَقِدُوا أَنَّهُ إِذَا أَفْسَح أَحَد مِنْكُمْ لأَخِيهِ إِذَا أَقْبَل، أَوْ إِذَا أَمَرَ بِالخُرُوج فَخَرَجَ، أَنْ يَكُون ذَلكَ نَقْصًا فِي حَقّه، بَل هُوَ رِفْعَة ومزية عِنْد الله، وَالله تَعَالى لا يُضَيِّع ذَلكَ لهُ، بَل يَجْزِيه بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لأَمْرِ الله رَفَعَ الله قَدْره، وَنَشَرَ ذِكْره؛ وَلهَذَا قَال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَيْ: خَبِير بِمَنْ يَسْتَحِقّ ذَلكَ وَبِمَنْ لا يَسْتَحِقّهُ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا أَبُو كَامِل، حَدَّثنَا إِبْرَاهِيم، حَدَّثنَا ابْن شِهَاب، عَنْ أَبِي الطُّفَيْل عَامِر بْن وَاثِلة أَنَّ نَافِع ابْن عَبْد الحَارِث لقِيَ عُمَر بْن الخَطَّاب بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَر اسْتَعْمَلهُ عَلى مَكَّة، فَقَال لهُ عُمَر: مَنْ اسْتَخْلفْت عَلى أَهْل الوَادِي؟ قَال: اسْتَخْلفْت عَليهِمْ ابْن أَبْزَى. قَال: ومَا ابنُ أبزَي؟ فقال: رَجُل مِنْ مَوَالينَا. فَقَال عُمَر: اسْتَخْلفْت عَليْهِمْ مَوْلًى؟ فَقَال: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ؛ إِنَّهُ قَارِئ لكِتَابِ الله، عَالم بِالفَرَائِضِ، قَاضٍ. فَقَال عُمَر رضي الله عنه: أَمَا إِنَّ نَبِيّكُمْ ﷺ قَدْ قَال: «إِنَّ الله يَرْفَع بِهَذَا الكِتَاب قَوْمًا وَيَضَع بِهِ آخَرِينَ»[1]. وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم مِنْ غَيْر وَجْه عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ. وَرُوِيَ مِنْ غَيْر وَجْه عَنْ عُمَر بِنَحْوِهِ، وَقَدْ ذَكَرْت فَضْل العِلم وَأَهْله، وَمَا وَرَدَ فِي ذَلكَ مِنْ الأَحَادِيث مُسْتَقْصَاة فِي شَرْح كِتَاب العِلم مِنْ «صَحِيح البُخَارِيّ» وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا عِبَاده المُؤْمِنِينَ إِذَا أَرَادَ أَحَدهمْ أَنْ يُنَاجِي رَسُول الله ﷺ -أَيْ: يُسَارّه فِيمَا بَيْنه وَبَيْنه- أَنْ يُقَدِّم بَيْن يَدَيْ ذَلكَ صَدَقَة تُطَهِّرهُ وَتُزَكِّيه وَتُؤَهِّلهُ لأَنْ يَصْلُح لهَذَا المَقَام، وَلهَذَا قَال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾، أَيْ: إِلَّا مَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلكَ لفَقْده ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فَمَا أَمَرَ بِها إِلَّا مَنْ قَدَرَ عَليْهَا. ثم قَال: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾، أَيْ: أَخِفْتُمْ مِنْ اسْتِمْرَار هَذَا الحُكْم عَليْكُمْ مِنْ وُجُوب الصَّدَقَة قَبْل مُنَاجَاة الرَّسُول؛ ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فَنَسَخَ وُجُوب ذَلكَ عَنْهُمْ. وَقَدْ قِيل: إِنَّهُ لمْ يَعْمَل بِهَذِهِ الآيَة قَبْل نَسْخهَا سِوَى عَليّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنه.

قَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد قَال: نُهُوا عَنْ مُنَاجَاة النَّبِيّ ﷺ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلمْ يُنَاجِهِ إِلَّا عَليّ بْن أَبِي طَالب، قَدَّمَ دِينَارًا صَدَقَة تَصَدَّقَ بِهِ. ثُمَّ نَاجَى النَّبِيّ ﷺ، فَسَأَلهُ عَنْ عَشْر خِصَال، ثُمَّ أُنْزِلتْ الرُّخْصَة. وَقَال ليْث بْن أَبِي سُليْم عَنْ مُجَاهِد: قَال عَليّ رضي الله عنه: آيَة فِي كِتَاب الله عز وجل لمْ يَعْمَل بِهَا أَحَد قَبْلي، وَلا يَعْمَل بِهَا أَحَد بَعْدِي، كَانَ عِنْدِي دِينَار فَصَرَفْته بِعَشَرَةِ دَرَاهِم، فَكُنْت إِذَا نَاجَيْت رَسُول الله ﷺ تَصَدَّقْت بِدِرْهَم، فَنُسِخَتْ وَلمْ يَعْمَل بِهَا أَحَد قَبْلي، وَلا يَعْمَل بِهَا أَحَد بَعْدِي، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآيَة.[2] وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثنَا مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان عَنْ عُثْمَان بْن المُغِيرَة، عَنْ سَالم بْن

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).
(٢) مرسل ضعيف.

أَبِي الجَعْد، عَنْ عَلِيّ بْن عَلقَمَة الأَنْمَارِيّ عَنْ عَلِيّ ﷺ قَال: قَال النَّبِيّ ﷺ: «مَا تَرَى دِينَار؟». قَال: لا يُطِيقُونَ. قَال: «نِصْف دِينَار؟». قَال: لا يُطِيقُونَ. قَال: «مَا تَرَى؟». قَال: شَعِيرَة. فَقَال لهُ النَّبِيّ ﷺ «إِنَّك لزَهِيد». قَال: قَال عَلِيّ: فَبِي خَفَّفَ الله عَنْ هَذِهِ الأُمَّة.(١) وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾. فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٖ﴾.

وَرَوَاهُ التِّرمِذِيّ عَنْ سُفْيَان بْن وَكِيع، عَنْ يَحْيَى بْن آدَم، عَنْ عُبَيْد الله الأَشْجَعِيّ، عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عُثْمَان بْن المُغِيرَة الثَّقَفِيّ، عَنْ سَالم بْن أَبِي الجَعْد، عَنْ عَلِيّ بْن عَلقَمَة الأَنْمَارِيّ، عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ قَال: لـمَّا نَزَلتْ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾. قَال لِي النَّبِيّ ﷺ: «مَا تَرَى؟ دِينَار؟». قلت: لا يُطِيقُونَهُ. وَذَكَرَهُ بِتَمَامِهِ، مِثْله. ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث حَسَن غَرِيب، إِنَّمَا نَعْرِفهُ مِنْ هَذَا الوَجْه. ثُمَّ قَال: وَمَعْنَى قَوْله «شَعِيرَة»: يَعْنِي وَزْن شَعِيرَة مِنْ ذَهَب. وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلى عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة عَنْ يَحْيَى بْن آدَم بِهِ. وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ إِلى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. كَانَ المُسْلمُونَ يُقَدِّمُونَ بَيْن يَدَيْ النَّجْوَى صَدَقَة، فَلمَّا نَزَلتْ الزَّكَاة نُسِخَ هَذَا.

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس قَوْله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾، وَذَلكَ أَنَّ المُسْلمِينَ أَكْثَرُوا المَسَائِل عَلى رَسُول الله ﷺ حَتَّى شَقُّوا عَليْهِ، فَأَرَادَ الله أَنْ يُخَفِّف عَنْ نَبِيّه عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلمَّا قَال ذَلكَ صبر كَثِير مِنَ المُسْلمِينَ وَكَفُّوا عَنْ المَسْأَلة، فَأَنْزَل الله بَعْد هَذَا: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فَوَسَّعَ الله عَليْهِمْ وَلمْ يُضَيِّق.(٢)

وَقَال عِكْرِمَة وَالحَسَن البَصْرِيّ فِي قَوْله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾: نَسَخَتْهَا الآيَة الَّتِي بَعْدهَا: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٖ﴾ إِلى آخِرهَا. وَقَال سَعِيد [بن أبي عروبة](٣) عَنْ قَتَادة وَمُقَاتِل بْن حَيَّان: سَأَل النَّاس رَسُول الله ﷺ حَتَّى أَحْفُوهُ بِالمَسْأَلةِ، فقطعَهُم الله بِهَذِهِ الآيَة، فَكَانَ الرَّجُل مِنْهُمْ إِذَا كَانَتْ لهُ الحَاجَة إِلى نَبِيّ الله ﷺ فَلا يَسْتَطِيع أَنْ يَقْضِيهَا حَتَّى يُقَدِّم بَيْن يَدَيْهِ صدقةً، فَاشْتَدَّ ذَلكَ عَليْهِمْ، فَأَنْزَل الله الرُّخْصَة بَعْد ذَلكَ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

وَقَال مَعْمَر: عَنْ قَتَادَة: ﴿إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾: إِنَّهَا مَنْسُوخَة، مَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَة مِنْ نَهَار. وَهَكَذَا رَوَى عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ أَيُّوب، عَنْ مُجَاهِد، قَال عَلِيّ: مَا عَمِل بِهَا أَحَد غَيْرِي حَتَّى نُسِخَتْ، وَأَحْسَبهُ قَال: وَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَة.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ﴾.

---

(١) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٨/ ٢١)، والترمذي (٣٢٩٧)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٢) ضعيف الإسناد.
(٣) سقط من الأزهرية.

يَقُول الله تَعَالى مُنْكِرًا عَلى المُنَافِقِينَ فِي مُوَالاتهمْ الكُفَّار فِي البَاطِنِ، وَهُمْ فِي نَفْس الأَمْر لا مَعَهُمْ وَلا مَعَ المُؤْمِنِينَ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾، وَقَال هَهُنَا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾. يَعْنِي اليَهُود، الَّذِينَ كَانَ المُنَافِقُون يُمَالِئُونَهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ فِي البَاطِنِ. ثُمَّ قَال: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾، أَيْ: هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ، لَيْسُوا فِي الحَقِيقَة مِنْكُمْ أَيهَا المُؤْمِنُونَ، وَلا مِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوهُمْ وَهُمْ اليَهُود. ثُمَّ قَال: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي: المُنَافِقِينَ يَحْلفُونَ عَلى الكَذِب وَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا حَلفُوا، وَهِيَ اليَمِين الغَمُوس، وَلا سِيَّمَا فِي مِثْل حَالهمْ اللَّعِين -عِيَاذًا بِالله مِنْهُ- فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنَّا، وَإِذَا جَاءُوا الرَّسُول حَلفُوا بِالله أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ فِي ذَلكَ يَعْلمُونَ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِيمَا حَلفُوا بِهِ؛ لأَنَّهُمْ لا يَعْتَقِدُونَ صِدْق مَا قَالُوهُ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْس الأَمْر مُطَابِقًا. وَلهَذَا شَهِدَ الله بِكَذِبِهِمْ فِي أَيْمَانهمْ وَشَهَادَتهمْ لذَلكَ.

ثم قَال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، أَيْ: أَرْصَدَ الله لهُمْ عَلى هَذَا الصَّنِيع العَذَاب الأَلِيم عَلى أَعْمَالهمْ السَّيِّئَة، وَهِيَ مُوَالاة الكَافِرِينَ وَنُصْحهمْ وَمُعَادَاة المُؤْمِنِينَ وَغِشُّهُمْ، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: أَظْهَرُوا الإِيمَان وَأَبْطَنُوا الكُفْر، وَاتَّقُوا بِالأَيْمَانِ الكَاذِبَة، فَظَنَّ كَثِير مِمَّنْ لا يَعْرِف حَقِيقَة أَمْرهمْ صِدْقهمْ فَاغْتَرَّ بِهِمْ، فَحَصَل بِهَذَا صَدّ عَنْ سَبِيل الله لبَعْضِ النَّاس، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلة مَا امْتَهَنُوا مِنْ الحَلف بِاسْمِ الله العَظِيم فِي الأَيْمَان الكَاذِبَة الحَانِثَة. ثم قَال: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ﴾، أَيْ: لنْ يَدْفَع ذَلكَ عَنْهُمْ بَأْسًا إِذَا جَاءَهُمْ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ثم قَال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أَيْ: يَحْشُرهُمْ يَوْم القِيَامَة عَنْ آخِرهمْ فَلا يُغَادِر مِنْهُمْ أَحَدًا، ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ أَيْ: يَحْلفُونَ بِالله ﷻ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلى الهُدَى وَالاسْتِقَامَة كَمَا كَانُوا يَحْلفُونَ للنَّاسِ فِي الدُّنْيَا: لأَنَّ مَنْ عَاشَ عَلى شَيْء مَاتَ عَليْهِ، وَبُعِثَ عَليْهِ، وَيَعْتَقِدُون أَنَّ ذَلكَ يَنْفَعهُمْ عِنْد الله، كَمَا كَانَ يَنْفَعهُمْ عِنْد النَّاس فَيُجْرُونَ عَليْهِمْ الأَحْكَام الظَّاهِرَة، وَلهَذَا قَال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ أَيْ: حَلفهمْ ذَلكَ لرَبِّهِمْ ﷻ. ثُمَّ قَال مُنْكِرًا عَليْهِمْ حُسْبَانهمْ ذلك: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فَأَكَّدَ الخَبَر عَنْهُمْ بِالكَذِب.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن نُفَيْل، حَدَّثَنَا زُهَيْر، حدثنا سِمَاك بْن حَرْب، حَدَّثَنِي سَعِيد بْن جُبَيْر: أَنَّ ابْن عَبَّاس حَدَّثَهُ: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ فِي ظِلّ حُجْرَة مِنْ حُجَره، وَعِنْده نَفَر مِنْ المُسْلِمِينَ قَدْ كَادَ يَقْلصُ عَنْهُمْ الظِّلُّ قَال: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَان يَنْظُر بِعَيْنَيْ شَيْطَان، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلا تُكَلِّمُوهُ». فَجَاءَ رَجُل أَزْرَق، فَدَعَاهُ رَسُول الله ﷺ فَكَلَّمَهُ، فَقَال: «عَلامَ تَشْتُمنِي أَنْتَ وَفُلان وَفُلان؟». نَفَر دَعَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَال: فَانْطَلَقَ الرَّجُل فَدَعَاهُمْ، فَحَلفُوا لهُ وَاعْتَذَرُوا إِليْهِ، قَال: فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾. [1]

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ سِمَاك به. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، عَنْ غُنْدَر، عَنْ شُعْبَة، عَنْ سِمَاك بِهِ نَحْوه. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ سِمَاك بِنَحْوِهِ إِسْنَاد جَيِّد وَلمْ يُخَرِّجُوهُ. وَحَال هَؤُلاءِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالى عَنْ المُشْرِكِينَ حَيْثُ يَقُول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣ ٱنظُرْ

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٠).

كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾. ثم قال: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾، أَيْ: اسْتَحْوَذَ عَلى قُلُوبِهِمْ الشَّيْطَان حَتَّى أَنْسَاهُمْ أَنْ يَذْكُرُوا الله ﷻ، وَكَذَلِكَ يَصْنَع بِمَنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ. وَلِهَذَا قَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن يُونُس، حَدَّثَنَا زَائِدَة، حَدَّثَنَا السَّائِب بْن حُبَيْش، عَنْ مَعْدَان بْن أَبِي طَلحَة اليَعْمُرِيّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«مَا مِنْ ثَلاثَة فِي قَرْيَة وَلا بَدْو، لا تُقَام فِيهِمْ الصَّلاة إلاّ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَان، فَعَلَيْك بِالجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُل الذِّئْب القَاصِيَة»**[1]، قَال زَائِدَة: قَال السَّائِب: يَعْنِي الصَّلاة فِي الجَمَاعَة. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، يَعْنِي: الَّذِينَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَان فَأَنْسَاهُمْ ذِكْر الله. ثُمَّ قَال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الكُفَّار المُعَانِدِينَ المُحَادِّينَ لله وَرَسُوله، يَعْنِي: الَّذِينَ هُمْ فِي حَدّ وَالشَّرْع فِي حَدّ، أَيْ: مُجَانِبُونَ للحَقِّ مُشَاقُّونَ لهُ، هُمْ فِي نَاحِيَة وَالهُدَى فِي نَاحِيَة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾، أَيْ: فِي الأَشْقِيَاء المُبْعَدِينَ المَطْرُودِينَ عَنْ الصَّوَاب، الأَذَلِّينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾، أَيْ: قَدْ حَكَمَ وَكَتَبَ فِي كِتَابه الأَوَّل وَقَدَره الَّذِي لا يُخَالف وَلا يُمَانَع وَلا يُبَدَّل، بِأَنَّ النُّصْرَة لهُ وَلكِتَابِهِ وَرُسُله وَعِبَاده المُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَأَنَّ العَاقِبَة للمُتَّقِينَ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾. وَقَال هَهُنَا: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾، أَيْ: كَتَبَ القَوِيّ العَزِيز أَنَّهُ الغَالب لأَعْدَائِهِ، وَهَذَا قَدَر مُحْكَم وَأَمْر مُبْرَم، أَنَّ العَاقِبَة وَالنُّصْرَة للمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾، أَيْ: لا يُوَادُّونَ المُحَادِّينَ وَلوْ كَانُوا مِنْ الأَقْرَبِينَ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ الآيَة. وَقَال تَعَالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

وَقَدْ قَال سَعِيد بْن عَبْد العَزِيز وَغَيْره: أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إلى آخِرهَا فِي أَبِي عُبَيْدَة عَامِر بْن عَبْد الله بْن الجَرَّاح، حِين قَتَل أَبَاهُ يَوْم بَدْر.[2] وَلِهَذَا قَال عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه حِين جَعَل الأَمْر شُورَى بَعْده فِي أُولئِكَ السِّتَّة رضي الله عنهم: وَلوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَة حَيًّا لاسْتَخْلفْته. وَقِيل فِي قَوْله: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾: نَزَلتْ فِي أَبِي عُبَيْده، قَتَل أَبَاهُ يَوْم بَدْر. ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾: فِي الصِّدِّيق، هَمَّ يَوْمئِذٍ

(١) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧). حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).
(٢) مرسل ضعيف.

بِقَتْل ابْنه عَبْد الرَّحْمَن، ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾: فِي مُصْعَب بْن عُمَيْر، قَتَل أَخَاهُ عُبَيْد بْن عُمَيْر يَوْمئِذٍ. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: فِي عُمَر، قَتَل قَرِيبًا لهُ يَوْمئِذٍ أَيْضًا، وَفِي حَمْزَة وَعَلِيّ وَعُبَيْدَة بْن الحَارِث، قَتَلُوا عُتْبَة وَشَيْبَة وَالوَلِيد بْن عُتْبَة يَوْمئِذٍ، والله أَعْلم.

قُلت: وَمِنْ هَذَا القَبِيل حِين اسْتَشَار رَسُول الله ﷺ المُسْلِمِينَ فِي أُسَارَى بَدْر، فَأَشَارَ الصِّدِّيق بِأَنْ يُفَادُوا فَيكُون مَا يُؤْخَذ مِنْهُمْ قُوَّة للمُسْلِمِينَ وَهُمْ بَنُو العَمّ وَالعَشِيرَة، وَلعَلَّ الله أَنْ يَهْدِيهِمْ، وَقَال عُمَر: لا أَرَى مَا رَأَى يَا رَسُول الله، هَل تُمَكِّنِي مِنْ فُلان -قَرِيب لعُمَر- فَأَقْتُلهُ، وَتُمَكِّن عَلِيًّا مِنْ عَقِيل، وَتُمَكِّن فُلانًا مِنْ فُلان لِيَعْلم الله أَنَّهُ لَيسَتْ فِي قُلُوبنَا هَوَادةٌ للمُشْرِكِينَ؛... القِصَّة بِكَمَالهَا.[1] وَقَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أَيْ: مَنْ اتَّصَفَ بِأَنَّهُ لا يُوَادّ مَنْ حَادّ الله وَرَسُوله وَلوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ، فَهَذَا مِمَّنْ كَتَبَ الله فِي قَلبه الإِيمَان، أَيْ: كَتَبَ لهُ السَّعَادَة وَقَرَّرَهَا فِي قَلبه وَزَيَّنَ الإِيمَان فِي بَصِيرَته.

قَال السُّدِّيّ: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: جَعَل فِي قُلُوبهمْ الإِيمَان. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، أَيْ: قَوَّاهُمْ.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: كُلّ هَذَا تَقَدَّمَ تَفْسِيره غَيْر مَرَّة. وَفِي قَوْله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: سِرّ بَدِيع، وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا سَخِطُوا عَلى القَرَائِب وَالعَشَائِر فِي الله تَعَالى عَوَّضَهُمْ الله بِالرِّضَا عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ النَّعِيم المُقِيم، وَالفَوْز العَظِيم، وَالفَضْل العَمِيم. وَقَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. أَيْ: هَؤُلاءِ حِزْب الله، أَيْ: عِبَاد الله وَأَهْل كَرَامَته. وَقَوْله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: تَنْوِيه بِفَلاحِهِمْ وَسَعَادَتهمْ وَنَصْرهم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فِي مُقَابَلة مَا أَخْبر عَنْ أُولئِكَ بِأَنَّهُمْ حِزْب الشَّيْطَان، ثُمَّ قَال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا هَارُون بْن حُمَيْد الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا الفَضْل بْن عَنْبَسَة، عَنْ رَجُل قَدْ سَمَّاهُ -يقَال: هُوَ عَبْد الحَمِيد بْن سُليمَان، انْقَطعَ مِنْ كِتَابِي-، عَنْ الذَّيَّال بْن عَبَّاد قَال: كَتَبَ أَبُو حَازِم الأَعْرَج إِلى الزُّهْرِيّ: اعْلمْ أَنَّ الجَاه جَاهَانِ، جَاه يُجْرِيه الله عَلى أَيْدِي أَوْليَائِهِ لأَوْليَائِهِ. وَإِنَّهُمْ الخَامِل ذِكْرهمْ، الخَفِيَّة شُخُوصهمْ، وَلقَدْ جَاءَتْ صِفَتهمْ عَلى لسَان رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبّ الأَخْفِيَاء الأَتْقِيَاء، الأَبْرِيَاء الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لمْ يُدْعَوا، قُلُوبهمْ مَصَابِيح الهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلّ فِتْنَة سَوْدَاء مُظْلمَة. فَهَؤُلاءِ أَوْليَاء الله، الَّذِينَ قَال الله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾».[2]

وَقَال نُعَيْم بْن حَمَّاد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن ثَوْر، عَنْ يُونُس، عَنْ الحَسَن قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، لا تَجْعَل لفَاجِرٍ وَلا لفَاسِقٍ عِنْدِي يَدًا وَلا نِعْمَة، فَإِنِّي وَجَدْت فِيمَا أَوْحَيْته إِليَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾».

قَال سُفْيَان: يَرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلتْ فِيمَنْ يُخَالط السُّلطَان.[3] رَوَاهُ أَبُو أَحْمَد العَسْكَرِيّ.

آخِر تَفْسِير سُورَة المُجَادَلة، وَلله الحَمْد

---

(١) **حسن**: تقدم.

(٢) **مرسل ضعيف**.

(٣) **مرسل ضعيف**: فيه نعيم بن حماد: صدوق يخطئ، والحسن البصري: تابعي؛ فهو مرسل.

تفسير سُورَةُ الحَشْرِ وهي مدنية

ترتيبها ٥٩ — وآياتها ٢٤

قَال سَعِيد بْن مَنْصُور: حَدَّثَنَا هُشَيْم، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: قُلت لابْنِ عَبَّاس: سُورَة الحَشْر؟ قَال: أُنْزِلتْ فِي بَنِي النَّضِير.[١] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم مِنْ وَجْه آخر عَنْ هُشَيْم، بِهِ. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي عَوَانَة، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: قُلت لابْنِ عَبَّاس: سُورَة الحَشْر؟ قَال: قل: سُورَة النَّضِير.[٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

يُخْبِر تَعَالَى أَنَّ جَمِيع مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْض مِنْ شَيْء يُسَبِّح لَهُ وَيُمَجِّدهُ وَيُقَدِّسهُ، وَيُصَلِّي لَهُ وَيُوَحِّدهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أَيْ: مَنِيع الجَنَاب، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي قَدَره وَشَرْعه. وقَوْله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يَعْنِي: يَهُود بَنِي النَّضِير. قَالَهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد وَالزُّهْرِيّ، وَغَيْر وَاحِد. كَانَ رَسُول اللهﷺ لَمَّا قَدِمَ المَدِينَة هَادَنَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ عَهْدًا وَذِمَّة عَلى أَنْ لا يُقَاتِلهُمْ وَلا يُقَاتِلُوهُ، فَنَقَضُوا العَهْد الَّذِي كَانَ بَيْنهمْ وَبَيْنه، فَأَحَلَّ الله بِهِمْ بَأْسه الَّذِي لا مَرَدّ لَهُ، وَأَنْزَل عَلَيْهِمْ قَضَاءَهُ الَّذِي لا يُصَدّ، فَأَجْلاهُمْ النَّبِيّﷺ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونهمْ الحَصِينَة الَّتِي مَا طَمِعَ فِيهَا المُسْلِمُونَ، وَظَنُّوا هُمْ أَنَّهَا مَانِعَتهمْ مِنْ بَأْس الله، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنْ الله شَيْئًا، وَجَاءَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ بِبَالِهِمْ، وَسَيَّرَهُمْ رَسُول اللهﷺ وَأَجْلاهُمْ مِنْ المَدِينَة، فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَة ذَهَبُوا إِلَى أَذْرِعَات مِنْ أَعَالِي الشَّام، وَهِيَ أَرْض المَحْشَر وَالمَنْشَر، وَمِنْهُمْ طَائِفَة ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَر. وَكَانَ قَدْ أَنْزَلهُمْ مِنْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلهمْ، فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ مَا فِي بُيُوتهمْ مِنَ المَنْقُولات الَّتِي يُمْكِن أَنْ تُحْمَل مَعَهُمْ، وَلِهَذَا قَال: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أَيْ: تَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَة مَنْ خَالَفَ أَمْر الله وَخَالَفَ رَسُوله، وَكَذَّبَ كِتَابه، كَيْفَ يَحِلّ بِهِ مِنْ بَأْسه المُخْزِي لَهُ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرهُ لَهُ فِي الآخِرَة مِنْ العَذَاب الأَلِيم.

قَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن دَاوُد بن سُفْيَان، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب بْن مَالك، عَنْ رَجُل مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّﷺ: أَنَّ كُفَّار قُرَيْش كَتَبُوا إِلَى ابْن أُبَيّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ يَعْبُد معه الأَوْثَان مِنْ الأَوْس وَالخَزْرَج، وَرَسُول اللهﷺ يَوْمئِذٍ بِالمَدِينَة قَبْل وقعة بَدْر: إِنَّكُمْ آويتم صَاحِبنَا، وَإِنَّا نُقْسِم بِالله لتقاتلُنَّه أَوْ لتخرجُنَّه، أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا، حَتَّى نَقْتُل مُقَاتِلتكُمْ ونستبيح نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْد الله بْن أُبَيّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَة الأَوْثَان، اجتمعوا لِقِتَال النَّبِيّﷺ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّﷺ لَقِيَهُمْ فَقَال: «**لَقَدْ بَلَغَ وَعِيد قُرَيْش مِنْكُمْ المَبَالِغ، مَا كَانَتْ تَكِيدكُمْ بِأَكْثَر مِمَّا تُرِيد أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسكُمْ، تريدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانكُمْ؟**». فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ النَّبِيّﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّار قُرَيْش، فَكَتَبَتْ كُفَّار

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٢)، ومسلم (٣٠٣١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٣).

قُرَيْش بَعْد وَقْعَة بَدْر إلى اليَهُود: إِنَّكُمْ أَهْل الحَلقَة وَالحُصُون، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ مَعَ صَاحِبنَا أَوْ لأَفْعَلنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلا يَحُول بَيْننَا وَبَيْن خَدَم نِسَائِكُمْ شَيْء -وهي الخَلاخِيل- فَلَمَّا بَلغَ كِتَابهمْ النَّبِيّ ﷺ أجمعت بَنُو النَّضِير بِالغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلى النَّبِيّ ﷺ اخْرُجْ إِليْنَا فِي ثَلاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابك، وليَخْرُج مِنَّا ثَلاثُونَ حَبْرًا، حَتَّى نَلتَقِي بِمَكَانِ المَنْصَف فَيَسْمَعوا مِنك، فَإِنْ صَدَّقُوك وَآمَنُوا بِك آمَنَّا بِك، فَلَمَّا كَانَ الغَد غَدَا عَليْهِمْ رَسُول الله ﷺ بِالكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَال لهُمْ: «**إِنَّكُمْ وَالله لا تُؤْمِنُونَ عِنْدِي إِلاَّ بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَليْهِ**». فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلهُمْ يَوْمهمْ ذَلكَ، ثُمَّ غَدَا الغَد عَلى بَنِي قُرَيْظَة بِالكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِير، وَدَعَاهُمْ إِلى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. وَغَدَا إِلى بَنِي النَّضِير بِالكَتَائِبِ فَقَاتَلهُمْ، حَتَّى نَزَلُوا عَلى الجَلاء، فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِير وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتْ الإِبِل مِنْ أَمْتِعَتهمْ وَأَبْوَاب بُيُوتهمْ وَخَشَبهَا، وَكَانَ [نَخل][1] بَنِي النَّضِير لرَسُول الله ﷺ خَاصَّة، أَعْطَاهُ الله إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾، يقُول: بِغَيْرِ قِتَال. فَأَعْطَى النَّبِيّ ﷺ أَكْثَرهَا للمُهَاجِرِينَ، قَسَمَهَا بَيْنهمْ، وَقَسَمَ مِنْهَا لرَجُليْنِ مِنْ الأَنْصَار وَكَانَا ذَوِي حَاجَة، وَلمْ يَقْسِم مِنْ الأَنْصَار، غَيْرهمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَة رَسُول الله ﷺ الَّتِي فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَة.[2] وَلنَذْكُر مُلخَّص غَزْوَة بَنِي النَّضِير عَلى وَجْه الاخْتِصَار، وبالله المُسْتَعَان.

وَكَانَ سَبَب ذَلكَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَصْحَاب المَغَازِي وَالسِّيَر -أَنَّهُ لمَّا قُتِل أَصْحَاب بِئْر مَعُونَة مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَكَانُوا سَبْعِينَ، وَأَفْلتَ مِنْهُمْ عَمْرو بْن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ، فَلمَّا كَانَ فِي أَثْنَاء الطَّرِيق رَاجِعًا إِلى المَدِينَة قَتَل رَجُليْنِ مِنْ بَنِي عَامِر، وَكَانَ مَعَهُمَا عَهْد مِنْ رَسُول الله ﷺ، وَأَمَان لمْ يَعْلم بِهِ عَمْرو، فَلمَّا رَجعَ أَخْبَرَ رَسُول الله ﷺ، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «**لقَدْ قَتَلت رَجُليْنِ لأَدِيَنَّهُمَا**». وَكَانَ بَيْن بَنِي النَّضِير وَبَنِي عَامِر حِلف وَعَهْد، فَخَرَجَ رَسُول الله ﷺ إِلى بَنِي النَّضِير ليَسْتَعِينَهُمْ فِي دِيَة ذَيْنك الرَّجُليْنِ، وَكَانَتْ مَنَازِل بَنِي النَّضِير ظَاهِر المَدِينَة عَلى أَمْيَال مِنْهَا شَرْقِيّهَا.

قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار فِي كِتَابه «السِّيرَة»: ثُمَّ خَرَجَ رَسُول الله إِلى بَنِي النَّضِير يَسْتَعِينهُمْ فِي دِيَة ذَيْنك القَتِيليْنِ مِنْ بَنِي عَامِر، اللَّذينِ قَتَلَ عَمْرو بْن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ، للجِوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُول الله ﷺ عَقَدَ لهُمَا، فِيمَا حَدَّثَنِي يَزِيد بْن رُومَان، وَكَانَ بَيْن بَنِي النَّضِير وَبَنِي عَامِر عَقْد وَحِلف؛ فَلمَّا أَتَاهُمْ رَسُول الله ﷺ يَسْتَعِينهُمْ فِي دِيَة ذَيْنك القَتِيليْنِ؛ قَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا القَاسِم، نُعِينك عَلى مَا أَحْبَبْت، مِمَّا اسْتَعَنْت بِنَا عَليْهِ، ثُمَّ خَلا بَعْضهمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لنْ تَجِدُوا الرَّجُل عَلى مِثْل حَاله هَذِهِ -وَرَسُول الله ﷺ إِلى جَنْب جِدَار مِنْ بُيُوتهمْ- فَمَنْ رَجُل يَعْلُو عَلى هَذَا البَيْت، فَيُلقِي عَليْهِ صَخْرَة، فَيُرِيحنَا مِنْهُ؟ فَانْتُدِبَ لذَلكَ عَمْرو بْن جَحَّاش بْن كَعْب- أَحَدهمْ فَقَال: أَنَا لذَلكَ، فَصَعِدَ ليُلقِيَ عَليْهِ صَخْرَة كَمَا قَال وَرَسُول الله ﷺ فِي نَفَر مِنْ أَصْحَابه، فِيهِمْ أَبُو بَكْر وَعُمَر وَعَليّ رضي الله عنهم، فَأَتَى رَسُول الله ﷺ الخَبَر مِنْ السَّمَاء بِمَا أَرَادَ القَوْم، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلى المَدِينَة، فَلمَّا اسْتَلبَثَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابُه قَامُوا فِي طَلبه، فَلقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنْ المَدِينَة فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَال: رَأَيْته دَاخِلًا المَدِينَة، فَأَقْبَل أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ حَتَّى انْتَهَوْا إِليْهِ، فَأَخْبَرَهُمْ الخَبَر بِمَا كَانَتْ يَهُود أَرَادَتْ مِنْ الغَدْر بِهِ، وَأَمَرَ رَسُول الله ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لحَرْبِهِمْ وَالمَسِير إِليْهِمْ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَل بِهِمْ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الحُصُون، فَأَمَرَ رَسُول الله ﷺ بِقَطْعِ النَّخْل وَالتَّحْرِيق فِيهَا، فَنَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّد؛ قَدْ كُنْت تَنْهَى عَنْ الفَسَاد فِي الأَرْض وَتَعِيبهُ عَلى مَنْ صَنَعهُ، فَمَا بَال قَطْع النَّخْل وَتَحْرِيقهَا؟ وَقَدْ كَانَ رَهْط مِنْ بَنِي عَوْف بْن الخَزْرَج مِنْهُمْ عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول، وَوَدِيعَة، ومَالك بْن

---

(١) في الأزهرية: [كل].

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

[أَبِي قَوْقَل][1]، وَسُوَيْد، وَدَاعِس، قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِير: أَنْ اثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا فَإِنَّا لَنْ نُسَلِّمكُمْ، إِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ الله فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْب، فَسَأَلُوا رَسُول الله ﷺ أَنْ يُجْلِيهِمْ وَيَكُفّ عَنْ دِمَائِهِمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الإِبِل مِنْ أَمْوَالهمْ إِلَّا الحَلْقَة، فَفَعَل، فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالهمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الإِبِل، فَكَانَ الرَّجُل مِنْهُمْ يَهْدِم بَيْته عَنْ إِنجَاف بَابه، فَيَضَعهُ عَلَى ظَهْر بَعِيره فَيَنْطَلِق بِهِ، فَخَرَجُوا إِلَى خَيْبَر وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّام، وَخَلَّوْا الأَمْوَال إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَكَانَتْ لِرَسُول الله خَاصَّة يَضَعهَا حَيْثُ يَشَاء، فَقَسَمَهَا عَلَى المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ دُون الأَنْصَار، إِلَّا أَن سَهْل بْن حُنَيْف وَأَبَا دُجَانَة سِمَاك بْن خَرَشَة ذَكَرَا فَقْرًا، فَأَعْطَاهُمَا رَسُول الله ﷺ. قَال: وَلَمْ يُسْلِم مِنْ بَنِي النَّضِير إِلَّا رَجُلَانِ: يَامِين بْن عُمَير ابْن كَعْب ابن عَمّ عَمْرو بْن جَحَّاش، وَأَبُو سَعْد ابْن وَهْب أَسْلَمَا عَلَى أَمْوَالهمَا فَأَحْرَزَاهَا.

قَال ابْن إِسْحَاق: وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْض آل يَامِين؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَال لِيَامِين: «**أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيت مِنْ ابْن عَمّك، وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي**». فَجَعَل يَامِين بْن عُمَير لِرَجُل جُعْلًا عَلَى أَنْ يَقْتُل عَمْرو بْن جَحَّاش، فَقَتَلَهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ. قَال ابْن إِسْحَاق: وَنَزَل فِي بَنِي النَّضِير سُورَة الحَشْر بِأَسْرِهَا. وَهَكَذَا رَوَى يُونُس بْن بُكَيْر عَنْ ابْن إِسْحَاق، بِنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ. فَقَوْله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ يَعْنِي: بَنِي النَّضِير ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عُمَر، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَبِي سَعْد، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس، قَال: مَنْ شَكَّ فِي أَنَّ أَرْض المَحْشَر هَهُنَا -يَعْنِي الشَّام- فَلْيَتْلُ هَذِهِ الآيَة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾، قَال لَهُمْ رَسُول الله ﷺ: «اخْرُجُوا». قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَال: «إِلَى أَرْض المَحْشَر»[2]. وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، عَنْ عَوْف، عَنْ الحَسَن، قَال: لَمَّا أَجْلَى رَسُول الله ﷺ بَنِي النَّضِير، قَال: «هَذَا أَوَّل الحَشْر، وَأَنَا عَلَى الأَثَر»[3]. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بُنْدَار عَنْ ابْن أَبِي عَدِيّ عَنْ عَوْف عَنْ الحَسَن بِهِ.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ﴾، أَيْ: فِي مُدَّة حِصَاركُمْ لَهُمْ وَقِصَرهَا، وَكَانَتْ سِتَّة أَيَّام، مَعَ شِدَّة حُصُونهمْ وَمَنَعَتهَا؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾، أَيْ: جَاءَهُمْ مِنْ أَمْر الله مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَال، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، وَقَوْله: ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ أَيْ: الخَوْف وَالهَلَع وَالجَزَع، وَكَيْفَ لَا يَحْصُل لَهُمْ ذَلِكَ وَقَدْ حَاصَرَهُمْ الَّذِي نُصِرَ بِالرُّعْبِ مَسِيرَة شَهْر، صَلَوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ. وَقَوْله: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِير ابْن إِسْحَاق لِذَلِكَ، وَهُوَ نَقْض مَا اسْتَحْسَنُوهُ مِنْ سُقُوفهمْ وَأَبْوَابهمْ، وَتَحَمُّلهَا عَلَى الإِبِل. وَكَذَا قَال عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم، وَغَيْر وَاحِد. وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُقَاتِلهُمْ، فَإِذَا ظَهَرَ عَلَى دَرْب أَوْ دَار، هَدَم حِيطَانهَا لِيَتَّسِع المَكَان لِلقِتَال، وَكَانَ اليَهُود إِذَا عَلَوْا مَكَانًا أَوْ غَلَبُوا عَلَى دَرْب أَوْ دَار نَقَّبُوا مِنْ أَدْبَارهَا ثُمَّ حَصَّنُوهَا وَدَرَّبُوهَا[4]، يَقُول الله تَعَالَى: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾. وَقَوْله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾، أَيْ: لَوْلَا أَنْ كَتَبَ الله عَلَيْهِمْ هَذَا الجَلَاء، وَهُوَ النَّفْي مِنْ دِيَارهمْ وَأَمْوَالهمْ، لَكَانَ

---

(١) في الأزهرية: [ابن نوفل].
(٢) **ضعيف** : فيه أبو سعد البقال مدلس ضعيف.
(٣) **ضعيف مرسل** : أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٩).
(٤) **ضعيف معضل** : فيه مقاتل بن حيان: قال ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» (١٩٥): لا يصح له عن صحابي لقي، إنما تلك أخبار مدلسة.

لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَذَاب آخر مِنْ القَتْل وَالسَّبْي، وَنَحْو ذَلِكَ، قَالَهُ الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة، وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد، لأَنَّ الله قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سَيُعَذِّبُهُمْ فِي الدَّار الدُّنْيَا مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَة مِنْ العَذَاب فِي نَار جَهَنَّم.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن صَالِح -كَاتِب اللَّيْث- حَدَّثَنِي اللَّيْث، عَنْ عُقَيْل، عَنْ ابْن شِهَاب؛ قَال: أَخْبَرَنِي عُرْوَة بْن الزُّبَيْر؛ قَال: ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَة بَنِي النَّضِير، وَهُمْ طَائِفَة مِنْ اليَهُود، عَلى رَأْس سِتَّة أَشْهُر مِنْ وَقْعَة بَدْر، وَكَانَ مَنْزِلهمْ بِنَاحِيَةٍ مِنْ المَدِينَة، فَحَاصَرَهُمْ رَسُول الله ﷺ حَتَّى نَزَلُوا على الجَلاء، وَأَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الإِبِل مِنْ الأَمْوَال وَالأَمْتِعَة إِلَّا الحَلقَة، وَهِيَ السِّلاح، فَأَجْلاهُمْ رَسُول الله ﷺ قِبَل الشَّام. قَال: وَالجَلاء أَنَّهُ كَتَبَ عَلَيْهِمْ فِي آيٍ مِنْ التَّوْرَاة، وَكَانُوا مِنْ سَبْط لمْ يُصِبْهُمْ الجَلاء قَبْل مَا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ رَسُول الله ﷺ، وَأَنْزَل الله فِيهِمْ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، إِلى قَوْله: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.(١) وَقَال عِكْرِمَة: الجَلاء: القَتْل، وَفِي رِوَايَة عَنْهُ الفَنَاء. وَقَال قَتَادَة: الجَلاء: خُرُوج النَّاس مِنْ البَلد إِلى البَلد. وَقَال الضَّحَّاك: أَجْلاهُمْ إِلى الشَّام، وَأَعْطَى كُلّ ثَلاثَة بَعِيرًا وَسِقَاء، فَهَذَا الجَلاء.

وَقَدْ قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن كَامِل القَاضِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سعد العَوْفِيّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَمِّي، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: كَانَ النَّبِيّ ﷺ قَدْ حَاصَرَهُمْ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ كُلّ مَبْلغ، فَأَعْطَوْهُ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ، فَصَالحَهُمْ عَلى أَنْ يَحْقِن لَهُمْ دماءهم، وَأَنْ يُخْرِجهُمْ مِنْ أَرْضهم وَمِنْ دِيَارهمْ وَأَوْطَانهمْ، وَأَنْ يُسَيِّرهُمْ إِلى أَذْرِعَات الشَّام، وَجَعَل لكُلِّ ثَلاثَة مِنْهُمْ بَعِيرًا وَسِقَاء(٢)، وَالجَلاء: إِخْرَاجهمْ مِنْ أَرْضهمْ إِلى أَرْض أُخْرَى. وَرَوَى أَيْضًا مِنْ حَدِيث يَعْقُوب بْن مُحَمَّد [الزُّهْرِيّ](٣)، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن جَعْفَر بن مَحْمُود بْن مُحَمَّد بْن مَسْلمَة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه، عَنْ مُحَمَّد بْن مَسْلمَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ بَعَثَهُ إِلى بَنِي النَّضِير، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَجِّلهُمْ فِي الجَلاء ثَلاث ليَالٍ.

وَقَوْله: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ أَيْ: حَتْم لازِم لا بُدّ لهُمْ مِنْهُ. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، أَيْ: إِنَّمَا فَعَل الله بِهِمْ ذَلكَ وَسَلَّطَ عَليْهِمْ رَسُوله وَعِبَاده المُؤْمِنِينَ؛ لأَنَّهُمْ خَالفُوا الله وَرَسُوله، وَكَذَّبُوا بِمَا أَنْزَلهُ الله عَلى رُسُله المُتَقَدِّمِينَ فِي البِشَارَة بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلكَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. ثُمَّ قَال: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، اللِّين: نَوْع مِنْ التَّمْر، وَهُوَ جَيِّد. قَال أَبُو عُبَيْدَة: وَهُوَ مَا خَالفَ العَجْوَة وَالبَرْنِيّ مِنْ التَّمْر. وَقَال كَثِيرُونَ مِنْ المُفَسِّرِينَ: اللِّينَة: أَلْوَان التَّمْر سِوَى العَجْوَة.

قَال ابْن جَرِير: هُوَ جَمِيع النَّخْل، وَنَقَلهُ عَنْ مُجَاهِد: وَهُوَ البُوَيْرَة. أَيْضًا، وَذَلكَ أَنَّ رَسُول الله ﷺ لَمَّا حَاصَرَهُمْ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخِيلهمْ إِهَانَة لهُمْ، وَإِرْهَابًا وَإِرْعَابًا لقُلُوبِهِمْ. فَرَوَى مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ يَزِيد بْن رُومَان، وَقَتَادَة، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان أَنَّهُمْ قَالُوا: فَبَعَثَ بَنُو النضير يَقُولُونَ لرَسُول الله ﷺ: إِنَّك تَنْهَى عَنْ الفَسَاد، فَمَا بَالك تَأْمُر بِقَطْعِ الأَشْجَار. فَأَنْزَل الله هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة، أَيْ: مَا قَطَعْتُمْ وَمَا تَرَكْتُمْ مِنْ الأَشْجَار فَالجَمِيع بإذن الله وَمَشِيئَته وَقَدَرته وَرِضَاهُ، وَفِيهِ نِكَايَة بِالعَدُوِّ، وَخِزْي لهُمْ، وَإِرْغَام لأُنُوفِهِمْ. وَقَال الحَافِظ أبو يَعْلى فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن وَكِيع، حَدَّثَنَا حَفْص، عَنْ ابْن جُرَيْج، عَنْ سُليْمَان بْن مُوسَى، عَنْ جَابِر، وَعَنْ أَبِي الزُّبَيْر، عَنْ

---

(١) **ضعيف مرسل** : فيه عبد الله بن صالح: صدوق يخطئ.
(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٩) بسند ضعيف.
(٣) في الأزهرية: [الزبيري].

جَابِر، قَال: رَخَّصَ لَهُمْ فِي قَطْعِ النَّخْل، ثُمَّ شَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَأَتَوْا النَّبِيّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، عَلَيْنَا إِثْم فِيمَا قَطَعْنَا؟ أَوْ عَلَيْنَا وِزْر فِيمَا تَرَكْنَا؟ فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.[1]

[وَقَال مُجَاهِد: نَهَى بَعْض المُهَاجِرِينَ بَعْضًا عَنْ قَطْعِ النَّخْل، وَقَالُوا: إِنَّمَا هِيَ مَغَانِم المُسْلِمِينَ. فَنَزَل القُرْآن بِتَصْدِيقِ مَنْ نَهَى عَنْ قَطْعه، وَتَحْلِيل مَنْ قَطَعَهُ مِنْ الإِثْم، وَإِنَّمَا قَطْعَهُ وَتَرْكَهُ بِإِذْنِهِ. وَقَدْ رُوِي نَحْو هَذَا مَرْفُوعًا، فَقَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا الحَسَن بْن مُحَمَّد، عن عَفَّان، حَدَّثَنَا حَفْص بْن غِيَاث، حَدَّثَنَا حَبِيب بْن أَبِي عَمْرَة، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس، فِي قَوْله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، قَال: يَسْتَنْزِلُونَهُم مِنْ حُصُونهمْ وَأُمِرُوا بِقَطْعِ النَّخْل، فَحَاكَ فِي صُدُورهمْ، فَقَال المُسْلِمُونَ: قَطَعْنَا بَعْضًا وَتَرَكْنَا بَعْضًا، فلنَسْأَلَنَّ رَسُول الله ﷺ: هَل لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْر؟ وَهَل عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْر؟ فَأَنْزَل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾][2].

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ مُوسَى بْن عُقْبَة، عَنْ نَافِع عَنْ ابْن عُمَر؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَطَعَ نَخْل بَنِي النَّضِير وَحَرَق.[3] وَأَخْرَجَهُ صَاحِبَا «الصَّحِيح» مِنْ رِوَايَة مُوسَى بْن عُقْبَة، بِنَحْوِهِ، وَلَفْظ البُخَارِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد الرَّزَّاق عَنْ ابْن جُرَيْج، عَنْ مُوسَى بْن عُقْبَة، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر؛ قَال: حَارَبْت النَّضِير وَقُرَيْظَة، فَأَجْلى بَنِي النَّضِير، وَأَقَرَّ قُرَيْظَة وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَت قُرَيْظَة، فَقَتَل رِجَالهمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلادهمْ وَأَمْوَالهمْ بَيْن المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضهمْ لحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلى يَهُود المَدِينَة كُلّهمْ، بَنِي قَيْنُقَاع، وَهُمْ رَهْط عَبْد الله بْن سَلام، وَيَهُود بَنِي حَارِثَة، وَكُلّ يَهُود المَدِينَة. وَلَهُمَا أَيْضًا عَنْ قُتَيْبَة، عَنْ اللَّيْث بْن سَعْد، عَنْ نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر، أَنَّ رَسُول الله ﷺ حَرَق نَخْل بَنِي النَّضِير وَقَطَعَ -وَهِيَ البُوَيْرَة- فَأَنْزَل الله ﷻ فِيهِ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. وَلِلبُخَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِنْ رِوَايَة جُوَيْرِيَّة بْن أَسْمَاء، عَنْ نَافِع، عَنْ عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُول الله ﷺ حَرَق نَخْل بَنِي النَّضِير وَقَطَعَ البُوَيْرَة، وَلَهَا يَقُول حَسَّان بْن ثَابِت رضي الله عنه:

وَهَانَ عَلَى سَرَاة بَنِي لُؤَيّ ❁ حَرِيق بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِير

فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَان ابْن الحَارِث يَقُول:

أَدَامَ الله ذَلِكَ مِنْ صَنِيع ❁ وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِير
سَتَعْلَمُ أَيّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ ❁ وَتَعْلَم أَيّ أَرْضِينَا نَضِير

كَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ، وَلَمْ يَذْكُرهُ ابْن إِسْحَاق، وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: وَقَال كَعْب بْن مَالك يَذْكُر إِجْلاء بَنِي النَّضِير وَقَتْل ابْن الأَشْرَف:

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الحُبُور ❁ كَذَاك الدَّهْر ذُو صَرْف يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ ❁ عَظِيم أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا ❁ وَجَاءَهُمُ مِنَ الله النَّذِيرُ
نَذِير صَادِق أَدَّى كِتَابًا ❁ وَآيَات مُبِينَة تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أُتِيتَ بِأَمْر صِدْق ❁ وَأَنْتَ بِمُنْكِرٍ مِنَّا جَدِيرُ

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أبو يعلى (٤/ ١٣٥).
(٢) تقديم وتأخير في الأزهرية.
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٢١)، ومسلم (١٧٤٦).

فَقَالَ: بَلَى، لقَدْ أَدَّيْتُ حَقًّا ❁ يُصَدِّقنِي بِهِ الفَهمُ الخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعهُ يُهْدَ لكُلِّ رُشْدٍ ❁ وَمَنْ يَكْفُر بِهِ يُجزَ الكَفُورُ
فَلمَّا أُشْرِبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا ❁ وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الحَقِّ النُّفُورُ
أَرَى اللهُ النَّبِيّ بِرَأْيٍ صِدْقٍ ❁ وَكَانَ اللهُ يَحْكُم لا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ❁ وَكَانَ نَصِيرَهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُو كَعْبٌ صَرِيعًا ❁ فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ❁ بأَيْدِينَا مُشْهَرَةً ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً ❁ إِلى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَاكَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ❁ وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
فَتِلكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدَارِ سَوْءٍ ❁ أَبَارَهُمُ بِمَا اجْتَرَمُوا المُبِيرُ
غَدَاةَ أَتَاهُمُ فِي الزَّحْفِ رهْوًا ❁ رَسُولُ اللهِ، وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرُ
وَغَسَّانُ الحُمَاةُ مُوَازِرُوهُ ❁ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَهُوَ لهُمْ وَزِيرُ
فَقَالَ: السِّلْمَ، وَيْحكُمُ فَصَدُّوا ❁ وحَالَفَ أَمْرَهمْ كَذِبٌ وَزُورُ
فَذَاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمُ دَبَالاً ❁ لكُلِّ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
وَأُجْلُوا عَامِدِينَ لقَيْنُقَاعٍ ❁ وَغُودِرَ مِنْهُمُ نَخْلٌ وَدُورُ

قَالَ: وَكَانَ مِمَّا قِيلَ مِنْ الأَشْعَارِ فِي بَنِي النَّضِيرِ قَوْلُ ابْن لُقَيْم العَبْسِيّ -وَيُقَالُ: قَالَهَا قَيْس بْن بَحْر بْن طَرِيف؛ قَالَ ابْن هِشَام: الأَشْجَعِي-:

أَهْلِي فِدَاءٌ لامْرِئٍ غَيْرِ هَالِكٍ ❁ أحَلَّ اليَهُودَ بِالحِسِّيِّ المُزَنَّم
يُقِيلُونَ فِي جَمْرِ الغَضَاةِ وَبُدِّلُوا ❁ أُهَيْضِبَ عَوْدًا بِالوَادِي المُكَمَّم
فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ ❁ يَرَوْا خَيْلَه بَيْنَ الصَّلا وَيَرَمْرَم
يَؤُمّ بِهَا عَمْرو بْنُ بُهثَةَ، إِنَّهُمْ ❁ عَدُوٌّ، وَمَا حَيٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الوَغَى ❁ يَهُزُّونَ أَطْرَافَ الوَشِيجِ المُقَوَّم
وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ ❁ تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَجُرْهُم
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً ❁ فَهَل بَعْدهمْ فِي المَجْدِ مِنْ مُتَكَرِّم
بِأَنَّ أَخَاكُمْ فَاعْلَمَن مُحَمَّدًا ❁ تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الحَجُونَ وَزَمْزَم
فَدِينُوا لهُ بِالحَقِّ تَجْسُم أُمُورُكُمْ ❁ وَتَسْمُوا مِنْ الدُّنْيَا إلى كُلِّ مُعَظَّم
نَبِيّ تلافته مِنْ اللهِ رَحْمَة ❁ وَلا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّم
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرٍ لعَمْرِي عِبْرَةٌ ❁ لكُمْ يَا قُرَيْش وَالقَلِيبِ المُلَمَّم
غَدَاةَ أَتَى فِي الخَزْرَجِيَّةِ عَامِدًا ❁ إِلَيْكُمْ مُطِيعًا للعَظِيمِ المُكَرَّم
مُعَانًا بِرُوحِ القُدْسِ يَنْكِي عَدُوَّهُ ❁ رَسُولاً مِنْ الرَّحْمَن حَقًّا بِمُعَلَّمِ
رَسُولاً مِنْ الرَّحْمَن يَتْلُو كِتَابَه ❁ فَلمَّا أَنَارَ الحَقّ لمْ يَتَلعْثَم
أَرَى أَمْرَه يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ❁ عُلُوًّا لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مُحْكَم

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْن إِسْحَاق رَحِمَهُ اللَّهُ هَهُنَا أَشْعَارًا كَثِيرَة، فيها آداب ومواعظ وحكم، وتفاصيل للقصة، تركنا باقيها اختصارًا واكتفاء بما ذكرناه، ولله الحمد والمنة. قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النضير بَعْد وَقْعَة أُحُد وَبَعْد بِئْر مَعُونَة. وَحَكَى البُخَارِيّ عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة؛ أَنَّهُ قَال: كَانَتْ وَقْعَة بَنِي النَّضِير بَعْد بَدْر بِسِتَّةِ أَشْهُر.[1]

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُبَيِّنًا لمال الفَيْء، وَمَا صِفَته؟ وَمَا حُكْمه؟ فَالفَيْء: كُلّ مَال أُخِذَ مِنْ الكُفَّار بغير قِتَال وَلا إِيجَاف خَيْل وَلا رِكَاب، كَأَمْوَال بَنِي النَّضِير هَذِهِ، فَإِنَّهَا مِمَّا لَمْ يُوجِف المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكَاب، أَيْ: لَمْ يُقَاتِلُوا الأَعْدَاء فِيهَا بِالمُبَارَزَةِ وَالمُصَاوَلة، بَل نَزَل أُولئِكَ مِنْ الرُّعْب الَّذِي أَلْقَى الله فِي قُلُوبهمْ مِنْ هَيْبَة رَسُول الله ﷺ فَأَفَاءَهُ الله عَلَى رَسُوله، وَلِهَذَا تَصَرَّفَ فِيهِ كَمَا شَاء، فَرَدَّهُ عَلى المُسْلِمِينَ فِي وُجُوه البِرّ وَالمَصَالح الَّتِي ذَكَرَهَا الله ﷻ فِي هَذِهِ الآيَات، فَقَال: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ ﴾، أَيْ: مِنْ بَنِي النَّضِير، ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾، يَعْنِي: الإِبِل، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾، أَيْ: هُوَ قَدِير لا يُغَالب وَلا يُمَانَع، بَل هُوَ القَاهِر لكُلِّ شَيْء. ثم قَال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾، أَيْ: جَمِيع البُلْدَان الَّتِي تُفْتَح هَكَذَا، فَحُكْمهَا حُكْم أَمْوَال بَنِي النَّضِير؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ إِلى آخِرهَا وَالَّتِي بَعْدهَا، فَهَذِهِ مَصَارِف أَمْوَال الفَيْء وَوُجُوهه. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو، وَمَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ مَالك بْن أَوْس بْن الحَدَثَانِ، عَنْ عُمَر رضي الله عنه قَال: كَانَتْ أَمْوَال بَنِي النَّضِير مِمَّا أَفَاءَ الله على رَسُوله، مِمَّا لَمْ يُوجِف المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكَاب، فَكَانَتْ لرَسُول الله ﷺ خَاصَة، فَكَانَ يُنْفِق عَلى أَهْله مِنْهَا نَفَقَة سَنَته -وَقَال مَرَّة: قُوت سَنَته- وَمَا بَقِيَ جَعَلَهُ فِي الكُرَاع وَالسِّلاح فِي سَبِيل الله ﷻ.[2]

هَكَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَد هَهُنَا مُخْتَصَرًا، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الجَمَاعَة فِي كُتُبهمْ -إِلَّا ابْن مَاجَهْ- مِنْ حَدِيث سُفْيَان، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ الزُّهْرِيّ، بِهِ. وَقَدْ رُوِّينَاهُ مُطَوَّلًا، فقال أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَلِيّ، وَمُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن فَارِس، -المَعْنَى وَاحِد- قَالا: حَدَّثَنَا بِشْر بْن عَمْرو الزَّهْرَانِيّ، حَدَّثَنِي مَالك بْن أَنَس، عَنْ ابْن شِهَاب، عَنْ مَالك بْن أَوْس قَال: أَرْسَل إِليَّ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه حِين تَعَالى النَّهَار، فَجِئْته فَوَجَدْته جَالسًا عَلى سَرِير مُفْضِيًا إِلى رُمَاله، فَقَال حِين دَخَلت عَلَيْهِ: يَا مَال؛ إِنَّهُ قَدْ دَفَّ أَهْل أَبْيَات مِنْ قَوْمك، وَقَدْ أَمَرْت فِيهِمْ بِشَيْء، فَاقْسِمْ فِيهِمْ. قُلت: لوْ أَمَرْت غَيْرِي بِذَلكَ، فَقَال: خُذْهُ. فَجَاءَهُ يَرْفَأ، فَقَال: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ؛ هَل لك فِي عُثْمَان بْن عَفَّان، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف، وَالزُّبَيْر بْن العَوَّام، وَسَعْد بْن أَبِي وَقَّاص؟ فقَال: نَعَمْ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا، ثُمَّ جَاءَهُ يَرْفَأ، فَقَال: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ؛ هَل لك فِي العَبَّاس وَعَلِيّ؟ قَال: نَعَمْ. فَأَذِنَ لهم، فَدَخَلوا، فَقَال العَبَّاس: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ؛ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْن هَذَا -يَعْنِي عَلِيًّا-، فَقَال بَعْضهمْ: أَجَل يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ؛ اقْضِ بَيْنَهُمَا وَأَرِحْهُمَا، قَال مَالك بْن أَوْس: خُيِّل إِليَّ أَنَّهُمَا قَدَّمَا أُولئِكَ النَّفَر لذَلكَ. فَقَال عُمَر رضي الله عنه: اتَّئِدَا، ثُمَّ أَقْبَل عَلى أُولئِكَ الرَّهْط فَقَال: أَنْشُدكُمْ بِالله الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُوم السَّمَاء وَالأَرْض، هَل تَعْلمُونَ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«لا نُورَث، مَا تَرَكْنَا**

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (كتاب المغازي).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٢٥٧).

صَدَقَة؟». قَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ أَقْبَل عَلى عَلِيّ وَالعَبَّاس، فَقَال: أَنْشُدكُمَا بِالله الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُوم السَّمَاء وَالأَرْض، هَل تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «لا نُورَث، مَا تَرَكْنَا صَدَقَة»؟ فَقَالا: نَعَمْ. فَقَال: فإن الله خَصَّ رَسُوله بِخَاصَّةٍ لمْ يَخُصّ بِهَا أَحَدًا مِنْ النَّاس، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾. فَكَانَ الله أَفَاءَ على رَسُوله أَمْوَال بَنِي النَّضِير، فَوَالله مَا اسْتَأْثَر بِهَا عَلَيْكُمْ وَلا أَحْرَزَهَا دُونكُمْ، فَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَأْخُذ مِنهَا نَفقَة سَنَة -أَوْ: نَفقَته وَنَفقَة أَهْله سَنَة- وَيَجْعَل مَا بَقِيَ أُسْوَة المَال، ثُمَّ أَقْبَل عَلى أُولئِكَ الرَّهْط، فَقَال: أَنْشُدكُمْ بِالله الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُوم السَّمَاء وَالأَرْض: هَل تَعْلَمُونَ ذَلكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ أَقْبَل عَلى عَلِيّ وَالعَبَّاس فَقَال: أَنْشُدكُمَا بِالله الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُوم السَّمَاء وَالأَرْض: هَل تَعْلَمَانِ ذَلكَ ؟ قَالا: نَعَمْ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُول الله ﷺ ؛ قَال أَبُو بَكْر: أَنَا وَلِيّ رَسُول الله، فَجِئْت أَنْتَ وَهَذَا إِلى أَبِي بَكْر، تَطْلُب أَنْتَ مِيرَاثك من ابْن أَخِيك، وَيَطْلُب هَذَا مِيرَاث امْرَأَته مِنْ أَبِيهَا، فَقَال أَبُو بَكْر رضي الله عنه: قَال رَسُول الله ﷺ : «لا نُورَث، مَا تَرَكْنَا صَدَقَة». وَالله يَعْلم إِنَّهُ لصَادِق بَارّ رَاشِد مُتَابع للحَقّ. فَوَلِيهَا أَبُو بَكْر، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلت: أَنَا وَلِيّ رَسُول الله ﷺ وَوَلِيّ أَبِي بَكْر، فَوُلِّيتهَا مَا شَاءَ الله أَنْ أَليهَا، فَجِئْت أَنْتَ وَهَذَا، وَأَنْتُمَا جَمِيع وَأَمْركُمَا وَاحِد، فَسَأَلْتُمَانِيهَا، فَقُلت: إِنْ شِئْتُمَا فَأَنَا أَدْفعهَا إِلَيْكُمَا عَلى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْد الله أَنْ تَلِيَاهَا بِالَّذِي كَانَ رَسُول الله ﷺ يَلِيهَا، فَأَخَذْتُمَاهَا مِنِّي عَلى ذَلكَ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي لأَقْضِيَ بَيْنكُمَا بِغَيْرِ ذَلك، وَالله لا أَقْضِي بَيْنكُمَا بِغَيْرِ ذَلكَ حَتَّى تَقُوم السَّاعَة، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَرُدَّاهَا إِلَيَّ. أَخْرَجُوهُ مِنْ حَدِيث [الزُّهْرِيّ] بِهِ.

وقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَارِم وَعَفَّان؛ قَالا: حدثنا مُعتمر، سَمِعْت أَبِي يَقُول: حَدَّثَنَا أَنَس بْن مَالك، عَنْ نبيّ الله ﷺ : أَنَّ الرَّجُل كَانَ يَجْعَل له مِنْ مَاله النَّخَلات، أَوْ كَمَا شَاءَ الله، حَتَّى فُتِحَتْ عَلَيْهِ قُرَيْظَة وَالنَّضِير. قَال: فَجَعَل يَرُدّ بَعْد ذَلكَ، قَال: وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِي النَّبِيّ ﷺ فَأَسْأَلهُ الَّذِي كَانَ أَهْله أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضه، وَكَانَ نَبِيّ الله ﷺ قَدْ أَعْطَاهُ أُمّ أَيْمَن، أَوْ كَمَا شَاءَ الله، قَال: فَسَأَلتُ النَّبِيّ ﷺ فَأَعْطَانِيهِنَّ، فَجَاءَتْ أُمّ أَيْمَن فَجَعَلتْ الثَّوْب فِي عُنُقِي، وَجَعَلتْ تَقُول: كَلَّا، وَالله الَّذِي لا إِله إِلَّا هُوَ لا يُعْطِيكَهُنَّ وَقَدْ أَعْطَانِيهِنَّ -أَوْ كَمَا قَالتْ- فَقَال نَبِيّ الله: «لك كَذَا وَكَذَا». قَال: وَتَقُول: كَلَّا، وَالله. قَال: وَيَقُول: «لك كَذَا وَكَذَا». قَال: وَتَقُول: كَلَّا، وَالله. قَال: وَيَقُول: «لك كَذَا وَكَذَا». قَال: حَتَّى أَعْطَاهَا، حَسِبْت أَنَّهُ قَال: عَشَرَة أَمْثَاله، أَوْ قَال: قَرِيبًا مِنْ عَشَرَة أَمْثَاله[1]، أَوْ كَمَا قَال. رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم مِنْ طُرُق عَنْ مُعتمر، بِهِ. وَهَذِهِ المَصَارِف المَذْكُورَة فِي هَذِهِ الآيَة هِيَ المَصَارِف المَذْكُورَة فِي خُمُس الغَنِيمَة. وَقَدْ قَدَّمْنَا الكَلام عَلَيْهَا فِي «سُورَة الأَنْفَال» بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا، وَلله الحَمْد.

وَقَوْله: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ﴾ أَيْ: جَعَلنَا هَذِهِ المَصَارِف لمَال الفَيْء لئلا يَبْقَى مَأْكَلة يَتَغَلَّب عَلَيْهَا الأَغْنِيَاء وَيَتَصَرَّفُونَ فِيهَا، بِمَحْضِ الشَّهَوَات وَالآرَاء، وَلا يَصْرِفُونَ مِنْهُ شَيْئًا إِلى الفُقَرَاء. وَقَوْله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾. أَيْ: مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُر بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يَنْهَى عَنْ شَرّ. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن أَبِي طَالب، حَدَّثَنَا عَبْد الوَهَّاب، حَدَّثَنَا سَعِيد عَنْ قَتَادَة، عَنْ الحَسَن العُرَنِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن الجَزَّار، عَنْ مَسْرُوق؛ قَال: جَاءَتْ امْرَأَة إِلى ابْن مَسْعُود فَقَالتْ: بَلغَنِي أَنَّك تَنْهَى عَنْ الوَاشِمَة وَالوَاصِلة، أَشَيْء وَجَدْته فِي كِتَاب الله أَوْ عَنْ رَسُول الله ﷺ ؟ قَال: بَلى،

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٢٠)، ومسلم (١٧٧١).

شَيْء وَجَدْته فِي كِتَاب الله وَعَنْ رَسُول الله ﷺ. قَالتْ: وَالله لقَدْ تَصَفَّحْت مَا بَيْن دَفَّتَيْ الْمُصْحَف فَمَا وَجَدْت الَّذِي تَقُول! قَال: فَمَا وَجَدْت فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قَالتْ: بَلى. قَال: فَإِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَنْهَى عَنْ الوَاصِلة وَالوَاشِمَة وَالنَّامِصَة. قَالتْ: فَلعَلَّهُ فِي بَعْض أَهْلك؛ قَال: فَادْخُلي فَانْظُرِي. فَدَخلتْ فَنظَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ، قَالتْ: مَا رَأَيْت بَأْسًا. فَقَال لهَا: أَمَا حَفِظْت وَصِيَّة العَبْد الصَّالح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ مَنْصُور عن إبراهيم عَنْ علقَمَة، عَنْ عَبْد الله -هُوَ ابْن مَسْعُود- قَال: لعَنَ الله الوَاشِمَات وَالْمُسْتَوْشِمَات، وَالْمُتَنَمِّصَات، وَالْمُتَفَلِّجَات للحُسْنِ، الْمُغَيِّرَات خَلق الله ﷻ. قَال: فَبلغَ امْرَأَة فِي البَيْت، يُقَال لهَا «أُمّ يَعْقُوب» فَجَاءَتْ إِليْهِ، فَقَالتْ: بَلغَنِي أَنَّك قُلت كَيْت وَكَيْت. قَال: مَا لِي لا أَلعَن مَنْ لعَنَ رَسُول الله ﷺ، وَفِي كِتَاب الله. فَقَالتْ: إِنِّي لأَقْرَأ مَا بَيْن لوْحَيْهِ فَمَا وَجَدْته. فَقَال: إِنْ كُنْت قَرَأْتِيهِ فَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قَالتْ: بَلى. قَال: فَإِنَّ رَسُول الله ﷺ نَهَى عَنْهُ. قَالتْ: إِنِّي لأَظُنّ أَهْلك يَفْعَلُونَهُ. قَال: اذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَلمْ تَرَ مِنْ حَاجَتهَا شَيْئًا، فَجَاءَتْ فَقَالتْ: مَا رَأَيْت شَيْئًا. قَال: لوْ كَانَتْ كذلك لمْ تُجَامِعنَا.[1] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»**[2]. وَقَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا مَنْصُور بْن حَيَّان، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابن عُمَر، وَابْن عَبَّاس؛ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلى رَسُول الله ﷺ؛ أَنَّهُ نَهَى عَنْ الدُّبَّاء وَالحَنْتَم وَالنَّقِير وَالمُزَفَّت، ثُمَّ تَلا رَسُول الله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]. وَقَوْله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، أَيْ: اتَّقُوهُ فِي امْتِثَال أَوَامِره وَتَرْك زَوَاجِره؛ فَإِنَّهُ شَدِيد العِقَاب لمَنْ عَصَاهُ وَخَالفَ أَمْره وَأَبَاهُ، وَارْتَكَبَ مَا عَنْهُ زَجَرَهُ وَنَهَاهُ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُبَيِّنًا حَال الفُقَرَاء الْمُسْتَحِقِّينَ لمَال الفَيْء أَنَّهُمْ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، أَيْ: خَرَجُوا مِنْ دِيَارهِمْ وَخَالفُوا قَوْمهمْ ابْتِغَاء مَرْضَاة الله وَرِضْوَانه، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾، أَيْ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ صَدَّقُوا قَوْلهمْ بِفِعْلهِمْ، وَهَؤُلاءِ هُمْ سَادَات الْمُهَاجِرِينَ. ثم قَال تَعَالى مَادِحًا للأَنْصَارِ، وَمُبَيِّنًا فَضْلهمْ وَشَرَفهمْ وَكَرَمهمْ وَعَدَم حَسَدهمْ، وَإِيثَارهمْ مَعَ الحَاجَة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أَيْ: سَكَنُوا دَار الهِجْرَة مِنْ قَبْل الْمُهَاجِرِينَ، وَآمَنُوا قَبْل كَثِير مِنْهُمْ. قَال عُمَر: وَأُوصِي الخَليفَة بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلينَ أَنْ يَعْرِف لهُمْ حَقّهمْ، وَيَحْفَظ لهُمْ كَرَامَتهمْ. وَأُوصِيه بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، الَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٣) صحيح: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٨٤).

تَبَوَّءُوا الدَّار وَالإِيمَان مِنْ قَبْل، أَنْ يَقْبَل مِنْ مُحْسِنهمْ، وَأَنْ يَعْفُو عَنْ مُسِيئِهِمْ"[١]، رَوَاهُ الْبُخَارِيّ هَهُنَا أَيْضًا.
وَقَوْله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، أَيْ: مِنْ كَرَمهمْ وَشَرَف أَنْفُسهمْ، يُحِبُّونَ الْمُهَاجِرِينَ وَيُوَاسُونَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، أخبرنا حُمَيْد، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُول الله؛ مَا رَأَيْنَا مِثْل قَوْم قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَن مُوَاسَاة فِي قَلِيل، وَلا أَحْسَن بَذْلًا فِي كَثِير، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَة، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمُهَنَّأ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلّه! قَال: «**لا، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ الله لَهُمْ**»[٢]. لَمْ أَرَهُ فِي الْكُتُب مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَال الْبُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد، سَمِعَ أَنَس بْن مَالك حِين خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الوَلِيد؛ قَال: دَعَا النَّبِيّ ﷺ الأَنْصَار أَنْ يَقْطَع لَهُمْ الْبَحْرَيْنِ، قَالُوا: لا، إِلَّا أَنْ تَقْطَع لإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلهَا. قَال: «**إِمَّا لا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَة**»[٣]. تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيّ مِنْ هَذَا الوَجْه. وقَال الْبُخَارِيّ: حَدَّثَنَا الحَكَم بْن نَافِع، أَخْبَرَنَا شُعَيْب، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَاد، عَنْ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَالَتْ الأَنْصَار: اقْسِمْ بَيْننَا وَبَيْن إِخْوَاننَا النَّخِيل. قَال: لا. فقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُؤْنَة وَنُشْرِككُمْ فِي الثَّمَرَة؟ قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.[٤] تَفَرَّدَ بِهِ دُون مُسْلم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا﴾ أَيْ: وَلا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسهمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ فِيمَا فَضَّلَهُمْ الله بِهِ مِنْ الْمَنْزِلة، وَالشَّرَف وَالتَّقْدِيم فِي الذِّكْر وَالرُّتْبَة.

قَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يَعْنِي الحَسَد. ﴿مِّمَّآ أُوتُوا﴾ قَال قَتَادَة: يَعْنِي فِيمَا أُعْطِي إِخْوَانهمْ. وَكَذَا قَال ابْن زَيْد. وَمِمَّا يُسْتَدَلّ بِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَنَس؛ قَال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُول الله ﷺ؛ فَقَال: «**يَطْلُع عَلَيْكُمْ الآن رَجُل مِنْ أَهْل الجنَّة**». فَطَلَعَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار تَنْطِف لِحْيَته مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعلَّق نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشِّمَال، فَلَمَّا كَانَ الغَد قَال رَسُول الله ﷺ مِثْل ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُل مِثْل الْمَرَّة الأُولى، فَلَمَّا كَانَ فِي اليَوْم الثَّالِث قَال رَسُول الله ﷺ مِثْل مَقَالته أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُل عَلَى مِثْل حاله الأُولى، فَلَمَّا قَامَ رَسُول الله ﷺ تَبِعَهُ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن العَاص، فَقَال: إِنِّي لاحَيْت أَبِي فَأَقْسَمْت أن لا أَدْخُل عَلَيْهِ ثَلاثًا، فَإِنْ رَأَيْت أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْك حَتَّى تَمْضِي فَعَلت، قَال: نَعَمْ. قَال أَنَس: فَكَانَ عَبْد الله يُحَدِّث أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلاث اللَّيَالِي، فَلَمْ يَرَهُ يَقُوم مِنْ اللَّيْل شَيْئًا، غَيْر أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ تَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشه، ذَكَرَ الله وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُوم لِصَلاةِ الفَجْر. قَال عَبْد الله: غَيْر أَنِّي لَمْ أَسْمَعهُ يَقُول إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلاث لَيَالٍ وَكِدْت أَنْ أَحْتَقِر عَمَله، قُلت: يَا عَبْد الله، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْن أَبِي غَضَب وَلا هَجْر، وَلَكِنْ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول لك ثَلاث مَرَّات: «**يَطْلُع عَلَيْكُمْ الآن رَجُلٌ مِنْ أَهْل الجنَّة**». فَطَلَعْت أَنْتَ الثَّلاث الْمَرَّات، فَأَرَدْت أَنْ آوِي إِلَيْك لأَنْظُر مَا عَمَلك فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَك تَعْمَل كثير عَمَل، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِك مَا قَال رَسُول الله ﷺ؟ قَال: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْت. فَلَمَّا وَلَّيْت دَعَانِي فَقَال: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْت، غَيْر أَنِّي لا أَجِد فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلا أَحْسُد أَحَدًا عَلَى خَيْر أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ. قَال عَبْد الله: هذه الَّتِي بَلَغَتْ بِك وَهِيَ الَّتِي لا تُطَاق.[٥] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي «اليَوْم وَاللَّيْلة» عَنْ سُوَيْد بْن نَصْر، عَنْ ابْن الْمُبَارَك، عَنْ مَعْمَر، بِهِ. وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح عَلَى شَرْط «الصَّحِيحَيْنِ»، لَكِنْ رَوَاهُ عُقَيْل وَغَيْره عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ رَجُل، عَنْ أَنَس، فَالله أَعْلَم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٠٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٤).
(٤) البخاري (٢٣٢٥).
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٦)، وصححه الألباني في «الضعيفة» (١/ ٢٥).

وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم فِي قَوْله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾. يَعْنِي مِمَّا أُوتُوا: المُهَاجِرُونَ. قَال: وَتَكَلَّمَ فِي أَمْوَال بَنِي النَّضِير بَعْض مَنْ تَكَلَّمَ فِي الأَنْصَار، فَعَاتَبَهُمْ الله فِي ذَلكَ، فَقَال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. قَال: وَقَال رَسُول الله ﷺ : «إِنَّ إِخْوَانكُمْ قَدْ تَرَكُوا الأَمْوَال وَالأَوْلاد، وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ». فَقَالُوا: أَمْوَالنَا بَيْننَا قَطَائِع. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «أَوَغَيْر ذَلكَ؟». قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُول الله؟ قَال: «هُمْ قَوْم لا يَعْرِفُونَ العَمَل، فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُمْ الثَّمَر». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُول الله[1]. وَقَوْله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يَعْنِي: حَاجَة، أَيْ: يُقَدِّمُونَ المَحَاوِيج عَلَى حَاجَة أَنْفُسهمْ، وَيَبْدَءُونَ بِالنَّاسِ قَبْلهمْ فِي حَال احْتِيَاجهمْ إِلَى ذَلكَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح» عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «أَفْضَل الصَّدَقَة جَهْد المُقِلّ»[2]. وَهَذَا المَقَام أَعْلَى مِنْ حَال الَّذِينَ وَصَفَ الله بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾. وَقَوْله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾. فَإِنَّ هَؤُلاءِ يتصدقون وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ، وَقَدْ لا يَكُون لَهُمْ حَاجَة إِلَيْهِ وَلا ضَرُورَة بِهِ، وَهَؤُلاءِ آثَرُوا عَلَى أَنْفُسهمْ مَعَ خَصَاصَتهمْ وَحَاجَتهمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ. وَمِنْ هَذَا المَقَام تَصَدَّقَ الصِّدِّيق رضي الله عنه بِجَمِيع مَاله، فَقَال لَهُ رَسُول الله ﷺ : «مَا أَبْقَيْت لأَهْلكَ؟» فَقَال رضي الله عنه: أَبْقَيْت لَهُمْ الله وَرَسُوله. وهذا المَاء الَّذِي عُرِضَ عَلَى عِكْرِمَة وَأَصْحَابه يَوْم اليَرْمُوك، فَكُلّ مِنْهُمْ يَأْمُر بِدَفْعِهِ إِلَى صَاحِبه، وَهُوَ جَرِيح مُثْقَل أَحْوَج مَا يَكُون إِلَى المَاء، فَرَدَّهُ الآخَر إِلَى الثَّالث، فَمَا وَصَل إِلَى الثَّالث حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرهمْ وَلَمْ يَشْرَبهُ أَحَد مِنْهُمْ، رضي الله عنهم وَأَرْضَاهُمْ.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم بْن كَثِير، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، حَدَّثَنَا فُضَيْل بْن غَزْوَان، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِم الأَشْجَعِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: أَتَى رَجُلٌ رسولَ الله ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله، أَصَابَنِي الجَهْد، فَأَرْسَل إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِد عِنْدهنَّ شَيْئًا، فَقَال النَّبِيّ ﷺ : «أَلا رَجُل يُضَيِّف هَذَا اللَّيْلَةَ، رحمه الله». فَقَامَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار فَقَال: أَنَا يَا رَسُول الله؛ فَذَهَبَ إِلَى أَهْله فَقَال لامْرَأَتِهِ: ضَيْف رَسُول الله ﷺ لا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا. فَقَالَتْ: وَالله مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَة. قَال: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاء فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاج وَنَطْوِي بُطُوننَا اللَّيْلَة. فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُل عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: «لَقَدْ عَجِبَ الله عز وجل -أَوْ: ضَحِكَ- مِنْ فُلان وَفُلانَة». وَأَنْزَل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3]. وَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي مَوْضِع آخَر، وَمُسْلم والترمذي وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق، عَنْ فُضَيْل بْن غَزْوَان، بِهِ نحوه، وَفِي رِوَايَة لِمُسْلم تَسْمِيَة هَذَا الأَنْصَارِيّ بِأَبِي طَلْحَة رضي الله عنه.

وَقَوْله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، أَيْ: مَنْ سَلِمَ مِنْ الشُّحّ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ. قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا دَاوُد بْن قَيْس الفَرَّاء عَنْ عُبَيْد الله بْن مِقْسَم، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْم ظُلُمَات يَوْم القِيَامَة، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمهمْ».[4] انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلم، فَرَوَاهُ عَنْ القَعْنَبِيّ عَنْ دَاوُد بْن قَيْس، بِهِ.

وَقَال الأَعْمَش وَشُعْبَة، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ عَبْد الله بْن الحَارِث، عَنْ زُهَيْر بْن الأَقْمَر، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنهما؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «اتَّقُوا الظُّلْم؛ فَإِنَّ الظُّلْم ظُلُمَات يَوْم القِيَامَة، وَاتَّقُوا الفُحْش،

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله.

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (١٤٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٨) (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٤) صحيح : تقـدم.

فَإِنَّ الله لا يُحِبّ الفُحْش وَلا التَّفَحُّش، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحّ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلم فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا»[1]. وَرَوَاهُ أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد، مِنْ طَرِيق شُعْبَة. وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق الأَعْمَش؛ كِلاهُمَا عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، بِهِ. وَقَال اللَّيْث عَنْ يَزِيد بْن الهَادّ عَنْ سُهَيْل بْن أَبِي صَالح عَنْ صَفْوَان بْن أَبِي يَزِيد عَنْ القَعْقَاع بْن اللجلاج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**لا يَجْتَمِع غُبَار فِي سَبِيل الله وَدُخَان جَهَنَّم فِي جَوْف عَبْد أَبَدًا، وَلا يَجْتَمِع الشُّحّ وَالإِيمَان فِي قَلب عَبْد أَبَدًا**»[2].

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدَة بْن سُلَيمَان، أَخْبَرَنَا ابْن المُبَارَك، حَدَّثَنَا المَسْعُودِيّ، عَنْ جَامِع بْن [شَدَّاد][3]، عَنْ الأَسْوَد بْن هِلال؛ قَال: جَاءَ رَجُل إِلَى عَبْد الله؛ فَقَال: يَا أَبَا عَبْد الرَّحْمَن؛ إِنِّي أَخَاف أَنْ أَكُون قَدْ هَلكْت! فَقَال لهُ عَبْد الله: وَمَا ذَاكَ؟ قَال: سَمِعْت الله يَقُول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وَأَنَا رَجُل شَحِيح، لا أَكَاد أَنْ أُخْرِج مِنْ يَدِي شَيْئًا! فَقَال عَبْد الله: لَيْسَ ذَلكَ بِالشُّحِّ الَّذِي ذَكَرَ الله فِي القُرْآن، إِنَّمَا الشُّحّ الَّذِي ذَكَرَ الله فِي القُرْآن أَنْ تَأْكُل مَال أَخِيك ظُلمًا، وَلكِنْ ذَاكَ البُخْل، وَبِئْسَ الشَّيْء البُخْل.

وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَنْ طَارِق بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ أَبِي الهَيَّاج الأَسَدِيّ؛ قَال: كُنْت أَطُوف بِالبَيْتِ، فَرَأَيْت رَجُلًا يَقُول: اللَّهُمَّ؛ قِنِي شُحّ نَفْسِي. لا يَزِيد عَلى ذَلكَ، فَقُلت لهُ، فَقَال: إِنِّي إِذَا وُقِيت شُحّ نَفْسِي لمْ أَسْرِق وَلمْ أَزْنِ وَلمْ أَفْعَل -وَإِذَا الرَّجُل عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف رضي الله عنه- رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن إِسْحَق، حَدَّثَنَا سُليمَان بْن عَبْد الرَّحْمَن الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن [عَيَّاش][4]، حَدَّثَنَا مُجَمِّع ابن [جَارِيَة][5] الأَنْصَارِيّ، عَنْ عَمّه يَزِيد بْن [جَارِيَة][5]، عَنْ أَنَس بْن مَالك، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**بَرِئَ مِنَ الشُّحّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاة وَقَرَى الضَّيْف، وَأَعْطَى فِي النَّائِبَة**»[6].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: هَؤُلاءِ هم القِسْم الثَّالث مِمَّنْ يَسْتَحِق فُقَرَاؤُهُم مِنْ مَال الفَيْء، وَهُمْ المُهَاجِرُونَ، ثُمَّ الأَنْصَار، ثُمَّ التَّابِعُونَ لهُمْ بِإِحْسَانٍ، كَمَا قَال فِي آيَة بَرَاءَة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فَالتَّابِعُونَ لهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمْ: المُتَّبِعُونَ لآثَارِهِمْ الحَسَنَة وَأَوْصَافهمْ الجَمِيلة، الدَّاعُونَ لهُمْ فِي السِّرّ وَالعَلانِيَة. وَلهَذَا قَال فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾، أَيْ: قَائِلينَ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾، أَيْ: بُغْضًا وَحَسَدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. وَمَا أَحْسَن مَا اسْتَنْبَطَ الإِمَام مَالك رَحِمَهُ اللهُ مِنْ هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة: أَنَّ الرَّافِضِيّ الَّذِي يَسُبّ الصَّحَابَة لَيْسَ لهُ فِي مَال الفَيْء نَصِيب لعَدَم اتِّصَافه بِمَا مَدَحَ الله بِهِ هَؤُلاءِ فِي قَوْلهمْ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عَبْد الرَّحْمَن المَسْرُوقِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بِشْر، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم بْن مُهَاجِر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَة أَنَّهَا قَالتْ: أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لهُمْ، فَسَبُّوهُمْ! ثُمَّ قَرَأَت هَذِهِ الآيَة:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (٦/ ١٣، ١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».
(٣) في الأزهرية: [سواد].
(٤) في الأزهرية: [بن عباس].
(٥) في الأزهرية: [حارثة].
(٦) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٣)، وإسناده ضعيف.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾... الآية. وَقَال إِسْمَاعِيل ابْن عُلَيَّة: عَنْ عَبْد المَلك بْن عُمَيْر، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: أُمِرْتُمْ بِالاسْتِغْفَارِ لأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَسَبَبْتُمُوهُمْ. سَمِعْت نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُول: «**لا تَذْهَب هَذِهِ الأُمَّة حَتَّى يَلعَن آخِرُهَا أَوَّلَها**»[1]. ورَوَاهُ البَغَوِيّ.

وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا مُسَدَّد، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا أَيُّوب، عَنْ الزُّهْرِيّ قَال: قَال عُمَر رضي الله عنه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾. قَال الزُّهْرِيّ: قَال عُمَر رضي الله عنه: هَذِهِ لِرَسُول اللهِ ﷺ خَاصَّة، قُرَى عربية: فدك وَكَذَا وَكَذَا، فما أَفَاءَ الله عَلى رَسُوله مِنْ أَهْل القُرَى فَلله وَللرَّسُول وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِين وَابْن السَّبِيل، وَللفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَأَمْوَالهمْ، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، فَاسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ الآيَة النَّاس، فَلَمْ يَبْقَ أَحَد مِنْ المُسْلِمِينَ إِلَّا لهُ فِيهَا حَقّ[2] -قَال أَيُّوب: أَوْ قَال: حَظّ- إِلَّا بَعْض مَنْ تَمْلكُونَ مِنْ أَرِقَّائِكُمْ. كَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَفِيهِ انْقِطَاع.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ أَيُّوب، عَنْ عِكْرِمَة بْن خَالد، عَنْ مَالك بْن أَوْس بْن الحَدَثَانِ قَال: قَرَأَ عُمَر بْن الخَطَّاب: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾، حَتَّى بَلغَ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ثُمَّ قَال: هَذِهِ لهَؤُلاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ الآيَة، ثُمَّ قَال: هَذِهِ لهَؤُلاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ حَتَّى بَلغَ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثُمَّ قَال: اسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ الآيَة المُسْلِمِينَ عَامَّة، وَليْسَ أَحَد إِلَّا لهُ فِيهَا حَقّ، ثُمَّ قَال: لئِنْ عِشْت ليَأْتِيَن الرَّاعِي وَهُوَ يسيّر حُمُره نَصِيبه فِيهَا لمْ يَعْرَق فِيهَا جَبِينه.[3]

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ المُنَافِقِينَ كَعَبْدِ الله بْن أُبَيّ وَأَضْرَابه، حِين بَعَثُوا إِلى يَهُود بَنِي النَّضِير يَعِدُونَهُمْ النَّصْر مِنْ أَنْفُسهِمْ، فَقَال تَعَالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾، قَال الله تَعَالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، أَيْ: لكَاذِبُونَ فِيمَا وَعَدُوهُمْ بِهِ إِمَّا لأَنَّهُمْ قَالُوا لهُمْ قَوْلًا ومِنْ نِيَّتهمْ أَنْ لا يفوا لهُمْ بِهِ، وَإِمَّا أنهم لا يَقَع مِنْهُمْ الَّذِي قَالُوهُ. ولهذا قال: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ أَيْ: لا يُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ، ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أَيْ: قَاتَلُوا مَعَهُمْ ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾، وَهَذِهِ بِشَارَة مُسْتَقِلَّة بِنَفْسِهَا. ثم قَال تَعَالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَيْ: يَخَافُونَ مِنْكُمْ أَكْثَر مِنْ خَوْفهمْ مِنْ الله، كَقَوْلهِ: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ

---

(١) عزاه ابن كثير إلى البغوي بسند ضعيف.

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٩٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) صحيح : أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٧).

أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾؛ وَلهَذَا قَال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾. ثم قَال: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾، يَعْنِي أَنَّهُمْ مِنْ جُبْنهمْ وَهَلَعهمْ لا يَقْدِرُونَ عَلى مُوَاجَهَة جَيْش الإِسْلام بِالمُبَارَزَةِ وَالمُقَابلة، بَل إِمَّا فِي حُصُون أَوْ مِنْ وَرَاء جدارِ مُحَاصَرِينَ، فَيُقَاتِلُونَ للدَّفْع عَنْهُمْ ضَرُورَة. ثُمَّ قَال: ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أَيْ: عَدَاوَتهم بَيْنهمْ شَدِيدَة، كَما قَال: ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾، وَلهَذَا قَال: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾. أَيْ: تَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَتَحْسَبهُمْ مُؤْتَلِفِينَ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ غَايَة الاخْتِلاف. قَال إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: يَعْنِي: أَهْل الكِتَاب وَالمُنَافِقِينَ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾. ثم قال: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، قَال مُجَاهِد، وَالسُّدِّيّ، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان: كَمَثَل مَا أَصَابَ كُفَّار قُرَيْش يَوْم بَدْر. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، يَعْنِي: يَهُود بَنِي قَيْنُقَاع. وَكَذَا قَال قَتَادَة، وَمُحَمَّد بْن إِسْحَاق. وَهَذَا القَوْل أَشْبَه بِالصَّوَابِ، فَإِنَّ يَهُود بَنِي قَيْنُقَاع كَانَ رَسُول الله ﷺ قَدْ أَجْلاهُمْ قَبْل هَذَا.

وقوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ يَعْنِي: مِثْل هَؤُلاءِ اليَهُود فِي اغْتِرَارهمْ بِالَّذِينَ وَعَدُوهُمْ النَّصر مِنْ المُنَافِقِينَ، وَقَوْل المُنَافِقِينَ لَهُمْ: ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾، ثُمَّ لـمَّا حَقَّت الحَقَائِق وَجَدّ بِهِمْ الحِصَار وَالقِتَال، تَخَلَّوْا عَنْهُمْ وَأَسْلمُوهُمْ للهَلكَةِ، مِثَالهمْ فِي هَذَا كَمَثَل الشَّيْطَان إِذْ سَوَّل للإِنْسَانِ -وَالعِيَاذ بِالله- الكُفْر، فَإِذَا دَخَل فِيمَا سَوَّلهُ لهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَتَنَصَّل، وَقَال: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضهمْ هَهُنَا قِصَّة لبَعْضِ عُبَّاد بَنِي إِسْرَائِيل هِيَ كَالمِثَال لهَذَا المَثَل، لا أَنَّهَا المُرَادَة وَحْدهَا بِالمَثَل، بَل هِيَ مِنْهُ مَعَ غَيْرهَا مِنْ الوَقَائِع المُشَاكلة لهَا، فَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا خَلَّاد بْن أَسْلم، أَخْبَرَنَا النَّضْر بْن شُمَيْل، أَخْبَرَنَا شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، سَمِعْت عَبْد الله بْن نَهِيك، قَال: سَمِعْت عَليًّا رضي الله عنه يَقُول: إِنَّ رَاهِبًا تَعَبَّدَ سِتِّينَ سَنَة، وَإِنَّ الشَّيْطَان أَرَادَهُ فَأَعْيَاهُ، فَعَمَدَ إِلى امْرَأَة فَأَجَنَّهَا وَلهَا إِخْوَة، فَقَال لإِخْوَتِهَا: عَليْكُمْ بِهَذَا القَسّ فَيُدَاوِيهَا. قَال: فَجَاءُوا بِهَا إِليْهِ فَدَاوَاهَا، وَكَانَتْ عِنْده، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عِنْدهَا إِذْ أَعْجَبَتْهُ، فَأَتَاهَا فَحَبلتْ، فَعَمَدَ إِليْهَا فَقَتَلهَا، فَجَاءَ إِخْوَتهَا، فَقَال الشَّيْطَان للرَّاهِبِ: أَنَا صَاحِبك، إِنَّك أَعْيَيْتنِي، أَنَا صَنَعْت هَذَا بك فَأَطِعْنِي أُنْجِك مِمَّا صَنَعْت بك، اسجد لي سَجْدَة فَسَجَدَ له، فَلَمَّا سَجَدَ لهُ قَال: إِنِّي بَرِيء مِنْك، إِنِّي أَخَاف الله رَبّ العَالمِينَ، فَذَلكَ قَوْله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.[1]

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن إِبْرَاهِيم المَسْعُودِيّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ عُمَارَة، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيْد، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. قَال: كَانَتْ امْرَأَة تَرْعَى الغَنَم، وَكَانَ لهَا أَرْبَعَة إِخْوَة، وَكَانَتْ تَأْوِي بِاللَّيْل إِلى صَوْمَعَة رَاهِب قَال: فَنَزَل الرَّاهِب فَفَجَرَ بِهَا، فَحَملتْ، فَأَتَاهُ الشَّيْطَان فَقَال لهُ: اقْتُلهَا ثُمَّ ادْفِنْهَا، فَإِنَّك رَجُل مُصَدَّق يُسْمَع قَوْلك. فَقَتَلهَا ثُمَّ دَفَنَهَا، قَال: فَأَتَى الشَّيْطَان إِخْوَتهَا فِي المَنَام فَقَال لهُمْ: إِنَّ الرَّاهِب صَاحِب الصَّوْمَعَة فَجَرَ بِأُخْتِكُمْ، فَلَمَّا أَحْبَلهَا قَتَلهَا ثُمَّ دَفَنَهَا فِي مَكَان كَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَال رَجُل مِنْهُمْ: وَالله لقَدْ رَأَيْت البَارِحَة رُؤْيَا مَا أَدْرِي أَقُصّهَا عَليْكُمْ أَمْ أَتْرُك؟ قَالُوا: لا بَل قُصَّهَا عَليْنَا، قَال: فَقَصَّهَا. فَقَال الآخَر: وَأَنَا وَالله لقَدْ رَأَيْت ذَلكَ! فَقَال الآخَر: وَأَنَا وَالله لقَدْ رَأَيْت ذَلكَ! فَقَالُوا: وَالله مَا هَذَا إِلَّا لشَيْءٍ، قَال: فَانْطَلقُوا فَاسْتَعْدَوْا مَلكهمْ عَلى ذَلكَ الرَّاهِب، فَأَتَوْهُ فَأَنْزَلُوهُ، ثُمَّ انْطَلقُوا بِهِ فَلقِيَهُ الشَّيْطَان، فَقَال: إِنِّي أَنَا الَّذِي أَوْقَعْتُك فِي هَذَا، وَلنْ يُنْجِيك مِنْهُ غَيْرِي، فَاسْجُدْ لي سَجْدَة وَاحِدَة، وَأُنْجِيك مِمَّا أَوْقَعْتُك فِيهِ. قَال: فَسَجَدَ

---

(١) صحيح : أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٩).

لهُ، فلَمَّا أَتَوْا بِهِ مَلكهمْ تبَرَّأَ مِنْهُ، وَأُخِذَ فَقُتِل. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَطَاوُس، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان، نَحْو ذَلكَ. وَاشْتَهَرَ عِنْد كَثِير مِنْ النَّاس أَنَّ هَذَا العَابِد هُوَ بَرْصِيصَا، والله أَعْلم.

وَهَذِهِ القِصَّة مُخَالفَة لِقِصَّةِ جُرَيْج العَابِد، فَإِنَّ جُرَيْجًا اتَّهَمَتْهُ امْرَأَة بَغِيّ بِنَفْسِهَا، وَادَّعَتْ أَنَّ حَمْلهَا مِنْهُ، وَرَفَعَتْ أمره إِلى وَلِيّ الأَمْر، فَأَمَرَ بِهِ فَأُنْزِل مِنْ صَوْمَعَته وَخُرِّبَتْ صَوْمَعَته وَهُوَ يَقُول: مَا لكُمْ؟ مَا لكُمْ؟ فقَالُوا: يَا عَدُوّ الله فَعَلت بِهَذِهِ المَرْأَة كَذَا وَكَذَا؟ فَقَال جُرَيْج: اصْبِرُوا. ثُمَّ أَخَذَ ابْنهَا وَهُوَ صَغِير جِدًّا، ثُمَّ قَال: يَا غُلام، مَنْ أَبُوك؟ فقَال: أَبِي الرَّاعِي، وَكَانَتْ قَدْ أَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسهَا فَحَمَلتْ مِنْهُ، فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيل ذَلكَ عَظَّمُوهُ كُلّهمْ تَعْظِيمًا بَليغًا، وَقَالُوا: نُعِيد صَوْمَعَتك مِنْ ذَهَب. قَال: لا، بَل أَعِيدُوهَا مِنْ طِين كَمَا كَانَتْ.[1] وقوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾، أَيْ: فَكَانَ عَاقِبَة الآمِر بِالكُفْرِ وَالفَاعِل لهُ، وَمَصِيرهمَا إِلى نَار جَهَنَّم خَالدَيْنِ فِيهَا، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أَيْ: جَزَاء كُلّ ظَالم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثنَا شُعْبَة، عَنْ عَوْن بْن أَبِي جُحَيْفَة، عَنْ المُنْذِر بْن جَرِير، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: كُنَّا عِنْد رَسُول الله ﷺ فِي صَدْر النَّهَار، قَال: فَجَاءَهُ قَوْم حُفَاة عُرَاة مُجْتَابِي النِّمَار -أَوْ: العَبَاء- مُتَقَلِّدِي السُّيُوف، عَامَّتهمْ مِنْ مُضَر، بَل كُلّهمْ مِنْ مُضَر، فَتَغَيَّرَ وَجْه رَسُول الله ﷺ لِـمَا رَأَى بِهِمْ مِنْ الفَاقَة، قَال: فَدَخَل ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ الصَّلاة، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، فَقَال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلى آخِر الآيَة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. وَقَرَأَ الآيَة الَّتِي فِي الحَشْر: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ **تَصَدَّقَ رَجُل مِنْ دِينَاره، مِنْ دِرْهَمه، مِنْ ثَوْبه، مِنْ صَاع بُرّه، مِنْ صَاع تَمْره**»، حَتَّى قَال: «**وَلوْ بِشِقِّ تَمْرَة**». قَال: فَجَاءَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفّه تَعْجِز عَنْهَا، بَل قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاس حَتَّى رَأَيْت كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَام وَثِيَاب، حَتَّى رَأَيْت رَسُول الله ﷺ يَتَهَلَّل وَجْهه كَأَنَّهُ مُذْهَبَة فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلام سُنَّة حَسَنَة فَلهُ أَجْرهَا وَأَجْر مَنْ عَمِل بِهَا بَعْده مِنْ غَيْر أَنْ يَنْقُص مِنْ أُجُورهمْ شَيْء، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلام سُنَّة سَيِّئَة كَانَ عَليْهِ وِزْرهَا وَوِزْر مَنْ عَمِل بِهَا مِنْ غَيْر أَنْ يَنْقُص مِنْ أَوْزَارهمْ شَيْء**»[2]. انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلم، مِنْ حَدِيث شُعَبه بِإِسْنَادِهِ مِثْله. فَقَوْله تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أَمْر بِتَقْوَاهُ، وهى تشمل فِعْل مَا أَمَرَ، وَتَرْك مَا عَنْهُ زَجَرَ.

وَقَوْله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، أَيْ: حَاسِبُوا أَنْفُسكُمْ قَبْل أَنْ تُحَاسَبُوا، وَانْظُرُوا مَاذَا ادَّخَرْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ مِنْ الأَعْمَال الصَّالحَة لِيَوْمِ مَعَادكُمْ وَعَرْضكُمْ عَلى رَبّكُمْ، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: تَأْكِيد ثَانٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أَيْ: اعْلمُوا أَنَّهُ عَالم بِجَمِيعِ أَعْمَالكُمْ وَأَحْوَالكُمْ، لا تَخْفَى عَليْهِ مِنْكُمْ خَافِيَة، وَلا يَغِيب عَنْهُ مِنْ أُمُوركُمْ جَليل وَلا حَقِير. وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أَيْ: لا تَنْسَوْا ذِكْر الله فَيُنْسِيكُمْ العَمَل لِمَصَالح أَنْفُسكُمْ الَّتِي تَنْفَعكُمْ فِي مَعَادكُمْ، فَإِنَّ الجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل؛ وَلهَذَا قَال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

ﭐلۡفَٰسِقُونَ ﴾، أَيْ: الخَارِجُونَ مِنْ طَاعَة الله، الهَالِكُونَ يَوْم القِيَامَة، الخَاسِرُونَ يَوْم مَعَادهمْ، كَمَا قَال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾.

وَقَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الوَهَّاب بْن نَجْدَة الحَوْطِيّ، حَدَّثَنَا أبو المُغِيرَة، حَدَّثَنَا حَرِيز بْن عُثْمَان، عَنْ نُعَيْم بْن نمحة قَال: كَانَ فِي خُطْبَة أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ: أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ لأَجَلٍ مَعْلُوم؟ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْقَضِي الأَجَل وَهُوَ فِي عَمَل الله ﷻ فَلْيَفْعَل، وَلَنْ تَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِالله ﷻ، إِنَّ قَوْمًا جَعَلُوا آجَالهمْ لغَيْرِهِمْ، فَنَهَاكُمْ الله ﷻ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالهمْ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾، أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ إِخْوَانكُمْ؟ قَدِمُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي أَيَّام سَلفهمْ وَخَلوْا بِالشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَة، أَيْنَ الجَبَّارُونَ الأَوَّلُونَ الَّذِينَ بَنَوْا المَدَائِن وَحَصَّنُوهَا بِالحَوَائِطِ؟ قَدْ صَارُوا تَحْت الصَّخْر وَالآبَار، هَذَا كِتَاب الله لا تَفْنَى عَجَائِبه فَاسْتَضِيئُوا مِنْهُ لِيَوْم ظُلْمَة، واسْتَنْصِحُوا كِتَابَهُ وَبَيَانه. إِنَّ الله أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْل بَيْته فَقَال: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾، لا خَيْر فِي قَوْل لا يُرَاد بِهِ وَجْه الله، وَلا خَيْر فِي مَال لا يُنْفَق فِي سَبِيل الله. وَلا خَيْر فِيمَنْ يَغْلب جَهْلُهُ حِلمَهُ، وَلا خَيْر فِيمَنْ يَخَاف فِي الله لوْمَة لائِم. هَذَا إِسْنَاد جَيِّد، وَرِجَاله كُلّهمْ ثِقَات، وَشَيْخ حريز بْن عُثْمَان وَهُوَ نُعَيْم بْن نمحة: لا أَعْرِفهُ بِنَفْيٍ وَلا إِثْبَات، غَيْر أَنَّ أَبَا دَاوُد السِّجِسْتَانِيّ قَدْ حَكَمَ بِأَنَّ شُيُوخ جَرِير كُلّهمْ ثِقَات. وَقَدْ رُوِي لهَذِهِ الخُطْبَة شَوَاهِد مِنْ وُجُوه أُخَر، وَالله أَعْلَم.

وقوله: ﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾، أَيْ: لا يَسْتَوِي هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ فِي حُكْم الله يَوْم القِيَامَة، كَمَا قَال: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾. وَقَال: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ ﴾ الآية. وَقَال: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾. فِي آيَات أُخَر دَالَّات عَلَى أَنَّ الله سبحانه يُكْرِم الأَبْرَار، وَيُهِين الفُجَّار، وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾. أَيْ: النَّاجُونَ المُسْلَّمُونَ مِنْ عَذَاب الله ﷻ.

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُعَظِّمًا لأَمْرِ القُرْآن وَمُبَيِّنًا عُلُوّ قَدْره، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَخْشَع لهُ القُلُوب، وَتَتَصَدَّع عِنْد سَمَاعه لمَا فِيهِ مِنْ الوَعْد الحَقّ وَالوَعِيد الأَكِيد: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾. أَيْ: فَإِذَا كَانَ الجَبَل فِي غِلَظِه وَقَسَاوَته لوْ أُفْهِم هَذَا القُرْآن فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ، لخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْف الله ﷻ، فَكَيْفَ يَلِيق بِكُمْ أَيُّهَا البَشَر أَنْ لا تَلِينَ قُلُوبكُمْ وَتَخْشَع، وَتَتَصَدَّع مِنْ خَشْيَة الله، وَقَدْ فَهِمْتُمْ عَنْ الله أَمْره وَتَدَبَّرْتُمْ كِتَابه؟ وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. قَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ ﴾. إِلى آخِرهَا، يَقُول: لوْ أَنِّي أَنْزَلت هَذَا القُرْآن عَلى جَبَل حَمَّلته إِيَّاهُ، لتَصَدَّعَ وَخَشَعَ مِنْ ثِقَله، وَمِنْ خَشْيَة الله. فَأَمَرَ اللهُ النَّاسَ إِذَا نَزَل عَليْهِمْ القُرْآن أَنْ يَأْخُذُوهُ بِالخَشْيَةِ الشَّدِيدَة وَالتَّخَشُّع. ثُمَّ قَال: كذلك يضرب الله الأَمْثَال للنَّاسِ لعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُونَ. وَكَذَا قَال قَتَادَة وَابْن جَرِير.

وَقَدْ ثبَتَ فِي الحَدِيث المُتَوَاتِر أَنَّ رَسُول الله ﷺ لـمَّا عُمِل لهُ المِنْبَر، وَقَدْ كَانَ يَوْم الخُطْبَة يَقِف إِلى جَانِب جِذْع مِنْ جُذُوع المَسْجِد، فَلمَّا وُضِعَ المِنْبَر أَوَّل مَا وُضِعَ، وَجَاءَ النَّبِيّ ﷺ ليَخْطُب فَجَاوَزَ الجِذْع إِلى نَحْو المِنْبَر، فَعِنْد ذَلكَ حَنَّ الجِذْعُ وَجَعَل يَئِنّ كَمَا يَئِنّ الصَّبِيّ الَّذِي يُسَكَّن، لمَا كَانَ يَسْمَع مِنْ الذِّكْر وَالوَحْي عِنْده. فَفِي بَعْض رِوَايَات هَذَا الحَدِيث: قَال الحَسَن البَصْرِيّ بَعْد إِيرَاده: فَأَنْتُمْ أَحَقّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلى رَسُول الله ﷺ مِنَ الجِذْع.[1] وَهَكَذَا هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة، إِذَا كَانَتْ الجِبَال الصُّمّ لوْ سَمِعَتْ كَلام الله وَفَهِمَتْهُ، لخَشَعَتْ وَتَصَدَّعَتْ مِنْ خَشْيَته، فَكَيْفَ بِكُمْ وَقَدْ سَمِعْتُمْ وَفَهِمْتُمْ؟ وَقَدْ قَال تَعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآيَة. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَعْنَى ذَلكَ: أَيْ لكَانَ هَذَا القُرْآن. وَقَدْ تَعَالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. أَخْبَرَ تَعَالى أَنَّهُ الَّذِي لا إِله إِلَّا هُوَ، فَلا رَبّ غَيْره، وَلا إِله للوُجُودِ سِوَاهُ، وَكُلّ مَا يُعْبَد مِنْ دُونه فَبَاطِل، وَأَنَّهُ عَالم الغَيْب وَالشَّهَادَة، أَيْ: يَعْلم جَمِيع الكَائِنَات المُشَاهَدَات لنَا وَالغَائِبَات عَنَّا، فَلا يَخْفَى عَليْهِ شَيْء فِي الأَرْض وَلا فِي السَّمَاء مِنْ جَليل وَحَقِير وَصَغِير وَكَبِير، حَتَّى الذَّرّ فِي الظُّلُمَات. وَقَوْله: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: قد تقدَّم الكلامُ على ذلكَ في أَوَّل «التَّفسير»، بما أغني عَنْ إعادتِه هاهنا. والمُرَاد: أَنَّهُ ذُو الرَّحْمَة الوَاسِعَة الشَّامِلة لجَمِيع المَخْلُوقَات، فَهُوَ رَحْمَن الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَرَحِيمهمَا، وَقَدْ قَال تَعَالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾. وَقَال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. وَقَال تَعَالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾. وقَال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ أَيْ: المَالك لجَمِيعِ الأَشْيَاء، المُتَصرِّف فِيهَا بِلا مُمَانَعَة وَلا مُدَافَعَة. وَقَوْله: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ قَال وَهْب بْن مُنَبِّه: أَيْ الطَّاهِر. وَقَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة: أَيْ المُبَارَك. وَقَال ابْن جُرَيْج: تُقَدِّسهُ المَلائِكَة الكِرَام. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أَيْ: مِنْ جَمِيع العُيُوب وَالنَّقَائِص؛ لكَمَالهِ فِي ذَاته وَصِفَاته وَأَفْعَاله.

وَقَوْله: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾، قَال الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَمَّنَ خَلقه مِنْ أَنْ يَظْلمهُمْ. وَقَال قَتَادَة: أَمَّنَ بِقَوْلهِ إِنَّهُ حَقّ. وَقَال ابْن زَيْد: صَدَّقَ عِبَاده المُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانهم بِهِ. وَقَوْله: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، قَال ابْن عَبَّاس وَغَيْر وَاحِد: أَيْ: الشَّاهِد عَلى خَلقه بِأَعْمَالهِمْ، بِمَعْنَى هُوَ رَقِيب عَليْهِمْ، كَقَوْلهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وَقَوْله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾. وَقَوْله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآيَة.

وَقَوْله: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أَيْ: الَّذِي قَدْ عَزَّ كُلّ شَيْء فَقَهَرَهُ، وَغَلبَ الأَشْيَاء فَلا يُنَال جَنَابه، لعِزَّتِهِ وَعَظَمَته وَجَبَرُوته وَكِبْرِيَائِهِ، وَلهَذَا قَال: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾، أَيْ: الَّذِي لا تَليق الجَبْرِيَّة إِلَّا لهُ، وَلا التَّكَبُّر إِلَّا لعَظَمَتِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي «الصَّحِيح»: «**العَظَمَة إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاء رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْته**». وَقَال قَتَادَة: الجَبَّار: الَّذِي جَبَرَ خَلقه عَلى مَا يَشَاء. وَقَال ابْن جَرِير: الجَبَّار المُصْلح أُمُور خَلقه، المُتَصَرِّف فِيهِمْ بِمَا فِيهِ صَلاحهمْ. وَقَال قَتَادَة: المُتَكَبِّر، يَعْنِي: عَنْ كُلّ سُوء. ثُمَّ قَال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) حسن: أخرجه ابن الجعد في سنده (٣٢١٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٤٧٣)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٥٦)، وعنه ابن حبان (٥٧٤ - الموارد) من طريق شيبان بن فروخ عن مبارك بن فضالة حدثنا الحسن عن أنس .. الحديث. وفيه قول الحسن. قلت: هذا سند حسن.

﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ الخلق: التَّقْدِير، وَالبَرَاء: هُوَ الفَرْي، وَهُوَ: التَّنْفِيذ وَإِبْرَاز مَا قَدَّرَهُ وَقَرَّرَهُ إِلى الوُجُود، وَلَيْسَ كُلّ مَنْ قَدَّرَ شَيْئًا وَرَتَّبَهُ يَقْدِر عَلى تَنْفِيذه وَإِيجَاده سِوَى الله ﷻ. قَال الشَّاعِر يَمْدَح آخَر:

وَلأَنْــتَ تَفْــرِي مَــا خَلَقْــتَ وَبَعْــ ۞ ــضُ القَــوْمِ يَخْلُــق ثُــمَّ لا يَفْــرِي

أَيْ: أَنْتَ تُنَفِّذ مَا خلقْت، أَيْ: قَدَّرْت، بِخِلافِ غَيْرك فَإِنَّهُ لا يَسْتَطِيع مَا يُرِيد. فَالخَلق: التَّقْدِير، وَالفَرْي: التَّنْفِيذ. وَمِنْهُ يُقَال: قَدَّرَ الجَلَّاد ثُمَّ فَرَى، أَيْ: قَطَعَ عَلى مَا قَدَّرَهُ بِحَسَبِ مَا يُرِيدهُ. وَقَوْله تَعَالى: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾، أَيْ: الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَال لهُ: كُنْ، فَيَكُون عَلى الصِّفَة الَّتِي يُرِيد، والصُّورَة الَّتِي يَخْتَار، كَقَوْلِهِ: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، وَلهَذَا قَال: ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾، أَيْ: الَّذِي يُنَفِّذ مَا يُرِيد إِيجَاده عَلى الصِّفَة الَّتِي يُرِيدهَا.

وَقَوْله: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، قد تقدم الكلام على ذلك في **«سورة الأعراف»**، وذكر الحَدِيث المَرْوِيّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ : **«إِنَّ لله تِسْعَة وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَة إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَل الجنَّة، وَهُوَ وِتْر يُحِبّ الوِتْر»**[1]. وَتَقَدَّمَ سِيَاق التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ لهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَيْضًا، وَزَادَ بَعْد قَوْله: **«وَهُوَ وِتْر يُحِبّ الوِتْر»**. وَاللَّفْظ للتِّرْمِذِيّ: «هُوَ الله الَّذِي لا إِله إِلاَّ هُوَ: الرَّحْمَن، الرَّحِيم، المَلِك، القُدُّوس، السَّلام، المُؤْمِن، المُهَيْمِن، العَزِيز، الجَبَّار، المُتَكَبِّر، الخَالق، البَارِئ، المُصَوِّر، الغَفَّار، القَهَّار، الوَهَّاب، الرَّزَّاق، الفَتَّاح، العَلِيم، القَابِض، البَاسِط، الخَافِض، الرَّافِع، المُعِزّ، المُذِلّ، السَّمِيع، البَصِير، الحَكَم، العَدْل، اللَّطِيف، الخَبِير، الحَلِيم، العَظِيم، الغَفُور، الشَّكُور، العَلِيّ، الكَبِير، الحَفِيظ، المُقِيت، الحَسِيب، الجَلِيل، الكَرِيم، الرَّقِيب، المُجِيب، الوَاسِع، الحَكِيم، الوَدُود، المَجِيد، البَاعِث، الشَّهِيد، الحَقّ، الوَكِيل، القَوِيّ، المَتِين، الوَلِيّ، الحَمِيد، المُحْصِي، المُبْدِئ، المُعِيد، المُحْيِي، المُمِيت، الحَيّ، القَيُّوم، الوَاجِد، المَاجِد، الوَاحِد، الصَّمَد، القَادِر، المُقْتَدِر، المُقَدِّم، المُؤَخِّر، الأَوَّل، الآخِر، الظَّاهِر، البَاطِن، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرّ، التَّوَّاب، المُنْتَقِم، العَفُوّ، الرَّءُوف، مَالك المُلك، ذُو الجَلال وَالإِكْرَام، المُقْسِط، الجَامِع، الغَنِيّ، المُغْنِي، المُعْطِي، المَانِع، الضَّارّ، النَّافِع، النُّور، الهَادِي، البَدِيع، البَاقِي، الوَارِث، الرَّشِيد، الصَّبُور». وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطًا مطولاً بطرقه وألفاظه، بما أغنى عن إعادته هنا.

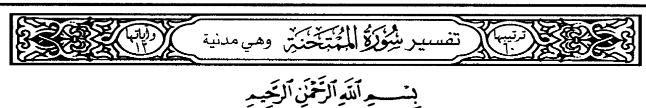
وَقَوْله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾. أَيْ: فَلا يُرَام جَنَابه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فِي شَرْعه وَقَدَره. وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، حَدَّثَنَا خَالد -يَعْنِي: ابْن طَهْمَان، أَبُو العَلاء الخَفَّاف- حَدَّثَنَا نَافِع بْن أَبِي نَافِع، عَنْ مَعْقِل بْن يَسَار، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَنْ قَال حِين يُصْبِح ثَلاث مَرَّات: أَعُوذ بِالله السَّمِيع العَلِيم، مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيم، ثُمَّ قَرَأَ الثلاث آيَات مِنْ آخِر سُورَة الحَشْر، وَكَّل الله بِهِ سَبْعِينَ أَلف مَلك يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلكَ اليَوْم مَاتَ شَهِيدًا. وَمَنْ قَالهَا حِين يُمْسِي كَانَ بِتِلكَ المَنْزِلة»[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ مَحْمُود بْن غَيْلان، عَنْ أَبِي أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، بِهِ. وَقَال: غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه.

آخِـر تَفْسِيـر سُـورَة الحَـشْر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢).

(٢) ضعيف : أخرجه الترمذي (٢٩٢٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

كَانَ سَبَب نُزُول صَدْر هَذِهِ السُّورَة الكَرِيمَة قِصَّة حَاطِب بْن أَبِي بَلْتَعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ حَاطِبًا هَذَا كَانَ رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ مِنْ أَهْل بَدْر أَيْضًا، وَكَانَ لَهُ بِمَكَّة أَوْلَاد وَمَال، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قُرَيْش أَنْفُسهمْ، بَل كَانَ حَلِيفًا لِعُثْمَان. فَلَمَّا عَزَمَ رَسُول الله ﷺ عَلى فَتْح مَكَّة لَـمَّا نَقَضَ أَهْلهَا العَهْد، فَأَمَرَ النَّبِيّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ بالتجهز لعدوهم، وَقَال: «**اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَيْهِمْ خَبَرَنَا**». فَعَمَدَ حَاطِب هَذَا فَكَتَبَ كِتَابًا، وَبَعَثَهُ مَعَ امْرَأَة مِنْ قُرَيْش إِلى أَهْل مَكَّة، يُعْلِمُهُمْ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ لِيَتَّخِذ بِذَلِكَ عِنْدهمْ يَدًا، فَأَطْلَعَ الله رَسُوله عَلى ذَلِكَ؛ اسْتِجَابَة لِدُعَائِهِ. فَبَعَثَ فِي أَثَر الْمَرْأَة فَأَخَذَ الكِتَاب مِنْهَا، وَهَذَا بَيِّن فِي هَذَا الحَدِيث الْمُتَّفَق عَلى صِحَّته.[1]

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو، أَخْبَرَنِي حَسَن بْن مُحَمَّد بْن عَلِيّ، أَخْبَرَنِي عَبَيْد الله بْن أَبِي رَافِع، -وَقَال مَرَّة: إِنَّ عُبَيْد الله بْن أَبِي رَافِع أَخْبَرَهُ-: أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا ﷺ يَقُول: بَعَثَنِي رَسُول الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْر وَالْمِقْدَاد، فَقَال: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَة خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَة مَعَهَا كِتَاب فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَة، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلنَا: أَخْرِجِي الكِتَاب. قَالتْ: مَا مَعِي كِتَاب. قُلنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَاب، أَوْ لَنُلقِيَنَّ الثِّيَاب. قَال: فَأَخْرَجَتْ الكِتَاب مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَخَذْنَا الكِتَاب، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُول الله ﷺ . فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِب بْن أَبِي بَلْتَعَةَ إِلى ناسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّة، يُخْبِرهُمْ بِبَعْضِ أَمْر رَسُول الله ﷺ ، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**يَا حَاطِب؛ مَا هَذَا؟**». قَال: لا تَعْجَل عَلَيَّ، إِنِّي كُنْت امْرءًا مُلصَقًا فِي قُرَيْش، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسهمْ، وَكَانَ مَنْ كَانَ مَعَك مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَات يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ بِمَكَّة، فَأَحْبَبْت إِذْ فَاتَنِي ذَلكَ مِنْ النَّسَب فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلت ذَلكَ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلا رِضًا بِالكُفْر بَعْد الإِسْلام. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّهُ صَدَقَكُمْ**». فَقَال عُمَر: دَعْنِي أَضْرِب عُنُق هَذَا الْمُنَافِق. فَقَال ﷺ : «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيك لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلى أَهْل بَدْر فَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ**». وكذا أَخْرَجَهُ الجَمَاعَة إِلَّا ابْن مَاجَهْ مِنْ غَيْر وَجْه عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، بِهِ. وَزَادَ البُخَارِيّ فِي كِتَاب الْمَغَازِي: فَأَنْزَل الله السُّورَة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. وَقَال فِي كِتَاب التَّفْسِير: قَال عَمْرو: وَنَزَلتْ فِيهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، قَال: لا أَدْرِي الآيَة فِي الحَدِيث أَوْ قَال عَمْرو. قَال البُخَارِيّ: قَال عَلِيّ -يَعْنِي: ابْن الْمَدِينِيّ- قِيل لِسُفْيَان: فِي هَذَا نَزَلتْ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؟ فَقَال سُفْيَان: هَذَا فِي حَدِيث النَّاس، حَفِظْته مِنْ عَمْرو، مَا تَرَكْت مِنْهُ حَرْفًا، وَلا أَدْرِي أَحَدًا حَفِظَهُ غَيْرِي.

وَقَدْ أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث حُصَيْن بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سَعْد بْن عُبَيْدَة، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

السُّلمِيّ، عَنْ عَلِيّ؛ قَال: بَعَثَنِي رَسُول الله ﷺ وَأَبَا مَرْثَد، وَالزُّبَيْر بْن العَوَّام، وَكُلّنَا فَارِس، وَقَال: **«انْطَلقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَة خَاخ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَة مِنْ المُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَاب مِنْ حَاطِب إِلى المُشْرِكِينَ»**. فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِير عَلى بَعِير لَهَا حَيْثُ قَال رَسُول الله ﷺ، فَقُلنَا: الكِتَاب؟ فَقَالتْ: مَا مَعِي كِتَاب. فَأَنَخْنَاهَا فَالتَمَسْنَا فَلمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلنَا: مَا كَذَبَ رَسُول الله ﷺ! لتُخْرِجِنَّ الكِتَاب أَوْ لنُجَرِّدنَّك. فَلمَّا رَأَتْ الجِدّ أَهْوَتْ إِلى حُجْزَتهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَة بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ. فَانْطَلقْنَا بِهَا إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَال عُمَر: يَا رَسُول الله؛ قَدْ خَانَ الله وَرَسُوله وَالمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِب عُنُقه. فَقَال: **«مَا حَمَلك عَلى مَا صَنَعْت؟»**. قَال: وَالله مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُون مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُوله، أَرَدْت أَنْ تَكُون لِي عِنْد القَوْم يَدٌ يَدْفَع الله بِهَا عَنْ أَهْلي وَمَالي، وَليْسَ أَحَد مِنْ أَصْحَابك إِلَّا لهُ هُنَالك مِنْ عَشِيرَته مَنْ يَدْفَع الله بِهِ عَنْ أَهْله وَمَاله. فَقَال: **«صَدَقَ، لا تَقُولُوا لهُ إِلاَّ خَيْرًا»**. فَقَال عُمَر: إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُوله وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِب عُنُقه. فَقَال: **«أَليْسَ مِنْ أَهْل بَدْر؟»**. فَقَال: **«لعَلَّ الله قد اطَّلعَ إِلى أَهْل بَدْر، فَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لكُمْ الجَنَّة»**، أَوْ: **«قَدْ غَفَرْتُ لكُمْ»**. فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَر وَقَال: الله وَرَسُوله أَعْلم.[1] هَذَا لفْظ البُخَارِيّ فِي «المَغَازِي» فِي غَزْوَة بَدْر، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْه آخر عَنْ عَلِيّ، قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحَسَن الهِسِنْجَانِيّ، حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن يَعِيش، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن سُليْمَان الرَّازِيّ، عَنْ أَبِي سِنَان -هُوَ: سَعِيد بْن سِنَان- عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة الجَمْلِيّ، عَنْ أَبِي البُخْتُرِيّ الطَّائِيّ، عَنْ الحَارِث، عَنْ عَلِيّ؛ قَال: لـمَّا أَرَادَ النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَأْتِي مَكَّة، أَسَرَّ إِلى أُنَاس مِنْ أَصْحَابه أَنَّهُ يُرِيد مَكَّة، فِيهم حَاطِب بْن أَبِي بَلتَعَة، وَأَفْشَى فِي النَّاس أَنَّهُ يُرِيد خَيْبَر قَال: فَكَتَبَ حَاطِب بْن أَبِي بَلتَعَةَ إِلى أَهْل مَكَّة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ يُرِيدكُم. فَأُخْبِرَ رَسُول الله ﷺ، قَال: فَبَعَثَنِي رَسُول الله ﷺ وَأَبَا مَرْثَد، وَليْسَ مِنَّا رَجُل إِلَّا وَعِنْده فَرَس، فَقَال: «ائْتُوا رَوْضَة خَاخ، فَإِنَّكُمْ سَتَلقَوْنَ بِهَا امْرَأَة مَعَهَا كِتَاب فَخُذُوهُ مِنْهَا». فَانْطَلقْنَا حَتَّى رَأَيْنَاهَا بِالمَكَانِ الَّذِي ذَكَرَ رَسُول الله ﷺ فَقُلنَا لهَا: هَاتِ الكِتَاب. فَقَالتْ: مَا مَعِي كِتَاب. فَوَضَعْنَا مَتَاعهَا وَفَتَّشْنَاهَا فَلمْ نَجِدهُ فِي مَتَاعهَا، فَقَال أَبُو مَرْثَد: لعَلَّهُ أَنْ لا يَكُون مَعَهَا. فَقُلت: مَا كَذَبَ رَسُول الله ﷺ وَلا كَذَبْنَا. فَقُلنَا: لتُخْرِجِنَّهُ أَوْ لنُعَرِّيَنَّك. فَقَالتْ: أَمَا تَتَّقُونَ الله؟! أَلسْتُمْ مُسْلمِينَ؟! فَقُلنَا لهَا: لتُخْرِجِنَّهُ أَوْ لنُعَرِّيَنَّك. قَال عَمْرو بْن مُرَّة: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ حُجْزَتهَا، وَقَال حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت: أَخْرَجَتْهُ مِنْ قُبُلهَا. فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُول الله ﷺ، فَإِذَا الكِتَاب مِنْ حَاطِب بْن أَبِي بَلتَعَةَ، فَقَامَ عُمَر فَقَال: يَا رَسُول الله، خَانَ الله وَرَسُوله، فَأْذَنْ لِي فَلأَضْرِب عُنُقه. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَليْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟». قَالُوا: بَلى. وَقَال عُمَر: بَلى، وَلكِنَّهُ قَدْ نَكَثَ وَظَاهَرَ أَعْدَاءَك عَليْك. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «فَلعَلَّ الله اطَّلعَ إِلى أَهْل بَدْر، فَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير». فَفَاضَتْ عَيْنَا عُمَر، وَقَال: الله وَرَسُوله أَعْلم. فَأَرْسَل رَسُول الله ﷺ إِلى حَاطِب فَقَال: «يَا حَاطِب، مَا حَمَلك عَلى مَا صَنَعْت؟». فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي كُنْت امرءًا مُلصَقًا فِي قُرَيْش، وَكَانَ لِي بِهَا مَال وَأَهْل، وَلمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابك أَحَد إِلَّا وَلهُ بِمَكَّة مَنْ يَمْنَع أَهْله وَمَاله، فَكَتَبْت إِليْهِمْ بِذَلكَ وَوَالله -يَا رَسُول الله- إِنِّي لمُؤْمِن بِالله وَرَسُوله. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «صَدق حَاطِب، فَلا تَقُولُوا لحَاطِبِ إِلاَّ خَيْرًا». قَال حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت: فَأَنْزَل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ الآيَة.[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).
(٢) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٧٩)، فيه الحارث الأعور: متهم بالكذب.

هَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ ابْن حُمَيْد عَنْ مِهْرَان عَنْ أَبِي سِنَان سَعِيد بْن سِنَان بِإِسْنَادِهِ مِثْله. وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَصْحَاب المَغَازِي وَالسِّيَر، فَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار فِي «السِّيرَة»: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن الزُّبَيْر، عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر وَغَيْره مِنْ عُلَمَائِنَا قَال: لَـمَّا أَجْمَعَ رَسُول الله ﷺ المَسِير إِلى مَكَّة، كَتَبَ حَاطِب بْن أَبِي بَلتَعَةَ كِتَابًا إِلى قُرَيْش يُخْبِرهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ مِنَ الأَمْر فِي السَّيْر إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَعْطَاهُ إِلَى امْرَأَة -زَعَمَ مُحَمَّد بْن جَعْفَر أَنَّهَا مِنْ مُزَيْنَة، وَزَعَمَ غَيْره أَنَّهَا سَارَة، مَوْلاة لِبَنِي عَبْد المُطَّلب- وَجَعَل لها جُعْلًا عَلى أَنْ تُبَلِّغهُ لقُرَيْشٍ فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسهَا، ثُمَّ فَتَلتْ عَلَيْهِ قُرُونهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، وَأَتَى رَسُول الله ﷺ الخَبَرُ مِنْ السَّمَاء بِمَا صَنَعَ حَاطِب، فَبَعَثَ عَليّ بْن أَبِي طَالب وَالزُّبَيْر بْن العَوَامّ فَقَال: «أَدْرِكَا امْرَأَة قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِب كِتَابًا إِلى قُرَيْش يُحَذِّرهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لهُ مِنْ أَمْرهمْ». فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالخُلَيْفَة -خُلَيْفَةِ بَنِي أَبِي أَحْمَد- فَاسْتَنْزَلاهَا بِالخُلَيْفَةِ، فَالتَمَسَا فِي رَحْلهَا فَلمْ يَجِدَا شَيْئًا فَقَال لها عَليّ بْن أَبِي طَالب: إِنِّي أَحْلف بِالله مَا كَذَبَ رَسُول الله وَمَا كَذَبْنَا وَلتُخْرِجِنَّ لنَا هَذَا الكِتَاب أَوْ لنَكْشِفَنَّك. فَلمَّا رَأَتْ الجِدّ مِنْهُ قَالتْ: أَعْرِض. فَأَعْرَض، فَحَلَّتْ قُرُون رَأْسهَا، فَاسْتَخْرَجَتْ الكِتَاب مِنْهَا، فَدَفَعَتْهُ إِليْهِ، فَأَتَى بِهِ رَسُول الله ﷺ فَدَعَا رَسُول الله ﷺ حَاطِبًا فَقَال: «يَا حَاطِب؛ مَا حَمَلك عَلى هَذَا؟». فَقَال: يَا رَسُول الله، أَمَّا وَالله إِنِّي لمُؤْمِن بِالله ورسُوله، مَا غَيَّرْت وَلا بَدَّلت، وَلكِنِّي كُنْت امْرَأً ليْسَ لي فِي القَوْم مِنْ أَهْل وَلا عَشِيرَة، وَكَانَ لِي بَيْن أَظْهُرهمْ وَلد وَأَهْل فَصَانَعْتهمْ عَليْهِمْ. فَقَال عُمَر بْن الخَطَّاب: يَا رَسُول الله، دَعْنِي فَلأَضْرِب عُنُقه، فَإِنَّ الرَّجُل قَدْ نَافَق. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «وَمَا يُدْرِيك يَا عُمَر! لعَلَّ الله قَدْ اطَّلعَ إِلى أَصْحَاب بَدْر يَوْم بَدْر، فَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْت لكُمْ». فَأَنْزَل الله ﷻ فِي حَاطِب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إِلى قَوْله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ إِلى آخِر القِصَّة.[1] وَرَوَى مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة نَحْو ذَلكَ. وَهَكَذَا ذَكَرَ مُقَاتِل بْن حَيَّان: أَنَّ هَذِهِ الآيَات نَزَلتْ فِي حَاطِب بْن أَبِي بَلتَعَةَ: أَنَّهُ بَعَثَ سَارَة مَوْلاة بَنِي هَاشِم، وَأَنَّهُ أَعْطَاهَا عَشَرَة دَرَاهِم، وَأَنَّ رَسُول الله ﷺ بَعَثَ فِي أَثَرهَا عُمَر بْن الخَطَّاب وَعَليّ بْن أَبِي طَالب رضي الله عنهما فَأَدْرَكَاهَا بِالجُحْفَةِ... وَذَكَرَ تَمَام القِصَّة كَنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ. وَعَنْ السُّدِّيّ قَرِيبًا مِنْهُ. وَهَكَذَا قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة وَغَيْر وَاحِد: إِنَّ هَذِهِ الآيَات نَزَلتْ فِي حَاطِب بْن أَبِي بَلتَعَةَ.

فَقَوْله تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾. يَعْنِي: المُشْرِكِينَ وَالكُفَّار الَّذِينَ هُمْ مُحَارِبُونَ لله وَلرَسُوله وَللمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ شَرَعَ الله عَدَاوَتهمْ وَمُصَارَمَتهمْ، وَنَهَى أَنْ يُتَّخَذُوا أَوْلِيَاء وَأَصْدِقَاء وَأَخِلَّاء، كَمَا قَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾. وَهَذَا تَهْدِيد شَدِيد وَوَعِيد أَكِيد، وَقَال تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. وَقَال تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾. وَقَال تَعَالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ وَلهَذَا قَبِل رَسُول الله ﷺ عُذْر حَاطِب لـمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَل ذَلكَ مُصَانَعَةً لقُرَيْشٍ، لأَجْل مَا كَانَ لهُ عِنْدهمْ مِنْ الأَمْوَال وَالأَوْلاد.

---

(١) مرسل ضعيف.

وَيُذْكَر هَهُنَا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُصْعَب بْن سَلام، حَدَّثَنَا الأَجْلح، عَنْ قَيْس بْن أَبِي مُسْلم عَنْ رِبْعِيّ بْن حِرَاش، سَمِعْت حُذَيْفَة يَقُول: ضَرَبَ لنَا رَسُول الله ﷺ أَمْثَالًا: وَاحِدًا وَثَلاثَة، وَخَمْسَة وَسَبْعَة، وَتِسْعَة وَأَحد عَشَر، قَال: فَضَرَبَ لنَا مِنْهَا مَثَلًا وَتَرَكَ سَائِرهَا، قَال: «**إِنَّ قَوْمًا كَانُوا أَهْل ضَعْف وَمَسْكَنَة، قَاتَلهُمْ أَهْل تَجَبُّر وَعَدَاء، فَأَظْهَرَ الله أَهْل الضَّعْف عَلَيْهِمْ، فَعَمَدُوا إِلى عَدُوّهِمْ فَاسْتَعْمَلُوهُمْ وَسَلَّطُوهُمْ، فَأَسْخَطُوا الله عَلَيْهِمْ إِلى يَوْم يَلقَوْنَهُ**»[1]. وَقَوْله: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: هَذَا مَعَ مَا قَبْله مِنْ التَّهْيِيج عَلى عَدَاوَتهمْ وَعَدَم مُوَالاتهمْ، لأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الرَّسُول وَأَصْحَابه مِنْ بَيْن أَظْهُرهمْ، كَرَاهَة لمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ التَّوْحِيد وَإِخْلاص العِبَادَة لله وَحْده، وَلهَذَا قَال: ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أَيْ: لمْ يَكُنْ لكُمْ عِنْدهمْ ذَنْب إِلَّا إِيمَانكُمْ بِالله رَبّ العَالمِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾. وَقَوْله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾، أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ كَذَلكَ فَلا تَتَّخِذُوهُمْ أَوْليَاء، إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلي بَاغِينَ لمَرْضَاتِي عَنْكُمْ فَلا تُوَالُوا أَعْدَائِي وَأَعْدَاءَكُمْ، وَقَدْ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالكُمْ حَنَقًا عَليْكُمْ وَسُخْطًا لدِينِكُمْ.

وَقَوْله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أَيْ: تَفْعَلُونَ ذَلكَ وَأَنَا العَالم بِالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِر وَالظَّوَاهِر، ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾. أَيْ: لوْ قَدَرُوا عَليْكُمْ لمَا اتَّقُوا فِيكُمْ مِنْ أَذَى يَنَالُونكُمْ بِهِ بِالمَقَال وَالفِعَال، ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، أَيْ: وَيَحْرِصُون عَلى أَنْ لا تَنَالُوا خَيْرًا، فَهُمْ عَدَاوَتهمْ لكُمْ كَامِنَة وَظَاهِرَة، فَكَيْفَ تُوَالُونَ مِثْل هَؤُلاءِ؟ وَهَذَا تَهْيِيج عَلى عَدَاوَتهمْ أَيْضًا.

وَقَوْله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أَيْ: قَرَابَاتكُمْ لا تَنْفَعكُمْ عِنْد الله إِذَا أَرَادَ الله بِكُمْ سُوءًا، وَنَفْعُهُمْ لا يَصِل إِليْكُمْ إِذَا أَرْضَيْتُمُوهُمْ بِمَا يُسْخِط الله، وَمَنْ وَافَقَ أَهْله عَلى الكُفْر ليُرْضِيهُمْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ عَمَله، وَلا يَنْفَعهُ عِنْد الله قَرَابَته مِنْ أَحَد، وَلوْ كَانَ قَرِيبًا إِلى نَبِيّ مِنْ الأَنْبِيَاء، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّاد عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس أَنَّ رَجُلًا قَال: يَا رَسُول الله؛ أَيْنَ أَبِي؟ قَال: «**فِي النَّار**» فَلمَّا قَفَّى دَعَاهُ فَقَال: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاك فِي النَّار**»[2]. وَرَوَاهُ مُسْلم وَأَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلمَة بِهِ.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

يَقُول تَعَالى لعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ الَّذِين أَمَرَهُمْ بِمُصَارَمَةِ الكَافِرِينَ وَعَدَاوَتهمْ وَمُجَانَبَتهمْ وَالتَّبَرِّي مِنْهُمْ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، أَيْ: وَأَتْبَاعه الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾، أَيْ: تَبَرَّأْنَا مِنْكُمْ ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، أَيْ: بِدِينِكُمْ وطَرِيقَتِكُمْ، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ يَعْنِي: وَقَدْ شُرِعَتْ العَدَاوَة وَالبَغْضَاء مِنْ الآن بَيْننَا وَبَيْنكُمْ، مَا دُمْتُمْ عَلى كُفْركُمْ فَنَحْنُ أَبَدًا نَتَبَرَّأ مِنْكُمْ وَنَبْغُضكُمْ، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، أَيْ: إِلى أَنْ تُوَحِّدُوا الله فَتَعْبُدُوهُ وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَتَخْلعُوا مَا تَعْبُدُونَ مَعَهُ مِنْ الأَنْدَاد والأَوْثَان.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أَيْ: لكُمْ فِي إِبْرَاهِيم وَقَوْمه أُسْوَة حَسَنَة تَتَأَسَّوْنَ بِهَا إِلَّا فِي

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣).

اسْتِغْفَار إِبْرَاهِيم لأَبِيهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ مَوْعِدَة وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لهُ أَنَّهُ عَدُوّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْض الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَدْعُونَ لآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا عَلى الشِّرْك وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ إِبْرَاهِيم كَانَ يَسْتَغْفِر لأَبِيهِ، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. وَقَال تَعَالى فِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ إِلى قَوْله تَعَالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. أَيْ: لَيْسَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ أُسْوَة، أَيْ: فِي الاسْتِغْفَار لِلْمُشْرِكِينَ. هَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَمُقَاتِل ابْن حَيَّان وَالضَّحَّاك وَغَيْر وَاحِد.

ثُمَّ قَال تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ قَوْل إِبْرَاهِيم وَالَّذِينَ مَعَهُ حِين فَارَقُوا قَوْمهمْ وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ، فَلجَئُوا إِلى الله وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أَيْ: تَوَكَّلنَا عَلَيْك فِي جَمِيع الأُمُور، وَسَلَّمْنَا أُمُورنَا إِلَيْك، وَفَوَّضْنَاهَا إِلَيْك ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أَيْ: المَعَاد فِي الدَّار الآخِرَة، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾. قَال مُجَاهِد: مَعْنَاهُ لا تُعَذِّبنَا بِأَيْدِيهِمْ وَلا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدك، فَيَقُولُوا: لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ عَلى حَقّ مَا أَصَابَهُمْ هَذَا، وَكَذَا قَال الضَّحَّاك. وَقَال قَتَادَة: لا تُظْهِرهُمْ عَلَيْنَا فيفتتنوا بِذَلِكَ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ظَهَرُوا عَلَيْنَا لِحَقٍّ هُمْ عَلَيْهِ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: لا تُسَلِّطهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتِنُونَا.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أَيْ: وَاسْتُرْ ذُنُوبنَا عَنْ غَيْرك، وَاعْفُ عَنْهَا فِيمَا بَيْننَا وَبَيْنك؛ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أَيْ: الَّذِي لا يُضَام مَنْ لاذَ بِجَنَابِك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي أَقْوَالك وَأَفْعَالك وَشَرْعك وَقَدَرك. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وَهَذَا تَأْكِيد لِمَا تَقَدَّمَ وَمُسْتَثْنًى مِنْهُ مَا تَقَدَّمَ أَيْضًا؛ لأَنَّ هَذِهِ الأُسْوَة الْمُثْبَتَة هَهُنَا هِيَ الأُولى بِعَيْنِهَا. وَقَوْله تَعَالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ تَهْيِيج إِلى ذَلِكَ لِكُلِّ مُؤْمِن بِالله وَالمَعَاد. وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أَيْ: عَمَّا أَمَرَ الله بِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: الغَنِيّ الَّذِي قَدْ كَمُل فِي غِنَاهُ، وَهُوَ الله، هَذِهِ صِفَته، لا تَنْبَغِي إِلَّا لهُ، لَيْسَ لهُ كُفْء وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، سُبْحَان الله الوَاحِد القَهَّار، وَالحَمِيد المُسْتَحْمَد إِلى خَلقه، أَيْ: هُوَ المَحْمُود فِي جَمِيع أَقْوَاله وَأَفْعَاله، لا إِله غَيْره وَلا رَبّ سِوَاهُ.

﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْد أَنْ أَمَرَهُمْ بِعَدَاوَةِ الكَافِرِينَ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾، أَيْ: مَحَبَّة بَعْد البَغْضَة، وَمَوَدَّة بَعْد النَّفْرَة، وَأُلْفَة بَعْد الفُرْقَة. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾، أَيْ: عَلى مَا يَشَاء مِنْ الجَمْع بَيْن الأَشْيَاء المُتَنَافِرَة وَالمُتَبَايِنَة وَالمُخْتَلِفَة، فَيُؤَلِّف بَيْن القُلُوب بَعْد العَدَاوَة وَالقَسَاوَة، فَتُصْبِح مُجْتَمِعَة مُتَّفِقَة، كَمَا قَال تَعَالى مُمْتَنًّا عَلى الأَنْصَار: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ الآيَة. وَكَذَا قَال لهم النَّبِيّ ﷺ: «أَلَمْ أَجِدكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ الله بِي؟»[1]. وَقَال الله تَعَالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ

---

(١) صحيح: تقـدم.

﴿قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وَفِي الحَدِيثِ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا. وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[(١)]. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا ❁ يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لا تَلاقِيَا

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أَيْ: يَغْفِر للكَافِرِينَ كُفْرهمْ إِذَا تَابُوا مِنْهُ وَأَنَابُوا إِلَى رَبّهمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ، وَهُوَ الغَفُور الرَّحِيم بِكُلِّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، مِنْ أَيّ ذَنْب كَانَ.

وَقَدْ قَالَ مُقَاتِل بْن حَيَّان: إِنَّ هَذِهِ الآيَة نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَان صَخْر بْن حَرْب، فَإِنَّ رَسُول الله ﷺ تَزَوَّجَ ابْنَته، فَكَانَتْ هَذِهِ مَوَدَّة مَا بَيْنه وَبَيْنه. وَفِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ مُقَاتِل نَظَر، فَإِنَّ رَسُول الله ﷺ تَزَوَّجَ بِأُمّ حَبِيبَة بِنْت أَبِي سُفْيَان قَبْل الفَتْح، وَأَبُو سُفْيَان إِنَّمَا أَسْلَمَ لَيْلَة الفَتْح بِلا خِلاف. وَأَحْسَن مِنْ هَذَا مَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم حَيْثُ قَالَ: قُرِئَ عَلَى مُحَمَّد بْن عَزِيز: حَدَّثَنِي سَلامَة، حَدَّثَنِي عُقَيْل، حَدَّثَنِي ابْن شِهَاب: أَنَّ رَسُول الله ﷺ اسْتَعْمَلَ أَبَا سُفْيَان ابْنَ حَرْب عَلَى بَعْض اليَمَن، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُول الله ﷺ أَقْبَلَ فَلَقِيَ ذَا الخِمَار مُرْتَدًّا، فَقَاتَلَهُ، فَكَانَ أَوَّل مَنْ قَاتَلَ فِي الرِّدَّة وَجَاهَدَ عَنْ الدِّين.[(٢)] قَالَ ابْن شِهَاب: وَهُوَ مِمَّنْ أَنْزَلَ الله فِيهِ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَفِي «صَحِيح مُسْلِم»، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّ أَبَا سُفْيَان قَالَ: يَا رَسُول الله؛ ثَلاث أَعْطِنِيهِنَّ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: تُؤَمِّرنِي حتى أُقَاتِل الكُفَّار كَمَا كُنْت أُقَاتِل المُسْلِمِينَ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَمُعَاوِيَة تَجْعَلهُ كَاتِبًا بَيْن يَدَيْك قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَعِنْدِي أَحْسَن العَرَب وَأَجْمَله، أُمّ حَبِيبَة بِنْت أَبِي سُفْيَان أُزَوِّجكهَا...[(٣)] الحَدِيث، وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلَيْهِ.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾، أَيْ: لا يَنْهَاكُمْ عَنْ الإِحْسَان إِلَى الكَفَرَة الَّذِينَ لا يُقَاتِلُونَكُمْ فِي الدِّين، كَالنِّسَاءِ وَالضَّعَفَة مِنْهُمْ، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، أَيْ: تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، أَيْ: تَعْدِلُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، حَدَّثَنَا هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ فَاطِمَة بِنْت المُنْذِر، عَنْ أَسْمَاء -هِيَ بِنْت أَبِي بَكْر ﵄- قَالَتْ: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَة فِي عَهْد قُرَيْش إِذْ عَاهَدُوا، فَأَتَيْت النَّبِيّ ﷺ فَقُلْت: يَا رَسُول الله، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَة، أَفَأَصِلهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمّكِ»[(٤)]. أَخْرَجَاهُ. وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَارِم، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن المُبَارَك، حَدَّثَنَا مُصْعَب بْن ثَابِت، حَدَّثَنَا عَامِر بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمَتْ قُتَيْلَة عَلَى ابْنَتهَا أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر بِهَدَايَا: ضِبَاب وَأَقِط وَسَمْن، وَهِيَ مُشْرِكَة، فَأَبَتْ أَسْمَاء أَنْ تَقْبَل هَدِيَّتهَا، وَأَنْ تُدْخِلهَا بَيْتهَا، فَسَأَلَتْ عَائِشَة النَّبِيّ ﷺ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إِلَى آخِر الآيَة، فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْبَل هَدِيَّتهَا، وَأَنْ تُدْخِلهَا بَيْتهَا.[(٥)] وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث مُصْعَب بْن ثَابِت، بِهِ.

وَفِي رِوَايَة لِأَحْمَد وَابْن جَرِير: «قُتَيْلَة [بِنْت عَبْد العُزَّى بْن عبد أسْعَد][(٦)]، مِنْ بَنِي مَالِك بْن حِسْل». زَادَ ابْن أَبِي حَاتِم: «فِي المُدَّة الَّتِي كَانَتْ بَيْن قُرَيْش، وَرَسُول الله ﷺ».

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٩٩٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) **مرسل**.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٠١).
(٤) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).
(٥) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٤/ ٤).
(٦) في الأزهرية: [بنت العزي بن أسعد].

وَقَال أَبُو بَكْر أَحْمَد بْن عَمْرو بْن عَبْد الخَالق البَزَّار: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن شُبَيْب، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا أَبُو قَتَادَة العَدَوِيّ، عَنْ ابْن أَخِي الزُّهْرِيّ، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة وَأَسْمَاء أَنَّهُمَا قَالَتَا: قَدِمَتْ عَلَيْنَا أُمّنَا المَدِينَة، وَهِيَ مُشْرِكَة، فِي الهُدْنَة الَّتِي كَانَتْ بَيْن قُرَيْش وبَيْن رَسُول الله ﷺ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُول الله؛ إِنَّ أُمّنَا قَدِمَتْ عَلَيْنَا المَدِينَة رَاغِبَة، أَفَنَصِلهَا. قَال: «نَعَمْ، فَصِلاهَا»[1]. ثُمَّ قَال: وَهَذَا الحَدِيث لا نَعْلَمهُ يُرْوَى عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. قُلت: وَهُوَ مُنْكَر بِهَذَا السِّيَاق، لأَنَّ أُمّ عَائِشَة هِيَ أُمّ رُومَان، وَكَانَتْ مُسْلِمَة مُهَاجِرَة، وَأُمّ أَسْمَاء غَيْرهَا، كَمَا هُوَ مُصَرَّح بِاسْمِهَا فِي هَذِهِ الأَحَادِيث المُتَقَدِّمَة، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: تَقَدَّمَ تَفْسِير ذَلِكَ فِي «سُورَة الحُجُرَات». وَأَوْرَدَ الحَدِيث الصَّحِيح: «المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِر مِنْ نُور عَنْ يَمِين العَرْش، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهَالِيهِمْ، وَمَا وُلُّوا»[2]. وَقَوْله: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾، أَيْ: إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ عَنْ مُوَالاة هَؤُلاءِ الَّذِينَ نَاصَبُوكُمْ بالعداوة، فقاتلوكم وَأَخْرَجُوكُمْ، وَعَاوَنُوا عَلَى إِخْرَاجكُمْ، يَنْهَاكُمْ الله عَنْ مُوَالاتهمْ وَيَأْمُركُمْ بِمُعَادَاتِهِمْ، ثُمَّ أَكَّدَ الوَعِيد عَلَى مُوَالاتهمْ، فَقَال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾.

تَقَدَّمَ فِي «سُورَة الفَتْح» ذِكْر صُلح الحُدَيْبِيَة الَّذِي وَقَعَ بَيْن رَسُول الله ﷺ وَبَيْن كُفَّار قُرَيْش، فَكَانَ فِيهِ[3]: «عَلَى أَنْ لا يَأْتِيك مِنَّا رَجُل وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينك إِلاَّ رَدَدْته إِلَيْنَا». وَفِي رِوَايَة: «عَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيك مِنَّا أَحَد وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينك إِلاَّ رَدَدْته إِلَيْنَا». وَهَذَا قَوْل عُرْوَة، وَالضَّحَّاك، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد، وَالزُّهْرِيّ، وَمُقَاتِل، وَالسُّدِّيّ، فَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَة تَكُون هَذِهِ الآيَة مُخَصِّصَة للسُّنَّة، وَهَذَا مِنْ أَحْسَن أَمْثِلَة ذَلِكَ، وَعَلَى طَرِيقَة بَعْض السَّلف نَاسِخَة، فَإِنَّ الله ﷻ أَمَرَ عِبَاده المُؤْمِنِينَ إِذَا جَاءَهُمْ النِّسَاء مُهَاجِرَات أَنْ يَمْتَحِنُوهُنَّ، فَإِنْ عَلِمُوهُنَّ مُؤْمِنَات فَلا يُرْجِعُوهُنَّ إِلى الكُفَّار، لا هُنَّ حِلّ لَهُمْ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي تَرْجَمَة عَبْد الله بْن أَبِي أَحْمَد ابْن جَحْش، مِنْ «المُسْنَد الكَبِير»، مِنْ طَرِيق أَبِي بَكْر ابْن أَبِي عَاصِم، عَنْ مُحَمَّد بْن يَحْيَى الذُّهْلِيّ، عَنْ يَعْقُوب بْن مُحَمَّد، عَنْ عَبْد العَزِيز بْن عِمْرَان، عَنْ مُجَمِّع بْن يَعْقُوب، عَنْ حسين ابن السائب بْن أَبِي لُبَابة، عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي أَحْمَد قَال: هَاجَرَتْ أُمّ كُلْثُوم بِنْت عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط فِي الهِجْرَة، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عُمَارَة وَالوَلِيد حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُول الله ﷺ ، فَكَلَّمَاهُ فِيهَا أَنْ يَرُدّهَا إِلَيْهِمَا، فَنَقَضَ الله العَهْد بَيْنه وَبَيْن المُشْرِكِينَ فِي النِّسَاء خَاصَّة، ومَنَعَهُن أَنْ يُرْدَدْنَ إِلى المُشْرِكِينَ، وَأَنْزَل الله آيَة الامْتِحَان.[4]

---

(١) منكـر : أخرجه البزار. فيه عبد الله بن شبيب: ضعيف.
(٢) صحيح : تـقــدم.
(٣) صلح الحديبية: راجع سورة الفتح.
(٤) ضعيف جداً : في إسناده عبد العزيز بن عمران: متروك الحديث.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا يُونُس بْن بُكَيْر، عَنْ قَيْس بْن الرَّبِيع، عَنْ الأَغَرّ بْن الصَّبَّاح، عَنْ خَليفَة عَنْ حُصَيْن، عَنْ أَبِي نَصْر الأَسَدِيّ، قَال: سُئِل ابْن عَبَّاس: كَيْفَ كَانَ امْتِحَان رَسُول الله ﷺ النِّسَاء؟ قَال: كَانَ يَمْتَحِنهُنَّ: بِالله مَا خَرَجْتِ مِنْ بُغْض زَوْج؟ وَبِالله مَا خَرَجْتِ رَغْبَة عَنْ أَرْض إِلى أَرْض؟ وَبِالله مَا خَرَجْتِ الْتِمَاس دُنْيَا؟ وَبِالله مَا خَرَجْتِ إِلَّا حُبًّا لله وَلرَسُولِهِ.(١) ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ وَجْه آخر، عَنْ الأَغَرّ بْن الصَّبَّاح، بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ البَزَّار مِنْ طَرِيقه، وَذَكَرَ فِيهِ: أَنَّ الَّذِي كَانَ يُحَلِّفهُنَّ عَنْ أَمْر رَسُول الله ﷺ لَهُ عُمَر بْن الخَطَّاب.

وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾: كَانَ امْتِحَانهنَّ أَنْ يَشْهَدْنَ أَنْ لا إِله إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبد الله وَرَسُوله. وَقَال مُجَاهِد: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾: فَاسْأَلُوهُنَّ: ما جَاءَ بِهِنَّ؟ فَإِنْ كَانَ جاء بِهِنَّ غَضَب عَلى أَزْوَاجهنَّ أَوْ سُخْطَة أَوْ غَيْره، وَلَمْ يُؤْمِنَّ فَارْجِعُوهُنَّ إِلى أَزْوَاجهنَّ.

وَقَال عِكْرِمَة: يُقَال لَهَا: مَا جَاءَ بِك إِلَّا حُبّ الله وَرَسُوله؟ وَمَا جَاءَ بِك عِشْق رَجُل مِنَّا وَلا فِرَار مِنْ زَوْجك؟ فَذَلكَ قَوْله: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾. وَقَال قَتَادَة: كَانَتْ محنتهن أَنْ يَسْتَحْلفْنَ بِالله: مَا أَخْرَجَكُنَّ النُّشُوز؟ وَمَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حُبّ الإِسْلام وَأَهْله وَحِرْصٌ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا قُلنَ ذَلكَ قُبِل ذَلكَ مِنْهُنَّ.

وَقَوْله: ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾: فِيهِ دَلالَة عَلى أَنَّ الإِيمَان يُمْكِن الاطِّلاع عَلَيْهِ يَقِينًا.

وَقَوْله: ﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾: هَذِهِ الآيَة هِيَ الَّتِي حَرَّمَتْ المُسْلِمَات عَلى المُشْرِكِينَ، وَقَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاء الإِسْلام أَنْ يَتَزَوَّج المُشْرِك المُؤْمِنَة، وَلهَذَا كَانَ أبو العَاصِ ابْن الرَّبِيع زَوْج ابْنَة النَّبِيّ ﷺ زَيْنَب رضي الله عنها وَقَدْ كَانَتْ مُسْلِمَة وَهُوَ عَلى دِين قَوْمه، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الأَسَارَى يَوْم بَدْر بَعَثَتْ امْرَأَته زَيْنَب فِي فِدَائِهِ بِقِلادَةٍ لَهَا كَانَتْ لأُمّهَا خَدِيجَة، فَلَمَّا رَآهَا رَسُول الله ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّة شَدِيدَة، وَقَال للمُسْلِمِينَ: «**إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلقُوا لهَا أَسِيرهَا فَافْعَلُوا**». ففعلوا فَأَطْلَقَهُ رَسُول الله ﷺ عَلى أَنْ يَبْعَث ابْنَته إِليْهِ، فَوَفَى لهُ بِذَلكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَعَدَهُ، وَبَعَثَهَا إِلى رَسُول الله ﷺ مَعَ زَيْد بْن حَارِثَة رضي الله عنه، فَأَقَامَتْ بِالمَدِينَةِ مِنْ بَعْد وَقْعَة بَدْر، وَكَانَتْ سَنَة اثْنَتَيْنِ إِلى أَنْ أَسْلمَ زَوْجهَا أَبُو العَاصِ بْن الرَّبِيع سَنَة ثَمَان فَرَدَّهَا عَليْهِ بِالنِّكَاح الأَوَّل، وَلمْ يُحْدِث لهَا صَدَاقًا.(٢)

كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن إِسْحَاق، حدّثني دَاوُد بْن الحُصَيْن، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ رَسُول الله ﷺ رَدَّ ابْنَته زَيْنَب عَلى أَبِي العَاصِ ابن الربيع، وَكَانَتْ هِجْرَتهَا قَبْل إِسْلامه بِسِتِّ سِنِينَ عَلى النِّكَاح الأَوَّل، وَلمْ يُحْدِث شَهَادَة وَلا صَدَاقًا.(٣) وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول: «بَعْد سَنَتَيْنِ». وَهُوَ صَحِيح؛ لأَنَّ إِسْلامه كَانَ بَعْد تَحْرِيم المُسْلِمَات عَلى المُشْرِكِينَ بِسَنَتَيْنِ.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: «لَيْسَ بِإِسْنَادِهِ بَأْس، وَلا نَعْرِف وَجْه هَذَا الحَدِيث، وَلعَلَّهُ جَاءَ مِنْ حِفْظ دَاوُد بْن الحُصَيْن... وَسَمِعْت عَبْد بْن حُمَيْد يَقُول: سَمِعْت يَزِيد بْن هَارُون يَذْكُر عَنْ ابْن إِسْحَاق هَذَا الحَدِيث، وَحَدِيث الحَجَّاج -يَعْنِي ابْن أَرْطَاة- عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه: أَنَّ رَسُول الله ﷺ رَدَّ ابْنَته عَلى أَبِي العَاصِ ابْن الرَّبِيع بِمَهْرٍ جَدِيد وَنِكَاح جَدِيد(٤)، فَقَال يَزِيد: حَدِيث ابْن عَبَّاس أَجْوَد إِسْنَادًا، وَالعَمَل عَلى حَدِيث عَمْرو بْن شُعَيْب.

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٧) فيه أبو نصر الأسدي: مجهول.
(٢) **حسن** : أخرجه أبو داود (٢٦٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٣) **صحيح** : أخرجه أبو داود (١٢٤٠)، والترمذي (١١٤٣)، وابن ماجه (٢٠٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٤) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (١١٤٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

قُلت: وَقَدْ رَوَى حَدِيث الحَجَّاج بن أَرْطَاة، عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب: الإِمَام أَحْمَد وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ. وَضَعَّفَهُ الإِمَام أَحْمَد وَغَيْر وَاحِد، وَالله أَعْلَم.

وَأَجَابَ الجُمْهُور عَنْ حَدِيث ابْن عَبَّاس بِأَنَّ ذَلكَ كَانَ قَضِيَّة عَيْن يَحْتَمِل أَنَّهُ لَمْ تَنْقَضِ عِدَّتهَا مِنْهُ؛ لأَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الأَكْثَرُونَ أَنَّهَا مَتَى انْقَضَتْ العِدَّة وَلَمْ يُسْلم؛ انْفَسَخَ نِكَاحهَا مِنْهُ. وَقَال آخَرُونَ: بَل إِذَا انْقَضَتْ العِدَّة هِيَ بِالخِيَار، إِنْ شَاءَتْ أَقَامَتْ عَلَى النِّكَاح وَاسْتَمَرَّتْ، وَإِنْ شَاءَتْ فَسَخَتْهُ وَذَهَبَتْ فَتَزَوَّجَتْ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ حَدِيث ابْن عَبَّاس، وَالله أَعْلَم. وَقَوْله: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾، يَعْنِي: أَزْوَاج المُهَاجِرَات مِنْ المُشْرِكِينَ، ادْفَعُوا إِلَيْهِمْ الَّذِي غَرِمُوهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ الأَصْدِقَة. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالزُّهْرِيّ، وَغَيْر وَاحِد. وَقَوْله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾: يَعْنِي إِذَا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ أَصْدِقَتهنَّ فَانْكِحُوهُنَّ، أَيْ: تَزَوَّجُوهُنَّ بِشَرْطِهِ مِنْ انْقِضَاء العِدَّة وَالوَلِيّ وَغَيْر ذَلكَ.

وَقَوْله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: تَحْرِيم مِنْ الله ﷻ عَلى عِبَاده المُؤْمِنِينَ نِكَاح المُشْرِكَات، وَالاسْتِمْرَار مَعَهُنَّ.

وَفِي «الصَّحِيح»، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ المِسْوَر [وَمَرْوَان][1] بْن الحَكَم: أَنَّ رَسُول الله ﷺ لَـمَّا عَاهَدَ كُفَّار قُرَيْش يَوْم الحُدَيْبِيَة جَاءَهُ نِسَاء مِنْ المُؤْمِنَات، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ إِلى قَوْله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ فَطَلَّقَ عُمَر بْن الخَطَّاب يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، تَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَان، وَالأُخْرَى صَفْوَان بْن أُمَيَّة.[2] وَقَال ابْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ: أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَة عَلى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ بِأَسْفَل الحُدَيْبِيَة، حِين صَالحَهُمْ عَلى أَنَّهُ مَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا جَاءَهُ النِّسَاء نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرُدّ الصَّدَاق إِلى أَزْوَاجهنَّ، وَحَكَمَ عَلَى المُشْرِكِينَ مِثْل ذَلكَ إِذَا جَاءَتْهُمْ امْرَأَة مِنَ المُسْلمِينَ أَنْ يَرُدُّوا الصَّدَاق إِلى زَوْجِهَا، وَقَال: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾.[3] وَهَكَذَا قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم، وَقَال: وَإِنَّمَا حَكَمَ الله بَيْنهمْ بِذَلكَ، لأَجْل مَا كَانَ بَيْنهمْ وَبَيْنهمْ مِنْ العَهْد.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ الزُّهْرِيّ: طَلَّقَ عُمَر يَوْمَئِذٍ قَرِيبَة بِنْت أَبِي أُمَيَّة بْن المُغِيرَة فَتَزَوَّجَهَا مُعَاوِيَة، وَأُمّ كُلثُوم بِنْت عَمْرو بْن جَرْوَل الخُزَاعِيَّة، وَهِيَ أُمّ عبيد الله، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْم بْن حُذَيْفَة بْن غَانِم، رَجُل مِنْ قَوْمه، وَهُمَا عَلى شِرْكهمَا. وَطَلَّقَ طَلحَة بْن عُبَيْد الله أَرْوَى بِنْت رَبِيعَة بْن الحَارِث بْن عَبْد المُطَّلب، فَتَزَوَّجَهَا بَعْده خَالد بْن سَعِيد بْن العَاص.

وَقَوْله: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾، أَيْ: وَطَالبُوا بِمَا أَنْفَقْتُمْ عَلى أَزْوَاجكُمْ اللَّاتِي يَذْهَبْنَ إِلى الكُفَّار، إِنْ ذَهَبْنَ، وَليُطَالبُوا بِمَا أَنْفَقُوا عَلى أَزْوَاجهمْ اللَّاتِي هَاجَرْنَ إِلى المُسْلمِينَ. وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۖ﴾، أَيْ: فِي الصُّلح وَاسْتِثْنَاء النِّسَاء مِنْهُ، وَالأَمْر بِهَذَا كُلّه هُوَ حُكْم الله يَحْكُم بِهِ بَيْن خَلقه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أَيْ: عَلِيم بِمَا يُصْلح عِبَاده، حَكِيم فِي ذَلكَ. ثُمَّ قَال: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾. قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة: هَذَا فِي الكُفَّار الَّذِينَ ليْسَ لهُمْ عَهْد، إِذَا فَرَّتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَة وَلمْ يَدْفَعُوا إِلى زَوْجهَا شَيْئًا، فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمْ امْرَأَة لا يَدْفَع إِلى زَوْجهَا شَيْء، حَتَّى يَدْفَع إِلى زَوْج الذَّاهِبَة إِلَيْهِمْ مِثْل نَفَقَته عَليْهَا.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا يُونُس، حَدَّثَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي يُونُس، عَنْ الزُّهْرِيّ قَال: أَقَرَّ المُؤْمِنُونَ بِحُكْم الله، فَأَدَّوْا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَات المُشْرِكِينَ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلى نِسَائِهِمْ، وَأَبَى المُشْرِكُونَ أَنْ يُقِرُّوا بِحُكْمِ الله فِيمَا فَرَضَ

---

(١) في الأزهرية: [بن مروان].
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١).
(٣) مرسل: أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٠)، من مراسيل الزهري.

عَلَيهِمْ مِنْ أَدَاء نَفَقَات المُسْلِمِينَ، فَقَال الله للمُؤْمِنِينَ بِهِ: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾. فَلَوْ أَنَّهَا ذَهَبَتْ بَعْد هَذِهِ الآيَة امْرَأَة مِنْ أَزْوَاج المُؤْمِنِينَ إِلَى المُشْرِكِينَ، رَدَّ المُؤْمِنُونَ إِلَى زَوْجهَا النَّفَقَة الَّتِي أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ العَقِب الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ، الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَرُدُّوهُ عَلَى المُشْرِكِينَ مِنْ نَفَقَاتهمْ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجهمْ اللَّاتِي آمَنَ وَهَاجَرْنَ، ثُمَّ رَدُّوا إِلَى المُشْرِكِينَ فَضْلًا إِنْ كَانَ بَقِيَ لَهُمْ، وَالعَقِب: مَا كَانَ بِأَيْدِي المؤمنينَ مِنْ صَدَاق نِسَاء الكُفَّار حِين آمَنَّ وَهَاجَرْنَ.

وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابن عَبَّاس فِي هَذِهِ الآيَة: يَعْنِي إِنْ لَحِقَتْ امْرَأَة رَجُل مِنْ المُهَاجِرِينَ بِالكُفَّار، أَمَر لَهُ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ يُعْطَى مِنَ الغَنِيمَة مِثْل مَا أَنْفَق. وَهَكَذَا قَال مُجَاهِد: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أَصَبْتُمْ غَنِيمَة مِنْ قُرَيْش أَوْ غَيْرهمْ، ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾، يَعْنِي: مَهْر مِثْلهَا. وَهَكَذَا قَال مَسْرُوق، وَإِبْرَاهِيم، وَقَتَادَة، وَمُقَاتِل، وَالضَّحَّاك، وَسُفْيَان بْن حُسَيْن، وَالزُّهْرِيّ أَيْضًا. وَهَذَا لا يُنَافِي الأَوَّل؛ لأَنَّهُ إِنْ أَمْكَنَ الأَوَّل فَهُوَ الأَوْلى، وَإِلَّا فَمِنْ الغَنَائِم اللَّاتِي تُؤْخَذ مِنْ أَيْدِي الكُفَّار. وَهَذَا أَوْسَع، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير، ولله الحَمْد وَالمِنَّة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إسحاق، حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا ابْن أَخِي ابْن شِهَاب، عَنْ عَمّه قَال: أَخْبَرَنِي عُرْوَة أَنَّ عَائِشَة زَوْج النَّبِيّ ﷺ أَخْبَرَته: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَمْتَحِن مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ المُؤْمِنَات بِهَذِهِ الآيَة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قَال عُرْوَة: قَالَتْ عَائِشَة: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْط مِنَ المُؤْمِنَات، قَال لَهَا رَسُول الله ﷺ: «**قَدْ بَايَعْتُك**». كَلامًا، وَلا وَالله مَا مَسَّتْ يَده يَد امْرَأَة قَطُّ فِي المُبَايَعَة، مَا يُبَايِعهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ: «**قَدْ بَايَعْتُك عَلَى ذَلِك**»[1]. هَذَا لَفْظ البُخَارِيّ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عَنْ أُمَيْمَة بِنْت رُقَيْقَة قَالَتْ: أَتَيْت رَسُول الله ﷺ فِي نِسَاء لِنُبَايِعهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا مَا فِي القُرْآن: أَنْ لا نُشْرِك بِالله شَيْئًا ... الآيَة. وَقَال: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ**». قُلْنَا: الله وَرَسُوله أَرْحَم بِنَا مِنْ أَنْفُسنَا، قُلْنَا: يَا رَسُول الله؛ أَلا تُصَافِحنَا؟ قَال: «**إِنِّي لا أُصَافِح النِّسَاء، إِنَّمَا قَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَة كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَة**»[2]. هَذَا إِسْنَاد صَحِيح، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة وَالنَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ وَمَالك بْن أَنَس؛ كُلّهمْ عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر به. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر». وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَد أَيْضًا مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عن أميمة، به. وَزَادَ: «وَلَمْ يُصَافِح مِنَّا امْرَأَة». وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق مُوسَى بْن عُقْبَة عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر بِهِ. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث أَبِي جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر حَدَّثَتْنِي أُمَيْمَة بِنْت رُقَيْقَة -وَكَانَتْ أُخْت خَدِيجَة خَالَة فَاطِمَة، مِنْ فِيهَا إِلَى فِيَّ ... فَذَكَرَهُ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ ابْن إِسْحَاق، حَدَّثَنِي سَلِيط بْن أَيُّوب بْن الحَكَم بْن سُلَيْم، عَنْ أُمّه سَلْمَى بِنْت قَيْس -وَكَانَتْ إِحْدَى خَالات رَسُول الله ﷺ، قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ القِبْلَتَيْنِ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاء بَنِي عَدِيّ بْن النَّجَّار- قَالَتْ: جِئْت رَسُول الله ﷺ نُبَايِعهُ فِي نِسْوَة مِنْ الأَنْصَار، فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا: أَلَّا نُشْرِك بِالله شَيْئًا، وَلا نَسْرِق، وَلا نَزْنِي، وَلا نَقْتُل أَوْلادنَا، وَلا نَأْتِي بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيه بَيْن أَيْدِينَا وَأَرْجُلنَا، وَلا نَعْصِيه فِي مَعْرُوف

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩١).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٧)، والنسائي (٧/ ١٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

قَال: «وَلا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجكُنَّ». قَالتْ: فَبَايَعْنَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا، فَقُلت لامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ: ارْجِعِي فَسَلِي رَسُول الله ﷺ: مَا غِشّ أَزْوَاجنَا؟ قَال: فَسَأَلَتْهُ، فَقَال: «تَأْخذ مَاله، فَتُحَابِي بِهِ غَيْره».[1]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا إِبْرَاهِيم بْن أَبِي العَبَّاس، حَدَّثنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن عُثْمَان بْن إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن حَاطِب، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أُمّه عَائِشَة بِنْت قُدَامَة -يَعْنِي ابْن مَظْعُون- قَالتْ: أَنَا مَعَ أُمِّي [رَائِطَة][2] بنت سُفْيَان الخُزَاعِيَّة، وَالنَّبِيّ ﷺ يُبَايِع النِّسْوَة وَيَقُول: «**أُبَايِعكُنَّ على أَنْ لا تُشْرِكْنَ بالله شَيْئًا، وَلا تَسْرِقْنَ وَلا تَزْنِينَ وَلا تَقْتُلنَ أَوْلادكُنَّ، وَلا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْن أَيْدِيكُنَّ وَأَرْجُلكُنَّ، وَلا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوف**». قَالتْ: فَأَطْرَقن. فَقَال لَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُلنَ: نَعَمْ فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ**». فَكُنَّ يَقُلنَ وَأَقُول مَعَهُنَّ، وَأُمِّي تُلَقِّنِي: قولي أَيْ بُنَيَّة: نَعَمْ فِيمَا اسْتطَعْتُ، فَكُنْت أَقُول كَمَا يَقُلنَ.[3]

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثنَا أَبُو مَعْمَر، حَدَّثنَا عَبْد الوَارِث، حَدَّثنَا أَيُّوب، عَنْ حَفْصَة بِنْت سِيرِينَ، عَنْ أُمّ عَطِيَّة قَالتْ: بَايَعْنَا رَسُول الله ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْنَا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، وَنَهَانَا عَنْ النِّيَاحَة، فَقَبَضَتْ امْرَأَة يَدهَا فقالت: أَسْعَدَتْنِي فُلانَة أريد أَنْ أَجْزِيهَا. فَمَا قَال لَهَا رَسُول الله ﷺ شَيْئًا، فَانْطَلَقَتْ وَرَجَعَتْ فَبَايَعَهَا.[4] وَرَوَاهُ مُسْلم. وَفِي رِوَايَة: «فَمَا وَفَى مِنْهُنَّ امْرَأَة غَيْرهَا، وَغَيْر أُمّ سُلَيْم امْرَأَة مِلحَان». وَللبُخَارِيِّ عَنْ أُمّ عَطِيَّة قَالتْ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ عِنْد البَيْعَة أَنْ لا نَنُوح، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَة غَيْر خَمْس نِسْوَة: أُمّ سُلَيْم، وَأُمّ العَلاء، وَابْنَة أَبِي سَبْرَة امْرَأَة مُعَاذ، وَامْرَأَتَانِ أَوْ: ابْنَة أَبِي سَبْرَة، وَامْرَأَة مُعَاذ، وَامْرَأَة أُخْرَى.[5] وَقَدْ كَانَ رَسُول الله ﷺ يَتَعَاهَد النِّسَاء بِهَذِهِ البَيْعَة يَوْم العِيد، كَمَا قَال البُخَارِيّ: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم، حَدَّثنَا هَارُون بْن مَعْرُوف، حَدَّثنَا عَبْد الله بْن وَهْب، أَخْبَرَنِي ابْن جُرَيْج أَنَّ الحَسَن بْن مُسْلم أَخْبَرَهُ، عَنْ طَاوُس، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: شَهِدْت الصَّلاة يَوْم الفِطْر مَعَ رَسُول الله ﷺ وَأَبِي بَكْر وَعُمَر وَعُثْمَان، فَكُلّهمْ يُصَلِّيهَا قَبْل الخُطْبَة ثُمَّ يَخْطُب بَعْد، فَنَزَل نَبِيّ الله ﷺ فَكَأَنِّي أَنْظُر إِلَيْهِ حِين يُجْلِس الرِّجَال بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَل يَشُقّهُمْ حَتَّى أَتَى النِّسَاء، مَعَ بِلال فَقَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْ الآيَة كُلّهَا. ثُمَّ قَال حِين فَرَغَ: «**أَنْتُنَّ على ذَلكَ؟**». فَقَالتْ امْرَأَة وَاحِدَة -لمْ يُجِبْهُ غَيْرهَا-: نَعَمْ يَا رَسُول الله -لا يَدْرِي حَسَن مَنْ هِيَ- قَال: «**فَتَصَدَّقْنَ**»، قَال: وَبَسَطَ بِلال ثَوْبه، فَجَعَلنَ يُلقِينَ الفَتَخ وَالخَوَاتِيم فِي ثَوْب بِلال.[6]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا خَلفَ بْن الوَلِيد، حَدَّثنَا عَبَّاس عَنْ سُليْمَان بْن سُليْم، عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه قَال: جَاءَتْ أُمَيْمَة بِنْت رُقَيْقَة إِلى رَسُول الله ﷺ تُبَايِعهُ عَلى الإِسْلام، فَقَال: «**أُبَايِعك على أَنْ لا تُشْرِكِي بالله شَيْئًا، وَلا تَسْرِقِي وَلا تَزْنِي وَلا تَقْتُلي وَلدك، وَلا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْن يَدَيْك وَرِجْليْك، وَلا تَنُوحِي، وَلا تَبَرَّجِي تَبَرُّج الجَاهِليَّة الأُولى**».[7]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا سُفْيَان، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيس الخَوْلانِيّ، عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَال: كُنَّا عِنْد رَسُول الله ﷺ فِي مَجْلس فَقَال: «**تُبَايِعُونِي على أَنْ لا تُشْرِكُوا بالله شَيْئًا وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا**

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٩)، وفيه سليط بن أيوب: مقبول.
(٢) في الأزهرية: [رابطه].
(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (٣٦٥).
(٤) أخرجه البخاري (٤٨٩٢)، ومسلم (٩٣٦).
(٥) أخرجه البخاري (١٣٠٦).
(٦) أخرجه البخاري (٤٨٩٥).
(٧) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ١٩٦).

أَوْلادكُمْ». قَرَأَ الآيَة الَّتِي أُخِذَتْ عَلَى النِّسَاء: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ «فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْره عَلى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلك شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَة لَهُ. وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلك شَيْئًا فَسَتَرَهُ الله عَلَيْهِ، فَهُوَ إِلى الله، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»(١). أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ مَرْثَد بْن عَبْد الله اليَزَنِيّ، عَنْ أَبِي عَبْد الله عَبْد الرَّحْمَن بْن عُسَيْلَة [الصُّنَابِحِيّ](٢)، عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَال: كُنْت فِيمَنْ حَضَرَ العَقَبَةَ الأُولى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَر رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُول الله ﷺ عَلى بَيْعَة النِّسَاء، وَذَلِكَ قَبْل أَنْ يُفْرَض الحَرْب، عَلى أَنْ لا نُشْرِك بِالله شَيْئًا، وَلا نَسْرِق، وَلا نَزْنِي، وَلا نَقْتُل أَوْلادنَا، وَلا نَأْتِي بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيه بَيْن أَيْدِينَا وَأَرْجُلنَا، وَلا نَعْصِيه فِي مَعْرُوف. وَقَال: «فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الجَنَّة»(٣). رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَ عُمَر بْن الخَطَّاب فَقَال: «قُل لَهُنَّ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ يُبَايِعكُنَّ عَلى أَنْ لا تُشْرِكْنَ بِالله شَيْئًا». وَكَانَتْ هِنْد بِنْت عُتْبَة بْن رَبِيعَة الَّتِي شَقَّتْ بَطْن حَمْزَة مُنْكرةٌ فِي النِّسَاء، فَقَالَتْ: إِنِّي إِنْ أَتَكَلَّم يَعْرِفنِي، وَإِنْ عَرَفَنِي قَتَلنِي. وَإِنَّمَا تَنَكَّرْت فَرَقًا مِنْ رَسُول الله ﷺ فَسَكَتَ النِّسْوَة اللَّاتِي مَعَ هِنْد، وَأَبَيْنَ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، فَقَالَتْ هِنْد وَهِيَ مُنْكرةٌ: كَيْفَ يَقْبل مِنْ النِّسَاء شَيْئًا لَمْ يَقْبله مِنْ الرِّجَال؟ فَفَطن إِلَيْهَا رَسُول الله ﷺ ، وَقَال لِعُمَر: «قُل لَهُنَّ: وَلا تَسْرقنَ». قَالَتْ هِنْد: وَالله إِنِّي لأُصِيبُ مِنْ أَبِي سُفْيَان الهَنَّات، مَا أَدْرِي أَيُحِلُّهُنَّ لِي أَمْ لا؟ قَال أَبُو سُفْيَان: مَا أَصَبْتِ مِنْ شَيْء مَضَى أَوْ قَدْ بَقِيَ، فَهُوَ لَك حَلال. فَضَحِكَ رَسُول الله ﷺ وَعَرَفَهَا، فَدَعَاهَا فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَعَاذَتْ بِهِ، فَقَال: «أَنْتِ هِنْد؟». فقالت: عَفَا الله عَمَّا سَلَفَ، فَصَرَفَ عَنْهَا رَسُول الله ﷺ ، فَقَال: «وَلا تَزْنِينَ». فَقَالَتْ: يَا رَسُول الله، وَهَل تَزْنِي الحُرَّة؟ قَال: «لا، وَالله مَا تَزْنِي الحُرَّة». فقال: «وَلا يَقْتُلنَ أَوْلادهنَّ». قَالَتْ هِنْد: أَنْتَ قَتَلتهمْ يَوْم بَدْر، فَأَنْتَ وَهُمْ أَبْصَر، قَال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾. قَال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾. قَال: مَنَعَهُنَّ أَنْ يَنُحْنَ، وَكَانَ أَهْل الجَاهِلِيَّة يُمَزِّقْنَ الثِّيَاب وَيَخْدِشْنَ الوُجُوه، وَيَقْطَعْنَ الشُّعُور، وَيَدْعُونَ بِالثُّبُور. والثبور: الويل.(٤) وَهَذَا أَثَر غَرِيب، وَفِي بَعْضه نَكَارَة، وَالله أَعْلَم. فَإِنَّ أَبَا سُفْيَان وَامْرَأَته لَمَّا أَسْلَمَا لَمْ يَكُنْ رَسُول الله ﷺ يُخِيفهُمَا، بَل أَظْهَرا الصَّفَاء وَالوُدّ له، وَكَذَلِكَ كَانَ الأَمْر مِنْ جَانِبه عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمَا.

وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَة يَوْم الفَتْح، فبايعَ رَسُول الله ﷺ الرِّجَال عَلى الصَّفَا، وَعُمَر يبايعُ النِّسَاء تَحْتَها عَنْ رَسُول الله ﷺ (٥) فَذَكَرَ بَقِيَّته كَمَا تَقَدَّمَ، وَزَادَ: فَلَمَّا قَال: وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادكُنَّ، قَالتْ هِنْد: رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا فَقَتَلتُمُوهُمْ كِبَارًا، فَضَحِكَ عُمَر بْن الخَطَّاب حَتَّى اسْتَلقَى. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نَصْر بْن عَلِيّ، حَدَّثَتْنِي غبطة بنت عمرو، حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي، عَنْ جَدَّتها، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: جَاءَتْ هِنْد بِنْت عُتْبَة إِلى رَسُول الله ﷺ لتُبَايِعهُ، فَنَظَرَ إِلى يَدهَا فَقَال: «اذْهَبِي فَغَيِّرِي يَدك». فَذَهَبَتْ فَغَيَّرَتْهَا بِحِنَّاءٍ، ثُمَّ جَاءَتْ فَقَال: «أُبَايِعك عَلى أَنْ لا تُشْرِكِي بِالله شَيْئًا». فبايعها وَفِي يَدهَا سِوَارَانِ مِنْ ذَهَب، فَقَالتْ: مَا تَقُول فِي هَذَيْنِ السِّوَارَيْنِ؟ فَقَال: «جَمْرَتَان مِنْ جمر جَهَنَّم».(٦)

---

(١) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).
(٢) في الأزهرية: [الصالحي].
(٣) **حسن صحيح**: إسناده حسن من أجل ابن إسحاق.
(٤) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٧)، فيه عطية العوفي: شيعي مدلس.
(٥) **إسناده مرسل**.
(٦) **ضعيف**: فيه غبيطة بنت عمرو: مقبولة.

فَقَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾، أَيْ: مَنْ جاءَكَ مِنْهُنَّ يُبَايع عَلَى هَذِهِ الشُّرُوط، فَبَايِعْهَا، ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾، أي: أَمْوَال النَّاس الأَجَانِب، فَأَمَّا إِذَا كَانَ الزَّوْج مُقَصِّرًا فِي نَفقتها، فَلها أَنْ تَأْكُل مِنْ مَاله بِالمَعْرُوفِ، مَا جَرَتْ بِهِ عَادَة أَمْثَالها، وَإِنْ كَانَ بِغَيْر عِلمه، عَمَلًا بِحَدِيثِ هِنْد بِنْت عُتْبَة أَنَّها قَالتْ: يَا رَسُول الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَان رَجُل شَحِيح، لا يُعْطِينِي مِنْ النَّفَقَة مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ، فَهَل عَلَيَّ جُنَاح إِنْ أَخَذْتُ مِنْ مَاله بِغَيْرِ عِلمه؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**خُذِي مِنْ مَاله بِالمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيك وَيَكْفِي بَنِيك**»[1]. أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْن».

وَقوْله: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، وَفِي حَدِيث سَمُرَة ذَكَر عُقُوبَة الزُّنَاة بِالعَذَابِ الأَلِيم فِي نَار الجَحِيم.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: جَاءَتْ فَاطِمَة بِنْت عُتْبَة تُبَايِع النبيَّ ﷺ فَأَخذَ عَليْهَا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآيَة. قَال: فَوَضَعَتْ يَدهَا عَلَى رَأْسهَا حَيَاء، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْهَا، فَقَالتْ عَائِشَة: أَقِرِّي أَيَّتهَا المَرْأَة، فَوَالله مَا بَايَعْنَا إِلَّا عَلى هَذَا. قَالتْ: فنعَمْ إِذًا. فَبَايَعهَا بِالآيَةِ.[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثنَا ابْن فُضَيْل، عَنْ حُصَيْن، عَنْ عَامِر -هُوَ الشَّعْبِيّ- قَال: بَايَعَ رَسُول الله ﷺ النِّسَاء، وَعَلى يَده ثَوْب قَدْ وَضَعَهُ عَلى كَفّه، ثُمَّ قَال: وَلا تَقْتُلنَ أَوْلادكُنَّ. فَقَالتْ امْرَأَة: تَقْتُل آبَاءَهُمْ وتوصينا بِأَوْلادِهِمْ؟ قَال: وَكَانَ بَعْد ذَلكَ إِذَا جَاءَه النِّسَاء يُبَايِعْنَهُ، جَمَعَهُنَّ فَعَرَض عَليْهِنَّ. فَإِذَا أَقْرَرْنَ رَجَعْنَ.[3] وَقَوْله: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: وَهَذَا يَشْمَل قَتْله بَعْد وُجُوده، كَمَا كَانَ أَهْل الجَاهِلِيَّة يَقْتُلُون أَوْلادهمْ خَشْيَة الإِمْلاق، وَيَعُمّ قَتْله وَهُوَ جنِين، كَمَا قَدْ يَفْعَلهُ بَعْض الجَهَلة مِنْ النِّسَاء، تَطْرَح نَفْسهَا لئَلَّا تَحْبَل إِمَّا لغَرَضٍ فَاسِد أَوْ مَا أَشْبَهَهُ. وَقَوْله: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قَال ابْن عَبَّاس: يَعْنِي لا يُلحِقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ غَيْر أَوْلادهمْ. وَكَذَا قَال مُقَاتِل. وَيُؤَيِّد هَذَا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُد: حَدَّثنَا أَحْمَد بْن صَالح، حَدَّثنَا ابْن وَهْب، حَدَّثنَا عَمْرو -يَعْنِي ابْن الحَارِث- عَنْ ابْن الهَادّ، عَنْ عَبْد الله بْن يُونُس، عَنْ سَعِيد المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول حِين نَزَلتْ آيَة المُلاعَنَة: «أَيمَا امْرَأَة أَدْخَلتْ عَلى قَوْم مَنْ ليْسَ مِنْهُمْ، فَليْسَتْ مِنْ الله فِي شَيْء، وَلنْ يُدْخِلهَا الله جَنَّته، وَأَيمَا رَجُل جَحَدَ وَلده وَهُوَ يَنْظُر إِليْهِ، احْتَجَبَ الله مِنْهُ، وَفَضَحَهُ عَلى رُءُوس الأَوَّلينَ وَالآخِرِينَ».[4]

وَقَوْله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، يَعْنِي: فِيمَا أَمَرْتهنَّ بِهِ مِنْ مَعْرُوف، وَنَهَيْتهنَّ عَنْهُ مِنْ مُنْكَر.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد، حَدَّثنَا وَهْب بْن جَرِير، حَدَّثنَا أَبِي قَال: سَمِعْت الزُّبَيْر، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، قَال: إِنَّمَا هُوَ شَرْط شَرَطَهُ الله للنِّسَاءِ. وَقَال مَيْمُون بْن مِهْرَان: لمْ يَجْعَل الله لنَبِيِّهِ طَاعَة إِلَّا لمعروف. وَالمَعْرُوف طَاعَة. وَقَال ابْن زَيْد: أَمَرَ الله بِطَاعَةِ رَسُوله، وَهُوَ خِيرَة الله مِنْ خَلقه فِي المَعْرُوف. وَقَدْ قَال غَيْره عن ابْن عَبَّاس وَأَنَس بْن مَالك وَسَالم بْن أَبِي [الجَعْد][5] وَأَبِي صَالح وَغَيْر وَاحِد: نَهَاهُنَّ يَوْمئِذٍ عَنْ النَّوْح، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيث أُمّ عَطِيَّة فِي ذَلك أَيْضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤).
(٢) **صحيح** : أخرجه أحمد (٦/ ١٥١).
(٣) **ضعيف** : إسناده مرسل.
(٤) **ضعيف** : أخرجه أبو داود (٢٢٦٣)، فيه عبد الله بن يونس: مجهول، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».
(٥) في الأزهرية: [أسعد].

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا بِشْر، حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة فِي هَذِهِ الآيَة: ذَكَرَ لنَا أَنَّ نَبِيّ الله ﷺ أَخَذَ عَلَيْهِنَّ النِّيَاحَة، وَلا تُحَدِّثْنَ الرِّجَال إِلَّا رَجُلًا مِنْكُنَّ مَحْرَمًا. فَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف: يَا نبيَّ الله؛ إِنَّ لنَا أَضْيَافًا، وَإِنَّا نَغِيب عَنْ نِسَائِنَا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ، لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ**».[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى الفَرَّاء، أَخْبَرَنَا ابْن أَبِي زَائِدَة، حَدَّثَنِي مُبَارَك، عَنْ الحَسَن قَال: كَانَ فِيمَا أَخَذَ النَّبِيّ ﷺ: «أَلاَّ يُحَدِّثْنَ الرِّجَال إلاَّ أَنْ تَكُون ذَات مَحْرَم، فَإِنَّ الرَّجُل لا يَزَال يُحَدِّث المَرْأَة حَتَّى يَمْذِيَ بَيْنَ فَخِذَيْهِ».[2]

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا هَارُون، عَنْ عَمْرو، عَنْ عَاصِم، عَنْ ابْن سِيرِينَ، عَنْ أُمّ عَطِيَّة الأَنْصَارِيَّة قَالَتْ: كَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ عَلَيْنَا مِنْ المَعْرُوف حِين بَايَعْنَا: أَنْ لا نَنُوح، فَقَالَتْ امْرَأَة مِنْ بَنِي فُلان: إِنَّ بَنِي فُلان أَسْعَدُونِي، فَلا حَتَّى أَجْزِيهِمْ! فَانْطَلَقَتْ فَأَسْعَدَتْهُمْ، ثُمَّ جَاءَتْ فَبَايَعَتْ، قَالَتْ: فَمَا وَفَى مِنْهُنَّ غَيْرهَا، وَغَيْر أُمّ سُلَيْم بنة مِلحَان أُمّ أَنَس بْن مَالك.[3] وَقَدْ رَوَى البُخَارِيّ هَذَا الحَدِيث مِنْ طَرِيق حَفْصَة بِنْت سِيرِينَ، عَنْ أُمّ عَطِيَّة نَسِيبَة الأَنْصَارِيَّة رضي الله عنها، وَقَدْ رُوِيَ نَحْوه مِنْ وَجْه آخَر أَيْضًا.

وقال ابْن جَرِير: حَدَّثنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا عُمَر بْن فَرُّوخ القَتَّاب، حَدَّثَنِي مُصْعَب بْن نُوح الأَنْصَارِيّ قَال: أَدْرَكْت عَجُوزًا لنَا كَانَتْ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُول الله ﷺ، قَالتْ: فَأَتَيْته لأُبَايِعهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا فِيمَا أَخَذَ أَنْ لا تَنُحْنَ. فَقَالتْ عَجُوز: يَا رَسُول الله، إِنَّ أُنَاسًا قَدْ كَانُوا أَسْعَدُونِي عَلى مَصَائِب أَصَابَتْنِي، وَإِنَّهُمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَة، فَأَنَا أُرِيد أَنْ أُسْعِدهُمْ. قَال: «فَانْطَلِقِي فَكَافِئِيهِمْ». فَانْطَلَقَتْ فَكَافَأَتْهُمْ، ثُمَّ إِنَّهَا أَتَتْهُ فَبَايَعَتْهُ، وَقَال: هُوَ المَعْرُوف الَّذِي قَال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾.[4]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مَنْصُور الرَّمَادِيّ، حَدَّثَنَا القعنبي، حَدَّثَنَا الحَجَّاج بْن صَفْوَان عَنْ أَسِيد ابْن أَبِي أَسِيد البراد، عَنْ امْرَأَة مِنْ المُبَايَعَات قَالتْ: كَانَ مما أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ أَنْ لا نَعْصِيه فِي مَعْرُوف: أَنْ لا نَخْمُش وجوهًا، وَلا نَنْشُر شَعْرًا، وَلا نَشُقّ جَيْبًا، وَلا نَدْعُو وَيْلًا.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ يَزِيد مَوْلى الصَّهْبَاء، عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب، عَنْ أُمّ سَلمَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، قَال: النَّوْح. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي التَّفْسِير، عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد، عَنْ أَبِي نُعَيْم؛ وَابْن مَاجَهْ، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ وَكِيع؛ كِلاهُمَا عَنْ يَزِيد بْن عَبْد الله الشَّيْبَانِيّ مَوْلى الصَّهْبَاء، بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن غَرِيب».

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سِنَان القَزَّاز، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِدْرِيس، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن عُثْمَان بن يَعْقُوب، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَطِيَّة، عَنْ جَدَّته أُمّ عَطِيَّة قَالتْ: لـمَّا قَدِمَ رَسُول الله ﷺ جَمَعَ نِسَاء الأَنْصَار فِي بَيْت، ثُمَّ أَرْسَل إِلَيْنَا عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه، فَقَامَ عَلى البَاب وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَرَدَدْنَ -أَوْ: فَرَدَدْنَا- عليه السلام ثُمَّ قَال: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ إِلَيْكُنَّ. قَالتْ: فَقُلنَا: مَرْحَبًا بِرَسُول الله، وَبِرَسُول رَسُول الله. فَقَال: تُبَايِعْنَ عَلى أَنْ لا تُشْرِكْنَ بِالله شَيْئًا، وَلا تَسْرِقْنَ وَلا تَزْنِينَ؟ قَالتْ: قُلْنَا: نَعَمْ. قَالتْ: فَمَدَّ يَده مِنْ خَارِج البَاب

---

(١) **مرسل**: أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨) بسند مرسل.
(٢) **مرسل**.
(٣) أخرجه الطبراني (٢٨/ ٢٩).
(٤) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٩)، فيه مصعب بن نوح: مجهول.

-أَوْ: البَيْت- وَمَدَدْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَاخِلِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ. قَالَتْ: وَأَمَرَنَا فِي العِيدَيْنِ أَنْ نُخْرِجَ فِيهِ الحُيَّضَ وَالعَوَاتِقَ، وَلا جُمُعَةَ عَلَيْنَا، وَنَهَانَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ. قَالَ إِسْمَاعِيلُ: فَسَأَلْتُ جَدَّتِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾. قَالَتْ: النِّيَاحَة.[1]

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ طَرِيقِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**».[2] وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ.[3]

وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ أَنَّ زَيْدًا حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»، وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[4]. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مُنْفَرِدًا بِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ يَزِيدَ العَطَّارِ بِهِ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ النَّائِحَةَ وَالمُسْتَمِعَةَ[5]، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾.

يَنْهَى -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْ مُوَالاةِ الكَافِرِينَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ كَمَا نَهَى عَنْهَا فِي أَوَّلِهَا، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْنِي: اليَهُودَ وَالنَّصَارَى وَسَائِرَ الكُفَّارِ، مِمَّنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ الطَّرْدَ وَالإِبْعَادَ، فَكَيْفَ تُوَالُونَهُمْ وَتَتَّخِذُونَهُمْ أَصْدِقَاءَ وَأَخِلَّاءَ وَقَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ. أَيْ: مِنْ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا فِي حُكْمِ اللهِ ﷻ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾، فِيهِ قَوْلانِ:

أَحَدُهُمَا: كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ الأَحْيَاءُ مِنْ قَرَابَاتِهِمُ الَّذِينَ فِي القُبُورِ أَنْ يَجْتَمِعُوا بِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُمْ لا يَعْتَقِدُونَ بَعْثًا وَلا نُشُورًا، فَقَدِ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ مِنْهُمْ فِيمَا يَعْتَقِدُونَهُ.

قَالَ العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. يَعْنِي: مَنْ مَاتَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَدْ يَئِسَ الأَحْيَاءُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ أَوْ يَبْعَثَهُمُ اللهُ ﷻ.

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾، قَالَ: الكُفَّارُ الأَحْيَاءُ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الأَمْوَاتِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ القُبُورِ الَّذِينَ مَاتُوا. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ. رَوَاهُنَّ ابْنُ جَرِيرٍ. وَالقَوْلُ الثَّانِي مَعْنَاهُ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ الَّذِينَ هُمْ فِي القُبُورِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

قَالَ الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾، قَالَ: كَمَا يَئِسَ هَذَا الكَافِرُ إِذَا مَاتَ وَعَايَنَ ثَوَابَهُ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ. وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَمُقَاتِلٍ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَالكَلْبِيِّ، وَمَنْصُورٍ. وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ المُمْتَحَنَةِ، وَللهِ الحَمْدُ

---

(١) ضعيف: رواه الطبري (٢٨/ ٨٠)، والترمذي (٣٣٠٤)، وضعفه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).
(٣) صححه الألباني في «إرواء الغليل» (٧٧١).
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٨٣).
(٥) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣١٢٨)، وضعفه الألباني في «إرواء الغليل» (٧٦٩).

تفسير سورة الصف وهي مدنية

ترتيبها ٦١ — وآياتها ١٤

قَال الإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن آدَم، حَدَّثَنَا ابْن الْمُبَارَك، عَنْ الأَوْزَاعِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، عَنْ أَبِي سَلَمَة؛ وَعَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ أَبِي سَلَمَة، عَنْ عَبْد الله بْن سَلام قَال: تَذَاكَرْنَا: أَيكُمْ يَأْتِي رَسُول الله ﷺ فَيَسْأَلُهُ: أَيّ الأَعْمَال أَحَبّ إِلى الله؟ فَلَمْ يَقُمْ مِنَّا أَحَد، فَأَرْسَل رَسُول الله ﷺ إِلَيْنَا رَجُلًا، فَجَمَعَنَا فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَة، يَعْنِي سُورَة الصَّفّ كُلّهَا.[1] هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن الوَلِيد بْن مزيد البَيْرُوتِيّ قِرَاءَة قَال: أَخْبَرَنِي أَبِي، سَمِعْت الأَوْزَاعِيّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن سَلام: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ قَالُوا: لَوْ أَرْسَلنَا إِلى رَسُول الله نَسْأَلُهُ عَنْ أَحَبّ الأَعْمَال إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ؟ فَلَمْ يَذْهَب إِلَيْهِ أَحَد مِنَّا، وَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلُهُ عَنْ ذَلكَ، قَال: فَدَعَا رَسُول الله ﷺ أُولئِكَ النَّفَر رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَهُمْ، وَنَزَلتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَة: ﴿سَبَّحَ﴾ الصَّفّ، قَال عَبْد الله بْن سَلام: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ كُلّهَا.

قَال أَبُو سَلَمَة: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا عَبْد الله بْن سَلام كُلّهَا. قَال يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو سَلَمَة كُلّهَا. قَال الأَوْزَاعِيّ: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير كُلّهَا. قَال أَبِي: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا الأَوْزَاعِيّ كُلّهَا.

وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الدَّارِمِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن كَثِير، عَنْ الأَوْزَاعِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير عَنْ أَبِي سَلَمَة، عَنْ عَبْد الله بْن سَلام قَال: قَعَدْنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ فَتَذَاكَرْنَا، فَقُلنَا: لَوْ نَعْلم أَيّ الأَعْمَال أَحَبّ إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ لعَمِلنَاهُ. فَأَنْزَل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. قَال عَبْد الله بْن سَلام: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ. قَال أَبُو سَلَمَة: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابْن سَلام. قَال يَحْيَى: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو سَلَمَة. قَال ابْن كَثِير: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا الأَوْزَاعِيّ. قَال عَبْد الله: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابْن كَثِير. ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: وَقَدْ خُولفَ مُحَمَّد بْن كَثِير فِي إِسْنَاد هَذَا الحَدِيث عَنْ الأَوْزَاعِيّ، فَرَوَى ابْن الْمُبَارَك، عَنْ الأَوْزَاعِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، عَنْ هِلال بْن أَبِي مَيْمُونَة، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ عَبْد الله بْن سَلام أَوْ: عَنْ أَبِي سَلَمَة، عَنْ عَبْد الله بْن سَلام. قُلت: وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ يَعْمُر عَنْ ابْن الْمُبَارَك بِهِ. قَال التِّرْمِذِيّ: وَرَوَى الوَلِيد بْن مُسْلم هَذَا الحَدِيث عَنْ الأَوْزَاعِيّ نَحْو رِوَايَة مُحَمَّد بْن كَثِير. قُلت: وَكَذَا رَوَاهُ الوَلِيد بْن يَزِيد عَنْ الأَوْزَاعِيّ، كَمَا رَوَاهُ ابْن كَثِير. قُلت: وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الحَدِيث الشَّيْخ الْمُسْنِد أَبُو العَبَّاس أَحْمَد بْن أَبِي طَالب الحَجَّار قِرَاءَة عَلَيْهِ، وَأَنَا أَسْمَع، أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُنَجَّا عَبْد الله بْن عُمَر بْن اللُّتِّيّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الوَقْت عَبْد الأَوَّل بْن عِيسَى بْن شُعَيْب السِّجْزِيّ قَال: أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَن عَبْد الرَّحْمَن بْن الْمُظَفَّر بْن مُحَمَّد بْن دَاوُد الدَّاوُدِيّ أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّد عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن حَمَوَيْهِ السَّرَخْسِيّ أَخْبَرَنَا عِيسَى بْن عُمَر بْن عِمْرَان السَّمَرْقَنْدِيّ، أَخْبَرَنَا الإِمَام الحَافِظ أَبُو مُحَمَّد عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الدَّارِمِيّ بِجَمِيع مُسْنَده، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن كَثِير، عَنْ الأَوْزَاعِيّ ... فَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ مِثْله، وَتَسَلسَل لنَا قِرَاءَتهَا إِلى شَيْخنَا أَبِي العَبَّاس الحَجَّار، وَلمْ يَقْرَأهَا لأَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا وَضَاقَ الوَقْت عَنْ تَلقِينِهَا إِيَّاهُ. وَلكِنْ أَخْبَرَنِي الحَافِظ الكَبِير أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عُثْمَان رَحِمَهُ اللَّهُ: الذَّهَبِيّ؛ أَخْبَرَنَا القَاضِي تَقِيّ الدِّين سُليْمَان بْن الشَّيْخ أَبِي عُمَر، أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُنَجَّا ابْن اللُّتِّيّ ... فَذَكَرَهُ بِإِسْنَادِهِ، وَتَسَلسَل لي مِنْ طَرِيقه، وَقَرَأَهَا عَليَّ بِكَمَالهَا، وَلله الحَمْد وَالْمِنَّة.

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٢)، والترمذي (٢٦٣٦).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

تقدَّم الكلامُ على قولِه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ غَيْر مرَّة، بما أغنَى عَنْ إعادتِهِ. وَقَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إنْكَار عَلى مَنْ يَعِدُ عِدَةً، أَوْ يَقُول قَوْلًا لا يَفِي بِهِ، وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة مَنْ ذَهَبَ مِنْ عُلَماء السَّلَف إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ الوَفَاء بِالوَعْدِ مُطْلَقًا، سَوَاء تَرَتَّبَ عَلَيْهِ غُرْم لِلْموعُودِ أَمْ لا. وَاحْتَجُّوا أَيْضًا مِنْ السُّنَّة بِمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ؛ قَال: «آيَة المُنَافِق ثَلاث: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».[1] وَفِي الحَدِيث الآخَر فِي «الصَّحِيح»: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَة مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاق حَتَّى يَدَعَهَا»[2]. فَذَكَرَ مِنْهُنَّ إِخْلاف الوَعْد. وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا الكَلام عَلَى هَذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ فِي أَوَّل «شَرْحِ البُخَارِيّ»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة؛ وَلِهَذَا أَكَّدَ الله تَعَالَى هَذَا الإِنْكَار عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وَقَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد عَنْ عَبْد الله بْن عَامِر بْن رَبِيعَة؛ قَال: أَتَانَا رَسُول الله ﷺ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيّ، قَال: فَذَهَبْت لأَخْرُج ولأَلْعَب، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْد الله؛ تَعَالَ أُعْطِك. فَقَال لَهَا رَسُول الله ﷺ: «وَمَا أَرَدْت أَنْ تُعْطِيه؟». قَالَتْ: تَمْرًا. فَقَال: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَة»[3].

وَذَهَبَ الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا تَعَلَّقَ بِالوَعْدِ غُرْم عَلَى المَوْعُود وَجَبَ الوَفَاء بِهِ، كَمَا لَوْ قَال لِغَيْرِهِ: «تَزَوَّجْ وَلَك عَلَيَّ كُلّ يَوْم كَذَا» فَتَزَوَّجَ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيه مَا دَامَ كَذَلِكَ؛ لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِهِ حَقّ آدَمِيّ، وَهُوَ مَبْنِيّ عَلَى المُضَايَقَة. وَذَهَبَ الجُمْهُور إِلَى أَنَّهُ لا يَجِبُ مُطْلَقًا، وَحَمَلُوا الآيَة عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ حِين تَمَنَّوْا فَرْضِيَّة الجِهَاد عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا فُرِضَ نَكَل عَنْهُ بَعْضهمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾. وَقَال تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ الآيَة. وَهَكَذَا هَذِهِ الآيَة مَعْنَاهَا، كَمَا قَال عَلِيّ ابْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، قَال: كَانَ نَاس مِنْ المُؤْمِنِينَ قَبْل أَنْ يُفْرَض الجِهَاد يَقُولُونَ: لَوَدِدْنَا أَنَّ الله ﷻ دَلَّنَا عَلى أَحَبّ الأَعْمَال إِلَيْهِ، فَنَعْمَل بِهِ، فَأَخْبَرَ الله نَبِيّه أَنَّ أَحَبّ الأَعْمَال: إِيمَان بِهِ لاشَكَّ فِيهِ، وَجِهَاد أَهْل مَعْصِيَته الَّذِينَ خَالَفُوا الإِيمَان وَلَمْ يُقِرُّوا بِهِ. فَلَمَّا نَزَل الجِهَاد كَرِهَ ذَلِكَ أُنَاسٌ مِنْ المُؤْمِنِينَ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْره، فَقَال الله سُبْحَانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).
(٣) صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٩١).

تَفْعَلُونَ﴾، وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: قَال الْمُؤْمِنُونَ: لَوْ نَعْلم أَحَبّ الأَعْمَال إِلى الله لعَمِلنَا بِه. فَدَلَّهُم الله عَلى أَحَبّ الأَعْمَال إِلَيْهِ، فَقَال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾، فَبَيَّنَ لهُمْ، فَابْتُلُوا يَوْم أُحُدِ بِذَلِكَ، فَوَلَّوْا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُدْبِرِينَ، فَأَنْزَل الله فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ وَقَال: أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ مَنْ قَاتَل فِي سَبِيلِي.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول: أُنْزِلتْ فِي شَأْن القِتَال. يَقُول الرَّجُل: قَاتَلت، وَلمْ يُقَاتِل. وَطَعَنْت، وَلمْ يَطْعَن. وَضَرَبْت، وَلمْ يَضْرِب. وَصَبَرْت، وَلمْ يَصْبِر. وَقَال قَتَادَة وَالضَّحَّاك: نَزَلتْ تَوْبِيخًا لقَوْمٍ كَانُوا يَقُولُونَ: قَتلنَا، ضَرَبْنَا، طَعَنَّا، وَفَعلنَا. وَلمْ يَكُونُوا فَعَلُوا ذَلكَ. وَقَال ابْن زَيْد: نَزَلتْ فِي قَوْم مِنْ المُنَافِقِينَ كَانُوا يَعِدُونَ الْمُسْلمِينَ النَّصْر، وَلا يَفُونَ لهُمْ بِذَلكَ. وَقَال مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قَال: فِي الجِهَاد. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، إِلى قَوْله: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ فَمَا بَيْن ذَلكَ فِي نَفر مِنَ الأَنْصَار، فِيهِمْ عَبْد الله بْن رَوَاحَة، قَالُوا فِي مَجْلس: لوْ نَعْلم أَيّ الأَعْمَال أَحَبّ إِلى الله، لعَمِلنَا بها حَتَّى نَمُوت. فَأَنْزَل الله هَذَا فِيهِمْ. فَقَال عَبْد الله بْن رَوَاحَة: لا أَبْرَح حَبِيسًا فِي سَبِيل الله حَتَّى أَمُوت. فَقُتِل شَهِيدًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا فَرْوَة بْن أَبِي المَغْرَاء، حَدَّثنَا عَليّ بْن مُسْهِر، عَنْ دَاوُد بْن أَبِي هِنْد، عَنْ أَبِي حَرْب بْن أَبِي الأَسْوَد الدَّيْليّ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: بَعَثَ أَبُو مُوسَى إِلى قُرَّاء أَهْل البَصْرَة، فَدَخَل عَليْهِ مِنْهُمْ ثَلاثُمِائَةِ رَجُل، كُلّهمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآن، فَقَال: أَنْتُمْ قُرَّاء أَهْل البَصْرَة وَخِيَارهمْ. وَقَال: كُنَّا نَقْرَأ سُورَة كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى المُسَبِّحَات، فَأُنْسِينَاهَا، غَيْر أَنِّي قَدْ حَفِظْت مِنْهَا: (يَا أَيها الذِّينَ آمنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لَا تَفْعَلُونَ، فَتُكْتَب شَهَادَة فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْم القِيَامَة). وَلهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾. فَهَذَا إِخْبَار منه تَعَالى بمحبة عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اصطفوا مُوَاجِهِينَ لأَعْدَاءِ الله فِي حَوْمَة الوَغَى، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيل الله مَنْ كَفَرَ بِالله، لتَكُونَ كَلمَة الله هِيَ العُليَا، وَدِينه هُوَ الظَّاهِر العَالي عَلى سَائِر الأَدْيَان.(١)

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عَليّ بْن عَبْد الله، حَدَّثنَا هُشَيْم، قَال مُجَالد: أَخْبَرَنَا مُجَالد عَنْ أَبِي الوَدَّاك، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ ﷺ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «ثَلاثَة يَضْحَك الله إِليْهِمْ: الرَّجُل يَقُوم مِنْ اللَّيْل، وَالقَوْم إِذَا صُفُّوا للصَّلاةِ، وَالقَوْم إِذَا صُفُّوا للقِتَال»(٢). وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث مُجَالد عَنْ أَبِي الوَدَّاك جَبْر بْن نَوْف بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي حَدَّثنَا أَبُو نُعَيْم الفَضْل بْن دُكَيْن، حَدَّثنَا الأَسْوَد -يَعْنِي: ابْن شَيْبَان- حَدَّثنِي يَزِيد بْن عَبْد الله بْن الشِّخِّير، قَال: قَال مُطَرِّف: كَانَ يَبْلُغنِي عَنْ أَبِي ذَرّ حَدِيث كُنْت أَشْتَهِي لقَاءَهُ، فَلقِيته فَقُلت: يَا أَبَا ذَرّ، كَانَ يَبْلُغنِي عَنْك حَدِيث، فَكُنْت أَشْتَهِي لقَاءَك. فَقَال: لله أَبُوك! فَقَدْ لقِيت، فَهَاتِ. فَقُلت: كَانَ يَبْلُغنِي عَنْك أَنَّك تَزْعُمُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ حَدَّثَكُمْ أَنَّ الله يُحِبّ ثَلاثَة وَيَبْغَض ثَلاثَة؟ قَال: أَجَل، فَلا إِخَالُنِي أَكْذِبُ عَلى خَليلي ﷺ! قُلت: فَمَنْ هَؤُلاءِ الثَّلاثَة الَّذِينَ يُحِبّهُمْ الله؟ قَال: رَجُل غَزَا فِي سَبِيل الله، خَرَجَ مُحْتَسِبًا مُجَاهِدًا فَلقِيَ العَدُوّ فَقُتِل، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ فِي كِتَاب الله المُنَزَّل، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ

---

(١) إسناده حسن.
(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٨٠)، وابن ماجه (٢٠٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٦١١).

صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] ... وَذَكَرَ الحَدِيث. هَكَذَا أَوْرَدَ هَذَا الحَدِيث مِنْ هَذَا الوَجْه بِهَذَا السِّيَاق، وبهذا اللَّفْظ، وَاخْتَصَرَهُ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة، عَنْ مَنْصُور بْن المُعْتَمِر، عَنْ رِبْعِيّ بْن حِرَاش، عَنْ زَيْد بْن ظَبْيَان، عَنْ أَبِي ذَرّ بِأَبْسَط مِنْ هَذَا السِّيَاق وَأَتَمّ. وَقَدْ أَوْرَدْنَاهُ فِي مَواضعَ أُخَر، وَلله الحَمْد.

وَعَنْ كَعْب الأَحْبَار أَنَّهُ قَالَ: يَقُول الله تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: عَبْدِي المُتَوَكِّل المُخْتَار لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَليظ، وَلا سَخَّاب فِي الأَسْوَاق، وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَة، وَلكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِر، مَوْلده بِمَكَّة، وَهِجْرَته بِطَابَة، وَمُلكه بالشَّام، وَأُمَّته الحَمَّادُون يَحْمَدُونَ الله عَلى كُلّ حَال، وَفِي كُلّ مَنْزِلة، لَهُمْ دَوِيّ كَدَوِيّ النَّحْل فِي جَوّ السَّمَاء بِالسَّحَر، يُوَضُّون أَطْرَافهمْ، وَيَأْتَزِرُون عَلى أَنْصَافهمْ، صَفّهمْ فِي القِتَال مِثْل صَفّهمْ فِي الصَّلاة، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾، رُعَاة الشَّمْس، يُصَلُّونَ الصَّلاة حَيْثُ أَدْرَكَتْهُمْ، وَلَوْ عَلى ظَهْر دَابَّة. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾، قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ لا يُقَاتِل العَدُوّ إِلَّا أَنْ يُصَافّهم، وَهَذَا تَعْليم مِنْ الله للمُؤْمِنِينَ. قَال: وَقَوْله: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: مُلتَصِق بَعْضه فِي بعض، مِنْ الصَّفّ فِي القِتَال. وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: مُلتَصِق بَعْضه إلى بعض. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: مُثْبَت، لا يَزُول، مُلصَق بَعْضه بِبَعْض.

وَقَال قَتَادَة: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: أَلَمْ تَرَ إِلى صَاحِب البُنْيَان، كَيْف لا يُحِبّ أَنْ يَخْتَلف بُنْيَانه؟ فَكَذَلكَ الله ﷻ أَنْ يَخْتَلف أَمْره، وَأَنَّ الله صَفّ المُؤْمِنِينَ فِي قِتَالهمْ وَصَفَّهُمْ فِي صَلاتهمْ، فَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِ الله، فَإِنَّهُ عِصْمَة لِمَنْ أَخَذَ بِهِ. أَوْرَدَ ذَلكَ كُلَّهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي سَعِيد بْن عَمْرو السُّكُونِيّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّة بْن الوَلِيد، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي مَرْيَم، عَنْ يَحْيَى بْن جَابِر الطَّائِيّ، عَنْ أَبِي بَحْرِيَّة؛ قَال: كَانُوا يَكْرَهُونَ القِتَال عَلى الخَيْل، وَيَسْتَحِبُّونَ القِتَال عَلى الأَرْض، لقَوْل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾، قَال: وَكَانَ أَبُو بَحْرِيَّة يَقُول: إِذَا رَأَيْتُمُونِي أَلتَفِت فِي الصَّفّ فَجِئُّوا فِي لَحْيَيَّ.[2]

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْده وَرَسُوله وَكَليمه مُوسَى بْن عِمْرَان ؈: إنه قَال لقَوْمِهِ: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، أَيْ: لِمَ تُوصِلُونَ الأَذَى إِلَيَّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ الرِّسَالة؟ وَفِي هَذَا تَسْليَة لرَسُول الله ﷺ فِيمَا أَصاب مِنْ الكُفَّار مِنْ قَوْمه وَغَيْرهمْ، وَأَمْرٌ لهُ بِالصَّبْر؛ وَلهَذَا قَال: «**رَحْمَة الله عَلى مُوسَى، لقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَر مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».[3] وَفِيهِ نَهْي للمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنَالُوا مِنْ النَّبِيّ ﷺ أَوْ يُوصِلُوا إِليْهِ أَذَى، كَمَا قَال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

وَقَوْله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أَيْ: فَلَمَّا عَدَلُوا عَنْ اتِّبَاع الحَقّ مَعَ عِلمهمْ بِهِ، أَزَاغَ الله قُلُوبهمْ عَنْ

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٩).
(٢) ضعيف : أخرجه الطبري (٢٨/ ٨٦)، فيه بقية بن الوليد: مدلس.
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣٥).

الهُدَى، وَأَسْكَنَهَا الشَّكّ وَالحَيْرَة وَالخِذْلان، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وَقَال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. وَلهَذَا قَال تَعَالى فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. وَقَوْله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾. يَعْنِي: التَّوْرَاة قَدْ بَشَّرَتْ بِي، وَأَنَا مِصْداقُ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَأَنَا مُبَشِّر بِمَنْ بَعْدِي، وَهُوَ الرَّسُول النَّبِيّ الأُمِّيّ العَرَبِيّ المَكِّي أَحْمَد. فَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ خَاتَم أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل، وَقَدْ أقام فِي مَلإِ بَنِي إِسْرَائِيل مُبَشِّرًا بِمُحَمَّدٍ، وَهُوَ أَحْمَد خَاتَم الأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلِينَ، الَّذِي لا رِسَالة بَعْده وَلا نُبُوَّة. وَمَا أَحْسَن مَا أَوْرَدَ البُخَارِيّ الحديث الَّذِي قَال فِيهِ: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمان، حَدَّثَنَا شُعَيْب، عَنْ الزُّهْرِيّ؛ قَال: أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم؛ عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ ؛ يَقُول: «**إِنَّ لِي أَسْمَاء: أَنَا مُحَمَّد، وَأَنَا أَحْمَد، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِهِ الكُفْر، وَأَنَا الحَاشِر الَّذِي يُحْشَر النَّاس عَلى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِب**»[1]. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ نَحْوه.

وَقَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ: حَدَّثَنَا المَسْعُودِيّ، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ أَبِي عُبَيْدَة، عَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَال: سَمَّى لنَا رَسُول الله ﷺ نَفْسه أَسْمَاء، مِنْهَا مَا حَفِظْنَا، فَقَال: «**أَنَا مُحَمَّد، وأَحْمَد، وَالحَاشِر، وَالمُقَفِّي، وَنَبِيّ الرَّحْمَة، وَالتَّوْبَة، وَالمَلحَمَة**»[2]. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث الأَعْمَش عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة بِهِ. وَقَدْ قَال الله تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾.. الآيَة. وَقَال تَعَالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ العَهْد: لئِنْ بُعِثَ مُحَمَّد وَهُوَ حَيّ ليَتَّبِعَنهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذ عَلى أُمَّته لئِنْ بُعِثَ مُحَمَّد وَهُمْ أَحْيَاء ليَتَّبِعُنَّهُ وَيَنْصُرُنَّهُ.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي ثَوْر بْن يَزِيد، عَنْ خَالد بْن مَعْدَان، عَنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسك. قَال: «**دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِين حَملتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُور أَضَاءَتْ لهُ قُصُور بُصْرَى مِنْ أَرْض الشَّام**».[3] وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد، وَرُوِيَ لهُ شَوَاهِد مِنْ وُجُوه أُخَر، فَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ سَعِيد بْن سُوَيْد الكَلبِيّ، عَنْ عَبْد الأَعْلى بْن هِلال السُّلمِيّ، عَنْ العِرْبَاض بْن سَارِيَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنِّي عِنْد الله لخَاتَم النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَم لمُنْجَدِل فِي طِينَته، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّل ذَلكَ: دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم، وَبِشَارَة عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلكَ أُمَّهَات النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ**».[4]

---

(١) صحيح : تقـدم.
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).
(٣) صحيح لغيره : تقـدم.
(٤) ضعيف : تقـدم.

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبو النَّضْر، حَدَّثَنَا الفَرَج بْن فَضَالة، حَدَّثَنَا لُقْمَان بْن عَامِر؛ قَال: سَمِعْت أَبَا أُمَامَة؛ قَال: قُلت: يَا نبيَّ الله، مَا كَانَ بَدْء أَمْرِك؟ قَال: «**دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُج مِنْهَا نُور أَضَاءَتْ لهُ قُصُور الشَّام**».

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى، سَمِعْت حُدَيجًا أَخَا زُهَيْر بْن مُعَاوِيَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَبْد الله ابْن عُتْبَة عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: بَعَثَنَا رَسُول الله ﷺ إِلى النَّجَاشِيّ وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ: عَبْد الله بْن مَسْعُود، وَجَعْفَر، وَعَبْد الله بْن عرفطة، وَعُثْمَان بْن مَظْعُون، وَأَبو مُوسَى. فَأَتَوْا النَّجَاشِيّ، وَبَعَثَتْ قُرَيْش عَمْرو بْن العَاص، وَعُمَارَة بْن الوَلِيد بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلا عَلى النَّجَاشِيّ سَجَدَا لهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينه وَعَنْ شِمَاله، ثُمَّ قَالا لهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمِّنَا نَزَلُوا أَرْضك، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا. قَال: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالا: هُمْ فِي أَرْضك، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَال جَعْفَر: أَنَا خَطِيبُكُمْ اليَوْم. فَاتَّبَعُوهُ فَسَلَّمَ وَلمْ يَسْجُد، فَقَالُوا لهُ: مَا لك لا تَسْجُد للمَلِكِ؟ قَال: إِنَّا لا نَسْجُد إِلَّا لله ﷻ، قَال: وَمَا ذَاكَ؟ قَال: إِنَّ الله بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُوله فَأَمَرَنَا أَنْ لا نَسْجُد لأَحَدٍ إِلَّا لله ﷻ وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاة. قَال عَمْرو بْن العَاص: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَك فِي عِيسَى ابْن مَرْيَم. قَال: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْن مَرْيَم وَأُمِّه؟ قَالوا: نَقُول كَمَا قَال الله ﷻ: هُوَ كَلِمَة الله وَرُوحه أَلقَاهَا إِلى العَذْرَاء البَتُول الَّتِي لمْ يَمَسّهَا بَشَر، وَلمْ يَفْرِضْها وَلد. قَال: فَرَفَعَ عُودًا مِنْ الأَرْض، ثُمَّ قَال: يَا مَعْشَر الحَبَشَة وَالقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَان؛ وَالله مَا يَزِيدُونَ عَلى الَّذِي نَقُول فِيهِ مَا يُسَاوِي هَذَا، مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْده، أَشْهَد أَنَّهُ رَسُول الله، وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِد فِي الإِنْجِيل، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْن مَرْيَم. انْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَالله لوْلا مَا أَنَا فِيهِ مِنْ المُلك لأَتَيْته حَتَّى أَكُون أَنَا أَحْمِل نَعْليْهِ وَأُوَضِّئهُ. وَأَمَرَ بِهَدِيَّةِ الآخَرَيْنِ فَرُدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّل عَبْد الله بْن مَسْعُود حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ اسْتَغْفَرَ لهُ حِين بَلغَهُ مَوْته.(١)

وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ القِصَّة عَنْ جَعْفَر وَأُمّ سَلمَة رضي الله عنهما وَمَوْضِع ذَلكَ كِتَاب السِّيرَة. والقَصْد أَنَّ الأَنْبِيَاء عليهم السلام لمْ تَزَل تَنْعَتهُ وَتَحْكِيه فِي كُتُبِهَا عَلى أُمَمِهَا، وَتَأْمُرهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَنَصْره وَمُوَازَرَته إِذَا بُعِثَ، وَكَانَ مَا اشْتَهَرَ الأَمْر فِي أَهْل الأَرْض عَلى لسَان إِبْرَاهِيم الخَليل وَالد الأَنْبِيَاء بَعْده، حِين دَعَا لأَهْل مَكَّة أَنْ يَبْعَث الله فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، وَكَذَا عَلى لسَان عِيسَى ابْن مَرْيَم؛ وَلهَذَا قَالُوا: «أَخْبِرْنَا عَنْ بَدْء أَمْرك». يَعْنِي فِي الأَرْض، قَال: «**دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم، وَبِشَارَة عِيسَى ابْن مَرْيَم، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ**». أَيْ: ظَهَرَ فِي أَهْل مَكَّة أَثَر ذَلكَ وَالإِرْهَاص بِذِكْرِه صَلوَات الله وَسَلامه عَليْهِ. وَقَوْله: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾، قَال ابْن جُرَيْج وَابْن جَرِير: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُم**﴾ أَحْمَد، أَيْ: المُبَشَّر بِهِ فِي الأَعْصَار المُتَقَادِمَة، المُنَوَّه بِذِكْرِهِ فِي القُرُون السَّالفَة، لـمَّا ظَهَرَ أَمْره وَجَاءَ بِالبَيِّنَات قَال الكَفَرَة وَالمُخَالفُونَ: ﴿**هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾.

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ** ﴾.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٠) بسند ضعيف.

يَقُول تَعَالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾، أَيْ: لا أَحَد أَظْلم مِمَّنْ يَفْتَرِي الكَذِب عَلى الله، وَيَجْعَل لهُ أَنْدَادًا وَشُرَكَاء، وَهُوَ يُدْعَى إلى التَّوْحِيد وَالإِخْلاص؛ وَلهَذَا قَال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾، أَيْ: يُحَاوِلُونَ أَنْ يَرُدُّوا الحَقّ بِالبَاطِل، وَمَثَلهمْ فِي ذَلكَ كَمَثَل مَنْ يُرِيد أَنْ يُطْفِئ شُعَاع الشَّمْس بِفِيهِ، وَكَمَا أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيل كذلك ذاك مُسْتَحِيل؛ وَلهَذَا قَال: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾. وقدْ تقدَّم الكلامُ علَى هاتين الآيتين في «سورة براءة» بما فيه كفايةٌ، ولله الحمد والمنَّةُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

تَقَدَّمَ فِي حَدِيث عَبْد الله بْن سَلام أَنَّ الصَّحَابَة رضي الله عنهم أَرَادُوا أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ أَحَبّ الأَعْمَال إِلى الله عز وجل لِيَفْعَلُوهُ، فَأَنْزَل الله هَذِهِ السُّورَة، وَمِنْ جُمْلتهَا هَذِهِ الآيَة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ثُمَّ فَسَّرَ هَذِهِ التِّجَارَة العَظِيمَة الَّتِي لا تَبُور، الَّتِي هِيَ متحصِّل الموجودِ وَمُزِيلة للمَحْذُورِ، فَقَال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، أَيْ: مِنْ تِجَارَة الدُّنْيَا، وَالكَدّ لهَا وَالتَّصَدِّي لهَا وَحْدهَا. ثُمَّ قَال: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، أَيْ: إِنْ فَعَلتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَدَللتُكُمْ عَليْهِ، غَفَرْت لكُمْ الزَّلَّات، وَأَدْخَلتُكُمْ الجَنَّات، وَالمَسَاكِن الطَّيِّبَات، وَالدَّرَجَات العَاليَات؛ وَلهَذَا قَال: ﴿ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ﴾ أَيْ: وَأَزِيدكُمْ عَلى ذَلكَ زِيَادَة تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ: ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أَيْ: إِذَا قَاتَلتُمْ فِي سَبِيله وَنَصَرْتُمْ دِينه، تكَفَّل الله بِنَصْرِكُمْ، قَال الله تَعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾، وَقَوْله: ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾، أَيْ: عَاجِل. فَهَذِهِ الزِّيَادَة هِيَ خَيْر الدُّنْيَا مَوْصُول بِنَعِيم الآخِرَة، لمَنْ أَطَاعَ الله وَرَسُوله وَنَصَرَ اللهَ وَدِينه؛ وَلهَذَا قَال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا عِبَاده المُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا أَنْصَار الله فِي جَمِيع أَحْوَالهمْ، بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالهمْ وَأَنْفُسهمْ وَأَمْوَالهمْ، وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا لله وَلرَسُولهِ، كَمَا اسْتَجَابَ الحَوَارِيُّونَ لعِيسَى حِين قَال: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾؟ أَيْ: مَنْ مُعِينِي فِي الدَّعْوَة إِلى الله عز وجل؟ ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ وَهُمْ أَتْبَاع عِيسَى عليه السلام: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾، أَيْ: نَحْنُ أَنْصَارك عَلى مَا أُرْسِلتَ بِهِ وَمُوَازِرُوك عَلى ذَلكَ؛ وَلهَذَا بَعَثَهُمْ دُعَاة إِلى النَّاس فِي بِلاد الشَّام فِي الإِسْرَائِيليِّينَ وَاليُونَانِيِّينَ. وَهَكَذَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي أَيَّام الحَجّ: «مَنْ رَجُل يُؤْوِينِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالة رَبِّي، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالة رَبِّي».[1] حَتَّى قَيَّضَ الله عز وجل لهُ الأَوْس وَالخَزْرَج مِنْ أَهْل المَدِينَة، فَبَايَعُوهُ وَوَازَرُوه، وَشَارَطُوه أَنْ يَمْنَعُوهُ

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٧٤٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

مِنْ الأَسْوَد وَالأَحْمَر إِنْ هُوَ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابه وَفَوْا لَهُ بِمَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ، وَلهَذَا سَمَّاهُمْ الله وَرَسُوله الأَنْصَار، وَصَارَ ذَلِكَ عَلَمًا عَلَيْهِمْ، رضي الله عنهم وَأَرْضَاهُمْ.

وَقَوْله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ أَيْ: لـَمَّا بَلَّغَ عِيسَى ابْن مَرْيَم عليه السلام رِسَالَة رَبّه إِلَى قَوْمه، وَوَازَرَهُ مَنْ وَازَرَهُ مِنْ الحَوَارِيِّينَ، اهْتَدَتْ طَائِفَة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَضَلَّتْ طَائِفَة فَخَرَجَتْ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ، وَجَحَدُوا نُبُوَّته، وَرَمَوْهُ وَأُمّه بِالعَظَائِمِ، وَهُمْ اليَهُود عَلَيْهِمْ لَعَائِن الله المُتَتَابِعَة إِلَى يَوْم القِيَامَة!! وَغَالَتْ فِيهِ طَائِفَة مِمَّنْ اتَّبَعَهُ حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْق مَا أَعْطَاهُ الله مِنْ النُّبُوَّة، وَافْتَرَقُوا فِرَقًا وَشِيَعًا، فَمِنْ قَائِل مِنْهُمْ: إِنَّهُ ابْن الله، وَقَائِل: إِنَّهُ ثَالِث ثَلَاثَة: الأَب، وَالابْن، وَرُوح القُدُس، وَمِنْ قَائِل: إِنَّهُ الله. وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال مُفَصَّلَة فِي سُورَة النِّسَاء.

وَقَوْله: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ أَيْ: نَصَرْنَاهُمْ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ مِنْ فِرَق النَّصَارَى، ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ أَيْ: عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بِبَعْثَةِ مُحَمَّد ﷺ، كَمَا قَالَ الإِمَام أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير رحمه الله: حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِب، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ المِنْهَال -يَعْنِي ابْن عَمْرو- عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: لـَمَّا أَرَادَ الله عز وجل أَنْ يَرْفَع عِيسَى إِلَى السَّمَاء، خَرَجَ إِلَى أَصْحَابه، وَهُمْ فِي بَيْتٍ اثْنَا عَشَر رَجُلًا، مِنْ عَيْن فِي البَيْت، وَرَأْسه يَقْطُر مَاء، فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَة مَرَّة بَعْد أَنْ آمَنَ بِي. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَل مَكَانِي، وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ قَالَ: فَقَامَ شَابّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَنَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ ذَاكَ. قَالَ: فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَه عِيسَى، وَرُفِعَ عِيسَى عليه السلام مِنْ رَوْزَنَة فِي البَيْت إِلَى السَّمَاء، قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَب مِنْ اليَهُود، فَأَخَذُوا شَبِيهه فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضهمْ اثْنَتَيْ عَشْرَة مَرَّة بَعْد أَنْ آمَنَ بِهِ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاث فِرَق، قَالَتْ فِرْقَة: كَانَ الله فِينَا مَا شَاءَ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاء، وَهَؤُلَاءِ اليَعْقُوبِيَّة، وَقَالَتْ فِرْقَة: كَانَ فِينَا ابْن الله مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ -وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّة- وَقَالَت فِرْقَة: كَانَ فِينَا عَبْد الله وَرَسُوله مَا شَاءَ الله ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ -وَهَؤُلَاءِ المُسْلِمُونَ-، فَتَظَاهَرَتْ الكَافِرَتَانِ عَلَى المُسْلِمَة، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَل الإِسْلَام طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ يَعْنِي: الطَّائِفَة الَّتِي كَفَرَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل فِي زَمَن عِيسَى، وَالطَّائِفَة الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَن عِيسَى، ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾، بِإِظْهَارِ مُحَمَّد ﷺ دِينَهُمْ عَلَى دِين الكُفَّار، ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾.[1]

هَذَا لَفْظه فِي كِتَابه عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة. وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة مِنْ «سُنَنه»، عَنْ أَبِي كُرَيْب مُحَمَّد بْن العَلَاء، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة، بِمِثْلِهِ سَوَاء. فَأُمَّة مُحَمَّد ﷺ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقّ، حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله وَهُمْ كَذَلِكَ، وَحَتَّى يُقَاتِل آخِرهمْ الدَّجَّال مَعَ المَسِيح عِيسَى ابْن مَرْيَم عليه السلام، كَمَا وَرَدَتْ الأَحَادِيث الصِّحَاح، وَالله أَعْلَم.

آخِر تَفْسِير سُورَة الصَّفّ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صحيح : أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٢).

تفسير سورة الجمعة وهي مدنية

ترتيبها ٦٢ — وآياتها ١١

عَنْ ابْن عَبَّاس وَأَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ فِي صَلاة الجُمُعَة بِسُورَةِ «الجُمُعَة»، وَ«المنافقُونَ».[1] رَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

يُخْبِر تَعَالى أَنَّهُ يُسَبِّح لهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض، أَيْ: مِنْ جَمِيع المَخْلُوقَات نَاطِقهَا وَجَامِدهَا، كَمَا قَال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾، أَيْ: هُوَ مَالك السَّمَاوَات وَالأَرْض، المُتصرِّف فِيهمَا بِحُكْمِهِ، وَهُوَ ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾، أَيْ: المُنَزَّه عَنْ النَّقَائِص، المَوْصُوف بِصِفَاتِ الكَمَال. ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدَّم تفسيرُه غيرَ مرَّةٍ. وَقَوْله تَعَالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، الأُمِّيُّونَ هُمْ: العَرَب، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. وَتَخْصِيص الأُمِّيِّينَ بِالذِّكْرِ لا يَنْفِي مَنْ عَدَاهُمْ، وَلكِنَّ المِنَّة عَلَيْهِمْ أَبْلغ وآكد، كَمَا فِي قَوْله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾، وَهُوَ ذِكْر لغَيْرِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، وَكَذَا قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وَهَذَا وَأَمْثَاله لا يُنَافِي قَوْله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. وَقَوْله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾. وَقَوْله تَعَالى إِخْبَارًا عَنْ القُرْآن: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾، إِلى غَيْر ذَلكَ مِنْ الآيَات الدَّالَّة عَلى عُمُوم بَعْثَته -صَلوَات الله وَسَلامه عَلَيْهِ- إِلى جَمِيع الخَلق، أَحْمَرهِمْ وَأَسْوَدهِمْ، وَقَدْ قَدَّمْنَا تَفْسِير ذَلكَ فِي سُورَة الأَنْعَام، بِالآيَاتِ وَالأَحَادِيث الصَّحِيحَة، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَهَذِهِ الآيَة هِيَ مِصْدَاق إِجَابَة الله لخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيم حِين دَعَا لأَهْل مَكَّة أَنْ يَبْعَث الله فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمهُمْ الكِتَاب وَالحِكْمَة. فَبَعَثَهُ الله -سُبْحَانه وَتَعَالى، وَلهُ الحَمْد وَالمِنَّة- عَلى حِين فَتْرَة مِنْ الرُّسُل، وَطُمُوس مِنْ السُّبُل، وَقَدْ اشْتَدَّتْ الحَاجَة إِليْهِ، وَقَدْ مَقَتَ الله أَهْل الأَرْض عَرَبهمْ وَعَجَمهمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْل الكِتَاب -أَيْ: نَزْرًا يَسِيرًا- مِمَّنْ تَمَسَّكَ بِمَا بَعَثَ الله بِهِ عِيسَى ابْن مَرْيَم عليه السلام، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. وَذَلكَ أَنَّ العَرَب كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيم الخَليل عليه السلام فَبَدَّلُوهُ وَغَيَّرُوهُ، وَقَلبُوهُ وَخَالفُوهُ، وَاسْتَبْدَلُوا بِالتَّوْحِيدِ شِرْكًا، وبِاليَقِينِ شَكًّا، وَابْتَدَعُوا أَشْيَاء لمْ يَأْذن بِهَا الله. وَكَذَلكَ أَهْل الكتابين قَدْ بَدَّلُوا كُتُبَهُمْ وَحَرَّفُوهَا وَغَيَّرُوهَا وَأَوَّلُوهَا، فَبَعَثَ الله مُحَمَّدًا -صَلوَات الله وَسَلامه عَلَيْهِ- بِشَرْع عَظِيم كَامِل شَامِل لجَمِيعِ الخَلق، فِيهِ هِدَايَتهمْ، وَالبَيَان لجَمِيع مَا يَحْتَاجُونَ إِليْهِ مِنْ أَمْر مَعَاشهمْ وَمَعَادهمْ، وَالدَّعْوَة لهُمْ إِلى مَا يُقَرِّبهُمْ إِلى الجَنَّة، وَرِضَا الله عَنْهُمْ، وَالنَّهْي عَمَّا يُقَرِّبهُمْ إِلى النَّار وَسَخَط الله، حَاكِم وَفَاصِل لجَمِيعِ الشُّبُهَات وَالشُّكُوك

---

(١) أخرجه مسلم (٨٧٧، ٨٧٩).

وَالرِّيَب فِي الأُصُول وَالفُرُوع. وَجَمَعَ لهُ تَعَالى -وَلهُ الحَمْد وَالمِنَّة- جَمِيع المَحَاسِن مِمَّنْ كَانَ قَبْله، وَأَعْطَاهُ مَا لمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنْ الأَوَّلينَ، وَلا يُعْطِيه أَحَدًا مِنَ الآخِرِين، فَصَلوَات الله وَسَلامه عَليْهِ إِلى يَوْم الدِّين.

وَقَوْله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾. قَال الإِمَام أَبُو عَبْد الله البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا سُليمَان بْن بِلال، عَنْ ثَوْر، عَنْ أَبِي الغَيْث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْد النَّبِيّ ﷺ، فَأُنْزِلتْ عَليْهِ سُورَة الجُمُعَة: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ ﴾، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُول الله؟ فَلمْ يُرَاجِعْهُمْ حَتَّى سُئِل ثَلاثًا، وَفِينَا سَلمَان الفَارِسِيّ، فَوَضَعَ رَسُول الله ﷺ يَده عَلى سَلمَان، ثُمَّ قَال: «**لوْ كَانَ الإِيمَان عِنْد الثُّرَيَّا لنَالهُ رِجَال -أَوْ: رَجُل- مِنْ هَؤُلاءِ**»[1]. وَرَوَاهُ مُسْلم، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن أَبِي حَاتِم، وَابْن جَرِير، مِنْ طُرُق عَنْ ثَوْر بْن زيد الدَّيْليّ، عَنْ سَالم أَبِي الغَيْث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، بِهِ. فَفِي هَذَا الحَدِيث دَليل عَلى أَنَّ هَذِهِ السُّورَة مَدَنِيَّة، وَعَلى عُمُوم بَعْثَته ﷺ إِلى جَمِيع النَّاس، لأَنَّهُ فَسَّرَ قَوْله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ بِفَارِس، وَلهَذَا كَتَبَ كُتُبَهُ إِلى فَارِس وَالرُّوم وَغَيْرهم مِنَ الأُمَم، يَدْعُوهُمْ إِلى الله عز وجل وَإِلى اتِّبَاع مَا جَاءَ بِهِ؛ وَلهَذَا قَال مُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد فِي قَوْله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ ﴾، قَال: هُمْ الأَعَاجِم، وَكُلّ مَنْ صَدَّقَ النَّبِيّ ﷺ مِنْ غَيْر العَرَب.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن العَلاء الزُّبَيْدِيّ، حَدَّثَنَا الوَليد بْن مُسْلم، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّد عِيسَى بْن مُوسَى، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ سَهْل بْن سَعْد السَّاعِدِيّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ فِي أَصْلاب أَصْلاب أَصْلاب رِجَال من أصحابي رجالاً وَنِسَاء مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسَاب». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ ﴾ يَعْنِي بَقِيَّة مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّة مُحَمَّد ﷺ.[2] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أَيْ: ذُو العِزَّة وَالحِكْمَة فِي شَرْعه وَقَدَره. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾، يَعْنِي: مَا أَعْطَاهُ الله مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ النُّبُوَّة العَظِيمَة، وَمَا خَصَّ بِهِ أُمَّته مِنْ بِعْثَتِهِ ﷺ إِليْهِم.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالى ذَامًّا لليَهُودِ الَّذِينَ أُعْطُوا التَّوْرَاة وَحُمِّلُوهَا للعَمَل بِهَا، فلم يَعْمَلُوا بِهَا، مِثْلهُمْ فِي ذَلكَ ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ﴾ أَيْ: كَمَثَل الحِمَار إِذَا حَمَل كُتُبًا لا يَدْرِي مَا فِيهَا، فَهُوَ يَحْمِلهَا حَمْلًا حِسِّيًّا وَلا يَدْرِي مَا عَليْهِ، وَكَذَلكَ هَؤُلاءِ فِي حَمْلهِمْ الكِتَاب الَّذِي أُوتُوهُ، حَفِظُوهُ لفْظًا وَلمْ يفهموه، وَلا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، بَل أَوَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، فَهُمْ أَسْوَأ حَالًا مِنْ الحَمِير؛ لأَنَّ الحِمَار لا فَهْمَ لهُ، وَهَؤُلاءِ لهُمْ فُهُوم لمْ يَسْتَعْمِلُوهَا؛ وَلهَذَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾، وَقَال هَاهُنَا: ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾. وَقَال الإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر، عَنْ مُجَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) إسناده ضعيف.

ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْم الجُمُعَة وَالإِمَام يَخْطُب فَهُوَ كَمَثَل الحِمَار يَحْمِل أَسْفَارًا، وَالَّذِي يَقُول لهُ أَنْصِتْ لَيْسَ لهُ جُمُعَة»[1]. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلى هُدًى، وَأَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابه عَلى ضَلالة، فَادْعُوا بِالمَوْتِ عَلى الضَّالّ مِنْ الفِئَتَيْنِ؛ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيمَا تَزْعُمُونَهُ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أَيْ: بِمَا يَعْلمُونَ لهُمْ مِنْ الكُفْر وَالظُّلم وَالفُجُور، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي «سُورَة البَقَرَة» عَلى هَذِهِ المُبَاهَلة لليَهُودِ، حَيْثُ قَال تَعَالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. وَقَدْ أَسْلفْنَا الكَلام هُنَاكَ، وَبَيَّنَّا أَنَّ المُرَاد أَنْ يَدْعُوا عَلى الضَّالِّ مِنْ أَنْفُسهمْ أَوْ خُصُومهمْ، كَمَا تَقَدَّمَتْ مُبَاهَلة النَّصَارَى فِي آل عِمْرَان: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. وَمُبَاهَلة المُشْرِكِينَ فِي سُورَة مَرْيَم: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن يَزِيد الرَّقِّيّ أَبُو يَزِيد، حَدَّثَنَا فُرَات، عَنْ عَبْد الكَرِيم بْن مَالك الجَزَرِيّ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال أَبُو جَهْل -لعَنَهُ الله-: إِنْ رَأَيْت مُحَمَّدًا عِنْد الكَعْبَة لآتِيَنه حَتَّى أَطَأَ عَلى عُنُقه. قَال: فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«لوْ فَعَل لأَخَذَتْهُ المَلائِكَة عِيَانًا، وَلوْ أَنَّ اليَهُود تَمَنَّوْا المَوْت لمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنْ النَّار، وَلوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُول الله ﷺ لرَجَعُوا لا يَجِدُونَ مَالاً وَلا أَهْلاً»**.[2] رَوَاهُ البُخَارِيّ وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر [عَنْ عَبْد الكَرِيم][3]. [قَال البُخَارِيّ: «وَتَبِعَهُ عَمْرو بْن خَالد عَنْ عُبَيْد الله بْن عَمْرو عَنْ عَبْد الكَرِيم][4]، وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضًا عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عبيد الله الحَلبِيّ، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَمْرو الرَّقِّيّ، بِهِ أَتَمّ.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، كَقَوْلهِ تَعَالى فِي سُورَة النِّسَاء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾. وَفِي «مُعْجَم الطَّبَرَانِيّ» مِنْ حَدِيث مُعَاذ بْن مُحَمَّد الهُذَليّ، عَنْ يُونُس، عَنْ الحَسَن، عَنْ سَمُرَة مَرْفُوعًا: «مَثَل الَّذِي يَفِرّ مِنْ المَوْت كَمَثَل الثَّعْلب تَطْلُبهُ الأَرْض بِدَيْنٍ، فَجَاءَ يَسْعَى حَتَّى إِذَا أُعْيَا وَانْبَهَرَ دَخَل جُحْره، فَقَالتْ لهُ الأَرْض: يَا ثَعْلب دَيْنِي. فَخَرَجَ لهُ حِصَاص فَلمْ يَزَل كَذَلكَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ عُنُقه فَمَاتَ».[5]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٢٣٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٥٨).
(٣) في الأزهرية: [ابن خالد بن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم].
(٤) سقط من الأزهرية.
(٥) ضعيف: تقدم.

إِنَّما سُمِّيَتْ الجُمُعَة جُمعَة؛ لأَنَّهَا مُشْتَقَّة مِنْ الجَمْع، فَإِنَّ أَهْل الإِسْلام يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي كُلّ أُسْبُوع مَرَّة بِالمَعَابِدِ الكِبَار، وَفِيهِ كَمُل جَمِيع الخَلائِق، فَإِنَّهُ اليَوْم السَّادِس مِنْ السِّتَّة الَّتِي خَلقَ الله فِيهَا السَّماوَات وَالأَرْض، وَفِيهِ خُلقَ آدَم، وَفِيهِ أُدْخِل الجَنَّة، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُوم السَّاعَة، وَفِيهِ سَاعَة لا يُوَافِقهَا عَبْد مُؤْمِن يَسْأَل الله فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، كَما ثَبَتَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيث الصِّحَاح.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَرَفَة، حَدَّثَنَا عُبَيْدَة بْن [حُمَيْد][1] عَنْ مَنْصُور، عَنْ أَبِي مَعْشَر، عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ عَلقَمَة، عَنْ قَرْثَع الضَّبِّيّ، حَدَّثَنَا سَلمان؛ قَال: قَال أَبُو القَاسِم ﷺ: «**يَا سَلمَان؛ مَا يَوْم الجُمُعَة؟**». قُلت: الله وَرَسُوله أَعْلم. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**يَوْم جُمع فِيهِ أَبَوَاكَ -أَوْ: أَبُوكُمْ-**»[2]. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مِنْ كَلامه نَحْو هَذَا، فَالله أَعْلم.

وَقَدْ كَانَ يُقَال لهُ فِي اللُّغَة القَدِيمَة: يَوْم العُرُوبَة، وَثَبَتَ أَنَّ الأُمَم قَبْلنَا أُمِرُوا بِهِ فَضَلُّوا عَنْهُ، وَاخْتَارَ اليَهُود يَوْم السَّبْت الَّذِي لمْ يَقَع فِيهِ خَلق، وَاخْتَارَ النَّصَارَى يَوْم الأَحَد الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ الخَلق، وَاخْتَارَ الله لهَذِهِ الأُمَّة الجُمُعَة الَّذِي أَكْمَل الله فِيهِ الخَلِيقَة، كَما أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه؛ قَال: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْم القِيَامَة، بَيْد أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَاب مِنْ قَبْلنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمهمْ الَّذِي فَرَضَ الله عَليْهِمْ، فَاخْتَلفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا الله لهُ، فَالنَّاس لنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُود غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْد غَد**»[3]. لفْظ البُخَارِيّ.

وَفِي لفْظ لمُسْلم: «**أَضَلَّ الله عَنْ الجُمُعَة مَنْ كَانَ قَبْلنَا، فَكَانَ لليَهُودِ يَوْم السَّبْت، وَكَانَ للنَّصَارَى يَوْم الأَحَد، فَجَاءَ الله بِنَا فَهَدَانَا ليَوْمِ الجُمُعَة، فَجَعَل الجُمُعَة وَالسَّبْت وَالأَحَد، وَكَذَلكَ هُمْ تَبَع لنَا يَوْم القِيَامَة، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْل الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْم القِيَامَة، المَقْضِيّ بَيْنَهُمْ قَبْل الخَلائِق**»[4]. وَقَدْ أَمَرَ الله المُؤْمِنِينَ بِالاجْتِماع لعِبَادَتِهِ يَوْم الجُمُعَة، فَقَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: اقْصُدُوا وَاعْمِدُوا وَاهْتَمُّوا فِي مَسِيرِكُمْ إِليْهَا، وَليْسَ المُرَاد بِالسَّعْي هَاهُنَا المَشْي السَّرِيع، وَإِنَّما هُوَ الاهْتِمام بِهَا، كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ﴾. وَكَانَ عُمَر بْن الخَطَّاب، وَابْن مَسْعُود رضي الله عنهما يَقْرَآنِهَا ﴿فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فَأَمَّا المَشْي السَّرِيع إِلى الصَّلاة فَقَدْ نُهِيَ عَنْهُ، لمَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِذَا سَمِعْتُمْ الإِقَامَة فَامْشُوا إِلى الصَّلاة؛ وَعَليْكُمْ السَّكِينَة وَالوَقَار، وَلا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»[5]. لفْظ البُخَارِيّ. وَعَنْ أَبِي قَتَادَة قَال: بَيْنَما نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلبَة رِجَال، فَلمَّا صَلَّى قَال: «**مَا شَأْنكُمْ؟**» قَالُوا: اسْتَعْجَلنَا إِلى الصَّلاة. قَال: «**فَلا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمْ الصَّلاة فَامْشُوا وَعَليْكُمْ السَّكِينَة، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»[6]. أَخْرَجَاهُ. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلاة فَلا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَلكِنْ ائْتُوهَا تَمْشُونَ، وَعَليْكُمْ السَّكِينَة وَالوَقَار، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ**

---

(١) فِي الأزهرية: [حماد].
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٠).
(٣) صحيح: تقدم.
(٤) أخرجه مسلم (٨٥٦).
(٥) أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢).
(٦) أخرجه البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٣).

فَأَتِمُّوا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق كَذَلِكَ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيق يَزِيد بْن زُرَيْع، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي سَلَمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، بِمِثْلِهِ. قَالَ الْحَسَن: أَمَا وَالله مَا هُوَ بِالسَّعْيِ عَلَى الْأَقْدَام، وَلَقَدْ نُهُوا أَنْ يَأْتُوا الصَّلَاة إِلَّا وَعَلَيْهِمْ السَّكِينَة وَالْوَقَار، وَلَكِنْ بِالْقُلُوبِ وَالنِّيَّة وَالْخُشُوع. وَقَالَ قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، يَعْنِي: أَنْ تَسْعَى بِقَلْبِك وَعَمَلك، وَهُوَ الْمَشْي إِلَيْهَا، وَكَانَ يَتَأَوَّل قَوْله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾، أَيْ: الْمَشْي مَعَهُ. وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب، وَزَيْد بْن أَسْلَمَ، وَغَيْرهمَا، نَحْو ذَلِكَ.

وَيُسْتَحَبّ لِمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَة أَنْ يَغْتَسِل قَبْل مَجِيئِهِ إِلَيْهَا، لِمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عبد الله بن عُمَر أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدكُمْ الْجُمُعَة فَلْيَغْتَسِل»[1]. وَلَهُمَا عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ قَالَ: [قَالَ رَسُول الله ﷺ: «غُسْلُ يَوْم الْجُمُعَة وَاجِب عَلَى كُلّ مُحْتَلِم»[2]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَالَ:][3] قَالَ رَسُول الله ﷺ: «حَقّ لله عَلَى كُلّ مُسْلِم أَنْ يَغْتَسِل فِي كُلّ سَبْعَة أَيَّام، يَغْسِل رَأْسه وَجَسَده»[4]. رَوَاهُ مُسْلِم. وَعَنْ جَابِر ﷺ قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «عَلَى كُلّ رَجُل مُسْلِم فِي كُلّ سَبْعَة أَيَّام غُسْل يَوْم، وَهُوَ يَوْم الْجُمُعَة»[5]. رَوَاهُ أَحْمَد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن حِبَّان.

وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن آدَم، حَدَّثَنَا ابْن الْمُبَارَك، عَنْ الْأَوْزَاعِيّ، عَنْ حَسَّان بْن عَطِيَّة، عَنْ أَبِي الْأَشْعَث الصَّنْعَانِيّ، عَنْ أَوْس بْن أَوْس الثَّقَفِيّ؛ قَالَ: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْم الْجُمُعَة، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَب، وَدَنَا مِنْ الإِمَام وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلّ خُطْوَة أَجْرُ سَنَة، أَجْرُ صِيَامهَا وَقِيَامهَا»[6]. وَهَذَا الْحَدِيث لَهُ طُرُق وَأَلْفَاظ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَهْل السُّنَن الْأَرْبَعَة وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيّ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْم الْجُمُعَة غُسْل الْجَنَابَة، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَة، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الثَّانِيَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَة، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الثَّالِثَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الرَّابِعَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَة، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَة الْخَامِسَة فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَة، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَام حَضَرَتْ الْمَلَائِكَة يَسْتَمِعُونَ الذِّكْر»[7] أَخْرَجَاهُ.

وَيُسْتَحَبّ لَهُ أَنْ يَلْبَس أَحْسَن ثِيَابه، وَيَتَطَيَّب وَيَتَسَوَّك، وَيَتَنَظَّف وَيَتَطَهَّر. وَفِي حَدِيث أَبِي سَعِيد الْمُتَقَدِّم: «غُسْلُ يَوْم الْجُمُعَة وَاجِب عَلَى كُلّ مُحْتَلِم، وَالسِّوَاك، وَأَنْ يَمَسّ مِنْ طِيب أَهْله». وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ، عَنْ عِمْرَان بْن أَبِي يَحْيَى، عَنْ عَبْد الله بْن كَعْب بْن مَالِك، عَنْ أَبِي أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْم الْجُمُعَة وَمَسَّ مِنْ طِيب أَهْله -إِنْ كَانَ عِنْده- وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَن ثِيَابه، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِي الْمَسْجِد فَيَرْكَع -إِنْ بَدَا لَهُ- وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامه حَتَّى يُصَلِّي، كَانَتْ كَفَّارَة لِمَا بَيْنهَا وَبَيْن الْجُمُعَة الْأُخْرَى»[8]. وَفِي «سُنَن أَبِي دَاوُد، وَابْن مَاجَهْ»، عَنْ عَبْد الله بْن سَلَام ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول عَلَى الْمِنْبَر: «مَا عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٨٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦).
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) أخرجه مسلم (٨٤٩).
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٠٣٤).
(٦) صححه الألباني في «سنن ابن ماجه» (١٠٨٧).
(٧) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٨) حسن صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٠).

أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِه»(١). وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَطَبَ النَّاس يَوْم الجُمُعَة، فَرَأَى عَلَيْهِمْ ثِيَاب النِّمَار؛ فَقَال: «**مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِه**». رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾: المُرَاد بِهَذَا النِّدَاء هُوَ النِّدَاء الثَّانِي الَّذِي كَانَ يُفْعَل بَيْن يَدَيْ رَسُول الله ﷺ إِذَا خَرَجَ فَجَلسَ عَلى المِنْبَر، فَإِنَّهُ كَانَ حِينَئِذٍ يُؤَذَّنُ بَيْن يَدَيْهِ، فَهَذَا هُوَ المُرَاد، فَأَمَّا النِّدَاء الأَوَّل الَّذِي زَادَهُ أَمِير المُؤْمِنِينَ عُثْمَان بْن عَفَّان رضي الله عنه فَإِنَّمَا كَانَ هَذَا لِكَثْرَةِ النَّاس، كَمَا رَوَاهُ البُخَارِيّ رحمه الله حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا آدَم -هُوَ ابْن أَبِي إِيَاس- حَدَّثَنَا ابْن أَبِي ذِئْب، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ السَّائِب [بْن يَزِيد](٢) قَال: «كَانَ النِّدَاء يَوْم الجُمُعَة أَوَّله إِذَا جَلسَ الإِمَام عَلى المِنْبَر عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ وَأَبِي بَكْر وَعُمَر، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَان بَعْد زَمَن وَكَثُرَ النَّاس زَادَ النِّدَاء الثَّانِي عَلى الزَّوْرَاء»(٣) يَعْنِي: يُؤَذَّنُ بِهِ عَلى الدَّار الَّتِي تُسَمَّى بِالزَّوْرَاء، وَكَانَتْ أَرْفَع دَار بِالمَدِينَةِ بِقُرْبِ المَسْجِد.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن رَاشِد المَكْحُولِي، عَنْ مَكْحُول: أَنَّ النِّدَاء كَانَ فِي الجُمُعَة مُؤَذِّن وَاحِد حِين يَخْرُج الإِمَام، ثُمَّ تُقَام الصَّلاة، وَذَلِكَ النِّدَاء الَّذِي يَحْرُم عِنْده البَيْع وَالشِّرَاء إِذَا نُودِيَ بِهِ، فَأَمَرَ عُثْمَان رضي الله عنه أَنْ يُنَادَى قَبْل خُرُوج الإِمَام حَتَّى يَجْتَمِع النَّاس. وَإِنَّمَا يُؤْمَر بِحُضُورِ الجُمُعَة الأَحْرَار دُون النِّسَاء وَالعَبِيد وَالصِّبْيَان، وَيُعْذَر المُسَافِر وَالمَرِيض، وَقَيِّم المَرِيض، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ الأَعْذَار، كَمَا هُوَ مُقَرَّر فِي كُتُبِ الفُرُوع.

وَقَوْله: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾، أَيْ: اسْعَوْا إِلى ذِكْرِ الله وَاتْرُكُوا البَيْع إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ، وَلِهَذَا اتَّفَقَ العُلَمَاء عَلى تَحْرِيم البَيْع بَعْد النِّدَاء الثَّانِي، وَاخْتَلفُوا: هَل يَصِحّ إِذَا تَعَاطَاهُ مُتَعَاطٍ أَمْ لا؟ عَلى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِر الآيَة عَدَم الصِّحَّة كَمَا هُوَ مُقَرَّر فِي مَوْضِعه، وَالله أَعْلم. وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أَيْ: تَرْكُكُمْ البَيْع وَإِقْبَالُكُمْ إِلى ذِكْر الله وَإِلى الصَّلاة خَيْر لكُمْ، أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلمُونَ. وَقَوْله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾، أَيْ: فُرِغَ مِنْهَا، ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: لَمَّا حَجَرَ عَليْهِمْ فِي التَّصَرُّف بَعْد النِّدَاء وَأَمَرَهُمْ بِالاجْتِمَاع، أَذِنَ لَهُمْ بَعْد الفَرَاغ فِي الانْتِشَار فِي الأَرْض وَالابْتِغَاء مِنْ فَضْل الله. كَانَ عِرَاك بْن مَالك رضي الله عنه إِذَا صَلَّى الجُمُعَة انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلى بَاب المَسْجِد، فَقَال: «اللَّهُمَّ؛ أَجَبْتُ دَعْوَتك، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتك، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلك، وَأَنْتَ خَيْر الرَّازِقِينَ»، رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَرُوِيَ عَنْ بَعْض السَّلف أَنَّهُ قَال: مَنْ بَاعَ وَاشْتَرَى فِي يَوْم الجُمُعَة بَعْد الصَّلاة، بَارَكَ الله لهُ سَبْعِينَ مَرَّة، لِقَوْل الله تَعَالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾. وَقَوْله: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أَيْ: فِي حَال بَيْعكُمْ وَشِرَائِكُمْ، وَأَخْذكُمْ وعطائكم، اذْكُرُوا الله ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلا تُشْغِلكُمْ الدُّنْيَا عَنْ الَّذِي يَنْفَعكُمْ فِي الدَّار الآخِرَة؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**مَنْ دَخَل سُوقًا مِنْ الأَسْوَاق**

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجه (١٠٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٢) في الأزهرية: [عن يزيد].
(٣) أخرجه البخاري (٩١٢).

فقَال: لا إله إلاّ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، لهُ المُلك، ولهُ الحمْد، وَهُوَ على كُلّ شَيْء قَدِير؛ كَتَبَتَ لهُ ألف ألف حَسَنَة، ومُحي عَنْهُ ألف ألف سَيِّئَة»[1]. وَقَال مُجَاهِد: لا يَكُون العَبْد مِنْ الذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُر الله قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا.

﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾.

يُعَاتِب -تبَارَكَ وَتعَالى- عَلى مَا كَانَ وَقَعَ مِنْ الانْصِرَاف عَنْ الخُطْبَة يَوْم الجُمُعَة إِلى التِّجَارَة الَّتِي قَدِمَتْ المَدِينَة يَوْمئِذٍ، فَقَال تَعَالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، أَيْ: عَلى المِنْبَر تَخْطُب. هَكَذَا ذَكَرَهُ غَيْر وَاحِد مِنْ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ: أَبُو العَالِيَة، وَالحَسَن، وَزَيْد بْن أَسْلمَ، وَقَتَادَة. وَزَعَمَ مُقَاتِل بْن حَيَّان: أَنَّ التِّجَارَة كَانَتْ لِدِحْيَة بْن خَليفَة قَبْل أَنْ يُسْلمَ، وَكَانَ مَعَهَا طَبْل، فَانْصَرَفُوا إِليْهَا وَتَرَكُوا رَسُول الله ﷺ قَائِمًا عَلى المِنْبَر إِلَّا القَليل مِنْهُمْ. وَقَدْ صَحَّ بِذَلكَ الخَبَر، فَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن إِدْرِيس، عَنْ حُصَيْن، عَنْ سَالم بْن أَبِي الجَعْد، عَنْ جَابِر؛ قَال: قَدِمَتْ عِيرٌ المَدِينَة، وَرَسُول الله ﷺ يَخْطُب فَخَرَجَ النَّاس وَبَقِيَ اثْنَا عَشَر رَجُلًا، فَنَزَلتْ: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾.[2] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيث سَالم بِهِ.

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى، حَدَّثَنَا هُشَيْم، عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ سَالم بْن أَبِي الجَعْد، وَأَبِي سُفْيَان عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله؛ قَال: بينا النَّبِيّ ﷺ يَخْطُب يَوْم الجُمُعَة فَقَدِمَتْ عِير إِلى المَدِينَة، فَابْتَدَرَهَا أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُول الله ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَر رَجُلًا، فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّى لمْ يَبْقَ مِنْكُمْ أَحَد، لسَال بِكُمْ الوَادِي نَارًا»**. وَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، وَقَال: كَانَ فِي الاثْنَيْ عَشَر الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ رَسُول الله ﷺ أَبُو بَكْر وَعُمَر رضي الله عنهما. وَفِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، دَليل عَلى أَنَّ الإِمَام يَخْطُب يَوْم الجُمُعَة قَائِمًا. وَقَدْ رَوَى مُسْلم فِي «صَحِيحه» عَنْ جَابِر بْن سَمُرَة؛ قَال: «كَانَتْ للنَّبِيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلس بَيْنهمَا، يَقْرَأ القُرْآن وَيُذَكِّر النَّاس».[3]

لكِنْ هَاهُنَا شَيْء يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم وهُوَ: أَنَّ هَذِهِ القِصَّة قَدْ قِيل: إِنَّهَا كَانَتْ لَمَّا كَانَ رَسُول الله ﷺ يُقَدِّمُ الصَّلاة يَوْم الجُمُعَة عَلى الخُطْبَة، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي كِتَاب «المَرَاسِيل»، حَدَّثَنَا مَحْمُود بْن خَالد، عَنْ الوَليد، أَخْبَرَنِي أَبُو مُعَاذ بُكَيْر بْن مَعْرُوف، أَنَّهُ سَمِعَ مُقَاتِل بْن حَيَّان؛ يَقُول: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي يَوْم الجُمُعَة قَبْل الخُطْبَة مِثْل العِيدَيْنِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ وَالنَّبِيّ ﷺ يَخْطُب، وَقَدْ صَلَّى الجُمُعَة، فَدَخَل رَجُل فَقَال: إِنَّ دِحْيَة بْن خَليفَة قَدْ قَدِمَ بِتِجَارَةٍ. يَعْنِي: فَانْفَضُّوا وَلمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا نَفَر يَسِير.[4] وَقَوْله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: الَّذِي عِنْد الله مِنْ الثَّوَاب فِي الدَّار الآخِرَة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، أَيْ: لِمَنْ تَوَكَّل عَليْهِ وَطَلبَ الرِّزْق فِي وَقْته.

آخر تَفْسِير سُورَة الجُمُعَة، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٥٨)، ومسلم (٨٦٣).
(٣) أخرجه مسلم (٨٦٢).
(٤) **مرسل**: رواه أبو داود في «المراسيل».

تفسير سُورَةُ المُنَافِقُون وهي مدنية

ترتيبها ٦٣ — وآياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ المُنَافِقِينَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَفَوَّهُونَ بِالإِسْلام إِذَا جَاءُوا النَّبِيّ ﷺ، فَأَمَّا فِي بَاطِن الأَمْر فَلَيْسُوا كَذَلِكَ، بَل عَلَى الضِّدّ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أَيْ: إِذَا حَضَرُوا عِنْدك وَاجَهُوك بِذَلِكَ، وَأَظْهَرُوا لك ذَلِكَ وليسوا كَمَا يَقُولُونَ؛ وَلِهَذَا اعْتَرَضَ بِجُمْلَةٍ مُخْبِرَة أَنَّهُ رَسُول الله، فَقَال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾.

ثُمَّ قَال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، أَيْ: فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَإِنْ كَانَ مُطَابِقًا لِلخَارِج، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ صِحَّة مَا يَقُولُونَ وَلا صِدْقه، وَلِهَذَا كَذَّبَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلى اعْتِقَادهمْ.

وَقَوْله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيْ: اتَّقُوا النَّاس بِالأَيْمَانِ الكَاذِبَة وَالحَلِفَاتِ الآثِمَة، لِيُصَدَّقُوا فِيمَا يَقُولُونَ فَاغْتَرَّ بِهِمْ مَنْ لا يَعْرِف جَلِيَّة أَمْرِهِمْ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، فَرُبَّمَا اقْتَدَى بِهِمْ فِيمَا يَفْعَلُونَ وَصَدَّقَهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ، وَهُمْ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي البَاطِن لا يَأْلُونَ الإِسْلام وَأَهْله خَبَالًا، فَحَصَل بِهَذَا القَدْر ضَرَر كَبِير عَلَى كَثِير مِنْ النَّاس؛ وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ وَلِهَذَا كَانَ الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم يَقْرَؤُهَا: (اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً)، أَيْ: تَصْدِيقهمْ الظَّاهِر جُنَّة، أَيْ: تَقِيَّة يَتَّقُونَ بِهِ القَتْل. وَالجُمْهُور يَقْرَؤُهَا: ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جَمْع يَمِين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [أَيْ: إِنَّمَا قُدِّرَ عَلَيْهِمْ النِّفَاق لِرُجُوعِهِمْ عَنْ الإِيمَان إِلى الكُفْرَان، وَاسْتِبْدَالهمْ الضَّلالة بِالهُدَى، ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾][1] أَيْ: فَلا يَصِلُ إِلى قُلُوبهمْ هُدًى، وَلا يَخْلُص إِلَيْهَا خَيْر، فَلا تَعِي وَلا تَهْتَدِي.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، أَيْ: كَانُوا أَشْكَالًا حَسَنَة وَذَوِي فَصَاحَة وَأَلْسِنَة، وَإِذَا سَمِعَهُمْ السَّامِع يُصْغِي إِلى قَوْلِهِمْ لِبَلاغَتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَة الضَّعْف وَالخَوَر وَالهَلَع وَالجَزَع وَالجُبْن، وَلِهَذَا قَال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، أَيْ: كُلَّمَا وَقَعَ أَمْرٌ أَوْ كَائِنَة أَوْ خَوْف، يَعْتَقِدُونَ لِجُبْنِهِمْ أَنَّهُ نَازِل بِهِمْ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ فَهُمْ جَهَامَات وَصُوَر بِلا مَعَانِي. وَلِهَذَا قَال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، أَيْ: كَيْف يُصْرَفُونَ عَنْ الهُدَى إِلى الضَّلال.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا عَبْد المَلِك بْن قُدَامَة الجُمَحِيّ، عَنْ إِسْحَاق بْن بكر بن أَبِي الفُرَات، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عن النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِنَّ لِلمُنَافِقِينَ عَلامَات يُعْرَفُونَ

---

(١) سقط من الأزهرية.

بِهَا: تَحِيَّتهمْ لعْنَة، وَطَعَامهمْ نُهْبَة، وَغنِيمَتهمْ غُلُول، وَلا يَقْرَبُونَ المَسَاجِد إِلَّا هَجْرًا، وَلا يَأْتُونَ الصَّلاة إِلَّا دَبْرًا مُسْتَكْبِرِينَ، لا يَأْلَفُونَ وَلا يُؤْلَفُونَ، خُشُب بِاللَّيْل، صُخُبٌ بِالنَّهَارِ». وَقَال يَزِيد -مُرَّة-: «سُخُب بِالنَّهَارِ».[1]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ المُنَافِقِينَ -عَلَيْهِمْ لعَائِنُ الله- إِنَّهُمْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أَيْ: صَدُّوا وَأَعْرَضُوا عَمَّا قِيل لهُمْ، اسْتِكْبَارًا عَنْ ذَلك، وَاحْتِقَارًا لمَا قِيل لهُمْ. وَلهَذَا قَال: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾. ثُمَّ جَازَاهُمْ عَلى ذَلك، فَقَال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. كَمَا قَال فِي سُورَة «بَرَاءَة»، وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلى ذَلك، وَإِيرَاد الأَحَادِيث المَرْوِيَّة هُنَالك.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عُمَر العَدَنِيّ؛ قَال : قَال سُفْيَان: ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾، قَال ابْن أَبِي عُمَر: حَوَّل سُفْيَان وَجْهَهُ عَلى يَمِينِهِ، وَنَظَرَ بِعَيْنِهِ شَذْرًا، ثُمَّ قَال: هُوَ هَذَا. وَقَدْ ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف؛ أَنَّ هَذَا السِّيَاق كُلّه نَزَل فِي عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول، كَمَا سَنُورِدُهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ الله تَعَالى، وَبِهِ الثِّقَة وَعَلَيْهِ التُّكْلان.

وَقَدْ قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي «السِّيرَة»: وَلَمَّا قَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَة -يَعْنِي مَرْجِعه مِنْ أُحُد- وَكَانَ عَبْد الله ابْن أُبَيّ بْن سَلُول -كَمَا حَدَّثَنِي ابْن شِهَاب الزُّهْرِيّ- لهُ مَقَام يَقُومهُ كُلّ جُمْعَة لا يُنْكَر، شَرَفًا لهُ مِنْ نَفْسه وَمِنْ قَوْمه، وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا، إِذَا جَلسَ النَّبِيّ ﷺ يَوْم الجُمُعَة وَهُوَ يَخْطُب النَّاس قَامَ، فَقَال: أَيُّهَا النَّاس، هَذَا رَسُول الله ﷺ بَيْن أَظْهُرِكُمْ، أَكْرَمَكُمْ الله بِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ، فَانْصُرُوهُ وَعَزِّرُوهُ، وَاسْمَعُوا لهُ وَأَطِيعُوا. ثُمَّ يَجْلس، حَتَّى إِذَا صَنَعَ يَوْم أُحُد مَا صَنَعَ -يَعْنِي مَرْجِعه بِثُلُثِ الجَيْش- وَرَجَعَ النَّاس، قَامَ يَفْعَل ذَلكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلهُ، فَأَخَذَ المُسْلمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاحِيه وَقَالُوا: اجْلسْ، أَيْ عَدُوّ الله لسْت لذَلكَ بِأَهْلٍ، وَقَدْ صَنَعْت مَا صَنَعْت. فَخَرَجَ يَتَخَطَّى رِقَاب النَّاس وَهُوَ يَقُول: وَالله لكَأَنَّمَا قُلت بُجْرًا، أَنْ قُمْت أَشْدُد أَمْرَهُ. فَلقِيَهُ رِجَال مِنْ الأَنْصَار بِبَابِ المَسْجِد فَقَالُوا: وَيْلك، مَا لك؟ قَال: قُمْت أَشْدُد أَمْرَهُ، فَوَثَبَ عَليَّ رِجَال مِنْ أَصْحَابه يَجْذِبُونَنِي وَيُعَنِّفُونَنِي، لكَأَنَّمَا قُلت بُجْرًا، أَنْ قُمْت أَشْدُد أَمْره. قَالُوا: وَيْلك، ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لك رَسُولُ الله ﷺ. فقَال: وَالله مَا أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِر لي.[2]

وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ: أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَة فِي عَبْد الله بْن أُبَيّ، وَذَلكَ أَنَّ غُلامًا مِنْ قَرَابَته انْطَلقَ إِلى رَسُول الله ﷺ فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ عَنْهُ وَأَمْرٍ شَدِيد، فَدَعَاهُ رَسُول الله ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَحْلف بِالله وَيَتَبَرَّأ مِنْ ذَلك، وَأَقْبَلتْ الأَنْصَار عَلى ذَلكَ الغُلام فَلامُوهُ وعَذَموه، وَأَنْزَل الله فِيهِ مَا تَسْمَعُونَ، وَقِيل لعَدُوِّ الله: لوْ أَتَيْت رَسُول الله ﷺ فَجَعَل يَلوِي رَأْسه، أَيْ: لسْت فَاعِلًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيع الزَّهْرَانِيّ، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن زَيْد، حَدَّثَنَا أَيُّوب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا نَزَل مَنْزِلًا لمْ يَرْتَحِل حَتَّى يُصَلِّي فِيهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَة تَبُوك، بَلغَهُ أَنَّ عَبْد الله بْن

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٣) فيه عبد الملك بن قدامة الجمحي: ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف مرسل.

أُبَيّ ابْن سَلُول؛ قَال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾. فَارْتَحَل قَبْل أَنْ يَنْزِل آخِر النَّهَار، وَقِيل لعَبْدِ الله بْن أُبَيّ: إيت النَّبِيّ ﷺ حَتَّى يَسْتَغْفِر لك. فَأَنْزَل الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ إِلى قَوْله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾.[1] وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح إِلى سَعِيد بْن جُبَيْر.

وَقَوْله: إِنَّ ذَلكَ كَانَ فِي غَزْوَة تَبُوك – فِيهِ نَظَر، بَل لَيْسَ بِجَيِّدٍ، فَإِنَّ عَبْد الله بْن أُبَيّ بْن سَلُول لمْ يَكُنْ مِمَّنْ خَرَجَ فِي غَزْوَة تَبُوك، بَل رَجَعَ بِطَائِفَةٍ مِنْ الجَيْش، وَإِنَّمَا المَشْهُور عِنْد أَصْحَاب المَغَازِي وَالسِّيَر أَنَّ ذَلكَ كَانَ فِي غَزْوَة المُرَيْسِيع وَهِيَ غَزْوَة بَنِي المُصْطَلَق.

قَال يُونُس بْن بُكَيْر عَنْ ابْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن حِبَّان، وَعَبْد الله بْن أَبِي بَكْر، وَعَاصِم بْن عُمَر بْن قَتَادَة، فِي قِصَّة بَنِي المُصْطَلَق:[2] فَبَيْنَا رَسُول الله ﷺ مُقِيم هُنَاكَ، اقْتَتَل عَلى المَاء جَهْجَاه بْن سَعِيد الغِفَارِيّ وَكَانَ أَجِيرًا لعُمَر بْن الخَطَّاب وَسِنَان بْن وبر. قَال ابْن إِسْحَاق: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن حِبَّان؛ قَال: ازْدَحَمَا عَلى المَاء فَاقْتَتَلا، فَقَال سِنَان: يَا مَعْشَر الأَنْصَار. وَقَال الجَهْجَاه: يَا مَعْشَر المُهَاجِرِينَ –وَزَيْد بْن أَرْقَم وَنَفَر مِنْ الأَنْصَار عِنْد عَبْد الله بْن أُبَيّ– فَلَمَّا سَمِعَهَا قَال: قَدْ ثَاوَرُونَا فِي بِلادنَا، وَالله مَا مَثَلُنَا وَجَلابِيب قُرَيْش هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَال القَائِل: سَمِّنْ كَلبك يَأْكُلك، وَالله لئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَة ليُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. ثُمَّ أَقْبَل عَلى مَنْ عِنْده مِنْ قَوْمه وَقَال: هَذَا مَا صَنَعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَحْللتُمُوهُمْ بِلادكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالكُمْ، أَمَا وَالله لوْ كَفَفْتُمْ عَنْهُمْ لتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ مِنْ بِلادكُمْ إِلى غَيْرهَا. فَسَمِعَهَا زَيْد بْن أرقم ﷺ، فَذَهَبَ بِهَا إِلى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ غُليْم وَعِنْده عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ فَأَخْبَرَهُ الخَبَر، فَقَال عُمَر ﷺ: يَا رَسُول الله مُرْ عَبَّاد بْن بِشْر فَليَضْرِب عُنُقه. فَقَال ﷺ: «فَكَيْف إِذَا تَحَدَّثَ النَّاس يَا عُمَر أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُل أَصْحَابه؟ لا، وَلكِنْ نَادِ يَا عُمَر فِي الرَّحِيل».

فَلَمَّا بَلغَ عَبْد الله بْن أُبَيّ أَنَّ ذَلكَ قَدْ بَلغَ رَسُول الله ﷺ، أَتَاهُ فَاعْتَذَرَ إِليْهِ، وَحَلفَ بِالله مَا قَال مَا قَال عَليْهِ زَيْد ابْن أَرْقَم –وَكَانَ عِنْد قَوْمه بِمَكَانٍ– فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، عَسَى أَنْ يَكُون هَذَا الغُلام أَوْهَمَ وَلمْ يُثْبِت مَا قَال الرَّجُل. وَرَاحَ رَسُول الله ﷺ مُهَجِّرًا فِي سَاعَة كَانَ لا يَرُوح فِيهَا، فَلقِيَهُ أُسَيْد بْن الحُضَيْر، فَسَلَّمَ عَليْهِ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّة، ثُمَّ قَال: وَالله لقَدْ رُحْت فِي سَاعَة مُنْكَرَة مَا كُنْت تَرُوح فِيهَا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَمَا بَلغَك مَا قَال صَاحِبك ابْن أُبَيّ؟ زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا قَدِمَ المَدِينَة أَنه سَيُخْرِجُ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ». قَال: فَأَنْتَ يَا رَسُول الله العَزِيز وَهُوَ الذَّليل. ثُمَّ قَال: يَا رَسُول الله، ارفُقْ به، فَوَالله لقَدْ جَاءَ الله بِك وَإِنَّا لنَنْظِمُ لهُ الخَرَز لنُتَوِّجَهُ، فَإِنَّهُ ليَرَى أَنْ قَدْ اسْتَلَبته مُلكًا. فَسَارَ رَسُول الله ﷺ بِالنَّاسِ حَتَّى أَمْسَوْا، وليْلته حَتَّى أَصْبَحُوا، وَصَدْرَ يَوْمه حَتَّى اشْتَدَّ الضُّحَى، ثُمَّ نَزَل بِالنَّاسِ ليُشْغِلهُمْ عَمَّا كَانَ مِنْ الحَدِيث، فَلمْ يَأْمَن النَّاس أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الأَرْض فَنَامُوا، وَنَزَلتْ سُورَة المُنَافِقِينَ.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر ابْن إِسْحَاق، أَخْبَرَنَا بِشْر بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن دِينَار، سَمِعْت جَابِر بْن عَبْد الله؛ يَقُول: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي غَزَاة فَكَسَعَ رَجُل مِنْ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَار، فَقَال الأَنْصَارِيّ: يَا للأَنْصَارِ. وَقَال المُهَاجِرِيّ: يَا للمُهَاجِرِينَ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا بَال دَعْوَى الجَاهِلِيَّة؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَة**»[3]. وَقَال عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول: وَقَدْ فَعَلُوهَا، والله لئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَةِ ليُخْرِجَنَّ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ. قَال جَابِر:

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله.

(٢) مرسل: أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٧٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

وَكَانَ الأَنْصار بِالمَدِينَةِ أَكْثَر مِنْ المُهَاجِرِينَ حِين قَدِمَ رَسُول الله ﷺ ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْد ذَلِك، فَقَال عُمَر: دَعْنِي أَضْرِب عُنُق هَذَا المُنَافِق. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«دَعْهُ؛ لا يَتَحَدَّث النَّاس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُل أَصْحَابه»**. وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، عَنْ حُسين بْن مُحَمَّد المَرْوَزِيّ عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ، عَنْ الحُمَيْدِيّ، وَمُسْلم عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، وَغَيْره عَنْ سُفْيَان، بِهِ نَحْوه.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ الحَكَم، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم؛ قَال: كُنْت مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي غَزْوَة تَبُوك، فَقَال عَبْد الله بْن أُبَيّ: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. قَال: فَأَتَيْت النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرْته، قَال: فَحَلفَ عَبْد الله بْن أُبَيّ أَنَّهُ لمْ يَكُنْ شَيْء مِنْ ذَلِكَ. قَال: فَلامَنِي قَوْمِي وَقَالُوا: مَا أَرَدْت إِلى هَذَا؟ قَال: فَانْطَلَقْت فَنِمْت كَئِيبًا حَزِينًا، قَال: فَأَرْسَل إِلَيَّ نَبِيُّ الله ﷺ فَقَال: **«إِنَّ الله قَدْ أَنْزَل عُذْرَك وَصَدَّقَك»**. قَال: فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿**هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟**﴾. حَتَّى بَلَغَ: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ**﴾[1]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ عِنْد هَذِهِ الآيَة، عَنْ آدَم بْن أَبِي إِيَاس، عَنْ شُعْبَة، ثُمَّ قَال: وَقَال ابْن أَبِي زَائِدَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ عَمْرو، عَنْ ابْن أَبِي لَيْلى، عَنْ زَيْد عَنْ النَّبِيّ ﷺ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ عِنْدهَا أَيْضًا مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ.

طَرِيق أُخْرَى عَنْ زَيْد، قَال الإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن آدَم، وَيَحْيَى بْن أَبِي بُكَيْر، قَالا: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق؛ قَال: سَمِعْت زَيْد بْن أَرْقَم -وَقَال ابنُ أَبِي بُكَيْر: عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم- قَال: خَرَجْت مَعَ عَمِّي فِي غَزَاة، فَسَمِعْت عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول يَقُول لأَصْحَابِهِ: لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْد رَسُول الله، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ. فَذَكَرْت ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَهُ عَمِّي لِرَسُول الله ﷺ، فَأَرْسَل إِلَيَّ رَسُول الله ﷺ فَحَدَّثْته، فَأَرْسَل إِلى عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول وَأَصْحَابه فَحَلفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُول الله ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لمْ يُصِبْنِي مِثْله قَطُّ، وَجَلسْت فِي البَيْت، فَقَال عَمِّي: مَا أَرَدْت إِلَّا أَنْ كَذَّبَك رَسُول الله ﷺ وَمَقَتَك. قَال: حَتَّى أَنْزَل الله: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ**﴾، قَال: فَبَعَثَ إِلَيَّ رَسُول الله ﷺ فَقَرَأَهَا رَسُول الله ﷺ عَلَيَّ، ثُمَّ قَال: **«إِنَّ الله قَدْ صَدَّقَك»**.[2]

ثُمَّ قَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا زُهَيْر، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق، أَنَّهُ سَمِعَ زَيْد بْن أَرْقَم؛ يَقُول: خَرَجْنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي سَفَر، فَأَصَابَ النَّاس شِدَّة، فقال عَبْد الله بْن أُبَيّ لأَصْحَابِهِ: لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْد رَسُول الله حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَقَال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى المَدِينَة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ. فَأَتَيْت النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرْته بِذَلِكَ، فَأَرْسَل إِلى عَبْد الله بْن أُبَيّ فَسَأَلَهُ، فَاجْتَهَدَ يَمِينه مَا فَعَل، فَقَالُوا: كَذَبَ زَيْد يَا رَسُول الله. فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا، حتَّى أَنزَلَ الله تَصْدِيقِي: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ**﴾. قَال: وَدَعَاهُمْ رَسُول الله ﷺ لِيَسْتَغْفِر لهُمْ، فَلوَّوْا رُءُوسَهُمْ. وقوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ**﴾، قال: كانوا رجالاً أجمل شيء.

وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث زُهَيْر. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ أَيْضًا وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث إِسْرَائِيل، كِلاهُمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَمْرو بْن عَبْد الله السَّبِيعِيّ الهَمَدَانِيّ الكُوفِيّ، عَنْ زَيْد بِه.

طَرِيق أُخْرَى عَنْ زَيْد، قَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد بْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى، عَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٢)، وأحمد (٤/ ٣٦٨)، والرواية لأحمد.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠١، ٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢).

إِسْرَائِيل، عَنْ السُّدِّيّ، عَنْ أَبِي سَعْد الأَزْدِيّ؛ قَال: حَدَّثَنَا زَيْد بْن أَرْقَم؛ قَال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ ، وَكَانَ مَعَنَا أُنَاس مِنْ الأَعْرَاب، فَكُنَّا نَبْتَدِر المَاء، وَكَانَ الأَعْرَاب يَسْبِقُونَنَا، يَسْبِقُ أَعْرَابِيّ أَصْحَابه لِيَمْلأ الحَوْض، وَيَجْعَل حَوْله حِجَارَة، وَيَجْعَل النِّطَع عَلَيْهِ حَتَّى يَجِيء أَصْحَابه. قَال: فَأَتَى رَجُل مِنْ الأَنْصَار الأَعْرَابِيّ، فَأَرْخَى زِمَام نَاقَته لِتَشْرَب، فَأَبَى أَنْ يَدَعَهُ، فَانْتَزَعَ حَجَرًا فَفَاض المَاء، فَرَفَعَ الأَعْرَابِيّ خَشَبَته، فَضَرَبَ بِهَا رَأْس الأَنْصَارِيّ فَشَجَّهُ، فَأَتَى عَبْد الله بْن أُبَيّ رَأْس المُنَافِقِينَ، فَأَخْبَرَهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابه، فَغَضِبَ عَبْد الله بْن أُبَيّ، ثُمَّ قَال: لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْد رَسُول الله حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْله -يَعْنِي الأَعْرَاب- وَكَانُوا يَحْضُرُونَ رَسُول الله ﷺ عِنْد الطَّعَام. فَقَال عَبْد الله لأَصْحَابِهِ: إِذَا انْفَضُّوا مِنْ عِنْد مُحَمَّد فَائْتُوا مُحَمَّدًا بِالطَّعَام، فَلْيَأْكُل هُوَ وَمَنْ عنده، ثُمَّ قَال لأَصْحَابِهِ: إذا رَجَعْتُمْ إِلَى المَدِينَة فَلْيُخْرِجْ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ. قَال زَيْد: وَأَنَا رِدْف عَمِّي، فَسَمِعْت عَبْد الله فَأَخْبَرْت عَمِّي، فَانْطَلَقَ فَأَخْبَرَ رَسُول الله ﷺ ، فَأَرْسَل إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ ، فَحَلَفَ وَجَحَدَ، قَال: فَصَدَّقَهُ رَسُول الله ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَجَاءَ إِلَيَّ عَمِّي؛ فَقَال: مَا أَرَدْت إِلَّا أَنْ مَقَتَك رَسُول الله ﷺ وَكَذَّبَك والمُسْلِمُونَ. فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنْ الغَمّ مَا لَمْ يَقَع عَلَى أَحَد قَطُّ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِير مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي سَفَر وَقَدْ خَفَقْت بِرَأْسِي مِنْ الهَمّ، إِذْ أَتَانِي رَسُول الله ﷺ فَعَرَكَ أُذُنِي، وَضَحِكَ فِي وَجْهِي، فَمَا كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الخُلْد فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْر لَحِقَنِي وَقَال: مَا قَال لَك رَسُول الله ﷺ ؟ قُلت: مَا قَال لِي رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا غَيْر أن عَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي، فَقَال: أَبْشِرْ، ثُمَّ لَحِقَنِي عُمَر، فَقُلت لَهُ مِثْل قَوْلِي لأَبِي بَكْر. فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُول الله ﷺ سُورَة المُنَافِقِينَ.[1] انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ التِّرْمِذِيّ، وَقَال: هَذَا حَدِيث حَسَن صَحِيح، وَهَكَذَا رَوَاهُ الحَافِظ البَيْهَقِيّ عَنْ الحَاكِم، عَنْ أَبِي العَبَّاس مُحَمَّد بْن أَحْمد المَحْبُوبِيّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْعود، عُبَيْد الله بْن مُوسَى بِهِ. وَزَادَ بَعْد قَوْله «سُورَة المُنَافِقِينَ»: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ حَتَّى بَلغَ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾.

وَقَدْ رَوَى عَبْد الله بْن لَهِيعَة، عَنْ أَبِي الأَسْوَد، عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر فِي المَغَازِي، وَكَذَا ذَكَرَ مُوسَى بْن عُقْبَة فِي «مَغَازِيه» أَيْضًا هَذِهِ القِصَّة بِهَذَا السِّيَاق، وَلكِنْ جَعَلا الَّذِي بَلَّغَ رَسُول الله ﷺ كَلام عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول إِنَّمَا هُوَ أَوْس بْن أَرْقم مِنْ بَنِي الحَارِث بْن الخَزْرَج[2]، فَلعَلَّهُ مُبَلِّغ آخر، أَوْ تَصْحِيف مِنْ جِهَة السَّمْع، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد عَزِيز الأَيْلِيّ، حدَّثني سَلامة، حَدَّثَنِي عُقَيْل، أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن مُسْلم؛ أَنَّ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر وَعَمْرو بْن ثَابِت الأَنْصَارِيّ أَخْبَرَاهُ؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ غَزَا غَزْوَة المُرَيْسِيع، وَهِيَ الَّتِي هَدَمَ رَسُول الله ﷺ فِيهَا مَنَاة الطَّاغِيَة الَّتِي كَانَتْ بَيْن قَفَا المُشَلَّل وَبَيْن البَحْر، فَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ خَالد بْن الوَلِيد فَكَسَرَ مَنَاة، فَاقْتَتَل رَجُلانِ فِي غَزْوَة رَسُول الله ﷺ تِلكَ، أَحَدهمَا مِنْ المُهَاجِرِينَ، وَالآخر مِنْ بَهْز، وَهُمْ حُلفَاء الأَنْصَار، فَاسْتَعْلَى الرَّجُل الَّذِي مِنْ المُهَاجِرِينَ عَلَى البَهْزِيّ، فَقَال البَهْزِيّ: يَا مَعْشَر الأَنْصَار، فَنَصَرَهُ رِجَال مِنْ الأَنْصَار، وَقَال المُهَاجِرِيّ: يَا مَعْشَر المُهَاجِرِينَ، فَنَصَرَهُ رِجَال مِنْ المُهَاجِرِينَ، حَتَّى كَانَ بَيْن أُولئِكَ الرِّجَال مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالرِّجَال مِنْ الأَنْصَار شَيْء مِنْ القِتَال، ثُمَّ حُجِزَ بَيْنهم، فَانْكَفَأَ كُلّ مُنَافِق -أَوْ رَجُل فِي قَلبه مَرَض- إِلَى عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول، فَقَال: قَدْ كُنْت تُرَجَّى وَتَدْفَع، فَأَصْبَحْت لا تَضُرّ وَلا تَنْفَع، قَدْ

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٣٣١٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٢) ضعيف : أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٦).

تَنَاصَرَتْ عَلَيْنَا الجَلَابِيب -وَكَانُوا يَدْعُونَ كُلّ حَدِيث هِجْرَة: الجَلَابِيب- فَقَال عَبْد الله بْن أُبَيّ عَدُوّ الله: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ. قَال مَالك بْن الدَّخْشَن -وَكَانَ مِنْ المُنَافِقِينَ: أَوَلَمْ أَقُل لكُمْ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْد رَسُول الله حَتَّى يَنْفَضُّوا. فَسَمِعَ بِذَلكَ عُمَر بْن الخَطَّاب، فَأَقْبَل يَمْشِي حَتَّى جَاءَ رَسُول الله ﷺ؛ فَقَال: يَا رَسُول الله، ائْذَنْ لي فِي هَذَا الرَّجُل الَّذِي قَدْ أَفْتَنَ النَّاس أَضْرِب عُنُقه -يُرِيد عُمَرُ عَبْدَ الله بْن أُبَيّ- فَقَال رَسُول الله ﷺ لعُمَرَ: «أَوَ قَاتِلُهُ أَنْتَ إِنْ أَمَرْتُك بِقَتْلِهِ؟». فَقَال عُمَر: نَعَمْ وَالله لَئِنْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لأَضْرِبَنَّ عُنُقه. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «اجْلسْ». فَأَقْبَل أُسَيْد بْن حُضَيْر وَهُوَ أَحَد الأَنْصَار، ثُمَّ أَحَد بَنِي عَبْد الأَشْهَل - حَتَّى أَتَى رَسُول الله ﷺ؛ فَقَال: يَا رَسُول الله، ائْذَنْ لي فِي هَذَا الرَّجُل الَّذِي قَدْ أَفْتَنَ النَّاس أَضْرِب عُنُقه. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَوَقَاتِلُهُ أَنْتَ إِنْ أَمَرْتُك بِقَتْلِهِ؟». قَال: نَعَمْ، وَالله لَئِنْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لأَضْرِبَنَّ بِالسَّيْفِ تَحْت قُرْط أُذُنَيْهِ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «اجْلسْ». ثُمَّ قَال رَسُول الله ﷺ: «آذِنُوا بِالرَّحِيل». فَهَجَّرَ بِالنَّاسِ، فَسَارَ يَوْمه وَلَيْلته وَالغَد حَتَّى مَتَّعَ النَّهَار ثُمَّ نَزَل. ثُمَّ هَجَّرَ بِالنَّاسِ مِثْلهَا، فصبَّح بِالمَدِينَةِ فِي ثَلاث سَارَهَا مِنْ قَفَا المُشَلَّل، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَة أَرْسَل إِلَى عُمَر فَدَعَاهُ، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «أَيْ عُمَر؛ أَكُنْت قَاتِلهُ لوْ أَمَرْتُك بِقَتْلِهِ؟». قَال عُمَر: نَعَمْ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «وَالله لوْ قَتَلته يَوْمئِذٍ لأَرْغَمْت أُنُوف رِجَال لوْ أَمَرْتهمْ اليَوْم بِقَتْلِهِ امْتَثَلوه فَيَتَحَدَّث النَّاس أَنِّي قَدْ وَقَعْت عَلى أَصْحَابِي فَأَقْتُلهُمْ صَبْرًا». وَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ الآيَة.[1] وَهَذَا سِيَاق غَرِيب، وَفِيهِ أَشْيَاء نَفِيسَة لا تُوجَد إِلَّا فِيهِ.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار: حَدَّثَنِي عَاصِم بْن عُمَر بْن قَتَادَة؛ أَنَّ عَبْد الله بْن عَبْد الله بْن أُبَيّ -يَعْنِي: لَمَّا بَلغَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْر أَبِيهِ- أَتَى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنَّهُ بَلغَنِي أَنَّك تُرِيد قَتْل عَبْد الله بْن أُبَيّ فِيمَا بَلغَك عَنْهُ، فَإِنْ كُنْت فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِليْك رَأْسَهُ، فَوَالله لقَدْ عَلمَتْ الخَزْرَج مَا كَانَ لهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرّ بِوَالِدِهِ مِنِّي، إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُر بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلهُ، فَلا تَدَعنِي نَفْسِي أَنْظُر إِلَى قَاتِل عَبْدِ الله بْن أُبَيّ يَمْشِي فِي النَّاس، فَأَقْتُلهُ فَأَقْتُل مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَأَدْخُل النَّار. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «بَل نَتَرَفَّق بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ، مَا بَقِيَ مَعَنَا».[2]

وَذَكَرَ عِكْرِمَة وَابْن زَيْد وَغَيْرهمَا؛ أَنَّ النَّاس لمَّا قَفَلُوا رَاجِعِينَ إِلَى المَدِينَة، وَقَفَ عَبْد الله بْن عَبْد الله هَذَا عَلى بَاب المَدِينَة، وَاسْتَلّ سَيْفه، فَجَعَل النَّاس يَمُرُّونَ عَليْهِ، فَلمَّا جَاءَ أَبُوهُ عَبْد الله بْن أُبَيّ قَال لهُ ابْنه: وَرَاءَك. فَقَال: مَا لك؟ وَيْلك. فَقَال: وَالله لا تَجُوز مِنْ هَهُنَا حَتَّى يَأْذَنَ لك رَسُول الله ﷺ فَإِنَّهُ العَزِيزُ وَأَنْتَ الذَّلِيلُ. فَلمَّا جَاءَ رَسُول الله ﷺ وَكَانَ إِنَّمَا يَسِيرُ سَاقَة، فَشَكَا إِليْهِ عَبْدُ الله بْن أُبَيّ ابْنَه، فَقَال ابْنه عَبْد الله: وَالله يَا رَسُول الله؛ لا يَدْخُلُهَا حَتَّى تَأْذَن لهُ. فَأَذِنَ لهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَال: أَمَا إِذْ أَذِنَ لك رَسُول الله ﷺ فَجُزْ الآن.[3]

وَقَال أَبُو بَكْر عَبْد الله بْن الزُّبَيْر الحُمَيْدِيّ فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، حَدَّثَنَا أَبُو هَارُون المَدَنِيّ؛ قَال: قَال عَبْد الله بْن عَبْد الله بْن أُبَيّ ابْن سَلُول لأَبِيهِ: وَالله لا تَدْخُل المَدِينَة أَبَدًا حَتَّى تَقُول: رَسُول الله ﷺ الأَعَزُّ وَأَنَا الأَذَلُّ، قَال: وَجَاءَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ؛ فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنَّهُ بَلغَنِي أَنَّك تُرِيد أَنْ تَقْتُل أَبِي، فَوَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا تَأَمَّلت وَجْهه قَطُّ هَيْبَة لهُ، ولئِنْ شِئْت أَنْ آتِيك بِرَأْسِهِ لآتِيَنَّك، فَإِنِّي أَكْرَه أَنْ أَرَى قَاتِل أَبِي.

---

(١) مرسل.
(٢) مرسل.
(٣) مرسل: أخرجه الحميدي (٢/ ٥٢٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا لعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِه، وَنَاهِيًا لهُمْ عَنْ أَنْ تَشْغَلهُمْ الأَمْوَال وَالأَوْلاد عَنْ ذَلِكَ، وَمُخْبِرًا لهُمْ بِأَنَّهُ مَنْ الْتَهى بِمَتَاعِ الحَيَاة الدُّنْيَا وَزِينَتهَا عَمَّا خُلقَ لهُ مِنْ طَاعَة رَبّه وَذِكْرِه، فَإِنَّهُ مِنَ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ يَخْسَرُون أَنْفُسهمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْم القِيَامَة، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلى الإِنْفَاق فِي طَاعَته. فَقَال: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، فَكُلّ مُفَرِّط يَنْدَم عِنْد الاحْتِضَار، وَيَسْأَل طُول المُدَّة وَلوْ شَيْئًا يَسِيرًا، ليَسْتَعْتِب وَيَسْتَدْرِك مَا فَاتَهُ، وَهَيْهَاتَ! كَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَكُلّ بِحَسَبِ تَفْرِيطه، أَمَّا الكُفَّار فَكَمَا قَال تَعَالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أَيْ: لا يُنْظِرُ أَحَدًا بَعْد حُلُول أَجَله، وَهُوَ أَعْلم وَأَخْبَر بِمَنْ يَكُون صَادِقًا فِي قَوْله وَسُؤَاله مِمَّنْ لوْ رُدَّ لعَادَ إِلى شَرّ مِمَّا كَانَ عَليْهِ؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وَقَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد بْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن عَوْن، حَدَّثَنَا أَبُو جَنَاب الكَلبِيّ، عَنْ الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: مَنْ كَانَ لهُ مَالٌ يُبَلِّغُهُ حَجَّ بَيْتِ رَبِّهِ، أَوْ تَجِبُ عَليْهِ فِيهِ زَكَاةٌ، فَلمْ يَفْعَل، سَأَل الرَّجْعَةَ عِنْد المَوْتِ. فَقَال رَجُل: يَا بن عَبَّاس، اتَّقِ الله، فَإِنَّمَا يَسْأَل الرَّجْعَة الكُفَّار. فَقَال: سَأَتْلُو عَليْك بِذَلكَ قُرْآنًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ إِلى قَوْله: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾، قَال: فَمَا يُوجِب الزَّكَاة؟ قَال: إِذَا بَلغَ المَال مِائَتَيْنِ فَصَاعِدًا. قَال: فَمَا يُوجِبُ الحَجَّ؟ قَال: الزَّاد وَالبَعِير.[1] ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا عَبْد بْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ الثَّوْرِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي حَيَّة -وَهُوَ أَبُو جَنَاب الكَلبِيّ- عَنْ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس، عَنْ النَّبِيّ ﷺ بِنَحْوِهِ. ثُمَّ قَال: وَقَدْ رَوَاهُ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة وَغَيْره، عَنْ أَبِي جَنَاب، عَنْ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس، مِنْ قَوْله وَهُوَ أَصَحّ وَضَعَّفَ أَبَا جَنَاب الكَلبِيّ.

قُلت: وَرِوَايَة الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس فِيهَا انْقِطَاع، وَالله أَعْلم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن نُفَيْل، حَدَّثَنَا سُليْمَان بْن عَطَاء، عَنْ مَسْلمَة الجُهَنِيّ، عَنْ عَمِّهِ -يَعْنِي أَبَا مَشْجَعَة ابْن رِبْعِيّ- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قَال: ذَكَرْنَا عِنْد رَسُول الله ﷺ الزِّيَادَة فِي العُمْر فَقَال: [«إِنَّ الله لا يُؤَخِّر نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَإِنَّمَا][2] الزِّيَادَة فِي العُمْر أَنْ يَرْزُق الله العَبْدَ ذُرِّيَّة صَالحَة يَدْعُونَ لهُ، فَيَلحَقهُ دُعَاؤُهُمْ فِي قَبْره»[3].

آخر تَفْسِير سُورَة المنافقون، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة

---

(١) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٢/ ١٣٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (١٦٧١).

تفسير سورة التغابن وهي مدنية

ترتيبها ٦٤ — وآياتها ١٨

قَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن هارون بن مُحَمَّد بْن بَكَّار الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن الوَلِيد الخَلَّال، حَدَّثنا الوَلِيد بْن الوَلِيد، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْبَان، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُود يُولد إلاَّ مَكْتُوب فِي تَشْبِيك رَأْسه خَمْس آيَات مِنْ سُورَة التَّغَابُن»[1]. أَوْرَدَهُ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة الوَلِيد بْن صَالح، وَهُوَ غَرِيب جِدًّا، بَل مُنْكَر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

هَذِهِ السُّورَة هِيَ آخِر المُسَبِّحَات، وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلى تَسْبِيح المَخْلُوقَات لبَارِئِهَا وَمَالكهَا، وَلهَذَا قَال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾، أَيْ: هُوَ المُتَصَرِّف فِي جَمِيع الكَائِنَات، المَحْمُود عَلى جَمِيع مَا يَخْلُقه وَيُقَدِّره. وَقَوْله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيْ: مَهْمَا أَرَادَ كَانَ بِلا مُمَانِع وَلا مُدَافِع وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ. وَقَوْله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، أَيْ: هُوَ الخَالق لكُمْ عَلى هَذِهِ الصِّفَة، وَأَرَادَ مِنْكُمْ ذَلك، فَلابُدّ مِنْ وَجُود مُؤْمِن وَكَافِر، وَهُوَ البَصِير بِمَنْ يَسْتَحِقّ الهِدَايَة مِمَّنْ يَسْتَحِقّ الإضلال، وَهُوَ شَهِيد عَلى أَعْمَال عِبَاده، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهَا أَتَمّ الجَزَاء. وَلهَذَا قَال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أَيْ: بِالعَدْل وَالحِكْمَة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، أَيْ: أَحْسَنَ أَشْكَالكُمْ، كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، وَكَقَوْلهِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الآيَة. وَقَوْله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أَيْ: المَرْجِع وَالمَآب. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالى عَنْ عِلمه بِجَمِيعِ الكَائِنَات السَّمَائِيَّة وَالأَرْضِيَّة وَالنَّفْسِيَّة، فَقَال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الأُمَم المَاضِينَ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال؛ فِي مُخَالفَة الرُّسُل وَالتَّكْذِيب بِالحَقِّ، فَقَال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾، أَيْ: خَبَرهمْ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾، أَيْ: وَخِيم تَكْذِيبهمْ وَرَدِيء أَفْعَالهمْ، وَهُوَ مَا حَلَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ العُقُوبَة وَالخِزْي، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة مُضَاف إِلى هَذَا الدُّنْيَوِيّ. ثُمَّ عَلَّل ذَلكَ فَقَال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أَيْ: بِالحُجَج وَالدَّلائِل وَالبَرَاهِين، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أَيْ: اسْتَبْعَدُوا أَنْ تَكُون الرِّسَالة فِي البَشَر، وَأَنْ يَكُون هُدَاهُمْ عَلى يَدَيْ بَشَر مِثْلهمْ، ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾، أَيْ: كَذَّبُوا بِالحَقِّ وَنَكَلُوا عَنْ العَمَل ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾، أَيْ: عَنْهُمْ ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

---

(١) منكر: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٧٦٣).

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ المُشْرِكِينَ والكُفَّار وَالمُلحِدِينَ: إِنَّهم يَزْعُمونَ أَنَّهُمْ لا يُبْعَثُون، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾، أَيْ: لَتُخْبَرُنَّ بِجَمِيعِ أَعْمالِكُمْ، جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أَيْ: بَعْثُكُمْ وَمُجَازَاتُكُمْ.

وَهَذِهِ هِيَ الآيَة الثَّالثَة الَّتِي أَمَرَ اللهُ رَسُولَه ﷺ أَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ ﷻ عَلى وُقُوعِ المَعَادِ وَوُجُودِه، فَالأُولى فِي سُورَة يُونُس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، وَالثَّانِيَة فِي سُورَة سَبَأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الآيَة، وَالثَّالثَة هِيَ هَذِهِ.

ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾، يَعْنِي: القُرْآن، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أَيْ: فَلا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمالِكُمْ خَافِيَة.

وَقَوْله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾، وَهُوَ يَوْم القِيَامَة، سُمِّيَ بِذَلكَ لأَنَّهُ يُجْمَعُ فِيهِ الأَوَّلون والآخِرونَ فِي صَعِيد وَاحِد، يُسْمِعهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذهُمْ البَصَر، كَما قَال تَعَالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: هُوَ اسْم مِنْ أَسْماء يَوْم القِيَامَة، وَذَلكَ أَنَّ أَهْل الجَنَّة يَغْبِنُونَ أَهْل النَّار، وَكَذَا قَال قَتَادَة وَمُجَاهِد. وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: لا غَبْنَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُدْخَل هَؤُلاءِ إِلى الجَنَّة، وَيُذْهَب بِأُولئِكَ إِلى النَّار. قُلت: وَقَدْ فُسِّرَ ذَلكَ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِير مِثْل هَذِهِ غَيْر مَرَّة.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٢) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا بِما أَخْبَرَ بِهِ فِي سُورَة الحَدِيد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، وَهَكَذَا قَال هَاهُنَا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: بِأَمْرِ الله. يَعْنِي عَنْ قَدَره وَمَشِيئَته.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، أَيْ: وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَة فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ الله وَقَدَره، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ الله، هَدَى الله قَلبه، وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنْ الدُّنْيَا هُدًى فِي قَلبه، وَيَقِينًا صَادِقًا، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ.

قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، يَعْنِي: يَهْدِ قَلبه لليَقِين، فَيَعْلم أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

وَقَال الأعْمَش: عَنْ أَبِي ظَبْيَان؛ قَال: كُنَّا عِنْد عَلقَمَة فَقُرِئَ عِنده هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، فَسُئِل عَنْ ذَلكَ فَقَال: هُوَ الرَّجُل تُصِيبهُ المُصِيبَة، فَيَعْلم أَنَّهَا مِنْ عِنْد الله فَيَرْضَى وَيُسَلِّم. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يَعْنِي: يَسْتَرْجِع، يَقُول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وَفِي الحَدِيث المُتَّفَق عَلَيْهِ: «عَجَبًا للمُؤْمِن! لا يَقْضِي الله لهُ قَضَاء إلاَّ كَانَ خَيْرًا لهُ، إنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاء صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاء شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ، وَلَيْسَ ذَلكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن».[1]

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنَا الحَارِث بْن يَزِيد، عَنْ عَلِيّ بْن رَبَاح: أَنَّهُ سَمِعَ جُنَادَة بْن أَبِي أُمَيَّة يَقُول: سَمِعْت عُبَادَة بْن الصَّامِت يَقُول: إنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُول الله ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله؛ أَيّ العَمَل أَفْضَل؟ قَال: «إيمَان بالله، وَتَصْدِيق بِهِ، وَجِهَاد فِي سَبِيلِهِ». قَال: أُرِيد أَهْوَن مِنْ هَذَا يَا رَسُول الله. قَالَ: «السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ»، قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلكَ يا رسُولَ الله، قَال: «لا تَتَّهِمْ الله فِي شَيْء قَضَى لكَ بِهِ».[2] لمْ يُخْرِجُوهُ.

وَقَوْله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: أَمْرٌ بِطَاعَةِ الله وَرَسُوله فِيمَا شَرَعَ، وَفِعْل مَا بِهِ أَمَرَ، وَتَرْك مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، ثُمَّ قَال: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أَيْ: إنْ نَكَلتُمْ عَنْ العَمَل فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّل مِنْ البَلاغ، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلتُمْ مِنْ السَّمْع وَالطَّاعَة.

قَال الزُّهْرِيّ: مِنْ الله الرِّسَالة، وَعَلى الرَّسُول البَلاغ، وَعَليْنَا التَّسْليم.

ثُمَّ قَال تَعَالى مُخْبِرًا أَنَّهُ الأَحَد الصَّمَد، الَّذِي لا إله غَيْره، فَقَال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فَالأَوَّل خَبَر عَنْ التَّوْحِيد، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الطَّلَب، أَيْ: وَحِّدُوا الإِلهِيَّة لهُ، وَأَخْلصُوهَا لدَيْهِ، وَتَوَكَّلُوا عَليْهِ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الأَزْوَاج وَالأَوْلاد: إنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَدُوّ الزَّوْج والوَالِد، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُلتَهَى بِهِ عَنْ العَمَل الصَّالح، كَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، وَلِهَذَا قَال هَاهُنَا: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾. قَال ابْن زَيْد: يَعْنِي عَلى دِينكُمْ.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾، قَال: يَحْمِل الرَّجُل عَلى قَطِيعَة الرَّحِم أَوْ مَعْصِيَة رَبِّهِ، فَلا يَسْتَطِيع الرَّجُل مَعَ حُبّه إلَّا أَنْ يُطِيعهُ.

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣١٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٠٧).

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن خَلف الصَّيْدَلانِيّ حَدَّثَنَا الفِرْيَابِيّ، حَدَّثنَا إِسْرَائِيل، حَدَّثنَا سِمَاك بْن حَرْب، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس وَسَأَلهُ رَجُل عَنْ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾، قَال: فَهَؤُلاءِ رِجَال أَسْلمُوا مِنْ مَكَّة، فَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا رَسُول الله ﷺ فَأَبَى أَزْوَاجهمْ وَأَوْلادهمْ أَنْ يَدعُوهُمْ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُول الله ﷺ رَأَوْا النَّاس قَدْ فَقِهُوا فِي الدِّين، فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَل الله هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن يَحْيَى عَنْ الفِرْيَابِيّ -وَهُوَ مُحَمَّد بْن يُوسُف- بِهِ، وَقَال: «حَسَن صَحِيح»، وَرَوَاهُ ابْن جَرِير وَالطَّبَرَانِيّ، مِنْ حَدِيث إِسْرَائِيل، بِهِ. وَرَوَى مِنْ طَرِيق العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس، نَحْوه، وَهَكَذَا قَال عِكْرِمَة مَوْلاهُ سَوَاء.

وَقَوْله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، يَقُول تَعَالى: إِنَّمَا الأَمْوَال وَالأَوْلاد فِتْنَة، أَيْ اخْتِبَار وَابْتِلاء مِنْ الله لِخَلقِهِ؛ لِيَعْلم مَنْ يُطِيعهُ مِمَّنْ يَعْصِيه.

وَقَوْله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، كَمَا قَال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ ... الآيَة.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثَنِي حُسَيْن بْن وَاقِد، حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن بُرَيْدَة، سَمِعْت أَبِي بُرَيْدَة يَقُول: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَخْطُب، فَجَاءَ الحَسَن وَالحُسَيْن رضي الله عنهما عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَل رَسُول الله ﷺ مِنْ المِنْبَر فَحَمَلهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْن يَدَيْهِ، ثُمَّ قَال: «صَدَقَ الله وَرَسُوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، **نَظَرْت إِلى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْت حَدِيثِي وَرَفَعْتهمَا**»[2].

وَرَوَاهُ أَهْل السُّنَن مِنْ حَدِيث حُسَيْن بْن وَاقِد، بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن غَرِيب، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثه».

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُرِيج بْن النُّعْمَان، حَدَّثَنَا هُشَيْم، أَخْبَرَنَا مُجَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ، حَدَّثَنَا الأَشْعَث بْن قَيْس قَال: قَدِمْت عَلى رَسُول الله ﷺ فِي وَفْد [كِنْدَة][3]، فَقَال لي: «هَل لك مِنْ وَلد؟». قُلت: غُلام وُلدَ لي فِي مَخْرَجِي إِليْك مِنْ ابْنَة جمْد، وَلوَدِدْت أَنَّ بِمَكَانِهِ شِبَع القَوْم قَال: «لا تَقُولنَّ ذَلكَ، فَإِنَّ فِيهِمْ قُرَّةَ عَيْنٍ، وَأَجْرًا إِذَا قُبِضُوا»، ثُمَّ قَال: «وَلئِنْ قُلت ذَاكَ: إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَة مَحْزَنَة إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَة مَحْزَنَة»[4] تَفَرَّدَ بِهِ الإِمام أَحْمَد -رحمه الله تعالى-.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا مَحْمُود بْن بَكْر، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ عِيسَى، عَنْ ابْن أَبِي ليْلى، عَنْ عَطِيَّة، عَنْ أَبِي سَعِيد قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**الوَلد ثَمَرَة القُلُوب، وَإِنَّهُمْ مَجْبَنَة مَبْخَلة مَحْزَنَة**»[5]. ثُمَّ قَال: لا يُعْرف إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَاد.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن مَزيد، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي ضَمْضَم بْن

---

(١) حسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٣١٧).

(٢) **صحيح** : رواه أحمد (٥/ ٢٥٤)، وأبو داود (١١٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) في الأزهرية: [كثير].

(٤) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ٢١١) بسند ضعيف.

(٥) **صحيح** : أخرجه البزار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٧١٦٠).

زُرْعَة، عَنْ شُرَيْح بن عُبَيْد، عَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «لَيْسَ عَدُوّك الَّذِي إِنْ قَتَلته كَانَ فَوْزًا لك، وَإِنْ قَتَلَك دَخلت الجنَّة، وَلكِنْ الَّذِي لعَلَّهُ عَدُوّ لك وَلدك الَّذِي خَرَجَ مِنْ صُلبك، ثُمَّ أَعْدَى عَدُوّ لك مَالُك الَّذِي مَلكَتْ يَمِينك».[1]

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، أَيْ: جَهْدكُمْ وَطَاقَتكُمْ. كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ».[2]

وَقَدْ قَال بَعْض الْمُفَسِّرِينَ -كَمَا رَوَاهُ مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ-: إِنَّ هَذِهِ الآيَة العَظِيمة نَاسِخَة للَّتِي فِي «آل عِمْرَان» وَهِيَ قَوْله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن عَبْد الله بْن بُكَيْر، حَدَّثَنِي ابْن لهِيعَة، حَدَّثَنِي عَطَاء -هُوَ ابْن دِينَار-، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة اشْتَدَّ عَلَى القَوْم العَمَل، فَقَامُوا حَتَّى وَرِمَتْ عَرَاقِيبهمْ وَتَقَرَّحَتْ جِبَاههمْ، فَأَنْزَل الله تَخْفِيفًا عَلَى الْمُسْلمِينَ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[3]، فَنَسَخَتْ الآيَة الأُولى. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي العَالِيَة، وَزَيْد بْن أَسْلَمَ، وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالسُّدِّيّ وَمُقَاتِل بْن حَيَّان نَحْو ذَلكَ.

وَقَوْله: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾، أَيْ: كُونُوا مُنْقَادِينَ لَمَا يَأْمُركُمْ الله بِهِ وَرَسُوله، لا تَحِيدُوا عَنْهُ يَمْنَة وَلا يَسْرَة، وَلا تُقَدِّمُوا بَيْن يَدَيْ الله وَرَسُوله، وَلا تَتَخَلَّفُوا عَمَّا بِهِ أُمِرْتُمْ، وَلا تَرْكَبُوا مَا عَنْهُ زُجِرْتُمْ.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، أَيْ: وَابْذُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ الله عَلَى الأَقَارِب وَالفُقَرَاء وَالمَسَاكِين وَذَوِي الحَاجَات، وَأَحْسِنُوا إِلَى خَلق الله كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، يَكُنْ خَيْرًا لكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَإِنْ لا تَفْعَلُوا يَكُنْ شَرًّا لكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

وَقَوْله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، تَقَدَّمَ تَفْسِيره فِي «سُورَة الحَشْر»، وَذِكْر الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي مَعْنَى هَذِهِ الآيَة بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَاهُنَا، ولله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَوْله: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، أَيْ: مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْء فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَمَهْمَا تَصَدَّقْتُمْ مِنْ شَيْء فَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ، وَنَزَّل ذَلكَ مَنْزِلة القَرْض لهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصحيح» أَنَّ الله تَعَالى يَقُول: «مَنْ يُقْرِض غَيْر ظَلُوم وَلا عَدِيم»[4] وَلهَذَا قَال: يُضَاعِفهُ لكُمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة البَقَرَة: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

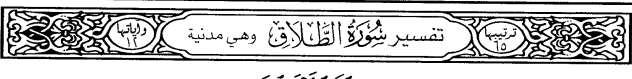
﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، أَيْ: وَيُكَفِّر عَنْكُمْ السَّيِّئَات. وَلهَذَا قَال: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾، أَيْ: يَجْزِي عَلَى القَلِيل بِالكَثِير، ﴿حَلِيمٌ﴾ أَيْ: يَصْفَح وَيَغْفِر وَيَسْتُر، وَيَتَجَاوَز عَنْ الذُّنُوب وَالزَّلَّات وَالخَطَايَا وَالسَّيِّئَات.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تَفْسِيرُه غَيْر مَرَّة.

آخِر تَفْسِير سُورَة التغابن، ولله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني (٣/ ٣٣٣)، فيه محمد بن إسماعيل بن عياش: ضعيف.
(٢) صححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٥٠٥).
(٣) مرسل: من مراسيل سعيد بن جبير، تابعي.
(٤) صحيح: تقدم.



تفسير سُورَةُ الطَّلَاقِ وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾.

خُوطِبَ النَّبِيّ ﷺ أَوَّلًا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، ثُمَّ خَاطَبَ الأُمَّة تَبعًا، فَقَال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: ثَنَا مُحَمَّد بْن ثَوَاب بْن سَعِيد الهَبَّارِي، ثَنَا أَسْبَاط بْن مُحَمَّد عَنْ سَعِيد عَنْ قَتَادَة عَنْ أَنَس قَال: طَلَّقَ رَسُول الله ﷺ حَفْصَة فَأَتَتْ أَهْلهَا، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ فَقِيل لهُ: رَاجِعْهَا فَإِنَّهَا صَوَّامَة قَوَّامَة وَهِيَ مِنْ أَزْوَاجِك وَنِسَائِك فِي الجَنَّة[1]، وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ ابْن بَشَّار عَنْ عَبْد الأَعْلَى عَنْ سَعِيد عَنْ قَتَادَة فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا، وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْر وَجْه أَنَّ رَسُول الله ﷺ طَلَّقَ حَفْصَة ثُمَّ رَاجَعَهَا.

وَقَال البُخَارِيّ: حدَّثَنَا يَحْيَى بْن بُكَيْر، حدَّثنا اللَّيْث، حَدَّثَنِي عُقَيْل عَنْ ابْن شِهَاب أَخْبَرَنِي سَالم أَنَّ عَبْد الله ابْن عُمَر أَخْبَرَهُ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَة لهُ وَهِيَ حَائِض فَذَكَرَ عُمَر لرَسُول الله ﷺ فَتَغَيَّظَ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ قَال لَهُ: «**لِيُرَاجِعْهَا ثُمَّ يُمْسِكهَا حَتَّى تَطْهُر، ثُمَّ تَحِيض فَتَطْهُر، فَإِنْ بَدَا لهُ أَنْ يُطلِّقهَا فَلْيُطلِّقهَا طَاهِرًا قَبْل أَنْ يَمَسّهَا، فَتِلْك العِدَّة الَّتِي أَمَرَ الله ﷻ**»[2]. هَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ هَاهُنَا، وَقَدْ رَوَاهُ فِي مَوَاضِع مِنْ كِتَابه وَمُسْلم وَلَفْظه: «**فَتِلْك العِدَّة الَّتِي أَمَرَ الله أَنْ يُطَلَّقَ لهَا النِّسَاء**»، وَرَوَاهُ أَصْحَاب الكُتُب وَالمَسَانِيد مِنْ طُرُق مُتَعَدِّدَة وَأَلْفَاظ كَثِيرَة، وَمَوَاضِع اسْتِقْصَائِهَا كُتُب الأَحْكَام، وَأَمَسّ لفْظ يُورَد هَاهُنَا مَا رَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه»، مِنْ طَرِيق ابْن جُرَيْج، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْر، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَيْمَن -مَوْلى عَزَّة- يَسْأَل ابْن عُمَر -وَأَبُو الزُّبَيْر يَسْمَع ذلك-: كَيْف تَرَى فِي رَجُل طَلَّقَ امْرَأَته حَائِضًا؟ فَقَال: طَلَّقَ ابْن عُمَر امْرَأَته حَائِضًا عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ فَسَأل عمرُ رسُولَ الله ﷺ؛ فَقَال: إنَّ عبدَ الله بْنَ عُمَرَ طلَّق امْرأَته وَهي حائِضٌ؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**لِيُرَاجِعْهَا**». فَرَدَّهَا، وَقَال: «**إِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطلِّق أَوْ يُمْسِك**». قَال ابْن عُمَر: وَقَرَأَ النَّبِيّ ﷺ: (يَا أَيّهَا النَّبِيّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُل عِدَّتِهِنَّ).

وَقَال الأَعْمَش عَنْ مَالك بْن الحَارِث، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد، عَنْ عَبْد الله فِي قَوْله: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ قَال: الطُّهْر مِنْ غَيْر جِمَاع. وَرُوِيَ عَنْ ابْن عُمَر، وَعَطَاء، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَابْن سِيرِين، وَقَتَادَة، وَمَيْمُون بْن مِهْرَان، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان مِثْل ذَلكَ، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ عِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾، قَال: لا يُطَلِّقهَا وَهِيَ حَائِض وَلا فِي طُهْر قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلكِنْ: تَتْركهَا حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهُرَتْ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَة.

وَقَال عِكْرِمَة: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾، العِدَّة: الطُّهْر، وَالقُرْء الحَيْضَة، أَنْ يُطَلِّقهَا حُبْلى مُسْتَبِينًا حَمْلهَا، وَلا يُطَلِّقهَا وَقَدْ طَافَ عَليْهَا، وَلا يَدْرِي حُبْلى هِيَ أَمْ لا.

---

(١) صحيح: أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١).

وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاء أَحْكَام الطَّلَاق، وَقَسَّمُوهُ إِلى طَلَاق سُنَّة وَطَلَاق بِدْعَة، فَطَلَاق السُّنَّة أَنْ يُطَلِّقَهَا طاهِرًا مِنْ غَيْر جِمَاع، أَوْ حَامِلًا قَدْ اسْتَبَانَ حَمْلهَا. وَالبِدْعِي: هُوَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي حَال الحَيْض، أَوْ فِي طُهْر قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلا يَدْرِي أَحَمَلَتْ أَمْ لا؟ وَطَلَاق ثَالِث لا سُنَّة فِيهِ وَلا بِدْعَة، وَهُوَ طَلَاق الصَّغِيرَة وَالآيِسَة وَغَيْر المَدْخُول بِهَا، وَتَحْرِير الكَلَام فِي ذَلِكَ وَمَا يَتَعَلَّق بِهِ مُسْتَقْصًى فِي كُتُب الفُرُوع، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، أَيْ: احْفَظُوهَا وَاعْرِفُوا ابْتِدَاءَهَا وَانْتِهَاءَهَا، لِئَلَّا تَطُول العِدَّة عَلَى المَرْأَة فَتَمْتَنِع مِنَ الأَزْوَاج. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾، أَيْ: فِي ذَلِكَ.

وَقَوْله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أَيْ: فِي مُدَّة العِدَّة لَهَا حَق السُّكْنَى عَلَى الزَّوْج مَا دَامَتْ مُعْتَدَّة مِنْهُ، فَلَيْسَ لِلرَّجُل أَنْ يُخْرِجهَا، وَلا يَجُوز لَهَا أَيْضًا الخُرُوج؛ لِأَنَّهَا مُعْتَقَلَة لِحَقِّ الزَّوْج أَيْضًا.

وَقَوْله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾، أَيْ: لا يَخْرُجْنَ مِنْ بُيُوتهنَّ إِلَّا أَنْ تَرْتَكِبَ المَرْأَةُ فَاحِشَةً مُبَيِّنَةً، فَتَخْرُج مِنَ المَنْزِل وَالفَاحِشَة المُبَيِّنَة تَشْمَل الزِّنَا، كَمَا قَالَهُ ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَسَعِيد بْن المُسَيِّب، وَالشَّعْبِيّ، وَالحَسَن، وَابْن سِيرِينَ، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبُو قِلَابَة، وَأَبُو صَالِح، وَالضَّحَّاك، وَزَيْد بْن أَسْلَمَ، وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ، وَالسُّدِّيّ، وَسَعِيد بْن أَبِي هِلَال، وَغَيْرهمْ. وَتَشْمَل مَا إِذَا نَشَزَتْ المَرْأَة أَوْ بَذَتْ عَلَى أَهْل الرَّجُل وَآذَتْهُمْ فِي الكَلَام وَالفِعَال، كَمَا قَالَهُ أُبَيّ بْن كَعْب، وَابْن عَبَّاس وَعِكْرِمَة وَغَيْرهمْ.

وَقَوْله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: شَرَائِعه وَمَحَارِمه، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: يَخْرُج عَنْهَا وَيَتَجَاوَزهَا إِلى غَيْرهَا وَلا يَأْتَمِر بِهَا، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾، أَيْ: بِفِعْل ذَلِكَ.

وَقَوْله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، أَيْ: إِنَّمَا أَبْقَيْنَا المُطَلَّقَة فِي مَنْزِل الزَّوْج فِي مُدَّة العِدَّة، لَعَلَّ الزَّوْج يَنْدَم عَلَى طَلَاقهَا، وَيَخْلُق الله فِي قَلْبه رَجْعَتهَا، فَيَكُون ذَلِكَ أَيْسَر وَأَسْهَل.

قَال الزُّهْرِيّ عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الله، عَنْ فَاطِمَة بِنْت قَيْس فِي قَوْله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، قَالَتْ: هِيَ الرَّجْعَة، وَكَذَا قَال الشَّعْبِيّ، وَعَطَاء، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان، وَالثَّوْرِيّ. وَمِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ مِنَ السَّلَف وَمَنْ تَابَعَهُمْ، كَالإِمَام أَحْمَد بْن حَنْبَل رَحِمَهُ اللَّهُ إِلى أَنَّهُ لا تَجِبُ السُّكْنَى لِلمَبْتُوتَة، وَكَذَا المُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجهَا، وَاعْتَمَدُوا أَيْضًا عَلَى حَدِيث فَاطِمَة بِنْت قَيْس الفِهْرِيَّة، حِين طَلَّقَهَا زَوْجهَا أَبُو عَمْرو ابْن حَفْص آخِر ثَلَاث تَطْلِيقَات، وَكَانَ غَائِبًا عَنْهَا بِاليَمَنِ، فَأَرْسَل إِلَيْهَا بِذَلِكَ، فَأَرْسَل إِلَيْهَا وَكِيله بِشَعِير -نَفَقَة- فَتَسَخَّطَتْهُ فَقَال: وَالله لَيْسَ لكِ عَلَيْنَا نَفَقَة. فَأَتَتْ رَسُول الله ﷺ فَقَال: «**لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَة**». وَلِمُسْلِم: «**وَلَا سُكْنَى**». وَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْت أُمّ شَرِيك، ثُمَّ قَال: «**تِلْكِ امْرَأَة يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْد ابْن أُمّ مَكْتُوم، فَإِنَّهُ رَجُل أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ**»[1] الحَدِيث.

وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد مِنْ طَرِيق أُخْرَى؛ بِلَفْظ آخَر فَقَال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا مُجَالد، حدثنا عَامِر؛ قَال: قَدِمْت المَدِينَة فَأَتَيْت فَاطِمَة بِنْت قَيْس، فَحَدَّثَتْنِي أَنَّ زَوْجهَا طَلَّقَهَا عَلَى عَهْد رَسُول الله ﷺ، فَبَعَثَهُ رَسُول الله ﷺ فِي سَرِيَّة، قَالَتْ: فَقَال لِي أَخُوهُ: اخْرُجِي مِنَ الدَّار. فَقُلْت: إِنَّ لِي نَفَقَة وَسُكْنَى حَتَّى يَحِلّ الأَجَل. قَال: لا. قَالَتْ: فَأَتَيْت رَسُول الله ﷺ؛ فَقُلْت: إِنَّ فُلَانًا طَلَّقَنِي، وَأَنَّ أَخَاهُ أَخْرَجَنِي وَمَنَعَنِي السُّكْنَى وَالنَّفَقَة. فأرسل إليه فَقَال: «**مَا لَكَ وَلِابْنَةِ آلِ قَيْس؟**»، قَال: يَا رَسُول الله، إِنَّ أَخِي طَلَّقَهَا ثَلَاثًا جَمِيعًا. قَالَتْ: فَقَال رَسُول الله ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

«انْظُرِي يَا بِنت آل قَيْس، إِنَّمَا النَّفَقَة وَالسُّكْنَى للمَرْأَةِ عَلى زَوْجهَا مَا كَانَتْ لهُ عَليْهَا رَجْعَة، فَإِذَا لمْ يَكُنْ لهُ عَليْهَا رَجْعَة فَلا نَفَقَة وَلا سُكْنَى، اخْرُجِي فَانْزِلِي عَلى فُلانَة». ثُمَّ قَال: «إِنَّهُ يُتَحَدَّث إِليْهَا، انْزِلِي عَلى ابْن أمِّ مَكْتُوم، فَإِنَّهُ أَعْمَى لا يَرَاك »... وَذَكَرَ تَمَام الحَدِيث.

وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حدثنَا أَحْمَد بْن عَبْد الله البَزَّار التُّسْتَرِيّ، حدَّثنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الصَّوَاف، حدَّثنَا بَكْر بْن بَكَّار، حدَّثنَا سَعِيد بْن يَزِيد البَجَلِيّ، حدثنَا عَامِر الشَّعْبِيّ؛ أَنَّهُ دَخَل عَلى فَاطِمَة بِنْت قَيْس أُخْت الضَّحَّاك بْن قَيْس القُرَشِيّ، وَزَوْجهَا أَبُو عَمْرو ابْن حَفْص بْن المُغِيرَة المَخْزُومِيّ، فَقَالتْ: إِنَّ أَبَا عَمْرو بْن حَفْص أَرْسَل إِلَيَّ وَهُوَ مُنْطَلق فِي جَيْش إِلى اليَمَن بِطَلاقِي، فَسَأَلت أَوْلِيَاءَهُ النَّفَقَة عَليَّ وَالسُّكْنَى، فَقَالُوا: مَا أَرْسَل إِليْنَا فِي ذَلكَ شَيْئًا، وَلا أَوْصَانَا بِهِ. فَانْطَلَقْت إِلى رَسُول الله ﷺ فَقُلت: يَا رَسُول الله؛ إِنَّ أَبَا عَمْرو بْن حَفْص أَرْسَل إِلَيَّ بِطَلاقِي، فَسَأَلت أَوْلِيَاءَهُ السُّكْنَى وَالنَّفَقَة عَليَّ، فَقَال أَوْليَاؤُهُ: لمْ يُرْسِل إِليْنَا فِي ذَلكَ بِشَيْءٍ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّمَا النَّفَقَة وَالسُّكْنَى للمَرْأَةِ إِذَا كَانَ لزَوْجِهَا عَليْهَا رَجْعَة، فَإِذَا كَانَتْ لا تَحِلّ لهُ حَتَّى تَنْكِح زوجًا غَيْره، فَلا نَفَقَة لهَا وَلا سُكْنَى». وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ، عَنْ أَحْمَد بْن يَحْيَى الصُّوفِيّ، عَنْ أَبِي نُعَيْم الفَضْل بْن دُكَيْن، عَنْ سَعِيد ابْن يَزِيد -وَهُوَ الأَحْمَسِيّ البَجَلِيّ الكُوفِيّ- قَال أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: وَهُوَ شَيْخ يُرْوَى عَنْهُ.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾.

يَقُول تَعَالى: فَإِذَا بَلَغَتْ المُعْتَدَّات ﴿أَجَلَهُنَّ﴾، أَيْ: شَارَفْنَ عَلى انْقِضَاء العِدَّة وَقَارَبْنَ ذَلكَ، وَلكِنْ لمْ تَفْرُغْ العِدَّة الكُلِّيَّة، فَحِينَئِذٍ إِمَّا أَنْ يَعْزِم الزَّوْج عَلى إِمْسَاكِهَا، وَهُوَ رَجْعَتُهَا إِلى عِصْمَة نِكَاحه، وَالاسْتِمْرَار بِهَا عَلى مَا كَانَتْ عَليْهِ عِنْده ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، أَيْ: مُحْسِنًا إِليْهَا فِي صُحْبَتِهَا، وَإِمَّا أَنْ يَعْزِم عَلى مُفَارَقَتِهَا، ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أَيْ: مِنْ غَيْر مُقَابَحَة وَلا مُشَاتَمَة وَلا تَعْنِيف، بَل يُطَلِّقُهَا عَلى وَجْه جَمِيل وَسَبِيل حَسَن.

وَقَوْله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، أَيْ: عَلى الرَّجْعَة إِذَا عَزَمْتُمْ عَليْهَا، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن مَاجَهْ، عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن، أَنَّهُ سُئِل عَنْ الرَّجُل يُطَلِّق امرأته ثُمَّ يَقَع بِهَا وَلمْ يُشْهِدْ عَلى طَلاقهَا وَلا عَلى رَجْعَتهَا؟ فَقَال: «طَلَّقْتَ لغَيْرِ سُنَّة، وَرَجَعْتَ لغَيْرِ سُنَّة، أَشْهِدْ عَلى طَلاقهَا وَعَلى رَجْعَتهَا، وَلا تَعُدْ».(1)

وَقَال ابْن جُرَيْج: كَانَ عَطَاء يَقُول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قَال: لا يَجُوز فِي نِكَاح وَلا طَلاق وَلا رِجَاع إِلَّا شَاهِدَا عَدْل، كَمَا قَال الله ﷻ إِلَّا أَنْ يَكُون مِنْ عُذْر. وَقَوْله: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي أَمَرْنَاكُمْ بِهِ مِنْ الإِشْهَاد وَإِقَامَة الشَّهَادَة، إِنَّمَا يَأْتَمِر بِهِ مَنْ يُؤْمِن بالله وَأَنَّهُ شَرَعَ هَذَا، وَيَخَاف عِقَاب الله فِي الدَّار الآخِرَة. وَمِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ الشَّافِعِيّ -فِي أَحَد قَوْليْهِ- إِلى وُجُوب الإِشْهَاد فِي الرَّجْعَة، كَمَا يَجِب عِنْده فِي ابْتِدَاء النِّكَاح. وَقَدْ قَال بِهَذَا طَائِفَة مِنْ العُلَمَاء، وَمَنْ قَال بِهَذَا يَقُول: إِنَّ الرَّجْعَة لا تَصِحّ إِلَّا بِالقَوْل ليَقَع الإِشْهَاد عَليْهَا.

وَقَوْله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أَيْ: وَمَنْ يَتَّقِ الله فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، يَجْعَل لهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب، أَيْ: مِنْ جِهَة لا تَخْطِر بِبَالِهِ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، أخبرنا كَهْمَس بْن الحَسَن، حَدَّثَنَا أَبُو السَّلِيل، عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: جَعَل رَسُول الله ﷺ

---

(1) صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٨٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

يَتْلُو عَلَيَّ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ، ثُمَّ قَال: «يَا أَبَا ذَرٍّ؛ لَوْ أَنَّ النَّاس كُلّهمْ أَخَذُوا بِهَا كَفَتْهُمْ». قَال: فَجَعَل يَتْلُوهَا وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى نَعَسْت، ثُمَّ قَال: «يَا أَبَا ذَرٍّ؛ كَيْف تَصْنَع إِنْ أُخْرِجْت مِنْ الْمَدِينَة؟». قَال: قُلت: إِلى السَّعَة وَالدَّعَة أَنْطَلق، فَأَكُون حَمَامَة مِنْ حَمَام مَكَّة. قَال: «كَيْف تَصْنَع إِنْ خَرَجْت مِنْ مَكَّة؟». قَال: قُلت إِلى السَّعَة وَالدَّعَة، إِلى الشَّام وَالأَرْض المُقَدَّسَة. قَال: «وَكَيْف تَصْنَع إِنْ أُخْرِجْت مِنْ الشَّام؟». قُلت: إِذًا -وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ- أَضَع سَيْفِي عَلى عَاتِقِي، قَال: «أَوَخَيْر مِنْ ذَلكَ؟». قُلت: أَوَخَير مِنْ ذَلكَ؟! قَال: «تَسْمَع وَتُطِيع، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا».[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدَّثَنَا أَحْمَد بْن مَنْصُور الرَّمَادِيّ، حدَّثَنَا يَعْلى بْن عُبَيْد، حدثنَا زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِر، عَنْ شُتَيْر بْن شَكَل؛ قَال: سَمِعْت عَبْد الله بْن مَسْعُود؛ يَقُول: إِنَّ أَجْمَع آيَة فِي القُرْآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾، وَإِنَّ أَكثر آيَة فِي القُرْآن فَرَجًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾. وَفِي «المُسْنَد»: حَدَّثَنِي مَهْدِيّ بْن جَعْفَر، حدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم، عَنْ الحَكَم بْن مُصْعَب، عَنْ مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْد الله بْن عَبَّاس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه عَبْد الله بْن عَبَّاس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنْ الاسْتِغْفَار جَعَل الله لهُ مِنْ كُلّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلّ ضِيق مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب».[2]

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، يَقُول: يُنْجِيه مِنْ كُلّ كَرْب فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وَقَال الرَّبِيع بْن خُثَيم: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أَيْ: مِنْ كُلّ شَيْء ضَاقَ عَلى النَّاس، [وَقَال عِكْرِمَة: مَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَهُ الله يَجْعَل لهُ مَخْرَجًا، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَالضَّحَّاك][3].

وَقَال ابْن مَسْعُود، وَمَسْرُوق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، يَعْلم أَنَّ الله وَإِنْ شَاءَ أَعْطَى وَإِنْ شَاءَ مَنَعَ، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أَيْ: مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي.

وَقَال قَتَادَة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أَيْ: مِنْ شُبُهَات الأُمُور وَالكَرْب عِنْد المَوْت، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ومِنْ حَيْثُ لا يَرْجُو أو لا يَأْمُل.

وَقَال السُّدِّيّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يُطَلِّق للسُّنَّةِ وَيُرَاجِع للسُّنَّةِ، وَزَعَمَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ يُقَال لهُ: عَوْف بْن مَالك الأَشْجَعِيّ، كَانَ لهُ ابْن، وَأَنَّ المُشْرِكِينَ أَسَرُوهُ، فَكَانَ فِيهِمْ، وَكَانَ أَبُوهُ يَأْتِي رَسُول الله ﷺ فَيَشْكُو إِلَيْهِ مَكَان ابْنه وَحَاله الَّتِي هُوَ بِهَا وَحَاجَتَهُ، فَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ، وَيَقُول لهُ: «إِنَّ الله سَيَجْعَلُ لك فَرَجًا». فَلَمْ يَلبَثْ بَعْد ذَلكَ إِلَّا يَسِيرًا أَنْ انْفَلتَ ابْنه مِنْ أَيْدِي العَدُوّ، فَمَرَّ بِغَنَم مِنْ أَغْنَام العَدُوّ، فَاسْتَاقَهَا فَجَاءَ بِهَا إِلى أَبِيهِ وَجَاءَ مَعَهُ بِغِنَى قَدْ أَصَابَهُ مِنْ الغنَم، فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[4] رَوَاهُ ابْن جَرِير، وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيق سَالم بْن أَبِي الجَعْد مُرْسَلًا نَحْوه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حدثنَا وَكِيع، حدثنَا سُفْيَان، عَنْ عَبْد الله بْن عِيسَى، عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي الجَعْد، عَنْ ثَوْبَان قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «وَإِنَّ العَبْد ليُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبهُ، وَلا يَرُدّ القَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي العُمْر إِلاَّ البِرُّ»[5]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث سُفْيَان وَهُوَ الثَّوْرِيّ بِهِ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨) بإسناد منقطع.

(٢) **ضعيف**: تقدم.

(٣) سقط من الأزهرية.

(٤) **مرسل**: رواه ابن جرير (٢٨/ ١٣٨).

(٥) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧)، فيه عبد الله بن أبي الجعد: مقبول. وأخرجه أيضًا النسائي في «الكبرى» وابن ماجه (٩٠) من طريق سفيان به كما قال المصنف.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: جَاءَ مَالك الأَشْجَعِيّ إِلى رَسُول الله ﷺ فَقَال لهُ: أُسِرَ ابْنِي عَوْف. فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ : «أَرْسِل إِليْهِ أَنَّ رَسُول الله يَأْمُرك أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْل: لا حَوْل وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بالله». وَكَانُوا قَدْ شَدُّوهُ بالقَدِّ فَسَقَطَ القَدُّ عَنْهُ فَخَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِنَاقَةٍ لهُمْ، فَرَكِبَهَا وَأَقْبَل، فَإِذَا بِسَرْحِ القَوْم الَّذِينَ كَانُوا قَدْ شَدُّوهُ فَصَاحَ بِهِمْ، فَاتَّبَعَ أَوَّلهَا آخِرهَا، فَلَمْ يَفْجَأْ أَبَوَيْهِ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِالبَابِ، فَقَال أَبُوهُ: عَوْف وَرَبِّ الكَعْبَة. فَقَالتْ أُمّه: وَاسَوْأَتَاه، وَعَوْف كَيْف يَقْدَم لمَا هُوَ فِيهِ مِنْ القَدّ، فَاسْتَبَقَا البَابَ وَالخَادِمَ فَإِذَا عَوْف قَدْ مَلأَ الفِنَاء إِبِلًا، فَقَصَّ عَلى أَبِيهِ أَمْرَهُ وَأَمْرَ الإِبِل، فَقَال أَبُوهُ: قِفَا حَتَّى آتِيَ رَسُول الله ﷺ فَأَسْأَلهُ عَنْهَا. فَأَتَى رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ عَوْفٍ وَخَبَرَ الإِبِل، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ : «اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْت، وَمَا كُنْت صَانِعًا بِمَالك». وَنَزَل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1] رَوَاهُ ابن أَبِي حَاتِم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا عَليّ بْن الحُسَيْن، حدثَنَا مُحَمَّد بْن عَليّ بْن الحَسَن بْن شقيق، حدثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الأَشْعَث، حدَّثَنَا الفُضَيْل بْن عِيَاض عَنْ هِشَام بْن الحَسَن عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ انْقَطَعَ إِلى الله كَفَاهُ الله كُلَّ مَئُونَة، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلى الدُّنْيَا وَكَلهُ إِليْهَا».[2]

وَقَوْله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يُونُس، حدثَنَا ليْث، حدثَنَا قَيْس بْن الحَجَّاج، عَنْ حَنَش الصَّنْعَانِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَبَّاس، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَكِبَ خَلف رَسُول الله ﷺ يَوْمًا، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ : «يَا غُلام، إِنِّي مُعَلِّمُك كَلمَات: احْفَظْ الله يَحْفَظْك، احْفَظْ الله تَجِدهُ تُجَاهك، وَإِذَا سَأَلت فَاسْأَل الله، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلمْ أَنَّ الأُمَّة لوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَنْفَعُوك، لمْ يَنْفَعُوك إِلاَّ بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَلوْ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوك، لمْ يَضُرُّوك إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَليْك، رُفِعَتْ الأَقْلام، وَجَفَّتْ الصُّحُف»[3]. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث اللَّيْث بْن سَعْد، وَابْن لهِيعَة بِهِ، وَقَال: «حَسَن صَحِيح».

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا بَشِير بْن سَلمَان، عَنْ سَيَّار أَبِي الحَكَم، عَنْ طَارِق بْن شِهَاب، عَنْ عَبْد الله —هو ابْن مَسْعُود— قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ نَزَل بِهِ حَاجَة فَأَنْزَلهَا بالنَّاسِ كَانَ قَمِنًا أَنْ لا تُسَهَّل حَاجَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلهَا بالله أَتَاهُ الله بِرِزْقٍ عَاجِل، أَوْ بِمَوْتٍ آجِلٍ»[4]. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ سُفْيَان، عَنْ بَشِير، عَنْ سَيَّار أَبِي حَمْزَة، ثُمَّ قَال: وَهُوَ الصَّوَاب، وَسَيَّار أَبُو الحَكَم لمْ يُحَدِّث عَنْ طَارِق.

وَقَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾، أَيْ: مُنَفِّذُ قَضَايَاهُ وَأَحْكَامه فِي خَلقه بِمَا يُرِيدهُ وَيَشَاؤُهُ، ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾

يَقُول تَعَالى مُبَيِّنًا لعِدَّةِ الآيِسَة -وَهِيَ الَّتِي قَدْ انْقَطَعَ عَنْهَا الحيضُ لكِبَرِهَا- إِنَّهَا ثَلاثَة أَشْهُر، عِوَضًا عَنْ الثَّلاثَة قُرُوء فِي حَقّ مَنْ تَحِيض، كَمَا دَلَّتْ عَلى ذَلكَ آيَة «البَقَرَة»، وَكَذَا الصِّغَار اللَّائِي لمْ يَبْلُغْنَ سِنّ الحَيْض: أَنَّ عِدَّتَهُنَّ كَعِدَّةِ الآيِسَة ثَلاثَة أَشْهُر؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾. وَقَوْله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ فِيهِ قَوْلانِ:

---

(١) مرسل : من مراسيل ابن إسحاق.
(٢) ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٠٦١).
(٣) صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٧٩٥٧).
(٤) صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٥٦٦).

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ قَوْل طَائِفَة مِنْ السَّلف، كَمُجَاهِدٍ، وَالزُّهْرِيّ، وَابْن زَيْد أَيْ: إِنْ رَأَيْنَ دَمًا وَشَكَكْتُمْ فِي كَوْنه حَيْضًا أَوْ اسْتِحَاضَة، وارْتَبْتُم فِيهِ.

وَالقَوْل الثَّانِي: إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي حُكْم عِدَّتهن، وَلَمْ تَعْرِفُوهُ فَهُوَ ثَلَاثَةُ أَشْهُر. وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير، وَهُوَ أَظْهَر فِي المَعْنَى، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي كُرَيْب وَأَبِي السَّائِب؛ قَالَا: حدَّثنا ابْن إِدْرِيس، أخبرنا مُطَرِّف، عَنْ عَمْرو بْن سَالِم؛ قَال: قَال أُبَيّ بْن كَعْب: يَا رَسُول الله، إِنَّ عِدَدًا مِنْ عِدَد النِّسَاء لَمْ تُذْكَر فِي الكِتَاب: الصِّغَار وَالكِبَار وَأُولات الأَحْمَال. قَال: فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾.[1] وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم بِأَبْسَط مِنْ هَذَا السِّيَاق؛ فَقَال: حدثَنَا أَبِي، حدَّثنا يَحْيَى بْن المُغِيرَة، أخبرنا جَرِير عَنْ مُطَرِّف، عَنْ عُمَر بْن سَالِم، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب؛ قَال: قُلت لِرَسُول الله ﷺ إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْل المَدِينَة لَـمَّا أُنْزِلتْ هَذِهِ الآيَة الَّتِي فِي «البَقَرَة» فِي عِدَّة النِّسَاء؛ قَالُوا: لَقَدْ بَقِيَ مِنْ عِدَّة النِّسَاء عِدَدٌ لَمْ يُذْكَرْنَ فِي القُرْآن: الصِّغَار وَالكِبَار اللَّائِي قَدْ انْقَطَعَ عنهنَّ الحَيْض وَذَوَات الحَمْل. قَال: فَأُنْزِلتْ الَّتِي فِي النِّسَاء القُصْرَى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾ يَقُول تَعَالَى: وَمَنْ كَانَتْ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْد الطَّلَاق أَوْ المَوْت بِفَوَاقِ نَاقَة، فِي قَوْل جُمْهُور العُلَمَاء مِنْ السَّلف وَالخَلف، كَمَا هُوَ نَصُّ هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة، وَكَمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيّ وَابْن عَبَّاس رضي الله عنهم أَنَّهُمَا ذَهَبَا فِي المُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجهَا أَنَّهَا تَعْتَدّ بِأَبْعَد الأَجَلَيْنِ مِنْ الوَضْع وَالأَشْهُر، عَمَلًا بِهَذِهِ الآيَة الكريمة وَالَّتِي فِي سُورَة البَقَرَة، وَقد قَال البُخَارِيّ: حدثَنَا سعد بْن حَفْص، حدثَنَا شَيْبَان، عَنْ يَحْيَى، قَال: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلمَة؛ قَال: جَاءَ رَجُل إِلَى ابْن عَبَّاس -وَأَبُو هُرَيْرَة جَالِس- فَقَال: أَفْتِنِي فِي امْرَأَة وَلَدَتْ بَعْد زَوْجهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَة. فَقَال ابْن عَبَّاس: آخِر الأَجَلَيْنِ. قُلت أَنَا: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾. قَال أَبُو هُرَيْرَة: أَنَا مَعَ ابْن أَخِي -يَعْنِي أَبَا سَلمَة- فَأَرْسَل ابْن عَبَّاس غُلامه كُرَيْبًا إِلَى أُمّ سَلمَة يَسْأَلهَا، فقَالتْ: قُتِل زَوْج سُبَيْعَة الأَسْلَمِيَّة وَهِيَ حُبْلَى، فَوَضَعَتْ بَعْد مَوْته بِأَرْبَعِينَ لَيْلَة، فَخُطِبَتْ، فَأَنْكَحَهَا رَسُول الله ﷺ وَكَانَ أَبُو السَّنَابِل فِيمَنْ خَطَبَهَا.[2] هَكَذَا أَوْرَدَ البُخَارِيّ هَذَا الحَدِيث هَاهُنَا مُخْتَصَرًا، وَقَدْ رَوَاهُ هُوَ وَمُسْلم، وَأَصْحَاب الكُتُب مُطَوَّلًا مِنْ وُجُوه أُخَر.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حدثَنَا حَمَّاد بْن أُسَامَة، أخبرنا هِشَام، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ المِسْوَر بْن مَخْرَمَة، أَنَّ سُبَيْعَة الأَسْلَمِيَّة تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجهَا وَهِيَ حَامِل، فَلَمْ تَمْكُث إِلَّا لَيَالِي حَتَّى وَضَعَتْ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسهَا خُطِبَتْ، فَاسْتَأْذَنَتْ رَسُول الله ﷺ فِي النِّكَاح، فَأَذِنَ لَهَا أَنْ تُنْكَح، فَنَكَحَتْ. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ فِي «صَحِيحه»، وَمُسْلم، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مَاجَهْ مِنْ طُرُق عَنْهَا، كَمَا قَال مُسْلم بْن الحَجَّاج: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِر، أخبرنا ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي يُونُس بْن يَزِيد، عَنْ ابْن شِهَاب، حَدَّثَنِي عُبَيْد الله بْن عَبْد الله بْن عُتْبَة؛ أَنَّ أَبَاهُ كَتَبَ إِلَى عُمَر بْن عَبْد الله بْن الأَرْقَم الزُّهْرِيّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُل عَلَى سُبَيْعَة بِنْت الحَارِث الأَسْلَمِيَّة، فَيَسْأَلُهَا عَنْ حَدِيثهَا، وَعَمَّا قَال لَهَا رَسُول الله ﷺ حِين اسْتَفْتَتْهُ. فَكَتَبَ عُمَر بْن عَبْد الله يُخْبِرهُ أَنَّ سُبَيْعَة أَخْبَرَتْهُ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْت سَعْد بْن خَوْلَة -وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا- فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّة الوَدَاع وَهِيَ حَامِل، فَلَمْ تَنْشَب أَنْ وَضَعَتْ حَمْلهَا بَعْد وَفَاته، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسهَا

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٨/ ١٤١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٩، ٥٣٩٦، ٥٣٢٠)، ومسلم (١٤٨٤).

تَجَمَّلتْ للخُطَّابِ، فَدَخل عليْهَا أَبُو السَّنَابِلِ ابْن بَعْكَك فَقَال لهَا: مَا لي أَرَاك مُتَجَمِّلة؟ لعَلَّك تَرْجِينَ النِّكَاح، إِنَّك وَالله مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تمُرَّ عليْك أَرْبعَة أَشْهُر وَعَشر. قَالتْ سُبَيْعَة: فلَمَّا قَال لي ذَلكَ جَمَعْت عَليَّ ثِيَابِي حِين أَمْسَيْت فَأَتَيْت رَسُول الله ﷺ فَسأَلته عَنْ ذَلكَ، فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَللت حِين وَضَعْت حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بالتزوُّج إِنْ بَدَا لي. هَذَا لفْظ مُسْلم، وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مُخْتَصَرًا، ثُمَّ قَال البُخَارِيّ بَعْد رواية الحَدِيث الأَوَّل عِنْد هَذِهِ الآيَة:

وَقَال أَبُو سُليْمَان بْن حَرْب، وَأَبُو النُّعْمَان: حدَّثنا حَمَّاد بْن زَيْد، عَنْ أَيُّوب، عَنْ مُحَمَّد -هُوَ ابْن سِيرِينَ-، قَال: كُنْت فِي حَلقَة فِيهَا عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي ليْلى رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ أَصْحَابه يُعَظِّمُونَهُ، فَذَكَرَ آخِر الأَجَليْنِ، فَحَدَّثْت بِحَدِيثِ سُبَيْعَة بِنْت الحَارِث عَنْ عَبْد الله بْن عُتْبَة، قَال: فَضَمَّزَ لي بَعْض أَصْحَابه، وَقَال مُحَمَّد: فَفَطِنْت لهُ فَقُلت: إِنِّي لجَرِيء أَنْ أَكْذِبَ عَلى عَبْد الله وَهُوَ فِي نَاحِيَة الكُوفَة؛ قَال: فَاسْتَحْيَا وَقَال: لكِنَّ عَمّه لمْ يَقُل ذَلكَ، فَلقِيت أَبَا عَطِيَّة مَالك بْن عَامِر فَسأَلته، فَذَهَبَ يُحَدِّثنِي بِحَدِيثِ سُبَيْعَة، فَقُلت: هَل سَمِعْت عَنْ عَبْد الله فيها شَيْئًا؟ فَقَال: كُنَّا عِنْد عَبْد الله فَقَال: أَتَجْعَلُونَ عليْهَا التَّغْليظ، وَلا تَجْعَلُونَ عليْهَا الرُّخْصَة؟ نزلت سُورَة النِّسَاء القُصْرَى بَعْد الطُّولى: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير، مِنْ طَرِيق سُفْيَان بْن عُيَيْنَة وَإِسْمَاعِيل بْن عُليَّة، عَنْ أَيُّوب بِهِ مُخْتَصَرًا. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الأَعْلى، عَنْ خَالد بْن الحَارِث، عَنْ [ابْن عَوْن][1]، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ، فَذَكَرَهُ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى بْن أَبَان المِصْرِيّ، حدثَنَا سَعِيد بْن أَبِي مَرْيَم، حدثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنِي ابْن شُبْرُمَة الكُوفِيّ، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ علْقَمَة بْن قَيْس أَنَّ عَبْد الله بْن مَسْعُود؛ قَال: مَنْ شَاءَ لاعَنْته، مَا نَزَلتْ ﴿وَأُولَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ إِلَّا بَعْد آيَة المُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجهَا. قَال: وَإِذَا وَضَعَتْ المُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجهَا فَقَدْ حلَّتْ. يُرِيد بِآيَةِ المُتَوَفَّى عَنْهَا زوجُهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾.[2]

وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن أَبِي مَرْيَم بِهِ، ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حدثَنَا أَحْمَد بْن مَنِيع، حدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُبَيْد، حدَّثنا إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ؛ قَال: ذُكِرَ عِنْد ابْن مَسْعُود آخِر الأَجَليْنِ، فَقَال: مَنْ شَاءَ قَاسَمْته بالله أَنَّ هَذِهِ الآيَة الَّتِي فِي النِّسَاء القُصْرَى نَزَلتْ بَعْد الأَرْبَعَة الأَشْهُر وَالعَشْر، ثُمَّ قَال: أَجَلُ الحَامِل أَنْ تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان الوَاسِطِي، حدثنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، عَنْ سُفْيَان، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق؛ قَال: بَلغَ ابْن مَسْعُود أَنَّ عَليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُول: آخِر الأَجَليْنِ. فَقَال: مَنْ شَاءَ لاعَنْته، إِنَّ الَّتِي فِي النِّسَاء القُصْرَى نَزَلتْ بَعْد البَقَرَة: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث أَبِي مُعَاوِيَة عَنْ الأَعْمَش.

وَقَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر المُقَدَّمِيّ، أخبرنا عَبْد الوَهَّاب الثَّقَفِيّ، حَدَّثَنِي المُثَنَّى، عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب؛ قَال: قُلت للنَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾: المُطَلَّقَة ثلاثًا أَوْ المُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجهَا؟ فَقَال: هِيَ للمُطَلَّقَةِ ثلاثًا وَللمُتَوَفَّى عَنْهَا.[3] هَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، بَل مُنْكَر؛ لأَنَّ فِي إِسْنَاده المُثَنَّى بْن الصَّبَّاح، وَهُوَ مَتْرُوك الحَدِيث بِمَرَّةٍ، وَلكِنْ رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم بِسَنَدٍ آخَر، فَقَال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن دَاوُد السَّمْنَانِيّ، حدَّثنَا عَمْرو بْن خَالد -يَعْنِي

---

(١) في الأزهرية: [أبي عون].

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبري (٢٨/ ١٤٣)، وأبو داود (٢٣٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) **منكـر**: فيه المثنى بن الصباح: متروك الحديث.

الحَرَّانِيّ- حدثنَا ابن لِهيعَة، عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب؛ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة قَال لرَسُول الله ﷺ: لا أَدْرِي أَمُشْتَرَكَة أَمْ مُبْهَمَة؟ قَال رَسُول الله ﷺ: «أَيَّة آيَة؟». قَال: ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾، المُتَوَفَّى عَنْهَا وَالمُطَلَّقَة؟ قَال: «نَعَمْ».[1] وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ مُوسَى بْن دَاوُد، عَنْ ابْن لِهيعَة بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي كُرَيب أَيْضًا، عَنْ مَالك بْن إِسْمَاعِيل، عَنْ ابْن عُيَيْنَة، عَنْ عَبْد الكَرِيم بْن أَبِي المُخَارِق؛ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ أُبَيّ ابْن كَعْب؛ قَال: سَأَلت رَسُول الله ﷺ عَنْ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾، قَال: «أَجَل كُلِّ حَامِل أَنْ تَضَع مَا فِي بَطْنِهَا»[2]. عَبْد الكَرِيم هَذَا ضَعِيف وَلَمْ يُدْرِكْ أُبَيًّا.

وَقَوْله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، أَيْ: يُسَهِّل لهُ أَمْرَهُ، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَل لهُ فَرَجًا قَرِيبًا وَمَخْرَجًا عَاجِلًا. ثُمَّ قَال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ﴾، أَيْ: حُكْمه وَشَرْعه أَنْزَلهُ إِليْكُمْ بِوَاسِطَةِ رسُوله ﷺ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾، أَيْ: يُذْهِب عَنْهُ المَحْذُور، وَيُجْزِل لهُ الثَّوَاب عَلى العَمَل اليَسِير.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا عِبَاده إِذَا طَلَّقَ أَحدهمْ المَرْأَة أَنْ يُسْكِنهَا فِي مَنْزِل حَتَّى تَنْقَضِي عِدَّتهَا، فَقَال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾، أَيْ: عِنْدكُمْ، ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد: يَعْنِي: سَعَتِكُمْ حَتَّى قَال قَتَادَة: إِنْ لمْ تَجِد إِلَّا جَنْب بَيْتك فَأَسْكِنْهَا فِيهِ. وَقَوْله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾، قَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: يَعْنِي يُضَاجِرهَا لتَفْتَدِي مِنْهُ بِمَالهَا أَوْ تَخْرُج مِنْ مَسْكَنه.

وَقَال الثَّوْرِيّ: عَنْ مَنْصُور، عَنْ أَبِي الضُّحَى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾، قَال: يُطَلِّقهَا فَإِذَا بَقِي يَوْمَانِ رَاجَعهَا. وَقَوْله: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾، قَال كَثِير مِنَ العُلَماء مِنْهُمْ ابْن عَبَّاس، وَطَائِفَة مِنْ السَّلف، وَجَمَاعَات مِنْ الخَلفِ: هَذِهِ فِي البَائِن، إِنْ كَانَتْ حَامِلًا أَنْفَق عَلَيْهَا حَتَّى تَضَع حَمْلهَا. قَالُوا: بِدَليل أَنَّ الرَّجْعِيَّة تَجِب نَفَقَتُهَا سَوَاء كَانَتْ حَامِلًا أَوْ حَائِلًا. وَقَال آخَرُونَ: بَل السِّيَاق كُلّه فِي الرَّجْعِيَّات، وَإِنَّمَا نُصَّ عَلى الإِنْفَاق عَلى الحَامِل وَإِنْ كَانَتْ رَجْعِيَّة؛ لأَنَّ الحَمْل تَطُول مُدَّتُهُ غَالبًا، فَاحْتِيجَ إِلى النَّصّ عَلى وُجُوب الإِنْفَاق إِلى الوَضْع، لئَلَّا يُتَوَهَّم أَنَّهُ إِنَّمَا تَجِب النَّفَقَة بِمِقْدَارِ مُدَّة العِدَّة.

واخْتَلفَ العُلَماء: هَل النَّفَقَة لهَا بِوَاسِطَةِ الحَمْل، أَمْ للحَمْل وَحْده؟ عَلى قَوْلَيْنِ مَنْصُوصَيْنِ عَنْ الشَّافِعِيّ وَغَيْره، وَيَتَفَرَّع عَلَيْهَا مَسَائِل مَذْكُورَة فِي عِلم الفُرُوع.

وَقَوْله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، أَيْ: إِذَا وَضَعْنَ حَمْلهُنَّ وَهُنَّ طَوَالق، فَقَدْ بِنَّ بِانْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ، وَلهَا حِينَئِذٍ أَنْ تُرْضِعَ الوَلد، وَلهَا أَنْ تَمْتَنِع مِنْهُ، وَلكِنْ بَعْد أَنْ تُغَذِّيَهُ بِاللِّبَأ -وَهُوَ بَاكُورَة اللَّبَن الَّذِي لا قِوَام للولد غَالبًا إِلَّا بِهِ- فَإِنْ أَرْضَعَتْ اسْتَحَقَّتْ أَجرة مِثْلهَا، وَلهَا أَنْ تُعَاقِدَ أَبَاهُ أَوْ وَليّه عَلى مَا يَتفقانِ عَلَيْهِ مِنْ أُجْرَة؛ وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ﴾، أَيْ: وَلتَكُنْ أُمُوركُم فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالمَعْرُوفِ، مِنْ غَيْر إِضْرَار وَلا مُضَارَّة كَمَا قَال فِي سُورَة البَقَرَة: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾.

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٨/ ١٤٣) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٤٣) بسند ضعيف.

وَقَوْله: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾، أَيْ: وَإِنْ اخْتَلفَ الرَّجُل وَالمَرْأَة، فَطَلَبَتْ المَرْأَة فِي أُجْرَة الرَّضَاع كَثِيرًا وَلَمْ يُجِبْهَا الرَّجُل إِلى ذَلكَ، أَوْ بَذَل الرَّجُل قَليلًا وَلَمْ تُوَافِقهُ عَلَيْهِ فَليَسْتَرْضِعْ لهُ غَيْرهَا. فَلوْ رَضِيَتْ الأُمّ بِمَا اسْتُؤْجِرَتْ بِهِ الأَجْنَبِيَّة فَهِيَ أَحَقّ بِوَلدِهَا.

وَقَوْله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، أَيْ: ليُنْفِق عَلى المَوْلُود وَالده، أَوْ وَليّه، بِحَسَب قُدْرَتِهِ: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾.

قال ابْن جَرِير: حدثَنَا ابْن حُمَيْد، حدثَنَا حَكَّام، عَنْ أَبِي سِنَان؛ قَال: سَأَل عُمَر بْن الخَطَّاب عَنْ أَبِي عُبَيْدَة، فَقِيل: إِنَّهُ يَلبَس الغَليظ مِنْ الثِّيَاب، وَيَأْكُل أَخْشَن الطَّعَام. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلفِ دِينَار، وَقَال للرَّسُول: انْظُرْ مَا يَصْنَع بِهَا إِذَا هُوَ أَخذَهَا، فَمَا لبِثَ أَنْ لبِسَ اللَّيِّن مِنْ الثِّيَاب، وَأَكَل أَطْيَب الطَّعَام، فَجَاءَهُ الرَّسُول فَأَخْبَرَهُ، فَقَال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَأَوَّل هَذِهِ الآيَة: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾.

وَقَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ فِي «مُعْجَمه الكَبِير»: حدثَنَا هَاشِم بْن مَرْثَد الطَّبَرَانِيّ، حدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، أَخْبَرَنِي أَبِي أَخْبَرَنِي ضَمْضَم بْن زُرْعَة عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد عن أَبِي مَالك الأَشْعَرِيّ -وَاسْمه الحَارِث- قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «ثَلاثَة نَفَر، كَانَ لأَحَدِهِمْ عَشَرَةُ دَنَانِير، فَتَصَدَّقَ مِنْهَا بِدِينَارٍ. وَكَانَ لآخر عَشر أَوَاقٍ، فَتَصَدَّقَ مِنْهَا بِأُوقِيَّةٍ. وَكَانَ لآخر مِائَة أُوقِيَّة، فَتَصَدَّقَ مِنْهَا بِعَشْرِ أَوَاقٍ». فَقَال رَسُول الله ﷺ: «هُمْ فِي الأَجْر سَوَاء كُلّ تَصَدَّقَ بِعُشْرِ مَاله، قَال الله تَعَالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾»[1] هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَوْله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: وَعْدٌ مِنْهُ تَعَالى، وَوَعْده حَقّ، وهو لا يُخْلفُهُ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وَقَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَد حَدِيثًا يَحْسُن أَنْ نَذْكُرهُ هَهُنَا، فَقَال: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن القَاسِم، حدَّثنا عَبْد الحَمِيد بْن بَهْرَام، حدَّثَنَا شَهْر بْن حَوْشَب؛ قَال: قَال أَبُو هُرَيْرَة: بَيْنَا رَجُل وَامْرَأَة لهُ فِي السَّلف الخَالِي لا يَقْدِرَانِ عَلى شَيْء، فَجَاءَ الرَّجُل مِنْ سَفَره، فَدَخَل عَلى امْرَأَته جَائِعًا قَدْ أَصاب مَسْغَبَة شَدِيدَة فَقَال لامْرَأَتِهِ: عِنْدك شَيْء؟ قَالتْ: نَعَمْ، أَبْشِرْ أَتاكَ رِزْق الله. فَاسْتَحَثَّهَا، فَقَال: وَيْحك، ابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدك شَيْء. قَالتْ: نَعَمْ، هُنَيْهَةً تَرْجُو رحمة الله حَتَّى إِذَا طَال عَلَيْهِ الطَّوَى قَال: وَيْحك؟ قُومِي فَابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدك شَيْء فَأْتِينِي بِهِ، فَإِنِّي قَدْ بَلغْت وَجَهِدْت. فَقَالتْ: نَعَمْ، الآن ينضج التَّنُّور فَلا تَعْجَل. فَلَمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا سَاعَة وَتَحَيَّنَتْ أَنْ يَقُول لهَا، قَالتْ مِنْ عِنْد نَفْسِهَا: لوْ قُمْتُ فَنَظَرْت إِلى تَنُّورِي؟ فَقَامَتْ فَنَظَرَتْ إِلى تَنُّورهَا مَلآن جُنُوب الغَنَم، وَرَحْيَيْهَا تَطْحَنَانِ. فَقَامَتْ إِلى الرَّحَى فَنَفَضَتْهَا، وَاسْتَخْرَجَتْ مَا فِي تَنُّورهَا مِنْ جُنُوبِ الغَنَم. قَال أَبُو هُرَيْرَة: فَوَالَّذِي نَفْس أَبِي القَاسِم بِيَدِهِ هُوَ قَوْل مُحَمَّد ﷺ: «لوْ أَخَذَتْ مَا فِي رَحْيَيْهَا وَلَمْ تَنْفُضهَا لطَحَنَتَا إِلى يَوْم القِيَامَة».[2]

وَقَال فِي مَوْضِع آخر: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر، عَنْ هِشَام، عَنْ مُحَمَّد -هُوَ ابْن سِيرِينَ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: دَخَل رَجُل عَلى أَهْله، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ الحَاجَة خَرَجَ إِلى البَرِيَّة، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَته قَامَتْ إِلى الرَّحَى فَوَضَعَتْهَا، وَإِلى التَّنُّور فَسَجَرَتْهُ، ثُمَّ قَالتْ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا. فَنَظَرَتْ، فَإِذَا الجَفْنَة قَدْ امْتَلأَتْ، قَال: وَذَهَبَتْ إِلى التَّنُّور فَوَجَدَتْهُ مُمْتَلئًا، قَال: فَرَجَعَ الزَّوْج. فَقَال: أَصَبْتُمْ بَعْدِي شَيْئًا؟ قَالتْ امْرَأَته: نَعَمْ، مِنْ رَبِّنَا. قَامَ إِلى الرَّحَى، فَذُكِرَ ذَلكَ للنَّبِيِّ ﷺ فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«أَمَا إِنَّهُ لوْ لمْ تَرْفَعْهَا، لمْ تَزَل تَدُور إِلى يَوْم القِيَامَة»**.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الطبراني (٣/ ٣٣١/ ٣٤٣٩)، وإسناده ضعيف.
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢١) بسند منقطع.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾.

يَقُول تَعَالى مُتَوَعِّدًا لِمَنْ خَالفَ أَمْرَهُ، وَكَذَّبَ رُسُله، وَسَلكَ غَيْر مَا شَرَعَهُ، وَمُخْبِرًا عَمَّا حَلَّ بِالأُمَم السَّالفَة بِسَبَبِ ذَلكَ، فَقَال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾، أَيْ: تَمَرَّدَتْ وَطَغَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ عَنْ اتِّبَاع أَمْر الله وَمُتَابَعَة رُسُله، ﴿ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾، أَيْ: مُنْكَرًا فَظِيعًا. ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾، أَيْ: غِبَّ مُخَالفَتِهَا، وَنَدِمُوا حَيْثُ لا يَنْفع النَّدَمُ، ﴿ وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾، أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة، مَعَ مَا عَجَّل لهُمْ فِي الدُّنْيَا. ثُمَّ قَال بَعْدَ مَا قَصَّ مِنْ خَبَر هَؤُلاءِ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، أَيْ: الأَفْهَام المُسْتَقِيمَة، لا تَكُونُوا مِثْلهمْ فَيُصِيبكُمْ مَا أَصَابَهُمْ يَا أُولِي الأَلبَاب، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، أَيْ: صَدَّقُوا بالله وَرَسُوله، ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾، يَعْنِي القُرْآن. كَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾. وَقَوْله: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ قَال بَعْضهمْ: ﴿ رَّسُولًا ﴾ مَنْصُوب عَلى أَنَّهُ بَدَلُ اشْتِمَالٍ وَمُلابَسَة؛ لأَنَّ الرَّسُول هُوَ الَّذِي بَلَّغَ الذِّكْر.

وَقَال ابْن جَرِير: الصَّوَاب أَنَّ الرَّسُول تَرْجَمَة عَنْ الذِّكْر يَعْنِي تَفْسِيرًا لهُ؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾، أَيْ: فِي حَال كَوْنهَا بَيِّنَة وَاضِحَة جَليَّة؛ ﴿ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾، [أَيْ: مِنْ ظُلُمَات الكُفْر وَالجَهْل إِلى نُور الإِيمَان وَالعِلم. وَقَدْ سَمَّى الله تَعَالى الوَحْي الَّذِي أَنْزَلهُ نُورًا؛ لِمَا يَحْصُل بِهِ مِنْ الهُدَى، كَمَا سَمَّاهُ رُوحًا؛ لِمَا يَحْصُل بِهِ مِنْ حَيَاة القُلُوب، فَقَال تَعَالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. وَقَوْله:][1] ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾. قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِير مِثْل هَذَا غَيْر مَرَّة، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ قُدْرَتِهِ التَّامَّة وَسُلطَانه العَظِيم، لِيَكُونَ ذَلكَ بَاعِثًا عَلى تَعْظِيم مَا شَرَعَ مِنْ الدِّين القَوِيم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾، كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ نُوحٍ: إِنَّهُ قَال لِقَوْمِهِ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾. وقال تَعَالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾. وَقَوْله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ أَيْ: سَبْعًا أَيْضًا، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْر مِنْ الأَرْض طَوَّقَهُ مِنْ سَبْع أَرَضِينَ**»، وَفِي «صَحِيح البُخَارِيّ»: «**خَسَفَ بِهِ إِلى سَبْع أَرَضِينَ**»[2]. وَقَدْ ذَكَرْت طُرُقه وَأَلفَاظه وَعَزْوَهُ فِي أَوَّل «البِدَايَة وَالنِّهَايَة» عِنْد ذِكْرِ خَلق الأَرْض، ولله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَمَنْ حَمَل ذَلكَ عَلى سَبْعَة أَقَاليم، فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَة، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْع، وَخَالفَ القُرْآن وَالحَدِيث بِلا مُسْتَنَد. وَقَدْ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

تَقَدَّمَ فِي «سُورَة الحَدِيد» عِنْد قَوْله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾. ذَكَرَ الأَرَضِينَ السَّبْع، وَبُعْدَ مَا بَيْنَهُنَّ، وَكَثَافَة كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَمْسِمِائَةِ عَام. وَهَكَذَا قَال ابْن مَسْعُود وَغَيْره، وَكَذَا فِي الحَدِيث الآخَر: «**مَا السَّمَاوَات السَّبْع وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنهنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْع وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنهنَّ؛ فِي الكُرْسِيّ إلاَّ كَحَلقَةٍ مُلقَاة بِأَرْضِ فَلاةٍ**».[1]

وَقَال ابْن جَرِير: ثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، حدثنَا وَكِيع، حدثنَا الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن مُهَاجِر، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قَال: لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِتَفْسِيرِهَا لَكَفَرْتُمْ، وَكُفْرُكُمْ تَكْذِيبُكُمْ بِهَا. وَحَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، ثَنَا يَعْقُوب بْنُ عَبْد الله بْن سَعْد القُمِّيّ الأَشْعَرِيّ، عَنْ جَعْفَر بْن أَبِي المُغِيرَة الخُزَاعِيّ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، قَال: قَال رَجُل لابْنِ عَبَّاس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الآيَة، فَقَال ابْن عَبَّاس: مَا يُؤَمِّنك إِنْ أَخْبَرْتُك بِهَا فَتَكْفُر.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، وَمُحَمَّد بْن المُثَنَّى؛ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حدثنَا شُعْبَة، عَنْ عَمْرو ابْن مُرَّة، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قَال عَمْرو: قَال: فِي كُلّ أَرْض مِثْل إِبْرَاهِيم، وَنَحْو مَا عَلَى الأَرْض مِنْ الخَلق.[2] وَقَال ابْن المُثَنَّى فِي حَدِيثه: فِي كُلّ سَمَاء إِبْرَاهِيم.

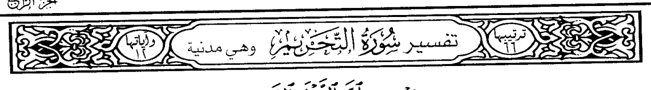
وَقد رَوَى البَيْهَقِيّ فِي كِتَاب «الأَسْمَاء وَالصِّفَات» هَذَا الأَثَر عَنْ ابْن عَبَّاس بِأَبْسَط مِنْ هَذَا، فَقَال: أخبرنا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، وحدثنَا أَحْمَد بْن يَعْقُوب، حدثنَا عُبَيْد بْن غَنَّام النَّخَعِيّ، أخبرنا عَلِيّ بْن حَكِيم، حدثنَا شَرِيك، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْن عَبَّاس أنه قَال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قَال: سَبْع أَرَضِينَ، فِي كُلّ أَرْض نَبِيّ كَنَبِيِّكُمْ، وَآدَم كَآدَم، وَنُوح كَنُوح، وَإِبْرَاهِيم كَإِبْرَاهِيم، وَعِيسَى كَعِيسَى. ثُمَّ رَوَاهُ البَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة، [عَنْ عَمْرو][3] بْن مُرَّة، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْل الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قَال: فِي كُلّ أَرْض نَحْو إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثُمَّ قَال البَيْهَقِيّ: إِسْنَاد هَذَا عَنْ ابْن عَبَّاس صَحِيح وَهُوَ شَاذّ بِمَرَّة، لا أَعْلم لأَبِي الضُّحَى عَلَيْهِ مُتَابِعًا، وَالله أَعْلَمُ.

قَال الإِمَام أَبُو بَكْر عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن أَبِي الدُّنْيَا القُرَشِيّ فِي كِتَابه «التَّفَكُّر وَالاعْتِبَار»: حَدَّثَنِي إِسْحَاق بْن حَاتِم المَدَائِنِيّ، حدثنَا يَحْيَى بْن سُلَيْمَان، عَنْ عُثْمَان بْن أَبِي دهرش؛ قَال: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُول الله ﷺ انْتَهَى إِلَى أَصْحَابه وَهُمْ سُكُوت لا يَتَكَلَّمُونَ، فَقَال: «مَا لَكُمْ لا تَتَكَلَّمُونَ؟». فَقَالُوا: نَتَفَكَّر فِي خَلق الله ﷻ. قَال: «فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، تَفَكَّرُوا فِي خلقه وَلا تَتَفَكَّرُوا فِيهِ، فَإِنَّ بِهَذَا المَغْرِب أَرْضًا بَيْضَاء، نُورهَا سَاحتها -أَوْ قَال: ساحتها نُورهَا- مَسِيرَة الشَّمْس أَرْبَعِينَ يَوْمًا، بِهَا خَلق مِنْ خَلق الله لَمْ يَعْصُوا الله طَرْفَة عَيْن قَطُّ». قَالُوا: فَأَيْنَ الشَّيْطَان عَنْهُمْ؟ قَال: «مَا يَدْرُونَ خُلِقَ الشَّيْطَان أَمْ لَمْ يُخْلَقْ؟». قَالُوا: أَمِنْ وَلَد آدَم؟ قَال: «لا يَدْرُونَ خُلِقَ آدَم أَمْ لَمْ يُخْلَق»[4]. وَهَذَا حَدِيث مُرْسَل، وَهُوَ مُنْكَر جِدًّا، وَعُثْمَان بْن أَبِي دهرش ذَكَرَهُ ابْن أَبِي حَاتِم فِي كِتَابه فَقَال: رَوَى عَنْ رَجُل مِنْ آل الحَكَم بْن أَبِي العَاص، وَعَنْهُ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، وَيَحْيَى بْن سُلَيْم الطَّائِفِيّ، وَابْن المُبَارَك، سَمِعْت أَبِي يَقُول ذَلِكَ.

آخِر تَفْسِير سُورَة الطَّلَاق

---

(١) ضعيف: تقدم.
(٢) أثر لا يصح.
(٣) في الأزهرية: [بن عمرو].
(٤) منكر: وإسناده مرسل.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ صَدْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ مَارِيَةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ حَرَّمَهَا، فَنَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآيَة. قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[1] إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ البَرْقِيّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حدثنا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَصَابَ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، فِي بَيْتِي وَعَلَى فِرَاشِي؟! فَجَعَلَهَا عَلَيْهِ حَرَامًا. فقَالَتْ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُحَرِّمُ عَلَيْكَ الحَلَالَ؟! فَحَلَفَ لَهَا بِاللهِ لا يُصِيبُهَا. فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾. قَالَ زَيْدٌ: فَقَوْلُهُ: «أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ». لَغْوٌ. وَهَكَذَا رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا: حَدَّثَنَا يُونُسُ، أخبرنا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَ لَهَا: **«أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ وَاللهِ لا أَطَؤُكِ»**. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ وابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحَرَّمَ فَعُوتِبَ فِي التَّحْرِيمِ، وَأُمِرَ بِالكَفَّارَةِ فِي اليَمِينِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَغَيْرِهِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ نَفْسِهِ. وَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ، مِنْهُمْ الضَّحَّاكُ، وَالحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلُ ابْنُ حَيَّانَ، وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ القِصَّةَ مطولة.

وقال ابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا محمَّد بن إسحاق، عن الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قَالَ: قُلت لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: مَنْ المَرْأَتَانِ؟ قَالَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ.[2] وَكَانَ بَدْءُ الحَدِيثِ فِي شَأْنِ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ القبطية، أَصَابَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ فِي نَوْبَتِهَا، فَوَجَدَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ جِئْتَ إِلَيَّ شَيْئًا مَا جِئْتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي يَوْمِي، وَفِي دَوْرِي، وَعَلَى فِرَاشِي. قَالَ: **«أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أُحَرِّمَهَا فَلا أَقْرَبَهَا؟»**. قَالَتْ: بَلَى. فَحَرَّمَهَا، وَقَالَ: **«لا تَذْكُرِي ذَلِكَ لأَحَدٍ»**. فَذَكَرَتْهُ لِعَائِشَةَ، فَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآيَاتِ، فَبَلَغَنَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَفَّرَ يَمِينَهُ وَأَصَابَ جَارِيَتَهُ. وَقَالَ الهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ فِي «مُسْنَدِهِ»: حدَّثنا أَبُو قِلَابَةَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيّ، حدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَفْصَةَ: **«لا تُخْبِرِي أَحَدًا، وَإِنَّ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيَّ حَرَامٌ»**. فَقَالَتْ: أَتُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ؟ قَالَ: **«فَوَاللهِ لا أَقْرَبُهَا»**. قَالَ: فَلَمْ

---

(١) **صحيح** : أخرجه النسائي (٣٦٥٩)، والحاكم (٢/ ٤٩٣). قال الألباني: صحيح الإسناد.
(٢) **حسن صحيح** : أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٦)، فيه ابن إسحاق: مدلس.

يَقْرَبْهَا حَتَّى أَخْبَرَتْ عَائِشَة. قَال: فَأَنْزَل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾.[1] وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ أَحَد مِنْ أَصْحَاب الكُتُب السِّتَّة، وَقَدْ اخْتَارَهُ الحَافِظ الضِّيَاء المَقْدِسِيّ فِي كِتَابه «المُسْتَخْرَج».

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حدثنَا ابْن عُلَيَّة، حدثنَا هِشَام الدَّسْتُوَائِيّ قَال: كَتَبَ إِلَيَّ يَحْيَى يُحَدِّث عَنْ يَعْلَى بْن حَكِيم، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: أَنَّ ابْن عَبَّاس كَانَ يَقُول فِي الحَرَام: يَمِين تُكَفِّرهَا[2]، وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، يَعْنِي: أَنَّ رَسُول الله ﷺ حَرَّمَ جَارِيَته، فَقَال الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إِلى قَوْله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾، فَكَفَّرَ يَمِينه فَصَيَّرَ الحَرَام يَمِينًا. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ مُعَاذ بْن فَضَالَة، عَنْ هِشَام -هُوَ الدَّسْتُوَائِيّ-، عَنْ يَحْيَى -هُوَ ابْن أَبِي كَثِير-، عَنْ ابْن حَكِيم -وَهُوَ يَعْلَى-، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي الحَرَام: يَمِين تُكَفِّر. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث هِشَام الدَّسْتُوَائِيّ بِهِ. وَقَال النَّسَائِيّ: أخبرنا عَبْد الله بْن عَبْد الصَّمَد بْن عَلِيّ حدَّثَنَا مَخْلد -هو ابْن يَزِيد-، حدثَنَا سُفْيَان عَنْ سَالم، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: أَتَاهُ رَجُل فَقَال: إِنِّي جَعَلت امْرَأَتِي عَلَيَّ حَرَامًا؟ قَال: كَذَبْت لَيْسَ عَلَيْك بِحَرَام، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ عَلَيْك أَغْلَظُ الكَفَّارَات، عِتْق رَقَبَة. تَفَرَّدَ بِهِ النَّسَائِيّ مِنْ هَذَا الوَجْه بِهَذَا اللَّفْظ. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حدَّثَنَا مُحَمَّد بْن زَكَرِيَّا، حدثنَا عَبْد الله بْن رَجَاء، حدثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ مُسْلم، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ قَال: حَرَّمَ رَسُول الله ﷺ سُرِّيَّته. وَمِنْ هَهُنَا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ مِنْ الفُقَهَاء مِمَّنْ قَال بِوُجُوبِ الكَفَّارَة عَلى مَنْ حَرَّمَ جَارِيَته أَوْ زَوْجَته، أَوْ طَعَامًا أَوْ شَرَابًا، أَوْ مَلبَسًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ المُبَاحَات. وَهُوَ مَذْهَب الإِمَام أَحْمَد وَطَائِفَة. وَذَهَبَ الشَّافِعِيّ إِلى أَنَّهُ لا تَجِب الكَفَّارَة فِيمَا عَدَا الزَّوْجَة وَالجَارِيَة، إِذَا حَرَّمَ عَيْنَيْهِمَا أَوْ أَطْلَقَ التَّحْرِيم فِيهِمَا فِي قَوْله، فَأَمَّا إِن نَوَى بِالتَّحْرِيمِ طَلاق الزَّوْجَة أَوْ عِتْق الأَمَة، نَفَذَ فِيهِمَا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْد الله الظَّهْرَانِيّ، أخبرنا حَفْص بْن عُمَر العَدَنِيّ، أخبرنا الحَكَم بْن أَبَان، حدثنا عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ فِي المَرْأَة الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسهَا للنَّبِيِّ ﷺ.[3] وَهَذَا قَوْل غَرِيب. وَالصَّحِيح: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي تَحْرِيمه العَسَل كَمَا قَال البُخَارِيّ عِنْد هَذِهِ الآيَة: حدثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، أخبرنا هِشَام بْن يُوسُف، عَنْ ابْن جُرَيْج، عَنْ عَطَاء، عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يَشْرَب عَسَلًا عِنْد زَيْنَب بِنْت جَحْش، وَيَمْكُث عِنْدهَا، فَتَوَاطَأْت أَنَا وَحَفْصَة عَلى أَيَّتنَا دَخَل عَلَيْهَا فَلتَقُل لهُ: أَكَلت مَغَافِير؟ إِنِّي أَجِد مِنْك رِيح مَغَافِير. قَال: «**لا، وَلكِنِّي كُنْت أَشْرَب عَسَلاً عِنْد زَيْنَب بِنْت جَحْش فَلنْ أَعُود لهُ، وَقَدْ حَلفْت، لا تُخْبِرِي بِذَلكَ أَحَدًا**». ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾[4] هَكَذَا أَوْرَدَ هَذَا الحَدِيث هَهُنَا بِهَذَا اللَّفْظ، وَقَال فِي كِتَاب الأَيْمَان وَالنُّذُور: حدثَنَا الحَسَن بْن مُحَمَّد، حدثَنَا الحَجَّاج، عَنْ ابْن جُرَيْج قَال: زَعَمَ عَطَاء أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْد بْن عُمَيْر يَقُول: سَمِعْت عَائِشَة تَزْعُم: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَمْكُث عِنْد زَيْنَب بِنْت جَحْش وَيَشْرَب عِنْدهَا عَسَلًا، فتواصيتُ أَنَا وَحَفْصَة أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَل عَلَيْهَا النَّبِيّ ﷺ فَلتَقُل: إِنِّي أَجِد مِنْك رِيح مَغَافِير؛ أَكَلْتَ مَغَافِير؟ فَدَخَل عَلى إِحْدَاهُمَا النَّبِيّ ﷺ فَقَالتْ ذَلِكَ لهُ فَقَال: «**لا، بَل شَرِبْت عَسَلاً**

---

(١) **صحيح** : أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣).

(٣) **ضعيف** : فيه حفص بن عمر العدني ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩١٢، ٥٢٦٧، ٦٦٩١)، ومسلم (١٤٧٤).

عِنْد زَيْنَب بِنْت جَحْش، وَلنْ أَعُود لَهُ»، فَنَزَلتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إِلى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لعَائِشَةَ وَحَفْصَة، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقَوْلِهِ: «بَل شَرِبْت عَسَلاً». وَقَال إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، عَنْ هِشَام: «وَلنْ أَعُود لَهُ، وَقَدْ حلفت، فَلا تُخْبِرِي بِذَلكَ أَحَدًا». وَهَكَذَا رَوَاهُ فِي كِتَاب الطَّلَاق بِهَذَا الإِسْنَاد وَلفْظه قَرِيب مِنْهُ. ثُمَّ قَال: المَغَافِير: «شَبِيه بِالصَّمْغ، يَكُون فِي الرِّمْث فِيهِ حَلاوَة، أَغْفَرَ الرِّمْث: إِذَا ظَهَر فِيهِ. وَاحِدهَا مَغْفُور، وَيُقَال: مَغَافِير». وَهَكَذَا قَال الجَوْهَرِي، قَال: «وَقَدْ يَكُون المَغْفُور أَيْضًا للعُشَر وَالثُّمَام وَالسَّلم وَالطَّلح». قَال: وَالرِّمْث، بِالكَسْرِ: مَرْعًى مِنْ مَرَاعِي الإِبِل، وَهُوَ مِنْ الحَمْض. قَال: وَالعُرْفُط: شَجَر مِنْ العِضَاه يَنْضَح المغفُور منه. وَقَدْ رَوَى مُسْلم هَذَا الحَدِيث فِي كِتَاب «الطَّلَاق» مِنْ «صَحِيحه»، عَنْ مُحَمَّد بْن حَاتِم، عَنْ حَجَّاج بن محمد، عَنْ ابْن جُرَيْج، أَخْبَرَنِي عَطَاء، عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر، عَنْ عَائِشَة، بِهِ. وَلفْظه كَمَا أَوْرَدَهُ البُخَارِيّ فِي الأَيْمَان وَالنُّذُور. ثُمَّ قَال البُخَارِيّ[1] فِي كِتَاب الطَّلَاق: حدَّثنا فَرْوَة بْن أَبِي المَغْرَاء، حدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُسْهِر، عَنْ هِشَام ابْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُحِبُّ الحَلوَى وَالعَسَل، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ العَصْر دَخَل عَلى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ. فَدَخَل عَلى حَفْصَة بِنْت عُمَر فَاحْتَبَسَ أَكْثَر مَا كَانَ يَحْتَبِس، فَغِرْت فَسَأَلت عَنْ ذَلكَ، فَقِيل لِي: أَهْدَتْ لهَا امْرَأَة مِنْ قَوْمهَا عُكَّة عَسَل، فَسَقَتْ النَّبِيّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَة، فَقُلت: أَمَا وَالله لنَحْتَالنَّ لهُ. فَقُلت لسَوْدَةَ بِنْت زَمْعَة: إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْك، فَإِذَا دَنَا مِنْك فَقُولِي. أَكَلت مَغَافِير؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لك: لا. فَقُولِي لهُ: مَا هَذِهِ الرِّيح الَّتِي أَجِد؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لك: سَقَتْنِي حَفْصَة شَرْبَة عَسَل. فَقُولِي: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُط. وَسَأَقُولُ ذَلكَ، وَقُولِي لهُ أَنْتِ يَا صَفِيَّة ذَلكَ، قَالتْ: تَقُول سَوْدَة: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلى البَاب، فَأَرَدْت أَنْ أُنادِيه بِمَا أَمَرْتِنِي فَرَقًا مِنْكِ، فَلمَّا دَنَا مِنْهَا قَالتْ لهُ سَوْدَة: يَا رَسُول الله، أَكَلت مَغَافِير؟ قَال: «لا». قَالتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيح الَّتِي أَجِد مِنْك؟ قَال: «سَقَتْنِي حَفْصَة شَرْبَة عَسَل». قَالتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُط. فَلمَّا دَارَ إِليَّ قُلت نَحْو ذَلكَ، فَلمَّا دَارَ إِلى صَفِيَّة قَالتْ لهُ مِثْل ذَلكَ، فَلمَّا دَارَ إِلى حَفْصَة قَالتْ لهُ: يَا رَسُول الله، أَلا أَسْقِيك مِنْهُ؟ قَال: «لا حَاجَة لي فِيهِ». قَالتْ: تَقُول سَوْدَة: والله لقَدْ حَرَمْنَاهُ. قُلت لهَا: اسْكُتِي. هَذَا لفْظ البُخَارِيّ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم عَنْ سُوَيْد بْن سَعِيد، عَنْ عَلِيّ بْن مُسْهِر، بِهِ. وَعَنْ أَبِي كُرَيْب وَهَارُون بْن عَبْد الله وَالحَسَن بْن بِشْر، ثَلاثَتهمْ عَنْ أَبِي أُسَامَة حَمَّاد ابْن أُسَامَة، عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة، بِهِ. وَعِنْده: قَالتْ: وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَشْتَدّ عَليْهِ أَنْ يُوجَد مِنْهُ الرِّيح -يَعْنِي: الرِّيح الخَبِيثَة- وَلهَذَا قُلنَ لهُ: أَكَلت مَغَافِير، لأَنَّ رِيحهَا فِيهِ شَيْء. فَلمَّا قَال: «بَل شَرِبْت عَسَلاً». قُلنَ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُط. أَيْ: رَعَتْ نَحْلُهُ شَجَر العُرْفُط الَّذِي صَمْغه المَغَافِير، فَلهَذَا ظَهَرَ رِيحه فِي العَسَل الَّذِي شَرِبْته.

قَال الجَوْهَرِيّ: جَرَسَتْ النَّحْلُ العُرْفُطَ تَجْرِس: إِذَا أَكَلتْهُ، وَمِنْهُ قِيل للنَّحْل: جَوَارِسُ، قَال الشَّاعِر:

تَظَلّ عَلى الثَّمْرَاء مِنْهَا جَوَارِسُ

وَقَال: الجَرْس وَالجِرْس: الصَّوْت الخَفِيّ. وَيُقَال: سَمِعْت جَرْس الطَّيْر: إِذَا سَمِعْت صَوْت مَنَاقِيرهَا عَلى شَيْء تَأْكُلُهُ، وَفِي الحَدِيث: «فَيَسْمَعُونَ جَرْس طَيْر الجَنَّة». قَال الأَصْمَعِيّ: كُنْت فِي مَجْلس شُعْبَة قَال: «فَيَسْمَعُونَ جَرْش طَيْر الجَنَّة» بِالشِّين، فَقُلت: «جَرْس» فَنظَرَ إِليَّ وقال: خُذُوهَا عَنْهُ، فَإِنَّهُ أَعْلم بِهَذَا مِنَّا. وَالغَرَض أَنَّ هَذَا السِّيَاق فِيهِ: أَنَّ حَفْصَة هِيَ السَّاقِيَة للعَسَل، وَهُوَ مِنْ طَرِيق هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالته عَائِشَة. وَفِي طَرِيق ابْن جُرَيْج، عَنْ عَطَاء عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر، عَنْ عَائِشَة: أَنَّ زَيْنَب بِنْت جَحْش هِيَ الَّتِي سَقَتْهُ العَسَل، وَأَنَّ عَائِشَة وَحَفْصَة تَوَاطَأَتَا وَتَظَاهَرَتَا عَليْهِ، فَالله أَعْلم. وَقَدْ يُقَال: إِنَّهُمَا وَاقِعَتَانِ، وَلا بُعْد فِي ذَلكَ، إِلَّا أَنَّ كَوْنهمَا سَبَبًا لنُزُول هَذِهِ الآيَة فِيهِ نَظَر، وَالله أَعْلم.

---

(١) رقم (٤٩٦٧).

وَمِمَّا يَدُلّ عَلى أَنَّ عَائِشَة وَحَفْصَة رضي الله عنهما هُمَا المُتَظَاهِرَتَانِ الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَده حَيْثُ قَال: ثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الله بْن أَبِي ثَوْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَمْ أَزَل حَرِيصًا عَلى أَنْ أَسْأَل عُمَر عَنْ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ اللَّتَيْنِ. قَال الله تَعَالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حَتَّى حَجَّ عُمَر وَحَجَجْت مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيق عَدَل عُمَر وَعَدَلت مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ ثُمَّ أَتَانِي، فَسَكَبْت عَلى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلت: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ، مَنْ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ اللَّتَانِ قَال الله تَعَالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فَقَال عُمَر: وَاعَجَبًا لك يَا ابْن عَبَّاس قَال الزُّهْرِيّ: كَرِهَ وَالله مَا سَأَلهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ قَال: هِيَ عَائِشَة وَحَفْصَة. قَال: ثُمَّ أَخَذَ يَسُوق الحَدِيث قَال: كُنَّا مَعْشَر قُرَيْش قَوْمًا نَغْلب النِّسَاء، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَة وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، قَال: وَكَانَ مَنْزِلِي فِي دَار أُمَيَّة بْن زَيْد بِالعَوَالِي، قَال: فَغَضِبْت يَوْمًا عَلى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْت أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالتْ: مَا تُنْكِر أَنْ أُرَاجِعَك؟ فَوَالله إِنَّ أَزْوَاج رَسُول الله ﷺ ليُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرهُ إِحْدَاهُنَّ اليَوْم إِلى اللَّيْل. قَال: فَانْطَلقْت فَدَخَلت عَلى حَفْصَة فَقُلت: أَتُرَاجِعِينَ رَسُول الله ﷺ؟! قَالتْ: نَعَمْ. قُلت: وَتَهْجُرهُ إِحْدَاكُنَّ اليَوْم إِلى اللَّيْل؟! قَالتْ: نَعَمْ. قُلت: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَل ذَلكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَب الله عَليْهَا لغَضَبِ رَسُوله، فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلكَتْ؟! لا تُرَاجِعِي رَسُول الله ﷺ وَلا تَسْأَليهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مِنْ مَالِي مَا بَدَا لك، وَلا يَغُرَّنَّكِ إِنْ كَانَتْ جَارَتك هِيَ أَوْسَمَ - أَيْ أَجْمَل - وَأَحَبَّ إِلى رَسُول الله ﷺ مِنْكِ -يُرِيد عَائِشَة- قَال: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنْ الأَنْصَار، وَكُنَّا نَتَنَاوَب النُّزُول إِلى رَسُول الله ﷺ يَنْزِل يَوْمًا وَأَنْزِل يَوْمًا، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الوَحْي وَغَيْره، وَآتِيه بِمِثْل ذَلكَ. وَقَال: وَكُنَّا نَتَحَدَّث أَنَّ غَسَّان تُنْعِل الخَيْل لتَغْزُونَا، فَنَزَل صَاحِبِي يَوْمًا ثُمَّ أَتَى عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي، فَخَرَجْت إِليْهِ فَقَال: حَدَثَ أَمْر عَظِيم! فَقُلت: وَمَا ذَاكَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّان؟ قَال: لا، بَل أَعْظَم مِنْ ذَلكَ وَأَطْوَل! طَلَّقَ رَسُول الله ﷺ نِسَاءَهُ، فَقُلت: قَدْ خَابَتْ حَفْصَة وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْت أَظُنّ هَذَا كَائِنًا. حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْح شَدَدْت عَليَّ ثِيَابِي ثُمَّ نَزَلت، فَدَخَلت عَلى حَفْصَة وَهِيَ تَبْكِي فَقُلت: أَطَلَّقَكُنَّ رَسُول الله ﷺ؟ فَقَالتْ: لا أَدْرِي، هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ المَشْرُبَة. فَأَتَيْت غُلامًا لهُ أَسْوَد فَقُلت: اسْتَأْذِنْ لعُمَرَ. فَدَخَل الغُلام ثُمَّ خَرَجَ إِليَّ فَقَال: ذكرتك لهُ فَصَمَتَ. فَانْطَلقْت حَتَّى أَتَيْت المِنْبَر، فَإِذَا عِنْده رَهْط جُلُوس يَبْكِي بَعْضهمْ، فَجَلسْت عِنْده قَليلًا، ثُمَّ غَلبَنِي مَا أَجِد، فَأَتَيْت الغُلام فَقُلت: اسْتَأْذِنْ لعُمَر. فَدَخَل ثُمَّ خَرَجَ إِليَّ فَقَال: قَدْ ذَكَرْتُك لهُ فَصَمَتَ. فَخَرَجْت فَجَلسْت إِلى المِنْبَر، ثُمَّ غَلبَنِي مَا أَجِد فَأَتَيْت الغُلام فَقُلت: اسْتَأْذِنْ لعُمَر. فَدَخَل ثُمَّ خَرَجَ إِليَّ فَقَال: قَدْ ذَكَرْتُك لهُ فَصَمَتَ. فَوَلَّيْت مُدْبِرًا، فَإِذَا الغُلام يَدْعُونِي فَقَال: ادْخُل، قَدْ أَذِنَ لك. فَدَخَلت فَسَلَّمْت عَلى رَسُول الله ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَكِئ عَلى رِمَال حَصِير.

قَال الإِمَام أَحْمَد: وَحَدَّثَنَاهُ يَعْقُوب فِي حَدِيث صَالح قَال: رُمَال حَصِير قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبه، فَقُلت: أَطَلَّقْت يَا رَسُول الله نِسَاءَك؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِليَّ وَقَال: «لا». فَقُلت: الله أَكْبَر، لوْ رَأَيْتنَا يَا رَسُول الله وَكُنَّا مَعْشَر قُرَيْش قَوْمًا نَغْلب النِّسَاء، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَة وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَغَضِبْت عَلى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعنِي، فَأَنْكَرْت أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالتْ: مَا تُنْكِر أَنْ أُرَاجِعَك؟ فوالله إِنَّ أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ ليُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرهُ إِحْدَاهُنَّ اليَوْم إِلى اللَّيْل. فَقُلت: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَل ذَلكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَب الله عَليْهَا لغَضَبِ رَسُوله، فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلكَتْ. فَتَبَسَّمَ رَسُول الله ﷺ فَقُلت: يَا رَسُول الله، فدخلت عَلى حَفْصَة فَقُلت: لا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتك هِيَ أَوْسَم -أَوْ: أَحَبّ- إِلى رَسُول الله ﷺ مِنْكِ. فَتَبَسَّمَ أُخْرَى. فَقُلت: أَسْتَأْنِس يَا رَسُول الله؟ قَال: «نَعَمْ». فَجَلسْت فَرَفَعْت رَأْسِي فِي البَيْت، فوالله مَا رَأَيْت فِي البَيْت شَيْئًا يَرُدُّ البَصَر إِلَّا أَهبةٌ ثلاثة فَقُلت: ادْعُ الله يَا رَسُول الله أَنْ يُوَسِّع عَلى أُمَّتك، فَقَدْ وَسَّعَ عَلى فَارِس وَالرُّوم، وَهُمْ لا

يَعْبُدُونَ اللهَ. فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا بن الخَطَّاب؟! أُولئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتهمْ فِي الحَيَاة الدُّنْيَا**». فَقُلت: اسْتَغْفِرْ لي يَا رَسُول الله. وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لا يَدْخُل عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّة مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حَتَّى عَاتَبَهُ الله ﷻ. وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ طُرُق، عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ. وَأَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيث يَحْيَى بْن سَعِيد الأَنْصَارِيّ، عَنْ [سَعِيد بْن حُنَين][1]، عَنْ ابْن عَبَّاس قَالَ: مَكَثْت سَنَة أُرِيد أَنْ أَسْأَل عُمَر بْن الخَطَّاب عَنْ آيَة، فَمَا أَسْتَطِيع أَنْ أَسْأَلهُ هَيْبَة لهُ، حَتَّى خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْت مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيق، عَدَل إِلى الأَرَاك لحَاجَةٍ لهُ، قَال: فَوَقَفْت حَتَّى فَرَغَ، ثُمَّ سِرْت مَعَهُ، فَقُلت: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ، مَنْ المرأتان اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلى النَّبِيّ ﷺ؟ هَذَا لفْظ البُخَارِيّ، وَلمُسْلم: مَنْ المَرْأَتَانِ اللَّتَانِ قَال الله تَعَالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾؟ قَال: عَائِشَة وَحَفْصَة.[2] ثُمَّ سَاقَ الحَدِيث بِطُولِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَهُ.

وَقَال مُسْلم أَيْضًا: حَدَّثَنِي زُهَيْر بْن حَرْب، حَدَّثَنَا عُمَر بْن يُونُس الحَنَفِيّ، ثَنَا عِكْرِمَة بْن عَمَّار، عَنْ سِمَاك بْن الوَليد -أَبِي زُمَيْل-، حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن عَبَّاس، حَدَّثَنِي عُمَر بْن الخَطَّاب قَال: لمَّا اعْتَزَل نَبِيّ الله ﷺ نِسَاءَهُ، دَخَلت المَسْجِد فَإِذَا النَّاس يَنْكُتُونَ بِالحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُول الله ﷺ نِسَاءَهُ! وَذَلكَ قَبْل أَنْ يُؤْمَر بِالحِجَابِ. فَقُلت: لأَعْلمَنَّ ذَلكَ اليَوْم... فَذَكَرَ الحَدِيث فِي دُخُوله عَلى عَائِشَة وَحَفْصَة، وَوَعْظه إِيَّاهُمَا، إِلى أَنْ قَال: فَدَخَلت فَإِذَا أَنَا بِرَبَاح غُلام رَسُول الله ﷺ عَلى أُسْكُفَّة المَشْرُبَة، فَنَادَيْت فَقُلت: يَا رَبَاح، اسْتَأْذِنْ لي عَلى رَسُول الله ﷺ فَذَكَرَ نَحْو مَا تَقَدَّمَ، إِلى أَنْ قَال: فَقُلت: يَا رَسُول الله، مَا يَشُقّ عَليْك مِنْ أَمْر النِّسَاء، فَإِنْ كُنْت طَلَّقْتهنَّ فَإِنَّ الله مَعَك وَمَلائِكَته وَجِبْرِيل وَمِيكَائِيل، وَأَنَا وَأَبُو بَكْر وَالمُؤْمِنُونَ مَعَك، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْت -وَأَحْمَد الله- بِكَلام إِلَّا رَجَوْت أَنْ يَكُون الله يُصَدِّق قَوْلي، ونَزَلتْ هَذِهِ الآيَة، آيَة التَّخْيِير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فَقُلت: أَطَلَّقْتهُنَّ؟ قَال: «لا»... فَقُمْت عَلى بَاب المَسْجِد فَنَادَيْت بِأَعْلى صَوْتِي: لمْ يُطَلِّقْ نِسَاءَهُ، وَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ فَكُنْت أَنَا اسْتَنْبَطْت ذَلكَ الأَمْر.[3] وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَعِكْرِمَة، وَمُقَاتِل بْن حَيَّان، وَالضَّحَّاك، وَغيْرهمْ ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾: أَبُو بَكْر وَعُمَر، زَادَ الحَسَن البَصْرِيّ: وَعُثْمَان. وقَال ليْث بْن أَبِي سُليْم، عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قَال: عَليّ بْن أَبِي طَالب.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَليّ بْن الحُسَيْن حدثنا مُحَمَّد بْن أَبِي عُمَر حدثنا مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن مُحَمَّد بن عليّ ابْن الحُسَيْن قَال: أَخْبَرَنِي رَجُل ثِقَة يَرْفَعهُ إِلى عَليّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ قَوْله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قَال: «هُوَ عَليّ بْن أَبِي طَالب»[4]. إِسْنَاده ضَعِيف، وَهُوَ مُنْكَر جِدًّا. وَقَال البُخَارِيّ: حدثنَا عَمْرو بْن عَوْن، حدثنَا هُشَيْم، عَنْ حُمَيْد، عَنْ أَنَس، قَال: قَال عُمَر: اجْتَمَعَ نِسَاء النَّبِيّ ﷺ فِي الغَيْرَة عَليْهِ، فَقُلت لهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾[5] فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ وَافَقَ القُرْآن فِي أَمَاكِن، مِنْهَا فِي نُزُول الحِجَاب، وَمِنْهَا فِي أُسَارَى بَدْر، وَمِنْهَا قَوْله: لوْ اتَّخَذْت مِنْ مَقَام إِبْرَاهِيم مُصَلًّى؟ فَأَنْزَل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثنَا أَبِي حَدَّثَنَا الأَنْصَارِيّ، حدثنَا حُمَيْد، عَنْ أَنَس قَال: قَال عُمَر بْن الخَطَّاب: بَلغَنِي شَيْء كَانَ بَيْن أُمَّهَات المُؤْمِنِينَ وَبَيْن النَّبِيّ ﷺ فَاسْتَقْرَيْتهنَّ أَقُول: لتَكُفُّنَّ عَنْ رَسُول الله ﷺ، أَوْ

---

(١) في الأزهرية: [عبيد بن حنين].
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٧٩).
(٤) **منكـر**: بإسناده مجهول.
(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٦).

لِيُبَدِّلَنَّهُ اللهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، حَتَّى أَتَيْت عَلَى آخِر أُمَّهَات الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَتْ: يَا عُمَر، أَمَا لِي بِرَسُول الله مَا يَعِظ نِسَاءَهُ، حَتَّى تَعِظَهُنَّ؟! فَأَمْسَكْت، فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[1]. وَهَذِهِ الْمَرْأَة الَّتِي رَدَّتْهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ وَعْظ النِّسَاء: هِيَ أُمّ سَلَمَة، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيح الْبُخَارِيّ».

وَقَالَ الطَّبَرَانِيّ: حدثنَا إِبْرَاهِيم بْن نَائِلَة الأَصْبَهَانِيّ، حدثنَا إِسْمَاعِيل الْبَجَلِيّ، حدثنَا أَبُو عَوَانَة، عَنْ أَبِي سِنَان، عَنْ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قَالَ: دَخَلَتْ حَفْصَة عَلَى النَّبِيّ ﷺ فِي بَيْتهَا وَهُوَ يَطَأ مَارِيَة، فَقَالَ لَهَا رَسُول الله ﷺ: «لا تُخْبِرِي عَائِشَة حَتَّى أُبَشِّرك بِبِشَارَةٍ، فإن أَبَاك يَلِي الأَمْر مِنْ بَعْد أَبِي بَكْر إِذَا أَنَا مُتّ». فَذَهَبَتْ حَفْصَة فَأَخْبَرَتْ عَائِشَة، فَقَالَتْ عَائِشَة لِرَسُولِ الله ﷺ: مَنْ أَنْبَأَك هَذَا؟ قَالَ: ﴿نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾. فَقَالَتْ عَائِشَة: لا أَنْظُر إِلَيْك حَتَّى تُحَرِّم مَارِيَة. فَحَرَّمَهَا، فَأَنْزَلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.[2] إِسْنَاده فِيهِ نَظَر، وَقَدْ تَبَيَّنَ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ تَفْسِير هَذِهِ الآيَات الْكَرِيمَات. وَمَعْنَى قَوْله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ ظَاهِر.

وَقَوْله: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾، أَيْ: صَائِمَات، قَالَهُ أَبُو هُرَيْرَة، وَعَائِشَة، وَابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَطَاء، وَمُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ، وَأَبُو عَبْد الرَّحْمَن السُّلَمِيّ، وَأَبُو مَالِك، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وَالْحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرهمْ، وَتَقَدَّمَ فِيهِ حَدِيث مَرْفُوع عِنْد قَوْله: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ مِنْ سُورَة «بَرَاءَة» وَلَفْظه: «**سِيَاحَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ الصِّيَام**»[3]. وَقَالَ زَيْد بْن أَسْلَمَ، وَابْنُهُ عَبْد الرَّحْمَن: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾، أَيْ: مُهَاجِرَات: وَتَلا عَبْد الرَّحْمَن: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾، أَيْ: الْمُهَاجِرُونَ، وَالْقَوْل الأَوَّل أَوْلَى، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، أَيْ: مِنْهُنَّ ثَيِّبَات، وَمِنْهُنَّ أَبْكَارًا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشْهَى إِلَى النُّفُوس، فَإِنَّ التَّنَوُّع يُبْسِط النَّفْس، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾. وَقَالَ أَبُو الْقَاسِم الطَّبَرَانِيّ فِي «مُعْجَمه الْكَبِير»: حدثنَا أَبُو بَكْر ابْن صَدَقَة، حدثنَا مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن مَرْزُوق، حدثنَا عَبْد الله بْن أُمَيَّة، حدثنَا عَبْد الْقُدُّوس، عَنْ صَالِح بْن حَيَّان عَنْ ابْن بُرَيْدَة، عَنْ أَبِيهِ: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ قَالَ: وَعَدَ الله نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الآيَة أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَالثَّيِّب آسِيَة امْرَأَة فِرْعَوْن، وَبِالأَبْكَارِ مَرْيَم بِنْت عِمْرَان. وَذَكَرَ الْحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة «مَرْيَم عَلَيْهَا السَّلام»، مِنْ طَرِيق سُوَيْد ابْن سَعِيد: حدثنَا مُحَمَّد بْن صَالِح بْن عُمَر، عَنْ الضَّحَّاك وَمُجَاهِد، عَنْ ابْن عُمَر قَالَ: جَاءَ جِبْرِيل إِلَى رَسُول الله ﷺ بِمَوْتِ خَدِيجَة فَقَالَ: إِنَّ الله يُقْرِئُهَا السَّلام، وَيُبَشِّرُهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّة مِنْ قَصَب، بَعِيد مِنْ اللَّهَب، لا نَصَب فِيهِ وَلا صَخَب، مِنْ لُؤْلُؤَة جَوْفَاء بَيْن بَيْت مَرْيَم بِنْت عِمْرَان وَبَيْت آسِيَة بِنْت مُزَاحِم.[4]

وَمِنْ حَدِيث أَبِي بَكْر الْهُذَلِيّ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ دَخَلَ عَلَى خَدِيجَة وَهِيَ فِي الْمَوْت، فَقَالَ: «يَا خَدِيجَة، إِذَا لَقِيت ضَرَائِرَك فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّي السَّلام». فَقَالَتْ: يَا رَسُول الله، وَهَل تَزَوَّجْت قَبْلِي؟ قَالَ: «لا، وَلَكِنَّ الله زَوَّجَنِي مَرْيَم بِنْتَ عِمْرَان، وَآسِيَةَ امْرَأَة فِرْعَوْن، وَكَلْثَمَ أُخْت مُوسَى». ضَعِيف أَيْضًا. وَقَالَ أَبُو يَعْلَى: حدثنَا إِبْرَاهِيم بْن عُرْعُرَة. حدثنَا عَبْد النُّور بْن عَبْد الله، حدثنَا يُوسُف بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِي أُمَامَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَعَلِمْتَ أَنَّ اللهَ زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَكَلْثَمَ أُخْتَ مُوسَى، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ؟**». فَقُلْت: هَنِيئًا لَك يَا رَسُول الله.[5] وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيف، وَرُوِيَ مُرْسَلًا عَنْ ابْن أَبِي دَاوُد.

---

(١) **صحيح**: تقدم.
(٢) **ضعيف**: أخرجه الطبراني (١٢/ ١١٧/ ١٢٦٤٠) بإسناد منقطع.
(٣) **حسن**: تقدم.
(٤) **ضعيف**.
(٥) **منكر**: فيه يوسف بن شعيب. قال البخاري: منكر الحديث.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَنْ مَنْصُور، عَنْ رَجُل، عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، يَقُول: أَدِّبُوهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يَقُول: اعْمَلُوا بِطَاعَةِ الله، وَاتَّقُوا مَعَاصِيَ الله، وَأْمُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ، يُنْجِيكُمْ الله مِنْ النَّار. وَقَال مُجَاهِد: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قَال: اتَّقُوا الله وَأَوْصُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى الله. وَقَال قَتَادَة: يَأْمرهم بِطَاعَةِ الله، ويَنْهاهم عَنْ مَعْصِيَة الله، وَأَنْ يَقُوم عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ الله ويأمُرُهم بِهِ ويُسَاعدهم عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْت لله مَعْصِيَة، قَدَعتهم عَنْهَا وَزَجَرْتهمْ عَنْهَا. وَهَكَذَا قَال الضَّحَّاك وَمُقَاتِل: حَقّ على المُسْلم أَنْ يُعَلِّم أَهْله مِنْ قَرَابَته وَإِمَائِهِ وَعَبِيده مَا فَرَضَ الله عَلَيْهِمْ وَمَا نَهَاهُمْ الله عَنْهُ.

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الآيَة الحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الإمام أَحْمَد، وَأَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ، مِنْ حَدِيث عَبْد المَلك ابْن الرَّبِيع بْن سَبْرَة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مُرُوا الصَّبِيّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغ سَبْع سِنِينَ فَإِذَا بَلَغ عَشْر سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا**»[1]. هَذَا لَفْظ أَبِي دَاوُد، وَقَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث حَسَن. وَرَوَى أَبُو دَاوُد، مِنْ حَدِيث عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه، عَنْ النبيّ ﷺ مِثْل ذَلِكَ. قَال الفُقَهَاء: وَهَكَذَا فِي الصَّوْم، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَمْرِينًا لهُ عَلى العِبَادَة لكَيْ يَبْلُغ وَهُوَ مُسْتَمِرّ عَلى العِبَادَة وَالطَّاعَة وَمُجَانَبَة المعصية وَتَرْك المُنْكَر، وَالله المُوَفِّق.

وَقَوْله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وَقُودهَا: أَيْ حَطَبهَا الَّذِي يُلقَى فِيهِ جُثَث بَنِي آدَم، ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قِيل: المُرَاد بذلك الأَصْنَام الَّتِي تُعْبَد؛ لقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. وَقَال ابْن مَسْعُود، وَمُجَاهِد، وَأَبُو جَعْفَر البَاقِر، وَالسُّدِّيّ: هِيَ حِجَارَة مِنْ كِبْرِيت. زَادَ مُجَاهِد: أَنْتَن مِنْ الجِيفَة، وَرَوَى ذَلكَ ابْن أَبِي حَاتِم رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم قَال: حدثَنَا أَبِي، حدثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن سِنَان المِنْقَرِيّ حدثَنَا عَبْد العَزِيز -يَعْنِي: ابْن أَبِي روَّاد- قَال: بَلغَنِي أَنَّ رَسُول الله ﷺ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وَعِنْده بَعْض أَصْحَابه، وَفِيهِمْ شَيْخ، فَقَال الشَّيْخ: يَا رَسُول الله، حِجَارَة جَهَنَّم كَحِجَارَةِ الدُّنْيَا؟ فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَصَخْرَة مِنْ صَخْر جَهَنَّم أَعْظَم مِنْ جِبَال الدُّنْيَا كُلّهَا». قَال: فَوَقَعَ الشَّيْخ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَوَضَعَ النَّبِيّ ﷺ يَده عَلى فُؤَاده فَإِذَا هُوَ حَيّ فَنَادَاهُ، قَال: «يَا شَيْخ، قُل: لا إِله إِلَّا الله». فَقَالهَا، فَبَشَّرَهُ بِالجَنَّةِ، قَال: فَقَال أَصْحَابه: يَا رَسُول الله، أَمِنْ بَيْنِنَا؟ قَال: «نَعَمْ، يَقُول الله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾»[2]. هَذَا حَدِيث مُرْسَل غَرِيب.

وَقَوْله: ﴿عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، أَيْ: طِبَاعهمْ غَلِيظَة، قَدْ نُزِعَتْ مِنْ قُلُوبهمْ الرَّحْمَة بِالكَافِرِينَ بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أَيْ: تَرْكِيبهمْ فِي غَايَة الشِّدَّة وَالكَثَافَة وَالمَنْظَر المُزْعِج.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا أَبِي، حدثَنَا سَلمَة بْن شَبِيب، حدثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الحَكَم بْن أَبَانَ، حدثَنَا أَبِي، عَنْ عِكْرِمَة أَنَّهُ قَال: إِذَا وَصَل أَوَّل أَهْل النَّار إِلى النَّار، وَجَدُوا عَلى البَاب أَرْبَعمِائَةِ أَلف مِنْ خَزَنَة جَهَنَّم، سُود

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٤٠٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٦٥).

(٢) **مرسل**.

وُجُوههمْ، كَالحَة أَنْيَابهمْ قَدْ نَزَعَ الله مِنْ قُلُوبهمْ الرَّحْمَة لَيْسَ فِي قَلْب وَاحِد مِنْهُمْ مِثْقَال ذَرَّة مِنْ الرَّحْمَة، لوْ طُيِّرَ الطَّيْر مِنْ مَنْكِب أَحَدهمْ لطَارَ شَهْرَيْنِ قَبْل أَنْ يَبْلُغ مَنْكِبَهُ الآخر، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلى البَاب التِّسْعَةَ عَشَرَ، عَرْض صَدْر أَحَدهمْ سَبْعُونَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوُونَ مِنْ بَاب إِلى بَاب خَمْسِمِائَةِ سَنَة، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلى كُلّ بَاب مِنْهَا مِثْل مَا وَجَدُوا عَلى البَاب الأَوَّل، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلى آخِرهَا.(١)

وَقَوْله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أَيْ: مَهْمَا أَمَرَهُمْ بِهِ تَعَالى يُبَادِرُوا إِلَيْهِ، لا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ طَرْفَة عَيْن، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلى فِعْله لَيْسَ بِهِمْ عَجْز عَنْهُ، وَهَؤُلاءِ هُمْ الزَّبَانِيَة -عِيَاذًا بالله مِنْهُمْ-. وَقَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أَيْ: يُقَال للكَفَرَةِ يَوْم القِيَامَة: لا تَعْتَذِرُوا فَإِنَّهُ لا يُقْبَل مِنْكُمْ، وَإِنَّمَا تُجْزَوْنَ اليَوْم بِأَعْمَالكُمْ. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أَيْ: تَوْبَة صَادِقَة جَازِمَة، تَمْحُو مَا قَبْلهَا مِنْ السَّيِّئَات وَتَلُمّ شَعَثَ التَّائِب وَتَجْمَعُهُ، وَتَكُفُّهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنْ الدَّنَاءَات.

قَال ابْن جَرِير: حدثَنَا ابْن مُثَنَّى، حدثَنَا مُحَمَّد، حدثَنَا شُعْبَة، عَنْ سِمَاك بْن حَرْب، سَمِعْت النُّعْمَان بْن بَشِير يَخْطُب: سَمِعْت عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ يَقُول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، قَال: يُذْنِب الذَّنْب ثُمَّ لا يَرْجِع فِيهِ. وَقَال الثَّوْرِيّ: عَنْ سِمَاك، عَنْ النُّعْمَان، عَنْ عُمَر قَال: التَّوْبَة النَّصُوح: أَنْ يَتُوب مِنْ الذَّنْب ثُمَّ لا يَعُود فِيهِ، أَوْ لا يُرِيد أَنْ يَعُود فِيهِ. وَقَال أَبُو الأَحْوَص وَغَيْره: عَنْ سِمَاك، [عَنْ](٢) النُّعْمَان: سُئِل عُمَر عَنْ التَّوْبَة النَّصُوح، فَقَال: أَنْ يَتُوب الرَّجُل مِنْ العَمَل السَّيِّئ، ثُمَّ لا يَعُود إِلَيْهِ أَبَدًا.

وَقَال الأَعْمَش: عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي الأَحْوَص، عَنْ عَبْد الله: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، قَال: يَتُوب ثُمَّ لا يَعُود، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَرْفُوعًا، فَقَال الإِمَام أَحْمَد: حدثَنَا عَلِيُّ بْن عَاصِم، عَنْ إِبْرَاهِيم الهَجْرِيّ، عَنْ أَبِي الأَحْوَص، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «التَّوْبَة مِنْ الذَّنْب أَنْ يَتُوب مِنْهُ، ثُمَّ لا يَعُود فِيهِ»(٣) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد مِنْ طَرِيق إِبْرَاهِيم بْن مُسْلم الهَجَرِيّ، وَهُوَ ضَعِيف، وَالمَوْقُوف أَصَحّ، وَالله أَعْلم.

وَلهَذَا قَال العُلَمَاء: التَّوْبَة النَّصُوح: هُوَ أَنْ يُقْلع عَنْ الذَّنْب فِي الحَاضِر، وَيَنْدَم عَلى مَا سَلفَ مِنْهُ فِي المَاضِي، وَيَعْزِم عَلى أَنْ لا يَفْعَل فِي المُسْتَقْبَل، ثُمَّ إِنْ كَانَ الحَقّ لآدَمِيٍّ رَدَّهُ إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِ. قَال الإِمَام أَحْمَد: حدثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَبْد الكَرِيم، أَخْبَرَنِي زِيَاد بْن أَبِي مَرْيَم، عَنْ عَبْد الله بْن مُغَفَّل قَال: دَخَلت مَعَ أَبِي عَلى عَبْد الله بْن مَسْعُود فَقَال: أَنْتَ سَمِعْت النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «النَّدَم تَوْبَة؟». قَال: نَعَمْ.(٤) وَقَال مَرَّة: نَعَمْ سَمِعْته يَقُول: «النَّدَم تَوْبَة؟». وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ، عَنْ هِشَام بْن عَمَّار، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، عَنْ عَبْد الكَرِيم وَهُوَ ابْن مَالك الجَزَرِيّ بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: ثَنَا الحَسَن بْن عَرَفَة، حَدَّثَنِي الوَلِيد بْن بُكَيْر أَبُو خبَّاب عَنْ عَبْد الله بْن مُحَمَّد العدوي، عَنْ أَبِي سِنَان البَصْرِيّ، عَنْ أَبِي قِلابَة، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب قَال: قِيل لنَا أَشْيَاء تَكُون فِي آخِر هَذِهِ الأُمَّة عِنْد اقْتِرَاب السَّاعَة، مِنْهَا: نِكَاح الرَّجُل امْرَأَته أَوْ أَمَته فِي دُبُرهَا، وَذَلكَ مِمَّا حَرَّمَ الله وَرَسُوله، وَيَمْقُت الله عَليْهِ وَرَسُوله. وَمِنْهَا نِكَاح الرَّجُل الرَّجُل، وَذَلكَ مِمَّا حَرَّمَ الله وَرَسُوله، وَيَمْقُت الله عَليْهِ وَرَسُوله. وَمِنْهَا نِكَاح المَرْأَة المَرْأَة، وَذَلكَ مِمَّا حَرَّمَ الله وَرَسُوله، وَيَمْقُت الله عَليْهِ وَرَسُوله. وَليْسَ لهَؤُلاءِ صَلاة مَا أَقَامُوا عَلى هَذَا، حَتَّى يَتُوبُوا إِلى الله تَوْبَة نَصُوحًا.(٥)

---

(١) **مرسل ضعيف.**

(٢) في الأزهرية: [هو].

(٣) **ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ٤٤٦) بسند ضعيف.

(٤) **صحيح** : أخرجه أحمد (١/ ٣٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٨٠٢).

(٥) **ضعيف جدًا** : فيه عبد الله بن محمد العدوي: متروك الحديث.

قَال زِرّ: فَقُلت لأُبَيِّ بْن كَعْب: فَمَا التَّوْبَة النَّصُوح؟ فقَال: سَأَلت عَنْ ذَلكَ رَسُول الله ﷺ فقَال: «**هُوَ النَّدَم عَلى الذَّنْب حِين يَفرِط مِنْك، فتَسْتَغْفِر الله بِنَدَامَتِك مِنْهُ عِنْد الحَاضِر، ثُمَّ لا تَعُود إِلَيْهِ أَبَدًا**».

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا أَبِي، حدثنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، حدثَنَا عَبَّاد بْن عَمْرو، حدثنَا أَبُو عَمْرو ابْن العَلاء، سَمِعْت الحَسَن يَقُول: التَّوْبَة النَّصُوح: أَنْ تُبْغِض الذَّنْب كَمَا أَحْبَبْته، وَتَسْتَغْفِرَ مِنْهُ إِذَا ذَكَرْته. فَأَمَّا إِذَا جَزَمَ بِالتَّوْبَةِ وَصَمَّمَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ الخَطِيئَات، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح: «**الإِسْلام يَجُبّ مَا قَبْله، وَالتَّوْبَة تَجُبّ مَا قَبْلهَا**»[1]. وَهَل مِنْ شَرْط التَّوْبَة النَّصُوح الاسْتِمْرَار عَلى ذَلكَ إِلى المَمات، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الحَدِيث وَفِي الأَثَر: «**لا يَعُود فِيهِ أَبَدًا**». أَوْ يَكْفِي العَزْم عَلى أَنْ لا يَعُود فِي تَكْفِير المَاضِي، بِحَيْثُ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ ذَلكَ الذَّنْب بَعْد ذَلكَ لا يَكُون ذَلكَ ضَارًّا فِي تَكْفِير مَا تَقَدَّمَ، لِعُمُومِ قَوْله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**التَّوْبَة تَجُبّ مَا قَبْلهَا**»؟ وَللأَوَّل أَنْ يَحْتَجّ بِمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح» أَيْضًا: «**مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلام لَمْ يُؤَاخَذ بِمَا عَمِل فِي الجَاهِلِيَّة، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلام أُخِذَ بِالأَوَّل وَالآخِر**»[2]. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الإِسْلام الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْ التَّوْبَة، فَالتَّوْبَة بِطَرِيقِ الأَوْلى، وَالله أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، وَ«عَسَى» مِنْ الله مُوجِبَة، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾، أَيْ: وَلا يُخْزِيهِمْ مَعَهُ يَعْنِي يَوْم القِيَامَة، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة الحَدِيد، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. قَال مُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَالحَسَن البَصْرِيّ، وَغَيْرهمْ: هَذَا يَقُولهُ المُؤْمِنُونَ حِين يَرَوْنَ يَوْم القِيَامَة نُور المُنَافِقِينَ قَدْ طُفِئَ.

وَقَال مُحَمَّد بْن نَصْر المَرْوَزِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُقَاتِل المَرْوَزِيّ، حَدَّثَنَا ابْن المُبَارَك، أخبرنا ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر بْن نُفَيْر، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا ذَرّ وَأَبَا الدَّرْدَاء قَالا: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّل مَنْ يُؤْذَن لهُ فِي السُّجُود يَوْم القِيَامَة، وَأَوَّل مَنْ يُؤْذَن لهُ بِرَفْعِ رَأْسه، فَأَنْظُرُ بَيْن يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْن الأُمَم، وَأَنْظُر عَنْ يَمِينِي فَأَعْرِف أُمَّتِي مِنْ بَيْن الأُمَم، وَأَنْظُر عَنْ شِمَالِي فَأَعْرِف أُمَّتِي مِنْ بَيْن الأُمَم**». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله؛ وَكَيْف تَعْرِف أُمَّتك مِنْ بَيْن الأُمَم؟ قَال: «**غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ آثَار الطُّهُور، وَلا يَكُون أَحَد مِنْ الأُمَم كَذَلكَ غَيْرهمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أنهم يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوههمْ مِنْ أَثَر السُّجُود، وَأَعْرِفهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى بَيْن أَيْدِيهِمْ**».[3]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن إِسْحَاق الطَّالقَانِيّ، حَدَّثَنَا ابْن المُبَارَك، عَنْ يَحْيَى بْن حَسَّان، عَنْ رَجُل مِنْ بَنِي كِنَانَة قَال: صَلَّيْت خَلف رَسُول الله ﷺ عَام الفَتْح، فَسَمِعْته يَقُول: «**اللَّهُمَّ لا تُخْزِنِي يَوْم القِيَامَة**».[4]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا رَسُوله ﷺ بِجِهَادِ الكُفَّار وَالمُنَافِقِينَ، هَؤُلاءِ بِالسِّلاح وَالقِتَال، وَهَؤُلاءِ بِإِقَامَةِ الحُدُود عَلَيْهِمْ، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، أَيْ: فِي الدُّنْيَا ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، أَيْ: فِي الآخِرَة.

ثُمَّ قَال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أَيْ: فِي مُخَالطَتهمْ المُسْلمِينَ وَمُعَاشَرَتهمْ لهُمْ، أَنَّ ذَلكَ لا

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) صحيح : تقدم.
(٣) حسن : تقدم.
(٤) حسن : أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٤).

يُجْدِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلا يَنْفَعهُمْ عِنْد الله، إِنْ لمْ يَكُنْ الإِيمَان حَاصِلًا فِي قُلُوبهمْ، ثُمَّ ذَكَرَ المَثَل فَقَال: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾، أَيْ: نَبِيَّيْنِ رَسُولَيْنِ عِنْدهمَا فِي صُحْبَتِهمَا لَيْلًا وَنَهَارًا، يُؤَاكِلانِهمَا وَيُضَاجِعَانِهمَا وَيُعَاشِرَانِهمَا أَشَدَّ العِشْرَة وَالاخْتِلاط، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أَيْ: فِي الإِيمَان، لمْ يُوَافِقَاهُمَا عَلى الإِيمَان، وَلا صَدَّقَاهُمَا فِي الرِّسَالة، فَلمْ يَجْدِ ذَلكَ كُلّه شَيْئًا، وَلا دَفَعَ عَنْهُمَا مَحْذُورًا؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أَيْ: لكُفْرِهمَا، ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمَرْأَتَيْنِ ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾. وَليْسَ المُرَاد ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ فِي فَاحِشَة، بَل فِي الدِّين، فَإِنَّ نِسَاء الأَنْبِيَاء مَعْصُومَات عَنْ الوُقُوع فِي الفَاحِشَة، لحُرْمَةِ الأَنْبِيَاء، كَمَا قَدَّمْنَا فِي سُورَة النُّور.

قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة، عَنْ سُليْمَان بْن قتة: سَمِعْت ابْن عَبَّاس يَقُول فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قَال: مَا زَنَتَا، أَمَّا امْرَأَة نُوح فَكَانَتْ تُخْبِر أَنَّهُ مجْنُون، وَأَمَّا خِيَانَة امْرَأَة لُوط فَكَانَتْ تَدُلّ قَوْمهَا عَلى أَضْيَافه. وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: كَانَتْ خِيَانَتهمَا أَنَّهمَا كَانَتَا عَلى عَورتيهما، فَكَانَتْ امْرَأَة نُوح تَطَّلع عَلى سِرّ نُوح، فَإِذَا آمَنَ مَعَ نُوح أَحَدٌ أَخْبَرَتْ الجَبَابِرَة مِنْ قَوْم نُوح بِهِ، وَأَمَّا امْرَأَة لُوط فَكَانَتْ إِذَا أَضَافَ لُوط أَحَدًا أَخْبَرَتْ بِهِ أَهْل المَدِينَة مِمَّنْ يَعْمَل السُّوء. وهكذا قَال عِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالضَّحَّاك، وَغيْرهمْ. وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة بَعْض العُلمَاء عَلى ضَعْف الحَدِيث الَّذِي يَأْثُرهُ كَثِير مِنْ النَّاس: «مَنْ أَكَل مَعَ مَغْفُور لهُ غُفِرَ لهُ»[1]. وَهَذَا الحَدِيث لا أَصْل لهُ، وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا عَنْ بَعْض الصَّالِحِينَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيّ ﷺ فِي المَنَام فَقَال: يَا رَسُول الله؛ أَنْتَ قُلت: مَنْ أَكَل مَعَ مَغْفُور لهُ غُفِرَ لهُ؟ قَال: لا، وَلكِنِّي الآن أَقُولهُ.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

وَهَذَا مَثَل ضَرَبَهُ الله للمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لا تَضُرّهُمْ مُخَالطَة الكَافِرِينَ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِليْهِمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾.

قَال قَتَادَة: كَانَ فِرْعَوْن أَعْتَى أَهْل الأَرْض وَأَكْفَره. فَوَالله مَا ضَرّ امْرَأَته كُفْر زَوْجهَا حِين أَطَاعَتْ رَبّهَا لتعلموا أَنَّ الله حَكَمٌ عَدْلٌ، لا يُؤَاخِذ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ. وَقَال ابْن جَرِير: حدثنَا إِسْمَاعِيل بْن حَفْص الأبلي، حدثنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، عَنْ سُليْمَان التَّيْمِيّ، عَنْ أَبِي عُثْمَان النَّهْدِيّ، عَنْ سلمان قَال: كَانَتْ امْرَأَة فِرْعَوْن تُعَذَّب فِي الشَّمْس، فَإِذَا انْصَرَفَ عَنْهَا أَظَلَّتْهَا المَلائِكَة بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتهَا فِي الجَنَّة. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ مُحَمَّد بْن عُبَيْد المُحَارِبِيّ، عَنْ أَسْبَاط بْن مُحَمَّد، عَنْ سُليْمَان التَّيْمِيّ بِهِ.

ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حدثنَا ابْن عُليَّة، عَنْ هِشَام الدَّسْتُوَائِيّ، حدثنَا القَاسِم بْن أَبِي بَزَّة قَال: كَانَتْ امْرَأَة فِرْعَوْن تَسْأَل: مَنْ غَلبَ؟ فيُقَال: غَلبَ مُوسَى وَهَارُون. فَتَقُول: آمَنْت بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُون، فَأَرْسَل إِليْهَا فِرْعَوْن فَقَال: انْظُرُوا أَعْظَم صَخْرَة تَجِدُونَهَا، فَإِنْ مَضَتْ عَلى قَوْلهَا فَأَلقُوهَا عَليْهَا، وَإِنْ رَجَعَتْ عَنْ قَوْلهَا فَهِيَ امرأته، فَلمَّا أَتَوْهَا رَفَعَتْ بَصَرهَا إِلى السَّمَاء فَأَبْصَرَتْ بَيْتهَا فِي الجَنَّة، فَمَضَتْ عَلى قَوْلهَا، وانتزع الله رُوحهَا وَأُلقِيَتْ الصَّخْرَة عَلى جَسَد ليْسَ فِيهِ رُوح. فَقَوْلهَا: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قَال العُلمَاء: اخْتَارَتْ الجَار قَبْل الدَّار. وَقَدْ وَرَدَ شَيْء مِنْ ذَلكَ فِي حَدِيث مَرْفُوع: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾، أَيْ: خَلِّصْنِي مِنْهُ، فَإِنِّي أَبْرَأ إِليْك مِنْ عَمَله، ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وَهَذِهِ المَرْأَة هِيَ آسِيَة بِنْت مُزَاحِم رضي الله عنها.

---

(١) موضوع: انظر «الضعيفة» (٣١٥).

وَقَال أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس، عَنْ أَبِي العَالِيَة قَال: كَانَ إِيمَان امْرَأَة فِرْعَوْن مِنْ قِبَل إِيمَان امْرَأَة خَازِن فِرْعَوْن، وَذَلِكَ أَنَّهَا جلسَتْ تُمَشِّط ابْنَة فِرْعَوْن، فَوَقَعَ المُشْط مِنْ يَدهَا، فَقَالتْ: تَعِسَ مَنْ كَفَرَ بالله. فَقَالتْ لهَا بِنْت فِرْعَوْن: وَلك رَبّ غَيْر أَبِي؟ قَالتْ: نعم، رَبِّي وَرَبّ أَبِيك وَرَبّ كُلّ شَيْء الله. فَلطَمَتْهَا بِنْت فِرْعَوْن وَضَرَبَتْهَا، وَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا، فَأَرْسَل إِلَيْهَا فِرْعَوْن فَقَال: تَعْبُدِينَ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبّك وَرَبّ كُلّ شَيْء الله، وَإِيَّاهُ أَعْبُد. فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْن وَأَوْتَدَ لهَا أَوْتَادًا، فَشَدَّ رِجْليْهَا ويَدَيْهَا وَأَرْسَل عَليْهَا الحَيَّات، وكَانَتْ كَذَلِكَ، فَأَتَى عَليْهَا يَوْمًا فَقَال لهَا: مَا أَنْتِ مُنْتَهِيَة؟ فَقَالتْ لهُ: رَبِّي وَرَبّك وَرَبّ كُلّ شَيْء الله. فَقَال لهَا: إِنِّي ذَابِح ابْنك فِي فِيك إِنْ لمْ تَفْعَلي. فَقَالتْ لهُ: اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ. فَذَبَحَ ابْنهَا فِي فِيهَا، وَإِنَّ رُوح ابْنهَا بَشَّرَهَا، فَقَال لهَا: أَبْشِرِي يَا أُمّه، فَإِنَّ لك عِنْد الله مِنْ الثَّوَاب كَذَا وَكَذَا، فَصَبَرَتْ. ثُمَّ أَتَى عَليْهَا فِرْعَوْن يَوْمًا آخر فَقَال لهَا مِثْل ذَلِكَ، فَقَالتْ لهُ مِثْل ذَلِكَ، فَذَبَحَ ابْنهَا الآخر فِي فِيهَا، فَبَشَّرَهَا رُوحه أَيْضًا، وَقَال لهَا: اصْبِرِي يَا أُمّه، فَإِنَّ لك عِنْد الله مِنْ الثَّوَاب كَذَا وَكَذَا. قَال: وَسَمِعَتْ امْرَأَة فِرْعَوْن كَلام رُوح ابْنهَا الأَكْبَر ثُمَّ الأَصْغَر فَآمَنَتْ امْرَأَة فِرْعَوْن، وَقَبَضَ الله رُوح امْرَأَة خَازِن فِرْعَوْن، وَكَشَفَ الغِطَاء عَنْ ثَوَابهَا وَمَنْزِلتهَا وَكَرَامَتهَا فِي الجَنَّة لامْرَأَةِ فِرْعَوْن حَتَّى رَأَتْ فَازْدَادَتْ إِيمَانًا وَيَقِينًا وَتَصْدِيقًا، فَاطَّلَعَ فِرْعَوْن عَلى إِيمَانهَا، فَقَال للمَلأِ: مَا تَعْلمُونَ مِنْ آسِيَة بِنْت مُزَاحِم؟ فَأَثْنَوْا عَليْهَا، فَقَال لهُمْ: إِنَّهَا تَعْبُد غَيْرِي. فَقَالُوا لهُ: اقْتُلْهَا. فَأَوْتَدَ لهَا أَوْتَادًا، فَشَدَّ يَدَيْهَا وَرِجْليْهَا، فَدَعَتْ آسِيَة رَبّهَا فَقَالتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فَوَافَقَ ذَلِكَ أَنْ حَضَرَهَا فِرْعَوْن، فَضَحِكَتْ حِين رَأَتْ بَيْتهَا فِي الجَنَّة، فَقَال فِرْعَوْن: أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ جُنُونهَا، إِنَّا نُعَذِّبهَا وَهِيَ تَضْحَك، فَقَبَضَ الله رُوحهَا رضي الله عنها.

وَقَوْله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، أَيْ: حَفِظَتْهُ وَصَانَتْهُ. وَالإِحْصَان: هُوَ العَفَاف وَالحُرِّيَّة، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أَيْ: بِوَاسِطَةِ المَلك، وَهُوَ جِبْرِيل، فَإِنَّ الله بَعَثَهُ إِليْهَا فَتَمَثَّل لهَا فِي صُورَة بَشَر سَوِيّ، وَأَمَرَهُ الله تَعَالى أَنْ يَنْفُخ بِفِيهِ فِي جَيْب دِرْعهَا، فَنَزَلتْ النَّفْخَة فَوَلجَتْ فِي فَرْجهَا، فَكَانَ مِنْهُ الحَمْل بِعِيسَى عليه السلام، وَلهَذَا قَال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾، أَيْ: بِقَدَرِهِ وَشَرْعه، ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حدثَنَا يُونُس، حدثَنَا دَاوُد بْن أَبِي الفُرَات، عَنْ عِلبَاء، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: خَطَّ رَسُول الله ﷺ فِي الأَرْض أَرْبَعَة خُطُوط، وَقَال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**أَفْضَل نِسَاء أَهْل الجَنَّة: خَدِيجَة بِنْت خُوَيْلد، وَفَاطِمَة بِنْت مُحَمَّد، وَمَرْيَم ابْنَة عِمْرَان، وَآسِيَة بِنْت مُزَاحِم امْرَأَة فِرْعَوْن**».[١]

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث شُعْبَة، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ مُرَّة الهَمْدَانِيّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ، عَنْ النَّبِيّ ﷺ أنه قَال: «**كَمُل مِنْ الرِّجَال كَثِير، وَلمْ يَكْمُل مِنْ النِّسَاء إلاَّ آسِيَة امْرَأَة فِرْعَوْن، وَمَرْيَم بنت عِمْرَان، وَخَدِيجَة بِنْت خُوَيْلد، وَإِنَّ فَضْل عَائِشَة عَلى النِّسَاء كَفَضْل الثَّرِيد عَلى سَائِر الطَّعَام**».[٢]

وَقَدْ ذَكَرْنَا طُرُق هَذِهِ الأَحَادِيث وَأَلفَاظهَا، وَالكَلام عَليْهَا فِي قِصَّة عِيسَى ابْن مَرْيَم عليه السلام فِي كِتَابنَا «البِدَايَة وَالنِّهَايَة»، ولله الحَمْد وَالمِنَّة، وَذَكَرْنَا مَا وَرَدَ مِنْ الحَدِيث مِنْ أَنَّهَا تَكُون هِيَ وَآسِيَة بِنْت مُزَاحِم مِنْ أَزْوَاجه عليه السلام فِي الجَنَّة عِنْد قَوْله تَعَالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة التَّحْرِيم، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صحيح: انظر «صحيح الجامع» (١١٣٥).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٢٣): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح». وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «المسند».

تفسير سُورَةُ المُلْكِ وهي مكية

ترتيبها ٦٧ — وآياتها ٣٠

قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن مُحَمَّد وَابْن جَعْفَر؛ قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ عبَّاس الجُشَمِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ سُورَةً فِي القُرْآن ثَلاثِينَ آيَة شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْك»**[1]. وَرَوَاهُ أَهْل السُّنَن الأَرْبَعَة مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث حَسَن.

[وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ وَالحَافِظ الضِّيَاء المَقْدِسِيّ، مِنْ طَرِيق سَلَّام بْن مِسْكِين، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«سُورَة فِي القُرْآن خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الجَنَّة: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْك»**.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد المَلِك بْن أَبِي الشَّوَارِب، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَمْرو بْن مَالك النُّكْرِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الجَوْزَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: ضَرَبَ بَعْض أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْر، وَهُوَ لا يَحْسَب أَنَّهُ قَبْر، فَإِذَا قَبْر إِنْسَان يَقْرَأ سُورَة المُلْك حَتَّى خَتَمَهَا، فَأَتَى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله؛ ضَرَبْت خِبَائِي عَلَى قَبْر وَأَنَا لا أَحْسِب أَنَّهُ قَبْر، فَإِذَا إِنْسَان يَقْرَأ سُورَة المُلْك: ﴿تَبَٰرَكَ﴾، حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «هِيَ المَانِعَة، هِيَ المُنْجِيَة، تُنْجِيه مِنْ عَذَاب القَبْر»[2]. ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه. وَفِي البَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة.

ثُمَّ رَوَى التِّرْمِذِيّ أَيْضًا مِنْ طَرِيق لَيْث بْن أَبِي سُلَيْم، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر، عَنْ جَابِر، أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ لا يَنَام حَتَّى يَقْرَأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.[3] وَقَال لَيْث عَنْ طَاوُس: يَفْضُلانِ كُلّ سُورَة فِي القُرْآن بِسَبْعِينَ حَسَنَة.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الحَسَن بْن عَلاف الأَصْبَهَانِيّ، حَدَّثَنَا سَلَمَة بْن شَبِيب، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الحَكَم بْن أَبَان عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لَوَدِدْت أَنَّهَا فِي قَلْب كُلّ إِنْسَان مِنْ أُمَّتِي». يَعْنِي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.[4] هَذَا حَدِيث غَرِيب، وَإِبْرَاهِيم ضَعِيف، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْله فِي سُورَة «يس». وَقَدْ رَوَى هَذَا الحَدِيث، عَبْد بْن حُمَيْد فِي «مُسْنَده» بِأَبْسَط مِنْ هَذَا، فَقَال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الحَكَم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال لِرَجُلٍ: أَلا أُتْحِفك بِحَدِيثٍ تَفْرَح بِهِ؟ قَال: بَلَى. قَال: اقْرَأْ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وَعَلِّمْهَا أَهْلك وَجَمِيع وَلَدك وَصِبْيَان بَيْتك وَجِيرَانك، فَإِنَّهَا المُنْجِيَة وَالمُجَادِلَة، تُجَادِل -أَوْ تُخَاصِم- يَوْم القِيَامَة عِنْد رَبِّهَا لِقَارِئِهَا، وَتَطْلُب لَهُ أَنْ يُنْجِيه مِنْ عَذَاب النَّار، وَيُنْجِي بِهَا صَاحِبهَا مِنْ عَذَاب القَبْر، قَال رَسُول الله ﷺ: «لَوَدِدْت أَنَّهَا فِي قَلْب كُلّ إِنْسَان مِنْ أُمَّتِي».][5]

وَقَدْ رَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي «تَارِيخه»، فِي تَرْجَمَة أَحْمَد بْن نَصْر بْن زِيَاد، أَبِي عَبْد الله القُرَشِيّ النَّيْسَابُورِيّ، المُقْرِئ الزَّاهِد الفَقِيه، أَحَد الثِّقَات الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ البُخَارِيّ وَمُسْلِم، لَكِنْ فِي غَيْر «الصَّحِيحَيْنِ»، وَرَوَى عَنْهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ وَابْن خُزَيْمَة، وَعَلَيْهِ تَفَقَّهَ فِي مَذْهَب أَبِي عُبَيْد ابْن حَرْبَوَيْه، وَخَلْق سِوَاهُمْ، سَاقَ بِسَنَدِهِ مِنْ حَدِيثه عَنْ فُرَات بْن السَّائِب، عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ أَنَس بْن مَالِك، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَاتَ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْء مِنْ كِتَاب الله إِلَّا تَبَارَكَ، فَلَمَّا وُضِعَ فِي حُفْرَته أَتَاهُ المَلَك فَثَارَتْ السُّورَة فِي وَجْهه،

---

(١) **حسـن** : أخرجه أبو داود (١٤٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٢) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٨٩٢) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٣) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٨٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٤) **ضعيف** : أخرجه الطبراني (١١/ ٢٤١) بسند ضعيف.
(٥) تقديم وتأخير في الأزهرية.

فَقَال لها: إِنَّك مِنْ كِتَاب الله، وَأَنَا أَكْرَه مُسَاءَتك، وَإِنِّي لا أَملك لك وَلا لهُ وَلا لنَفْسِي ضُرًّا وَلا نَفْعًا، فَإِنْ أَرَدْت هَذا بِهِ، فَانْطَلِقِي إِلى الرَّبّ تَبارَكَ وَتَعالى فَاشفَعِي لهُ. فَتَنْطَلق إِلى الرَّبّ فَتقول: يَا رَبّ، إِنَّ فُلانًا عَمَدَ إِلَيَّ مِنْ بَيْن كِتَابك فَتَعلَّمَنِي وَتَلانِي، أَفَتُحْرِقهُ أَنْتَ بِالنَّارِ وَتُعَذِّبهُ وَأَنَا فِي جَوْفه؟ فَإِنْ كُنْت فَاعِلًا ذَاكَ بِهِ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابك. فَيَقُول: أَلا أَرَاكِ غَضِبْتِ؟ فَتَقُول: وَحُقَّ لِي أَنْ أَغْضَب. فَيَقُول: اذْهَبِي فَقَدْ وَهَبْته لك، وَشَفَّعْتُك فِيهِ». قَال: «فَتَجِيء فيخرج المَلك، فَيَخْرُج كاسف البَال، لمْ يَحِلّ مِنْهُ بِشَيْءٍ». قَال: «فَتَجِيء فَتَضَع فَاهَا عَلى فِيهِ، فَتَقُول: مَرْحَبًا بِهَذَا الفَم، فَرُبَّمَا تَلانِي، وَمَرْحَبًا بِهَذَا الصَّدْر، فَرُبَّمَا وَعَانِي، وَمَرْحَبًا بِهَاتَيْنِ القَدَمَيْنِ، فَرُبَّمَا قَامَتَا بِي، وَتُؤْنِسهُ فِي قَبْره مَخَافَة الوَحْشَة عَلَيْهِ». قَال: فَلَمَّا حَدَّثَ بِهَذَا رَسُول الله ﷺ لمْ يَبْقَ صَغِير وَلا كَبِير وَلا حُرّ وَلا عَبْد إِلَّا تَعَلَّمَهَا، وَسَمَّاهَا رَسُول الله ﷺ المُنْجِيَة.[1] قُلت: وَهَذَا حَدِيث مُنْكَر جِدًّا، وَفُرَات بْن السَّائِب هَذَا ضَعَّفَهُ الإِمَام أَحْمَد، وَيَحْيَى بْن مَعِين، وَالبُخَارِيّ، وَأَبُو حَاتِم، وَالدَّارَقُطْنِيّ وَغَيْر وَاحِد. وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْن عَسَاكِر مِنْ وَجْه آخَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، مِنْ قَوْله مُخْتَصَرًا. وَرَوَى البَيْهَقِيّ فِي كِتَاب «إِثْبَات عَذَاب القَبْر» عَنْ ابْن مَسْعُود مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا مَا يَشْهَد لهَذَا، وَقَدْ كَتَبْنَاهُ فِي كِتَاب الجَنَائِز مِنْ «الأَحْكَام الكُبْرَى»، ولله الحَمْد وَالمِنَّة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

يُمَجِّد تَعَالى نَفْسه الكَرِيمَة، وَيُخْبِر أَنَّهُ بِيَدِهِ المُلك، أَيْ: هُوَ المُتَصَرِّف فِي جَمِيع المَخْلُوقَات بِمَا يَشَاء، لا مُعَقِّب لِحُكْمِهِ، وَلا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل لقَهْرِهِ وَحِكْمَته وَعَدْله؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾. ثم قَال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾، وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة مَنْ قَال: إِنَّ المَوْت أَمْر وُجُودِيّ؛ لأَنَّهُ مَخْلُوق. وَمَعْنَى الآيَة أَنَّهُ أَوْجَدَ الخَلائِق مِنَ العَدَم، لِيَبْلُوَهُمْ وَيَخْتَبِرهُمْ أَيّهمْ أَحْسَن عَمَلًا؛ كَمَا قَال: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾، فَسَمَّى الحَال الأَوَّل -وَهُوَ العَدَم- مَوْتًا، وَسَمَّى هَذِهِ النَّشْأَة حَيَاة. وَلهَذَا قَال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا صَفْوَان، حَدَّثَنَا الوَلِيد، حَدَّثَنَا خُلَيْد، عَنْ قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾، قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ الله أَذَلَّ بَنِي آدَم بِالمَوْتِ، وَجَعَل الدُّنْيَا دَار حَيَاة، ثُمَّ دَار مَوْت، وَجَعَل الآخِرَة دَار جَزَاء ثُمَّ دَار بَقَاء». وَرَوَاهُ مَعْمَر عَنْ قَتَادَة. وَقَوْله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ أَيْ: خَيْر عَمَلًا، كَمَا قَال مُحَمَّد بْن عَجْلان: وَلمْ يَقُل أَكْثَر عَمَلًا. ثُمَّ قَال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ أَيْ: هُوَ العَزِيز العَظِيم المَنِيع الجَنَاب، وَهُوَ مَعَ ذَلكَ غَفُور لمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَاب، بَعْدَمَا عَصَاهُ وَخَالفَ أَمْره، وَإِنْ كَانَ تَعَالى عَزِيزًا هُوَ مَعَ ذَلكَ يَغْفِر وَيَرْحَم وَيَصْفَح وَيَتَجَاوَز.

ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾، أَيْ: طَبَقَة بَعْد طَبَقَة، وَهَل هُنَّ مُتَوَاصِلات بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ عُلوِيَّات بعضهن عَلى بَعْض، أَوْ مُتَفَاصِلات بَيْنهنَّ خَلاء؟ فِيهِ قَوْلانِ: أَصَحّهمَا الثَّانِي، كَمَا دَلَّ ذَلكَ حَدِيث الإِسْرَاء وَغَيْره.

وَقَوْله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾، أَيْ: بَل هُوَ مُصْطَحِب مُسْتَوٍ، ليْسَ فِيهِ اخْتِلاف وَلا تَنَافُر وَلا

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٨٩٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

مخالفة، وَلا نَقْص وَلا عَيْب وَلا خَلل، وَلهَذَا قَال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أَيْ: انْظُرْ إِلى السَّماء فتأملها، هَل تَرَى فِيهَا عَيْبًا أَوْ نَقْصًا أَوْ خللًا أَوْ فُطُورًا؟ قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَالثَّوْرِي، وَغيْرهمْ، فِي قَوْله: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أَيْ: شُقُوق. وقال السُّدِّيّ: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أَيْ: مِنْ خُرُوق. وَقَال ابْن عَبَّاس فِي رِوَايَة: ﴿مِن فُطُورٍ﴾ أَيْ: مِنْ وُهِيّ. وَقَال قَتَادَة: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أَيْ: هَل تَرَى خللًا يَا بْنَ آدَم؟

وَقَوْله: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، قَال قَتَادَة: مَرَّتَيْنِ. ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾، قَال ابْن عَبَّاس: ذَليلًا. وَقَال مُجَاهِد وَقَتَادَة: صَاغِرًا. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: يَعْنِي وَهُوَ كَليل. وَقَال مُجَاهِد وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ: الحَسِير: المُنْقَطِع مِنْ الإِعْيَاء. وَمَعْنَى الآيَة: إِنَّك لوْ كَرَرْت البَصَر -مَهْمَا كَرَرْت- لانْقَلبَ إِليْك، أَيْ: لرَجَعَ إِليْك البَصَر، ﴿خَاسِئًا﴾ أي: عَنْ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ خللًا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أَيْ: كَليل، وقَدْ انْقَطَعَ مِنْ الإِعْيَاء مِنْ كَثْرَة التَّكَرُّر وَلا يَرَى نَقْصًا، وَلـمَّا نَفَى عَنْهَا فِي خَلقهَا النَّقْص بَيَّنَ كَمَالهَا وَزِينَتهَا فَقَال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾، وَهِيَ الكَوَاكِب الَّتِي وُضِعَتْ فِيهَا مِنْ السَّيَّارَات وَالثَّوَابت.

وَقَوْله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، عَادَ الضَّمِير فِي قَوْله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾، عَلى جِنْس المَصَابِيح لا عَلى عَيْنهَا، لأَنَّهُ لا يَرْمِي بِالكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاء، بَل بِشُهُبٍ مِنْ دُونهَا، وَقَدْ تَكُون مُسْتَمَدَّة مِنْهَا، وَالله أَعْلم. وَقَوْله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾، أَيْ: جَعَلنَا للشَّيَاطِينِ هَذَا الخِزْي فِي الدُّنْيَا، وَأَعْتَدْنَا لهُمْ عَذَاب السَّعِير فِي الأُخْرَى، كَمَا قَال فِي أَوَّل الصَّافَّات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

قَال قَتَادَة: إِنَّمَا خَلقَت هَذِهِ النُّجُوم لثَلاثِ خِصَال: خَلقَهَا زِينَة للسَّمَاءِ، وَرُجُومًا للشَّيَاطِينِ، وَعَلامَات يُهْتَدَى بِهَا. فَمَنْ تَأَوَّل فِيهَا غَيْر ذَلكَ فَقَدْ قَال بِرَأْيِه، وَأَخْطَأَ حَظّه، وَأَضَاعَ نَصِيبه، وَتَكَلَّفَ مَا لا عِلم لهُ بِهِ. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم.

﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿وَ﴾ أعتدنا ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، أَيْ: بِئْسَ المَآل وَالمُنْقَلب. ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ قَال ابْن جَرِير: يَعْنِي الصِّيَاح ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾، قَال الثَّوْرِيّ: تَغْلي بِهِمْ كَمَا يَغْلِي الحَبّ القَليل فِي المَاء الكَثِير. وَقَوْله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾، أَيْ: تكاد يَنْفَصِل بَعْضهَا مِنْ بَعْض، مِنْ شِدَّة غَيْظهَا عَليْهِمْ وَحَنَقهَا بِهِمْ، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾: يَذْكُر تَعَالى عَدْله فِي خَلقه، وَأَنَّهُ لا يُعَذِّب أَحَدًا إِلَّا بَعْد قِيَام الحُجَّة عَليْهِ، وَإِرْسَال الرَّسُول إِليْهِ، كَمَا قَال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. وَهَكَذَا عَادُوا عَلى أَنْفُسهمْ بِالمَلامَةِ، وَنَدِمُوا حَيْثُ لا تَنْفَعهُمْ النَّدَامَة، فَقَالُوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، أَيْ: لوْ كَانَتْ لنَا عُقُول نَنْتَفِع بِهَا أَوْ نَسْمَع مَا أَنْزَلهُ الله مِنْ الحَقّ، لمَا كُنَّا عَلى مَا كُنَّا عَليْهِ مِنْ الكُفْر بالله وَالاغْتِرَار بِهِ، وَلكِنْ لمْ يَكُنْ لنَا فَهْم نَعْي بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُل، وَلا كَانَ لنَا عَقْل يُرْشِدنَا إِلى اتِّبَاعهمْ، قَال الله تَعَالى: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ عَمْرو بن مُرَّة، عَنْ أَبِي البُخْتُرِي الطَّائِيّ؛ قَال:

أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «لنْ يَهْلك النَّاس حَتَّى يُعْذَرُوا مِنْ أَنْفُسهمْ»(١). وَفِي حَدِيث آخَر: «لا يَدْخُل أَحَد النَّار إلاَّ وَهُوَ يَعْلم أَنَّ النَّار أَوْلى بِهِ مِنْ الجنَّة».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَمَّنْ يَخَاف مَقَام رَبّه فِيمَا بَيْنه وَبَيْنه إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنْ النَّاس، فَيَنْكَفّ عَنْ المَعَاصِي وَيَقُوم بِالطَّاعَاتِ، حَيْثُ لا يَرَاهُ أَحَد إِلَّا الله: بِأَنَّهُ لهُ مَغْفِرَة وَأَجْر كَبِير، أَيْ: يكفَّر عَنْهُ ذُنُوبه، وَيُجَازَى بِالثَّوَابِ الجَزِيل، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «سَبْعَة يُظِلّهُمْ الله فِي ظِلّ عَرْشه يَوْم لا ظِلّ إلاَّ ظِلّه»(٢). فَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا دَعَتْهُ امْرَأَة ذَات مَنْصِب وَجَمَال، فَقَال: إِنِّي أَخَاف الله، وَرَجُلًا تَصَدَّق بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لا تَعْلم شِمَاله مَا تُنْفِق يَمِينه.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا طَالُوت بْن عَبَّاد، حَدَّثَنَا الحَارِث بْن عُبَيْد، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ إِنَّا نَكُون عِنْدك عَلى حَال، فَإِذَا فَارَقْنَاك كُنَّا عَلى غَيْره؟ قَال: «كَيْف أَنْتُمْ وَرَبّكُمْ؟». قَالُوا: الله رَبّنَا فِي السِّرّ وَالعَلانِيَة. قَال: «لَيْسَ ذَلكُمْ النِّفَاق»(٣). لمْ يَرْوِهِ عَنْ ثَابِت إِلَّا الحَارِث بْن عُبَيْد فِيمَا نَعْلمهُ. ثُمَّ قَال تَعَالى مُنَبِّهًا عَلى أَنَّهُ مُطَّلع عَلى الضَّمَائِر وَالسَّرَائِر: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، أَيْ: بِمَا خَطَرَ فِي القُلُوب، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، أَيْ: أَلا يَعْلم الخَالق. وَقِيل: مَعْنَاهُ: أَلا يَعْلم الله مَخْلُوقه؟ وَالأَوَّل أَوْلى؛ لقَوْلهِ: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَته عَلى خَلقه فِي تَسْخِيره لهُمْ الأَرْض وَتَذْليله إِيَّاهَا لهُمْ، بِأَنْ جَعَلهَا قَارَّة سَاكِنَة لا تَمِيد وَلا تَضْطَرِب، بِمَا جَعَل فِيهَا مِنْ الجِبَال، وَأَنْبَعَ فِيهَا مِنْ العُيُون، وَسَلكَ فِيهَا مِنْ السُّبُل، وهيَّأه فِيهَا مِنْ المَنَافِع وَمَوَاضِع الزُّرُوع وَالثِّمَار، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾، أَيْ: فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارهَا، وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَاليمهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاع المَكَاسِب وَالتِّجَارَات، وَاعْلمُوا أَنَّ سَعْيكُمْ لا يُجْدِي عَليْكُمْ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يُيَسِّرهُ الله لكُمْ؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾، فَالسَّعْي فِي السَّبَب لا يُنَافِي التَّوَكُّل، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا حَيْوَة، أَخْبَرَنِي بَكْر بْن عَمْرو: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْد الله بْن هُبَيْرَة؛ يَقُول: إِنَّهُ سَمِعَ أَبَا تَمِيم الجَيْشَانِيّ؛ يَقُول: إِنَّهُ سَمِعَ عُمَر بْن الخَطَّاب يَقُول: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «لوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلى الله حَقّ تَوَكُّله لرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُق الطَّيْر، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوح بِطَانًا»(٤). رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث ابْن هُبَيْرَة، وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح». فَأَثْبَتَ لهَا رَوَاحًا وَغُدُوًّا لطَلبِ الرِّزْق، مَعَ تَوَكُّلهَا عَلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ المُسَخِّر المُسَيِّر المُسَبِّب. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾، أَيْ: المَرْجِع يَوْم القِيَامَة. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة وَالسُّدِّي: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أَطْرَافهَا وَفِجَاجهَا وَنَوَاحِيهَا. وَقَال ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ الجِبَال.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا [عَمْرو](٥) بْن حَكَّام الأَزْدِيّ، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ يُونُس بْن جُبَيْر، عَنْ بَشِير بْن كَعْب: أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فَقَال لأُمِّ وَلد لهُ: إِنْ عَلمْت مَا ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ فَأَنْتِ عَتِيقَة. فَقَالتْ: هِيَ الجِبَال. فَسَأَل أَبَا الدَّرْدَاء فَقَال: هِيَ الجِبَال.

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) ضعيف: أخرجه البزار (٥٢) «الكشف»، وأبو يعلى (٣٣٦٩)، وسنده ضعيف، فيه الحارث بن عبيد: وهو ضعيف.
(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٥) في الأزهرية: [عمر].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾.

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ لُطْفه وَرَحْمَته بِخَلْقِهِ أَنَّهُ قَادِر عَلَى تَعْذِيبهمْ، بِسَبَبِ كُفْر بَعْضهمْ بِهِ، وَعِبَادَتهمْ مَعَهُ غَيْره، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَحْلُم وَيَصْفَح، وَيُؤَجِّل وَلا يُعَجِّل، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾. وَقَالَ هَهُنَا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾، أَيْ: تَذْهَب وَتَجِيء وَتَضْطَرِب. ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ أَيْ: رِيحًا فِيهَا حَصْبَاء تَدْمَغكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا﴾. وَهَكَذَا تَوَعَّدَهُمْ هَهُنَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ أَيْ: كَيْف يَكُون إِنْذَارِي وَعَاقِبَة مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، وَكَذَّبَ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، أَيْ: مِنْ الأُمَم السَّالِفَة، وَالقُرُون الخَالِيَة، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أَيْ: فَكَيْف كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَمُعَاقَبَتِي لَهُمْ؟ أَيْ: عَظِيمًا شَدِيدًا أَلِيمًا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ﴾، أَيْ: تَارَة يَصْفُفْنَ أَجْنِحَتهنَّ فِي الهَوَاء، وَتَارَة تَجْمَع جَنَاحًا، وَتَنْشُر جَنَاحًا، ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾، أَيْ: فِي الجَوّ ﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ أَيْ: بِمَا سَخَّرَ لَهُنَّ مِنْ الهَوَاء، مِنْ رَحْمَته وَلُطْفه، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾، أَيْ: بِمَا يُصْلِح كُلّ شَيْء مِنْ مَخْلُوقَاته. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ۝٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٢٦ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا غَيْره، يَبْتَغُونَ عِنْدهمْ نَصْرًا وَرِزْقًا مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِيمَا اعْتَقَدُوهُ، وَمُخْبِرًا لَهُمْ أَنَّهُ لا يَحْصُل لَهُمْ مَا أَمَّلُوهُ، فَقَالَ: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾، أَيْ: لَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونه مِنْ وَلِيّ وَلا وَاقٍ، وَلا نَاصِر لَكُمْ غَيْره؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾، أَيْ: مَنْ هَذَا الَّذِي إِذَا قَطَعَ الله رِزْقه عَنْكُمْ يَرْزُقكُمْ بَعْده؟! أَيْ: لا أَحَد يُعْطِي وَيَمْنَع وَيَخْلُق وَيَرْزُق وَيَنْصُر إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ وَحْده لا شَرِيك لَهُ، أَيْ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْره؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ أَيْ: اسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانهمْ وَإِفْكهمْ وَضَلالهمْ ﴿فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾، أَيْ: مُعَانَدَة وَاسْتِكْبَارًا وَنُفُورًا عَلَى أَدْبَارهمْ عَنْ الحَقّ لا يَسْمَعُونَ لَهُ وَلا يَتَّبِعُونَهُ. ثم قال: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، وَهَذَا مَثَل ضَرَبَهُ الله لِلْمُؤْمِنِ وَالكَافِر، فَالكَافِر مَثَله فِيمَا هُوَ فِيهِ كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهه، أَيْ: يَمْشِي مُنْحَنِيًا لا مُسْتَوِيًا عَلَى وَجْهه، أَيْ: لا يَدْرِي أَيْنَ يَسْلُك وَلا كَيْف يَذْهَب، بَل تَائِه حَائِر ضَالّ، أَهَذَا أَهْدَى ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا﴾، أَيْ: مُنْتَصِب القَامَة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أَيْ: عَلَى طَرِيق وَاضِح بَيِّن، وَهُوَ فِي نَفْسه مُسْتَقِيم، وَطَرِيقه مُسْتَقِيمَة، هَذَا مَثَلهمْ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي الآخِرَة، فَالْمُؤْمِن يُحْشَر يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاط مُسْتَقِيم، مُفْضٍ بِهِ إِلَى الجَنَّة

الفَيْحَاء، وَأَمَّا الكَافِر فَإِنَّهُ يُحْشَر يَمْشِي عَلَى وَجْهه إِلَى نَار جَهَنَّم، ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، عَنْ نُفَيْع؛ قَال: سَمِعْت أَنَس بْن مَالك؛ يَقُول: قِيل: يَا رَسُول الله؛ كَيْف يُحْشَر النَّاس عَلَى وُجُوههمْ؟ فَقَال: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلهمْ قَادرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيهِمْ عَلَى وُجُوههمْ؟!»[1]. وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّج فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ طَرِيق يونس بن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس، به نحوه.

وَقَوْله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾، أَيْ: ابْتَدَأَ خَلقكُمْ بَعْد أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾، أَيْ: العُقُول وَالإِدْرَاك، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: ما أقل ما تَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ القُوَى الَّتِي أَنْعَمَ الله بِهَا عَلَيْكُمْ، فِي طَاعَته وَامْتِثَال أَوَامِره، وَتَرْك زَوَاجِره. ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أَيْ: بَثَّكُمْ وَنَشَرَكُمْ فِي أَقْطَار الأَرْض وَأَرْجَائِهَا، مَعَ اخْتِلاف أَلسِنَتكُمْ فِي لُغَاتكُمْ وَأَلْوَانكُمْ، وَحُلاكُمْ وَأَشْكَالكُمْ وَصُورَكُمْ، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أَيْ: تُجْمَعُونَ بَعْد هَذَا التَّفَرُّق وَالشَّتَات، يَجْمَعكُمْ كَمَا فَرَّقَكُمْ، وَيُعِيدكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ.

ثُمَّ قَال مُخْبِرًا عَنْ الكُفَّار المُنْكِرِينَ لِلمَعَادِ المُسْتَبْعِدِينَ وُقُوعه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَيْ: مَتَى هَذَا الَّذِي تُخْبِرنَا بِكَوْنِهِ مِنْ الاجْتِمَاع بَعْد هَذَا التَّفَرُّق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: لا يَعْلم وَقْت ذَلِكَ عَلَى التَّعْيِين إِلَّا الله ﷻ، لكِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أُخْبِركُمْ أَنَّ هَذَا كَائِن وَوَاقِع لا مَحَالة فَاحْذَرُوهُ، ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: وَإِنَّمَا عَلَيَّ البَلاغ، وَقَدْ أَدَّيْته إِلَيْكُمْ. قَال الله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أَيْ: لَـمَّا قَامَتْ القِيَامَة وَشَاهَدَهَا الكُفَّار، وَرَأَوْا أَنَّ الأَمْر كَانَ قَرِيبًا، لأَنَّ كُلّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ وَإِنْ طَال زَمَنُهُ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا كَذَّبُوا بِهِ سَاءَهُمْ ذَلِكَ، لِمَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنْ الشَّرّ، أَيْ: فَأَحَاطَ بِهِمْ ذَلِكَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ أَمْر الله مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَال وَلا حِسَاب، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وَلِهَذَا يُقَال لَهُمْ عَلَى وَجْه التَّقْرِيع وَالتَّوْبِيخ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾، أَيْ: تَسْتَعْجِلُونَ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾: يَا مُحَمَّد هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ بِالله الجَاحِدِينَ لِنِعَمِهِ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. أَيْ: خَلِّصُوا أَنْفُسكُمْ، فَإِنَّهُ لا مُنْقِذ لَكُمْ مِنْ الله إِلَّا التَّوْبَة وَالإِنَابَة، وَالرُّجُوع إِلَى دِينه، وَلا يَنْفَعكُمْ وُقُوع مَا تَتَمَنَّوْنَ لَنَا مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال، فَسَوَاء عَذَّبَنَا الله أَوْ رَحِمَنَا، فَلا مَنَاص لَكُمْ مِنْ نَكَاله وَعَذَابه الأَلِيم الوَاقِع بِكُمْ. ثُمَّ قَال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، أَيْ: آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمَن الرَّحِيم، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيع أُمُورنَا، كَمَا قَال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وَلِهَذَا قَال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أَيْ: مِنَّا وَمِنْكُمْ وَلِمَنْ تَكُون العَاقِبَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. ثُمَّ قَال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾، أَيْ: ذَاهِبًا فِي الأَرْض إِلَى أَسْفَل، فَلا يُنَال بِالفُؤُوسِ الحِدَاد، وَلا السَّوَاعِد الشِّدَاد. وَالغَائِر: عَكْس النَّابع؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾، أَيْ: نَابع سَائِح جَارٍ عَلَى وَجْه الأَرْض، لا يَقْدِر عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الله ﷻ، فَمِنْ فَضْله وَكَرَمه أَنْبَعَ لَكُمْ المِيَاه، وَأَجْرَاهَا فِي سَائِر أَقْطَار الأَرْض، بِحَسَبِ مَا يَحْتَاج العِبَاد إِلَيْهِ مِنْ القِلَّة وَالكَثْرَة، فله الحَمْد وَالمِنَّة.

آخِر تَفْسِير سُورَة المُلك، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٧)، والحديث أصله في «الصحيحين».

تفسير سُورَةُ القَلَمِ وهي مكية

ترتيبها ٦٨ — وآياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

قَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلى حُرُوف الهِجَاء فِي أَوَّل «سُورَة البَقَرَة»، وَأَنَّ قَوْله: ﴿نٓ﴾ كَقَوْلِهِ ﴿صٓ﴾، ﴿قٓ﴾ وَنَحو ذَلكَ مِنْ الحُرُوف المُقَطَّعَة فِي أَوَائِل السُّوَر، وَتَحْرِيرُ القَوْل فِي ذَلكَ بِمَا أَغنَى عَنْ إِعادَته. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿نٓ﴾: حُوت عَظِيم عَلى تَيَّار المَاء العَظِيم المُحِيط، وَهُوَ حَامِل للأَرَضِينَ السَّبْع، كَمَا قَال الإِمَام أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن بَشَّار، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا سُفْيَان -هُوَ الثَّوْرِيّ-، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان -هُوَ الأَعْمَش-، عَنْ أَبِي ظَبْيَان، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: أَوَّل مَا خَلقَ الله القَلم قَال: اكْتُبْ. قَال: وَمَا أَكْتب؟ قَال: اكْتُبْ القَدَر. فَجَرَى بِمَا يَكُون مِنْ ذَلكَ اليَوْم إِلى يوم قِيَام السَّاعَة. ثُمَّ خلقَ «النُّون» وَرَفَعَ بُخَار المَاء، فَفُتِقَتْ مِنْهُ السَّمَاء، وَبُسِطَتْ الأَرْض عَلى ظَهْر النُّون، فَاضْطَرَبَ النُّون فَمَادَتْ الأَرْض، فَأُثْبِتَتْ بِالجِبَال، فَإِنَّهَا لتَفْخَر عَلى الأَرْض.[1] وَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عن أَحْمَد بْن سِنَان، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، بِهِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَة، وَمُحَمَّد بْن فُضَيْل، وَوَكِيع، عَنْ الأَعْمَش، بِهِ. وَزَادَ شُعْبَة فِي رِوَايَته: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾. وَقَدْ رَوَاهُ شَرِيك، عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي ظَبْيَان -أَوْ مُجَاهِد- عَنْ ابْن عَبَّاس، فَذَكَرَ نَحْوه. وَرَوَاهُ مَعْمَر، عَنْ الأَعْمَش: أَنَّ ابْن عَبَّاس قَال ... فَذَكَرَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ عَطَاء، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: إِنَّ أَوَّل شَيْء خَلقَ رَبِّي ﷻ القَلم، فقال لَهُ: اكْتُبْ. فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِن إِلى أَنْ تَقُوم السَّاعَة، ثُمَّ خَلقَ «النُّون» فَوْق المَاء، ثُمَّ كَبَسَ الأَرْض عَليْهِ.

وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ ذَلكَ مَرْفُوعًا فَقَال: حَدَّثَنَا أَبُو حَبِيب زَيْد بْن المهتدي المرودي، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن يَعْقُوب الطَّالقَانِيّ، حَدَّثَنَا مُؤَمَّل بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن زَيْد، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلم بْن صُبَيْح عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّل مَا خَلقَ الله القَلم وَالحُوت، قَال للقَلمِ: اكْتُبْ. قَال: مَا أَكْتُب؟ قَال: كُلّ شَيْء كَائِن إِلى يَوْم القِيَامَة». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ فَالنُّون: الحُوت. وَالقَلم: القَلم.[2]

حَدِيث آخَر فِي ذَلكَ: رَوَاهُ ابْن عَسَاكِر عَنْ أَبِي عَبْد الله مَوْلى بَنِي أُمَيَّة، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ أَوَّل شَيْء خَلقَهُ الله القَلم، ثُمَّ خَلقَ «النُّون» وَهِيَ: الدَّوَاة. ثُمَّ قَال لهُ: اكْتُبْ. قَال: وَمَا أَكْتُب؟ قَال: اكْتُبْ مَا يَكُون -أَوْ: مَا هُوَ كَائِنَ- مِنْ عَمَل أَوْ رِزْق أَوْ أَثَر أَوْ أَجَل. فَكَتَبَ ذَلكَ إِلى يَوْم القِيَامَة، فَذَلكَ قَوْله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾، ثُمَّ خَتَمَ عَلى القَلم فَلمْ يَتَكَلَّم إِلى يَوْم القِيَامَة، ثُمَّ خَلقَ العَقْل، وَقَال: وَعِزَّتِي لأُكْمِلنَّكَ فِيمَنْ أَحْبَبْت، وَلأُنْقِصَنَّكَ مِمَّنْ أَبْغَضت».[3]

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤)، والحديث لا يصح لأنه من أخبار أهل الكتاب.
(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٣٣)، وإسناده ضعيف، فيه مؤمل بن إسماعيل: ثقة كثير الخطأ.
(٣) منكـر: أخرجه ابن عدي (٦/ ٢٢٧٢)، إسناده ضعيف، فيه محمد بن وهب: ضعيف. وفيه أيضًا الوليد بن مسلم: مدلس.

وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح: إِنَّ إِبْرَاهِيم بْن أَبِي بَكْر أَخْبَرَهُ، عَنْ مُجَاهِد قَال: كَانَ يُقَال النُّون: الحُوت الَّذِي تَحْت الأَرْض السَّابِعَة. وَقَدْ ذَكَرَ البَغَوِيّ وَجَمَاعَة مِنْ المُفَسِّرِينَ؛ أَنَّ عَلَى ظَهْر هَذَا الحُوت صَخْرَة سُمْكهَا كَغِلَظِ السَّمَوَات وَالأَرْض، وَعَلَى ظَهْرهَا ثَوْر لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْف قَرْن، وَعَلَى مَتْنه الأَرَضُونَ السَّبْع وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنهنَّ، فَالله أَعْلَم. وَمِنْ العَجِيب أَنَّ بَعْضهمْ حَمَل عَلَى هَذَا المَعْنَى الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا حُمَيْد، عَنْ أَنَس: أَنَّ عَبْد الله بْن سَلام بَلَغَهُ مَقْدِم رَسُول الله ﷺ المَدِينَة فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاء، قَال: إِنِّي سَائِلك عَنْ أَشْيَاء لا يَعْلَمهَا إِلَّا نَبِيّ، قَال: مَا أَوَّل أَشْرَاط السَّاعَة؟ وَمَا أَوَّل طَعَام يَأْكُلهُ أَهْل الجَنَّة؟ وَمَا بَال الوَلَد يَنْزِع إِلَى أَبِيهِ؟ وَمَا بَال الوَلَد يَنْزِع إِلَى أُمّه؟ قَال: **«أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيل آنِفًا»**. قَال ابْن سَلام: فَذَاكَ عَدُوّ اليَهُود مِنْ المَلائِكَة. قَال: **«أَمَّا أَوَّل أَشْرَاط السَّاعَة فَنَار تَحْشُرهُمْ مِنْ المَشْرِق إِلَى المَغْرِب. وَأَوَّل طَعَام يَأْكُلهُ أَهْل الجَنَّة زِيَادَة كَبِد الحُوت، وَأَمَّا الوَلَد فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُل مَاءَ المَرْأَة نَزَعَ الوَلَد، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَة مَاءَ الرَّجُل نَزَعَتْ»**[1]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ طُرُق، عَنْ حُمَيْد، وَرَوَاهُ مُسْلم أَيْضًا. وَلَهُ مِنْ حَدِيث ثَوْبَان مَوْلَى رَسُول الله ﷺ نَحْو هَذَا.

وَفِي «صَحِيح مُسْلم» مِنْ حَدِيث أَبِي أَسْمَاء الرَّحَبِيّ، عَنْ ثَوْبَان: أَنَّ حَبْرًا سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ مَسَائِل، فَكَانَ مِنْهَا: قَال: فَمَا تُحْفَتهمْ؟ يَعْنِي أَهْل الجَنَّة حِين يَدْخُلُونَ الجَنَّة قَال: «**زِيَادَة كَبِد الحُوت**». قَال: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَال «**يُنْحَر لَهُمْ ثَوْر الجَنَّة الَّذِي كَانَ يَأْكُل مِنْ أَطْرَافهَا**». قَال: فَمَا شَرَابهمْ عَلَيْهِ؟ قَال: «**مِنْ عَيْن فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**»[2]. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿نٓ﴾ لَوْح مِنْ نُور.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن شَبِيب المُكَتِّب، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن زِيَاد الجَزَرِيّ، عَنْ فُرَات بْن أَبِي الفُرَات، عَنْ مُعَاوِيَة بْن قُرَّة، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ : لَوْح مِنْ نُور، وَقَلَم مِنْ نُور يَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِن إِلَى يَوْم القِيَامَة»[3]. وَهَذَا مُرْسَل غَرِيب. وَقَال ابْن جُرَيْج: أُخْبِرْت أَنَّ ذَلِكَ القَلَم مِنْ نُور طُوله مِائَة عَام. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿نٓ﴾ دَوَاة، وَالقَلَم: القلم.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا عَبْد الأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الحَسَن وَقَتَادَة فِي قَوْله: ﴿نٓ﴾، قَالا: هِيَ الدَّوَاة. وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا حَدِيث مَرْفُوع غَرِيب جِدًّا، فَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَام بْن خَالد، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله مَوْلَى بَنِي أُمَيَّة، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «خَلَقَ الله النُّون، وَهِيَ الدَّوَاة».[4]

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا أَخِي عِيسَى بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا ثَابِت البنانِيُّ عَنْ ابْن عَبَّاس، قَال: إِنَّ الله خَلَقَ النُّون -وَهِيَ الدَّوَاة- وَخَلَقَ القَلَم، فَقَال: اكْتُبْ. قَال: وَمَا أَكْتُب؟ قَال: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِن إِلَى يَوْم القِيَامَة مِنْ عَمَل مَعْمُول، بِرّ أَوْ فُجُور، أَوْ رِزْق مَقْسُوم: حَلال أَوْ حَرَام. ثُمَّ أَلْزَمَ كُلّ شَيْء مِنْ ذَلِكَ شَأْنه: دُخُوله فِي الدُّنْيَا، وَمَقَامه فِيهَا كَمْ؟ وَخُرُوجه مِنْهَا كَيْف؟ ثُمَّ جَعَل عَلَى العِبَاد حَفَظَة، وَلِلكِتَابِ خُزَّانًا، فَالحَفَظَة يَنْسَخُونَ كُلّ يَوْم مِنْ الخُزَّان عَمَل ذَلِكَ اليَوْم، فَإِذَا فَنِيَ الرِّزْق وَانْقَطَعَ الأَثَر وَانْقَضَى الأَجَل؛ أَتَتْ الحَفَظَة الخَزَنَة يَطْلُبُونَ عَمَل ذَلِكَ اليَوْم، فَتَقُول لَهُمْ الخَزَنَة: مَا نَجِد لِصَاحِبِكُمْ عِنْدنَا شَيْئًا. فَتَرْجِع الحَفَظَة

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩)، ومسلم (١٨٩١٣).
(٢) أخرجه مسلم (٣١٥).
(٣) **مرسل** : أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥).
(٤) **ضعيف** : فيه الحسن بن يحيى الخشني: صدوق كثير الغلط.

فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ مَاتُوا. قَال: فَقَال ابْن عَبَّاس: أَلَسْتُمْ قَوْمًا عَرَبًا تَسْمَعُونَ الحَفَظَةَ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟ وَهَل يَكُون الاسْتِنْسَاخ إِلَّا مِنْ أَصْل؟![1]

وَقَوْله: ﴿وَالْقَلَمِ﴾: الظَّاهِر أَنَّهُ جِنْس القَلم الَّذِي يُكْتَب بِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. فَهُوَ قَسَم مِنْهُ تَعَالَى، وَتَنْبِيه لخَلقِهِ عَلى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعْلِيم الكِتَابَة الَّتِي بِهَا تُنَال العُلُوم؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة: [يَعْنِي: وَمَا يَكْتُبُونَ. وَقَال أَبُو الضُّحَى، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أَيْ: وَمَا يَعْمَلُونَ. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾][2] يَعْنِي: المَلائِكَة، وَمَا تَكْتُب مِنْ عَمَلِ العِبَاد. وَقَال آخَرُونَ: بَل المُرَاد هَهُنَا بِالقَلم الَّذِي أَجْرَاهُ الله بِالقَدَرِ حِين كَتَبَ مَقَادِير الخَلائِق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَوَات وَالأَرَضِينَ بِخَمْسِينَ أَلف سنة. وَأَوْرَدُوا فِي ذَلكَ الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي ذِكْر القَلم، فَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد ابن يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان، وَيُونُس بْن حَبِيب؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الوَاحِد بْن سُلَيْم السُّلَمِيّ، عَنْ عَطَاء -هُوَ ابن أَبِي رَبَاح- حَدَّثَنِي الوَلِيد بْن عُبَادَة بْن الصَّامِت قَال: دَعَانِي أَبِي حِين حَضَرَهُ المَوْت فَقَال: إِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ أَوَّل مَا خَلَقَ الله القَلَم، فَقَال لَهُ: اكْتُبْ. قَال: يَارَبِّ، مَا أَكْتُب؟ قَال: اكْتُبْ القَدَر: مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِن إِلى الأَبَد**».[3]

وَهَذَا الحَدِيث قَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد مِنْ طُرُق، عَنْ الوَلِيد بْن عُبَادَة، عَنْ أَبِيهِ بِهِ. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ بِهِ. وَقَال: حَسَن صَحِيح غَرِيب. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي «كِتَاب السُّنَّة» مِنْ «سُنَنه»، عَنْ جَعْفَر بْن مُسَافِر، عَنْ يَحْيَى بْن حَسَّان، عَنْ ابن رَبَاح، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن أَبِي عَبْلَة، عَنْ أَبِي حَفْصَة وَاسْمه حُبَيْش ابْن شُرَيْح الحَبَشِيّ الشامِيّ عَنْ عُبَادَة فَذَكَرَهُ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله الطُّوسِيّ، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحَسَن بْن شَقِيق، أَنْبَأَنَا عَبْد الله بْن المُبَارَك، حَدَّثَنَا رَبَاح بْن زَيْد، عَنْ عُمَر بْن حَبِيب، عَنْ القَاسِم بْن أَبِي بَزَّة، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابن عَبَّاس؛ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّث أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «إِنَّ أَوَّل شَيْء خَلقَهُ الله القَلم، فَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلّ شَيْء». غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه، وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ يَعْنِي: الَّذِي كَتَبَ بِهِ الذِّكْر.

وَقَوْله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أَيْ: يَكْتُبُونَ كَمَا تَقَدَّمَ. وقوله: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، أَيْ: لسْت -ولله الحَمْد- بِمَجْنُونٍ كَمَا قد يَقُولهُ الجَهَلة مِنْ قَوْمك، والمُكَذِّبُونَ بِمَا جِئْتهمْ بِهِ مِنْ الهُدَى وَالحَقّ المُبِين، فَنَسَبُوك فِيهِ إِلى الجُنُون، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أَيْ: بَل لك الأَجْر العَظِيم، وَالثَّوَاب الجَزِيل الَّذِي لا يَنْقَطِع وَلا يَبِيد، عَلى إِبْلاغك رِسَالة رَبّك إِلى الخَلق، وَصَبْرك عَلى أَذَاهُمْ. وَمَعْنَى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أَيْ: غَيْر مَقْطُوع، كَقَوْلِهِ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَيْ: غَيْر مَقْطُوع عَنْهُمْ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أَيْ: غَيْر مَحْسُوب وَهُوَ يَرْجِع إِلى مَا قُلنَاهُ.

وَقَوْله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَي: وَإِنَّك لعَلى دِين عَظِيم، وَهُوَ الإِسْلام. وَكَذَلكَ قَال مُجَاهِد، وَأَبُو مَالك، وَالسُّدِّيّ، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، والضَّحَّاك، وَابْن زَيْد. وَقَال عَطِيَّة: لعَلى أَدَب عَظِيم. وَقَال مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة: سُئِلتْ عَائِشَة عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ قَالتْ: كَانَ خُلُقه القُرْآن، تَقُول: كَمَا هُوَ

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥)، والحديث لا يصح؛ لأنه من أخبار أهل الكتاب.
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) صحيح: تقدم.

فِي القُرْآن.(١) وَقَال سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة عَنْ قَتَادَة قَوْله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، ذُكِرَ لنَا أَنَّ سعد بْن هِشَام سَأَل عَائِشَة عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ ؟ فَقَالتْ: أَلسْت تَقْرَأ القُرْآن؟ قَال: بَلى. قَالتْ: فَإِنَّ خُلق رَسُول الله ﷺ كَانَ القُرْآن. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة، عَنْ زُرَارَة بْن أَوْفَى، عَنْ سَعْد بْن هِشَام؛ قَال: سَأَلت عَائِشَة فَقُلت: أَخْبِرِينِي يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ؛ عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ ؟ فَقَالتْ: أَتَقْرَأُ القُرْآن؟ قلت: نَعَمْ. فَقَالتْ: كَانَ خُلُقه القُرْآن. هَذَا حَدِيث طَوِيل، وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام مُسْلم فِي «صَحِيحه»، مِنْ حَدِيث قَتَادَة بِطُوله، وَسَيَأْتِي فِي «سُورَة المُزَّمِّل» إِنْ شَاءَ الله تَعَالى.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا يُونُس، عَنْ الحَسَن؛ قَال: سَأَلت عَائِشَة عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ فَقَالتْ: كَانَ خُلُقه القُرْآن. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَسْوَد، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ قَيْس بْن وَهْب، عَنْ رَجُل مِنْ بَنِي سَوَاد؛ قَال: سَأَلت عَائِشَة عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ فَقَالتْ: أَمَا تَقْرَأُ القُرْآن: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾؟ قَال: قُلت: حَدِّثِينِي عَنْ ذَاكَ. قَالتْ: صَنَعْت لهُ طَعَامًا، وَصَنَعَتْ لهُ حَفْصَة طَعَامًا، فقلتُ لجَارِيَتِي: اذْهَبِي فَإِنْ جَاءَتْ هِيَ بِالطَّعَام فَوَضَعَتْهُ قَبْلُ فَاطْرَحِي الطَّعَام! قَالتْ: فَجَاءَتْ بِالطَّعَام، قَالتْ: فَأَلقَتْ الجَارِيَة فَوَقَعَتْ القَصْعَة فَانْكَسَرَتْ وَكَانَ نِطَع، قَالتْ: فَجَمَعَهُ رَسُول الله ﷺ وَقَال: «اقْتَصُّوا -أَوْ: اقْتَصِّي، شَكَّ أَسْوَد- ظَرْفًا مَكَان ظَرْفِك». قَالتْ: فَمَا قَال شَيْئًا.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن آدَم بْن أَبِي إِيَاس، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا المُبَارَك بْن فَضَالة، عَنْ الحَسَن، عَنْ سَعْد بْن هِشَام؛ قَال: أَتَيْت عَائِشَة أُمَّ المُؤْمِنِينَ ؓ فَقُلت لهَا: أَخْبِرِينِي بِخُلُق النَّبِيّ ﷺ ؟ فَقَالتْ: كَانَ خُلُقه القُرْآن، أَمَا تَقْرَأ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث الحَسَن نَحْوه. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس، أَنْبَأَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّة، عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر؛ قَال: حَجَجْت فَدَخَلت عَلى عَائِشَة ؓ فَسَأَلتهَا عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ ، فَقَالتْ: كَانَ خُلُق رَسُول الله ﷺ القُرْآن. هَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَد عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ. وروَاهُ النَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير، عَنْ إِسْحَاق بْن مَنْصُور، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، عَنْ مُعَاوِيَة بْن صَالح بِهِ.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ ؑ صَارَ امْتِثَال القُرْآن، أَمْرًا وَنَهْيًا سَجِيَّة لهُ، وَخُلُقًا تَطَبَّعَهُ، وَتَرَك طَبْعه الجِبِلِّيّ، فَمَهْمَا أَمَرَهُ القُرْآن فَعَلهُ، وَمَهْمَا نَهَاهُ عَنْهُ تَرَكَهُ، هَذَا مَعَ مَا جَبَلهُ الله عَليْهِ مِنْ الخُلُق العَظِيم، مِنْ الحَيَاء وَالكَرَم، وَالشَّجَاعَة وَالصَّفْح وَالحِلم، وَكُلّ خُلُق جَمِيل، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَس قَال: خَدَمْت رَسُول الله ﷺ عَشْر سِنِينَ فَمَا قَال لِي: أُفّ قَطُّ، ولا قَال لشَيْءٍ فَعَلته: لمَ فَعَلته؟ ولا لشَيْءٍ لمْ أَفْعَلهُ: أَلا فَعَلته؟ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَن النَّاس خَلْقًا، وَلا مَسِسْت خَزًّا وَلا حَرِيرًا وَلا شَيْئًا كَانَ أَليَن مِنْ كَفّ رَسُول الله ﷺ ، وَلا شَمَمْت مِسْكًا وَلا عِطْرًا كَانَ أَطْيَب مِنْ عَرَق رَسُول الله ﷺ.(٢) وَقَال البُخَارِيّ: حدَّثنا أحمدُ بْنُ سَعِيد أَبُو عَبْد الله، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن يُوسُف، عَنْ أَبِيه، عَنْ أَبِي إِسْحَاق؛ قَال: سَمِعْت البَرَاء يَقُول: كَانَ رَسُول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاس وَجْهًا وَأَحْسَن النَّاس خَلقًا، ليْسَ بِالطَّوِيل وَلا بِالقَصِير.(٣) وَالأَحَادِيث فِي هَذَا كَثِيرَة، وَلأَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيّ فِي هَذَا كِتَاب «الشَّمَائِل».

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٦)، ومسلم (٢٣٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٩).

وقَال الإمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثنَا مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُول الله ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا لهُ قطُّ، وَلا امْرَأَة، وَلا ضَرَبَ بِيَدِهِ شيئًا قطُّ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِد فِي سَبِيل الله، وَلا خُيِّرَ بَيْن شَيْئَيْنِ قطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبّهمَا إِلَيْهِ أَيْسَرهمَا حَتَّى يَكُون إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَد النَّاس مِنْ الإِثْم، وَلا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْء يُؤْتَى إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَك حُرُمَات الله، فَيَكُون هُوَ يَنْتَقِم لله ﷻ». وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا سَعِيد بْن مَنْصُور، حَدَّثنَا عَبْد العَزِيز بْن مُحَمَّد، عَنْ مُحَمَّد بْن عَجْلان، عَنْ القَعْقَاع بْن حَكِيم عَنْ أَبِي صَالِح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّمَا بُعِثْت لأُتَمِّم صَالِح الأَخْلاق ...**»[1] تفَرَّدَ بِهِ.

وقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾، أَيْ: فَستَعْلَمُ يَا مُحَمَّد، وَسَيَعْلَمُ مُخَالِفُوك وَمُكَذِّبُوك مَنْ المَفْتُون الضَّالّ مِنْك وَمِنْهُمْ، وهذه كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. قَال ابْن جُرَيْج: قَال ابْن عَبَّاس فِي هَذِهِ الآيَة: سَتَعْلَمُ وَيَعْلَمُونَ يَوْم القِيَامَة. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾، أَيْ: المَجْنُون وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَغَيْره. وَقَال قَتَادَة وَغَيْره: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ أَيْ: أَوْلَى بِالشَّيْطَانِ. وَمَعْنَى المَفْتُون ظَاهِر، أَيْ: الَّذِي قَدْ افْتَتَنَ عَنْ الحَقّ وَضَلَّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا دَخَلتْ البَاء فِي قَوْله: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ لِتَدُلّ عَلَى تَضْمِين الفِعْل فِي قَوْله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾، وَتَقْدِيره فَستَعْلَمُ وَيَعْلَمُونَ، أَوْ: فَسَتُخْبَرُ وَيُخْبَرُون بِأَيِّكُمْ المَفْتُون، وَالله أَعْلَم. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، أَيْ: هُوَ يَعْلم تَعَالَى أَيّ الفَرِيقَيْنِ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ هُوَ المُهْتَدِي، وَيَعْلم الحِزْب الضَّالّ عَنْ الحَقّ.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

يَقُول تَعَالَى: كَمَا أَنْعَمْنَا عَليْك وَأَعْطَيْنَاك الشَّرْع المُسْتَقِيم وَالخُلُق العَظِيم، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾. ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: لَوْ تُرَخِّص لهُمْ فَيُرَخِّصُونَ. وَقَال مُجَاهِد: وَدُّوا لَوْ تَرْكَن إِلَى آلِهَتِهِمْ، وَتَتْرُك مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ الحَقّ. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الكَاذِب لِضَعْفِهِ وَمَهَانَته إِنَّمَا يَتَّقِي بِأَيْمَانِهِ الكَاذِبَة الَّتِي يَجْتَرِئ بِهَا عَلَى أَسْمَاء الله تَعَالَى، وَاسْتِعْمَالهَا فِي كُلّ وَقْت فِي غَيْر مَحَلّهَا. قَال ابْن عَبَّاس: المَهِين: الكَاذِب. وَقَال مُجَاهِد: هُوَ الضَّعِيف القَلْب. وقَال الحَسَن: كُلّ حَلَّاف مُكَابِر مَهِين ضَعِيف.

وَقَوْله: ﴿هَمَّازٍ﴾. قَال ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة: يَعْنِي الاغْتِيَاب. ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾، يَعْنِي: الَّذِي يَمْشِي بَيْن النَّاس، وَيُحَرِّش بَيْنهمْ، وَيَنْقُل الحَدِيث لِفَسَادِ ذَات البَيْن، وَهِيَ الحَالِقَة، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث مُجَاهِد، عَنْ طَاوُس، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: مَرَّ رَسُول الله ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَال: «**إِنَّهُمَا ليُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير، أَمَّا أَحَدهمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِر مِنْ البَوْل، وَأَمَّا الآخَر فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»[2] الحَدِيث. وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّة الجَمَاعَة فِي كُتُبهمْ، مِنْ طُرُق عَنْ مُجَاهِد بِهِ.

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثنَا أَبُو مُعَاوِيَة، حَدَّثنَا الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ هَمَّام، أَنَّ حُذَيْفَة؛ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**لا يَدْخُل الجَنَّة قَتَّات**»[3]. رَوَاهُ الجَمَاعَة إِلَّا ابْن مَاجَهْ مِنْ طُرُق عَنْ إِبْرَاهِيم بِهِ. وَحَدَّثنَا عَبْد الرَّزَّاق،

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢٣٤٩).

(٢) صحيح: تقدم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (١٠٥).

حَدَّثَنَا الثَّوْرِيّ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ هَمَّام، عَنْ حُذَيْفَة؛ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«لا يَدْخُل الجنَّة قتَّات»**. يَعْنِي نَمَّامًا. وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان -أَبُو سَعِيد الأَحْوَل-، عَنْ الأَعْمَش، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيم مُنْذُ نَحو سِتِّينَ سَنَة، عَنْ هَمَّام بْن الحَارِث قَال: مَرَّ رَجُل عَلى حُذَيْفَة فَقِيل: إِنَّ هَذَا يَرْفَع الحَدِيث إِلى الأُمَرَاء. فَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول -أَوْ: قَال: قَال رَسُول الله ﷺ- : **«لا يَدْخُل الجنَّة قتَّات»**. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا هاشم، حَدَّثَنَا مَهْدِيّ، عَنْ وَاصِل الأَحْدَب، عَنْ أَبِي وَائِل؛ قَال: بَلغَ حُذَيْفَة عَنْ رَجُل أَنَّهُ يَنِمّ الحَدِيث، فَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ قَال: **«لا يَدْخُل الجنَّة نَمَّام»**.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَنْبَأَنَا مَعْمَر، عَنْ ابْن خُثَيْم، عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب، عَنْ أَسْمَاء بِنْت يَزِيد بْن السَّكَن؛ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟»**. قَالُوا: بَلى يَا رَسُول الله، قَال: **«الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ الله ﷻ»**. ثُمَّ قَال: **«أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ المَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّة، البَاغُونَ للبُرَآءِ العَنَت»**[1]. وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ سُوَيْد بْن سَعِيد، عَنْ يَحْيَى بْن سُلَيْم، عَنْ ابْن خُثَيْم بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ ابْن أَبِي حُسَيْن، عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن غَنْم -يَبْلُغ بِهِ النَّبِيّ ﷺ-: **«خِيَار عِبَاد الله الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ الله، وَشِرَار عِبَاد الله المَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفَرِّقُونَ بَيْن الأَحِبَّة، البَاغُونَ للبُرَآء العَنَت»**. وقوله: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أَيْ: يَمْنَع مَا عَلَيْهِ وَمَا لَدَيْهِ مِنْ الخَيْر، ﴿مُعْتَدٍ﴾ فِي تَنَاوُل مَا أَحَلَّ الله لهُ، يَتَجَاوَز فِيهَا الحَدّ المَشْرُوع، ﴿أَثِيمٍ﴾ أَيْ: يَتَنَاوَل المُحَرَّمَات. وقوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ أَمَّا العُتُلّ فَهُوَ: الفَظّ الغَلِيظ الصَّحِيح، الجَمُوع المَنُوع.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع وَعَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سُفْيَان، عَنْ مَعْبد بْن خَالد، عَنْ حَارِثَة بْن وَهْب؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : **«أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْل الجنَّة؟ كُلّ ضَعِيف مُتَضَعَّف لوْ أَقْسَمَ عَلى الله لأَبَرَّهُ، أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْل النَّار؟ كُلّ عُتُلّ جَوَّاظ مُسْتَكْبِر»**. وَقَال وَكِيع: **«كُلّ جَوَّاظ جَعْظَرِيّ مُسْتَكْبِر»**.[2] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وبَقِيَّة الجَمَاعَة إِلَّا أَبَا دَاوُد، مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ وَشُعْبَة، كليهما عَنْ معبد بْن خَالد بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عَلِيّ، قَال: سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث عَنْ عَبْد الله ابْن عَمْرو بْن العَاص، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال عِنْد ذِكْر أَهْل النَّار: **«كُلّ جَعْظَرِيّ جَوَّاظ مُسْتَكْبِر جَمَّاع مَنَّاع»**[3]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. قَال أَهْل اللُّغَة: الجَعْظَرِيّ: الفَظّ الغَلِيظ، وَالجَوَّاظ: الجَمُوع المَنُوع.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا عَبْد الحَمِيد، عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن غَنْم، قَال: سُئِل رَسُول الله ﷺ عَنْ العُتُلّ الزَّنِيم، فَقَال: «هُوَ الشَّدِيد الخَلق المُصَحَّح الأَكُول الشَّرُوب الوَاجِد للطَّعَام وَالشَّرَاب، الظَّلُوم للنَّاسِ، رَحِيب الجَوْف»[4]. وَبِهَذَا الإِسْنَاد قَال رَسُول الله ﷺ : «لا يَدْخُل الجَنَّة الجَوَّاظ الجَعْظَرِيّ، والعُتُلّ الزَّنِيم». وَقَدْ أَرْسَلهُ أَيْضًا غَيْر وَاحِد مِنْ التَّابِعِينَ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابنُ ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «تَبْكِي السَّمَاء مِنْ عَبْدٍ أَصَحَّ الله جِسْمه، وَأَرْحَبَ جَوْفه، وَأَعْطَاهُ مِنْ الدُّنْيَا مِقْضَمًا، فَكَانَ للنَّاسِ ظَلُومًا». قَال:

---

(١) **حسن** : أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٤١١٩)، وحسنه الألباني في «الأدب المفرد» (٣٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).
(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد (١/ ١٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٩٧).
(٤) **ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧)، فيه شهر بن حوشب: كثير الإرسال والأوهام. والحديث مرسل أيضًا.

«فَذَلكَ العُتُلّ الزَّنِيم»(١). وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيقَيْنِ مُرْسَلَيْنِ، وَنَصَّ عَلَيْهِ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلَف، مِنْهُمْ مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمْ: أَنَّ العُتُلّ هُوَ: المُصَحَّح الخَلق، الشَّدِيد القَوِيّ فِي المَأْكَل وَالمَشْرَب وَالمَنْكَح وَغَيْر ذَلك، وَأَمَّا الزَّنِيم فَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مَحْمُود، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي حُصَيْن، عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، قَال: رَجُل مِنْ قُرَيْش لهُ زَنَمَة مِثْل زَنَمَة الشَّاة.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا بالشر كَشُهْرَةِ الشَّاة ذَات الزَّنَمَة مِنْ بَيْن أَخَوَاتهَا. وَإِنَّمَا الزَّنِيم فِي لُغَة العَرَب: هُوَ الدَّعِيّ فِي القَوْم. قَالهُ ابْن جَرِير وَغَيْر وَاحِد مِنْ الأَئِمَّة، قَال: وَمِنْهُ قَوْل حَسَّان بْن ثَابِت، يَعْنِي يَذُمّ بَعْض كُفَّار قُرَيْش:

وَأَنْتَ زَنِيم نِيطَ فِي آل هَاشِم ۞ كَمَا نِيطَ خَلف الرَّاكِب القَدَح الفَرْد

وَقَال آخَر:

زَنِيم لَيْسَ يَعْرِف مَنْ أَبُوهُ ۞ بَغِيّ الأُمّ ذُو حَسَب لئِيم

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَمَّار بْن خَالد الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا أَسْبَاط، عَنْ هِشَام، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿زَنِيمٍ﴾. قَال: الدَّعِيّ الفَاحِش اللَّئِيم. ثُمَّ قَال ابْن عَبَّاس:

زَنِيم تَدَاعَاهُ الرِّجَال زِيَادَة ۞ كَمَا زِيدَ فِي عَرْض الأَدِيم الأَكَارِع

وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: الزَّنِيم: الدَّعِيّ. وَيُقَال: الزَّنِيم: رَجُل كَانَتْ بِهِ زَنَمَة، يُعْرَف بِهَا. وَيُقَال: هُوَ الأَخْنَس بْن شَرِيق الثَّقَفِيّ، حَلِيف بَنِي زُهْرَة. وَزَعَمَ أُنَاس مِنْ بَنِي زُهْرَة أَنَّ الزَّنِيم الأَسْوَد بْن عَبْد يَغُوث الزُّهْرِيّ وَليْسَ بِهِ. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس: إنه زَعَمَ أَنَّ الزَّنِيم المُلحَق النَّسَب.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنِي يُونُس، حَدَّثَنَا ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي سُليْمَان بْن بِلال، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن حَرْمَلة، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُول فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، قَال سَعِيد: هُوَ المُلصَق بِالقَوْم، ليْسَ مِنْهُمْ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا عُقْبَة بْن خَالد عَنْ عَامِر بْن قُدَامَة قَال: سُئِل عِكْرِمَة عَنْ الزَّنِيم قَال: هُوَ وَلد الزِّنَا.

وَقَال الحَكَم بْن أَبَان عَنْ عِكْرِمَة فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، قَال: يُعْرَف المُؤْمِن مِنْ الكَافِر مِثْل الشَّاة الزَّنْمَاء، وَالزَّنْمَاء مِنْ الشِّيَاه الَّتِي فِي عُنُقهَا هَنَتَانِ مُعَلَّقَتَانِ فِي حَلقهَا. وَقَال الثَّوْرِيّ، عَنْ جَابِر، عَنْ الحَسَن، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر؛ قَال: الزَّنِيم: الَّذِي يُعْرَف بِالشَّرّ كَمَا تُعْرَف الشَّاة بِزَنَمَتِهَا. وَالزَّنِيم: المُلصَق. رَوَاهُ ابْن جَرِير. وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيق دَاوُد بْن أَبِي هِنْد عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال فِي الزَّنِيم، قَال: نُعِت فَلمْ يُعْرَف حَتَّى قِيل: زَنِيم. قَال: وَكَانَتْ لهُ زَنَمَة فِي عُنُقه يُعْرَف بِهَا. وَقَال آخَرُونَ: كَانَ دَعِيًّا.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا ابْن إِدْرِيس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَصْحَاب التَّفْسِير قَالُوا: هُوَ الَّذِي تَكُون لهُ زَنَمَة مِثْل زَنَمَة الشَّاة. وَقَال الضَّحَّاك: كَانَتْ لهُ زَنَمَة فِي أَصْل أُذُنه، وَيُقَال: هُوَ اللَّئِيم المُلصَق فِي النَّسَب. وَقَال أَبُو إِسْحَاق، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ المُرِيب الَّذِي يُعْرَف بِالشَّرّ. وَقَال مُجَاهِد: الزَّنِيم يُعْرَف بِهَذَا الوَصْف كَمَا تُعْرَف الشَّاة. وَقَال أَبُو رَزِين: الزَّنِيم عَلامَة الكُفْر. وَقَال عِكْرِمَة: الزَّنِيم الَّذِي يُعْرَف بِاللُّؤْمِ كَمَا تُعْرَف

---

(١) مرسل: أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤)، ورجاله ثقات ولكنه مرسل.

الشَّاة بِزَنَمَتِهَا. وَالأَقْوَال فِي هَذَا كَثِيرَة، وَتَرْجِع إِلَى مَا قُلْنَاهُ، وَهُوَ أَنَّ الزَّنِيم هُوَ المَشْهُور بِالشَّرِّ، الَّذِي يُعْرَف بِهِ مِنْ بَيْن النَّاس، وَغَالبًا يَكُون دَعِيًّا وَلَدَ زِنًا، فَإِنَّهُ فِي الغَالب يَتَسَلَّط الشَّيْطَان عَلَيْهِ مَا لا يَتَسَلَّط عَلى غَيْره، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**لا يَدْخُل الجنَّة وَلد زِنًا**»[1]. وَفِي الحَدِيث الآخَر: «**وَلد الزِّنَا شَرّ الثَّلاثَة إِذَا عَمِل بِعَمَل أَبَوَيْهِ**».[2]

وقوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يَقُول تَعَالى: هَذَا مُقَابَلة مَا أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ مِنْ المَال وَالبَنِينَ، كَفَرَ بِآيَاتِ الله وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَزَعَمَ أَنَّهَا كَذِب مَأْخُوذ مِنْ أَسَاطِير الأَوَّلِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾. وقال تعالى هاهنا: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

قَال ابْن جَرِير: سَنُبَيِّنُ أَمْره بَيَانًا وَاضِحًا حَتَّى يَعْرِفُوهُ وَلا يَخْفَى عَلَيْهِمْ، كَمَا لا تَخْفَى السِّمَة عَلى الخَرَاطِيم. وَهَكَذَا قَال قَتَادَة: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ شَيْن لا يُفَارِقهُ آخِر مَا عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: سِيمَا عَلى أَنْفه. وَكَذَا قَال السُّدِّيّ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ يُقَاتِل يَوْم بَدْر، فَيُخْطَم بِالسَّيْفِ فِي القِتَال. وَقَال آخَرُونَ: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سِمَة أَهْل النَّار، يَعْنِي نُسَوِّد وَجْهه يَوْم القِيَامَة، وَعَبَّرَ عَنْ الوَجْه بِالخُرْطُوم. وَحَكَى ذَلِكَ كُلّه أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير، وَمَال إِلى أَنَّهُ لا مَانِع مِنْ اجْتِمَاع الجَمِيع عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَهُوَ مُتَّجِه. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم فِي سُورَة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو صَالح كَاتِب اللَّيْث، حَدَّثَنِي اللَّيْث، حَدَّثَنِي خَالد ابْن سَعِيد، عَنْ عَبْد المَلك بْن عَبْد الله، عَنْ عِيسَى بْن هِلال الصَّدَفِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «إِنَّ العَبْد يُكْتَب مُؤْمِنًا أَحْقَابًا ثُمَّ أَحْقَابًا ثُمَّ يَمُوت وَالله عَلَيْهِ سَاخِط. وَإِنَّ العَبْد يُكْتَب كَافِرًا أَحْقَابًا ثُمَّ أَحْقَابًا ثُمَّ يَمُوت وَالله عَلَيْهِ رَاضٍ. وَمَنْ مَاتَ هَمَّازًا لَمَّازًا مُلَقِّبًا لِلنَّاسِ، كَانَ عَلامَته يَوْم القِيَامَة أَنْ يَسِمهُ الله عَلى الخُرْطُوم، مِنْ كِلا الشَّفَتَيْنِ».

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

هَذَا مَثَل ضَرَبَهُ الله تَعَالى لِكُفَّارِ قُرَيْش فِيمَا أَهْدَى إِلَيْهِمْ مِنْ الرَّحْمَة العَظِيمَة، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ النعم الجَسِيمَة، وَهُوَ بَعْثَة مُحَمَّد ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَابَلُوهُ بِالتَّكْذِيب وَالرَّدّ وَالمُحَارَبَة، وَلهَذَا قَال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾، أَيْ: اخْتَبَرْنَاهُمْ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وَهِيَ البُسْتَان المُشْتَمِل عَلى أَنْوَاع الثِّمَار وَالفَوَاكِه، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أَيْ: حَلفُوا فِيمَا بَيْنهمْ لَيُجَذُّنَّ ثَمَرهَا لَيْلًا، لِئَلَّا يَعْلم بِهِمْ فَقِير وَلا سَائِل، لِيَتَوَفَّر ثَمَرهَا عَلَيْهِمْ وَلا يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ، ﴿وَلَا

---

(١) حسنه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٣).
(٢) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٦١٢٩).

يَسْتَثْنُونَ﴾ أَيْ: فِيمَا حلفُوا بِهِ. وَلهَذَا حَنَّثَهُمُ الله فِي أَيْمَانهمْ، فَقَال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أَيْ: أَصَابَتْهَا آفَة سَمَاوِيَّة. ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: أَيْ كَاللَّيْل الأَسْوَد. وَقَال الثَّوْرِيّ، وَالسُّدِّيّ: مِثْل الزَّرْع إِذَا حُصِدَ، أَيْ: هَشِيمًا يَبِسًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذُكِرَ عَنْ أَحْمَد بْن الصَّبَّاح: أَنْبَأَنَا بشير بْن زَاذَان، عَنْ عُمَر بْن صبح، عَنْ ليْث بْن أَبِي سُلَيم، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن سَابِط، عَنْ ابْن مَسْعُود؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالمَعَاصِي، إِنَّ العَبْد لَيُذْنِب الذَّنْب فَيُحْرَم بِهِ رِزْقًا قَدْ كَانَ هُيِّئَ لَهُ». ثُمَّ تَلا رَسُول الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾، قَدْ حُرِمُوا خَيْر جَنَّتهمْ بِذَنْبِهِمْ.[1]

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أَيْ: لَـمَّا كَانَ وَقْت الصُّبْح نَادَى بَعْضهمْ بَعْضًا لِيَذْهَبُوا إِلَى الجِذَاذ، ﴿أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أَيْ: تُرِيدُونَ الصِّرَام. قَال مُجَاهِد: كَانَ حَرْثهمْ عِنَبًا ﴿فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنهمْ بِحَيْثُ لا يُسْمِعُونَ أَحَدًا كَلامهمْ. ثُمَّ فَسَّرَ الله عَالم السِّرّ وَالنَّجْوَى مَا كَانُوا يَتَخَافَتُونَ بِهِ، فَقَال: ﴿فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أَيْ: يَقُول بَعْضهمْ لِبَعْضٍ: لا تُمَكِّنُوا اليَوْم فَقِيرًا يَدْخُلهَا عَلَيْكُمْ! قَال الله تَعَالَى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾، أَيْ: قُوَّة وَشِدَّة. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أَيْ: جَدّ. وَقَال عِكْرِمَة: غَيْظ. وَقَال الشَّعْبِيّ: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: عَلَى المَسَاكِين. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾، أَيْ: كَانَ اسْم قَرْيَتهمْ «حَرْد». فَأَبْعَدَ السُّدِّيّ فِي قَوْله هَذَا!

﴿قَٰدِرِينَ﴾، أَيْ: عَلَيْهَا فِيمَا يَزْعُمُونَ وَيَرُومُونَ. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أَيْ: فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَأَشْرَفُوا عَلَيْهَا، وَهِيَ عَلَى الحَالَة الَّتِي قَال الله ﷻ، قَدْ اسْتَحَالَتْ عَنْ تِلْكَ النَّضَارَة وَالزَّهْرَة وَكَثْرَة الثِّمَار إِلَى أَنْ صَارَتْ سَوْدَاء مُدْهِمَّة، لا يُنْتَفَع بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَئُوا الطَّرِيق. وَلهَذَا قَالُوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾، أَيْ: قَدْ سَلَكْنَا إِلَيْهَا غَيْر الطَّرِيق فَتُهْنَا عَنْهَا. قَالَهُ ابْن عَبَّاس وَغَيْره: ثُمَّ رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهَا هِيَ، فَقَالُوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾. أَيْ: بَل هَذِهِ هِيَ، وَلَكِنْ نَحْنُ لا حَظّ لَنَا وَلا نَصِيب.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعِكْرِمَة، وَمُحَمَّد بْن كَعْب، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة: أَيْ أَعْدَلهمْ وَخَيْرهمْ ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قَال مُجَاهِد، وَالسُّدِّيّ، وَابْن جُرَيْج: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، أَيْ: لَوْلا تَسْتَثْنُونَ، قَال السُّدِّيّ: وَكَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَان تَسْبِيحًا. وَقَال ابْن جَرِيج: هُوَ قَوْل القَائِل: إِنْ شَاءَ الله. وَقِيل: مَعْنَاهُ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، أَيْ: هَلَّا تُسَبِّحُونَ الله وَتَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، ﴿قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أَتَوْا بِالطَّاعَةِ حَيْثُ لا تَنْفَع، وَنَدِمُوا وَاعْتَرَفُوا حَيْثُ لا ينجع، وَلهَذَا قَالُوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾. أَيْ: يَلُوم بَعْضهمْ بَعْضًا عَلَى مَا كَانُوا أَصَرُّوا عَلَيْهِ مِنْ مَنْع المَسَاكِين مِنْ حَقّ الجِذَاذ، فَمَا كَانَ جَوَاب بَعْضهمْ لِبَعْضٍ إِلَّا الاعْتِرَاف بِالخَطِيئَةِ وَالذَّنْب، ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾، أَيْ: اعْتَدَيْنَا وَبَغَيْنَا وَطَغَيْنَا وَجَاوَزْنَا الحَدّ حَتَّى أَصَابَنَا مَا أَصَابَنَا، ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾، قِيل: رَغِبُوا فِي بَذْلهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَقِيل: احْتَسَبُوا ثَوَابهَا فِي الدَّار الآخِرَة، وَالله أَعْلَم.

ثُمَّ قَدْ ذَكَرَ بَعْض السَّلَف أَنَّ هَؤُلاءِ قَدْ كَانُوا مِنْ أَهْل اليَمَن، قَال سَعِيد بْن جُبَيْر: كَانُوا مِنْ قَرْيَة يُقَال لَهَا:

---

(١) ضعيف: فيه ليث بن أبي سليم: اختلط حديثه ولم يتميز، فتُرك. وعمر بن صبح: متروك.

ضروان، عَلى سِتَّة أَمْيَال مِنْ صَنْعَاء. وَقِيل: كَانُوا مِنْ أَهْل الحَبَشَة، وَكَانَ أَبُوهُمْ قَدْ خَلَّفَ لَهُمْ هَذِهِ الجَنَّة، وَكَانُوا مِنْ أَهْل الكِتَاب، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُمْ يَسِير فِيهَا سِيرَة حَسَنَة، فَكَانَ مَا استغله مِنْهَا يَرُدّ فِيهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَدَّخر لعِيَالِهِ قُوت سَنَتهمْ، وَيَتَصَدَّق بِالفَاضِل. فَلَمَّا مَاتَ وَوَرِثَهُ بَنُوهُ، قَالُوا: لقَدْ كَانَ أَبُونَا أَحْمَق إِذْ كَانَ يَصْرِف مِنْ هَذِهِ شَيْئًا للفُقَرَاءِ وَلوْ أَنَّا مَنَعْنَاهُمْ لتَوَفَّرَ ذَلِكَ عَلَيْنَا. فَلَمَّا عَزَمُوا عَلى ذَلِكَ عُوقِبُوا بِنَقِيضِ قَصْدهمْ، فَأَذْهَبَ الله مَا بِأَيْدِيهِمْ بِالكُلِّيَّةِ، ورَأْس المَال والرِّبْح وَالصَّدَقَة، فَلمْ يَبْقَ لَهُمْ شَيْء.

قَال الله تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾، أَيْ: هَكَذَا عَذَاب مَنْ خَالفَ أَمْر الله، وَبَخِل بِمَا آتَاهُ الله وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمَنَعَ حَقّ المساكين والفقراء وَذَوِي الحَاجَات، وَبَدَّل نِعْمَة الله كُفْرًا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: هَذِهِ عُقُوبَة الدُّنْيَا كَمَا سَمِعْتُمْ، وَعَذَاب الآخِرَة أَشَقّ. وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيث رَوَاهُ الحَافِظ [البَيْهَقِيّ][1] مِنْ طَرِيق جَعْفَر بْن مُحَمَّد بْن عَليّ بْن الحُسَيْن بْن عَليّ بْن أَبِي طَالب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه: أَنَّ رَسُول الله ﷺ نَهَى عَنْ الجِذَاذ بِاللَّيْل، وَالحَصَاد بِاللَّيْل.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾.

لَـمَّا ذَكَرَ تَعَالى حَال أَهْل الجَنَّة الدُّنْيَوِيَّة، وَمَا أَصَابَهُمْ فِيهَا مِنْ النِّقْمَة حِين عَصَوْا الله ﷻ وَخَالفُوا أَمْره، بَيَّنَ أَنَّ لِمَنْ اتَّقَاهُ وَأَطَاعَهُ فِي الدَّار الآخِرَة جَنَّات النَّعِيم الَّتِي لا تَبِيد وَلا تَفْرُغ وَلا يَنْقَضِي نَعِيمهَا. ثم قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾، أَيْ: أَفنُسَاوِي بَيْن هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ فِي الجَزَاء؟ كَلَّا وَرَبّ الأَرْض وَالسَّمَاء، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أَيْ: كَيْف تَظُنُّونَ ذَلِكَ؟ ثُمَّ قَال: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾، يَقُول: أَفَبِأَيْدِيكُمْ كِتَاب مُنَزَّل مِنْ السَّمَاء تَدْرُسُونَهُ وَتَحْفَظُونَهُ وَتَتَدَاوَلُونَهُ بِنَقْل الخَلف عَنْ السَّلف، مُتَضَمِّن حُكْمًا مُؤَكَّدًا كَمَا تَدَّعُونَهُ؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أَيْ: أَمَعَكُمْ عُهُود مِنَّا وَمَوَاثِيق مُؤَكَّدَة، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾، أَيْ: أَنَّهُ سَيَحْصُلُ لكُمْ مَا تُرِيدُونَ وَتَشْتَهُونَ، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أَيْ: قُل لَهُمْ: مَنْ هُوَ المُتَضَمِّن المُتَكَفِّل بِهَذَا؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾، أَيْ: مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

لَـمَّا ذَكَرَ تَعَالى أَنَّ للمُتَّقِينَ عنده جَنَّات النَّعِيم، بَيَّنَ مَتَى ذَلكَ كَائِن وَوَاقِع، فَقَال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، يَعْنِي يَوْم القِيَامَة وَمَا يَكُون فِيهِ مِنْ الأَهْوَال وَالزَّلازِل والبلابل وَالامْتِحَان وَالأُمُور العِظَام، وَقَدْ قَال البُخَارِيّ هَهُنَا: حَدَّثَنَا آدَم، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ خَالد بْن يَزِيد، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلال، عَنْ زَيْد ابْن أَسْلم، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ قَال: سَمِعْت النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «**يَكْشِف رَبّنَا عَنْ سَاقه، فَيَسْجُد لهُ كُلّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُد فِي الدُّنْيَا رِيَاء وَسُمْعَة، فَيَذْهَب ليَسْجُد فَيَعُود ظَهْره طَبَقًا وَاحِدًا**»[2].

وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّج فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَفِي غَيْرهمَا مِنْ طُرُق، وَلهُ أَلفَاظ، وَهُوَ حَدِيث طَوِيل مَشْهُور. وَقَدْ قَال

---

(١) في الأزهرية: [السهيلي].
(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٢).

عَبْد الله بْن المُبَارَك: عَنْ أُسَامَة بْن زَيْد، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قَال: هُوَ يَوْم كَرْب وَشِدَّة. رَوَاهُ ابْن جَرِير، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد حَدَّثَنَا مِهْرَان عَنْ سُفْيَان عَنْ المُغِيرَة عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ ابْن مَسْعُود، أَوْ ابْن عَبَّاس -الشَّكّ مِنْ ابْن جَرِير-: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قَال: عَنْ أَمْر عَظِيم، كَقَوْل الشَّاعِر:

وقامت الحرْب بنا عنْ ساق

وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح: عَنْ مُجَاهِد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قَال: شِدَّة الأَمْر. وَقَال ابْن عَبَّاس: هِيَ أول سَاعَة تَكُون فِي يَوْم القِيَامَة. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس: قَوْله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هُوَ: الأَمْر الشَّدِيد المفظع مِنْ الهَوْل يَوْم القِيَامَة. وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس قَوْله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، يَقُول: حِين يُكْشَف الأَمْر وَتَبْدُو الأَعْمَال وَكَشْفه دُخُول الآخِرَة، وَكَشْف الأَمْر عَنْهُ. وَكَذَا رَوَى الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس. أَوْرَدَ ذَلِكَ كُلّه أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنِي أَبُو زَيْد عُمَر بْن شَبَة، حَدَّثَنَا هَارُون بْن عُمَر المَخْزُومِيّ، حَدَّثَنَا الوَلِيد ابْن مُسْلم، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد رَوْح بْن جَنَاح، عَنْ مَوْلَى لعُمَر بْن عَبْد العَزِيز، عَنْ أَبِي بُرْدَة بْن أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عَنْ نُور عَظِيم، يَخِرُّونَ لهُ سُجَّدًا.[1] وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلى، عَنْ القَاسِم بْن يَحْيَى، عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم، بِه، وفيه رَجُل مُبْهَم، فالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة بِإِجْرَامِهِمْ وَتَكَبُّرهمْ فِي الدُّنْيَا، فَعُوقِبُوا بِنَقِيضِ مَا كَانُوا عَليْهِ، وَلمَّا دُعُوا إِلى السُّجُود فِي الدُّنْيَا فَامْتَنَعُوا مِنْهُ مَعَ صِحَّتهمْ وَسَلامَتهمْ، كَذَلكَ عُوقِبُوا بِعَدَمِ قُدْرَتهمْ عَليْهِ فِي الآخِرَة، إِذَا تَجَلَّى الرَّبّ ﷻ فَيَسْجُد لهُ المُؤْمِنُونَ، لا يَسْتَطِيع أَحَد مِنْ الكَافِرِينَ وَلا المُنَافِقِينَ أَنْ يَسْجُد، بَل يَعُود ظَهْر أَحَدهمْ طَبَقًا وَاحِدًا، كُلَّمَا أَرَادَ أَحَدهمْ أَنْ يَسْجُد خَرَّ لقَفَاهُ، عَكْس السُّجُود، كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، بِخِلافِ مَا عَليْهِ المُؤْمِنُونَ.

ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي: القُرْآن، وَهَذَا تَهْدِيد شَدِيد أَيْ: دَعْنِي وَإِيَّاهُ مِنِّي وَمِنْهُ. أَنَا أَعْلم بِهِ كَيْف أَسْتَدْرِجهُ، وَأَمُدّهُ فِي غَيّه وَأُنْظِرهُ، ثُمَّ آخُذهُ أَخْذ عَزِيز مُقْتَدِر. وَلهَذَا قَال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أَيْ: وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ، بَل يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلكَ مِنْ الله كَرَامَة، وَهُوَ فِي نَفْس الأَمْر إِهَانَة، كَمَا قَال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾، وَقَال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾. ولهذا قال هاهنا: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، أَيْ: وَأُؤَخِّرهُمْ وَأُنْظِرهُمْ وَأَمُدّهُمْ، وَذَلكَ مِنْ كَيْدِي وَمَكْرِي بِهِمْ، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أَيْ: عَظِيم لمَنْ خَالفَ أَمْرِي، وَكَذَّبَ رُسُلي، وَاجْتَرَأَ عَلى مَعْصِيَتِي.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ الله ليُمْلي للظَّالم، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لمْ يُفْلتهُ**»[2] ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. وَقَوْله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٦ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾، تَقَدَّمَ تَفْسِيرهمَا فِي سُورَة الطُّور. وَالمَعْنَى فِي ذَلكَ: أَنَّك يَا مُحَمَّد تَدْعُوهُمْ إِلى الله ﷻ بِلا أَجْر تَأْخُذهُ مِنْهُمْ، بَل تَرْجُو ثَوَاب ذَلكَ عِنْد الله ﷻ، وَهُمْ يُكَذِّبُونَ بِمَا جِئْتهمْ بِهِ، بِمُجَرَّدِ الجَهْل وَالكُفْر وَالعِنَاد.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٢)، وأبو يعلى (٧٢٧٣)، وفيه رجل مبهم، وعمر بن شبة: فيه ضعف.

(٢) صحيح: تقدم.

مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يَا مُحَمَّد عَلَى أَذَى قَوْمك لك وَتَكْذِيبهمْ، فَإِنَّ الله سَيَحْكُمُ لك عَلَيْهِمْ، وَيَجْعَل العَاقِبَة لك وَلأَتْبَاعِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾، يَعْنِي: ذَا النُّون، وَهُوَ يُونُس بْن مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِين ذَهَبَ مُغَاضِبًا عَلَى قَوْمه، فَكَانَ مِنْ أَمْره مَا كَانَ مِنْ رُكُوبه فِي البَحْر وَالتِقَام الحُوت لَهُ، وَشُرُود الحُوت بِهِ فِي البِحَار وَظُلُمَات غَمَرَات اليَمّ، وَسَمَاعه تَسْبِيح البَحْر بِمَا فِيهِ لِلعَلِيِّ القَدِير الَّذِي لا يُرَدّ مَا أَنْفَذَهُ مِنْ التَّقْدِير، فَحِينَئِذٍ نَادَى فِي الظُّلُمَات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قَال الله تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وَقَال تَعَالَى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾. وَقَال هَهُنَا: ﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالسُّدِّيّ: مَغْمُوم، وَقَال عَطَاء الخُرَاسَانِيّ، وَأَبُو مَالك: مَكْرُوب. وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الحَدِيث أَنَّهُ لَمَّا قَال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خَرَجَتْ الكَلِمَة تحفّ حَوْل العَرْش، فَقَالَتْ المَلائِكَة: يَا رَبّ، هَذَا صَوْت ضَعِيف مَعْرُوف مِنْ بِلاد غَرِيبَة! فَقَال الله تَعَالَى: أَمَا تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: لا! قَال: هَذَا يُونُس. قَالُوا: يَارَبّ، عَبْدك الَّذِي لا يَزَال يُرْفَع لَهُ عَمَل صَالح وَدَعْوَة مُجَابَة؟ قَال: نَعَمْ. قَالُوا: أَفَلا تَرْحَم مَا كَانَ يَعْمَلهُ فِي الرَّخَاء فَتُنْجِيه مِنْ البَلاء؟ فَأَمَرَ الله الحُوت فَأَلْقَاهُ بِالعَرَاءِ، وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.[1]

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَبْد الله قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُول: أَنَا خَيْر مِنْ يُونُس بْن مَتَّى**»[2]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة.

وَقَوْله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾، قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَغَيْرهمَا: ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾: لَيُنْفِذُونَك بِأَبْصَارِهِمْ. أَيْ: لَيَعِينُونك بِأَبْصَارِهِمْ، بِمَعْنَى يَحْسُدُونَك لِبُغْضِهِمْ إِيَّاكَ؛ لَوْلا وِقَايَة الله لك، وَحِمَايَته إِيَّاكَ مِنْهُمْ. وَفِي هَذِهِ الآيَة دَلِيل عَلَى أَنَّ العَيْن إِصَابَتهَا وَتَأْثِيرهَا حَقّ بِأَمْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ كَمَا وَرَدَتْ بِذَلكَ الأَحَادِيث المَرْوِيَّة مِنْ طُرُق مُتَعَدِّدَة كَثِيرَة.

حَدِيث أَنَس بْن مَالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَال أَبُو دَاوُد[3]: حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن دَاوُد العَتَكِيّ، حَدَّثَنَا شَرِيك /ح/ وَحَدَّثَنَا العَبَّاس العَنْبَرِيّ، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَنْبَأَنَا شَرِيك، عَنْ العَبَّاس بْن ذُرَيْح، عَنْ الشَّعْبِيّ قَال العَبَّاس: عَنْ أَنَس قَال: قَال النبي ﷺ: «**لا رُقْيَة إلاَّ مِنْ عَيْن أَوْ حُمَة أَوْ دَم لا يَرْقَأ**» لَمْ يَذْكُر العَبَّاس العَيْن، وَهَذَا لَفْظ سُلَيْمَان.

حَدِيث بُرَيْدَة بْن الحُصَيْب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَال أَبُو عَبْد الله ابْن مَاجَهْ[4]: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن نُمَيْر، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن سُلَيْمَان، عَنْ أَبِي جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ حُصَيْن، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ بُرَيْدَة بْن الحُصَيْب قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لا رُقْيَة إلاَّ مِنْ عَيْن أَوْ حُمَة**». هَكَذَا رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه»[5]، عَنْ سَعِيد بْن مَنْصُور، عَنْ هُشَيْم، عَنْ حُصَيْن بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ عَامِر الشَّعْبِيّ، عَنْ بُرَيْدَة مَوْقُوفًا، وَفِيهِ قِصَّة.

---

(١) **ضعيف**: تقدم في سورة الأنبياء.
(٢) **صحيح**: تقدم.
(٣) برقم (٣٨٨٩) وسنده ضعيف.
(٤) برقم (٣٥١٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٥) برقم (٣٢٣).

وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَة عَنْ حُصَيْن عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ بُرَيْدَة. قَالهُ التِّرْمِذِيّ. وَرَوَى هَذَا الحَدِيث الإِمَام البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن فُضَيْل، وَأَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث مَالك بْن مِغْوَل، وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، ثَلاثَتهمْ عَنْ حُصَيْن، عَنْ عَامِر الشَّعْبِيّ، عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن مَوْقُوفًا.

حَدِيث أَبِي ذَرّ جُنْدُب بْن جُنَادَة رضي الله عنه: قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن عَرْعَرَة ابْن البرند السَّامِيّ، حَدَّثَنَا دَيْلم بْن غَزْوَان، حَدَّثَنَا وَهْب بْن أَبِي دبي، عَنْ أَبِي حَرْب عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنَّ العَيْن لتُولع الرَّجُل بِإِذْنِ الله فَيَتَصَاعَد حَالقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ»**[1]. إِسْنَاده غَرِيب وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ.

حَدِيث حَابِس التَّمِيمِيّ: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد، حَدَّثَنَا حَرْب، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، حَدَّثَنِي حَيَّة بْن حَابِس التَّمِيمِيّ: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «لا شَيْء فِي الهَام وَالعَيْن حَقّ، وَأَصْدَق الطِّيَرَة الفَأْل»[2]. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَمْرو بْن عَلِيّ، عَنْ أَبِي غَسَّان يَحْيَى بْن كَثِير، عَنْ عَلِيّ بْن المُبَارَك، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، بِهِ ثُمَّ قَال: «غَرِيب». قَال: وَرَوَى شيبان، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، عَنْ حَيَّة بْن حَابِس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ. [**قُلت**: كَذَلكَ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ حَسَن بْن مُوسَى، وَحُسَيْن ابْن مُحَمَّد، عَنْ شَيْبَان، عن يحيى بْن أَبِي كثير، عن حية حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «لا بَأْس فِي الهَام، وَالعَيْن حَقّ، وَأَصْدَق الطِّيَرَة الفَأْل».][3]

حَدِيث ابْن عَبَّاس رضي الله عنه: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن الوَليد، عَنْ سُفْيَان عَنْ دُويد حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بْن ثَوْبَان عَنْ جَابِر بْن زَيْد، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«العَيْن حَقّ، العَيْن حَقّ، تَسْتَنْزِل الحَالق»**[4] غَرِيب.

طَرِيق أُخْرَى: قَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الدَّارِمِيّ، أَخْبَرَنَا مُسْلم بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا وُهَيْب، عَنْ ابْن طَاوُس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«العَيْن حَقّ، وَلوْ كَانَ شَيْء سَابِق القَدَر سَبَقَتْ العَيْن، وَإِذَا اسْتُغْسِلتُمْ فَاغْسِلُوا»**[5]. انْفَرَدَ بِهِ دُون البُخَارِيّ. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُعَوِّذ الحَسَن وَالحُسَيْن يَقُول: «أُعِيذكُمَا بِكَلمَاتِ الله التَّامَّة، مِنْ كُلّ شَيْطَان وَهَامَة وَمِنْ كُلّ عَيْن لامَّة». وَيَقُول: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيم يُعَوِّذ إِسْحَاق وَإِسْمَاعِيل عليهما السلام»[6]. أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ وَأَهْل السُّنَن مِنْ حَدِيث المِنْهَال بِهِ.

حَدِيث أَبِي أُمَامَة أَسْعَد بْن سَهْل بْن حُنَيْف رضي الله عنه: قَال ابْن مَاجَهْ: حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي أُمَامَة ابن سَهْل بْن حُنَيْف قَال: مَرَّ عَامِر بْن رَبِيعَة بِسَهْل بْن حُنَيْف وَهُوَ يَغْتَسِل، فَقَال: لمْ أَرَ كَاليَوْم وَلا جِلد مُخَبَّأَة. فَمَا لبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ رَسُول الله ﷺ، فَقِيل لهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا. قَال: «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟» قَالُوا: عَامِر بْن رَبِيعَة. قَال: **«عَلامَ يَقْتُل أَحَدكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبهُ فَليَدْعُ لهُ بِالبَرَكَة»**. ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأ فَيَغْسِل وَجْهه وَيَدَيْهِ إِلى المِرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْهِ، وَدَاخِلة إِزَاره وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبّ عَليْهِ. قَال سُفْيَان: قَال مَعْمَر؛ عَنْ الزُّهْرِيّ: وَأَمَرَ أَنْ يُكْفَأ الإِنَاء مِنْ

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد (٥/ ١٤٦)، ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٨٩).

(٢) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ٧٠) من حديث جابر، وكذلك رواه من حديث أبي هريرة وفيه اضطراب، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٨٠٤).

(٣) سقط من الأزهرية.

(٤) **حسن لغيره** : أخرجه أحمد (١/ ٢٩٤)، والحاكم (٤/ ٢١٥)، فيه دويد البصري: قال أبو حاتم: لين الحديث. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤١٤٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢١٨٨).

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٧١).

خلفه.(١) وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة وَمَالِك بْن أَنَس، كليهما عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ. وَمِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة أَيْضًا عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي أُمَامَة: وَيُكْفَأ الإِنَاء مِنْ خَلفه. وَمِنْ حَدِيث ابْن أَبِي ذِئْب عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي أُمَامَة أَسْعَد بْن سَهْل بْن حُنَيْف، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ. وَمِنْ حَدِيث مَالِك أَيْضًا، عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي أُمَامَة ابْن سَهْل عَنْ أَبِيهِ بِهِ.

حَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ: قَالَ ابْن مَاجَهْ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سُلَيْمَان، حَدَّثَنَا عَبَّاد، عَنْ الْجُرَيْرِيّ، عَنْ أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَتَعَوَّذ مِنْ أَعْيُن الجَانّ وَأَعْيُن الإِنس، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ أخذهما وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ.(٢) وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن أَبِي إِيَاس أَبِي مَسْعُود الْجُرَيْرِيّ بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيّ: «حَسَن».

حَدِيث آخَر عَنْهُ: قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد بْن عَبْد الوَارِث، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي عَبْد العَزِيز بْن صُهَيْب، حَدَّثَنِي أَبُو نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد: أَنَّ جِبْرِيل أَتَى النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: اشْتَكَيْت يَا مُحَمَّد؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: بِسْم الله أَرْقِيك، مِنْ كُلّ شَيْء يُؤْذِيك، مِنْ شَرّ كُلّ نَفْس وعَيْن يَشْفِيك، بِسْم الله أَرْقِيك. وَرَوَاهُ عَنْ عَفَّان عَنْ عَبْد الوَارِث مِثْله(٣)، وَرَوَاهُ مُسْلِم وَأَهْل السُّنَن -إِلَّا أَبَا دَاوُد- مِنْ حَدِيث عَبْد الوَارِث بِهِ.

وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا وُهَيْب، حَدَّثَنَا دَاوُد، عَنْ أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد -أَوْ عن جَابِر بْن عَبْد الله-: أَنَّ رَسُول الله ﷺ اشْتَكَى، فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَالَ: بِسْم الله أَرْقِيك، مِنْ كُلّ شَيْء يُؤْذِيك، مِنْ كُلّ حَاسِد وَعَيْن الله يَشْفِيك. وَرَوَاهُ أَيْضًا، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن الطُّفَاوِيّ، عَنْ دَاوُد، عن أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد، بِهِ. قَالَ أَبُو زُرْعَة الرَّازِيّ: رَوَى عَبْد الصَّمَد بْن عَبْد الوَارِث، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْد العَزِيز عَنْ أَبِي نَضْرَة، وَعَنْ عَبْد العَزِيز عَنْ أَنَس فِي مَعْنَاهُ، وَكِلَاهُمَا صَحِيح.

حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ: قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَنْبَأَنَا مَعْمَر، عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَة عَنْ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَيْن حَقّ**»(٤). أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق. وَقَالَ ابْن مَاجَهْ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عُلَيَّة، عَنْ الْجُرَيْرِيّ، عَنْ مُضَارِب بْن حَزْن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**العَيْن حَقّ**». تَفَرَّدَ بِهِ. وَرَوَاهُ أَحْمَد عَنْ إِسْمَاعِيل بْن عُلَيَّة عَنْ سَعِيد الْجُرَيْرِيّ بِهِ.

وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر حَدَّثَنَا ثَوْر -يَعْنِي ابْن يَزِيد-، عَنْ مَكْحُول، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «العَيْن حَقّ، وَيَحْضُرهَا الشَّيْطَان وَحَسَد ابْن آدَم».(٥)

وَقَالَ أَحْمَد: حَدَّثَنَا خَلَف بْن الوَلِيد، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَر، عَنْ مُحَمَّد بْن قَيْس: سُئِلَ أَبُو هُرَيْرَة: هَل سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: الطِّيَرَة فِي ثَلَاث: فِي الْمَسْكَن وَالفَرَس وَالْمَرْأَة؟ قَالَ: قُلت: إِذًا أَقُول عَلَى رَسُول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ! وَلَكِنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «أَصْدَق الطِّيَرَة الفَأْل، وَالعَيْن حَقّ».(٦)

حَدِيث أَسْمَاء بِنْت عُمَيْس: قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو بْن دِينَار، عَنْ عُرْوَة بْن عَامِر، عَنْ

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٥٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٠٥٨)، وابن ماجه (١/ ٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٦).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧).
(٥) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩)، ورجاله ثقات إلا أن مكحول كثير الإرسال، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٩٠٢).
(٦) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٩)، فيه أبو معشر: ضعيف.

عُبَيْد بْن رِفَاعَة الزُّرَقِيّ قَال: قَالتْ أَسْمَاء: يَا رَسُول الله، إِنَّ بَنِي جَعْفَر تُصِيبهُمْ العَيْن، أَفَأَسْتَرْقِي لهُمْ؟ قَال: **«نَعَمْ، فلوْ كَانَ شَيْء يَسْبِق القَدَر لسَبَقَتْهُ العَيْن»**[١]. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، بِهِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ أَيْضًا وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر، عَنْ أَيُّوب، عَنْ عمرو بْن دِينَار، عَنْ عُرْوَة بْن عَامِر، عَنْ عُبَيْد بْن رِفَاعَة، عَنْ أَسْمَاء بِنْت عُمَيْس بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

حَدِيث عَائِشَة رضي الله عنها : قَال ابْن مَاجَهْ: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن أَبِي الخَصِيب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان، وَمِسْعَر، عَنْ مَعْبَد بْن خَالد، عَنْ عَبْد الله بْن شَدَّاد، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَهَا أَنْ تَسْتَرْقِي مِنْ العَيْن[٢]، وَرَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن كَثِير، عَنْ سُفْيَان، عَنْ مَعْبَد بْن خَالد، بِهِ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث سُفْيَان وَمِسْعَر، كليهما عَنْ مَعْبَد بِهِ. ثُمَّ قَال ابْن مَاجَهْ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا [أَبُو هِشَام][٣] المَخْزُومِيّ، حَدَّثَنَا وُهَيْب، عَنْ أَبِي وَاقِد، عَنْ أَبِي سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ : **«اسْتَعِيذُوا بالله، فَإِنَّ العين حَق»**[٤]. تَفَرَّدَ بِهِ خالد. وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا جرير عن الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ الأَسْوَد، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: كَانَ يُؤْمَر العَائِن فَيَتَوَضَّأ وَيُغْسَل مِنْهُ المَعِين.[٥] **قُلت:** كَذَلكَ رَوَاهُ أَحْمَد عَنْ حَسَن بْن مُوسَى وَحُسَيْن بْن مُحَمَّد عَنْ سِنَان أَنَّ ابْن حية حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عن رَسُول الله ﷺ قَال: «لا الهَام وَالعَيْن حق، وَأَصْدَق طيرة الفَأْل».

حَدِيث سَهْل بْن حُنَيْف: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْس، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي أُمَامَة ابْن سَهْل بْن حُنَيْف: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحو مَكَّة، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْب الخَرَّار -مِنْ الجُحْفَة- اغْتَسَل سَهْل بْن حُنَيْف وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَض حَسَن الجِسْم وَالجلد، فَنظَرَ إِليْهِ عَامِر بْن رَبِيعَة أَخُو بَنِي عَدِيّ بْن كَعْب وَهُوَ يَغْتَسِل، فَقَال: مَا رَأَيْت كَاليَوْم وَلا جِلد مُخَبَّأَة. فَلُبِطَ سَهْل، فَأُتِيَ رَسُول الله ﷺ فَقِيل لهُ: يَا رَسُول الله، هَل لك فِي سَهْل! وَالله مَا يَرْفَع رَأْسه وَلا يُفِيق. قَال: «هَل تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَد؟». قَالُوا: نَظَرَ إِليْهِ عَامِر بْن رَبِيعَة. فَدَعَا رَسُول الله ﷺ عامرًا فَتَغَيَّظَ عَليْهِ وَقَال: «عَلامَ يَقْتُل أَحدكُمْ أَخَاهُ، هَلَّا إِذَا رَأَيْت مَا يُعْجِبك بَرَّكْت؟».ثُمَّ قَال له: **«اغْتَسِل لهُ»**. فَغَسَل وَجْهه وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَاف رِجْليْهِ وَدَاخِلة إِزَاره فِي قَدَح، ثُمَّ صَبَّ ذَلكَ المَاء عَليْهِ، يَصُبُّهُ رَجُل عَلى رَأْسه وَظَهْره مِنْ خلفه، ثُمَّ يُكْفَأ القَدَح وَرَاءَهُ. فَفَعَل ذَلكَ، فَرَاحَ سَهْل مَعَ النَّاس، ليْسَ بِهِ بَأْس.[٦]

حَدِيث عَامِر بْن رَبِيعَة: قَال الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَد عَامِر: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عِيسَى عَنْ أُمَيَّة بْن هِنْد بْن سَهْل بْن حُنَيْف، عَنْ عبد الله بْن عَامِر قَال: انْطَلَقَ عَامِر بْن رَبِيعَة، وَسَهْل بْن حُنَيْف يُرِيدَانِ الغُسْل، قَال: فَانْطَلَقَا يَلتَمِسَانِ الخَمر، قَال: فَوَضَعَ عَامِر جُبَّة كَانَتْ عَليْهِ مِنْ صُوف، فَنَظَرْت إِليْهِ فَأَصَبْته بِعَيْنِي، فَنَزَل المَاء يَغْتَسِل، قَال: فَسَمِعْت لهُ فِي المَاء فَرْقَعَة، فأتيته فَنَادَيْته ثَلاثًا فَلمْ يُجِبْنِي. فَأَتَيْت النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرْته، قَال: فَجَاءَ يَمْشِي فَخَاضَ المَاء كأني أَنْظُر إِلى بَيَاض سَاقَيْهِ، قَال: فَضَرَبَ صَدْره بِيَدِهِ ثُمَّ قَال: «اللَّهُمَّ

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٨)، والترمذي (٢٠٥٨)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢١٩٥).
(٣) في الأزهرية: [ابن هشام].
(٤) **صحيح** : أخرجه ابن ماجه (٣٥٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٥) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٣٨٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٦) **صحيح** : أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٥٦٢).

اصْرِفْ عَنْهُ حَرَّهَا وَبَرْدهَا وَوَصَبهَا». قَالَ: فَقَامَ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدكُمْ مِنْ أَخِيهِ أَوْ مِنْ نَفْسه أَوْ مِنْ مَاله، مَا يُعْجِبهُ، فَلْيُبَرِّكْ، فَإِنَّ العَيْن حَقّ».[١]

حَدِيث جَابِر: قَالَ الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مَعْمَر، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُد، حَدَّثَنَا طَالِب بْن حَبِيب ابْن [عَمْرو][٢] بْن سَهْل الأَنْصَارِيّ -وَيُقَال لَهُ: ابْن الضَّجِيع، ضَجِيع حَمْزَة رضي الله عنه- حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن جَابِر بْن عَبْد الله، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَكْثَر مَنْ يَمُوت مِنْ أُمَّتِي بَعْد كِتَاب الله وَقَضَائِهِ وَقَدَره بِالأَنْفُس**»[٣].

قَالَ البَزَّار: يَعْنِي: العَيْن. قَالَ: وَلا نَعْلم يُرْوَى هَذَا الحَدِيث عَنْ النَّبِيّ ﷺ إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَاد. **قُلت:** بَل قَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ جَابِر، قَالَ الحَافِظ أَبُو عَبْد الرَّحْمَن مُحَمَّد بْن المُنْذِر الهَرَوِيّ -المَعْرُوف بِشَكَّر- فِي كِتَاب «العَجَائِب»، وَهُوَ مُشْتَمِل عَلى فَوَائِد جَلِيلة وَغَرِيبَة: حَدَّثَنَا الرهاوي، حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن أَبِي عَلِيّ الهَاشِمِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**العَيْن حَقّ لَتُورِد الرَّجُل القَبْر، وَالجَمَل القِدْر، وَإِنَّ أَكْثَر هَلاك أُمَّتِي فِي العَيْن**». ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ شُعَيْب بْن أَيُّوب، عَنْ مُعَاوِيَة بْن هِشَام، عَنْ سُفْيَان، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عَنْ جَابِر قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**قَدْ تُدْخِل الرَّجُل العَيْنُ فِي القَبْر، وَتُدْخِل الجَمَل القِدْرَ**».[٤]

حَدِيث عَبْد الله بْن عَمْرو: قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا رِشْدِين بْن سَعْد، عَنْ الحَسَن بْن ثَوْبَان، عَنْ هِشَام بْن أَبِي رُقَيَّة، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَة، وَلا هَامَة وَلا حَسَد، وَالعَيْن حَقّ»[٥]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

حَدِيث عَنْ عَلِيّ: رَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر مِنْ طَرِيق خَيْثَمَة بْن سُلَيْمَان الحَافِظ: حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن مُحَمَّد الكشوري، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عَبْد الله بْن عَبْد رَبّه البَصْرِيّ، عَنْ أَبِي رَجَاء، عَنْ شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ الحَارِث، عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه: أَنَّ جِبْرِيل أَتَى النَّبِيّ ﷺ فَوَافَقَهُ مُغْتَمًّا، فَقَال لَه: يَا مُحَمَّد؛ مَا هَذَا الغَمّ الَّذِي أَرَاهُ فِي وَجْهك؟ قَالَ: «الحَسَن وَالحُسَيْن أَصَابَتْهُمَا عَيْن». قَالَ: صَدِّقْ بِالعَيْنِ، فَإِنَّ العَيْن حَقّ، أَفَلا عَوَّذْتهمَا بِهَؤُلاءِ الكَلِمَات؟ قَالَ: «وَمَا هُنَّ يَا جِبْرِيل؟». قَالَ: قُل: اللَّهُمَّ ذَا السُّلطَان العَظِيم، ذا المَنّ القَدِيم، ذَا الوَجْه الكَرِيم، وَلِيّ الكَلِمَات التَّامَّات، وَالدَّعَوَات المُسْتَجَابَات، عَافِ الحَسَن وَالحُسَيْن مِنْ أَنْفُس الجِنّ، وَأَعْيُن الإِنْس. فَقَالهَا النَّبِيّ ﷺ، فَقَامَا يَلعَبَانِ بَيْن يَديه. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «عَوِّذُوا أَنْفُسكُمْ وَنِسَاءَكُم وَأَوْلادكُم بِهَذَا التَّعْوِيذ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّذ المُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِ».[٦]

قَال الخَطِيب البَغْدَادِيّ: تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ أَبُو رَجَاء مُحَمَّد بْن عبيد الله الحبطي مِنْ أَهْل تُسْتَر، ذَكَرَهُ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة طَرَّاد بْن الحُسَيْن، مِنْ «تَارِيخه». وَقَوْله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، أَيْ: يَزْدَرُونَهُ بِأَعْيُنِهِمْ وَيُؤْذُونَهُ بِأَلسِنَتِهِمْ، وَيَقُولُونَ: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ أَيْ: لَمَجِيئِهِ بِالقُرْآنِ. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة «ن»، وَلله الحَمْد

---

(١) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٧)، وفيه أمية بن هند: ضعيف.

(٢) في الأزهرية: [عمر].

(٣) **حسن** : أخرجه البزار، والطيالسي في «المسند» (١٧٦٠)، وحسنه الحافظ في «الفتح».

(٤) حسنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤٩).

(٥) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وفيه رشدين بن سعد ضعيف. وبقية رجاله ثقات. ولكن للحديث شواهد في «الصحيحين».

(٦) **ضعيف** : فيه الحارث الأعور: متهم بالكذب، وأبو إسحاق: يرسل.

تفسير سُورَةُ الحَاقَّة وهي مكية

ترتيبها ٦٩ — وآياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾.

الحَاقَّة مِنْ أَسْمَاء يَوْم القِيَامَة؛ لأَنَّ فِيهَا يَتَحَقَّق الوَعْد وَالوَعِيد، ولهَذَا عَظَّمَ تعالى أَمْرهَا فَقَال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالى إِهْلاكه الأُمَم المُكَذِّبِينَ بِهَا، فَقَال تَعَالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾، وَهِيَ الصَّيْحَة الَّتِي أَسْكَتَتْهُمْ، وَالزَّلزَلة الَّتِي أَسْكَنَتْهُمْ. هَكَذَا قَال قَتَادَة: الطَّاغِيَة الصَّيْحَة. وَهُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَقَال مُجَاهِد: الطَّاغِيَة: الذُّنُوب. وَكَذَا قَال الرَّبِيع بْن أَنَس، وَابْن زَيْد: إِنَّهَا الطُّغْيَان، وَقَرَأَ ابْن زَيْد: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ يَعْنِي: عَاقِر النَّاقَة. ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾، أَيْ: بَارِدَة. قَال قَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالثَّوْرِيّ: ﴿عَاتِيَةٖ﴾ أَيْ: شَدِيدَة الهُبُوب. قَال قَتَادَة: عَتَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى نَقَبَتْ عَنْ أَفْئِدَتهمْ. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿صَرۡصَرٍ﴾: بَارِدَة، ﴿عَاتِيَةٖ﴾: عَتَتْ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ رَحْمَة وَلا بَرَكَة. وَقَال عَلِيّ وَغَيْره: عَتَتْ على الخَزَنَة فَخَرَجَتْ بِغَيْرِ حِسَاب.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أَيْ: سَلَّطَهَا عَلَيْهِمْ ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ أَيْ: كَوَامِل مُتَتَابِعَات مَشَائِيم. قَال ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالثَّوْرِيّ، وَغَيْرهمْ: ﴿حُسُومٗا﴾ مُتَتَابِعَات. وَعَنْ عِكْرِمَة، وَالرَّبِيع ابْن خُثَيْم: مشائيم عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ قَال الرَّبِيع: وَكَانَ أَوَّلهَا الجُمُعَة. وَقَال غَيْره: الأَرْبِعَاء. وَيُقَال: إِنَّهَا الَّتِي تُسَمِّيهَا النَّاس: الأَعْجَاز، كَأَنَّ النَّاس أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ قَوْله تَعَالى: ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾. وَقِيل: لأَنَّهَا تَكُون فِي عَجُز الشِّتَاء، وَيُقَال: أَيَّام العَجُوز؛ لأَنَّ عَجُوزًا مِنْ قَوْم عَاد دَخَلَتْ سِرْبًا فَقَتَلَهَا الرِّيح فِي اليَوْم الثَّامِن. حَكَاهُ البَغَوِيّ، وَالله أَعْلَم. قَال ابْن عَبَّاس: ﴿خَاوِيَةٖ﴾: خَرِبَة. وَقَال غَيْره: بَالِيَة. أَيْ: جَعَلَتْ الرِّيح تَضْرِب بِأَحَدِهِمْ الأَرْض فَيَخِرّ مَيِّتًا عَلى أُمّ رَأْسه، فينشدخ رَأْسه، وَتَبْقَى جُثَّته، كَأَنَّهَا قَائِمَة النَّخْلَة إِذَا خَرَّتْ بِلا أَغْصَان، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَين»: **«نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَاد بِالدَّبُورِ»**.[1]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن الضَّرِيس العَبْدِيّ، حَدَّثَنَا ابْن فُضَيْل عَنْ مُسْلِم، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عُمَر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَا فَتَحَ الله عَلَى عَاد مِنْ الرِّيح الَّتِي أُهلكوا فيها إلاَّ مِثْل مَوْضِع الخَاتَم، فَمَرَّتْ بِأَهْل البَادِيَة فَحَمَلَتْهُمْ بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْل الحَاضِرَة مِنْ عَاد مِن الرِّيح وَمَا فِيهَا قَالُوا: هَذَا عَارِض مُمْطِرنَا. فَأَلْقَتْ أَهْل البَادِيَة وَمَوَاشِيهِمْ عَلَى أَهْل الحَاضِرَة»**[2]. وَقَال الثَّوْرِيّ: عَنْ لَيْث، عَنْ مُجَاهِد: الرِّيح لَهَا جَنَاحَانِ وَذَنَب. ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ أَيْ: هَل تُحِسّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَد مِنْ بَقَايَاهُمْ أَوْ مِمَّنْ يَنْتَسِب إِلَيْهِمْ؟ بَل بَادُوا عَنْ آخِرهِمْ، وَلَمْ يَجْعَل الله لَهُمْ خَلَفًا.

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٧٦٢).
(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني (١٢٤١٦)، وفي إسناده أبو مالك الجنبي. قال الحافظ: لين الحديث، وشيخه مسلم الملائي: ضعيف.

ثُمَّ قَال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قُرِئَ بِكَسْرِ القَاف. أَيْ: وَمَنْ عِنْده مِمَّنْ فِي زَمَانه مِنْ أَتْبَاعه مِنْ كُفَّار القِبْط. وَقَرَأَ آخَرُونَ بِفَتْحِهَا أَيْ: وَمَنْ قَبْله مِنَ الأُمَم المُشْبِهِينَ لَهُ. وَقَوْله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ وَهُمْ الأُمَم المُكَذِّبُونَ بِالرُّسُل. ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعلة الخاطئة وَهِيَ التَّكْذِيب بِمَا أَنْزَل الله. قَال الرَّبِيع: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أَيْ: بِالمَعْصِيَة. وَقَال مُجَاهِد: بِالخَطَايَا؛ ولهَذَا قَال: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: وَهَذَا جِنْس؛ أَيْ: كُلّ كَذَّبَ رَسُول الله إِلَيْهِمْ، كَمَا قَال: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ فحق وعيد، وَمَنْ كَذَّبَ رسول الله فَقَدْ كَذَّبَ بِالجَمِيع، كَمَا قَال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وَإِنَّمَا جَاءَ إِلَى كُلّ أُمَّة رَسُول وَاحِد؛ وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾، أَيْ: عَظِيمَة شَدِيدَة أَلِيمَة.

قَال مُجَاهِد: ﴿رَّابِيَةً﴾ شديدة. وَقَال السُّدِّيّ: مُهْلكَة، ثُمَّ قَال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾، أَيْ: زَادَ عَلَى الحَدّ بِإِذْنِ الله، وَارْتَفَعَ عَلَى الوُجُود، وَقَال ابْن عَبَّاس وَغَيْره: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: كثر. وَذَلِكَ بِسَبَبِ دَعْوَة نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْمه حِين كَذَّبُوهُ وَخَالفُوهُ، فَعَبَدُوا غَيْر الله، فَاسْتَجَابَ الله لهُ وَعَمَّ أَهْل الأَرْض بِالطُّوفَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَ نُوح فِي السَّفِينَة، فَالنَّاس كُلّهمْ مِنْ سُلالة نُوح وَذُرِّيَّته.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ أَبِي سِنَان سَعِيد بْن سِنَان، عَنْ غَيْر وَاحِد، عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب؛ قَال: لمْ تَنْزِل قَطْرَة مِنْ مَاء إِلَّا بِكَيْلٍ عَلى يَدَيْ مَلك. فَلمَّا كَانَ يَوْم نُوح أَذِنَ للمَاءِ دُون الخُزَّان، فَطَغَى المَاء عَلى الخُزَّان فَخرَجَ، فَذَلكَ قَوْل الله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾، وَلمْ يَنْزِل شَيْء مِنَ الرِّيح إِلَّا بِكَيْلٍ عَلى يَدَيْ مَلك، إِلَّا يَوْم عَاد، فَإِنَّهُ أَذِنَ لها دُون الخُزَّان، فَخرَجتْ، فَذَلكَ قَوْله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾: عَتَتْ عَلى الخُزَّان. وَلهَذَا قَال تَعَالى مُمْتَنًّا عَلى النَّاس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾، وَهِيَ السَّفِينَة الجَارِيَة عَلى وَجْه المَاء؛ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عَادَ الضَّمِير عَلى الجِنْس لدَلالةِ المَعْنَى عَليْهِ، أَيْ: وَأَبْقَيْنَا لكُمْ مِنْ جِنْسهَا مَا تَرْكَبُونَ عَلى تَيَّار المَاء فِي البِحَار، كَمَا قَال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾، وَقَال قَتَادَة: أَبْقَى الله السَّفِينَة حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَائِل هَذِهِ الأُمَّة، وَالأَوَّل أَظْهَر؛ وَلهَذَا قَال: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أَيْ: وَتَفْهَم هَذِهِ النِّعْمَة وَتَذْكُرهَا أُذُن وَاعِيَة. قَال ابْن عَبَّاس: حَافِظَة سَامِعَة. وَقَال قَتَادَة: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: عَقَلتْ عَنْ الله فَانْتَفَعتْ بِمَا سَمِعَتْ مِنْ كِتَاب الله. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: سَمِعَتْهَا أُذُن وَوَعَتْ أَيْ: مَنْ لهُ سَمْع صَحِيح وَعَقْل رَجِيح، وَهَذَا عَامّ فِي مَنْ فَهِمَ وَوَعَى.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا العَبَّاس بْن الوَلِيد [بْن صبح][1] الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا زَيْد ابْن يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن حَوْشَب، سَمِعْت مَكْحُولًا؛ يَقُول: لـمَّا نزلت عَلى رَسُول الله ﷺ : ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، قَال رَسُول الله ﷺ : «سَأَلت رَبِّي أَنْ يَجْعَلهَا أُذن عَليّ». فَكَانَ عَليّ يَقُول: مَا سَمِعْت مِنْ رَسُول الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَنَسِيته.[2] وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ عَلِيّ بْن سَهْل عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم عَنْ عَلِيّ بْن حَوْشَبٍ عَنْ مَكْحُول بِهِ، وَهُوَ حَدِيث مُرْسَل.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم أَيْضًا: حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن مُحَمَّد بْن عَامِر، حَدَّثَنَا بِشْر بْن آدَم، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن الزُّبَيْر أَبُو مُحَمَّد -يَعْنِي: وَالد أَبِي أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ- حَدَّثَنِي صَالح بْن الهَيْثَم، سَمِعْت بريدة الأَسْلمِيّ، يَقُول: قَال

---

(١) في الأزهرية: [عن].
(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني (٢٩/ ٥٥) وإسناده مرسل، فيه مكحول الدمشقي: لم يسنده إلى صحابي، ومكحول يرسل كثيرًا.

رَسُول الله ﷺ لعَلِيّ: «إِنِّي أُمِرْت أَنْ أُدْنِيَك وَلا أُقْصِيَك، وَأَنْ أُعَلِّمك وَأَنْ تَعِيَ، وَحُقّ لك أَنْ تَعِيَ». قَال: فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾.[1] وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ مُحَمَّد بْن خَلف عَنْ بِشْر بْن آدَم بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق آخر عَنْ أَبِي دَاوُد الأَعْمَى، عَنْ بُرَيْدَة بِهِ. وَلا يَصِحّ أَيْضًا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ أَهْوَال يَوْم القِيَامَة، وَأَوَّل ذَلكَ نَفْخَة الفَزَع، ثُمَّ يُعْقِبهَا نَفْخَة الصَّعْق حِين يَصْعَق مَنْ فِي السَّمَوَات وَمَنْ فِي الأَرْض إِلَّا مَنْ شَاءَ الله، ثُمَّ بَعْدهَا نَفْخَة القِيَام لرَبِّ العَالمِينَ وَالبَعْث وَالنُّشُور، وَهِيَ هَذِهِ النَّفْخَة. وَقَدْ أَكَّدَهَا هَهُنَا بِأَنَّهَا وَاحِدَة؛ لأَنَّ أَمْر الله لا يُخَالف وَلا يُمَانَع، وَلا يَحْتَاج إِلى تَكْرَار وَلا تَأْكِيد. وَقَال الرَّبِيع: هِيَ النَّفْخَة الأَخِيرَة. وَالظَّاهِر مَا قُلنَاهُ؛ وَلهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أَيْ: فَمُدَّتْ مَدّ الأَدِيم العِكَاظِيّ، وَتَبَدَّلتْ الأَرْض غَيْر الأَرْض، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أَيْ: قَامَتْ القِيَامَة، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قَال سِمَاك: عَنْ شَيْخ مِنْ بَنِي أَسَد، عَنْ عَلِيّ؛ قَال: تَنْشَقّ السَّمَاء مِنْ المَجَرَّة. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال ابْن جُرَيْج: هِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ وَقَال ابْن عَبَّاس: مُتَخَرِّقَة وَالعَرْش بِحِذَائِهَا ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾، المَلك: اسْم جِنْس، أَيْ: المَلائِكَة عَلى أَرْجَاء السَّمَاء. قَال ابْن عَبَّاس: عَلى مَا لمْ يَنْشَقّ مِنْهَا أَيْ: حَافَتهَا. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَالأَوْزَاعِيّ. وَقَال الضَّحَّاك: أَطْرَافهَا. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: أَبْوَابهَا. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس فِي قَوْله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾، يَقُول: عَلى مَا اسْتَدَقَّ مِنْ السَّمَاء، يَنْظُرُونَ إِلى أَهْل الأَرْض. وَقَوْله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة يَحْمِل العَرْش ثَمَانِيَة مِنْ المَلائِكَة. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِهَذَا العَرْشِ العَرْشَ العَظِيم، أَوْ: العَرْش الَّذِي يُوضَع فِي الأَرْض يَوْم القِيَامَة لفَصْل القَضَاء، وَالله أَعْلم بِالصَّوَاب. وَفِي حَدِيث عَبْد الله بْن عُمَيْرَة، عَنْ الأَحْنَف بْن قَيْس، عَنْ العَبَّاس بْن عَبْد المُطَّلب، فِي ذِكْر حَمَلة العَرْش أَنَّهُمْ ثَمَانِيَة أَوْعَال.[2]

وَقَال ابْن أَبِى حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد يَحْيَى بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، حَدَّثَنِي أَبُو السَّمْح البَصْرِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو قَبِيل حُيَيّ بْن هَانِئ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْد الله بْن عَمْرو؛ يَقُول: حَمَلة العَرْش ثَمَانِيَة، مَا بَيْن مُوق أَحَدهمْ إِلى مُؤَخَّر عَيْنه مَسِيرَة مِائَة عَام.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أُبَيّ؛ قَال: كُتِبَ إِلى أَحْمَد بْن حَفْص بْن عَبْد الله النَّيْسَابُورِيّ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن طَهْمَان، عَنْ مُوسَى بْن عُقْبَة، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عَنْ جَابِر؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أُذِنَ لي أَنْ أُحَدِّثكُمْ عَنْ مَلك مِنْ حَمَلة العَرْش، بُعْد مَا بَيْن شَحْمَة أُذُنه وَعُنُقه مَخْفَق الطَّيْر سَبْعمِائَةِ عَام**». وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد، رِجَاله كُلّهمْ ثِقَات. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي «كِتَاب السُّنَّة» مِنْ «سُننه»: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن حَفْص بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن طَهْمَان عَنْ مُوسَى بْن عُقْبَة، عَنْ مُحَمَّد بْن المُنْكَدِر، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**أُذِنَ لي أَنْ أُحَدِّث عَنْ مَلك مِنْ مَلائِكَة الله مِنْ حَمَلة العَرْش؛ أَنَّ مَا بَيْن شَحْمَة أُذُنه إِلى عَاتِقه مَسِيرَة سَبْعمِائَةِ عَام**»[3]. هَذَا لفْظ أَبِي دَاوُد.

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني (٢٩/ ٥٦)، وفيه عبد الله بن الزبير: ضعفه أبو نعيم وأبو زرعة الرازي.
(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن الْمُغِيرَة، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ أَشْعَث، عَنْ جَعْفَر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، قَال: ثَمَانِيَة صُفُوف مِنَ الْمَلائِكَة. قَال: وَرُوِيَ عَنْ الشَّعْبِيّ، وَالضَّحَّاك، وَابْن جُرَيْج، مِثْل ذَلِكَ. وَكَذَا رَوَى السُّدِّيّ عَنْ أَبِي مَالك عَنْ ابْن عَبَّاس: ثَمَانِيَة صُفُوف. وَكَذَا رَوَى العَوْفِيّ عَنْهُ. وَقَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: الكَرُوبِيُّونَ ثَمَانِيَة أَجْزَاء، كُلّ جُزْء مِنْهُمْ بقدر الإِنْس وَالجِنّ وَالشَّيَاطِين وَالمَلائِكَة. وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، أَيْ: تُعْرَضُونَ عَلى عَالم السِّرّ وَالنَّجْوَى، الَّذِي لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء مِنْ أُمُوركُمْ، بَل هُوَ عَالم بِالظَّوَاهِرِ وَالسَّرَائِر وَالضَّمَائِر؛ وَلهَذَا قَال: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي الدُّنْيَا: أَخْبَرَنَا إِسْحَاق بْن إِسْمَاعِيل، أَخْبَرَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، عَنْ جَعْفَر بْن بُرْقَان، عَنْ ثَابِت بْن الحَجَّاج؛ قَال: قَال عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه: حَاسِبُوا أَنْفُسكُمْ قَبْل أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسكُمْ قَبْل أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَخفّ عَلَيْكُمْ فِي الحِسَاب غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسكُمْ اليَوْم، وَتَزَيَّنُوا للعَرْضِ الأَكْبَر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا عَلِيّ بن عليّ بْن رِفَاعَة عَنْ الحَسَن، عَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«يُعْرَض النَّاس يَوْم القِيَامَة ثَلاث عَرْضَات، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَال وَمَعَاذِير، وَأَمَّا الثَّالِثَة فَعِنْد ذَلِكَ تَطِير الصُّحُف فِي الأَيْدِي، فَآخِذ بِيَمِينِهِ وَآخِذ بِشِمَالِهِ»**[1]. وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة عَنْ وَكِيع به، وقد رواه الترمذي عَنْ [أبي كريب][2]، عن وكيع، عن علي بن عَلِيّ، عن الحَسَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، بِهِ. وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير عَنْ مُجَاهِد بْن مُوسَى، عَنْ يَزِيد، عن سليمان بْن حَيَّان، عَنْ مَرْوَان الأَصْغَر، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَبْد الله؛ قَال: يُعْرَض النَّاس يَوْم القِيَامَة ثَلاث عَرْضَات: عَرْضَتَانِ، مَعَاذِير وَخُصُومَات، وَالعَرْضَة الثَّالِثَة تَطِير الصُّحُف فِي الأَيْدِي. وَرَوَاهُ سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة مُرْسَلًا مِثْله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ سَعَادَة مَنْ أُوتِي كِتَابه يَوْم القِيَامَة بِيَمِينِهِ، وَفَرَحه بِذَلك، وَأَنَّهُ مِنْ شِدَّة فَرَحه يَقُول لكُلِّ مَنْ لقِيَهُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، أَيْ: خُذُوا اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ، لأَنَّهُ يَعْلم أَنَّ الَّذِي فِيهِ خَيْر وَحَسَنَات مَحْضَة؛ لأَنَّهُ مِمَّنْ بَدَّل الله سَيِّئَاته حَسَنَات. قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد: مَعْنَى ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، أَيْ: «هَا» اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ، وَ«ؤُمُ» زَائِدَة. كَذَا قَال، وَالظَّاهِر أَنَّهَا بِمَعْنَى: هَاكُم.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِى حَاتِم: حَدَّثَنَا بِشْر بْن مَطَر الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنَا عَاصِم الأَحْوَل، عَنْ أَبِي عُثْمَان؛ قَال: الْمُؤْمِن يُعْطَى كِتَابه بِيَمِينِهِ فِي سِتْر مِنْ الله، فَيَقْرَأ سَيِّئَاته، فَكُلَّمَا قَرَأَ سَيِّئَة تَغَيَّرَ لوْنه حَتَّى يَمُرّ بِحَسَنَاتِهِ فيَقْرَؤُهَا، فَيَرْجِع إِليْهِ لوْنه. ثُمَّ يَنْظُر فَإِذَا سَيِّئَاته قَدْ بُدِّلتْ حَسَنَات، قَال: فَعِنْد ذَلِكَ يَقُول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾. وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الوَلِيد بْن سَلمَة، حَدَّثَنَا رَوْح بْن عُبَادَة، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُبَيْدَة، أَخْبَرَنِي عَبْد الله بْن عَبْد الله بْن حَنْظَلة -غَسِيل المَلائِكَة- قَال: إِنَّ الله يُوقِف عَبْده يَوْم القِيَامَة فَيُبْدِي سَيِّئَاته فِي ظَهْر صَحِيفَته، فيَقُول لهُ: أَنْتَ عَمِلت هَذَا. فيَقُول: نَعَمْ، أَيْ رَبّ. فيَقُول لهُ: إِنِّي لمْ أَفْضَحك بِهِ، وَإِنِّي قَدْ غَفَرْت لك. فَيَقُول عِنْد ذَلكَ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، حِين نَجَا مِنْ فضحة يَوْم القِيَامَة.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٤٣٢).
(٢) في الأزهرية: [ابن كريب].

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «الصَّحِيح» حَدِيث ابْن عُمَر حِين سُئِل عَنْ النَّجْوَى، فَقَال: سَمِعْت النبي ﷺ يَقُول: «يُدْنِي الله العَبْد يَوْم القِيَامَة، فَيُقَرِّرهُ بِذُنُوبِهِ كُلّهَا، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلكَ قَال الله: إِنِّي سَتَرْتهَا عَليْك فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرهَا لك اليَوْم. ثُمَّ يُعْطَى كِتَاب حَسَنَاته بِيَمِينِهِ. وَأَمَّا الكَافِر وَالمُنَافِق ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾»[1]. وَقَوْله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أَيْ: قَدْ كُنْت مُوقِنًا فِي الدُّنْيَا أَنَّ هَذَا اليَوْم كَائِن لا مَحَالة، كَمَا قَال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، أَيْ: مَرْضِيَّة، ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، أَيْ: رَفِيعَة قُصُورهَا، حِسَان حُورهَا، نَعِيمَة دُورهَا، دَائِم حُبُورهَا.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو عُتْبَة الحَسَن بْن عَلِيّ بْن مُسْلم السَّكُونِيّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، عَنْ سَعِيد بْن يُوسُف، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير، عَنْ أَبِي سَلَّام الأَسْوَد؛ قَال: سَمِعْت أَبَا أُمَامَة؛ قَال: سَأَل رَجُل رَسُول الله ﷺ: هَل يَتَزَاوَر أَهْل الجَنَّة؟ قَال: «نَعَمْ، إِنَّهُ ليَهْبِط أَهْل الدَّرَجَة العُلْيَا إِلى أَهْل الدَّرَجَة السُّفْلى، فَيُحَيُّونَهُمْ وَيُسَلِّمُونَ عَليْهِمْ، وَلا يَسْتَطِيع أَهْل الدَّرَجَة السُّفْلى يَصْعَدُونَ إِلى الأَعْليْنَ، تَقْصُر بِهِمْ أَعْمَالهمْ»[2]. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح: «**إِنَّ الجَنَّة مِائَة دَرَجَة، مَا بَيْن كُلّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض**»[3]. وقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، قَال البَرَاء بْن عَازِب: أَيْ قَرِيبَة، يَتَنَاوَلهَا أَحَدهمْ، وَهُوَ نَائِم عَلى سَرِيره. وَكَذَا قَال غَيْر وَاحِد.

قَال الطَّبَرَانِيّ: عَنْ عبد الرزاق، عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن زِيَاد بْن أَنْعُم، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ سَلمَان الفَارِسِيّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لا يَدْخُل الجَنَّة أَحَد إِلَّا بِجَوَاز: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، هَذَا كِتَاب مِنْ الله لفُلانِ ابْن فُلان أَدْخِلُوهُ جَنَّة عَاليَة، قُطُوفهَا دَانِيَة»[4]. وَكَذَا رَوَاهُ الضِّيَاء فِي «صِفَة الجَنَّة» مِنْ طَرِيق سَعْدَان بْن سَعِيد، عن سُليْمَان التَّيْمِيّ، عَنْ أَبِي عُثْمَان النَّهْدِيّ، عَنْ سَلمَان، عَنْ رَسُول الله ﷺ؛ قَال: «يُعْطَى المُؤْمِن جَوَازًا عَلى الصِّرَاط: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هَذَا كِتَاب مِنْ الله العَزِيز الحَكِيم لفُلانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّة عَاليَة، قُطُوفهَا دَانِيَة». وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾، أَيْ: يُقَال لهُمْ ذَلكَ تَفَضُّلًا عَليْهِمْ، وَامْتِنَانًا وَإِنْعَامًا وَإِحْسَانًا، وَإِلَّا فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لنْ يُدْخِلهُ عَمَلُه الجَنَّةَ**». قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُول الله؟ قَال: «**وَلا أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْل**».[5]

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾.

وَهَذَا إِخْبَار عَنْ حَال الأَشْقِيَاء إِذَا أُعْطِيَ أَحَدهمْ كِتَابه فِي العَرَصَات بِشِمَاله، فَحِينَئِذٍ يَنْدَم غَايَة النَّدَم، فيقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾. قَال الضَّحَّاك: يَعْنِي مَوْتَة لا حَيَاة بَعْدهَا. وَكَذَا قَال مُحَمَّد بْن كَعْب، وَالرَّبِيع، وَالسُّدِّيّ. وَقَال قَتَادَة: تَمَنَّى المَوْت، وَلمْ يَكُنْ شَيْء فِي الدُّنْيَا أَكْرَه إِليْهِ مِنْهُ. ﴿مَآ أَغْنَىٰ

---

(١) **صحيح**: تقـدم.
(٢) **ضعيف**: فيه يحيى بن أبي كثير: يرسل، وسعيد بن يوسف: ضعيف.
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).
(٤) **ضعيف**: في إسناده زياد بن أنعم الأفريقي: ضعيف.
(٥) **صحيح**: تقـدم.

عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أَيْ: لَمْ يَدْفَع عَنِّي مَالي وَلا جَاهِي عَذَاب الله وَبَأْسه، بَل خَلص الأَمْر إِلَيَّ وَحْدِي، فَلا مُعِين لِي وَلا مُجِير. فَعِنْدهَا يَقُول الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أَيْ: يَأْمُر الزَّبَانِيَة أَنْ تَأْخُذهُ عُنْفًا مِنْ المَحْشَر، فتغُلّهُ، أَيْ: تَضع الأَغْلال فِي عُنُقه، ثُمَّ تُورِدهُ إِلى جَهَنَّم فتُصْليه إِيَّاهَا، أَيْ: تَغْمُرهُ فِيهَا.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنا أَبُو خَالد، عَنْ عَمْرو بْن قَيْس، وعَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو؛ قَال: إِذَا قَال الله ﷻ: خُذُوهُ، ابْتَدَرَهُ سَبعُونَ أَلف مَلك، إِنَّ المَلك مِنْهُمْ ليَقُول هَكَذَا فَيُلقِي سَبْعِينَ أَلفًا فِي النَّار. وَرَوَى ابْن أَبِي الدُّنْيَا فِي «الأَهْوَال»: أَنَّهُ يَبْتَدِرهُ أَرْبعمِائَةِ أَلف، وَلا يَبْقَى شَيْء إِلَّا دَقَّهُ، فيَقُول: مَا لِي وَلك؟ فيَقُول: إِنَّ الرَّبّ عَلَيْك غَضْبَان، فكُلّ شَيْء غَضْبَان عَليْك.

وَقَال الفُضَيْل —هو ابن عِيَاض—: إِذَا قَال الرَّبّ ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ابْتَدَرَهُ سَبعُونَ أَلف ملك، أَيّهمْ يَجْعَل الغُلّ فِي عُنُقه. ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أَيْ: اغمُرُوهُ فِيهَا. وقوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، قَال كَعْب الأَحْبَار: كُلّ حلقَة مِنهَا قَدْر حَدِيد الدُّنْيَا، وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَابْن جُرَيْج: بِذِرَاع المَلك. قَال ابْن جُرَيْج، قَال ابْن عَبَّاس: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾: تَدْخُل فِي اسْته ثُمَّ تَخْرُج مِنْ فِيهِ، ثُمَّ يُنْظَمُونَ فِيهَا كَمَا يُنْظَم الجَرَاد فِي العُود حِين يُشْوَى. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: يُسْلك فِي دُبُره حَتَّى يَخْرُج مِنْ مَنْخِرَيْهِ حَتَّى لا يَقُوم عَلى رِجْليْهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن إِسْحَاق، أَخْبَرَنَا عَبْد الله، أَخْبَرَنَا سَعِيد بْن يَزِيد، عَنْ أَبِي السَّمْح، عَنْ عِيسَى بْن هِلال الصَّدَفِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«لوْ أَنَّ رُضَاضَة مِثْل هَذِهِ** —وَأَشَار إِلى جُمْجُمَة— **أُرْسِلتْ مِنْ السَّمَاء إِلى الأَرْض، وَهِيَ مَسِيرَة خَمْسمِائَةِ سَنَة، لبَلغَتْ الأَرْض قَبْل الليْل. وَلوْ أَنَّهَا أُرْسِلتْ مِنْ رَأْس السِّلسِلة، لسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا الليْلَ وَالنَّهَارَ، قَبْل أَنْ تَبْلُغ قَعْرهَا أَوْ أَصْلهَا»**[1]. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ، عَنْ سُوَيْد بْن نصر، عَنْ عَبْد الله بْن المُبَارَك بِهِ. وَقَال: هَذَا حَدِيث حَسَن. وَقَوْله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، أَيْ: لا يَقُوم بِحَقِّ الله عَليْهِ مِنْ طَاعَته وَعِبَادَته، وَلا يَنْفَع خَلقه وَيُؤَدِّي حَقّهمْ، فَإِنَّ لله عَلى العِبَاد أَنْ يُوَحِّدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَللعِبَادِ بَعْضهمْ عَلى بَعْض حَقّ الإِحْسَان وَالمُعَاوَنَة عَلى البِرّ وَالتَّقْوَى؛ وَلهَذَا أَمَرَ الله بِإِقَام الصَّلاة وَإِيتَاء الزَّكَاة، وَقُبِضَ النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَقُول: **«الصَّلاة، وَمَا ملكَتْ أَيْمَانكُمْ»**.

وَقَوْله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾، أَيْ: ليْسَ لهُ اليَوْم مَنْ يُنْقِذهُ مِنْ عَذَاب الله، لا حَمِيم، وَهُوَ القَرِيب، وَلا شَفِيع يُطَاع، وَلا طَعَام لهُ هَهُنَا إِلَّا مِنْ غِسْلين. قَال قَتَادَة: هُوَ شَرّ طَعَام أَهْل النَّار، وَقَال الرَّبِيع وَالضَّحَّاك: هُوَ شَجَرَة فِي جَهَنَّم. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَنْصُور بْن أَبِي مُزَاحِم، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد المُؤَدِّب، عَنْ خُصَيْف، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: مَا أَدْرِي مَا الغِسْلينَ؟ وَلكِنِّي أَظُنّهُ الزَّقُّوم. وَقَال شَبِيب بْن بِشْر عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: الغِسْلينَ: الدَّم وَالمَاء يَسِيل مِنْ لُحُومهمْ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْهُ: الغِسْلينَ: صَدِيد أَهْل النَّار.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُقْسِمًا لخَلقِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ آيَاته فِي مَخْلُوقَاته الدَّالَّة عَلى كَمَالِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاته، وَمَا غَابَ عَنْهُمْ مِمَّا لا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ المُغَيَّبَات عَنْهُمْ: إِنَّ القُرْآن كَلامه وَوَحْيه وَتَنْزِيله عَلى عَبْده وَرَسُوله، الَّذِي اصْطَفَاهُ لتَبْلِيغِ الرِّسَالة وَأَدَاء الأَمَانَة، فقَال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ١٩٧)، والترمذي (٢٥٩١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢١٤٩).

أَضَافَهُ إِلَيْهِ عَلى مَعْنَى التَّبْلِيغ؛ لأَنَّ الرَّسُول مِنْ شَأْنه أَنْ يُبَلِّغ عَنْ المُرْسِل؛ وَلهَذَا أَضَافَهُ فِي سُورَة التَّكْوِير إِلى الرَّسُول المَلَكِيّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ وَهَذَا جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ يَعْنِي: أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى جِبْرِيل عَلى صُورَته الَّتِي خَلقَهُ الله عَليْهَا، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ أَيْ: بِمُتَّهَم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾. وَهَكَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، فَأَضَافَهُ تَارَة إِلى قَوْل الرَّسُول المَلَكِيّ، وَتَارَة إِلى الرَّسُول البَشَرِيّ؛ لأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُبَلِّغ عن الله مَا اسْتَأْمَنَهُ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيه وَكَلامه؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أبو المُغِيرَة، حَدَّثَنَا صَفْوَان، حَدَّثَنَا شُرَيْح بْن عُبَيْد؛ قَال: قَال عُمَر بْن الخَطَّاب: خَرَجْت أَتَعَرَّض رَسُول الله ﷺ قَبْل أَنْ أُسْلم، فَوَجَدْته قَدْ سَبَقَنِي إِلى المَسْجِد، فَقُمْت خَلفه، فَاسْتَفْتَحَ سُورَة الحَاقَّة، فَجَعَلت أَعْجَب مِنْ تَأْلِيف القُرْآن، قَال: فَقُلت: هَذَا وَالله شَاعِر كَمَا قَالتْ قُرَيْش. قَال: فَقَرَأَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾، قَال: فَقُلت: كَاهِن. قَال: فَقَرَأَ: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ...﴾ إِلى آخِر السُّورَة، قَال: فَوَقَعَ الإِسْلام فِي قَلبِي كُلّ مَوْقِع.[1] فَهَذَا مِنْ جُمْلة الأَسْبَاب الَّتِي جَعَلهَا الله مُؤَثِّرَة فِي هِدَايَة عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه، كَمَا أَوْرَدْنَا كَيْفِيَّة إِسْلامه فِي سِيرَته المُفْرَدَة، وَلله الحَمْد.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾، أَيْ: مُحَمَّد ﷺ لوْ كَانَ كَمَا يَزْعُمُونَ مُفْتَرِيًا عَليْنَا فَزَادَ فِي الرِّسَالة أَوْ نَقَصَ مِنْهَا، أَوْ قَال شَيْئًا مِنْ عِنْده فَنَسَبَهُ إِلَيْنَا، وَليْسَ كَذَلكَ: لعَاجَلنَاهُ بِالعُقُوبَة؛ ولهذا قال: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾، قِيل: مَعْنَاهُ لانْتَقَمْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ؛ لأَنَّهَا أَشَدّ فِي البَطْش. وَقِيل: لأَخَذْنَا بِيَمِينِه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: وَهُوَ نِيَاط القَلب، وَهُوَ العِرْق الَّذِي القَلب مُعَلَّق فِيهِ. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالحَكَم، وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك، وَمُسْلم البَطِين، وَأَبُو صَخْر حُمَيْد بْن زِيَاد. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: هُوَ القَلب وَمَرَاقُّه وَمَا يَليه.

وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾، أَيْ: فَمَا يَقْدِر أَحَد مِنْكُمْ عَلى أَنْ يَحْجز بَيْننَا وَبَيْنه إِذَا أَرَدْنَا بِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلكَ، وَالمَعْنَى فِي هَذَا: بَل هُوَ صَادِق بَارّ رَاشِد؛ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مُقَرِّر لهُ مَا يُبَلِّغهُ عَنْهُ، مُؤَيِّد لهُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَات وَالدَّلالات القَاطِعَات.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ يَعْنِي: القُرْآن، كَمَا قَال: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾. ثم قال: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾، أَيْ: مَعَ هَذَا البَيَان وَالوُضُوح سَيُوجَدُ مِنْكُمْ مَنْ يُكَذِّب بِالقُرْآنِ.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، قَال ابْن جَرِير: وَإِنَّ التَّكْذِيب لحَسْرَة عَلى الكَافِرِينَ يَوْم القِيَامَة، وَحَكَاهُ عَنْ قَتَادَة بِمِثْلِه. وَرَوَى ابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ طَرِيق السُّدِّيّ، عَنْ أَبِي مَالك: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، يَقُول: لنَدَامَة. وَيَحْتَمِل عَوْد الضَّمِير عَلى القُرْآن، أَيْ: وإن القُرْآن وَالإِيمَان بِهِ لحَسْرَة فِي نَفْس الأَمْر عَلى الكَافِرِينَ، كَمَا

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ١٧)، وإسناده منقطع بين شريح وعمر.

قَال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. وقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، أَيْ: الخَبَر الصِّدْق الحَقّ الَّذِي لا مِرْيَة فِيهِ، وَلا شَكّ، وَلا رَيْب.

ثم قال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: أَيْ الَّذِي أَنْزَل هَذَا القُرْآن العَظِيم.

آخِر تَفْسِير سُورَة الحَاقَّة، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ المَعَارِج وهي مكية

ترتيبها ٧٠ — وآياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: فِيهِ تَضْمِين دَلَّ عَلَيْهِ حَرْف «البَاء»، كَأَنَّهُ مُقَدَّر: اسْتَعْجَل سَائِل بِعَذَاب وَاقِع، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾. أَيْ: وَعَذَابه وَاقِع لا محَالة. قَال النَّسَائِيّ: حَدَّثَنَا بِشْر ابْن خَالد حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، قَال: النَّضْر بْن الحَارِث بْن كِلدَة، وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، قَال: ذَلِكَ سُؤَال الكُفَّار عَنْ عَذَاب الله وَهُوَ وَاقِع. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مجُاهِد فِي قَوْله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾: دَعَا دَاع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ يَقَع فِي الآخِرَة، قَال: وَهُوَ قَوْلهمْ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وَقَال ابْن زَيْد وَغَيْره: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، أَيْ: وَادٍ فِي جَهَنَّم، يَسِيل يَوْم القِيَامَة بِالعَذَابِ. وَهَذَا القَوْل ضَعِيف، بَعِيد عَنْ المُرَاد، وَالصَّحِيح الأَوَّل لدَلالةِ السِّيَاق عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، أَيْ: مُرْصَد مُعَدّ للكَافِرِينَ. وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿وَاقِعٍ﴾: جَاءٍ. ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ أَيْ: لا دَافِع لهُ إِذَا أَرَادَ الله كَوْنه، ولهذا قال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، قَال الثَّوْرِيّ: عَنْ الأَعْمَش، عَنْ رَجُل، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، قَال: ذُو الدَّرَجَات. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ يَعْنِي: العُلُوّ وَالفَوَاضِل. وَقَال مجُاهِد: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: معارج السَّمَاء. وَقَال قَتَادَة: ذُو الفَوَاضِل وَالنِّعَم. وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، قَال عَبْد الرَّزَّاق: عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة: ﴿تَعْرُجُ﴾: تَصْعَد. وَأَمَّا الرُّوح فَقَال أَبُو صَالح: هُمْ خَلق مِنْ خَلق الله يُشْبِهُونَ النَّاس، وَلَيْسُوا أُنَاسًا. قُلت: وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِهِ جِبْرِيل، وَيَكُون مِنْ بَاب عَطْف الخَاصّ عَلى العَامّ. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون اسْم جِنْس لأَرْوَاح بَنِي آدَم، فَإِنَّهَا إِذَا قُبِضَتْ يُصْعَد بِهَا إِلى السَّمَاء، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيث البَرَاء[1]، وَفِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث المِنْهَال، عَنْ زَاذَان عَنْ البَرَاء مَرْفُوعًا الحَدِيث بِطُولهِ فِي قَبْض الرُّوح الطَّيِّبَة، قَال فِيهِ: «**فَلا يَزَال يَصْعَد بهَا مِنْ سَمَاء إِلى سَمَاء حَتَّى يَنْتَهِي بهَا إِلى السَّمَاء السَّابعة**». وَالله أَعْلم بِصِحَّتِهِ، فَقَدْ تَكَلَّمَ فِي بَعْض رُوَاته، وَلكِنَّهُ مَشْهُور، وَلهُ شَاهِد فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة[2] فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

رِوَايَة الإِمَام أَحْمَد وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ طَرِيق ابْن أَبِي ذئب، عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن عَطَاء، عَنْ سَعِيد بْن يَسَار، عَنْهُ. وَهَذَا إِسْنَاد رِجَاله عَلَى شَرْط الجَمَاعَة، وَقَدْ بَسَطْنَا لفظه عِنْد قَوْله تَعَالَى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

وَقَوْله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فِيهِ أَرْبَعَة أَقْوَال. **أحدها**: أَنَّ المُرَاد بِذَلِكَ مَسَافَة مَا بَيْن العَرْش العَظِيم إِلَى أَسْفَل السَّافِلِينَ، وَهُوَ قَرَار الأَرْض السَّابِعَة، وَذَلِكَ مَسِيرَة خَمْسِينَ أَلف سَنَة، هَذَا ارْتِفَاع العَرْش عَنْ المَرْكَز الَّذِي فِي وَسَط الأَرْض السَّابِعَة. وذلك اتِّسَاع العَرْش مِنْ قُطْر إِلَى قُطْر مَسِيرَة خَمْسِينَ أَلف سَنَة، وَأَنَّهُ مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء، كَمَا ذَكَرَهُ ابْن أَبِي شَيْبَة فِي كِتَاب «صِفَة العَرْش». وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم عِنْد هَذِهِ الآيَة: حَدَّثَنَا أَحْمَد ابْن سَلمَة، حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم، أَخْبَرَنَا حَكَّام، عَنْ عُمَر بْن مَعْرُوف، عَنْ لَيْث، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس، قَوْله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَال: مُنْتَهَى أَمْره مِنْ أَسْفَل الأَرَضِينَ إِلَى مُنْتَهَى أَمْره مِنْ فَوْق السَّمَوَات مقدار خَمْسِينَ أَلف سَنَة ويوم كان مقداره ألف سنة. يَعْنِي بِذَلِكَ تنزُّل الأَمْر مِنْ السَّمَاء إِلَى الأَرْض، وَمِنْ الأَرْض إِلَى السَّمَاء فِي يَوْم وَاحِد، فَذَلِكَ مِقْدَاره أَلف سَنَة، لأَنَّ مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض مِقْدَار مَسِيرَة خَمْسِمِائَةِ سنة. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ ابْن حُمَيْد، عَنْ حَكَّام بْن سَلم، عَنْ عمر بْن مَعْرُوف، عَنْ لَيْث، عَنْ مُجَاهِد قَوْله، لَمْ يَذْكُر ابْن عَبَّاس.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: وحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ، حَدَّثَنَا إسحاق بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا روح المؤدِّب عَنْ عَبْد الوَهَّاب بْن مُجَاهِد، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: غِلظ كُلّ أَرْض خَمْسِمِائَةِ عَام، وَبَيْن كُلّ أَرْض إِلَى أَرْض خَمْسِمِائَةِ عَام، وذَلِكَ سَبْعَة آلاف عَام، وَغِلظ كُلّ سَمَاء خَمْسِمِائَةِ عَام، وَبَيْن السَّمَاء إِلَى السَّمَاء خَمْسِمِائَةِ عَام، فَذَلِكَ أَرْبَعَة عَشَر أَلف عَام، وَبَيْن السَّمَاء السَّابِعَة وَبَيْن العَرْش مَسِيرَة سِتَّة وَثَلاثِينَ أَلف عَام، فَذَلِكَ قَوْله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

القَوْل الثَّانِي: أَنَّ المُرَاد بِذَلِكَ مُدَّة بَقَاء الدُّنْيَا مُنْذُ خَلقَ الله هَذَا العَالَم إِلَى قِيَام السَّاعَة، قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُوزُرْعَة، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، أَخْبَرَنَا ابْن أَبِي زَائِدَة، عَنْ ابْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَال: الدُّنْيَا عُمْرهَا خَمْسُونَ أَلف سَنَة. وَذَلِكَ عُمْرهَا يَوْم سَمَّاهَا الله تعالى يَوْمًا: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ قَال: اليَوْم الدُّنْيَا. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ ابن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، وعَنْ الحَكَم بْن أَبَان، عَنْ عِكْرِمَة، ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَال: الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلهَا إِلَى آخِرهَا مِقْدَار خَمْسِينَ أَلف سَنَة، لا يَدْرِي أَحَدٌ كَمْ مَضَى، وَلا كَمْ بَقِيَ إِلَّا الله ﷻ.

القَوْل الثَّالِث: أَنَّهُ اليَوْم الفَاصِل بَيْن الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَهُوَ قَوْل غَرِيب جِدًّا، قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد ابْن مُحَمَّد بْن يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان، حَدَّثَنَا بُهْلُول بْن المُوَرِّق، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُبَيْدَة، أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن كَعْب: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ قَال: هُوَ يَوْم الفَصْل بَيْن الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

القَوْل الرَّابِع: أَنَّ المُرَاد بِذَلِكَ يَوْم القِيَامَة، قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَال: يَوْم القِيَامَة. وهذا إسناد صَحِيح. وَرَوَاهُ الثَّوْرِيّ عَنْ سِمَاك بْن حَرْب، عَنْ عِكْرِمَة: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يَوْم القِيَامَة. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك، وَابْن زَيْد.

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَال: فهذا. يَوْم القِيَامَة جَعَلهُ الله عَلَى الكَافِرِينَ مِقْدَار خَمْسِينَ أَلف سَنَة. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث فِي مَعْنَى ذَلكَ، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، حَدَّثنَا دَرَّاج، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد قَال: قِيل لرَسُول الله ﷺ : ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مَا أَطْوَل هَذَا اليَوْم! فَقَال رَسُول الله ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ ليُخَفَّف عَلى المُؤْمِن حَتَّى يَكُون أَخفّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاة مَكْتُوبَة يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا»(١). وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ يُونُس عَنْ ابْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث عَنْ دَرَّاج بِهِ إِلَّا أَنَّ دَرَّاجًا وَشَيْخه ضَعِيفَانِ، وَالله أَعْلم.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَبِي عمر الغُدَانِيّ قَال: كُنْت عِنْد أَبِي هُرَيْرَة فَمَرَّ رَجُل مِنْ بَنِي عَامِر بْن صَعْصَعَة، فَقِيل لهُ: هَذَا أَكْثَر عَامِرِيّ مَالًا. فَقَال أَبُو هُرَيْرَة: رُدُّوهُ إِليَّ فَرَدُّوهُ. فَقَال: نُبِّئْت أَنَّك ذُو مَال كَثِير؟ فَقَال العَامِرِيّ: إِيْ وَالله، إِنَّ لي لمِائَة حمرًا ومِائَة أدمًا -حَتَّى عَدَّ مِنْ أَلْوَان الإِبِل، وَأَفْنَان الرَّقِيق وَرِبَاط الخَيْل- فَقَال أَبُو هُرَيْرَة: إِيَّاكَ وَأَخْفَاف الإِبِل وَأَظْلاف النَّعم -يُرَدِّد ذَلكَ عَليْهِ- حَتَّى جَعَل لوْن العَامِرِيّ يَتَغَيَّر-، فَقَال: مَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَة؟ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**مَنْ كَانَتْ لهُ إِبِل لا يُعْطِي حَقّهَا فِي نَجْدَتهَا وَرِسْلهَا**». قُلنَا: يَا رَسُول الله؛ مَا نَجْدَتهَا وَرِسْلهَا؟ قَال: «**فِي عُسْرهَا وَيُسْرهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْم القِيَامَة كَأَغَذّ مَا كَانَتْ، وَأَكْثَره، وَأَسْمَنه، وَأَشَرَه حَتَّى يُبْطَح لهَا بِقَاعٍ قَرْقَر، فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، فَإِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَليْهِ أُولاهَا، فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سَنَة، حَتَّى يُقْضَى بَيْن النَّاس فَيَرَى سَبِيله، وَإِذَا كَانَتْ لهُ بَقَر لا يُعْطِي حَقّهَا فِي نَجْدَتهَا وَرِسْلهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْم القِيَامَة كَأَغَذّ مَا كَانَتْ وأكثره وَأَسْمَنه وَأَشَرَه ثُمَّ يُبْطَح لهَا بِقَاعٍ قَرْقَر فَتَطَؤُهُ كُلّ ذَات ظِلف بِظِلفِهَا، وَتَنْطَحهُ كُلّ ذَات قَرْن بِقَرْنِهَا، إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَليْهِ أُولاهَا، فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سَنَة حَتَّى يُقْضَى بَيْن النَّاس فَيَرَى سَبِيله. وَإِذَا كَانَتْ لهُ غَنَم لا يُعْطِي حَقّهَا فِي نَجْدَتهَا وَرِسْلهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْم القِيَامَة كَأَغَذّ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنه وَأَشَرَه، حَتَّى يُبْطَح لهَا بِقَاعٍ قَرْقَر، فَتَطَؤُهُ كُلّ ذَات ظِلف بِظِلفِهَا، وَتَنْطَحهُ كُلّ ذَات قَرْن بِقَرْنِهَا، ليْسَ فِيهَا عَقْصَاء وَلا عَضْبَاء إِذَا جَاوَزَتْهُ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَليْهِ أُولاهَا، فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سَنَة حَتَّى يُقْضَى بَيْن النَّاس فَيَرَى سَبِيله**». فقال العَامِرِيّ: وَمَا حَقّ الإِبِل يَا أَبَا هُرَيْرَة؟ قَال: أَنْ تُعْطِي الكَرِيمَة وَتَمْنَح الغَزِيرَة وَتُفْقِر الظَّهْر وَتَسْقِي اللبن، وَتُطْرِق الفَحْل.(٢) وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث شُعْبَة، وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، كِلاهُمَا عَنْ قَتَادَة، بِهِ.

طَرِيق أُخْرَى لهَذَا الحَدِيث: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو كَامِل، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ سهيل بْن أَبِي صَالح، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**مَا مِنْ صَاحِب كَنْز لا يُؤَدِّي حَقّه إلاَّ جُعِل صَفَائِح يُحْمَى عَليْهَا فِي نَار جَهَنَّم فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَته وَجَنْبه وَظَهْره، حَتَّى يَحْكُم الله بَيْن عِبَاده فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سَنَة مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيله إِمَّا إِلى الجَنَّة وَإِمَّا إِلى النَّار**». وَذَكَرَ بَقِيَّة الحَدِيث فِي الغَنَم وَالإِبِل كَمَا تَقَدَّمَ، وَفِيهِ: «**الخَيْل لثلاثة: لرَجُلٍ أَجْر، وَلرَجُلٍ سِتْر، وَعَلى رَجُل وِزْر**». إِلى آخِره.(٣) وَرَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه» بِتَمَامِهِ مُنْفَرِدًا بِهِ دُون البُخَارِيّ، مِنْ حَدِيث سُهَيْل، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، وَمَوْضِع اسْتِقْصَاء طُرُقه وَأَلفَاظه فِي

---

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، وفيه ابن لهيعة: ضعيف. ودراج ضعيف الرواية عن أبي الهيثم.
(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٩)، والنسائي (٥/ ١٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».
(٣) أخرجه مسلم (٩٥٧).

كِتَاب الزَّكَاة في «الأَحْكَام»، وَالغَرَض مِنْ إِيرَاده هَهُنَا قَوْله: «**حَتَّى يَحْكُم الله بَيْن عِبَاده، فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سَنَة**». وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير عَنْ يَعْقُوب، عَنْ ابْن عُلَيَّة، وَعَبْد الوَهَّاب، عَنْ أَيُّوب، عَنْ ابْن أَبِي مُلَيْكَة قَال: سَأَل رَجُل ابْن عَبَّاس عَنْ قَوْله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَال: فَاتَّهَمَهُ، فَقَال: مَا يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلف سَنَة؟ فَقَال: إِنَّمَا سَأَلْتُك لِتُحَدِّثنِي. قَال: هُمَا يَوْمَانِ ذَكَرَهُمَا الله، الله أَعْلم بِهِمَا، وَأَكْرَه أَنْ أَقُول فِي كِتَاب الله بِمَا لا أَعْلَم.

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، أَيْ: اصْبِرْ يَا مُحَمَّد عَلَى تَكْذِيب قَوْمك لك، وَاسْتِعْجَالهمْ العَذَاب اسْتِبْعَادًا لِوُقُوعِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾. ولهذا قَال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾، أَيْ: وُقُوع العَذَاب وَقِيَام السَّاعَة يَرَاهُ الكَفَرَة بَعِيد الوُقُوع، بِمَعْنَى مُسْتَحِيل الوُقُوع، ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾، أَيْ: المُؤْمِنُونَ يَعْتَقِدُونَ كَوْنه قَرِيبًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَمَد لا يَعْلمهُ إِلَّا الله ﷻ، لكِنْ كُلّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ قَرِيب وَوَاقِع لا مَحَالَة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾.

يَقُول تَعَالَى: العَذَاب وَاقِع بِالكَافِرِينَ، ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَعَطَاء، وَسَعِيد ابْن جُبَيْر، وَعِكْرِمَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْر وَاحِد: كَدُرْدِيِّ الزَّيْت. ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أَيْ: كَالصُّوفِ المَنْفُوش، قَالَهُ مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ. وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾. وقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، أَيْ: لا يَسْأَل القَرِيب قَرِيبه عَنْ حَاله، وَهُوَ يَرَاهُ فِي أَسْوَأ الأَحْوَال، فَتَشْغَلهُ نَفْسه عَنْ غَيْره. قَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْرِف بَعْضهمْ بَعْضًا، وَيَتَعَارَفُونَ بَيْنهمْ، ثُمَّ يَفِرّ بَعْضهمْ مِنْ بَعْض بَعْد ذَلِكَ، يَقُول: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، وهذه الآيَة الكَرِيمَة كَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

وَقَوْله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ﴾، أَيْ: لا يُقْبَل مِنْهُ فِدَاء وَلَوْ جَاءَ بِأَهْل الأَرْض وَبِأَعَزّ مَا يَجِدهُ مِنْ المَال، وَلَوْ بِمِلْءِ الأَرْض ذَهَبًا، أَوْ مِنْ وَلده الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا حُشَاشَة كَبِده، يَوَدّ يَوْم القِيَامَة إِذَا رَأَى الأَهْوَال أَنْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَاب الله بِهِ وَلا يُقْبَل مِنْهُ. قَال مُجَاهِد وَالسُّدِّيّ: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: قَبِيلته وَعَشِيرَته. وَقَال عِكْرِمَة: فَخِذه الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ. وَقَال أَشْهَب: عَنْ مَالك ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: أُمّه.

وقوله: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾، يَصِف النَّار وَشِدَّة حَرّهَا، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد: جِلدَة الرَّأْس. وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: الجُلُود وَالهَام. وَقَال مُجَاهِد: مَا دُون العَظْم مِنْ اللَّحْم. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: العَصَب. وَقَال أَبُو صَالح: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، يَعْنِي: أَطْرَاف اليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَقَال أَيْضًا: نزاعة لَحْم السَّاقَيْنِ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ، وَثَابِت البُنَانِيّ: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، أَيْ: مَكَارِم وَجْهه. وَقَال الحَسَن أَيْضًا: تُحْرِق كُلّ شَيْء فِيهِ، وَيَبْقَى فُؤَاده يَصِيح. وَقَال قَتَادَة: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، أَيْ: نَزَّاعَة لِهَامَتِهِ وَمَكَارِم وَجْهه

وَخَلْقه وَأَطْرَافه. وَقَال الضَّحَّاك: تُبري اللَّحْم وَالجِلد عَنْ العَظْم، حَتَّى لا تَتْرُك مِنْهُ شَيْئًا. وَقَال ابْن زَيْد: الشَّوَى: الآرَاب العِظَام. فَقَوْله: ﴿نَزَّاعَةً﴾ قَال: تُقْطَع عِظَامهمْ ثُمَّ يجدد خلقهم وتُبَدَّل جُلُودهمْ.

وقوله: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾، أَيْ: تَدْعُو النَّار إِلَيْهَا أَبْنَاءَهَا الَّذِينَ خَلقَهُمْ الله لهَا، وَقَدَّرَ لهُمْ أَنَّهُمْ فِي الدَّار الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ عَمَلهَا، فَتَدْعُوهُمْ يَوْم القِيَامَة بِلسَانٍ طَلق ذَلق، ثُمَّ تَلتَقِطهُمْ مِنْ بَيْن أَهْل المَحْشَر كَمَا يَلتَقِط الطَّيْر الحَبّ، وَذَلكَ أَنَّهُمْ كَمَا قَال الله ﷻ: كَانُوا مِمَّنْ ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾، أَيْ: كَذَّبَ بِقَلبِهِ، وَتَرَكَ العَمَل بِجَوَارِحِهِ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾، أَيْ: جَمَعَ المَال بَعْضه عَلى بَعْض فَأَوْعَاهُ، أَيْ: أَوْكَاهُ وَمَنَعَ حَقّ الله مِنْهُ مِنْ الوَاجِب عَلَيْهِ فِي النَّفَقَات وَمِنْ إِخْرَاج الزَّكَاة. وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث: «**ولا تُوعِي فَيُوعِي الله عَليْك**»[1]. وَكَانَ عَبْد الله بْن عُكَيْم لا يَرْبِط لهُ كِيسًا وَيَقُول: سَمِعْت الله ﷻ يَقُول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: يَا بْن آدَم، سَمِعْت وَعِيد الله ثُمَّ أَوْعَيْت الدُّنْيَا. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ قَال: كَانَ جَمُوعًا قَمُومًا للخَبِيث.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الإِنْسَان وَمَا هُوَ مَجْبُول عَلَيْهِ مِنْ الأَخْلاق الدَّنِيئَة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾، أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ الضُّرّ فَزِعَ وَجَزِعَ وَانْخَلعَ قَلبه مِنْ شِدَّة الرُّعْب، وَأَيِسَ أَنْ يَحْصُل لهُ بَعْد ذَلكَ خَيْر، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أَيْ: إِذَا حَصَلتْ لهُ نِعْمَة مِنْ الله بَخِل بِهَا عَلى غَيْره، وَمَنَعَ حَقّ الله فِيهَا. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثنَا مُوسَى بْن عُليّ بْن رَبَاح، سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث عَنْ عَبْد العَزِيز ابْن مَرْوَان بْن الحَكَم قَال: سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «**شَرّ مَا فِي رَجُل: شُحّ هَالع، وَجُبْن خَالع**»[2]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ عَبْد الله بْن الجَرَّاح، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن المُقْرِي بِهِ. وَليْسَ لعَبْدِ العَزِيز عِنْده سِوَاهُ. ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾، أَيْ: الإِنْسَان مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَّصِف بِصِفَاتِ الذَّمّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ الله وَوَفَّقَهُ، وَهَدَاهُ إِلى الخَيْر وَيَسَّرَ لهُ أَسْبَابه، وَهُمْ المُصَلُّونَ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾. قِيل: مَعْنَاهُ يُحَافِظُونَ عَلى أَوْقَاتهَا وَوَاجِبَاتهَا، قَالهُ ابْن مَسْعُود، وَمَسْرُوق، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ. وَقِيل: المُرَاد بِالدَّوَام هَهُنَا: السُّكُون وَالخُشُوع، كَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ قَالهُ عُقْبَة بْن عَامِر، وَمِنْهُ المَاء الدَّائِم أي: السَّاكِن الرَّاكِد. وَقِيل: المُرَاد بِذَلكَ الَّذِينَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا دَاوَمُوا عَليْهِ وَأَثْبَتُوهُ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**أَحَبّ الأَعْمَال إِلى الله أَدْوَمهَا وَإِنْ قَلَّ**»[3]، وَفِي لفْظ: «**مَا دَاوَمَ عَليْهِ صَاحِبه**». قَالتْ: «وَكَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا عَمِل عَمَلًا دَاوَمَ عَليْهِ».[4] وَفِي لفْظ: أَثْبَتَهُ. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: ذُكِرَ لنَا أَنَّ دَانْيَال عليه السلام نَعَتَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٤)، ومسلم (١٠٢٩).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٠)، وأبو داود (٢٥١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٣) أخرجه البخاري (٤٣، ٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٥).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٤٦).

أُمَّة مُحَمَّد ﷺ فقال: يُصَلُّونَ صَلاة لوْ صَلَّاهَا قَوْم نُوح مَا غَرِقُوا، أَوْ قَوْم عَادٍ مَا أُرْسِلتْ عَلَيْهِمْ الرِّيح العَقِيم، أَوْ ثَمُود مَا أَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَة. فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاةِ فَإِنَّهَا خُلُق للمُؤْمِنِينَ حَسَن.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾، أَيْ: فِي أَمْوَالهمْ نَصِيب مُقَرَّر لذَوِي الحَاجَات. وقد تقدمَّ الكلامُ على ذلك في «سُورَة الذَّاريات». وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، أَيْ: يُوقِنُونَ بِالمَعَادِ وَالحِسَاب وَالجَزَاء، فَهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَل مَنْ يَرْجُو الثَّوَاب وَيَخَاف العِقَاب. ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾، أَيْ: خَائِفُونَ وَجِلُونَ، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أَيْ: لا يَأْمَنهُ أَحَد مِمَّنْ عَقَل عَنْ الله أَمْره إِلَّا بِأَمَانٍ مِنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالى. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾، أي: يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله. ولهذا قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾، أي: من الإماء، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾. وقد تقدَّم تفسيرُ هذا في أولِ سُورَة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بما أغنَى عَنْ إعادتِه هاهنا. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾، أَيْ: إِذَا اؤْتُمِنُوا لمْ يَخُونُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا لمْ يَغْدِرُوا. وَهَذِهِ صِفَات المُؤْمِنِينَ، وَضِدّهَا صِفَات المُنَافِقِينَ، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «آيَة المُنَافِق ثَلاث: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1]. وَفِي رِوَايَة: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أَيْ: مُحَافِظُونَ عَلَيْهَا لا يَزِيدُونَ فِيهَا، وَلا يُنْقِصُونَ مِنْهَا، وَلا يَكْتُمُونَهَا، ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، أَيْ: عَلَى مَوَاقِيتهَا وَأَرْكَانهَا وَوَاجِبَاتهَا وَمُسْتَحَبَّاتهَا، فَافْتَتَحَ الكَلام بِذِكْرِ الصَّلاة وَاخْتَتَمَهُ بِذِكْرِهَا، فَدَلَّ عَلَى الاعْتِنَاء بِهَا وَالتَّنْوِيه بِشَرَفِهَا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّل سُورَة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سَوَاء؛ ولِهَذَا قَال هُنَاكَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. وقال هاهنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أَيْ مُكْرَمُونَ بِأَنْوَاعِ المَلاذّ وَالمَسَارّ.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى الكُفَّار الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ وَهُمْ مُشَاهِدُونَ لهُ، وَلمَا أَرْسَلهُ الله بِهِ مِنْ الهُدَى وأَيَدَهُ بِهِ مِنْ المُعْجِزَات البَاهِرَة، ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا كُلّه فَارُّونَ مِنْهُ، مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ، شَارِدُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فِرَقًا فِرَقًا، وَشِيَعًا شِيَعًا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾، الآيَة. وَهَذِهِ مِثْلهَا، فَإِنَّهُ قَال تَعَالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أَيْ: فَمَا لهَؤُلاءِ الكُفَّار الَّذِينَ عِنْدك يَا مُحَمَّد ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أَيْ: مُسْرِعِينَ نَافِرِينَ مِنْك، كَمَا قَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أَيْ: مُنْطَلِقِينَ، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾، وَاحِدهَا عِزَة، أَيْ: مُتَفَرِّقِينَ. وَهُوَ حَال مِنْ مُهْطِعِينَ، أَيْ: فِي حَال تَفَرُّقهمْ وَاخْتِلافهمْ، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد فِي أَهْل الأَهْوَاء: فَهُمْ مُخَالِفُونَ للكِتَاب، مُخْتَلِفُونَ فِي الكِتَاب، مُتَّفِقُونَ عَلى مُخَالفَة الكِتَاب.

وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، قَال: قِبَلك يَنْظُرُونَ، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾، قَال: العِزِينَ: العُصَب مِنْ النَّاس، عَنْ يَمِين وَشِمَال مُعْرِضِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

---

(١) صحيح: تقدم.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن بَشَّار، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر، حَدَّثَنَا قُرَّة عَنْ الحَسَن فِي قَوْله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾، مُتَفَرِّقِينَ، يَأْخُذُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَقُولُونَ: مَا قَال هَذَا الرَّجُل؟ وَقَال قَتَادَة: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: عَامِدِينَ، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾، أَيْ: فِرَقًا حَوْل النَّبِيّ ﷺ لا يَرْغَبُونَ فِي كِتَاب الله، وَلا فِي نَبِيّه ﷺ. وَقَال الثَّوْرِيّ، وَشُعْبَة، وعيسى بن يونس، وَعَبْثَر بْن القَاسِم، وَمُحَمَّد بْن فُضَيْل، وَوَكِيع، وَيَحْيَى القَطَّان، وَأَبُو مُعَاوِيَة، كُلّهمْ عَنْ الأَعْمَش، عَنْ المُسَيِّب بْن رَافِع، عَنْ تَمِيم بْن طَرَفَة، عَنْ جَابِر بْن سَمُرَة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ حِلَق، فَقَال: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟». رَوَاهُ أَحْمَد، وَمُسْلِم، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ وَابْن جَرِير مِنْ حَدِيث الأَعْمَش بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا مُؤَمَّل، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَبْد المَلِك بْن عُمَيْر، عَنْ أَبِي سَلَمَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابه وَهُمْ حِلَق حِلَق، فَقَال: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟»[1]. وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد وَلَمْ أَرَهُ فِي شَيْء مِنْ الكُتُب السِّتَّة مِنْ هَذَا الوَجْه.

وقوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّآ﴾، أَيْ: أَيَطْمَعُ هَؤُلاءِ -وَالحَالَة هَذِهِ- مِنْ فِرَارهمْ عَنْ الرَّسُول ﷺ وَنِفَارهمْ عَنْ الحَقّ -أَنْ يُدْخَلُوا جَنَّات النَّعِيم؟ كَلَّا بَل مَأْوَاهُمْ نار الجحيم. ثُمَّ قَال تَعَالَى مُقَرِّرًا لِوُقُوع المَعَاد وَالعَذَاب بِهِمْ الَّذِي أَنْكَرُوا كَوْنه وَاسْتَبْعَدُوا وُجُوده مُسْتَدِلًّا عَلَيْهِمْ بِالبُدَاءَةِ التِي الإِعَادَة أَهْوَن مِنْهَا وَهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِهَا، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾، أَيْ: مِنْ المَنِيّ الضَّعِيف، كَمَا قَال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾، وَقَال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (٧) إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ (٩) فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.

ثم قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾، أَيْ: الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْض، وَجَعَل مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، وَسَخَّرَ الكَوَاكِب تَبْدُو مِنْ مَشَارِقهَا وَتَغِيب فِي مَغَارِبهَا، وتقرير الكَلَام: لَيْسَ الأَمْر كَمَا يَزْعُمُونَ أَنْ لا مَعَاد وَلا حِسَاب وَلا بَعْث وَلا نُشُور، بَل كُلّ ذَلِكَ وَاقِع وَكَائِن لا مَحَالَة. وَلِهَذَا أَتَى بِـ«لا» فِي ابْتِدَاء القَسَم لِيَدُلّ عَلَى أَنَّ المُقْسَم عَلَيْهِ نَفْي، وَهُوَ مَضْمُون الكَلَام، وَهُوَ الرَّدّ عَلَى زَعْمهمْ الفَاسِد فِي نَفْي يَوْم القِيَامَة، وَقَدْ شَاهَدُوا مِنْ عَظِيم قُدْرَة الله تَعَالَى مَا هُوَ أَبْلَغ مِنْ إِقَامَة القِيَامَة، وَهُوَ خَلق السَّمَوَات وَالأَرْض، وَتَسْخِير مَا فِيهِمَا مِنْ المَخْلُوقَات مِنْ الحَيَوَانَات وَالجَمَادَات، وَسَائِر صُنُوف المَوْجُودَات، وَلِهَذَا قَال تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾.

وَقَال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وَقَال تَعَالَى فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. وقال هاهنا: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة نُعِيدهُمْ بِأَبْدَانٍ خَيْر مِنْ هَذِهِ فَإِنَّ قُدْرَته صَالِحَة لِذَلِكَ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أَيْ: بِعَاجِزِينَ. كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾، وَقَال تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. واختار ابن جرير ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، أَيْ: أُمَّة تُطِيعنَا، وَلا تَعْصِينَا، وَجَعَلهَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾. وَالمَعْنَى الأَوَّل أَظْهَر لِدَلالَةِ الآيَات الأُخَر عَلَيْهِ، والله أَعْلَم.

ثُمَّ قَال تَعَالَى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، أَيْ: يَا مُحَمَّد ﴿يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾، أَيْ: دَعْهُمْ فِي تَكْذِيبهمْ وَكُفْرهمْ وَعِنَادهمْ، ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾، أَيْ: فَسَيَعْلَمُونَ غِبّ ذَلِكَ وَيَذُوقُونَ وَبَاله، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).

يُوفِضُونَ﴾ أَيْ: يَقُومُونَ مِنَ القُبُور إِذَا دَعَاهُمُ الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالى لِمَوْقِفِ الحِسَاب، يَنْهَضُونَ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُب يُوفِضُونَ. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك: إِلى عِلم يَسْعَوْنَ. وَقَال أَبُو العَالِيَة، وَيَحْيَى بْن أَبِي كَثِير: إِلى غَايَة يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا. وَقَدْ قَرَأَ الجُمْهُور: (نَصْب)، بِفَتْح النُّون وَإِسْكَان الصَّاد، وَهُوَ مَصْدَر بِمَعْنَى المَنْصُوب. وَقَرَأَ الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿نُصُبٍ﴾ بِضَمِّ النُّون وَالصَّاد، وَهُوَ الصَّنَم، أَيْ: كَأَنَّهُمْ فِي إِسْرَاعهمْ إِلى المَوْقِف كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُهَرْوِلُونَ إِلى النُّصُب إِذَا عَايَنُوهُ ﴿يُوفِضُونَ﴾، يَبْتَدِرُونَ أَيّهمْ يَسْتَلمهُ أَوَّل؟ وَهَذَا مَرْوِيّ عَنْ مُجَاهِد، وَيَحْيَى ابْن أَبِي كَثِير، وَمُسْلم البَطِين، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَأَبِي صَالِح، وَعَاصِم بْن بَهْدَلة، وَابْن زَيْد، وَغَيْرهمْ. وقوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾، أَيْ: خَاضِعَة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلة مَا اسْتَكْبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَنْ الطَّاعَةِ، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة «سأل سائل»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ نُوحٍ وهي مكية

ترتيبها ٧١ — وآياتها ٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ أَرْسَلهُ إِلى قَوْمه آمِرًا لهُ أَنْ يُنْذِرهُمْ بَأْس الله قَبْل حُلُوله بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا رُفِعَ عَنْهُمْ؛ وَلهَذَا قَال: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾. أَيْ: بَيِّن النِّذَارَة، ظَاهِر الأَمْر وَاضِحه، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أَيْ: اتْرُكُوا مَحَارِمَهُ وَاجْتَنِبُوا مَآثِمه، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أَيْ: إِذَا فَعَلتُمْ مَا أمرتكم بِهِ وَصَدَّقْتُمْ مَا أُرْسِلت بِهِ إِلَيْكُمْ، غَفَرَ الله لكُمْ ذُنُوبكُمْ. وَ«مِنْ» هَهُنَا قِيل: إِنَّهَا زَائِدَة. وَلكِنَّ القَوْل بِزِيَادَتِهَا فِي الإِثْبَات قَليل. وَمِنْهُ قَوْل بَعْض العَرَب: «قَدْ كَانَ مِنْ مَطَر». وَقِيل: إِنَّهَا بِمَعْنَى «عَنْ»، تَقْدِيره يَصْفَح لكُمْ عَنْ ذُنُوبكُمْ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقِيل: إِنَّهَا للتَّبْعِيضِ، أَيْ: يَغْفِر لكُمْ الذُّنُوب العِظَام الَّتِي وَعَدَكُمْ عَلى ارْتِكَابكُمْ إِيَّاهَا الانْتِقَام. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أَيْ: يَمُدّ فِي أَعْمَاركُمْ وَيَدْرَأ عَنْكُمْ العَذَاب الَّذِي إِنْ لمْ تَنْزجروا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ: أَوْقَعَهُ بِكُمْ. وَقَدْ يَسْتَدِلّ بِهَذِهِ الآيَة مَنْ يَقُول: إِنَّ الطَّاعَة وَالبِرّ وَصِلة الرَّحِم يُزَاد بِهَا فِي العُمُر حَقِيقَة، كَمَا وَرَدَ بِهِ الحَدِيث: **«صِلة الرَّحِم تَزِيد فِي العُمُر»**[1]. وَقَوْله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أَيْ: بَادِرُوا بِالطَّاعَةِ قَبْل حُلُول النِّقْمَة، فَإِنَّهُ إِذَا أَمَرَ تَعَالى بِكَوْنِ ذَلكَ لا يُرَدّ وَلا يُمَانَع، فَإِنَّهُ العَظِيم الَّذِي قَدْ قَهَرَ كُلّ شَيْء، العَزِيز الَّذِي دَانَتْ لعِزَّتِهِ جَمِيع المَخْلُوقَات.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ

(١) صححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٠٨).

خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ عَبْده وَرَسُوله نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اشْتَكَى إِلى رَبّه عَزَّ وَجَلَّ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمه، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّة الطَّوِيلة الَّتِي هِيَ أَلف سَنَة إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَا بَيَّنَ لِقَوْمِهِ وَوَضَّحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلى الرُّشْد وَالسَّبِيل الأَقْوَم، فَقَال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: أَيْ: لَمْ أَتْرُك دُعَاءَهُمْ فِي لَيْل وَلا نَهَار، امْتِثَالًا لأَمْرِك وَابْتِغَاء لطَاعَتِك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾، أَيْ: كُلَّمَا دَعَوْتهمْ لِيَقْتَرِبُوا مِنْ الحَقّ فَرُّوا مِنْهُ وَحَادُوا عَنْهُ، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾، أَيْ: سَدُّوا آذَانهمْ لِئَلَّا يَسْمَعُوا مَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالى عَنْ كُفَّار قُرَيْش: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾: قَال ابْن جريج عَنْ ابْن عَبَّاس: تَنكَّرُوا لهُ لِئَلَّا يَعْرِفهُمْ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَالسُّدِّيّ: غَطَّوْا رُءُوسهمْ لِئَلَّا يَسْمَعُوا مَا يَقُول. ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾، أَيْ: اسْتَمَرُّوا على مَا هُمْ فِيهِ مِنْ الشِّرْك وَالكُفْر العَظِيم الفَظِيع، ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾، أَيْ: وَاسْتَنْكَفُوا عَنْ اتِّبَاع الحَقّ وَالانْقِيَاد لهُ. ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾، أَيْ: جَهْرَة بَيْن النَّاس. ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ أَيْ: كَلامًا ظَاهِرًا بِصَوْتٍ عَالٍ، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، أَيْ: فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنهمْ، فَنَوَّعَ عَلَيْهِمْ الدَّعْوَة لِتَكُونَ أَنْجَع فِيهِمْ.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾، أَيْ: ارْجِعُوا إِلَيْهِ، وَارْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيب، فَإِنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبه مَهْمَا كَانَتْ فِي الكُفْر وَالشِّرْك؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، أَيْ: مُتَوَاصِلة الأَمْطَار، وَلِهَذَا يُسْتَحب قِرَاءَة هَذِهِ السُّورَة فِي صَلاة الاسْتِسْقَاء؛ لأَجْل هَذِهِ الآيَة. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَعِدَ المِنْبَر لِيَسْتَسْقِيَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلى الاسْتِغْفَار، وقرأ الآيَات فِي الاسْتِغْفَار، وَمِنْهَا هَذِهِ الآيَة: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ ثُمَّ قَال: لَقَدْ طَلَبْت الغَيْث بِمَجَادِيح السَّمَاء الَّتِي يُسْتَنْزَل بِهَا المَطَر. وَقَال ابْن عَبَّاس وَغَيْره: يَتْبَع بَعْضه بَعْضًا.

وقوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾، أَيْ: إِذَا تُبْتُمْ إِلى الله وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ، كَثُرَ الرِّزْق عَلَيْكُمْ، وَأَسْقَاكُمْ مِنْ بَرَكَات السَّمَاء، وَأَنْبَتَ لكُمْ مِنْ بَرَكَات الأَرْض، وَأَنْبَتَ لكُمْ الزَّرْع، وَأَدَرَّ لكُمْ الضَّرْع، وَأَمَدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، أَيْ: أَعْطَاكُمْ الأَمْوَال وَالأَوْلاد، وَجَعَل لكُمْ جَنَّات فِيهَا أَنْوَاع الثِّمَار، وَخَلَّلَهَا بِالأَنْهَارِ الجَارِيَة بَيْنَهَا. هَذَا مَقَام الدَّعْوَة بِالتَّرْغِيب. ثُمَّ عَدَل بِهِمْ إِلى دَعْوَتهمْ بِالتَّرْهِيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، أَيْ: عَظَمَة. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَقَال ابْن عَبَّاس: لا تُعَظِّمُونَ الله حَقّ عَظَمَته. أَيْ: لا تَخَافُونَ مِنْ بَأْسه وَنِقْمَته، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قِيل: مَعْنَاهُ مِنْ نُطْفَة، ثُمَّ مِنْ علقَة، ثُمَّ مِنْ مُضْغَة. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَيَحْيَى بْن رَافِع، وَالسُّدِّيّ، وَابْن زَيْد.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، أَيْ: وَاحِدَة فَوْق وَاحِدَة، وَهَل هَذَا يُتَلَقَّى مِنْ جِهَة السَّمْع فَقَطْ؟ أَوْ هُوَ مِنْ الأُمُور المُدْرَكَة بِالحِسِّ، مِمَّا عُلِمَ مِنْ التَّسْيِير وَالكُسُوفَات، فَإِنَّ الكَوَاكِب السَّبْعَة السَّيَّارَة يَكْسِف بَعْضهَا بَعْضًا، فَأَدْنَاهَا القَمَر فِي السَّمَاء الدُّنْيَا وَهُوَ يَكْسِف مَا فَوْقه، وَعُطَارِد فِي الثَّانِيَة، وَالزُّهْرَة فِي الثَّالثَة، وَالشَّمْس فِي الرَّابِعَة، وَالمِرِّيخ فِي الخَامِسَة، وَالْمُشْتَرَى فِي السَّادِسَة، وَزُحَل فِي السَّابِعَة، وَأَمَّا بَقِيَّة الكَوَاكِب -وَهِيَ الثَّوَابِت- فَفِي فَلَك ثَامِن يُسَمُّونَهُ فَلك الثَّوَابِت. وَالمُتَشَرِّعُون مِنْهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ الكُرْسِيّ، وَالفَلك التَّاسِع، وَهُوَ الأَطْلس، وَالأَثِير عِنْدهمْ الَّذِي حَرَكَتُهُ عَلى خِلاف حَرَكَة سَائِر الأَفْلاك، وَذَلِكَ أَنَّ حَرَكَتَهُ مَبْدَأ

الحَرَكَات، وَهِيَ مِنْ المَغْرِب إلى المَشْرِق، وَسَائِر الأَفْلاك، عَكْسه مِنْ المَشْرِق إلى المَغْرِب، وَمَعَهَا يَدُور سَائِر الكَوَاكِب تَبَعًا، وَلكِنْ للسَّيَّارَة حَرَكَة مُعَاكِسَة لِحَرَكَةِ أَفْلاكهَا، فَإِنَّهَا تَسِير مِنْ المَغْرِب إلى المَشْرِق. وَكُلّ يَقْطَع فُلكه بِحَسَبِهِ، فَالقَمَر يَقْطَع فُلكه فِي كُلّ شَهْر مَرَّة، وَالشَّمْس فِي كُلّ سَنَة مَرَّة، وَزُحَل فِي كُلّ ثَلاثِينَ سَنَة مَرَّة، وَذَلِكَ بِحَسَبِ اتِّسَاع أَفْلاكهَا، وَإِنْ كَانَتْ حَرَكَة الجَمِيع فِي السُّرْعَة مُتَنَاسِبَة. هَذَا مُلخَّص مَا يَقُولُونَهُ فِي هَذَا المَقَام، عَلَى اخْتِلاف بَيْنهمْ فِي مَوَاضِع كَثِيرَة، لَسْنَا بِصَدَدِ بَيَانهَا، وَإِنَّمَا المَقْصُود أَنَّ الله سُبْحَانه خَلَقَ سَبْع سَمَوَات طِبَاقًا، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، أَيْ: فَاوَتَ بَيْنهمَا فِي الاسْتِنَارَة، فَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا أُنْمُوذَجًا عَلى حِدَة، لِيُعْرَف اللَّيْل وَالنَّهَار بِمَطْلع الشَّمْس وَمَغِيبهَا، وَقَدَّرَ للقَمَرِ مَنَازِل وَبُرُوجًا، وَفَاوَتَ نُوره، فَتَارَة يَزْدَاد حَتَّى يَتَنَاهَى ثُمَّ يَشْرَع فِي النَّقْص حَتَّى يَسْتَتِرَ لِيَدُلّ عَلى مُضِيّ الشُّهُور وَالأَعْوَام، كَمَا قَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: هَذَا اسْم مَصْدَر، وَالإِتْيَان بِهِ هَهُنَا أَحْسَن، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، أَيْ: إِذَا مُتُّمْ، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة يُعِيدكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ أَوَّل مَرَّة، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أَيْ: بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا وَقَرَّرَهَا وَثَبَّتَهَا بِالجِبَال الرَّاسِيَات الشُّمّ الشَّامِخَات، ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾، أَيْ: خَلَقَهَا لَكُمْ لِتَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا وَتَسْلُكُوا فِيهَا أَيْنَ شِئْتُمْ، مِنْ نَوَاحِيهَا وَأَرْجَائِهَا وَأَقْطَارهَا، وَكُلّ هَذَا مِمَّا يُنَبِّههُمْ بِهِ نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قُدْرَة الله وَعَظَمَته فِي خَلق السَّمَوَات وَالأَرْض، وَنِعَمه عَلَيْهِمْ فِيمَا جَعَل لَهُمْ مِنْ المَنَافِع السَّمَاوِيَّة وَالأَرْضِيَّة، فَهُوَ الخَالق الرازق، جَعَل السَّمَاء بِنَاء، وَالأَرْض مِهَادًا، وَأَوْسَعَ عَلى خَلقه مِنْ رِزْقه، فَهُوَ الَّذِي يَجِب أَنْ يُعْبَد وَيُوَحَّد وَلا يُشْرِك بِهِ أَحَد، لأَنَّهُ لا نَظِير لهُ وَلا عَدِيل لهُ، وَلا نِدّ وَلا كُفْء، وَلا صَاحِبَة وَلا وَلد، وَلا وَزِير وَلا مُشِير، بَل هُوَ العَلِيّ الكَبِير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ أَنْهَى إِلَيْهِ -وَهُوَ العَلِيم الَّذِي لا يَعْزُب عَنْهُ شَيْء- أَنَّهُ مَعَ البَيَان المُتَقَدِّم ذِكْره، وَالدَّعْوَة المُتَنَوِّعَة المُشْتَمِلة عَلى التَّرْغِيب تَارَة وَالتَّرْهِيب أُخْرَى: أَنَّهُمْ عَصَوْهُ وَخَالفُوهُ وَكَذَّبُوهُ، وَاتَّبَعُوا أَبْنَاء الدُّنْيَا مِمَّنْ غَفَل عَنْ أَمْر الله، وَمُتِّعَ بِمَالٍ وَأَوْلاد، وَهِيَ فِي نَفْس الأَمْر اسْتِدْرَاج وَإِنْظَار لا إِكْرَام، وَلِهَذَا قَال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾، قُرِئَ: ﴿وَوَلَدُهُۥ﴾ بِالضَّمّ وَبِالفَتْح، وَكِلاهُمَا مُتَقَارِب. وقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾، قَال مُجَاهِد: ﴿كُبَّارًا﴾ أَيْ: عَظِيمًا. وَقَال ابْن زَيْد: ﴿كُبَّارًا﴾، أَيْ: كَبِيرًا. وَالعَرَب تَقُول: أَمْر عَجِيب وَعُجَاب وَعُجَّاب، وَرَجُل حُسَان وَحُسَّان، وَجُمَال وَجُمَّال، بِالتَّخْفِيف وَالتَّشْدِيد، بِمَعْنًى وَاحِد. وَالمَعْنَى فِي قَوْله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾، أَيْ: بِأَتْبَاعهم فِي تَسْوِيلهمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلى الحَقّ وَالهُدَى، كَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ يَوْم القِيَامَة: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾، وَلِهَذَا قَال هَهُنَا: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. وَهَذِهِ أَسْمَاء أَصْنَامهمْ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُون الله.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا هِشَام، عَنْ ابْن جُرَيْج، وَقَال عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس: صَارَتْ الأَوْثَان الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْم نُوح فِي العَرَب بَعْدُ: أَمَّا وَدّ فَكَانَتْ لِكَلب بِدُومَة الجَنْدَل؛ وَأَمَّا سُوَاع فَكَانَتْ

لهُذَيل، وَأَمَّا يَغُوث فَكَانَتْ لمُرَادٍ، ثُمَّ لبَنِي غُطَيْف بِالجُرُفِ عِنْد سَبَأ، وأَمَّا يَعُوق فَكَانَتْ لهَمْدَان، وَأَمَّا نَسْر فَكَانَتْ لحِمْيَرَ لآل ذِي كَلاع، وَهِيَ أَسْمَاء رِجَال صَالِحِينَ مِنْ قَوْم نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا هَلكُوا أَوْحَى الشَّيْطَان إِلى قَوْمهمْ أَنْ انْصِبُوا إِلى مَجَالسهمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعلُوا، فَلَمْ تُعْبَد حَتَّى إِذَا هَلكَ أُولئِكَ وتنسخ العِلم عُبِدَتْ.[1] وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة وَابْن إِسْحَاق نَحْو هَذَا.

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس: هَذِهِ أَصْنَام كَانَتْ تُعْبَد فِي زَمَن نُوح. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّد بْن قَيْس ﴿...وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قَال: كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ بَيْن آدَم وَنُوح، وَكَانَ لهُمْ أَتْبَاع يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَال أَصْحَابهمْ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: لوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشْوَق لنَا إِلى العِبَادَة إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِليْهِمْ إِبْليس فَقَال: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَبِهِمْ يَسْقُونَ المَطَر. فَعَبَدُوهُمْ.

وَرَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة شِيث عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طَرِيق إِسْحَاق بْن بشر قَال: وأَخْبَرَنِي جُوَيْبِر وَمُقَاتِل، عَنْ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال: وُلدَ لآدَم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعُونَ وَلدًا، عِشْرُونَ غُلامًا وَعِشْرُونَ جَارِيَة، فَكَانَ مِمَّنْ عَاشَ مِنْهُمْ: هَابِيل، وَقَابِيل، وَصَالح، وَعَبْد الرَّحْمَن، -والَّذِي كان سَمَّاهُ عَبْد الحَارِث- وَوَدّ، وَكَانَ وَدّ يُقَال لهُ «شِيث»، وَيُقَال لهُ: «هِبَة الله»، وَكَانَ إِخْوَته قَدْ سَوَّدُوهُ، وَوُلدَ لهُ سُوَاع وَيَغُوث وَيَعُوق وَنَسْر.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو عمر الدَّوْرِيّ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْمَاعِيل المُؤَدِّب، عَنْ عَبْد الله بْن مُسْلم ابْن هُرْمُز، عَنْ أَبِي حَزْرة، عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر قَال: اشْتَكَى آدَم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْده بَنُوهُ: وَدّ، وَيَغُوث، وَيَعُوق، وَسُوَاع، وَنَسْر، وَكَانَ وَدّ أَكْبَرهمْ وَأَبَرّهمْ بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا يَعْقُوب، عَنْ أَبِي المُطَهَّر قَال: ذَكَرُوا عِنْد أَبِي جَعْفَر -وَهُوَ قَائِم يُصَلِّي- يَزِيد بْن المُهَلَّب، قَال: فَلَمَّا انْفَتَل مِنْ صَلاته قَال: ذَكَرْتُمْ يَزِيد بْن المُهَلَّب، أَمَا إِنَّهُ قُتِل فِي أَوَّل أَرْض عُبِدَ فِيهَا غَيْر الله، قَال: ثُمَّ ذكر وَدًّا، قال: وكان ودّ رَجُلًا مُسْلمًا، وَكَانَ مُحَبَّبًا فِي قَوْمه، فَلَمَّا مَاتَ عسكروا حَوْل قَبْره فِي أَرْض بَابِل وَجَزِعُوا عَليْهِ، فَلَمَّا رَأَى إِبْليس جَزَعهمْ عَليْهِ، تَشَبَّهَ فِي صُورَة إِنْسَان، ثُمَّ قَال: إِنِّي أَرَى جَزَعكُمْ عَلى هَذَا الرَّجُل، فَهَل لكُمْ أَنْ أُصَوِّر لكُمْ مِثْله، فَيَكُون فِي نَادِيكُمْ فَتَذْكُرُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَصَوَّرَ لهُمْ مِثْله، قَال: وَوَضَعُوهُ فِي نَادِيهِمْ وَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ. فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ ذِكْره، قَال: هَل لكُمْ أَنْ أَجْعَل فِي مَنْزِل كُلّ واحد مِنْكُمْ تِمْثَالًا مِثْله، فَيَكُون لهُ فِي بَيْته، فتَذْكُرُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَال: فَمَثَّل لكُلِّ أَهْل بَيْت تِمْثَالًا مِثْله. فَأَقْبَلُوا فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ بِهِ، قَال: وَأَدْرَكَ أَبْنَاؤُهُمْ فَجَعَلُوا يَرَوْنَ مَا يَصْنَعُونَ بِهِ، وَتَنَاسَلُوا وَدَرَسَ أَمْر ذِكْرهم إِيَّاهُ حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُون الله أَوْلاد أَوْلادهمْ، فَكَانَ أَوَّل مَا عُبِدَ غير الله: الصَّنَم الَّذِي سَمَّوْهُ وَدًّا.

وَقَوْله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، يَعْنِي: الأَصْنَام الَّتِي اتَّخَذُوهَا أَضَلُّوا بِهَا خَلقًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ اسْتَمَرَّتْ عِبَادَتهَا فِي القُرُون إِلى زَمَاننَا هَذَا فِي العَرَب وَالعَجَم وَسَائِر صُنُوف بَنِي آدَم. وَقَدْ قَال الخَليل عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَائِهِ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾. وَقَوْله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: دُعَاء مِنْهُ عَلى قَوْمه لتَمَرُّدِهِمْ وَكُفْرهمْ وَعِنَادهمْ، كَمَا دَعَا مُوسَى عَلى فِرْعَوْن وملئه فِي قَوْله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. وَقَدْ اسْتَجَابَ الله لكُلٍّ مِنْ النَّبِيَّيْنِ فِي قَوْمه، وَأَغْرَقَ أُمَّته بِتَكْذِيبِهِمْ لمَّا جَاءَهُمْ بِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنًا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿مِّمَّا خَطَـٰيَـٰهُم﴾ وَقُرِئَ: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾. ﴿أُغۡرِقُواْ﴾، أَيْ: مِنْ كَثْرَة ذُنُوبهمْ وَعُتُوّهُمْ وَإِصْرَارهمْ عَلَى كُفْرهمْ وَمُخَالَفَتهمْ رَسُولهمْ، ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾، أَيْ: نُقِلُوا مِنْ تَيَّار الْبِحَار إِلَى حَرَارَة النَّار، ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾، أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعِين وَلا مُغِيث وَلا مُجِير يُنْقِذهُمْ مِنْ عَذَاب الله كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، أَيْ: لا تَتْرُكْ عَلَى وَجْه الأَرْض مِنْهُمْ أَحَدًا وَلا تُومُرِيًا، وَهَذِهِ مِنْ صِيَغ توكيد النَّفْي. قَال الضَّحَّاك: ﴿دَيَّارًا﴾: وَاحِدًا. وَقَال السُّدِّيّ: الدَّيَّار الَّذِي يَسْكُن الدَّار. فَاسْتَجَابَ الله لَهُ، فَأَهْلَكَ جَمِيع مَنْ عَلَى وَجْه الأَرْض مِنْ الكَافِرِينَ، حَتَّى وَلَد نُوح لِصُلبِهِ الَّذِي اعْتَزَل عَنْ أَبِيهِ، و ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: قُرِئَ عَلَيَّ يُونُس بْن عَبْد الأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي شَبِيب بْن سَعِيد، عَنْ أَبِي الجَوْزَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لَوْ رَحِمَ الله مِنْ قَوْم نُوح أَحَدًا لَرَحِمَ امْرَأَة لَمَّا رَأَتْ المَاء حَمَلَتْ وَلَدهَا ثُمَّ صَعِدَتْ الجَبَل، فَلَمَّا بَلَغَهَا المَاء صَعِدَتْ بِهِ مَنْكِبهَا، فَلَمَّا بَلَغَ المَاء مَنْكِبهَا وَضَعَتْ وَلَدهَا عَلَى رَأْسهَا، فَلَمَّا بَلَغَ المَاء رَأْسهَا رَفَعَتْ وَلَدهَا بِيَدِهَا. فَلَوْ رَحِمَ الله مِنْهُمْ أَحَدًا لَرَحِمَ هَذِهِ المَرْأَة».[1] هَذَا حَدِيث غَرِيب، وَرِجَاله ثِقَات. وَنَجَّى الله أَصْحَاب السَّفِينَة الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمْ الَّذِينَ أَمَرَهُ الله بِحَمْلِهِمْ مَعَهُ.

وَقَوْله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾، أَيْ: إِنَّك إِنْ أَبْقَيْت مِنْهُمْ أَحَدًا أَضَلُّوا عِبَادك، أَيْ: الَّذِينَ تَخْلُقهم بَعْدهمْ، ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، أَيْ: فَاجِرًا فِي الأَعْمَال كَافِر القَلْب، وَذَلِكَ لِخِبْرَتِهِ بِهِمْ وَمُكْثه بَيْن أَظْهُرهمْ أَلْف سَنَة إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. ثُمَّ قَال: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنًا﴾، قَال الضَّحَّاك: يَعْنِي مَسْجِدِي. وَلا مَانِع مِنْ حَمْل الآيَة عَلَى ظَاهِرهَا، وَهُوَ أَنَّهُ دَعَا لِكُلِّ مَنْ دَخَل مَنْزِله وَهُوَ مُؤْمِن. وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا حَيْوَة، أَنْبَأَنَا سَالِم بْن غَيْلان: أَنَّ الوَلِيد بْن قَيْس التَّجِيبِيّ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيد الخُدْرِيّ -أَوْ: عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد-: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**لا تَصْحَبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُل طَعَامَك إلاَّ تَقِيّ**»[2]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ، مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن المُبَارَك، عَنْ حَيْوَة ابْن شُرَيْح، بِهِ. ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: «إِنَّمَا نَعْرِفهُ مِنْ هَذَا الوَجْه». وَقَوْله: ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: دُعَاء لِجَمِيع المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، وَذَلِكَ يَعُمّ الأَحْيَاء مِنْهُمْ وَالأَمْوَات؛ وَلِهَذَا يُسْتَحَبّ مِثْل هَذَا الدُّعَاء، اقْتِدَاء بِنُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِمَا جَاءَ فِي الآثَار وَالأَدْعِيَة المَشْرُوعَة. وَقَوْله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾ قَال السُّدِّيّ: إِلَّا هَلاكًا. وَقَال مُجَاهِد: إِلَّا خَسَارًا. أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

آخِر تَفْسِير سُورَة نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) **ضعيف**: تقـدم.

(٢) **حسـن**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

تفسير سُورَةُ الجِنّ وهي مكية

ترتيبها ٧٢ — وآياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا رَسُوله ﷺ أَنْ يُخْبِر قَوْمه: أَنَّ الجِنّ اسْتَمَعُوا القُرْآن فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَانْقَادُوا لَهُ، فَقَال تَعَالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، أَيْ: إِلى السَّدَاد وَالنَّجاح، ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ وَهَذَا المَقَام شَبِيه بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾، وَقَدْ قَدَّمْنَا الأَحَادِيث الوَارِدَة فِي ذَلكَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعادتها هَهُنَا.

وقَوْله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾: قَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾، أَيْ: فِعْله وَأَمْره وَقُدْرَته. وَقَال الضَّحَّاك عَنْ ابْن عَبَّاس: جَدّ الله: آلاؤُهُ وَقُدْرَته وَنِعْمَته عَلى خَلقه. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِد وَعِكْرِمَة: جَلال رَبّنَا. وَقَال قَتَادَة: تَعَالى جَلاله وَعَظَمَته وَأَمْره. وَقَال السُّدِّيّ: تَعَالى أَمْر رَبّنَا. وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاء وَمُجَاهِد أَيْضًا وَابْن جُرَيْج: تَعَالى ذِكْره. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أَيْ: تَعَالى رَبّنَا. فَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن يَزِيد المقرئ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَمْرو، [عَنْ][1] عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: الجَدّ أَب، وَلوْ عَلمَتْ الجِنّ أَنَّ فِي الإِنْس جَدًّا مَا قَالُوا: ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾. فَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد، وَلكِنْ لسْت أَفْهَم مَا مَعْنَى هَذَا الكَلام، وَلعَلَّهُ قَدْ سَقَطَ شَيْء، وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، أَيْ: تَعَالى عَنْ اتِّخَاذ الصَّاحِبَة وَالأَوْلاد أَيْ: قَالتْ الجِنّ: تَنَزَّهَ الرَّبّ تعالى جلاله وعظَمته حِين أَسْلمُوا وَآمَنُوا بِالقُرْآنِ، عَنْ اتِّخَاذ الصَّاحِبَة وَالوَلد. ثم قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ: ﴿سَفِيهُنَا﴾ يَعْنُونَ إِبْليس ﴿شَطَطًا﴾، قَال السُّدِّيّ: عَنْ أَبِي مَالك: ﴿شَطَطًا﴾ أَيْ: جَوْرًا. وَقَال ابْن زَيْد: ظُلمًا كَبِيرًا. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِقَوْلِهِمْ: ﴿سَفِيهُنَا﴾: اسْم جِنْس لكُلِّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لله صَاحِبَة أَوْ وَلدًا، وَلهَذَا قَالُوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أَيْ: قَبْل إِسْلامه ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، أَيْ: بَاطِلًا وَزُورًا؛ ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أَيْ: مَا حَسِبْنَا أَنَّ الإِنْس وَالجِنّ يَتَمَالئُونَ عَلى الكَذِب عَلى الله فِي نِسْبَة الصَّاحِبَة وَالوَلد إِليْهِ، فَلمَّا سَمِعْنَا هَذَا القُرْآن وَآمَنَّا بِهِ، عَلمْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ عَلى الله فِي ذَلكَ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَيْ: كُنَّا نَرَى أَنَّ لنَا فَضْلًا عَلى الإِنْس، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُوذُونَ بِنَا، أي: إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا أَوْ مَكَانًا مُوحِشًا مِنْ البَرَارِي وَغَيْرهَا كَمَا كَانَتْ عَادَة العَرَب فِي جَاهِليَّتهَا يَعُوذُونَ بِعَظِيم ذَلكَ المَكَان مِنْ الجَانّ، أَنْ يُصِيبهُمْ بِشَيْءٍ يَسُوءهُمْ، كَمَا كَانَ أَحَدهمْ يَدْخُل بِلاد أَعْدَائِهِ فِي جِوَار رَجُل كَبِير وَذِمَامه وَخِفَارَته، فَلمَّا رَأَتْ الجِنّ أَنَّ الإِنْس يَعُوذُونَ بِهِمْ مِنْ خَوْفهمْ مِنْهُمْ

(١) في الأزهرية: [بن].

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أَيْ: خَوْفًا وَإِرْهَابًا وَذُعْرًا، حَتَّى تبقوا أَشَدّ مِنْهُمْ مَخَافَة وَأَكْثَر تَعَوُّذًا بِهِمْ، كَمَا قَال قَتَادَة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أَيْ: إِثْمًا، وَازْدَادَتْ الجِنّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاءَة. وَقَال الثَّوْرِيّ: عَنْ مَنْصُور، عَنْ إِبْرَاهِيم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أَيْ: ازْدَادَتْ الجِنّ عَلَيْهِمْ جُرْأَة. وَقَال السُّدِّيّ: كَانَ الرَّجُل يَخْرُج بِأَهْلِهِ فَيَأْتِي الأَرْض فَيَنْزِلهَا فَيَقُول: أَعُوذ بِسَيِّدِ هَذَا الوَادِي مِنْ الجِنّ أَنْ أُضَرّ أَنَا فِيهِ أَوْ مَالِي أَوْ وَلَدِي أَوْ مَاشِيَتِي، قَال قَتَادَة: فَإِذَا عَاذَ بِهِمْ مِنْ دُون الله، رَهِقَتْهُمْ الجِنّ الأَذَى عِنْد ذَلِكَ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان، حَدَّثَنَا وَهْب بْن جَرِير، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الزُّبَيْر ابْن [الخِرِّيت][1]، عَنْ عِكْرِمَة قَال: كَانَ الجِنّ يَفْرَقُونَ مِنْ الإِنْس كَمَا يَفْرَق الإِنْس مِنْهُمْ أَوْ أَشَدّ، وكان الإِنْس إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا هَرَبَ الجِنّ، فَيَقُول سَيِّد القَوْم: نَعُوذ بِسَيِّدِ أَهْل هَذَا الوَادِي. فَقَال الجِنّ: نَرَاهُمْ يَفْرَقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرَق مِنْهُمْ. فَدَنَوْا مِنْ الإِنْس فَأَصَابُوهُمْ بِالخَبَل وَالجُنُون، فَذَلِكَ قَوْل الله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ . وَقَال أَبُو العَالِيَة، وَالرَّبِيع، وَزَيْد بْن أَسْلم: ﴿رَهَقًا﴾، أَيْ: خَوْفًا. وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أَيْ: إِثْمًا. وَكَذَا قَال قَتَادَة، وَقَال مُجَاهِد: زَادَ الكُفَّار طُغْيَانًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا فَرْوَة بْن أَبِي المَغْرَاء الكِنْدِيّ، حَدَّثَنَا القَاسِم بْن مَالك -يَعْنِي المُزَنِيّ- عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْحَاق، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ كَرْدَم بْن أَبِي السَّائِب الأَنْصَارِيّ قَال: خَرَجْت مَعَ أَبِي مِنْ المَدِينَة فِي حَاجَة، وَذَلِكَ أَوَّل مَا ذُكِرَ رَسُول الله ﷺ بِمَكَّة، فَآوَانَا المَبِيت إِلى رَاعِي غَنَم. فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْل جَاءَ ذِئْب فَأَخَذَ حَمَلًا مِنْ الغَنَم، فَوَثَبَ الرَّاعِي فَقَال: يَا عَامِر الوَادِي، جَارك. فَنَادَى مُنَادٍ لا نَرَاهُ، يَقُول: يَا سِرْحَان، أَرْسِلهُ. فَأَتَى الحَمَل يَشْتَدّ، حَتَّى دَخَل فِي الغَنَم لمْ تُصِبْهُ كَدْمَة. وَأَنْزَل الله تَعَالى عَلى رَسُوله بِمَكَّة[2]: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. ثُمَّ قَال: وَرُوِيَ عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر، وَمُجَاهِد، وَأَبِي العَالِيَة، وَالحَسَن، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، نَحْوه . وَقَدْ يَكُون هَذَا الذِّئْب الَّذِي أَخَذَ الحَمَل -وَهُوَ وَلد الشَّاة- كَانَ جِنِّيًّا حَتَّى يَرْهَب الإِنْسِيّ وَيَخَاف مِنْهُ، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَيْهِ لَمَّا اسْتَجَارَ بِهِ، لِيُضِلّهُ وَيُهِينهُ، وَيُخْرِجهُ عَنْ دِينه، وَالله أَعْلم. وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾، أَيْ: لنْ يَبْعَث الله بَعْد هَذِهِ المُدَّة رَسُولًا. قَالهُ الكَلْبِيّ، وَابْن جَرِير.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ الجِنّ حِين بَعَثَ الله رَسُوله مُحَمَّدًا ﷺ ، وَأَنْزَل عَلَيْهِ القُرْآن، وَكَانَ مِنْ حِفْظه لهُ أَنَّ السَّمَاء مُلئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَحُفِظَتْ مِنْ سَائِر أَرْجَائِهَا، وطُرِدَتْ الشَّيَاطِين عَنْ مَقَاعِدهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُد فِيهَا قَبْل ذَلِكَ، لئَلَّا يَسْتَرِقُوا شَيْئًا مِنْ القُرْآن فَيُلقُوهُ عَلى أَلْسِنَة الكَهَنَة، فَيَلتَبِس الأَمْر وَيَخْتَلط وَلا يُدْرَى مَنْ الصَّادِق، وَهَذَا مِنْ لُطْف الله بِخَلقِهِ، وَرَحْمَته بِعِبَادِهِ، وَحِفْظه لكِتَابِهِ العَزِيز؛ وَلهَذَا قَال الجِنّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾، أَيْ: مَنْ يَرُوم أَنْ يَسْتَرِق السَّمْع اليَوْم يَجِد لهُ شِهَابًا مُرْصَدًا له، لا يَتَخَطَّاهُ وَلا يَتَعَدَّاهُ، بَل يَمْحَقهُ وَيُهْلكهُ، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أَيْ: مَا نَدْرِي هَذَا الأَمْر الَّذِي قَدْ حَدَثَ فِي السَّمَاء، لا نَدْرِي أَشَرّ أُرِيد

(١) في الأزهرية: [حرب].
(٢) ضعيف : أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١١٠٥)، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق: ضعيف.

بِمَنْ فِي الأَرْض، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبّهمْ رَشَدًا؟ وَهَذَا مِنْ أَدَبهمْ فِي العِبَارَة حَيْثُ أَسْنَدُوا الشَّرّ إِلى غَيْر فَاعِل، وَالخَيْر أَضَافُوهُ إِلى الله ﷻ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيح: «**والشَّرّ ليْسَ إِليْك**»[1].

وَقَدْ كَانَتْ الكَوَاكِب يُرْمَى بِهَا قَبْل ذَلِكَ، وَلكِنْ ليْسَ بِكَثِيرٍ بَل فِي الأَحْيَان بَعْد الأَحْيَان، كَمَا فِي حَدِيث ابن عَبَّاس: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوس مَعَ رَسُول الله ﷺ إِذْ رُمِيَ بِنَجْم فَاسْتَنَارَ، فَقَال: «**مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**». فَقُلنَا: كُنَّا نَقُول: يُولد عَظِيم، يَمُوت عَظِيم. فَقَال: «**ليْسَ كَذَلِكَ، وَلكِنَّ الله إِذَا قَضَى الأَمْر فِي السَّمَاء...**»[2]. وَذَكَرَ تَمَام الحَدِيث. وَقَدْ أَوْرَدْنَاهُ فِي «سُورَة سَبَأ» بِتَمَامِهِ. وَهَذَا هُوَ السَّبَب الَّذِي حَمَلهُمْ عَلى تَطَلُّب السَّبَب فِي ذَلِكَ، فَأَخَذُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا، فَوَجَدُوا رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ بِأَصْحَابِهِ فِي الصَّلاة فَعَرَفُوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي حُفِظَتْ مِنْ أَجْله السَّمَاء، فَآمَنَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَتَمَرَّدَ فِي طُغْيَانه مَنْ بَقِيَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيث ابْن عَبَّاس[3] فِي ذَلِكَ، عِنْد قَوْله فِي «سُورَة الأَحْقَاف»: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآيَة.

وَلا شَكَّ أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ هَذَا الأَمْر، وَهُوَ كَثْرَة الشُّهُب فِي السَّمَاء وَالرَّمْي بِهَا، هَال ذَلِكَ الإِنْس وَالجِنّ، وَانْزَعَجُوا لهُ وَارْتَاعُوا لذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لخَرَابِ العَالم، كَمَا قَال السُّدِّيّ: لمْ تَكُنْ السَّمَاء تُحْرَس إِلَّا أَنْ يَكُون فِي الأَرْض نَبِيّ أَوْ دِين لله ظَاهِر، وكانت الشَّيَاطِين قَبْل مُحَمَّد ﷺ قَدْ اتَّخَذَتْ المَقَاعِد فِي السَّمَاء الدُّنْيَا، يَسْتَمِعُونَ مَا يَحْدُث فِي السَّمَاء مِنْ أَمْر، فَلَمَّا بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيًّا، رُجِمُوا ليْلة مِنْ اللَّيَالِي، فَفَزِعَ لذَلكَ أَهْل الطَّائِف، فَقَالُوا: هَلكَ أَهْل السَّمَاء، لمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّة النَّار فِي السَّمَاء وَاخْتِلاف الشُّهُب، فَجَعَلُوا يُعْتِقُونَ أَرِقَّاءَهُمْ وَيُسَيِّبُونَ مَوَاشِيهِمْ، فَقَال لهُمْ عَبْد يَا ليْل بْن عَمْرو بْن عُمَيْر: وَيْحَكُمْ يَا مَعْشَر أَهْل الطَّائِف، أَمْسِكُوا عَنْ أَمْوَالكُمْ، وَانْظُرُوا إِلى مَعَالم النُّجُوم، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهَا مُسْتَقِرَّة فِي أَمْكِنَتهَا فَلمْ يَهْلك أَهْل السَّمَاء، إِنَّمَا هَذَا مِنْ أَجْل ابْن أَبِي كَبْشَة -يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ-، وَإِنْ أنتم لم تَرَوْهَا فَقَدْ هَلكَ أَهْل السَّمَاء. فَنَظَرُوا فَرَأَوْهَا، فَكَفُّوا عَنْ أَمْوَالهِمْ. وَفَزِعَتْ الشَّيَاطِين فِي تِلكَ اللَّيْلة، فَأَتَوْا إِبْلِيس فَحَدَّثُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرهِمْ، فَقَال: ائْتُونِي مِنْ كُلّ أَرْض بِقَبْضَةٍ مِنْ تُرَاب أَشُمّهَا. فَأَتَوْهُ فَشَمَّ فَقَال: صَاحِبكُمْ بِمَكَّة. فَبَعَثَ سَبْعَة نَفَر مِنْ جِنّ نَصِيبِينَ، فَقَدِمُوا مَكَّة، فَوَجَدُوا رسول الله ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي فِي المَسْجِد الحَرَام يَقْرَأ القُرْآن، فَدَنَوْا مِنْهُ حِرْصًا عَلى القُرْآن حَتَّى كَادَتْ كَلاكِلهُمْ تُصِيبهُ، ثُمَّ أَسْلمُوا. فَأَنْزَل الله تَعَالى أَمْرهمْ عَلى رَسُوله ﷺ، وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الفَصْل مُسْتَقْصًى فِي أَوَّل البَعْث مِنْ كِتَاب «السِّيرَة» المُطَوَّل، وَالله أَعْلم، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ الجِنّ: أَنَّهُمْ قَالُوا مُخْبِرِينَ عَنْ أَنْفُسهمْ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: غَيْر ذَلكَ ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، أَيْ: طَرَائِق مُتَعَدِّدَة مُخْتَلفَة وَآرَاء مُتَفَرِّقَة. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أَيْ: مِنَّا المُؤْمِن وَمِنَّا الكَافِر. وَقَال أَحْمَد بْن سُليْمَان النِّجَاد فِي «أَمَالِيهِ»: حَدَّثَنَا أَسْلم بْن سَهْل

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) صحيح: تقدم.

بَحْشَل حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحسين بن سُلَيْمَان -وهُوَ أَبُو الشَّعْثَاء الحَضْرَمِيّ، شَيْخ مُسْلم-، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة قَال: سَمِعْت الأَعْمَش يَقُول: تَرَوَّحَ إِلَيْنَا جِنِّيّ، فَقُلت لهُ: مَا أَحَبّ الطَّعَام إِلَيْكُمْ؟ فَقَال: الأُرْز. قَال: فَأَتَيْنَاهُمْ بِهِ، فَجَعَلت أَرَى اللُّقَم تُرْفَع وَلا أَرَى أَحَدًا. فَقُلت: فِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَهْوَاء الَّتِي فِينَا؟ قَال: نَعَمْ. قُلت: فَمَا الرَّافِضَة فِيكُمْ؟ قَال: شَرّنَا. عَرَضْت هَذَا الإِسْنَاد عَلى شَيْخنَا الحَافِظ أَبِي الحَجَّاج المِزِّيّ فَقَال: هَذَا إِسْنَاد صَحِيح إِلى الأَعْمَش. وذَكَرَ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة العَبَّاس بْن أَحْمَد الدِّمَشْقِيّ قَال: سَمِعْت بَعْض الجِنّ، وَأَنَا فِي منزلي بِاللَّيْل يَنْشُد:

قُلُوب بَرَاهَا الحُبّ حَتَّى تَعَلَّقَتْ ❁ مَذَاهِبهَا فِي كُلّ غَرْب وَشَارِق

تَهِيم بِحُبّ الله وَالله رَبّهَا ❁ مُعَلَّقَة بِاللَّهِ دُون الخَلائِق

وقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾، أَيْ: نَعْلم أَنَّ قُدْرَة الله حَاكِمَة عَلَيْنَا، وَأَنَّا لا نُعْجِزهُ فِي الأَرْض، وَلَوْ أَمْعَنَّا فِي الهَرَب فَإِنَّهُ عَلَيْنَا قَادِر، لا يُعْجِزهُ أَحد مِنَّا. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: يَفْتَخِرُونَ بِذَلكَ، وَهُوَ مَفْخَر لهُمْ، وَشَرَف رَفِيع، وَصِفَة حَسَنَة. وَقَوْلهمْ: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَقَتَادَة وَغَيْرهمَا فَلا يَخَاف أَنْ يُنْقَص مِنْ حَسَنَاته، أَوْ يُحْمَل عَلَيْهِ غَيْر سَيِّئَاته، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾، أَيْ: مِنَّا المُسْلم وَمِنَّا القَاسِط، وَهُوَ: الجَائِر عَنْ الحَقّ النَّاكِب عَنْهُ، بِخِلافِ المُقْسِط فَإِنَّهُ العَادِل، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أَيْ: طَلَبُوا لأَنْفُسِهِمْ النَّجَاة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أَيْ: وَقُودًا تُسَعَّر بِهِمْ.

وقوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: اخْتَلفَ المُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هَذَا عَلى قَوْلَيْنِ: أحدهما: وَأَنْ لوْ اسْتَقَامَ القَاسِطُونَ عَلى طَرِيقَة الإِسْلام وَعَدَلُوا إِليْهَا وَاسْتَمَرُّوا عليْهَا، ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾، أَيْ: كَثِيرًا. وَالمُرَاد بِذَلكَ سَعَة الرِّزْق، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أَيْ: لنَخْتَبِرهُمْ، كَمَا قَال مَالك: عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾: لنَبْتَلِيهُمْ، مَنْ يَسْتَمِرّ عَلى الهِدَايَة مِمَّنْ يَرْتَدّ إِلى الغِوَايَة؟

ذِكْر مَنْ قَال بِهَذَا القَوْل. قَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: يَعْنِي بِالاسْتِقَامَةِ: الطَّاعَة. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قَال: الإِسْلام. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَسَعِيد بْن المُسَيَّب، وَعَطَاء، وَالسُّدِّيّ، وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ.

وَقَال قَتَادَة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، يَقُول: لوْ آمَنُوا كُلّهمْ لأَوْسَعْنَا عَليْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، أَيْ: طَرِيقَة الحَقّ. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك، وَاسْتُشْهِدَ عَلى ذَلكَ بِالآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا، وَكُلّ هَؤُلاءِ أَوْ أَكْثَرهمْ قَالُوا فِي قَوْله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، أَيْ: لنَبْتَلِيهُمْ بِهِ. وَقَال مُقَاتِل: نَزَلتْ فِي كُفَّار قُرَيْش حِين مُنِعُوا المَطَر سَبْع سِنِينَ.

وَالقَوْل الثَّانِي: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: الضَّلالة ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أَيْ: لأَوْسَعْنَا عليْهِمْ في الرِّزْق اسْتِدْرَاجًا، كَمَا قَال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾، وَهَذَا قَوْل أَبِي مِجْلَز لاحِق بْن حُمَيْد، فَإِنَّهُ قَال فِي قَوْله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، أَيْ: طَرِيقَة الضَّلالة. رَوَاهُ

ابْن جَرِير، وَابْن أَبِي حَاتِم، وَحَكَاهُ البَغَوِيّ عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس، وَزَيْد بْن أَسْلم، وَالكَلبِيّ، وَابْن كَيْسَان. وَلهُ اتِّجَاه، ويتأيد بِقَوْلِهِ: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾. وَقَوْله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، أَيْ: عَذَابًا شاقًّا شَدِيدًا مُوجِعًا مُؤْلِمًا. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾، أَيْ: مَشَقَّة لا رَاحَة مَعَهَا. وَعَنْ ابْن عَبَّاس: جَبَل فِي جَهَنَّم، وَعَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: بِئْر فِيهَا.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا عِبَاده أَنْ يُوَحِّدُوهُ فِي مَحَالّ عِبَادَته، وَلا يُدْعَى مَعَهُ أَحَد وَلا يُشْرَك بِهِ، كَمَا قَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، قَال: كَانَتْ اليَهُود وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسهمْ وَبِيَعهمْ، أَشْرَكُوا بالله، فَأَمَرَ الله نَبِيّه ﷺ أَنْ يُوَحِّدُوهُ وَحْده.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذَكَرَ عَلِيّ بْن الحُسَيْن: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل ابْن بِنْت السُّدِّيّ، أَخْبَرَنَا رَجُل سَمَّاهُ، عَنْ السُّدِّيّ، عَنْ أَبِي مَالك -أَوْ: أَبِي صَالح-، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، قَال: لمْ يَكُنْ يَوْم نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة فِي الأَرْض مَسْجِد إِلَّا المَسْجِد الحَرَام، وَمَسْجِد إِليَا: بَيْت المَقْدِس.[1] وَقَال الأَعْمَش: قَالتْ الجِنّ: يَا رَسُول الله، ائْذَنْ لنَا فَنَشْهَد مَعَك الصَّلوَات فِي مَسْجِدك، فَأَنْزَل الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، يَقُول: صَلُّوا، ولا تُخَالطُوا النَّاس.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ [مَحْمُود][2]، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، قَال: قَالتْ الجِنّ لنبي الله ﷺ: كَيْف لنَا أَنْ نَأْتِي المَسْجِد وَنَحْنُ نَاءُونَ؟ وَكَيْف نَشْهَد الصَّلاة وَنَحْنُ نَاءُونَ عَنْك؟ فَنَزَلتْ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.[3]

وَقَال سُفْيَان عَنْ خُصَيْف عَنْ عِكْرِمَة: نَزَلتْ فِي المَسَاجِد كُلّهَا. [قَال سَعِيد بْن جُبَيْر: نَزَلتْ فِي أَعْضَاء السُّجُود، أَيْ: هِيَ لله فَلا تَسْجُدُوا بِهَا لغَيْرِهِ. وَذَكَرُوا عِنْد هَذَا القَوْل الحَدِيث الصَّحِيح، مِنْ رِوَايَة عَبْد الله بْن طَاوُس عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«أُمِرْت أَنْ أَسْجُد عَلى سَبْعَة أَعْظُم: عَلى الجَبْهَة** -أَشَارَ بِيَدِهِ إِلى أَنْفه- **وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَاف القَدَمَيْنِ»**.[4]][5]

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس يَقُول: لمَّا سَمِعُوا النَّبِيّ ﷺ يَتْلُو القُرْآن كَادُوا يَرْكَبُونَهُ مِنْ الحِرْص لمَّا سَمِعُوهُ يَتْلُو القُرْآن، وَدَنَوْا مِنْهُ فَلمْ يَعْلم بِهِمْ حَتَّى أَتَاهُ الرَّسُول فَجَعَل يُقْرِئهُ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، يَسْتَمِعُونَ القُرْآن. هَذَا قَوْله، وَهُوَ مَرْوِيّ عَنْ الزُّبَيْر بْن العَوَّام رضي الله عنه.

---

(١) **ضعيف**: عزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وفيه رجل مجهول.
(٢) في الأزهرية: [محمول].
(٣) **مرسل**: أخرجه الطبري (٢٩/ ١١٧)، بإسناد مرسل.
(٤) أخرجه البخاري (٣٩٧)، ومسلم (٤٩٠).
(٥) سقط من الأزهرية.

وَقَال ابْن جَرير: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن مَعْمَر، حَدَّثَنَا [أبو مسلم][1]، عَنْ أَبِي عَوَانَة، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال الجِنّ لقَوْمِهِمْ: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قَال: لـمَّا رَأَوْهُ يُصَلِّي وَأَصْحَابه يَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ، قَال: عَجِبُوا مِنْ طَوَاعِيَة أَصْحَابه لهُ، قَال: فَقَالُوا لقَوْمِهِمْ: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[2]، وَهَذَا قَوْل ثَانٍ، وَهُوَ مَرْوِيّ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر أَيْضًا. وَقَال الحَسَن: لـمَّا قَامَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «لا إله إلاَّ الله»، وَيَدْعُو النَّاس إِلى رَبِّهِمْ، كَادَتْ العَرَب تَلبَّد عَلَيْهِ جَمِيعًا. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قَال: تَلبَّدَتْ الإِنْس وَالجِنّ عَلى هَذَا الأَمْر لِيُطْفِئُوهُ، فَأَبَى الله إِلَّا أَنْ يَنْصُرهُ وَيُمْضِيه وَيُظْهِرهُ عَلى مَنْ نَاوَأَهُ.

وهَذَا قَوْل ثَالث، وَهُوَ مَرْوِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَقَوْل ابْن زَيْد، واخْتِيَار ابْن جَرِير، وَهُوَ الأَظْهَر لقَوْلِهِ بَعْده: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾، أَيْ: قَال لهُمْ الرَّسُول، لـمَّا آذَوْهُ وَخَالفُوهُ وَكَذَّبُوهُ وَتَظَاهَرُوا عَليْهِ، لِيُبْطِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الحَقّ، وَاجْتَمَعُوا عَلى عَدَاوته: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾، أَيْ: إِنَّمَا أَعْبُد رَبِّي وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَأَسْتَجِير بِهِ وَأَتَوَكَّل عَليْهِ، ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾. وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، أَيْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَر مِثْلكُمْ يُوحَى إِليَّ وَعَبْد مِنْ عِبَاد الله لَيْسَ إِليَّ مِنْ الأَمْر شَيْء فِي هِدَايَتكُمْ وَلا غِوَايَتكُمْ، بَل المَرْجِع فِي ذَلكَ كُلّه إِلى الله ﷻ. ثم أَخْبَرَ عَنْ نَفْسه أَيْضًا أَنَّهُ لا يُجِيرهُ مِنْ الله أَحَد، أَيْ: لوْ عَصَيْته فَإِنَّهُ لا يَقْدِر أَحَد عَلى إِنْقَاذِي مِنْ عَذَابه، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾، قَال مُجَاهِد، [وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ: لا مَلجَأ. وَقَال قَتَادَة أَيْضًا: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾،][3] أَيْ: لا نَصِير وَلا مَلجَأ. وَفِي رِوَايَة: لا وَلِيّ وَلا مَوْئِل.

وَقَوْله تَعَالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾، قَال بَعْضهمْ: هُوَ مُسْتَثْنًى مِنْ قَوْله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ... إِلَّا بَلَٰغًا﴾، وَيُحْتَمل أَنْ يَكُون اسْتِثْنَاء مِنْ قَوْله: ﴿لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾، أَيْ: لا يُجِيرنِي مِنْهُ وَيُخَلِّصنِي إِلَّا إِبْلاغِي الرِّسَالة الَّتِي أَوْجَبَ أَدَاءَهَا عَليَّ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. وَقَوْله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، أَيْ: أَنَا أُبَلِّغكُمْ رِسَالة الله فَمَنْ يَعْصِ بَعْد ذَلكَ فَلهُ جَزَاء عَلى ذَلكَ نَار جَهَنَّم خَالدِينَ فِيهَا أَبَدًا، لا مَحِيد لهُمْ عَنْهَا، وَلا خُرُوج لهُمْ مِنْهَا. وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾، أَيْ: حَتَّى إِذَا رَأَى هَؤُلاءِ المشركون، مِنْ الجِنّ وَالإِنْس، مَا يُوعَدُونَ يَوْم القِيَامَة، فَسَيَعْلمُونَ يَوْمئِذٍ مَنْ أَضْعَف نَاصِرًا وَأَقَلّ عَدَدًا، هُمْ أَمْ المُؤْمِنُونَ المُوَحِّدُونَ لله ﷻ، أَيْ: بَل المُشْرِكُونَ لا نَاصِر لهم بِالكُلِّيَّة، وَهُمْ أَقَلّ عَدَدًا مِنْ جُنُود الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا رَسُوله ﷺ أَنْ يَقُول للنَّاسِ: إِنَّهُ لا عِلم لهُ بِوَقْتِ السَّاعَة، وَلا يَدْرِي أَقَرِيب وَقْتهَا أَمْ بَعِيد، ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾، أَيْ: مُدَّة طَوِيلة. وَفِي هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة دَليل عَلى أَنَّ

---

(١) في الأزهرية: [ابن هشام].
(٢) صحيح : أخرجه الطبري (٢٩/ ١١٨) موقوفًا على ابن عباس.
(٣) سقط من الأزهرية.

الحَدِيث الَّذِي يَتَدَاوَلهُ كَثِير مِنْ الجَهَلة مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يُؤلف تَحْت الأَرْض، كَذِب لا أَصْل لهُ، وَلَمْ نَرَهُ فِي شَيْء مِنْ الكُتُب. وَقَدْ كَانَ ﷺ يُسْأَل عَنْ وَقْت السَّاعَة فَلا يُجِيب عَنْهَا، وَلـمَّا تَبَدَّى لهُ جِبْرِيل فِي صُورَة أَعْرَابِيّ، كَانَ فيما سَأَلهُ أَنْ قَال له: يَا مُحَمَّد، فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَة؟ قَال: «**مَا المَسْئُول عَنْهَا بِأَعْلم مِنْ السَّائِل**».(١) وَلـمَّا نَادَاهُ ذَلكَ الأَعْرَابِيّ بِصَوْتٍ جَهُورِيّ فَقَال: يَا مُحَمَّد مَتَى السَّاعَة؟ قَال: «**وَيْحكَ! إِنَّهَا كَائِنَة، فَمَا أَعْدَدْت لهَا؟**». قَال: أَمَا إِنِّي لمْ أُعِدّ لهَا كَثِير صَلاة وَلا صِيَام، وَلكِنِّي أُحِبّ الله وَرَسُوله. قَال: «**فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْت**». قَال أَنَس: فَمَا فَرِحَ المُسْلمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحهمْ بِهَذَا الحَدِيث.(٢)

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مصفّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حمير، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْر ابْن أَبِي مَرْيَم، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «يَا بَنِي آدَم، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسكُمْ مِنْ المَوْتَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لآتٍ».(٣)

وَقَدْ قَال أَبُو دَاوُد فِي آخِر «كِتَاب المَلاحِم»: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن سَهْل، حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ثَعْلبَة الخُشَنِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لنْ يعجز الله هَذِهِ [الأُمَّة]**(٤) **مِنْ نِصْف يَوْم**»(٥). انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سَعْدِ بْن أَبِي وَقَّاص عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا تَعْجِز أُمَّتِي عِنْد رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرهُمْ نِصْف يَوْم**». قِيل لسَعْدٍ: وَكَمْ نِصْف يَوْم؟ قَال: خَمْسمِائَةِ عَام.(٦) انْفَرَدَ بِهِ أَبُو دَاوُد.

وقوله: ﴿**عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾، هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ**﴾، وَهَكَذَا قَال هَهُنَا: إِنَّهُ يَعْلم الغَيْب وَالشَّهَادَة، وَإِنَّهُ لا يَطَّلِع أَحَد مِنْ خَلقه عَلى شَيْء مِنْ عِلمه إِلَّا مِمَّا أَطْلعَهُ تَعَالى عَليْهِ، وَلهَذَا قَال: ﴿**فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾. وَهَذَا يَعُمّ الرَّسُول المَلكِيّ وَالبَشَرِيّ. ثُمَّ قَال: ﴿**فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا**﴾، أَيْ: يختصه بِمَزِيدِ مُعَقِّبَات مِنْ المَلائِكَة يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْر الله. ويساوقونه عَلى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْي الله؛ ولهذا قال: ﴿**لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا**﴾. وَقَدْ اخْتَلفَ المُفَسِّرُونَ فِي الضَّمِير الَّذِي فِي قَوْله: ﴿**لِّيَعْلَمَ**﴾: إِلى مَنْ يَعُود؟ فَقِيل: إِنَّهُ عَائِد إِلى النَّبِيّ ﷺ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَعْقُوب القُمِّيّ، عَنْ جَعْفَر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْله: ﴿**عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا**﴾، قَال: أَرْبَعَة حَفَظَة مِنْ المَلائِكَة مَعَ جِبْرِيل، ﴿**لِّيَعْلَمَ**﴾، مُحَمَّد ﷺ: ﴿**أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا**﴾. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث يَعْقُوب القُمِّيّ، بِهِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ الضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، وَيَزِيد بْن أَبِي حَبِيب.

وَقَال عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة: ﴿**لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ**﴾، قَال: ليَعْلم نَبِيّ الله أَنَّ الرُّسُل قَدْ بَلَّغَتْ عَنْ الله، وَأَنَّ المَلائِكَة حَفِظَتْهَا وَدَفَعَتْ عَنْهَا. وَكَذَا رَوَاهُ سَعِيد بْن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة. وَاخْتَارَهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).
(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو نعيم (٦/ ٩١)، وفيه أبو بكر ابن أبي مريم: ضعيف.
(٤) في الأزهرية: [الأية].
(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣٤٩)، وإسناده حسن، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

ابْن جَرِير. وَقِيل غَيْر ذَلِكَ، كَمَا رَوَاهُ العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، قَال: هِيَ مُعَقِّبَات مِنْ المَلَائِكَة يَحْفَظُونَ النَّبِيّ ﷺ مِنْ الشَّيْطَان، حَتَّى يَتَبَيَّن الذي أُرْسِل به إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ حِين يَقُول لِيَعْلم أَهْل الشِّرْك أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالات رَبّهمْ. وَكَذَا قَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، قَال: لِيَعْلم مَنْ كَذَّبَ الرُّسُل أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالات رَبّهمْ. وَفِي هَذَا نَظَر. وَقَال البَغَوِيّ: قَرَأَ يَعْقُوب ﴿لِيُعْلَمَ﴾، بِالضَّمِّ، أي: لِيَعْلم النَّاس أَنَّ الرُّسُل قَدْ بَلَّغُوا. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الضَّمِير عَائِد إِلَى الله ﷻ وَهُوَ قَوْل حَكَاهُ ابْن الجَوْزِيّ فِي «زَاد المَسِير» وَيَكُون المَعْنَى فِي ذَلكَ أَنَّهُ يَحْفَظ رُسُله بِمَلَائِكَتِهِ، لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ أَدَاء رِسَالاته، وَيَحْفَظ مَا بُيِّن إِلَيْهِمْ مِنْ الوَحْي، لِيَعْلم أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالات رَبّهمْ، وَيَكُون ذَلكَ كَقَوْلِه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، إِلَى أَمْثَال ذَلِكَ، مع العِلم بِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلم الأَشْيَاء قَبْل كَوْنهَا قَطْعًا لا مَحَالة، وَلِهَذَا قَال بَعْد هَذَا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة الجِن، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ المُزَّمِّلِ وهي مكية

ترتيبها ٧٣ — وآياتها ٢٠

قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر ابن عَمْرو بْن عَبْد الخَالِق البَزَّار: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُوسَى القَطَّان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى ابْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عَقِيل، عَنْ جَابِر قَال: اجْتَمَعَتْ قُرَيْش فِي دَار النَّدْوَة فَقَالُوا: سَمُّوا هَذَا الرَّجُل اسْمًا يَصْدر النَّاس عَنْهُ. فَقَالُوا: كَاهِن. قَالُوا: لَيْسَ بِكَاهِنٍ. قَالُوا: مَجْنُون. قَالُوا: لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. قَالُوا: سَاحِر. قَالُوا: لَيْسَ بِسَاحِرٍ. فَتَفَرَّقَ المُشْرِكُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ ﷺ؟ فَتَزَمَّل فِي ثِيَابه وَتَدَثَّر فِيهَا. فَأَتَاهُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1]. ثُمَّ قَال البَزَّار: مُعَلَّى بْن عَبْد الرَّحْمَن: قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَة مِنْ أَهْل العِلم، وَاحْتَمَلُوا حَدِيثه، لكنه تَفَرَّدَ بِأَحَادِيث لا يُتَابَع عَلَيْهَا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

يَأْمُر تَعَالَى رَسُوله ﷺ أَنْ يَتْرُك التَّزَمُّل، وَهُوَ: التَّغَطِّي فِي اللَّيْل، وَيَنْهَض إِلَى القِيَام لِرَبِّهِ ﷻ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وَكَذَلِكَ كَانَ رسول الله مُمْتَثِلًا مَا أَمَرَهُ الله تَعَالَى بِهِ مِنْ قِيَام اللَّيْل، وَقَدْ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَحْده، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وَهَهُنَا بَيَّنَ لَهُ مِقْدَار مَا يَقُوم، فَقَال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قَال ابْن عَبَّاس، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، يَعْنِي: يَا أَيُّهَا النَّائِم. وَقَال قَتَادَة: المُزَّمِّل فِي ثِيَابه. وَقَال إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: نَزَلَتْ وَهُوَ مُتَزَمِّل بِقَطِيفَةٍ. وَقَال شَبِيب بْن بِشْر عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) موضوع: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٣): فيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي: كذاب.

﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، قَال: يَا مُحَمَّد، زَمّلت القُرْآن. وَقَوْله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بَدَل مِنْ اللَّيْل، ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أَيْ: أَمَرْنَاك أَنْ تَقُوم نِصْف اللَّيْل بِزِيَادَةٍ قَلِيلة أَوْ نُقْصَان قَلِيل، لا حَرَج عَلَيْك فِي ذَلِكَ.

وَقَوْله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، أَيْ: اقْرَأْهُ عَلَى تَمَهُّل، فَإِنَّهُ يَكُون عَوْنًا عَلَى فَهْم القُرْآن وَتَدَبُّره. وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأ، صَلَوَات الله وَسَلامه عَلَيْهِ، قَالَتْ عَائِشَة رضي الله عنها: كَانَ يَقْرَأ السُّورَة فَيُرَتِّلهَا، حَتَّى تَكُون أَطْوَل مِنْ أَطْوَل مِنْهَا.

وَفِي «صَحِيح البُخَارِيّ»، عَنْ أَنَس أَنَّهُ سُئِل عَنْ قِرَاءَة رَسُول الله ﷺ فَقَال: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يَمُدّ بِسْمِ الله، وَيَمُدّ الرَّحْمَن، وَيَمُدّ الرَّحِيم.[1] وَقَال ابْن جُرَيْج: عَنْ ابْن أَبِي مُلَيْكَة عَنْ أُمّ سَلَمَة رضي الله عنها: أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَة رَسُول الله ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ يُقَطِّع قِرَاءَته آيَة آيَة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.[2] رَوَاهُ أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سُفْيَان، عَنْ عَاصِم، عَنْ زر، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**يُقَال لِصَاحِب القُرْآن: اقْرَأْ وَارْقَ، وَرَتِّل كَمَا كُنْت تُرَتِّل فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتك عِنْد آخِر آيَة تَقْرَؤُهَا**»[3]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّل «التَّفْسِير» الأَحَادِيث الدَّالَّة عَلَى اسْتِحْبَاب التَّرْتِيل وَتَحْسِين الصَّوْت بِالقِرَاءَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**زَيِّنُوا القُرْآن بِأَصْوَاتِكُمْ**»[4]. وَ«**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ**»[5]. وَ«**لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِير آل دَاوُد**»[6] يَعْنِي: أَبَا مُوسَى. فَقَال أَبُو مُوسَى: لَوْ كُنْت أَعْلَم أَنَّك كُنْت تَسْمَع قِرَاءَتِي لَحَبَّرْته لَك تَحْبِيرًا. وَعَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّهُ قَال: «لا تَنْثُرُوهُ نَثْر الرَّمْل، وَلا تَهُذُّوهُ هَذّ الشِّعْر، قِفُوا عِنْد عَجَائِبه، وَحَرِّكُوا بِهِ القُلُوب، وَلا يَكُنْ هَمّ أَحَدكُمْ آخِر السُّورَة» رَوَاهُ البَغَوِيّ. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا آدَم، حَدَّثَنَا شُعْبَة، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن مُرَّة: سَمِعْت أَبَا وَائِل قَال: جَاءَ رَجُل إِلَى ابْن مَسْعُود فَقَال: قَرَأْت المُفَصَّل اللَّيْلَة فِي رَكْعَة. فَقَال: هَذًّا كَهَذّ الشِّعْر، لَقَدْ عَرَفْت النَّظَائِر الَّتِي كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقْرِن بَيْنَهنَّ. فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَة مِنْ المُفَصَّل، سُورَتَيْنِ من آل حم فِي رَكْعَة.[7]

وقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، قَال الحَسَن، وَقَتَادَة: أَيْ العَمَل بِهِ. وَقِيل: ثَقِيل وَقْت نُزُوله، مِنْ عَظَمَته. كَمَا قَال زَيْد بْن ثَابِت رضي الله عنه: أُنْزِل عَلَى رَسُول الله ﷺ وَفَخِذه عَلَى فَخِذِي، فَكَادَتْ تَرُضّ فَخِذِي. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ عَمْرو بْن الوَلِيد، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: سَأَلت النَّبِيّ ﷺ، فَقُلت: يَا رَسُول الله، هَل تُحِسّ بِالوَحْيِ؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَسْمَع صَلاصِل، ثُمَّ أَسْكُت عِنْد ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّة يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ ظَنَنْت أَنَّ نَفْسِي تفيض»[8]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَفِي أول «صَحِيح البُخَارِيّ» عَنْ عَبْد الله بْن يُوسُف، عَنْ مَالك، عَنْ هِشَام، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَة: أَنَّ الحَارِث ابْن هِشَام سَأَل رَسُول الله ﷺ: كَيْف يَأْتِيك الوَحْي؟ فَقَال: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْل صَلصَلَة الجَرَس، وَهُوَ أَشَدّه**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٠١)، والترمذي (٢٩٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، و«صحيح الجامع الصغير» (٥٠٠٠).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٥)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٥) **صحيح**: تقدم.

(٦) **صحيح**: تقدم.

(٧) أخرجه البخاري (٧٧٥).

(٨) ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٨٥٧).

عليَّ فيَفْصِم عنِّي، وقدْ وعيْت عنهُ ما قال، وأحيَانًا يتمثَّل لي الملكُ رَجلاً فيُكلِّمني فأعِي ما يقول». قَالتْ عَائِشَة: وَلقَدْ رَأَيْته يَنْزِل عَلَيْهِ الوَحْي ﷺ فِي اليَوْم الشَّدِيد البَرْد، فَيَفْصِم عَنْهُ، وَإن جَبِينه لِيَتَفَصَّد عَرَقًا[1]. هَذَا لَفْظه.

وَقَال الإِمَام أَحْمد: حَدَّثَنَا سُليْمان بْن دَاوُد، أَخبَرَنَا عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: إنْ كَانَ لَيُوحَى إِلى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ عَلى رَاحِلته، فَتَضْرِب بِجِرَانِهَا.[2] وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ عَلى نَاقته، وَضَعَتْ جِرَانهَا، فَمَا تَسْتَطِيع أَنْ تَحَرَّكَ حَتَّى يُسَرَّى عَنْهُ. وَهَذَا مُرْسَل. الجِرَان، هُوَ بَاطِن العُنُق. وَاخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّهُ ثَقِيل مِنْ الوَجْهَيْنِ مَعًا، كَمَا قَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: كَمَا ثَقُل فِي الدُّنْيَا ثَقُل يَوْم القِيَامَة فِي المَوَازِين.

وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾: قَال أَبُو إِسْحَاق عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: نَشَأَ: قَامَ بِالحَبَشِيَّة. وَقَال عُمَر، وَابْن عَبَّاس، وَابْن الزُّبَيْر: اللَّيْل كُلّه نَاشِئَة. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد يُقَال: نَشَأَ: إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْل. وَفِي رِوَايَة عَنْ مُجَاهِد: بَعْد العِشَاء. وَكَذَا قَال [أَبُو مِجْلَز][3] وَقَتَادَة، وَسَالِم وَأَبُو حَازِم، وَمُحَمَّد بْن المُنْكَدِر. وَالغَرَض أَنَّ نَاشِئَة اللَّيْل هِيَ: سَاعَاته وَأَوْقَاته، وَكُلّ سَاعَة مِنْهُ تُسَمَّى نَاشِئَة، وَهِيَ الآنَات. وَالمَقْصُود أَنَّ قِيَام اللَّيْل هُوَ أَشَدّ مُوَاطَأَة بَيْن القَلْب وَاللِّسَان، وَأَجْمَع عَلى التِّلاوَة؛ وَلهَذَا قَال: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾، أَيْ: أَجْمَع لِلخَاطِر فِي أَدَاء القِرَاءَة وَتَفَهُّمهَا مِنْ قِيَام النَّهَار؛ لأَنَّهُ وَقْت انْتِشَار النَّاس، وَلغَط الأَصْوَات، وَأَوْقَات المَعَاش. وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن سَعِيد الجَوْهَرِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، حَدَّثَنَا الأَعْمَش: أَنَّ أَنَس بْن مَالك قَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَصْوبُ قِيلًا﴾. فَقَال لهُ رَجُل: إِنَّمَا نَقْرَؤُهَا ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ فَقَال لهُ: إِنَّ أَصْوَب وَأَقْوَم وَأَهْيَأ وَأَشْبَاه هَذَا وَاحِد.

ولهذا قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحࣰا طَوِيلࣰا﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَعَطَاء بْن أَبِي مُسْلم: الفَرَاغ وَالنَّوْم. وَقَال أَبُو العَالِيَة، وَمُجَاهِد، وأبو مَالك، وَالضَّحَّاك، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ، فَرَاغًا طَوِيلًا. وَقَال قَتَادَة: فَرَاغًا وَبُغْيَة وَمُنْقَلبًا. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿سَبۡحࣰا طَوِيلࣰا﴾: تَطَوُّعًا كَثِيرًا. وَقَال عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم فِي قَوْله: ﴿سَبۡحࣰا طَوِيلࣰا﴾، قَال: لِحَوَائِجك، فَأَفْرِغْ لِدِينِك اللَّيْل. قَال: وَهَذَا حِين كَانَتْ صَلاة اللَّيْل فَرِيضَة، ثُمَّ إِنَّ الله مَنَّ عَلى عِبَاده فَخَفَّفَهَا وَوَضَعَهَا، وَقَرَأَ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلࣰا﴾، إِلى آخِر الآيَة، ثُمَّ قَال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ حَتَّى بَلغَ: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾، الليل نصفه أو ثلثه. ثم جاء أمر أوسع وأفسح وضع الفريضة عنه وعن أمته فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةࣰ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامࣰا﴾. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ كَمَا قَالهُ.

وَالدَّليل عَليْهِ مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي «مُسْنَده» حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا سَعِيد بن أَبِي عَرُوبَة، عَنْ قَتَادَة عَنْ زُرَارَةَ بْن أَوْفَى، عَنْ سعد بْن هِشَام: أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَته ثُمَّ ارْتَحَل إِلى المَدِينَة لِيَبِيعَ عَقَارًا لهُ بِهَا وَيَجْعَلهُ فِي الكُرَاع وَالسِّلاح، ثُمَّ يُجَاهِد الرُّوم حَتَّى يَمُوت، فَلقِيَ رَهْطًا مِنْ قَوْمه فَحَدَّثُوهُ أَنَّ رَهْطًا مِنْ قَوْمه سِتَّة أَرَادُوا ذَلكَ عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ فَقَال: **«أَليْسَ لكُمْ فِيَّ أُسْوَة؟»**. فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلكَ فَأَشْهَدَهُمْ عَلى رَجْعَتهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِليْنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ أَتَى ابْن عَبَّاس فَسَأَلهُ عَنْ الوِتْر فَقَال: أَلا أُنَبِّئك بِأَعْلم أَهْل الأَرْض بِوِتْرِ رَسُول الله ﷺ؟ قَال: نَعَمْ. قَال: ائْتِ عَائِشَة فاسألها ثُمَّ ارْجِعْ إِليَّ فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَليْك. قَال: فَأَتَيْت عَلى حَكِيم بْن أَفْلح فَاسْتَلحَقْتُهُ إِليْهَا، فَقَال: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا. إِنِّي نَهَيْتهَا أَنْ تَقُول فِي هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ شَيْئًا، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا. فَأَقْسَمْت عَليْهِ، فَجَاءَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٤٣٠٤).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١١٨).

(٣) في الأزهرية: [ابن مجلز].

مَعِي، فَدَخلنَا عَلَيْهَا فَقَالتْ: حَكِيم؟ وَعَرَفَتْهُ قَال: نَعَمْ. قَالتْ: مَنْ هَذَا مَعَك؟ قَال: سعد بْن هِشَام. قَالتْ: مَنْ هِشَام؟ قَال: ابْن عَامِر. قَال: فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ وَقَالتْ: نِعْمَ المَرْء كَانَ عَامِر. قُلت: يَا أُمّ المُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُق رَسُول ﷺ ، قَالتْ: أَلسْت تَقْرَأ القُرْآن؟ قُلت: بَلى. قَالتْ: فَإِنَّ خُلُق رَسُول الله ﷺ كَانَ القُرْآن. فَهَمَمْت أَنْ أَقُوم، ثُمَّ بَدَا لي قِيَام رَسُول الله ﷺ . قُلت: يَا أُمّ المُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَام رَسُول الله، قَالتْ: أَلسْت تَقْرَأ هَذِهِ السُّورَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلت: بَلى. فقَالتْ: فَإِنَّ الله افْتَرَضَ قِيَام اللَّيْل فِي أَوَّل هَذِهِ السُّورَة، فَقَامَ رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه حَوْلًا حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامهمْ، وَأَمْسَكَ الله خَاتِمَتهَا فِي السَّمَاء اثْنَيْ عَشَر شَهْرًا، ثُمَّ أَنْزَل الله التَّخْفِيف فِي آخِر هَذِهِ السُّورَة، فَصَارَ قِيَام اللَّيْل تَطَوُّعًا مِنْ بَعْد فَرِيضَة. فَهَمَمْت أَنْ أَقُوم، ثُمَّ بَدَا لي وِتْر رَسُول الله ﷺ ، قُلت: يَا أُمّ المُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْر رَسُول الله ﷺ . قَالتْ: كُنَّا نُعِدّ لهُ سِوَاكه وَطَهُوره، فَيَبْعَثهُ الله لَمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثهُ مِنْ اللَّيْل، فَيَتَسَوَّك ثُمَّ يَتَوَضَّأ ثُمَّ يُصَلِّي ثماني رَكَعَات لا يَجْلس فِيهِنَّ إِلَّا عِنْد الثَّامِنَة، فَيَجْلس وَيَذْكُر رَبّه وَيَدْعُو ويستغفر ثُمَّ يَنْهَض ولا يُسَلِّم، ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو ثُمَّ يُسَلِّم تَسْليمًا يُسْمِعنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالس بَعْدَمَا يُسَلِّم. فَتِلكَ إِحْدَى عَشْرَة رَكْعَة يَا بُنَيّ. فَلمَّا أَسَنَّ رَسُول الله ﷺ وَأَخَذَهُ اللَّحْم، أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالس بَعْدَمَا يُسَلِّم، فَتِلكَ تِسْع يَا بُنَيّ. وَكَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا صلي صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وَجَعٌ أو مرض، صَلَّى مِنْ النَّهَار ثِنْتَيْ عَشْرَة رَكْعَة، وَلا أَعْلم نَبِيّ الله ﷺ قَرَأَ القُرْآن كُلّه فِي ليْلة، ولا قام ليلة حَتَّى أَصْبَحَ، وَلا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْر رَمَضَان. فَأَتَيْت ابْن عَبَّاس فَحَدَّثْته بِحَدِيثِهَا، فَقَال: صَدَقَتْ، أَمَا لوْ كُنْت أَدْخُل عَليْهَا لأَتَيْتهَا حَتَّى تُشَافِهنِي مُشَافَهَة.[١] هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد بِتَمَامِهِ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه» مِنْ حَدِيث قَتَادَة بِنَحْوِهِ.

طَرِيق أُخْرَى عَنْ عَائِشَة فِي هَذَا المَعْنَى، قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن وَكِيع، حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، وَحَدَّثنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، قَالا جَمِيعًا، وَاللَّفْظ لابْنِ وَكِيع: عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة، حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن طَحْلاء، عَنْ أَبِي سَلمَة، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: كُنْت أَجْعَل لرَسُول الله ﷺ حَصِيرًا يُصَلِّي عَليْهِ مِنْ اللَّيْل، فَتَسَامَعَ النَّاس بِهِ فَاجْتَمَعُوا، فَخَرَجَ كَالمُغْضَب وَكَانَ بِهِمْ رَحِيمًا، فَخَشِيَ أَنْ يَكْتُب عَليْهِمْ قِيَام اللَّيْل فَقَال: «أَيُّهَا النَّاس، اكْلفُوا مِنْ الأَعْمَال مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ الله لا يَمَلّ مِنْ الثَّوَاب حَتَّى تَمَلُّوا مِنْ العَمَل، وَخَيْر الأَعْمَال مَا دِيمَ عَليْهِ». وَنَزَل القُرْآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، حَتَّى كَانَ الرَّجُل يَرْبِط الحَبْل وَيَتَعَلَّق، فَمَكَثُوا بِذَلكَ ثَمَانِيَة أَشْهُر، فَرَأَى الله مَا يَبْتَغُونَ مِنْ رِضْوَانه، فَرَحِمَهُمْ فَرَدَّهُمْ إِلى الفَرِيضَة، وَتَرَكَ قِيَام اللَّيْل.[٢] وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق مُوسَى بْن عُبَيْدَة الرَّبَذِيّ، وَهُوَ ضَعِيف. وَالحَدِيث فِي الصَّحِيح. بِدُونِ زِيَادَة نُزُول هَذِهِ السُّورَة، وَهَذَا السِّيَاق قَدْ يُوهِم أَنَّ نُزُول هَذِهِ السُّورَة بِالمَدِينَةِ، وَليْسَ كَذَلكَ، وَإِنَّمَا هِيَ مَكِّيَّة. وَقَوْله فِي هَذَا السِّيَاق: إِنَّ بَيْن نُزُول أَوَّلهَا وَآخِرهَا ثَمَانِيَة أَشْهُر غَرِيب؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي رِوَايَة أَحْمَد أَنَّهُ كَانَ بَيْنهمَا سَنَة.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، عَنْ مِسْعَر، عَنْ سِمَاك الحَنَفِيّ، سَمِعْت ابْن عَبَّاس يَقُول: أَوَّل مَا نَزَل أَوَّل المُزَّمِّل، كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامهمْ فِي شَهْر رَمَضَان، وَكَانَ بَيْن أَوَّلهَا وَآخِرهَا قَرِيب مِنْ سَنَة. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ أَبِي أُسَامَة بِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) **إسناده ضعيف** : فيه موسى بن عبيدة الربذي: وهو ضعيف، لكن الحديث صحيح متفق عليه بدون ذكر سبب النزول.

وَقَال الثَّورِيّ وَمُحَمَّد بن بِشْر العَبْدِيّ، كِلاهُمَا عَنْ مِسْعَر، عَنْ سِمَاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: كَانَ بَيْنهمَا سَنَة. وَرَوَى ابْن جَرِير، عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ وَكِيع، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس مِثْله.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ قَيْس بْن وَهْب، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن قَال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، قَامُوا حَوْلًا حَتَّى وَرِمَتْ أَقْدَامهمْ وَسُوقهمْ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ قَال: فَاسْتَرَاحَ النَّاس. وَكَذَا قَال الحَسَن البَصْرِيّ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: [حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن عُمَر القَوَارِيرِيّ، حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن هِشَام، حَدَّثَنَا أَبِي][1] عَنْ قَتَادَة، عَنْ زُرَارَةَ بْن أَوْفَى، عَنْ سعد بْن هِشَام قَال: فَقُلت -يَعْنِي: لعَائِشَة-: أَخْبِرِينَا عَنْ قِيَام رَسُول الله ﷺ . قَالَتْ: أَلَسْت تَقْرَأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلت: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّهَا كَانَتْ قِيَام رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامهمْ، وَحَبَسَ آخِرهَا فِي السَّمَاء سِتَّة عَشَر شَهْرًا، ثُمَّ نَزَل.

وَقَال مَعْمَر عَنْ قَتَادَة: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ قَامُوا حَوْلًا أَوْ حَوْلَيْنِ، حَتَّى انْتَفَخَتْ سُوقهمْ وَأَقْدَامهمْ، فَأَنْزَل الله تَخْفِيفهَا بَعْد فِي آخِر السُّورَة.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَعْقُوب القُمِّيّ، عَنْ جَعْفَر، عَنْ سَعِيد -هُوَ ابْن جُبَيْر- قَال: لَمَّا أَنْزَل الله تَعَالَى عَلَى نَبِيّه ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، قَال: مَكَثَ النَّبِيّ ﷺ عَلَى هَذِهِ الحَال عَشْر سِنِينَ يَقُوم اللَّيْل كَمَا أَمَرَهُ، وَكَانَتْ طَائِفَة مِنْ أَصْحَابه يَقُومُونَ مَعَهُ، فَأَنْزَل الله عَلَيْهِ بَعْد عَشْر سِنِينَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، إِلَى قَوْله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فَخَفَّفَ الله تَعَالَى عَنْهُمْ بَعْد عَشْر سِنِينَ. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرو بْن رَافِع عَنْ يَعْقُوب القُمِّيّ بِهِ.

وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة: عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾، فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلاً، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ خَفَّفَ الله عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمْ، فَأَنْزَل بَعْد هَذَا: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، إِلَى قَوْله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾، فَوَسَّعَ الله -وَلَهُ الحَمْد- وَلَمْ يُضَيِّق.

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾، أَيْ: أَكْثِرْ مِنْ ذِكْره، وَانْقَطِعْ إِلَيْهِ، وَتَفَرَّغْ لِعِبَادَتِهِ إِذَا فَرَغْت مِنْ أَشْغَالك، وَمَا تَحْتَاج إِلَيْهِ مِنْ أُمُور دُنْيَاك، كَمَا قَال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ أَيْ: إِذَا فَرَغْت مِنْ مهامك فَانْصَبْ فِي طَاعَته وَعِبَادَته، لِتَكُونَ فَارِغ البَال؛ قَالَهُ ابْن زَيْد بِمَعْنَاهُ أَوْ قَرِيب مِنْهُ. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَأَبُو صَالِح وَعَطِيَّة، وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ أَيْ: أَخْلِص لَهُ العِبَادَة. وَقَال الحَسَن: اجْتَهِدْ وبَتِّل إِلَيْهِ نَفْسك. وَقَال ابْن جَرِير: يُقَال لِلعَابِدِ: مُتَبَتِّل، وَمِنْهُ الحَدِيث المَرْوِيّ: «أنه نَهَى عَنْ التَّبَتُّل». يَعْنِي الانْقِطَاع إِلَى العِبَادَة، وَتَرْك التَّزَوُّج.[2] وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ أَيْ: هُوَ المَالِك المُتَصَرِّف فِي المَشَارِق وَالمَغَارِب، الذي لا إله إِلَّا هُوَ، وَكَمَا أَفْرَدْته بِالعِبَادَةِ فَأَفْرِدْهُ بِالتَّوَكُّل ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾، كَمَا قَال تَعَالَى فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وَآيَات كَثِيرَة فِي هَذَا المَعْنَى، فِيهَا الأَمْر بِإِفْرَادِ العِبَادَة وَالطَّاعَة لله وَتَخْصِيصه بِالتَّوَكُّل عَلَيْهِ.

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٢).

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾.

يَقُول تَعَالَى آمِرًا رَسُوله ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولهُ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ سُفَهَاء قَوْمه، وَأَنْ يَهْجُرهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، وَهُوَ الَّذِي لا عِتَاب مَعَهُ. ثُمَّ قَال لهُ مُتَوَعِّدًا لكُفَّارِ قَوْمه وَمُتَهَدِّدًا وَهُوَ العَظِيم الَّذِي لا يَقُوم لغَضَبِهِ شَيْء: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾، أَيْ: دَعْنِي وَالمُكَذِّبِينَ المُتْرَفِينَ أَصْحَاب الأَمْوَال، فَإِنَّهُمْ أَقْدَر عَلَى الطَّاعَة مِنْ غَيْرهمْ، وَهُمْ يُطَالبُونَ مِنْ الحُقُوق بِمَا ليْسَ عِنْد غَيْرهمْ، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، أَيْ: رُوَيْدًا، كَمَا قَال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾، وَهِيَ: القُيُود. قَالهُ ابْن عَبَّاس وَعِكْرِمَة، وَطَاوُس، وَمُحَمَّد بْن كَعْب، وَعَبْد الله بْن بُرَيْدَة، وَأَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ، وَأَبُو مِجْلز، وَالضَّحَّاك، وَحَمَّاد بْن أَبِي سليمان، وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ، وَابْن المُبَارَك، وَالثَّوْرِيّ، وَغَيْر وَاحِد ﴿وَجَحِيمًا﴾ وَهِيَ السَّعِير المُضْطَرِمَة. ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: قَال ابْن عَبَّاس: يَنْشَب فِي الحَلق فَلا يَدْخُل وَلا يَخْرُج، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أَيْ: تَزَلزَل، ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أَيْ: تَصِير كَكُثْبَانِ الرَّمْل بَعْد مَا كَانَتْ حِجَارَة صَمَّاء، ثُمَّ إِنَّهَا تُنْسَف نَسْفًا، فَلا يَبْقَى مِنْهَا شَيْء إِلَّا ذَهَبَ، حَتَّى تَصِير الأَرْض قَاعًا صَفْصَفًا، لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا، أَيْ: وَادِيًا، وَلا أَمْتًا، أَيْ: رَابِيَة، وَمَعْنَاهُ: لا شَيْء يَنْخَفِض وَلا شَيْء يَرْتَفِع.

ثُمَّ قَال تَعَالَى مُخَاطِبًا لكُفَّارِ قُرَيْش وَالمُرَاد سَائِر النَّاس: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾، أَيْ: بِأَعْمَالكُمْ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَالثَّوْرِيّ: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾، أَيْ: شَدِيدًا. أَيْ: فَاحْذَرُوا أَنْتُمْ أَنْ تُكَذِّبُوا هَذَا الرَّسُول، فَيُصِيبكُمْ مَا أَصَابَ فِرْعَوْن، حَيْثُ أَخَذَهُ الله أَخْذ عَزِيز مُقْتَدِر، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالهَلاكِ وَالدَّمَار إِنْ كَذَّبْتُمْ، لأَنَّ رَسُولكُمْ أَشْرَف وَأَعْظَم مِنْ مُوسَى بْن عِمْرَان. وَيُرْوَى عَنْ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾، يَحْتَمِل أَنْ يَكُون ﴿يَوْمًا﴾ مَعْمُولًا لـ﴿تَتَّقُونَ﴾، كَمَا حَكَاهُ ابْن جَرِير عَنْ قِرَاءَة ابْن مَسْعُود: «**فَكَيْف تَخَافُونَ أَيّهَا النَّاس يَوْمًا يَجْعَل الوِلدَان شِيبًا إِنْ كَفَرْتُمْ بِالله وَلمْ تُصَدِّقُوا بِهِ؟**». وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَعْمُولًا لـ﴿كَفَرْتُمْ﴾، فَعَلَى الأَوَّل: كَيْف يَحْصُل لكُمْ أَمَان مِنْ يَوْم هَذَا الفَزَع العَظِيم إِنْ كَفَرْتُمْ؟ وَعَلَى الثَّانِي: كَيْف يَحْصُل لكُمْ تَقْوَى إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْم القِيَامَة وَجَحَدْتُمُوهُ؟ وَكِلاهُمَا مَعْنًى حَسَن، وَلكِنَّ الأَوَّل أَوْلَى، وَالله أَعْلم. وَمَعْنَى قَوْله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ أَيْ: مِنْ شِدَّة أَهْوَاله وَزَلازِلِهِ وَبَلابِله، وَذَلكَ حِين يَقُول الله لآدَم: ابْعَثْ بَعْث النَّار. فَيَقُول: مِنْ كَمْ؟ فَيَقُول: مِنْ كُلّ أَلف تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَة وَتِسْعُونَ إِلَى النَّار، وَوَاحِد إِلَى الجَنَّة. قَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن أَيُّوب العَلَّاف، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن أَبِي مَرْيَم، حَدَّثَنَا نَافِع بْن يَزِيد، حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن عَطَاء الخُرَاسَانِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾، قَال: «ذَلكَ يَوْم القِيَامَة، وَذَلكَ يَوْم يَقُول الله لآدَم: قُمْ فَابْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتك بَعْثًا إِلَى النَّار. قَال: مِنْ كَمْ يَا رَبّ؟ قَال: مِنْ كُلّ أَلف تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَة وَتِسْعُونَ، وَيَنْجُو وَاحِد». فَاشْتَدَّ ذَلكَ عَلَى المُسْلمِينَ، وَعَرَفَ ذَلكَ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ قَال حِين أَبْصَرَ ذَلكَ فِي وُجُوههمْ: «إِنَّ بَنِي آدَم كَثِير، وَإِنَّ يَأْجُوج

وَمَأْجُوج مِنْ وَلد آدَم، وَإِنَّهُ لا يَمُوت مِنْهُمْ رَجُل حَتَّى يَنْتَشِر لصُلبِهِ أَلف رَجُل، فَفِيهِمْ وَفِي أَشْبَاههم جُنَّة لكُمْ»[1]. هَذَا حَدِيث غَرِيب، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّل سُورَة الحَجّ ذِكْر هَذِهِ الأَحَادِيث. وقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾، قَال الحَسَن، وَقَتَادَة: أَيْ بِسَبَبِهِ مِنْ شِدَّته وَهَوْله، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعِيد الضَّمِير عَلى الله ﷻ. [وَرُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ][2]؛ لأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ لهُ ذِكْر هَهُنَا. وقَوْله تَعَالَى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ أَيْ: كَانَ وَعْد هَذَا اليَوْم مَفْعُولًا، أَيْ: وَاقِعًا لا مَحَالة، وَكَائِنًا لا مَحِيد عَنْهُ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

يَقُول تَعَالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾، أَيْ: السُّورَة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾، أَيْ: يَتَذَكَّر بِهَا أُولُو الأَلْبَاب، وَلِهَذَا قال: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، أَيْ: مِمَّنْ شَاءَ الله هِدَايَته، كَمَا قَيَّدَهُ فِي السُّورَة الأُخْرَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. ثُمَّ قَال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، أَيْ: تَارَة هَكَذَا وَتَارَة هَكَذَا، وَذَلِكَ كُلّه مِنْ غَيْر قَصْد مِنْكُمْ، وَلكِنْ لا تَقْدِرُونَ عَلى المُوَاظَبَة عَلى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قِيَام اللَّيْل، لأَنَّهُ يَشُقّ عَلَيْكُمْ؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، أَيْ: تَارَة يَعْتَدِلانِ، وَتَارَة يَأْخُذ هَذَا مِنْ هَذَا، أَوْ هَذَا مِنْ هَذَا: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾، أَيْ: الفَرْض الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْكُمْ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، أَيْ: مِنْ غَيْر تَحْدِيد بِوَقْتٍ، أَيْ: وَلكِنْ قُومُوا مِنْ اللَّيْل مَا تَيَسَّر، وَعَبَّرَ عَنْ الصَّلاة بِالقِرَاءَة، كَمَا قَال فِي سُورَة سُبْحَان: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أَيْ: بِقِرَاءَتِك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾. وَقَدْ اسْتَدَلَّ أَصْحَاب الإِمَام أَبِي حَنِيفَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِهَذِهِ الآيَة، وَهِيَ قَوْله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، عَلى أَنَّهُ لا يتعين قِرَاءَة الفَاتِحَة فِي الصَّلاة، بَل لوْ قَرَأَ بِهَا أَوْ بِغَيْرِهَا مِنْ القُرْآن، وَلوْ بِآيَةٍ، أَجْزَأَهُ، وَاعْتَضَدُوا بِحَدِيثِ المُسِيء صَلاته الَّذِي فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «**ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَك مِنْ القُرْآن**»[3]. وَقَدْ أَجَابَهُمْ الجُمْهُور بِحَدِيثِ عُبَادَة بْن الصَّامِت، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**لا صَلاة لِمَنْ لمْ يَقْرَأ بِفَاتِحَةِ الكِتَاب**»[4]. وَفِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**كُلّ صَلاة لا يُقْرَأ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآن فَهِيَ خِدَاج، فَهِيَ خِدَاج، فَهِيَ خِدَاج، غَيْر تَمَام**»[5]. يقرأ بأم القرآن، وَفِي «صَحِيح ابْن خُزَيْمَة» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا: «**لا تُجْزِئ صَلاة مَنْ لمْ يَقْرَأ بِأُمِّ القُرْآن**»[6].

وَقَوْله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: عَلمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّة ذَوُو أَعْذَار فِي تَرْك قِيَام اللَّيْل، مِنْ مَرْضَى لا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، وَمُسَافِرِينَ فِي الأَرْض يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْل الله فِي المَكَاسِب وَالمَتَاجِر، وَآخَرِينَ مَشْغُولِينَ بِمَا هُوَ الأَهَمّ فِي حَقّهِمْ مِنْ

(١) ضعيف : أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٦٦) بسند ضعيف، فيه عثمان بن عطاء الخراساني: وهو ضعيف.
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٩٣)، ومسلم (٣٩٧).
(٤) صحيح : تقدم.
(٥) صحيح : تقدم.
(٦) صحيح : أخرجه ابن خزيمة (٤٩٠).

الغَزْو فِي سَبِيل الله، وَهَذِهِ الآيَة -بَل السُّورَة كُلّهَا- مَكِّيَّة، وَلَمْ يَكُنْ القِتَال شُرِعَ بَعْد، فَهِيَ مِنْ أَكْبَر دَلائِل النُّبُوَّة، لأَنَّهُ مِنْ بَاب الإِخْبَار بِالمَغِيبَاتِ المُسْتَقْبَلة؛ وَلهَذَا قَال: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾، أَيْ: قُومُوا بِمَا تَيَسَّرَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة، عَنْ أَبِي رَجَاء مُحَمَّد قَال: قُلت للحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيد، مَا تَقُول فِي رَجُل قَدْ اسْتَظْهَرَ القُرْآن كُلّه عَنْ ظَهْر قَلبه، وَلا يَقُوم بِهِ، إِنَّمَا يُصَلِّي المَكْتُوبَة؟ قَال: يَتَوَسَّد القُرْآن، لعَنَ الله ذَاكَ، قَال الله تَعَالى للعَبْدِ الصَّالح: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾، ﴿وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ﴾. قُلت: يَا أَبَا سَعِيد، قَال الله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾؟ قَال: نَعَمْ، وَلوْ خَمْس آيَات.

وَهَذَا ظَاهِر مِنْ مَذْهَب الحَسَن البَصْرِيّ، أَنَّهُ كَانَ يَرَى حَقًّا وَاجِبًا عَلى حَمَلة القُرْآن أَنْ يَقُومُوا وَلوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ فِي اللَّيْل؛ وَلهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث: أَنَّ رَسُول الله ﷺ سُئِل عَنْ رَجُل نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، فَقَال: «**ذَاكَ رَجُل بَال الشَّيْطَان فِي أُذُنه**»[1]. فَقِيل: مَعْنَاهُ: نَامَ عَنْ المَكْتُوبَة. وَقِيل: عَنْ قِيَام اللَّيْل، وَفِي السُّنَن: «**أَوْتِرُوا يَا أَهْل القُرْآن**»[2]. وَفِي الحَدِيث الآخَر: «**مَنْ لمْ يُوتِر فَليْسَ مِنَّا**»[3]. وَأَغْرَب مِنْ هَذَا مَا حُكِيَ عَنْ أَبِي بَكْر عَبْد العَزِيز، مِنْ الحَنَابِلة، مِنْ إِيجَابه قِيَام شَهْر رَمَضَان، فَالله أَعْلم.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سَعِيد بن فَرْقَد الجُدّي، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّد ابْن يُوسُف الزُّبَيْدِيّ، حَدَّثَنَا [عَبْد الرَّحْمَن][4]، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن طَاوُس -مِنْ وَلد طَاوُس- عَنْ أَبِيهِ، عَنْ طَاوُس، عَنْ ابْن عَبَّاس، عَنْ النَّبِيّ ﷺ: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾، قَال: «**مِائَة آيَة**»[5]. وَهَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، لمْ أَرَهُ إِلّا فِي مُعْجَم الطَّبَرَانِيّ رَحِمَهُ اللهُ. وَقَوْله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أَيْ: أَقِيمُوا صَلاتكُمْ الوَاجِبَة عَليْكُمْ، وَآتُوا الزَّكَاة المَفْرُوضَة، وَهَذَا يَدُلّ لمَنْ قَال: إِنَّ فَرْض الزَّكَاة نَزَل بِمَكَّة، لكِنَّ مَقَادِير النُّصُب وَالمَخْرَج لمْ تُبَيَّن إِلّا بِالمَدِينَةِ، وَالله أَعْلم. وَقَدْ قَال ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف: إِنَّ هَذِهِ الآيَة نَسَخَتْ الَّذِي كَانَ الله قَدْ أَوْجَبَهُ عَلى المُسْلمِينَ أَوّلًا مِنْ قِيَام اللَّيْل. وَاخْتَلفُوا فِي المُدَّة الَّتِي بَيْنهمَا عَلى أَقْوَال كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لذَلكَ الرَّجُل: «**خَمْس صَلوَات فِي اليَوْم وَاللَّيْلة**». قَال: هَل عَليَّ غَيْرهَا؟ قَال: «**لا، إِلاّ أَنْ تَطَوَّعَ**».[6]

وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ﴾، يَعْنِي: مِنْ الصَّدَقَات، فَإِنَّ الله يُجَازِي عَلى ذَلكَ أَحْسَن الجَزَاء وَأَوْفَره، كَمَا قَال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾. وَقَوْله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾، أَيْ: جَمِيع مَا تُقَدِّمُوهُ بَيْن أَيْدِيكُمْ فَهُوَ لكُمْ حَاصِل، وَهُوَ خَيْر مِمَّا أَبْقَيْتُمُوهُ لأَنْفُسِكُمْ فِي الدُّنْيَا.

قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِليّ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَة، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ الحَارِث بْن

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي (٣/ ٢٢٨)، وابن ماجه (١١٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٣٨).

(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (١٤١٩)، بسند ضعيف فيه أبو المنيب العتكي وهو ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

(٤) في الأزهرية: [عبد الرحمن طاوس من ولد طاوس].

(٥) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبراني (١١/ ٢٩) بسند ضعيف، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٣)، وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن طاوس لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٦) **صحيح**: تقدم.

سُوَيْد قَال: قَال عَبْد الله: قَال رَسُول الله ﷺ: «أَيكُمْ مَاله أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَال وَارِثه؟». قَالُوا: يَا رَسُول الله، مَا مِنَّا مِنْ أَحَد إِلَّا مَاله أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ مَال وَارِثه! قَال: «اعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ». قَالُوا: مَا نَعْلم إِلَّا ذَلِكَ يَا رَسُول الله؟! قَال: «إِنَّمَا مَال أَحَدكُمْ مَا قَدَّمَ وَمَال وَارِثه مَا أَخَّرَ».[1] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث حَفْص بْن غِيَاث، وَالنَّسَائِيّ مِنْ حديث ابن أَبِي مُعَاوِيَة، كِلاهُمَا عَنْ الأَعْمَش بِهِ. ثُمَّ قَال تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أَيْ: أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْره وَاسْتِغْفَاره فِي أُمُوركُمْ كُلّهَا، فَإِنَّهُ غَفُور رَحِيم لِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ.

آخِر تَفْسِير سُورَة المُزَّمِّل، وَلله الحَمْد

تفسير سُورَةُ المُدَّثِّر وهي مكية

ترتيبها ٧٤ — وآياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

ثَبَتَ فِي «صَحِيح البُخَارِيّ» عَنْ جَابِر أَنَّهُ كَانَ يَقُول: أَوَّل شَيْء نَزَل مِنْ القُرْآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وَخَالَفَهُ الجُمْهُور فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَوَّل القُرْآن نُزُولًا قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، كَمَا سَيَأْتِي بيان ذَلِكَ هنالك. قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ عَلِيّ بْن المُبَارَك، عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير قَال: سَأَلت أَبَا سَلَمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَوَّل مَا نَزَل مِنْ القُرْآن، قَال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، قُلت: يَقُولُونَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فَقَال أَبُو سَلَمَة: سَأَلت جَابِر بْن عَبْد الله عَنْ ذَلِكَ، وَقُلت لهُ مِثْل مَا قُلت لِي، فَقَال جَابِر: لا أُحَدِّثك إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُول الله ﷺ، قَال: «جَاوَرْت بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْت جِوَارِي هَبَطْت فَنُودِيت فَنَظَرْت عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْت عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْت أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْت خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْت رَأْسِي فَرَأَيْت شَيْئًا، فَأَتَيْت خَدِيجَة فَقُلت: دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاء بَارِدًا». قَال: «فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاء بَارِدًا». قَال: فَنَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.[2]

هَكَذَا سَاقَهُ مِنْ هَذَا الوَجْه، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم مِنْ طَرِيق عُقَيْل، عَنْ ابْن شِهَاب، عَنْ أَبِي سَلَمَة قَال: أَخْبَرَنِي جَابِر بْن عَبْد الله أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يُحَدِّث عَنْ فَتْرَة الوَحْي: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْت صَوْتًا مِنْ السَّمَاء، فَرَفَعْت بَصَرِي قِبَل السَّمَاء، فَإِذَا المَلَك الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِد عَلَى كُرْسِيّ بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، فَجُئِثْت مِنْهُ حَتَّى هويت إِلَى الأَرْض، فَجِئْت إِلَى أَهْلِي، فَقُلت: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إِلَى: ﴿فَٱهْجُرْ﴾ -قَال أَبُو سَلَمَة: وَالرُّجْز: الأَوْثَان- ثُمَّ حَمِيَ الوَحْي وَتَتَابَعَ». هَذَا لفْظ البُخَارِيّ، وَهَذَا السِّيَاق هُوَ المَحْفُوظ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ نَزَل الوَحْي قَبْل هَذَا، لِقَوْلِهِ: «فَإِذَا المَلَك الَّذِي [كَانَ][3] بِحِرَاءٍ»، وَهُوَ جِبْرِيل حِين أَتَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١).
(٣) في الأزهرية: [جاءني].

بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ثُمَّ إِنَّهُ حَصَل بَعْد هَذَا فَتْرَة، ثُمَّ نَزَل المَلَك بَعْد هَذَا . وَوَجْه الجَمْع أَنَّ أَوَّل شَيْء نَزَل بَعْد فَتْرَة الوَحْي هَذِهِ السُّورَة، كَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَجَّاج، حَدَّثَنَا لَيْث، حَدَّثَنَا عُقَيْل، عَنْ ابْن شِهَاب قَال: سَمِعْت أَبَا سَلَمَة بْن عَبْد الرَّحْمَن يَقُول: أَخْبَرَنِي جَابِر بْن عَبْد الله: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: **«ثُمَّ فَتَرَ الوَحْي عَنِّي فَتْرَة، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْت صَوْتًا مِنْ السَّمَاء، فَرَفَعْت بَصَرِي قِبَل السَّمَاء، فَإِذَا المَلَك الَّذِي جَاءَنِي بحراء الآن قَاعِد عَلَى كُرْسِيّ بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، فجثثت مِنْهُ فَرَقًا، حَتَّى هَوَيْت إِلَى الأَرْض، فَجِئْت أَهْلِي فَقُلت لهُمْ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، ثُمَّ حَمِيَ الوَحْي بَعْدُ وَتَتَابَعَ»**[1]. أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن شُعَيْب السِّمْسَار، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن بِشْر البَجَلِيّ، حَدَّثَنَا المُعَافَى بْن عِمْرَان، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن يَزِيد، سَمِعْت ابْن أَبِي مُلَيْكَة يَقُول: سَمِعْت ابْن عَبَّاس يَقُول: إِنَّ الوَلِيد بْن المُغِيرَة صَنَعَ لِقُرَيْشٍ طَعَامًا، فَلَمَّا أَكَلُوا قَال: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُل؟ فَقَال بَعْضهمْ: سَاحِر. وَقَال بَعْضهمْ: لَيْسَ بِسَاحِرٍ. وَقَال بَعْضهمْ: كَاهِن. وَقَال بَعْضهمْ لَيْسَ بِكَاهِنٍ. وَقَال بَعْضهمْ: شَاعِر. وَقَال بَعْضهمْ: لَيْسَ بِشَاعِرٍ. وَقَال بَعْضهمْ: سِحْر يُؤْثَر. فَأَجْمَعَ رَأْيهمْ عَلَى أَنَّهُ سِحْر يُؤْثَر. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ ﷺ ، فَحَزِنَ وَقَنَعَ رَأْسه، وَتَدَثَّر، فَأَنْزَل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.[2]

فقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، أَيْ: شَمِّرْ عَنْ سَاق العَزْم، وَأَنْذِرْ النَّاس. وَبِهَذَا حَصَل الإِرْسَال، كَمَا حَصَل بِالأَوَّل النُّبُوَّة. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْ. وقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قَال الأَجْلح الكِنْدِيّ عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: إِنَّهُ أَتَاهُ رَجُل فَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قَال: لا تَلبَسهَا عَلَى مَعْصِيَة وَلا عَلَى غَدْرَة. ثُمَّ قَال: أَمَا سَمِعْت قَوْل غَيْلان بْن سَلمَة الثَّقَفِيّ:

فَإِنِّي بِحَمْدِ الله لا ثَوْب فَاجِر ۞ لبِسْتُ، وَلا مِنْ غَدْرَة أَتَقَنَّع

وَقَال ابْن جُرَيْج عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قَال: فِي كَلام العَرَب: نَقِيّ الثِّيَاب. وَفِي رِوَايَة بِهَذَا الإِسْنَاد: فَطَهِّرْ مِنْ الذُّنُوب. وَكَذَا قَال إِبْرَاهِيم، والشَّعْبِيّ، وَعَطَاء. وَقَال [الثَّوْرِيّ][3] عَنْ رَجُل، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قَال: مِنْ الإِثْم. وَكَذَا قَال إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قَال: نَفْسك لَيْسَ ثِيَابه. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، عَمَلك فَأَصْلِحْ. وَكَذَا قَال أَبُو رَزِين، وَقَال فِي رِوَايَة أُخْرَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أَيْ: لَسْت بِكَاهِنٍ وَلا سَاحِر، فَأَعْرِض عَمَّا قَالُوا. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أَيْ: طَهِّرْهَا مِنْ المَعَاصِي، وَكَانَتْ العَرَب تُسَمِّي الرَّجُل إِذَا نَكَثَ وَلَمْ يَفِ بِعَهْدِ الله إِنَّهُ لَمُدَنَّس الثِّيَاب، وَإِذَا وَفَى وَأَصْلَحَ إِنَّهُ لَمُطَهَّر الثِّيَاب. وَقَال عِكْرِمَة وَالضَّحَّاك: لا تَلبَسهَا عَلَى مَعْصِيَة. وَقَال الشَّاعِر:

إِذَا المَرْء لمْ يَدْنَس مِنْ اللُّؤْم عِرْضه ۞ فَكُلّ رِدَاء يَرْتَدِيه جَمِيل

وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: لا تَكُ ثِيَابك الَّتِي تَلبَس مِنْ مَكْسَب غَيْر طَائِب، وَيُقَال: لا

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٥).
(٢) ضعيف جدًا : أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٥) بسند ضعيف جدًا. فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي: وهو متروك.
(٣) في الأزهرية: [الردي].

تَلبَس ثِيَابك عَلى مَعْصِيَة. وَقَال مُحَمَّد بْن سِيرِينَ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: اغْسِلهَا بِالمَاءِ. وَقَال ابْن زَيْد: كَانَ المُشْرِكُونَ لا يَتطَهَّرُونَ، فَأَمَرَهُ الله أَنْ يَتطَهَّر وَأَنْ يُطَهِّر ثِيَابه. وَهَذَا القَوْل اخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَقَدْ تَشْمَل الآيَة جَمِيع ذَلكَ مَعَ طَهَارَة القَلب، فَإِنَّ العَرَب تُطْلق الثِّيَاب عَليْهِ، كَمَا قَال امْرُؤُ القَيس:

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ۞ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرِي فَأَجْمِلِي

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ۞ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: وَقَلبك وَنِيَّتك فطَهِّرْ. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، وَالحَسَن البَصْرِيّ: وَخُلُقك فَحَسِّنْ. وقوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ وَهُوَ الأَصْنَام، فَاهْجُرْ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَالزُّهْرِيّ، [وَابْن][1] زَيْد: إِنَّهَا الأَوْثَان. وَقَال إِبْرَاهِيم وَالضَّحَّاك: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ أَيْ: اتْرُكْ المَعْصِيَة. وَعَلى كُلّ تَقْدِير فَلا يَلزَم تَلبُّسه بِشَيْءٍ مِنْ ذَلكَ، كَقَوْله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: لا تُعْطِ العَطِيَّة تَلتَمِس أَكْثَر مِنْهَا. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَعَطَاء، وَطَاوُس، وَأَبُو الأَحْوَص، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرهمْ. وَرُوِيَ عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّهُ قَرَأَ: (وَلا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِر).

وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: لا تَمْنُنْ بِعَمَلك عَلى رَبّك تَسْتَكْثِرهُ. وَكَذَا قَال الرَّبِيع بْن أَنَس، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال خُصَيْف عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، قَال: لا تَضْعُف أَنْ تَسْتَكْثِر مِنْ الخَيْر، قَال: تَمْنُنْ فِي كَلام العَرَب: تَضْعُف. وَقَال ابْن زَيْد: لا تَمْنُنْ بِالنُّبُوَّة عَلى النَّاس، تَسْتَكْثِرهُمْ بِهَا، تَأْخُذ عَليْهِ عِوَضًا مِنْ الدُّنْيَا. فَهَذِهِ أَرْبَعَة أَقْوَال، وَالأَظْهَر القَوْل الأَوَّل، وَالله أَعْلم.

وقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾، أَيْ: اجْعَل صَبْرك عَلى أَذَاهُمْ لوَجْهِ الله ﷻ؛ قَالهُ مُجَاهِد. وَقَال إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: اصْبِرْ على عَطِيَّتك لله تعالى. وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالشَّعْبِيّ، وَزَيْد بْن أَسْلم، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالسُّدِّيّ، وَابْن زَيْد: ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾، الصُّور. قَال مُجَاهِد: وَهُوَ كَهَيْئَةِ القَرْن.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَسْبَاط بْن مُحَمَّد، عَنْ مُطَرِّف، عَنْ عَطِيَّة العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾، فَقَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**كَيْف أَنْعَم وَصَاحِب القَرْن قَدْ التَقَمَ القَرْن وَحَنَى جَبْهَته، يَنْتَظِر مَتَى يُؤْمَر فَيَنْفُخ؟**». فَقَال أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ: فَمَا تَأْمُرنَا يَا رَسُول الله؟ قَال: «**قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيل، عَلى الله تَوَكَّلنَا**».[2] وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ أَسْبَاط بِهِ. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ [ابْن فُضَيْل][3] وَأَسْبَاط، كِلاهُمَا عَنْ مُطَرِّف بِهِ. وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس، بِهِ.

وقوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، أَيْ: شَدِيد. ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أَيْ: غَيْر سَهْل عَليْهِمْ. كَمَا قَال

---

(١) في الأزهرية: [أبو].

(٢) **صحيح**: تقـدم.

(٣) في الأزهرية: [ابن فضل].

تَعَالى: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾. وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ زُرَارَةَ بْن أَوْفَى قَاضِي البَصْرَة، أَنَّهُ صَلَّى بِهِمْ الصُّبْح، فَقَرَأَ هَذِهِ السُّورَة، فَلَمَّا وَصَل إِلَى قَوْله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، شَهِقَ شَهْقَة، ثُمَّ خرَّ مَيِّتًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

يَقُول تَعَالى مُتَوَعِّدًا لهَذَا الخَبِيث الَّذِي أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ بِنِعَم الدُّنْيَا، فَكَفَرَ بِأَنْعُمِ الله، وَبَدَّلهَا كُفْرًا، وَقَابَلهَا بِالجُحُودِ بِآيَاتِ الله وَالافْتِرَاء عَلَيْهَا، وَجَعَلهَا مِنْ قَوْل البَشَر، وَقَدْ عَدَّدَ الله عَلَيْهِ نِعَمه حَيْثُ قَال: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، أَيْ: خَرَجَ مِنْ بَطْن أُمّه وَحْده لا مَال لهُ وَلا وَلد، ثُمَّ رَزَقَهُ الله: ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أَيْ: وَاسِعًا كَثِيرًا. قِيل: أَلف دِينَار. وَقِيل: مِائَة أَلف دِينَار. وَقِيل: أَرْضًا يَسْتَغِلّهَا. وَقِيل غَيْر ذَلِكَ. وجعل له: ﴿بَنِينَ شُهُودًا﴾، قَال مُجَاهِد: لا يَغِيبُونَ. أَيْ: حُضُورًا عِنْده لا يُسَافِرُونَ فِي التِّجَارَاتِ، بَل مَوَاليهِمْ وَأُجَرَاؤُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ذَلكَ عَنْهُمْ وَهُمْ قُعُود عِنْد أَبِيهِمْ، يَتَمَتَّع بِهِمْ وَيَتَمَلَّى بِهِمْ. وَكَانُوا فِيمَا ذَكَرَهُ السُّدِّيّ، وَأَبُو مَالك، وَعَاصِم بْن عُمَر بْن قَتَادَة، ثَلاثَة عَشَر، وَقَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد: كَانُوا عَشَرَة. وَهَذَا أَبْلغ فِي النِّعْمَة وَهُوَ إِقَامَتهمْ عِنْده. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾، أَيْ: مَكَّنْته مِنْ صُنُوف المَال وَالأَثَاث وَغَيْر ذَلِكَ، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ أَيْ: مُعَانِدًا، وَهُوَ: الكُفْر عَلى نِعَمه بَعْد العِلم. قال الله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة، عَنْ دَرَّاج، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «وَيْل: وَادٍ فِي جَهَنَّم، يَهْوِي فِيهِ الكَافِر أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْل أَنْ يَبْلُغ قَعْره، وَالصَّعُود: جَبَل مِنْ نَار يَصْعد فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي بِهِ كَذَلكَ فِيهِ أَبَدًا»[(١)]. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ [عَبْد بْن حُمَيْد][(٢)]، عَنْ الحَسَن بْن مُوسَى الأَشْيَب، بِهِ. ثُمَّ قَال: «غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث ابْن لهِيعَة عَنْ دَرَّاج» كَذَا قَال.

وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ يُونُس عَنْ عَبْد الله بْن وَهْب، عَنْ [عَمْرو][(٣)] بْن الحَارِث، عَنْ دَرَّاج. وَفِيهِ غَرَابَة وَنَكَارَة: وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة وَعَلِيّ بْن عَبْد الرَّحْمَن المَعْرُوف بِعَلَّان [المُقْرِي][(٤)] قَال: حَدَّثَنَا مُنْجَاب، أَخْبَرَنَا شَرِيك، عَنْ عَمَّار الدُّهْنِيّ، عَنْ عَطِيَّة العَوْفِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد، عَنْ النَّبِيّ ﷺ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾، قَال: «هُوَ جَبَل فِي النَّار مِنْ نَار يُكَلَّف أَنْ يَصْعَدهُ، فَإِذَا وَضَعَ يَده ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْله ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ»[(٥)]. وَرَوَاهُ البَزَّار وَابْن جرير مِنْ حَدِيث شَرِيك بِهِ. وَقَال قَتَادَة عَنْ ابْن عَبَّاس: صَعُود: صَخْرَة عظِيمة يُسْحَب عَليْهَا الكَافِر عَلى وَجْهه. وَقَال السُّدِّيّ: صَعُود: صَخْرَة مَلسَاء فِي جَهَنَّم يُكَلَّف أَنْ يَصْعَدهَا.

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٥٧٩)، وأحمد (٣/ ٧٥)، وفيه ابن لهيعة: ضعيف. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٣٥٢).

(٢) في الأزهرية: [عبد الرحمن].

(٣) في الأزهرية: [عمر].

(٤) في الأزهرية: [البصري].

(٥) **ضعيف** : أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٥)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس، وشريك القاضي: سيئ الحفظ. وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢١٣٧).

وَقَال مُجَاهِد: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾، أَيْ: مَشَقَّة مِنَ العَذَاب. وَقَال قَتَادَة: عَذَابًا لا رَاحَة فِيهِ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، أي: إنما أرهقناه صعودًا، أي: قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان، لأنه فكر وقدر، أي: تَرَوَّى مَاذَا يَقُول فِي القُرْآن حِين سُئِل عَنْ القُرْآن، فَفَكَّرَ مَاذَا يَخْتَلق مِنْ المَقَال، ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: تروى، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ : دُعَاء عَلَيْهِ، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ، أَيْ: أَعَادَ النَّظْرَة وَالتَّرَوِّي، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾، أَيْ: قَبَض بَيْن عَيْنَيْهِ وَقَطَّبَ ﴿وَبَسَرَ﴾، أَيْ: كَلَحَ وَكَرِهَ، وَمِنْهُ قَوْل تَوْبَة بْن الحُمَير الشَّاعِر:

وَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا صُدُود رَأَيْتُهُ ۞ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورهَا

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾، أَيْ: صُرِفَ عَنْ الحَقّ وَرَجَعَ القَهْقَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنْ الانْقِيَاد للقُرْآنِ، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾، أَيْ: هَذَا سِحْر يَنْقُلهُ مُحَمَّد عَنْ غَيْره ممن قَبْله وَيَحْكِيه عَنْهُمْ؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، أَيْ: لَيْسَ بِكَلَامِ الله. وَهَذَا المَذْكُور فِي هَذَا السِّيَاق هُوَ: الوَلِيد بْن المُغِيرَة المَخْزُومِيّ، أَحَد رُؤَسَاء قُرَيْش -لَعَنَهُ الله-، وَكَانَ مِنْ خَبَره فِي هَذَا مَا رَوَاهُ العَوْفِيّ، عَنْ ابن عَبَّاس قَال: دَخَل الوَلِيد بْن المُغِيرَة عَلى أَبِي بَكْر ابْن أَبِي قُحَافَة فَسَأَلَهُ عَنْ القُرْآن، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَرَجَ عَلى قُرَيْش فَقَال: يَا عَجَبًا لِمَا يَقُول ابْن أَبِي كَبْشَة، فَوَالله مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلا بِسِحْرٍ وَلا بِهَذْيٍ مِنْ الجُنُون، وَإِنَّ قَوْله لِمِنْ كَلَام الله. فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ النَّفَر مِنْ قُرَيْش ائْتَمَرُوا فَقَالُوا: وَالله لَئِنْ صَبَأَ الوَلِيد لَتَصْبُونَّ قُرَيْش. فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو جَهْل ابْن هِشَام قَال: أَنَا وَالله أَكْفِيكُمْ شَأْنه. فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَل عَلَيْهِ بَيْته، فَقَال للوَلِيدِ: أَلَمْ تَرَ إِلى قَوْمك قَدْ جَمَعُوا لك الصَّدَقَة؟ فَقَال: أَلَسْت أَكْثَرهمْ مَالًا وَوَلَدًا؟! فَقَال لهُ أَبُو جَهْل: يَتَحَدَّثُونَ أَنَّك إِنَّمَا تَدْخُل عَلى ابْن أَبِي قُحَافَة لِتُصِيبَ مِنْ طَعَامه. فَقَال الوَلِيد: أَقَدْ تَحَدَّثَ بِهِ عَشِيرَتِي؟! فَلا وَالله لا أَقْرَب ابْن أَبِي قُحَافَة، وَلا عُمَر، وَلا ابْن أَبِي كَبْشَة، وَمَا قَوْله إِلَّا سِحْر يُؤْثَر. فَأَنْزَل الله عَلى رَسُوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، إِلى قَوْله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾.[1]

وَقَال قَتَادَة: زَعَمُوا أَنَّهُ قَال: وَالله لقَدْ نَظَرْت فِيمَا قَال الرَّجُل فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وَإِنَّ لهُ لحَلاوَة، وَإِنَّ عَلَيْهِ لطَلاوَة، وَإِنَّهُ ليَعْلُو وَمَا يُعْلى، وَمَا أَشُكّ أَنَّهُ سِحْر. فَأَنْزَل الله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ الآيَة. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾: قَبَض مَا بَيْن عَيْنَيْهِ وَكَلَحَ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، أخبرنا مُحَمَّد بْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ عَبَّاد بْن مَنْصُور، عَنْ عِكْرِمَة أَنَّ الوَلِيد بْن المُغِيرَة جَاءَ إِلى النَّبِيّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآن، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لهُ. فَبَلغَ ذَلكَ أَبَا جَهْل ابْن هِشَام، فَأَتَاهُ فَقَال: أَيْ عَمّ، إِنَّ قَوْمك يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لك مَالًا. قَال: لِمَ؟ قَال: يُعْطُونَكَهُ، فَإِنَّك أَتَيْت مُحَمَّدًا تَتَعَرَّض لِمَا قِبَله. قَال: قَدْ عَلمَتْ قُرَيْش أَنِّي أَكْثَرهَا مَالًا. قَال: فَقُل فِيهِ قَوْلًا يَعْلم قَوْمك أَنَّك مُنْكِر لِمَا قَال، وَأَنَّك كَارِه لهُ. قَال: فَمَاذَا أَقُول فِيهِ؟ فَوَالله مَا مِنْكُمْ رَجُل أَعْلم بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلا أَعْلم بِرَجَزِهِ وَلا بِقَصِيدِهِ وَلا بِأَشْعَارِ الجِنّ، وَالله مَا يُشْبِه الَّذِي يَقُولهُ شَيْئًا مِنْ ذلك، وَالله إِنَّ لقَوْلِهِ الَّذِي يقول لحَلاوَة، وَإِنَّهُ ليَحْطِم مَا تَحْته، وَإِنَّهُ ليَعْلُو وَمَا يُعْلى. قَال: وَالله لا يَرْضَى قَوْمك حَتَّى تَقُول فِيهِ. قَال: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّر فِيهِ. فَلَمَّا فَكَّرَ قَال: هَذَا سِحْر يُؤْثِرهُ عَنْ غَيْره. فَنَزَلتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، حَتَّى بَلغَ: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق وَغَيْر وَاحِد نَحْوًا مِنْ هَذَا. وَقَدْ زَعَمَ السُّدِّيّ أَنَّهُمْ لَمَّا اجْتَمَعُوا فِي دَار النَّدْوَة لِيُجْمِعُوا رَأْيهمْ عَلى قَوْل يَقُولُونَهُ فِيهِ، قَبْل أَنْ يَقْدَم عَلَيْهِمْ وُفُود العَرَب للحَجّ لِيَصُدُّوهُمْ عَنْهُ، فَقَال قَائِلُونَ:

---

(١) إسناده ضعيف : فيه عطية العوفي: شيعي مدلس.

شَاعِر. وَقَال آخَرُونَ: سَاحِر. وَقَال آخَرُونَ: كَاهِن. وَقَال آخَرُونَ: مَجْنُون. كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾، كُلّ هَذَا وَالوَليد يُفكر فِيمَا يَقُولهُ فِيهِ، ففكَّر وَقدَّر، وَنظَرَ وَعَبسَ وَبسَرَ، فَقَال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، قال الله ﷻ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أَيْ: سَأَغْمُرُهُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاته، ثم قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ وَهَذَا تَهْوِيل لأَمْرِهَا وَتَفْخِيم، ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾، أَيْ: تَأْكُل لُحُومهمْ وَعُرُوقهمْ وَعَصبهمْ وَجُلُودهمْ، ثُمَّ تُبدَّل غَيْر ذَلكَ، وَهُمْ فِي ذَلكَ لا يَمُوتُونَ وَلا يَحْيَوْنَ، قَالهُ ابْن بُرَيْدَة وَأَبُو سِنَان وَغَيْرهمَا. وقوله: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾، قَال مُجَاهِد: للجِلدِ، وَقَال أَبُو رَزِين: تَلفَح الجِلد لفْحَة فَتَدَعهُ أَسْوَد مِنْ اللَّيْل. وَقَال زَيْد بْن أَسْلم: تَلُوح أَجْسَادهمْ عَلَيْهَا. وَقَال قَتَادَة: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾، أَيْ: حَرَّاقَة للجِلدِ. وَقَال ابْن عَبَّاس: تُحْرِق بَشَرَة الإِنْسَان. وقوله: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾، أَيْ: مِنْ مُقَدَّمِي الزَّبَانِيَة، عَظِيم خَلقهمْ، غَلِيظ خُلُقهمْ.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي زَائِدَة، أَخْبَرَنِي [حَارِث عَنْ عَامِر][1] عَنْ البَرَاء فِي قَوْله: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾، قَال: إِنَّ رَهْطًا مِنْ اليَهُود سَأَلُوا رَجُلًا مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عَنْ خَزَنَة جَهَنَّم، فَقَال: الله وَرَسُوله أَعْلم. فَجَاءَ رَجُل فَأَخْبَرَ النَّبِيّ ﷺ ، فنزل عَلَيْهِ سَاعَتَئِذٍ: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾، فَأَخْبَرَ أَصْحَابه وَقَال: «ادْعُهُمْ، أَمَا إِنِّي سَائِلهمْ عَنْ تُرْبَة الجَنَّة إِنْ أَتَوْنِي، أَمَا إِنَّهَا دَرْمَكَة بَيْضَاء». فَجَاءُوهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ خَزَنَة جَهَنَّم، فَأَهْوَى بِأَصَابع كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ وَأَمْسَكَ الإِبْهَام فِي الثَّانِيَة، ثُمَّ قَال: «أَخْبِرُونِي عَنْ تُرْبَة الجَنَّة». فَقَالُوا: أَخْبِرْهُمْ يَا ابْن سَلام. فَقَال: كَأَنَّهَا خُبْزَة بَيْضَاء. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «أَمَا إِنَّ الخُبْز إِنَّمَا يَكُون مِنْ الدَّرْمَك»[2]. هَكَذَا وَقَعَ عِنْد ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ البَرَاء، وَالمَشْهُور عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله، كَمَا قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا مَنْدَه، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عبدة، أَخْبَرَنَا سُفْيَان وَيَحْيَى بْن حَكِيم، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ مُجَالد، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله ﷺ، قَال: جَاءَ رَجُل إِلى النَّبِيّ ﷺ ؛ فَقَال: يَا مُحَمَّد؛ غُلب أَصْحَابك اليَوْم. فَقَال: «بِأَيِّ شَيْء؟». قَال: سَأَلتهُمْ يَهُود هَل أَعْلمكُمْ نَبِيّكُمْ عِدَّة خَزَنَة أَهْل النَّار؟ قَالُوا: لا نَعْلم حَتَّى نَسْأَل نَبِيّنَا ﷺ . قَال رَسُول الله ﷺ : «أَفَغُلبَ قَوْم يُسْأَلُونَ عَمَّا لا يَدْرون فَقَالُوا: لا ندري حَتَّى نَسْأَل نَبِيّنَا ﷺ ؟ عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ الله؟ لكن سَأَلُوا نَبِيّهمْ أَنْ يُرِيهِمْ الله جَهْرَة». فَأَرْسَل إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ قَالُوا: يَا أَبَا القَاسِم، كَمْ عِدَّة خَزَنَة أَهْل النَّار؟ قَال: «هَكَذَا»، وَطَبَّقَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ طَبَّقَ كَفَّيْهِ، مَرَّتَيْنِ، وَعَقَدَ وَاحِدَة، وَقَال لأَصْحَابِهِ: «إِنْ سُئِلتُمْ عَنْ تُرْبَة الجَنَّة فَهِيَ الدَّرْمَك». فَلمَّا سَأَلُوهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِعِدَّةِ خَزَنَة أَهْل النَّار، قَال لهُمْ رَسُول الله ﷺ : «مَا تُرْبَة الجَنَّة؟» فَنَظَرَ بَعْضهمْ إِلى بَعْض، فَقَالُوا: خُبْزَة يَا أَبَا القَاسِم. فَقَال: «الخُبْز مِنْ الدَّرْمَك»[3]. وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عِنْد هَذِهِ الآيَة عَنْ ابْن أَبِي عُمَر، عَنْ سُفْيَان، بِهِ. وَقَال هُوَ وَالبَزَّار: «لا نعرفه إلاَّ مِنْ حَدِيث مُجَالد». وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد، عَنْ عَلِيّ بْن المَدِينِيّ، عَنْ سُفْيَان، فَقَصَّ الدَّرْمَك فَقَطْ.

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾.

---

(١) في الأزهرية: [مرثب بن عامر].

(٢) إسناده ضعيف : فيه حريث بن أبي مطر: ضعيف.

(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٣٢٤)، وأحمد (٣/ ٣٦١)، وفيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي. وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

يَقُول تَعَالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾، أَيْ: خُزَّانها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، أَيْ: غِلاظًا شِدَادًا. وَذَلكَ رَدٌ عَلى مُشْرِكِي قُرَيْش حِين ذَكَرُوا عَدَد الخَزَنَة، فَقَال أَبُو جَهْل: يَا مَعْشَر قُرَيْش؛ أَمَا يَسْتَطِيع كُلّ عَشَرَة مِنْكُمْ لوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَتَغْلبُونَهُمْ؟ فَقَال الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، أَيْ: شَدِيدِي الخَلق لا يُقَاوَمُونَ وَلا يُغَالبُونَ. وَقَدْ قِيل: إِنَّ أَبَا الأَشَدِّينَ -وَاسْمه: كِلدَة بْن أُسَيْد بْن خَلف- قَال: يَا مَعْشَر قُرَيْش؛ اكْفُونِي مِنْهُمْ اثْنَيْنِ وَأَنَا أَكْفِيكُمْ سَبْعَة عَشَر، إِعْجَابًا مِنْهُ بِنَفْسِهِ، وَكَانَ قَدْ بَلغَ مِنْ القُوَّة فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ يَقِف عَلى جِلد البَقَرَة وَيُجَاذِبهُ عَشَرَة لينتزعوه مِنْ تَحْت قَدَمَيْهِ، فَيَتَمَزَّق الجِلد وَلا يَتَزَحْزَح عَنْهُ. قَال السُّهَيْلِيّ: وَهُوَ الَّذِي دَعَا رَسُول الله ﷺ إِلى مُصَارَعَته، وَقَال: إِنْ صَرَعْتَنِي آمَنْت بِك. فَصَرَعَهُ النبي ﷺ مِرَارًا، فَلَمْ يُؤْمِن. قَال: وَقَدْ نَسَبَ ابْن إِسْحَاق خَبَرَ المُصَارَعَة إِلى رُكَانَة بْن عَبْد يَزِيد بْن هَاشِم بْن المُطَّلب. قُلت: وَلا مُنَافَاة بَيْن مَا ذَكَرَاهُ، وَالله أَعْلم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أَيْ: إِنَّمَا ذَكَرْنَا عِدَّتهمْ أَنَّهُمْ تِسْعَة عَشَر اخْتِبَارًا مِنَّا للنَّاسِ، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أَيْ: يَعْلمُونَ أَنَّ هَذَا الرَّسُول حَقّ؛ فَإِنَّهُ نَطَقَ بِمُطَابَقَةِ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الكُتُب السَّمَاوِيَّة المُنَزَّلة عَلى الأَنْبِيَاء قَبْله. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾، أَيْ: إِلى إِيمَانهمْ، أي: بِمَا يَشْهَدُونَ مِنْ صِدْق إِخْبَار نَبِيّهمْ مُحَمَّد ﷺ: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أَيْ: مِنْ المُنَافِقِينَ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أَيْ يَقُولُونَ: مَا الحِكْمَة فِي ذِكْر هَذَا هَهُنَا؟ قَال الله تَعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، أَيْ: مِنْ مِثْل هَذَا وَأَشْبَاهه يَتَأَكَّد الإِيمَان فِي قُلُوب أَقْوَام، وَيَتَزَلزَل عِنْد آخَرِينَ وَلهُ الحِكْمَة البَالغَة، وَالحُجَّة الدَّامِغَة.

وَقَوْله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، أَيْ: مَا يَعْلم عَدَدهمْ وَكَثْرَتهمْ إِلَّا هُوَ تَعَالى، لئَلَّا يَتَوَهَّم مُتَوَهِّم أنما هم تِسْعَة عَشَر فَقَطْ، كَمَا قَدْ قَالهُ طَائِفَة مِنْ أَهْل الضَّلالة والجَهَالة مِنْ الفَلاسِفَة اليُونَانِيِّينَ، وَمَنْ تابعهم مِنْ المِلَّتَيْنِ الَّذِينَ سَمِعُوا هَذِهِ الآيَة، فَأَرَادُوا تَنْزِيلهَا عَلى العُقُول العَشَرَة وَالنُّفُوس التِّسْعَة، الَّتِي اخْتَرَعُوا دَعْوَاهَا، وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَة الدَّلالة عَلى مُقْتَضَاهَا، فَأَفْهِمُوا صَدْر هَذِهِ الآيَة وَقَدْ كَفَرُوا بِآخِرِهَا، وَهُوَ قَوْله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيث الإِسْرَاء المَرْوِيّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرهمَا، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال فِي صِفَة البَيْت المَعْمُور الَّذِي فِي السَّمَاء السَّابِعَة: **«فَإِذَا هُوَ يَدْخُلهُ فِي كُلّ يَوْم سَبْعُونَ أَلف مَلك، لا يَعُودُونَ إِليْهِ آخِر مَا عَليْهِمْ»**.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَسْوَد، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن مُهَاجِر، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ مُوَرِّق، عَنْ أَبِي ذَرّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَع مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاء وَحُقَّ لهَا أَنْ تَئِط، مَا فِيهَا مَوْضِع أربع أصابع إلاّ عَليْهِ مَلك سَاجِد، لوْ علمتُمْ مَا أعلم لضَحِكْتُمْ قَليلاً وَلبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلا تَلذَّذْتُمْ بِالنِّسَاء عَلى الفُرُشَات، وَلخَرَجْتُمْ إِلى الصُّعُدَات تَجْأَرُونَ إِلى الله ﷻ»**. فَقَال أَبُو ذَرّ: وَالله لوَدِدْت أَنِّي شَجَرَة تُعْضَد.[1]

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث إِسْرَائِيل، وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن غَرِيب، وَيُرْوَى عَنْ أَبِي ذَرّ مَوْقُوفًا».

وقَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا خير بْن عَرَفَة المِصْرِيّ، حَدَّثَنَا عُرْوَة بْن مَرْوَان الرَّقِّيّ، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن عَمْرو، عَنْ عَبْد الكَرِيم بْن مَالك، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَا فِي السَّمَوَات السَّبْع مَوْضِع قَدَم وَلا شِبْر وَلا كَفّ إِلاّ وَفِيهِ مَلك قَائِم، أَوْ مَلك سَاجِد، أَوْ مَلك رَاكِع، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانك! مَا عَبَدْنَاك حَقّ عِبَادَتك، إِلاّ أَنَّا لمْ نُشْرِك بِك شَيْئًا»**.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢٤٤٩).

وَقَال مُحَمَّد بْن نَصْر المَرْوَزِيّ فِي «كِتَاب الصَّلاة»: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن زُرَارَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْد الوَهَّاب بن عَطَاء عَنْ سَعِيد عَنْ قَتَادَة، عَنْ صَفْوَان بْن مُحْرِز، عَنْ حَكِيم بْن حِزَام؛ قَال: بَيْنَمَا رَسُول اللهﷺ مَعَ أَصْحَابه إِذْ قَال لَهُمْ: **«هَل تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَع؟»**. قَالُوا: مَا نَسْمَع مِنْ شَيْء. فَقَال رَسُول اللهﷺ : **«أَسْمَع أَطِيط السَّمَاء، وَمَا تُلام أَنْ تَئِط، ومَا فِيهَا مَوْضِع شِبْر إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَك رَاكِع أَوْ سَاجِد»**.

وَقَال أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله [بْن قُهْزَاذ][1]، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاذ الفَضْل بْن خَالد النَّحْوِيّ، حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن سُلَيْمَان البَاهِلِيّ، سَمِعْت الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم، يُحَدِّث عَنْ مَسْرُوق بْن الأَجْدَع، عَنْ عَائِشَة أَنَّهَا قَالَتْ: قَال رَسُول اللهﷺ : «مَا فِي السَّمَاء الدُّنْيَا مَوْضِع قَدَم إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَك سَاجِد أَوْ قَائِم، وَذَلِكَ قَوْل المَلائِكَة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾». وَهَذَا مَرْفُوع غَرِيب جِدًّا، ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ مَحْمُود بْن آدَم، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ ابْن مَسْعُود؛ أَنَّهُ قَال: «إِنْ مِنْ السَّمَوَات سَمَاءً مَا فِيهَا مَوْضِع شِبْر إِلَّا وَعَلَيْهِ جَبْهَة مَلَك أَوْ قَدَمَاهُ قَائِمًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾».

ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَحْمَد [بْن سَيَّار][2]: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر ابن مُحَمَّد بْن خَالد الدِّمَشْقِيّ المَعْرُوف بِابْنِ أُمّه، حَدَّثَنَا المُغِيرَة بْن عُمَر بْن عَطِيَّة مِنْ بَنِي عَمْرو بْن عَوْف، حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بْن أَيُّوب، عَنْ سَالم بْن عَوْف، حَدَّثَنِي عَطَاء بْن زَيْد بْن مَسْعُود مِنْ [بَنِي الحبلى][3]، حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بْن عَمْرو بْن الرَّبِيع، مِنْ بَنِي سَالم، حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن ابْن العَلاء مِنْ بَنِي سَاعِدَة، عَنْ أَبِيهِ العَلاء بْن سَعْد -وَقَدْ شَهِدَ الفَتْح وَمَا بَعْده- أَنَّ النَّبِيّﷺ قَال يَوْمًا لجُلَسَائِهِ: «هَل تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَع؟». قَالُوا: وَمَا تَسْمَع يَا رَسُول الله؟ قَال: «أَطَّتْ السَّمَاء وَحُقّ لها أَنْ تَئِطّ، إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِع قَدَم إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَك قَائِم أَوْ رَاكِع أَوْ سَاجِد، وَقَال المَلائِكَة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾». وَهَذَا إِسْنَاد غَرِيب جِدًّا.

ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا محمد بن يحيى، حدثنا إِسْحَاق بْن مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل الفَرْوِيّ، حَدَّثنَا عَبْد المَلك بْن قُدَامَة، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بن عَبْد الله بْن دِينَار، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر؛ أَنَّ عُمَر جَاءَ وَالصَّلاة قَائِمَة، وَنَفَر [ثَلاثَة][4] جُلُوس، أَحَدهمْ أَبُو جَحْش اللَّيْثِيّ، فَقَال: قُومُوا فَصَلُّوا مَعَ رَسُول اللهﷺ . فَقَامَ اثْنَانِ وَأَبَى أَبُو جَحْش أَنْ يَقُوم، وَقَال: لا أَقُوم حَتَّى يَأْتِي رَجُل هُوَ أَقْوَى مِنِّي ذِرَاعَيْنِ، وَأَشَدّ مِنِّي بَطْشًا فَيَصْرَعنِي، ثُمَّ يَدُسّ وَجْهِي فِي التُّرَاب. قَال عُمَر: فَصَرَعْته وَدَسَسْت وَجْهه فِي التُّرَاب، فَأَتَى عُثْمَان بْن عَفَّان فَحَجَزَنِي عَنْهُ فَخَرَجَ عُمَر مُغْضَبًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُول اللهﷺ فَقَال: «مَا رَأْيك يَا أَبَا حَفْص؟». فَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ، فَقَال رَسُول اللهﷺ : «إِنْ رَضِيَ عُمَر رَحِمَهُ، وَالله لَوَدِدْت أَنَّك جِئْتَنِي بِرَأْسِ الخَبِيث»، فَقَامَ عُمَر يوجِّه نَحْوه، فَلَمَّا أَبْعَد نَادَاهُ فَقَال: «اجْلِسْ حَتَّى أُخْبِرك بغنى الرَّبّ ﷻ عَنْ صَلاة أَبِي جَحْش، إِنَّ لله فِي السَّمَاء الدُّنْيَا مَلائِكَة خُشُوعًا، لا يَرْفَعُونَ رُءُوسهمْ حَتَّى تَقُوم السَّاعَة. فَإِذَا قَامَتْ رَفَعُوا رُءُوسهمْ، ثُمَّ قَالُوا: رَبَّنَا، مَا عَبَدْنَاك حَقّ عِبَادَتك، وَإِنَّ لله فِي السَّمَاء الثَّانِيَة مَلائِكَة سُجُودًا، لا يَرْفَعُونَ رُءُوسهمْ حَتَّى تَقُوم السَّاعَة، فَإِذَا قَامَتْ السَّاعَة رَفَعُوا رُءُوسهمْ، وَقَالُوا: سُبْحَانك! مَا عَبَدْنَاك حَقّ عِبَادَتك». فَقَال لَهُ عُمَر: وَمَا يَقُولُونَ يَا رَسُول الله؟ فَقَال: «أَمَّا

---

(١) في الأزهرية: [بن مهراز].
(٢) في الأزهرية: [بن بشار].
(٣) في الأزهرية: [بن الحكم].
(٤) في الأزهرية: [يليه].

أَهْل السَّماء الدُّنْيا فَيقُولُونَ: سُبْحَان ذِي المُلك وَالمَلكُوت، وَأَمَّا أَهْل السَّماء الثَّانِيَة فَيقُولُونَ: سُبْحَان ذِي العِزَّة وَالجَبَرُوت، وَأَمَّا أَهْل السَّماء الثَّالثَة فَيَقُولُونَ: سُبْحَان الحَيّ الَّذِي لا يَمُوت؛ فَقُلهَا يَا عُمَر فِي صَلاتك».

فَقَال عُمَر: يَا رَسُول الله؛ فَكَيْف بِالَّذِي كُنْت عَلَّمْتنِي وَأَمَرْتنِي أَنْ أَقُولهُ فِي صَلاتِي؟ فَقَال: «قُل هَذَا مَرَّة وَهَذَا مَرَّة». وَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ أَنْ يَقُولهُ: «أَعُوذ بِعَفْوك مِنْ عِقَابك، وَأَعُوذ بِرِضَاك مِنْ سَخَطك، وَأَعُوذ بِك مِنْك، جَلَّ وَجْهك»[1]. هَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، بَل مُنْكَر نَكَارَة شَدِيدَة، وَإِسْحَاق الفروي رَوَى عَنْهُ البُخَارِيّ، وَذَكَرَهُ ابْن حِبَّان فِي الثِّقَات وَضَعَّفَهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَالعُقَيْلِيّ وَالدَّارَقُطْنِيّ. وَقَال أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: «كَانَ صَدُوقًا إِلَّا أَنَّهُ ذَهَبَ بَصَره، فَرُبَّمَا لقِنَ وَكُتُبه صَحِيحَة». وَقَال مُرَّة: هُوَ مُضْطَرِب، وَشَيْخه عَبْد المَلك بْن قُدَامَة أَبُو قَتَادَة الجُمَحِيّ: تَكَلَّمَ فِيهِ أَيْضًا.

وَالعَجَب مِنْ الإِمَام مُحَمَّد بْن نَصْر، كَيْف رَوَاهُ وَلَمْ يَتَكَلَّم عَلَيْهِ، وَلا عَرَّفَ بِحَالِهِ، وَلا تَعَرَّضَ لِضَعْفِ بَعْض رِجَاله؟! غَيْر أَنَّهُ رَوَاهُ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر مُرْسَلًا بِنَحْوِهِ. وَمِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ مُرْسَلًا، قَرِيبًا مِنْهُ، ثُمَّ قَال مُحَمَّد بْن نَصْر: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن [قُهْزَاذ][2]، أَخْبَرَنَا النَّضْر، أَخْبَرَنَا عَبَّاد بْن مَنْصُور، قَال: سَمِعْت عَدِيّ بْن أَرْطَاة، وَهُوَ يَخْطُبنَا عَلى مِنْبَر المَدَائِن؛ قَال: سَمِعْت رَجُلًا مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «إِنَّ لله تَعَالى مَلائِكَة تَرْعَد فَرَائِصهمْ مِنْ خِيفَته، مَا مِنْهُمْ مَلَك تَقْطُر مِنْهُ دَمْعَة مِنْ عَيْنه إِلاَّ وَقَعَتْ عَلى مَلَك يُصَلِّي، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلائِكَة سُجُودًا مُنْذُ خَلقَ الله السَّمَوَات وَالأَرْض لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسهمْ، وَلا يَرْفَعُونَهَا إِلى يَوْم القِيَامَة. وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلائِكَة رُكُوعًا لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسهمْ مُنْذُ خَلقَ الله السَّمَوَات وَالأَرْض، وَلا يَرْفَعُونَهَا إِلى يَوْم القِيَامَة، فَإِذَا رَفَعُوا رُءُوسهمْ نَظَرُوا إِلى وَجْه الله ﷻ، قَالُوا: سُبْحَانك! مَا عَبَدْنَاك حَقّ عِبَادَتك»[3]. وَهَذَا إِسْنَاد لا بَأْس بِهِ.

وَقَوْله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، قَال مُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد: ﴿وَمَا هِيَ﴾ أَيْ: النَّار الَّتِي وُصِفَتْ، ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾. ثم قَال: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، أَيْ: وَلَّى، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أَيْ: أَشْرَقَ، ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ أَيْ: العَظَائِم، يَعْنِي: النَّار. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، أَيْ: لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْبَل النِّذَارَة وَيَهْتَدِي للحَقِّ أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

يقول تعالى مخبرًا أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، أَيْ: مُعْتَقَلة بِعَمَلهَا يَوْم القِيَامَة. قَالهُ ابْن عَبَّاس وَغَيْره: ﴿إِلَّا

---

(١) منكر: أخرجه محمد بن نصر (٢٥٦). وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جدًا، بل منكر نكارة شديدة. وضعفه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٨٢).

(٢) في الأزهرية: [مهراز].

(٣) ضعيف: أخرجه محمد بن نصر (٢٦٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٩٨٨).

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فَإِنَّهُمْ فِي جَنَّات يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ، أَيْ: يَسْأَلُونَ الْمُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي الغُرُفَات وَأُولئِكَ فِي الدَّرَكَات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ أَيْ: مَا عَبَدْنَا رَبَّنَا وَلا أَحْسَنَّا إِلى خَلقه مِنْ جِنْسنَا، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾ أَيْ: نَتَكَلَّم فِيمَا لا نَعْلم. وَقَال قَتَادَة: كُلَّمَا غَوِيَ غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾، يَعْنِي: المَوْت. كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾، وَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَمَّا هُوَ -يَعْنِي عُثْمَان بْن مَظْعُون- فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِين مِنْ رَبِّه». قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾، أَيْ: مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِهَذِهِ الصِّفَات، فَإِنَّهُ لا تَنْفَعهُ يَوْم القِيَامَة شَفَاعَة شَافِع فيه؛ لأَنَّ الشَّفَاعَة إِنَّمَا تَنْجع إِذَا كَانَ المَحَلّ قَابِلًا، فأما مَنْ وَافَى الله كَافِرًا يَوْم القِيَامَة، فَإِنَّهُ لهُ النَّار لا محَالة، خَالدًا فِيهَا. ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾، [أَيْ: فَمَا لهَؤُلاءِ الكَفَرَة الَّذِينَ قِبلكَ عما تَدْعُوهُمْ إِليْهِ وَتُذَكِّرهُمْ بِهِ مُعْرِضِينَ][(١)] ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ (٥٠) فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾، أَيْ: كَأَنَّهُمْ فِي نِفَارهِمْ عَنْ الحَقّ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ حُمُر مِنْ حُمُر الوَحْش، إِذَا فَرَّتْ مِمَّنْ يُرِيد صَيْدهَا مِنْ أَسَد. قَالهُ أَبُو هُرَيْرَة، وَابْن عَبَّاس -فِي رِوَايَة عَنْهُ- وَزَيْد ابْن أَسْلم، وَابْنه عَبْد الرَّحْمَن. أَوْ: رَامٍ، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ ابْن عَبَّاس، وَهُوَ قَوْل الجُمْهُور. وَقَال حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد، عَنْ يُوسُف بْن مهران، عَنْ ابْن عَبَّاس: الأَسَد بِالعَرَبِيَّةِ، وَيُقَال لهُ بِالحَبَشِيَّةِ قَسْوَرَة، وَبِالفَارِسِيَّةِ شير، وَبِالنَّبَطِيَّةِ أويا.

وقوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾، أَيْ: بَل يُرِيد كُلّ وَاحِد مِنْ هَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّل عَليْهِ كتابٌ كَمَا أَنْزَل الله عَلى النَّبِيّ ﷺ. قَالهُ مُجَاهِد وَغَيْره، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾، وَفِي رِوَايَة عَنْ قَتَادَة: يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْتَوْا بَرَاءَة بِغَيْرِ عَمَل. فقوله: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾، أَيْ: إِنَّمَا أَفْسَدَهُمْ عَدَم إِيمَانهم بِهَا، وَتَكْذِيبهمْ بِوُقُوعِهَا.

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾، أَيْ: حَقًّا إِنَّ القُرْآن تَذْكِرَة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾. وَقَوْله: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾، أَيْ: هُوَ أَهْل أَنْ يُخَاف مِنْهُ، وَهُوَ أَهْل أَنْ يَغْفِر ذَنْب مَنْ تَابَ إِليْهِ وَأَنَاب. قَالهُ قَتَادَة. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب، أَخْبَرَنِي سُهَيْل أَخُو حزم، حَدَّثَنَا ثَابِت البُنَانِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك؛ قَال: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾، وَقَال: «قَال رَبّكُمْ: أَنَا أَهْل أَنْ أُتَّقَى فَلا يُجْعَل مَعِي إِله، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يَجْعَل مَعِي إِلهًا كَانَ أَهْلاً أَنْ أَغْفِر لهُ»[(٢)]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث زَيْد بْن الحُبَاب، وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث المُعَافَى ابْن عِمْرَان، كِلاهُمَا عَنْ سُهَيْل بْن عَبْد الله القطعي بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن غَرِيب، وَسُهَيْل لَيْسَ بِالقَوِيِّ. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هُدْبَة بْن خَالد، عَنْ سُهَيْل بِهِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلى وَالبَزَّار وَالبَغَوِيّ، وَغَيْرهمْ، مِنْ حَدِيث سُهَيْل القطعي، بِهِ.

آخِر تَفْسِير سُورَة المُدَّثِّر، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ١٤٢)، والترمذي (٣٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٩٩). وفيه سهيل بن أبي حزم: ضعيف. وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه».

تفسير سُورَةُ القِيَامَةِ وهي مكية

ترتيبها ٧٥ — وآياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

قَدْ تَقَدَّمَ غَيْر مَرَّة أَنَّ المُقْسَم عَلَيْهِ متى كَانَ مُنْتَفِيًا، جَازَ الإِتْيَان بـ«لا» قَبْل القَسَم لِتَأْكِيدِ النَّفْي. والمقسوم عَلَيْهِ هَهُنَا هُوَ إِثْبَات المَعَاد، وَالرَّدّ عَلى مَا يَزْعُمهُ الجَهَلة مِنْ العِبَاد مِنْ عَدَم بَعْث الأَجْسَاد، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، قَال الحَسَن: أُقْسِم بِيَوْمِ القِيَامَة، وَلمْ يُقْسِم بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَة. وَقَال قَتَادَة: بَل أَقْسَمَ بِهِمَا جَمِيعًا. هَكَذَا حَكَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَدْ حَكَى ابْن جَرِير، عَنْ الحَسَن وَالأَعْرَج أَنَّهُمَا قرآ: ﴿لأُقْسِمُ﴾. وَهَذَا يُوَجِّه قَوْل الحَسَن؛ لأَنَّهُ أَثْبَتَ القَسَم بِيَوْمِ القِيَامَة، وَنَفَى القَسَم بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَة. وَالصَّحِيح أَنَّهُ أَقْسَمَ بِهِمَا جَمِيعًا، كَمَا قَالهُ قَتَادَة رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ المَرْوِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. فَأَمَّا يَوْم القِيَامَة فَمَعْرُوف، وَأَمَّا النَّفْس اللَّوَّامَة؛ فَقَال قُرَّة بْن خَالد، عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ فِي هَذِهِ الآيَة: إِنَّ المُؤْمِن -وَالله- مَا نَرَاهُ إِلَّا يَلُوم نَفْسه: مَا أَرَدْتُ بِكَلمَتِي؟ مَا أَرَدْتُ بِأَكْلتِي؟ مَا أَرَدْتُ بِحَدِيثِ نَفْسِي؟ وَإِنَّ الفَاجِر يَمْضِي قُدُمًا قُدُمًا مَا يُعَاتِب نَفْسه. وَقَال جُوَيْبِر: بَلغَنَا عَنْ الحَسَن أَنَّهُ قَال فِي قَوْله: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، قَال: ليْسَ أَحَد مِنْ أَهْل السَّمَوَات والأرض إِلَّا يَلُوم نَفْسه يَوْم القِيَامَة.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن صَالح بْن مُسْلم، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك؛ أَنَّهُ سَأَل عِكْرِمَة عَنْ قَوْله ﷺ: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، قَال: يَلُوم عَلى الخَيْر وَالشَّرّ، لوْ فَعَلت كَذَا وَكَذَا. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ وَكِيع عَنْ إِسْرَائِيل بِهِ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا مؤمل، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ ابْن جُرَيْج، عَنْ الحَسَن بْن مُسْلم، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، قَال: تَلُوم عَلى الخَيْر وَالشَّرّ. ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ وَجه آخر عَنْ سَعِيد أَنَّهُ سَأَل ابْن عَبَّاس عَنْ ذَلكَ فَقَال: هِيَ النَّفْس اللَّئُوم. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: تَنْدَم عَلى مَا فَاتَ وَتَلُوم عَليْهِ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: المَذْمُومَة. وَقَال قَتَادَة: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: الفَاجِرَة. قَال ابْن جَرِير: وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال مُتَقَارِبَة بالمَعْنَى، والأَشْبَه بِظَاهِرِ التَّنْزِيل أَنَّهَا الَّتِي تَلُوم صَاحِبهَا عَلى الخَيْر وَالشَّرّ، وَتَنْدَم عَلى مَا فَاتَ.

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة، أَيَظُنُّ أَنَّا لا نَقْدِر عَلى إِعَادَة عِظَامه وَجَمْعهَا مِنْ أَمَاكِنهَا المُتَفَرِّقَة؟ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ قَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَالعَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنْ نَجْعَلهُ خُفًّا أَوْ حَافِرًا. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَابْن جَرِير. وَوَجَّهَهُ ابْن جَرِير بِأَنَّهُ تَعَالى لوْ شَاءَ لجَعَل ذَلكَ فِي الدُّنْيَا. وَالظَّاهِر مِنْ الآيَة أَنَّ قَوْله: ﴿قَٰدِرِينَ﴾، حَال مِنْ قَوْله: ﴿نَّجْمَعَ﴾، أَيْ: أَيَظُنُّ الإِنْسَان أَنَّا لا نَجْمَع عِظَامه؟ بَلى سَنَجْمَعُهَا قَادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانه، أَيْ: قُدْرَتنَا صَالحَة لجَمْعِهَا، وَلوْ شِئْنَا لبَعَثْنَاهُ أَزْيَد مِمَّا كَانَ، فنعجعل بَنَانه -وَهِيَ أَطْرَاف أَصَابِعه- مُسْتَوِيَة. وَهَذَا مَعْنَى قَوْل ابْن قُتَيْبَة، وَالزَّجَّاج. وقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، قَال سَعِيد، عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي يَمْضِي قُدُمًا. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، يَعْنِي: الأَمَل يَقُول الإِنْسَان: أَعْمَل ثُمَّ أَتُوب قَبْل يَوْم القِيَامَة، وَيُقَال: هُوَ الكُفْر بِالحَقِّ بَيْن يَدَيْ القِيَامَة.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، يَمْضِيَ أَمَامه رَاكِبًا رَأْسه. وَقَال الحَسَن: لا يَلقَى ابْن آدَم إِلَّا تَنْزِع نَفْسه إِلى مَعْصِيَة الله قُدُمًا قُدُمًا، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ الله. وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلَف: هُوَ الَّذِي يُعَجِّل الذُّنُوب وَيُسَوِّف التَّوْبَة. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ الكَافِر يُكَذِّب بِيَوْمِ الحِسَاب. وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، أَيْ: يَقُول مَتَى يَكُون يَوْم القِيَامَة؟ وَإِنَّما سُؤَاله سُؤَال اسْتِبْعَاد لوُقُوعِهِ وَتَكْذِيب لوُجُودِهِ، كَما قَال تَعَالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وقال تعالى هاهنا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قال أَبُو عَمْرو ابْن العَلاء: (بَرِقَ) -بِكَسْرِ الرَّاء- أَيْ: حَار. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ شَبِيه بِقَوْلهِ تَعَالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾، بَل يَنْظُرُونَ مِنْ الفَزَع هَكَذَا وَهَكَذَا، لا يَسْتَقِرّ لهُمْ بَصَر عَلى شَيْء، مِنْ شِدَّة الرُّعْب. وَقَرَأَ آخَرُونَ: (بَرَقَ) بِالفَتْحِ، وَهُوَ قَرِيب فِي المَعْنَى مِنْ الأَوَّل. وَالمَقْصُود أَنَّ الأَبْصَار تَنْبَهِر يَوْم القِيَامَة، وَتَخْشَع وَتَحَار وَتَذِلّ مِنْ شِدَّة الأَهْوَال، وَمِنْ عِظَم مَا يُشَاهده يَوْم القِيَامَة مِنْ الأُمُور. وقوله: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾، أَيْ: ذَهَبَ ضَوْؤُه ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾. قَال مُجَاهِد: كُوِّرَا. وَقَرَأَ ابْن زَيْد عِنْد تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾. وَرُوِيَ عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّهُ قَرَأَ: (وَجُمِعَ بَيْن الشَّمْس وَالقَمَر). وقوله: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾، أَيْ: إِذَا عَايَنَ ابْن آدَم هَذِهِ الأَهْوَال يَوْم القِيَامَة حِينَئِذٍ يُرِيد أَنْ يَفِرّ وَيَقُول: أَيْنَ المَفَرّ؟ أَيْ: هَل مِنْ مَلجَإٍ أَوْ مَوْئِل؟ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾. قَال ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلَف: أَيْ لا نَجَاة. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾، [أَيْ: لَيْسَ لكُمْ مَكَان تَتَنَكَّرُونَ فِيهِ، وَكَذَا قَال هُهُنَا: ﴿لَا وَزَرَ﴾][1] أَيْ: لَيْسَ لكُمْ مَكَان تَعْتَصِمُونَ فِيهِ. ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾، أَيْ: المَرْجِع وَالمَصِير.

ثم قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، أَيْ: يُخْبَر بِجَمِيع أَعْمَاله قَدِيمهَا وَحَدِيثهَا، أَوَّلهَا وَآخِرهَا، صَغِيرهَا وَكَبِيرهَا، كَما قَال تَعَالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. وهكذا قال هاهنا: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، أَيْ: هُوَ شَهِيد عَلى نَفْسه، عَالم بِمَا فَعَلهُ وَلوْ اعْتَذَرَ وَأَنْكَرَ، كَما قَال تَعَالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾، يَقُول: سَمْعه وَبَصَره ويداه ورجلاه وَجَوَارِحه. وَقَال قَتَادَة: شَاهِد عَلى نَفْسه. وَفِي رِوَايَة قَال: إِذَا شِئْت وَالله رَأَيْته بَصِيرًا بِعُيُوبِ النَّاس وَذُنُوبهمْ، غَافِلًا عَنْ ذُنُوبه، وَكَانَ يُقَال: إِنَّ فِي الإِنْجِيل مَكْتُوبًا: يَا ابْن آدَم، تُبْصِر القَذَاة فِي عَيْن أَخِيك، وَتَتْرُك الجِذْل فِي عَيْنك لا تُبْصِرهُ.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: وَلوْ جَادَل عَنْهَا فَهُوَ بَصِير عَليْهَا. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، وَلوْ اعْتَذَرَ يَوْمئِذٍ بِبَاطِلٍ لا يُقْبَل مِنْهُ. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ حُجَّته. وَكَذَا قَال [ابْن زَيْد][2]، وَالحَسَن البَصْرِيّ، وَغَيْرهمْ وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال قَتَادَة، عَنْ زُرَارَةَ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، يَقُول: لوْ أَلقَى [ثيابه][3]. وَقَال الضَّحَّاك: وَلوْ أَلقَى سُتُوره، وَأَهْل اليَمَن يُسَمُّونَ السِّتْر: المعذَار. وَالصَّحِيح قَوْل مُجَاهِد وَأَصْحَابه، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وَكَقَوْلهِ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) في الأزهرية: [أبو زيد].
(٣) في الأزهرية: [بهتانه].

كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، هِيَ: الاعْتِذَار، أَلَمْ تَسْمَع أَنَّهُ قَال: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، وَقَال: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، وَقَوْلهمْ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

هَذَا تَعْلِيم مِنْ الله ﷻ لرَسُولهِ ﷺ فِي كَيْفِيَّة تلَقِّيه الوَحْي مِنْ المَلك، فَإِنَّهُ كَانَ يُبَادِر إِلى أَخْذه وَيُسَابِق المَلك فِي قِرَاءَته، فَأَمَرَهُ الله ﷻ إِذَا جَاءَهُ المَلك بِالوَحْي أَنْ يَسْتَمِع لهُ، وَتَكَفَّل الله لهُ أَنْ يَجْمَعهُ فِي صَدْره، وَأَنْ يُيَسِّرهُ لأَدَائِهِ عَلى الوَجْه الَّذِي أَلقَاهُ إِليْهِ، وَأَنْ يُبَيِّنهُ لهُ وَيُفَسِّرهُ وَيُوَضِّحهُ. فَالحَالة الأُولى: جَمْعه فِي صَدْره، وَالثَّانِيَة: تِلاوَته، وَالثَّالثَة: تَفْسِيره وَإِيضَاح مَعْنَاهُ. وَلهَذَا قَال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، أَيْ: بِالقُرْآنِ، كَمَا قَال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾. ثم قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾، أَيْ: فِي صَدْرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أَيْ: أَنْ تَقْرَأهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أَيْ: إِذَا تَلاهُ عَليْك المَلك عَنْ الله ﷻ: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أَيْ: فَاسْتَمِعْ لهُ ثُمَّ اقْرَأْهُ كَمَا أَقْرَأَك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، أَيْ: بَعْد حِفْظه وَتِلاوَته نُبَيِّنهُ لك وَنُوَضِّحهُ، وَنُلهِمك مَعْنَاهُ عَلى مَا أَرَدْنَا وَشَرَعْنَا. وقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ أَبِي عَوَانَة، عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُعَالج مِنْ التَّنْزِيل شِدَّة، فَكَانَ يُحَرِّك شَفَتَيْهِ، قَال: فَقَال لِي ابْن عَبَّاس: أَنَا أُحَرِّك شَفَتَيَّ كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يُحَرِّك شَفَتَيْهِ. وَقَال لِي سعيد: وَأَنَا أُحَرِّك شَفَتَيَّ كَمَا رَأَيْت ابْن عَبَّاس يُحَرِّك شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، قَال: جَمْعه فِي صَدْرك، ثُمَّ تَقْرَأهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: فَاسْتَمِعْ لهُ وَأَنْصِتْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾. فَكَانَ بَعْد ذَلكَ إِذَا انْطَلقَ جِبْرِيل قَرَأَهُ كَمَا أَقْرَأهُ.[1] وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم، مِنْ غَيْر وَجْه، عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة بِهِ. وَلفْظ البُخَارِيّ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيل أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ الله ﷻ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى التَّيْمِيّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا نزل عَليْهِ الوَحْي يَلقَى مِنْهُ شِدَّة، وَكَانَ إِذَا نَزَل عَليْهِ عُرِفَ فِي تَحْرِيكه شَفَتَيْهِ، يَتَلقَّى أَوَّله وَيُحَرِّك بِهِ شَفَتَيْهِ خَشْيَة أَنْ يَنْسَى أَوَّله قَبْل أَنْ يَفْرُغ مِنْ آخِره، فَأَنْزَل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾. وَهَكَذَا قَال الشَّعْبِيّ، وَالحَسَن البَصْرِيّ، وَقَتَادَة، وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَغَيْر وَاحِد: إِنَّ هَذِهِ الآيَة نَزَلتْ فِي ذَلكَ. [وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، قَال: كَانَ لا يَفْتُر مِنْ القِرَاءَة مَخَافَة أَنْ يَنْسَاهُ، فَقَال الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا﴾ أَنْ نَجْمَعهُ لك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أَنْ نُقْرِئك فَلا تَنْسَى.[2] وَقَال ابْن عَبَّاس وَعَطِيَّة العَوْفِيّ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: تبين حَلاله وَحَرَامه. وَكَذَا قَال قَتَادَة][3]. وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، أَيْ: إِنَّمَا يَحْمِلهُمْ عَلى التَّكْذِيب بِيَوْم القِيَامَة وَمُخَالفَة مَا أنزل الله ﷻ على رَسُوله ﷺ مِنْ الوَحْي الحَقّ وَالقُرْآن العَظِيم: أَنَّهُمْ إِنَّمَا هِمَّتهمْ إِلى الدَّار الدُّنْيَا العَاجِلة،

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).
(٢) ضعيف : أخرجه الطبراني (٢٩/ ١٨٨)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس.
(٣) تقديم وتأخير في الأزهرية.

وَهُمْ لاهُونَ مُتَشَاغِلُونَ عَنْ الآخِرَة. ثم قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، مِنْ النَّضَارَة، أَيْ: حَسَنَة بَهِيَّة مُشْرِقَة مَسْرُورَة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أَيْ: تَرَاهُ عِيَانًا، كَمَا رَوَاهُ البُخَارِيّ رَحِمَهُ الله فِي «صَحِيحه»: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».

وَقَدْ ثبت رُؤْيَة المُؤْمِنِينَ لله ﷻ فِي الدَّار الآخِرَة فِي الأَحَادِيث الصِّحَاح، مِنْ طُرُق مُتَوَاتِرَة عِنْد أَئِمَّة الحَدِيث، لا يُمْكِن دَفْعهَا وَلا مَنْعهَا؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيد وَأَبِي هُرَيْرَة، وَهُمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ هَل نَرَى رَبَّنَا يَوْم القِيَامَة؟ فَقَال: «**هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة الشَّمْس وَالقَمَر لَيْسَ دُونهمَا سَحَاب؟**». قَالُوا: لا. قَال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلك**»(١). وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَرِير قَال: نَظَرَ رَسُول الله ﷺ إِلى القَمَر لَيْلَة البَدْر؛ فَقَال: «**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَر، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلى صَلاة قَبْل طُلُوع الشَّمْس وَلا قَبْل غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»(٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَب آنِيَتهمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّة آنِيَتهمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْن القَوْم وَبَيْن أَنْ يَنْظُرُوا إِلى الله ﷻ إِلاَّ رِدَاء الكِبْرِيَاء عَلى وَجْهه فِي جَنَّة عَدْن**»(٣).

وَفِي أَفْرَاد مُسْلم، عَنْ صُهَيْب، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِذَا دَخَل أَهْل الجَنَّة الجَنَّة؛ قَال: يَقُول الله تَعَالى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّض وُجُوهنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلنَا الجَنَّة وَتُنْجِنَا مِنْ النَّار؟ قَال: فَيَكْشِف الحِجَاب، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَر إِلى رَبِّهِمْ، وَهِيَ الزِّيَادَة**». ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٤). وَفِي أَفْرَاد مُسْلم عَنْ جَابِر فِي حَدِيثه: «**إِنَّ الله يَتَجَلَّى لِلمُؤْمِنِينَ يَضْحَك**»(٥). يَعْنِي فِي عَرَصَات القِيَامَة، فَفِي هَذِهِ الأَحَادِيث أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَنْظُرُونَ إِلى رَبِّهِمْ ﷻ فِي العَرَصَات، وَفِي رَوْضَات الجَنَّات.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، حَدَّثَنَا عَبْد المَلك بْن أَبْجَر، حَدَّثَنَا ثوير بْن أَبِي فَاخِتَة، عَنْ ابْن عُمَر، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّة مَنْزِلة لَيَنْظُر فِي مُلْكه أَلْفَيْ سَنَة، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، يَنْظُر إِلى أَزْوَاجه وَخَدَمه، وَإِنَّ أَفْضَلهمْ مَنْزِلة لَيَنْظُر فِي وَجْه الله كُلّ يَوْم مَرَّتَيْنِ**»(٦). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد، عَنْ شَبَابَة، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ ثوير قَال: «سَمِعْت ابْن عُمَر...». فَذَكَرَهُ، قَال: «رَوَاهُ عَبْد المَلك بْن أَبْجَر، عَنْ ثُوير، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عُمَر، قوله». وَكَذَلكَ رَوَاهُ الثوري، عَنْ ثُوَير، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عمر، ولَمْ يَرْفَعهُ. وَلَوْلا خَشْيَة الإِطَالَة لأَوْرَدْنَا الأَحَادِيث بِطُرُقِهَا وَأَلْفَاظهَا مِنْ الصِّحَاح وَالحِسَان وَالمَسَانِيد وَالسُّنَن، وَلكِنْ ذَكَرْنَا ذَلكَ مُفَرَّقًا فِي مَوَاضِع مِنْ هَذَا «التَّفْسِير»، وبالله التَّوْفِيق.

وَهَذَا بِحَمْدِ الله مُجْمَع عَلَيْهِ بَيْن الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَسَلف هَذِهِ الأُمَّة، كَمَا هُوَ مُتَّفَق عَلَيْهِ بَيْن أَئِمَّة الإِسْلام، وَهُدَاة الأَنَام. وَمَنْ تَأَوَّل ذَلكَ بِأَنَّ المُرَاد: بـ﴿إِلَىٰ﴾ مُفْرَد الآلاء، وَهِيَ النِّعَم، كَمَا قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ مَنْصُور عَنْ مُجَاهِد: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فقَال: تَنْتَظِر الثَّوَاب مِنْ رَبِّهَا. رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ غَيْر وَجْه عَنْ مُجَاهِد. وَكَذَا قَال أَبُو صَالح أَيْضًا فَقَدْ أَبْعَد هَذَا القَائل النُّجْعَة، وَأَبْطَل فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ. وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْله تَعَالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ قَال الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ الله: مَا حَجَبَ الفُجَّار إِلَّا وَقَدْ عَلمَ أَنَّ الأَبْرَار يَرَوْنَهُ ﷻ. ثُمَّ قَدْ تَوَاتَرَتْ الأَخْبَار عَنْ رَسُول الله ﷺ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاق الآيَة الكَرِيمَة، وَهِيَ قَوْله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٤٣٥).
(٣) **صحيح** : تقـدم.
(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٦٦).
(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٩٠).
(٦) **ضعيف** : تقـدم.

إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ، حَدَّثَنَا آدَم، حَدَّثَنَا المُبَارَك، عَنْ الحَسَن: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، قَال: حَسَنَة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قَال: تَنْظُر إِلى الخَالق، وَحُقّ لها أَنْ تَنْضُر وَهِيَ تَنْظُر إِلى الخَالق».

وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: هَذِهِ وُجُوه الفُجَّار تكُون يَوْم القِيَامَة بَاسِرَة. قَال قَتَادَة: كَالحَة. وَقَال السُّدِّيّ: تُغَيِّر أَلوانها. وَقَال ابْن زَيْد: ﴿بَاسِرَةٌ﴾، أَيْ: عَابِسَة. ﴿تَظُنُّ﴾، أَيْ: تَسْتَيْقِن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، قَال مُجَاهِد: دَاهِيَة. وَقَال قَتَادَة: شَرّ. وَقَال السُّدِّيّ: تَسْتَيْقِن أَنَّهَا هَالكَة. وَقَال ابْن زَيْد: تَظُنّ أَنْ سَتَدْخُل النَّار. وَهَذَا المَقَام كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ إِلى قَوْله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، فِي أَشْبَاه ذَلكَ مِنْ الآيَات وَالسِّيَاقَات.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ حَالة الاحْتِضَار وَمَا عنده مِنْ الأَهْوَال -ثَبَّتَنَا الله هناك بِالقَوْل الثَّابِت- فَقَال تَعَالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾، إِنْ جَعَلنَا ﴿كَلَّا﴾ رَدَّاعَة فَمَعْنَاهَا: لسْت يَا بْن آدم هُنَاكَ تَكْذِب بِمَا أُخْبِرْت بِهِ، بَل صَارَ ذَلكَ عِنْدك عِيَانًا. وَإِنْ جَعَلنَاهَا بِمَعْنَى (حَقًّا) فَظَاهِر، أَيْ: حَقًّا إِذَا بَلغَتْ التَّرَاقِي، أَيْ: انْتُزِعَتْ رُوحك مِنْ جَسَدك وَبَلغَتْ تَرَاقِيك. وَالتَّرَاقِي: جَمْع تَرْقُوَة، وَهِيَ العِظَام الَّتِي بَيْن ثُغْرَة النَّحْر وَالعَاتِق، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. وَهَكَذَا قَال هَهُنَا: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾، وَنذْكر هَهُنَا حَدِيث بُسْر بْن جِحَاش الَّذِي تَقَدَّمَ فِي سُورَة «يس»[1]. وَالتَّرَاقِي: جَمْع تَرْقُوَة، وَهِيَ قَرِيبَة مِنْ الحُلقُوم. ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ قَال: عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَيْ مَنْ رَاقٍ يَرْقِي؟ وَكَذَا قَال أَبُو قِلابَة ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾، أَيْ: مِنْ طَبِيب شَافٍ. وَكَذَا قَال قَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نَصْر بْن عَلِيّ، حَدَّثَنَا رَوْح بْن المُسَيِّب أَبُو رَجَاء الكَلبِيّ، حَدَّثَنَا عَمْرو ابْن مَالك، عَنْ أَبِي الجَوْزَاء، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾، قَال: قِيل مَنْ يَرْقَى بِرُوحِهِ مَلائِكَة الرَّحْمَة أَمْ مَلائِكَة العَذَاب؟ فَعَلى هَذَا يَكُون مِنْ كَلام المَلائِكَة.

وبهذا الإسناد، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: [﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾، قَال: التَفَّتْ عَليْهِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة. وَكَذَا قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس][2]: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾، يَقُول: آخِر يَوْم من أيام الدُّنْيَا، وأَوَّل يَوْم مِنْ أَيَّام الآخِرَة، فَتَلتَقِي الشِّدَّة بِالشِّدَّةِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ الله. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾. الأَمْر العَظِيم بِالأَمْرِ العَظِيم. وَقَال مُجَاهِد: بَلاء بِبَلاءٍ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ فِي قَوْله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾: هُمَا سَاقَاك إِذَا التَفَّتَا. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: مَاتَتْ رِجْلاهُ فَلمْ تَحْمِلاهُ، وَقَدْ كَانَ عليهما جَوَّالًا. وَكَذَا قَال السُّدِّيّ، عَنْ أَبِي مَالك. وَفِي رِوَايَة عَنْ الحَسَن: هُوَ لَفّهمَا فِي الكَفَن. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ اجْتَمَعَ عَليْهِ أَمْرَانِ: النَّاس يُجَهِّزُونَ جَسَده، وَالمَلائِكَة يُجَهِّزُونَ رُوحه. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾، أَيْ: المَرْجِع وَالمَآب، وَذَلكَ أَنَّ الرُّوح تُرْفَع إِلى السَّمَوَات، فَيَقُول

---

(١) حسن: تقدم.
(٢) سقط من الأزهرية.

الله ﷻ : «رُدُّوا عَبْدِي إلى الأَرْض، فَإِنِّي مِنهَا خَلقْتهمْ، وَفِيهَا أُعِيدهُمْ، وَمِنْهَا أُخرِجهُمْ تَارَة أُخْرَى». كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيث البَرَاء الطَّوِيل.[1] وَقَدْ قَالَ الله تَعَالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾، هَذَا إِخْبَار عَنْ الكَافِرِ الَّذِي كَانَ فِي الدَّار الدُّنْيَا مُكَذِّبًا لِلحَقِّ بِقَلبِهِ، مُتَوَلِّيًا عَنْ العَمَل بِقَالبِهِ، فَلا خَيْر فِيهِ بَاطِنًا وَلا ظَاهِرًا، وَلهَذَا قَال: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ أي: [جذلاً][2] أشرًا بطرًا كسلانَ، لا همة له ولا عمل، كما قال: ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾. وَقَال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾، أَيْ: يَرْجِع، ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾. وقَال الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾: يَخْتَال. وَقَال قَتَادَة وَزَيْد بْن أَسْلم: يَتَبَخْتَر. قال الله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾. وَهَذَا تَهْدِيد وَوَعِيد أَكِيد منه تَعَالى للكَافِرِ بِهِ المُتَبَخْتِرِ فِي مشيته، أَيْ: يَحِقّ لك أَنْ تَمْشِي هَكَذَا وَقَدْ كَفَرْت بِخَالِقك وَبَارِئك، كَمَا يُقَال فِي مثل هَذَا عَلى سَبِيل التَّهَكُّم وَالتَّهْدِيد. كَقَوْلِهِ: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ . وكقوله: ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾، وكقوله: ﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾. وكقوله: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ إلى غير ذلك. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَحْمَد بْن سِنَان الوَاسِطِيّ، حَدَّثنَا عَبْد الرَّحْمَن -يَعْنِي: ابْن مَهْدِيّ، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة؛ قَال: سَأَلت سَعِيد بْن جُبَيْر، قُلت: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾؟ قَال: قَالهُ النَّبِيّ ﷺ لأَبِي جَهْل، ثُمَّ نَزَل بِهِ القُرْآن.[3]

وَقَال [أَبو عَبْد][4] الرَّحْمَن النَّسَائِيّ: حَدَّثنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثنَا أَبُو النُّعْمَان، حَدَّثنَا أَبُو عَوَانَة /ح/ وَحَدَّثنَا أَبُو دَاوُد: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن سُليْمَان، حَدَّثنَا أَبُو عَوَانَه، عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر؛ قَال: قُلت لابْنِ عَبَّاس: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾؟ قَال: قَالهُ رَسُول الله ﷺ لأَبِي جَهْل ثُمَّ أَنْزَلهُ الله ﷻ.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: وَحَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا هِشَام بْن خَالد، حَدَّثنَا شُعَيْب بن إِسْحَاق، حَدَّثنَا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة قَوْله: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ وَعِيد عَلى إِثْر وَعِيد، كَمَا تَسْمَعُونَ، وَزَعَمُوا أَنَّ عَدُوّ الله أَبَا جَهْل أَخَذَ نَبِيّ الله ﷺ بِمَجَامِع ثِيَابه، ثُمَّ قَال: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ فَقَال عَدُوّ الله أَبُو جَهْل: أَتُوعِدُنِي يَا مُحَمَّد؟ وَالله لا تَسْتَطِيع أَنْتَ وَلا رَبّك شَيْئًا، وَإِنِّي لأَعَزّ مَنْ مَشَى بَيْن جَبَليْهَا. وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾، قَال السُّدِّيّ: يَعْنِي لا يُبْعَث. وَقَال مُجَاهِد، وَالشَّافِعِيّ، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلم: يَعْنِي لا يُؤْمَر وَلا يَنْهَى. وَالظَّاهِر أَنَّ الآيَة تَعُمّ الحَاليْنِ، أَيْ: ليْسَ يُتْرَك فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُهْمَلًا لا يُؤْمَر وَلا يُنْهَى، وَلا يُتْرَك فِي قَبْره سُدًى لا يُبْعَث، بَل هُوَ مَأْمُور مَنْهِيّ فِي الدُّنْيَا، مَحْشُور إِلى الله فِي الدَّار الآخِرَة. وَالمَقْصُود هُنَا إِثْبَات المَعَاد، وَالرَّدّ عَلى مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْ أَهْل الزَّيْغ وَالجَهْل وَالعِنَاد؛ وَلهَذَا قَال مُسْتَدِلًّا عَلى الإِعَادَة بِالبَدَاءَةِ فقال: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾؟ أَيْ: أَمَا كَانَ الإِنْسَان نُطْفَة ضَعِيفَة مِنْ مَاء مَهِين، يُمْنَى: يُرَاق مِنْ الأَصْلاب فِي الأَرْحَام.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾، أَيْ: فَصَارَ عَلقَة، ثُمَّ مُضْغَة، ثُمَّ شُكِّل وَنُفِخَ فِيهِ الرُّوح، فَصَارَ خَلقًا آخر سَوِيًّا سَليم الأَعْضَاء، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى بِإِذْنِ الله وَتَقْدِيره؛ وَلهَذَا قَال: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾. ثم قال: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما

---

(١) صحيح : تقـدم.
(٢) في الأزهرية: [جذلاً].
(٣) صحيح : أخرجه النسائي في «الكبرى» بإسناد صحيح.
(٤) في الأزهرية: [أبو عبيد].

بدأه؟ وتناولُ القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة، وإما مساوية على القولين في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. والأول أشهر كما تقدم في «سورة الروم» بيانه وتقريره، والله أعلم.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، حَدَّثَنَا شَبَابَة عَنْ شُعْبَة، عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة، عَنْ آخَر: أَنَّهُ كَانَ فَوْق سَطْح يَقْرَأ وَيَرْفَع صَوْته بِالقُرْآنِ، فَإِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ قَال: سُبْحَانك اللَّهُمَّ؛ فَبَلى. فَسُئِل عَنْ ذَلكَ فَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول ذَلكَ. وَقَال أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة، قَال: كَانَ رَجُل يُصَلِّي فَوْق بَيْته فَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. قَال؛ سُبْحَانك، فَبَلى. فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلك فَقَال: سَمِعْته مِنْ رَسُول الله ﷺ تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُد وَلَمْ يُسَمِّ هَذَا الصَّحَابِيّ، وَلا يَضُرّ ذَلكَ.

وَقَال أَبُو دَاوُد أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد الزُّهْرِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بْن أُمَيَّة: سَمِعْت أَعْرَابِيًّا: يَقُول سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُون فَانْتَهَى إِلى آخِرهَا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فَلْيَقُل: بَلى، وَأَنَا عَلى ذَلكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ. وَمَنْ قَرَأَ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. فَانْتَهَى إِلى قَوْله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. فَلْيَقُل: بَلى. وَمَنْ قَرَأَ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾. فَبَلَغَ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾. فَلْيَقُل آمَنَّا بِالله»[1]. وَرَوَاهُ أَحْمَد، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ ابْن أَبِي عُمَر عَنْ سُفْيَان ابْن عُيَيْنَةَ. وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَة، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أُمَيَّة؛ قَال: قُلت لهُ: مَنْ حَدَّثَك؟ قَال: رَجُل صِدْق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا بِشْر، حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة قَوْله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟: ذُكِرَ لنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَال: «سُبْحَانك وَبَلى». قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد [الزُّبَيْرِيّ][2]، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ مُسْلم البَطِين، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ أَنَّهُ مَرَّ بِهَذِهِ الآيَة: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، قَال: سُبْحَانك فَبَلى.

آخِر تَفْسِير سُورَة القِيَامَة، ولله الحَمْدُ وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ الإِنسَانِ وهي مكية

ترتيبها ٧٦ — وآياتها ٣١

قَدْ تَقَدَّمَ فِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ فِي صَلاة الصُّبْح يَوْم الجُمُعَة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَة، وَ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾[3]. وَقَال عَبْد الله بْن وَهْب، أَخْبَرَنَا ابْن زَيْد، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾، وَقَدْ أُنْزِلتْ عَليْهِ وَعِنْده رَجُل أَسْوَد، فَلَمَّا بَلغَ صِفَة الجِنَان، زَفَر زَفْرَة فَخَرَجَتْ نَفْسه. فَقَال رَسُول الله ﷺ «أَخْرَجَ نَفْس صَاحِبكُمْ -أَوْ قَال: أَخِيكُمْ- الشَّوْق إِلى الجَنَّة»[4]. مُرْسَل غَرِيب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٤)، وفيه رجل لم يسم، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٧٨٤).
(٢) في الأزهرية: [الزهري].
(٣) صحيح: تقدم.
(٤) مرسل: أخرجه ابن كثير بسند مرسل، وقال: مرسل غريب.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ الإِنْسَان أَنَّهُ أَوْجَدَهُ بَعْد أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا يُذْكَر، لحَقَارَتِهِ، وَضَعْفه، فَقَال: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾. ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾، أَيْ: أَخْلاط. وَالمَشْج وَالمَشِيج: الشَّيْء الخليط، بَعْضه فِي بَعْض. قَال ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾، يَعْنِي: مَاء الرَّجُل وَمَاء المَرْأَة إِذَا اجْتَمَعَا وَاخْتَلطَا، ثُمَّ يَنْتَقِل بَعْدُ مِنْ طَوْر إِلى طَوْر، وَحَال إِلى حَال، وَلوْن إِلى لوْن. وَهَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَالرَّبِيع بْن أَنَس: الأَمْشَاج هُوَ اخْتِلاط مَاء الرَّجُل بِمَاءِ المَرْأَة.

وَقَوْله: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾، أَيْ: نَخْتَبِرهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾، أَيْ: جَعَلنَا لهُ سَمْعًا وَبَصَرًا يَتَمَكَّن بِهِمَا مِنْ الطَّاعَة وَالمَعْصِيَة.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، أَيْ: بَيَّنَّاهُ لهُ وَوَضَّحْنَاهُ وَبَصَّرْنَاهُ بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾، أَيْ: بَيَّنَّا لهُ طَرِيق الخَيْر وَطَرِيق الشَّرّ. وَهَذَا قَوْل عِكْرِمَة، وَعَطِيَّة، وَابْن زَيْد، وَمُجَاهِد -فِي المَشْهُور عَنْهُ- وَالجُمْهُور. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِد، وَأَبِي صَالح، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: يَعْنِي خُرُوجه مِنْ الرَّحِم. وَهَذَا قَوْل غَرِيب، وَالصَّحِيح المَشْهُور الأَوَّل. وَقَوْله: ﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، مَنْصُوب عَلى الحَال مِنْ «الهَاء» فِي قَوْله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: تَقْدِيره فَهُوَ فِي ذَلكَ إِمَّا شَقِيّ وَإِمَّا سَعِيد، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ مُسْلم، عَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**كُلّ النَّاس يَغْدُو، فَبَائِع نَفْسه فَمُوبِقهَا أَوْ مُعْتِقهَا**».[1]

وَتَقَدَّمَ فِي «سُورَة الرُّوم»، عِنْد قَوْله: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ مِنْ رِوَايَة جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنه؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**كُلّ مَوْلُود يُولد عَلى الفِطْرَة حَتَّى يُعْرِب عَنْهُ لسَانه فإذا أعرب عنه لسانه، فإما شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**».[2]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن جَعْفَر، عَنْ عُثْمَان بْن مُحَمَّد، عَنْ المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**مَا مِنْ خَارِج يَخْرُج إِلاَّ بِبَابِهِ رَايَتَان: رَايَة بِيَدِ مَلك، وَرَايَة بِيَدِ شَيْطَان، فَإِنْ خَرَجَ لمَا يُحِبّ الله اتَّبَعَهُ المَلك بِرَايَتِهِ، فَلمْ يَزَل تَحْت رَايَة المَلك حَتَّى يَرْجِع إِلى بَيْته. وَإِنْ خَرَجَ لمَا يُسْخِط الله اتَّبَعَهُ الشَّيْطَان بِرَايَتِهِ، فَلمْ يَزَل تَحْت رَايَة الشَّيْطَان، حَتَّى يَرْجِع إِلى بَيْته**».[3]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ ابْن خُثَيْم، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن سَابِط، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله؛ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال لكَعْبِ بْن عُجْرَة: «**أَعَاذَك الله مِنْ إِمَارَة السُّفَهَاء**». قَال: وَمَا إِمَارَة السُّفَهَاء؟ قَال: «**أُمَرَاء يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلى ظُلمهمْ، فَأُولئِكَ ليْسُوا مِنِّي وَلسْت مِنْهُمْ، وَلا يَرِدُونَ عَلى حَوْضِي، وَمَنْ لمْ يُصَدِّقهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلمْ يُعِنْهُمْ عَلى ظُلمهمْ، فَأُولئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُونَ عَلى حَوْضِي، يَا كَعْب بْن عُجْرَة: الصَّوْم جُنَّة، وَالصَّدَقَة تُطْفِئ الخَطِيئَة، وَالصَّلاة قربان أَوْ قَال: بُرْهَان. يَا كَعْب بْن عُجْرَة: إِنَّهُ لا يَدْخُل الجَنَّة لحْم نَبَتَ مِنْ سُحْت، النَّار أَوْلى بِهِ، يَا كَعْب: النَّاس غَادِيَان، فَمُبْتَاع نَفْسه فَمُعْتِقهَا، وَبَائِع نَفْسه فَمُوبِقهَا**».[4] وَرَوَاهُ عَنْ عَفَّان بْن وُهَيْب عَنْ عَبْد الله بْن عثمان بن خُثَيْم بِهِ.

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) صحيح لغيره : تقدم.
(٣) حسن : أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣).
(٤) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٤٢).

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَمَّا أَرْصَدَهُ للكَافِرِينَ مِنْ خَلقه بِهِ مِنْ السَّلاسِل وَالأَغْلال وَالسَّعِير، وَهُوَ اللهيب وَالحَرِيق فِي نَار جَهَنَّم، كَمَا قَال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾. وَلَمَّا ذَكَرَ مَا أَعَدَّهُ لهَؤُلاءِ الأَشْقِيَاء مِنْ السَّعِير قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، وَقَدْ عُلِمَ مَا فِي الكَافُور مِنْ التَّبْرِيد وَالرَّائِحَة الطَّيِّبَة، مَعَ مَا يُضَاف إِلى ذَلكَ مِنْ اللَّذَاذَة فِي الجَنَّة. قَال الحَسَن: بَرْد الكَافُور فِي طِيب الزَّنْجَبِيل؛ ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي مُزِجَ لهَؤُلاءِ الأَبْرَار مِنْ الكَافُور هُوَ عَيْن يَشْرَب بِهَا المُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَاد الله صَرْفًا بِلا مَزْج وَيُرْوَوْنَ بِهَا؛ وَلهَذَا ضَمَّنَ يَشْرَب مَعْنَى «يَرْوَى» حَتَّى عَدَّاهُ بِالبَاءِ وَنَصَبَ ﴿عَيْنًا﴾ عَلى التَّمْيِيز. قَال بَعْضهمْ: هَذَا الشَّرَاب فِي طِيبه كَالكَافُورِ. وَقَال بَعْضهمْ: هُوَ مِنْ عَيْن كَافُور. وَقَال بَعْضهمْ: يَجُوز أَنْ يَكُون مَنْصُوبًا بـ﴿يَشْرَبُ﴾. حَكَى هَذِهِ الأَقْوَال الثَّلاثَة ابْن جَرِير. وَقَوْله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أَيْ: يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا حَيْثُ شَاءُوا وَأَيْنَ شَاءُوا، مِنْ قُصُورهمْ وَدُورهمْ وَمَجَالسهمْ وَمَحَالّهمْ. وَالتَّفْجِير هُوَ الإِنْبَاع، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾. وَقَال: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَقَتَادَة. وَقَال الثَّوْرِيّ: يَصْرِفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا. وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾، أَيْ: يَتَعَبَّدُونَ لله فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ الطَّاعَات الوَاجِبَة بِأَصْل الشَّرْع، وَمَا أَوْجَبُوهُ عَلى أَنْفُسهمْ بِطَرِيقِ النَّذْر. قَال الإِمَام مَالك، عَنْ طَلحَة بْن عَبْد المَلك الأَيْلِيّ، عَنْ القَاسِم بْن مَالك، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيع الله فَليُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِي الله فَلا يَعْصِهِ**»[1]. رَوَاهُ البُخَارِيّ، مِنْ حَدِيث مَالك. وَيَتْرُكُونَ المُحَرَّمَات الَّتِي نَهَاهُمْ عَنْهَا خِيفَة مِنْ سُوء الحِسَاب يَوْم المَعَاد، وَهُوَ اليَوْم الَّذِي شَرّه مُسْتَطِير، أَيْ: مُنْتَشِر عَامّ عَلى النَّاس إِلَّا مَنْ رَحِمَ الله. قَال ابْن عَبَّاس: فَاشِيًا. وَقَال قَتَادَة: اسْتَطَارَ -وَالله- شَرّ ذَلكَ اليَوْم حَتَّى مَلأَ السَّمَوَات وَالأَرْض. قَال ابْن جَرِير: وَمِنْهُ قَوْلهمْ: اسْتَطَارَ الصَّدْع فِي الزُّجَاجَة وَاسْتَطَال. وَمِنْهُ قَوْل الأَعْشَى:

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الفُؤَا ❁ د صَدْعًا عَلى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

يَعْنِي: مُمْتَدًّا فَاشِيًا. وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، قِيل: عَلى حُبّ الله تَعَالى. وَجَعَلُوا الضَّمِير عَائِدًا إِلى الله ﷻ لدَلالةِ السِّيَاق عَليْهِ. وَالأَظْهَر أَنَّ الضَّمِير عَائِد عَلى الطَّعَام، أَيْ: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَام فِي حَال مَحَبَّتهمْ وَشَهْوَتهمْ لهُ. قَالهُ مُجَاهِد، وَمُقَاتِل، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وَرَوَى البَيْهَقِيّ، مِنْ طَرِيق الأَعْمَش، عَنْ نَافِع؛ قَال: مَرِضَ ابْن عُمَر فَاشْتَهَى عِنَبًا أَوَّل مَا جَاءَ العِنَب، فَأَرْسَلتْ صَفِيَّة -يَعْنِي امْرَأَته- فَاشْتَرَتْ عُنْقُودًا بِدِرْهَم، فَاتَّبَعَ الرَّسُول السَّائِل، فَلَمَّا دَخَل بِهِ قَال السَّائِل: السَّائِل! فَقَال ابْن عُمَر: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ. فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ. ثم أرسلت بِدِرْهَمٍ آخر

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

فَاشْتَرَتْ عُنْقُودًا فَاتَّبَعَ الرَّسُولَ السَّائِلُ، فَلَمَّا دَخَل قَال السَّائِل: السَّائِل! فَقَال ابْن عُمَر: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ. فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَأَرْسَلتْ صَفِيَّةُ إِلى السَّائِل فَقَالت: وَالله إِنْ عُدْت لا تُصِيب مِنْهُ خَيْرًا أَبَدًا. ثُمَّ أَرْسَلتْ بِدِرْهَمٍ آخر فَاشْتَرَتْ بِهِ.

وَفِي الصَّحِيح: «أَفْضَل الصَّدَقَة أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيح، شَحِيح، تَأْمُل الغِنَى وَتَخْشَى الفَقْر»[١]. أَيْ: فِي حَال مَحَبَّتك للمَال وَحِرْصك عَليْهِ وَحَاجَتك إِليْهِ، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أَمَّا المِسْكِين وَاليَتِيم فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانهمَا وَصِفَتهمَا. وَأَمَّا الأَسِير فَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَالحَسَن، وَالضَّحَّاك: الأَسِير مِنْ أَهْل القِبْلة. وَقَال ابْن عَبَّاس: كَانَ أُسَرَاؤُهُمْ يَوْمئِذٍ مُشْرِكِينَ.[٢] وَيَشْهَد لهَذَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَ أَصْحَابه يَوْم بَدْر أَنْ يُكْرِمُوا الأُسَارَى، فَكَانُوا يُقَدِّمُونَهُمْ عَلى أَنْفُسهمْ عِنْد الغَدَاء. وَهَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَطَاء، وَالحَسَن، وَقَتَادَة. وَقَدْ وَصَّى رَسُول الله ﷺ بِالإِحْسَانِ إِلى الأَرِقَّاء فِي غَيْر مَا حَدِيث، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ آخر مَا أَوْصَى أَنْ جَعَل يَقُول: «الصَّلاة وَمَا مَلكَتْ أَيْمَانكُمْ»[٣]. وَقَال عِكْرِمَة: هُمْ العَبِيد -وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير- لعُمُوم الآيَة للمُسْلمِ وَالمُشْرِك. قَال مُجَاهِد: هُوَ المَحْبُوس. أَيْ: يُطْعِمُونَ هؤلاء الطَّعَام وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ، قائلين بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: رَجَاء ثَوَاب الله وَرِضَاهُ، ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، أَيْ: لا نَطْلُب مِنْكُمْ مُجَازَاة تكافئونا بِهَا وَلا أَنْ تَشْكُرُونَا عِنْد النَّاس.

قَال مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر: أَمَا وَالله مَا قَالُوهُ بِأَلسِنَتِهِمْ، وَلكِنْ عَلمَ الله بِهِ مِنْ قُلُوبهِمْ، فَأَثْنَى عَليْهِمْ بِهِ ليَرْغَب فِي ذَلكَ رَاغِب. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، أَيْ: إِنَّمَا نَفْعَل هَذَا لعَلَّ الله أَنْ يَرْحَمنَا وَيَتَلقَّانَا بِلُطْفِهِ، فِي اليَوْم العَبُوس القَمْطَرِير. قَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿عَبُوسًا﴾: ضَيِّقًا، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: طَوِيلًا. وَقَال عِكْرِمَة وَغَيْره، عَنْهُ، فِي قَوْله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ أي: يَعْبَس الكَافِر يَوْمئِذٍ حَتَّى يَسِيل مِنْ بَيْن عَيْنَيْهِ عَرَق مِثْل القَطِرَان. وَقَال مُجَاهِد: ﴿عَبُوسًا﴾، العَابِس الشَّفَتَيْنِ، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قَال: تقبيض الوَجْه بِالبُسُورِ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَقَتَادَة: تَعْبِس فِيهِ الوُجُوه مِنْ الهَوْل، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: تَقْلِيص الجَبِين وَمَا بَيْن العَيْنَيْنِ، مِنْ الهَوْل. وَقَال ابْن زَيْد: العَبُوس: الشَّرّ. وَالقَمْطَرِير: الشَّدِيد. وَأَوْضَح العِبَارَات وَأَجْلاهَا وَأَحْلاهَا، وَأَعْلاهَا وَأَوْلاهَا قَوْل ابْن عَبَّاس رضي الله عنه.

قَال ابْن جَرِير: وَالقَمْطَرِير هُوَ: الشَّدِيد؛ يُقَال: هُوَ يَوْم قَمْطَرِير وَيَوْم قُمَاطِرٌ، وَيَوْم عَصِيب وَعَصَبْصَب، وَقَدْ اقْمَطَرَّ اليَوْم يَقْمَطِرّ اقْمِطْرَارًا، وَذَلكَ أَشَدّ الأَيَّام وَأَطْوَلهَا فِي البَلاء وَالشِّدَّة، وَمِنْهُ قَوْل بَعْضهمْ:

بَنِي عَمِّنَا هَل تَذْكُرُونَ بَلاءَنَا ۞ عَليْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْم قُمَاطِرُ

قَال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وَهَذَا مِنْ بَاب التَّجَانُس البَلِيغ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾، أَيْ: آمَنَهُمْ مما خَافُوا مِنْهُ، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾، أَيْ: فِي وُجُوههمْ، ﴿وَسُرُورًا﴾، أَيْ: فِي قُلُوبهمْ. قَالهُ الحَسَن البَصْرِيّ وَقَتَادَة وَأَبُو العَاليَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس. وَهَذِهِ كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، وَذَلكَ أَنَّ القَلب إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ الوَجْه، قَال كَعْب بْن مَالك فِي حَدِيثه الطَّوِيل: «وَكَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا سُرَّ، اسْتَنَار وَجْهه حَتَّى كَأَنَّهُ قطعة قَمَر»[٤]. وَقَالتْ عَائِشَة رضي الله عنها: «دَخَل عَليّ رَسُول الله ﷺ مَسْرُورًا تَبْرُق أَسَارِير وَجْهه». الحَدِيث.[٥]

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) إسناده حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٩٣).

(٣) صحيح: تقدم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٥٥)، ومسلم (١٤٥٩).

وقوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾، أَيْ: بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ أَعْطَاهُمْ وَنَوَّلَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، أَيْ: مَنْزِلًا رَحْبًا، وَعَيْشًا رَغَدًا، وَلِبَاسًا حَسَنًا. وَرَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة هِشَام بْن سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ قَال: قُرِئَ عَلَى أَبِي سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ سُورَة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾، فَلَمَّا بَلَغَ القَارِئُ إِلَى قَوْله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، قَال: بِمَا صَبَرُوا عَلَى تَرْك الشَّهَوَات فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أَنْشَدَ:

كَمْ قَتِيلٍ لِشَهْوَةٍ وَأَسِيرِ ۞ أُفٍّ مِنْ مُشْتَهًى خِلَافَ الجَمِيلِ

شَهَوَاتُ الإِنْسَانِ تُورِثُهُ الذُّلّ ۞ وَتُلْقِيهِ فِي البَلَاءِ الطَّوِيلِ

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الجَنَّة وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيم المُقِيم، وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ الفَضْل العَمِيم فَقَال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾. وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلَام عَلَى ذَلِكَ فِي «سُورَة الصَّافَّات»، وَذِكْرَ الخِلَاف فِي الاتِّكَاء: هَل هُوَ الاضْطِجَاع، أَوْ التَّمَرْفُق، أَوْ التَّرَبُّع، أَوْ التَّمَكُّن فِي الجُلُوس؟ وَأَنَّ الأَرَائِك هِيَ السُّرُر تَحْت الحِجَال. وَقَوْله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أَيْ: لَيْسَ عِنْدهمْ حَرّ مُزْعِج، وَلا بَرْد مُؤْلِم، بَل هِيَ مِزَاج وَاحِد دَائِم سَرْمَدِيّ، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾، أَيْ: قَرِيبَة إِلَيْهِمْ أَغْصَانهَا، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾، أَيْ: مَتَى تَعَاطَاهُ دَنَا القِطْف إِلَيْهِ وَتَدَلَّى مِنْ أَعْلَى غُصْنه، كَأَنَّهُ سَامِع طَائِع، كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾. وَقَال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: إِنْ قَامَ ارْتَفَعَتْ مَعَهُ بِقَدْرِه، وَإِنْ قَعَدَ تَدَلَّتْ لَهُ حَتَّى يَنَالهَا، وَإِنْ اضْطَجَعَ تَدَلَّتْ لَهُ حَتَّى يَنَالهَا، فَذَلِكَ قَوْله: ﴿تَذْلِيلًا﴾. وَقَال قَتَادَة: لا يَرُدّ أَيْدِيهِمْ عَنْهَا شَوْك وَلا بُعْد. وَقَال مُجَاهِد: أَرْض الجَنَّة مِنْ وَرِق، وَتُرَابهَا المِسْك، وَأُصُول شَجَرهَا مِنْ ذَهَب وَفِضَّة، وَأَفْنَانهَا مِنَ اللُّؤْلُؤ الرَّطْب وَالزَّبَرْجَد وَاليَاقُوت، وَالوَرِق وَالثَّمَر بَيْن ذَلِكَ. فَمَنْ أَكَل مِنْهَا قَائِمًا لَمْ يؤذه، وَمَنْ أَكَل مِنْهَا قَاعِدًا لَمْ يؤذه، وَمَنْ أَكَل مِنْهَا مُضْطَجِعًا لَمْ يؤذه.

وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾، أَيْ: يَطُوف عَلَيْهِمْ الخَدَم بِأَوَانِي الطَّعَام، وَهِيَ مِنْ فِضَّة، وَأَكْوَاب الشَّرَاب وَهِيَ الكِيزَان الَّتِي لا عُرَى لَهَا وَلا خَرَاطِيم. وقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ فالأول مَنْصُوب بِخَبَرِ كَانَ؛ أَيْ: كَانَتْ قَوَارِيرَ. والثاني مَنْصُوب إِمَّا عَلى البَدَلِيَّة، أَوْ تَمْيِيز لأَنَّهُ بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾.

قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن البَصْرِيّ، وَغَيْر وَاحِد: بَيَاض الفِضَّة فِي صَفَاء الزُّجَاج، وَالقَوَارِير لا تَكُون إِلَّا مِنْ زُجَاج. فَهَذِهِ الأَكْوَاب هِيَ مِنْ فِضَّة، وَهِيَ مَعَ هَذَا شَفَّافَة يُرَى مَا فِي بَاطِنهَا مِنْ ظَاهِرهَا، وَهَذَا مِمَّا لا نَظِير لَهُ فِي الدُّنْيَا. قَال ابْن المُبَارَك، عَنْ إِسْمَاعِيل، عَنْ رَجُل، عَنْ ابْن عَبَّاس: لَيْسَ فِي الجَنَّة شَيْء إِلَّا قَدْ أُعْطِيتُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهه إِلَّا قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّة. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَوْله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، أَيْ: عَلَى قَدْر رِيِّهِمْ، لا تَزِيد عَنْهُ وَلا تَنْقُص، بَل هِيَ مُعَدَّة لِذَلِكَ، مُقَدَّرَة بِحَسَبِ رِيّ صَاحِبِهَا. هَذَا مَعْنَى قَوْل ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبِي صَالِح، وَقَتَادَة، وَابْن أَبْزَى، وَعَبْد الله بْن عُبَيْد بْن عُمَيْر، وَقَتَادَة، وَالشَّعْبِيّ، وَابْن زَيْد. وَقَالَهُ ابْن جَرِير وَغَيْر وَاحِد. وَهَذَا أَبْلَغ فِي الاعْتِنَاء وَالشَّرَف وَالكَرَامَة. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، قُدِّرَتْ لِلكَفّ. وَهَكَذَا قَال الرَّبِيع بْن أَنَس. وَقَال الضَّحَّاك: عَلى قَدْر كَفّ الخُدَّام. وَهَذَا لا يُنَافِي القَوْل الأَوَّل، فَإِنَّهَا مُقَدَّرَة فِي القَدْر وَالرِّيّ.

وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾، أَيْ: وَيُسْقَوْنَ -يَعْنِي الأَبْرَار أَيْضًا- فِي هَذِهِ الأَكْوَاب ﴿كَأْسًا﴾، أَيْ: خَمْرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ فَتَارَة يُمْزَج لَهُمْ الشَّرَاب بِالكَافُورِ وَهُوَ بَارِد، وَتَارَة بِالزَّنْجَبِيل وَهُوَ حَارّ، لِيَعْتَدِل الأَمْر، وَهَؤُلاءِ يُمْزَج لَهُمْ مِنْ هَذَا تَارَة وَمِنْ هَذَا تَارَة. وَأَمَّا المُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ كُلّ مِنْهُمَا صِرْفًا، كَمَا قَالَهُ قَتَادَة وَغَيْر وَاحِد. وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾، وَقَال هَاهُنَا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾، أَيْ: الزَّنْجَبِيل عَيْن فِي الجَنَّة تُسَمَّى سَلسَبِيلاً. قَال عِكْرِمَة: اسْم عَيْن فِي الجَنَّة. وَقَال مُجَاهِد: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلاسَةِ سيلها وَحِدَّة جَرْيهَا. وَقَال قَتَادَة: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾: عَيْن سَلِسَة مُسْتَقِيد مَاؤُهَا. وَحَكَى ابْن جَرِير عَنْ بَعْضهمْ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلاسَتِهَا فِي الحَلق. وَاخْتَارَ هُوَ أَنَّهَا تَعُمّ ذَلِكَ كُلّه، وَهُوَ كَمَا قَال.

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾، أَيْ: يَطُوف عَلى أَهْل الجَنَّة لِلخِدْمَةِ وِلدَان مِنْ وِلدَان الجَنَّة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾، أَيْ: عَلى حَالَة وَاحِدَة مُخَلَّدُونَ عَلَيْهَا، لا يَتَغَيَّرُونَ عَنْهَا، لا تَزِيد أَعْمَارهمْ عَنْ تِلكَ السِّنّ. وَمَنْ فَسَّرَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُخَرَّصُونَ فِي آذَانهمْ الأَقْرِطَة، فَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْ المَعْنَى بِذَلِكَ، لأَنَّ الصَّغِير هُوَ الَّذِي يَلِيق لهُ ذَلِكَ دُون الكَبِير. وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾، أَيْ: إِذَا رَأَيْتهمْ فِي انْتِشَارهمْ فِي قَضَاء حَوَائِج السَّادَة، وَكَثْرَتهمْ، وَصَبَاحَة وُجُوههمْ، وَحُسْن أَلْوَانهمْ وَثِيَابهمْ وَحُلِيّهمْ، حَسِبْتهمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا. وَلا يَكُون فِي التَّشْبِيه أَحْسَن مِنْ هَذَا، وَلا فِي المَنْظَر أَحْسَن مِنْ اللُّؤْلُؤ المَنْثُور عَلى المَكَان الحَسَن. قَال قَتَادَة، عَنْ أَبِي أَيُّوب، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو: مَا مِنْ أَهْل الجَنَّة مِنْ أَحَد إِلَّا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلف خَادِم، كُلّ خَادِم عَلى عَمَل مَا عَلَيْهِ صَاحِبه.

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾، أي: وإذا رأيت يَا مُحَمَّد ﴿ثَمَّ﴾، أَيْ: هُنَاكَ، يَعْنِي فِي الجَنَّة وَنَعِيمهَا وَسَعَتهَا وَارْتِفَاعهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الحَبْرَة وَالسُّرُور، ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، أَيْ: مَمْلَكَة لله هُنَاكَ عَظِيمَة وَسُلطَانًا بَاهِرًا. وَثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ الله تَعَالى يَقُول لآخِر أَهْل النَّار خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِر أَهْل الجَنَّة دُخُولاً إِلَيْهَا: «إِنَّ لك مِثْل الدُّنْيَا وَعَشَرَة أَمْثَالهَا».[1]

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الحَدِيث المَرْوِيّ مِنْ طَرِيق ثُوَيْر بْن أَبِي فَاخِتَة، عَنْ ابْن عُمَر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّة مَنْزِلَة لَمَنْ يَنْظُر فِي مُلكه مَسِيرَة أَلفَي سَنَة يَنْظُر إِلى أَقْصَاهُ كَمَا يَنْظُر إِلى أَدْنَاهُ»**[2]. فَإِذَا كَانَ هَذَا عَطَاؤُهُ تَعَالى لأَدْنَى مَنْ يَكُون فِي الجَنَّة فَمَا ظَنّك بِمَا هُوَ أَعْلى مَنْزِلَة، وَأَحْظَى عِنْده تَعَالى. وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ هَاهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا جِدًّا فَقَال: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد العَزِيز، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمَّار المَوْصِلِيّ، حَدَّثَنَا عُقْبَة بْن سَالِم، عَنْ أَيُّوب بْن عُتْبَة، عَنْ عَطَاء، عَنْ ابْن عُمَر قَال: جَاءَ رَجُل مِنْ الحَبَشَة إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: **«سَل وَاسْتَفْهِمْ»**. فَقَال: يَا رَسُول الله، فُضِّلتُمْ عَلَيْنَا بِالصُّوَرِ وَالأَلْوَان وَالنُّبُوَّة، أَفَرَأَيْت إِنْ آمَنْتُ بِمَا آمَنْت بِهِ وَعَمِلت بِمَا عَمِلت بِهِ، إِنِّي لَكَائِن مَعَك فِي الجَنَّة؟ قَال: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُرَى بَيَاض الأَسْوَد فِي الجَنَّة مِنْ مَسِيرَة أَلف عَام». ثُمَّ قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ قَال: لا إِله إلاَّ الله، كَانَ لهُ بِهَا عَهْدٌ عِنْد الله، وَمَنْ قَال: سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ، كُتِبَ لهُ مِائَة أَلف حَسَنَة، وَأَرْبَعَة وَعِشْرُونَ أَلف حَسَنَة». فَقَال رَجُل: كَيْف نَهْلك بَعْد هَذَا يَا رَسُول الله؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُل لَيَأْتِي يَوْم القِيَامَة بِالعَمَل لوْ وُضِعَ عَلى جَبَل لأَثْقَلهُ، فَتَقُوم النِّعْمَة -أَوْ: نِعَم الله- فَتَكَاد تَسْتَنْفِد ذَلكَ كُلّه إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَهُ الله بِرَحْمَتِهِ»[3]. وَنَزَلتْ هَذِهِ السُّورَة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ إِلى قَوْله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾. فَقَال الحَبَشِيّ: وَإِنَّ عَيْنِي لَتَرَى مَا تَرَى عَيْنَاك فِي الجَنَّة؟ قَال: «نَعَمْ». فَاسْتَبْكَى حَتَّى فَاضَتْ نَفْسه. قَال ابْن عُمَر: فلقد رَأَيْت رَسُول الله ﷺ يُدَلِّيه فِي حُفْرَته بِيَدِهِ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٨).
(٢) ضعيف: تقدم.
(٣) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٦/ ١٣٥٩٥)، وفيه أيوب بن عتبة: ضعيف، وعطاء لم يسمع من ابن عمر.

وقوله: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أَيْ: لباس أَهْل الجَنَّة فِيهَا الحَرِير، وَمِنْهُ سُنْدُس، وَهُوَ رَفِيع الحَرِير كَالقُمْصَانِ وَنَحْوهَا مِمَّا يَلِي أَبْدَانهم، وَالإِسْتَبْرَق مِنْهُ مَا فِيهِ بَرِيق وَلَمَعَان، وَهُوَ مِمَّا يَلِي الظَّاهِر، كَمَا هُوَ المَعْهُود فِي اللِّبَاس، ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وَهَذِهِ صِفَة الأَبْرَار، وَأَمَّا المُقَرَّبُونَ فَكَمَا قَال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾. وَلَـمَّا ذَكَرَ تَعَالى زِينَة الظَّاهِر بِالحَرِيرِ وَالحُلِيّ قَال بَعْده: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، أَيْ: طَهَّرَ بَوَاطِنهمْ مِنْ الحَسَد وَالحِقْد وَالغِلّ وَالأَذَى وَسَائِر الأَخْلاق الرديّة، كَمَا رُوِّينَا عَنْ أَمِير المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رضي الله عنه أَنَّهُ قَال: إِذَا انْتَهَى أَهْل الجَنَّة إِلَى بَاب الجَنَّة وَجَدُوا هُنَالِكَ عَيْنَيْنِ فَكَأَنَّمَا أُلْهِمُوا ذَلِكَ فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا، فَأَذْهَبَ الله مَا فِي بُطُونهمْ مِنْ أَذًى، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنْ الأُخْرَى، فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَة النَّعِيم.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾، أَيْ: يُقَال لَهُمْ ذَلِكَ تَكْرِيمًا لَهُمْ وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، كقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وَقَوْله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾، أَيْ: جَزَاكُمْ الله عَلَى القَلِيل بِالكَثِيرِ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

يقول تعالى ممتنًا عَلَى رَسُوله ﷺ بِمَا نَزَّلَهُ عَلَيْهِ مِنْ القُرْآن العَظِيم تَنْزِيلًا: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، أَيْ: كَمَا أكرمتك بِمَا أنزلت عَلَيْك، فَاصْبِرْ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَره، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيُدَبِّرك بِحُسْنِ تَدْبِيره، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، أَيْ: لا تُطِعْ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ إِنْ أَرَادُوا صَدَّكَ عَمَّا أُنْزِل إِلَيْك، بَل بَلِّغْ مَا أُنْزِل إِلَيْك مِنْ رَبّك، وَتَوَكَّل عَلَى الله، فَإِنَّ الله يَعْصِمك مِنْ النَّاس. فَالآثِم هُوَ الفَاجِر فِي أَفْعَاله، وَالكَفُور هُوَ الكَافِر قَلْبه. ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، أَيْ: أَوَّل النَّهَار وَآخِره. ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾. كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾. ثُمَّ قَال تَعَالى مُنْكِرًا عَلَى الكُفَّار وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ فِي حُبّ الدُّنْيَا وَالإِقْبَال عَلَيْهَا وَالانْصِبَاب إِلَيْهَا، وَتَرْك الدَّار الآخِرَة وَرَاء ظُهُورهمْ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾، يَعْنِي يَوْم القِيَامَة. ثم قال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾.

قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد: يَعْنِي خَلقهمْ. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾، أَيْ: وَإِذَا شِئْنَا بَعَثْنَاهُمْ يَوْم القِيَامَة، وَبَدَّلْنَاهُمْ فَأَعَدْنَاهُمْ خَلقًا جَدِيدًا. وَهَذَا اسْتِدْلال بِالبَدَاءَةِ عَلَى الرَّجْعَة. وَقَال [ابْن زَيْد][1]، وَابْن جَرِير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: وَإِذَا شِئْنَا أَتَيْنَا بِقَوْم آخَرِينَ غَيْرهمْ. كَقَوْلِهِ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ يَعْنِي هَذِهِ السُّورَة ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، أَيْ: طَرِيقًا وَمَسْلكًا، أَيْ: مَنْ شَاءَ اهْتَدَى بِالقُرْآنِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾. ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾، أَيْ: لا يَقْدِر أَحَد أَنْ يَهْدِي نَفْسه، وَلا يَدْخُل فِي الإِيمَان وَلا

---

(١) في الأزهرية: [أبو زيد].

يَجُرّ لنفسِهِ نَفْعًا، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، [أَيْ: عَليم بِمَنْ يَسْتَحِقّ الهِدَايَة فَيُيَسِّرهَا لهُ، وَيُقَيِّض لهُ أَسْبَابهَا، وَمَنْ يَسْتَحِقّ الغِوَايَة فَيَصْرِفهُ عَنْ الهُدَى، وَلهُ الحِكْمَة البَالغَة، وَالحُجَّة الدَّامِغَة، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.][1] ثم قال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾، أَيْ: يَهْدِي مَنْ يَشَاء وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء، ومن يَهْدِهِ فَلا مُضِلّ لهُ، وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لهُ.

آخِر تَفْسِير سُورَة الإِنْسَان

تفسير سُورَةُ المُرْسَلاتِ وهي مكية

ترتيبها ٧٧ — وآياتها ٥٠

قَال البُخَارِيّ: حدثنا عُمَر بْن حَفْص بْن غِيَاث، حدثنا أبي، حدثنَا الأَعْمَش، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيم، عَنْ الأَسْوَد عَنْ عَبْد الله -هُوَ ابْن مَسْعُود رضي الله عنه- قَال: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي غَار بِمِنًى، إِذْ نَزَلتْ عَليْهِ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ﴾، فَإِنَّهُ ليَتْلُوهَا وَإِنِّي لأَتَلقَّاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لرَطْب بِهَا، إِذْ وَثَبَتَ عَليْنَا حَيَّة، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**اقْتُلُوهَا**». فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**وُقِيَتْ شَرّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرّهَا**».[2] وَأَخْرَجَهُ مُسْلم أَيْضًا، مِنْ طَرِيق الأَعْمَش. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حدثنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُبَيْد الله، عَنْ ابْن عَبَّاس، عَنْ أُمّه: أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيّ ﷺ يَقْرَأ فِي المَغْرِب بِالمُرْسَلاتِ عُرْفًا.[3] وَفِي رِوَايَة مَالك، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُبَيْد الله، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ أُمّ الفَضْل سَمِعَتْهُ يَقْرَأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾. فَقَالت: يَا بُنَيّ، ذَكَّرتنِي بِقِرَاءَتِك هَذِهِ السُّورَة، إِنَّهَا لآخِر مَا سَمِعْت مِنْ رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ بِهَا فِي المَغْرِب.[4] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ طَرِيق مَالك بِهِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثنَا أَبِي، حدثنَا زَكَرِيَّا بْن سَهْل المَرْوَزِيّ، حدثنَا عَليّ بْن الحَسَن بْن شَقِيق، أخبرنا الحُسَيْن بْن وَاقِد، حدثنَا الأَعْمَش، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾، قَال: المَلائِكَة. قَال: وَرُوِيَ عَنْ مَسْرُوق، وَأَبِي الضُّحَى، وَمُجَاهِد -فِي إِحْدَى الرِّوَايَات- وَالسُّدِّيّ، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، مِثْل ذَلكَ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي صَالح أَنَّهُ قَال: هِيَ الرُّسُل. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: هِي المَلائِكَة. وَهَكَذَا قَال [أَبُو صَالح][5] فِي: ﴿العَاصِفَاتِ﴾، و﴿ٱلنَّـٰشِرَٰتِ﴾، و﴿الفَارِقَاتِ﴾، و﴿المُلْقِيَاتِ﴾: إِنَّهَا المَلائِكَة. قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ سَلمَة بْن كُهَيْل، عَنْ مُسْلم البَطِين، عَنْ أَبِي العُبَيْدَيْنِ قَال: سَأَلت ابْن مَسْعُود عَنْ ﴿ٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾، قَال: الرِّيح. وكذا قال في: ﴿فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: إنها الريح. وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَأَبُو صَالح -فِي رِوَايَة عَنْهُ-، وَتَوَقَّفَ ابْن جَرِير فِي ﴿ٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا﴾، هَل هِيَ المَلائِكَة إِذَا أُرْسِلتْ بِالعُرْفِ، أَوْ كَعُرْفِ الفَرَس يَتْبَع بَعْضهمْ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٣٠)، ومسلم (٢٢٣٤).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٦٤٢).
(٥) في الأزهرية: [ابن صالح].

بَعْضًا؟ أَوْ: هِيَ الريح إِذَا هَبَّتْ شَيْئًا فَشَيْئًا؟ وَقَطَعَ بِأَنَّ ﴿الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ هي الرِّيَاح، كَمَا قَالَهُ ابْن مَسْعُود وَمَنْ تَابَعَهُ. وَمِمَّنْ قَال ذَلِكَ فِي العَاصِفَات أَيْضًا: عَلِيّ بْن أَبِي طَالب، وَالسُّدِّيّ. وَتَوَقَّفَ فِي ﴿ٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾، هَل هِيَ المَلائِكَة أَوْ الرِّيح؟ كَمَا تَقَدَّمَ. وَعَنْ أَبِي صَالح: أَنَّ النَّاشِرَات نَشْرًا: المَطَر. وَالأَظْهَر أَنَّ ﴿ٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ هِيَ الرِّيَاح، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾. وَقَال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾. وَهَكَذَا العَاصِفَات هِيَ: الرِّيَاح، يُقَال: عَصَفَتْ الرِّيَاح إِذَا هَبَّتْ بِتَصْوِيتٍ. وكذا الناشرات هِيَ: الرِّيَاح الَّتِي تَنْشُر السَّحَاب فِي آفَاق السَّمَاء، كَمَا يَشَاء الرَّبّ ﷻ.

وقوله: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾، يَعْنِي: المَلائِكَة. قَالَهُ ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَمَسْرُوق، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالسُّدِّيّ، وَالثَّوْرِيّ. وَلا خِلاف هَاهُنَا؛ فَإِنَّهَا تَنْزِل بِأَمْرِ الله عَلَى الرُّسُل، تَفْرُق بَيْن الحَقّ وَالبَاطِل، وَالهُدَى وَالغَيّ، وَالحَلال وَالحَرَام، وتُلْقِي إِلَى الرُّسُل وَحْيًا فِيهِ إِعْذَار إِلَى الخَلق، وَإِنْذَار لَهُمْ عِقَاب الله إِنْ خَالَفُوا أَمْره. وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾: هَذَا هُوَ المُقْسَم عَلَيْهِ بِهَذِهِ الأَقْسَام، أَيْ: مَا وُعِدْتُمْ بِهِ مِنْ قِيَام السَّاعَة، وَالنَّفْخ فِي الصُّور، وَبَعْث الأَجْسَاد، وَجَمْع الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيد وَاحِد، وَمُجَازَاة كُلّ عَامِل بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ، إِنَّ هَذَا كُلّه ﴿لَوَٰقِعٌ﴾، أَيْ: لَكَائِن لا مَحَالة. ثم قال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، أَيْ: ذَهَبَ ضَوْؤُها، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾. وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾، أَيْ: انْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ، وَتَدَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا، وَوَهَتْ أَطْرَافهَا.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾، أَيْ: ذُهِبَ بِهَا، فَلا يَبْقَى لَهَا عَيْن وَلا أَثَر، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾. وَقَال تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾، قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: جُمِعَتْ. وَقَال ابْن زَيْد: وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾. وَقَال مُجَاهِد: ﴿أُقِّتَتْ﴾: أُجِّلتْ. وَقَال الثَّوْرِيّ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ إِبْرَاهِيم: ﴿أُقِّتَتْ﴾: أُوعِدَتْ. وَكَأَنَّهُ يَجْعَلهَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. ثم قال: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، يَقُول تَعَالَى: لأَيِّ يَوْم أُجِّلتْ الرُّسُل وَأُرْجِئ أَمْرهَا؟ حَتَّى تَقُوم السَّاعَة، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. وَهُوَ يَوْم الفَصْل، كَمَا قَال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾. ثم قال معظمًا لشأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَيْ: وَيْل لهم من عذاب الله غدًا. وقد قدمنا في الحديث أن «ويل» وادٍ في جهنم. ولا يصح.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يَعْنِي مِنَ المُكَذِّبِينَ للرُّسُل المُخَالِفِينَ لَمَا جَاءُوهُمْ بِهِ، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ أَيْ: مِمَّنْ أَشْبَهَهُمْ. ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ قاله ابن جرير. ثم قال ممتنًا على خلقه ومحتجًا على الإعادة بالبَداءة: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أَيْ: ضَعِيف حَقِير بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَة البَارِئ ﷻ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة ﴿يسٓ﴾ فِي حَدِيث بُسْر بْن جِحَاش: «ابْنَ آدَمَ، أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟!»[1].

---

(١) صحيح: تقـدم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يَعْنِي: جَمَعْنَاهُ فِي الرَّحِم، وَهُوَ قَرَار المَاء مِنَ الرَّجُل وَالمَرْأَة، وَالرَّحِم مُعَدّ لذَلك، حَافِظ لمَا أُودِعَ فِيهِ مِنْ المَاء. وقوله: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، يعنى إلى مُدَّة مُعَيَّنَة مِنْ سِتَّة أَشْهُر أَوْ تِسْعَة أَشْهُر. ولهذا قال: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ثم قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾، قَال ابْن عَبَّاس: ﴿كِفَاتًا﴾: كِنًّا. وَقَال مُجَاهِد: يُكْفَت المَيِّت فَلا يُرَى مِنْهُ شَيْء. وَقَال الشَّعْبِيّ: بَطْنهَا لأَمْوَاتِكُمْ، وَظَهْرهَا لأَحْيَائِكُمْ. وكذا قال مجاهد وقتادة. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾، يَعْنِي: الجِبَال رَسَّى بِهَا الأَرْض لئَلَّا تَمِيد وَتَضْطَرِب. ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾: عَذْبًا زُلالًا مِنْ السَّحَاب، أَوْ مِمَّا أَنْبَعَهُ مِنْ عُيُون الأَرْض. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، أَيْ: وَيْل لمَنْ تَأَمَّل هَذِهِ المَخْلُوقَات الدَّالَّة عَلى عَظَمَة خَالقهَا، ثُمَّ بَعْد هَذَا يَسْتَمِرّ عَلى تَكْذِيبه وَكُفْره.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

يَقُول تَعَالى مخاطبًا للكفار المُكَذِّبِينَ بِالمَعَادِ وَالجَزَاء وَالجَنَّة وَالنَّار، أَنَّهُمْ يُقَال لهُمْ يَوْم القِيَامَة: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾، يَعْنِي: لهَب النَّار إِذَا ارْتَفَعَ وَصَعِدَ مَعَهُ دُخَان، فَمِنْ شِدَّته وَقُوَّته أَنَّ لهُ ثَلاث شُعَب، ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾، أَيْ: ظِلّ الدُّخَان المُقَابِل للَّهَبِ لا ظَلِيل هُوَ فِي نَفْسه، وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَب، يَعْنِي وَلا يَقِيهِمْ حَرّ اللَّهَب. وقوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾، أَيْ: يَتَطَايَر الشَّرَر مِنْ لهَبهَا كَالقَصْرِ. قَال ابْن مَسْعُود: كَالحُصُونِ. وَقَال ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة، وَمُجَاهِد، وَمَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم، وَغَيْرهمْ: يَعْنِي أُصُول الشَّجَر. ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾، أَيْ: كَالإِبِل السُّود. قَالهُ مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَعَنْ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾، يَعْنِي: حِبَال السُّفُن. وَعَنْهُ -أَعْنِي ابْن عَبَّاس-: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ قِطَع نُحَاس. وَقَال البُخَارِيّ: حدثنَا عَمْرو بْن عَليّ، حدثنَا يَحْيَى، أخبرنا سُفْيَان، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَابِس، قَال: سَمِعْت ابْن عَبَّاس: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾، قَال: كُنَّا نَعْمِد إِلى الخَشَبَة ثَلاثَة أَذْرُع وَفَوْق ذَلك، فَنَرْفَعهُ للشتاء، فَنُسَمِّيه القَصْر[1]، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾: حِبَال السُّفُن، تُجْمَع حَتَّى تَكُون كَأَوْسَاطِ الرِّجَال. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾، أَيْ: لا يَتَكَلَّمُونَ. ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، أَيْ: لا يَقْدِرُونَ عَلى الكَلام، وَلا يُؤْذَن لهُمْ فِيهِ ليَعْتَذِرُوا، بَل قَدْ قَامَتْ عَليْهِمْ الحُجَّة وَوَقَعَ القَوْل عَليْهِمْ بِمَا ظَلمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ. وَعَرَصَات القِيَامَة حَالات، وَالرَّبّ تَعَالى يُخْبِر عَنْ هَذِهِ الحَالة تَارَة، وَعَنْ هَذِهِ الحَالة تَارَة ليَدُلّ عَلى شِدَّة الأَهْوَال وَالزَّلازِل يَوْمئِذٍ.

ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾، وَهَذِهِ مُخَاطَبَة مِنْ الخَالق لعِبَادِهِ يَقُول لهُمْ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾، يَعْنِي: أَنَّهُ جَمَعَهُمْ بِقُدْرَتِهِ فِي صَعِيد وَاحِد، يُسْمِعهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذهُمْ البَصَر. وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾: تَهْدِيد شَدِيد وَوَعِيد أَكِيد، أَيْ: إِنْ قَدَرْتُمْ عَلى أَنْ تَتَخَلَّصُوا مِنْ قَبْضَتِي، وَتَنْجُوا مِنْ حُكْمِي فَافْعَلُوا، فَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلى ذَلك، كَمَا قَال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾. وَقَدْ قَال تَعَالى: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ﴾. وَفِي الحَدِيث: **«يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَلنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي»**.[2]

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٣٣).
(٢) **ضعيف**: تقـدم.

وَقَدْ قَال ابن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا عَلِيّ بن المُنْذِر الطَّرِيقِيّ الأَوْدِيّ، حدثَنَا مُحَمَّد بن فُضَيْل، حدثَنَا حُصَيْن بن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ حَسَّان بن أَبِي المُخَارِق، عَنْ أَبِي عَبْد الله الجَدَلِيّ قَال: أَتَيْت بَيْت المَقْدِس، [فَإِذَا عُبَادَة بن الصَّامِت وَعَبْد الله بن عَمْرو، وَكَعْب الأَحْبَار يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْت المَقْدِس](1)، فَقَال عُبَادَة: إِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة جَمَعَ الله الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ بِصَعِيد وَاحِد، يَنْفُذُهُمْ البصر وَيُسْمِعهُمْ الدَّاعِي، وَيَقُول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾، اليَوْم لا يَنْجُو مِنِّي جَبَّار عَنِيد، وَلا شَيْطَان مَرِيد. فَقَال عَبْد الله ابْن عَمْرو: فَإِنَّا، نُحَدَّث يَوْمئِذٍ أنه يَخْرج عُنُق مِنْ النَّار فَتَنْطَلق حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْن ظَهْرَانَيْ النَّاس نَادَتْ: أَيّهَا النَّاس، إِنِّي بُعِثْت إِلَى ثَلاثَة أَنَا أَعْرَف بِهِمْ مِنْ الأَب بِوَلَدِهِ وَمِنْ الأَخ بِأَخِيهِ، لا يُغَيِّبُهُمْ عَنِّي وِزْر، وَلا تُخْفِيهِمْ عَنِّي خَافِيَة: الَّذِي جَعَل مَعَ الله إِلَهًا آخَر، وَكُلّ جَبَّار عَنِيد، وَكُلّ شَيْطَان مَرِيد، فَتَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَتَقْذِف بِهِمْ فِي النَّار قَبْل الحِسَاب بِأَرْبَعِينَ سَنَة.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عِبَاده المُتَّقِينَ الَّذِينَ عَبَدُوهُ بِأَدَاءِ الوَاجِبَات، وَتَرْك المُحَرَّمَات: إِنَّهُمْ يَوْم القِيَامَة يَكُونُونَ فِي جَنَّات وَعُيُون، أَيْ: بِخِلافِ مَا أُولَئِكَ الأَشْقِيَاء فِيهِ، مِنْ ظِلّ اليَحْمُوم، وَهُوَ: الدُّخَان الأَسْوَد المُنْتِن. ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾، أَيْ: ومِنْ سَائِر أَنْوَاع الثِّمَار، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يُقَال لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيل الإِحْسَان إِلَيْهِمْ. ثم قال تعالى مخبرًا خَبَرًا مُسْتَأْنَفًا: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أَيْ هَذَا جَزَاؤُنَا لِمَنْ أَحْسَنَ العَمَل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. وقوله: [﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمرهم أمر تهديد ووعيد، فقال تعالى:](2) ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾، أَيْ: مُدَّة قَلِيلَة قَرِيبَة قَصِيرَة، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، أَيْ: ثُمَّ تُسَاقُونَ إِلَى نَار جَهَنَّم الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرهَا، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾، أَيْ: إِذَا أُمِرَ هَؤُلاءِ الجَهَلَة مِنْ الكُفَّار أَنْ يَكُونُوا مِنْ المُصَلِّينَ مَعَ الجَمَاعَة، امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهُ. ولهذا قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ثم قال: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾، أَيْ: إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا القُرْآن فَبِأَيِّ كَلام يُؤْمِنُونَ بِهِ؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا ابْن أَبِي عُمَر، حدثَنَا سُفْيَان، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أُمَيَّة: سَمِعْت رَجُلًا أَعْرَابِيًّا بَدَوِيًّا يَقُول: سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة يَرْوِيه إِذَا قَرَأَ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، فَقَرَأَ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾، فَلْيَقُل: آمَنْت بِالله وَبِمَا أَنْزَل.(3) وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الحَدِيث فِي «سُورَة القِيَامَة».

آخِر تَفْسِير سُورَة «والمرسلات»، وَلله الحَمْدُ وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

---

(1) سقط من الأزهرية.
(2) سقط من الأزهرية.
(3) ضعيف: تقدم.

تفسير سُورَةُ النَّبَإِ وهي مكية

ترتيبها ٧٨ — وآياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى الْمُشْرِكِينَ فِي تَسَاؤُلِهِمْ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْكَارًا لِوُقُوعِهَا: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أَيْ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيم، يَعْنِي: الْخَبَرَ الْهَائِلَ الْمُفْظِعَ الْبَاهِرَ. قَال قَتَادَة، وَابْن زَيْد: النَّبَأُ الْعَظِيم: الْبَعْث بَعْد الْمَوْت. وَقَال مُجَاهِد: هُوَ الْقُرْآن. والأظهر الأول لقوله: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾، يَعْنِي: النَّاس فِيهِ عَلى قَوْلَيْنِ مُؤْمِن بِهِ وَكَافِر. ثم قال تعالى متوعدًا لمنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، وَهَذَا تَهْدِيد شَدِيد وَوَعِيد أَكِيد. ثم شَرَعَ تَعَالى يُبَيِّن قُدْرَته الْعَظِيمَة، عَلى خَلق الأَشْيَاء الْغَرِيبَة وَالأُمُور الْعَجِيبَة، الدَّالَّة عَلى قُدْرَته عَلى مَا يَشَاء مِنْ أَمْر الْمَعَاد وَغَيْره، فَقَال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾؟ أَيْ: مُمَهَّدَة لِلْخَلَائِقِ ذَلُولًا لَهُمْ، قَارَّة سَاكِنَة ثَابِتَة، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، أَيْ: جَعَلَهَا لَهَا أَوْتَادًا أَرْسَاهَا بِهَا وَثَبَّتَهَا وَقَرَّرَهَا حَتَّى سَكَنَتْ وَلَمْ تَضْطَرِب بِمَنْ عَلَيْهَا. ثم قال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى يستمتع كُلّ مِنْهُمَا بِالآخَرِ، وَيَحْصُل التَّنَاسُل بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾، أَيْ: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ لتحصلَ الراحةُ من كثرة التَّرْدادِ والسَّعي في المعايش في عرض النهار. وقد تقدم مثل هذه الآية في «سورة الفرقان». ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أَيْ: يَغْشَى النَّاس ظَلامه وَسَوَاده، كَمَا قَال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، وَقَال الشَّاعِر:

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ ۞ لَهُ مِنْ خَذَا آذَانِهَا وَهْوَ جَانِحُ

وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أَيْ: سَكَنًا. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، أَيْ: جَعَلْنَاهُ مُشْرِقًا منيرًا مُضِيئًا، لِيَتَمَكَّن النَّاس مِنْ التَّصَرُّف فِيهِ وَالذَّهَاب وَالْمَجِيء لِلْمَعَاشِ وَالتَّكَسُّب وَالتِّجَارَات، وَغَيْر ذَلِكَ.

وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾، يَعْنِي: السَّمَوَات السَّبْع، فِي اتِّسَاعهَا وَارْتِفَاعِهَا وَإِحْكَامهَا وَإِتْقَانهَا، وَتَزْيِينهَا بِالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِت وَالسَّيَّارَات؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، يَعْنِي: الشَّمْس الْمُنِيرَة عَلى جَمِيع الْعَالَم الَّتِي يَتَوَهَّج ضَوْؤُها لأَهْل الأَرْض كُلّهمْ. وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قَال الْعَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: الرِّيح.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حدثَنَا أَبُو سَعِيد، حدثنَا أَبُو دَاوُد الْحَفَرِيّ، عَنْ سُفْيَان، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ الْمِنْهَال، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، قَال: الرِّيَاح، وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَمُقَاتِل، وَالْكَلْبِيّ، وَزَيْد بْن أَسْلم، وَابنه عَبْد الرَّحْمَن: إِنَّهَا الرِّيَاح. وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْل أَنَّهَا تَسْتَدِرّ الْمَطَر مِنْ السَّحَاب. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، أَيْ: مِنْ السَّحَاب. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة أَيْضًا، وَأَبُو الْعَالِيَة، وَالضَّحَّاك، وَالْحَسَن، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالثَّوْرِيّ. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال الْفَرَّاء: هِيَ السَّحَاب الَّتِي تَتَحَلَّب بِالْمَطَرِ وَلَمْ تُمْطِر بَعْد، كَمَا يُقَال: امْرَأَة مُعْصِر: إِذَا دَنَا حَيْضهَا وَلَمْ تَحِض. وَعَنْ الْحَسَن

وَقَتَادَة: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ يَعْنِي: السَّمَوَات. وَهَذَا قَوْل غَرِيب. وَالأَظْهَر أَنَّ المُرَاد بِالمُعْصِرَاتِ: السَّحَاب، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾، أَيْ: مِنْ بَيْنِه.

وَقَوْله: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس: ﴿ثَجَّاجًا﴾: مُنْصَبًّا، وَقَال الثَّوْرِيّ: مُتَتَابِعًا. وَقَال ابْن زَيْد: كَثِيرًا. وَقَال ابْن جَرِير: وَلا يُعْرَف فِي كَلام العَرَب فِي صِفَة الكَثْرَة: الثَّجّ، وَإِنَّمَا الثَّجّ: الصَّبّ المُتَتَابِع وَمِنْهُ قَوْل النَّبِيّ ﷺ: «**أَفْضَل الحَجّ العَجّ وَالثَّجّ**»[1]. يَعْنِي: صَبّ دِمَاء البُدْن. هَكَذَا قَال. قُلت: وَفِي حَدِيث المُسْتَحَاضَة حِين قَال لَهَا رَسُول الله ﷺ: «**أَنْعَتُ لَكِ الكُرْسُف**»[2]. يَعْنِي: أَنْ تَحْتَشِي بِالقُطْنِ، قَالَتْ: يَا رَسُول الله، هُوَ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَثُجّ ثَجًّا. وَهَذَا فِيهِ دَلالَة عَلَى اسْتِعْمَال الثَّجّ فِي الصَّبّ المُتَتَابِع الكَثِير، وَالله أَعْلَم. وقوله: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾، أَيْ: لِنُخْرِج بِهَذَا المَاء الكَثِير الطَّيِّب النَّافِع المُبَارَك ﴿حَبًّا﴾ يُدَّخَر للأَنَاسِيّ وَالأَنْعَام، ﴿وَنَبَاتًا﴾، أَيْ: خَضِرًا يُؤْكَل رَطْبًا، ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾، أَيْ: بَسَاتِين وَحَدَائِق مِنْ ثَمَرَات مُتَنَوِّعَة، وَأَلْوَان مُخْتَلِفَة، وَطُعُوم وَرَوَائِح مُتَفَاوِتَة، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي بُقْعَة وَاحِدَة مِنْ الأَرْض مُجْتَمِعًا؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾؛ قَال ابْن عَبَّاس، وَغَيْره: ﴿أَلْفَافًا﴾: مُجْتَمِعَة. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ الآيَة.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

يقول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَوْم الفَصْل، وَهُوَ يَوْم القِيَامَة، أَنَّهُ مُؤَقَّت بِأَجَلٍ مَعْدُود، لا يُزَاد عَلَيْهِ وَلا يُنْقَص مِنْهُ، وَلا يَعْلم وَقْته عَلَى التَّعْيِين إِلَّا الله ﷻ، كَمَا قَال: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾؛ قَال مُجَاهِد: زُمَرًا زُمَرًا. قَال ابْن جَرِير: يَعْنِي تَأْتِي كُلّ أُمَّة مَعَ رَسُولهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾.

وَقَال البُخَارِيّ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، حَدَّثَنَا مُحَمَّد، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**». قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَال: «**أَبَيْت**». قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَال: «**أَبَيْت**». قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَة؟ قَال: «**أَبَيْت**». قَال: «**ثُمَّ يُنْزِل الله مِنْ السَّمَاء مَاء فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُت البَقْل، لَيْسَ مِنْ الإِنْسَان شَيْء إِلاَّ يَبْلَى، إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْب الذَّنَب، وَمِنْهُ يُرَكَّب الخَلق يَوْم القِيَامَة**»[3].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾، أَيْ: طُرُقًا وَمَسَالِك لِنُزُول المَلائِكَة، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾. وَقَال هَاهُنَا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أَيْ: يُخَيَّل إِلَى النَّاظِر أَنَّهَا شَيْء، وَلَيْسَتْ بِشَيْء، وَبَعْد هَذَا تَذْهَب بِالكُلِّيَّة فَلا عَيْن وَلا أَثَر، كَمَا قَال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ

---

(١) صححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٠٠).
(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٨٧)، والترمذي (١٢٨)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٣) صحيح: تقدم.

أَمْتًا ﴾، وَقَال: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾. وقوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾، أَيْ: مُرْصَدَة مُعَدَّة ﴿ لِّلطَّٰغِينَ ﴾، وَهُمْ: المَرَدَة العُصَاة المُخَالفُونَ للرُّسُل، ﴿ مَـَٔابًا ﴾، أَيْ: مَرْجِعًا ومنقلبًا وَمَصِيرًا وَنُزُلًا. وَقَال الحَسَن، وَقَتَادَة فِي قَوْله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾: يَعْنِي: أَنَّهُ لا يَدْخُل أَحَد الجَنَّة حَتَّى يَجْتَاز بِالنَّارِ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ جَوَاز نَجَا وَإِلَّا احْتَبَسَ. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: عَلَيْهَا ثَلاث قَنَاطِر.

وقوله: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، وَهِيَ جَمْع «حُقْب»، وَهُوَ: المُدَّة مِنْ الزَّمَان وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَاره، فَقَال ابْن جَرِير، عَنْ ابْن حُمَيْد، عَنْ مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عَمَّار الدُّهْنِيّ، عَنْ سَالم ابْن أَبِي الجَعْد قَال: قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَالب لِهِلالٍ الهَجَرِيّ: مَا تَجِدُونَ الحُقْب فِي كِتَاب الله المُنَزَّل؟ قَال: نَجِدهُ ثَمَانِينَ سَنَة، كُلّ سَنَة اثْنَا عَشَر شَهْرًا، كُلّ شَهْر ثَلاثُونَ يَوْمًا، كُلّ يَوْم أَلْف سَنَة. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، وَعَبْد الله بْن عَمْرو، وَابْن عَبَّاس، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَمْرو بْن مَيْمُون، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالضَّحَّاك، وَعَنْ الحَسَن، وَالسُّدِّيّ أَيْضًا: سَبْعُونَ سَنَة كَذَلِكَ. وَعَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو: الحُقْب أَرْبَعُونَ سَنَة، كُلّ يَوْم مِنْهَا كَأَلْفِ سَنَة مِمَّا تَعُدُّونَ. رَوَاهُمَا ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَال بَشِير بْن كَعْب: ذُكِرَ لِي أَنَّ الحُقْب الوَاحِد ثَلثِمِائَةِ سَنَة، كُلّ سَنَة ثَلثِمِائَةِ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلّ يَوْم أَلْفِ سَنَة. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذُكِرَ عَنْ عمر بْن عَلِيّ بْن أَبِي بَكْر [الأسفذني][1]، حَدَّثَنَا مَرْوَان ابْن مُعَاوِيَة الفَزَارِيّ، عَنْ جَعْفَر بْن الزُّبَيْر، عَنْ القَاسِم، عَنْ أَبِي أُمَامَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْله: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾، قَال: فَالحُقْب شَهْر، الشَّهْر ثَلاثُونَ يَوْمًا، وَالسَّنَة اثْنَا عَشَر شَهْرًا، وَالسَّنَة ثَلثِمِائَةِ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلّ يَوْم مِنْهَا أَلْف سَنَة مِمَّا تَعُدُّونَ، فَالحُقْب ثَلاثُونَ أَلْف أَلْف سَنَة»[2] وَهَذَا حَدِيث مُنْكَر جِدًّا، وَالقَاسِم وَالرَّاوِي عَنْهُ وَهُوَ جَعْفَر بْن الزُّبَيْر كِلاهُمَا مَتْرُوك. وَقَال البَزَّار: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مِرْدَاس، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان [بْن مُسْلم أَبُو المعلَّى][3] قَال: سَأَلت سُلَيْمَان التَّيْمِيّ: هَل يَخْرُج مِنْ النَّار أَحَد؟ فَقَال: حَدَّثَنِي نَافِع، عَنْ ابْن عُمَر، عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «وَالله لا يَخْرُج مِنْ النَّار أَحَد حَتَّى يَمْكُث فِيهَا أَحْقَابًا». قَال: وَالحُقْب: بِضْع وَثَمَانُونَ سَنَة، والسنة ثَلثِمِائَةِ وَسِتُّونَ يَوْمًا مِمَّا تَعُدُّونَ.[4] ثُمَّ قَال: سُلَيْمَان بْن مُسْلم بَصْرِيّ مَشْهُور. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾: سَبْعمِائَةِ حِقْب، كُلّ حُقْب سَبْعُونَ سَنَة، كُلّ سَنَة ثَلثِمِائَةِ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلّ يَوْم كَأَلْفِ سَنَة مِمَّا تَعُدُّونَ. وَقَدْ قَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: إِنَّ هَذِهِ الآيَة مَنْسُوخَة بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾.

وَقَال خَالد بْن مَعْدَان: هَذِهِ الآيَة وَقَوْله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ فِي أَهْل التَّوْحِيد. رَوَاهُمَا ابْن جَرِير. ثُمَّ قَال: وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَوْله: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾. ثُمَّ يُحْدِث الله لَهُمْ بَعْد ذَلِكَ عَذَابًا مِنْ شَكْل آخَر وَنَوْع آخَر. ثُمَّ قَال: وَالصَّحِيح أَنَّهَا لا انْقِضَاء لَهَا، كَمَا قَال قَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس. وَقَدْ قَال قَبْل ذَلِكَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم البَرْقِيّ، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن أَبِي سَلَمَة، عَنْ زُهَيْر، عَنْ سَالم: سَمِعْت الحَسَن يُسْأَل عَنْ قَوْله: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾، قَال: أَمَّا الأَحْقَاب فَلَيْسَ لَهَا عِدَّة إِلَّا الخُلُود فِي النَّار، وَلَكِنْ ذَكَرُوا

---

(١) في الأزهرية: [الأسعدي].

(٢) **ضعيف**: في إسناده جعفر بن الزبير: ضعيف، وقال الألباني: موضوع، انظر «الصحيحة» (٥٣٨٢).

(٣) في الأزهرية: [أبو مسلم أبو المعلي].

(٤) **موضوع**: أخرجه البزار (٣٥٠٣)، فيه سلمان بن مسلم الخشاب: أورده الذهبي في «الميزان» (ت/ ٣٥١٣)، وأورد حديثه هذا وحديث آخر. وقال: هما موضوعان.

أَنَّ الحُقْب سَبْعُونَ سَنَة، كُلّ يَوْم مِنْهَا كَأَلْفِ سَنَة مِمَّا تَعُدُّون. وَقَال سَعِيد عَنْ قَتَادَة: قَال الله تَعَالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، وَهُوَ: مَا لا انْقِطَاع لهُ، وَكُلَّما مَضَى حُقْب جَاءَ حُقْب بَعْده، وَذُكِرَ لنَا أَنَّ الحُقْب ثَمَانُونَ سَنَة. [وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: لا يَعْلم عِدَّة هَذِهِ الأَحْقَاب إِلَّا الله ﷻ][1]، ولكن الحُقْب الوَاحِد ثَمَانُون سَنَة، وَالسَّنَة ثَلثِمِائَةٍ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلّ يَوْم كَأَلْفِ سَنَة مِمَّا تَعُدُّون. رَوَاهُمَا أَيْضًا ابْن جَرِير.

وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، أَيْ: لا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّم بَرْدًا لقُلُوبِهِمْ، وَلا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾. قَال أَبُو العَالِيَة: اسْتَثْنَى مِنْ البَرْد الحَمِيم وَمِنْ الشَّرَاب الغَسَّاق. وَكَذَا قَال الرَّبِيع بْن أَنَس. فَأَمَّا الحَمِيم: فَهُوَ الحَارّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرّه وَحُمُوّهُ. وَالغَسَّاق: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيد أَهْل النَّار وَعَرَقهمْ وَدُمُوعهمْ وَجُرُوحهمْ، فَهُوَ بَارِد لا يُسْتَطَاع مِنْ بَرْده وَلا يُوَاجَهُ مِنْ نَتْنه. وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة «ص» بما أغنى عن إعادته، أَجَارَنَا الله مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَكَرَمه. قَال ابْن جَرِير: وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾، يَعْنِي: النَّوْم، كَما قَال الكِنْدِيّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِي ۞ عَنْهَا وَعَنْ قُبُلاتهَا البَرْد

يَعْنِي بِالبَرْدِ: النُّعَاس وَالنَّوْم. هَكَذَا ذَكَرَهُ وَلَمْ يَعْزُهُ إِلى أَحَد. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ طَرِيق السُّدِّيّ، عَنْ مُرَّة الطَّيِّب. وَنَقَلهُ عَنْ مُجَاهِد أَيْضًا. وَحَكَاهُ البَغَوِيّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَة وَالكِسَائِيّ أَيْضًا. وقوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ العُقُوبَة وَفْق أَعْمَالهمْ الفَاسِدَة الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا. قَالهُ مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَغَيْر وَاحِد.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، أَيْ: لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ثَمَّ دَارًا يُجَازَوْنَ فِيهَا وَيُحَاسَبُونَ، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾، أَيْ: وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِحُجَج الله وَدَلائِله عَلى خَلقه الَّتِي أَنْزَلهَا على رسله، فَيُقَابِلُونَهَا بِالتَّكْذِيب وَالمُعَانَدَة. وَقَوْله: ﴿كِذَّابًا﴾، أَيْ: تَكْذِيبًا، وَهُوَ مَصْدَر مِنْ غَيْر الفِعْل. قَالُوا: وَقَدْ سُمِعَ أَعْرَابِيّ يَسْتَفْتِي الفَرَّاء عَلى المَرْوَة: الحَلق أَحَبّ إِلَيْك أَوْ القِصَار؟ وَأَنْشَدَ بَعْضهمْ:

لقَدْ طَال مَا ثَبَّطَتْنِي عَنْ صَحَابَتِي ۞ وَعَنْ حَوْج قَضَّاؤُها مِنْ شِفَائِيَا

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾، أَيْ: وَقَدْ عَلمْنَا أَعْمَال العِبَاد كُلّهمْ، وَكَتَبْنَاهَا عَليْهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلى ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ. وقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، أَيْ: يُقَال لأَهْل النَّار: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَلَنْ نَزِيدكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جِنْسه وَآخَر مِنْ شَكْله أَزْوَاج. قَال قَتَادَة، عَنْ أَبِي أَيُّوب الأَزْدِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: لمْ يَنْزِل عَلى أَهْل النَّار آيَة أَشَدّ مِنْ هَذِهِ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾. قَال: فَهُمْ فِي مَزِيد مِنْ العَذَاب أَبَدًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن مُصْعَب الصُّورِيّ، حَدَّثَنَا خَالد بْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا جِسْر ابْن فَرْقَد، عَنْ الحَسَن قَال: سَأَلت أَبَا بَرْزَة الأَسْلمِيّ عَنْ أَشَدّ آيَة فِي كِتَاب الله عَلى أَهْل النَّار. قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ قَرَأَ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فقَال: «هَلكَ القَوْم بِمَعَاصِيهِمْ الله ﷻ»[2]. جِسْر بْن فَرْقَد ضَعِيف الحَدِيث بِالكُلِّيَّة.

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) ضعيف: أخرجه الطبري (٣٠/ ١١)، وفيه جسر بن فرقد: ضعيف.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾.

يَقُول تَعَالى مُخْبِرًا عَنْ السُّعَدَاء وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ تَعَالى مِنْ الكَرَامَة وَالنَّعِيم المُقِيم، فَقَال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾. قَال ابْن عَبَّاس وَالضَّحَّاك: مُتَنَزَّهًا. وَقَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة: فَازُوا فَنَجَوْا مِنْ النَّار. والأَظْهَر ههنا قَوْل ابْن عَبَّاس؛ لأنه قال بعده: ﴿حَدَائِقَ﴾، وهي البَسَاتِين مِنْ النَّخِيل وَغَيْرِهَا، ﴿وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾، أَيْ: وَحُورًا كَوَاعِب. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَغَيْر وَاحِد: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾، أَيْ: نَوَاهِد، يَعْنُونَ أَنَّ ثُدِيهنَّ نَوَاهِد لَمْ يَتَدَلَّيْنَ؛ لأَنَّهُنَّ أَبْكَار عُرُب أَتْرَاب، أَيْ: فِي سِنّ وَاحِدَة، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانه فِي سُورَة الوَاقِعَة.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَحْمَد بن عَبْد الرَّحْمَن الدشتكي، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سُفْيَان عَبْد الرَّحْمَن ابْن عَبْد الله بْن تَيْم، حَدَّثَنَا عَطِيَّة بْن سُلَيْمَان أَبُو الغَيْث، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن القَاسِم بْن أَبِي القَاسِم الدِّمَشْقِيّ، عَنْ أَبِي أُمَامَة أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّث عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «إِنَّ قُمُص أَهْل الجَنَّة لَتَبْدُو مِنْ رِضْوَان الله، وَإِنَّ السَّحَابَة لَتَمُرّ بِهِمْ فَتُنَادِيهِمْ: يَا أَهْل الجَنَّة، مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ أُمْطِرَكُمْ؟ حَتَّى إِنَّهَا لَتُمْطِرهُمْ الكَوَاعِب الأَتْرَاب»[1]. وقوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾، قَال ابْن عَبَّاس: مَمْلُوءَة مُتَتَابِعَة. وَقَال عِكْرِمَة: صَافِيَة. وَقَال مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد: ﴿دِهَاقًا﴾: المَلأَى المُتْرَعَة. وَقَال مُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر: هِيَ المُتَتَابِعَة. وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾، كقوله: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ فِيهَا كَلام لاغ عَارٍ عَنْ الفَائِدَة، وَلا إِثْم كَذِب، بَل هِيَ دَار السَّلام، وَكُلّ كلام فِيهَا سَالم مِنْ النَّقْص. وقوله: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ جَازَاهُمْ الله بِهِ وَأَعْطَاهُمُوهُ، بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ وَإِحْسَانه وَرَحْمَته، ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾، أَيْ: كَافِيًا وافرًا شاملاً كَثِيرًا، تَقُول العَرَب: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي، أَيْ: كَفَانِي. وَمِنْهُ: حَسْبِي الله، أَيْ: الله كَافِيّ.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ عَظَمَته وَجَلاله، وَأَنَّهُ رَبّ السَّمَوَات وَالأَرْض وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الرَّحْمَن الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَته كُلّ شَيْء. وَقَوْله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، أَيْ: لا يَقْدِر أَحَد عَلَى ابْتِدَاء مُخَاطَبَته إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾: اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي المُرَاد بِالرُّوح هَاهُنَا، مَا هُوَ؟ عَلى أَقْوَال: أَحدهَا: رَوَاهُ العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّهُمْ أَرْوَاح بَنِي آدَم. الثَّانِي: هُمْ بَنُو آدَم. قَالَهُ الحَسَن وَقَتَادَة، هَذَا مِمَّا كَانَ ابْن عَبَّاس يَكْتُمهُ. الثَّالث: أَنَّهُمْ خَلق مِنْ خَلق الله، عَلَى صُوَر بَنِي آدَم، وَلَيْسُوا بملائكة وَلا ببشر، وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ. قَالَهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَأَبُو صَالح، وَالأَعْمَش. الرَّابع: هُوَ جِبْرِيل. قَالَهُ الشَّعْبِيّ، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالضَّحَّاك. وَيُسْتَشْهَد لِهَذَا القَوْل بِقَوْلِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾. وَقَال مُقَاتِل بْن حَيَّان: الرُّوح: أَشْرَف المَلائِكَة، وَأَقْرَب إِلى الرَّبّ ﷻ وَصَاحِب الوَحْي. والخَامِس: أَنَّهُ القُرْآن. قَالَهُ ابْن زَيْد، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الآيَة. والسَّادِس: أَنَّهُ مَلك مِنْ المَلائِكَة بِقَدْرِ جَمِيع المَخْلُوقَات؛ قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: قَوْله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قَال: هُوَ مَلك مِنْ أَعْظَم المَلائِكَة خَلقًا.

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصفهان»، وفيه عطية بن سلمان أبو الغيث: مجهول.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن خَلف العَسْقَلانِيّ، حَدَّثنَا رَوَّاد بْن الجَرَّاح، عَنْ أَبِي حَمْزَة، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ عَلقَمَة، عَنْ ابْن مَسْعُود قَال: «الرُّوح: فِي السَّمَاء الرَّابِعَة هُوَ أَعْظَم مِنْ السَّمَوَات وَمِنْ الجِبَال وَمِنْ المَلائِكَة، يُسَبِّح كُلّ يَوْم اثْنَيْ عَشَر أَلف تَسْبِيحَة، يَخْلُق الله مِنْ كُلّ تَسْبِيحَة مَلكًا مِنْ المَلائِكَة يَجِيء يَوْم القِيَامَة صَفًّا وَحْده»[1]. وَهَذَا قَوْل غَرِيب جِدًّا.

وَقَدْ قَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن عُرْس المِصْرِيّ، حَدَّثنَا وَهْب الله بْن رَوْق بْن هُبَيْرَة، حَدَّثنَا بِشْر بْن بَكْر، حَدَّثنَا الأَوْزَاعِيّ، حَدَّثنِي عَطَاء، عَنْ عَبْد الله بْن عَبَّاس: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ لله مَلكًا لوْ قِيل لهُ: التَقِمْ السَّمَوَات السَّبْع وَالأَرَضِينَ بِلُقْمَةٍ وَاحِدَة، لفَعَل؛ تَسْبِيحه: سُبْحَانك حَيْثُ كُنْت»[2]. وَهَذَا حَدِيث غَرِيب جِدًّا، وَفِي رَفعه نَظَر، وَقَدْ يَكُون مَوْقُوفًا عَلى ابْن عَبَّاس، وَيَكُون مِمَّا تَلقَّاهُ مِنْ الإِسْرَائِيليَّات، وَالله أَعْلم. وَتَوَقَّفَ ابْن جَرِير فَلمْ يَقْطَع بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَقْوَال كُلّهَا. وَالأَشْبَه -وَالله أَعْلم- أَنَّهُمْ بَنُو آدَم.

وقَوْله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وَكَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح: «**وَلا يَتَكَلَّم يَوْمئِذٍ إِلاَّ الرُّسُل**». وَقَوْله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أَيْ: حَقًّا، وَمِنْ الحَقّ: «لا إِله إِلَّا الله»، كَمَا قَالهُ أَبُو صَالح، وَعِكْرِمَة. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾، أَيْ: الكَائِن لا مَحَالة، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾، أَيْ: مَرْجِعًا وَطَرِيقًا يَهْتَدِي إِليْهِ وَمَنْهَجًا يَمُرّ بِهِ عَليْهِ. وقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يَعْنِي: يَوْم القِيَامَة لتَأَكُّدِ وُقُوعه صَارَ قَرِيبًا، لأَنَّ كُلّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يَعْرِض عَليْهِ جَمِيع أَعْمَاله، خَيْرهَا وَشَرّهَا، قَدِيمهَا وَحَدِيثهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، أَيْ: يَوَدّ الكَافِر يَوْمئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّار الدُّنْيَا تُرَابًا، وَلمْ يَكُنْ خُلق، وَلا خَرَجَ إِلى الوُجُود، وَذَلكَ حِين عَايَنَ عَذَاب الله، وَنَظَرَ إِلى أَعْمَاله الفَاسِدَة، قَدْ سُطِرَتْ عَليْهِ بِأَيْدِي المَلائِكَة السَّفَرَة الكِرَام البَرَرَة. وَقِيل: إِنَّمَا يَوَدّ ذَلكَ حِين يَحْكُم الله بَيْن الحَيَوَانَات الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِل بَيْنهَا بِحُكْمِهِ العَدْل الَّذِي لا يَجُور، حَتَّى إِنَّهُ ليَقْتَصّ للشَّاةِ الجَمَّاء مِنْ القَرْنَاء. فَإِذَا فَرَغَ مِنْ الحُكْم بَيْنهَا قَال لهَا: كُونِي تُرَابًا؛ فَتَصِير تُرَابًا، فَعِنْد ذَلكَ يَقُول الكَافِر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، أَيْ: كُنْت حَيَوَانًا فَأَرْجِع إِلى التُّرَاب. وَقَدْ وَرَدَ مَعْنَى هَذَا فِي حَدِيث الصُّور المَشْهُور[3]، وَوَرَدَ فِيهِ آثَار عَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَعن عَبْد الله بْن عَمْرو وَغَيْرهِمَ.

آخِر تَفْسِير سُورَة «عَمَّ»



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾.

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢)، وفيه رواد بن الجراح: اختلط بآخره فترك.
(٢) منكر: أخرجه الطبراني (١١/ ١٦٥/ ١١٤٧٦)، وقال الألباني: منكر، انظر «الضعيفة» (٣١٩٩).
(٣) صححه الألباني، انظر «الصحيحة» (١٩٦٦).

قَال ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَمَسْرُوق، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبُو صَالح، وَأَبُو الضُّحَى، وَالسُّدِّيّ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾: المَلائِكَة، يَعْنُونَ حِين تَنْزِع أَرْوَاح بَنِي آدَم، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذ رُوحه بعُنْفٍ فَتغْرَق فِي نَزْعها، وَمَنْ تَأْخُذ رُوحه بِسُهُولةٍ وَكَأَنَّما حَلَّتْهُ مِنْ نِشَاط، وَهُوَ قَوْله: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾، قَالهُ ابْن عَبَّاس. وَعَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: هِيَ أَنْفُس الكُفَّار، تُنْزَع ثُمَّ تُنْشَط، ثُمَّ تُغْرَق فِي النَّار. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال مُجَاهِد: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾: المَوْت. وَقَال الحَسَن، وَقَتَادَة: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾: هِيَ النُّجُوم. وَقَال عَطَاء ابْن أَبِي رَبَاح فِي قَوْله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، و﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: هِيَ القِسِيّ فِي القِتَال. وَالصَّحِيح الأَوَّل، وَعَلَيْهِ الأَكْثَرُونَ. وأما قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾، فَقَال ابْن مَسْعُود: هِيَ المَلائِكَة. وَرُوِيَ عَنْ عَلِيّ، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد ابْن جُبَيْر، وَأَبِي صَالح مِثْل ذَلِكَ. وَعَنْ مُجَاهِد: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾: المَوْت. وَقَال قَتَادَة: هِيَ النُّجُوم. وَقَال عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح: هِيَ السُّفُن.

وقوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾، رُوِيَ عَنْ عَلِيّ، ومسروق، وَمُجَاهِد، وَأَبِي صَالح، والحسن البصري: يعني الملائكة؛ قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء: هي الخيلُ في سبيل الله. وقوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾، قَال عَلِيّ، وَمُجَاهِد، وَعَطَاء، وَأَبُو صَالح، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَالسُّدِّيّ: هِيَ المَلائِكَة، زَادَ الحَسَن: تُدَبِّر الأَمْر مِنْ السَّماء إلى الأَرْض، يَعْنِي: بِأَمْرِ رَبّها ﷻ. وَلَمْ يَخْتَلفُوا فِي هَذَا، وَلَمْ يَقْطَع ابْن جَرِير بِالمُرَادِ فِي شَيْء مِنْ ذَلكَ، إِلَّا أَنَّهُ حَكَى فِي ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ أَنَّها المَلائِكَة، وَلا أَثْبَتَ وَلا نَفَى.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ قَال ابْن عَبَّاس: هُما النَّفْخَتَانِ الأُولى وَالثَّانِيَة. وَهَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْر وَاحِد. وَعَنْ مُجَاهِد: أَمَّا الأُولى وَهِيَ قَوْله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾، فَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَته: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾، وَالثَّانِيَة -وَهِيَ الرَّادِفَة- فَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عَقِيل، عَنْ الطُّفَيْل بْن أُبَيّ بْن كَعْب، عَنْ أَبِيهِ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**جَاءَتْ الرَّاجِفَة تَتْبَعها الرَّادِفَة، جَاءَ المَوْت بِمَا فِيهِ**». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله، أَرَأَيْت إِنْ جَعَلت صَلاتِي كُلّهَا عَلَيْك؟ قَال: «**إِذًا يَكْفِيك الله مَا أَهَمَّك مِنْ دُنْيَاك وَآخِرَتك**»[1].

وَقَدْ رواه التِّرْمِذِيّ، وَابْن جَرِير، وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث سُفْيَان الثَّوْرِيّ، بِإِسْنَادِهِ مِثْله، وَلفْظ التِّرْمِذِيّ وَابْن أَبِي حَاتِم: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثلثا اللَّيْل قَامَ فَقَال: «**يَا أَيُّهَا النَّاس، اذْكُرُوا الله، جَاءَتْ الرَّاجِفَة، تَتْبَعها الرَّادِفَة، جَاءَ المَوْت بِمَا فِيهِ**».

وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: يَعْنِي خَائِفَة. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة. ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾، أَيْ: أَبْصَار أَصْحَابها، وَإِنَّما أُضِيفَ إِلَيْهَا، للمُلابَسَةِ. أَيْ: ذَليلة حَقِيرَة؛ مِمَّا عَايَنَتْ مِنْ الأَهْوَال. وقوله: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾، يَعْنِي مُشْرِكِي قُرَيْش، وَمَنْ قَال بِقَوْلِهِمْ فِي إِنْكَار المَعَاد، يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوع البَعْث بَعْد المَصِير إلى الحَافِرَة وَهِيَ القُبُور. قَالهُ مُجَاهِد. وَبَعْد تَمَزُّق أَجْسَادهمْ وَتَفَتُّت عِظَامهمْ وَنُخُورهَا؛ ولهذا قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾، وَقُرِئَ: (نَاخِرَة). وَقَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة: أَيْ بَالِيَة. قَال ابْن عَبَّاس: وَهُوَ العَظْم إِذَا بَلِيَ وَدَخَلتْ الرِّيح فِيهِ: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾. وَعَنْ ابْن عَبَّاس، وَمُحَمَّد بْن

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٢٤٥٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٥٧).

كَعْب، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبِي مَالك، وَالسُّدِّيّ، وَقَتَادَة: الحَافِرَة الحياة بعد الموت. وقال ابن زيد: الحَافِرَة: النَّار وَمَا أَكْثَر أَسْمَائِهَا! هِيَ النَّار، وَالجَحِيم، وَسَقَر، وَجَهَنَّم، وَالهَاوِيَة، وَالحَافِرَة، وَلظَى، وَالحُطَمَة. وأما قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، فَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: قَالَتْ قُرَيْش: لَئِنْ أَحْيَانَا الله بَعْد أَنْ نَمُوت لَنَخْسَرَنَّ. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، أَيْ: فَإِنَّمَا هُوَ أَمْر مِنْ الله لا مَثْنَوِيَّة فِيهِ وَلا تَأْكِيد، فَإِذَا النَّاس قِيَام يَنْظُرُون، وَهُوَ أَنْ يَأْمُر تَعَالى إِسْرَافِيل فَيَنْفُخ فِي الصُّور نَفْخَة البَعْث، فَإِذَا الأَوَّلُون وَالآخِرُونَ قِيَام بَيْن يَدَيْ الرَّبّ ﷻ يَنْظُرُون. كَمَا قَال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

قَال مُجَاهِد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صَيْحَة وَاحِدَة. وَقَال إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ: أَشَدّ مَا يَكُون الرَّبّ غَضَبًا عَلى خَلقه يَوْم يَبْعَثُهُمْ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: زَجْرَة مِنْ الغَضَب. وَقَال أَبُو مَالك وَالرَّبِيع بْن أَنَس: زَجْرَة وَاحِدَة: هِيَ النَّفْخَة الآخِرَة. وقوله: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ الأَرْض كُلّهَا. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَقَتَادَة، وَأَبُو صَالح. وَقَال عِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ وَجه الأَرْض. وَقَال مُجَاهِد: كَانُوا بِأَسْفَلهَا فَأُخْرِجُوا إِلى أَعْلاهَا قَال: و﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: المَكَان المُسْتَوِي. وَقَال الثَّوْرِيّ: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ أَرْض الشَّام، وَقَال عُثْمَان بْن [أَبِي العَاتِكَة][1]: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: أَرْض بَيْت المَقْدِس. وَقَال وَهْب بْن مُنَبِّه: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: جَبَل إِلى جَانِب بَيْت المَقْدِس. وَقَال قَتَادَة أَيْضًا: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: جَهَنَّم. وَهَذِهِ أَقْوال كُلّهَا غَرِيبَة، وَالصَّحِيح أَنَّهَا الأَرْض وَجْههَا الأَعْلى.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا عَليّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثنَا حزر بْن المُبَارَك الشَّيْخ الصَّالح، حَدَّثنَا بِشْر بْن السَّرِيّ، حَدَّثنَا مُصْعَب بْن ثَابِت، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ سَهْل بْن سَعْد السَّاعِدِيّ: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، قَال: أَرْض بَيْضَاء عَفْرَاء كَالخُبْزَة النَّقِيّ. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، يَقُول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، وَيَقُول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ⑩⑤ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ⑩⑥ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، وَقَال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: وَبَرَزَتْ الأَرْض الَّتِي عَلَيْهَا الجِبَال، وَهِيَ لا تُعَدّ مِنْ هَذِهِ الأَرْض، وَهِيَ أَرْض لَمْ يُعْمَل عَلَيْهَا خَطِيئَة، وَلَمْ يُهْرَق عَلَيْهَا دَم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ⑮ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑯ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ⑰ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ⑱ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ⑲ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ⑳ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ㉑ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ㉒ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ㉓ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ㉔ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ㉕ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

يُخْبِر تَعَالى رَسُوله مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ عَبْده وَرَسُوله مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلى فِرْعَوْن، وَأَيَّدَهُ بِالمُعْجِزَاتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَّ عَلى كُفْره وَطُغْيَانه، حَتَّى أَخَذَهُ الله أَخْذ عَزِيز مُقْتَدِر. وَكَذَلكَ عَاقِبَة مَنْ خَالفَك وَكَذَّبَ بِمَا جِئْت بِهِ، وَلهَذَا قَال فِي آخِر القِصَّة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾. فَقَوْله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾، أَيْ: هَل سَمِعْت بِخَبَرِهِ؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾، أَيْ: كَلَّمَهُ نِدَاء، ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أَيْ: المُطَهَّر، ﴿طُوًى﴾، وَهُوَ اسْم الوَادِي عَلى الصَّحِيح، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة «طه». فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾، أَيْ: تجَبَّر وَتَمَرَّدَ وَعَتَا، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أَيْ: قُل لهُ: هَل لك أَنْ تُجِيب إِلى طَرِيقَة وَمَسْلك تُزَكَّى بِهِ. أي: تَسْلم وَتُطِيع. ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، أَيْ:

---

(١) في الأزهرية: [أبي العالية].

أَدُلّك إِلى عِبَادَة رَبّك، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ أَيْ: فَيَصِير قَلبك خَاضِعًا لهُ مُطِيعًا خاشيًا بَعْدَمَا كَانَ قَاسِيًا خَبِيثًا بَعِيدًا مِنَ الخَيْر. ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾، يَعْنِي: فَأَظْهَرَ لهُ مُوسَى مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَة الحَق حُجَّة قَوِيَّة، وَدَليلًا وَاضِحًا عَلى صِدْق مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْد الله، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾، أَيْ: فَكَذَّبَ بِالحَقّ وَخَالفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ الطَّاعَة. وَحَاصِله أَنَّهُ كَفَرَ قَلبه فَلمْ يَنْفَعِل لمُوسَى بِبَاطِنِهِ وَلا بِظَاهِرِهِ، وَعِلمه بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ أنه حَقّ لا يَلزَم مِنْهُ أَنَّهُ مُؤْمِن بِهِ؛ لأَنَّ المَعْرِفَة عِلم القَلب، وَالإِيمَان عَمَله، وَهُوَ الانْقِيَاد للحَقّ وَالخُضُوع لهُ.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلة الحَق بِالبَاطِل، وَهُوَ جَمْعه السَّحَرَة ليُقَابِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ المُعْجِزَة البَاهِرَة، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ أَيْ: فِي قَوْمه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد: وَهَذِهِ الكَلمَة قَالهَا فِرْعَوْن بَعْد قَوْله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ بِأَرْبَعِينَ سَنَة. قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾، أَيْ: انْتَقَمَ الله مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلهُ بِهِ عِبْرَة وَنكَالًا لأَمْثَاله مِنَ المُتَمَرِّدِينَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾، هَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي مَعْنَى الآيَة أَنَّ المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾، أَيْ: الدُّنْيَا وَالآخِرَة. وَقِيل: المُرَاد بِذَلكَ كَلِمتَاهُ الأُولى وَالثَّانِيَة. وَقِيل: كُفْره وَعِصْيَانه. وَالصَّحِيح الَّذِي لا شَكَّ فِيهِ الأَوَّل. وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾، أَيْ: لمَنْ يَتَّعِظ وَيَنْزَجِر.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

يَقُول تَعَالى مُحْتَجًّا عَلى مُنْكِرِي البَعْث فِي إِعَادَة الخَلق بَعْد بَدْئِهِ: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أَيهَا النَّاس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يَعْنِي: بَل السَّمَاء أَشَدّ خَلقًا مِنْكُمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾. فَقَوْله: ﴿بَنَىٰهَا﴾، فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾. أَيْ: جَعَلهَا عَاليَة البِنَاء، بَعِيدَة الفِنَاء، مُسْتَوِيَة الأَرْجَاء، مُكَلَّلة بِالكَوَاكِب فِي اللَّيْلة الظَّلمَاء. وقوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾، أَيْ: جَعَل ليْلهَا مُظْلمًا أَسْوَد حَالكًا، وَنَهَارهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا نَيِّرًا وَاضِحًا. قَال ابْن عَبَّاس: أَغْطَشَ ليْلهَا: أَظْلمَهُ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَجَمَاعَة كَثِيرُونَ. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾، أَيْ: أَنَارَ نَهَارهَا. وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾، فَسَّره بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَة «حم السَّجْدَة» أَنَّ الأَرْض خُلقَتْ قَبْل خَلق السَّمَاء، وَلكِنْ إِنَّمَا دُحِيَتْ بَعْد خَلق السَّمَاء، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا بِالقُوَّةِ إِلى الفِعْل. وَهَذَا مَعْنَى قَوْل ابْن عَبَّاس، وَغَيْر وَاحِد، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن جَعْفَر الرَّقِّيّ، حَدَّثَنَا عُبَيْد الله -يَعْنِي ابْن عُمَرو- عَنْ زَيْد ابْن أَبِي أُنَيْسَة، عَنْ المِنْهَال بْن عَمْرو، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿دَحَىٰهَآ﴾: وَدَحْيهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاء وَالمَرْعَى، وَشَقَّقَ الأَنْهَار، وَجَعَل فِيهَا الجِبَال وَالرِّمَال وَالسُّبُل وَالآكَام، فَذَلكَ قَوْله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِير ذَلكَ هُنَالكَ.

وقوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾، أَيْ: قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا وَأَكَّدَهَا فِي أَمَاكِنهَا، وَهُوَ الحَكِيم العَليم: الرَّءُوف بِخَلقِهِ الرَّحِيم.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنَا العَوَّام بْن حَوْشَب، عَنْ سُليْمَان بْن أَبِي سُليْمَان، عَنْ أَنَس ابْن مَالك عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «لـمَّا خَلقَ الله الأَرْض جَعَلتْ تَمِيد، فَخَلقَ الجِبَال فَأَلقَاهَا عَليْهَا، فَاسْتَقَرَّتْ،

فَتَعَجَّبَتْ المَلائِكَة مِنْ خَلق الجِبَال، فَقَالَتْ: يَا رَبّ؛ فَهَل مِنْ خَلقك شَيْء أَشَدّ مِنَ الجِبَال؟ قَال: نَعَمْ، الحَدِيد، قَالَتْ: يَا رَبّ؛ فَهَل مِنْ خَلقك شَيْء أَشَدّ مِنَ الحَدِيد؟ قَال: نَعَمْ، النَّار. قَالَتْ: يَا رَبّ؛ فَهَل مِنْ خَلقك أَشَدّ مِنَ النَّار؟ قَال: نَعَمْ، المَاء. قالت: يَا رَبّ؛ فَهَل مِنْ خَلقك شَيْء أَشَدّ مِنَ المَاء؟ قَال: نَعَمْ، الرِّيح، قَالَتْ: يَا رَبّ؛ فَهَل مِنْ خَلقك شَيْء أَشَدّ مِنْ الرِّيح؟ قَال: نَعَمْ، ابْن آدَم، يَتَصَدَّق بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَاله»[1]. وَقَال أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ عَطَاء، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن السُّلمِيّ، عَنْ عَلِيّ قَال: لـمَّا خَلقَ الله الأَرْض قَمَصَتْ وَقَالَتْ: تَخْلُق عَلِيَّ آدَم وَذُرِّيَّته، يُلقُونَ عَلِيَّ نَتْنهمْ ويَعْلمون عَلِيَّ بِالخَطَايَا، فَأَرْسَاهَا الله بِالجِبَال، فَمِنْهَا مَا تَرَوْنَ، وَمِنْهَا مَا لا تَرَوْنَ، وَكَانَ أَوَّل قَرَار الأَرْض كَلحْمِ الجَزُور إِذَا نُحِرَ، يُخْتَلج لحْمه[2]. غَرِيب.

وقوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾، أَيْ: دَحَا الأَرْض فَأَنْبَعَ عُيُونهَا، وَأَظْهَرَ مَكْنُونهَا، وَأَجْرَى أَنْهَارهَا، وَأَنْبَتَ زُرُوعهَا وَأَشْجَارهَا وَثِمَارهَا، وَثَبَّتَ جِبَالهَا لتَسْتَقِرّ بِأَهْلهَا وَيَقَرّ قَرَارهَا، كُلّ ذَلكَ مَتَاعًا لخَلقِهِ وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِليْهِ مِنْ الأَنْعَام الَّتِي يَأْكُلونَهَا وَيَرْكَبُونَهَا مُدَّة احْتِيَاجهمْ إِليْهَا فِي هَذِهِ الدَّار إِلى أَنْ يَنْتَهِي الأَمَد، وَيَنْقَضِي الأَجَل.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾، وَهُوَ يَوْم القِيَامَة. قَالَهُ ابْن عَبَّاس، سُمِّيَتْ بِذَلكَ لأَنَّهَا تَطِمّ عَلى كُلّ أَمْر هَائِل مُفْظِع، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾. ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾، أَيْ: حِينَئِذٍ يَتَذَكَّر ابْن آدَم جَمِيع عَمَله خَيْره وَشَرّه، كَمَا قَال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾، أَيْ: أُظْهِرَتْ للنَّاظِرِينَ فَرَآهَا النَّاس عِيَانًا، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾، أَيْ: تَمَرَّدَ وَعَتَا، ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، أَيْ: قَدَّمَهَا عَلى أَمْر دِينه وَأُخْرَاهُ، ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، أَيْ: فَإِنَّ مَصِيره إِلى الجَحِيم، وَإِنَّ مَطْعَمه مِنْ الزَّقُّوم وَمَشْرَبه مِنْ الحَمِيم. ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾، أَيْ: خَافَ القِيَام بَيْن يَدَيْ الله ﷻ وحُكْم الله فِيهِ، وَنَهَى نَفْسه عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلى طَاعَة مَوْلاهَا، ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، أَيْ: مُنْقَلبه وَمَصِيره وَمَرْجِعه إِلى الجَنَّة الفَيْحَاء. ثُمَّ قَال تَعَالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾، أَيْ: ليْسَ عِلمهَا إِليْك وَلا إِلى أَحَد مِنْ الخَلق، بَل مَرَدّهَا وَمَرْجِعهَا إِلى الله ﷻ فَهُوَ الَّذِي يَعْلم وَقْتهَا عَلى التَّعْيِين؛ ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وَقَال هَاهُنَا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾، وَلهَذَا لـمَّا سَأَل جِبْرِيل رَسُول الله ﷺ عَنْ وَقْت السَّاعَة قَال: «**مَا المَسْئُول عَنْهَا بِأَعْلم مِنْ السَّائِل**».

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾، أَيْ: إِنَّمَا بَعَثْتُك لتُنْذِر النَّاس وَتُحَذِّرهُمْ مِنْ بَأْس الله وَعَذَابه، فَمَنْ خَشِيَ الله وَخَافَ مَقَامه وَوَعِيده، اتَّبَعَك فَأَفْلحَ وَأَنْجَحَ، وَالخَيْبَة وَالخَسَار عَلى مَنْ كَذَّبَك وَخَالفَك. وقوله: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾، أَيْ: إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورهمْ إِلى المَحْشَر يَسْتَقْصِرونَ مُدَّة الحَيَاة الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهَا عِنْدهمْ كَانَتْ عَشِيَّة مِنْ يَوْم أَوْ ضُحًى مِنْ يَوْم. قَال جُوَيْبِر، عَنْ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ

---

(١) ضعيف: تقـدم.

(٢) موقوف: أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٧)، موقوفًا على عليّ رضي الله عنه.

﴿يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، أَمَّا عَشِيَّة فَمَا بَيْن الظُّهْر إِلى غُرُوب الشَّمْس، ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾، مَا بَيْن طُلُوع الشَّمْس إِلى نِصْف النَّهَار. وَقَال قَتَادَة: وَقْت الدُّنْيَا فِي أَعْيُن القَوْم حِين عَايَنُوا الآخِرَة.

آخِر تَفْسِير سورة النَّازِعَات، ولله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ عَبَسَ وهي مكية

ترتيبها ٨٠ — وآياتها ٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ المُفَسِّرِينَ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَوْمًا يُخَاطِب بَعْض عُظَمَاء قُرَيْش، وَقَدْ طَمِعَ فِي إِسْلامه، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبهُ وَيُنَاجِيه إِذْ أَقْبَل ابْن أُمّ مَكْتُوم -وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا-، فَجَعَل يَسْأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ شَيْء وَيُلِحّ عَلَيْهِ، وَوَدَّ النَّبِيّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَته تِلْكَ؛ لِيَتَمَكَّن مِنْ مُخَاطَبَة ذَلِكَ الرَّجُل؛ طَمَعًا وَرَغْبَة فِي هِدَايَته؛ وَعَبَسَ فِي وَجْه ابْن أُمّ مَكْتُوم وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَل عَلَى الآخَر، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾. أَيْ: يَحْصُل لَهُ زَكَاة وَطَهَارَة فِي نَفْسه، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾، أَيْ: يَحْصُل لَهُ اتِّعَاظ وَانْزِجَار عَنْ المَحَارِم، ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾، أَيْ: أَمَّا الغَنِيُّ فَأَنْتَ تَتَعَرَّض لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أَيْ: مَا أَنْتَ بِمُطَالَبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَحْصُل لَهُ زَكَاة. ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أَيْ: يَقْصِدك وَيَؤُمّك، ليهتدي بما تقول له، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أَيْ: تَتَشَاغَل. وَمِنْ هَاهُنَا أَمَرَ الله ﷻ رَسُوله ﷺ أَنْ لا يَخُصّ بِالإِنْذَارِ أَحَدًا، بَل يُسَاوِي فِيهِ بَيْن الشَّرِيف وَالضَّعِيف، وَالفَقِير وَالغَنِيّ، وَالسَّادَة وَالعَبِيد، وَالرِّجَال وَالنِّسَاء، وَالصِّغَار وَالكِبَار. ثُمَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاء إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم، وَلَهُ الحِكْمَة البَالِغَة وَالحُجَّة الدَّامِغَة.

قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَده»: حَدَّثَنَا مُحَمَّد -هو ابن مَهْدِيّ- حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة عَنْ أَنَس فِي قَوْله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾، جَاءَ ابْن أُمّ مَكْتُوم إِلَى النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ يُكَلِّم أُبَيّ بْن خَلَف فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾، فَكَانَ النَّبِيّ ﷺ بَعْد ذَلِكَ يُكْرِمهُ.[1]

وقَال قَتَادَة: وَأَخْبَرَنِي أَنَس بْن مَالِك؛ قَال: رَأَيْته يَوْم القَادِسِيَّة وَعَلَيْهِ دِرْع، وَمَعَهُ رَايَة سَوْدَاء، يَعْنِي ابْن أُمّ مَكْتُوم. وَقَال أَبُو يَعْلَى وَابْن جَرِير: حَدَّثَنَا سَعِيد بْن يَحْيَى الأُمَوِيّ، حَدَّثَنِي أَبِي، [عن هِشَام بْن عُرْوَة مما عرضه عليه عن عروة][2] عَنْ عَائِشَة؛ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾، فِي ابْن أُمّ مَكْتُوم الأَعْمَى، أَتَى إِلَى رَسُول الله ﷺ فَجَعَل يَقُول: أَرْشِدْنِي قَالَتْ: وَعِنْد رَسُول الله ﷺ مِنْ عُظَمَاء المُشْرِكِينَ قَالَتْ: فَجَعَل النَّبِيّ ﷺ يُعْرِض عَنْهُ وَيُقْبِل عَلَى الآخَر وَيَقُول: «**أَتَرَى بِمَا أَقُول بَأْسًا؟**». فَيَقُول: لا. فَفِي هَذَا أُنْزِلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾.[3] وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيّ هَذَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو يعلى (٣١٢٣).
(٢) في الأزهرية: [عن هشام بن عروة عليه عن عروة].
(٣) **صحيح**: أخرجه أبو يعلى (٤٨٤٨)، والترمذي (٣٣٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

الحَدِيث، عَنْ سَعِيد بْن يَحْيَى الأُمَوِيّ، بِإِسْنَادِهِ مِثْله، ثُمَّ قَال: «وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضهمْ عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: أُنْزِلتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، فِي ابْن أُمّ مَكْتُوم، وَلمْ يَذْكُر فِيهِ عَنْ عَائِشَة». قُلت: كَذَلكَ هُوَ فِي «المُوَطَّأ».

ثُمَّ رَوَى ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم أَيْضًا مِنْ طَرِيق العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، قَال: بَيْنَا رَسُول الله ﷺ يُنَاجِي عُتْبَة بْن رَبِيعَة، وَأَبَا جَهْل ابْن هِشَام، وَالعَبَّاس بْن عَبْد المُطَّلب -وَكَانَ يَتَصَدَّى لَهُمْ كَثِيرًا، وَيَحْرِص عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا- فَأَقْبَل إِلَيْهِ رَجُل أَعْمَى -يُقَال لهُ عَبْد الله بْن أُمّ مَكْتُوم، يَمْشِي وَهُوَ يُنَاجِيهِمْ، فَجَعَل عَبْد الله يَسْتَقْرِئ النَّبِيّ ﷺ آيَة مِنْ القُرْآن، وَقَال: يَا رَسُول الله؛ عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَك الله، فَأَعْرَض عَنْهُ رَسُول الله ﷺ ، وَعَبَسَ فِي وَجْهه، وَتَوَلَّى وَكَرِه كَلامه، وَأَقْبَل عَلى الآخَرِينَ، فَلَمَّا قَضَى رَسُول الله ﷺ نَجْوَاهُ، وَأَخَذَ يَنْقَلب إِلى أَهْله، أَمْسَكَ الله بَعْض بَصَره، وَخَفَق بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَنْزَل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾. فَلَمَّا نَزَل فِيهِ مَا نَزَل، أَكْرَمَهُ رَسُول الله ﷺ وَكَلَّمَهُ، وَقَال لهُ النبي ﷺ : «مَا حَاجَتك؟ هَل تُرِيد مِنْ شَيْء؟». وَإِذَا ذَهَبَ مِنْ عِنْده قَال: «هَل لك حَاجَة فِي شَيْء؟». وَذَلكَ لَمَّا أَنْزَل الله تَعَالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.[1] فِيهِ غَرَابَة وَنَكَارَة، وَقَدْ تُكُلِّمَ فِي إِسْنَاده.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مَنْصُور الرَّمَادِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن صَالح، حَدَّثَنِي اللَّيْث، حَدَّثَنَا يُونُس، عَنْ ابْن شِهَاب؛ قَال: قَال سَالم بْن عَبْد الله، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ ؛ يَقُول: «**إِنَّ بِلالاً يُؤَذِّن بِليْل، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَذَان ابْن أُمّ مَكْتُوم**». وَهُوَ الأَعْمَى الَّذِي أَنْزَل الله فِيهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، وَكَانَ يُؤَذِّن مَعَ بِلال.[2] قَال سَالم: وَكَانَ رَجُلًا ضَرِير البَصَر، فَلمْ يَكُ يُؤَذِّن حَتَّى يَقُول لهُ النَّاس -حِين يَنْظُرُونَ إِلى بُزُوغ الفَجْر-: أَذِّنْ. وَهَكَذَا ذَكَر عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، وَمُجَاهِد، وَأَبُو مَالك، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد، وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف وَالخَلف؛ أَنَّهَا نَزَلتْ فِي ابْن أُمّ مَكْتُوم. وَالمَشْهُور أَنَّ اسْمه عَبْد الله، وَيُقَال: عَمْرو، وَالله أَعْلم.

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَة، أَوْ الوَصِيَّة بِالمُسَاوَاةِ بَيْن النَّاس فِي إِبْلاغ العِلم من شَرِيفهمْ وَوَضِيعهمْ. وَقَال قَتَادَة وَالسُّدِّيّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ يَعْنِي: القُرْآن. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾، أَيْ: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ الله فِي جَمِيع أُمُوره. وَيَحْتَمِل عَوْد الضَّمِير على الوَحْي لِدَلالةِ الكَلام عَليْهِ.

وقوله: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَة أَوْ العِظَة، وَكِلاهُمَا مُتَلازِم، بَل جَمِيع القُرْآن ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾، أَيْ: مُعَظَّمَة مُوَقَّرَة. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾، أَيْ: عَالِيَة القَدْر، ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أَيْ: مِنْ الدَّنَس وَالزِّيَادَة وَالنَّقْص. وقَوْله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾، قَال ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك وَابْن زَيْد: هِيَ المَلائِكَة. وَقَال وَهْب بْن مُنَبِّه: هُمْ أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ . وَقَال قَتَادَة: هُمْ القُرَّاء. وَقَال ابْن جرير، عَنْ ابْن عَبَّاس: السَّفَرَة بِالنَّبَطِيَّةِ: القُرَّاء. وَقَال ابْن جَرِير: وَالصَّحِيح أَنَّ السَّفَرَة المَلائِكَة، وَالسَّفَرَة يَعْنِي بَيْن الله وَبَيْن خَلقه، وَمِنْهُ يُقَال: السَّفِير: الَّذِي يَسْعَى بَيْن النَّاس فِي الصُّلح وَالخَيْر، كَمَا قَال الشَّاعِر:

وَمَا أَدَع السِّفَارَة بَيْن قَوْمِي ۞ وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْت

وَقَال البُخَارِيّ: «سَفَرَة: المَلائِكَة. سَفَرَتْ: أَصْلحَتْ بَيْنهمْ. وَجُعِلتْ المَلائِكَة إِذَا نَزَلتْ بِوَحْيِ الله وَتَأْدِيَته

---

(١) ضعيف : عزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس.
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢).

كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِح بَيْن القَوْم». وقوله: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾، أَيْ: خَلْقهمْ كَرِيم حَسَن شَرِيف، وَأَخْلاقهمْ وَأَفْعَالهمْ بَارَّة طَاهِرَة كَامِلة. وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِل القُرْآن أَنْ يَكُون فِي أَفْعَاله وَأَقْوَاله عَلَى السَّدَاد وَالرَّشَاد. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا هِشَام، عَنْ قَتَادَة، عَنْ زُرَارَة بْن أَوْفَى، عَنْ [سَعْد][1] بْن هِشَام، عَنْ عَائِشَة؛ قَالَتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: **«الَّذِي يَقْرَأ القُرْآن -وَهُوَ مَاهِر بِهِ- مَعَ السَّفَرَة الكِرَام البَرَرَة، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ -وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقّ- لَهُ أَجْرَانِ»**[2]. أَخْرَجَهُ الجَمَاعَة مِنْ طَرِيق قَتَادَة بِهِ.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ۝٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾.

يَقُول تَعَالَى ذَامًّا لِمَنْ أَنْكَرَ البَعْث وَالنُّشُور مِنْ بَنِي آدَم: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾. قَال الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: لُعِنَ الإِنْسَان. وَكَذَا قَال أَبُو مَالك. وَهَذَا لِجنس الإِنْسَان المُكَذِّب؛ لِكَثْرَةِ تَكْذِيبه بِلا مُسْتَنَد، بَل بِمُجَرَّدِ الاسْتِبْعَاد وَعَدَم العِلم. قَال ابْن جرير: ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾: أَيْ: مَا أَشَدّ كُفْره. وَقَال ابْن جَرِير: وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد أَيّ شَيْء جَعَلَهُ كَافِرًا؟ أَيْ: مَا حَمَلَهُ عَلَى التَّكْذِيب بِالمَعَادِ. وقال قَتَادَة -وقد حَكَاهُ البَغَوِيّ عَنْ مُقَاتِل وَالكَلبِيّ-: ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ مَا أَلعَنه. ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى لَهُ كَيْف خَلقَهُ الله مِنْ الشَّيْء الحَقِير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه، فقال: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾، أَيْ: قَدَّرَ أَجَله وَرِزْقه وَعَمَله وَشَقِيّ أَوْ سَعِيد، ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجه مِنْ بَطْن أُمّه. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك، وَأَبُو صَالح، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال مُجَاهِد: هَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ وَأَوْضَحْنَاهُ وَسَهَّلنَا عَلَيْهِ عِلمه، وهكذا قَال الحَسَن، وَابْن زَيْد. وَهَذَا هُوَ الأَرْجَح، وَالله أَعْلم. وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾، أَيْ: إِنَّهُ بَعْد خَلقه لَهُ ﴿أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾، أَيْ: جَعَلَهُ ذَا قَبْر. وَالعَرَب تَقُول: «قَبَرْتُ الرَّجُل»: إِذَا وَلِيَ ذَلكَ مِنْهُ، وَأَقْبَرَهُ الله. وَعَضَبْت قَرْن الثَّوْر، وَأَعْضَبَهُ الله، وَبَتَرْت ذَنَب البَعِير وَأَبْتَره الله، وَطَرَدْت عَنِّي فُلانًا، وَأَطْرَدَهُ الله. أَيْ: جَعَلَهُ طَرِيدًا، قَال الأَعْشَى:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلى نحرِها ❁ عَاشَ وَلمْ يُنْقَل إِلى قَابِر

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾، أَيْ: بَعَثَهُ بَعْد مَوْته، ومنه يُقَال: البَعْث وَالنُّشُور، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾. ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾.

وَقَال ابن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَصْبَغ بْن الفَرَج، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحَارِث: أَنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْح أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«يَأْكُل التُّرَاب كُلّ شَيْء مِنْ الإِنْسَان إِلاَّ عَجْب ذَنَبه»**. قِيل: وَمَا هُوَ يَا رَسُول الله؟ قَال: **«مِثْل حَبَّة خَرْدَل، مِنْهُ يُنْشئون»**[3]. وَهَذَا الحَدِيث

---

(١) في الأزهرية: [سعيد].
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).
(٣) عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم من رواية أبي سعيد، وفيها ضعف؛ لأن دراجًا ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، لكن الحديث صحيح يشهد له ما بعده.

ثَابِت فِي «الصحيح» مِنْ رِوَايَة الأَعْمَش، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، بِدُونِ هَذِهِ الزِّيَادَة، وَلفْظه: «كُلّ ابْن آدَم يَبْلى إلاّ عَجْب الذَّنَب، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّب».[1]

وقوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، قَال ابْن جَرِير: يَقُول: كَلَّا، لَيْسَ الأَمْر كما يقول هَذَا الإِنْسَان الكَافِر؛ مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى حَقّ الله عَلَيْهِ فِي نَفْسه وَمَاله: ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، يَقُول: لَمْ يُؤَدِّ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الفَرَائِض لِرَبِّهِ ﷻ. ثُمَّ رَوَى هُوَ وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد قَوْله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، قَال: لا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا كُلّ مَا افْتُرِضَ عَلَيْهِ. وَحَكَاهُ البَغَوِيّ، عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ، بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا. وَلَمْ أَجِد لِلْمُتَقَدِّمِينَ فِيهِ كَلامًا سِوَى هَذَا. وَالَّذِي يَقَع لِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ -وَالله أَعْلم- أَنَّ المَعْنَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾، أَيْ: بَعَثَهُ، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، لا يَفْعَلهُ الآن حَتَّى تَنْقَضِي المُدَّة، وَيَفْرُغ القَدَر مِنْ بَنِي آدَم مِمَّنْ كَتَبَ تعالى له أَنْ سَيُوجَدُ مِنْهُمْ، وَيَخْرُج إِلى الدُّنْيَا، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ تَعَالى كَوْنًا وَقَدَرًا، فَإِذَا تَنَاهَى ذَلِكَ عِنْد الله أَنْشَرَ الله الخَلائِق وَأَعَادَهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ.

وَقَدْ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم، عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه؛ قَال: قَال عُزَيْر عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَال المَلَك الَّذِي جَاءَنِي: فَإِنَّ القُبُور هِيَ بَطْن الأَرْض، وَإِنَّ الأَرْض هِيَ أُمّ الخَلق، فَإِذَا خَلقَ الله مَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُق، وَتَمَّتْ هَذِهِ القُبُور الَّتِي مَدَّ الله لها، انْقَطَعَتْ الدُّنْيَا وَمَاتَ مَنْ عَلَيْهَا، وَلفِظَتْ الأَرْض مَا فِي جَوْفهَا، وَأَخْرَجَتْ القُبُور مَا فِيهَا. وَهَذَا شَبِيه بِمَا قلناه مِنْ مَعْنَى الآيَة، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى أَعْلم بالصواب.

وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: فِيهِ امْتِنَان وَفِيهِ اسْتِدْلال بِإِحْيَاءِ النَّبَات مِنْ الأَرْض الهَامِدَة عَلى إِحْيَاء الأَجْسَام بَعْدَمَا كَانَتْ عِظَامًا بَالية وَتُرَابًا ممزقًا: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ أَيْ: أَنْزَلنَاهُ مِنْ السَّمَاء عَلى الأَرْض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾، أَيْ: أَسْكَنَّاهُ فِيهَا فَدَخل فِي تُخُومهَا وَتَخَلَّل فِي أَجْزَاء الحَبّ المُودَع فِيهَا، فَنَبَتَ وَارْتَفَعَ، وَظَهَرَ عَلى وَجْه الأَرْض، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾، فَالحَبّ: كُلّ مَا يُذْكَر مِنْ الحُبُوب، وَالعِنَب مَعْرُوف، وَالقَضْب هُوَ: الفِصْفِصَة الَّتِي تَأْكُلهَا الدَّوَابّ رَطْبَة. وَيُقَال لها: القَتّ أَيْضًا. قَال ذَلِكَ ابْن عَبَّاس، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: القَضْب: العَلف. ﴿وَزَيْتُونًا﴾، وَهُوَ مَعْرُوف، وَهُوَ أُدْم وَعَصِيره أُدْم، وَيُسْتَصْبَح بِهِ، وَيُدَّهَن بِهِ، ﴿وَنَخْلًا﴾ يُؤْكَل بَلحًا بُسْرًا وَرُطَبًا، وَتَمْرًا، وَنِيئًا، وَمَطْبُوخًا، وَيُعْتَصَر مِنْهُ رُبّ وَخَلّ. ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ أَيْ: بَسَاتِين. قَال الحَسَن، وَقَتَادَة: ﴿غُلْبًا﴾: نَخْل غِلاظ كِرَام. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد: الحدائق: كُلّ مَا التَفَّ وَاجْتَمَعَ. وَقَال ابن عباس أَيْضًا: ﴿غُلْبًا﴾: الشَّجَر الَّذِي يُسْتَظَلّ بِهِ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ أَيْ: طِوَال. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿غُلْبًا﴾ أَيْ: غِلاظ الأَوْسَاط. وَفِي رِوَايَة: غِلاظ الرِّقَاب، أَلَمْ تَرَ إِلى الرَّجُل إِذَا كَانَ غَلِيظ الرَّقَبَة قِيل: وَالله إِنَّهُ لأَغْلب. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَأَنْشَدَ ابْن جَرِير لِلفَرَزْدَق:

عَـوَى فَأَثَـارَ أَغْلَـبَ ضَيْغَمِيًّا ۞ فَوَيْـلُ ابْـنِ المَرَاغَـةِ مَـا اسْتَثَارَا

وقوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، أَمَّا الفَاكِهَة فَكُلّ مَا يُتَفَكَّه بِهِ مِنْ الثِّمَار. قَال ابْن عَبَّاس: الفَاكِهَة: كُلّ مَا أُكِل رَطْبًا، وَالأَبّ مَا أَنْبَتَتْ الأَرْض، مِمَّا يَأْكُلهُ الدَّوَابّ وَلا يَأْكُلهُ النَّاس. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: هُوَ الحَشِيش لِلبَهَائِم. وَقَال مُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبُو مَالك: الأَبّ: الكَلأ. وَعَنْ مُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد: الأَبّ لِلبَهَائِم كَالفَاكِهَة لِبَنِي آدَم. وَعَنْ عَطَاء: كُلّ شَيْء نَبَتَ عَلى وَجْه الأَرْض فَهُوَ أَبّ. وَقَال الضَّحَّاك: كُلّ شَيْء أَنْبَتَتْهُ الأَرْض سِوَى الفَاكِهَة فَهُوَ أَبّ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

وَقَال ابْن إِدْرِيس، عَنْ عَاصِم بْن كُلَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس: الأَبّ: نَبت الأَرْض مِمَّا تَأْكُلهُ الدَّوَابّ وَلا يَأْكُلهُ النَّاس. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ ثَلاث طُرُق، عَنْ ابْن إِدْرِيس، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب وَأَبُو السَّائِب؛ قَالا: حَدَّثَنَا ابْن إِدْرِيس، حَدَّثَنَا عَبْد المَلك، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر؛ قَال: عَدَّ ابْن عَبَّاس وَقَال: الأَبّ: مَا أَنْبَتَتْ الأَرْض للأَنْعَام. هَذَا لفْظ حَدِيث أَبِي كُرَيْب، وَقَال أَبُو السَّائِب: مَا أَنْبَتَتْ الأَرْض مِمَّا يَأْكُل النَّاس وَتَأْكُل الأَنْعَام. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: الأَبّ: الكَلأ وَالمَرْعَى. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَالحَسَن، وَقَتَادَة وَابْن زَيْد وَغَيْر وَاحِد. وَقَال أَبُو عُبَيْد القَاسِم بْن سَلَّام: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يزَيْد، حَدَّثَنَا العَوَّام بْن حَوْشَب، عَنْ إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ؛ قَال: سُئِل أَبُو بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنه عَنْ قَوْله تَعَالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فَقَال: أَيّ سَمَاء تُظِلّنِي وَأَيّ أَرْض تُقِلّنِي إِنْ قُلت فِي كِتَاب الله مَا لا أَعْلم. وَهَذَا مُنْقَطِع بَيْن إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ وَالصِّدِّيق رضي الله عنه. فَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْن جَرِير حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا ابْن بَشَّار، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ، حَدَّثَنَا حُمَيْد، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَرَأَ عُمَر بْن الخَطَّاب رضي الله عنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فَلَمَّا أَتَى عَلى هَذِهِ الآيَة: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قَال: قَدْ عَرَفْنَا ما الفَاكِهَة؟ فَما الأَبّ؟ فَقَال: لعَمْرك يَا بن الخَطَّاب إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّف. فَهُوَ إِسْنَاد صَحِيح، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْر وَاحِد عَنْ أَنَس، بِهِ. وهو مَحْمُول عَلى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْرِف شَكْله وَجِنْسه وَعَيْنه، وَإِلَّا فَهُوَ وَكُلّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة يَعْلم أَنَّهُ مِنْ نَبات الأَرْض، لقَوْلِهِ: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾. وقوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾، أَيْ: عِيشَة لكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ فِي هَذِهِ الدَّار إِلى يَوْم القِيَامَة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾.

قَال ابْن عَبَّاس: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ اسْم مِنْ أَسْمَاء يَوْم القِيَامَة، عَظَّمَهُ الله وَحَذَّرَهُ عِبَادَهُ. قَال ابْن جَرِير: لعَلَّهُ اسْم للنَّفْخَةِ فِي الصُّور. وَقَال البَغَوِيّ: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾. يَعْنِي صَيْحَة القِيَامَة، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّهَا تَصُخّ الأَسْمَاع، أَيْ: تُبَالغ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَاد تُصِمّهَا. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾، أَيْ: يَرَاهُم، وَيَفِرّ مِنْهُم، وَيَبْتَعِد عنهم، لأَنَّ الهَوْل عَظِيم، وَالخَطْب جَلِيل. قَال عِكْرِمَة: يَلقَى الرَّجُل زَوْجَته فيَقُول لهَا: يَا هَذِهِ، أَيّ بَعْل كُنْت لك؟ فتَقُول: نِعْمَ البَعْل كُنْت! وَتُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَتْ، فيَقُول لهَا: فَإِنِّي أَطْلُب إِليْك اليَوْم حَسَنَة وَاحِدَة تَهَبِينها لي لعَلِّي أَنْجُو مِمَّا تَرَيْنَ. فتَقُول لهُ: مَا أَيْسَر مَا طَلَبْت، وَلكِنِّي لا أُطِيق أَنْ أُعْطِيك شَيْئًا أَتَخَوَّف مِثْل الَّذِي تَخَاف. قَال: وَإِنَّ الرَّجُل لَيَلْقَى ابْنه فيَتَعَلَّق بِهِ فيَقُول: يَا بُنَيّ، أَيّ وَالد كُنْت لك؟ فيُثْنِي بِخَيْرٍ. فيَقُول لهُ: يَا بُنَيّ، إِنِّي احْتَجْت إِلى مِثْقَال ذَرَّة مِنْ حَسَنَاتك لعَلِّي أَنْجُو بِهَا مِمَّا تَرَى. فيَقُول وَلده: يَا أَبَت، مَا أَيْسَر مَا طَلَبْت، وَلكِنِّي أَتَخَوَّف مِثْل الَّذِي تَتَخَوَّف، فَلا أَسْتَطِيع أَنْ أُعْطِيك شَيْئًا. يَقُول الله تَعَالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾. وَفِي الحَدِيث الصَّحِيح -فِي أَمْر الشَّفَاعَة- أَنَّهُ إِذَا طَلَب إِلى كُلّ مِنْ أُولِي العَزْم أَنْ يَشْفَع عِنْد الله فِي الخَلائِق، يَقُول: نَفْسِي نَفْسِي، لا أَسْأَلك اليَوْم إِلَّا نَفْسِي، حَتَّى إِنَّ عِيسَى ابْن مَرْيَم يَقُول: لا أَسْأَلهُ اليَوْم إِلَّا نَفْسِي، لا أَسْأَلهُ مَرْيَم الَّتِي وَلَدَتْنِي[1]؛ وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾. قال قتادة: الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب، من هول ذلك اليوم.

وقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، أَيْ: هُوَ فِي شُغْل شَاغِل عَنْ غَيْره.

---

(١) صحيح: تقدم.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنا مُحَمَّد بْن عَمَّار بْن الحَارِث، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن صَالح، حَدَّثَنَا ثَابت أَبُو زَيْد العَبَّادَانِيّ، عَنْ هِلال بْن خَبَّاب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاة عُرَاة مُشَاة غُرْلاً**». قَال: فَقَالتْ زَوْجَته: يَا رَسُول الله، أَوَ يَرَى بَعْضنَا عَوْرَة بَعْض؟ قَال: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾». أَوْ قَال: «**مَا أَشْغَلهُ عَنْ النَّظَر**»[1]. وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيّ مُنْفَرِدًا بِهِ، عَنْ أَبِي دَاوُد، عَنْ عَارِم، عَنْ ثَابت بْن يَزِيد وَهُوَ أبو زَيْد الأَحْوَل البَصْرِيّ، أَحَد الثِّقَات، عَنْ هِلال بْن خَبَّاب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس، بِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد، عَنْ مُحَمَّد بْن الفَضْل، عَنْ ثَابِت بْن زَيْد، عَنْ هِلال بْن خَبَّاب، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس، عَنْ النَّبِيّ ﷺ؛ قَال: «**تُحْشَرُونَ حُفَاة عُرَاة غُرْلاً**». فَقَالتْ امْرَأَة: أَيُبْصِرُ -أَوْ: يَرَى- بَعْضنَا عَوْرَة بَعْض؟ قَال: «**يَا فُلانَة**؛ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾». ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: «وَهَذَا حَدِيث حَسَن صَحِيح، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْر وَجه عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما».

وَقَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن عُثْمَان، حَدَّثَنَا بَقِيَّة، حَدَّثَنَا الزُّبَيْدِيّ، أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيّ، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**يُبْعَث النَّاس يَوْم القِيَامَة حُفَاة عُرَاة غُرْلاً**». فَقَالتْ عَائِشَة: يَا رَسُول الله؛ فَكَيْف بِالعَوْرَاتِ؟ فَقَال: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[2]. انْفَرَدَ بِهِ النَّسَائِيّ مِنْ هَذَا الوَجْه. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبِي، حدثنا أَزْهَر بْن حَاتِم، حَدَّثَنَا الفَضْل بْن مُوسَى، عَنْ عَائِذ بْن شُرَيْح، عَنْ أَنَس ابْن مَالك؛ قَال: سَأَلتْ عَائِشَة رضي الله عنها رَسُول الله ﷺ فَقَالتْ: يَا رَسُول الله؛ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي سَائِلتك عَنْ حَدِيث فَتُخْبِرنِي أَنْتَ بِهِ. قَال: «إِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلم». قَالتْ: يَا نَبِيّ الله؛ كَيْف يُحْشَر الرِّجَال؟ قَال: «حُفَاة عُرَاة». ثُمَّ انْتَظَرَتْ سَاعَة فَقَالتْ: يَا نبي الله؛ كَيْف يُحْشَر النِّسَاء؟ قَال: «كَذَلكَ حُفَاة عُرَاة». قَالتْ: وَاسَوْأَتَاه مِنْ يَوْم القِيَامَة! قَال: «وَعَنْ أَيِّ ذَلكَ تَسْأَلِينَ، إِنَّهُ قَدْ نَزَل عَلَيَّ آيَة لا يَضُرّك كَانَ عَلَيْك ثِيَاب أَوْ لا يَكُون». قَالتْ: أَيَّة آيَة هِيَ يَا رسول الله؟ قَال: «﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾».[3]

وَقَال البَغَوِيّ فِي تَفْسِيره: أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم الشُّرَيْحِيّ، أخبرنا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم الثَّعْلبِيّ، أَخْبَرَنِي الحُسَيْن بْن عَبْد الله، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد العَزِيز، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي أُوَيْس، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي عَيَّاش، عَنْ عَطَاء بْن يَسَار، عَنْ سَوْدَة زَوْج النَّبِيّ ﷺ، قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «يُبْعَث النَّاس حُفَاة عُرَاة غُرْلًا قَدْ أَلجَمَهُمْ العَرَق، وَبلغَ شُحُوم الآذَان». فَقُلت: يَا رَسُول الله، وَاسَوْأَتَاه يَنْظُر بُعْضنَا إِلى بَعْض؟ فَقَال: «قَدْ شُغِل النَّاس ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾». هَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه جِدًّا، وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي عَمَّار الحُسَيْن بْن حُرَيْث المَرْوَزِيّ، عَنْ الفَضْل بْن مُوسَى، بِهِ. وَلكِنْ قَال أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: عَائِذ بْن شُرَيْح ضَعِيف، فِي حَدِيثه ضَعْف. وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، أَيْ: يَكُون النَّاس هُنَالكَ فَرِيقَيْنِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾، أَيْ: مُسْتَنِيرَة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، أَيْ: مَسْرُورَة فَرِحَة مِنْ سُرُور قُلُوبهمْ، قَدْ ظَهَرَ البِشْرُ عَلى وُجُوههمْ، وَهَؤُلاءِ أَهْل الجَنَّة. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، أَيْ: يَعْلُوهَا وَيغْشَاهَا قَتَرَة، أَيْ: سَوَاد.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَهْل بْن عُثْمَان العَسْكَرِيّ، حدَّثَنَا أَبُو عَليٍّ مُحَمَّد مَوْلى جَعْفَر بْن مُحَمَّد، عَنْ

---

(١) **صحيح** : أخرجه النسائي (٢٠٨٣)، والترمذي (٣٣٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) **صحيح** : أخرجه النسائي (٢٠٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».
(٣) **إسناده ضعيف** : فيه عائذ بن شريح: ضعيف، لكنه شاهد للحديث السابق.

جَعْفَر بْن مُحَمَّد، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «يُلجِّم الكَافِر العَرَق ثُمَّ تَقَع الغَبَرَة عَلى وُجُوههِمْ». قَال: «فَهُوَ قَوْله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾»(١). وَقَال ابْن عَبَّاس: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أَيْ: يَغْشَاهَا سَوَاد الوُجُوه. وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، أَيْ: الكَفَرَة قُلُوبهمْ، الفَجَرَة فِي أَعْمَالهمْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة عَبَسَ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ التَّكْوِيرِ وهي مكية

ترتيبها ٨١ — وآياتها ٢٩

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا عَبْد الله بْن بَحِير القَاصّ، أَنَّ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد الصَّنْعَانِيّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْن عُمَر؛ يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُر إِلى يَوْم القِيَامَة كَأَنَّهُ رَأْي عَيْن فَلْيَقْرَأْ**: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾»(٢) وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ العَبَّاس ابْن عَبْد العَظِيم العَنْبَرِيّ عَنْ عَبْد الرَّزَّاق، بِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾.

قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يَعْنِي: أَظْلَمَتْ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْهُ: ذَهَبَتْ. وَقَال مُجَاهِد: اضْمَحَلَّتْ وَذَهَبَتْ. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك. وَقَال قَتَادَة: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: كُوِّرَتْ: غُوِّرَتْ. وَقَال الرَّبِيع بْن خُثَيْم: كُوِّرَتْ يَعْنِي رُمِيَ بِهَا. وَقَال أَبُو صَالِح: كُوِّرَتْ: أُلْقِيَتْ، وَعَنْهُ أَيْضًا: نُكِسَتْ. وَقَال زَيْد بْن أَسْلم: تَقَع فِي الأَرْض. قَال ابْن جَرِير: وَالصَّوَاب مِنْ القَوْل عِنْدنَا فِي ذَلكَ أَنَّ التَّكْوِير جَمْع الشَّيْء بَعْضه عَلى بَعْض، وَمِنْهُ تَكْوِير العِمَامَة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة وهي جَمْع الثِّيَاب بَعْضهَا إِلى بَعْض، فَمَعْنَى قَوْله تَعَالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾، جُمِعَ بَعْضهَا إِلى بَعْض، ثُمَّ لُفَّتْ فَرُمِيَ بِهَا، وَإِذَا فُعِل بِهَا ذَلكَ ذَهَبَ ضَوْؤُهَا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، وَعَمْرو بْن عَبْد الله الأَوْدِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، عَنْ مُجَالد، عَنْ شَيْخ مِنْ بَجِيلة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قَال: يُكَوِّر الله الشَّمْس وَالقَمَر وَالنُّجُوم يَوْم القِيَامَة فِي البَحْر، وَيَبْعَث الله رِيحًا دَبُورًا فَتُضْرِمهَا نَارًا. وَكَذَا قَال عَامِر الشَّعْبِيّ. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِح، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَة بْن صَالِح، عَنْ ابْن يَزِيد بْن أَبِي مَرْيَم، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال فِي قَوْل الله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قَال: «كُوِّرَتْ فِي جَهَنَّم».(٣)

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى فِي مُسْنَده: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن مُحَمَّد بْن حَيَّان، حَدَّثَنَا دُرُسْت بْن زِيَاد، حَدَّثَنَا يَزِيد الرَّقَاشِيّ، حَدَّثَنَا أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «الشَّمْس وَالقَمَر ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّار»(٤). هَذَا حَدِيث

---

(١) **مرسل**: عزاه لابن أبي حاتم عن عليّ بن الحسن وهو من الثالثة.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٣٣)، وأحمد (٢/ ٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٢٩٣)، و«صحيح سنن الترمذي».

(٣) **مرسل**: فيه يزيد بن أبي مريم من السادسة.

(٤) **ضعيف**: أخرجه أبو يعلى (٤١١٦)، وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف.

ضَعِيف؛ لأَنَّ يَزِيد الرَّقَاشِيّ ضَعِيف، وَالَّذِي رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي الصَّحِيح بِدُونِ هَذِهِ الزِّيَادَة، ثُمَّ قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُسَدَّد، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن المُخْتَار، حَدَّثَنَا عَبْد الله الدَّانَاج، حَدَّثَنِي أَبُو سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ: «**الشَّمْس وَالقَمَر يُكَوَّرَانِ يَوْم القِيَامَة**»[1]. انْفَرَدَ بِهِ البُخَارِيّ وَهَذَا لَفْظُهُ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ فِي كِتَاب «بَدْء الخَلق»، وَكَانَ جَدِيرًا أَنْ يَذْكُرهُ هَاهُنَا أَوْ يُكَرِّرهُ، كَمَا هِيَ عَادَته فِي أَمْثَاله! وَقَدْ رَوَاهُ البَزَّار فَجَوَّدَ إِيرَاده، فَقَال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن زِيَاد البَغْدَادِيّ، حَدَّثَنَا يُونُس بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن المُخْتَار، عَنْ عَبْد الله الدَّانَاج؛ قَال: سَمِعْت أَبَا سَلمَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن بْن خَالد بْن [عَبْد الله][2] القَسْرِيّ فِي هَذَا المَسْجِد مَسْجِد الكُوفَة، وَجَاءَ الحَسَن فَجَلسَ إِليْهِ فَحَدَّثَ؛ قَال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ الشَّمْس وَالقَمَر نوران فِي النَّار يَوْم القِيَامَة**». فَقَال الحَسَن: وَمَا ذَنْبهمَا؟ فَقَال: أُحَدِّثك عَنْ رَسُول الله ﷺ وَتَقُول أَحْسَبهُ قَال: وَمَا ذَنْبهمَا. ثُمَّ قَال: لا يُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَة إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه، وَلمْ يَرْوِ عَبْد الله الدَّانَاج عَنْ أَبِي سَلمَة سِوَى هَذَا الحَدِيث.

وَقَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾، أَيْ: انْتَثَرَتْ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾. وَأَصْل الانْكِدَار: الانْصِبَاب. قَال الرَّبِيع بْن أَنَس، عَنْ أَبِي العَاليَة، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب؛ قَال: سِتّ آيَات قَبْل يَوْم القِيَامَة، بَيْنَا النَّاس فِي أَسْوَاقهمْ إِذْ ذَهَبَ ضَوْء الشَّمْس، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ تَنَاثَرَتْ النُّجُوم، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ وَقَعَتْ الجِبَال عَلى وَجْه الأَرْض فَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَاخْتَلطَتْ، فَفَزِعَتْ الجِنّ إِلى الإِنْس وَالإِنْس إِلى الجِنّ، وَاخْتَلطَتْ الدَّوَابّ وَالطَّيْر وَالوُحُوش، فَمَاجُوا بَعْضهمْ فِي بَعْض. ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَال: اخْتَلطَتْ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَال: أَهْمَلهَا أَهْلهَا، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قَال: قَالتْ الجِنّ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالخَبَرِ. قَال: فَانْطَلقُوا إِلى البَحْر فَإِذَا هُوَ نَار تَأَجَّج، قَال: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ تَصَدَّعَتْ الأَرْض صَدْعَة وَاحِدَة إِلى الأَرْض السَّابِعَة السُّفْلى وَإِلى السَّمَاء السَّابِعَة العُليَا، قَال: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرِّيح فَأَمَاتَتْهُمْ. رَوَاهُ ابْن جَرِير -وهَذَا لفْظه- وَابْن أَبِي حَاتِم، بِبَعْضِهِ، وَهَكَذَا قَال مُجَاهِد وَالرَّبِيع بْن خُثَيْم، وَالحَسَن البَصْرِيّ وَأَبُو صَالح، وَحَمَّاد بْن أَبِي سُليْمَان، وَالضَّحَّاك فِي قَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾، أَيْ: تَنَاثَرَتْ. وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾، أَيْ: تَغَيَّرَتْ. وَقَال يَزِيد بْن أَبِي مَرْيَم، عَنْ النَّبِيّ ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾، قَال: «انْكَدَرَتْ فِي جَهَنَّم، وَكُلّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُون الله فَهُوَ فِي جَهَنَّم، إلاَّ مَا كَانَ مِنْ عِيسَى وَأُمّه، وَلوْ رَضِيَا أَنْ يُعْبَدَا لدَخَلاهَا». رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم بِالإِسْنَادِ المُتَقَدِّم.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، أَيْ: زَالتْ عَنْ أَمَاكِنهَا وَنُسِفَتْ، فَتُرِكَتْ الأَرْض قَاعًا صَفْصَفًا. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد: عِشَار الإِبِل. قَال مُجَاهِد: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ وَسُيِّبَتْ. وَقَال أُبَيّ ابْن كَعْب وَالضَّحَّاك: أَهْمَلهَا أَهْلهَا. وَقَال الرَّبِيع بْن خُثَيْم: لمْ تُحْلب وَلمْ تُصَرّ، تَخَلَّى منها أَرْبَابهَا. وَقَال الضَّحَّاك أيضًا: تُرِكَتْ لا رَاعِي لهَا. وَالمَعْنَى فِي هَذَا كُلّه مُتَقَارِب. وَالمَقْصُود أَنَّ العِشَار مِنْ الإِبِل -وَهِيَ: خِيَارهَا وَالحَوَامِل مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلتْ فِي حَمْلهَا إِلى الشَّهْر العَاشِر، واحدها: عُشَرَاء، وَلا يَزَال ذَلكَ اسْمهَا حَتَّى تَضَع- قَدْ اشتغل النَّاس عَنْهَا وَعَنْ كَفَالتهَا وَالانْتِفَاع بِهَا، بَعْدَمَا كَانُوا أَرْغَب شَيْء فِيهَا، بِمَا دَهَمَهُمْ مِنْ الأَمْر العَظِيم المُفْظِع الهَائِل، وَهُوَ أَمْر القِيَامَة وَانْعِقَاد أَسْبَابهَا، وَوُقُوع مُقَدِّمَاتهَا. وَقِيل: بَل يَكُون ذَلكَ يَوْم القِيَامَة يَرَاهَا أَصْحَابهَا كَذَلكَ ولا سَبِيل لهُمْ إِليْهَا، وَقَدْ قِيل فِي العِشَار: إِنَّهَا السَّحَاب يُعَطَّل عَنْ المَسِير بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

(٢) في الأزهرية: [عبد هون].

لخراب الدُّنْيَا، وَقِيل: إِنَّهَا الأَرْض الَّتِي تُعْشَر. وَقِيل: إِنَّهَا الدِّيَار الَّتِي كَانَتْ تُسْكَن تُعطَّل لذهَاب أَهْلهَا، حَكَى هَذِهِ الأَقْوَال كُلّهَا الإِمَام أَبُو عَبْد الله القُرْطُبِيّ فِي كِتَابه «التَّذْكِرَة»، وَرَجَّحَ أَنَّهَا الإِبِل، وَعَزَاهُ إِلَى أَكْثَر النَّاس. قُلت: لا يُعْرَف عَنْ السَّلف وَالأَئِمَّة سِوَاهُ، وَالله أَعْلَم.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَتْ. كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: يُحْشَر كُلّ شَيْء حَتَّى الذُّبَاب. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَكَذَا قَال الرَّبِيع بْن خُثَيْم وَالسُّدِّيّ، وَغَيْر وَاحِد. وَكَذَا قَال قَتَادَة فِي تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: إِنَّ هَذِهِ الخَلَائِق مُوَافِيَة فَيَقْضِي الله فِيهَا مَا يَشَاء. وَقَال عِكْرِمَة: حَشْرهَا مَوْتهَا. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي عَلِيّ بْن مُسْلم الطُّوسِيّ، حَدَّثَنَا عَبَّاد بْن العَوَّام، أخبرنا حُصَيْن، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَال: حَشْر البَهَائِم مَوْتهَا، وَحَشْر كُلّ شَيْء المَوْت غَيْر الجِنّ وَالإِنْس؛ فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْم القِيَامَة. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي يَعْلَى، عَنْ الرَّبِيع بْن خُثَيْم: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَال: أَتَى عَلَيْهَا أَمْر الله. قَال سُفْيَان: قَال أَبِي: فَذَكَرْته لعِكْرِمَة، فَقَال: قَال ابْن عَبَّاس: حَشْرهَا مَوْتهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب أَنَّهُ قَال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: اخْتَلَطَتْ. قَال ابْن جَرِير: وَالأَوْلَى قَوْل مَنْ قَال: ﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعَتْ، قَال الله تَعَالَى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾، أَيْ: مَجْمُوعَة. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، قَال ابْن جَرِير: حدَّثني يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة، عَنْ دَاوُد، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيَّب؛ قَال: قَال عَلِيّ رضي الله عنه لرَجُلٍ مِنْ اليَهُود: أَيْنَ جَهَنَّم؟ قَال: البَحْر. فَقَال: مَا أُرَاهُ إِلَّا صَادِقًا. ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتْ﴾ مخففة. وَقَال ابْن عَبَّاس وَغَيْر وَاحِد: يُرْسِل الله عَلَيْهَا الدَّبُور فَتُسَعِّرهَا، وَتَصِير نَارًا تَأَجَّج. وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلَى ذَلِكَ عِنْد قَوْله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن بْن الجُنَيْد، حَدَّثَنَا أَبُو طَاهِر، حَدَّثَنِي عَبْد الجَبَّار بْن سُلَيْمَان أَبُو سُلَيْمَان النَّفَّاط -شَيْخ صَالح يُشَبَّه بمالك بْن أَنَس- عَنْ مُعَاوِيَة بْن سَعِيد؛ قَال: إِنَّ هَذَا البَحْر بِرْكَة -يَعْنِي بَحْر الرُّوم- وَسَط الأَرْض، وَالأَنْهَار كُلّهَا تَصُبّ فِيهِ، وَالبَحْر الكَبِير يَصُبّ فِيهِ، وَأَسْفَله آبَار مُطْبَقَة بِالنُّحَاس، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة أُسْجِرَ. وَهَذَا أَثَر غَرِيب عَجِيب. وَفِي «سُنَن أَبِي دَاوُد»: «لا يَرْكَب البَحْر إلاَّ حَاجّ أَوْ مُعْتَمِر أَوْ غَازٍ، فَإِنَّ تَحْت البَحْر نَارًا، وَتَحْت النَّار بَحْرًا»[1]. الحَدِيث. وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلَيْهِ فِي «سُورَة فَاطِر». وَقَال مُجَاهِد، وَالحَسَن بْن مُسْلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أُوقِدَتْ. وَقَال الحَسَن: يَبِسَتْ. وَقَال الضَّحَّاك، وَقَتَادَة: غَاضَ مَاؤُهَا فَذَهَبَ فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا قَطْرَة. وَقَال الضَّحَّاك أَيْضًا: ﴿سُجِّرَتْ﴾ فُجِّرَتْ. وَقَال السُّدِّيّ: فُتِحَتْ وَسُيِّرَتْ. وَقَال الرَّبِيع بْن خُثَيْم: ﴿سُجِّرَتْ﴾ : فَاضَتْ.

وقوله: [﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَ كُلّ شَكْل إِلَى نَظِيره، كَقَوْلِه: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح البَزَّار، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن أَبِي ثَوْر، عَنْ سِمَاك، عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير أَنَّهُ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ :][2] ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَال: «الضُّرَبَاء، كُلّ رَجُل مَعَ كُلّ قَوْم كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَله». وَذَلكَ بِأَنَّ الله عز وجل يَقُول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، قَال: «هُمْ الضُّرَبَاء»[3]. ثُمَّ رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طُرُق

---

(١) ضعيف : تقدم.
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) ضعيف : في إسناده الوليد بن أبي ثور: ضعيف، وأخرجه الطبري (٣٠/ ٦٦)، وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفًا بإسناد صحيح.

أُخَر، عَنْ سِمَاك بْن حَرْب، عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير أَنَّ عُمَر خَطَبَ النَّاس فَقَرَأَ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فَقَال: تَزَوُّجهَا أَنْ تُؤَلَّف كُلّ شِيعَة إِلَى شِيعَتهمْ. وَفِي رِوَايَة: هُمَا الرَّجُلانِ يَعْمَلانِ العَمَل فَيَدْخُلانِ بِهِ الجَنَّة أَوْ النَّار. وَفِي رِوَايَة عَنْ النُّعْمَان قَال: سُئِل عُمَر عَنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فَقَال: يُقْرَن بَيْن الرَّجُل الصَّالح مَعَ الرَّجُل الصَّالح، وَيُقْرَن بَيْن الرَّجُل السُّوء مَعَ الرَّجُل السُّوءِ فِي النَّار، فَذَلكَ تَزْوِيج الأَنْفُس. وَفِي رِوَايَة عَنْ النُّعْمَان أَنَّ عُمَر قَال للنَّاسِ: مَا تَقُولُونَ فِي تَفْسِير هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ؟ فَسَكَتُوا. قَال: وَلكِنْ أَعْلَمهُ هُوَ الرَّجُل يُزَوَّج نَظِيره مِنْ أَهْل الجَنَّة، وَالرَّجُل يُزَوَّج نَظِيره مِنْ أَهْل النَّار، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قَال: ذَلكَ حِين يَكُون النَّاس أَزْوَاجًا ثَلاثَة. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَال: الأَمْثَال مِنْ النَّاس جُمِعَ بَيْنهمْ. وَكَذَا قَال الرَّبِيع بْن خُثَيْم وَالحَسَن، وَقَتَادَة. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، وَهُوَ الصَّحِيح.

قَوْل آخَر فِي قَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن بْن الجُنَيْد، حَدَّثَنَا أَحْمَد ابْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَشْعَث، عَنْ جَعْفَر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: يَسِيل وَادٍ مِنْ أَصْل العَرْش مِنْ مَاء فِيمَا بَيْن الصَّيْحَتَيْنِ، وَمِقْدَار مَا بَيْنهمَا أَرْبَعُونَ عَامًا، فَيَنْبُت مِنْهُ كُلّ خَلق بَلِيَ، مِنْ الإِنْسَان أَوْ طَيْر أَوْ دَابَّة، وَلوْ مَرَّ عَليْهِم مَارّ قَدْ عَرَفَهُمْ قَبْل ذَلكَ لعَرَفَهُمْ عَلى الأَرْض قَدْ نَبَتُوا، ثُمَّ [تُرْسَل] الأَرْوَاح فَتُزَوَّج الأَجْسَاد، فَذَلكَ قول الله تَعَالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.[1]

وَكَذَا قَال أَبُو العَالِيَة، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالشَّعْبِيّ، وَالحَسَن البَصْرِيّ أَيْضًا فِي قَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أَيْ: زُوِّجَتْ بِالأَبْدَانِ. وَقِيل: زُوِّجَ المُؤْمِنُونَ بِالحُورِ العِين، وَزُوِّجَ الكَافِرُونَ بِالشَّيَاطِينِ. حَكَاهُ القُرْطُبِيّ فِي «التَّذْكِرَة».

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، هَكَذَا قِرَاءَة الجُمْهُور ﴿سُئِلَتْ﴾. وَالمَوْءُودَة: هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْل الجَاهِليَّة يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَاب كَرَاهِيَة البنات، فَيَوْم القِيَامَة تُسْأَل المَوْءُودَة عَلى أَيّ ذَنْب قُتِلتْ، ليَكُونَ ذَلكَ تَهْدِيدًا لقَاتِلهَا، فإِذَا سُئِل المَظْلُوم فَمَا ظَنّ الظَّالم إِذًا؟! وَقَال عَليّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾، أَيْ: سَأَلتْ. وَكَذَا قَال أَبُو الضُّحَى (سَأَلَتْ)، أَيْ: طَلَبَتْ بِدَمِهَا. وَعَنْ السُّدِّيّ، وَقَتَادَة، مِثْله.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيث تَتَعَلَّق بِالمَوْءُودَةِ، فَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن [يَزِيد][2]، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن أَبِي أَيُّوب، حَدَّثَنِي أَبُو الأَسْوَد -وَهُوَ: مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن نَوْفَل- عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة، عَنْ جُذَامَة بِنْت وَهْب -أُخْت عُكَّاشَة-؛ قَالتْ: حَضَرْت رَسُول الله ﷺ فِي نَاس وَهُوَ يَقُول: «**لقَدْ هَمَمْت أَنْ أَنْهَى عَنْ الغِيلة، فَنَظَرْت فِي الرُّوم وَفَارِس فإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلادهمْ، ولا يَضُرّ أَوْلادهمْ ذَلك شَيْئًا**». ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ العَزْل، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**ذَلك الوَأْد الخَفِيّ، وَهُوَ المَوْءُودَة سُئِلتْ**»[3]. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث أَبِي عَبْد الرَّحْمَن المُقْرِئ -وَهُوَ عَبْد الله بْن يَزِيد- عَنْ سَعِيد [بْن][4] أَبِي أَيُّوب. وَرَوَاهُ أَيْضًا ابْن مَاجَهْ، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ يَحْيَى بْن إِسْحَاق السَّيْلحِينِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن أَيُّوب. وَرَوَاهُ مُسْلم أَيْضًا وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث مَالك بْن أَنَس، ثَلاثَتهمْ عَنْ أَبِي الأَسْوَد، بِهِ.

---

(١) **ضعيف**: فيه جعفر بن أبي المغيرة: روايته عن سعيد بن جبير ضعيفة.
(٢) في الأزهرية: [زيد].
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٤٢).
(٤) في الأزهرية: [عن].

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابن أَبِي عَدِيّ، عَنْ دَاوُد بْن أَبِي هِنْد، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ علقَمَة، عَنْ سَلمَة بْن يَزِيد الجُعْفِي؛ قَال: انطَلَقت أَنَا وَأَخِي إِلى رَسُول الله ﷺ ، فَقُلنَا: يَا رَسُول الله؛ إِنَّ أُمَّنَا مُليْكَة كَانَتْ تَصِل الرَّحِم وَتَقْرِي الضَّيْف، وَتَفْعَل وتَفعل، هَلكَتْ فِي الجَاهِلِيَّة، فَهَل ذَلكَ نَافِعهَا شَيْئًا؟ قَال: «لا». قُلنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ أُخْتًا لنَا فِي الجَاهِلِيَّة، فَهَل ذَلكَ نَافِعهَا شَيْئًا؟ قَال: «**الوَائِدَة وَالمَوْءُودَة فِي النَّار، إلاَّ أَنْ يُدْرِك الوَائِدَة الإِسْلام، فَيَعْفُو الله عَنْهَا**». وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث دَاوُد بْن أَبِي هِنْد، بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَلقَمَة وَأَبِي الأَحْوَص، عَنْ ابْن مَسْعُود؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**الوَائِدَة وَالمَوْءُودَة فِي النَّار**»[1]. وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا إِسْحَاق الأَزْرَق، أَخْبَرَنَا عَوْف، حَدَّثَتْنِي حسناءُ ابْنَة مُعَاوِيَة الصُّرَيْمِيَّة، عَنْ [عَمّهَا. قَال][2]: قُلت: يَا رَسُول الله، مَنْ فِي الجَنَّة؟ قَال: «**النَّبِيّ فِي الجَنَّة، وَالشَّهِيد فِي الجَنَّة، وَالمَوْلُود فِي الجَنَّة، وَالمَوْءُودَة فِي الجَنَّة**».[3]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُسْلم بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا قُرَّة؛ قَال: سَمِعْت الحَسَن؛ يَقُول: قِيل: يَا رَسُول الله، مَنْ فِي الجَنَّة؟ قَال: «**المَوْءُودَة فِي الجَنَّة**»[4]. هَذَا حَدِيث مُرْسَل مِنْ مَرَاسِيل الحَسَن، وَمِنْهُمْ مَنْ قَبله.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْد الله الظَّهْرَانِيّ، حَدَّثَنَا حَفْص بْن عُمَر العَدَنِيّ، حَدَّثَنَا الحَكَم بْن أَبَان، عَنْ عِكْرِمَة؛ قَال: قَال ابْن عَبَّاس: أَطْفَال المُشْرِكِينَ فِي الجَنَّة، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ فِي النَّار فَقَدْ كَذَب، يَقُول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: هِيَ المَدْفُونَة. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك ابْن حَرْب، عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير، عَنْ عُمَر بْن الخَطَّاب فِي قَوْله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾، قَال: جَاءَ قَيْس بْن عَاصِم إِلى رَسُول الله ﷺ ؛ فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي وَأَدْتُ بَنَات لي فِي الجَاهِلِيَّة، فقَال: «**أَعْتِقْ عَنْ كُلّ وَاحِدَة مِنْهُنَّ رَقَبَة**». قَال: يَا رَسُول الله؛ إِنِّي صَاحِب إِبِل؟ قَال: «**فَانْحَرْ عَنْ كُلّ وَاحِدَة مِنْهُنَّ بَدَنَة**».[5] قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: خُولِفَ فِيهِ عَبْد الرَّزَّاق، وَلمْ يَكْتُبهُ إِلَّا عَنْ الحُسَيْن بْن مَهْدِيّ عَنْهُ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم فَقَال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الله الظَّهْرَانِيّ -فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ- قَال: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق ... فَذَكَرَهُ بِإِسْنَادِهِ مِثْله، إِلَّا أَنَّهُ قَال: وَأَدْت ثَمَان بَنَات لي فِي الجَاهِلِيَّة. وَقَال فِي آخِره: «**فَأَهْدِ إِنْ شِئْت عَنْ كُلّ وَاحِدَة بَدَنَة**». ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن رَجَاء، حَدَّثَنَا قَيْس بْن الرَّبِيع، عَنْ الأَغَرّ بْن الصَّبَّاح، عَنْ خَلِيفَة بْن حُصَيْن؛ قَال: قَدِمَ قَيْس بْن عَاصِم عَلى رَسُول الله ﷺ ؛ فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي وَأَدْت اثْنَتَيْ عَشْرَة ابْنَة لي فِي الجَاهِلِيَّة -أَوْ: ثَلاث عَشْرَة- قَال: «**أَعْتِقْ عَدَدهنَّ نَسَمًا**». قَال: فَأَعْتِقْ عَدَدهنَّ نَسَمًا، فَلَمَّا كَانَ فِي العَام المُقْبِل جَاءَ بِمِائَة نَاقَة، فَقَال: يَا رَسُول الله، هَذِهِ صَدَقَة قَوْمِي عَلى أَثَر مَا صَنَعْت بِالمُسْلمِينَ. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَالب: فَكُنَّا نُرِيحهَا، وَنُسَمِّيهَا القَيْسِيَّة.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، قَال الضَّحَّاك: أُعْطِيَ كُلّ إِنْسَان صَحِيفَته بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ. وَقَال قَتَادَة: صحيفتك يَا بْن آدَم، تُمْلي فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَى، ثُمَّ تُنْشَر عَليْك يَوْم القِيَامَة، فَليَنْظُرْ رَجُل مَاذَا يُمْلي فِي صَحِيفَته.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾، قَال مُجَاهِد: اجْتُذِبَتْ. وَقَال السُّدِّيّ: كُشِفَتْ. وَقَال الضَّحَّاك: تَنْكَشِط فَتَذْهَب. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، قَال السُّدِّيّ: أُحْمِيَتْ. وَقَال قَتَادَة: أُوقِدَتْ. قَال: وَإِنَّمَا يُسَعِّرهَا غَضَب الله

---

(١) **صحيح** : تـقـدم.
(٢) في الأزهرية: [عمتها قالت].
(٣) **صحيح** : تـقـدم.
(٤) **مـرسـل** : لأنه من رواية الحسن البصري تابعي لم يسمع من الرسول ﷺ.
(٥) **رجاله ثقات** : أخرجه البيهقي (٨/ ١١٦).

وَخطَايَا بَنِي آدَم. وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، قَال الضَّحَّاك وَأَبُو مَالك، وَقَتَادَة وَالرَّبِيع بْن خُثَيْم: أَيْ: قُرِّبَتْ إِلَى أَهْلهَا. وقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: هَذَا هُوَ الجَوَاب، أَيْ: إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الأُمُور حِينَئِذٍ تَعْلم كُلّ نَفْس مَا عَمِلتْ وَأُحْضِر ذَلكَ لهَا، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، وَقَال تَعَالَى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدَة، حَدَّثَنَا ابْن المُبَارَك، أخبرنا مُحَمَّد بْن مُطَرِّف، عَنْ زَيْد بْن أَسْلم، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: لـمَّا نَزَلتْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قَال عُمَر: لـمَّا بلغَ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾، قَال: لِهَذَا أُجْرِيَ الحَدِيث.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

رَوَى مُسْلم فِي «صَحِيحه»، وَالنَّسَائِيّ فِي تَفْسِيره عِنْد هَذِهِ الآيَة، مِنْ حَدِيث مِسْعَر بْن كِدَام، عَنْ الوَلِيد بْن سَرِيع، عَنْ عَمْرو بْن حُرَيْث؛ قَال: صَلَّيْت خَلف النَّبِيّ ﷺ الصُّبْح، فَسَمِعْته يَقْرَأ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.[1] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ بُنْدَار، عَنْ غُنْدَر، عَنْ شُعْبَة، عَنْ الحَجَّاج ابْن عَاصِم، عَنْ أَبِي الأَسْوَد، عَنْ عَمْرو بْن حُرَيْث، بِهِ نَحْوه. قَال ابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير، مِنْ طَرِيق الثَّوْرِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ رَجُل مِنْ مُرَاد، عَنْ عَلِيّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، قَال: هِيَ النُّجُوم تَخْنَس بِالنَّهَارِ، وَتَظْهَر بِاللَّيْل. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا [مُحَمَّد بْن جَعْفَر؛ قال: حَدَّثَنَا شُعْبَة][2]، عَنْ سِمَاك ابْن حَرْب، سَمِعْت خَالد بْن عَرْعَرَة، سَمِعْت عَلِيًّا وَسُئِل عَنْ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فَقَال: هِيَ النُّجُوم، تَخْنَس بِالنَّهَارِ وَتَكْنُس بِاللَّيْل. وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ سِمَاك، عَنْ خَالد، عَنْ عَلِيّ، قَال: هِيَ النُّجُوم. وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد صَحِيح إِلَى خَالد بْن عَرْعَرَة، وَهُوَ السَّهْمِيّ الكُوفِيّ، قَال أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: رَوِي عَنْ عَلِيّ، وَرَوَى عَنْهُ سِمَاك وَالقَاسِم بْن عَوْف الشَّيْبَانِيّ، وَلَمْ يَذْكُر فِيهِ جَرْحًا وَلا تَعْدِيلًا، والله أَعْلم. وَرَوَى يُونُس، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ الحَارِث، عَنْ عَلِيّ: أَنَّهَا النُّجُوم. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْرهمْ، أَنَّهَا النُّجُوم.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا هَوْذَة بْن خَلِيفَة، حَدَّثَنَا عَوْف، عَنْ بَكْر بْن عَبْد الله فِي قَوْله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، قَال: هِيَ النُّجُوم الدَّرَارِيّ، الَّتِي تَجْرِي تَسْتَقْبِل المَشْرِق. وَقَال بَعْض الأَئِمَّة: إِنَّمَا قِيل لِلنُّجُوم «الخُنَّس»، أَيْ: فِي حَال طُلُوعهَا، ثُمَّ هِيَ جَوَارٍ فِي فَلَكهَا، وَفِي حَال غَيْبُوبَتهَا يُقَال لَهَا «كُنَّس»، مِنْ قَوْل العَرَب: أَوَى الظَّبْي إِلَى كِنَاسه إِذَا تَغَيَّبَ فِيهِ. وَقَال الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم قَال: قَال عَبْد الله [﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ قَال: بَقَر الوَحْش. وَكَذَا قَال الثَّوْرِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي مَيْسَرَة، عَنْ عَبْد الله][3]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، مَا هِيَ يَا عَمْرو؟ قُلت: البَقَر. قَال: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ. وَكَذَا رَوَى يُونُس [بن أَبِي إِسْحَاق][4] عَنْ أَبِيهِ. وَقَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ عَمْرو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: [﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، قَال:

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٤٧٥).
(٢) في الأزهرية: [محمد بن شعبة].
(٣)سقط من الأزهرية.
(٤) في الأزهرية: [ابن إسحاق].

البقَر تكنُس إلى الظِّلّ. وكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر. وَقَال العوْفِيّ عَنْ ابْن عبَّاس][1]: هِيَ الظِّبَاء. وكَذَا قَال سَعِيد أَيْضًا، وَمجُاهِد وَالضَّحَّاك. وَقَال أَبُو الشَّعْثَاء جَابِر بْن زَيْد: هِيَ الظِّبَاء وَالبَقَر. وقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا يَعْقُوب، حَدَّثَنَا هُشَيْم، أَخْبرَنَا مُغِيرَة، عَنْ إِبْرَاهِيم وَمُجَاهِد: أَنَّهُمَا تَذَاكَرَا هَذِهِ الآيَة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾، فَقَال إِبْرَاهِيم لمُجَاهِدٍ: قُل فِيهَا بِمَا سَمِعْت. قَال: فَقَال مُجَاهِد: كُنَّا نَسْمَع فِيهَا شَيْئًا، وَنَاس يَقُولُونَ: إِنَّهَا النُّجُوم. قَال: فَقَال إِبْرَاهِيم: قُل فِيهَا بِمَا سَمِعْت. قَال: فَقَال مُجَاهِد: كُنَّا نَسْمَع أَنَّهَا بَقَر الوَحْش حِين تكنُس فِي حُجْرَتهَا. قَال: فَقَال إِبْرَاهِيم: إِنَّهُمْ يَكْذِبُون عَلى عَلِيّ، هَذَا كَمَا رَوَوْا عَنْ عَلِيّ أَنَّهُ ضَمَّنَ الأَسْفَل الأَعْلى، وَالأَعْلى الأَسْفَل. وَتَوَقَّفَ ابْن جَرِير فِي قَوْلِهِ: ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: هَل هُوَ النُّجُوم، أَوْ الظِّبَاء وَبَقَر الوَحْش؟ قَال: وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الجَمِيع مُرَادًا.

وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أحدهما: إِقْبَاله بِظَلَامِهِ. قَال مُجَاهِد: أَظْلَمَ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: إِذَا نَشَأَ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: إِذَا غَشِيَ النَّاس. وَكَذَا قَال عَطِيَّة العوْفِيّ. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، وَالعوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾: إِذَا أَدْبَرَ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَكَذَا قَال زَيْد بْن أَسْلم، وَابْنه عَبْد الرَّحْمَن: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾، أَيْ: إِذَا ذَهَبَ فتوَلَّى.

وَقَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ: حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ أَبِي البُخْتُرِيّ سَمِعَ أَبَا عَبْد الرَّحْمَن السُّلمِيّ؛ قَال: خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيّ ﷺ حِين ثَوَّبَ المُثَوِّب بِصَلَاةِ الصُّبْح فَقَال: أَيْنَ السَّائِلُونَ عَنْ الوِتْر: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، هَذَا حِين أَدْبَرَ. حَسَن. وَقَدْ اخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّ المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾: إِذَا أَدْبَرَ. قَال: لقَوْلِهِ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، أَيْ: أَضَاءَ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْل الشَّاعِر أَيْضًا:

حَتَّى إِذَا الصُّبْح لَهُ تَنَفَّسَا ❁ وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلهَا وَعَسْعَسَا

أَيْ: أَدْبَرَ. وَعِنْدِي أَنَّ المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿عَسۡعَسَ﴾: إِذَا أَقْبَل، وَإِنْ كَانَ يَصِحّ اسْتِعْمَاله فِي الإِدْبَار، لكِنَّ الإِقْبَال هَاهُنَا أَنْسَب، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تعالى بِاللَّيْل وَظَلَامه إِذَا أَقْبَل، وَبِالفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، وَقَال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾. وَقَال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ وَغَيْر ذَلكَ مِنْ الآيَات. وَقَال كَثِير مِنْ عُلمَاء الأُصُول: إِنَّ لفْظَة ﴿عَسۡعَسَ﴾ تُسْتَعْمَل فِي الإِقْبَال وَالإِدْبَار عَلى وَجْه الاشْتِرَاك، فَعَلى هَذَا يَصِحّ أَنْ يُرَاد كُلّ مِنْهُمَا، وَالله أَعْلم. قَال ابْن جَرِير: وَكَانَ بَعْض أَهْل المَعْرِفَة بِكَلَامِ العَرَب يَزْعُم أَنَّ ﴿عَسۡعَسَ﴾: دَنَا مِنْ أَوَّله وَأَظْلَمَ، وَقَال الفَرَّاء: كَانَ أَبُو البِلَاد النَّحْوِيّ يُنْشِد بَيْتًا:

عَسْعَسَ حَتَّى لَوْ يَشَاء ادَّنَا ❁ كَانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مِقْبَس

يُرِيد: لوْ يَشَاء إِذْ دَنَا، أَدْغَمَ الذَّال فِي الدَّال. وقَال الفَرَّاء: وَكَانُوا يرون أَنَّ هَذَا البَيْت مَصْنُوع. وقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، قَال الضَّحَّاك: إِذَا طَلعَ. وَقَال قَتَادَة: إِذَا أَضَاءَ وَأَقْبَل. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: إِذَا نَشَأَ. وَهُوَ المَرْوِيّ عَنْ عَلِيّ ﷺ. وَقَال ابْن جَرِير: يَعْنِي: وَضَوْء النَّهَار إِذَا أَقْبَل وَتَبَيَّنَ. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، يَعْنِي: أَنَّ هَذَا القُرْآن لَتَبْلِيغُ رَسُول كَرِيم، أَيْ: مَلك شَرِيف حَسَن الخَلق، بَهِيّ المَنْظَر، وَهُوَ جِبْرِيل ﷺ. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَالشَّعْبِيّ، وَمَيْمُون بْن مِهْرَان، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالرَّبِيع بْن أَنَس، وَغَيْرهم. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ﴾ أَيْ: شَدِيد الخَلق، شَدِيد البَطْش وَالفِعْل، ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾، أَيْ: لهُ مَكَانَة عِنْد الله ﷻ وَمَنْزِلة رَفِيعَة. قَال أَبُو صَالح فِي قَوْله: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ قَال: جِبْرِيل يَدْخُل فِي سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُور بِغَيْرِ إِذْن. ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أَيْ: لهُ وَجَاهَة، وَهُوَ مَسْمُوع القَوْل مُطَاع فِي المَلإِ الأَعْلى. قَال قَتَادَة: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾، أَيْ: فِي السَّمَوَات، يَعْنِي: لَيْسَ هو مِنْ أَفْنَاءِ المَلَائِكَة، بَل هُوَ مِنْ السَّادَة وَالأَشْرَاف، مُعْتَنًى بِهِ، انْتُخِبَ لهَذِهِ الرِّسَالة العَظِيمَة.

---

(١) سقط من الأزهرية.

وَقَوْله: ﴿أَمِينٍ﴾: صِفَة لِجِبْرِيل بِالأَمَانَةِ، وَهَذَا عَظِيم جِدًّا أَنَّ الرَّبّ ﷻ يُزَكِّي عَبْده وَرَسُوله الملَكِيّ جِبْرِيل، كَمَا زَكَّى عَبْده وَرَسُوله البَشَرِيّ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾. قَال الشَّعْبِيّ، وَمَيْمُون بْن مِهْرَان، وَأَبُو صَالِح، وَمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرهمْ: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّد جِبْرِيل الَّذِي يَأْتِيه بِالرِّسَالَةِ عَنْ الله ﷻ عَلى الصُّورَة الَّتِي خَلَقَهُ الله عَلَيْهَا لهُ سِتّمِائَةِ جَنَاح، ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، أَيْ: البَيِّن، وَهِيَ الرُّؤْيَة الأُولى الَّتِي كَانَتْ بِالبَطْحَاءِ، وَهِيَ المَذْكُورَة فِي قَوْله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِير ذَلِكَ وَتَقْرِيره. وَالدَّلِيل: أَنَّ المُرَاد بِذَلِكَ جِبْرِيل عليه السلام. وَالظَّاهِر -وَالله أَعْلم- أَنَّ هَذِهِ السُّورَة نَزَلَتْ قَبْل لَيْلَة الإِسْرَاء، لأَنَّهُ لمْ يَذْكُر فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَة وَهِيَ الأُولى، وَأَمَّا الثَّانِيَة وَهِيَ المَذْكُورَة فِي قَوْله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، فَتِلكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَة النَّجْم، وَقَدْ نَزَلتْ بَعْد الإِسْرَاء.

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾، أَيْ: وَمَا مُحَمَّد عَلى مَا أَنْزَلَهُ الله إِلَيْهِ بِظَنِينٍ، أَيْ: بِمُتَّهَمٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ ذَلكَ بِالضَّادِ، أَيْ: بِبَخِيلٍ، بَل يَبْذُلهُ لِكُلِّ أَحَد. قَال سُفْيَان بْن عُيَيْنَة: ظَنِين وَضَنِين سَوَاء، أَيْ: مَا هُوَ بِكَاذِبٍ، وَمَا هُوَ بِفَاجِرٍ. وَالظَّنِين: المُتَّهَم، وَالضَّنِين: البَخِيل. وَقَال قَتَادَة: كَانَ القُرْآن غَيْبًا، فَأَنْزَلهُ الله عَلى مُحَمَّد، فَمَا ضَنَّ بِهِ عَلى النَّاس، [بَل بَلَّغَهُ وَنَشَرَهُ وَبَذَلَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَهُ. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَابْن زَيْد، وَغَيْر وَاحِد][1]. وَاخْتَارَ ابْن جَرِير قِرَاءَة الضَّاد. قُلت: وَكِلاهُمَا مُتَوَاتِر، وَمَعْنَاهُ صَحِيح كَمَا تَقَدَّمَ. وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾، أَيْ: وَمَا هَذَا القُرْآن بِقَوْل شَيْطَان رَجِيم، أَيْ: لا يَقْدِر عَلى حَمْله، وَلا يُرِيدهُ، وَلا يَنْبَغِي لهُ، كَمَا قَال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾. وقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أَيْ: فَأَيْنَ تَذْهَب عُقُولكُمْ فِي تَكْذِيبكُمْ بِهَذَا القُرْآن، مَعَ ظُهُوره وَوُضُوحه، وَبَيَان كَوْنه جَاءَ مِنْ عِنْد الله ﷻ، كَمَا قَال الصِّدِّيق رضي الله عنه لِوَفْدِ بَنِي حَنِيفَة حِين قَدِمُوا مُسْلمِينَ، وَأَمَرَهُمْ فَتَلوْا عَليْهِ شَيْئًا مِنْ قُرْآن مُسَيْلمَة الَّذِي هُوَ فِي غَايَة الهَذَيَان وَالرَّكَاكَة. فَقَال: وَيْحَكُمْ. أَيْنَ يَذْهَب عُقُولكُمْ؟ وَالله إِنَّ هَذَا الكَلام لمْ يَخْرُج مِنْ إِلّ، أَيْ: مِنْ إِله.

وَقَال قَتَادَة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أَيْ: عَنْ كِتَاب الله وَعَنْ طَاعَته.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، أَيْ: هَذَا القُرْآن ذِكْر لِجَمِيعِ النَّاس، يَتَذَكَّرُونَ بِهِ وَيَتَّعِظُونَ، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، أَيْ: مَنْ أَرَادَ الهِدَايَة فَعَليْهِ بِهَذَا القُرْآن، فَإِنَّهُ مَنْجَاة لهُ وَهِدَايَة، وَلا هِدَايَة فِيمَا سِوَاهُ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: ليْسَتْ المَشِيئَة مَوْكُولة إِليْكُمْ، فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ ضَلَّ، بَل ذَلكَ كُله تَابِع لِمَشِيئَةِ الله ﷻ رَبّ العَالمِينَ. قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ سَعِيد بْن عَبْد العَزِيز، عَنْ سُليْمَان بْن مُوسَى: لَمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، قَال أَبُو جَهْل: الأَمْر إِليْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لمْ نَسْتَقِمْ. فَأَنْزَل الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.[2]

آخِر تَفْسِير سُورَة التَّكْوِير، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) في الأزهرية: [وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده].

(٢) مرسل: أخرجه الطبري (٣٠/ ٨٤).

تفسير سورة الانفطار وهي مكية

ترتيبها ٨٢ — وآياتها ١٩

قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن قُدَامَة، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ مُحَارِب بْن دِثَار، عَنْ جَابِر؛ قَال: قَامَ مُعَاذ فَصَلَّى العِشَاء الآخِرَة فَطَوَّل، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«أَفَتَّان يَا مُعَاذ؟ أَفتَّانٌ يا معاذ؟ أَيْنَ كُنْت عَنْ سَبِّحْ اسْم رَبِّكَ الأَعْلَى، وَالضُّحَى، وَإِذَا السَّمَاء انْفَطَرَتْ؟!»**[1]. وَأَصْل الحَدِيث مُخَرَّج فِي «الصَّحِيحَيْنِ». وَلَكِنْ ذُكِرَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، فِي أَفْرَاد النَّسَائِيّ، وَتَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَة عَبْد الله بْن عُمَر، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُر إِلى القِيَامَة رَأْي عَيْن فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»**.[2]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾.

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، أي: انشقت. كما قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أَيْ: تَسَاقَطَتْ. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: فَجَّرَ الله بَعْضَها فِي بَعْض. وَقَال الحَسَن: فَجَّرَ الله بَعْضَهَا فِي بَعْض، فَذَهَبَ مَاؤُهَا. وَقَال قَتَادَة: اخْتَلَطَ مَالِحهَا، بِعَذْبِهَا. وَقَال الكَلْبِيّ: مُلِئَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: بُحِثَتْ. وَقَال السُّدِّيّ: تُبَعْثَر: تُحَرَّك فَيَخْرُج مَنْ فِيهَا. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، أَيْ: إِذَا كَانَ هَذَا حَصَل هَذَا. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾: هَذَا تَهْدِيد، لا كَمَا يَتَوَهَّمهُ بَعْض النَّاس مِنْ أَنَّهُ إِرْشَاد إِلى الجَوَاب، حَيْثُ قَال: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، حَتَّى يَقُول قَائِلهمْ: غَرَّهُ كَرَمه. بَل المَعْنَى فِي هَذِهِ الآيَة: مَا غَرَّكَ يَا بْن آدَم بِرَبِّكَ الكَرِيم -أَيْ: العَظِيم- حَتَّى أَقْدَمْت عَلى مَعْصِيَته، وَقَابَلته بِمَا لا يَلِيق؟ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: **«يَقُول الله يَوْم القِيَامَة: ابْن آدَم، مَا غَرَّك بِي؟ ابْن آدَم، مَاذَا أَجَبْت المُرْسَلِينَ؟»**.[3]

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عُمَر، حَدَّثَنَا سُفْيَان أَنَّ عُمَر سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، فَقَال عُمَر: الجَهْل. وَقَال أَيْضًا: حَدَّثَنَا عُمَر بْن شَبَّة، حَدَّثَنَا أَبُو خَلَف، حَدَّثَنَا يَحْيَى البَكَّاء، سَمِعْت ابْن عُمَر يَقُول وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، قَال ابْن عُمَر: غَرَّهُ -وَالله- جَهْله. قَال: وَرُوِيَ عَنْ ابْن عَبَّاس وَالرَّبِيع بْن خُثَيْم، وَالحَسَن مِثْل ذَلِكَ. وَقَال قَتَادَة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾: شَيْء مَا غَرَّ ابْن آدَم، وهَذَا العَدُوّ الشَّيْطَان. وَقَال الفُضَيْل بْن عِيَاض: لوْ قَال لِي: مَا غَرَّكَ بِي؟ لَقُلت: سُتُورك المُرْخَاة. وَقَال أَبُو بَكْر الوَرَّاق: لوْ قَال لِي ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؟ لَقُلت: غَرَّنِي كَرَم الكَرِيم. قال البغوي: وَقَال بَعْض أَهْل الإِشَارَة: إِنَّمَا قَال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دُون سَائِر أَسْمَائِهِ وَصِفَاته، كَأَنَّهُ لَقَّنَهُ الإِجَابَة. وَهَذَا الَّذِي تَخَيَّلَهُ هَذَا القَائِل لَيْسَ بِطَائِلٍ؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، لِيُنَبِّه عَلى أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَل الكَرِيم بِالأَفْعَال القَبِيحَة،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥).
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) لم نقف على إسناده.

وَأَعْمَال السوء. وحَكَى البَغَوِيّ عَنْ الكَلبِيّ وَمُقَاتِل أَنَّهُمَا قَالا: نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة فِي الأخنس بْن شَرِيق، ضَرَبَ النَّبِيّ ﷺ وَلَمْ يُعَاقَب فِي الحَالة الرَّاهِنَة، فَأَنْزَل الله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، أَيْ: مَا غَرَّك بِالرَّبِّ الكَرِيم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، أَيْ: جَعَلك سَوِيًّا مُعْتَدِل القَامَة مُنْتَصِبهَا، فِي أَحْسَن الهَيْئَات وَالأَشْكَال. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو النضر، حَدَّثَنَا حريز، حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن مَيْسَرَة، عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر، عَنْ بُسْر بْن جِحَاش القُرَشِيّ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّه، فَوَضَعَ عَلَيْهَا إِصْبَعه، ثُمَّ قَال: «**قَال الله ﷻ: ابْن آدم، أَنَّى تُعْجِزنِي وَقَدْ خَلَقْتُك مِنْ مِثْل هَذِهِ؟ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُك وَعَدَلْتُك، مَشَيْت بَيْن بُرْدَيْنِ وَللأَرْضِ مِنْك وَئِيد، فَجَمَعْت وَمَنَعْت، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ قُلت: أَتَصَدَّق، وَأَنَّى أَوَان الصَّدَقَة**».[1] وَكَذَا رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ يَزِيد بْن هَارُون، عَنْ حريز بْن عُثْمَان بِهِ. قَال شَيْخنَا الحَافِظ أَبُو الحَجَّاج المِزِّيّ: وَتَابَعَهُ يَحْيَى بْن حَمْزَة، عَنْ ثَوْر بْن يَزِيد، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَيْسَرَة.

وقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، قَال مُجَاهِد: فِي أَيّ شَبَه أَب أَوْ أُمّ، أَوْ خَال أَوْ عَمّ. وَقَال ابْن جَرِير: [حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سِنَان القزاز، حَدَّثَنَا مُطَهَّر بْن الهَيْثَم، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عَلِيّ بْن رَبَاح][2]، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي؛ أَنَّ النبي ﷺ قَال لَهُ: «**مَا وُلِدَ لك؟**». قَال: يَا رَسُول الله، مَا عَسَى أَنْ يُولد لِي؟ إِمَّا غُلام وَإِمَّا جَارِيَة. قَال: «**فَمَنْ يُشْبِه؟**». قَال: يَا رَسُول الله، مَنْ عَسَى أَنْ يُشْبِه؟ إِمَّا أَبَاهُ وَإِمَّا أُمّه. فَقَال النَّبِيّ ﷺ عِنْدهَا: «مَهْ. لا تَقُولن هَكَذَا، إِنَّ النُّطْفَة إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِم أَحْضَرَهَا الله تَعَالى كُلّ نَسَب بَيْنهَا وَبَيْن آدَم، أَمَا قَرَأْت هَذِهِ الآيَة فِي كِتَاب الله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، قَال: سلكك».[3]

وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم وَالطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث مُطَهَّر بْن الهَيْثَم بِهِ. وَهَذَا الحَدِيث لَوْ صَحَّ لَكَانَ فَيْصَلًا فِي هَذِهِ الآيَة، وَلكِنْ إِسْنَاده لَيْسَ بِالثَّابِتِ، لأَنَّ «مُطَهَّر بْن الهَيْثَم» قَال فِيهِ أَبُو سَعِيد ابْن يُونُس: كَانَ مَتْرُوك الحَدِيث، وَقَال ابْن حِبَّان: يَرْوِي عَنْ مُوسَى بْن عَلِيّ وَغَيْره مَا لا يُشْبِه حَدِيث الأَثْبَات. وَلكِنْ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَجُلًا قَال: يَا رَسُول الله، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَد؟ قَال: «**هَل لك مِنْ إِبِل؟**». قَال: نَعَمْ. قَال: «**فَمَا أَلوَانهَا؟**». قَال: حُمْر. قَال: «**فَهَل فِيهَا مِنْ أَوْرَق؟**». قَال: نَعَمْ. قَال: «**فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلك؟**». قَال: عَسَى أَنْ يَكُون نَزَعَهُ عِرْق. قَال: «**وهَذَا عَسَى أَنْ يَكُون نَزَعَهُ عِرْق**»[4]. وَقَدْ قَال عِكْرِمَة فِي قَوْله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: إِنْ شَاءَ فِي صُورَة قِرْد، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَة خِنْزِير. وَكَذَا قَال أَبُو صَالح: إِنْ شَاءَ فِي صُورَة كَلب، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَة حِمَار، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَة خِنْزِير. وَقَال قَتَادَة: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، قَال: قَادِر -وَالله- رَبّنَا عَلى ذَلكَ. وَمَعْنَى هَذَا القَوْل عِنْد هَؤُلاءِ: أَنَّ الله ﷻ قَادِر عَلى خَلق النُّطْفَة عَلى شَكْل قَبِيح مِنْ الحَيَوَانَات المُنْكَرَة الخَلق، وَلكِنْ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفه وَحِلمه يَخْلُقهُ عَلى شَكْل حَسَن مُسْتَقِيم مُعْتَدِل تَامّ، حَسَن المَنْظَر وَالهَيْئَة.

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾، أَيْ: بل إِنَّمَا يَحْمِلكُمْ عَلى مُوَاجَهَة الكَرِيم وَمُقَابَلته بِالمَعَاصِي، تَكْذِيب فِي

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) ضعيف جدًا: فيه مطر بن الهيثم: متروك.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٥)، ومسلم (١٥٠٠).

قُلُوبكُمْ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاء وَالْحِسَاب. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، يَعْنِي: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلائِكَة حَفَظَة كِرَامًا كاتبين، فَلا تُقَابِلُوهُمْ بِالقَبَائِح، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيع أَعْمَالكُمْ. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ، حَدَّثنَا وَكِيع، حَدَّثنَا سُفْيَان وَمِسْعَر، عَنْ عَلقَمَة بْن مَرْثَد، عَنْ مُجَاهِد قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «أَكْرِمُوا الكِرَام الكَاتِبِينَ الَّذِينَ لا يُفَارِقُونَكُمْ إلاَّ عِنْد إِحْدَى حَالَتَيْنِ: الجَنَابَة وَالغَائِط. فَإِذَا اغْتَسَل أَحَدكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ بِجِرْم حَائِط أَوْ بِبَعِيرِهِ، أَوْ لِيَسْتُرْهُ أَخُوهُ».[1]

وَقَدْ رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار، فَوَصَلهُ بِلفْظٍ آخر، فَقَال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عثمان بْن كَرَامَة، حَدَّثنَا عُبَيْد الله ابْن مُوسَى، عَنْ حَفْص بْن سُلَيْمَان، عَنْ عَلقَمَة بْن مَرْثَد، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«إِنَّ الله يَنْهَاكُمْ عَنْ التَّعَرِّي، فَاسْتَحْيُوا مِنْ مَلائِكَة الله الَّذِينَ مَعَكُمْ، الكِرَام الكَاتِبِينَ، الَّذِينَ لا يُفَارِقُونَكُمْ إلاَّ عِنْد إِحْدَى ثَلاث حَالات: الغَائِط، وَالجَنَابَة، وَالغُسْل. فَإِذَا اغْتَسَل أَحَدكُمْ بِالعَرَاءِ فَلْيَسْتَتِرْ بِثَوْبِهِ، أَوْ بِجِرْمِ حَائِط، أَوْ بِبَعِيرِهِ»**[2]. ثُمَّ قَال: حَفْص بْن سُلَيْمَان لَيِّن الحَدِيث، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ وَاحْتُمِل حَدِيثه.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا زِيَاد بْن أَيُّوب، حَدَّثَنَا مبشر بْن إِسْمَاعِيل الحَلَبِيّ، حَدَّثنَا تَمَّام بْن نَجِيح، عَنْ الحَسَن -يَعْنِي البَصْرِيّ- عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلى الله ﷻ مَا حَفِظَا فِي يَوْم فَيَرَى فِي أَوَّل الصَّحِيفَة وَفِي آخِرهَا اسْتِغْفَارًا إلاَّ قَال الله تَعَالى: قَدْ غَفَرْت لِعَبْدِي مَا بَيْن طَرَفَيْ الصَّحِيفَة»**. ثُمَّ قَال: تَفَرَّدَ بِهِ تَمَّام بْن نَجِيح، وَهُوَ صَالح الحَدِيث.

قُلت: وَثَّقَهُ ابْن مَعِين وَضَعَّفَهُ البُخَارِيّ، وَأَبُو زُرْعَة، وَابْن أَبِي حَاتِم، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن عَدِيّ. وَرَمَاهُ ابْن حِبَّان بِالوَضْع. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: لا أَعْرِف حَقِيقَة أَمْره. وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثنَا إِسْحَاق بْن سُلَيْمَان البَغْدَادِيّ المَعْرُوف بِالقلُوسِيّ، حَدَّثنَا بَيَان بْن حُمْرَان، حَدَّثنَا سَلَّام، عَنْ مَنْصُور بْن زَاذَان، عَنْ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ لله مَلائِكَة يَعْرِفُونَ بَنِي آدَم -وَأَحْسَبهُ قَال: وَيَعْرِفُونَ أَعْمَالهُمْ- فَإِذَا نَظَرُوا إِلى عَبْد يَعْمَل بِطَاعَةِ الله ذَكَرُوهُ بَيْنهمْ وَسَمَّوْهُ، وَقَالُوا: أَفْلَحَ اللَّيْلة فُلان، نَجَا الليلةَ فلانٌ، وَإِذَا نَظَرُوا إِلى عَبْد يَعْمَل بِمَعْصِيَةِ الله ذَكَرُوهُ بَيْنهمْ وَسَمَّوْهُ، وَقَالُوا: هَلكَ اللَّيْلة فُلان»[3]. ثُمَّ قَال البَزَّار: سَلَّام هَذَا أَحْسَبهُ سَلَّامًا المَدَائِنِيّ، وَهُوَ لَيِّن الحَدِيث.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَمَّا يَصِير الأَبْرَار إِلَيْهِ مِنْ النَّعِيم، وَهُمْ الَّذِينَ أَطَاعُوا الله ﷻ، وَلمْ يُقَابِلُوهُ بِالمَعَاصِي. وَقَدْ رَوَى ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة «مُوسَى بْن مُحَمَّد»، عَنْ هِشَام بْن عَمَّار، عَنْ عِيسَى بْن يُونُس بْن أَبِي إِسْحَاق، عَنْ [عُبَيْد الله][4]، عَنْ مُحَارِب، عَنْ ابْن عُمَر، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِنَّمَا سَمَّاهُمْ الله الأَبْرَار لأَنَّهُمْ بَرُّوا الآبَاء وَالأَبْنَاء»[5]. ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَصِير إِلَيْهِ الفُجَّار مِنْ الجَحِيم وَالعَذَاب المُقِيم، ولهذا قال: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾، أَيْ: يَوْم الحِسَاب وَالجَزَاء

---

(١) **مرسل**: من رواية مجاهد.

(٢) **ضعيف جدًا**: أخرجه البزار. وفيه حفص بن سليمان: متروك الحديث، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٢٤٣).

(٣) **ضعيف جدًا**: فيه سلام المدائني: متروك الحديث.

(٤) في الأزهرية: [عبد الله].

(٥) **ضعيف**: عزاه لابن عساكر، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافي: ضعيف. ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤) موقوفًا على ابن عمر.

وَالقِيَامَة، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾، أَيْ: لا يَغِيبُونَ عَنْ العَذَاب سَاعَة وَاحِدَة، وَلا يُخَفَّف عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلا يُجَابُونَ إِلى مَا يَسْأَلُونَ مِنْ المَوْت أَوْ الرَّاحَة، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا.

وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، تَعْظِيم لشَأْنِ يَوْم القِيَامَة، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾، أَيْ: لا يَقْدِر واحد عَلى نَفْع أَحَد وَلا خَلاصه مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَن الله لِمَنْ يَشَاء وَيَرْضَى. وَنَذْكُر هَاهُنَا حَدِيث: «**يَا بَنِي هَاشِم، أَنْقِذُوا أَنْفُسكُمْ مِنْ النَّار، لا أَمْلك لكُمْ مِنْ الله شَيْئًا**».[1] وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آخِر تَفْسِير سُورَة الشُّعَرَاء؛ وَلِهَذَا قَال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. قَال قَتَادَة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، وَالأَمْر -وَالله- اليَوْم لله، وَلكِنَّهُ يَوْمئِذٍ لا يُنَازِعهُ فِيهِ أَحَد.

آخِر تَفْسِير سُورَة الانْفِطَار، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة



تفسير سُورَةُ المُطَفِّفِينَ وهي مدنية

ترتيبها ٨٣ — وآياتها ٣٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قَال النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن عَقِيل -زَادَ ابْن مَاجَهْ: وَعَبْد الرَّحْمَن بْن بِشْر- قَالا: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن بْن وَاقِد، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ يَزِيد -هُوَ ابْن أَبِي سَعِيد النَّحْوِيّ، مَوْلى قُرَيْش- عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَـمَّا قَدِمَ نبي الله ﷺ المَدِينَة كَانُوا مِنْ أَخْبَث النَّاس كَيْلًا، فَأَنْزَل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فَحَسَّنُوا الكَيْل بَعْد ذَلِك.[2]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن النَّضْر بْن حَمَّاد، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُبَيْد، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ عَبْد الله بْن الحَارِث، عَنْ هِلال بْن طَلق قَال: بَيْنَمَا أَنَا أَسِير مَعَ ابْن عُمَر، فَقُلت: مِنْ أَحْسَن النَّاس هَيْئَة وَأَوْفَاهُ كَيْلًا: أَهْل مَكَّة وَأَهْل المَدِينَة، قَال: حُقّ لهُمْ، أَمَا سَمِعْت الله يَقُول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِب، حَدَّثَنَا ابْن فُضَيْل، عَنْ ضِرَار، عَنْ عَبْد الله المُكَتِّب، عَنْ رَجُل، عَنْ عَبْد الله قَال: قَال لهُ رَجُل: يَا أَبَا عَبْد الرَّحْمَن، إِنَّ أَهْل المَدِينَة ليُوفُونَ الكَيْل. قَال: وَمَا يَمْنَعهُمْ أَنْ يُوفُوا الكَيْل وَقَدْ قَال الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، حَتَّى بَلغَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. فالمُرَاد بِالتَّطْفِيف هَاهُنَا: البَخْس فِي المِكْيَال وَالمِيزَان، إِمَّا بِالازْدِيَاد إِنْ اقْتَضَى مِنْ النَّاس، وَإِمَّا بِالنُّقْصَان إِنْ قَضَاهُمْ. ولهذا فسَّر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل، بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أَيْ: مِنْ النَّاس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، أَيْ: يَأْخُذُونَ حَقّهمْ بِالوَافِي وَالزَّائِد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أَيْ: يُنْقِصُونَ. وَالأَحْسَن أَنْ يُجْعَل «كَالُوا» وَ«وَزَنُوا» مُتَعَدِّيًا، وَيَكُون (هُمْ) فِي مَحَلّ نَصْب: وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلهَا ضَمِيرًا مُؤَكِّدًا للمُسْتَتِر فِي قَوْله «كَالُوا» وَ«وَزَنُوا»، وَيَحْذِف المَفْعُول لدَلالَة الكَلام عَليْهِ، وَكِلاهُمَا مُتَقَارِب.

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) حسن: أخرجه النسائي، وابن ماجه (٢٢٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالوَفَاءِ فِي الكَيْلِ وَالمِيزَانِ، فَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾. وَأَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ وَدَمَّرَهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي المِكْيَالِ والمِيزَانِ. ثم قال تعالى متوعدًا لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أَيْ: أَمَا يَخَافُ أُولَئِكَ مِنَ البَعْثِ وَالقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ. فِي يَوْمٍ عَظِيمِ الهَوْلِ، كَثِيرِ الفَزَعِ، جَلِيلِ الخَطْبِ، مَنْ خَسِرَ فِيهِ أُدْخِلَ نَارًا حَامِيَةً! وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرِجٍ ضَيِّقٍ ضَنْكٍ عَلَى المُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا تَعْجِزُ القُوَى وَالحَوَاسُّ عَنْهُ.

قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ: عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»[1]. رَوَاهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْنٍ كِلَيْهِمَا عَنْ نَافِعٍ بِهِ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ أَيْضًا. وَكَذَلِكَ رَوَاهُ صَالِحٌ أَيُّوبُ بْنُ يَحْيَى، وَعَبْدُ اللهِ وَعُبَيْدُ اللهِ ابْنَا عُمَرَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ بِهِ. وَلَفْظُ الإِمَامِ أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: **لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ العَرَقَ لَيُلْجِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ**».

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا ابْنُ المُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي المِقْدَادُ -يَعْنِي ابْنَ الأَسْوَدِ الكِنْدِيَّ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ، حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ، قَالَ: فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا**».[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنِ الحَكَمِ بْنِ مُوسَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ سُوَيْدٍ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ؛ كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ جَابِرٍ، بِهِ.

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ سِوَارٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ: أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الهَوَامُّ كَمَا تَغْلِي القُدُورُ، يَعْرَقُونَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ**»[3]. انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ.

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، [حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ][4]، حَدَّثَنَا أَبُو عُشَّانَةَ حَيُّ بْنُ يُؤْمِنٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ ابْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ العَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ**». وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا، «**وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ**»[3]. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً. انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ. وَفِي حَدِيثٍ: أَنَّهُمْ يَقُومُونَ سَبْعِينَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٤) من حديث أبي أمامة، ورواه أحمد أيضًا (٤/ ١٥٧)، من حديث عقبة بن عامر، ويشهد له حديث المقداد السابق.

(٤) في الأزهرية: [حدثنا حسن بن لهيعة].

سَنَة لا يَتَكَلَّمُونَ. وَقِيل: يَقُومُونَ ثَلثِمِائَةِ سَنَة. وَقِيل: يَقُومُونَ أَرْبَعِينَ أَلف سَنَة. وَيُقْضَى بَيْنَهمْ فِي مِقْدَار عَشَرَة آلاف سَنَة، كَمَا فِي «صَحِيح مُسْلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثنَا أَبُو عَوْن الزِّيَادِيّ، أَخْبَرَنَا عَبْد السَّلام بْن عَجْلان، سَمِعْت أَبَا يَزِيد المَدَنِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال النبي ﷺ لبَشِيرٍ الغِفَارِيّ: «**كَيْف أَنْتَ صَانِع فِي يَوْم يَقُوم النَّاس فِيهِ ثَلثمِائَةِ سَنَة لربِّ العَالمِينَ، مِنْ أَيَّام الدُّنْيَا، لا يَأْتِيهِمْ فِيهِ خَبَر مِنْ السَّمَاء، وَلا يُؤْمَر فِيهِمْ بِأَمْرٍ**». قَال بَشِير: المُسْتَعَان الله. قَال: «فَإِذَا أَوَيْت إِلى فِرَاشك فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ كَرْب يَوْم القِيَامَة، وَسُوء الحِسَاب»[1]. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق عَبْد السَّلام بِهِ. وَفِي «سُنَن أَبِي دَاوُد»: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذ بِالله مِنْ ضِيق المَقَام يَوْم القِيَامَة. وَعَنْ ابْن مَسْعُود: يَقُومُونَ أَرْبَعِينَ سَنَة رَافِعِي رُءُوسهمْ إِلى السَّمَاء، لا يُكَلِّمهُمْ أَحَد، قَدْ أَلجَمَ العَرَق بَرّهمْ وَفَاجِرهمْ. وَعَنْ ابْن عُمَر: يَقُومُونَ مِائَة سَنَة. رَوَاهُمَا ابْن جَرِير. وَفِي «سُنَن أَبِي دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مَاجَهْ»، مِنْ حَدِيث زَيْد بْن الحُبَاب، عَنْ مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ أَزْهَر بْن سَعِيد الحواري، عَنْ عَاصِم بْن حُمَيْد، عَنْ عَائِشَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَفْتَتِح قِيَام اللَّيْل: يُكَبِّر عَشْرًا، وَيَحْمَد عَشْرًا، وَيُسَبِّح عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِر عَشْرًا، وَيَقُول: «**اللَّهُمَّ؛ اغْفِرْ لي وَاهْدِنِي؛ وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي**». وَيَتَعَوَّذ مِنْ ضِيق المَقَام يَوْم القِيَامَة.[2]

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

يَقُول: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾، أَيْ: إِنَّ مَصِيرهمْ وَمَأْوَاهُمْ لفِي سِجِّين -فِعِّيل مِنْ السِّجْن، وَهُوَ الضِّيق- كَمَا يُقَال: فِسِّيق وَشِرِّيب وَخِمِّير وَسِكِّير، وَنَحو ذَلكَ؛ وَلهَذَا عَظَّمَ أَمْره فَقَال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾، أَيْ: هُوَ أَمْر عَظِيم، وَسِجْن مُقِيم وَعَذَاب أَلِيم. ثُمَّ قَدْ قَال قَائِلُونَ: هِيَ تَحْت الأَرْض السَّابِعَة. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيث البَرَاء بْن عَازِب، فِي حَدِيثه الطَّوِيل: يَقُول الله ﷻ فِي رُوح الكافر: «**اكْتُبُوا كِتَابه فِي سِجِّين**».[3] وَسِجِّين: هِيَ تَحْت الأَرْض السَّابِعَة. وَقِيل: [صَخْرَة][4] تَحْت السَّابِعَة خَضْرَاء. وَقِيل: بِئْر فِي جَهَنَّم. وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير فِي ذَلكَ حَدِيثًا غَرِيبًا مُنْكَرًا لا يَصِحّ فَقَال: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن وَهْب الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا مَسْعُود بْن مُوسَى بْن مُشْكَان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا نَصْر بْن خُزَيْمَة الوَاسِطِيّ، عَنْ شُعَيْب بْن صَفْوَان، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «الفَلَق: جُبّ فِي جَهَنَّم مُغَطًّى، وَأَمَّا سِجِّين فَمَفْتُوح»[5]. وَالصَّحِيح أَنَّ «سِجِّينًا» مَأْخُوذٌ مِنْ السِّجْن، وَهُوَ الضِّيق، فَإِنَّ المَخْلُوقَات كُلّ مَا تَسَافَل مِنْهَا [ضَاقَ، وَكُلّ مَا تَعَالى مِنْهَا اتَّسَعَ، فَإِنَّ الأَفْلاك السَّبْعَة كُلّ وَاحِد مِنْهَا أَوْسَع وَأَعْلى مِنْ الَّذِي دُونه، وَكَذَلكَ الأَرْضُونَ كُلّ وَاحِدَة أَوْسَع مِنْ الَّتِي دُونهَا، حَتَّى يَنْتَهِي السُّفُول المُطْلق وَالمَحَلّ الأَضْيَق إِلى المَرْكَز فِي وَسَط الأَرْض السَّابِعَة، وَلمَّا كَانَ مَصِير الفُجَّار

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٩٣) بسند ضعيف.
(٢) **حسن صحيح**: أخرجه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (٣/ ٣٠٨)، وقال الألباني: حسن صحيح في «صحيح سنن أبي داود».
(٣) **صحيح**: تقدم.
(٤) في الأزهرية: [حجرة].
(٥) **منكر**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٤٩)، وفيه مسعود بن موسى: لا يعرف. وقال الألباني: منكر. انظر «الصحيحة» (٤٠٢٩).

إِلى جهَنَّم وَهِيَ أَسْفَل السَّافِلِينَ][1]، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.
وَقَال هَاهُنَا: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾، وَهُوَ يَجْمَع الضِّيق وَالسُّفُول، كَمَا قَال: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾.

وقوله: ﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾، لَيْسَ تَفْسِيرًا لقَوْلِهِ: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾، وَإِنَّمَا هُوَ تَفْسِير لمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنْ المَصِير إِلى سِجِّين، أَيْ: مَرْقُوم مَكْتُوب مَفْرُوغ مِنْهُ، لا يُزَاد فِيهِ أَحَد وَلا يُنْقَص مِنْهُ أَحَد، قَالهُ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ.
ثم قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾، أَيْ: إِذَا صَارُوا يَوْم القِيَامَة إِلى مَا أَوْعَدَهُمْ الله مِنْ السِّجْن وَالعَذَاب المُهِين.
وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلام عَلى قَوْله: ﴿ وَيْلٌ ﴾ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته، وَأَنَّ المُرَاد مِنْ ذَلكَ الهَلاك وَالدَّمَار، كَمَا يُقَال: وَيْل لفُلانٍ. وَكَمَا جَاءَ فِي المُسْنَد وَالسُّنَن مِنْ رِوَايَة بَهْز بْن حَكِيم بْن مُعَاوِيَة بْن [حَيْدَة][2]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**وَيْل للَّذِي يُحَدِّث فَيَكْذِب، ليُضْحِك النَّاس، وَيْل لهُ، وَيْل لهُ**».[3]

ثم قال تعالى مفسرًا للمكذبين الفجار الكفرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، أَيْ: لا يُصَدِّقُون بِوُقُوعِهِ، وَلا يَعْتَقِدُونَ كَوْنه وَيَسْتَبْعِدُونَ أَمْره. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾، أَيْ: مُعْتَدٍ فِي أَفْعَاله، مِنْ تَعَاطِي الحَرَام وَالمُجَاوَزَة فِي تَنَاوُل المُبَاح وَالأَثِيم فِي أَقْوَاله: إِنْ حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلفَ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.

وقوله: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أَيْ: إِذَا سَمِعَ كَلام الله مِنْ الرَّسُول، يُكَذِّب بِهِ، وَيَظُنّ بِهِ ظَنَّ السُّوء، فَيَعْتَقِد أَنَّهُ مُفْتَعَل مَجْمُوع مِنْ كُتُب الأَوَائِل، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، وَقَال: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾. قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَمَا زَعَمُوا وَلا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا القُرْآن أَسَاطِير الأَوَّلِينَ، بَل هُوَ كَلام الله وَوَحْيه وَتَنْزِيله عَلى رَسُوله ﷺ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبهمْ عَنْ الإِيمَان بِهِ مَا عَلَيْهَا مِنْ الرَّيْن الَّذِي قَدْ لَبِسَ قُلُوبهمْ مِنْ كَثْرَة الذُّنُوب وَالخَطَايَا، وَلهَذَا قَال تَعَالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، وَالرَّيْن يَعْتَرِي قُلُوب الكَافِرِينَ، وَالغَيْم للأَبْرَارِ، وَالغَيْن للمُقَرَّبِينَ.

وَقَدْ رَوَى ابْن جَرِير وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ. مِنْ طُرُق، عَنْ مُحَمَّد بْن عَجْلان، عَنْ القَعْقَاع بْن حَكِيم، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِنَّ العَبْد إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَة سَوْدَاء فِي قَلبه، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِل قَلبه، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ؛ فَذَلكَ قَوْل الله:** ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾»[4]. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح». وَلفْظ النَّسَائِيّ: «إِنَّ العَبْد إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَة نُكِتَ فِي قَلبه نُكْتَة، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِل قَلبه، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى يَعْلُو قَلبه، فَهُوَ الرَّان الَّذِي قَال الله: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾».

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن [عِيسَى][5]، أَخْبَرَنَا ابْن عَجْلان، عَنْ القَعْقَاع بْن حَكِيم، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**إِنَّ المُؤْمِن إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَة سَوْدَاء فِي قَلبه، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِل قَلبه، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُو قَلبه، وَذَاكَ الرَّان الَّذِي ذَكَرَ الله فِي القُرآن:** ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾». وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: هُوَ الذَّنْب عَلى الذَّنْب، حَتَّى يَعْمَى القَلب، فَيَمُوت. وَكَذَا قَال مُجَاهِد

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) في الأزهرية: [خلده].
(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٦)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٤) حسن: أخرجه الطبري (٣٠/٢٨)، والترمذي (٣٣٣١)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٥) في الأزهرية: [عليه].

[بْن جبر][(١)] وَقتادَة، وَابْن زَيْد، وَغَيْرهمْ. وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، أَيْ: لَهُمْ يَوْم القِيَامَة مَنْزِل وَنُزُل سِجِّين، ثُمَّ هُمْ يَوْم القِيَامَة مَعَ ذَلكَ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَة رَبّهمْ وَخَالقهمْ.

قَال الإِمَام أَبُو عَبْد الله الشَّافِعِيّ: هَذِهِ الآيَة دَليل عَلى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ ﷻ يَوْمئِذٍ. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ الإِمَام الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي غَايَة الحُسْن، وَهُوَ اسْتِدْلال بِمَفْهُومِ هَذِهِ الآيَة. كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَنْطُوق قَوْله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾. وَكَمَا دَلَّتْ عَلى ذَلكَ الأَحَادِيث الصِّحَاح الْمُتَوَاتِرَة فِي رُؤْيَة الْمُؤْمِنِينَ رَبّهمْ ﷻ فِي الدَّار الآخِرَة، رُؤْيَة بِالأَبْصَارِ فِي عَرَصَات القِيَامَة، وَفِي رَوْضَات الجِنَان الفَاخِرَة. وَقَدْ قَال ابْن جَرِير: حدَّثني محمد بن عمار الرازي، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَر المنقري، حَدَّثَنَا [عَبْد الوَارِث][(٢)] بْن سَعِيد، عَنْ عَمْرو بْن عُبَيْد، عَنْ الحَسَن فِي قَوْله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، قَال: يُكْشَف الحِجَاب، فَيَنْظُر إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالكَافِرُون، ثُمَّ يُحْجَب عَنْهُ الكَافِرُونَ، وَيَنْظُر إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ كُلّ يَوْم غَدْوَة وَعَشِيَّة. أَوْ كَلامًا هَذَا مَعْنَاهُ. وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾، أَيْ: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الحِرْمَان عَنْ رُؤْيَة الرَّحْمَن مِنْ أَهْل النِّيرَان، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: يُقَال لَهُمْ ذَلكَ عَلى وَجْه التَّقْرِيع وَالتَّوْبِيخ، وَالتَّصْغِير وَالتَّحْقِير.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ [إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

يقول تعالى: حقًا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾، وَهُمْ بِخِلافِ الفُجَّار، ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ أَيْ: مَصِيرهمْ إِلى عِلِّيِّينَ، وَهُوَ بِخِلافِ سِجِّين. قَال الأَعْمَش عَنْ شِمْر بْن عَطِيَّة، عَنْ هِلال بْن يِسَاف؛ قَال: سَأَل ابْن عَبَّاس كَعْبًا وَأَنَا حَاضِر عَنْ سِجِّين، قَال: هِيَ الأَرْض السَّابِعَة، وَفِيهَا أَرْوَاح الكُفَّار. وَسَأَلهُ عَنْ عِلِّيِّينَ فَقَال: هِيَ السَّمَاء السَّابِعَة، وَفِيهَا أَرْوَاح الْمُؤْمِنِينَ. وَهَكَذَا قَال غَيْر وَاحِد: إِنَّهَا السَّمَاء السَّابِعَة. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ يَعْنِي: الجَنَّة. وَفِي رِوَايَة العَوْفِيّ، عَنْهُ: أَعْمَالهمْ فِي السَّمَاء عِنْد الله. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك. وَقَال قَتَادَة: عِلِّيُّونَ: سَاقَ العَرْش اليُمْنَى، وَقَال غَيْره: عِلِّيُّونَ: عِنْد سِدْرَة الْمُنْتَهَى. وَالظَّاهِر: أَنَّ عِلِّيِّينَ مَأْخُوذ مِنْ العُلُوّ، وَكُلَّمَا عَلا الشَّيْء وَارْتَفَعَ عَظُمَ وَاتَّسَعَ، وَلهَذَا قَال مُعَظِّمًا أَمْره وَمُفَخِّمًا شَأْنه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾. ثم قال مؤكدًا لما كتب لهم: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾، وهُمْ الْمَلائِكَة، قَالهُ قَتَادَة. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: يَشْهَد مِنْ كُلّ سَمَاء مُقَرَّبُوهَا.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة هُمْ فِي نَعِيم مُقِيم، وَجَنَّات فِيهَا فَضْل عَمِيم. ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾، وَهِيَ: السُّرُر تَحْت الحِجَال، ﴿يَنظُرُونَ﴾، قِيل: مَعْنَاهُ يَنْظُرُونَ فِي مُلكهمْ، وَمَا أَعْطَاهُمْ الله مِنْ الخَيْر وَالفَضْل الَّذِي لا يَنْقَضِي وَلا يَبِيد. وَقِيل: مَعْنَاهُ ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾، إِلى الله ﷻ. وَهَذَا مقابلة لِمَا وُصِفَ بِهِ أُولئِكَ الفُجَّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلاءِ أَنَّهُمْ يُبَاحون النَّظَر إِلى الله ﷻ. وَهُمْ عَلى سُرُرهمْ وَفُرُشهمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيث ابْن عُمَر: «إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّة مَنْزِلة لَمَنْ يَنْظُر فِي مُلكه مَسِيرَة أَلفَيْ سَنَة، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، وَإِنَّ أَعْلاهُمْ لَمَنْ يَنْظُر إِلى الله فِي اليَوْم مَرَّتَيْنِ». وقوله: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ

---

(١) في الأزهرية: [وابن جبير].
(٢) في الأزهرية: [عبد الرزاق].

ٱلنَّعِيمِ﴾، أَيْ: تَعْرِف إِذَا نَظَرْت إِلَيْهِمْ فِي وُجُوههمْ نَضْرَة النَّعِيم، أَيْ: صِفَة التَّرَافَة وَالحِشْمَة وَالسُّرُور وَالدَّعَة وَالرِّيَاسَة، مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ النَّعِيم العَظِيم.

وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾، أَيْ: يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْر مِنْ الجَنَّة. وَالرَّحِيق: مِنْ أَسْمَاء الخَمْر. قَالَهُ ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن، حَدَّثَنَا زُهَيْر، عَنْ سَعْد أَبِي المُجَاهِد الطَّائِيّ، عَنْ عَطِيَّة بْن سَعْد العَوْفِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ أُرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلى النَّبِيّ ﷺ قَال: «أَيّمَا مُؤْمِن سَقَى مُؤْمِنًا شَرْبَة عَلى ظَمَإٍ، سَقَاهُ الله يَوْم القِيَامَة مِنْ الرَّحِيق المَخْتُوم. وَأَيّمَا مُؤْمِن أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلى جُوع، أَطْعَمَهُ الله مِنْ ثِمَار الجَنَّة. وَأَيّمَا مُؤْمِن كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلى عُرْي كَسَاهُ الله مِنْ خُضْرِ الجَنَّة».[1]

وَقَال ابْن مَسْعُود فِي قَوْله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، أَيْ: خِلطه مِسْك. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: طَيَّبَ الله لَهُمْ الخَمْر، فَكَانَ آخِر شَيْء جُعِل فِيهَا مِسْك، خُتِمَ بِمِسْكٍ. وَكَذَا قَال قَتَادَة وَالضَّحَّاك. وَقَال إِبْرَاهِيم وَالحَسَن: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أَيْ: عَاقِبَته مِسْك.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن وَاضِح، حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَة، عَنْ جَابِر، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن سَابِط، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، قَال: شَرَاب أَبْيَض مِثْل الفِضَّة، يَخْتِمُونَ بِهِ شَرَابهمْ. وَلوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْل الدُّنْيَا أَدْخَل أُصْبُعه فِيهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا لمْ يَبْقَ ذُو رُوح إِلَّا وَجَدَ طِيبهَا. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، قَال: طِيبه مِسْك.

وَقَوْله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾، أَيْ: وَفِي مِثْل هذا الحَال فَلْيَتَفَاخَرْ المُتَفَاخِرُونَ، وَليَتَبَاه وَيُكَاثِر وَيَسْتَبِق إِلى مِثْله المُسْتَبِقُونَ. كَقَوْلِهِ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾. وقوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾، أَيْ: وَمِزَاج هَذَا الرَّحِيق المَوْصُوف مِنْ تَسْنِيم، أَيْ: مِنْ شَرَاب يُقَال لهُ: تَسْنِيم، وَهُوَ أَشْرَف شَرَاب أَهْل الجَنَّة وَأَعْلاهُ. قَالهُ أَبُو صَالِح وَالضَّحَّاك، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، أَيْ: يَشْرَبهَا المُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَتُمْزَج لأَصْحَابِ اليَمِين، مَزْجًا. قَالهُ ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَمَسْرُوق، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟][2] إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ المُجْرِمِينَ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّار الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنْ المُؤْمِنِينَ، أَيْ: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِالمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ عَليْهِمْ، أَيْ: مُحْتَقِرِينَ لهُمْ، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾، أَيْ: وَإِذَا انْقَلبَ، أَيْ: رَجَعَ هَؤُلاءِ المُجْرِمُونَ إِلى مَنَازِلهمْ، انْقَلبُوا إِليْهَا فَكِهِينَ، أَيْ: مَهْمَا طَلبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَة الله عَليْهِمْ، بَل اشْتَغَلُوا بِالقَوْمِ المُؤْمِنِينَ يَحْقِرُونَهُمْ وَيَحْسُدُونَهُمْ، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أَيْ: لكَوْنِهِمْ عَلى غَيْر دِينهمْ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾، أَيْ: وَمَا بُعِثَ هَؤُلاءِ المُجْرِمُونَ حَافِظِينَ عَلى هَؤُلاءِ المُؤْمِنِينَ مَا

---

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ١٣)، والترمذي (٢٢٥١)، وفيه عطية العوفي: شيعي مدلس. وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

(٢) سقط من الأزهرية.

يَصْدُر مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوالِهِمْ، وَلا كُلِّفُوا بِهِمْ فَلِمَ اشْتَغَلُوا بِهِمْ، وَجَعَلُوهُمْ نُصْب أَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يَعْنِي: يَوْم القِيَامَة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلة مَا ضَحِكَ بِهِمْ أُولئِكَ، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾، أَيْ: إِلى الله ﷻ فِي مُقَابَلة مَنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، لَيْسُوا بِضَالِّينَ، بَل هُمْ مِنْ أَوْلِيَاء الله الْمُقَرَّبِينَ، يَنْظُرُونَ إِلى رَبِّهِمْ فِي دَار كَرَامَته.

وقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، أَيْ: هَل جُوزِيَ الكُفَّار عَلى مَا كَانُوا يُقَابِلُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الاسْتِهْزَاء والتنقُّص أَمْ لا؟ يَعْنِي: قَدْ جُوزُوا أَوْفَر الجَزَاء وَأَتَمّه وَأَكْمَله.

آخِر تَفْسِير سُورَة المُطَفِّفِينَ

تفسير سُورَةُ الانْشِقَاق وهي مكية

ترتيبها ٨٤ — وآياتها ٢٥

قَال مَالك، عَنْ عَبْد الله بْن يَزِيد، عَنْ أَبِي سَلمَة: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَة قَرَأَ بِهِمْ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُول الله ﷺ سَجَدَ فِيهَا[1]. رَوَاهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ، مِنْ طَرِيق مَالك بِهِ. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَان، حَدَّثَنَا مُعْتَمِر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَكْر، عَنْ أَبِي رَافِع قَال: صَلَّيْت مَعَ أَبِي هُرَيْرَة العَتَمَة فَقَرَأَ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلت لهُ، قَال: سَجَدْت خَلف أَبِي القَاسِم ﷺ، فَلا أَزَال أَسْجُد بِهَا حَتَّى أَلقَاهُ. وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ مُسَدَّد، عَنْ مُعْتَمِر بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ مُسَدَّد، عَنْ يَزِيد بْن زُرَيْع، عَنْ التَّيْمِيّ عَنْ بَكْر، عَنْ أَبِي رَافِع، فَذَكَرَهُ. وَأَخْرَجَه مُسْلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طُرُق، عَنْ سُلَيْمَان بْن طَرْخَان التَّيْمِيّ بِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم وَأَهْل السُّنَن مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة -زَادَ النَّسَائِيّ: وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ- كِلاهُمَا عَنْ أَيُّوب بْن مُوسَى، عَنْ عَطَاء بْن مِينَاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: سَجَدْنَا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وَ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وَذَلكَ يَوْم القِيَامَة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أَيْ: اسْتَمَعَتْ لرَبِّهَا وَأَطَاعَتْ أَمْره فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنْ الانْشِقَاق ﴿وَحُقَّتْ﴾، أَيْ: وَحُقَّ لهَا أَنْ تُطِيع أَمْره؛ لأَنَّهُ العَظِيم الَّذِي لا يُمَانَع وَلا يُغَالب، بَل قَدْ قَهَرَ كُلّ شَيْء، وَذَلّ لهُ كُلّ شَيْء. ثم قال: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾. أَيْ: بُسِطَتْ، وَفُرِشَتْ وَوُسِّعَتْ.

قَال ابْن جَرِير رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عَليّ بْن الحُسَيْن، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة مَدّ الله الأَرْض مَدّ الأَدِيم، حَتَّى لا يَكُون لبَشَرٍ مِنْ النَّاس إِلاَّ مَوْضِع قَدَمَيْهِ، فَأَكُون أَوَّل مَنْ يُدْعَى، وَجِبْرِيل عَنْ يَمِين الرَّحْمَن، وَالله مَا رَآهُ قَبْلهَا، فَأَقُول: يَا رَبّ؛ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّك

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٦٦)، (١٠٧٨)، ومسلم (٥٧٨).

أَرْسَلته إِلَيَّ؟ فَيقُول الله ﷻ: صَدَقَ. ثُمَّ أَشْفَع فَأَقُول: يَا رَبّ؛ عِبَادك عَبَدُوك فِي أَطْرَاف الأَرْض». قَال: «وَهُوَ المَقَام المَحْمُود»[1]. وقوله: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، أَيْ: أَلقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنْ الأَمْوَات، وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ. قَالَهُ مُجَاهِد، وَسَعِيد، وَقَتَادَة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ كما تقدم.

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا ﴾، أَيْ: سَاعٍ إِلى رَبّك سَعْيًا، وَعَامِل عَمَلًا، ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، ثُمَّ إِنَّك سَتَلقَى مَا عَمِلت مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرّ. وَيَشْهَد له مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ، عَنْ الحَسَن بْن أَبِي جَعْفَر، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر، عَنْ جَابِر؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**قَال جِبْرِيل: يَا مُحَمَّد، عِشْ مَا شِئْت فَإِنَّك مَيِّت، وَأَحْبِبْ ما شِئْت فَإِنَّك مُفَارِقه. وَاعْمَل مَا شِئْت فَإِنَّك مُلاقِيه**»[2]. وَمِنْ النَّاس مَنْ يُعِيد الضَّمِير عَلى قَوْله: ﴿رَبِّكَ﴾، أَيْ: فَمُلاقٍ رَبّك، وَمَعْنَاهُ: فَيُجَازِيك بِعَمَلك وَيُكَافِئك عَلى سَعْيك. وَعَلى هَذَا فَكِلا القَوْلَيْنِ مُتَلازِم. قَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾، يَقُول: تَعْمَل عَمَلًا تَلقَى الله بِهِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.

وَقَال قَتَادَة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا ﴾: إِنَّ كَدْحك يَا ابْن آدَم لَضَعِيف، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُون كَدْحه فِي طَاعَة الله فَليَفْعَل، وَلا قُوَّة إِلَّا بِالله. ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾، أَيْ: سَهْلًا. بِلا تَعْسِير، أَيْ: لا تُحَقَّق عَليْهِ جَمِيع دَقَائِق أَعْمَاله، فَإِنَّ مَنْ حُوسِبَ كَذَلِكَ يَهْلِكَ لا مَحَالة. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، أَخْبَرَنَا أَيُّوب، عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي مُليْكَة، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب عُذِّبَ**». قَالتْ: فَقُلت: أَليْسَ قَال الله: ﴿ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾؟، قَال: «**ليْسَ ذَاكَ بِالحِسَابِ، وَلكِنْ ذَلكَ العَرْض، مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب يَوْم القِيَامَة عُذِّبَ**»[3]. وَهَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن جَرِير، مِنْ حَدِيث أَيُّوب السِّخْتِيَانِيّ بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن وَكِيع، حَدَّثَنَا رَوْح بْن عُبَادَة، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر الخَزَّاز، عَنْ ابْن أَبِي مُليْكَة، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّهُ ليْسَ أَحَد يُحَاسَب يَوْم القِيَامَة إلاَّ مُعَذَّبًا**». فَقُلت: أَليْسَ الله يَقُول: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾؟ قَال: «**ذَاكَ العَرْض، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب عُذِّبَ**». وَقَال بِيَدِهِ عَلى أُصْبُعه كَأَنَّهُ يَنْكُت. وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَمْرو بْن عَليّ عَنْ ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ أَبِي يُونُس القُشَيْرِيّ، عَنْ ابْن أَبِي مُليْكَة، عَنْ القَاسِم، عَنْ عَائِشَة فَذَكَرَ الحَدِيث. أَخْرَجَاهُ مِنْ طَرِيق أَبِي يُونُس القُشَيْرِيّ، وَاسْمه حَاتِم بْن أَبِي صَغِيرَة، بِهِ. وقَال ابْن جَرِير: وحَدَّثَنَا نَصْر بْن عَليّ الجَهْضَمِي، حَدَّثَنَا مُسْلم، عَنْ الحَرِيش بْن الخِرِّيت أَخِي الزُّبَيْر، عَنْ ابْن أَبِي مُليْكَة، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب -أَوْ: مَنْ حُوسِبَ- عُذِّبَ. قَال: ثُمَّ قَالتْ: إِنَّمَا الحِسَاب اليَسِير عَرْض عَلى الله ﷻ وَهُوَ يَرَاهُمْ. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنِي عَبْد الوَاحِد ابْن حَمْزَة بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، عَنْ عَبَّاد بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، عَنْ عَائِشَة؛ قَالتْ: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي بَعْض صَلاته: «**اللَّهُمَّ؛ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**». فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلت: يَا رَسُول الله؛ مَا الحِسَاب اليَسِير؟ قَال: «**أَنْ يَنْظُر فِي كِتَابه فَيَتَجَاوَز لهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب يَا عَائِشَة يَوْمَئِذٍ هَلكَ**».[4] صَحِيح عَلى شَرْط مُسْلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾، أَيْ: وَيَرْجِع إِلى أَهْله فِي الجَنَّة. قَالهُ قَتَادَة، وَالضَّحَّاك: ﴿مَسۡرُورٗا﴾ أَيْ: فَرْحَان مُغْتَبِطًا بِمَا أَعْطَاهُ الله ﷻ. وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ عَنْ ثَوْبَان مَوْلى رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ

---

(١) مرسل: تقدم.
(٢) حسن لغيره: رواه الطيالسي (١٧٥٦)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٨٣١).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٣٩، ٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٥٦٢).

أَعْمَالاً لا تُعْرَف وَيُوشِك العارف أَنْ يَثُوب إِلَى أَهْله فَمَسْرُور ومَكْظُوم»[١]. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾، أَيْ: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاء ظَهْره، تُثْنَى يَده إِلَى وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابه بِهَا كَذَلِكَ، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾، أَيْ: خَسَارًا وَهَلاكًا، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾، أَيْ: فَرِحًا لا يُفكِّر فِي العَوَاقِب، وَلا يَخَاف مِمَّا أَمَامه، فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الفَرَح اليَسِير الحُزْن الطَّوِيل، ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، أَيْ: كَانَ يَعْتَقِد أَنَّهُ لا يَرْجِع إِلَى الله وَلا يُعِيدهُ بَعْد مَوْته. قَالَهُ ابْن عَبَّاس، وَقَتَادَة، وَغَيْرهمَا. وَالحَوَر: هُوَ الرُّجُوع. قال الله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾، يَعْنِي: بَلَى سَيُعِيدُهُ الله كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَازِيه عَلَى أَعْمَاله خَيْرهَا وَشَرّهَا، فَإِنَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا، أَيْ: عَلِيمًا خَبِيرًا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾.

رُوِيَ عَنْ عَلِيّ، وَابْن عَبَّاس، وَعُبَادَة بْن الصَّامِت، وَأَبِي هُرَيْرَة، وَشَدَّاد بْن أَوْس، وَابْن عُمَر، وَمُحَمَّد بْن عَلِيّ ابْن الحُسَيْن، وَمَكْحُول، وَبَكْر بْن عَبْد الله المُزَنِيّ، [وَبُكَيْر][٢] بْن الأَشَجّ، وَمَالك، وَابْن أَبِي ذِئْب، وَعَبْد العَزِيز بْن أَبِي سَلمَة المَاجِشُون أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّفَق: الحُمْرَة. وَقَال عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ ابْن خُثَيْم عَنْ [ابْن لبِيبَة][٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: الشَّفَق فَالشَّفَق هُوَ حُمْرَة الأُفُق إِمَّا قَبْل طُلُوع الشَّمْس، كَمَا قَالَهُ مُجَاهِد، وَإِمَّا بَعْد غُرُوبهَا، كَمَا هُوَ مَعْرُوف عِنْد أَهْل اللُّغَة. قَال الخَلِيل بْن أَحْمَد: الشَّفَق: الحُمْرَة مِنْ غُرُوب الشَّمْس إِلَى وَقْت العِشَاء الآخِرَة، فَإِذَا ذَهَبَ قِيل: غَابَ الشَّفَق. وَقَال الجَوْهَرِيّ: الشَّفَق: بَقِيَّة ضَوْء الشَّمْس وَحُمْرَتهَا فِي أَوَّل اللَّيْل إِلَى قَرِيب مِنْ العَتَمَة. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة: الشَّفَق الَّذِي يَكُون بَيْن المَغْرِب وَالعِشَاء.

وَفِي «صَحِيح مُسْلم» عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «**وَقْت المَغْرِب مَا لَمْ يَغِبْ الشَّفَق**»[٤]. فَفِي هَذَا كُلّه دَلِيل عَلَى أَنَّ الشَّفَق هُوَ كَمَا قَالَهُ الجَوْهَرِيّ وَالخَلِيل. وَلَكِنْ صَحَّ عَنْ مُجَاهِد أَنَّهُ قَال فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: هُوَ النَّهَار كُلّه. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَال: الشَّفَق الشَّمْس. رَوَاهُمَا ابْن أَبِي حَاتِم. وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أَيْ: جَمَعَ. كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِالضِّيَاءِ وَالظَّلام. وَقَال ابْن جَرِير: أَقْسَمَ الله بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَبِاللَّيْل مُقْبِلًا. قَال ابْن جَرِير: وَقَال آخَرُونَ: الشَّفَق اسْم للحُمْرَةِ وَالبَيَاض. وَقَالُوا: هُوَ مِنْ الأَضْدَاد. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَقَتَادَة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: وَمَا جَمَعَ، قَال قَتَادَة: وَمَا جَمَعَ مِنْ نَجْم وَدَابَّة. وَاسْتَشْهَدَ ابْن عَبَّاس بِقَوْل الشَّاعِر:

.... ۞ مُسْتَوْسِقَات لَوْ يَجِدْنَ سَائِقًا

وَقَدْ قَال عِكْرِمَة: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يَقُول: مَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَة، إِذَا كَانَ اللَّيْل ذَهَبَ كُلّ شَيْء إِلَى مَأْوَاهُ. وقوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: إِذَا اجْتَمَعَ وَاسْتَوَى. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَمَسْرُوق، وَأَبُو صَالح، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: إِذَا اسْتَوَى، وَقَال الحَسَن: إِذَا اجْتَمَعَ، إِذَا امْتَلأَ. وَقَال قَتَادَة: إِذَا اسْتَدَارَ. وَمَعْنَى كَلامهمْ أَنَّهُ إِذَا تَكَامَل نُوره وَأَبْدَرَ، جَعَلَهُ مُقَابِلًا للَّيْل وَمَا وَسَقَ. وقوله:

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني (٢/ ٩٤/ ١٤١٦)، وفيه يحيى الحماني: ضعيف.
(٢) في الأزهرية: [بكر].
(٣) في الأزهرية: [ابن أمية].
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٦١٢).

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قَال البُخَارِيّ: أَخْبَرَنَا سَعِيد بْن النَّضْر، أَخْبَرَنَا هُشَيْم، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْر، عَنْ مُجَاهِد قَال: قَال ابْن عَبَّاس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْد حَال، قَال هَذَا نَبِيّكُمْ ﷺ. [1] هَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ بِهَذَا اللَّفْظ، وَهُوَ مُحْتَمِل أَنْ يَكُون ابْن عَبَّاس أَسْنَدَ هَذَا التَّفْسِير عَنْ النَّبِيّ ﷺ، كَأَنَّهُ قَال: سَمِعْت هَذَا مِنْ نَبِيّكُمْ ﷺ، فَيَكُون قَوْله: «نَبِيّكُمْ» مَرْفُوعًا عَلَى الفَاعِلِيَّة مِنْ «قَال» وَهُوَ الأَظْهَر، وَالله أَعْلَم، كَمَا قَال أَنَس: «لا يَأْتِي عَام إِلَّا وَالَّذِي بَعْده شَرّ مِنْهُ»، سَمِعْته مِنْ نَبِيّكُمْ ﷺ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا هُشَيْم، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْر، عَنْ مُجَاهِد: أَنَّ ابْن عَبَّاس كَانَ يَقُول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قَال: يَعْنِي نَبِيّكُمْ ﷺ، يَقُول: حَالًا بَعْد حَال. هَذَا لَفْظه. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْد حَال. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَمُرَّة وَالطَّيِّب، وَمُجَاهِد، وَالحَسَن، وَالضَّحَّاك. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْد حَال: قَال هَذَا. يَعْنِي المُرَاد بِهَذَا نَبِيّكُمْ ﷺ، فَيَكُون مَرْفُوعًا عَلَى أَنَّ «هَذَا» وَ«نَبِيّكُمْ» يَكُونَانِ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا. وَالله أَعْلَم، وَلعَلَّ هَذَا قَدْ يَكُون هُوَ المُتَبَادِر إِلَى كَثِير مِنْ الرُّوَاة، كَمَا قَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ وَغُنْدَر: حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قَال: مُحَمَّد ﷺ. وَيُؤَيِّد هَذَا المَعْنَى قِرَاءَة عُمَر، وَابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَعَامَّة أَهْل مَكَّة وَالكُوفَة ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا﴾ بِفَتْح التَّاء وَالبَاء.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، عَنْ إِسْمَاعِيل، عَنْ الشَّعْبِيّ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قَال: لَتَرْكَبَنَّ يَا مُحَمَّد سَمَاء بَعْد سَمَاء. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن مَسْعُود، [وَمَسْرُوق][2]، وَأَبِي العَالِيَة: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: سَمَاء بَعْد سَمَاء.

قُلت: يَعْنُونَ لَيْلَة الإِسْرَاء. وَقَال أَبُو إِسْحَاق، وَالسُّدِّيّ، عَنْ رَجُل، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: مَنْزِلًا عَلَى مَنْزِل. وَكَذَا رَوَاهُ العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس مِثْله –وَزَادَ: «وَيُقَال: أَمْرًا بَعْد أَمْر، وَحَالاً بَعْد حَال». وَقَال السُّدِّيّ نَفْسه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: أَعْمَال مِنْ قَبْلكُمْ، مَنْزِلًا عن مَنْزِل.

قُلت: كَأَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى الحَدِيث الصَّحِيح: «**لَتَرْكَبُنَّ سَنَن مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ، حَذْو القُذَّة بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْر ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ**». قَالُوا: يَا رَسُول الله، اليَهُود وَالنَّصَارَى؟ قَال: «**فَمَنْ؟**»[3] وَهَذَا مُحْتَمِل.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَام بْن عَمَّار، حَدَّثَنَا صَدَقَة، حَدَّثَنَا ابْن جَابِر؛ أَنَّهُ سَمِعَ مَكْحُولًا يَقُول فِي قَوْل الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. قَال: فِي كُلّ عِشْرِينَ سَنَة تُحْدِثُونَ أَمْرًا لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهِ. وَقَال الأَعْمَش: حدَّثني إِبْرَاهِيم؛ قَال: قَال عَبْد الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قَال: السَّمَاء تَنْشَق ثُمَّ تَحْمَرّ، ثُمَّ تَكُون لوْنًا بَعْد لوْن. وَقَال الثَّوْرِيّ عَنْ قَيْس بْن وَهْب عَنْ مُرَّة عَنْ ابْن مَسْعُود: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قَال: والسَّمَاء مَرَّة كَالدِّهَانِ وَمَرَّة تَنْشَقّ. وَرَوَى البَزَّار مِنْ طَرِيق جَابِر الجُعْفِيّ، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ عَلقَمَة، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يَا مُحَمَّد؛ يَعْنِي حَالًا بَعْد حَال. ثُمَّ قَال: وَرَوَاهُ جَابِر عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قَال: قَوْم كَانُوا فِي الدُّنْيَا خَسِيس أَمْرهمْ، فَارْتَفَعُوا فِي الآخِرَة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٤، ١٠٧٦).
(٢) في الأزهرية: [ابن مسروق].
(٣) صحيح: تقـدم.

وَآخَرُونَ كَانُوا أَشْرَافًا فِي الدُّنْيَا، فَاتَّضَعُوا فِي الآخِرَة. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْد حَال فَطِيمًا بَعْدَمَا كَانَ رَضِيعًا، وَشَيْخًا بَعْدَمَا كَانَ شَابًّا. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، يَقُول: حَالًا بَعْد حَال: رَخَاء بَعْد شِدَّة، وَشِدَّة بَعْد رَخَاء، وَغِنًى بَعْد فَقْر، وَفَقْرًا بَعْد غِنًى، وَصِحَّة بَعْد سَقَم، وَسَقَمًا بَعْد صِحَّة.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: ذُكِرَ عَنْ عَبْد الله بْن زَاهِر، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَمْرو بْن شِمْر، عَنْ جَابِر -هُوَ الجُعْفِيّ- عَنْ مُحَمَّد بْن عَلِيّ، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله؛ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ ؛ يَقُول: «إِنَّ ابْن آدَم لَفِي غَفْلَة مِمَّا خُلِقَ لَهُ، إِنَّ الله إِذَا أَرَادَ خَلقه قَال للمَلَكِ: اكْتُبْ رِزْقه، اكْتُبْ أَجَله، اكْتُبْ أَثَره، اكْتُبْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا، ثُمَّ يَرْتَفِع ذَلكَ المَلَك وَيَبْعَث الله إِلَيْهِ مَلكًا فَيَحْفَظهُ حَتَّى يُدْرِك، ثُمَّ يَرْتَفِع ذَلكَ المَلَك. ثُمَّ يُوَكِّل الله بِهِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ حَسَنَاته وَسَيِّئَاته، فَإِذَا حَضَرَهُ المَوْت ارْتَفَعَ ذَانِك المَلَكَانِ. وَجَاءَهُ مَلك المَوْت فَقَبَض رُوحه، فَإِذَا دَخَل قَبْره رَدَّ الرُّوح فِي جَسَده. ثُمَّ ارْتَفَعَ مَلك المَوْت وَجَاءَهُ مَلَكَا القَبْر فَامْتَحَنَاهُ. ثُمَّ يَرْتَفِعَانِ، فَإِذَا قَامَتْ السَّاعَة انْحَطَّ عَلَيْهِ مَلَك الحَسَنَات وَمَلك السَّيِّئَات، فَانْتَشَطَا كِتَابًا مَعْقُودًا فِي عُنُقه، ثُمَّ حَضَرَا مَعَهُ: وَاحِدًا سَائِقًا وَآخَر شَهِيدًا، ثُمَّ قَال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾». قَال رَسُول الله ﷺ : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾. قَال: «حَالاً بَعْد حَال». ثُمَّ قَال النَّبِيّ ﷺ : «إِنَّ قُدَّامكُمْ لأَمْرًا عَظِيمًا لا تَقْدِرُونَهُ فَاسْتَعِينُوا بِالله العَظِيم»[1]. هَذَا حَدِيث مُنْكَر، وَإِسْنَاده فِيهِ ضُعَفَاء، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيح، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالَى أَعْلَم.

ثُمَّ قَال ابْن جَرِير بَعْدَمَا حَكَى أَقْوَال النَّاس فِي هَذِهِ الآيَة مِنْ القُرَّاء وَالمُفَسِّرِينَ: وَالصَّوَاب مِنْ التَّأْوِيل قَوْل مَنْ قَال: لَتَرْكَبَنَّ أَنْتَ -يَا مُحَمَّد- حَالًا بَعْد حَال، وَأَمْرًا بَعْد أَمْر مِنْ الشَّدَائِد، وَالمُرَاد بِذَلكَ وَإِنْ كَانَ الخِطَاب إِلَى رَسُول الله ﷺ مُوَجَّهًا جَمِيع النَّاس، وَأَنَّهُمْ يَلقَوْنَ مِنْ شَدَائِد يَوْم القِيَامَة وَأهواله أحوالاً. وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾، أَيْ: فَمَاذَا يَمْنَعهُمْ مِنْ الإِيمَان بِالله وَرَسُوله وَاليَوْم الآخِر؟ وَمَا لَهُمْ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ آيَات الله وَكَلامه وَهُوَ هَذَا القُرْآن، لا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا؟ وقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: مِنْ سَجِيَّتهمْ التَّكْذِيب، وَالعِنَاد وَالمُخَالفَة للحَقّ. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة: يَكْتُمُونَ فِي صُدُورهمْ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أَيْ: فَأَخْبِرْهُمْ -يَا مُحَمَّد- بِأَنَّ الله ﷻ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هَذَا اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع، يَعْنِي لَكِنْ الَّذِينَ آمَنُوا -أَيْ: بِقُلُوبِهِمْ- وَعَمِلُوا الصَّالحَات بِجَوَارِحِهِمْ، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾، أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قَال ابْن عَبَّاس: غَيْر مَنْقُوص. وَقَال مُجَاهِد وَالضَّحَّاك: غَيْر مَحْسُوب. وَحَاصِل قَوْلهمَا أَنَّهُ غَيْر مَقْطُوع، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

وَقَال السُّدِّيّ: قَال بَعْضهمْ: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ : غَيْر مَنْقُوص. وَقَال بَعْضهمْ: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا القَوْل الآخر عَنْ بَعْضهمْ قَدْ أَنْكَرَهُ غَيْر وَاحِد، فَإِنَّ الله ﷻ لَهُ المِنَّة عَلى أَهْل الجَنَّة فِي كُلّ حَال وَآن وَلحْظَة، وَإِنَّمَا دخولها بِفَضْلِهِ وَرَحْمَته لا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلهُ عَلَيْهِمْ المِنَّة دَائِمًا سَرْمَدًا، وَالحَمْد لله وَحْده أَبَدًا، وَلهَذَا يُلهَمُونَ تَسْبِيحه وَتَحْمِيده كَمَا يُلهَمُونَ النفس: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة الانْشِقَاق، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) منكر : فيه جابر الجعفي: ضعيف، وعمرو بن شمر قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث.



تفسير سورة البروج وهي مكية

ترتيبها ٨٥ — وآياتها ٢٢

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد، حَدَّثَنَا رزيق بْن أَبِي سَلمَى، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُهَزِّم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ فِي العِشَاء الآخِرَة بالسَّمَاء ذَات البُرُوج، وَالسَّمَاء وَالطَّارِق.(١) وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد -مَوْلى بَنِي هَاشِم- حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن عَبَّاد السَّدُوسِيّ، سَمِعْت أَبَا الْمُهَزِّم يُحَدِّث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَمَرَ أَنْ يُقْرَأ بِالسَّمَوَاتِ فِي العِشَاء.(٢) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

يُقْسِم تَعَالى بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجهَا، وَهِيَ: النُّجُوم العِظَام. كَمَا تَقَدَّمَ بَيَان ذَلِكَ فِي قَوْله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ: البُرُوج: النُّجُوم. وَعَنْ مُجَاهِد أَيْضًا: البُرُوج الَّتِي فِيهَا الحَرَس. وَقَال يَحْيَى بْن رَافِع: البُرُوج: قُصُور فِي السَّمَاء. وَقَال المِنْهَال بْن عَمْرو: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ الخَلق الحَسَن. وَاخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّهَا: مَنَازِل الشَّمْس وَالقَمَر، وَهِيَ اثْنَا عَشَر بُرْجًا، تَسِير الشَّمْس فِي كُلّ وَاحِد مِنْهَا شَهْرًا، وَيَسِير القَمَر فِي كُلّ وَاحِد يَوْمَيْنِ وَثُلُثًا، فَذَلِكَ ثَمَانِيَة وَعِشْرُونَ مَنْزِلة ويستسر لَيْلَتَيْنِ.

وقوله: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عَمْرو الغَزِّيّ، حَدَّثَنَا [عُبَيْد الله](٣) -يَعْنِي ابْن مُوسَى- حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُبَيْدَة، عَنْ أَيُّوب ابْن خَالد بْن صَفْوَان بْن أَوْس الأَنْصَارِيّ، عَنْ [عَبْد الله](٤) بْن رَافِع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾، يَوْم القِيَامَة، ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يَوْم الجُمُعَة. وَمَا طَلَعَتْ شَمْس وَلا غَرَبَتْ عَلى يَوْم أَفْضَل مِنْ يَوْم الجُمُعَة، وَفِيهِ سَاعَة لا يُوَافِقهَا عَبْد مُسْلم يَسْأَل الله فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلا يَسْتَعِيذ فِيهَا مِنْ شَرّ إِلَّا أَعَاذَهُ، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يَوْم عَرَفَة.(٥) وَهَكَذَا رَوَى هَذَا الحَدِيث ابْن خُزَيْمَة مِنْ طُرُق عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة الرَّبَذِيّ -وَهُوَ ضَعِيف الحَدِيث- وَقَدْ رُوِيَ مَوْقُوفًا عَلى أَبِي هُرَيْرَة وَهُوَ أَشْبَه.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد، حَدَّثَنَا شُعْبَة، سَمِعْت عَلِيّ بْن زَيْد وَيُونُس بْن عُبَيْد يُحَدِّثَانِ عَنْ عَمَّار -مَوْلى بَنِي هَاشِم- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَمَّا عَلِيّ: فَرَفَعَهُ إِلى النَّبِيّ ﷺ، وَأَمَّا يُونُس فَلَمْ يَعْدُ أَبَا هُرَيْرَة أَنَّهُ قَال فِي هَذِهِ الآيَة:

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٦)، وفيه أبو المهزم: متروك.
(٢) إسناده ضعيف جدًا: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٧)، وفيه أيضًا أبو المهزم: متروك الحديث.
(٣) في الأزهرية: [عبد الله].
(٤) في الأزهرية: [عبيد الله].
(٥) حسن: أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٣٣٩).

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَال: يَعْنِي الشَّاهِد يَوْم الجُمُعَة، وَيَوْم مَشْهُود يَوْم القِيَامَة.[١] وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ يُونُس سَمِعْت عَمَّارًا مَوْلى بَنِي هَاشِم يُحَدِّث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّهُ قَال فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَال: الشَّاهِد يَوْم الجُمُعَة، وَالمَشْهُود يَوْم عَرَفَة، وَالمَوْعُود يَوْم القِيَامَة. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّهُ قَال: اليَوْم المَوْعُود يَوْم القِيَامَة. وَكَذَلِكَ قَال الحَسَن، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد. وَلَمْ أَرَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ وَللهِ الحَمْد. [ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَوْف، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا ضَمْضَم ابْن زُرْعَة، عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد، عَنْ أَبِي مَالِك الأَشْعَرِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «اليَوْم المَوْعُود يَوْم القِيَامَة، وَإِنَّ الشَّاهِد يَوْم الجُمُعَة، وَإِنَّ المَشْهُود يَوْم عَرَفَة، وَيَوْم الجُمُعَة ذَخَرَهُ الله لنَا».][٢]

ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا سَهْل بْن مُوسَى الرَّازِيّ، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي فُدَيْك، عَنْ ابْن حَرْمَلَة، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب أَنَّهُ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ سَيِّد الأَيَّام يَوْم الجُمُعَة، وَهُوَ الشَّاهِد، وَالمَشْهُود يَوْم عَرَفَة». وَهَذَا مُرْسَل مِنْ مَرَاسِيل سَعِيد بْن المُسَيِّب. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ شُعْبَة، عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد، عَنْ يُوسُف المَكِّيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: الشَّاهِد هُوَ مُحَمَّد ﷺ وَالمَشْهُود يَوْم القِيَامَة، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. وَحَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ مُغِيرَة، عَنْ شِبَاك قَال: سَأَل رَجُل الحَسَن بْن عَلِيّ عَنْ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَال: سَأَلت أَحَدًا قَبْلِي؟ قَال: نَعَمْ، سَأَلت ابْن عُمَر وَابْن الزُّبَيْر، فَقَالا: يَوْم الذَّبْح وَيَوْم الجُمُعَة، فَقَال: لا وَلَكِنَّ الشَّاهِد مُحَمَّد ﷺ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، وَالمَشْهُود يَوْم القِيَامَة، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

وَهَكَذَا قَال الحَسَن البَصْرِيّ. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ ابْن حَرْمَلَة، عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب: ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يَوْم القِيَامَة. وَقَال مُجَاهِد وَعِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك: الشَّاهِد ابْن آدَم، وَالمَشْهُود يَوْم القِيَامَة. وَعَنْ عِكْرِمَة أَيْضًا: الشَّاهِد مُحَمَّد ﷺ، وَالمَشْهُود يَوْم الجُمُعَة. [وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: الشَّاهِد الله، وَالمَشْهُود يَوْم القِيَامَة.][٣]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم الفَضْل بْن دُكَيْن، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ أَبِي يَحْيَى القَتَّات، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَال: الشَّاهِد الإِنْسَان. وَالمَشْهُود يَوْم الجُمُعَة. هَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ [ابْن أَبِي نَجِيح][٤]، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشَّاهِد: يَوْم عَرَفَة، وَالمَشْهُود يَوْم القِيَامَة. وَبِهِ عَنْ سُفْيَان -هو الثَّوْرِيّ- عَنْ مُغِيرَة، عَنْ إِبْرَاهِيم قَال: يَوْم الذَّبْح، وَيَوْم عَرَفَة يَعْنِي الشَّاهِد وَالمَشْهُود. قَال ابْن جَرِير: وَقَال آخَرُونَ: المَشْهُود يَوْم الجُمُعَة. وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْد الله بْن وَهْب، أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحَارِث، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلال، عَنْ زَيْد بْن أَيْمَن، عَنْ عُبَادَة بْن نُسَيّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاة يَوْم الجُمُعَة، فَإِنَّهُ يَوْم مَشْهُود، تَشْهَدهُ المَلائِكَة».[٥] وَعَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: الشَّاهِد الله وَتَلا: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، وَالمَشْهُود نَحْنُ. حَكَاهُ البَغَوِيّ، وَقَال الأَكْثَرُونَ: عَلى أَنَّ الشَّاهِد يَوْم الجُمُعَة، وَالمَشْهُود يَوْم عَرَفَة.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٨)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٧٥٤).
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) في الأزهرية: [عن أبي يحيي القتات].
(٥) إسناده منقطع: تقدم.

وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، أَيْ: لُعِنَ أَصْحَاب الأُخْدُود، وَجَمْعه أَخَادِيد، وَهِيَ الحفير فِي الأَرْض. وَهَذَا خَبَر عَنْ قَوْم مِنَ الكُفَّار عَمَدُوا إِلى مَنْ عِنْدهمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ بالله ﷻ، فَقَهَرُوهُمْ وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينهمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُمْ فِي الأَرْض أُخْدُودًا وَأَجَّجُوا فِيهِ نَارًا، وَأَعَدُّوا لَهَا وَقُودًا يُسَعِّرُونَهَا بِهِ، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَقَذَفُوهُمْ فِيهَا، ولهذا قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، أَيْ: مُشَاهِدُونَ لِمَا يُفْعَل بِأُولَئِكَ المُؤْمِنِينَ. قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، أَيْ: وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدهمْ ذَنْب إِلَّا إِيمَانهمْ بِالله العَزِيز الَّذِي لا يُضَام مَنْ لاذَ بِجَنَابِهِ، المَنِيع الحَمِيد فِي جَمِيع أَقْوَاله وَأَفْعَاله وَشَرْعه وَقَدَره، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَّرَ عَلى عِبَاده هَؤُلاءِ هَذَا الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ بِأَيْدِي الكُفَّار بِهِ، فَهُوَ العَزِيز الحَمِيد، وَإِنْ خَفِيَ سَبَب ذَلِكَ عَلى كَثِير مِنَ النَّاس.

ثُمَّ قَال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، مِنْ تَمَام الصِّفَة أَنَّهُ المَالِك لِجَمِيعِ السَّمَوَات وَالأَرْض وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنهمَا، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، أَيْ: لا يَغِيب عَنْهُ شَيْء فِي جَمِيع السَّمَوَات وَالأَرْض، وَلا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْل التَّفْسِير فِي أَهْل هَذِهِ القِصَّة: مَنْ هُمْ؟ فَعَنْ عَلِيّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ أَهْل فَارِس حِين أَرَادَ مَلِكهمْ تَحْلِيل تَزْوِيج المَحَارِم، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُهُمْ، فَعَمَدَ إِلى حَفْر أُخْدُود فَقَذَفَ فِيهِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَاسْتَمَرَّ فِيهِمْ تَحْلِيل المَحَارِم إِلى اليَوْم. وَعَنْهُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا بِاليَمَنِ اقْتَتَل مُؤْمِنُوهُمْ وَمُشْرِكُوهُمْ، فَغَلَبَ مُؤْمِنُوهُمْ عَلى كُفَّارهمْ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا فَغَلَبَ الكُفَّار المُؤْمِنِينَ، فَخَدُّوا لَهُمْ الأَخَادِيد وَأَحْرَقُوهُمْ فِيهَا. وَعَنْهُ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْل الحَبَشَة وَاحِدهمْ حَبَشِيّ. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾، قَال: نَاس مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، خَدُّوا أُخْدُودًا فِي الأَرْض، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهِ نَارًا، ثُمَّ أَقَامُوا عَلى ذَلِكَ الأُخْدُود رِجَالًا وَنِسَاء، فَعُرِضُوا عَلَيْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَانْيَال وَأَصْحَابه. وَهَكَذَا قَال الضَّحَّاك بْن مُزَاحِم وَقِيل غَيْر ذَلِكَ.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ ثَابِت، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلى، عَنْ صُهَيْب: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «كَانَ مَلِك فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِر، فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِر قَال لِلمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرَت سِنِّي وَحَضَرَ أَجَلِي، فَادْفَعْ إِلَيَّ غُلامًا لأُعَلِّمهُ السِّحْر. فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلامًا كَانَ يُعَلِّمهُ السِّحْر، وَكَانَ بَيْن السَّاحِر وَبَيْن المَلِك رَاهِب، فَأَتَى الغُلام عَلى الرَّاهِب فَسَمِعَ مِنْ كَلامه، فَأَعْجَبَهُ نَحْوه وَكَلامه، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِر ضَرَبَهُ وَقَال: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْله ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِك إِلى الرَّاهِب، فَقَال: إِذَا أَرَادَ السَّاحِر أَنْ يَضْرِبك فَقُل: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا أَرَادَ أَهْلك أَنْ يَضْرِبُوك فَقُل: حَبَسَنِي السَّاحِر. قَال: فَبَيْنَمَا هُوَ ذَات يَوْم، إِذْ أَتَى عَلى دَابَّة فَظِيعَة عَظِيمَة، قَدْ حَبَسَتْ النَّاس فَلا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا، فَقَال: اليَوْم أَعْلَم أَمْر الرَّاهِب أَحَبّ إِلى الله أَمْ أَمْر السَّاحِر؟ قَال: فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْر الرَّاهِب أَحَبّ إِلَيْك وَأَرْضَى مِنْ أَمر السَّاحِر، فَاقْتُل هَذِهِ الدَّابَّة حَتَّى يَجُوز النَّاس. وَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاس. فَأَخْبَرَ الرَّاهِب بِذَلِك، فَقَال: أَيْ بُنَيّ، أَنْتَ أَفْضَل مِنِّي، وَإِنَّك سَتُبْتَلى، فَإِنْ ابْتُلِيت فَلا تَدُلّ عَلَيَّ. فَكَانَ الغُلام يُبْرِئ الأَكْمَه وَالأَبْرَص وَسَائِر الأَدْوَاء وَيَشْفِيهِمْ، وَكَانَ جَلِيس لِلمَلِكِ فَعَمِيَ، فَسَمِعَ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَة فَقَال: اشْفِنِي وَلك مَا هَاهُنَا أَجْمَع. فَقَال: مَا أَنَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي الله ﷻ، فَإِنْ آمَنْت بِهِ دَعَوْتُ الله فَشَفَاك. فَآمَنَ فَدَعَا الله فَشَفَاهُ. ثُمَّ أَتَى المَلِك فَجَلَسَ مِنْهُ نَحْو مَا كَانَ يَجْلِس، فَقَال لَهُ المَلِك: يَا فُلان، مَنْ رَدَّ عَلَيْك بَصَرك؟ فَقَال: رَبِّي؟ فَقَال: أَنَا؟ قَال: لا، رَبِّي وَرَبّك الله. قَال: وَلك رَبّ غَيْرِي؟ قَال: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبّك الله. فَلَمْ يَزَل يُعَذِّبهُ حَتَّى دَلَّ عَلى الغُلام، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَال: أَيْ بُنَيّ، بَلَغَ مِنْ سِحْرك أَنْ تُبْرِئ

الأَكْمَه وَالأَبْرَص وَهَذِهِ الأَدْوَاء؟ قَال: مَا أَشْفِي أنا أَحدًا، إِنَّمَا يَشْفِي الله ﷻ. قَال: أَنَا؟ قَال: لا. قَال: أَوَ لك رَبّ غَيْرِي؟ قَال: رَبِّي وَرَبّك الله. فَأَخَذَهُ أَيضًا بِالعَذَابِ، فَلَمْ يَزَل بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلى الرَّاهِب، فَأَتَى بِالرَّاهِبِ فقَال: ارْجِعْ عَنْ دِينك. فأَبَى، فَوَضَعَ المِنْشَار فِي مَفْرِق رَأْسه حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، وَقَال للأَعْمَى: ارْجِعْ عَنْ دِينك. فأَبَى، فَوَضَعَ المِنْشَار فِي مَفْرِق رَأْسه حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ إلى الأَرْض. وَقَال للغُلامِ: ارْجِعْ عَنْ دِينك. فأَبَى، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَر إلى جَبَل كَذَا وَكَذَا، وَقَال: إِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَته، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينه وَإِلاَّ فَدَهْدِهُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا عَلَوْا بِهِ الجَبَل قَال: اللَّهُمَّ، اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْت. فَرَجَفَ بِهِمْ الجبَل فَدُهْدِهُوا أَجْمَعُونَ. وَجَاءَ الغُلام يَتَلمَّس حَتَّى دَخَل عَلى المَلك فقَال: مَا فَعَل أَصْحَابك؟ فقَال: كَفَانِيهِمْ الله. فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَر فِي قُرْقُور فقَال: إِذَا لجَجْتُمْ بِهِ البَحْر فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينه وَإِلَّا فغَرِّقُوهُ فِي البَحْر. فَلجَجُوا بِهِ البَحْر، فقَال الغُلام: اللَّهُمَّ، اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْت. فغَرِقُوا أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الغُلام حَتَّى دَخَل عَلى المَلك فقَال: مَا فَعَل أَصْحَابك؟ فقَال: كَفَانِيهِمْ الله. ثُمَّ قَال للمَلكِ: إِنَّك لسْت بِقَاتِلِي حَتَّى تَفعَل مَا آمُرك بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ فَعلت مَا آمُرك بِهِ قَتَلتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّك لا تَسْتَطِيع قَتْلي. قَال: وَمَا هُوَ؟ قَال: تَجْمَع النَّاس فِي صَعِيد وَاحِد ثُمَّ تَصلُبنِي عَلى جِذْع، وَتَأْخُذ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ قُل: بِسْمِ الله رَبّ الغُلام، فَإِنَّك إِذَا فَعلت ذَلك قَتَلتَنِي. ففَعَل، وَوَضَعَ السَّهْم فِي كَبِد قَوْسه ثُمَّ رَمَاهُ، وَقَال: بِسْمِ الله رَبّ الغُلام. فَوَقَعَ السَّهْم فِي صُدْغه، فَوَضَعَ الغُلام يَده عَلى مَوْضِع السَّهْم وَمَاتَ، فقَال النَّاس: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلام. فَقِيل للمَلكِ: أَرَأَيْت مَا كُنْت تَحْذَر؟ فقَدْ -وَالله- نَزَل بِك، قَدْ آمَنَ النَّاس كُلّهمْ. فأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكك فَخُدَّتْ فِيهَا الأَخَادِيد، وَأُضْرِمَتْ فِيهَا النِّيرَان، وَقَال: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينه فَدَعُوهُ، وَإِلاَّ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا. قَال: فَكَانُوا يَتَعَادَوْنَ فِيهَا وَيَتَدَافَعُونَ، فَجَاءَتْ امْرَأَة بِابْنٍ لهَا تُرْضِعهُ، فكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَع فِي النَّار، فقَال الصَّبِيّ: اصْبِرِي يَا أُمَّاهُ، فَإِنَّك عَلى الحقّ».[1] وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم فِي آخِر «الصَّحِيح» عَنْ هُدْبَة ابْن خَالد، عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَةَ [بِهِ نَحْوه. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ أَحْمَد بْن سُلَيْمان، عَنْ عفان عَنْ حَمَّاد بْن سَلمَةَ][2]، وَمِنْ طَرِيق حَمَّاد بْن زَيْد، كِلاهُمَا عَنْ ثَابت بِهِ، وَاخْتَصَرُوا أَوَّله.

وَقَدْ جَوَّدَهُ الإِمَام أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ، فَرَوَاهُ فِي تَفْسِير هَذِهِ السُّورَة عَنْ مَحْمُود بْن [غَيْلان][3] وَعَبْد بْن حُمَيْد - المَعْنَى وَاحِد - قَالا: أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر، عَنْ ثَابت البُنَانِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلى، عَنْ صُهَيْب قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا صَلَّى العَصْر هَمَسَ، وَالهَمْس فِي قول بعضهم: تَحْرِيك شَفَتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّم، فَقِيل لهُ: إِنَّك يَا رَسُول الله إِذَا صَلَّيْت العَصْر هَمَسْت؟ قَال: «إِنَّ نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاء كَانَ أَعْجَب بِأُمَّتِهِ فَقَال: مَنْ يَقُوم لِهَؤُلاءِ؟ فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْن أَنْ أَنْتَقِم مِنْهُمْ، وَبَيْن أَنْ أُسَلِّط عَليْهِمْ عَدُوّهُمْ. فَاخْتَارُوا النِّقْمَة، فَسَلَّطَ الله عَليْهِمْ المَوْت فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْم سَبْعُونَ أَلفًا»[4]. قَال: وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيث، حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيث الآخَر قَال: «كَانَ مَلك مِنْ المُلُوك، وَكَانَ لذَلكَ المَلك كَاهِن يَتَكَهَّن لهُ، فَقَال الكَاهِن: انْظُرُوا لِي غُلامًا فَهِمًا أَوْ قَال: فَطِنًا لقِنًا فَأُعَلِّمهُ عِلمِي هَذَا..» فَذَكَرَ القِصَّة بِتَمَامِهَا، وَقَال فِي آخِره: «يَقُول الله ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ حَتَّى بَلغَ: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾». قَال: «فَأَمَّا الغُلام فَإِنَّهُ دُفِنَ» قال: «فَيُذْكَر أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَان عُمَر بْن الخَطَّاب، وَأُصْبُعه عَلى صُدْغه كَمَا وَضَعَهَا حِين قُتِل». ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن غَرِيب».

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٥).
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) في الأزهرية: [عبدان].
(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

وَهَذَا السِّيَاق لَيْسَ فِيهِ صَرَاحَة أَنَّ سِيَاق هَذِهِ القِصَّة مِنْ كَلام النَّبِيّ ﷺ . قَال شَيْخنَا الحَافِظ أَبُو الحَجَّاج المِزِّيّ: فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ كَلام صُهَيْب الرُّومِيّ، فَإِنَّهُ كَانَ عِنْده عِلم مِنْ أَخْبَار النَّصَارَى، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ أَوْرَدَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بْن يَسَار هَذِهِ القِصَّة فِي «السِّيرَة» بِسِيَاقٍ آخر فِيهَا مُخَالفَة لمَا تَقَدَّمَ، فَقَال: حَدَّثَنِي يَزِيد بْن زِيَاد، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، وَحَدَّثَنِي أَيْضًا بَعْض أَهْل نَجْرَان، عَنْ أَهْلهَا أَنَّ أَهْل نَجْرَان كَانُوا أَهْل شِرْك يَعْبُدُونَ الأَوْثَان وَكَانَ فِي قَرْيَة مِنْ قُرَاهَا قَرِيبًا مِنْ نَجْرَان - وَنَجْرَان هِيَ القَرْيَة العُظْمَى الَّتِي إِلَيْهَا جمَّاع أَهْل تِلكَ البِلاد - سَاحِر يُعَلِّم غِلمَان أَهْل نَجْرَان السِّحْر، فَلَمَّا نَزَلهَا فيمون وَلمْ يُسَمُّوهُ لِي بِالاسْم الَّذِي سَمَّاهُ ابْن مُنَبِّه، قَالُوا: رَجُل نَزَلهَا ابْتَنَى خَيْمَة بَيْن نَجْرَان وَبَيْن تِلكَ القَرْيَة الَّتِي فِيهَا السَّاحِر، وَجَعَل أَهْل نَجْرَان يُرْسِلُونَ غِلمَانهمْ إِلى ذَلكَ السَّاحِر، يُعَلِّمهُمْ السِّحْر، فَبَعَثَ الثَامِر ابْنه عَبْد الله بْن الثامِر مَعَ غِلمَان أَهْل نَجْرَان، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِصَاحِبِ الخَيْمَة أَعْجَبَهُ مَا يَرَى مِنْ عِبَادَته وَصَلاته، فَجَعَل يَجْلس إِلَيْهِ وَيَسْمَع مِنْهُ، حَتَّى أَسْلمَ فَوَحَّدَ الله وَعَبَدَهُ وَجَعَل يَسْأَلهُ عَنْ شَرَائِع الإِسْلام حَتَّى إِذَا فَقِهَ فِيهِ جَعَل يَسْأَلهُ عَنْ الاسْم الأَعْظَم، وَكَانَ يَعْلمهُ فَكَتَمهُ إِيَّاهُ وَقَال لهُ: يَا بْن أَخِي، إِنَّك لنْ تَحْمِلهُ، أَخْشَى ضَعْفك عَنْهُ. وَالثامِر أَبُو عَبْد الله لا يَظُنّ إِلا أَنَّ ابْنه يَخْتَلف إِلى السَّاحِر كَمَا يَخْتَلف الغِلمَان، فَلَمَّا رَأَى عَبْد الله أَنَّ صَاحِبه قَدْ ضَنَّ بِهِ عَنْهُ، وَتَخَوَّف ضَعْفه فِيهِ، عَمَدَ إِلى أَقْدَاح فَجَمَعَهَا، ثُمَّ لمْ يُبْقِ لله اسْمًا يَعْلمهُ إِلَّا كَتَبَهُ فِي قَدَح، وكل اسْم فِي قَدَح حَتَّى إِذَا أَحْصَاهَا أَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ جَعَل يَقْذِفهَا فِيهَا قَدَحًا قَدَحًا، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالاسْم الأَعْظَم قَذَفَ فِيهَا بِقَدَحِهِ، فَوَثَبَ القَدَح حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا لمْ يَضُرّهُ شَيْء فَأَخَذَهُ ثُمَّ أَتَى بِهِ صَاحِبه فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ عَلمَ الاسْم الأَعْظَم الَّذِي كَتَمهُ فَقَال: وَمَا هُوَ؟ قَال: هُوَ كَذَا وَكَذَا. قَال: وَكَيْف عَلمْته؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَ. قَال: أَيْ ابْن أَخِي قَدْ أَصَبْته فَأَمْسِكْ عَلى نَفْسك، وَمَا أَظُنّ أَنْ تَفْعَل. فَجَعَل عَبْد الله بْن الثامِر إِذَا دَخَل نَجْرَان لمْ يَلقَ أَحَدًا بِهِ ضُرّ إِلَّا قَال: يَا عَبْد الله أَتُوَحِّدُ الله وَتَدْخُل فِي دِينِي، وَأَدْعُو الله لك فَيُعَافِيك مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنْ البَلاء؟ فَيَقُول: نَعَمْ. فَيُوَحِّد الله وَيُسْلم، فَيَدْعُو الله لهُ فَيُشْفَى حَتَّى لمْ يَبْقَ بِنَجْرَان أَحَد بِهِ ضُرّ إِلَّا أَتَاهُ، فَاتَّبَعَهُ عَلى أَمْره وَدَعَا الله لهُ فَعُوفِيَ حَتَّى رُفِعَ شَأْنه إِلى مَلك نَجْرَان، عَاهُ فَقَال لهُ: أَفْسَدْت عَليَّ أَهْل قَرْيَتِي، وَخَالفْت دِينِي وَدِين آبَائِي، لأُمَثِّلن بِك. قَال: لا تَقْدِر عَلى ذَلكَ. قَال:

جعَل يُرْسِل بِهِ إِلى الجَبَل الطَّوِيل، فَيُطْرَح عَلى رَأْسه فَيَقَع إِلى الأَرْض مَا بِهِ بَأْس، وَجَعَل يُبْعَث بِهِ إِلى مِيَاه بِنَجْرَان بُحُور لا يُلقَى فِيهَا شَيْء إِلَّا هَلكَ، فَيُلقَى بِهِ فِيهَا فَيَخْرُج ليْسَ بِهِ بَأْس، فَلَمَّا غَلبَهُ قَال لهُ عَبْد الله بْن الثامِر: إِنَّك -وَالله- لا تَقْدِر عَلى قَتْلي حَتَّى تُوَحِّد الله فتؤمن بِمَا آمَنْت بِهِ، فَإِنَّك إِنْ فَعَلت سُلِّطْت عَليَّ فَقَتَلتنِي. قَال: فَوَحَّدَ الله ذَلكَ المَلك وَشَهِدَ شَهَادَة عَبْد الله بْن الثامِر ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَصًا فِي يَده فَشَجَّهُ شَجَّة غَيْر كَبِيرَة، فَقَتَلهُ وَهَلكَ المَلك كَانه. وَاسْتَجْمَعَ أَهْل نَجْرَان عَلى دِين عَبْد الله بْن الثامِر -وَكَانَ عَلى مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى ابْن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ الإِنْجِيل وَحُكْمه ثُمَّ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ أَهْل دِينهمْ مِنْ الأَحْدَاث، فَمِنْ هُنَالكَ كَانَ أَصْل دِين النَّصْرَانِيَّة بِنَجْرَان.

قَال ابْن إِسْحَاق: فَهَذَا حَدِيث مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَبَعْض أَهْل نَجْرَان عَنْ عَبْد الله بْن الثامِر، فَالله أَعْلم أَيّ ذَلكَ كَانَ. قَال: فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاس بِجُنْدِهِ فَدَعَاهُمْ إِلى اليَهُودِيَّة وَخَيَّرَهُمْ بَيْن ذَلكَ أَوْ القَتْل، فَاخْتَارُوا القَتْل، فَخَدَّ الأُخْدُود فَحَرَّقَ بِالنَّارِ وَقَتَل بِالسَّيْفِ وَمَثَّل بِهِمْ، حَتَّى قَتَل مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا. فَفِي ذِي نُوَاس وَجُنْده أَنْزَل الله عَزَّ وَجَلَّ عَلى رَسُوله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

هَكَذَا ذَكَرَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق فِي «السِّيرَة» أَنَّ الَّذِي قَتَل أَصْحَاب الأُخْدُود هُوَ ذُو نُوَاس وَاسْمه: زُرْعَة، وَتسَمَّى فِي زَمَان مَمْلكَته بِيُوسُف، وَهُوَ ابْن تبان أَسْعَد أَبِي كرب، وَهُوَ تُبَّع الَّذِي غَزَا المَدِينَة وَكَسَا الكَعْبَة، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ حَبْرَيْنِ مِنْ يَهُود المَدِينَة وكَانَ تَهَوَّدَ مَنْ تَهَوَّدَ مِنْ أَهْل اليَمَن عَلَى يَدَيْهِمَا، كَمَا ذَكَرَهُ ابْن إِسْحَاق مَبْسُوطًا فَقَتَل ذُو نُوَاس فِي غَدَاة وَاحِدَة فِي الأُخْدُود عِشْرِينَ أَلْفًا وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى رَجُل وَاحِد يُقَال لَهُ دَوْس ذُو ثُعْلُبَان ذَهَبَ فَارِسًا، وَطَرَدُوا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى قَيْصَر مَلك الشَّام، فَكَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيّ مَلك الحَبَشَة، فَأَرْسَل مَعَهُ جَيْشًا مِنْ نَصَارَى الحَبَشَة يَقْدُمهُمْ أَرْيَاط وَأَبْرَهَة، فَاسْتَنْقَذُوا اليَمَن مِنْ أَيْدِي اليَهُود، وَذَهَبَ ذُو نُوَاس هَارِبًا فَلَجَجَ فِي البَحْر؛ فَغَرِقَ. وَاسْتَمَرَّ مُلك الحَبَشَة فِي أَيْدِي النَّصَارَى سَبْعِينَ سَنَة، ثُمَّ اسْتَنْقَذَهُ سَيْف بْن ذِي يَزَن الحِمْيَرِيّ مِنْ أَيْدِي النَّصَارَى لَمَّا اسْتَجَاشَ بِكِسْرَى مَلك الفُرْس، فَأَرْسَل مَعَهُ مَنْ فِي السُّجُون، فَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ سَبْعِمِائَةٍ فَفَتَح بِهِمْ اليَمَن، وَرَجَعَ المُلك إِلَى حِمْيَر، وَسَنَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله فِي تَفْسِير سُورَة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

وَقَال ابْن إِسْحَاق: وَحَدَّثَنِي عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر بْن مُحَمَّد [بْن عَمْرو][1] بْن حَزْم أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْل نَجْرَان كَانَ فِي زَمَان عُمَر بْن الخَطَّاب، حفَرَ خَرِبَة مِنْ خَرِب نَجْرَان لبَعْضِ حَاجَته فَوَجَدَ عَبْد الله بْن الثامِر تَحْت دَفْن فِيهَا قَاعِدًا وَاضِعًا يَده عَلَى ضَرْبَة فِي رَأسه، مُمْسِكًا عَلَيْهَا بِيَدِهِ، فَإِذَا أُخِذَتْ يَده عَنْهَا ثعبت دَمًا، وَإِذَا أُرْسِلتْ يَده رُدَّتْ عَلَيْهَا فَأَمْسَكَتْ دَمهَا، وَفِي يَده خَاتَم مَكْتُوب فِيهِ: رَبِّي الله. فَكَتَبَ فِيهِ إِلَى عُمَر بْن الخَطَّاب يُخْبِرهُ بِأَمْرِهِ، فَكَتَبَ عُمَر إِلَيْهِمْ: أَنْ أَقِرُّوهُ عَلَى حَاله، وَرُدُّوا عَلَيْهِ الدفن الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ فَفَعَلُوا.[2]

وَقَدْ قَال أَبُو بَكْر عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن أَبِي الدُّنْيَا رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثَنَا أَبُو بِلال الأَشْعَرِيّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد ابن عَبْد الله بْن جَعْفَر بْن أَبِي طَالب، حَدَّثَنِي بَعْض أَهْل العِلم أَنَّ أَبَا مُوسَى لَمَّا افْتَتَحَ أَصْبَهَان وَجَدَ حَائِطًا مِنْ حِيطَان المَدِينَة قَدْ سَقَطَ، فَبَنَاهُ فَسَقَطَ، ثُمَّ بَنَاهُ فَسَقَطَ، فَقِيل لَهُ: إِنَّ تَحْته رَجُلًا صَالِحًا، فَحَفَرَ الأَسَاس فَوَجَدَ فِيهِ رَجُلًا قَائِمًا مَعَهُ سَيْف مَكْتُوب فِيهِ: أَنَا الحَارِث بْن مُضَاض نَقَمْت عَلَى أَصْحَاب الأُخْدُود. فَاسْتَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى وَبَنَى الحَائِط فَثَبَتَ.[3] قُلت: هُوَ الحَارِث بْن مُضَاض بْن عَمْرو بْن مُضَاض بْن عَمْرو الجُرْهُمِيّ، أَحَد مُلُوك جُرْهُم الَّذِينَ وُلُّوا أَمْر الكَعْبَة بَعْد وَلد نبت بْن إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم، وَوَلد الحَارِث هَذَا هُوَ عَمْرو بْن الحَارِث ابْن مُضَاض هُوَ آخِر مُلُوك جُرْهُم بِمَكَّة، لَمَّا أَخْرَجَتْهُمْ خُزَاعَة وَأَجْلوْهُمْ إِلَى اليَمَن، وَهُوَ القَائِل فِي شِعْره الَّذِي قَال ابْن هِشَام: إِنَّهُ أَوَّل شِعْر قَالهُ العَرَب:

كَأَنْ لمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إِلى الصَّفَا ❁ أَنِيس، وَلمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا ❁ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالجُدُودُ العَوَاثِرُ

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ القِصَّة كَانَتْ قَدِيمًا بَعْد زَمَان إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقُرْب مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَة أَوْ نَحْوهَا، وَمَا ذَكَرَهُ ابْن إِسْحَاق يَقْتَضِي أَنَّ قِصَّتهمْ كَانَتْ فِي زَمَان الفَتْرَة الَّتِي بَيْن عِيسَى وَمُحَمَّد -عَلَيْهِمَا مِنْ الله السَّلام- وَهُوَ أَشْبَه، وَالله أَعْلم. وَقَدْ يَحْتَمِل أَنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ فِي العَالَم كَثِيرًا، كَمَا قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَان، أَخْبَرَنَا صَفْوَان عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر قَال: كَانَتْ الأُخْدُود فِي اليَمَن زَمَان تُبَّع، وَفِي القُسْطَنْطِينِيَّة زَمَان

---

(١) فِي الأزهرية: [ابن هارون].
(٢) منقطع: أخرجه ابن كثير في «السيرة» (١/ ٢٣).
(٣) ضعيف: فيه جهالة بعض أهل العلم.

قُسْطَنْطِين حِين صَرَفَ النَّصَارَى قِبْلتهمْ عَنْ دِين المَسِيح وَالتَّوْحِيد فَاتَّخَذَ أَتُّونًا وَأَلقَى فِيهِ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِين المَسِيح وَالتَّوْحِيد، وَفِي العِرَاق فِي أَرْض بَابِل بُخْتنَصَّر، الَّذِي وضع الصَّنَم وَأَمَرَ النَّاس أَنْ يَسْجُدُوا لهُ فَامْتَنَعَ دَانْيَال وَصَاحِبَاهُ: عزريا وميشائيل فَأَوْقَدَ لهُمْ أَتُّونًا وَأَلقَى فِيهِ الحَطَب وَالنَّار، ثُمَّ أَلقَاهُمَا فِيهِ فَجَعَلهَا الله عَلَيْهِمَا بَرْدًا وَسَلامًا وَأَنْقَذَهُمَا مِنْهَا، وَأَلقَى فِيهَا الَّذِينَ بَغَوْا عَليْهِ وَهُمْ تِسْعَة رَهْط، فَأَكَلتْهُمْ النَّار.

وَقَال أَسْبَاط، عَنْ السُّدِّيّ فِي قَوْله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، قَال: كَانَتْ الأُخْدُود ثَلاثَة: خَدّ بِالعِرَاقِ وَخَدّ بِالشَّام وَخَدّ بِاليَمَنِ. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَعَنْ مُقَاتِل قَال: كَانَتْ الأُخْدُود ثَلاثَة: وَاحِدَة بِنَجْرَان بِاليَمَنِ، وَالأُخْرَى بِالشَّامِ، وَالأُخْرَى بِفَارِس أَمَّا الَّتِي بِالشَّام فَهُوَ أنطنانوس الرُّومِيّ، وَأَمَّا الَّتِي بِفَارِس فَهُوَ بُخْتُنَصَّرَ، وَأَمَّا الَّتِي بِأَرْضِ العَرَب فَهُوَ يُوسُف ذُو نُوَاس. فَأَمَّا الَّتِي بِفَارِس وَالشَّام فَلمْ يُنْزِل الله فِيهِمْ قُرْآنًا، وَأَنْزَل فِي الَّتِي كَانَتْ بِنَجْرَان.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن الدَّشْتكِيّ، حَدَّثنَا عَبْد الله بْن أَبِي جَعْفَر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيع -هُوَ ابْن أَنَس- فِي قَوْله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، قَال: سَمِعْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فِي زَمَان الفَتْرَة فَلمَّا رَأَوْا مَا وَقَعَ فِي النَّاس مِنْ الفِتْنَة وَالشَّرّ وَصَارُوا أَحْزَابًا، ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ اعْتَزَلُوا إِلى قَرْيَة سَكَنُوهَا، وَأَقَامُوا عَلى عِبَادَة الله ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فَكَانَ هَذَا أَمْرهمْ حَتَّى سَمِعَ بِهِمْ جَبَّار مِنْ الجَبَّارِينَ، وَحُدِّثَ حَدِيثهمْ، فَأَرْسَل إِليْهِمْ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا الأَوْثَان الَّتِي اتَّخَذُوا، وَأَنَّهُمْ أَبَوْا عَليْهِ كُلّهمْ، وَقَالُوا: لا نَعْبُد إِلَّا الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، فَقَال لهُمْ: إِنْ لمْ تَعْبُدُوا هَذِهِ الآلهَة الَّتِي عَبَدْت فَإِنِّي قَاتِلكُمْ. فَأَبَوْا عَليْهِ فَخَدَّ أُخْدُودًا مِنْ نَار، وَقَال لهُمْ الجَبَّار -ووقفهم عَليْهَا-، فقال: اخْتَارُوا هَذِهِ أَوْ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، فَقَالُوا: هَذِهِ أَحَبّ إِليْنَا وَفِيهِمْ نِسَاء وَذُرِّيَّة، فَفَزِعَتْ الذُّرِّيَّة، فَقَالُوا لهُمْ: لا نَار مِنْ بَعْد اليَوْم فَوَقَعُوا فِيهَا فَقُبِضَتْ أَرْوَاحهمْ مِنْ قَبْل أَنْ يَمَسّهُمْ حَرّهَا، وَخَرَجَتْ النَّار مِنْ مَكَانهَا فَأَحَاطَتْ بِالجَبَّارِينَ، فَأَحْرَقَهُمْ الله بِهَا، فَفِي ذَلكَ أَنْزَل الله ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير: حُدِّثْت عَنْ عَمَّار عَنْ عَبْد الله بْن أَبِي جَعْفَر بِهِ نَحْوه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، أَيْ: حَرَقُوا. قَالهُ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَابْن أَبْزَى. ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ أَيْ: لمْ يُقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا وَيَنْدَمُوا عَلى مَا أَسْلفُوا. ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾، وَذَلكَ أَنَّ الجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل. قَال الحَسَن البَصْرِيّ: انْظُرُوا إِلى هَذَا الكَرَم وَالجُود، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلى التَّوْبَة وَالمَغْفِرَة!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ عِبَاده المُؤْمِنِينَ أَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بِخِلافِ مَا أَعَدَّ لأَعْدَائِهِ مِنْ الحَرِيق وَالجَحِيم، وَلهَذَا قَال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾. ثم قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أَيْ: إِنَّ بَطْشه وَانْتِقَامه مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُله وَخَالفُوا أَمْره لشَدِيد عَظِيم قَوِيّ، فَإِنَّهُ تَعَالى ذُو القُوَّة المَتِين، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاء فِي

مِثْل لَمح البَصَر أَوْ هُوَ أَقْرَب؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، أَيْ: مِنْ قُوَّته وَقُدْرَته التَّامَّة يُبْدِئ الخَلق ثم يُعِيدهُ كَمَا بَدَأَهُ بِلا مُمَانِع وَلا مُدَافِع. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ أَيْ: يَغْفِر ذَنْب مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَخَضَعَ لدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْب مِنْ أَيّ شَيْء كَانَ. وَالوَدُود -قَال ابْن عَبَّاس -: وَغَيْره: هُوَ الحَبِيب ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، أَيْ: صَاحِب العَرْش المعظم العَالِي عَلى جَمِيع الخَلائِق. و﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: فِيهِ قِرَاءَتَانِ: الرَّفْع عَلى أَنَّهُ صِفَة للرَّبِّ ﷻ، وَالجَرّ عَلى أَنَّهُ صِفَة للعَرْشِ، وَكِلاهُمَا مَعْنًى صَحِيح. ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أَيْ: مَهْمَا أَرَادَ فِعْله لا مُعَقِّب لحُكْمِهِ وَلا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل؛ لعَظَمَتِهِ وَقَهْره وَحِكْمَته وَعَدْله، كَمَا رُوِّينَا عَنْ أَبِي بَكْر الصِّدِّيق أَنَّهُ قِيل لهُ وَهُوَ فِي مَرَض المَوْت: هَل نَظَر إِلَيْك الطَّبِيب؟ قَال: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَا قَال لك؟ قَال: قَال لي: إِنِّي فَعَّال لمَا أُرِيد.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، أَيْ: هَل بَلغَك مَا أَحَلَّ الله بِهِمْ مِنْ البَأْس، وَأَنْزَل عَليْهِمْ مِنْ النِّقْمَة الَّتِي لمْ يَرُدَّهَا عَنْهُمْ أَحَد؟ وَهَذَا تَقْرِير لقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أَيْ: إِذَا أَخَذَ الظَّالم أَخَذَهُ أَخْذًا أَليمًا شَدِيدًا أَخْذ عَزِيز مُقْتَدِر. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَليّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون؛ قَال: مَرَّ النَّبِيّ ﷺ عَلى امْرَأَة تَقْرَأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾، فَقَامَ يَسْمِع فَقَال: «نَعمْ قَدْ جَاءَنِي»[١]. وقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾، أَيْ هُمْ فِي شَكّ وَرَيْب وَكُفْر وَعِنَاد، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أَيْ: هُوَ قَادِر عَليْهِمْ، قَاهِر لا يَفُوتُونَهُ وَلا يُعْجِزُونَهُ، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾، أَيْ: عَظِيم كَرِيم ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ أَيْ: هُوَ فِي المَلإِ الأَعْلى مَحْفُوظ مِنْ الزِّيَادَة وَالنَّقْص وَالتَّحْرِيف وَالتَّبْدِيل.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَليّ حَدَّثَنَا قُرَّة بْن سُليْمَان حَدَّثَنَا حَرْب بْن سريج، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز بْن صُهَيْب، عَنْ أَنَس بْن مَالك فِي قَوْله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾، قَال: إِنَّ اللَّوْح المَحْفُوظ الَّذِي ذَكَرَ الله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ فِي جَبْهَة إِسْرَافِيل.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو صَالح، حدثنا مُعَاوِيَة بْن صَالح: أَنَّ أَبَا الأَعْبَس -هُوَ عَبْد الرَّحْمَن ابْن سَلمَان- قَال: مَا مِنْ شَيْء قَضَى الله: القُرْآن مما قَبْله وَمَا بَعْده إِلَّا وَهُوَ فِي اللَّوْح المَحْفُوظ. وَاللَّوْح المَحْفُوظ بَيْن عَيْنَيْ إِسْرَافِيل لا يُؤْذَن لهُ بِالنَّظَرِ فِيهِ. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: إِنَّ هَذَا القُرْآن المَجِيد عِنْد الله فِي لوْح مَحْفُوظ يُنْزِل مِنْهُ مَا يَشَاء عَلى مَنْ يَشَاء مِنْ خَلقه. وَقَدْ رَوَى البَغَوِيّ مِنْ طَرِيق إِسْحَاق بْن بِشْر أَخْبَرَنِي مُقَاتِل وَابْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: إِنَّ فِي صَدْر اللَّوْح لا إِله إِلَّا الله وَحْده، دِينه الإِسْلام، وَمُحَمَّد عَبْده وَرَسُوله فَمَنْ آمَنَ بِالله وَصَدَّقَ بِوَعْدِهِ وَاتَّبَعَ رُسُله؛ أَدْخَلهُ الجَنَّة. قَال: وَاللَّوْح لوْح مِنْ دُرَّة بَيْضَاء، طُوله مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض، وَعَرْضه مَا بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب، وَحَافَّتَاهُ الدُّرّ وَاليَاقُوت، وَدَفَّتَاهُ يَاقُوتَة حَمْرَاء، وَقَلمه نُور، وَكَلامه مَعْقُود بِالعَرْشِ، وَأَصْله فِي حِجْر مَلك. وَقَال مُقَاتِل: اللَّوْح المَحْفُوظ عَنْ يَمِين العَرْش. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا مُنْجَاب بْن الحَارِث حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن يُوسُف، حَدَّثَنَا زِيَاد ابْن عَبْد الله عَنْ ليْث عَنْ عَبْد المَلك بْن سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنَّ الله تَعَالى خَلقَ لوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّة بَيْضَاء، صَفَحَاتهَا مِنْ يَاقُوتَة حَمْرَاء، قَلمه نُور، وَكِتَابه نُور، لله فِيهِ فِي كُلّ يَوْم سِتُّونَ وَثَلاثمِائَةِ لحْظَة، يَخْلُق وَيَرْزُق، وَيُمِيت وَيُحْيِي، وَيُعِزّ وَيُذِلّ، وَيَفْعَل مَا يَشَاء**»[٢].

آخِر تَفْسِير سُورَة البُرُوج، وَلله الحَمْد

---

(١) **مرسل**: عزاه لابن أبي حاتم، وإسناده مرسل، وأبو إسحاق: يرسل ويعنعن.
(٢) **ضعيف**: أخرجه الطبراني (١٢/ ٧٢/ ١٢٥١١)، وفيه ليث بن أبي سليم: متروك.

تفسير سورة الطارق وهي مكية

ترتيبها ٨٦ وآياتها ١٧

قَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد -قَال عَبْد الله: وَسَمِعْته أَنَا مِنْهُ- حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة الفَزَارِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الطَّائِفِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن خَالد بْن أَبِي جَبَل العَدْوَانِيّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُول الله ﷺ فِي مَشْرِق ثَقِيف وَهُوَ قَائِم عَلى قَوْس -أَوْ: عَصًى- حِين أَتَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدهمْ النَّصْر، فَسَمِعْته يَقُول ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، حَتَّى خَتَمَهَا قَال: فَوَعَيْتهَا فِي الجَاهِلِيَّة وَأَنَا مُشْرِك، ثُمَّ قَرَأْتهَا فِي الإِسْلام قَال: فَدَعَتْنِي ثَقِيف فَقَالُوا: مَاذَا سَمِعْت مِنْ هَذَا الرَّجُل؟ فَقَرَأْتهَا عَلَيْهِمْ، فَقَال مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْش: نَحْنُ أَعْلَم بِصَاحِبِنَا، لَوْ كُنَّا نَعْلم مَا يَقُول حَقًّا لاتَّبَعْنَاهُ.(١) وَقَال النَّسَائِيّ: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم عَنْ مِسْعَر، عَنْ مُحَارِب بْن دِثَار عَنْ جَابِر قَال: صَلَّى مُعَاذ المَغْرِب، فَقَرَأَ البَقَرَة وَالنِّسَاء، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «أَفَتَّان أَنْتَ يَا مُعَاذ؟! مَا كَانَ يَكْفِيك أَنْ تَقْرَأ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِق، وَالشَّمْس وَضُحَاهَا، وَنَحْو هذا!».(٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.

يُقْسِم تَعَالى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَل فِيهَا مِنْ الكَوَاكِب النَّيِّرَة، وَلِهَذَا قَال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾، ثم فسَّره بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾. قَال قَتَادَة وَغَيْره: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْم طَارِقًا، لأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَى بِاللَّيْل وَيَخْتَفِي بِالنَّهَارِ. وَيُؤَيِّدهُ مَا جَاءَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «نَهَى أَنْ يَطْرُق الرَّجُل أَهْله طُرُوقًا».(٣) أَيْ: يَأْتِيهِمْ فَجْأَة بِاللَّيْل. وَفِي الحَدِيث الآخَر المُشْتَمِل عَلى الدُّعَاء: «إِلاَّ طَارِقًا يَطْرُق بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَن»(٤). وَقَوْله: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: المُضِيء. وَقَال السُّدِّيّ: يَثْقُب الشَّيَاطِين إِذَا أُرْسِل عَلَيْهَا. وَقَال عِكْرِمَة: هُوَ مُضِيء وَمُحْرِق لِلشَّيْطَان.

وقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، أَيْ: كُلّ نَفْس عَلَيْهَا مِنْ الله حَافِظ يَحْرُسهَا مِنْ الآفَات، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾، تَنْبِيه لِلإِنْسَانِ عَلى ضَعْف أَصْله الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ، وَإِرْشَاد لَهُ إِلى الاعْتِرَاف بِالمَعَادِ، لأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلى البُدَاءَة فَهُوَ قَادِر عَلى الإِعَادَة بِطَرِيقِ الأَوْلى، كَمَا قَال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. وقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾، يَعْنِي: المَنِيّ، يَخْرُج دَفْقًا مِنْ الرَّجُل وَمِنْ المَرْأَة، فَيَتَوَلَّد مِنْهُمَا الوَلَد بِإِذْنِ الله ﷻ. ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ يَعْنِي: صُلب الرَّجُل وَتَرَائِب المَرْأَة وَهُوَ صَدْرُهَا. وَقَال شَبِيب بْن بِشْر، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: صُلب الرَّجُل وَتَرَائِب المَرْأَة، أَصْفَر رَقِيق لا يَكُون الوَلَد إِلَّا مِنْهُمَا. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ.

---

(١) ضعيف: أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٣٣٥) بسند ضعيف.
(٢) صحيح: تقـدم.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (٧١٥).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩)، وأبو يعلى (٦٨٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٧٤).

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة عَنْ مِسْعَر: سَمِعْت الحَكَم ذَكَرَ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾، قَال: هَذِهِ التَّرَائِب وَوَضَعَ يَده عَلى صَدْره.

وَقَال الضَّحَّاك وَعَطِيَّة، عَنْ ابْن عَبَّاس: تَرِيبَة المَرْأَة: مَوْضِع القِلادَة. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر. وقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: التَّرَائِب: بَيْن ثَدْيَيْهَا. وَعَنْ مُجَاهِد: التَّرَائِب مَا بَيْن المَنْكِبَيْنِ إِلى الصَّدْر. وَعَنْهُ أَيْضًا التَّرَائِب أَسْفَل مِنْ التَّرَاقِي. وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: فَوْق الثَّدْيَيْنِ. وَعَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر: التَّرَائِب أَرْبَعَة أَضْلاع مِنْ هَذَا الجَانِب الأَسْفَل. وَعَنْ الضَّحَّاك: التَّرَائِب بَيْن الثَّدْيَيْنِ وَالرِّجْليْنِ وَالعَيْنَيْنِ. وَقَال اللَّيْث بْن سَعْد، عَنْ مَعْمَر بْن أَبِي حبيبة المَدَنِيّ: أَنَّهُ بَلغَهُ فِي قَوْل الله ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قَال: هُوَ عُصَارَة القَلب مِنْ هُنَاكَ يَكُون الوَلد. وَعَنْ قَتَادَة: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ مِنْ بَيْن صُلبه وَنَحْره. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾، فِيهِ قَوْلانِ: أَحَدهمَا: عَلى رَجْع هَذَا المَاء الدَّافِق إِلى مَقَرّه الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لقَادِر عَلى ذَلكَ؛ قَالهُ مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَغَيْرهمَا. وَالقَوْل الثَّانِي: إِنَّهُ عَلى رَجْع هَذَا الإِنْسَان المَخْلُوق مِنْ مَاء دَافِق، أَيْ: إِعَادَته وَبَعْثه إِلى الدَّار الآخِرَة لقَادِر؛ لأَنَّ مَنْ قَدرَ عَلى البَدَاءَة قَدرَ عَلى الإِعَادَة. وَقَدْ ذَكَرَ الله ﷻ هَذَا الدَّليل فِي القُرْآن فِي غَيْر مَا مَوْضِع، وَهَذَا القَوْل قَال بِهِ الضَّحَّاك وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أَيْ: يَوْم القِيَامَة تُبْلى فِيهِ السَّرَائِر أَيْ: تَظْهَر وَتَبْدُو، وَيَبْقَى السِّرّ علانِيَة، وَالمَكْنُون مَشْهُورًا. وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»؛ عَنْ ابْن عُمَر: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**يُرْفَع لكُلّ غَادِر لوَاء عِنْد اسْته يُقَال: هَذِهِ غَدْرَة فُلان ابْن فُلان**»[1]. وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾، أَيْ: الإِنْسَان يَوْم القِيَامَة ﴿مِن قُوَّةٍ﴾، أَيْ: فِي نَفْسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أَيْ: مِنْ خَارِج مِنْهُ، أَيْ: لا يَقْدِر عَلى أَنْ يُنْقِذ نَفْسه مِنْ عَذَاب الله، وَلا يَسْتَطِيع لهُ أَحَد ذَلكَ.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

قَال ابْن عَبَّاس: الرَّجْع. المَطَر. وَعَنْهُ: هُوَ السَّحَاب فِيهِ المَطَر. وَعَنْهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ تُمْطِر ثُمَّ تُمْطِر. وَقَال قَتَادَة: تَرْجِع رِزْق العِبَاد كُلّ عَام، وَلوْلا ذَلكَ لهَلكُوا وَهَلكَتْ مَوَاشِيهِمْ. وَقَال ابْن زَيْد: تَرْجِع نُجُومهَا وَشَمْسهَا وَقَمَرهَا يَأْتِينَ مِنْ هَهُنَا: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: هُوَ انْصِدَاعهَا عَنْ النَّبَات. وَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر، وَعِكْرِمَة، وَأَبُو مَالك، وَالضَّحَّاك، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ، وَغَيْر وَاحِد.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾. قَال ابْن عَبَّاس: حَقّ. وَكَذَا قَال قَتَادَة. وَقَال آخَر: حُكْم عَدْل. ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾، أَيْ: بَل هُوَ حَقّ جِدّ. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، أَيْ: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتهمْ إِلى خِلاف القُرْآن. ثم قال: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أَيْ: أَنْظِرْهُمْ وَلا تَسْتَعْجِل لهُمْ، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أَيْ: قَليلًا. أَيْ: وَسَتَرَى مَاذَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنْ العَذَاب وَالنَّكَال وَالعُقُوبَة وَالهَلاك، كَمَا قَال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

آخِر تَفْسِير سُورَة الطَّارِق، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥).

تفسير سورة الأعلى وهي مكية

والدَّليل عَلى ذَلكَ مَا رَوَاهُ البُخَارِيّ، حَدَّثَنَا عَبْدَان: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ البَرَاء بْن عَازِب قَال: أَوَّل مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ مُصْعَب بْن عُمَيْر، وَابْن أُمّ مَكْتُوم فَجَعَلا يُقْرِئَانِنَا القُرْآن. ثُمَّ جَاءَ عَمَّار وَبِلال وَسَعْد. ثُمَّ جَاءَ عُمَر بْن الخَطَّاب فِي عِشْرِينَ. ثُمَّ جَاءَ النَّبِيّ ﷺ فَمَا رَأَيْت أَهْل المَدِينَة فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحهمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْت الوَلائِد وَالصِّبْيَان يَقُولُونَ: هَذَا رَسُول الله ﷺ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فِي سُوَر مِثْلهَا.[1]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل عَنْ ثُوَيْر بْن أَبِي فَاخِتَة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيّ ﷺ قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُحِبّ هَذِهِ السُّورَة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[2]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لِمُعَاذ: «هَلَّا صَلَّيْت بِسَبِّحْ اسْم رَبِّكَ الأَعْلَى، وَالشَّمْس وَضُحَاهَا، وَاللَّيْل إِذَا يَغْشَى».[3]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ إِبْرَاهِيم، عن مُحَمَّد بْن المُنْتَشِر، عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَبِيب بْن سَالم عَنْ أَبِيهِ عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ فِي العِيدَيْنِ بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، وَإِنْ وَافَقَ يَوْم الجُمُعَة قَرَأَهُمَا جَمِيعًا.[4] هَكَذَا وَقَعَ فِي مُسْنَد الإِمَام أَحْمَد إِسْنَاد هَذَا الحَدِيث. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم -فِي «صَحِيحه»- وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث أَبِي عَوَانَة وَجَرِير وَشُعْبَة، ثَلاثَتهمْ عَنْ إبراهيم بن مُحَمَّد بْن المُنْتَشِر، عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَبِيب بْن سَالم، عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير بِهِ.

قَال التِّرْمِذِيّ: «وَكَذَا رَوَاهُ الثَّوْرِيّ وَمِسْعَر، عَنْ إِبْرَاهِيم -قَال: وَرَوَاهُ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ إِبْرَاهِيم- عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبِيب بْن سَالم عَنْ أَبِيهِ عَنْ النُّعْمَان. وَلا يُعْرَف لِحَبِيب رِوَايَة عَنْ أَبِيهِ». وَقَدْ رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ مُحَمَّد ابْن الصَّبَّاح، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ إِبْرَاهِيم بْن المُنْتَشِر عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَبِيب بْن سَالم، عَنْ النُّعْمَان بِهِ. كَمَا رَوَاهُ الجَمَاعَة، فَالله أَعْلم. وَلَفْظ مُسْلم وَأَهْل السُّنَن: كَانَ يَقْرَأ فِي العِيدَيْنِ وَيَوْم الجُمُعَة بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْم وَاحِد فَقَرَأَهُمَا. وَقَدْ رَوَى الإِمَام أَحْمَد فِي مُسْنَده مِنْ حَدِيث أُبَيّ بْن كَعْب، وَعَبْد الله بْن عَبَّاس، وَعَبْد الرَّحْمَن بْن أَبْزَى، وَعَائِشَة أُمّ المُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ فِي الوِتْر بِـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. زَادَتْ عَائِشَة وَالمُعَوِّذَتَيْنِ.[5] وَهَكَذَا رُوِيَ هَذَا الحَدِيث مِنْ طَرِيق جَابِر وَأَبِي أُمَامَة صُدَيّ بْن عَجْلان، وَعَبْد الله بْن مَسْعُود، وَعِمْرَان بْن حُصَيْن، وَعَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ. وَلَوْلا خَشْيَة الإِطَالَة لأَوْرَدْنَا مَا تَيَسَّرَ لَنَا مِنْ أَسَانِيد ذَلِكَ وَمُتُونه، وَلَكِنْ فِي الإِرْشَاد بِهَذَا الاخْتِصَار كِفَايَة، وَالله أَعْلَم.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٩٤١).
(٢) ضعيف جدًا : أخرجه أحمد (١/ ٩٦)، بسند ضعيف جدًا، فيه ثوير بن أبي فاختة: متروك. وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٢٦٦): ضعيف جدًا.
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٨٧٨).
(٥) صحيح : أخرجه أحمد (١/ ٢٩٩) (٣/ ٤٠٦)، (٥/ ١٢٣) (٦/ ٢٢٧)، والنسائي (٣/ ٢٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا مُوسَى -يَعْنِي ابْن أَيُّوب الغَافِقِيّ- حَدَّثَنَا عَمِّي إِيَاس بْن عَامِر، سَمِعْت عُقْبَة بْن عَامِر الجُهَنِيّ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قَال لَنَا رَسُول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعكُمْ». فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قَال: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودكُمْ»[1]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث ابْن المُبَارَك، عَنْ مُوسَى بْن أَيُّوب بِهِ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ مُسْلم البَطِين، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا قرأ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قَال: «سُبْحَان رَبِّي الأَعْلى»[2]. وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ زُهَيْر بْن حَرْب، عَنْ وَكِيع بِهِ. وقَال: خُولفَ فِيهِ وَكِيع، رَوَاهُ أَبُو وَكِيع وَشُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ سَعِيد عَنْ ابْن عَبَّاس مَوْقُوفًا.

وَقَال الثَّوْرِيّ، عَنْ السُّدِّيّ عَنْ عَبْد خَيْر قَال: سَمِعْت عَلِيًّا قَرَأَ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فَقَال: سُبْحَان رَبِّي الأَعْلى. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد حَدَّثَنَا حَكَّام عَنْ عَنْبَسَة عَنْ أَبِي إِسْحَاق الهَمْدَانِيّ: أَنَّ ابْن عَبَّاس كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، يَقُول: سُبْحَان رَبِّي الأَعْلى، وَإِذَا قَرَأَ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فَأَتَى عَلى آخِرِهَا: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ يَقُول: سُبْحَانك، وَبَلى. وَقَال قَتَادَة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيّ الله ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا، قَال: «سُبْحَان رَبِّي الأَعْلى».

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، أَيْ: خَلقَ الخَلِيقَة وَسَوَّى كُلّ مَخْلُوق فِي أَحْسَن الهَيْئَات. وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، قَال مُجَاهِد: هَدَى الإِنْسَان للشَّقَاوَة وَالسَّعَادَة، وَهَدَى الأَنْعَام لمَرَاتِعِهَا. وَهَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ تَعَالى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَال لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، أَيْ: قَدَّرَ قَدَرًا وَهَدَى الخَلائِق إِلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«إِنَّ الله قَدَّرَ مَقَادِير الخَلائِق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَوَات وَالأَرْض بِخَمْسِينَ أَلف سَنَة، وَكَانَ عَرْشه عَلى المَاء»**[3]. وقوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾، أَيْ: مِنْ جَمِيع صُنُوف النَّبَاتَات وَالزُّرُوع، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا. وَعَنْ مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد، نَحْوه.

قَال ابْن جَرِير: وَكَانَ بَعْض أَهْل العِلم بِكَلامِ العَرَب يَرَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ المُؤَخَّر الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيم، وَأَنَّ مَعْنَى الكَلام: وَالَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى أَحْوَى، أَيْ: أَخْضَر إِلى السَّوَاد، فَجَعَلَهُ غُثَاء بَعْد ذَلِكَ. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا إِلَّا أَنَّهُ غَيْر صَوَاب لمُخَالَفَتِهِ أَقْوَال أَهْل التَّأْوِيل. وَقَوْله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، أَيْ: يَا مُحَمَّد ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾. وَهَذَا إِخْبَار مِنْ الله ﷻ وَوَعْد مِنْهُ لهُ بِأَنَّهُ سَيُقْرِئُهُ قِرَاءَة لا يَنْسَاهَا، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾. وَهَذَا اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَقَال قَتَادَة: كَانَ رَسُول الله ﷺ لا يَنْسَى شَيْئًا إِلَّا مَا شَاءَ الله. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾ طَلب، وجعلوا مَعْنَى الاسْتِثْنَاء

---

(١) **ضعيف** : أخرجه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد (٤/ ١٥٥) بسند ضعيف. وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

(٢) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٨٨٣)، وأحمد (١/ ٢٣٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٦٦).

(٣) **صحيح** : تقـدم.

عَلى هَذَا مَا يَقَع مِنَ النَّسْخ أَيْ: لا تَنْسَى مَا نُقْرئك إِلَّا مَا يَشَاء الله رَفْعه، فَلا عَلَيْك أَنْ تَتْرُكهُ. وَقَوْله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾، أَيْ: يَعْلم مَا يَجْهَر بِهِ العِبَاد وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقْوَالهِمْ وَأَفْعَالهِمْ، لا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْء.

وقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾، أَيْ: نُسَهِّل عَلَيْك أَفْعَال الخَيْر وَأَقْوَاله، وَنَشْرَع لك شَرْعًا سَهْلًا سَمْحًا مُسْتَقِيمًا عَدْلًا، لا اعْوِجَاج فِيهِ وَلا حَرَج، وَلا عُسْر. وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، أَيْ: ذَكِّرْ حَيْثُ تَنْفَع التَّذْكِرَة. وَمِنْ هَهُنَا يُؤْخَذ الأَدَب فِي نَشْر العِلم فَلا يَضَعهُ عِنْد غَيْر أَهْله، كَمَا قَال أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ رضي الله عنه: مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغهُ عُقُولهمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَة لِبَعْضِهِمْ. وَقَال: حدِّث النَّاس بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّب الله وَرَسُوله. وقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾، أَيْ: سَيَتَّعِظُ بِمَا تُبَلِّغهُ يَا مُحَمَّد مَنْ قَلبه يَخْشَى الله وَيَعْلم أَنَّهُ مُلاقِيه، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أَيْ: لا يَمُوت فَيَسْتَرِيح وَلا يَحْيَى حَيَاة تَنْفَعهُ، بَل هِيَ مُضِرَّة عَلَيْهِ لأَنَّ بِسَبَبِهَا يَشْعُر مَا يُعَاقَب بِهِ مِنْ أَلِيم العَذَاب، وَأَنْوَاع النَّكَال. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ سُلَيْمَان -يَعْنِي التَّيْمِيّ- عَنْ أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«أَمَّا أَهْل النَّار الَّذِينَ هُمْ أَهْلهَا لا يَمُوتُونَ وَلا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أُنَاس يُرِيد الله بِهِمْ الرَّحْمَة فَيُمِيتهُمْ فِي النَّار، فَيَدْخُل عَلَيْهِمْ الشُّفَعَاء، فَيَأْخُذ الرَّجُل أَنْصَاره فَيُنْبِتهُمْ -أَوْ: قَال: يَنْبُتُونَ- فِي نَهْر الحياء -أَوْ قَال: الحَيَاة، أَوْ قَال: الحَيَوَان، أَوْ قَال: نَهْر الجَنَّة- فَيَنْبُتُونَ نَبَات الحِبَّة فِي حَمِيل السَّيْل»**. قَال: وَقَال النَّبِيّ ﷺ: «أَمَّا تَرَوْنَ الشَّجَرَة تَكُون خَضْرَاء، ثُمَّ تَكُون صَفْرَاء، أو قال: تكون صفراء، ثُمَّ تَكُون خَضْرَاء؟». قَال: فَقَال بَعْضهمْ كَأَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ بِالبَادِيَة.[1]

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا [سَعِيد بْن يَزِيد][2]، عَنْ أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«أَمَّا أَهْل النَّار الَّذِينَ هُمْ أَهْلهَا، فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ أُنَاس -أَوْ كَمَا قَال- تُصِيبهُمْ النَّار بِذُنُوبِهِمْ -أَوْ قَال: بِخَطَايَاهُمْ- فَيُمِيتهُمْ إِمَاتَة، حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَة، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِر ضَبَائِر، فنبتوا عَلى أَنْهَار الجَنَّة، فَيُقَال: يَا أَهْل الجَنَّة، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَات [الحِبَّة][3] تَكُون فِي حَمِيل السَّيْل»**. قَال: فَقَال رَجُل مِنَ القَوْم حِينَئِذٍ: كَأَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ فِي البَادِيَة. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث بِشْر ابْن الْمُفَضَّل وَشُعْبَة، كِلاهُمَا عَنْ أَبِي مسْلمَة سَعِيد بْن يَزِيد بِهِ مِثْله. وَرَوَاهُ أَحْمَد أَيْضًا عَنْ يَزِيد، عَنْ سَعِيد بْن إِيَاس [الجُرَيْرِيّ][4]، عَنْ أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: **«إِنَّ أَهْل النَّار الَّذِينَ لا يُرِيد الله إِخْرَاجهمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَإِنَّ أَهْل النَّار الَّذِينَ يُرِيد الله إِخْرَاجهم يُمِيتهُمْ فِيهَا إِمَاتَة، حَتَّى يَصِيرُوا فَحْمًا ثُمَّ يُخْرَجُونَ ضَبَائِر، فَيُلقَوْنَ عَلى أَنْهَار الجَنَّة أو يُرَشّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْهَار الجَنَّة، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُت الحِبَّة فِي حَمِيل السَّيْل»**. وَقَدْ قَال الله تَعَالى إِخْبَارًا عَنْ أَهْل النَّار: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، وَقَال تَعَالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ إِلى غَيْر ذَلِكَ مِنَ الآيَات فِي هَذَا المَعْنَى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، أَيْ: طَهَّرَ نَفْسه مِنَ الأَخْلاق الرَّذِيلة، وَتَابَعَ مَا أَنْزَل الله عَلى الرَّسُول ﷺ ،

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥)، وأحمد (٣/ ٥، ١١، ٢٠).
(٢) في الأزهرية: [يزيد بن سعيد].
(٣) في الأزهرية: [الحب].
(٤) في الأزهرية: [الجويري].

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ أَيْ: أَقَامَ الصَّلاة فِي أَوْقَاتِهَا؛ ابْتِغَاء رِضْوَان الله وَطَاعَة لأَمْرِ الله وَامْتِثَالًا لِشَرْعِ الله. وَقَدْ قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا عَبَّاد بْن أَحْمَد العَرْزَمِيّ، حَدَّثَنَا عَمِّي مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاء ابْن السَّائِب عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن سَابط، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله عَنْ النَّبِيّ ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، قَال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِله إِلَّا الله، وَخَلعَ الأَنْدَاد، وَشَهِدَ أَنِّي رَسُول الله». ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قَال: «هِيَ الصَّلَوَات الخَمْس وَالمُحَافَظَة عَلَيْهَا وَالاهْتِمَام بِهَا»[1]. ثُمَّ قَال: لا يُرْوَى عَنْ جَابِر إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس: إِنَّ المُرَاد بِذَلِكَ الصَّلَوَات الخَمْس. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي عَمْرو بْن عَبْد الحَمِيد الآمليّ، حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة، عَنْ أَبِي خَلدَة قَال: دَخَلت عَلى أَبِي العَالِيَة فَقَال لِي: إِذَا غَدَوْت غَدًا إِلى العِيد فَمُرَّ بِي. قَال: فَمَرَرْت بِهِ فَقَال: هَل طَعِمْت شَيْئًا؟ قُلت: نَعَمْ. قَال: أَفَضْت عَلى نَفْسك مِنْ المَاء؟ قُلت: نَعَمْ. قَال: فَأَخْبِرْنِي مَا فَعَلْتَ: [بِزَكَاتك][2]؟ قُلت: قَدْ وَجَّهْتهَا؟ قَال: إِنَّمَا أَرَدْتُك لهذا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، وَقَال: إِنَّ أَهْل المَدِينَة لا يَرَوْنَ صَدَقَة أَفْضَل مِنْهَا وَمِنْ سِقَايَة المَاء.

قُلت: وكذلك رُوِّينَا عَنْ أَمِير المُؤْمِنِينَ عُمَر بْن عَبْد العَزِيز أَنَّهُ كَانَ يَأْمُر النَّاس بِإِخْرَاج صَدَقَة الفِطْر، وَيَتْلُو هَذِهِ الآيَة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وَقَال أَبُو الأَحْوَص: إِذَا أَتَى أَحَدكُمْ سَائِل وَهُوَ يُرِيد الصَّلاة فَليُقَدِّمْ بَيْن يَدَيْ صَلاته زَكَاته، فَإِنَّ الله يَقُول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وَقَال قَتَادَة فِي هَذِهِ الآيَة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: زَكَّى مَاله، وَأَرْضَى خَالقه.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، أَيْ: تُقَدِّمُونَهَا عَلى أَمْر الآخِرَة، وَتُبَدُّونَهَا عَلى مَا فِيهِ نفعكم وَصَلاحكُمْ فِي مَعَاشكُمْ وَمَعَادكُمْ، ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، أَيْ: ثَوَاب الله فِي الدَّار الآخِرَة خَيْر مِنْ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دنية فَانِيَة، وَالآخِرَة شَرِيفَة بَاقِيَة، فَكَيْفَ يُؤْثِر عَاقِل مَا يَفْنَى عَلى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمّ بِمَا يَزُول عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرُك الاهْتِمَام بِدَارِ البَقَاء وَالخُلد. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا [ذوَيْد][3] عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عُرْوَة، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: قَال رَسُول الله ﷺ: «الدُّنْيَا دَار مَنْ لا دَار لهُ، وَمَال مَنْ لا مَال لهُ، وَلهَا يَجْمَع مَنْ لا عَقْل لهُ»[4]. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن وَاضِح، حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَة، عَنْ عَطَاء، عَنْ عَرْفَجَة الثَّقَفِيّ قَال: اسْتَقْرَأْت ابْن مَسْعُود: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فَلمَّا بَلغَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، تَرَكَ القِرَاءَة، وَأَقْبَل عَلى أَصْحَابه وَقَال: آثَرْنَا الدُّنْيَا عَلى الآخِرَة، فَسَكَتَ القَوْم، فَقَال: آثَرْنَا الدُّنْيَا؛ لأَنَّا رَأَيْنَا زِينَتهَا وَنِسَاءَهَا وَطَعَامهَا وَشَرَابهَا، وَزُوِيَتْ عَنَّا الآخِرَة، فَاخْتَرْنَا هَذَا العَاجِل وَتَرَكْنَا الآجِل. وَهَذَا مِنْهُ عَلى وَجْه التَّوَاضُع وَالهَضْم، أَوْ هُوَ إِخْبَار عَنْ الجِنْس مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُليْمَان بْن دَاوُد الهَاشِمِيّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن جَعْفَر، أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن أَبِي عمرو عَنْ المُطَّلب بْن عَبْد الله عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَته أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ؛ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلى مَا يَفْنَى»[5]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي [سَلمَة][6]

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا**: أخرجه البزار (٢/ ١١٧) «كشف»، بسند ضعيف جدًا، فيه عباد بن أحمد العرزمي: متروك الحديث.
(٢) في الأزهرية: [وكأنك].
(٣) في الأزهرية: [دويد].
(٤) **ضعيف**: تقـــدم.
(٥) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٤/ ٤١٢)، بسند ضعيف، فيه انقطاع بين المطلب بن عبد الله وأبي موسى الأشعري.
(٦) في الأزهرية: [مسلم].

الخُزَاعِيّ، عَنْ الدَّرَاوَرْدِيّ عَنْ عَمْرو بْن أَبِي عَمْرو، بِهِ مِثْله سَوَاء. وَقَوْله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾. قَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا نَصْر بْن عَلِيّ حَدَّثَنَا مُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاء ابْن السَّائِب، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، قَال النَّبِيّ ﷺ: «كَانَ كُلّ هَذَا -أَوْ: كَانَ هَذَا- فِي صُحُف إِبْرَاهِيم وَمُوسَى»[1]. ثُمَّ قَال: لا نَعْلم أَسْنَدَ الثِّقَات عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس غَيْر هَذَا، وَحَدِيثًا آخر أورده قبل هَذَا.

وَقَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى أَخْبَرَنَا نَصْر بْن عَلِيّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قَال: كُلّهَا فِي صُحُف إِبْرَاهِيم وَمُوسَى. فلما نَزَلَتْ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، قَال: وَفَّى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الآيَة كَقَوْلِهِ فِي «سُورَة النَّجْم» ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ الآيَات إِلَى آخِرهنَّ. وَهَكَذَا قَال عِكْرِمَة فِيمَا رَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ ابْن حُمَيْد، عَنْ مِهْرَان، عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَة فِي قَوْله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يقول: الآيات التي في ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾. وَقَال أَبُو العَالِيَة: قِصَّة هَذِهِ السُّورَة فِي الصُّحُف الأُولى. وَاخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾، إِشَارَة إِلَى قَوْله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، ثُمَّ قَال: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾، أَيْ: مَضْمُون هَذَا الكَلام ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾. وَهَذَا اختيار حَسَن قَوِيّ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ قَتَادَة وَابْن زَيْد نَحْوه، وَالله أَعْلَم.

آخِر تَفْسِير سُورَة «سَبِّحْ»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق وَالعِصْمَة

تفسير سُورَةُ الغَاشِيَةِ وهي مكية

ترتيبها ٨٨ — وآياتها ٢٦

قَدْ تَقَدَّمَ عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَالغَاشِيَة فِي صَلاة العِيد وَيَوْم الجُمْعَة.[2] وَقَال الإِمَام مَالك، عَنْ ضَمْرَة بْن سَعِيد، عَنْ [عُبَيْد الله][3] بْن عَبْد الله: أَنَّ الضَّحَّاك بْن قَيْس سَأَل النُّعْمَان بْن بَشِير: بِمَ كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ فِي الجُمْعَة مَعَ سُورَة الجُمْعَة؟ قَال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد عَنْ القَعْنَبِيّ، وَالنَّسَائِيّ عَنْ قُتَيْبَة؛ كِلاهُمَا عَنْ مَالك بِهِ. وَرَوَاهُ مُسْلم وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، عَنْ ضَمْرَة بْن سَعِيد بِهِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾.

الغَاشِيَة: مِنْ أَسْمَاء يَوْم القِيَامَة. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَقَتَادَة، وَابْن زَيْد؛ لأَنَّهَا تَغْشَى النَّاس وَتَعُمّهُمْ. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن عَيَّاش، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ عَمْرو بْن

---

(١) ضعيف: أخرجه البزار (١٥٣٠) «الكشف»، بسند ضعيف.
(٢) صحيح: تقـدم.
(٣) في الأزهرية: [عبد الله].

مَيْمُون قَال: مَرَّ النَّبِيّ ﷺ على امْرَأَة تَقْرَأ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾، فَقَامَ يَسْتَمِع وَيَقُول: «نَعَمْ قَدْ جَاءَنِي»[1].

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾، أَيْ: ذَلِيلة؛ قَالهُ قَتَادَة. وَقَال ابْن عَبَّاس: تَخْشَع وَلا يَنْفَعهَا عَمَلهَا. وقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، أَيْ: قَدْ عَمِلتْ عَمَلًا كَثِيرًا وَنَصِبَتْ فِيهِ وَصَلِيَتْ يَوْم القِيَامَة نَارًا حَامِيَة. وقَال الحَافِظ أَبُو بَكر البُرْقَانِيّ: حَدَّثنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد [المُزَكّى][2] حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق السَّرَّاج، حَدَّثنَا هَارُون بْن عَبْد الله، حَدَّثنَا سَيَّار حَدَّثنَا جَعْفَر قَال: سَمِعْت أَبَا عِمْرَان الجَوْنِيّ يَقُول: مَرَّ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ بِدَيْرِ رَاهِب، قَال: فَنَادَاهُ: يَا رَاهِب، يا راهب فَأَشْرَفَ، قَال: فَجَعَل عُمَر يَنْظُر إِلَيْهِ وَيَبْكِي. فَقِيل لهُ: يَا أَمِير المُؤْمِنِينَ مَا يُبْكِيك مِنْ هَذَا؟ قَال: ذَكَرْت قَوْل الله ﷻ فِي كِتَابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾، فَذَاكَ الَّذِي أَبْكَانِي.

وَقَال البُخَارِيّ: قَال ابْن عَبَّاس: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، النَّصَارَى. وَعَنْ عِكْرِمَة، وَالسُّدِّيّ ﴿عَامِلَةٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالمَعَاصِي ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ فِي النَّار بِالعَذَابِ والأغلال. قَال ابْن عَبَّاس، وَالحَسَن، وَقَتَادَة: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أَيْ: حَارَّة شَدِيدَة الحَرّ. ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أَيْ: قَدْ انْتَهَى حَرّهَا وَغَلَيَانهَا. قَالهُ ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد وَالحَسَن وَالسُّدِّيّ. وقوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾، قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: شَجَر مِنْ النَّار. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: هُوَ الزَّقُّوم. وَعَنْهُ: أَنَّهَا الحِجَارَة. وَقَال ابْن عَبَّاس، ومُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَأَبُو الجَوْزَاء، وَقَتَادَة: هُوَ الشِّبْرِق، قَال قَتَادَة: قُرَيْش تُسَمِّيه فِي الرَّبِيع الشِّبْرِق، وَفِي الصَّيْف الضَّرِيع، قَال عِكْرِمَة: وَهُوَ شَجَرَة ذَات شَوْك لاطِئَة بِالأَرْضِ. وَقَال البُخَارِيّ: قَال مُجَاهِد: الضَّرِيع نَبْت يُقَال لهُ الشِّبْرِق، يُسَمِّيه أَهْل الحِجَاز الضَّرِيع إِذَا يَبِسَ وَهُوَ سُمّ. وَقَال مَعْمَر عَنْ قَتَادَة: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هُوَ الشِّبْرِق إِذَا يَبِسَ سُمِّيَ الضَّرِيع. وَقَال سَعِيد، عَنْ قَتَادَة: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ مِنْ شَرّ الطَّعَام وَأَبْشَعه وَأَخْبَثه. وقوله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾، يَعْنِي: لا يَحْصُل بِهِ مَقْصُود، وَلا يَنْدَفِع بِهِ مَحْذُور.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

لـمَّا ذَكَرَ حَال الأَشْقِيَاء، ثَنَّى بِذِكْرِ السُّعَدَاء فَقَال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أَيْ: يُعْرَف النَّعِيم فِيهَا، وَإِنَّمَا حَصَل لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا. وَقَال سُفْيَان: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: قَدْ رَضِيَتْ عَمَلهَا. وقوله: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، أَيْ: رَفِيعَة بَهِيَّة فِي الغُرُفَات آمِنُون، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً﴾ أَيْ: لا يسْمَع فِي الجَنَّة الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَة لغْو. كَمَا قَال: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا﴾، وَقَال: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾، وَقَال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، أي: سَارِحَة. وَهَذِهِ نَكِرَة فِي سِيَاق الإِثْبَات، وَلَيْسَ المُرَاد بِهَا عَيْنًا وَاحِدَة، وَإِنَّمَا هَذَا جِنْس، يَعْنِي: فِيهَا عُيُون جَارِيَات.

وقَال ابْن أَبِي حَاتِم: قُرِئَ عَلَى الرَّبِيع بْن سُلَيْمَان: حَدَّثنَا أَسَد بْن مُوسَى، حَدَّثنَا ابْن ثَوْبَان عَنْ عَطَاء بْن قُرَّة، عَنْ عبد الله بْن ضَمْرَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال النبي ﷺ: «أَنْهَار الجَنَّة تُفَجَّر مِنْ تَحْت تِلال -أَوْ: مِنْ تَحْت جِبَال- المِسْك». ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾، أَيْ: عَالِيَة نَاعِمَة كَثِيرَة الفُرُش مُرْتَفِعَة السُّمْك عَلَيْهَا الحُور العِيْن. قَالُوا: فَإِذَا أَرَادَ وَلِيّ الله أَنْ يَجْلس عَلَى تِلكَ السُّرُر العَالِيَة تَوَاضَعَتْ لهُ. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ يَعْنِي: أَوَانِي الشَّراب مُعَدَّة

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) في الأزهرية: [المِزِّيُّ].

مُرْصَدَة لَمَنْ أَرَادَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: النَّمَارِق الوَسَائِد. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، وَالثَّوْرِيّ، وَغَيْرهمْ.

وقوله: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: الزَّرَابِيّ: البُسُط. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك وَغَيْر وَاحِد. وَمَعْنَى مَبْثُوثَة، أَيْ: هَهُنَا وَهَهُنَا لَمَنْ أَرَادَ الجُلُوس عَلَيْهَا. وَنَذْكُر هَهُنَا الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو بَكْر ابْن أَبِي دَاوُد: حَدَّثَنَا عَمْرو ابْن عُثْمَان، حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ مُحَمَّد بْن مُهَاجِر عَنْ الضَّحَّاك المَعَافِرِيّ، عَنْ سُلَيْمَان بْن مُوسَى: حَدَّثَنِي كُرَيْب أَنَّهُ سَمِعَ أُسَامَة بْن زَيْد يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ : «أَلا هَل مِنْ مُشَمِّر للجَنَّة، فَإِنَّ الجَنَّة لا خَطَر لَهَا، وهي -وَرَبّ الكَعْبَة- نُور تَتَلأْلأ، وَرَيْحَانَة تَهْتَزّ، وَقَصْر مَشِيد، وَنَهَر مُطَّرِد، وَثَمَرَة نَضِيجَة، وَزَوْجَة حَسْنَاء جَمِيلَة، وَحُلَل كَثِيرَة، وَمَقَام فِي أَبَد فِي دَار سَلِيمَة، وَفَاكِهَة وَخُضْرَة، وَحَبْرَة وَنِعْمَة، فِي مَحَلَّة عَالِيَة بَهِيَّة؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُول الله، نَحْنُ المُشَمِّرُونَ لَهَا. قَال: «قُولُوا: إِنْ شَاءَ الله». قَال القَوْم: إِنْ شَاءَ الله.[1] وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ العَبَّاس بْن عُثْمَان الدِّمَشْقِيّ، عَنْ الوَلِيد بْن مُسْلم، عن مُحَمَّد بْن مُهَاجِر بِهِ.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

يَقُول تَعَالى آمِرًا عِبَاده بِالنَّظَر فِي مَخْلُوقَاته الدَّالَّة عَلى قُدْرَته وَعَظَمَته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، فَإِنَّهَا خَلق عَجِيب، وَتَرْكِيبهَا غَرِيب، فَإِنَّهَا فِي غَايَة القُوَّة وَالشِّدَّة، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَلِينَ للحِمْل الثَّقِيل، وَتَنْقَاد للقَائِد الضَّعِيف، وَتُؤْكَل، وَيُنْتَفَع بِوَبَرِهَا، وَيُشْرَب لبَنهَا، وَنُبِّهُوا بِذَلِكَ لأَنَّ العَرَب غَالب دَوَابّهِمْ كَانَتْ الإِبِل، وَكَانَ شُرَيْح القَاضِي يَقُول: اخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَنْظُر إِلَى الإِبِل كَيْفَ خُلقَتْ، وإلى السماء كيف رفعت؟ أَيْ: كَيْفَ رَفَعَهَا الله ﷻ عَنْ الأَرْض هَذَا الرَّفْع العَظِيم، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾. ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، أَيْ: جُعِلتْ مَنْصُوبَة قائمة ثَابِتَة رَاسِيَة لِئَلَّا تَمِيد الأَرْض بِأَهْلهَا وَجَعَل فِيهَا مَا جَعَل مِنْ المَنَافِع وَالمَعَادِن. ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، أَيْ: كَيْفَ بُسِطَتْ وَمُدَّتْ وَمُهِّدَتْ، فَنَبَّهَ البَدَوِيّ عَلى الاسْتِدْلال بِمَا يُشَاهِدهُ مِنْ بَعِيره الَّذِي هُوَ رَاكِب عَلَيْهِ وَالسَّمَاء الَّتِي فَوْق رَأْسه، وَالجَبَل الَّذِي تُجَاهه وَالأَرْض الَّتِي تَحْته عَلى قُدْرَة خَالق ذَلِكَ وَصَانِعه، وَأَنَّهُ الرَّبّ العَظِيم الخَالق المُتَصَرِّف المَالك وَأَنَّهُ الإِله الَّذِي لا يَسْتَحِقّ العِبَادَة سِوَاهُ. وَهَكَذَا أَقْسَمَ «ضِمَام» فِي سُؤَاله عَلى رَسُول الله ﷺ ، كَمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد حَيْثُ قَال: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن القَاسِم، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن المُغِيرَة، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس قَال: كُنَّا نُهِينَا أَنْ نَسْأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ شَيْء، فَكَانَ يُعْجِبنَا أَنْ يَجِيء الرَّجُل مِنْ أَهْل البَادِيَة العَاقِل فَيَسْأَلهُ وَنَحْنُ نَسْمَع، فَجَاءَ رَجُل مِنْ أَهْل البَادِيَة فَقَال: يَا مُحَمَّد، إِنَّهُ أَتَانَا رَسُولك فَزَعَمَ لنَا أَنَّك تَزْعُم أَنَّ الله أَرْسَلك؟ قَال: «صَدَقَ». قَال: فَمَنْ خلق السَّمَاء؟ قَال: «الله». قَال: فَمَنْ خَلقَ الأَرْض؟ قَال: «الله». قَال: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الجِبَال وَجَعَل فِيهَا مَا جَعَل؟ قَال: «الله». قَال: فَبِالَّذِي خَلقَ السَّمَاء وَالأَرْض وَنَصَبَ هَذِهِ الجِبَال آلله أَرْسَلك؟ قَال: «نَعَمْ». قَال: وَزَعَمَ رَسُولك أَنَّ عَليْنَا خَمْس صَلوَات فِي يَوْمنَا وَليْلتنَا ؟ قَال: «صَدَقَ» قَال: فَبِالَّذِي أَرْسَلك، آلله أَمَرَك بِهَذَا؟ قَال: «نَعَمْ». قَال: وَزَعَمَ رَسُولك أَنَّ عَليْنَا زَكَاة فِي أَمْوَالنَا؟ قَال: «صَدَقَ». قَال: فَبِالَّذِي أَرْسَلك، آلله أَمَرَك بِهَذَا؟ قَال:

---

(١) **ضعيف** : تقدم.

«نعم». قَال: وَزَعَمَ رَسُولك أَنَّ عَلينَا حَجّ البَيْت مَنْ اسْتَطَاعَ إِليْهِ سَبِيلًا؟ قَال: «صَدَقَ». قَال: ثُمَّ وَلَّى، فَقَال: وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ لا أَزِيد عَليْهِنَّ شَيْئًا، وَلا أَنْقُص مِنْهُنَّ شَيْئًا، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «إِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّة».[1]

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم، عَنْ عَمْرو النَّاقِد عَنْ أَبِي النَّضْر هَاشِم بْن القَاسِم بِهِ. وَعَلَّقَهُ البُخَارِيّ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سُليْمَان بْن المُغِيرَة بِهِ. وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد وَالبُخَارِيّ، وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث اللَّيْث بْن سَعْد، عَنْ سَعِيد المَقْبُرِيّ عَنْ شَرِيك بْن عَبْد الله بْن أَبِي نَمِر عَنْ أَنَس بِهِ بِطُوله، وَقَال فِي آخِره: وَأَنَا ضِمَام بْن ثَعْلَبَة أَخُو بَنِي سَعْد بْن بَكْر. وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا إِسْحَاق، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن جَعْفَر، حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن دِينَار عَنْ ابْن عُمَر قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ كَثِيرًا مَا كَانَ يُحَدِّث عَنْ امْرَأَة فِي الجَاهِلِيَّة عَلى رَأْس جَبَل مَعَهَا ابْن لهَا تَرْعَى غَنَمًا، فَقَال لهَا ابْنهَا: يَا أُمّه، مَنْ خَلقَك؟ قَالتْ: الله. قَال: فَمَنْ خَلقَ أَبِي؟ قَالتْ: الله. قَال: فَمَنْ خَلقَنِي؟ قَالتْ: الله، قَال: فَمَنْ خَلقَ السَّمَاء؟ قَالتْ: الله. قَال: فَمَنْ خَلقَ الأَرْض؟ قَالتْ: الله. قَال: فَمَنْ خَلقَ الجَبَل؟ قَالتْ: الله. قَال: فَمَنْ خَلقَ هَذِهِ الغَنَم؟ قَالتْ: الله. قَال: إِنِّي لأَسْمَع لله شَأْنًا. وَأَلقَى نَفْسه مِنْ الجَبَل فَتَقَطَّعَ. قَال ابْن عُمَر: كَانَ رَسُول الله ﷺ كَثِيرًا مَا يُحَدِّثنَا هَذَا. قَال ابْن دِينَار: كَانَ ابْن عُمَر كَثِيرًا مَا يُحَدِّثنَا هَذَا.[2] فِي إِسْنَاده ضَعْف، وَعَبْد الله بْن جَعْفَر هَذَا هُوَ المَدِينِيّ ضَعَّفَهُ وَلده الإِمَام عَليّ بْن المَدِينِيّ وَغَيْره.

وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، أَيْ: فَذَكِّرْ يَا مُحَمَّد النَّاس بِمَا أُرْسِلت بِهِ إِليْهِمْ، فَإِنَّمَا عَليْك البَلاغ وَعَليْنَا الحِسَاب؛ ولهذا قال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَغَيْرهمَا: لسْت عَليْهِمْ بِجَبَّارٍ. وَقَال ابْن زَيْد: لسْت بِالَّذِي تُكْرِههُمْ عَلى الإِيمَان. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أُمِرْت أَنْ أُقَاتِل النَّاس حَتَّى يَقُولُوا: لا إله إلاَّ الله، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالهمْ إلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابهمْ على الله** ﷻ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.[3] وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم فِي كِتَاب «الإِيمَان» وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي كِتَاب «التَّفْسِير» مِنْ «سُنَنَيْهِمَا» مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن سَعِيد الثَّوْرِيّ، بِهِ بِهَذِهِ الزِّيَادَة. وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّج فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة بِدُونِ ذِكْر هَذِهِ الآيَة. وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾، أَيْ: تَوَلَّى عَنْ العَمَل بِأَرْكَانِهِ، وَكَفَر بِالحَقِّ بِجَنَانِهِ وَلسَانه. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾. ولهذا قال: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة حَدَّثَنَا ليْث عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلال، عَنْ عَليّ بْن خَالد أَنَّ أَبَا أُمَامَة البَاهِليّ مَرَّ عَلى خَالد بْن يَزِيد بْن مُعَاوِيَة، فَسَأَلهُ عَنْ أَليَن كَلمَة سَمِعَهَا مِنْ رَسُول الله ﷺ فَقَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «أَلا كُلّكُمْ يَدْخُل الجَنَّة إلاَّ مَنْ شَرَدَ عَلى الله شِرَاد البَعِير عَلى أَهْله»[4]. تَفَرَّدَ بِإِخْرَاجِهِ الإِمَام أَحْمَد، وَعَليّ بْن خَالد هَذَا ذَكَرَهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ، وَلمْ يَزِدْ عَلى مَا هَهُنَا، رَوَى عَنْ أَبِي أُمَامَة، وَعَنْهُ سَعِيد بْن أَبِي هِلال. وَقَوْله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أَيْ: مَرْجِعهمْ وَمُنْقَلبهمْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، أَيْ: نَحْنُ نُحَاسِبهُمْ عَلى أَعْمَالهمْ وَنُجَازِيهِمْ بِهَا: إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ.

آخِر تَفْسِير سُورَة الغَاشِيَة، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).
(٢) إسناده ضعيف : فيه عبد الله بن جعفر : ضعيف.
(٣) صحيح : تقـــدم.
(٤) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٨)، بسند ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم: وهو ضعيف.

تفسير سُورَةُ الفَجْرِ وهي مكية

ترتيبها ٨٩ وآياتها ٣٠

قَال النَّسَائِيّ: أخبرنا عَبْد الوَهَّاب بْن الحَكَم، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْن سَعِيد عَنْ سُلَيْمان، عَنْ مُحَارِب بْن دِثَار وَأَبِي صَالح عَنْ جَابِر قَال: صَلَّى مُعَاذ صَلاة، فَجَاءَ رَجُل فَصَلَّى مَعَهُ فطوَّل فَصَلَّى فِي نَاحِيَة المَسْجِد ثُمَّ انْصَرَف، فَبلَغ ذَلك مُعَاذًا فقَال: مُنَافِق. فَذُكِرَ ذَلكَ لرَسُول الله ﷺ فَسَأَل الفَتَى، فَقَال: يَا رَسُول الله؛ جِئْت أُصَلِّي مَعَهُ فَطَوَّل عَلَيَّ، فَانْصَرفْت وَصَلَّيْت فِي نَاحِيَة المَسْجِد، فَعَلفْت ناضحي، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «**أَفَتَّان يَا مُعَاذ؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿ٱلْفَجْرِ﴾، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾».[(١)]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

أَمَّا الفَجْر فَمَعْرُوف، وَهُوَ الصُّبْح قَالهُ عَلِيّ وَابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَالسُّدِّيّ. وَعَنْ مَسْرُوق، ومجاهد، وَمُحَمَّد بْن كَعْب: الْمَرَاد بِهِ فَجْر يَوْم النَّحْر خَاصَّة، وَهُوَ خَاتِمَة اللَّيَالِي العَشْر. وَقِيل: الْمُرَاد بِذَلكَ الصَّلاة الَّتِي تُفْعَل عِنْده، كَمَا قَالهُ عِكْرِمَة. وَقِيل الْمُرَاد بِهِ جَمِيع النَّهَار، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ ابْن عَبَّاس. وَاللَّيَالِي العَشْر: الْمُرَاد بِهَا عَشْر ذِي الحِجَّة. كَمَا قَالهُ ابْن عَبَّاس وَابْن الزُّبَيْر، وَمُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلَف وَالخَلَف. وَقَدْ ثَبَتَ فِي «صَحِيح البُخَارِيّ»، عَنْ ابْن عَبَّاس مَرْفُوعًا: «**مَا مِنْ أَيَّام العَمَل الصَّالح أَحَبّ إِلى الله فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّام**». يَعْنِي: عَشْر ذِي الحِجَّة قَالُوا وَلا الجِهَاد فِي سَبِيل الله؟ قَال: «**وَلا الجِهَاد فِي سَبِيل الله، إِلاَّ رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَاله، ثُمَّ لمْ يَرْجِع مِنْ ذَلكَ بِشَيْءٍ**»[(٢)]. وَقِيل: الْمُرَاد بِذَلكَ العَشْر الأُوَل مِنْ الْمُحَرَّم، حَكَاهُ أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير وَلمْ يَعْزُهُ إِلى أَحَد. وَقَدْ رَوَى أَبُو كُدَيْنَة، عَنْ قَابُوس بْن أَبِي ظَبْيَان، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، قَال: هُوَ العَشْر الأُوَل مِنْ رَمَضَان. وَالصَّحِيح القَوْل الأَوَّل.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب حَدَّثَنَا عَيَّاش بْن عُقْبَة، حَدَّثَنِي خَيْر بْن نُعَيْم عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِنَّ العَشْر عَشْر الأَضْحَى، وَالوَتْر يَوْم عَرَفَة، وَالشَّفْع يَوْم النَّحْر».[(٣)] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن رَافِع وَعَبْدَة بْن عَبْد الله، كُلّ مِنْهُمَا عَنْ زَيْد بْن الحُبَاب بِهِ. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث زَيْد بْن الحُبَاب بِهِ، وَهَذَا إِسْنَاد رِجَاله لا بَأْس بِهِمْ، وَعِنْدِي أَنَّ المَتْن فِي رَفْعه نَكَارَة، وَالله أَعْلَم.

وقوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾، قَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الحَدِيث أَنَّ الوَتْر يَوْم عَرَفَة لكَوْنِهِ التَّاسِع، وَأَنَّ الشَّفْع يَوْم النَّحْر لكَوْنِهِ العَاشِر، وَقَالهُ ابْن عَبَّاس وَعِكْرِمَة وَالضَّحَّاك أَيْضًا.

قَوْل ثَانٍ: وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنِي عُقْبَة بْن خَالد، عَنْ وَاصِل بْن السَّائِب

---

(١) **صحيح** : تقدم قريبًا.
(٢) **صحيح** : تقـدم.
(٣) **ضعيف** : تقـدم.

قَال: سَأَلت عَطَاء عَنْ قَوْله: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾، قُلت: صَلاتنَا وَتْرنَا هَذَا ؟ قَال: لا، وَلكِنَّ الشَّفْع يَوْم عَرَفَة وَالوَتْر لَيْلة الأَضْحَى.

قَوْل ثَالث: وقال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَامِر بْن إِبْرَاهِيم الأَصْبَهَانِيّ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ النُّعْمَان -يَعْنِي ابْن عَبْد السَّلام- عَنْ أَبِي سَعِيد ابْن عَوْف، حَدَّثَنِي بِمَكَّةَ قَال: سَمِعْت عَبْد الله بْن الزُّبَيْر يَخْطُب النَّاس، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُل فَقَال: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنْ ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾، فَقَال: ﴿وَٱلشَّفۡعِ﴾، قَوْل الله ﷻ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾، وَالوَتْر قَوْله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾. وَقَال ابْن جُرَيْج: أَخْبَرَنِي مُحَمَّد بْن الْمُرْتَفِع أَنَّهُ سَمِعَ ابْن الزُّبَيْر يَقُول: الشَّفْع أَوْسَط أَيَّام التَّشْرِيق، وَالوَتْر آخِر أَيَّام التَّشْرِيق. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ لله تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَة إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَل الجَنَّة وَهُوَ وِتْر يُحِبّ الوِتْر**».[1]

قَوْل رَابع: قَال الحَسَن البَصْرِيّ، وَزَيْد بْن أَسْلم: الخَلق كُلّهمْ شَفْع، وَوَتْر أَقْسَمَ تَعَالى بِخَلقِهِ، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ مُجَاهِد، وَالْمَشْهُور عَنْهُ الأَوَّل. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾، قَال: الله وِتْر وَاحِد، وَأَنْتُمْ شَفْع. وَيُقَال: الشَّفْع صَلاة الغَدَاة، وَالوَتْر: صَلاة الْمَغْرِب.

قَوْل خَامِس: قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا [أَبُو][2] سَعِيد الأَشَجّ حَدَّثَنَا عُبَيْد الله بْن مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيل عَنْ أَبِي يَحْيَى عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ ، قَال: الشَّفْع الزَّوْج، وَالوَتْر: الله ﷻ. وَقَال أَبُو [عَبْد][3] الله عَنْ مُجَاهِد: الله الوَتْر وَخَلقه الشَّفْع، الذَّكَر وَالأُنْثَى. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد قَوْله: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾، كُلّ شَيْء خَلقَهُ الله شَفْع السَّمَاء وَالأَرْض وَالبَرّ وَالبَحْر وَالجِنّ وَالإِنْس وَالشَّمْس وَالقَمَر، وَنَحْو هَذَا، وَنَحَا مُجَاهِد فِي هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْله تَعَالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، أَيْ: لِتَعْلَمُوا أَنَّ خَالق الأَزْوَاج وَاحِد.

قَوْل سَادِس: قَال قَتَادَة عَنْ الحَسَن: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾: هُوَ العَدَد مِنْهُ شَفْع وَمِنْهُ وَتْر.

قَوْل سَابع فِي الآيَة الكَرِيمَة: رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير مِنْ طَرِيق ابْن جُرَيْج، ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ خَبَر يُؤَيِّد القَوْل الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ ابْن الزُّبَيْر: حَدَّثَنِي عَبْد الله بْن أَبِي زِيَاد [القَطَوَانِيّ][4] حَدَّثَنَا زَيْد ابْن الحُبَاب أَخْبَرَنِي عَيَّاش بْن عُقْبَة حَدَّثَنِي خَيْر بْن نُعَيْم عَنْ أَبِي الزُّبَيْر عَنْ جَابِر أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**الشَّفْع اليَوْمَانِ، وَالوَتْر اليَوْم الثَّالث**»[5]. هَكَذَا أورد هَذَا الخَبَر بِهَذَا اللَّفْظ، وَهُوَ مُخَالف لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ اللَّفْظ فِي رِوَايَة أَحْمَد وَالنَّسَائِيّ وَابْن أَبِي حَاتِم، وَمَا رَوَاهُ هُوَ أَيْضًا، وَالله أَعْلم. قَال أَبُو العَالِيَة، وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَغَيْرهمَا: هِيَ الصَّلاة مِنْهَا شَفْع كَالرُّبَاعِيَّةِ وَالثُّنَائِيَّة، وَمِنْهَا وِتْر كَالمَغْرِب فَإِنَّهَا ثَلاث، وَهِيَ وِتْر النَّهَار. وَكَذَلكَ صَلاة الوِتْر فِي آخِر التَّهَجُّد مِنْ اللَّيْل. وَقَدْ قَال عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر عَنْ قَتَادَة عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾، قَال: هِيَ الصَّلاة المَكْتُوبَة مِنْهَا شَفْع وَمِنْهَا وَتْر. وَهَذَا مُنْقَطِع وَمَوْقُوف، وَلفْظه خَاصّ بِالمَكْتُوبَةِ. وَقَدْ رُوِيَ مُتَّصِلًا مَرْفُوعًا إِلى النَّبِيّ ﷺ ، وَلفْظه عَامّ.

---

(١) **صحيح** : تقـدم.
(٢) في الأزهرية: [ابن].
(٣) في الأزهرية: [عبيد].
(٤) في الأزهرية: [القطنانيُّ].
(٥) **ضعيف** : أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٢) بسند ضعيف، فيه عنعنة أبي الزبير، وفيه أيضًا زيد بن الحباب: فيه كلام.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُد -هُوَ الطَّيَالِسِيّ-، حَدَّثَنَا هَمَّام عَنْ قَتَادَة عَنْ عِمْرَان بْن عِصَام أَنَّ شَيْخًا حَدَّثَهُ مِنْ أَهْل البَصْرَة عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن أَنَّ رَسُول الله ﷺ سُئِل عَنْ الشَّفْع وَالوَتْر، فَقَال: «**هِيَ الصَّلاة بَعْضهَا شَفْع، وَبَعْضهَا وِتْر**». هَكَذَا وَقَعَ فِي «المُسْنَد»، وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ بُنْدَار، عَنْ عَفَّان وَعَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ عُبَيْد الله بْن مُوسَى؛ كِلاهُمَا عَنْ هَمَّام -وَهُوَ ابْن يَحْيَى- عَنْ قَتَادَة عَنْ عِمْرَان بْن عِصَام عَنْ شَيْخ عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن. وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ، عَنْ عَمْرو بْن عَلِيّ عَنْ ابْن مَهْدِيّ وَأَبِي دَاوُد؛ كِلاهُمَا عَنْ هَمَّام عَنْ قَتَادَة عَنْ عِمْرَان بْن عِصَام، عَنْ رَجُل مِنْ أَهْل البَصْرَة عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن بِهِ. ثُمَّ قَال: غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث قَتَادَة. وَقَدْ رَوَاهُ خَالد بْن قَيْس أَيْضًا عَنْ قَتَادَة. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِمْرَان بْن عِصَام، عَنْ عِمْرَان نَفْسه، وَالله أَعْلَم.

قُلت: وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، أَخْبَرَنَا هَمَّام عَنْ قَتَادَة عَنْ عِمْرَان بْن عِصَام الضُّبَعِيّ شَيْخ مِنْ أَهْل البَصْرَة عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ، هَكَذَا رَأَيْته فِي «تَفْسِيره» فَجَعَل الشَّيْخ البَصْرِيّ هُوَ عِمْرَان بْن عِصَام. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير: حدثنا نَصْر بْن عَلِيّ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنِي خَالد بْن قَيْس عَنْ قَتَادَة عَنْ عِمْرَان بْن عِصَام عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي الشَّفْع وَالوَتْر، قَال: «**هِيَ الصَّلاة مِنْهَا شَفْع وَمِنْهَا وِتْر**». فَأَسْقَطَ ذِكْر الشَّيْخ المُبْهَم، وَتَفَرَّدَ بِهِ عِمْرَان بْن عِصَام الضُّبَعِيّ أَبُو عُمَارَة البَصْرِيّ، إِمَام مَسْجِد بَنِي ضُبَيْعَة وَهُوَ وَالد أَبِي [جَمْرَة][1] نَصْر بْن عِمْرَان الضُّبَعِيّ. رَوَى عَنْهُ قَتَادَة وَابْنه أَبُو جَمْرَة وَ[المُثَنَّى][2] بْن سَعِيد وَأَبُو التَّيَّاح يَزِيد بْن حُمَيْد، وَذَكَرَهُ ابْن حِبَّان فِي كِتَاب «الثِّقَات» وَذَكَرَهُ خَلِيفَة ابْن خَيَّاط فِي التَّابِعِينَ مِنْ أَهْل البَصْرَة وَكَانَ شَرِيفًا نَبِيلًا حَظِيًّا عِنْد الحَجَّاج بْن يُوسُف ثُمَّ قَتَلَهُ يَوْم الزَّاوِيَة سَنَة ثَلاث وَثَمَانِينَ لِخُرُوجِهِ مَعَ ابْن الأَشْعَث، وَلَيْسَ لَهُ عِنْد التِّرْمِذِيّ سِوَى هَذَا الحَدِيث الوَاحِد، وَعِنْدِي أَنَّ وَقْفه عَلَى عِمْرَان بْن حُصَيْن أَشْبَه، وَالله أَعْلَم. وَلَمْ يَجْزِم ابْن جَرِير بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَقْوَال فِي الشَّفْع وَالوَتْر.

وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَيْ إِذَا ذَهَبَ. وَقَال عَبْد الله بْن الزُّبَيْر: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ حَتَّى يُذْهِب بَعْضه بَعْضًا. وَقَال مُجَاهِد، وَأَبُو العَالِيَة، وَقَتَادَة وَمَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم وَابْن زَيْد: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ إِذَا سَارَ. وَهَذَا يُمْكِن حَمْله عَلَى مَا قَال ابْن عَبَّاس أَيْ: ذَهَبَ. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد إِذَا سَارَ أَيْ: أَقْبَل. وَقَدْ يُقَال: إِنَّ هَذَا أَنْسَب؛ لأَنَّهُ فِي مُقَابَلة قَوْله: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾، فَإِنَّ الفَجْر هُوَ إِقْبَال النَّهَار وَإِدْبَار اللَّيْل، فَإِذَا حُمِل قَوْله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، عَلَى إِقْبَاله كَانَ قَسَمًا بِإِقْبَال اللَّيْل وَإِدْبَار النَّهَار. وَبِالعَكْسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، وَكَذَا قَال الضَّحَّاك: ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾ أَيْ: يَجْرِي. وَقَال عِكْرِمَة: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، يَعْنِي: لَيْلَة [جَمْع][3]. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عِصَام، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر، حدثنا كَثِير ابْن عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: سَمِعْت مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ: يَقُول فِي قَوْله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، قَال: أَسْرِ يَا [سَارِ][4]،

---

(١) في الأزهرية: [حمزة].
(٢) في الأزهرية: [أنس].
(٣) في الأزهرية: [أجمع].
(٤) في الأزهرية: [ساري].

وَلا [تَبِيتَنَّ][1] إِلَّا بِجَمْعٍ. وقوله: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾، أَيْ: لِذِي عَقْل وَلُبّ وَحِجًا. وَإِنَّمَا سُمِّيَ العَقْل حِجْرًا لأَنَّهُ يَمْنَع الإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لا يَلِيق بِهِ مِنَ الأَفْعَال وَالأَقْوَال، وَمِنْهُ حِجْر البَيْت لأَنَّهُ يَمْنَع الطَّائِف مِنَ اللُّصُوق بِجِدَارِهِ الشَّامِيّ. وَمِنْهُ حِجْر اليَمَامَة، وَحَجَرَ الحَاكِم عَلَى فُلان إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّف، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، كُلّ هَذَا مِنْ قَبِيل وَاحِد وَمَعْنًى مُتَقَارِب، وَهَذَا القَسَم هُوَ بِأَوْقَاتِ العِبَادَة وَبِنَفْسِ العِبَادَة مِنْ حَجّ وَصَلاة وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاع القُرَب الَّتِي يَتَقَرَّب بِهَا المُتَّقُونَ المُطِيعُونَ لَهُ الخَائِفُونَ مِنْهُ المُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ الخَاشِعُونَ لِوَجْهِهِ الكَرِيم. ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وَهَؤُلاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عُتَاة جَبَّارِينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَته مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، جَاحِدِينَ لِكُتُبِهِ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْف أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيث وَعِبَرًا: فَقَال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، وَهَؤُلاءِ عَاد الأُولَى وَهُمْ وَلَد عَاد بْن إِرَم بْن عَوْص بْن سَام بْن نُوح. قَالَهُ ابْن إِسْحَاق، وَهُمْ الَّذِينَ بَعَثَ الله فِيهِمْ رَسُوله هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ فَأَنْجَاهُ الله مِنْ بَيْن أَظْهُرهمْ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَر عَاتِيَة، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾، وَقَدْ ذَكَرَ الله قِصَّتهمْ فِي القُرْآن فِي غَيْر مَا مَوْضِع لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرَعِهِمْ المُؤْمِنُونَ. فقوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، عَطْف بَيَان زِيَادَة تَعْرِيف بِهِمْ.

وَقَوْله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوت الشَّعْر الَّتِي تُرْفَع بِالأَعْمِدَةِ الشِّدَاد، وَقَدْ كَانُوا أَشَدّ النَّاس فِي زَمَانهمْ خِلقَة وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَلِهَذَا ذَكَّرَهُمْ هُود بِتِلْكَ النِّعْمَة وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَة رَبّهمْ الَّذِي خَلقَهُمْ، فَقَال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَقَال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾، وقال هاهنا: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، أَيْ: القَبِيلَة الَّتِي لَمْ يُخْلَق مِثْلهَا فِي بِلادهمْ لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتهمْ وَعِظَم تَرْكِيبهمْ. قَال مُجَاهِد: إِرَم أُمَّة قَدِيمَة. يَعْنِي عَادًا الأُولَى، قَال قَتَادَة ابْن دِعَامَة، وَالسُّدِّيّ: إِنَّ إِرَم بَيْت يملكه عَاد. وَهَذَا قَوْل حَسَن جَيِّد قَوِيّ. وَقَال مُجَاهِد وَقَتَادَة وَالكَلْبِيّ فِي قَوْله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ كَانُوا أَهْل عمود لا يُقِيمُونَ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: إِنَّمَا قِيل لَهُمْ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لِطُولِهِمْ. وَاخْتَارَ الأَوَّل ابْن جَرِير، وَرَدَّ الثَّانِي فَأَصَابَ.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، أَعَادَ ابْن زَيْد الضَّمِير عَلَى العِمَاد، لارْتِفَاعِهَا، وَقَال: بَنَوْا عُمُدًا بِالأَحْقَافِ لَمْ يُخْلق مِثْلهَا فِي البِلاد. وَأَمَّا قَتَادَة وَابْن جَرِير فَأَعَادَا الضَّمِير عَلَى القَبِيلَة، أَيْ: لَمْ يُخْلق مِثْل تِلْكَ القَبِيلَة فِي البِلاد يَعْنِي فِي زَمَانهمْ. وَهَذَا القَوْل هُوَ الصَّوَاب، وَقَوْل ابْن زَيْد وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبه ضَعِيف، لأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَراد ذَلِكَ لَقَال: الَّتِي لَمْ يُعْمَل مِثْلهَا فِي البِلاد، وَإِنَّمَا قَال: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو صَالِح كَاتِب اللَّيْث حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن صَالِح عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ المِقْدَام عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، فَقَال: «كَانَ الرَّجُل مِنْهُمْ يَأْتِي عَلَى الصَّخْرَة فَيَحْمِلهَا عَلَى الحَيّ فَيُهْلكهُمْ»[2]. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن، حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِر، حَدَّثَنَا أَنَس بْن عِيَاض عَنْ ثَوْر

---

(١) في الأزهرية: [تبيني].
(٢) إسناده ضعيف: فيه جهالة الراوي عن المقدام، وفيه أيضًا ضعف عبد الله بن صالح كاتب الليث.

ابْن زَيْد الدَّيْلِيّ. قَال: قَرَأت كِتَابًا قَدْ سَمَّى حَيْثُ قَرَأَهُ: أَنَا شَدَّاد بْن عَاد، وَأَنَا الَّذِي رَفَعْت العِمَاد، وَأَنَا الَّذِي شَدَدْت بِذِرَاعِي نَظَر وَاحِد، وَأَنَا الَّذِي كَنَزْت كَنْزًا عَلى سَبْعَة أَذْرُع، لا يُخْرِجهُ إِلَّا أُمَّة مُحَمَّد ﷺ.

قُلت: فَعَلى كُلّ قَوْل سَوَاء كَانَتْ العِمَاد أَبْنِيَة بَنَوْهَا أَوْ أَعْمِدَة بُيُوتهمْ للبُدُوِّ أَوْ سِلاحًا يُقَاتِلُونَ بِهِ، أَوْ طُول الوَاحِد مِنْهُمْ؛ فَهُمْ قَبِيلة وَأُمَّة مِنَ الأُمَم، وَهُمْ المَذْكُورُونَ فِي القُرْآن فِي غَيْر مَا مَوْضِع المَقْرُونُون بِثَمُود كَمَا هَهُنَا، وَالله أَعْلَم.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، مَدِينَة إِمَّا دِمَشْق كَمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن المُسَيِّب وَعِكْرِمَة، أَوْ إِسْكَنْدَرِيَّة كَمَا رُوِيَ عَنْ القُرَظِيّ، أَوْ غَيْرهمَا؛ فَفِيهِ نَظَر، فَإِنَّهُ كَيْف يَلتَئِم الكَلام عَلى هَذَا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، إِنْ جُعِل ذَلِكَ بَدَلًا أَوْ عَطْف بَيَان، فَإِنَّهُ لا يَتَّسِق الكَلام حِينَئِذٍ، ثُمَّ المُرَاد إِنَّمَا هُوَ الإِخْبَار عَنْ إِهْلاك القَبِيلة المُسَمَّاة بِعَادٍ، وَمَا أَحَلَّ الله بِهِمْ مِنْ بَأْسه الَّذِي لا يُرَدّ لا أَنَّ المُرَاد الإِخْبَار عَنْ مَدِينَة أَوْ إِقْلِيم.

وَإِنَّمَا نَبَّهْتُ عَلى ذَلِكَ لِئَلَّا يُغْتَرّ بِكَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَهُ جَمَاعَة مِنْ المُفَسِّرِينَ عِنْد هَذِهِ الآيَة مِنْ ذِكْر مَدِينَة يُقَال لَهَا: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، مَبْنِيَّة بِلبِنِ الذَّهَب وَالفِضَّة، قُصُورهَا وَدُورهَا وَبَسَاتِينهَا، وَإِنَّ حَصْبَاءَهَا لآلِئ وَجَوَاهِر، وَتُرَابهَا بَنَادِق المِسْك، وَأَنْهَارهَا سَارِحَة، وَثِمَارهَا سَاقِطَة، وَدُورهَا لا أَنِيس بِهَا، وَسُورهَا وَأَبْوَابهَا تُصَفِّر، لَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلا مُجِيب. وَإِنَّهَا تَنْتَقِل فَتَارَة تَكُون بِأَرْضِ الشَّام وَتَارَة بِاليَمَنِ وَتَارَة بِالعِرَاقِ، وَتَارَة بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ البِلاد، فَإِنَّ هَذَا كُلّه مِنْ خُرَافَات الإسرائيليين، مِنْ وَضْع بَعْض زَنَادِقَتهمْ، لِيَخْتَبِرُوا بِذَلِكَ عُقُول الجَهَلة مِنَ النَّاس أَنْ تُصَدِّقهُمْ فِي جَمِيع ذَلِكَ.

وَذَكَرَ الثَّعْلَبِيّ وَغَيْره أَنَّ رَجُلًا مِنْ الأَعْرَاب -وَهُوَ عَبْد الله بْن قِلابَة- فِي زَمَان مُعَاوِيَة ذَهَبَ فِي طَلَب أَبَاعِر لَهُ شَرَدَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتِيه فِي ابْتِغَائِهَا، إِذْ اطَّلَعَ عَلى مَدِينَة عَظِيمَة لَهَا سُور وَأَبْوَاب، فَدَخَلهَا فَوَجَدَ فِيهَا قَرِيبًا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ صِفَات المَدِينَة الذَّهَبِيَّة الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرهَا، وَأَنَّهُ رَجَعَ فَأَخْبَرَ النَّاس، فَذَهَبُوا مَعَهُ إِلى المَكَان الَّذِي قَال فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. وَقَدْ ذَكَرَ ابْن أَبِي حَاتِم قِصَّة ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ هَهُنَا مُطَوَّلة جِدًّا، فَهَذِهِ الحِكَايَة لَيْسَ يَصِحّ إِسْنَادهَا، وَلَوْ صَحَّ إِلى ذَلِكَ الأَعْرَابِيّ فَقَدْ يَكُون اخْتَلَقَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ أَصَابَهُ نَوْع مِنْ الهَوَس وَالخَبَال، فَاعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ لَهُ حَقِيقَة فِي الخَارِج، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَهَذَا مِمَّا يَقْطَع بِعَدَمِ صِحَّته، وَهَذَا قَرِيب مِمَّا يُخْبِر بِهِ كَثِير مِنْ الجَهَلة وَالطَّامِعِينَ وَالمُتَحَيِّلِينَ، مِنْ وُجُود مَطَالب تَحْت الأَرْض فِيهَا قَنَاطِير الذَّهَب وَالفِضَّة وَأَلْوَان الجَوَاهِر وَاليَوَاقِيت وَاللَّآلِئ وَالإِكْسِير الكَبِير، لكِنْ عَلَيْهَا مَوَانِع تَمْنَع مِنْ الوُصُول إِلَيْهَا وَالأَخْذ مِنْهَا، فَيَحْتَالُونَ عَلى أَمْوَال الأَغْنِيَاء وَالضَّعَفَة وَالسُّفَهَاء، فَيَأْكُلُونَهَا بِالبَاطِلِ فِي صَرْفهَا فِي بَخَاخِير وَعَقَاقِير وَنَحْو ذَلِكَ مِنْ الهَذَيَانَات، وَيَطْنِزُونَ بِهِمْ، وَالَّذِي يُجْزَم بِهِ أَنَّ فِي الأَرْض دَفَائِن جَاهِلِيَّة وَإِسْلامِيَّة وَكُنُوزًا كَثِيرَة، مَنْ ظَفِرَ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَمْكَنَهُ تَحْوِيله، فَأَمَّا عَلى الصِّفَة الَّتِي زَعَمُوهَا فَكَذِب وَافْتِرَاء وَبُهْت، وَلَمْ يَصِحّ فِي ذَلِكَ شَيْء مِمَّا يَقُولُونَه إِلَّا عَنْ نَقْلهمْ أَوْ نَقْل مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالى الهَادِي للصَّوَاب.

وَقَوْل ابْن جَرِير: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾ قَبِيلة أَوْ بَلدَة كَانَتْ عَاد تَسْكُنهَا، فَلِذَلِكَ لَمْ [تُصْرَف][1]. فِيهِ نَظَر؛ لأَنَّ المُرَاد مِنْ السِّيَاق إِنَّمَا هُوَ الإِخْبَار عَنْ القَبِيلة؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾، يَعْنِي يَقْطَعُونَ الصَّخْر بِالوَادِي، قَال ابْن عَبَّاس: يَنْحِتُونَهَا وَيَخْرِقُونَهَا. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك

---

(١) في الأزهرية: [بصرف].

وَابْن زَيْد، وَمِنْهُ يُقَال «مُجْتَابِي النِّمَار» إِذَا خَرَقُوهَا، وَاجْتَابَ الثَّوْب: إِذَا فَتَحَهُ وَمِنْهُ الجَيْب أَيْضًا. وَقَال الله تَعَالَى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾. وَأَنْشَدَ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا قَوْل الشَّاعِر:

أَلا كُلّ شَيْء مَا خَلا الله بَائِد ۞ كَمَا بَادَ حَيّ مِنْ شُنَيْف وَمَارِد
هُمْ ضَرَبُوا فِي كُلّ صَمَّاء صَعْدَة ۞ بِأَيْدٍ شِدَاد أَيِّدَات السَّوَاعِد

وَقَال ابْن إِسْحَاق: كَانُوا عَرَبًا، وَكَانَ مَنْزِلهمْ بِوَادِي القُرَى. وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّة عَاد مُسْتَقْصَاة فِي سُورَة «الأَعْرَاف»، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته. وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، قَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ٱلْأَوْتَادِ﴾: الجُنُود الَّذِينَ يَشُدُّونَ لهُ أَمْره. وَيُقَال كَانَ فِرْعَوْن يُوَتِّد أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلهمْ فِي أَوْتَاد مِنْ حَدِيد يُعَلِّقهُمْ بِهَا. وَكَذَا قَال مُجَاهِد: كَانَ يُوَتِّد النَّاس بِالأَوْتَاد، وَهَكَذَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر وَالحَسَن وَالسُّدِّيّ. قَال السُّدِّيّ: كَانَ يَرْبِط الرَّجُل كُلّ قَائِمَة مِنْ قَوَائِمه فِي وَتَد، ثُمَّ يُرْسِل عَلَيْهِ صَخْرَة عَظِيمَة فَتَشْدَخهُ. وَقَال قَتَادَة: بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَتْ لهُ مَطَالّ وَمَلاعِب يُلْعَب لهُ تَحْتهَا مِنْ أَوْتَاد وَحِبَال. وَقَال ثَابِت البُنَانِيّ، عَنْ أَبِي رَافِع: قِيل لِفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد لأَنَّهُ ضَرَبَ لامْرَأَتِهِ أَرْبَعَة أَوْتَاد، ثُمَّ جَعَل عَلَى ظَهْرهَا رَحًى عَظِيمَة حَتَّى مَاتَتْ.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾، أَيْ: تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا وعَاثُوا فِي الأَرْض بِالإِفْسَاد وَالأَذِيَّة للنَّاس، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أَيْ: أَنْزَل عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاء، وَأَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَة لا يَرُدّهَا عَنْ القَوْم المُجْرِمِينَ.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: يَسْمَع وَيَرَى. يَعْنِي: يَرْصُد خلقه فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالأخرَى، وَسَيُعْرَضُ الخَلائِق كُلّهمْ عَلَيْهِ، فَيَحْكُم فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَيُقَابِل كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقّهُ. وَهُوَ المُنَزَّه عَنْ الظُّلم وَالجَوْر.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا جِدًّا -وَفِي إِسْنَاده نَظَر وَفِي صِحَّته- فَقَال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَد ابْن أَبِي الحَوَارِيّ، حَدَّثَنَا يُونُس الحَذَّاء، عَنْ أَبِي حَمْزَة البَيْسَانِيّ، عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «يَا مُعَاذ، إِنَّ المُؤْمِن لدَى الحَقّ أَسِير. يَا مُعَاذ إِنَّ المُؤْمِن لا يَسْكُن رَوْعه، وَلا يَأْمَن اضْطِرَابه حَتَّى يُخَلِّف جِسْر جَهَنَّم خَلف ظَهْره. يَا مُعَاذ، إِنَّ المُؤْمِن قَيَّدَهُ القُرْآن عَنْ كَثِير مِنْ شَهَوَاته، وَعَنْ أَنْ يَهْلك فِيهَا هُوَ بِإِذْنِ الله ﷻ، فَالقُرْآن دَلِيله، وَالخَوْف مَحَجَّته، وَالشَّوْق مَطِيَّته، وَالصَّلاة كَهْفه، وَالصَّوْم جُنَّته، وَالصَّدَقَة فِكَاكه، وَالصِّدْق أَمِيره، وَالحَيَاء وَزِيره، وَرَبّه ﷻ مِنْ وَرَاء ذَلِكَ كُلّه بِالمِرْصَاد».[1]

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: يُونُس الحَذَّاء وَأَبُو حَمْزَة مَجْهُولانِ، وَأَبُو حَمْزَة عَنْ مُعَاذ مُرْسَل. وَلَوْ كَانَ عَنْ أَبِي حَمْزَة لكَانَ حَسَنًا. أَيْ: لوْ كَانَ مِنْ كَلامه لكَانَ حَسَنًا. ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن صَالِح، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم عَنْ صَفْوَان بْن عَمْرو عَنْ أَيْفَع بْن عَبْدٍ الكُلاعِيّ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَهُوَ يَعِظ النَّاس يَقُول: إِنَّ لِجَهَنَّم سَبْع قَنَاطِر، قَال: وَالصِّرَاط عَلَيْهِنَّ، قَال: فَيُحْبَس الخَلائِق عِنْد القَنْطَرَة الأُولى فَيَقُول: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ قَال: فَيُحَاسَبُونَ عَلَى الصَّلاة وَيُسْأَلُونَ عَنْهَا، قَال: فَيَهْلك فِيهَا مَنْ هَلكَ وَيَنْجُو مَنْ نَجَا، فَإِذَا بَلَغُوا القَنْطَرَة الثَّانِيَة حُوسِبُوا عَلَى الأَمَانَة كَيْفَ أَدَّوْهَا وَكَيْفَ خَانُوهَا، قَال: فَيَهْلك مَنْ هَلكَ، وَيَنْجُو مَنْ نَجَا فَإِذَا

(١) ضعيف غريب جداً ؛ كما قال المصنف في «المتن».

بَلغُوا القَنْطَرَة الثَّالِثَة سُئِلُوا عَنْ الرَّحِم كَيْفَ وَصَلُوهَا وَكَيْفَ قَطَعُوهَا، قَال: فَيَهْلك مَنْ هَلكَ وَيَنْجُو مَنْ نَجَا، قَال وَالرَّحِم يَوْمئِذٍ مُتَدَلِّيَة إلى الهُوِيّ فِي جَهَنَّم تَقُول: اللَّهُمَّ مَنْ وَصَلنِي فَصِلهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْهُ، قَال: وَهِيَ الَّتِي يَقُول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، هَكَذَا أَوْرَدَ هَذَا الأثَر وَلمْ يَذْكُر تَمامه.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

يَقُول تَعَالى مُنْكِرًا عَلى الإِنْسَان فِي اعْتِقَاده إِذَا وَسَّعَ الله عَلَيْهِ فِي الرِّزْق لِيَخْتَبِرَهُ فِي ذَلكَ، فَيَعْتَقِد أَنَّ ذَلكَ مِنْ الله إِكْرَام لهُ وَلَيْسَ كَذَلكَ بَل هُوَ ابْتِلاء وَامْتِحَان، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾. وَكَذَلكَ فِي الجَانِب الآخَر إِذَا ابْتَلاهُ [وَامْتَحَنَهُ][1] وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْق، يَعْتَقِد أَنَّ ذَلكَ مِنَ الله إِهَانَة لهُ. قَال الله: ﴿كَلَّا﴾، أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَمَا زَعَمَ لا فِي هَذَا وَلا فِي هَذَا، فَإِنَّ الله يُعْطِي المَال مَنْ يُحِبّ وَمَنْ لا يُحِبّ، وَيُضَيِّق عَلى مَنْ يُحِبّ وَمَنْ لا يُحِبّ، وَإِنَّمَا المَدَار فِي ذَلكَ عَلى طَاعَة الله فِي كُلّ مِنَ الحَالَيْنِ: إِذَا كَانَ غَنِيًّا بِأَنْ يَشْكُر الله عَلى ذَلكَ، وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بِأَنْ يَصْبِر. وَقَوْله: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، فِيهِ أَمْرٌ بِالإِكْرَام لهُ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ عَبْد الله بْن المُبَارَك، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي أَيُّوب عَنْ يَحْيَى بْن سُليمَان عَنْ زيد بْن أَبِي عتاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ: «خَيْر بَيْت فِي المُسْلمِينَ بَيْت فِيهِ يَتِيم يُحْسَن إِليْهِ، وَشَرّ بَيْت فِي المُسْلمِينَ بَيْت فِيهِ يَتِيم يُسَاء إِليْهِ -ثُمَّ قَال بِأُصْبُعِهِ- أَنَا وَكَافِل اليَتِيم فِي الجَنَّة هَكَذَا».[2]

وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح بْن سُفْيَان، أَخْبَرَنَا عَبْد العَزِيز -يَعْنِي: ابْن أَبِي حَازِم- حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَهْل -يَعْنِي: ابْن سَعِيد- أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «أَنَا وَكَافِل اليَتِيم كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّة». وَقَرَنَ بَيْن أُصْبُعَيْهِ: الوُسْطَى وَالَّتِي تَلي الإِبْهَام.[3] ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، يَعْنِي: لا يَأْمُرُونَ بِالإِحْسَان إِلى الفُقَرَاء وَالمَسَاكِين، وَيَحُثّ بَعْضهمْ عَلى بَعْض فِي ذَلكَ، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ يَعْنِي: المِيرَاث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، أَيْ: مِنْ أَيّ جِهَة حَصَل لهُمْ مِنْ حَلال أَوْ حَرَام، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أَيْ: كَثِيرًا زَادَ بَعْضهمْ فَاحِشًا.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَمَّا يَقَع يَوْم القِيَامَة مِنَ الأَهْوَال العَظِيمَة، فَقَال: ﴿كَلَّا﴾، أَيْ: حَقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، أَيْ: وُطِئَتْ وَمُهِّدَتْ وَسُوِّيَتْ الأَرْض الجِبَال، وَقَامَ الخَلائِق مِنْ قُبُورهمْ لِرَبِّهِمْ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، يَعْنِي لِفَصْل القَضَاء بَيْن خَلقه، وَذَلكَ بَعْدَمَا يَسْتَشْفِعُونَ إِليْهِ بِسَيِّد وَلد آدَم عَلى الإِطْلاق مُحَمَّد ﷺ، بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُولِي العَزْم مِنَ الرُّسُل وَاحِدًا بَعْد وَاحِد، فَكُلّهمْ يَقُول لسْت بِصَاحِبِ ذَاكُمْ حَتَّى تَنْتَهِي النَّوْبَة إِلى مُحَمَّد ﷺ، فَيَقُول:

---

(١) فِي الأزهرية: [فامتحنه].

(٢) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٩)، بسند ضعيف، فيه يحيى بن سليمان أبو صالح: ضعيف، وضعف الحديث الشيخ الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه».

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٤٦)، وأبو داود (٤٤٨٣).

«أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا» فَيَذْهَب فَيَشْفَع عِنْد الله فِي أَنْ يَأْتِي لِفَصْل القَضَاء فَيُشَفِّعهُ الله فِي ذَلِكَ.[١] وَهِيَ أَوَّل الشَّفَاعَات، وَهِيَ المَقَام المَحْمُود، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانه فِي سُورَة «سُبْحَان»، فَيَجِيء الرَّبّ تَعَالَى لِفَصْل القَضَاء كَمَا يَشَاء، وَالمَلَائِكَة يَجِيئُونَ بَيْن يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا.

وَقَوْله: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾، قَالَ الإِمَام مُسْلِم بْن الحَجَّاج فِي «صَحِيحه». حَدَّثَنَا عُمَر بْن حَفْص بْن غِيَاث، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ العَلَاء بْن [خَالد][٢] الكَاهِلِيّ، عَنْ شَقِيق عَنْ عَبْد الله -هُوَ ابْن مَسْعُود- قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْف زِمَام، مَعَ كُلّ زِمَام سَبْعُونَ أَلْف مَلَك يَجُرُّونَهَا»[٣]. وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن الدَّارِمِيّ، عَنْ عُمَر بْن حَفْص، بِهِ. وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد عَنْ أَبِي عَامِر، عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ العَلَاء بْن خَالد، عَنْ شَقِيق بْن سَلَمَة -وَهُوَ أَبُو وَائِل- عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود، قَوْله وَلَمْ يَرْفَعهُ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ الحَسَن بْن عَرَفَة، عَنْ مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة الفَزَارِيّ، عَنْ العَلَاء بْن خَالد عَنْ شَقِيق عَنْ عَبْد الله قَوْله. وَقَوْله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أَيْ: عَمَله وَمَا كَانَ أَسْلَفَهُ فِي قَدِيم دَهْره وَحَدِيثه، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أَيْ: وَكَيْفَ تَنْفَعهُ الذِّكْرَى؟ يَقُولُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ يَعْنِي: يَنْدَم عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنْ المَعَاصِي -إِنْ كَانَ عَاصِيًا-، وَيَوَدّ لَوْ كَانَ ازْدَادَ مِنْ الطَّاعَات -إِنْ كَانَ طَائِعًا-. كَمَا قَالَ الإِمَام أَحْمَد ابْن حَنْبَل: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا عَبْد الله -يَعْنِي: ابْن المُبَارَك- حَدَّثَنَا ثَوْر بْن يَزِيد عَنْ خَالد بْن مَعْدَان عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر، عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي عميرة -وَكَانَ مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ - قَالَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهه مِنْ يَوْم وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوت هرمًا فِي طَاعَة الله لَحَقَرَهُ يَوْم القِيَامَة، وَلَوَدَّ أَنَّهُ يُرَدّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَاد مِنْ الأَجْر وَالثَّوَاب»[٤]. [وقد رَوَاه أيضًا بحير بْن سعد عن خالد بْن مَعْدان، عَنْ عُتْبَة بن عبدٍ عَنْ رسُول الله ﷺ .][٥]

قال الله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾، أَيْ: لَيْسَ أَحَد أَشَدّ عَذَابًا مِنْ تَعْذِيب الله مَنْ عَصَاهُ، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أَيْ: وَلَيْسَ أَحَد أَشَدّ قَبْضًا وَوُثُقًا مِنْ الزَّبَانِيَة لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِمْ ﷻ، هَذَا فِي حَقّ المُجْرِمِينَ مِنْ الخَلَائِق وَالظَّالِمِينَ، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، ﴿رَاضِيَةً﴾، أي: في نفسها ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أَيْ: قَدْ رَضِيَتْ عَنْ الله وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أَيْ: فِي جُمْلَتهمْ، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾. وَهَذَا يُقَال لَهَا عِنْد الاحْتِضَار، وَفِي يَوْم القِيَامَة أَيْضًا، كَمَا أَنَّ المَلَائِكَة يُبَشِّرُونَ المُؤْمِن عِنْد احْتِضَاره وَعِنْد قِيَامه مِنْ قَبْره، وكَذَلِكَ هَهُنَا. ثُمَّ اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة، فَرَوَى الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس: نَزَلَتْ فِي عُثْمَان بْن عَفَّان. وَعَنْ بُرَيْدَة بْن الحُصَيْب: نَزَلَتْ فِي حَمْزَة بْن عَبْد المُطَّلِب رضي الله عنه.

وقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: يُقَال لِلأَرْوَاحِ المُطْمَئِنَّة يَوْم القِيَامَة: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يَعْنِي صَاحِبك، وَهُوَ بَدَنهَا الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرهُ فِي الدُّنْيَا ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: ﴿فَٱدْخُلِى فِى

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) في الأزهرية: [مخلد].
(٣) صحيح : تقدم.
(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ١٨٥)، مرفوعًا وموقوفًا وصححه الألباني مرفوعًا انظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩٧).
(٥) زيادة من الأزهرية.

عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، وَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَالكَلْبِيّ وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير وَهُوَ غَرِيب، وَالظَّاهِر الأَوَّل لِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَيْ: إِلَى حُكْمه وَالوُقُوف بَيْن يَدَيْهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الحُسَيْن حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الله الدَّشْتَكِيّ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَشْعَث عَنْ جَعْفَر عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾، قَال: نَزَلَتْ وَأَبُو بَكْر جَالِس، فَقَال: يَا رَسُول الله، مَا أَحْسَن هَذَا. فَقَال: «أَمَا إِنَّهُ سَيُقَالُ لك هَذَا»[1]. ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ حَدَّثَنَا ابْن يَمَان عَنْ أَشْعَث عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: قرئت عِنْد النَّبِيّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾، فَقَال أَبُو بَكْر ﷺ: إِنَّ هَذَا لَحَسَن فَقَال لَهُ النَّبِيّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّ المَلَك سَيَقُولُ لَك هَذَا عِنْد المَوْت**». وَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ ابْن يَمَان بِهِ، وَهَذَا مُرْسَل حَسَن.

ثُمَّ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: وَحَدَّثَنَا الحَسَن بْن عَرَفَة، حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن شُجَاع الجَزَرِيّ، عَنْ سَالِم الأَفْطَس، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر قَال: مَاتَ ابْن عَبَّاس بِالطَّائِف، فَجَاءَ طَيْر لَمْ يُرَ عَلَى خلقه، فَدَخَل نَعْشه، ثُمَّ لَمْ يُرَ خَارِجًا مِنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ تُلِيَتْ هَذِهِ الآيَة عَلَى شَفِير القَبْر -مَا يُدْرَى مَنْ تَلاهَا-: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ عَنْ عَبْد الله بْن أَحْمَد عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَرْوَان بْن شُجَاع عَنْ سَالِم بْن عَجْلان الأَفْطَس بِهِ فَذَكَرَهُ.

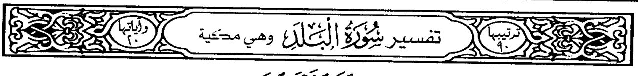
وَقَدْ ذَكَرَ الحَافِظ مُحَمَّد بْن المُنْذِر الهَرَوِيّ -المَعْرُوف بِشُكْر- فِي كِتَاب «العَجَائِب» بِسَنَدِهِ عَنْ قَبَاث بْن رَزِين أَبِي هَاشِم قَال: أُسِرْت فِي بِلاد الرُّوم، فَجَمَعَنَا المَلِك وَعَرَضَ عَلَيْنَا دِينه، عَلَى أَنَّ مَنْ امْتَنَعَ ضُرِبَتْ عُنُقه، فَارْتَدَّ ثَلاثَة وَجَاءَ الرَّابِع فَامْتَنَعَ، فَضُرِبَتْ عُنُقه، وَأُلْقِيَ رَأْسه فِي نَهْر هُنَاكَ، فَرَسَبَ فِي المَاء ثُمَّ طَفَا عَلَى وَجْه المَاء، وَنَظَرَ إِلَى أُولَئِكَ الثَّلاثَة فَقَال: يَا فُلان، وَيَا فُلان وَيَا فُلان يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، قَال الله تَعَالَى فِي كِتَابه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ ثُمَّ غَاصَ فِي المَاء، فَكَادَتْ النَّصَارَى أَنْ يُسْلِمُوا [وَوَقَعَ][2] سَرِير المَلِك، وَرَجَعَ أُولَئِكَ الثَّلاثَة إِلَى الإِسْلام، قَال: وَجَاءَ الفِدَاء مِنْ عِنْد الخَلِيفَة أَبِي جَعْفَر المَنْصُور فَخُلِّصْنَا.

وَرَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة رَوَاحَة بِنْت أَبِي عَمْرو الأَوْزَاعِيّ عَنْ أَبِيهَا حَدَّثَنِي سُلَيْمَان بْن حَبِيب المُحَارِبِيّ حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لِرَجُلٍ: «قُل: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلك نَفْسًا بِك مُطْمَئِنَّة، تُؤْمِن بِلِقَائِك، وَتَرْضَى بِقَضَائِك، وَتَقْنَع بِعَطَائِك»[3] ثُمَّ رَوَى عَنْ أَبِي سُلَيْمَان ابْن أَبِي زَبْر أَنَّهُ قَال: حَدِيث رَوَاحَة هَذَا وَاحِد أُمَّة.

آخر تفسير سُورَة الفَجْر، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) إسناده ضعيف: فيه جعفر، وهو ابن أبي المغيرة: روايته عن سعيد بن جبير ضعيفة.
(٢) في الأزهرية: [ورفع].
(٣) ضعيف: ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٠٩٩).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

هَذَا قَسَم مِنْ الله ﷻ بِمَكَّةَ أُمّ القُرَى فِي حَال كَوْن السَّاكِن فِيهَا حالاً، لِيُنَبِّه عَلى عَظَمَة قَدْرهَا فِي حَال إِحْرَام أَهْلهَا. قَال خُصَيْف عَنْ مُجَاهِد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾: (لا): رَدّ عَلَيْهِمْ (أُقْسِم بِهَذَا البَلد). وَقَال شُبَيْب بْن بِشْر، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ يَعْنِي: مَكَّة، ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ قَال: أَنْتَ يَا مُحَمَّد يَحِلّ لك أَنْ تقابل بِهِ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبِي صَالح وَعَطِيَّة، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد، وَقَال مُجَاهِد: مَا أَصَبْت فِيهِ فَهُوَ حَلال لك. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾، قَال: أَنْتَ بِهِ مِنْ غَيْر حَرَج وَلا إِثْم. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: أَحَلَّهَا الله لَهُ سَاعَة مِنْ نَهَار. وَهَذَا المَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَرَدَ بِهِ الحَدِيث المُتَّفَق عَلى صِحَّته: «**إِنَّ هَذَا البَلَد حَرَّمَهُ الله يَوْم خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْض، فَهُوَ حَرَام بِحُرْمَةِ الله إِلى يَوْم القِيَامَة، لا يُعْضَد شَجَره وَلا يُخْتَلى خَلاهُ. وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَة مِنْ نَهَار، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتهَا اليَوْم كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، أَلا فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِد الغَائِب**»[1]. وَفِي لَفْظ: «**فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَال رَسُول الله، فَقُولُوا: إِنَّ الله أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَن لَكُمْ**».

وَقَوْله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا ابْن عَطِيَّة عَنْ شَرِيك عَنْ خُصَيْف عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، الوَالد: الَّذِي يَلد، وَمَا وَلَدَ: العَاقِر الَّذِي لا يُولد لَهُ. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ حَدِيث شَرِيك -وَهُوَ ابْن عَبْد الله القَاضِي- بِهِ. وَقَال عِكْرِمَة: الوَالد: العَاقِر، وَمَا وَلَدَ: الَّذِي يَلد. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال مُجَاهِد، وَأَبُو صَالح، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالسُّدِّيّ، وَالحَسَن البَصْرِيّ وَخُصَيْف وَشُرَحْبِيل بْن سَعْد وَغَيْرهمْ: يَعْنِي بِالوَالِدِ آدَم، وَمَا وَلَدَ: وَلده. وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِد وَأَصْحَابه حَسَن قَوِيّ؛ لأَنَّهُ تَعَالى لَمَّا أَقْسَمَ بِأُمِّ القُرَى وَهِيَ أُمّ المَسَاكِن أَقْسَمَ بَعْده بِالسَّاكِنِ وَهُوَ آدَم أَبُو البَشَر وَوَلده. وَقَال أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ: هُوَ إِبْرَاهِيم وَذُرِّيَّته؛ رَوَاهُ ابْن جَرِير، وَابْن أَبِي حَاتِم. وَاخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّهُ عَامّ فِي كُلّ وَالد وَوَلده، وَهُوَ مُحْتَمَل أَيْضًا.

وَقَوْله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، رُوِيَ عَنْ ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَإبراهيم النَّخَعِيّ وَخَيْثَمَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْرهمْ: يَعْنِي مُنْتَصِبًا -زَادَ ابْن عَبَّاس فِي رِوَايَة عَنْهُ: فِي بَطْن أُمّه-. وَالكَبَد: الاسْتِوَاء وَالاسْتِقَامَة. وَمَعْنَى هَذَا القَوْل: لَقَدْ خَلَقْنَا: الإنسان سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، وكقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وَقَال ابْن جُرَيْج وَعَطَاء عَنْ ابْن عَبَّاس: فِي كَبَد، قَال: فِي شِدَّة خَلق أَلَمْ تَرَ إِلَيْهِ ... وَذَكَرَ مَوْلده وَنَبَات أَسْنَانه. وَقَال مُجَاهِد: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نُطْفَة ثُمَّ عَلقَة، ثُمَّ مُضْغَة، يَتَكَبَّد فِي الخَلق. قَال مُجَاهِد: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا وَمَعِيشَته كُرْه، فَهُوَ يُكَابِد ذَلِكَ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: فِي شِدَّة وَطَلَب مَعِيشَة. وَقَال عِكْرِمَة: فِي شِدَّة وَطُول. وَقَال قَتَادَة: فِي مَشَقَّة.

---

(١) صحيح: تقدم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَحْمَد بْن عِصَام حَدَّثنَا أَبُو عَاصِم أَخْبَرَنَا عَبْد الحَمِيد بْن جَعْفَر سَمِعْت مُحَمَّد بْن عَلِيّ أَبَا جَعْفَر البَاقِر سَأَل رَجُلًا مِنْ الأَنْصَار عَنْ قَوْل الله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، قَال: فِي قِيَامه وَاعْتِدَاله. فَلَمْ يُنْكِر عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَر. وَرَوَى مِنْ طَرِيق أَبِي مَوْدُود: سَمِعْت الحَسَن قَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، قَال: يُكَابِد أَمْرًا مِنْ أَمْر الدُّنْيَا، وَأَمْرًا مِنْ أَمْر الآخِرَة. وَفِي رِوَايَة: يُكَابِد مَضَايِق الدُّنْيَا وَشَدَائِد الآخِرَة. وَقَال ابْن زَيْد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، قَال: آدَم خُلِقَ فِي السَّمَاء فَسُمِّيَ ذَلِكَ الكَبَد. وَاخْتَارَ ابْن جَرِير أَنَّ المُرَاد: مُكَابَدَة الأُمُور وَمَشَاقّهَا.

وقَوْله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، قَال الحَسَن البَصْرِيّ: يَعْنِي ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يَأْخُذ مَاله. وَقَال قَتَادَة: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، قَال: ابْن آدَم يَظُنّ أَنْ لنْ يُسْأَل عَنْ هَذَا المَال: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟ وَقَال السُّدِّيّ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، قَال: الله عَزَّ وَجَلَّ. وقَوْله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾، أَيْ: يَقُول ابْن آدَم: أَنْفَقْت مَالًا لُبَدًا، [أَيْ: كَثِيرًا][1]. قَالهُ مُجَاهِد وَالحَسَن وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾، قَال مُجَاهِد: أَيْ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ . وَكَذَا قَال غَيْره مِنْ السَّلَف. وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾، أَيْ: يُبْصِر بِهِمَا، ﴿وَلِسَانًا﴾ أَيْ: يَنْطِق بِهِ فَيُعَبِّر عَمَّا فِي ضَمِيره، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يَسْتَعِين بِهِمَا عَلَى الكَلَام وَأَكْل الطَّعَام وَجَمَالًا لوَجْهِهِ وَفَمه.

وَقَدْ رَوَى الحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة أَبِي الرَّبِيع الدِّمَشْقِيّ، عَنْ مَكْحُول قَال: قَال النَّبِيّ ﷺ: «**يَقُول الله تَعَالى: يَا بْن آدَم قَدْ أَنْعَمْت عَلَيْك نِعَمًا عِظَامًا لا تُحْصِي عَدَدهَا، وَلا تُطِيق شُكْرهَا، وَإِنَّ مِمَّا أَنْعَمْت عَلَيْك أَنْ جَعَلت لك عَيْنَيْنِ تَنْظُر بِهِمَا، وَجَعَلت لهُمَا [غِطَاءهما]**[2]**، فَانْظُرْ بِعَيْنَيْك إِلى مَا أَحْللت لك، وَإِنْ رَأَيْت مَا حَرَّمْت عَلَيْك فَأَطْبِقْ عَلَيْهِمَا غِطَاءَهُمَا. وَجَعَلت لك لسَانًا، وَجَعَلت لهُ غِلافًا، فَانْطِقْ بِمَا أَمَرْتُك وَأَحْللت لك، فَإِنْ عُرِضَ عَلَيْك مَا حَرَّمْت عَلَيْك فَأَغْلِقْ عَلَيْك لسَانك، وَجَعَلت لك فَرْجًا وَجَعَلت لك سِتْرًا فَأَصِبْ بِفَرْجِك مَا أَحْللت لك، فَإِنْ عُرِضَ عَلَيْك مَا حَرَّمْت عَلَيْك فَأَرْخِ عَلَيْك سِتْرك، يَا بن آدَم إِنَّك لا تَحْمِل سَخَطِي وَلا تُطِيق انْتِقَامِي**».[3] ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، قَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عَاصِم، عَنْ زِرّ عَنْ عَبْد الله -هُوَ ابْن مَسْعُود-: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، قَال: الخَيْر وَالشَّرّ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عَلِيّ، وَابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَأَبِي وَائِل، وَأَبِي صَالح، وَمُحَمَّد بْن كَعْب وَالضَّحَّاك وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ فِي آخَرِينَ. وَقَال عبد الله بن وَهْب: أَخْبَرَنِي ابْن لهِيعَة عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ سِنَان بْن سَعْد عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «هُمَا نَجْدَانِ، فَمَا جُعِل نَجْد الشَّرّ أَحَبّ إِليْكُمْ مِنْ نَجْد الخَيْر»[4]. تَفَرَّدَ بِهِ سِنَان بْن سَعْد، وَيُقَال: سَعْد بْن سِنَان، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْن مَعِين. وَقَال الإِمَام أَحْمَد وَالنَّسَائِيّ وَالجُوزَجَانِيّ: مُنْكَر الحَدِيث. وَقَال أَحْمَد: تَرَكْت حَدِيثه لاضْطِرَابِهِ، وَرَوَى خَمْسَةَ عَشَرَ حَدِيثًا مُنْكَرَة كُلّهَا مَا أَعْرِف مِنْهَا حَدِيثًا وَاحِدًا، يُشْبِه حَدِيثه حَدِيث الحَسَن -يَعْنِي: البَصْرِيّ-، لا يُشْبِه حَدِيث أَنَس. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثنَا ابْن عُلَيَّة، عَنْ أَبِي رَجَاء قَال: سَمِعْت الحَسَن يَقُول: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قَال: ذُكِرَ لنَا أَنَّ نَبِيّ الله ﷺ كَانَ يَقُول: «يَا أَيّهَا النَّاس، إِنَّهمَا النَّجْدَانِ، نَجْد

---

(١) في الأزهرية: [لهذا].

(٢) في الأزهرية: [غطائها].

(٣) **إسناده ضعيف** : مرســل.

(٤) **إسناده ضعيف** : انظر «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٨٧٩).

الخَيْر وَنَجد الشَّرّ، فَمَا جَعَل نَجد الشَّرّ أَحبّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجد الخَيْر». وَكَذَا رَوَاهُ حَبِيب بْن الشَّهِيد وَيُونُس بْن عُبَيْد وَأَبُو وَهْب عَنْ الحَسَن مُرْسَلًا، وَهَكَذَا أَرْسَلهُ قَتَادَة. وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عِصَام الأَنْصَارِيّ، حَدَّثنَا أَبُو أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، حَدَّثنَا عِيسَى بْن عقال عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، قَال: الثَّدْيَيْنِ. وَرِوِى عَنْ الرَّبِيع بْن خثيم وَقَتَادَة وَأَبِي حَازِم مِثْل ذَلِكَ. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ وَكِيع عَنْ عِيسَى بْن [عقال][1] بِهِ ثُمَّ قَال: وَالصَّوَاب القَوْل الأَوَّل. وَنَظِير هَذِهِ الآيَة قَوْله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي عُمَر بْن إِسْمَاعِيل بْن مجالد، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن إِدْرِيس عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطِيَّة، عَنْ ابْن عُمَر فِي قَوْله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قَال: جَبَل فِي جهنَّم. وَقَال كَعْب الأَحْبَار: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ هُوَ سَبْعُونَ دَرَجَة فِي جَهَنَّم. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قَال: عقَبَة فِي جهنَّم. وَقَال قَتَادَة: إِنَّهَا قَحْمَة شَدِيدَة، فَاقْتَحِمُوهَا بطاعة الله ﷻ. وَقَال قَتَادَة: وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالى عَنْ اقْتِحَامها فَقَال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾. وَقَال ابْن زَيْد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، أَيْ: أَفلا سَلكَ الطَّرِيق الَّتِي فِيهَا النَّجَاة وَالخَيْر. ثُمَّ بيَّنَهَا فقَال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾. قُرِئَ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بِالإِضَافَةِ، وَقُرِئَ عَلى أَنَّهُ فِعْل، وَفِيهِ ضَمِير الفَاعِل، وَالرَّقَبَة مَفْعُوله. وَكِلتَا القِرَاءَتَيْنِ مَعْنَاهُمَا مُتَقَارِب. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عَلِيّ بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثنَا عَبْد الله -يَعْنِي ابْن سَعِيد بْن أَبِي هِنْد- عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي حَكِيم -مَوْلى آل الزُّبَيْر-، عَنْ سعيد بن مَرْجَانَة: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَة يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَة مُؤْمِنَة أَعْتَقَ الله بِكُلِّ إِرْب مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنْ النَّار، حَتَّى إِنَّهُ لَيُعْتِقُ بِاليَدِ اليَد، وَبِالرِّجْل الرِّجْل، وَبِالفَرْجِ الفَرْج»**.[2] فَقَال عَلِيّ بْن الحُسَيْن: أَنْتَ سَمِعْت هَذَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَة؟ فَقَال سَعِيد: نَعَمْ. فَقَال عَلِيّ بْن الحُسَيْن لغُلَام لهُ: أَفره غِلمَانه ادْعُ مُطَرِّفًا. فلَمَّا قَامَ بَيْن يَدَيْهِ قَال: اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرّ لوَجْهِ الله. وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ طُرُق، عَنْ سَعِيد بْن مَرْجَانَة، بِهِ. وَعِنْد مُسْلم: أَنَّ هَذَا الغُلَام الَّذِي أَعْتَقَهُ عَلِيّ بْن الحُسَيْن زَيْن العَابِدِينَ كَانَ قَدْ أُعْطِيَ فِيهِ عَشَرَة آلاف دِرْهَم.

وَقَال قَتَادَة، عَنْ سَالم بْن أَبِي الجَعْد، عَنْ مَعْدَان بْن أَبِي طَلحَة، عَنْ أَبِي نَجِيح قَال: سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «أَيمَا مُسْلم أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلمًا؛ فَإِنَّ الله جَاعِل وَفَاء كُلّ عَظْم مِنْ عِظَامه عَظْمًا مِنْ عِظَامه مُحَرَّره مِنْ النَّار، وَأَيمَا امْرَأَة مسلمة أَعْتَقَتْ امْرَأَة مُسْلمَة؛ فَإِنَّ الله جَاعِل وَفَاء كُلّ عَظْم مِنْ عِظَامها عَظْمًا مِنْ عِظَامهَا مِنْ النَّار». رَوَاهُ ابْن جَرِير هَكَذَا، وَأَبُو نَجِيح هَذَا هُوَ عمرو بْن [عَبَسَة][3] السُّلمِيّ ﵁.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا حَيْوَة بْن شُرَيْح، حَدَّثَنَا بَقِيَّة حَدَّثَنِي [بحير][4] بْن سَعْد، عَنْ خَالد بْن مَعْدَان عَنْ

(١) فِي الأَزهرية: [عال].
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩).
(٣) فِي الأَزهرية: [عنبسة].
(٤) فِي الأَزهرية: [محمد].

كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ [عَبَسَةَ][1] أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِيُذْكَرَ اللهُ فِيهِ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ. وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً، كَانَتْ فِدْيَتَه مِنْ جَهَنَّم. وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ**».

طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ أَحْمَد: حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا حريز عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ شُرَحْبِيلَ بْنَ السِّمْطِ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ: حَدِّثْنَا حَدِيثًا لَيْسَ فِيهِ تَزَيُّدٌ وَلَا نِسْيَانٌ، قَالَ عَمْرو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَه مِنَ النَّارِ، عُضْوًا بِعُضْوٍ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فَبَلَغَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ كَمُعْتِقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ**». وَرَوَى أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ بَعْضَه.

طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ القَاسِمِ، حَدَّثَنَا الفَرَجُ حَدَّثَنَا لُقْمَانُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السلمي، قَالَ: قُلتُ لَهُ: حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَه مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ فِيهِ انْتِقَاصٌ وَلَا وَهْمٌ، قَالَ: سَمِعْتُه يَقُولُ: «**مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِه إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ بَلَغَ بِهِ العَدُوَّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّ لِلجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ يُدْخِلُهُ اللهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا**»[2]. وَهَذِهِ أَسَانِيد جيدة قَوِيَّة، وَللهِ الحَمْد.

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّمْلِيّ، حَدَّثَنَا ضَمْرَة، عَنْ ابْنِ أَبِي عَبْلَة، عَنْ الغريف بْنِ عَيَّاش الدَّيْلِمِيّ قَالَ: أَتَيْنَا وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ فَقُلنَا لَهُ: حَدِّثْنَا حَدِيثًا لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ. فَغَضِبَ وَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَقْرَأُ وَمُصْحَفه مُعَلَّقٌ فِي بَيْتِه، فَيَزِيد وَيَنْقُص. قُلنَا: إِنَّمَا أَرَدْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَه مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي صَاحِبٍ لَنَا قَدْ أَوْجَبَ -يَعْنِي النَّارَ- بِالقَتْلِ فَقَالَ: «أَعْتِقُوا عَنْهُ يُعْتِقِ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا منه مِنَ النَّارِ»[3]. وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ الغرِيفِ بْنِ عَيَّاشٍ الدَّيْلِمِيّ عَنْ وَاثِلَةَ بِهِ.

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَد، حَدَّثَنَا هِشَام، عَنْ قَتَادَة، عَنْ قَيْسٍ الجُذَامِيّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً فَهُوَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ**»[4].

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الخَفَّاف، عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَة قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ قَيْسًا الجُذَامِيّ حَدَّثَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فِكَاكه مِنَ النَّارِ**». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه.

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ وَأَبُو أَحْمَد؛ قَالَا: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ البَجَلِيّ -مِنْ بَنِي بَجِيلَة مِنْ بَنِي سُلَيْم- عَنْ طَلحَة -قال أبو أحمد: حدثنا طلحة بْنُ مُصَرِّف- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ عَنْ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلنِي الجَنَّةَ. فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ المَسْأَلَةَ، أَعْتِقْ النَّسَمَةَ وَفُكَّ الرَّقَبَةَ**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «**لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالمِنْحَة**

---

(١) في الأزهرية: [عنبسة].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٠٢).

(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٣٩٦٤)، بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٠)، وصححه الألباني.

الوَكُوف، وَالفَيْء عَلى ذِي الرَّحِم الظَّالِم، فَإِنْ لمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأَطْعِمْ الجَائِع، وَاسْقِ الظَّمْآن، وَأْمُرْ بِالمَعْرُوف، وَانْهَ عَنْ المُنْكَر، فَإِنْ لمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلاَّ مِنْ الخَيْر».[1]

وقَوْله: ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: ذِي مَجَاعَة. وَكَذَا قَال عِكْرِمَة، وَمُجَاهِد، وَالضَّحَّاك، وَقَتَادَة وَغَيْر وَاحِد. وَالسَّغَب: هُوَ الجُوع. وَقَال إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ: فِي يَوْم الطَّعَام فِيهِ عَزِيز. وَقَال قَتَادَة: فِي يَوْم يُشْتَهى فِيهِ الطَّعَام. وقَوْله: ﴿يَتِيمًا﴾، أَيْ: أَطْعِمْ فِي مِثْل هَذَا اليَوْم يَتِيمًا، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أَيْ: ذَا قَرَابَة مِنْهُ. قَالَهُ ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، أَخْبَرَنَا هِشَام عَنْ حَفْصَة بِنْت سِيرِينَ عَنْ [سَلْمَان][2] بْن عَامِر قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «الصَّدَقَة عَلى المِسْكِين صَدَقَة، وَعَلى ذِي الرَّحِم اثْنَتَان صَدَقَة وَصِلَة»[3]. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح. وَقَوْله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، أَيْ: فَقِيرًا مُدْقِعًا لاصِقًا بِالتُّرَاب وَهُوَ الدَّقْعَاء أَيْضًا. قَال ابْن عَبَّاس: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هُوَ المَطْرُوح فِي الطَّرِيق، الَّذِي لا بَيْت لهُ، وَلا شَيْء يَقِيه مِنْ التُّرَاب، وَفِي رِوَايَة: هُوَ الَّذِي لصِقَ بِالدَّقْعَاءِ مِنْ الفَقْر وَالحَاجَة، لَيْسَ لهُ شَيْء. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: هُوَ البَعِيد التُّرْبَة.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: يَعْنِي الغَرِيب عَنْ وَطَنه. وَقَال عِكْرِمَة: هُوَ الفَقِير المَدْيُون المُحْتَاج. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: هُوَ الَّذِي لا أَحَد لهُ. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَسَعِيد، وَقَتَادَة وَمُقَاتِل بْن حَيَّان: هُوَ ذُو العِيَال. وَكُلّ هَذِهِ قَرِيبَة المَعْنَى. وَقَوْله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أَيْ: ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذِهِ الأَوْصَاف الجَمِيلة الطَّاهِرَة مُؤْمِن بِقَلْبِهِ مُحْتَسِب ثَوَاب ذَلِكَ عِنْد الله ﷻ. كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الآيَة. وَقَوْله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾، أَيْ: كَانَ مِنْ المُؤْمِنِينَ العَامِلينَ صَالحًا، المُتَوَاصِين بِالصَّبْرِ عَلى أَذَى النَّاس وَعَلى الرَّحْمَة بِهِمْ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمهمْ الرَّحْمَن، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْض يَرْحَمكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء»[4]. وَفِي الحَدِيث الآخَر: «لا يَرْحَم الله مَنْ لا يَرْحَم النَّاس»[5]. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا ابْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ ابْن عَامِر، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو يَرْوِيه قَال: «مَنْ لمْ يَرْحَم صَغِيرنَا، وَيَعْرِف حَقّ كَبِيرنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا».[6]

وقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أَيْ: المُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَات مِنْ أَصْحَاب اليَمِين. ثم قَال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، أَيْ: أَصْحَاب الشِّمَال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾، أَيْ: مُطْبَقَة عَلَيْهِمْ، فَلا مَحِيد لهُمْ عَنْهَا، وَلا خُرُوج لهُمْ مِنْهَا. قَال أَبُو هُرَيْرَة، وَابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَمُجَاهِد، وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَعَطِيَّة العَوْفِيّ، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالسُّدِّيّ: ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾، أَيْ: مُطْبَقَة. قَال ابْن عَبَّاس: مُغْلَقَة الأَبْوَاب، وَقَال

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٥١).
(٢) في الأزهرية: [سليمان].
(٣) صحيح: تقدم.
(٤) صحيح: تقدم.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).
(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

مُجَاهِد: أَصَدَ البَاب بِلُغَةِ قُرَيْش: أَيْ أَغْلَقَهُ. وَسَيَأْتِي فِي ذَلِكَ حَدِيث فِي سُورَة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ حِيط لا بَاب لهُ. وَقَال قَتَادَة: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مُطْبَقَة فلا ضَوْء فِيهَا وَلا فُرَج وَلا خُرُوج مِنْهَا آخِر الأَبَد. وَقَال أَبُو عِمْرَان الجَوْنِيّ: إِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة أَمَرَ الله بِكُلِّ جَبَّار وَكُلّ شَيْطَان وَكُلّ مَنْ كَانَ يَخَاف النَّاس فِي الدُّنْيَا شَرّه فَأُوثِقُوا بِالحَدِيد، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ إِلى جَهَنَّم، ثُمَّ أَوْصَدُوهَا عَلَيْهِمْ -أَيْ: أَطْبَقُوهَا- قَال: فَلا وَالله لا تَسْتَقِرّ أَقْدَامهمْ عَلى قَرَار أَبَدًا، وَلا وَالله لا يَنْظُرُونَ فِيهَا إِلى أَدِيم سَمَاء أَبَدًا، وَلا وَالله لا تَلْتَقِي جُفُون أَعْيُنهمْ عَلى غَمْض نَوْم أَبَدًا. وَلا وَالله لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَارِدَ شَرَاب أَبَدًا. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

آخر تفسير سُورَة البَلَد، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ الشَّمْسِ وهي مكية (ترتيبها ٩١) (آياتها ١٥)

تَقَدَّمَ حَدِيث جَابِر الَّذِي فِي «الصحيح»: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لِمُعَاذ: «هَلاَّ صَلَّيْت بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟».[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.

قَال مُجَاهِد: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، أَيْ: وَضَوْئِهَا. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَضُحَاهَا﴾، النَّهَار كُلّه. قَال ابْن جَرِير: وَالصَّوَاب أَنْ يُقَال: أَقْسَمَ الله بِالشَّمْسِ وَنَهَارهَا، لأَنَّ ضَوْء الشَّمْس الظَّاهِرَ هُوَ النَّهَار. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، قَال مُجَاهِد: تَبِعَهَا. وَقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، قَال: يَتْلُو النَّهَار. وَقَال قَتَادَة: ﴿إِذَا تَلَاهَا﴾ لَيْلَة الهِلال، إِذَا سَقَطَتْ الشَّمْس رُئِيَ الهِلال. وَقَال ابْن زَيْد: هُوَ يَتْلُوهَا فِي النِّصْف الأَوَّل مِنْ الشَّهْر، ثُمَّ هِيَ تَتْلُوهُ، وَهُوَ يَتَقَدَّمهَا فِي النِّصْف الأَخِير مِنْ الشَّهْر. وَقَال مَالِك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: إِذَا تلاهَا لَيْلَة القَدْر. وَقَوْله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، قَال مُجَاهِد: أَضَاءَ. وَقَال قَتَادَة: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: إِذَا غَشِيَهَا النَّهَار. وَقَال ابْن جَرِير: وَكَانَ بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة يَتَأَوَّل ذَلِكَ بِمَعْنَى: وَالنَّهَار إِذَا جَلا الظُّلْمَة، لِدَلالَةِ الكَلام عَلَيْهَا.

قُلت: وَلَوْ أَنَّ هَذَا القَائِل تَأَوَّل بِمَعْنَى ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، أَيْ: البَسِيطَة لَكَانَ أَوْلى ويصح تأويله في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، [فَكَانَ][2] أَجْوَد وَأَقْوَى، وَالله أَعْلم. وَلِهَذَا قَال مُجَاهِد: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، إِنَّهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، وَأَمَّا ابْن جَرِير فَاخْتَارَ عَوْد الضَّمِير فِي ذَلِكَ كُلّه عَلى الشَّمْس، لِجَرَيَانِ ذِكْرهَا. وَقَالُوا فِي قَوْله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، يَعْنِي: إِذَا يَغْشَى الشَّمْس حِين تَغِيب فَتُظْلِم الآفَاق.

وَقَال بَقِيَّة بْن الوَلِيد، عَنْ صَفْوَان، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن ذِي حَمَامَة قَال: إِذَا جَاءَ اللَّيْل قَال الرَّبّ جَلَّ جَلاله: غَشِيَ عِبَادِي خَلقِي العَظِيم، فَاللَّيْل يَهَابهُ، وَالَّذِي خَلقَهُ أَحَقّ أَنْ يُهَاب. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَوْله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾، يَحْتَمِل أَنْ تَكُون «مَا» هَهُنَا مَصْدَرِيَّة، بِمَعْنَى: وَالسَّمَاء وَبِنَائِهَا، وَهُوَ قَوْل قَتَادَة.

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) في الأزهرية: [لكان].

وَيَحْتَمِل أَنْ تَكُون بِمَعْنَى «مَنْ» يَعْنِي: وَالسَّمَاء وَبَانِيهَا، وَهُوَ قَوْل مُجَاهِد. وَكِلاهُمَا مُتَلازِم، وَالبِنَاء هُوَ الرَّفْع كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾، أَيْ: بِقُوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾. وهكذا قوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، قَال مُجَاهِد: ﴿طَحَىٰهَا﴾ دَحَاهَا. وقَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أَيْ: خلق فِيهَا. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿طَحَىٰهَا﴾ قَسمهَا. وَقَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالسُّدِّيّ، وَالثَّوْرِيّ، وأبو صَالِح، وَابْن زَيْد: ﴿طَحَىٰهَا﴾: بَسطهَا. وَهَذَا أَشْهَر الأَقْوَال، وَعَلَيْهِ الأَكْثَر مِنْ المُفَسِّرِينَ، وَهُوَ المَعْرُوف عِنْد أَهْل اللُّغَة، قَال الجَوْهَرِيّ: طَحَوْته مِثْل دَحَوْته أَيْ: بَسطْته.

وَقَوْله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، أَيْ: خَلقهَا سَوِيَّة مُسْتَقِيمَة عَلى الفِطْرَة القَوِيمَة، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾، وَقَال رَسُول الله ﷺ: «كُلّ مَوْلُود يُولد عَلى الفِطْرَة، فَأَبوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُولد البَهِيمَة بَهِيمَة جَمْعَاء، هَل تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاء؟»[1]. أَخْرَجَاهُ مِنْ رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة. وَفِي صَحِيح مُسْلم مِنْ رِوَايَة عِيَاض بْن حمار المُجَاشِعِيّ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «يَقُول الله عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلقْت عِبَادِي حُنَفَاء فَجَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِين فَاجْتَالتْهُمْ عَنْ دِينهمْ».[2] وقَوْله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، أَيْ: فَأَرْشَدَهَا إِلى فُجُورهَا وَتَقْوَاهَا، أَيْ: بَيَّنَ لهَا ذلك، وَهَدَاهَا إِلى مَا قَدَّرَ لهَا. قَال ابْن عَبَّاس: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بَيَّنَ لهَا الخَيْر وَالشَّرّ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَالثَّوْرِيّ. وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: أَلهَمَهَا الخَيْر وَالشَّرّ. وَقَال ابْن زَيْد: جَعَل فِيهَا فُجُورهَا وَتَقْوَاهَا.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن بشار، حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن عِيسَى، وَأَبُو عَاصِم النَّبِيل، قَالا: حَدَّثَنَا عَزْرَة بْن ثَابِت، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن عُقَيْل، عَنْ يَحْيَى بْن يَعْمَر عَنْ أَبِي الأَسْوَد الدَّيْلِيّ؛ قَال: قَال لِي عِمْرَان بْن حُصَيْن: أَرَأَيْت مَا يَعْمَل فِيهِ النَّاس وَيَتَكَادَحُونَ فِيهِ، أَشَيْء قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَر قَدْ سَبَق، أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيّهمْ ﷺ وَأُكِّدَتْ عَلَيْهِمْ الحُجَّة؟ قُلت: بَل شَيْء قُضِيَ عَلَيْهِمْ. قَال: فَهَل يَكُون ذَلكَ ظُلمًا؟ قَال: فَفَزِعْت مِنْهُ فَزَعًا شَدِيدًا، قَال: قُلت لهُ: ليْسَ شَيْء إِلَّا وَهُوَ خَلَق ذلك بِيَده، لا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل وَهُمْ يُسْأَلُونَ. قَال: سَدَّدَك الله، إِنَّمَا سَأَلتُ لأَخْبُر عَقْلك، إِنَّ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَة أَوْ: جُهَيْنَة أَتَى رَسُول الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُول الله أَرَأَيْت مَا يَعْمَل النَّاس فِيهِ وَيَتَكَادَحُونَ، أَشَيْء قُضِيَ عَلَيْهِمْ [وَمَضَى عَلَيْهِمْ][3] مِنْ قَدَر قَدْ سَبَق أَمْ شَيْء مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيّهمْ ﷺ وَأُكِّدَتْ بِهِ عَليْهِمْ الحُجَّة؟ قَال: «بَل شَيْء قَدْ قُضِيَ عَليْهِمْ». قَال: [فَفِيمَ نَعْمَل؟][4] قَال: «مَنْ كَانَ الله خَلقَهُ لإِحْدَى المَنْزِلتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لهَا، وَتَصْدِيق ذَلكَ فِي كِتَاب الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾».[5] رَوَاهُ أَحْمَد، وَمُسْلم مِنْ حَدِيث [عَزْرَة][6] بْن ثَابِت بِهِ.

وقَوْله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، يَحْتَمِل أَنْ يَكُون المَعْنَى: قَدْ أَفْلح مَنْ زَكَّى نَفْسه، أَيْ: بِطَاعَةِ الله، كَمَا قَال قَتَادَة وَطَهَّرَهَا مِنْ الأَخْلاق الدَّنِيئَة وَالرَّذَائِل. وَيُرْوَى نَحْوه عَنْ مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) زيادة من الأزهرية.
(٤) في الأزهرية: [بعمل].
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٠)، وأحمد (٤/ ٤٣٨).
(٦) في الأزهرية: [عروة].

جُبَيْر. وَكَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾. ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾، أَيْ: دَسَّسَهَا، أَيْ: أَخْمَلَهَا وَوَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلانِهِ إِيَّاهَا عَنْ الهُدَى، حَتَّى رَكِبَ المَعَاصِي وَتَرَكَ طَاعَة الله عَجَلَّ. وَقَدْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون المَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى الله نَفْسه، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى الله نَفْسه، كَمَا قَال العَوْفِيّ وَعَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي وأَبُو زُرْعَة؛ قَالا: حَدَّثَنَا سَهْل بْن عُثْمَان حَدَّثَنَا أَبُو مَالك -يَعْنِي عَمْرو بْن هِشَام عَنْ جُوَيْبِر عَنْ الضَّحَّاك، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول فِي قَوْل الله عَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾، قَال النَّبِيّ ﷺ: «أَفْلَحَتْ نَفْسٌ زَكَّاهَا الله»[1]. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث أَبِي مَالك بِهِ. وَجُوَيْبِر هُوَ ابْن سَعِيد، مَتْرُوك الحَدِيث، وَالضَّحَّاك لَمْ يَلْقَ ابْن عَبَّاس. وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عُثْمَان بْن صَالح حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا مَرَّ بِهَذِهِ الآيَة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، وَقَفَ ثُمَّ قَال: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلاهَا، وَخَيْر مَنْ زَكَّاهَا»[2].

حَدِيث آخَر: قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن حُمَيْد المَدَنِيّ، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عَبْد الله الأُمَوِيّ، حَدَّثَنَا مَعْن بْن مُحَمَّد الغِفَارِيّ، عَنْ حَنْظَلَة بْن عَلِيّ الأَسْلَمِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ: «﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، قَال: اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْر مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلاهَا»[3] لَمْ يُخْرِجوه مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ نَافِع -يعني: ابْن عُمَر عَنْ صَالح بْن سُعَيد عَنْ عَائِشَة: أَنَّهَا فَقَدَتْ النَّبِيّ ﷺ مِنْ مَضْجَعه فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِد وَهُوَ يَقُول: «رَبِّ؛ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْر مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلاهَا»[4]. تَفَرَّدَ بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا عَبْد الوَاحِد بْن زِيَاد، حَدَّثَنَا عَاصِم الأَحْوَل، عَنْ عَبْد الله ابْن الحَارِث، عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذ بِكَ مِنْ العَجْز وَالكَسَل وَالهَرَم، وَالجُبْن وَالبُخْل وَعَذَاب القَبْر. اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْر مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيّهَا وَمَوْلاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذ بِكَ مِنْ قَلْب لا يَخْشَع، وَمِنْ نَفْس لا تَشْبَع، وَعِلْم لا يَنْفَع، وَدَعْوَة لا يُسْتَجَاب لهَا**». قَال زَيْد: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُعَلِّمُنَاهُنَّ وَنَحْنُ نُعَلِّمُكُمُوهُنّ.[5] رَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث أَبِي مُعَاوِيَة عَنْ عَاصِم الأَحْوَل عَنْ عَبْد الله بْن الحَارِث وَأَبِي عُثْمَان النَّهْدِيّ عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم بِهِ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ ثَمُود: أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولهمْ بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ الطُّغْيَان وَالبَغْي. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾، أَيْ: بِأَجْمَعِهَا. وَالأَوَّل أَوْلَى، قَالهُ مُجَاهِد وَقَتَادَة وَغَيْرهمَا. فَأَعْقَبَهُمْ ذَلكَ تَكْذِيبًا فِي قُلُوبهمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولهمْ عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ الهُدَى وَاليَقِين. ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾، أَيْ: أَشْقَى القَبِيلة وَهُوَ قِدَار بْن سَالف عَاقِر النَّاقَة، وَهُوَ أُحَيْمِر ثَمُود، وَهُوَ الَّذِي قَال تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، وَكَانَ هَذَا الرَّجُل عَزِيزًا

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا**: فيه جويبر بن سعيد: وهو متروك الحديث، وفيه انقطاع.
(٢) **إسناده ضعيف**: فيه ابن لهيعة: وهو ضعيف، والحديث أخرجه الطبراني (١١/ ١٠٦).
(٣) **إسناده ضعيف**: فيه عبد الله بن عبد الله الأموي ومعن بن محمد الغفاري، وكلاهما: ضعيف.
(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٠٩).
(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٢٢)، وأحمد (٤/ ٣٧١).

فِيهِمْ، شَرِيفًا فِي قَوْمه، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا. كَمَا قَالَ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا ابْن نُمَيْر حَدَّثَنَا هِشَام عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْد الله بْن زَمْعَة قَالَ: خَطَبَ رَسُول الله ﷺ فَذَكَرَ النَّاقَة وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا فَقَال: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ انْبَعَثَ لهَا رَجُل عَارِم عَزِيز مَنِيع فِي رَهْطه مِثْل أَبِي زَمْعَة».[1] وَرَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي التَّفْسِير وَمُسْلم فِي صِفَة النَّار، وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير مِنْ «سُنَنَيْهِمَا» وَكَذَا ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة بِهِ.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى حَدَّثَنِي عِيسَى بْن يُونُس حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن مُحَمَّد بْن خُثَيْم، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن خُثَيْم أَبِي يزيد عَنْ عَمَّار بْن يَاسِر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ لِعَلِيّ: «أَلا أُحَدِّثك بِأَشْقَى النَّاس؟». قَال: بَلَى. قَال: «رَجُلانِ: أُحَيْمِر ثَمُود الَّذِي عَقَرَ النَّاقَة، وَالَّذِي يَضْرِبك يَا عَلِيّ عَلَى هَذَا - يَعْنِي قَرْنه - حَتَّى تَبْتَلّ مِنْهُ هَذِهِ -يَعْنِي لِحْيَته-».[2]

وقَوْله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾، يَعْنِي: صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: احْذَرُوا نَاقَة الله أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾، أَيْ: لا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَإِنَّ لهَا شِرْب يَوْم وَلَكُمْ شِرْب يَوْم مَعْلُوم. قال الله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، أَيْ: كَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَة الَّتِي أَخْرَجَهَا الله مِنْ الصَّخْرَة آيَة لَهُمْ وَحُجَّة عَلَيْهِمْ، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾، أَيْ: غَضِبَ عَلَيْهِ فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾، أَيْ: فَجَعَلَ الْعُقُوبَة نَازِلَة عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاء. قَال قَتَادَة: بَلَغَنَا أَنَّ أُحَيْمِر ثَمُود لَمْ يَعْقِر النَّاقَة حَتَّى تابعه صَغِيرهمْ وَكَبِيرهمْ، وَذَكَرهمْ وَأُنْثَاهُمْ؛ فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْم فِي عَقرهَا دَمْدَمَ الله عَلَيْهِمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا. وقَوْله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾، وَقُرِئَ: ﴿فلا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾. قَال ابْن عَبَّاس: لا يَخَاف الله مِنْ أَحَد تَبِعَة. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَالْحَسَن وَبَكْر بْن عَبْد الله الْمُزَنِيّ وَغَيْرهمْ. وَقَال الضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾، أَيْ: لَمْ يَخَفْ الَّذِي عَقَرَهَا عَاقِبَة مَا صَنَعَ.

وَالْقَوْل الأَوَّل أَوْلَى لِدَلالَةِ السِّيَاق عَلَيْهِ، وَالله أَعْلَم.

آخِر تَفْسِير «وَالشَّمْس وَضُحَاهَا»، وَلله الْحَمْد

تفسير سُورَةُ اللَّيْلِ وهي مكية

ترتيبها ٩٢ — وآياتها ٢١

تَقَدَّمَ قَوْله عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام لِمُعَاذ: «فَهَلاَّ صَلَّيْت بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟».[3]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ الْمُغِيرَة، عَنْ إِبْرَاهِيم عَنْ عَلْقَمَة: أَنَّهُ قَدِمَ الشَّام فَدَخَل مَسْجِد دِمَشْق فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَال: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي جَلِيسًا صَالِحًا. قَال: فَجَلَسَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاء فَقَال

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥)، وأحمد (٤/ ١٧).

(٢) صحيح: صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٩٩).

(٣) تقدم قريبًا.

لهُ: أَبُو الدَّرْدَاء مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَال: مِنْ أَهْل الكُوفَة. قَال: كَيْفَ سَمِعْت ابْن أُمّ عَبْد يَقْرَأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، قَال عَلقَمَة: (وَالذَّكَر وَالأُنْثَى). فَقَال أَبُو الدَّرْدَاء: لقَدْ سَمِعْتهَا مِنْ رَسُول الله ﷺ، فَمَا زَال هَؤُلاءِ حَتَّى شَكَّكُونِي. ثُمَّ قَال: ثم أَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِب الوساد وَصَاحِب السِّرّ الَّذِي لا يَعْلمهُ أَحَد غَيْره، وَالَّذِي أُجِير مِنْ الشَّيْطَان عَلى لسَان النبي ﷺ.[1] وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ هَهُنَا وَمُسْلم، مِنْ طَرِيق الأَعْمَش، عَنْ إِبْرَاهِيم قَال: قَدِمَ أَصْحَاب عَبْد الله عَلى أَبِي الدَّرْدَاء فَطَلبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَال: أَيُّكُمْ يَقْرَأ عَلى قِرَاءَة عَبْد الله؟ قَالُوا: كُلّنَا، قَال: أَيُّكُمْ أَحْفَظ؟ فَأَشَارُوا إِلى عَلقَمَة، فَقَال: كَيْف سَمِعْته يَقْرَأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؟ قَال: (وَالذَّكَر وَالأُنْثَى) قَال: أَشْهَد أَنِّي سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقْرَأ هَكَذَا. وَهَؤُلاءِ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، وَالله لا أُتَابِعهُمْ.

هَذَا لفْظ البُخَارِيّ: هَكَذَا قَرَأَ ذَلكَ ابْن مَسْعُود، وَأَبُو الدَّرْدَاء، وَرَفَعَهُ أَبُو الدَّرْدَاء، وَأَمَّا الجُمْهُور فَقَرَءُوا ذَلكَ كَمَا هُوَ المُثْبَت فِي المُصْحَف الإِمَام العُثْمَانِيّ فِي سَائِر الآفَاق: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، فَأَقْسَمَ تَعَالى بالليل ﴿إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، أَيْ: إِذَا غَشِيَ الخَليقَة بظَلامِهِ، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أَيْ: بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقه، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ كَقَوْلهِ: ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾، وَكَقَوْلهِ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾.

وَلـمَّا كَانَ القَسَم بِهَذِهِ الأَشْيَاء المُتَضَادَّة كَانَ المُقْسَم عَليْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا، ولهذا قال: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾، أَيْ: أَعْمَال العِبَاد الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّة أَيْضًا وَمُتَخَالفَة، فَمِنْ فَاعِل خَيْرًا وَمِنْ فَاعِل شَرًّا، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾، أَيْ: أَعْطَى مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ وَاتَّقَى الله فِي أُمُوره، ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أَيْ: بِالمُجَازَاة عَلى ذَلكَ قَالهُ قَتَادَة. وَقَال خُصَيْف: بِالثَّوَاب. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَأَبُو صَالح، وَزَيْد بْن أَسْلم ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أَيْ: بالخَلف. وَقَال أَبُو عَبْد الرَّحْمَن السُّلمِيّ وَالضَّحَّاك: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أَيْ: بلا إله إِلَّا الله. وَفِي رِوَايَة عَنْ عِكْرِمَة: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، أَيْ: بِمَا أَنْعَمَ الله عَليْهِ. وَفِي رِوَايَة عن زَيْد بْن أَسْلم: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، قَال: الصَّلاة وَالزَّكَاة وَالصَّوْم. وَقَال مَرَّة: وَصَدَقَة الفِطْر.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا صَفْوَان بْن صَالح الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا الوَليد بْن مُسْلم، حَدَّثَنَا زُهَيْر بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا العَاليَة الرِّيَاحِيّ يُحَدِّث عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب قَال: سَأَلت رَسُول الله ﷺ عَنْ الحُسْنَى: قَال: «الحُسْنَى الجَنَّة».

وقَوْله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾، قَال ابْن عَبَّاس: يَعْنِي للخَيْر. وَقَال زَيْد بْن أَسْلم: يَعْنِي: للجنة. وَقَال بَعْض السَّلف: مِنْ ثَوَاب الحَسَنَة الحَسَنَة بَعْدهَا. وَمِنْ جزاء السَّيِّئَة السَّيِّئَة بَعْدهَا، ولهذا قَال تَعَالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾، أَيْ: بِمَا عِنْده، ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾، قَال عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ أَيْ: بَخِل [بِمَالهِ][2]، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبّه ﷻ. رواه ابن أبي حاتم.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، أَيْ: بِالجَزَاءِ فِي الدَّار الآخِرَة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ أَيْ: لطَرِيق الشَّرّ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾، وَالآيَات فِي هَذَا المَعْنَى كَثِيرَة دَالَّة عَلى أَنَّ الله ﷻ يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الخَيْر بِالتَّوْفِيقِ لهُ، وَمَنْ قَصَدَ الشَّرّ بِالخِذْلانِ. وَكُلّ ذَلكَ بِقَدَرٍ مُقَدَّر، وَالأَحَادِيث الدَّالَّة عَلى هَذَا المَعْنَى كَثِيرَة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٤٤)، ومسلم (٨٢٤).
(٢) في الأزهرية: [على ماله].

رِوَايَة أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن [عَيَّاش][1] حَدَّثَنِي العَطَّاف بْن خَالد حَدَّثَنِي رَجُل مِنْ أَهْل البَصْرَة عَنْ طَلحَة بْن عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر الصِّدِّيق عَنْ أَبِيهِ، قَال: سَمِعْت أَبِي يَذْكُر: أَنَّ أَبَاهُ سَمِعَ أَبَا بَكْر وَهُوَ يَقُول: قُلت لرَسُول الله ﷺ: يَا رَسُول الله، أَنعْمَلُ عَلى مَا فُرِغَ مِنْهُ أَوْ عَلى أَمْر مُؤْتَنَف؟ قَال: «**بَل عَلى أَمْر قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**». قَال: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُول الله؟ قَال: «**كُلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلقَ لَهُ**».[2]

رِوَايَة عَلِيّ ﷺ، قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ الأَعْمَش عَنْ سعد بْن عُبَيْدَة عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن السُّلمِيّ عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ قَال: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي بَقِيع الغَرْقَد فِي جَنَازَة فَقَال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَده مِنْ الجنَّة وَمَقْعَده مِنْ النَّار**». فَقَالُوا: يَا رَسُول الله أَفَلا نَتَّكِل؟ فَقَال: «**اعْمَلُوا، فَكلّ مُيَسَّر لِمَا خُلقَ لهُ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إِلى قَوْله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾.[3]

وَكَذَا رَوَاهُ مِنْ طَرِيق شُعْبَة وَوَكِيع عَنْ الأَعْمَش بِنَحْوِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة عَنْ جَرِير عَنْ مَنْصُور، عَنْ سعد بْن عُبَيْدَة عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب ﷺ قَال: كُنَّا فِي جَنَازَة فِي بَقِيع الغَرْقَد، فَأَتَى رَسُول الله ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْله، وَمَعَهُ مِخْصَرَة فَنكَّسَ فَجَعَل يَنْكُت بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد -أَوْ مَا مِنْ نَفْس مَنْفُوسَة- إِلاَّ كُتِبَ مَكَانهَا مِنْ الجنَّة وَالنَّار، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّة أَوْ سَعِيدَة**». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله، أَفَلا نَتَّكِل عَلى كِتَابنَا وَنَدَع العَمَل؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْل السَّعَادَة، فَسَيَصِيرُ إِلى أَهْل السَّعَادَة وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْل الشقاوة فَسَيَصِيرُ إِلى أَهْل الشَّقَاء؟ فَقَال: «**أَمَّا أَهْل السَّعَادَة فَيُيَسَّرُونَ لعَمَل أَهْل السَّعَادَة، وَأَمَّا أَهْل الشَّقَاء فَيُيَسَّرُونَ إِلى عَمَل أَهْل الشَّقَاء**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الآية. وَقَدْ أَخْرَجَهُ بَقِيَّة الجَمَاعَة مِنْ طُرُق عَنْ سعد بْن عُبَيْدَة بِهِ.

رِوَايَة عَبْد الله بْن عُمَر، وقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ عَاصِم بْن عُبَيْد الله قَال: سَمِعْت سَالم بْن عَبْد الله يُحَدِّث عَنْ ابْن عُمَر قَال: قَال عُمَر: يَا رَسُول الله أَرَأَيْت مَا نَعْمَل فِيهِ؟ أَفِي أَمْر قَدْ فُرِغَ أَوْ مُبْتَدَأ أَوْ مُبْتَدَع؟ قَال: «**فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَاعْمَل يَا بْن الخَطَّاب، فَإِنَّ كُلاً مُيَسَّر، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْل السَّعَادَة فَإِنَّهُ يَعْمَل للسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْل الشَّقَاء فَإِنَّهُ يَعْمَل للشَّقَاءِ**».[4] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ فِي القَدَر عَنْ بُنْدَار عَنْ ابْن مَهْدِيّ بِهِ، وَقَال: حَسَن صَحِيح.

حَدِيث آخَر: مِنْ رِوَايَة جَابِر، قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب أَخْبَرَنِي عَمْرو بْن الحَارِث، عَنْ أَبِي الزُّبَيْر، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله أَنَّهُ قَال: يَا رَسُول الله؛ أَنَعْمَلُ لأَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ لأَمْرٍ نَسْتَأْنِفهُ؟ فَقَال: «**لأَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**». فَقَال سُرَاقَة: فَفِيمَ العَمَل إِذًا؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**كُلّ عَامِل مُيَسَّر لعَمَلِهِ**».[5] وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ أَبِي الطَّاهِر عَنْ ابْن وَهْب بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَنْ طَلق بْن حَبِيب عَنْ بَشِير ابْن كَعْب العَدَوِيّ قَال: سَأَل غُلامَانِ شَابَّانِ النَّبِيّ ﷺ فَقَالا: يَا رَسُول الله، أَنَعْمَلُ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلام وَجَرَتْ

---

(١) في الأزهرية: [عباس].
(٢) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (١/ ٥)، بسند ضعيف، لكن يشهد له الروايات الآتية.
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٤٧٨٦).
(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٣٦)، وأحمد (٢/ ٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

بِهِ المَقَادِير، أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَف؟ فَقَال: «**بَل فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلَام وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِير**». قَالا: فَفِيمَ العَمَل إِذًا؟ قَال: «**اعْمَلُوا، فَكُلّ عَامِلٍ مُيَسَّر لِعَمَلِهِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ**». قَالا: فالآن نَجِدّ وَنَعْمَل.[1]

رِوَايَة أَبِي الدَّرْدَاء، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هيثم بْن خَارِجَة، حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيع سُلَيْمَان بْن عُتْبَة السُّلَمِيّ، عَنْ يُونُس بْن مَيْسَرَة بْن حَلبَس، عَنْ أَبِي إِدْرِيس، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَال: قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ أَرَأَيْت مَا نَعْمَل، أَمْر قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ شَيْء نَسْتَأْنِفهُ؟ قَال: «**بَل أَمْر قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**». قَالُوا: فَكَيْفَ بِالعَمَل يَا رَسُول الله؟ قَال: «**كُلّ امْرِئٍ مُهَيَّأ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[2]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه.

حَدِيث آخَر: قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي الحَسَن بْن سَلَمَة بْن أَبِي كَبْشَة حَدَّثَنَا عَبْد المَلِك بْن عَمْرو حَدَّثَنَا عَبَّاد بْن رَاشِد عَنْ قَتَادَة حَدَّثَنِي خُلَيْد العَصَرِيّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْم غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسه إِلاَّ وَبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يَسْمَعهُمَا خَلْقُ الله كُلّهمْ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**». وَأَنْزَل الله فِي ذَلِكَ القُرْآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[3]، وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن أَبِي كَبْشَة بِإِسْنَادِهِ مِثْله.

حَدِيث آخَر: قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْد الله الطِّهْرَانِيّ، حَدَّثَنَا حَفْص بْن عُمَر العَدَنِيّ، حَدَّثَنَا الحَكَم ابْن أَبَان عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ نخل، وَمِنْهَا نَخْلة فَرْعهَا إِلَى دَار رَجُل صَالح فَقِير ذِي عِيَال، فَإِذَا جَاءَ الرَّجُل فَدَخَل دَاره وأخذ التَّمر مِنْ نَخْلته فَتَسْقُط التَّمْرَة، فَيَأْخُذهَا صِبْيَان الرَّجُل الفَقِير، فنزل مِنْ نَخْلته فنزع التَّمْرَة مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَإِنْ أَدْخَل أَحَدهمْ التَّمْرَة فِي فَمه أَدْخَل أُصْبُعه فِي حَلق الغُلام وَنَزَعَ التَّمْرَة مِنْ حَلقه، فَشَكَا ذَلِكَ الرَّجُل إِلَى النَّبِيّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ صَاحِب النَّخْلة، فَقَال لَهُ النَّبِيّ ﷺ: «اذْهَبْ». وَلَقِيَ النَّبِيّ ﷺ صَاحِب النَّخْلة، فَقَال لَهُ: «أَعْطِنِي نَخْلتك الَّتِي فَرْعهَا فِي دَار فُلان، وَلك بِهَا نَخْلة فِي الجَنَّة». فَقَال لَهُ: لَقَدْ أَعْطَيْتُ، وَلَكِنْ يُعْجِبنِي تَمرهَا وَإِنَّ لِي لَنَخْلًا كَثِيرًا مَا فِيهَا نَخْلة أَعْجَب إِلَيَّ تَمْرة مِنْ تَمرهَا، فَذَهَبَ النَّبِيّ ﷺ فَتَبِعَهُ رَجُل كَانَ يَسْمَع الكَلام مِنْ رَسُول الله ﷺ وَمِنْ صَاحِب النَّخْلة، فَقَال الرَّجُل: يَا رَسُول الله إِنْ أَنَا أَخَذْت النَّخْلة فَصَارَتْ لِي النَّخْلة، فأعطيتها أَتُعْطِينِي بها مَا أَعْطَيْته بِهَا نَخْلة فِي الجَنَّة؟ قَال: «نَعَمْ». ثُمَّ إِنَّ الرَّجُل لَقِيَ صَاحِب النَّخْلة، ولكليهما نَخْل، فَقَال لَهُ: أُخْبِرك أَنَّ مُحَمَّدًا أَعْطَانِي بِنَخْلتِي المَائِلة فِي دَار فُلان نَخْلة فِي الجَنَّة، فَقُلت لَهُ: قَدْ أَعْطَيْت ولكن يُعْجِبنِي ثَمرهَا، فَسَكَتَ عَنْهُ الرَّجُل، فَقَال لَهُ: أَتَرَاك إِذًا بِعْتهَا، قَال: لا، إِلَّا أَنْ أُعْطَى بِهَا شَيْئًا وَلا أَظُنّنِي أُعْطَاهُ، قَال: وَمَا مُنَاك بها؟ قَال: أَرْبَعُونَ نَخْلة. فَقَال له الرَّجُل: لَقَدْ جِئْت بِأَمْرٍ عَظِيم. نَخْلتك تَطْلُب بِهَا أَرْبَعِينَ نَخْلة؟ ثُمَّ سَكَتَا وأنشآ فِي كَلام، ثُمَّ قَال: أَنَا أعطيك أَرْبَعِينَ نَخْلة. فَقَال: أَشْهِدْ لِي إِنْ كُنْت صَادِقًا فَأَمَرَ بِأُنَاسٍ فَدَعَاهُمْ فَقَال: اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ أَعْطَيْته مِنْ نَخْلي أَرْبَعِينَ نَخْلة بِنَخْلتِهِ الَّتِي فَرْعهَا فِي دَار فُلان ابْن فُلان. ثُمَّ قَال: مَا تَقُول؟ فَقَال صَاحِب النَّخْلة: قَدْ رَضِيت، ثُمَّ قَال بَعْد: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنك بَيْع لَمْ نَفْتَرِق قَال لَهُ: قَدْ أَقَالك الله وَلَسْت بِأَحْمَق حِين أَعْطَيْتُك أَرْبَعِينَ نَخْلة بِنَخْلتِك المَائِلة. فَقَال صَاحِب النَّخْلة: قَدْ

---

(١) صحيح: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٤)، ويشهد له ما سبق.
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٣٣).
(٣) صحيح: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢١)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠٦).

رَضِيت عَلى أَنْ تُعْطِينِي الأَرْبَعِينَ عَلى مَا أُرِيد، قَال: تُعْطِنِيهَا عَلى سَاق، ثُمَّ مَكَثَ سَاعَة، ثُمَّ قَال: هِيَ لك عَلى سَاق، وَأَوْقَفَ لهُ شُهُودًا، وَعَدَّ لهُ أَرْبَعِينَ نَخلة عَلى سَاق، فَتفرَّقَا فَذَهَبَ الرَّجُل إِلى رَسُول اللهﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله إِنَّ النَّخْلة المَائِلة فِي دَار فُلان قَدْ صَارَتْ لي فَهِيَ لك، فَذَهَبَ رَسُول اللهﷺ إِلى الرَّجُل صَاحِب الدَّار، فَقَال لهُ: «النَّخْلة لك وَلعِيَالك». قَال عِكْرِمَة: قَال ابْن عَبَّاس: فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، إِلى قَوْله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾[1]، إِلى آخِر السُّورَة. هَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَهُوَ حَدِيث غَرِيب جِدًّا.

قَال ابْن جَرِير: وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الآيَة نَزَلتْ فِي أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ: [حَدَّثَنَا][2] هَارُون بْن إِدْرِيس الأَصَمّ، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد المُحَارِبِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ عَنْ عَامِر بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر قَال: كَانَ أَبُو بَكْر ﷺ يُعْتِق عَلى الإِسْلام بِمَكَّةَ، فَكَانَ يُعْتِق عَجَائِز وَنِسَاء إِذَا أَسْلمْنَ، فَقَال لهُ أَبُوهُ: أَيْ بُنَيَّ أَرَاك تُعْتِق أُنَاسًا ضُعَفَاء، فَلوْ أَنَّك تُعْتِق رِجَالًا جُلدَاء يَقُومُونَ مَعَك وَيَمْنَعُونَك وَيَدْفَعُونَ عَنْك، فَقَال: أَيْ أَبَتِ إِنَّمَا أُرِيد -أَظُنّهُ قَال- مَا عِنْد الله، قَال: فَحَدَّثَنِي بَعْض أَهْل بَيْتِي أَنَّ هَذِهِ الآيَة أُنْزِلتْ فِيه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾[3]. وَقَوْله: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾، قَال مُجَاهِد: أَيْ: إِذَا مَاتَ. وَقَال أَبُو صَالح وَمَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلم: إِذَا تَرَدَّى فِي النَّار.

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾.

قَال قَتَادَة: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾، أَيْ: نُبَيِّن الحَلال وَالحَرَام. وَقَال غَيْره: مَنْ سَلكَ طَرِيق الهُدَى وَصَل إِلى الله. وَجَعَلهُ كَقَوْلهِ تَعَالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾. حَكَاهُ ابْن جَرِير. وَقَوْله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾، أَيْ: الجَمِيع مِلكنَا وَأَنَا المُتَصَرِّف فِيهِمَا. وَقَوْله: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾، قَال مُجَاهِد: أَيْ تَوَهَّج. قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة عَنْ سِمَاك بْن حَرْب، سَمِعْت النُّعْمَان بْن بَشِير يَخْطُب يَقُول: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَخْطُب يَقُول: «أَنْذَرْتُكُمْ النَّار، أَنْذَرْتُكُمْ النَّار، أَنْذَرْتُكُمْ النَّار». حَتَّى لوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَال: حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَة كَانَتْ عَلى عَاتِقه عِنْد رِجْليْهِ.[4]

وَقَال **الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد** بْن جَعْفَر، حدثنا شُعْبَة، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاق: سَمِعْت النُّعْمَان بْن بَشِير يَخْطُب وَيَقُول: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ أَهْوَن أَهْل النَّار عَذَابًا يَوْم القِيَامَة رَجُل تُوضَع فِي أَخْمُص قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلي مِنْهُمَا دِمَاغه**»[5] رَوَاهُ البُخَارِيّ.

وَقَال مُسْلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير

---

(١) **ضعيف** : في سنده حفص بن عمر العدني: ضعيف.
(٢) في الأزهرية: [حدثني].
(٣) **إسناده ضعيف** : فيه عنعنة محمد بن إسحاق.
(٤) **صحيح** : أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٥٩).
(٥) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣)، وأحمد (٤/ ٢٧٤).

قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْل النَّار عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَار يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغه كَمَا يَغْلي المِرْجَل، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لأَهْوَنهمْ عَذَابًا». وقوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾، أَيْ: لا يَدْخُلهَا دُخُولًا يُحِيط بِهِ مِنْ جَمِيع جَوَانِبه إِلَّا الأَشْقَى. ثم فسره فقَال: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾، أَيْ: بِقَلبِهِ: ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾، أَيْ: عَنْ العَمَل بِجَوَارِحِهِ وَأَرْكَانه.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنَا عَبْد ربه بْن سَعِيد عن المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «لا يَدْخُل النَّار إِلاَّ شَقِيّ». قِيل: وَمَنْ الشَّقِيّ؟ قَال: «الَّذِي لا يَعْمَل بِطَاعَةٍ وَلا يَتْرُك لله مَعْصِيَة».[1]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يُونُس وسريج قَالا: حَدَّثَنَا فُلَيْح عَنْ هِلال بْن عَلِيّ عَنْ عَطَاء بْن يَسَار عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «كُلّ أُمَّتِي تَدْخُل الجنَّة يَوْم القِيَامَة إلاَّ مَنْ أَبَى». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُول الله؟ قَال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَل الجنَّة، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن سِنَان عَنْ فُلَيْح بِهِ. وقَوْله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾، أَيْ: وَسَيُزَحْزَحُ عَنْ النَّار التَّقِيّ النقي الأَتْقَى. ثم فسره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، أَيْ: يَصْرِف مَاله فِي طَاعَة رَبّه لِيُزَكِّي نَفْسه وَمَاله وَمَا وَهَبَهُ الله مِنْ دِين وَدُنْيَا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، أَيْ: لَيْسَ بَذْله مَاله فِي مُكَافَأَة مَنْ أَسْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا فَهُوَ يُعْطِي فِي مُقَابَلة ذَلك، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلكَ، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أَيْ: طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصُل لَهُ رُؤْيَته فِي الدَّار الآخِرَة فِي رَوْضَات الجَنَّات، قَال الله تَعالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾، أَيْ: وَلسَوْف يَرْضَى مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَات. وَقَدْ ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ المُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الآيَات نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنه حَتَّى إِنَّ بَعْضهمْ حَكَى الإِجْمَاع مِنْ المُفَسِّرِينَ عَلى ذَلك، وَلا شَكّ أَنَّهُ دَاخِل فِيهَا وَأَوْلَى الأُمَّة بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظهَا لَفْظ العُمُوم. وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، وَلكِنَّهُ مُقَدَّم الأُمَّة وَسَابِقهمْ فِي جَمِيع هَذِهِ الأَوْصَاف وَسَائِر الأَوْصَاف الحَمِيدَة، فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَّالًا لأَمْوَالِهِ فِي طَاعَة مَوْلاهُ وَنُصْرَة رَسُول الله ﷺ ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِم وَدَنَانِير بَذَلهَا ابْتِغَاء وَجْه رَبّه الكَرِيم، وَلَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ مِنْ النَّاس عِنْده مِنَّة يَحْتَاج إِلى أَنْ يُكَافِئهُ بِهَا، وَلكِنْ كَانَ فَضْله وَإِحْسَانه عَلى السَّادَات وَالرُّؤَسَاء مِنْ سَائِر القَبَائِل، وَلهَذَا قَال لَهُ عُرْوَة بْن مَسْعُود وَهُوَ سَيِّد ثَقِيف، يَوْم صُلح الحُدَيْبِيَة: أَمَا وَالله لوْلا يَد لك [كانت][3] عِنْدِي لمْ أَجْزِك بِهَا لأَجَبْتُك. وَكَانَ الصِّدِّيق قَدْ أَغْلظَ لهُ فِي المَقَالة، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَاله مَعَ سَادَات العَرَب وَرُؤَسَاء القَبَائِل، فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلهَذَا قَال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيل الله دَعَتْهُ خَزَنَة الجنَّة: يَا عَبْد الله هَذَا خَيْر». فَقَال أَبُو بَكْر: يَا رَسُول الله، مَا عَلى مَنْ يُدْعَى مِنْهَا ضَرُورَة فَهَل يُدْعَى مِنْهَا كُلّهَا أَحَد؟ قَال: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُون مِنْهُمْ».

آخِر تَفْسِير سُورَة الليْل، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩)، وابن ماجه (٤٢٩٨) بسند ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٤٢).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٢٨٠)، وأحمد (٢/ ٣٦١).

(٣) زيادة من الأزهرية.

تفسير سُورَةُ الضُّحَىٰ وهي مكية

ترتيبها ٩٣ — وآياتها ١١

رُوِّينَا مِنْ طَرِيق أَبِي الحَسَن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن أَبِي بَزَّة المُقْرِئ قَال: قَرَأْت عَلى عِكْرِمَة بْن سُليْمان، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلى إِسْمَاعِيل بْن قُسْطَنْطِين وَشِبْل بْن عَبَّاد، فَلمَّا بَلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قَالا لِي: كَبِّرْ حَتَّى تَخْتِم مَعَ خَاتِمَة كُلّ سُورَة، فَإِنَّا قَرَأْنَا عَلى ابْن كَثِير فَأَمَرَنَا بِذَلك، وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلى مُجَاهِد فَأَمَرَهُ بِذَلك، وَأَخْبَرَهُ مُجَاهِد أَنَّهُ قَرَأَ عَلى ابْن عَبَّاس فَأَمَرَهُ بِذَلك، وَأَخْبَرَهُ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَرَأَ عَلى أُبَيّ بْن كَعْب فَأَمَرَهُ بِذَلك، وَأَخْبَرَهُ أُبَيّ أَنَّهُ قَرَأَ عَلى رَسُول الله فَأَمَرَهُ بِذَلكَ.[1] فَهَذِهِ سُنَّة تَفَرَّدَ بِهَا أَبُو الحَسَن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الله البَزِّيّ، مِنْ وَلد القَاسِم ابْن أَبِي بَزَّة، وَكَانَ إِمَامًا فِي القِرَاءَات. فَأَمَّا فِي الحَدِيث فَقَدْ ضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ، وَقَال: لا يُحَدِّث عَنْهُ. وَكَذَلكَ أَبُو جَعْفَر العُقَيْلِيّ؛ قَال: هُوَ مُنْكَر الحَدِيث. لكِنْ حَكَى الشَّيْخ شِهَاب الدِّين أَبُو شَامَة فِي «شَرْح الشَّاطِبِيَّة» عَنْ الشَّافِعِيّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يُكَبِّر هَذَا التَّكْبِير فِي الصَّلاة، فَقَال له: أَحْسَنْت، وَأَصَبْت السُّنَّة، وَهَذَا يَقْتَضِي صِحَّة هَذَا الحَدِيث. ثُمَّ اخْتَلفَ القُرَّاء فِي مَوْضِع هَذَا التَّكْبِير وَكَيْفِيَّته، فَقَال بَعْضهمْ: يُكَبِّر [مِنْ][2] آخِر ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾. وَقَال آخَرُونَ: مِنْ آخِر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾. وَكَيْفِيَّة التَّكْبِير عِنْد بَعْضهمْ أَنْ يَقُول: الله أَكْبَر وَيَقْتَصِر، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول: الله أَكْبَر، لا إله إِلَّا الله وَالله أَكْبَر. وَذَكَرَ الفراء فِي مُنَاسَبَة التَّكْبِير مِنْ أَوَّل «سُورَة الضُّحَى»؛ أَنَّهُ لـمَّا تَأَخَّرَ الوَحْي عَنْ رَسُول الله ﷺ وَفتَرَ تِلكَ المُدَّة؛ جَاءَهُ المَلك فَأَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، السُّورَة بِتَمَامِهَا؛ كَبَّرَ فَرَحًا وَسُرُورًا. وَلمْ يُرْوَ ذَلكَ بِإِسْنَادٍ يُحْكَم عَليْهِ بِصِحَّةٍ وَلا ضَعْف، فَالله أَعْلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيم، حَدَّثنَا سُفْيَان، عَنْ الأَسْوَد بْن قَيْس؛ قَال: سَمِعْت جُنْدُبًا؛ يَقُول: اشْتَكَى النَّبِيّ ﷺ فَلمْ يَقُمْ ليْلة أَوْ ليْلتَيْنِ، فَأَتَتْ امْرَأَة فَقَالتْ: يَا مُحَمَّد؛ مَا أَرَى شَيْطَانَك إِلَّا قَدْ تَرَكَك. فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.[3] وروَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم، وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير مِنْ طُرُق عَنْ الأَسْوَد بْن قَيْس عَنْ جُنْدُب -هُوَ ابْن عَبْد الله البَجَليّ، ثُمَّ العَلقِيّ- بِهِ، وَفِي رِوَايَة سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ الأَسْوَد بْن قَيْس: سَمِعَ جُنْدُبًا؛ قَال: أَبْطَأَ جِبْرِيل عَلى رَسُول الله ﷺ، فَقَال المُشْرِكُونَ: وُدِّعَ مُحَمَّد. فَأَنْزَل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، وَعَمْرو بْن عَبْد الله الأَوْدِيّ؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَة، حَدَّثَنِي سُفْيَان، حَدَّثَنِي الأَسْوَد بْن قَيْس، أَنَّهُ سَمِعَ جُنْدُبًا يَقُول: رُمِيَ رَسُول الله ﷺ بِحَجَرٍ فِي أُصْبُعه، فَقَال: هَل أَنْتِ

---

(١) ضعيف : في إسناده أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، وهو: ضعيف.

(٢) في الأزهرية: [في].

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١١٢٤)، ومسلم (١٧٩٧)، وأحمد (١/ ٣١٣).

إِلَّا أُصْبُع دَمِيتِ وَفِي سَبِيل الله مَا لقِيت؟ قَال: فَمَكَثَ لَيْلتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا لا يَقُوم، فَقَالتْ لهُ امْرَأَة: مَا أَرَى شَيْطَانك إِلَّا قَدْ تَرَكَك. فنَزَلتْ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، وَالسِّيَاق لأَبِي سَعِيد.

قِيل: إِنَّ هَذِهِ المَرْأَة هِيَ أُمّ جَمِيل امْرَأَة أَبِي لهَب، وَذُكِرَ أَنَّ أصبعه عَلَيْهِ السَّلَامُ دَمِيَتْ. وَقَوْله هَذَا الكَلام الَّذِي اتَّفق أَنَّهُ مَوْزُون ثَابِت فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَلكِنَّ الغَرِيب هَهُنَا جَعْله سَبَبًا لتَرْكِهِ القِيَام، وَنُزُول هَذِهِ السُّورَة، فَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن أَبِي الشَّوَارِب، حَدَّثَنَا عَبْد الوَاحِد بْن زِيَاد، حَدَّثَنَا سُلَيْمَان الشَّيْبَانِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن شَدَّاد، أَنَّ خَدِيجَة قَالتْ للنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَرَى رَبَّك إِلَّا قَدْ قَلاك، فَأَنْزَل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. وَقَال أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة، عَنْ أَبِيهِ؛ قَال: أَبْطَأَ جِبْرِيل عَلى النَّبِيّ ﷺ فَجَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا، فَقَالتْ خَدِيجَة: إِنِّي أَرَى رَبّك قَدْ قَلاك مِمَّا يرى مِنْ جَزَعِك. قَال: فَنَزَلتْ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1] إِلى آخِرهَا. فَإِنَّهُ حَدِيث مُرْسَل مِنْ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ، وَلعَلَّ ذِكْر خَدِيجَة لَيْسَ مَحْفُوظًا أَوْ قَالتْهُ عَلى وَجه التَّأَسُّف وَالتَّحَزُّن، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْض السَّلف مِنْهُمْ ابْن إِسْحَاق أَنَّ هَذِهِ السُّورَة هِيَ الَّتِي أَوْحَاهَا جِبْرِيل إِلى رَسُول الله ﷺ حِين تَبَدَّى لهُ فِي صُورَته الَّتِي خَلقَهُ الله عَليْهَا، وَدَنَا إِليْهِ وَتَدَلَّى مُنْهَبِطًا عَليْهِ وَهُوَ بِالأَبْطَح، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ قَال: قَال لهُ هَذِهِ السُّورَة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾. قَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: لَمَّا نَزَل عَلى رَسُول الله ﷺ القُرْآن أَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيل أَيَّامًا، فَتَغَيَّرَ بِذَلكَ، فَقَال المُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبّه وَقَلاهُ. فَأَنْزَل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. وَهَذَا قَسَم مِنْهُ تَعَالى بِالضُّحَى وَمَا جَعَل فِيهِ مِنْ الضِّيَاء، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، أَيْ: سَكَنَ فَأَظْلمَ وَادْلهَمَّ. قَالهُ مُجَاهِد، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد وَغَيْرهمْ وَذَلكَ دَليل ظَاهِر عَلى قُدْرَة خَالق هَذَا وَهَذَا، كَمَا قَال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، وَقَال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾. وَقَوْله تَعَالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾، أَيْ: مَا تَرَكَك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾، أَيْ: وَمَا أَبْغَضَك، ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾، أَي: وَللدَّار الآخِرَة خَيْر لك مِنْ هَذِهِ الدَّار؛ وَلهَذَا كَانَ رَسُول الله ﷺ أَزْهَد النَّاس فِي الدُّنْيَا وَأَعْظَمهمْ لهَا اطِّرَاحًا، كَمَا هُوَ مَعْلُوم مِنْ سِيرَته، وَلَمَّا خُيِّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِر عُمُره بَيْن الخُلد فِي الدُّنْيَا إِلى آخِرهَا ثُمَّ الجَنَّة وَبَيْن الصَّيْرُورَة إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ اخْتَارَ مَا عِنْد الله عَلى هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّة.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا المَسْعُودِيّ، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ عَنْ عَلقَمَة، عَنْ عَبْد الله -هُوَ ابْن مَسْعُود- قَال: اضْطَجَعَ رَسُول الله ﷺ عَلى حَصِير فَأَثَّرَ فِي جَنْبه، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ جَعَلت أَمْسَح جَنْبه وَقُلت: يَا رَسُول الله ﷺ أَلا آذَنْتنَا حَتَّى نَبْسُط لك عَلى الحَصِير شَيْئًا؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«مَا لي وَللدُّنْيَا؟! مَا أَنَا وَالدنيا؟ إِنَّمَا مَثَلي وَمَثَل الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْت شَجَرَة، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»**[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث المَسْعُودِيّ بِهِ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

وَقَوْله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾، أَيْ: فِي الدَّار الآخِرَة يُعْطِيه حَتَّى يُرْضِيه فِي أُمَّته وَفِيمَا أَعَدَّهُ لهُ مِنْ الكَرَامَة، وَمِنْ جُمْلته نَهْر الكَوْثَر الَّذِي حَافَّتَاهُ قِبَاب اللُّؤْلُؤ المُجَوَّف، وَطِينه مِسْك أَذْفَر، كَمَا سَيَأْتِي. وَقَال الإِمَام أَبُو عمرو الأَوْزَاعِيّ، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن عَبْد الله بْن أَبِي المُهَاجِر المَخْزُومِيّ، عَنْ عَليّ بْن عَبْد الله بْن عَبَّاس، عَنْ أَبِيهِ

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣١) بسند مرسل.
(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٨)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

قَال: عُرِضَ عَلَى رَسُول الله ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوح عَلَى أُمَّته مِنْ بَعْده كَنْزًا كَنْزًا، فَسُرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، فَأَعْطَاهُ فِي الجَنَّة أَلْف قَصْر، فِي كُلّ قَصْر مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الأَزْوَاج وَالخَدَم.[1] رَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ طَرِيقه، وَهَذَا إِسْنَاد صَحِيح إِلَى ابْن عَبَّاس [وَمِثْل][2] هَذَا مَا يُقَال إِلَّا عَنْ تَوْقِيف. وَقَال السُّدِّيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: مِنْ [رِضَا][3] مُحَمَّد ﷺ أَنْ لا يَدْخُل أَحَد مِنْ أَهْل بَيْته النَّار. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم. وَقَال الحَسَن: يَعْنِي بِذَلِكَ الشَّفَاعَة، وَهَكَذَا قَال أَبُو جَعْفَر البَاقِر. وَقَال أَبُو بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن هِشَام، عَنْ عَلِيّ بْن صَالح، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي زِيَاد، عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ عَلقَمَة، عَنْ عَبْد الله قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّا أَهْل بَيْت، اخْتَارَ الله لنَا الآخِرَة عَلَى الدُّنْيَا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾».[4]

ثم قال تعالى – يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد –صلوات الله وسلامه عليه–: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، وَذَلكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ وَهُوَ حَمْل فِي بَطْن أُمّه، وَقِيل: بَعْد أَنْ وُلدَ عَلَيْهِ السَّلامُ. ثُمَّ تُوُفِّيَتْ أُمّه آمِنَة بِنْت وَهْب وَلهُ مِنَ العُمُر ستّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي كَفَالة جَدّه عَبْد المُطَّلب إِلى أَنْ تُوُفِّيَ وَلهُ مِنَ العُمُر ثَمَانِ سِنِينَ فكَفَلهُ عَمّه أَبُو طَالب، ثُمَّ لمْ يَزَل يَحُوطهُ وَيَنْصُرهُ، وَيَرْفَع مِنْ قَدْره وَيُوَقِّرهُ، وَيَكُفّ عَنْهُ أَذَى قَوْمه بَعْد أَنْ ابْتَعَثَهُ الله عَلَى رَأْس أَرْبَعِينَ سَنَة مِنْ عُمُره، هَذَا وَأَبُو طَالب عَلَى دِين قَوْمه مِنْ عِبَادَة الأَوْثَان، وَكُلّ ذَلكَ بِقَدَرِ الله وَحُسْن تَدْبِيره إِلى أَنْ تُوُفِّيَ أَبُو طَالب قَبْل الهِجْرَة بِقَليلٍ، فَأَقْدَمَ عَليْهِ سُفَهَاء قُرَيْش وَجُهَّالهمْ، فَاخْتَارَ الله لهُ الهِجْرَة مِنْ بَيْن أَظْهُرهمْ إِلى بَلد الأَنْصَار مِنَ الأَوْس وَالخَزْرَج، كَمَا أَجْرَى الله [سُنَّته][5] عَلَى الوَجْه الأَتَمّ الأَكْمَل، فَلمَّا وَصَل إِليْهِمْ آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ وَحَاطُوهُ، وَقَاتَلُوا بَيْن يَدَيْهِ –رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ–، وَكُلّ هَذَا مِنْ حِفْظ الله لهُ وَكِلاءَته وَعِنَايَته بِهِ.

وَقَوْله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. وَمِنْهُمْ مَنْ قَال: المُرَاد بِهَذَا أنه عَلَيْهِ السَّلامُ ضَلَّ فِي شِعَاب مَكَّة، وَهُوَ صَغِير ثُمَّ رَجَعَ، وَقِيل: إِنَّهُ ضَلَّ وَهُوَ مَعَ عَمّه فِي طَرِيق الشَّام، وَكَانَ رَاكِبًا نَاقَة فِي اللَّيْل فَجَاءَ إِبْليس يعدل بِهَا عَنْ الطَّرِيق، فَجَاءَ جبريل، فَنَفَخَ إِبْليس نَفْخَة ذَهَبَ مِنْهَا إِلى الحَبَشَة، ثُمَّ عَدَل بِالرَّاحِلةِ إِلى الطَّرِيق. حَكَاهُمَا البَغَوِيّ. وَقَوْله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، أَيْ: كُنْت فَقِيرًا ذَا عِيَال فَأَغْنَاكَ الله عَمَّنْ سِوَاهُ، فَجَمَعَ لهُ بَيْن مَقَامَيْ الفَقِير الصَّابِر وَالغَنِيّ الشَّاكِر ﷺ. وَقَال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، قَال: كَانَتْ هَذِهِ مَنَازِل رَسُول الله ﷺ قَبْل أَنْ يَبْعَثَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ. رَوَاهُ ابْن جَرِير وَابْن أَبِي حَاتِم. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ طَرِيق عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه قَال: هَذَا! مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَة العَرَض، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس**»[6]. وَفِي «صَحِيح مُسْلم» عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**قَدْ أَفْلحَ مَنْ أَسْلمَ، وَرُزِقَ كَفافًا، وَقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاه**».[7]

---

(١) **صححه الحافظ ابن كثير كما في المتن** : أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٢).
(٢) في الأزهرية: [وقبل].
(٣) في الأزهرية: [رضي].
(٤) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٩٧) بسند ضعيف، فيه يزيد بن أبي زياد: وهو ضعيف.
(٥) في الأزهرية: [سببه].
(٦) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٧) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٠٥٤).

ثُمَّ قَال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، أَيْ: كَمَا كُنْت يَتِيمًا فَآوَاك الله فَلا تَقْهَر اليَتِيم، أَيْ: لا تُذِلّهُ وَتَنْهَرهُ وَتُهِنْهُ، وَلكِنْ أَحْسِنْ إِلَيْهِ وَتَلطَّفْ بِهِ. قَال قَتَادَة: كُنْ لليَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيم. ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، أَيْ: كَمَا كُنْت ضَالًّا فَهَدَاك الله فَلا تَنْهَر السَّائِل فِي العِلم المُسْتَرْشِد.قَال ابْن إِسْحَاق: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، أَيْ: فَلا تَكُنْ جَبَّارًا وَلا مُتَكَبِّرًا وَلا فَحَّاشًا وَلا فَظًّا عَلى الضُّعَفَاء مِنْ عِبَاد الله. وَقَال قَتَادَة: يَعْنِي: رُدَّ المِسْكِينَ بِرَحْمَةٍ وَلِين. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أَيْ: وَكَمَا كُنْت عَائِلًا فَقِيرًا فَأَغْنَاك الله، فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ الله عَلَيْك، كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاء المَأْثُور النَّبَوِيّ: «**وَاجْعَلنَا شَاكِرِينَ لنِعْمَتِك، مُثْنِينَ بِهَا قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا**». وقَال ابْن جَرِير: حدثني يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن إِيَاس الجُرَيْرِيّ، عَنْ أَبِي نَضْرَة قَال: كَانَ المُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْر النِّعَم أَنْ يُحَدَّث بِهَا.

وَقَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مَنْصُور بْن أَبِي مُزَاحِم، حَدَّثَنَا الجَرَّاح بْن مليح، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن عَنْ الشَّعْبِيّ عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير قَال: قَال رَسُول الله ﷺ عَلى المِنْبَر: «مَنْ لمْ يَشْكُر القَلِيل، لمْ يَشْكُر الكَثِير، وَمَنْ لمْ يَشْكُر النَّاس لمْ يَشْكُر الله. وَالتَّحَدُّث بِنِعْمَةِ الله شُكْر، وَتَرْكهَا كُفْر، وَالجَمَاعَة رَحْمَة، وَالفُرْقَة عَذَاب»[1]. إِسْنَاده ضَعِيف. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَس، أَنَّ المُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُول الله ﷺ ذَهَبَ الأَنْصَار بِالأَجْرِ كُلِّه، قَال: «**لا، مَا دَعَوْتُمْ الله لهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ**»[2]. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا مُسْلم بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا الرَّبِيع بْن مُسْلم عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**لا يَشْكُر الله مَنْ لا يَشْكُر النَّاس**»[3]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ أَحْمَد بْن مُحَمَّد عَنْ ابْن المُبَارَك عَنْ الرَّبِيع بْن مُسْلم، وَقَال: صَحِيح.

وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن الجَرَّاح، حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ الأَعْمَش، عَنْ أَبِي سُفْيَان عَنْ جَابِر، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**مَنْ أُبْلِيَ بَلاء فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وإن كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»[4]. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُد. وَقَال أَبُو دَاوُد: حَدَّثَنَا مُسَدَّد، حَدَّثَنَا بِشْر، حَدَّثَنَا عُمَارَة بْن غَزِيَّة حَدَّثَنِي رَجُل مِنْ قَوْمِي عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاء فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لمْ يَجِد فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»[5]. قَال أَبُو دَاوُد: وَرَوَاهُ يَحْيَى بْن أَيُّوب عَنْ عُمَارَة بْن غَزِيَّة، عَنْ شُرَحْبِيل عَنْ جَابِر كَرِهُوهُ فَلمْ يُسَمُّوهُ. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُد. وَقَال مُجَاهِد: يَعْنِي النُّبُوَّة الَّتِي أَعْطَاك رَبّك. وَفِي رِوَايَة عَنْهُ: القُرْآن. وَقَال لَيْث عَنْ رَجُل عَنْ الحَسَن بْن عَلِيّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، قَال: مَا عَمِلت مِنْ خَيْر فَحَدِّثْ إِخْوَانك. وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: مَا جَاءَك الله مِنْ نِعْمَة وَكَرَامَة مِنْ النُّبُوَّة فَحَدِّثْ بِهَا وَاذْكُرْهَا، وَادْعُ إِلَيْهَا، وقَال: فَجَعَل رَسُول الله ﷺ يَذْكُر مَا أَنْعَمَ الله بِهِ عَلَيْهِ مِنْ النُّبُوَّة سِرًّا إِلى مَنْ يَطْمَئِنّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْله، وَافْتُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلاة فَصَلَّى.

آخِر تَفْسِير سُورَة الضُّحَى، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه عبد الله بن أحمد (٤/ ٢٧٨) بسند ضعيف، فيه الجراح بن مليح: ضعيف الحديث.

(٢) **صحيح** : الحديث في السنن، وليس في الصحيحين: أخرجه أبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (٢٤١١)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٤) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٨١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٥) **حسن** : أخرجه أبو داود (٤٨١٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

تفسير سُورَةُ الشَّرْحِ وهي مكية

ترتيبها ٩٤ — وآياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾.

يَقُول تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، يَعْنِي: [أَمَا][1] شَرَحْنَا لك صَدْرك، أَيْ: نَوَّرْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾. وَكَمَا شَرَحَ الله صَدْره كَذَلِكَ جَعَل شَرْعه فَسِيحًا وَاسِعًا سمحًا سَهْلًا، لا حَرَج فِيهِ وَلا إِصْر وَلا ضِيق. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ شَرَحَ صَدْره لَيْلَة الإِسْرَاء، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَة مَالك بْن صَعْصَعَة، وَقَدْ أَوْرَدَهُ التِّرْمِذِيّ هَهُنَا. وَهَذَا إِنْ كَانَ وَاقِعًا وَلكِنْ لا مُنَافَاة، فَإِنَّ مِنْ جُمْلَة شَرْح صَدْره: الَّذِي فُعِل بِصَدْرِهِ لَيْلَة الإِسْرَاء، وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنَ الشَّرْح المَعْنَوِيّ أَيْضًا، والله أَعْلَم.

قَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحِيم أَبُو يَحْيَى البزاز حَدَّثَنَا يُونُس بْن مُحَمَّد حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن مُحَمَّد بْن معاذ بن محمد بن أُبَيّ بْن كَعْب حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّد بْن مُعَاذ عَنْ مُحَمَّد، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب أَنَّ أَبَا هُرَيْرَة كَانَ جريًّا عَلَى أَنْ يَسْأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ أَشْيَاء لا يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْره، فَقَال: يَا رَسُول الله ﷺ؛ مَا أَوَّل مَا رَأَيْت مِنْ أَمْر النُّبُوَّة؟ فَاسْتَوَى رَسُول الله ﷺ جَالِسًا، وَقَال: «لَقَدْ سَأَلت يَا أَبَا هُرَيْرَة، إِنِّي لفي صحراء ابْن عَشْر سِنِينَ وَأَشْهُر، وَإِذَا بِكَلام فَوْق رَأْسِي، وَإِذَا رَجُل يَقُول لرَجُلٍ: أَهُوَ هُوَ؟ قَال: نعم، فَاسْتَقْبَلانِي بِوُجُوهٍ لمْ أَرَهَا لخلق قَطُّ، وَأَرْوَاح لمْ أَجِدهَا مِنْ خَلق قَطُّ، وَثِيَاب لمْ أَرَهَا عَلَى أَحَد قَطُّ، فَأَقْبَلا إِلَيَّ يَمْشِيَانِ، حَتَّى أَخَذَ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا بِعَضُدِي، لا أَجِد لأَحَدِهِمَا مَسًّا فَقَال أَحَدهمَا لصَاحِبِهِ: أَضْجِعْهُ. فَأَضْجَعَانِي بِلا قَصْر وَلا هَصْر. فَقَال أَحَدهمَا لصَاحِبِهِ: افْلقْ صَدْره، فَهَوَى أَحَدهمَا إِلى صَدْرِي فَفَلقَهُ فِيمَا أَرَى بِلا دَم وَلا وَجَع، فَقَال لهُ: أَخْرِجْ الغِلّ وَالحَسَد، فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ العَلقَة ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَال لهُ: أَدْخِل الرَّأْفَة وَالرَّحْمَة، فَإِذَا [مِثْل القمر][2] أَخْرَجَ شِبْه الفِضَّة، ثُمَّ هَزَّ إِبْهَام رِجْلي اليُمْنَى فَقَال: [اغْدُ][3] وَاسْلمْ، فَرَجَعْت بِهَا أَغْدُو رِقَّة عَلى الصَّغِير، وَرَحْمَة للكَبِيرِ».[4]

[وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، بِمَعْنَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الإِنْقَاض: الصَّوْت. وَقَال غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف فِي قَوْله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، أَيْ: أَثْقَلك حَمْله][5]. وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قَال مُجَاهِد: لا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي: أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلَّا الله، وَأَشْهَد أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله وَقَال قَتَادَة: رَفَعَ الله ذِكْره فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَلَيْسَ خَطِيب وَلا مُتَشَهِّد، وَلا صَاحِب صَلاة إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ.

---

(١) في ط: [أنا].
(٢) في الأزهرية: [نشل القهر].
(٣) في الأزهرية: [اغدو].
(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٩)، بسند ضعيف.
(٥) سقط من الأزهرية.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب أَخْبَرَنَا عَمْرو بْن الحَارِث [عَنْ دَرَّاج عَنْ أَبِي الهَيْثَم][1] عَنْ أَبِي سَعِيد عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: «أَتَانِي جِبْرِيل فَقَال: إِنَّ رَبِّي وَرَبّك يَقُول: كَيْفَ رَفَعْت ذِكْرك؟ قَال: الله أَعْلم. قَال: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي».[2] وَكَذَا رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ يُونُس عَنْ عَبْد الأَعْلى بِهِ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلى مِنْ طَرِيق ابْن لِهِيعَة عَنْ دَرَّاج.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أبو زُرْعَة حَدَّثَنَا أَبُو عُمَر الحَوْضِيّ، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن زَيْد حَدَّثَنَا عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**سَأَلت رَبِّي مَسْأَلة وَدِدْت أَنِّي [لمْ أكن سألته]**[3]. **قُلت: قَدْ كانت قَبْلي أَنْبِيَاء مِنْهُمْ مَنْ سُخِّرَتْ لهُ الرِّيح، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِي المَوْتَى. قَال: يَا مُحَمَّد، أَلمْ أَجِدك يَتِيمًا فَآوَيْتُك؟ قلت: بلى يا رب. قال: ألم أجدك ضَالاً فهديتُك؟: بلى يا رب. قال: ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قال: قلت: بلى يا رب. قال: ألم أشرح لك صدرك، أَلمْ أَرْفَع لك ذِكْرك؟ قُلت: بَلى يَا رَبّ**»[4]. [وَقَال أَبُو نُعَيْم فِي «دَلائِل النُّبُوَّة»: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد الغِطْرِيفِيّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن سَهْل الجُوَنِيّ، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن القَاسِم بْن بهرام الهَيْتِيّ، حَدَّثَنَا نَصْر بْن حَمَّاد، عَنْ عُثْمَان بْن عَطَاء عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لَمَّا فَرَغْت مِمَّا أَمَرَنِي الله بِهِ مَنْ أَمَرَ السَّمَوَات وَالأَرْض قُلت: يَا رَبّ، إِنَّهُ لمْ يَكُنْ نَبِيّ قَبْلي إِلَّا وَقَدْ كَرَّمْته، جَعَلت إِبْرَاهِيم خَليلًا، وَمُوسَى كَليمًا، وَسَخَّرْت لدَاوُدَ الجِبَال، وَلسُليْمَانَ الرِّيح وَالشَّيَاطِين، وَأَحْيَيْت لعِيسَى المَوْتَى، فَمَا جَعَلت لي؟ قَال: أَوَليْسَ قَدْ أَعْطَيْتُك أَفْضَل مِنْ ذَلكَ كُلّه؟ إِنِّي لا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، وَجَعَلت صُدُور أُمَّتك أَنَاجِيل، يَقْرَءُونَ القُرْآن ظَاهِرًا، وَلمْ أُعْطِهَا أُمَّة، وَأَعْطَيْتُك كَنْزًا مِنْ كُنُوز عَرْشِي: لا حَوْل وَلا قُوَّة إِلَّا بِالله العَليّ العَظِيم»[5].

وَحَكَى البَغَوِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد أَنَّ المُرَاد بِذَلكَ الأَذَان، يَعْنِي: ذِكْره فِيهِ، وَأَوْرَدَ مِنْ شِعْر حِسَان بْن ثَابِت:

أَغَــــرّ عَلَيْــــهِ للنُّبُــــوَّةِ خَــــاتَم ۞ مِــنْ الله مِــنْ نُــور يَلُــوح وَيَـشْهَدُ

وَضَمَّ الإِلـه اسْم النَّبِـيّ إِلى اسْمه ۞ إِذَا قَـال فِـي الخَمْس المُؤَذِّن: أَشْهَدُ

وَشَـقَّ لَــهُ مِــنْ اسْــمه ليُجِلَّــهُ ۞ فَـذُو العَـرْش مَحْمُـود، وَهَـذَا مُحَمَّـدُ

وَقَال آخَرُونَ: رَفَعَ الله ذِكْره فِي الأَوَّلينَ وَالآخِرِينَ، وَنَوَّهَ بِهِ حِين أَخَذَ المِيثَاق عَلى جميع النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَنْ يَأْمُرُوا أُممهمْ بِالإِيمَانِ بِهِ، ثُمَّ شَهَرَ ذِكْره فِي أُمَّته فَلا يُذْكَر الله إِلَّا ذُكِرَ مَعَهُ. وَمَا أَحْسَن مَا قَال الصَّرْصَرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يَـصِحّ الأَذَان فِـي الفَـرْض إِلاَّ ۞ بِاسْـمِهِ العَـذْب فِـي الفَـم المَرْضِـيّ

وَقَال أَيْضًا:

أَلمْ تَــرَ أَنَّــا لا يَــصِحّ أَذَاننَــا ۞ وَلا فَرْضُـنَا إِنْ لمْ نُكَـرِّرْهُ فِيهِمَـا][6]

وَقَوْله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾، أَخْبَرَ تَعَالى أَنَّ مَعَ العُسْر يُوجَد اليُسْر، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الخَبَر.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثَنَا مَحْمُود بْن غَيْلان، حَدَّثَنَا حُمَيْد بْن حَمَّاد بْن خوار أَبُو الجَهْم حَدَّثَنَا عَائِذ بْن شُرَيْح قَال: سَمِعْت أَنَس بْن مَالك يَقُول: كَانَ النَّبِيّ ﷺ جَالسًا وَحِيَاله حَجَر فَقَال: «لوْ جَاءَ العُسْر فَدَخَل هَذَا الحَجَر

---

(١) في الأزهرية: [عن رواحة عن إبراهيم].

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٣٥) بسند ضعيف. رواية دراج عن أبي الهيثم: ضعيفة.

(٣) في الأزهرية: [لم أكن اسأله].

(٤) **صحيح** : أخرجه الطبراني (١١/ ٤٥٥/ ١٢٢٨٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٣٨).

(٥) **إسناده ضعيف** : فيه نصر بن حماد وشيخه عثمان بن عطاء، كلاهما: ضعيف.

(٦) تقديم وتأخير في الأزهرية.

لجاءَ اليُسر حَتَّى يَدْخل عَلَيْهِ [فيُخرِجهُ][1]، فَأَنْزل الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]. وَرَوَاهُ أَبُو بَكْر البَزَّار فِي «مُسْنَده» عَنْ مُحَمَّد بْن مَعْمَر عَنْ حُمَيْد بْن حَمَّاد بِهِ، وَلَفْظه: «لَوْ جَاءَ العُسْر حَتَّى يَدْخُل هَذَا الحَجَر لجَاءَ اليُسْر حَتَّى يُخْرِجهُ». ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، ثُمَّ قَالَ البَزَّار: لا نَعْلم رَوَاهُ عَنْ أَنَس إِلَّا عَائِذ بْن شُرَيْح.

قُلت: وَقَدْ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: فِي حَدِيثه ضَعْف، وَلكِن رَوَاهُ شُعْبَة، عَنْ مُعَاوِيَة بْن قُرَّة، عَنْ رَجُل، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود مَوْقُوفًا.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا الحَسَن بْن مُحَمَّد بْن الصَّبَّاح، حَدَّثَنَا أَبُو قَطَن، حَدَّثَنَا المُبَارَك بْن فَضَالة، عَنْ الحَسَن؛ قَال: كَانُوا يَقُولُونَ: لا يَغْلب عُسْر وَاحِد يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى حَدَّثَنا ابْن ثَوْر عَنْ مَعْمَر عَنْ الحَسَن؛ قَال: خَرَجَ النَّبِيّ ﷺ يَوْمًا مَسْرُورًا فَرِحًا وَهُوَ يَضْحَك وَهُوَ يَقُول: «لنْ يَغْلب عُسْر يُسْرَيْنِ، لنْ يَغْلب عُسْر يُسْرَيْن. إن مَعَ العُسْر يُسْرًا، إِنَّ مَعَ العُسْر يُسْرًا». وَكَذَا رَوَاهُ مِنْ حَدِيث عَوْف الأَعْرَابِيّ وَيُونُس بْن عُبَيْد عَنْ الحَسَن مُرْسَلًا. وَقَال سَعِيد، عَنْ قَتَادَة: ذُكِرَ لنَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ بَشَّرَ أَصْحَابه بِهَذِهِ الآيَة. فَقَال: «لنْ يَغْلب عُسْر يُسْرَيْنِ».[3] وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ العُسْر مُعَرَّف فِي الحَالَيْنِ فَهُوَ مُفْرَد، وَاليُسْر مُنَكَّر فَتعَدَّدَ، وَلهَذَا قَال: «لنْ يَغْلب عُسْر يُسْرَيْنِ». يَعْنِي قَوْله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فَالعُسْر الأَوَّل عَيْن الثَّانِي، وَاليُسْر تَعَدَّد.

وَقَال الحَسَن بْن سُفْيَان: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن صَالح، حَدَّثَنَا خَارِجَة عَنْ عَبَّاد بْن كَثِير عَنْ أَبِي الزِّنَاد عَنْ أَبِي صَالح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**نزل المَعُونَة مِنْ السَّمَاء عَلى قَدْر المئونة، وَنَزَل الصَّبْر عَلى قَدْر المُصِيبَة**».[4] وَمِمَّا يُرْوَى عَنْ الشَّافِعِيّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَال:

صَبْرًا جَمِيلاً مَا أَقْرَب الفَرَجَا ❁ مَنْ رَاقَبَ الله فِي الأُمُور نَجَا
مَنْ صَدَقَ الله لمْ يَنَلْهُ أَذَى ❁ وَمَنْ رَجَاهُ يَكُون حَيْثُ رَجَا

وَقَال ابْن دُرَيْد: أَنْشَدَنِي أَبُو حَاتِم السِّجِسْتَانِيّ:

إِذَا اشْتَمَلتْ عَلى اليَأْس القُلُوبُ ❁ وَضَاقَ لمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَأَتْ المَكَارِه وَاطْمَأَنَّتْ ❁ وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الخُطُوبُ
وَلمْ تَرَ لانْكِشَافِ الضُّرّ وَجْهًا ❁ وَلا أَغْنَى بِحِيلتِهِ الأَرِيبُ
أَتَاك عَلى قُنُوط مِنْك غَوْثٌ ❁ يَمُنّ بِهِ اللَّطِيف المُسْتَجِيبُ
وَكُلّ الحَادِثَات إِذَا تَنَاهَتْ ❁ فَمَوْصُولٌ بِهَا الفَرَج القَرِيبُ

وَقَال آخَر:

وَلرُبَّ نَازِلة يَضِيقُ بِهَا الفَتَى ❁ ذَرْعًا وَعِنْد الله مِنْهَا المَخْرَجُ
كَمُلتْ فَلمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلقَاتهَا ❁ فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنّهَا لا تُفْرَجُ

وَقَوْله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، أَيْ: إِذَا فَرَغْت مِنْ أُمُور الدُّنْيَا وَأَشْغَالهَا وَقَطَعْت عَلائِقهَا، فَانْصَبْ فِي العِبَادَة، وَقُمْ إِليْهَا نَشِيطًا فَارِغ البَال، وَأَخْلص لرَبِّك النِّيَّة وَالرَّغْبَة. وَمِنْ هَذَا القَبِيل قَوْله ﷺ فِي

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٠٦/ ١٠٠١٢) بسند ضعيف، فيه عائذ بن شريح: ضعيف. والراوي عنه حميد بن حماد: لين الحديث.
(٣) **مرسل** : أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٦) مرسلاً.
(٤) **إسناده ضعيف جدًا** : فيه عباد بن كثير الثقفي: متروك الحديث.

الحديث المتفق على صحته: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان»[١]. وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء»[٢]. قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة، فانصب لربك، وفي رواية عنه: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض [فانصب][٣] في قيام الليل. وعن ابن عياض نحوه. وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾، بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ يعني: في الدعاء. وقال زيد بن أسلم، والضحاك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾، أي: من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾، أي: في العبادة. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾. قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ﷻ.

آخر تفسير سورة «ألم نشرح»، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

تفسير سورة التين وهي مكية

(ترتيبها ٩٥) (آياتها ٨)

قال مالك وشعبة، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب: «كان النبي ﷺ يقرأ في سفر في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه»[٤] أخرجه الجماعة في كتبهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة، فقيل: المراد بالتين مسجد دمشق. وقيل: هي نفسها، وقيل: الجبل الذي عندها. وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف. وروى العوفي عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي. وقال مجاهد: هو تينكم هذا. ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾، قال كعب الأحبار، وقتادة وابن زيد، وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس. وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، قال كعب الأحبار وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني مكة. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي وابن زيد وكعب الأحبار. ولا خلاف في ذلك. وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار.

فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا، وهو الذي أرسل فيه محمدًا ﷺ. قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: (جاء الله من طور سيناء -يعني الذي كلم الله عليه موسى- وأشرق من ساعير -يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه

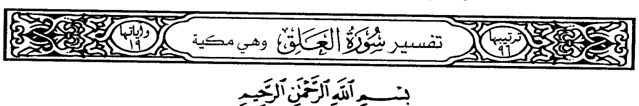
(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٦٠).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٤٦٥)، ومسلم (٥٥٨).
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٦٧)، ومسلم (٤٦٤).

عِيسَى- وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَال فَارَان -يَعْنِي: جِبَال مَكَّة الَّتِي أَرْسَل الله فيها مُحَمَّدًا ﷺ-) فَذَكَرَهُمْ عَلَى التَّرْتِيب الوُجُودِيّ بِحَسَبِ تَرْتِيبهمْ الزَّمَان، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالأَشْرَفِ ثُمَّ الأَشْرَف مِنْهُ ثُمَّ بِالأَشْرَفِ مِنْهُمَا.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هَذَا هُوَ المُقْسَم عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الإِنْسَان فِي أَحْسَن صُورَة وَشَكْل، مُنْتَصِب القَامَة سَوِيّ الأَعْضَاء حَسَنهَا. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، أَيْ: إِلَى النَّار؛ قَالَهُ مُجَاهِد وَأَبُو العَالِيَة وَالحَسَن، وَابْن زَيْد وَغَيْرهمْ ثُمَّ بَعْد هَذَا الحُسْن وَالنُّضَارَة مَصِير إِلَى النَّار إِنْ لَمْ يُطِعْ الله وَيَتَّبِع الرُّسُل. ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، أَيْ: إِلَى أَرْذَل العُمُر. رُوِيَ هَذَا عَنْ ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، حَتَّى قَال عِكْرِمَة: مَنْ جَمَعَ القُرْآن لَمْ يُرَدّ إِلَى أَرْذَل العُمُر. وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْن جَرِير وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ المُرَاد لَمَا حَسُنَ اسْتِثْنَاء المُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ؛ لأَنَّ الهَرَم قَدْ يُصِيب بَعْضهمْ، وَإِنَّمَا المُرَاد مَا ذَكَرْنَاهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، أَيْ: غَيْر مَقْطُوع كما تقدم.

ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، يعني: يا بن آدم ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ أَيْ: بِالجَزَاءِ فِي المَعَاد، وَلَقَدْ عَلِمْت البَدَاءَة وَعَرَفْت أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى البَدَاءَة، فَهُوَ قَادِر عَلَى الرَّجْعَة بِطَرِيقِ الأَوْلَى، فَأَيّ شَيْء يَحْمِلك عَلَى التَّكْذِيب بِالمَعَادِ وَقَدْ عَرَفْت هَذَا؟ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سِنَان، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ سُفْيَان عَنْ مَنْصُور قَال: قُلْت لِمُجَاهِدٍ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ عَنَى بِهِ النَّبِيّ ﷺ؟ قَال: مَعَاذ الله، عَنَى بِهِ الإِنْسَان. وَهَكَذَا قَال عِكْرِمَة وَغَيْره. وقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، أَيْ: أَمَا هُوَ أَحْكَم الحَاكِمِينَ، الَّذِي لا يَجُور وَلا يَظْلِم أَحَدًا، وَمِنْ عَدْله أَنْ يُقِيم القِيَامَة، فينصف المظلوم فِي الدُّنْيَا مِمَّنْ ظَلَمَهُ. وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا: «فَإِذَا قَرَأَ أَحَدكُمْ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فَأَتَى عَلَى آخِرهَا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، فَلْيَقُل: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ».[1]

آخِر تَفْسِير سُورَة «وَالتِّين وَالزَّيْتُون»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة قَالَتْ: أَوَّل مَا بُدِئَ بِهِ رَسُول الله ﷺ مِنْ الوَحْي الرُّؤْيَا الصَّادِقَة فِي النَّوْم، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْل فَلَق الصُّبْح، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاء، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاء فَيَتَحَنَّث فِيهِ -وَهُوَ: التَّعَبُّد اللَّيَالِي ذَوَات العَدَد-، وَيَتَزَوَّد لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِع إِلَى خَدِيجَة، فتزوِّده لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَأَهُ الحق وَهُوَ فِي غَار حِرَاء، فَجَاءَهُ المَلَك فِيهِ، فَقَال: اقْرَأْ. قَال رَسُول الله ﷺ: فَقُلْت: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». قَال: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْد، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَال: اقْرَأْ، فَقُلْت: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». فَغَطَّنِي الثَّانِيَة حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْد، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَال: اقْرَأْ. فَقُلْت: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». فَغَطَّنِي الثَّالِثَة حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْد، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. قَال: فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِره حَتَّى دَخَل عَلَى

---

(١) ضعيف: تقدم.

خَدِيجَة فَقَال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْع. فَقَال: «يَا خَدِيجَة؛ مَا لي؟» وَأَخْبَرَهَا الخَبَر، وَقَال: «قَدْ خَشِيت عليَّ». فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَالله لا يُخْزِيك الله أَبَدًا، إِنَّك لتَصِلُ الرَّحِم، وَتَصْدُق الحَدِيث، وَتَحْمِل الكَلّ، وَتَقْرِي الضَّيْف، وَتُعِين عَلى نَوَائِب الحَقّ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَة حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَة بْن نَوْفَل بْن أَسَد بْن عَبْد العُزَّى بْن قُصَيّ -وَهُوَ ابْن عَمّ خَدِيجَة، أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّة، وَكَانَ يَكْتُب الكِتَاب العَرَبِيّ، وَكَتَبَ بِالعَرَبِيَّةِ مِنْ الإِنْجِيل مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُب، وَكَانَ شيخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ خَدِيجَة: أَيْ ابْن عَمّ؛ اسْمَعْ مِنْ ابْن أَخِيك. فَقَال وَرَقَة: ابْن أَخِي، مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُول الله ﷺ بِمَا رَأَى، فَقَال وَرَقَة: هَذَا النَّامُوس الَّذِي أُنْزِل عَلَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُون حَيًّا حِين يُخْرِجك قَوْمك. فَقَال رَسُول الله ﷺ : «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟». فَقَال وَرَقَة: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُل قَطُّ بِمَا جِئْت بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكنِي يَوْمك أَنْصُرك نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَب وَرَقَة أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْي فَتْرَة حَتَّى حَزِنَ رَسُول الله ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوس شَوَاهِق الجِبَال، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَل لِكَيْ يُلْقِي نَفْسه مِنْهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيل فَقَال لَه: يَا مُحَمَّد إِنَّك رَسُول الله حَقًّا، فَيَسْكُن بِذَلِكَ جَأْشه، وَتَقِرّ نَفْسه فَيَرْجِع، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَة الوَحْي غَدَا لِمِثْل ذَلِك، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جبلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيل، فَقَال لَهُ مِثْل ذَلِكَ.[1] وَهَذَا الحَدِيث مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلى هَذَا الحَدِيث مِنْ جِهَة سَنَده وَمَتْنه وَمَعَانِيه فِي أَوَّل شَرْحِنَا لِلبُخَارِيِّ مُسْتَقْصًى، فَمَنْ أَرَادَهُ فَهُوَ هُنَاكَ مُحَرَّر، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة. فَأَوَّل شَيْء نَزَل مِنْ القُرْآن هَذِهِ الآيَات الكَرِيمَات المُبَارَكَات، وَهُنَّ أَوَّل رَحْمَة رَحِمَ الله بِهَا العِبَاد وَأَوَّل نِعْمَة أَنْعَمَ الله بِهَا عَلَيْهِمْ. وفيها التَّنْبِيه عَلى ابتداء خَلق الإِنْسَان مِنْ علقَة، وأَنَّ مِنْ كَرَمه تَعَالى أَنْ عَلَّمَ الإِنْسَان مَا لَمْ يَعْلم، فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالعِلم، وَهُوَ القَدْر الَّذِي امْتَازَ بِهِ أَبُو البَرِيَّة آدَم عَلى المَلَائِكَة، وَالعِلم تَارَة يَكُون فِي الأَذْهَان، وَتَارَة يَكُون فِي اللِّسَان، وَتَارَة يَكُون فِي الكِتَابَة بِالبَنَانِ؛ ذِهْنِيٌّ وَلَفْظِيٌّ وَرَسْمِيٌّ. وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلزِمهُمَا مِنْ غَيْر عَكْس، فَلهَذَا قَال: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾. وَفِي الأَثَر: «قَيِّدُوا العِلم بالكِتَابَةِ»[2] وَفِيهِ أَيْضًا: «مَنْ عَمِل بِمَا عَلِمَ رزقه الله عِلمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلم».[3]

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ الإِنْسَان أَنَّهُ ذُو فَرَح وَأَشَر وَبَطَر وَطُغْيَان، إِذَا رَأَى نَفْسه قَدْ اسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَاله، ثُمَّ تَهَدَّدَهُ وَتَوَعَّدَهُ وَوَعَظَهُ، فَقَال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾، أَيْ: إِلى الله المَصِير وَالمَرْجِع وَسَيُحَاسِبُك عَلى مَالك: مِنْ أَيْنَ جَمَعْته؟ وَفِيمَ صَرَفْته؟ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا زَيْد بْن إِسْمَاعِيل الصَّائِغ حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن عَوْن حَدَّثَنَا أَبُو عُمَيْس عَنْ عَوْن قَال: قَال عَبْد الله: «مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ صَاحِب العِلم وَصَاحِب الدُّنْيَا، وَلا يَسْتَوِيَانِ، فَأَمَّا صَاحِب العِلم فَيَزْدَاد رِضَا الرَّحْمَن، وَأَمَّا صَاحِب الدُّنْيَا فَيَتَمَادَى فِي الطُّغْيَان». قَال: ثُمَّ قَرَأَ عَبْد الله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) صحيح : أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٣٩٥)، والخطيب في كتابه «تقييد العلم» من طرق عن أنس مرفوعًا. وقال الألباني: صحيح بمجموع طرقه في «الصحيحة» (٢٠٢٦).

(٣) موضوع : أخرجه أبو نعيم (١٠/ ١٤-١٥)، ثم قال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن عيسي ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ ، فوضع الإسناد عليه لسهولته وقربه. وقال الألباني: موضوع. انظر «الضعيفة» (٤٢٢).

ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾، وَقَال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَرْفُوعًا إِلى رَسُول الله ﷺ : «**مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ: طَالب عِلم، وَطَالب دُنْيَا**».[1]

ثم قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾، نَزَلتْ فِي أَبِي جَهْل لعَنَهُ الله، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلى الصَّلاة عِنْد البَيْت، فَوَعَظَهُ الله تَعَالى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن أَوَّلًا، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾، أَيْ: فَمَا ظَنّك إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلى الطَّرِيق المُسْتَقِيمَة فِي فِعْل، ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ بِقَوْلِهِ، وَأَنْتَ تَزْجُرهُ وَتَتَوَعَّدهُ عَلى صَلاته، وَلهَذَا قَال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أَيْ: أَمَا عَلمَ هَذَا النَّاهِي لهَذَا المُهْتَدِي أَنَّ الله يَرَاهُ، وَيَسْمَع كَلامه، وَسَيُجَازِيهِ عَلى فِعْله أَتَمّ الجَزَاء.

ثُمَّ قَال تَعَالى مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾، أَيْ: لَئِنْ لمْ يَرْجِع عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ الشِّقَاق وَالعِنَاد، ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾، أَيْ: لنَسِمَنَّهَا سَوَادًا يَوْم القِيَامَة. ثُمَّ قَال: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، يَعْنِي: نَاصِيَة أَبِي جَهْل كَاذِبَة فِي مَقَالهَا خَاطِئَة فِي فِعَالها. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾، أَيْ: قَوْمه وَعَشِيرَته، أَيْ: ليَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِر بِهِمْ، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، وَهُمْ مَلائِكَة العَذَاب، حَتَّى يَعْلم مَنْ يَغْلب: أَحِزْبنَا أَوْ حِزْبه؟

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر عَنْ عَبْد الكَرِيم الجَزَرِيّ عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: قَال أَبُو جَهْل: لئِنْ رَأَيْت مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْد الكَعْبَة لأَطَأَنَّ عَلى عُنُقه فَبَلغَ النَّبِيّ ﷺ ، فَقَال: «**لئِنْ فعله لأَخَذَتْهُ المَلائِكَة**».[2] ثُمَّ قَال: تَابَعَهُ عَمْرو بْن خَالد، عَنْ عُبَيْد الله -يَعْنِي ابْن عَمْرو- عَنْ عَبْد الكَرِيم. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ فِي تَفْسِيرهمَا مِنْ طَرِيق عَبْد الرَّزَّاق بِهِ، وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن جَرِير عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ زَكَرِيَّا بْن عَدِيّ عَنْ عُبَيْد الله بْن عَمْرو بِهِ. وَرَوَى أَحْمَد، وَالتِّرْمِذِيّ، وَابْن جَرِير -وَهَذَا لفْظه- مِنْ طَرِيق دَاوُد بْن أَبِي هِنْد عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي عِنْد المَقَام، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْل ابْن هِشَام؛ فَقَال: يَا مُحَمَّد، أَلمْ أَنْهَك عَنْ هَذَا ؟ وَتَوَعَّدَهُ فَأَغْلظَ لهُ رَسُول الله ﷺ وَانْتَهَرَهُ، فَقَال: يَا مُحَمَّد؛ بِأَيِّ شَيْء تُهَدِّدنِي؟ أَمَا وَالله إِنِّي لأَكْثَر هَذَا الوَادِي نَادِيًا، فَأَنْزَل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[3]، وَقَال ابْن عَبَّاس: لوْ دَعَا نَادِيَهُ لأَخَذَتْهُ مَلائِكَة العَذَاب مِنْ سَاعَته. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن زيد أَبُو يَزِيد حَدَّثَنَا فُرَات عَنْ عَبْد الكَرِيم عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال أَبُو جَهْل: لئِنْ رَأَيْت رَسُول الله [يُصَلِّي][4] عِنْد الكَعْبَة لآتِيَنَّهُ حَتَّى أَطَأ عَلى عُنُقه، قَال: فَقَال: «**لوْ فَعَل لأَخَذَتْهُ المَلائِكَة عِيَانًا، وَلوْ أَنَّ اليَهُود تَمَنَّوْا المَوْت لمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدهمْ مِنْ النَّار، وَلوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُول الله ﷺ لرَجَعُوا لا يَجِدُونَ مَالاً وَلا أَهْلاً**».[5]

وَقَال ابْن جَرِير أَيْضًا: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن وَاضِح، أَخْبَرَنَا [يُونُس بْن أَبِي إِسْحَاق][6]، عَنْ الوَليد بْن العَيْزَار، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال أَبُو جَهْل: لئِنْ عَادَ مُحَمَّد يُصَلِّي عِنْد المَقَام لأَقْتُلنَّهُ. فَأَنْزَل الله ﷻ : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، حَتَّى بَلغَ هَذِهِ الآيَة: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ

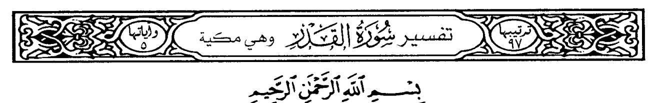
---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٦٢٤).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٤٩٥٨).
(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد (١/ ٣٣٩)، والترمذي (٣٣٤٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥).
(٤) سقط من الأزهرية.
(٥) **صحيح** : تقـدم.
(٦) في الأزهرية: [يونس بن إسحاق].

﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، فَجَاءَ النَّبِيّ ﷺ فَصَلَّى فَقِيل: مَا يَمْنَعك؟ قَال: قَدْ اسْوَدَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنه مِنْ الكَتَائِب، قَال ابْن عَبَّاس: وَالله لَوْ تَحَرَّكَ لأَخَذَتْهُ المَلائِكَة وَالنَّاس يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. [١]

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى حَدَّثَنَا المُعْتَمِر عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنَا نُعَيْم بْن أَبِي هِنْد عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال أَبُو جَهْل: هَل يُعَفِّر مُحَمَّد وَجْهه بَيْن أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَال: فَقَال: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى؛ لَئِنْ رَأَيْته يُصَلِّي كَذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلى رَقَبَته، وَلأُعَفِّرَنَّ وَجْهه فِي التُّرَاب، فَأَتَى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ عَلى رَقَبَته قَال: فَمَا فَجَأَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُص عَلى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَال: فَقِيل لهُ: مَا لك؟ فَقَال: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنه خَنْدَقًا مِنْ نَار وَهَوْلًا وَأَجْنِحَة قَال: فَقَال رَسُول الله ﷺ: **«لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَة عُضْوًا عُضْوًا»**. قَال: وَأَنْزَل الله لا أَدْرِي فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة أَمْ لا ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إِلى آخِر السُّورَة. وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَد بْن حَنْبَل، وَمُسْلم وَالنَّسَائِيّ وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث مُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان بِهِ. وَقَوْله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾، يَعْنِي: يَا مُحَمَّد، لا تُطِعْهُ فِيمَا يَنْهَاك عَنْهُ مِنْ المُدَاوَمَة عَلى العِبَادَة وَكَثْرَتهَا، وَصَلِّ حَيْثُ شِئْت وَلا تُبَالِهِ، فَإِنَّ الله حَافِظُك وَنَاصِرُك، وَهُوَ يَعْصِمُك مِنْ النَّاس، ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح» عِنْد مُسْلم مِنْ طَرِيق عَبْد الله بْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث عَنْ عُمَارَة بْن غَزِيَّة عَنْ سُمَيّ عَنْ أَبِي صَالح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«أَقْرَب مَا يَكُون العَبْد مِنْ رَبِّه وَهُوَ سَاجِد؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاء»**. [٢] وَتَقَدَّمَ أَيْضًا: «أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَسْجُد فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وَ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾». [٣]

آخِر تَفْسِير سُورَة «اقْرَأْ»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وَبِهِ التَّوْفِيق



تفسير سُورَةُ القَدْرِ وهي مكية

ترتيبها ٩٧ — وآياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

يُخْبِر الله تَعَالى أَنَّهُ أَنْزَل القُرْآن لَيْلة القَدْر، وَهِيَ اللَّيْلة المُبَارَكَة الَّتِي قَال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وَهِيَ لَيْلة القَدْر، وَهِيَ مِنْ شَهْر رَمَضَان، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾. قَال ابْن عَبَّاس وَغَيْره: أَنْزَل الله القُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة مِنْ اللَّوْح المَحْفُوظ إِلى بَيْت العِزَّة مِنْ السَّمَاء الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَل مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الوَقَائِع فِي ثَلاث وَعِشْرِينَ سَنَة عَلى رَسُول الله ﷺ. ثُمَّ قَال تَعَالى مُعَظِّمًا لشَأْنِ لَيْلة القَدْر، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَال القُرْآن العَظِيم فِيهَا، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. [٤]

قَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ عِنْد تَفْسِير هَذِه الآيَة: حَدَّثَنَا مَحْمُود بْن غَيْلان حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ حَدَّثَنَا القَاسِم بْن الفَضْل الحُدَّانِيّ عَنْ يُوسُف بْن سَعْد قَال: قَامَ رَجُل إِلى الحَسَن بْن عَلِيّ بَعْدَمَا بَايَعَ مُعَاوِيَة، فَقَال:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٩٧).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٢).
(٣) صحيح: تقدم.
(٤) إسناده ضعيف: تقدم.

سَوَّدْت وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ يَا مُسَوِّد وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَال: لا تُؤَنِّبْنِي -رَحِمَكَ الله-، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيَ بَنِي أُمَيَّة عَلى مِنْبَرِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، يَا مُحَمَّد يعني: نهرًا فِي الجَنَّة، وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، يَمْلكُهَا بَعْدَكَ بَنُو أُمَيَّة يَا مُحَمَّد. قَال القَاسِم: فَعَدَدْنَا فَإِذَا هِيَ أَلْف شَهْر لا تَزِيد يَوْمًا وَلا تَنْقُص يومًا.[1] ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث غَرِيب، لا نَعْرِفهُ [إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه مِنْ][2] حَدِيث القَاسِم بْن الفَضْل، وهُوَ ثِقَة وَثَّقَهُ يَحْيَى القَطَّان وابن مَهْدِيّ. قَال: وَشَيْخه يُوسُف بْن سَعْد -وَيُقَال: يُوسُف بْن مَازِن- رَجُل مَجْهُول، وَلا نعرف هَذَا الحَدِيث عَلى هَذَا اللَّفْظ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَدْ رَوَى هَذَا الحَدِيث الحَاكِم فِي «مُسْتَدْرَكه»، مِنْ طَرِيق القَاسِم بْن الفَضْل عَنْ يُوسُف بْن مَازِن بِهِ وَقَوْل التِّرْمِذِيّ: إِنَّ يُوسُف هَذَا مَجْهُول فِيهِ نَظَر، فَإِنَّهُ قَدْ رَوَى عَنْهُ جَمَاعَة مِنْهُمْ حَمَّاد بْن سَلَمَة، وَخَالد الحَذَّاء وَيُونُس بْن عُبَيْد. وقال فِيهِ يَحْيَى بْن مَعِين: هُوَ مَشْهُور. وَفِي رِوَايَة عَنْ ابْن مَعِين: هُوَ ثِقَة. وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ طَرِيق القَاسِم بْن الفَضْل عَنْ [عيسى][3] بْن مَازِن، كَذَا قَال، وهذا يَقْتَضِي اضْطِرَابًا فِي هَذَا الحَدِيث، وَالله أَعْلم. ثُمَّ هَذَا الحَدِيث عَلى كُلّ تَقْدِير مُنْكَر جِدًّا، قَال شَيْخنَا الإِمَام الحَافِظ الحُجَّة أَبُو الحَجَّاج المِزِّيّ: هُوَ حَدِيث مُنْكَر.

قُلت: وَقَوْل القَاسِم بْن الفَضْل الحُدَّانِيّ: إِنَّهُ حَسَبَ مُدَّة بَنِي أُمَيَّة فَوَجَدَهَا أَلف شَهْر لا تَزِيد يَوْمًا وَلا تَنْقُص. لَيْسَ بِصَحِيح؛ فَإِنَّ مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَان ﷺ اسْتَقَلَّ بِالمُلْكِ حِين سَلَّمَ إِلَيْهِ الحَسَن بْن عَلِيّ الإِمْرَة سَنَة أَرْبَعِينَ وَاجْتَمَعَتْ البَيْعَة لِمُعَاوِيَةَ سُمِّيَ ذَلِكَ عَام الجَمَاعَة، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا فِيهَا مُتَتَابِعِينَ بِالشَّام وَغَيْرهَا، لمْ تَخْرُج عَنْهُمْ إِلَّا مُدَّة دَوْلَة عَبْد الله بْن الزُّبَيْر فِي الحَرَمَيْنِ وَالأَهْوَاز وَبَعْض البِلاد قَرِيبًا مِنْ تِسْع سِنِينَ، لكِنْ لمْ تَزُل [يَدهمْ][4] عَنْ الإِمْرَة بِالكُلِّيَّةِ بَل عَنْ بَعْض البِلاد، إِلى أَنْ اسْتَلَبَهُمْ بَنُو العَبَّاس الخِلافَة فِي سَنَة اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَمِائَة، فَيَكُون مَجْمُوع مُدَّتهمْ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَة، وَذَلِكَ أَزْيَد مِنْ أَلف شَهْر، فَإِنَّ الأَلْف شَهْر عِبَارَة عَنْ ثَلاث وَثَمَانِينَ سَنَة وَأَرْبَعَة أَشْهُر، وَكَأَنَّ القَاسِم بْن الفَضْل أَسْقَطَ مِنْ مُدَّتهمْ أَيَّام ابْن الزُّبَيْر، وَعَلى هَذَا فتقارب مَا قَالهُ للصحة فِي الحِسَاب، وَالله أَعْلم.

وَمِمَّا يَدُلّ عَلى ضَعْف هَذَا الحَدِيث أَنَّهُ سِيقَ لِذَمِّ دولة بَنِي أُمَيَّة، وَلوْ أُرِيد ذَلِكَ لمْ يَكُنْ بِهَذَا السِّيَاق، فَإِنَّ تَفْضِيل لَيْلة القَدْر عَلى أَيَّامهمْ لا يَدُلّ عَلى ذَمّ أَيَّامهمْ، فَإِنَّ لَيْلة القَدْر شَرِيفَة جِدًّا، وَالسُّورَة الكَرِيمَة إِنَّمَا جَاءَتْ لِمَدْحِ لَيْلة القَدْر، فَكَيْفَ تُمْدَح بِتَفْضِيلهَا عَلى أَيَّام بَنِي أُمَيَّة الَّتِي هِيَ مَذْمُومَة بِمُقْتَضَى هَذَا الحَدِيث، وَهَل هَذَا إِلَّا كَمَا قَال القَائِل:

أَلمْ تَـرَ أَنَّ الـسَّيْفَ يَـنْقُصُ قَـدْرُهُ ۞ إِذَا قِيل: إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنْ العَصَا

وَقَال آخَر:

إِذَا أَنْـتَ فَـضَّلت امْـرءًا ذَا بَرَاعَـة ۞ عَلى نَاقِص كَانَ المَدِيحُ مِنْ النَّقْص

ثُمَّ الَّذِي يَفْهَم من ولاية الأَلف شَهْر المَذْكُورَة فِي الآيَة هِيَ أَيَّام بَنِي أُمَيَّة، وَالسُّورَة مَكِّيَّة، فَكَيْف يُحَال عَلى أَلف شَهْر هِيَ دَوْلة بَنِي أُمَيَّة، وَلا يَدُلّ عَلَيْهَا لفْظ الآيَة وَلا مَعْنَاهَا، وَالمِنْبَر إِنَّمَا صُنِعَ بِالمَدِينَةِ بَعْد مُدَّة مِنْ الهِجْرَة، فَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَدُلّ عَلى ضَعْف هذا الحَدِيث وَنكَارَته، وَالله أَعْلم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، أَخْبَرَنَا مُسْلم -يَعْنِي ابْن خَالد- عَنْ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٣٤٧)، وقال الألباني: ضعيف الإسناد مضطرب، ومتنه منكر، انظر «ضعيف سنن الترمذي».
(٢) في الأزهرية: [إلا من حديث].
(٣) في الأزهرية: [عسى].
(٤) في الأزهرية: [مدتهم].

ابن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل لَبِسَ السِّلاح فِي سَبِيل الله أَلف شَهْر، قَال: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، قَال: فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، الَّتِي لَبِسَ ذَلِكَ الرَّجُل السِّلاح فِي سَبِيل الله أَلف شَهْر.[1]

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا حَكَّام بْن سلم، عَنْ الْمُثَنَّى بْن الصَّبَّاح، عَنْ مُجَاهِد قَال: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل رَجُل يَقُوم اللَّيْل حَتَّى يُصْبِح، ثُمَّ يُجَاهِد الْعَدُوّ بِالنَّهَارِ حَتَّى يُمْسِي، فَفَعَل ذَلِكَ أَلف شَهْر، فَأَنْزَل الله هَذِهِ الآيَة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، قِيَام تِلْكَ اللَّيْلَة خَيْر مِنْ عَمَل ذَلِكَ الرَّجُل.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: أَخْبَرَنَا يُونُس، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، حَدَّثَنِي مَسْلَمَة بْن عَلِيّ، عَنْ عَلِيّ بْن عُرْوَة قَال: ذَكَرَ رَسُول الله ﷺ يَوْمًا أَرْبَعَة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، عَبَدُوا الله ثَمَانِينَ عَامًا، لَمْ يَعْصُوهُ طَرْفَة عَيْن فَذَكَرَ: أَيُّوب، وَزَكَرِيَّا، وَحِزْقِيل بْن الْعَجُوز، وَيُوشَع بْن نُون، قَال: فَعَجِبَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ مِنْ ذَلِكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَال: يَا مُحَمَّد عَجِبَتْ أُمَّتُك مِنْ عِبَادَة هَؤُلَاءِ النَّفَر [ثَمَانِينَ][2] سَنَة لَمْ يَعْصُوهُ طَرْفَة عَيْن، فَقَدْ أَنْزَل الله خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، هَذَا أَفْضَل مِمَّا عَجِبْت أَنْتَ وَأُمَّتك قَال: فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُول الله ﷺ وَالنَّاس مَعَهُ.[3]

وَقَال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: بَلَغَنِي عَنْ مُجَاهِد: لَيْلَة الْقَدْر خَيْر مِنْ أَلف شَهْر. قَال: عَمَلهَا، صِيَامهَا وَقِيَامهَا؛ خَيْر مِنْ أَلف شَهْر. رَوَاهُ ابْن جَرِير.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، أَخْبَرَنَا ابْن أَبِي زَائِدَة عَنْ ابْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد: لَيْلَة الْقَدْر خَيْر مِنْ أَلف شَهْر، لَيْسَ فِي تِلْكَ الشُّهُور لَيْلَة الْقَدْر. وَهَكَذَا قَال قَتَادَة ابْن دِعَامَة، وَالشَّافِعِيّ وَغَيْر وَاحِد. وَقَال عَمْرو بْن قَيْس الْمُلَائِيّ: عَمَلٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ عَمَل أَلف شَهْر. وَهَذَا الْقَوْل بِأَنَّهَا أَفْضَل مِنْ عِبَادَة أَلف شَهْر لَيْسَ فِيهَا لَيْلَة الْقَدْر هُوَ اخْتِيَار ابْن جَرِير. وَهُوَ الصَّوَاب لا مَا عَدَاهُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ: **«رِبَاط لَيْلَة فِي سَبِيل الله خير مِنْ أَلف لَيْلَة فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَنَازِل»**[4]. رَوَاهُ أَحْمَد. وَكَمَا جَاءَ فِي قَاصِد الْجُمُعَة بِهَيْئَة حَسَنَة، وَنِيَّة صَالِحَة: «أَنَّهُ يكتب لهُ عَمَل سَنَة أَجْر صِيَامهَا، وَقِيَامهَا»[5] إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الْمَعَانِي الْمُشَابِهَة لِذَلِكَ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا أَيُّوب، عَنْ أَبِي قِلَابَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَال: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَان قَال رَسُول الله ﷺ: **«قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَان شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ الله عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَح فِيهِ أَبْوَاب الْجَنَّة، وَتُغْلَق فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيم، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِين، فِيهِ لَيْلَة خَيْرٌ مِنْ أَلف شَهْر، مَنْ حُرِمَ خَيْرهَا فَقَدْ حُرِمَ»**[6]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث أَيُّوب بِهِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَة الْقَدْر تَعْدِل عِبَادَتهَا عِبَادَة أَلف شَهْر، ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«مَنْ قَامَ لَيْلَة الْقَدْر إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.[7] وَقَوْله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، أَيْ: يَكْثُر تَنَزُّل الْمَلَائِكَة فِي هَذِهِ اللَّيْلَة لِكَثْرَة

---

(١) **مرسل**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٥١)، والبيهقي في «سننه» (٤/ ٣٠٦).

(٢) في الأزهرية: [ثمانون].

(٣) **مرسل**: عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم.

(٤) **صحيح**: تقدم.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٠)، والنسائي (٤/ ١٢٩).

(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

بَرَكَتِهَا، وَالمَلائِكَة يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّل البَرَكَة وَالرَّحْمَة، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْد تِلاوَة القُرْآن، وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْر، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتهمْ لِطَالِبِ العِلم بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ. وَأَمَّا الرُّوح فَقِيل: المُرَاد بِهِ هَهُنَا جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَكُون مِنْ بَاب عَطْف الخَاصّ عَلَى العَامّ. وَقِيل: هُمْ ضَرْب مِنْ المَلائِكَة. كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَة النَّبَأ. وَاللهُ أَعْلَم.

وَقَوْله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، قَالَ مُجَاهِد: سَلَام هِيَ مِنْ كُلّ أَمْر. وَقَالَ سَعِيد بْن مَنْصُور: حَدَّثَنَا عِيسَى بْن يُونُس، حَدَّثَنَا الأَعْمَش، عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾، قَالَ: هِيَ سَالِمَة، لا يَسْتَطِيع الشَّيْطَان أَنْ يَعْمَل فِيهَا سُوءًا أَوْ يَعْمَل فِيهَا أَذًى. وَقَالَ قَتَادَة وَغَيْره: تُقْضَى فِيهَا الأُمُور وَتُقَدَّر الآجَال وَالأَرْزَاق، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. وقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، قال سعيد بن منصور: حدثنا هشيم، عن أبي إسحاق، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، قَالَ: تسلِّم المَلائِكَة لَيْلَة القَدْر عَلَى أَهْل المَسَاجِد، حَتَّى يَطْلُع الفَجْر. وَرَوَى ابْن جَرِير عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأ: (مِنْ كُلّ امْرِئٍ سَلام هِيَ حَتَّى مَطْلَع الفَجْر). وَرَوَى البَيْهَقِيّ فِي كِتَابه «فَضَائِل الأَوْقَات» عَنْ عَلِيّ أَثَرًا غَرِيبًا فِي نُزُول المَلائِكَة، وَمُرُورهمْ عَلَى المُصَلِّينَ لَيْلَة القَدْر، وَحُصُول البَرَكَة لِلمُصَلِّينَ. وَرَوَى ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ كَعْب الأَحْبَار أَثَرًا غَرِيبًا عَجِيبًا مُطَوَّلًا جِدًّا، فِي تَنَزُّل المَلائِكَة مِنْ سِدْرَة المُنْتَهَى صُحْبَة جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الأَرْض، [وَدُعَائِهِمْ][1] لِلمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات.

وَقَالَ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ: حَدَّثَنَا عِمْرَان -يَعْنِي القَطَّان- عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَبِي مَيْمُونَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ فِي لَيْلَة القَدْر: «**إِنَّهَا لَيْلَة سَابِعَة -أَوْ: تَاسِعَة- وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ المَلائِكَة تِلْكَ اللَّيْلَة فِي الأَرْض أَكْثَر مِنْ عَدَد الحَصَى**».[2] وَقَالَ الأَعْمَش عَنْ المِنْهَال، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى فِي قَوْله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾، قَالَ: لا يَحْدُث فِيهَا أَمْر.

وَقَالَ قَتَادَة وَابْن زَيْد فِي قَوْله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾، يَعْنِي: هِيَ خَيْر كُلّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرّ إِلَى مَطْلَع الفَجْر. وَيُؤَيِّد هَذَا المَعْنَى مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَيْوَة بْن شُرَيْح، حَدَّثَنَا بَقِيَّة حَدَّثَنِي بُحَيْر بْن سَعْد عَنْ خَالِد بْن مَعْدَان عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «لَيْلَة القَدْر فِي العَشْر البَوَاقِي، مَنْ قَامَهُنَّ ابْتِغَاء حِسْبَتهنَّ؛ فَإِنَّ الله يَغْفِر لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه وَمَا تَأَخَّرَ، وَهِيَ لَيْلَة وِتْر: تِسْع أَوْ سَبْع أَوْ خَامِسَة أَوْ ثَالِثَة أَوْ آخِر لَيْلَة»[3]. وَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَمَارَة لَيْلَة القَدْر أَنَّهَا صَافِيَة بَلِجَةٌ، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا، سَاكِنَة سَاجِيَة، لا بَرْد فِيهَا وَلا حَرّ، وَلا [يَحِلّ][4] لِكَوْكَبٍ يُرْمَى بِهِ فِيهَا حَتَّى تُصْبِح، وَإِنَّ أَمَارَتهَا أَنَّ الشَّمْس صَبِيحَتهَا تَخْرُج مُسْتَوِيَة لَيْسَ لَهَا شُعَاع مِثْل القَمَر لَيْلَة البَدْر، وَلا يَحِلّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُج مَعَهَا يَوْمَئِذٍ». وَهَذَا إِسْنَاد حَسَن، وَفِي المَتْن غَرَابَة، وَفِي بَعْض أَلْفَاظه نَكَارَة.

وَقَالَ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ: حَدَّثَنَا زَمْعَة عَنْ سَلَمَة بْن وَهْرَام، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ فِي لَيْلَة القَدْر: «**لَيْلَة سَمْحَة طَلِقَة، لا حَارَّة وَلا بَارِدَة، وَتُصْبِح شَمْس صَبِيحَتهَا ضَعِيفَة حَمْرَاء**».[5]

وَرَوَى ابْن أَبِي عَاصِم النَّبِيل بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِنِّي رَأَيْت لَيْلَة القَدْر**

---

(١) في الأزهرية: [دعاؤهم].

(٢) **حسن** : أخرجه الطيالسي (٣٣٢)، ورجاله ثقات، لكن قتادة مدلس وقد عنعن، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٤٧٣).

(٣) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣)، فيه خالد بن معدان: كثير الإرسال.

(٤) في الأزهرية: [حل].

(٥) **صحيح** : أخرجه الطيالسي (٣٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٤٧٥).

فَأُنْسِيتهَا، وَهِيَ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ لَيَالِيهَا، وهي ليلة طَلقَة بَلجَة، لا حَارَّة وَلا بَارِدَة، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا، لا يَخْرُج شَيْطَانها حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا».

فَصْلٌ: اخْتَلفَ العُلَمَاء هَل كَانَتْ لَيْلة القَدْرِ فِي الأُمَم السَّالفَة، أَوْ هِيَ مِنْ خَصَائِص هَذِهِ الأُمَّة؟ عَلى قَوْلَيْنِ:
قَال أَبُو مُصْعَب أَحْمَد بْن أَبِي بَكْر الزُّهْرِيّ: حَدَّثَنَا مَالك أَنَّهُ بَلغَهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ أُرِيَ أَعْمَار النَّاس قَبْله -أَوْ: مَا شَاءَ الله مِنْ ذَلكَ- فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَار أُمَّته أَنْ لا يَبْلُغُوا مِنْ العَمَل الَّذِي بَلغَ غَيْرهمْ فِي طُول العُمُر فَأَعْطَاهُ الله لَيْلة القَدْر خيرًا مِنْ أَلف شَهْر.[1] وَقَدْ أَسْنَدَ مِنْ وَجْه آخَر. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ مَالك يَقْتَضِي تَخْصِيص هَذِهِ الأُمَّة بِلَيْلَةِ القَدْر وَقَدْ نَقَلهُ صَاحِب «العِدَّة» أَحَد أَئِمَّة الشَّافِعِيَّة عَنْ جُمْهُور العُلَمَاء، فَالله أَعْلم. وَحَكَى الخَطَّابِيّ عَلَيْهِ الإِجْمَاع، وَالَّذِي دَلَّ عَليْهِ الحَدِيث أَنَّهَا كَانَتْ فِي الأُمَم المَاضِينَ كَمَا هِيَ فِي أُمَّتنَا.

قَال أَحْمَد بْن حَنْبَل: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد، عَنْ عِكْرِمَة بْن عَمَّار: حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْل سِمَاك الحَنَفِيّ: حَدَّثَنِي مَالك بْن مَرْثَد بْن عَبْد الله، حَدَّثَنِي مَرْثَد قَال: سأَلت أَبَا ذَرّ قُلت: كَيْف سَأَلت رَسُول الله ﷺ عَنْ لَيْلة القَدْر؟ قَال: أَنَا كُنْت أَسْأَل النَّاس عَنْهَا، قُلت: يَا رَسُول الله، أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلة القَدْر، أَفِي رَمَضَان هِيَ أَوْ فِي غَيْره؟ قَال: «بَل هِيَ فِي رَمَضَان». قُلت: تَكُون مَعَ الأَنْبِيَاء، مَا كَانُوا، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ؟ أَمْ هِيَ إِلى يَوْم القِيَامَة؟ قَال: «بَل هِيَ إِلى يَوْم القِيَامَة». قُلت: فِي أَيّ رَمَضَان هِيَ؟ قَال: «التَمِسُوهَا فِي العَشْر الأُوَل وَالعَشْر الأواخر». ثُمَّ حَدَّث رَسُول الله ﷺ وَحَدَّثَ، ثُمَّ اهْتَبَلتُ غَفْلته، قُلت: فِي أَيّ العِشْرِينَ هِيَ؟ قَال: «ابْتَغُوهَا فِي العَشْر الأَوَاخِر لا تَسْأَلنِي عَنْ شَيْء بَعْدهَا». ثُمَّ حَدَّثَ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ اهْتَبَلتُ غَفْلته فَقُلت: يَا رَسُول الله، أَقْسَمْت عَليْك بِحَقِّي عَليْك لَمَا أَخْبَرْتنِي فِي أَيّ العَشْر هِيَ؟ فَغَضِبَ عَليَّ غَضَبًا لمْ يَغْضَب مِثْله مُنْذُ صَحِبْته، وَقَال: «التَمِسُوهَا فِي السَّبْع الأَوَاخِر، لا تَسْأَلنِي عَنْ شَيْء بَعْدهَا»[2]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ الفَلَّاس عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد القَطَّان بِهِ.

فَفِيهِ دَلالة عَلى مَا ذَكَرْنَاهُ وَفِيهِ أَنَّهَا تَكُون بَاقِيَة إِلى يَوْم القِيَامَة فِي كُلّ سَنَة، لا كَمَا زَعَمَهُ بَعْض طَوَائِف الشِّيعَة مِنْ رَفْعهَا بِالكُلِّيَّةِ عَلى مَا فَهِمُوهُ مِنْ الحَدِيث الَّذِي سَنُورِدُهُ بَعْدُ مِنْ قَوْله عَلَيْهِ السَّلَام: «فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُون خَيْرًا لكُمْ». لأَنَّ المُرَاد رَفْع عِلم وَقْتهَا عَيْنًا. وَفِيهِ دَلالة عَلى أَنَّ لَيْلة القَدْر يَخْتَصّ وُقُوعهَا بِشَهْرِ رَمَضَان مِنْ بَيْن سَائِر الشُّهُور، لا كَمَا رُوِيَ عَنْ ابْن مَسْعُود وَمَنْ تَابَعَهُ مِنْ عُلمَاء أَهْل الكُوفَة، مِنْ أَنَّهَا تُوجَد فِي جَمِيع السَّنَة، وَتُرْتَجَى فِي جَمِيع الشُّهُور عَلى السَّوَاء.

وَقَدْ تَرْجَمَ أَبُو دَاوُد فِي «سُنَنه» عَلى هَذَا فَقَال: «بَاب بَيَان أَنَّ لَيْلة القَدْر فِي كُلّ رَمَضَان»: حَدَّثَنَا حُمَيْد بْن زَنْجَوَيْهِ النَّسَائِيّ، أَخْبَرَنَا سَعِيد بن أَبِي مَرْيَم، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَبِي جَعْفَر ابْن أَبِي كَثِير، حَدَّثَنِي مُوسَى بْن عُقْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر قَال: سُئِل رَسُول الله ﷺ -وَأَنَا أَسْمَع- عَنْ لَيْلة القَدْر، فَقَال: هِيَ فِي كُلّ رَمَضَان. وَهَذَا إِسْنَاد رِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ أَبَا دَاوُد قَال: رَوَاهُ شُعْبَة وَسُفْيَان عَنْ أَبِي إِسْحَاق فَأَوْقَفَاهُ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَة رَحِمَهُ اللهُ رِوَايَة أَنَّهَا ترجى فِي جميع شَهْر رَمَضَان. وَهُوَ وَجْه حَكَاهُ الغَزَالِيّ، وَاسْتَغْرَبَهُ الرَّافِعِيّ جِدًّا.

فَصْلٌ: ثُمَّ قَدْ قِيل: إِنَّهَا تَكُون فِي أَوَّل لَيْلة مِنْ شَهْر رَمَضَان، يُحْكَى هَذَا عَنْ أَبِي رَزِين. وَقِيل: إِنَّهَا تَقَع لَيْلة

---

(١) **ضعيف** : أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٦٣/ ١٥)، دون ذكر سنده. وقال الألباني: ضعيف معضل. انظر «ضعيف الترغيب والترهيب» (٦٠٤).
(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (٥/ ١٧١)، ورجاله ثقات عدا عكرمة بن عمار، فإنه صدوق يغلط.

سَبع عَشْرَة.[١] وَرَوَى فِيهِ أَبُو دَاوُد حَدِيثًا مَرْفُوعًا، عَنْ ابْن مَسْعُود، وَرُوِيَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَعَلى زَيْد بْن أَرْقَم وَعُثْمَان بْن أَبِي العَاص. وَهُوَ قَوْل عَنْ مُحَمَّد بْن إِدْرِيس الشَّافِعِيّ، وَيُحْكَى عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ. وَوَجَّهُوهُ بِأَنَّهَا لَيْلَة بَدْر وَكَانَتْ لَيْلَة جُمْعَة هِيَ السَّابِعَة عشرة مِنْ شَهْر رَمَضَان، وَفِي صَبِيحَتهَا كَانَتْ وَقْعَة بَدْر، وَهُوَ اليَوْم الَّذِي قَالَ الله تَعَالى فِيهِ: ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾. وَقِيل لَيْلَة تسعة عشر؛ يُحْكَى عَنْ عَلِيّ وَابْن مَسْعُود أَيْضًا رضي الله عنهما.

وَقِيل: لَيْلَة إِحْدَى وَعِشْرِينَ، لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ قَال: اعْتَكَفَ رَسُول الله ﷺ العَشْر الأُوَل مِنْ رَمَضَان، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَال: إِنَّ الَّذِي تَطْلُب أَمَامَك، فَاعْتَكَفَ العَشْر الأَوْسَط واعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَال: الَّذِي تَطْلُب أَمَامك، ثُمَّ قَامَ النَّبِيّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَة عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَان، فَقَال: «**مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي رَأَيْت لَيْلَة القَدْر، وَإِنِّي أُنْسِيتهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْر الأَوَاخِر فِي وِتْر، وَإِنِّي رَأَيْت كَأَنِّي أَسْجُد فِي طِين وَمَاء**». وَكَانَ سَقْف المَسْجِد جَرِيدًا مِنْ النَّخْل، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاء شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَة فَمُطِرْنَا فَصَلَّى بِنَا النَّبِيّ ﷺ حَتَّى رَأَيْت أَثَر الطِّين وَالمَاء عَلى جَبْهَة رَسُول الله ﷺ تَصْدِيق رُؤْيَاهُ، وَفِي لَفْظ: «فِي صُبْح إِحْدَى وَعِشْرِينَ»[٢] أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ». قَال الشَّافِعِيّ: وَهَذَا الحَدِيث أَصَحّ الرِّوَايَات. وَقِيل: لَيْلَة ثَلاث وَعِشْرِينَ، لِحَدِيثِ عَبْد الله بْن أُنَيْس فِي «صَحِيح مُسْلم»[٣]، وَهُوَ قَرِيب السِّيَاق مِنْ رِوَايَة أَبِي سَعِيد، فَالله أَعْلم. وَقِيل: لَيْلَة أَرْبَع وَعِشْرِينَ. قَال أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ: حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة عَنْ الجُرَيْرِيّ عَنْ أَبِي نَضْرَة عَنْ أَبِي سَعِيد أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**لَيْلَة القَدْر لَيْلَة أَرْبَع وَعِشْرِينَ**»[٤]. إِسْنَاد رِجَاله ثِقَات.

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن دَاوُد، حَدَّثَنَا ابْن لهيعة عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ أَبِي الخَيْر عَنْ الصُّنَابِحِيّ، عَنْ بِلال؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لَيْلَة القَدْر لَيْلَة أَرْبَع وَعِشْرِينَ». ابْن لَهِيعَة ضَعِيف. وَقَدْ خَالَفَهُ مَا رَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ أَصْبَغ، عَنْ ابْن وَهْب، عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث، بْن يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب عَنْ أَبِي الخَيْر، عَنْ أَبِي عَبْد الله الصُّنَابِحِيّ قَال: أَخْبَرَنِي بِلال مُؤَذِّن رَسُول الله ﷺ أَنَّهَا أول السَّبْع مِنْ العَشْر الأَوَاخِر. فَهَذَا المَوْقُوف أَصَحّ وَالله أَعْلم. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ ابْن مَسْعُود، وَابْن عَبَّاس، وَجَابِر، وَالحَسَن، وَقَتَادَة وَعَبْد الله بْن وَهْب: أَنَّهَا لَيْلَة أَرْبَع وَعِشْرِينَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «سُورَة البَقَرَة» حَدِيث وَاثِلة بْن الأَسْقَع مَرْفُوعًا: «إِنَّ القُرْآن أُنْزِل لَيْلَة أَرْبَع وَعِشْرِينَ»[٥]. وَقِيل: تَكُون لَيْلَة خَمْس وَعِشْرِينَ لِمَا رَوَاهُ البُخَارِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَبَّاس: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**التَمِسُوهَا فِي العَشْر الأَوَاخِر مِنْ رَمَضَان، فِي تَاسِعَة تَبْقَى، فِي سَابِعَة تَبْقَى، فِي خَامِسَة تَبْقَى**».[٦] فَسَّرَهُ كَثِيرُونَ بِلَيَالِي الأَوْتَار، وَهُوَ أَظْهَر وَأَشْهَر، وَحَمَلهُ آخَرُونَ عَلى الأَشْفَاع، كَمَا رَوَاهُ مُسْلم عَنْ أَبِي سَعِيد أَنَّهُ حَمَلهُ عَلى ذَلكَ، وَالله أَعْلم. وَقِيل: إِنَّهَا تَكُون لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه» عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب عَنْ رَسُول الله ﷺ: أَنَّهَا لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ.[٧]

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (١٣٨٤)، وفيه أبو إسحاق السبيعي: يرسل وقد عنعن. وحكيم بن سيف: مختلف فيه، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (١٣٨٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨١٣)، ومسلم (١١٦٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٦٨).

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الطيالسي (٢١٦٧)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٩٥٧).

(٥) **صحيح**: تقدم.

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٢١)، ومسلم (١١٦٧).

(٧) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٦٢).

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُفْيَان: سَمِعْت عَبْدَة [وَعَاصِمًا][1]، عَنْ زِرّ: سَأَلت أُبَيّ بن كَعْب قُلت: أَبَا المُنْذِر، إِنَّ أَخَاك ابْن مَسْعُود يَقُول: مَنْ يَقُمْ الحَوْل يُصِبْ لَيْلَة القَدْر. قَال: يَرْحَمُهُ الله، لَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي شَهْر رَمَضَان، وَأَنَّهَا لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ. ثُمَّ حَلفَ، قُلت: وَكَيْف تَعْلمُونَ ذَلِكَ؟ قَال: بِالعَلامَةِ -أَوْ: بِالآيَةِ- الَّتِي أَخْبَرَنَا بِهَا، تَطلُع ذَلكَ اليَوْم لا شُعَاع لهَا، أعني الشَّمْس.[2] وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم مِنْ طَرِيق سُفْيَان بْن عُيَيْنَة وَشُعْبَة، وَالأَوْزَاعِيّ، عَنْ [عَبْدَة][3]، عَنْ زِرّ عَنْ أُبَيّ فَذَكَرَهُ، وَفِيهِ فَقَال: وَالله الَّذِي لا إِله إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لفِي رَمَضَان، يَحْلف مَا يَسْتَثْنِي، وَوَالله إِنِّي لأَعْلم أَيّ لَيْلَة القَدْر هِيَ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُول الله ﷺ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ، وَأَمَارَتهَا أَنْ تَطلُع الشَّمْس فِي صبيحة يومها بَيْضَاء لا شُعَاع لهَا. وَفِي البَاب عَنْ مُعَاوِيَة وَابْن عُمَر وَابْن عَبَّاس، وَغَيْرهمْ عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهَا لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ. وَهُوَ قَوْل طَائِفَة مِنْ السَّلف، وَهُوَ الجَادَّة مِنْ مَذْهَب أَحْمَد بْن حَنْبَل رَحِمَهُ اللهُ، وَهُوَ رِوَايَة عَنْ أَبِي حَنِيفَة أَيْضًا. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْض السَّلف: أَنَّهُ حَاوَل اسْتِخْرَاج كَوْنهَا لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ مِنْ القُرْآن مِنْ قَوْله: ﴿هِيَ﴾، لأَنَّهَا الكَلمَة السَّابِعَة وَالعِشْرُونَ مِنْ السُّورَة، فَالله أَعْلم.

وَقَدْ قَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الدَّبَرِيّ، أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة وَعَاصِم: أَنَّهُمَا سَمِعَا عِكْرِمَة يَقُول: قَال ابْن عَبَّاس: دَعَا عُمَر بْن الخَطَّاب أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ فَسَأَلَهُمْ عَنْ لَيْلَة القَدْر، فَأَجْمَعُوا على أَنَّهَا فِي العَشْر الأَوَاخِر قَال ابْن عَبَّاس: فَقُلت لعُمَر: إِنِّي لأَعْلم -أَوْ: إِنِّي لأَظُنّ- أَيّ لَيْلَة القَدْر هِيَ؟ فَقَال عُمَر: أَيّ لَيْلَة هِيَ؟ فَقُلت: سَابِعَة تَمْضِي -أَوْ: سَابِعَة تَبْقَى- مِنْ العَشْر الأَوَاخِر. فَقَال عُمَر: ومِنْ أَيْنَ عَلمْت ذَلكَ؟ قَال ابْن عَبَّاس فَقُلت: خَلقَ الله سَبْع سَمَوَات وَسَبْع أَرَضِينَ، وَسَبْعَة أَيَّام، وَإِنَّ الشَّهْر يَدُور عَلى سَبْع، وَخَلقَ الإِنْسَان مِنْ سَبْع، وَيَأْكُل مِنْ سَبْع، وَيَسْجُد عَلى سَبْع، وَالطَّوَاف بِالبَيْتِ سَبْع، وَرَمْي الجِمَار سَبْع، لأَشْيَاء ذَكَرَهَا. فَقَال عُمَر: لقَدْ فَطِنْت لأَمْرٍ مَا فَطِنَّا لهُ.[4] وَكَانَ قَتَادَة يَزِيد عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: وَيَأْكُل مِنْ سَبْع، قَال: هُوَ قَوْل الله تَعَالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا﴾ الآيَة. وَهَذَا إِسْنَاد جَيِّد قَوِيّ، ونص غَرِيب جِدًّا، فَالله أَعْلم.

وَقِيل: إِنَّهَا تَكُون لَيْلَة تِسْع وَعِشْرِينَ. قَال أَحْمَد بْن حَنْبَل: حَدَّثَنَا [أَبُو سَعِيد][5] -مَوْلى [بَنِي هَاشِم][6]- حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سَلمَة حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عَقِيل عَنْ عُمَر بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت أَنَّهُ سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ لَيْلَة القَدْر، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «فِي رَمَضَان، فَالتَمِسُوهَا فِي العَشْر الأَوَاخِر، فَإِنَّهَا فِي وِتْر إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلاث وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْس وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْع وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْع وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِر لَيْلَة».[7]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا [سُليمان][8] بْن دَاوُد -وَهُوَ: أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ- حَدَّثَنَا عِمْرَان القَطَّان عَنْ قَتَادَة،

---

(١) في الأزهرية: [هاشما].
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧٦٢).
(٣) في الأزهرية: [عبيدة].
(٤) صحيح: أخرجه الطبراني (١٠/ ٣٢٢/ ١٠٦١٨).
(٥) في الأزهرية: [ابن سعيد].
(٦) في الأزهرية: [ابن هشام].
(٧) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ٣١٨)، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (١١٥٢).
(٨) في الأزهرية: [سعمان].

عَنْ أَبِي مَيْمُونَة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال فِي لَيْلَة القَدْر: «إِنَّهَا فِي لَيْلَة سَابِعَة -أَوْ تَاسِعَة- وَعِشْرِينَ، وإِنَّ المَلائِكَة تِلكَ اللَّيْلَة فِي الأَرْض أَكْثَر مِنْ عَدَد الحَصَى»(١). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد، وَإِسْنَاده لا بَأْس بِهِ.

وَقِيل: إِنَّهَا تَكُون فِي آخِر لَيْلَة، لَمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الحَدِيث آنِفًا، وَلَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث عُيَيْنَة ابْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «فِي تِسْع يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْع يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْس يَبْقَيْنَ، أَوْ ثَلاث، أَوْ آخِر لَيْلَة». يَعْنِي: التَمِسُوا لَيْلَة القَدْر.(٢) وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح. وَفِي «المُسْنَد» مِنْ طَرِيق أَبِي سَلمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي لَيْلَة القَدْر: «إِنَّهَا آخِر لَيْلَة».

فَصْلٌ: قَال الشَّافِعِيّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَات: صَدَرَتْ مِنْ النَّبِيّ ﷺ جَوَابًا للسَّائِل إِذْ قِيل لَهُ: أَلْتَمِسُ لَيْلَة القَدْر فِي اللَّيْلَة الفُلانِيَّة؟ يَقُول: «نَعَمْ». وَإِنَّمَا لَيْلَة القَدْر لَيْلَة [مُعَيَّنَة](٣)، لا تَنْتَقِل. نَقَلَهُ التِّرْمِذِيّ عَنْهُ بِمَعْنَاهُ، وَرَوَى عَنْ أَبِي قِلابَة أَنَّهُ قَال: لَيْلَة القَدْر تَنْتَقِل فِي العَشْر الأَوَاخِر. وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَبِي قِلابَة نَصَّ عَلَيْهِ مَالك، وَالثَّوْرِيّ وَأَحْمَد بْن حَنْبَل وَإِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ وَأَبُو ثَوْر وَالمُزَنِيّ وَأَبُو بَكْر ابْن خُزَيْمَة وَغَيْرهم، وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ الشَّافِعِيّ، نَقَلَهُ القَاضِي عَنْهُ، وَهُوَ الأَشْبَهُ، وَالله أَعْلم. وَقَدْ يُسْتَأْنَسُ لِهَذَا القَوْل بِمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَبْد الله بْن عُمَر: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ أُرُوا لَيْلَة القَدْر فِي المَنَام فِي السَّبْع الأَوَاخِر مِنْ رَمَضَان، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْع الأَوَاخِر، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْع الأَوَاخِر**»(٤). وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**تَحَرُّوا لَيْلَة القَدْر فِي الوِتْر مِنْ العَشْر الأَوَاخِر مِنْ رَمَضَان**».(٥) وَلَفْظه للبُخَارِيّ. وَيُحْتَجّ للشَّافِعِيّ أَنَّهَا لا تَنْتَقِل، وَأَنَّهَا مُعَيَّنَة مِنْ الشَّهْر بِمَا رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي «صَحِيحه» عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَال: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْر، فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنْ المُسْلِمِينَ، فَقَال: «خَرَجْت لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْر، فَتَلاحَى فُلان وَفُلان فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُون خَيْرًا لكُمْ فَالتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَة وَالسَّابِعَة وَالخَامِسَة»(٦) وَجْهُ الدَّلالة مِنْهُ: أَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ مُعَيَّنَة مُسْتَمِرَّة التَّعْيِين، لَمَا حَصَل لَهُمْ العِلم بِعَيْنِهَا فِي كُلّ سَنَة؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ تَنْتَقِل لَمَا عَلمُوا تعينها إِلَّا ذَلكَ العَام فَقَطْ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَال: إِنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُعْلمهُمْ بِهَا تِلكَ السَّنَة فَقَطْ.

وَقَوْله: «فَتَلاحَى فُلان وَفُلان فَرُفِعَتْ»: فِيهِ اسْتِئْنَاس لَمَا يُقَال: إِنَّ المُمَارَاة تَقْطَع الفَائِدَة وَالعِلم النَّافِع، وكَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**إِنَّ العَبْد لَيُحْرَمُ الرِّزْق بِالذَّنْبِ يُصِيبهُ**».(٧) وَقَوْله: «فَرُفِعَتْ». أَيْ: رُفِعَ عِلم تعينها لكُمْ، لا أَنَّهَا رُفِعَتْ بِالكُلِّيَّةِ مِنْ الوُجُود، كَمَا يَقُولهُ جَهَلة الشِّيعَة، لأَنَّهُ قَدْ قَال بَعْد هَذَا: «**فَالتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَة وَالسَّابِعَة وَالخَامِسَة**». وَقَوْله: «**وَعَسَى أَنْ يَكُون خَيْرًا لكُمْ**». يَعْنِي عَدَم تَعْيِينهَا لكُمْ، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُبْهَمَة اجْتَهَدَ طُلَّابهَا فِي ابْتِغَائِهَا فِي جَمِيع مَحَالّ رَجَائِهَا، فَكَانَ أَكْثَر للعِبَادَةِ بِخِلافِ مَا إِذَا عَلمُوا عَيْنهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ الهِمَم تَتَقَاصَر عَلَى قِيَامهَا فَقَطْ، وَإِنَّمَا اقْتَضَتْ الحِكْمَة إِبهامها لتُعَمَّمَ العِبَادَة جَمِيع الشَّهْر فِي ابْتِغَائِهَا، وَيَكُون الاجْتِهَاد فِي العَشْر الأواخر أَكْثَر، وَلهَذَا: «كَانَ رَسُول الله ﷺ يَعْتَكِف العَشْر الأَوَاخِر مِنْ رَمَضَان حَتَّى تَوَفَّاهُ الله ﷻ، ثُمَّ

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (٢/ ٥١٩)، وفيه قتادة: مدلس، وقد عنعن.

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٧٤٩)، والذي عنده (أو في ثلاث أواخر ليلة)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٧٩٤).

(٣) في الأزهرية: [مقيده].

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).

(٥) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

(٦) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٠٢٣).

(٧) **صحيح** : تقدم.

اعْتَكَفَ أَزْوَاجه مِنْ بَعْده». أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث عَائِشَة. وَلَهُمَا عَنْ ابْن عُمَر: «كَانَ رَسُول الله ﷺ يَعْتَكِف الْعَشْر الأَوَاخِر مِنْ رَمَضَان».(١) وَقَالَتْ عَائِشَة: «كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا دَخَل العَشْر، أَحْيَا اللَّيْل، وَأَيْقَظَ أَهْله، وَشَدَّ المِئْزَر» أَخْرَجَاهُ.(٢) وَلِمُسْلِمٍ عَنْهَا: «كَانَ رَسُول الله ﷺ يَجْتَهِد فِي العَشْر مَا لا يَجْتَهِد فِي غَيْره». وَهَذَا مَعْنَى قَوْلهَا: «وَشَدَّ المِئْزَر». وَقِيلَ: المُرَاد بِذَلِكَ: اعْتِزَال النِّسَاء. وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون كِنَايَة عَنْ الأَمْرَيْنِ، لِمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سريج، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَر عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة قَالَتْ: «كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا بَقِيَ عَشْر مِنْ رَمَضَان شَدَّ مِئْزَره وَاعْتَزَل نِسَاءَهُ».(٣) انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَد.

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ مَالك رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ جَمِيع لَيَالِي العَشْر فِي تَطَلُّب لَيْلَة القَدْر عَلى السَّوَاء، لا يَتَرَجَّح مِنْهَا لَيْلَة عَلى أُخْرَى، رَأَيْته فِي «شَرْح الرَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ». وَالمُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنْ الدُّعَاء فِي جَمِيع الأَوْقَات، وَفِي شَهْر رَمَضَان أَكْثَر، وَفِي العَشْر الأَخِير مِنْهُ، ثُمَّ فِي أَوْتَاره أَكْثَر. وَالمُسْتَحَبّ أَنْ يُكْثِر مِنْ هَذَا الدُّعَاء: اللَّهُمَّ إِنَّك عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». لِمَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد -هُوَ بْن هَارُون- حَدَّثَنَا الجريري -وَهُوَ: سَعِيد بْن إِيَاس- عَنْ عَبْد الله بْن بُرَيْدَة: أَنَّ عَائِشَة قَالَتْ: يَا رَسُول الله، إِنْ وَافَقْت لَيْلَة القَدْر فَمَا أَدْعُو؟ قَال: «**قُولِي: اللهُمَّ إِنَّك عَفُوٌّ تُحِبّ العَفْو؛ فَاعْفُ عَنِّي**». وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مَاجَهْ مِنْ طَرِيق كَهْمَس بْن الحَسَن عَنْ عَبْد الله ابْن بُرَيْدَة، عَنْ عَائِشَة قَالَتْ: قُلت: يَا رَسُول الله، أَرَأَيْت إِنْ عَلِمْت أَيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْر، مَا أَقُول فِيهَا؟ قَال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ، إِنَّك عَفُوٌّ تُحِبّ العَفْو؛ فَاعْفُ عَنِّي**».(٤)

وَهَذَا لَفْظ التِّرْمِذِيّ، ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث حَسَن صَحِيح، وَأَخْرَجَهُ الحَاكِم فِي «مُسْتَدْرَكه»، وَقَال: «هذا صَحِيح عَلى شَرْط الشَّيْخَيْنِ». وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ طَرِيق سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَنْ عَلقَمَة بْن مَرْثَد، عَنْ سُلَيْمَان ابْن بُرَيْدَة عَنْ عَائِشَة قَالَتْ: يَا رَسُول الله أَرَأَيْت إِنْ وَافَقْت لَيْلَة القَدْر، مَا أَقُول فِيهَا؟ قَال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ، إِنَّك عَفُوٌّ تُحِبّ العَفْو، فَاعْفُ عَنِّي**».

ذِكْرُ أَثَرٍ غَرِيبٍ وَنَبَإٍ عَجِيبٍ، يَتَعَلَّقُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، رَوَاهُ الإِمَام أَبُو مُحَمَّد ابْن أَبِي حَاتِم، عِنْد تَفْسِير هَذِهِ السُّورَة الكَرِيمَة، فَقَال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَبِي زِيَاد القَطْوَانِيّ، حَدَّثَنَا سَيَّار بْن حَاتِم، حَدَّثَنَا مُوسَى بْن سَعِيد -يَعْنِي الرَّاسِبِيَّ- عَنْ هِلَال أَبِي جَبَلَة عَنْ أَبِي عَبْد السَّلَام، عَنْ أَبِيهِ عَنْ كَعْب؛ أَنَّهُ قَال: إِنَّ سِدْرَة المُنْتَهَى عَلى حَدّ السَّمَاء [السَّابِعَة](٥)، مِمَّا يَلِي الجَنَّة، فَهِيَ عَلى حَدّ هَوَاء الدُّنْيَا وَهَوَاء الآخِرَة، عُلوهَا فِي الجَنَّة، وَعُرُوقهَا وَأَغْصَانهَا مِنْ تَحْت الكُرْسِيّ، فِيهَا مَلائِكَة لا يَعْلم عِدَّتهمْ إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ، يَعْبُدُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلى أَغْصَانهَا فِي كُلّ مَوْضِع شَعْرَة مِنْهَا مَلك. وَمَقَام جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَسَطهَا، فَيُنَادِي الله جِبْرِيل أَنْ يَنْزِل فِي كُلّ لَيْلَة القَدْر مَعَ المَلائِكَة الَّذِينَ يَسْكُنُونَ سِدْرَة المُنْتَهَى، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَلك إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ الرَّأْفَة وَالرَّحْمَة للمُؤْمِنِينَ فَيَنْزِلُونَ عَلى جِبْرِيل فِي لَيْلَة القَدْر حِين تَغْرُب الشَّمْس، فَلا تَبْقَى بُقْعَة فِي لَيْلَة القَدْر إِلَّا وَعَلَيْهَا مَلك إِمَّا سَاجِد وَإِمَّا قَائِم، يَدْعُو للمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، إِلَّا أَنْ تَكُون كَنِيسَة أَوْ بِيعَة، أَوْ بَيْت نَار أَوْ وَثَن، أَوْ بَعْض أَمَاكِنكُمْ الَّتِي تَطْرَحُونَ فِيهَا الخَبَث، أَوْ بَيْت فِيهِ سَكْرَان أَوْ بَيْت فِيهِ مُسْكِر، أَوْ بَيْت فِيهِ وَثَن مَنْصُوب أَوْ بَيْت فِيهِ جَرَس مُعَلَّق أَوْ مَبْوَلَة، أَوْ مَكَان فِيهِ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٦٦).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٨٢)، والترمذي (٧٧١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٥١٣).
(٥) في الأزهرية: [الرابعة].

كَسَاحَةِ البَيْت. فَلا يَزَالُونَ لَيْلتهمْ تِلْكَ يَدْعُونَ للمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، وَجِبْرِيل لا يَدَع أَحَدًا مِنْ [المُؤْمِنِينَ][1] إِلَّا صَافَحَهُ، وَعَلامَة ذَلكَ مَنْ اقْشَعَرَّ جِلده وَرَقَّ قَلبه وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَإِنَّ ذَلكَ مِنْ مُصَافَحَة جِبْرِيل.

وَذَكَرَ كَعْب أَنَّ مَنْ قَال فِي لَيْلة القَدْر: «لا إِله إِلَّا الله» ثَلاث مَرَّات، غَفَرَ الله لهُ بِوَاحِدَةٍ، وَنَجَّاه مِنْ النَّار بِوَاحِدَةٍ، وَأَدْخَلهُ الجَنَّة بِوَاحِدَةٍ، فَقُلنَا لكَعْبِ الأَحْبَار: يَا أَبَا إِسْحَاق، صَادِقًا؟ فَقَال كَعْب: وَهَل يَقُول «لا إِله إِلَّا الله» فِي لَيْلة القَدْر إِلَّا كُلّ صَادِق؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ لَيْلة القَدْر لتَثْقُل عَلى الكَافِر وَالمُنَافِق، حَتَّى كَأَنَّهَا عَلى ظَهْره جَبَل، فَلا تَزَال المَلائِكَة هَكَذَا حَتَّى يَطْلُع الفَجْر. فَأَوَّل مَنْ يَصْعَد جِبْرِيل حَتَّى يَكُون فِي وَجْه الأُفُق الأَعْلى مِنْ الشَّمْس، فَيَبْسُط جَنَاحَيْهِ -وَلهُ جَنَاحَانِ أَخْضَرَانِ، لا يَنْشُرهُمَا إِلَّا فِي تِلْكَ السَّاعَة- فَتَصِير الشَّمْس لا شُعَاع لهَا، ثُمَّ يَدْعُو مَلكًا مَلكًا فَيَصْعَد فَيَجْتَمِع نُور المَلائِكَة وَنُور جَنَاحَيْ جِبْرِيل، فَلا تَزَال الشَّمْس يَوْمهَا ذَلكَ مُتَحَيِّرَة، فَيُقِيم جِبْرِيل وَمَنْ مَعَهُ بَيْن الأَرْض وَبَيْن السَّمَاء الدُّنْيَا يَوْمهمْ ذَلكَ فِي دُعَاء وَرَحْمَة وَاسْتِغْفَار للمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، وَلمَنْ صَامَ رَمَضَان احْتِسَابًا، ودعا لمَنْ حَدَّثَ نَفْسه إِنْ عَاشَ إِلى قَابِل صَامَ رَمَضَان لله. فَإِذَا أَمْسَوْا دَخَلُوا إِلى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَجْلسُونَ حِلقًا حِلقًا، فَتَجْتَمِع إِليْهِمْ مَلائِكَة سَمَاء الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ رَجُل رَجُل وَعَنْ امْرَأَة امْرَأَة، فَيُحَدِّثُونَهُمْ حَتَّى يَقُولُوا: مَا فَعَل فُلان؟ وَكَيْف وَجَدْتُمُوهُ [العَام][2]؟ فَيَقُولُونَ: وَجَدْنَا فُلانًا عَام أَوَّل فِي هَذِهِ اللَّيْلة مُتَعَبِّدًا وَوَجَدْنَاهُ العَام مُبْتَدِعًا، وَوَجَدْنَا فُلانًا مُبْتَدِعًا، وَوَجَدْنَاهُ العَام عَابِدًا، قَال: فَيَكُفُّونَ عَنْ الاسْتِغْفَار لذَلكَ، وَيُقْبِلُونَ عَلى الاسْتِغْفَار لهَذَا، وَيَقُولُونَ: وَجَدْنَا فُلانًا وَفُلانًا يَذْكُرَانِ الله، وَوَجَدْنَا فُلانًا رَاكِعًا، وَفُلانًا سَاجِدًا، وَوَجَدْنَاهُ تَاليًا لكِتَابِ الله. قَال: فَهُمْ كَذَلكَ يَوْمهمْ وَليْلتهمْ، حَتَّى يَصْعَدُونَ إِلى السَّمَاء الثَّانِيَة، فَفِي كُلّ سَمَاء يَوْم وَليْلة، حَتَّى يَنْتَهُوا مَكَانهمْ مِنْ سِدْرَة المُنْتَهَى، فَتَقُول لهُمْ سِدْرَة المُنْتَهَى: يَا سُكَّانِي، حَدِّثُونِي عَنْ النَّاس وَسَمُّوهُمْ لي، فَإِنَّ لي عَليْكُمْ حَقًّا، وَإِنِّي أُحِبّ مَنْ أَحَبَّ الله، فَذَكَرَ كَعْب الأَحْبَار أَنَّهُمْ يَعُدُّونَ لهَا، وَيَحْكُونَ لهَا الرَّجُل وَالمَرْأَة بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاء آبَائِهِمْ. ثُمَّ تُقْبِل الجَنَّة عَلى السِّدْرَة، فَتَقُول: أَخْبِرِينِي بِمَا أَخْبَرَكِ سُكَّانك مِنْ المَلائِكَة. فَتُخْبِرهَا.

قَال: فَتَقُول الجَنَّة: رحمة الله عَلى فُلان، وَرَحْمَة الله عَلى فُلانَة، اللَّهُمَّ عَجِّلهُمْ إِليَّ، فَيَبْلُغ جِبْرِيل مَكَانه قَبْلهمْ، [فَيُلهِمهُ][3] الله فَيَقُول: وَجَدْت فُلانًا سَاجِدًا فَاغْفِرْ لهُ. فَيَغْفِر لهُ، فَيَسْمَع جِبْرِيل جَمِيع حَمَلة العَرْش، فَيَقُولُونَ: رحمة الله عَلى فُلان، وَرَحْمَة الله عَلى فُلانَة، وَمَغْفِرَته لفُلانٍ، وَيَقُول: يَا رَبّ، وَجَدْت عبدك فُلانًا الَّذِي وَجَدْته عَام أَوَّل عَلى السُّنَّة وَالعِبَادَة، وَوَجَدْته العَام قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا وَتَوَلَّى عَمَّا أُمِرَ بِهِ، فَيَقُول الله: يَا جِبْرِيل إِنْ تَابَ فَأَعْتَبَنِي قَبْل أَنْ يَمُوت بِثَلاثِ سَاعَات غَفَرْت لهُ. فَيَقُول جِبْرِيل: لك الحَمْد إِلهِي، أَنْتَ أَرْحَم مِنْ جَمِيع خَلقك، وَأَنْتَ أَرْحَم بِعِبَادِك مِنْ عِبَادك بِأَنْفُسِهِمْ. قَال: فَيَرْتَجّ العَرْش وَمَا حَوْله، وَالحُجُب وَالسَّمَوَات وَمَنْ فِيهِنَّ، تَقُول: الحَمْد لله الرَّحِيم، الحَمْد لله الرَّحِيم. قَال: وَذَكَرَ كَعْب أَنَّهُ مَنْ صَامَ رَمَضَان وَهُوَ يُحَدِّث نَفْسه إِذَا أَفْطَرَ بعد رَمَضَان أَنْ لا يَعْصِي الله، دَخَل الجَنَّة بِغَيْرِ مَسْأَلة وَلا حِسَاب.[4]

آخِر تَفْسِير سُورَة «ليلة القَدْر»، ولله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) في الأزهرية: [الناس].
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم. وهو من كلام كعب الأحبار، وأشبه أن يكون من الإسرائيليات.

تفسير سُورَةُ البَيِّنَة وهي مدنية

ترتيبها ٩٨ — وآياتها ٨

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا عفَّان، حَدَّثنَا حَمَّاد -هُوَ ابْن سَلمَة- أَخْبَرَنَا عَليّ -هُوَ ابْن زَيْد- عَنْ عَمَّار بْن أَبِي عَمَّار قَال: سَمِعْت أَبَا حية البَدْرِيّ -وَهُوَ: مَالك بْن عَمْرو بْن ثَابِت الأَنْصَارِيّ- قَال: لـمَّا نزَلتْ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إِلى آخِرهَا، قَال جِبْرِيل: يَا رَسُول الله إِنَّ رَبّك يَأْمُرك أَنْ تُقْرِئها أُبَيًّا. فقَال النَّبيّ ﷺ لأُبَيٍّ: «إِنَّ جِبْرِيل أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَك هَذِهِ السُّورَة». قَال أُبَيّ: وَقَدْ ذُكِرْت ثَمَّ يَا رَسُول الله ﷺ؟ قَال: «نعَمْ». قَال: فَبكَى أُبَيّ.[1]

حَدِيثٌ آخَر: وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثنَا شُعْبَة، سَمِعْت قَتَادَة يُحَدِّث عن أَنَس بْن مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ لأُبَيِّ بْن كَعْب: «إِنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عليْك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾» قَال: وَسَمَّانِي لك؟ قَال: «نعَمْ». فَبكَى.[2] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلم، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث شُعْبَة بِهِ.

حَدِيثٌ آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا مُؤَمَّل، حَدَّثنَا سُفْيَان، حَدَّثنَا أَسْلمَ [المِنْقَرِيّ][3]، عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن ابْن أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب قَال: قَال لي رَسُول الله ﷺ: «إِنِّي أُمِرْت أَنْ أَقْرَأَ عليْك سُورَة كَذَا وَكَذَا». قُلت: يَا رَسُول الله، وَقَدْ ذُكِرْت هُنَاكَ؟ قَال: «نعَمْ». فَقُلت لهُ: يَا أَبَا المُنْذِر، فَفرِحْت بِذَلكَ. قَال: وَمَا يَمْنَعنِي وَالله يَقُول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. قَال مُؤَمَّل: قُلت لسُفْيَان: القِرَاءَة فِي الحَدِيث؟ قَال: نعَمْ.[4] تفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الوَجْه.

طَرِيق أُخْرَى: قَال أَحْمَد: حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر وَحَجَّاج؛ قَالا: حَدَّثنَا شُعْبَة عَنْ عَاصِم بْن بَهْدَلة عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب قَال: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لي: «إِنَّ الله أَمَرَنِي أن أقرأ عليْك القُرْآن». قَال: فقَرَأَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، قَال: فقَرَأَ فِيهَا: «وَلوْ أَنَّ ابْن آدم سَأَل وَادِيًا مِنْ مَال، فَأُعْطِيَهُ لسَأَل ثَانِيًا، وَلوْ سَأَل ثَانِيًا فَأُعْطِيَهُ لسَأَل ثَالثًا، وَلا يَمْلأ جَوْف ابْن آدم إِلَّا التُّرَاب، وَيَتُوب الله عَلى مَنْ تَاب، وَإِنَّ ذلك الدِّين عِنْد الله الحَنِيفِيَّة غَيْر المُشْرِكَة وَلا اليَهُودِيَّة وَلا النَّصْرَانِيَّة، وَمَنْ يَفْعَل خَيْرًا فَلنْ يُكْفَرَهُ»[5]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيّ عَنْ شُعْبَة بِهِ، وَقَال: حَسَن صَحِيح.

طَرِيق أُخْرَى: قَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثنَا أَحْمَد بْن خُليْد الحَلبِيّ حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن عِيسَى الطَّبَّاع حَدَّثنَا مُعَاذ بْن مُحَمَّد بْن مُعَاذ بْن أُبَيّ بْن كَعْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّه عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «يَا أَبَا المُنْذِر؛ إِنِّي أُمِرْت أَنْ أَعْرِض عَليْك القُرْآن». قَال: آمَنْت بالله، وَعَلى يَدك أَسْلمْت، وَمِنْك تَعَلَّمْت. قَال: فَرَدَّ النَّبِيّ ﷺ القَوْل، قَال: فقَال: يَا رَسُول الله وَذُكِرْت هُنَاكَ؟ قَال: «نعَمْ، بِاسْمِك وَنَسَبك فِي المَلإِ الأَعْلى». قَال: فَاقْرَأْ إِذًا يَا رَسُول الله ﷺ.[6] هَذَا غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه، وَالثَّابِت مَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا قَرَأَ عَليْهِ النَّبِيّ ﷺ هَذِهِ السُّورَة تَثْبِيتًا لهُ، وَزِيَادَة لإِيمَانِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا رَوَاهُ أَحْمَد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق أَنَس عَنْهُ. وَرَوَاهُ أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيث سُليْمَان بْن صُرَد

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٩)، فيه علي بن زيد: ضعيف. لكن يشهد له رواية أنس الآتية، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٧٩٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩).
(٣) في الأزهرية: [العري].
(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٣)، وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي: مقبول.
(٥) إسناده ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ١٣١)، ورجاله ثقات غير أن عاصمًا له أوهام.
(٦) ضعيف: أخرجه الطبراني (١/ ٢٠٠/ ٥٣٩)، وفيه محمد بن معاذ: مقبول، وأبوه: مجهول.

عَنْهُ، وَرَوَاهُ أَحْمَد عَنْ عَفَّان، عَنْ حَمَّاد، عَنْ حُمَيْد، عَنْ أَنَس عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت عَنْهُ. وَرَوَاهُ أَحْمَد وَمُسْلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ [عَبْد][1] الله بْن عِيسَى، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى عَنْهُ - كَانَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى إِنْسَان، وَهُوَ: عَبْد الله بْن مَسْعُود، قِرَاءَة شَيْء مِنَ القُرْآن عَلَى خِلَاف مَا أَقْرَأَهُ رَسُول الله ﷺ ، فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَاسْتَقْرَأَهُمَا، وَقَال لِكُلٍّ مِنْهُمْ: «أَصَبْت». قَال أُبَيّ: فَأَخَذَنِي مِنْ الشَّكّ وَلا إِذْ كُنْت فِي الجَاهِلِيَّة. فَضَرَبَ رَسُول الله ﷺ فِي صَدْره، قَال أُبَيّ: فَفِضْت عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُر إِلَى الله فَرَقًا، وَأَخْبَرَهُ رَسُول الله ﷺ أَنَّ جِبْرِيل أَتَاهُ فَقَال: إِنَّ الله يَأْمُرك أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتك القُرْآن عَلَى حَرْف، فَقُلْت: أَسْأَل الله مُعَافَاته وَمَغْفِرَته، فَقَال: عَلَى حَرْفَيْنِ، فَلَمْ يَزَل حَتَّى قَال: إِنَّ الله يَأْمُرك أَنْ [تُقْرِئ][2] أُمَّتك القُرْآن عَلَى سَبْعَة أَحْرُف.[3] كَمَا قَدَّمْنَا ذِكْر هَذَا الحَدِيث بِطُرُقِهِ وأَلفاظه فِي أَوَّل «التَّفْسِير»، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَة الكَرِيمَة وَفِيهَا: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قَرَأَهَا عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ قِرَاءَة إِبْلاغ وَتَثْبِيت وَإِنْذَار، لا قِرَاءَة تَعَلُّم وَاسْتِذْكَار، وَالله أَعْلَم.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ عُمَر بْن الخَطَّاب لَمَّا سَأَل رَسُول الله ﷺ يَوْم الحُدَيْبِيَة عَنْ تلك الأَسْئِلة، وَكَانَ فِيمَا قَال: أَوَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْت وَنَطُوف بِهِ؟ [قَال: «بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُك أَنَّك تَأْتِيه عَامك هَذَا». قَال: لا. قَال: «فَإِنَّك آتِيه وَمُطَوِّفٌ بِهِ».][4] فَلَمَّا رَجَعُوا مِنْ الحُدَيْبِيَة، وَأَنْزَل الله عَلَى النَّبِيّ ﷺ «سُورَة الفَتْح» دَعَا عُمَر بْن الخَطَّاب، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَفِيهَا قَوْله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[5] الآيَة، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَرَوَى الحَافِظ أَبُو نُعَيْم فِي كِتَابه «أَسْمَاء الصَّحَابَة»؛ مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل الجَعْفَرِيّ المَدَنِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد الله ابْن سَلَمَة بْن أَسْلَمَ، عَنْ ابْن شِهَاب، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي حَكِيم المدني حَدَّثَنِي فُضَيْل: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ الله لَيَسْمَع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، فَيَقُول: أَبْشِرْ عَبْدِي، فَوَعِزَّتِي لأُمَكِّنَنَّ لك فِي الجَنَّة حَتَّى تَرْضَى».[6] حَدِيثٌ غَرِيبٌ جِدًّا وَقَدْ رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو مُوسَى المَدِينِيّ وَابْن الأَثِير مِنْ طَرِيق الزُّهْرِيّ عَنْ إِسْمَاعِيل ابْن أَبِي حكيم عَنْ نظير المُزَنِيّ -أَوْ: المَدَنِيّ- عَنْ النَّبِيّ ﷺ : «**إِنَّ الله لَيَسْمَع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيَقُول: أَبْشِرْ عَبْدِي، فَوَعِزَّتِي لا أَنْسَاك عَلَى حَال مِنْ أَحْوَال الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَلأُمَكِّنَنَّ لك فِي الجَنَّة حَتَّى تَرْضَى**».

قوله تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

أَمَّا أَهْل الكِتَاب فَهُمْ: اليَهُود وَالنَّصَارَى، وَالمُشْرِكُونَ: عَبَدَة الأَوْثَان وَالنِّيرَان مِنْ العَرَب وَمِنْ العَجَم.

وَقَال مُجَاهِد: لَمْ يَكُونُوا: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يَعْنِي: مُنْتَهِينَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ الحَقّ، وَكَذَا قَال قَتَادَة: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾،

---

(١) فِي الأزهرية: [عبيد].
(٢) فِي الأزهرية: [تقرأ].
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٨٢٠).
(٤) سقط من الأزهرية.
(٥) صحيح : تقـدم.
(٦) ضعيف : أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٠٨٣) بإسناد منقطع.

أَيْ: هَذَا القُرْآن. وَلِهَذَا قَال تَعَالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾. ثُمَّ فَسَّرَ البَيِّنَة بِقَوْلِهِ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾، يَعْنِي: مُحَمَّدًا وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ القُرْآن العَظِيم الَّذِي هُوَ مُكْتَتَب فِي المَلأ الأَعْلى فِي صُحُف مُطَهَّرَة، كَقَوْلِهِ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾. وَقَوْله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قَال ابْن جَرِير: إِنَّ فِي الصُّحُف المُطَهَّرَة كُتُبٌ مِنْ كُتُبِ الله قَيِّمَة عَادِلة مُسْتَقِيمَة، لَيْسَ فِيهَا خَطَأ؛ لأَنَّهَا مِنْ عِنْد الله ﷻ.

قَال قَتَادَة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾، يَذْكُر القُرْآن بِأَحْسَن الذِّكْر، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِأَحْسَن الثَّنَاء. وَقَال ابْن زَيْد: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مُسْتَقِيمَة مُعْتَدِلة. وَقَوْله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَعْنِي: بِذَلِكَ أَهْل الكُتُب المُنَزَّلة عَلى الأُمَم قَبْلنَا بَعْدَمَا أَقَامَ الله عَلَيْهِمْ الحُجَج وَالبَيِّنَات تَفَرَّقُوا وَاخْتَلفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ الله مِنْ كُتُبهِمْ وَاخْتَلفُوا اخْتِلافًا كَثِيرًا كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث المَرْوِيّ مِنْ طُرُق: «**إِنَّ اليَهُود اخْتَلفُوا عَلى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وَإِنَّ النَّصَارَى اخْتَلفُوا عَلى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّة عَلى ثَلاث وَسَبْعِينَ فِرْقَة، كُلُّهَا فِي النَّار إِلاَّ وَاحِدَة**». قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُول الله ﷺ؟ قَال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».[1]

وَقَوْله: ﴿أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، وَلِهَذَا قَال: ﴿حُنَفَآءَ﴾، أَيْ: مُتَحَنِّفِينَ عَنْ الشِّرْك إِلى التَّوْحِيد، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِير الحَنِيف فِي سُورَة الأَنْعَام بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا. ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وَهِيَ أَشْرَف عِبَادَات البَدَن، ﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وَهِيَ الإِحْسَان إِلى الفُقَرَاء وَالمَحَاوِيج. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾، أَيْ: المِلَّة القَائِمَة العَادِلة، أَوْ: الأُمَّة المُسْتَقِيمَة المُعْتَدِلة. وَقَدْ اسْتَدَلَّ كَثِير مِنْ الأَئِمَّة، كَالزُّهْرِيِّ وَالشَّافِعِيّ بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة عَلى أَنَّ الأَعْمَال دَاخِلة فِي الإِيمَان، وَلِهَذَا قَال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾.

يُخْبِر تَعَالى عَنْ مَآل الفُجَّار، مِنْ كَفَرَة أَهْل الكِتَاب، وَالمُشْرِكِينَ المُخَالِفِينَ لِكُتُب الله المُنَزَّلة وَأَنْبِيَاء الله المُرْسَلة أَنَّهُمْ يَوْم القِيَامَة: ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ أَيْ: مَاكِثِينَ، لا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلا يَزُولُونَ، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أَيْ: شَرّ الخَلِيقَة الَّتِي بَرَأَهَا الله وَذَرَأَهَا. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالى عَنْ حَال الأَبْرَار الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات بِأَبْدَانِهِمْ بِأَنَّهُمْ خَيْر البَرِيَّة، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة أَبُو هُرَيْرَة وَطَائِفَة مِنْ العُلَمَاء، عَلى تَفْضِيل المُؤْمِنِينَ مِنْ البَرِيَّة عَلى المَلائِكَة؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. ثُمَّ قَال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أَيْ: يَوْم القِيَامَة ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أَيْ: بِلا انْفِصَال وَلا انْقِضَاء وَلا فَرَاغ. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾، وَمَقَام رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلى مِمَّا أُوتُوهُ مِنْ النَّعِيم المُقِيم، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنْ الفَضْل العَمِيم.

---

(١) حسن لغيره: تقـدم.

وَقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾، أَيْ: هَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ خَشِيَ الله وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن عِيسَى حَدَّثَنَا أَبُو [مَعْشَر][1]، عَنْ أَبِي وَهْب - مَوْلى أَبِي هُرَيْرَة- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّة؟». قَالُوا: بَلى يَا رَسُول الله ﷺ ، قَال: «رَجُل آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيل الله، كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَة، اسْتَوَى عَلَيْهِ، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّة؟». قَالُوا: بَلى يَا رَسُول الله ﷺ قَال: «رَجُل فِي ثُلَّة مِنْ غَنَمه، يُقِيم الصَّلاة وَيُؤْتِي الزَّكَاة. أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّة؟». قَالُوا: بَلى. قَال: «الَّذِي يَسْأَل بِالله وَلا يُعْطِي بِهِ».[2]

آخِر تَفْسِير سُورَة «لَمْ يَكُنْ»، وَلله الحَمْد والمِنَّة

تفسير سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ وهي مدنية

ترتيبها ٩٩ وآياتها ٨

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنَا سَعِيد، حَدَّثَنَا عَيَّاش بْن عَبَّاس، عَنْ عِيسَى بْن هِلال الصَّدَفِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو قَال: أَتَى رَجُل إِلى رَسُول الله ﷺ ، فَقَال: أَقْرِئْنِي يَا رَسُول الله ﷺ ، قَال لَهُ: «اقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ ذات الر». فَقَال لَهُ الرَّجُل: كَبُرَ سِنِّي، وَاسْتَدَّ قَلْبِي، وَغَلُظَ لِسَانِي. قَال: «فَاقْرَأْ مِنْ ذات حم». فَقَال مِثْل مَقَالته الأُولى، فَقَال: «اقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ الْمُسَبِّحَات». فَقَال مِثْل مَقَالته، فَقَال الرَّجُل: وَلكِنْ أَقْرِئْنِي يَا رَسُول الله سُورَة جَامِعَة. فَأَقْرَأَهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾. حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا، قَال الرَّجُل: وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ نَبِيًّا لا أَزِيد عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُل، فَقَال رَسُول الله ﷺ : «أَفْلَحَ الرُّوَيْجِل، أَفْلَحَ الرُّوَيْجِل، ثُمَّ قَال: عَلَيَّ بِهِ». فَجَاءَهُ فَقَال لَهُ: «أُمِرْت بِيَوْمِ الأَضْحَى جَعَلَهُ الله عِيدًا لِهَذِهِ الأُمَّة». فَقَال لَهُ الرَّجُل: أَرَأَيْت إِنْ لَمْ أَجِد إِلَّا مَنِيحَة أُنْثَى فَأُضَحِّي بِهَا؟ قَال: «لا، وَلكِنَّك تَأْخُذ مِنْ شَعْرك، وَتُقَلِّم أَظْفَارك، وَتَقُصّ شَارِبك، وَتَحْلق عَانَتك، فَذَاكَ تَمَام أُضْحِيَّتك عِنْد الله ﷻ»[3]. وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث أَبِي عَبْد الرَّحْمَن الْمُقْرِئ بِهِ.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مُوسَى الحرشي الْبَصْرِيّ، حَدَّثَنَا الحَسَن بْن سلم بْن صَالِح العِجْلِيّ، حَدَّثَنَا ثَابِت الْبُنَانِيّ، عَنْ أَنَس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عَدَلَتْ لَهُ بِنِصْفِ الْقُرْآن»[4]. ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث الحَسَن بْن سَلْم. وَقَدْ رَوَاهُ الْبَزَّار عَنْ مُحَمَّد بْن مُوسَى الحرشي عَنْ الحَسَن بْن سلم، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : « ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِل ثُلُث الْقُرْآن. و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِل رُبْع الْقُرْآن»[5]. هَذَا لَفْظه. وَقَال التِّرْمِذِيّ أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن حُجْر، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون حَدَّثَنَا يَمَان بْن الْمُغِيرَة الْعَنْزِيّ حَدَّثَنَا عَطَاء عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِل نِصْف الْقُرْآن. وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِل ثُلُث الْقُرْآن، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تَعْدِل رُبْع الْقُرْآن»[6]. ثُمَّ قَال: غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث يَمَان بْن الْمُغِيرَة.

---

(١) في الأزهرية: [معن].
(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٦)، وفيه أبو معشر: ضعيف.
(٣) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (١٣٩٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».
(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».
(٥) **إسناده ضعيف**: عزاه ابن كثير للبزار، وهو من طريق الحسن بن سلم: مجهول، له شواهد.
(٦) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٢٨٩٦)، وفيه يمان بن المغيرة: ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث.

وَقَال أَيْضًا حَدَّثَنَا عُقْبَة بْن مُكْرَم العَمِّيّ البَصْرِيّ، حَدَّثَنِي ابْن أَبِي فُدَيْك، أَخْبَرَنِي سَلمَة بْن وَرْدَان، عَنْ أَنَس ابْن مَالك، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابه: «هَل تَزَوَّجْت يَا فُلان؟». قَال: لا وَالله يَا رَسُول الله ﷺ وَلا عِنْدِي مَا أَتَزَوَّج؟! قَال: «أَلَيْسَ مَعَك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»؟ قَال: بَلى. قَال: «ثُلُث القُرْآن». قَال: أَلَيْسَ مَعَك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾»؟ قَال: بَلى. قَال: «رُبْع القُرْآن». قَال: «أَليْسَ مَعَك ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؟». قَال: بَلى. قَال: «رُبْع القُرْآن». قَال: «أَلَيْسَ مَعَك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؟». قَال: بَلى. قَال: «رُبْع القُرْآن. تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ».[١] ثُمَّ قَال: هَذَا حَدِيث حَسَن، تَفَرَّدَ بِهِنَّ ثَلاثَتهنَّ التِرمذي، لمْ يَرْوِهِنَّ غَيْره مِنْ أَصْحَاب الكُتُب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

قَال ابْن عَبَّاس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، أَيْ: تَحَرَّكت مِنْ أَسْفَلهَا. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، يَعْنِي: أَلقَتْ مَا فِيهَا مِنَ المَوْتَى. قَالهُ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف. وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾. وَقَال مُسْلم فِي صَحِيحه: حَدَّثَنَا وَاصِل بْن عَبْد الأَعْلى حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**تُلقِي الأَرْض أَفْلاذ كَبِدهَا أَمْثَال الأُسْطُوَان مِنْ الذَّهَب وَالفِضَّة، فَيَجِيء القَاتِل فَيَقُول: فِي هَذَا قَتَلت! وَيَجِيء القَاطِع فَيَقُول: فِي هَذَا قَطَعْت رَحِمِي! وَيَجِيء السَّارِق فَيَقُول: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي! ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا**».[٢]

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾، أَيْ: اسْتَنْكَرَ أَمْرهَا بَعْدَمَا كَانَتْ قَارَّة سَاكِنَة ثَابِتَة، وَهُوَ مُسْتَقِرّ عَلى ظَهْرهَا، أَيْ: تَقَلَّبَتْ الحَالُ فَصَارَتْ مُتَحَرِّكَة مُضْطَرِبَة، قَدْ جَاءَهَا مِنْ أَمْر الله مَا قَدْ أَعَدَّهُ لهَا مِنْ الزَّلزَال الَّذِي لا مَحِيد لهَا عَنْهُ، ثُمَّ أَلقَتْ مَا فِي بَطْنهَا مِنْ الأَمْوَات مِنْ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ، وَحِينَئِذٍ اسْتَنْكَرَ النَّاس أَمْرهَا وَتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَات، وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ. وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، أَيْ: تُحَدِّث بِمَا عَمِل العَامِلُونَ عَلى ظَهْرهَا.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم حَدَّثَنَا ابْن المُبَارَك، وَقَال التِّرْمِذِيّ وَأَبُو عَبْد الرَّحْمَن النَّسَائِيّ، وَاللَّفْظ لهُ: حَدَّثَنَا سُوَيْد بْن نَصْر أَخْبَرَنَا عَبْد الله -هُوَ ابْن المُبَارَك- عَنْ سَعِيد بْن أَبِي أَيُّوب عَنْ يَحْيَى بْن أَبِي سُليْمَان، عَنْ سَعِيد المَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَرَأَ رَسُول الله ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قَال: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارهَا؟». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلم. قَال: «فَإِنَّ أَخْبَارهَا أَنْ تَشْهَد عَلى كُلّ

---

(١) **حسن** : أخرجه الترمذي (٢٨٩٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٠١٣).

عَبْد وأَمَة بِمَا عَمِل عَلى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُول: عَمِل كَذَا وَكَذَا [يَوْم كَذَا وكذا][١]، فَهَذِهِ أَخْبارهَا»[٢]. ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث حَسَن صَحِيح غَرِيب. وَفِي «مُعْجَم الطَّبَرَانِيّ» مِنْ حَدِيث ابْنِ لَهِيعَة: حَدَّثَنِي الحَارِث بْن يَزِيد سَمِعَ رَبِيعَة الجرشي أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «تَحَفَّظُوا مِنْ الأَرْض، فَإِنَّهَا أُمّكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَد عَامِل عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا؛ إِلَّا وَهِيَ مُخْبِرَة».[٣]

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، قَال البُخَارِيّ: أَوْحَى لهَا وأوحى إِلَيْهَا، وَوَحَى لهَا وَوَحَى إِلَيْهَا: وَاحِد. وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أَيْ: أَوْحَى إِلَيْهَا. وَالظَّاهِر أَنَّ هَذَا مُضَمَّنٌ: أَذِنَ لهَا. وَقَال شَبِيب بْن بِشْر، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قَال: قَال لهَا رَبّهَا: قُولِي فَقَالتْ. وَقَال مُجَاهِد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أَيْ: أَمَرَهَا. وَقَال القرظي: أَمَرَهَا أَنْ تَنْشَقّ عَنْهُمْ. وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: يَرْجِعُونَ عَنْ مَوْقِف الحِسَاب ﴿أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا، مَا بَيْن شَقِيّ وَسَعِيد، مَأْمُور بِهِ إِلى الجَنَّة، وَمَأْمُور بِهِ إِلى النَّار. قَال ابْن جُرَيْج: يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا فَلا يَجْتَمِعُونَ آخِر مَا عَلَيْهِمْ. وَقَال السُّدِّيّ: ﴿أَشْتَاتًا﴾: فِرَقًا. وَقَوْله تَعَالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أَيْ: ليَعْمَلُوا وَيُجَازَوْا بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، مِنْ خَيْر وَشَرّ؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَبْد الله حَدَّثَنِي مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ عَنْ أَبِي صَالح السَّمَّان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: **«الخَيْل لثَلاثَةٍ: لرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فَأَمَّا الَّذِي لهُ أَجْر فَرَجُل رَبَطَهَا فِي سَبِيل الله، فَأَطَال طِيَلهَا فِي مَرْج أَوْ رَوْضَة، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلهَا ذَلكَ فِي المَرْج وَالرَّوْضَة كَانَ لهُ حَسَنَات، وَلوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كانت آثَارها وَأَرْوَاثها حَسَنَات لهُ، وَلوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ [فَشَرِبَتْ][٤] مِنْهُ وَلمْ يُرِدْ أَنْ يُسْقَى بِهِ كَانَ ذَلكَ حَسَنَات لهُ، وَهِيَ لذَلكَ الرَّجُل أَجْر. وَرَجُل رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا وَلمْ يَنْسَ حَقّ الله فِي رِقَابهَا وَلا ظُهُورهَا فَهِيَ لهُ سِتْر، وَرَجُل رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاء وَنِوَاء، فَهِيَ عَلى ذَلكَ وِزْر»**. فَسُئِل رَسُول الله ﷺ عَنْ الحُمُر فَقَال: **«مَا أَنْزَل الله فيها شَيْئًا إِلاَّ هَذِهِ الآيَة الفَاذَّة الجَامِعَة:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾»[٥]. وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث زَيْد بْن أَسْلَمَ بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون أَخْبَرَنَا جَرِير بْن حَازِم، حَدَّثَنَا الحَسَن عَنْ صَعْصَعَة بْن مُعَاوِيَة عَمّ الفَرَزْدَق أَنَّهُ أَتَى النَّبِيّ ﷺ فَقَرَأَ عَليْهِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، قَال: حَسْبِي، لا أُبَالِي أَنْ لا أَسْمَع غَيْرهَا.[٦] وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير، عَنْ إِبْرَاهِيم بْن يونس ابن محمد المُؤَدِّب، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَرِير بْن حَازِم، عَنْ الحَسَن البَصْرِيّ قَال: حَدَّثَنَا صَعْصَعَة عَمّ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٣٥٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٣) **ضعيف**: أخرجه الطبراني (٥/ ٦٥/ ٤٥٩٦)، وفيه ابن لهيعة: ضعيف.
(٤) في الأزهرية: [قريب].
(٥) **صحيح**: تقـدم.
(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٥٩).

الفَرَزْدَق ... فَذَكَرَهُ. وَفِي «صَحِيح البُخَارِيّ»، عَنْ عَدِيّ مَرْفُوعًا: «**اتَّقُوا النَّار وَلوْ بِشِقّ تَمْرَة، وَلوْ بِكلمَةٍ طَيِّبَة**»[١]. وفِي الصَّحِيح: «**لا تَحْقِرَن مِنْ المَعْرُوف [شَيْئًا]**[٢]**، وَلوْ أَنْ تُفْرِغ مِنْ دَلوك فِي إِنَاء المُسْتَسْقِي، وَلوْ أَنْ تَلقَى أَخَاك وَوَجْهك إِليْهِ مُنْبَسِطٌ**»[٣]. وَفِي الصَّحِيح أَيْضًا: «**يَا نِسَاء المُؤْمِنَات لا تَحْقِرَن جَارَةٌ لجَارَتِهَا وَلوْ فِرْسِنَ شَاة**»[٤]. يَعْنِي: ظِلفهَا. وَفِي الحَدِيث الآخَر: «**رُدُّوا السَّائِل وَلوْ بِظِلفٍ مُحَرَّق**».[٥]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله الأَنْصَارِيّ، حَدَّثَنَا كَثِير بْن زَيْد عَنْ المُطَّلب بْن عَبْد الله، عَنْ عَائِشَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «**يَا عَائِشَة، اسْتَتِرِي مِنْ النَّار وَلوْ بِشِقّ تَمْرَة، فَإِنَّهَا تَسُدّ مِنْ الجَائِع مَسَدَّهَا مِنْ الشَّبْعَان**»[٦]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَة أَنَّهَا تَصَدَّقَتْ بِعِنَبَةٍ وَقَالتْ: كَمْ فِيهَا مِنْ مِثْقَال ذَرَّة. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن مُسْلم، سَمِعْت عَامِر بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، حَدَّثَنِي عَوْف بْن الحَارِث بْن الطُّفَيْل، أَنَّ عَائِشَة أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ يَقُول: «**يَا عَائِشَة؛ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَات الذُّنُوب، فَإِنَّ لهَا مِنْ الله طَالبًا**»[٧]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن مُسْلم بْن بَانَك بِهِ.

وَقَال ابْن جُرَيْر: حَدَّثَنِي أَبُو الخَطَّاب [الحَسَّانِيّ][٨]، حَدَّثَنَا الهَيْثَم بْن الرَّبِيع، حَدَّثَنَا سِمَاك بْن عَطِيَّة، عَنْ أَيُّوب، عَنْ أَبِي قِلابَة، عَنْ أَنَس؛ قَال: كَانَ أَبُو بَكْر يَأْكُل مَعَ النَّبِيّ ﷺ فَنَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فَرَفَعَ أَبُو بَكْر يَده وَقَال: يَا رَسُول الله إِنِّي أُجْزَى بِمَا عَمِلت مِنْ مِثْقَال ذَرَّة مِنْ شَرّ؟ فَقَال: «**يَا أَبَا بَكْر مَا رَأَيْت فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَه فَبِمَثَاقِيل ذَرّ الشَّرّ، وَيَدَّخِر الله لك مَثَاقِيل ذَرّ الخَيْر حَتَّى تُوَفَّاهُ يَوْم القِيَامَة**».[٩] وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الخَطَّاب بِهِ. ثُمَّ قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن بَشَّار، حَدَّثَنَا عَبْد الوَهَّاب حَدَّثَنَا أَيُّوب؛ قَال: فِي كِتَاب أَبِي قِلابَة عَنْ أَبِي إِدْرِيس، أَنَّ أَبَا بَكْر كَانَ يَأْكُل مَعَ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ. وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ يَعْقُوب، عَنْ ابْن عُليَّة، عَنْ أَيُّوب عَنْ أَبِي قِلابَة: أَنَّ أَبَا بَكْر... وَذَكَرَهُ.

طَرِيق أُخْرَى: قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يُونُس بْن عَبْد الأَعْلى، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي حُيي بْن عَبْد الله عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن الحُبُلِيّ عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن العَاص أَنَّهُ قَال: لـمَّا نَزَلتْ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وَأَبُو بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنه قَاعِد، فَبَكَى حِين أُنْزِلتْ، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «**مَا يُبْكِيك يَا أَبَا بَكْر؟**». قَال: يُبْكِينِي هَذِهِ السُّورَة. فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «**لوْلا أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ، فَيَغْفِر الله لكُمْ، لخَلقَ الله أُمَّة يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِر لهُمْ**».[١٠]

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٤٠).
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٩٨).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠).
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٦٧)، والترمذي (٦٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٥٠٢).
(٦) حسن: أخرجه أحمد (٦/ ٧٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦٥).
(٧) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٥١)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٨) في الأزهرية: [الحساي].
(٩) صحيح: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٦٨).
(١٠) حسن صحيح: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٠)، وإسناده حسن، وله شواهد صحيحة.

حَدِيثٌ آخَر: قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة وَعَلِيّ بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن محمد بن المُغِيرَة -المَعْرُوف بِعَلَّان المِصْرِيّ- قَالا: حَدَّثَنَا عَمْرو بْن خَالد الحَرَّانِيّ حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة أَخْبَرَنِي هِشَام بْن سَعْد عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ عَنْ عَطَاء بْن يَسَار عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ قَال: لـمَّا أُنْزِلتْ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، قُلت: يَا رَسُول الله إِنِّي لرَاء عَمَلِي؟ قَال: «نعمْ». قُلت: تِلْكَ الكِبَار الكِبَار؟ قَال: «نعمْ». قُلت: الصِّغَار الصِّغَار؟ قَال: «نعمْ». قُلت: وَاثُكْل أُمِّي، قَال: «أَبْشِرْ يَا أَبَا سَعِيد؛ فَإِنَّ الحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالهَا -يَعْنِي إِلى سَبْعِمائَةِ ضِعْف-، وَيُضَاعِف الله لمَنْ يَشَاء، وَالسَّيِّئَة بِمِثْلها أَوْ يغفر الله، وَلنْ يَنْجُو أَحَد مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ». قُلت: وَلا أَنْتَ يَا رَسُول الله ﷺ؟ قَال: «وَلا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»(1). قَال أَبُو زُرْعَة: لمْ يَرْوِ هَذَا غَيْر ابْن لَهِيعَة.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْد الله بْن بكير، حَدَّثَنِي ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنِي عَطَاء بْن دِينَار، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر فِي قَوْل الله تَعَالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وَذَلكَ لمَّا نَزَلتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ كَانَ المُسْلمُونَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لا يُؤْجَرُونَ عَلى الشَّيْء القَليل إِذَا أَعْطَوْهُ، فَيَجِيء المِسْكِين إِلى أَبْوَابِهِمْ، فَيَسْتَقِلُّونَ أَنْ يُعْطُوهُ التَّمْرَة وَالكِسْرَة وَالجَوْزَة وَنَحْو ذَلكَ، فَيَرُدُّونَهُ وَيَقُولُونَ: مَا هَذَا بِشَيْءٍ؟ إِنَّمَا نُؤْجَر عَلى مَا نُعْطِي وَنَحْنُ نُحِبّهُ. وَكَانَ آخَرُونَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لا يُلامُونَ عَلى الذَّنْب اليَسِير: الكَذْبَة وَالنَّظْرَة وَالغِيبَة وَأَشْبَاه ذَلكَ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا وَعَدَ الله النَّار عَلى الكَبَائِر. فَرَغَّبَهُمْ فِي القَليل مِنْ الخَيْر أَنْ يَعْمَلُوهُ فَإِنَّهُ يُوشِك أَنْ يَكْثُر، وَحَذَّرَهُمْ اليَسِير مِنْ الشَّرّ، فَإِنَّهُ يُوشِك أَنْ يَكْثُر، فَنَزَلتْ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يَعْنِي: وَزْن أَصْغَر النَّمْل ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ يَعْنِي فِي كِتَابه وَيَسُرُّهُ ذَلكَ. قَال: يُكْتَب لكُلِّ بَرّ وَفَاجِر بِكُلِّ سَيِّئَة سَيِّئَة وَاحِدَة، وَبِكُلِّ حَسَنَة عَشْر حَسَنَات، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة ضَاعَفَ الله حَسَنَات المُؤْمِنِينَ أَيْضًا، بِكُلِّ وَاحِدة عَشْرًا وَيَمْحُو عَنْهُ بِكُلِّ حَسَنَة عَشْر سَيِّئَات، فَمَنْ زَادَتْ حَسَنَاته عَلى سَيِّئَاته مِثْقَال ذَرَّة دَخَل الجَنَّة.(2)

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سُليْمَان بْن دَاوُد، حَدَّثَنَا عِمْرَان عَنْ قَتَادَة، عَنْ عَبْد رَبّه عَنْ أَبِي عِيَاض، عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَات الذُّنُوب، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلى الرَّجُل حَتَّى يُهْلكْنَهُ**». وَإِنَّ رَسُول الله ﷺ ضَرَبَ لهُنَّ مَثَلًا كَمَثَل قَوْم نَزَلُوا أَرْض فَلاة، فَحَضَرَ صَنِيع القَوْم، فَجَعَل الرَّجُل ينطلق فيجيء بِالعُودِ، وَالرَّجُل يَجِيء بِالعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا.(3)

آخِر تَفْسِير سُورَة «إِذَا زُلزِلتْ»، وَلله الحَمْد

(1) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٠)، من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف. وألفاظ الحديث لها شواهد صحيحة.
(2) **ضعيف الإسناد**: عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم، وفيه ابن لهيعة: ضعيف، والإسناد مرسل.
(3) **صحيح**: تقــدم.

تفسير سُورَةُ العَادِيَاتِ وهي مكية

ترتيبها ١٠٠ — وآياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

يُقْسِم تَعَالى بِالخَيْل إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيله فَعَدَتْ وَضَبَحَتْ، وَهُوَ: الصَّوْت الَّذِي يُسْمَع مِنْ الفَرَس حِين تَعْدُو. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾، يَعْنِي: اصْطِكاكَ نِعَالها بالصَّخر، فتَقْدح مِنه النَّارَ. ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، يعني: الإغارة وَقْت الصَّباح، كَما كانَ رسُول الله ﷺ يُغير صَباحًا، ويَتَسمَّع أذانًا، فإنْ سَمِع وإلا أغارَ. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾، يَعْني: غُبارًا في مُعْتَرك الخُيُولِ. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أي: توسَّطْنَ ذلكَ المكانَ كلُّهنَّ جَمْع. قالَ ابنُ أبي حَاتِم: حدَّثنا أبو سَعيدٍ الأشجّ، حدَّثنا عَبْدة، عَنْ الأَعْمش، عَنْ إبراهيمَ عن عَبْد الله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، قَال: الإِبل. وَقَال عَليّ: هِيَ الإِبل. وَقَال ابْن عبَّاس: هِيَ الخَيْل. فَبلغَ عَليًّا قَوْل ابْن عبَّاس، فَقَال: مَا كَانَتْ لنَا خَيْل يَوْم بَدْر. قَال ابْن عبَّاس: إِنَّما كَانَ ذَلكَ فِي سَرِيَّة بُعِثَتْ.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم وَابْن جَرِير: حَدَّثَنَا يُونُس، أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخر عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة البَجَليّ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عبَّاس حَدَّثَهُ قَال: بَيْنَا أَنَا فِي الحِجْر جَالسًا، إذ جاءني رَجُل فَسأَلنِي عَنْ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فَقُلت لهُ: الخَيْل حِين تُغير فِي سَبِيل الله، ثُمَّ تأْوِي إِلى اللَّيْل، فَيَصْنَعُونَ طَعامهمْ، وَيُورُونَ نَارَهُمْ. فَانْفتَل عَنِّي فَذَهَبَ إِلى عَليّ رضي الله عنه وَهُوَ عِنْد سِقَايَة زَمْزَم، فَسَأَلهُ عَنْ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فَقَال: سَأَلت عَنْهَا أَحَدًا قَبْلِي؟ قَال: نَعَمْ، سَأَلت ابْن عبَّاس، فَقَال: الخَيْل حِينَ تُغِير فِي سَبِيل الله. قَال: اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي. فَلَمَّا وَقَفَ عَلى رَأْسه قَال: أَتُفْتِي النَّاس بِمَا لا عِلم لك، وَالله لئِنْ كَانَ أَوَّل غَزْوَة فِي الإِسْلام بَدْر، وَمَا كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ: فَرَس للزُّبَيْرِ، وَفَرَس للمِقْدَادِ، فَكَيْف تَكُون العَادِيَات ضَبْحًا، إِنَّمَا العَادِيَات ضَبْحًا مِنْ عَرَفَة إِلى المُزْدَلفَة، وَمِنْ المُزْدَلفَة إِلى مِنًى. قَال ابْن عبَّاس: فَنَزَعْت عَنْ قَوْلي، وَرَجَعْت إِلى الَّذِي قَال عَليّ رضي الله عنه. وَبِهَذَا الإِسْنَاد عَنْ ابْن عبَّاس قَال: قَال عَليّ: إِنَّمَا ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ مِنْ عرَفَة إِلى المُزْدَلفَة، فَإِذَا أَوَوْا إِلى المُزْدَلفَة أَوْرَوْا النِّيرَان. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عبَّاس: هِيَ الخَيْل.

وَقَدْ قَال بِقَوْل عَليّ: إِنَّهَا الإِبل، جَمَاعَة مِنْهُمْ: إِبْرَاهِيم، وعبيد بْن عُمَيْر، وبِقَوْل ابْن عبَّاس آخَرُونَ، مِنْهُمْ: مُجَاهِد وَعِكْرِمَة وَعطَاء وَقتَادَة وَالضَّحَّاك. وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال ابْن عبَّاس وَعَطَاء: مَا ضُبِحَتْ دَابَّة قَطُّ إِلَّا فَرَس أَوْ كَلب. وَقَال ابْن جُرَيْج: عَنْ عَطَاء: سَمِعْت ابْن عبَّاس يَصِف الضَّبْح: أح أح. وَقَال أَكْثَر هَؤُلاءِ فِي قَوْله: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾، يَعْنِي: بِحَوَافِرِهَا. وَقِيل: أسعرن الحَرْب بَيْن رُكْبَانهنَّ. قَالهُ قَتَادَة. وَعَنْ ابْن عبَّاس وَمُجَاهِد: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ يَعْنِي: مَكْر الرِّجَال. وَقِيل: هُوَ إِيقَاد النَّار إِذَا رَجَعُوا إِلى مَنَازِلهمْ مِنْ اللَّيْل. وَقِيل: المُرَاد بِذَلكَ نِيرَان القَبَائِل. وَقَال مَنْ فَسَّرَهَا بِالخَيْل: هُوَ إِيقَاد النَّار بِالمُزْدَلفَةِ. قَال ابْن جَرِير: وَالصَّوَاب الأَوَّل: أَنَّهَا الخَيْل حِين تَقْدَح بِحَوَافِرِهَا.

وَقَوْله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَقَتَادَة: يَعْنِي إِغَارَة الخَيْل صُبْحًا فِي سَبِيل الله. وَقَال مَنْ فَسَّرَهَا بِالإِبِل: هُوَ الدَّفع صُبْحًا مِنْ المُزْدَلفَة إِلى مِنًى. وَقَالُوا كُلّهمْ فِي قَوْله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: هُوَ المَكَان الَّذِي إذا حَلَّتْ فِيهِ أَثَارَتْ بِهِ الغُبَار إِمَّا فِي حَجّ أَوْ غَزْو. وَقَوْله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قَال العَوْفِيّ، عَنْ ابْن عَبَّاس، وَعَطَاء وَعِكْرِمَة، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك: يَعْنِي جَمْع الكُفَّار مِنْ العَدُوّ. ويحتمل أَنْ يَكُون: ﴿فَوَسَطْنَ﴾ بِذَلكَ المَكَان جَمِيعهنَّ، وَيَكُون ﴿جَمْعًا﴾ مَنْصُوبًا عَلى الحَال المُؤَكِّدَة. وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْر البَزَّار هَهُنَا حَدِيثًا فَقَال: حَدَّثَنَا أَحْمَد ابْن عَبْدَة، حَدَّثَنَا حَفْص بْن جُمَيْع حَدَّثَنَا سِمَاك، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: بَعَثَ رَسُول الله ﷺ خَيْلًا فَأَشْهَرَتْ شَهْرًا لا يَأْتِيه مِنْهَا خَبَر، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ ضَبَحَتْ بِأَرْجُلهَا ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قَدَحَتْ بِحَوَافِرِهَا الحِجَارَة فَأَوْرَتْ نَارًا، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ صَبَّحَتْ القَوْم بِغَارَةٍ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾، أَثَارَتْ بِحَوَافِرِهَا التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾، قَال: صَبَّحَتْ القَوْم جَمِيعًا.[1] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، هَذَا هُوَ المُقْسَم عَلَيْهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ بِنِعَم رَبّه لجحود كفور. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وإبراهيم النَّخَعِيّ، وَأَبُو الجَوْزَاء، وَأَبُو العَالِيَة، وَأَبُو الضُّحَى، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَمُحَمَّد بْن قَيْس، وَالضَّحَّاك، وَالحَسَن وَقَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَابْن زَيْد: الكَنُود: الكَفُور. قَال الحَسَن: هُوَ الَّذِي يَعُدّ المَصَائِب، وَيَنْسَى نِعَم ربه.

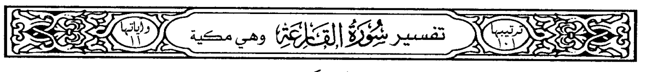
وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا [عُبَيْد][2] الله عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ جَعْفَر بْن الزُّبَيْر عَنْ القَاسِم، عَنْ أَبِي أُمَامَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، قَال: «الكفور الَّذِي يَأْكُل وَحْده، وَيَضْرِب عَبْده، وَيَمْنَع رِفْده»[3]. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، مِنْ طَرِيق جَعْفَر بْن الزُّبَيْر -وَهُوَ مَتْرُوك- فَهَذَا إِسْنَاد ضَعِيف. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير أَيْضًا مِنْ حَدِيث حريز بن عُثْمَان عَنْ حَمْزَة بْن هَانِئ عَنْ أَبِي أُمَامَة موقوفًا. وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قَال قَتَادَة وَسُفْيَان الثَّوْرِيّ: وَإِنَّ الله عَلى ذَلكَ لشَهِيد. وَيَحْتَمِل أَنْ يَعُود الضَّمِير عَلى الإِنْسَان. قَالهُ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ. فَيَكُون تَقْدِيره: وَإِنَّ الإِنْسَان عَلى كَوْنه كَنُودًا لشَهِيد، أَيْ: بِلسَانِ حَاله. أَيْ: ظَاهِر ذَلكَ عَلَيْهِ فِي أَقْوَاله وَأَفْعَاله، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، أَيْ: وَإِنَّهُ لحُبِّ الخَيْرِ -وَهُوَ: المَال- لشَدِيد. وَفِيهِ مَذْهَبَانِ: أَحَدهمَا: أَنَّ المَعْنَى: وَإِنَّهُ لشَدِيد المَحَبَّة للمَال. وَالثَّانِي: وَإِنَّهُ لحَرِيص بَخِيل؛ مِنْ محَبَّة المَال. وَكِلاهُمَا صَحِيح. ثُمَّ قَال تَعَالى مُزَهِّدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرَغِّبًا فِي الآخِرَة، وَمُنَبِّهًا عَلى مَا هُوَ كَائِن بَعْد هَذِهِ الحَال، وَمَا يَسْتَقْبِلهُ الإِنْسَان مِنْ الأَهْوَال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أَيْ: أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنْ الأَمْوَات، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾، قَال ابْن عَبَّاس وَغَيْره: يَعْنِي أَبْرزَ وَأُظْهِرَ مَا كَانُوا يُسِرُّونَ فِي نُفُوسهمْ، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أَيْ: لعَالمٌ بِجَمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيَعْمَلُونَ، وَمُجَازِيهمْ عَلَيْهِ أَوْفَر الجَزَاء، وَلا يَظْلم مِثْقَال ذَرَّة.

آخِر سُورَة «والعَادِيَات»، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة، وهو حسبي

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه البزار، وفيه حفص بن جميع: ضعيف، وفيه سماك عن عكرمة: وروايته عنه مضطربة.
(٢) في الأزهرية: [عبد].
(٣) **ضعيف جدًا**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٨)، وفيه جعفر بن الزبير: متروك.



تفسير سورة القارعة وهي مكية

ترتيبها ١٠١ وآياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: مِنْ أَسْمَاء يوم القِيَامَة، كَالحَاقَّةِ وَالطَّامَّة وَالصَّاخَّة وَالغَاشِيَة، وَغَيْر ذَلكَ. ثُمَّ قَال مُعَظِّمًا أمرها وَمُهَوِّلًا لشأنها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾. ثُمَّ فَسَّرَ ذَلكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، أَيْ: فِي انْتِشَارهمْ وَتَفَرُّقهمْ وَذَهَابهمْ وَمَجِيئِهِمْ، مِنْ حِيرَتهمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ كَأَنَّهُمْ فَرَاش مَبْثُوث. كَمَا قَال فِي الآيَة الأُخْرَى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾. وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾، يَعْنِي: قَدْ صَارَتْ كَأَنَّهَا الصُّوف المَنْفُوش الَّذِي قَدْ شَرَعَ فِي الذَّهَاب وَالتَّمَزُّق. قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَالحَسَن وَقَتَادَة وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ، وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ: ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾، الصُّوف. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالى عَمَّا يَئُول إليه عَمَل العَامِلِينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ الكَرَامَة أو الإِهَانَة بِحَسَبِ أعمالهم فَقَال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أَيْ: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلى سَيِّئَاتِهِ، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، يَعْنِي: فِي الجَنَّة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، أَيْ: رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلى حَسَنَاتِهِ.

وقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، قِيل: مَعْنَاهُ فَهُوَ سَاقِطٌ هَاوٍ بِأُمِّ رَأسه فِي نَار جَهَنَّم. وَعَبَّرَ عَنْهُ بِأُمِّهِ يَعْنِي دماغه. رُوِي نَحو هَذَا عَنْ ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة، وَأَبِي صَالح وَقَتَادَة. قَال قَتَادَة: يَهْوِي فِي النَّار عَلى رَأسه. وَكَذَا قَال أَبُو صَالح: يَهْوُونَ فِي النَّار عَلى رُءُوسهمْ. وَقِيل: مَعْنَاهُ ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ الَّتِي يَرْجِع إِلَيْهَا وَيَصِير فِي المَعَاد إِلَيْهَا ﴿هَاوِيَةٌ﴾ وَهِيَ اسْم مِنْ أَسْمَاء النَّار. قَال ابْن جَرِير: وَإِنَّمَا قِيل للهَاوِيَة: أُمّه؛ لأَنَّهُ لا مَأْوَى لهُ غَيْرهَا. وَقَال ابْن زَيْد: الهَاوِيَة: النَّار، الَّتِي هِيَ أُمّه وَمَأْوَاهُ الَّتِي يَرْجِع إِلَيْهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا، وَقَرَأَ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾. قَال ابْن أَبِي حَاتِم: وَرُوِيَ عَنْ [قَتَادَة][1] أَنَّهُ قَال: هي النَّار وَهِيَ مَأْوَاهُمْ، وَلهَذَا قَال تَعَالى مُفَسِّرًا للهَاوِيَة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

قَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى: حَدَّثَنَا ابن ثَوْر عَنْ مَعْمَر، عَنْ الأَشْعَث بْن عَبْد الله الأَعْمَى قَال: «إِذَا مَاتَ المُؤْمِن ذُهِبَ بِرُوحِهِ إِلى أَرْوَاح المُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُونَ: رَوِّحُوا أَخَاكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمّ الدُّنْيَا، قَال: وَيَسْأَلُونَهُ: مَا فَعَل فُلان؟ فَيَقُول: مَاتَ، أَوَمَا جَاءَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ذُهِبَ بِهِ إِلى أُمّه الهَاوِيَة». وَقَدْ رَوَاهُ ابْن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق أَنَس بْن مَالك مَرْفُوعًا بِأَبْسَط مِنْ هَذَا، وَقَدْ أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَاب «صِفَة النَّار»، أَجَارَنَا اللهُ مِنْهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. وَقَوْله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، أَيْ حَارَّة شَدِيدَة الحَرّ قَوِيَّة اللهيب وَالسَّعِير. قَال أَبُو مُصْعَب، عَنْ مَالك عَنْ أَبِي الزِّنَاد عَنْ الأَعْرَج عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «نَار بَنِي آدَم الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَار جَهَنَّم». قَالُوا: يَا رَسُول الله إِنْ كَانَتْ لكَافِيَة؟ فَقَال: «إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَليْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا».[2] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ، عَنْ

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) صحيح: تقدم.

إِسْمَاعِيل بْن أَبِي أُوَيْس، عَنْ مَالك، وَرَوَاهُ مُسْلم عَنْ قُتَيْبَة عَنْ الْمُغِيرَة بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِي الزِّنَاد بِهِ. وَفِي بَعْض أَلفَاظه: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلّهنَّ مِثْل حَرّهَا**».

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا حَمَّاد -وهُوَ [ابْن][1] سَلمَة-، عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي زِيَاد سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَة يَقُول: سَمِعْت أبا القَاسِم ﷺ يَقُول: «**نَار بَنِي آدَم الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَار جَهَنَّم**». فَقَال رَجُل: إِنْ كَانَتْ لكَافِيَة؟ فَقَال: «**لقَدْ فُضِّلَتْ عَليْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، حَرًّا فَحَرًّا**». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد مِنْ هَذَا الوَجْه، وَهُوَ عَلَى شَرْط مُسْلم.

وقال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ أَبِي الزِّنَاد عَنْ الأَعْرَج عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ -وَعَمْرو عَنْ يَحْيَى بْن جَعْدَة-: «**إِنَّ نَاركُمْ هَذِهِ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَار جَهَنَّم، [وَضُرِبَتْ بِالبَحْرِ]**[2] **مَرَّتَيْنِ، وَلوْلا ذَلكَ مَا جَعَل الله فِيهَا مَنْفَعَة لأَحَدٍ**»[3]. وَهَذَا عَلَى شَرْط الصحة، وَلمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه» مِنْ طَرِيق....[4] وَرَوَاهُ البَزَّار مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن مَسْعُود وَأَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ: «**نَاركُمْ هَذِهِ جُزْء مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا**».

وَقَدْ قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا عَبْد العَزِيز -هُوَ ابْن مُحَمَّد الدَّرَاوَرْدِيّ- عَنْ سهيل عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ؓ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**هَذِهِ النَّار جُزْء مِنْ مِائَة جُزْء مِنْ جَهَنَّم**». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الوَجْه، وَهُوَ عَلَى شَرْط مُسْلم أَيْضًا. وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَمْرو الخَلَّال حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن المُنْذِر الحِزَامِيّ حَدَّثَنَا مَعْن بْن عِيسَى القَزَّاز عَنْ مَالك عَنْ عَمّه أَبِي سُهَيْل، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**أَتَدْرُونَ مَا مَثَل نَاركُمْ هَذِهِ مِنْ نَار جَهَنَّم ؟ لهِيَ أَشَدّ سَوَادًا مِنْ دُخَان نَاركُمْ هَذِهِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا**». وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو مُصْعَب، عَنْ مَالك وَلمْ يَرْفَعهُ. وَرَوَى التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ، عَنْ عَبَّاس الدَّوْرِيّ عَنْ يَحْيَى بْن [بُكَيْر][5] حَدَّثَنَا شَرِيك عَنْ عَاصِم عَنْ أَبِي صَالح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «أُوقِدَ عَلى النَّار أَلف سَنَة حَتَّى احْمَرَّتْ، [ثُمَّ][6] أُوقِدَ عَليْهَا أَلف سَنَة حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَليْهَا أَلف سَنَة حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاء مُظْلمَة»[7]. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ حَدِيث أَنَس وَعُمَر بْن الخَطَّاب.

وَجَاءَ فِي الحَدِيث عِنْد الإِمَام أَحْمَد مِنْ طَرِيق أَبِي [عُثْمَان][8] النَّهْدِيّ، عَنْ أَنَس وَأَبِي نَضْرَة العبدي، عَنْ أَبِي سَعِيد وَعَجْلان مَوْلى المُشْمَعِلّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «**إِنَّ أَهْوَن أَهْل النَّار عَذَابًا مَنْ لهُ نَعْلانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغه**».[9] وَثَبَتَ فِي «الصحيح» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**اشْتَكَتْ النَّار إِلى رَبّهَا فَقَالتْ: يَا رَبِّ،**

---

(١) في الأزهرية: [أبو].

(٢) في الأزهرية: [حرث بالهجر].

(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٤).

(٤) **بياض بالأصل** : والحديث في «صحيح مسلم» من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة.

(٥) في الأزهرية: [بكر].

(٦) في الأزهرية: [و].

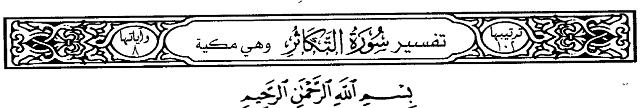
(٧) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٥٩٤)، وفيه شريك القاضي: سيئ الحفظ، وقد وقع منه اضطراب، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».

(٨) في الأزهرية: [عسان].

(٩) **صحيح** : أخرجه أحمد (٣/ ١٣)، وصححه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٠٣٤).

أَكَل بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَس فِي الشِّتَاء، وَنَفَس فِي الصَّيْف فَأَشَدّ مَا تَجِدُونَ فِي الشِّتَاء مِنْ بَرْدهَا، وَأَشَدّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّيْف مِنْ حرّهَا».[١] وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «إِذَا اشْتَدَّ الحرّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلاة، فَإِنَّ شِدَّة الحرّ مِنْ فَيْح جَهَنَّم».[٢]

آخر تَفْسِير سُورَة القَارِعَة، وَلله الحَمْدُ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

يَقُول تَعَالَى: أَشْغَلكُمْ حُبّ الدُّنْيَا وَنَعِيمهَا وَزَهْرَتهَا عَنْ طَلَب الآخِرَة وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمْ المَوْت وَزُرْتُمْ المَقَابِر وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلهَا.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى الوَقَّار المِصْرِيّ، حَدَّثَنَا خَالد بْن عَبْد الدَّائِم عَنْ ابن زَيْد ابْن أَسْلمَ عَنْ أَبِيهِ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عَنْ الطَّاعَة ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: حَتَّى يَأْتِيكُمْ المَوْت.[٣] وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلاد. وَفِي «صَحِيح البُخَارِيّ»، فِي «الرِّقَاق» مِنْهُ: وَقَال أَخْبَرَنَا أَبُو الوَلِيد: حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس بْن مَالك عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب قَال: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنْ القُرْآن حَتَّى نَزَلتْ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، يَعْنِي: (لوْ كَانَ لابْنِ آدَم وَادٍ مِنْ ذَهَب).[٤]

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، سَمِعْت قَتَادَة يُحَدِّث عَنْ مُطَرِّف -يَعْنِي ابْن عَبْد الله ابْن الشِّخِّير- عَنْ أَبِيهِ قَال: انْتَهَيْت إِلى رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَقُول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، يَقُول ابْن آدَم: مَالي مَالي وَهَل لك مِنْ مَالك إِلَّا مَا أَكَلت فَأَفْنَيْت، أَوْ لبِسْت فَأَبْليْت، أَوْ تَصَدَّقْت فَأَمْضَيْت؟!»[٥]. وَرَوَاهُ مُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق شُعْبَة بِهِ. [وَقَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا سُوَيْد بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا حَفْص بْن مَيْسَرَة عَنْ العَلاء عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**يَقُول العَبْد: مَالي مَالي، وَإِنَّمَا لهُ مِنْ مَاله ثَلاث: مَا أَكَل فَأَفْنَى، أَوْ لبِسَ فَأَبْلى، أَوْ تَصَدَّقَ فاقتنى، وَمَا سِوَى ذلك فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ للنَّاسِ**»[٦]. تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلم.

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيّ حَدَّثَنَا سُفْيَان حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر ابْن مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن حَزْم سَمِعَ أَنَس ابْن مَالك يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «**يَتْبَع المَيِّت ثَلاثَة، فَيَرْجِع اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِد: يَتْبَعهُ أَهْله وَمَاله وَعَمَله، فَيَرْجِع أَهْله وَمَاله، وَيَبْقَى عَمَله**».[٧] وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة بِهِ.][٨]

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٣)، ومسلم (٦١٥).
(٣) مرسل: عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم بإسناد مرسل.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٤٠).
(٥) صحيح: تقدم.
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٥٢٥٩).
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).
(٨) تقديم وتأخير في الأزهرية.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَة حَدَّثنَا قَتَادَة عَنْ أَنَس أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدم وتبقى مِنْهُ اثْنَتَانِ الحِرْص وَالأَمَل**»[1]. أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ». وَذَكَرَ الحَافِظ ابْن عَسَاكِر، فِي تَرْجَمَة الأَحْنَف بْن قَيْس وَاسْمه الضَّحَّاك أَنَّهُ رَأَى فِي يَد رَجُل دِرْهَمًا فَقَال: لمَنْ هَذَا الدِّرْهَم؟ فَقَال الرَّجُل: لي. فَقَال: إِنَّمَا هُوَ لك إِذَا أَنْفَقْته فِي أَجْر أَوْ ابْتِغَاء شُكْر. ثُمَّ أَنْشَدَ الأَحْنَف مُتَمَثِّلًا قَوْل الشَّاعِر:

أَنْتَ للمَال إِذَا أَمْسَكْته ❁ فَإِذَا أَنْفَقْته فَالمَال لَك

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثنَا أَبُو أُسَامَة، قَال صَالح بْن حيان: حَدَّثَنِي عَنْ ابْن بُرَيْدَة فِي قَوْله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قَال: نَزَلتْ فِي قَبِيلتَيْنِ [مِنْ قَبَائِل الأَنْصَار، فِي بَنِي حَارِثَة وَبَنِي الحَارِث، تَفَاخَرُوا وَتَكَاثَرُوا، فَقَالتْ][2] إِحْدَاهُمَا: فِيكُمْ مِثْل فُلان ابْن فُلان وَفُلان، وَقَال الآخَرُونَ مِثْل ذَلكَ، تَفَاخَرُوا بِالأَحْيَاءِ، ثُمَّ قَالُوا: انْطَلقُوا بِنَا إِلى القُبُور، فَجَعَلتْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ تَقُول: فِيكُمْ مِثْل فُلان يُشِيرُونَ إِلى القبر، وَمِثْل فُلان، وَفَعَل الآخَرُونَ مِثْل ذَلكَ، فَأَنْزَل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ لقَدْ كَانَ لكُمْ فِيمَا رَأَيْتُمْ عِبْرَة وَشُغْل.[3] وَقَال قَتَادَة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَكْثَر من بَنِي فُلان، وَنَحْنُ أَعَدّ مِنْ بَنِي فُلان، وَهُمْ كُلّ يَوْم يَتَسَاقَطُونَ إِلى آخِرهمْ، وَالله مَا زَالُوا كَذَلكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْل القُبُور كُلّهمْ. وَالصَّحِيح أَنَّ المُرَاد بِقَوْلهِ: ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، أَيْ: صِرْتُمْ إِليْهَا وَدُفِنْتُمْ فِيهَا، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيح» أَنَّ رَسُول الله ﷺ دَخَل عَلى رَجُل مِنْ الأَعْرَاب يَعُودهُ فَقَال: «**لا بَأْس طَهُور إِنْ شَاءَ الله**». فَقَال: قُلت: طَهُور؟! بَل هِيَ حُمَّى تَفُور عَلى شَيْخ كَبِير تُزِيرهُ القُبُور! قَال: «**فَنَعَمْ إِذَنْ**».[4]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثنَا مُحَمَّد بْن سَعِيد الأَصْبَهَانِيّ، أَخْبَرَنَا حَكَّام بْن [سلم][5] الرَّازِيّ عَنْ عَمْرو ابْن أَبِي قَيْس عَنْ الحَجَّاج عَنْ المِنْهَال، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش عَنْ عَليّ قَال: مَا زِلنَا نَشُكّ فِي عَذَاب القَبْر حَتَّى نَزَلتْ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[6] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ حَكَّام بْن [سلم][7] بِهِ وَقَال: غَرِيب.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثنَا أَبِي، حَدَّثنَا سَلمَة بْن دَاوُد العُرْضِيّ حَدَّثنَا أَبُو المَليح الرَّقِّيّ عَنْ مَيْمُون بْن مِهْرَان قَال: كُنْت جَالسًا عِنْد عُمَر بْن عَبْد العَزِيز فَقَرَأَ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فَلبِثَ هنيهةً، فقال: يَا مَيْمُون مَا أَرَى المَقَابِر إِلَّا زِيَارَة، وَمَا للزَّائِر بُدٌّ مِنْ أَنْ يَرْجِع إِلى مَنْزِله. قَال أَبُو مُحَمَّد: يَعْنِي أَنْ يَرْجِع إِلى مَنْزِله إِلى جَنَّة أَوْ إِلى نَار، وَهَكَذَا ذُكِرَ أَنَّ بَعْض الأَعْرَاب سَمِعَ رَجُلًا يَتْلُو هَذِهِ الآيَة: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، فَقَال: بُعِثَ اليوم وَرَبّ الكَعْبَة. أَيْ: إِنَّ الزَّائِر سَيَرْحَلُ مِنْ مَقَامه ذَلكَ إِلى غَيْره.

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قَال الحَسَن البَصْرِيّ: هَذَا وَعِيد بَعْد وَعِيد. وَقَال الضَّحَّاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي: الكُفَّار. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يَعْنِي: أَيّهَا المُؤْمِنُونَ. وَقَوْله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾، أَيْ: لوْ عَلمْتُمْ حَقّ العِلم لمَا أَلهَاكُمْ التَّكَاثُر عَنْ طَلب الدَّار الآخِرَة حَتَّى صِرْتُمْ إِلى

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٤٧).
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) **ضعيف**: فيه صالح بن حيان: ضعيف الحديث.
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦١٦).
(٥) في الأزهرية: [مسلم].
(٦) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٣٥٢)، وفيه الحجاج بن أرطاة: ضعيف، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٧) في الأزهرية: [مسلم].

المَقَابِر. ثُمَّ قَال: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾، هَذَا تَفْسِير الوَعِيد المُتَقَدِّم، وَهُوَ قَوْله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾، [تَوَعَّدَهُمْ](١) بِهَذَا الحَال، وهي رُؤْيَة النَّار الَّتِي إِذَا زَفَرَتْ زَفْرَة وَاحِدَة خور كُلّ مَلك مُقَرَّب وَنَبِيّ مُرْسَل عَلى رُكْبَتَيْهِ مِنْ المَهَابَة وَالعَظَمَة وَمُعَايَنَة الأَهْوَال عَلى مَا جَاءَ بِهِ الأَثَر المَرْوِيّ فِي ذَلِكَ. وقوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، أَيْ: ثُمَّ لتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ الصِّحَّة وَالأَمْن وَالرِّزْق وَغَيْر ذَلكَ. [مَا إِذَا](٢) قَابَلتُمْ بِهِ نِعْمة مِنْ شُكْره وَعِبَادَته.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى الخزاز المُقْرِئ حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن عِيسَى أَبُو خَالد الخزاز، حَدَّثَنَا يُونُس بْن عبيد عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ سَمِعَ عُمَر بْن الخَطَّاب يَقُول: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ عِنْد الظَّهِيرَة فَوَجَدَ أَبَا بَكْر فِي المَسْجِد فَقَال: «مَا أَخْرَجَك هَذِهِ السَّاعَة؟». فَقَال: أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَك يَا رَسُول الله ﷺ، قَال: وَجَاءَ عُمَر بْن الخَطَّاب فَقَال: «مَا أَخْرَجَك يَا بْن الخَطَّاب؟». قَال: أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قَال: فَقَعَدَ عُمَر وَأَقْبَل رَسُول الله ﷺ يُحَدِّثهُمَا، ثُمَّ قَال: «هَل بِكُمَا مِنْ قُوَّة تَنْطَلقَانِ إِلى هَذَا النَّخْل فَتُصِيبَانِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَظِلًّا؟» قُلنَا: نَعَمْ. قَال: «مُرُّوا بِنَا إِلى مَنْزِل ابْن التَّيِّهَان أَبِي الهَيْثَم الأَنْصَارِيّ». قَال: فَتَقَدَّمَ رَسُول الله ﷺ بَيْن أَيْدِينَا فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ثَلاث مَرَّات وَأُمّ الهَيْثَم مِنْ وَرَاء البَاب تَسْمَع الكَلام تُرِيد أَنْ يَزِيدهَا رَسُول الله ﷺ مِنْ السَّلام، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِف خَرَجَتْ أُمّ الهَيْثَم تَسْعَى خَلفهمْ، فَقَالتْ: يَا رَسُول الله قَدْ وَالله سَمِعْت تَسْليمك، وَلكِنْ أَرَدْت أَنْ تَزِيدَنِي مِنْ سَلامك، فَقَال لهَا رَسُول الله ﷺ خَيْرًا، ثُمَّ قَال: «أَيْنَ أَبُو الهَيْثَم لا أَرَاهُ». قَالتْ: يَا رَسُول الله هُوَ قَرِيبٌ ذَهَبَ يَسْتَعْذِب المَاء ادْخُلُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي السَّاعَة إِنْ شَاءَ الله فَبَسَطَتْ بِسَاطًا تَحْت شَجَرَة، فَجَاءَ أَبُو الهَيْثَم فَفَرِحَ بِهِمْ، وَقَرَّتْ عَيْنَاهُ بِهِمْ، فَصَعِدَ عَلى نَخْلة فَصَرَمَ لهُمْ أَعْذَاقًا، فَقَال لهُ رَسُول الله ﷺ: «حَسْبك يَا أَبَا الهَيْثَم». فَقَال: يَا رَسُول الله ﷺ تَأْكُلُونَ مِنْ بُسْره وَمِنْ رُطَبه وَمِنْ تَذْنُوبه ثُمَّ أَتَاهُمْ بِمَاءٍ فَشَرِبُوا عَليْهِ، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «هَذَا مِنْ النَّعِيم الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ»(٣). هَذَا غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي الحُسَيْن بْن عَليّ الصُّدَائِيّ، حَدَّثَنَا الوَليد بْن القَاسِم عَنْ يَزِيد بْن كَيْسَان عَنْ أَبِي حَازِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: بَيْنَا أَبُو بَكْر وَعُمَر جَالسَانِ إِذْ جاءهما النَّبِيّ ﷺ فَقَال: **«مَا أَجْلسَكُمَا هَهُنَا؟»**. قَالا: وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقّ مَا أَخْرَجَنَا مِنْ بُيُوتنَا إِلَّا الجُوع، قَال: **«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْره»**. فَانْطَلقُوا حَتَّى أَتَوْا بَيْت رَجُل مِنْ الأَنْصَار، فَاسْتَقْبَلتْهُمْ المَرْأَة، فَقَال لهَا النَّبِيّ: **«أَيْنَ فُلان؟»**. فَقَالتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِب لنَا مَاء فَجَاءَ صَاحِبهمْ يَحْمِل قِرْبَته، فَقَال: [مَرْحَبًا](٤)، مَا زَارَ العِبَاد شَيْء أَفْضَل مِنْ شيء زَارَنِي اليَوْم، فَعَلَّقَ قِرْبَته بِقُرْبِ نَخْلة، وَانْطَلقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«أَلا [كُنْت](٥) اجْتَنَيْت»**. فَقَال: أَحْبَبْت أَنْ تَكُونُوا الَّذِينَ تَخْتَارُونَ عَلى أَعْيُنكُمْ، ثُمَّ أَخَذَ الشَّفْرَة، فَقَال لهُ النَّبِيّ ﷺ: **«إِيَّاكَ وَالحَلُوب»**. فَذَبَحَ لهُمْ يَوْمَئِذٍ، فَأَكَلُوا. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: **«لتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْم القِيَامَة، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتكُمْ الجُوع، فَلمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنْ النَّعِيم»**.(٦) وَرَوَاهُ مُسْلم مِنْ حَدِيث يَزِيد بْن كَيْسَان بِهِ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلى وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث

---

(١) في الأزهرية: [فوعدهم].
(٢) في الأزهرية: [فإذا].
(٣) **ضعيف بهذا السياق**: في إسناده عبد الله بن عيسى: ضعيف.
(٤) سقط من الأزهرية.
(٥) في الأزهرية: [ليت].
(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

المحاربي عَنْ يَحْيَى بْن عُبَيْد الله عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ أَبِي بَكْر الصِّدِّيق بِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ أَهْل السُّنَن الأَرْبَعَة، مِنْ حَدِيث عَبْد المَلك بْن عُمَيْر، عَنْ أَبِي سَلمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا السِّيَاق وَهَذِهِ القِصَّة.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا سريج، حَدَّثَنَا حَشْرَج عَنْ أَبِي نصيرة عَنْ أَبِي عَسِيب -يَعْنِي مَوْلى رَسُول الله ﷺ- قَال: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ لَيْلًا فَمَرَّ بِي فَدَعَانِي فَخَرَجْت إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْر فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِعُمَر فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَل حَائِطًا لبَعْضِ الأَنْصَار، فَقَال لصَاحِبِ الحَائِط: «**أَطْعِمْنَا**». فَجَاءَ بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ فَأَكَل رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِد فَشَرِبَ وَقَال: «**لتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْم القِيَامَة**». قَال: فَأَخَذَ عُمَر العِذْق فَضَرَبَ بِهِ الأَرْض حَتَّى تَنَاثَرَ البُسْر قِبَل رَسُول الله ﷺ ثُمَّ قَال: يَا رَسُول الله ﷺ إِنَّا لَمَسْئُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْم القِيَامَة؟ قَال: «**نَعَمْ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَة: خِرْقَة لفَّ بِهَا الرَّجُل عَوْرَته، أَوْ كِسْرَة سَدَّ بِهَا جَوْعَته، أَوْ جُحْر تَدْخُل فِيهِ مِنْ الحَرِّ وَالقُرّ**»[1]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد حَدَّثَنَا حَمَّاد حَدَّثَنَا عَمَّار سَمِعْت جَابِر بْن عَبْد الله يَقُول: أَكَل رَسُول الله ﷺ وَأَبُو بَكْر وَعُمَر رُطَبًا وَشَرِبُوا مَاء، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**هَذَا مِنْ النَّعِيم الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ**»[2]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن سَلمَة بِهِ.

[وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَزِيد حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمْرو عَنْ صَفْوَان بْن سَليم عَنْ مَحْمُود بْن الرَّبِيع قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قَالُوا: يَا رَسُول الله ﷺ عَنْ أَيِّ نَعِيم نُسْأَل؟ وَإِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ المَاء وَالتَّمْر، وَسُيُوفنَا عَلى رِقَابنَا وَالعَدُوّ حَاضِر، فَعَنْ أَيِّ نَعِيم نُسْأَل؟ قَال: «**أَمَا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ**»[3].

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر عَبْد المَلك بْن عَمْرو، حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن سُليْمَان حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن عَبْد الله بْن حَبِيب، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمّه قَال: كُنَّا فِي مَجْلس فَطَلَعَ عَليْنَا النَّبِيّ وَعَلى رَأْسه أَثَر مَاء، فَقُلنَا: يَا رَسُول الله ﷺ نَرَاك طَيِّب النَّفْس، قَال: «**أَجَل**». قَال: ثُمَّ خَاضَ النَّاس فِي ذِكْر الغِنَى، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**لا بَأْس بِالغِنَى لمَنْ اتَّقَى الله، وَالصِّحَّة لمَنْ اتَّقَى الله خَيْرٌ مِنْ الغِنَى، وَطِيب النَّفْس مِنْ النَّعِيم**»[4]. وَرَوَاهُ ابْن مَاجَهْ، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي شَيْبَة عَنْ خَالد بْن [مَخْلد][5] عَنْ عَبْد الله بْن سُليْمَان بِهِ.

وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا عَبْد بْن حُمَيْد حَدَّثَنَا شَبَّابَة، عَنْ عَبْد الله بْن العَلاء عَنْ الضَّحَّاك بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَرْزَم الأَشْعَرِيّ قَال: سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة ﷺ يَقُول: قَال النَّبِيّ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّل مَا يُسْأَل عَنْهُ -يَعْنِي يَوْم القِيَامَة- العَبْد مِنْ النَّعِيم أَنْ يُقَال لهُ: أَلمْ نُصِحّ لك جِسْمك، وَنُرَوِّك مِنْ المَاء البَارِد؟!**»[6]. تَفَرَّدَ بِهِ التِّرْمِذِيّ. وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحه»، مِنْ طَرِيق الوَلِيد بْن مُسْلم عَنْ عَبْد الله بْن العَلاء [بْن زبر][7] بِهِ.][8]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا مُسَدَّد حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ مُحَمَّد بْن عَمْرو عَنْ يَحْيَى بْن حَاطِب عَنْ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر قَال: قَال الزُّبَيْر: لَـمَّا نَزَلتْ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قَالُوا: يَا رَسُول الله، لأَيِّ

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٨١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢١).
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١)، والترمذي (٣٣٥٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٣) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٩)، وفيه محمد بن عمرو: صدوق، ويشهد له ما تقدم.
(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٢)، وابن ماجه (٢١٤١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».
(٥) في الأزهرية: [مجاهد].
(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٢٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٥٨).
(٧) في الأزهرية: [عن زبر].
(٨) تقديم وتأخير بالأزهرية.

نَعِيم نُسْأَل عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ التَّمر وَالمَاء؟ قَال: «إِنَّ ذَلكَ سَيَكُونُ». وكذا رَوَاهُ التِّرمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث سُفْيَان -هُوَ ابْن عُيَيْنَة- بِهِ. وَرَوَاهُ أَحْمَد عَنْهُ، وَقَال التِّرمِذِيّ: حَسَن.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله الطَّهْرَانِيّ، حَدَّثَنَا حفص بْن عُمَر العَدَنِيّ، عَنْ الحَكَم بْن أَبَان، عَنْ عِكْرِمَة قَال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قَالت الصَّحَابَة: يَا رَسُول الله ﷺ وأَيّ نَعِيم نَحْنُ فِيهِ، وَإِنَّمَا نَأْكُل فِي أَنْصَاف بُطُوننَا خُبْز الشَّعِير؟ فَأَوْحَى الله إِلَى نَبِيِّه ﷺ: قُل لَهُمْ: أَلَيْسَ تَحْتَذُونَ النِّعَال، وَتَشْرَبُونَ المَاء البَارِد؟ فَهَذَا مِنْ النَّعِيم.(١)

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُوسَى، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن سُلَيْمَان بْن الأَصْبَهَانِيّ، عَنْ ابْن أَبِي لَيْلَى أَظُنُّهُ عَنْ عَامِر عَنْ ابْن مَسْعُود عَنْ النَّبِيّ ﷺ فِي قَوْله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قَال: «الأَمْن وَالصِّحَّة».(٢)

وَقَال زَيْد بْن أَسْلَمَ: عَنْ رَسُول الله ﷺ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ يَعْنِي: شِبَع البُطُون وَبَارِد الشَّرَاب، وَظِلال المَسَاكِن، وَاعْتِدَال الخَلْق، وَلَذَّة النَّوْم. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم بِإِسْنَادِهِ المُتَقَدِّم عَنْهُ فِي أَوَّل السُّورَة.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: حَتَّى عَنْ شُرْبة عَسَل. وَقَال مُجَاهِد: عَنْ كُلّ لَذَّة مِنْ لَذَّات الدُّنْيَا. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ: مِنْ النَّعِيم الغَدَاء وَالعَشَاء، وَقَال أَبُو قِلابَة: مِنْ النَّعِيم أَكْل السَّمْن وَالعَسَل بِالخُبْز النَّقِيّ. وَقَوْل مُجَاهِد هذا أَشْمَل هَذِهِ الأَقْوَال. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قَال: النَّعِيم صِحَّة الأَبْدَان وَالأَسْمَاع وَالأَبْصَار، يَسْأَل الله العِبَاد فِيمَا اسْتَعْمَلُوهَا، وَهُوَ أَعْلم بِذَلكَ مِنْهُمْ وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾. وَثَبَتَ فِي «صَحِيح البُخَارِيّ»، وَ«سُنَن التِّرمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مَاجَهْ» مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن سَعِيد بْن أَبِي هِنْد، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاس: الصِّحَّة وَالفَرَاغ**»(٣). وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ مُقَصِّرُونَ فِي شُكْر هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ، لا يَقُومُونَ بِوَاجِبِهِمَا، وَمَنْ لا يَقُوم بِحَقِّ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ فَهُوَ مَغْبُون.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا القَاسِم بْن مُحَمَّد بْن يَحْيَى المَرْوَزِيّ، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن [الحُسَيْن بْن شَقِيق](٤)، حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَة عَنْ لَيْث عَنْ أَبِي فَزَارَة عَنْ يَزِيد بْن الأَصَمّ عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَا فَوْق الإِزَار وَظِلّ الحَائِط وخبز؛ يُحَاسَب بِهِ العَبْد يَوْم القِيَامَة أَوْ يُسْأَل عَنْهُ»(٥). ثُمَّ قَال: لا نَعْرِفهُ إِلَّا بِهَذَا الإِسْنَاد.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا بَهْز وَعَفَّان؛ قَالا: حَدَّثَنَا حَمَّاد، قَال عَفَّان فِي حَدِيثه: قَال إِسْحَاق بْن عَبْد الله، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**يَقُول الله ﷻ- قَال عَفَّان: يَوْم القِيَامَة- يَا بْن آدَم، حَمَلتُك عَلَى الخَيْل وَالإِبِل، وَزَوَّجْتُك النِّسَاء، وَجَعَلتُك تَرْبَع وَتَرْأَس، فَأَيْنَ شُكْر ذَلكَ؟**»(٦). تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الوَجْه.

آخِر تَفْسِير سُورَة التَّكَاثُر، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) **مرسل**: عزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة، ولم يسنده.
(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨٥)، فيه محمد بن سليمان: صدوق يخطئ. ومعنى الحديث، صحيح.
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤١٢).
(٤) في الأزهرية: [الحسين بن سفيان].
(٥) **إسناده ضعيف**: فيه ليث بن أبي سليم: متروك.
(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٢).

تفسير سُورَةُ العَصْرِ وهي مكية

ترتيبها ١٠٣ — وآياتها ٣

ذَكَرُوا أَنَّ عَمْرو بْن العَاص وَفَدَ عَلى مُسَيْلَمَة الكَذَّاب، وَذَلكَ بَعْدَمَا بُعِثَ رَسُول الله ﷺ، وَقَبْل أَنْ يُسْلم عَمْرو فَقَال لهُ مُسَيْلَمَة: مَاذَا أُنْزِل عَلى صَاحِبكُمْ فِي هَذِهِ المُدَّة؟ قَال: لَقَدْ أُنْزِل عَلَيْهِ سُورَة وَجِيزَة بَليغَة، فَقَال: وَمَا هِيَ ؟ فَقَال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾. فَفكَّرَ مُسَيْلَمَة هُنَيْهَة، ثُمَّ قَال: وَقَدْ أُنْزِل عَلَيَّ مِثْلهَا. فَقَال لهُ عَمْرو: وَمَا هُوَ؟ فَقَال: يَا وَبْر يَا وَبْر إِنَّمَا أَنْتَ أُذُنَانِ وَصَدْر، وَسَائِرك حَفْز نَقْز. ثُمَّ قَال: كَيْف تَرَى يَا عَمْرو؟ فَقَال لهُ عَمْرو: وَالله إِنَّك لتَعْلم أَنِّي أَعْلم أَنَّك تَكْذِب.[1]

وَقَدْ رَأَيْت «أَبَا بَكْر الخَرَائِطِيّ» أَسْنَدَ فِي كِتَابه المَعْرُوف «بِمَسَاوِئِ الأَخْلاق»، فِي الجُزْء الثَّانِي مِنْهُ شَيْئًا مِنْ هَذَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ. وَالوَبْر: دُوَيْبَة تُشْبِه الهِرّ أَعْظَم شَيْء فِيهِ أُذُنَاهُ وَصَدْره، وَبَاقِيه دَمِيم، فَأَرَادَ مُسَيْلَمَة أَنْ يُرَكِّبَ مِنْ هَذَا الهَذَيَان مَا يُعَارِض بِهِ القُرْآن، فَلَمْ يَرُجْ ذَلكَ عَلى عَابِد الأَوْثَان فِي ذَلكَ الزَّمَان.

وَذَكَر الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ ثَابِت عَنْ عُبَيْد الله بْن حِصْن قَال: كَانَ الرَّجُلانِ مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ إِذَا التَقَيَا لمْ يتفرقا إِلَّا عَلى أَنْ يَقْرَأ أَحَدهمَا عَلى الآخَر «سُورَة العَصْر» إِلى آخِرهَا، ثُمَّ يُسَلِّم أَحَدهمَا عَلى الآخَر.[2] وَقَال الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللهُ: لوْ تَدَبَّرَ النَّاس هَذِهِ السُّورَة لوَسِعَتْهُمْ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

العَصْر: الزَّمَان الَّذِي يَقَع فِيهِ حَرَكَات بَنِي آدَم، مِنْ خَيْر وَشَرّ. وَقَال مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ: هُوَ العَشِيّ وَالمَشْهُور الأَوَّل. فَأَقْسَمَ تَعَالى بِذَلكَ عَلى أَنَّ الإِنْسَان لفِي خُسْر، أَيْ: فِي خَسَارَة وَهَلاك، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْس الإِنْسَان عَنْ الخُسْرَان: الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالحَات بِجَوَارِحِهِمْ. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾، وَهُوَ أَدَاء الطَّاعَات، وَتَرْك المُحَرَّمَات. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

آخِر تَفْسِير سُورَة العَصْر، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ③ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ④ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ⑥ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

---

(١) هكذا أوردها المصنف ولم يذكر لها سندًا.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢١٥/ ٥١٢٤)، ورجاله ثقات.

الهمّاز بالقَوْل، وَاللّمّاز بِالفِعْل. يَعْنِي يَزْدَرِي النَّاس ويتنقص بِهِمْ. وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَان ذَلِكَ فِي قَوْله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾. قَال ابْن عبَّاس: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: طَعَّان مِعْيَاب. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: الهُمَزَة: همزه فِي وَجْهه، ولمزه مِنْ خَلفه. وَقَال قَتَادَة: همزه ولمزه بلسانه وَعَيْنه، وَيَأْكُل لُحُوم النَّاس، وَيطْعَن عَليْهِمْ. وَقَال مُجَاهِد: الهُمَزَة بِاليَدِ وَالعَيْن، وَاللُّمَزَة بِاللِّسَانِ. وَهَكَذَا قَال ابْن زَيْد. [وَقَال مَالك][(١)]: عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ: هُمَزَة لُحُوم النَّاس. ثُمَّ قَال بَعْضهمْ: المُرَاد بِذَلكَ الأَخْنَس بْن شَرِيق، وَقِيل: غَيْره. وَقَال مُجَاهِد: هِيَ عَامَّة. وقَوْله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾، أَيْ: جَمَعَهُ بَعْضه عَلى بَعْض، وَأَحْصَى عَدده، كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾. قَالهُ السُّدِّيّ وَابْن جَرِير. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب فِي قَوْله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: أَلهَاهُ مَالُهُ بِالنَّهَارِ، هَذَا إِلى هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْل نَامَ كَأَنَّهُ جِيفَة.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، أَيْ: يَظُنّ أَنَّ جَمْعه المَال يُخَلِّدهُ فِي هَذِهِ الدَّار، ﴿كَلَّا﴾ أَيْ: لَيْسَ الأَمْر كَمَا زَعَمَ، وَلا كَمَا حَسِبَ. ثُمَّ قَال تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾، [أَيْ: لَيُلقَيَنَّ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ فِي الحُطَمَة، وَهِيَ اسْم مِنْ أَسْمَاء النَّار صفة][(٢)]؛ لأَنَّهَا تُحَطِّم مَنْ فِيهَا، ولهذا قَال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾، قَال ثَابِت البُنَانِيّ: تُحْرِقهُمْ إِلى الأَفْئِدَة وَهُمْ أَحْيَاء، ثُمَّ يَقُول: لقَدْ بَلغَ مِنْهُمْ العَذَاب، ثُمَّ يَبْكِي. وَقَال مُحَمَّد بْن كَعْب: تَأْكُل كُلّ شَيْء مِنْ جَسَده، حَتَّى إِذَا بَلغَتْ فُؤَاده حَذْو حَلقه تَرْجِع عَلى جَسَده.

وقَوْله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾، أَيْ: مُطْبَقَة كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيره فِي سُورَة البَلد. وَقَال ابْن مَرْدَوَيْهِ: حَدَّثَنَا عَبْد الله ابْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن سِرَاج، حَدَّثَنَا عثمان بْن خرزاذ، حَدَّثَنَا شُجَاع بْن أَشْرَس، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ عَاصِم، عَنْ أَبِي صَالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ قَال: مُطْبَقَة. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْر بْن أَبِي شَيْبَة، عَنْ عَبْد الله بْن أَسيد، عَنْ إِسْمَاعِيل [بْن خَالد][(٣)]، عَنْ أَبِي صَالح، قَوْله وَلمْ يَرْفعهُ. ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾، قَال عَطِيَّة العَوْفِيّ: عَمَد مِنْ حَدِيد. وَقَال السُّدِّيّ: مِنْ نَار. وَقَال شَبِيب بْن بِشْر، عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾، يَعْنِي: الأَبْوَاب هِيَ الممدودة. وَقَال قَتَادَة فِي قِرَاءَة عَبْد الله بْن مَسْعُود: (إِنَّهَا عَليْهِمْ مُؤْصَدَة بِعَمَدٍ مُمَدَّدَة). وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: أَدْخَلهُمْ فِي عَمَد فمُدَّت عَليْهِمْ بِعِمَادٍ، وفِي أَعْنَاقِهِمْ السَّلاسِل، فَسُدَّتْ بِهَا الأَبْوَاب. وَقَال قَتَادَة: كُنَّا نُحَدَّث أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّار، وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير. وَقَال أَبُو صَالح: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾، يَعْنِي: القُيُود الطوال.

آخِر تَفْسِير «وَيْل لكُلّ هُمَزَة لمزة»



تفسير سُورَةُ الفِيلِ وهي مكية

ترتيبها ١٠٥ — وآياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾.

هَذِهِ مِنْ النِّعَم الَّتِي امْتَنَّ الله بِهَا عَلى قُرَيْش، فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَاب الفِيل، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلى هَدْم الكَعْبَة وَمَحْو أَثَرهَا مِنْ الوُجُود، فَأَبَادَهُمْ الله، وَأَرْغَمَ آنَافهمْ، وَخَيَّبَ سَعْيهمْ وَأَضَلَّ عَمَلهمْ، وَرَدَّهُمْ بِشَرِّ

(١) في الأزهرية: [وقيل ذلك].
(٢) سقط من الأزهرية.
(٣) في الأزهرية: [أبي خالد].

خَيْبَة. وَكَانُوا قَوْمًا نَصارَى، وَكَانَ دِينهمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَب حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْش مِنْ عِبَادَة الأَوْثَان، وَلكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَاب الإِرْهَاص وَالتَّوْطِئَة لِمَبْعَثِ رَسُول الله ﷺ؛ فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ العَام وُلِدَ عَلى أَشْهَر الأَقْوَال، وَلِسَان حَال القدر يَقُول: لمْ نَنْصُرْكُمْ يَا مَعْشَر قُرَيْش عَلى الحَبَشَة لِخَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلكِنْ صِيَانَة لِلبَيْتِ العَتِيق الَّذِي سَنُشَرِّفُهُ وَنُعَظِّمهُ وَنُوَقِّرهُ بِبَعْثَةِ النَّبِيّ الأُمِّيّ مُحَمَّد ﷺ خَاتَم الأَنْبِيَاء.

وَهَذِهِ قِصَّة أَصْحَاب الفِيل عَلى وَجْه الإِيجَاز وَالاخْتِصَار وَالتَّقْرِيب، قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّة أَصْحَاب الأُخْدُود أَنَّ ذَا نُوَاس وَكَانَ آخِر مُلُوك حِمْيَر، وَكَانَ مُشْرِكًا، هُوَ الَّذِي قَتَل أَصْحَاب الأُخْدُود، وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَلَمْ يَفْلت مِنْهُمْ إِلَّا دَوْس ذُو ثُعْلُبَان، فَذَهَبَ فَاسْتَغَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِك الشَّام وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَكَتَبَ لَهُ إِلى النَّجَاشِيّ مَلِك الحَبَشَة، لِكَوْنِهِ أَقْرَب إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرْيَاط وَأَبْرَهَة بْن الصَّبَّاح أَبَا يَكْسُوم، فِي جَيْش كَثِيف، فَدَخَلُوا اليَمَن فَجَاسُوا خِلَال الدِّيَار واستلبوا المُلْك مِنْ حِمْيَر، وَهَلَكَ ذو نُوَاس غَرِيقًا فِي البَحْر، وَاسْتَقَلَّ الحَبَشَة بِمُلْكِ اليَمَن، وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الأَمِيرَانِ: أَرْيَاط وَأَبْرَهَة، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرهِمَا وَتَصَاوَلا وَتَقَاتَلا وَتَصَافَّا، فَقَال أَحَدهمَا للآخَر: إنه لا حَاجَة بِنَا إِلى اصْطِلام الجَيْشَيْنِ بَيْننَا، وَلكِنِ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزُ إِلَيْك، فَأَيُّنَا قَتَل الآخَر اسْتَقَلَّ بَعْده بِالمُلْكِ، فَأَجَابَهُ إِلى ذَلِكَ، فَتَبَارَزَا وَخَلفَ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا قَنَاة، فَحَمَل أَرْيَاط عَلى أَبْرَهَة فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَشَرَمَ أَنْفه وَفَمه وَشَقَّ وَجْهه، وَحَمَل عتودة مَوْلى أَبْرَهَة عَلى أَرْيَاط فَقَتَلهُ، وَرَجَعَ أَبْرَهَة جَرِيحًا فَدَاوَى جُرْحه فَبَرِئَ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْش الحَبَشَة بِاليَمَنِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيّ يَلُومهُ عَلى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَتَوَعَّدهُ وَيَحْلف لَيَطَأَنَّ بِلَاده وَيَجُزَّنَّ نَاصِيَته. فَأَرْسَل إِلَيْهِ أَبْرَهَة يَتَرَقَّق لَهُ وَيُصَانِعهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُوله بِهَدَايَا وَتُحَف، وَبِجِرَابٍ فِيهِ مِنْ تُرَاب اليَمَن، وَجَزَّ نَاصِيَته، وَأَرْسَلهَا مَعَهُ وَيَقُول فِي كِتَابه لِيَطَأ المَلك عَلى هَذَا الجِرَاب فَيَبَرّ قَسَمه، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْت بِهَا إِلَيْك، فَلَمَّا وَصَل ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقَرَّهُ عَلى عَمَله، وَأَرْسَل أَبْرَهَة يَقُول لِلنَّجَاشِيّ: إِنِّي سَأَبْنِي لك كَنِيسَة بِأَرْضِ اليَمَن لمْ يُبْنَ قَبْلهَا مِثْلهَا، فَشَرَعَ فِي بِنَاء كَنِيسَة هَائِلة بِصَنْعَاء رَفِيعَة البِنَاء عَالِيَة الفِنَاء، مُزَخْرَفَة الأَرْجَاء، سَمَّتْهَا العَرَب القُلَّيْس لارْتِفَاعِهَا؛ لأَنَّ النَّاظِر إِلَيْهَا تَكَاد تَسْقُط قَلنْسُوَته عَنْ رَأْسه مِنْ ارْتِفَاع بِنَائِهَا، وَعَزَمَ أَبْرَهَة الأَشْرَم عَلى أَنْ يَصْرِف حَجّ العَرَب إِلَيْهَا كَمَا يُحَجّ إِلى الكَعْبَة بِمَكَّة، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَته فَكَرِهَتْ العَرَب العَدْنَانِيَّة وَالقَحْطَانِيَّة ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قُرَيْش لِذَلِك غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضهمْ، وَتَوَصَّل إِلى أَنْ دَخَلهَا لَيْلًا فَأَحْدَثَ فِيهَا وَكَرَّ رَاجِعًا، فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَة ذَلِكَ الحَدَث رَفَعُوا أَمْره إِلى مَلِكهمْ أَبْرَهَة، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْض قُرَيْش غَضَبًا لِبَيْتِهِمْ الَّذِي ضَاهَيْت هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهَة لَيَسِيرَنَّ إِلى بَيْت مَكَّة وَلَيُخَرِّبَنَّهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَر مُقَاتِل بْن سُلَيْمَان أَنَّ فِتْيَة مِنْ قُرَيْش دَخَلُوهَا فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاء شَدِيد فأحرقته وَسَقَطَتْ إِلى الأَرْض. فَتَأَهَّبَ أَبْرَهَة لِذَلِكَ، وَصَارَ فِي جَيْش كَثِيف عَرَمْرَم لِئَلَّا يَصُدّهُ أَحَد عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فِيلًا عَظِيمًا كَبِير الجُثَّة لمْ يُرَ مِثْلُهُ يُقَال لَهُ: مَحْمُود. وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيّ مَلِك الحَبَشَة لِذَلِكَ، وَيُقَال: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَة أَفْيَال، وَقِيل: اثْنَا عَشَر فِيلًا. وقيل غَيْره والله أَعْلم. يَعْنِي: لِيَهْدِم بِهِ الكَعْبَة، بِأَنْ يَجْعَل السَّلَاسِل فِي الأَرْكَان، وَتُوضَع فِي عُنُق الفِيل، ثُمَّ يُزْجَر لِيُلْقِيَ الحَائِط جُمْلَة وَاحِدَة. فَلَمَّا سَمِعْت العَرَب بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمْ المُحَاجَبَة دُون البَيْت، وَرَدّ مَنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُل مِنْ أَشْرَاف أَهْل اليَمَن وَمُلُوكهمْ يُقَال لَهُ «ذُو نَفَر»، فَدَعَا قَوْمه وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِر العَرَب إِلى حَرْب أَبْرَهَة وَجِهَاده عَنْ بَيْت الله وَمَا يُرِيدهُ مِنْ هَدْمه وَخَرَابه. فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهَة، فَهَزَمَهُمْ لِمَا يُرِيدهُ الله ﷻ مِنْ كَرَامَة البَيْت وَتَعْظِيمه، وَأُسِرَ ذُو نَفَر فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ ثُمَّ مَضَى لِوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَم عرض لَهُ نُفَيْل بْن حَبِيب الخَثْعَمِيّ فِي قَوْمه:

شَهْرَان وَنَاهِس، فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَة، وَأَسَرَ نُفَيْل بْن حَبِيب فَأَرَادَ قَتْله، ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلّهُ فِي بِلاد الحِجَاز. فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْض الطَّائِف خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلهَا ثَقِيف وَصَانَعُوهُ خِيفَة عَلَى بَيْتهمْ الَّذِي عِنْدهمْ الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتِ. فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَال دَلِيلًا، فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهَة إِلَى المُغَمِّس وَهُوَ قَرِيب مِنْ مَكَّة نَزَل بِهِ وَأَغَارَ جَيْشه عَلَى سَرْح أَهْل مَكَّة مِنْ الإِبِل وَغَيْرهَا، فَأَخَذُوهُ وَكَانَ فِي السَّرْح مِائَتَا بَعِير لِعَبْدِ المُطَّلِب، وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى السَّرْح بِأَمْرِ أَبْرَهَة أَمِير المُقَدِّمَة، وَكَانَ يُقَال لَهُ: «الأَسْوَد بْن مَقْصُود» فَهَجَاهُ بَعْض العَرَب فِيمَا ذَكَرَهُ ابْن إِسْحَاق، وَبَعَثَ أَبْرَهَة حناطة الحِمْيَرِيّ إِلَى مَكَّة، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيه بِأَشْرَف قُرَيْش، وَأَنْ يُخْبِرهُ أَنَّ المَلِك لَمْ يَجِئْ لِقِتَالكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدُّوهُ عَنْ البَيْت. فَجَاءَ حناطة فَدُلَّ عَلَى عَبْد المُطَّلِب بْن هَاشِم، وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهَة مَا قَالَ، فَقَال لَهُ عَبْد المُطَّلِب: وَاللهِ مَا نُرِيد حَرْبه، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَة، هَذَا بَيْت الله الحَرَام وَبَيْت خَلِيله إِبْرَاهِيم، فَإِنْ يَمْنَعهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْته وَحَرَمه، وَإِنْ يُخَلِّ بَيْنه وَبَيْنه، فَوَاللهِ مَا عِنْدنَا دَفْع عَنْهُ. فَقَال لَهُ حناطة: فَاذْهَبْ مَعِي إِلَيْهِ، فَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ أَبْرَهَة أَجَلَّهُ، وَكَانَ عَبْد المُطَّلِب رَجُلًا جَمِيلاً حَسَن المَنْظَر. وَنَزَل أَبْرَهَة عَنْ سَرِيره وَنَزَل مَعَهُ عَلَى البِسَاط، وَقَال لِتُرْجُمَانِهِ: قُل لَهُ: حَاجَتك؟ فَقَال لِلتُّرْجُمَان: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدّ عَلَيَّ المَلِك مِائَتَيْ بَعِير أَصَابَهَا لِي، فَقَال أَبْرَهَة لِتُرْجُمَانِهِ: قُل لَهُ: لَقَدْ كُنْت أَعْجَبْتنِي حِين رَأَيْتُك، ثُمَّ قَدْ زَهِدْت فِيك حِين كَلَّمْتنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مِائَتَيْ بَعِير أَصَبْتهَا لَك، وَتَتْرُك بَيْتًا هُوَ دِينك وَدِين آبَائِك قَدْ جِئْت لِهَدْمِهِ لا تُكَلِّمنِي فِيهِ؟ فَقَال لَهُ عَبْد المُطَّلِب: إِنِّي أَنَا رَبّ الإِبِل، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ. قَال: مَا كَانَ لِيَمْتَنِع مِنِّي! قَال: أَنْتَ وَذَاكَ.

وَيُقَال: إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْد المُطَّلِب جَمَاعَة مِنْ أَشْرَاف العَرَب فَعَرَضُوا عَلَى أَبْرَهَة ثُلُث أَمْوَال تِهَامَة عَلَى أَنْ يَرْجِع عَنْ البَيْت فَأَبَى عَلَيْهِمْ، وَرَدَّ أَبْرَهَة عَلَى عَبْد المُطَّلِب إِبِله، وَرَجَعَ عَبْد المُطَّلِب إِلَى قُرَيْش فَأَمَرَهُمْ بِالخُرُوج مِنْ مَكَّة وَالتَّحَصُّن فِي رُءُوس الجِبَال؛ تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّة الجَيْش. ثُمَّ قَامَ عَبْد المُطَّلِب فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَاب الكَعْبَة وَقَامَ مَعَهُ نَفَر مِنْ قُرَيْش يَدْعُونَ الله، وَيَسْتَنْصِرُونَه عَلَى أَبْرَهَة وَجُنْده، وقَال عَبْد المُطَّلِب وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْقَةِ بَاب الكَعْبَة:

لاهُمَّ إِنَّ المَرْءَ يَمْـ ۞ ـنَع رَحْلَهُ فَامْنَعْ حلالَك

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ۞ وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحالَك

قَال ابْن إِسْحَاق: ثُمَّ أَرْسَل عَبْد المُطَّلِب حَلقَة البَاب، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى رُءُوس الجِبَال. وَذَكَرَ مقاتل بن سُلَيْمَان أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْد البَيْت مِائَة بَدَنَة مُقَلَّدَة، لَعَلَّ بَعْض الجَيْش يَنَال مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقّ، فَيَنْتَقِم الله مِنْهُمْ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهَة تَهَيَّأَ لِدُخُول مَكَّة، وَهَيَّأَ فِيله وَكَانَ اسْمه مَحْمُودًا وَعَبَّأَ جَيْشه، فَلَمَّا وَجَّهُوا الفِيل نَحْو مَكَّة أَقْبَل نُفَيْل بْن حَبِيب حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبه، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَال: ابْرُكْ مَحْمُود، أو ارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْت، فَإِنَّك فِي بَلَد الله الحَرَام. ثُمَّ أَرْسَل أُذُنه، فَبَرَكَ الفِيل، وَخَرَجَ نُفَيْل بْن حَبِيب يَشْتَدّ حَتَّى أَصْعَد فِي الجَبَل. وَضَرَبُوا الفِيل لِيَقُومَ فَأَبَى، فَضَرَبُوا فِي رَأْسه بالطبرزين، وَأَدْخَلُوا محاجنهم فِي مَرَاقه وبزغوه بِهَا لِيَقُومَ فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى اليَمَن فَقَامَ يُهَرْوِل وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّام فَفَعَل مِثْل ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى المَشْرِق فَفَعَل مِثْل ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّة فَبَرَكَ، وَأَرْسَل الله عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنْ البَحْر أَمْثَال الخَطَاطِيف وَالبَلَسَان، مَعَ كُلّ طَائِر مِنْهَا ثَلاثَة أَحْجَار يَحْمِلهَا: حَجَر فِي مِنْقَاره، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَمْثَال الحِمَّص وَالعَدَس، لا تُصِيب مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ، وَلَيْسَ كُلّهمْ أَصَابَتْ. وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَدِرُونَ الطَّرِيق، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْل لِيَدُلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيق، هَذَا وَنُفَيْل عَلَى رَأْس الجَبَل مَعَ قُرَيْش وَعَرَب الحِجَاز، يَنْظُرُونَ: مَاذَا أَنْزَل الله بِأَصْحَابِ الفِيل مِنْ النِّقْمَة، وَجَعَل نُفَيْل يَقُول:

أَيْنَ المَفَرُّ وَالإِلَهُ الغَالِبُ ۞ وَالأَشْرَمُ المَغْلُوبُ غير الغَالِبْ

قَال ابْن إِسْحَاق: وَقَال نُفَيْل فِي ذَلكَ أَيْضًا:

أَلا حُيِّيتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا ۞ نَعِمْنَاكُمْ مع الإصباح عَيْنَا
ردينة لوْ رَأيْت ولا تريه ۞ لدَى جَنْب المُحَصَّب مَا رَأيْنَا
إذًا لعَذَرْتني وَحَمِدْت أَمْرِي ۞ وَلمْ تَأسَىْ على مَا فَاتَ بَيْنَا
حَمِدْتُ اللَّهَ إذْ أَبْصَرْت طَيْرًا ۞ وَخِفْتُ حِجَارَة تُلْقَى عَلَيْنَا
فَكُلّ القَوْم يَسْأَل عَنْ نُفَيْل ۞ كَأَنَّ عَلَيَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا؟

وذَكَرَ الوَاقِدِيّ بأسانيده أَنَّهُمْ لَمَّا تعبأوا لدُخُول الحَرَم وَهَيَّئُوا الفِيل، جَعَلُوا لا يَصْرِفُونَهُ إِلى جِهَة مِنْ سَائِر الجِهَات إِلَّا ذَهَبَ فِيهَا فَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلى الحَرَم رَبَضَ وَصَاحَ. وَجَعَل أَبْرَهَة يَحْمِل عَلى سَائِس الفِيل وَيَنْهَرهُ وَيَضْرِبهُ، ليَقْهَر الفِيل عَلى دُخُول الحَرَم. وَطَال الفَصْل فِي ذَلكَ، هَذَا وَعَبْد المُطَّلب وَجَمَاعَة مِنْ أَشْرَاف مَكَّة، فِيهِمْ المُطْعِم بْن عَدِيّ وَعَمْرو بْن [عَائِد][1] بْن عِمْرَان بْن مَخْزُوم، وَمَسْعُود الثَّقَفِيّ عَلى حِرَاء يَنْظُرُونَ إِلى مَا الحَبَشَة يَصْنَعُونَ، وَمَاذَا يَلقَوْنَ مِنْ أَمْر الفِيل، وَهُوَ العَجَب العُجَاب، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ بَعَثَ الله عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيل، أَيْ قِطَعًا قِطَعًا، صُفْرًا دُون الحَمَام، وَأَرْجُلهَا حُمْر، وَمَعَ كُلّ طَائِر ثَلاثَة أَحْجَار، وَجَاءَتْ فَحَلَّقَتْ عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلتْ تِلكَ الأَحْجَار عَليْهِمْ فَهَلكُوا. وَقَال مُحَمَّد بْن كعب: جَاءُوا بِفِيلَيْنِ فَأَبِي مَحْمُود فَرَبَضَ وَأَمَّا الآخر فشجع فَحُصِبَ.

وَقَال وَهْب بْن مُنَبِّه: كَانَ مَعَهُمْ فِيَلة، فَأَمَّا مَحْمُود -وَهُوَ فِيل المَلك- فَرَبَضَ، ليَقْتَدِيَ بِهِ بَقِيَّة الفِيَلة، وَكَانَ فِيهَا فِيل تَشَجَّعَ فَحُصِبَ فَهَرَبَتْ بَقِيَّة الفِيَلة. وَقَال عَطَاء بْن يَسَار وَغَيْره: وَليْسَ كُلّهمْ أَصَابَهُ العَذَاب فِي السَّاعَة الرَّاهِنَة، بَل مِنْهُمْ مَنْ هَلكَ سَرِيعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَل يَتَسَاقَط عُضْوًا عُضْوًا وَهُمْ هَارِبُونَ، وَكَانَ أَبْرَهَة مِمَّنْ يتساقط عُضْوًا عُضْوًا حَتَّى مَاتَ بِبِلادِ خَثْعَم. قَال ابْن إِسْحَاق: فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيق وَيَهْلكُونَ عَلى كُلّ مَنْهَل، وَأُصِيبَ أَبْرَهَة فِي جَسَده، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُط أُنْمُلة أُنْمُلة، حَتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاء وَهُوَ مِثْل فَرْخ الطَّائِر، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْره عَنْ قلبه فِيمَا يَزْعُمُونَ. وَذَكَرَ مُقَاتِل بْن سُليْمَان أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابُوا مَالًا جَزِيلًا مِنْ أَسْلابِهِمْ، وَمَا كَانَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَبْد المُطَّلب أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنْ الذَّهَب مَا مَلأَ حُفْرَة. وقَال ابْن إِسْحَاق: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوب بْن عُتْبَة؛ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَوَّل مَا رُئِيَتْ الحَصْبَة وَالجُدَرِيّ بِأَرْضِ العَرَب ذَلكَ العَام، وَأَنَّهُ أَوَّل مَا رُئِيَ بِهِ مَرَائِر الشَّجَر الحَرْمَل وَالحَنْظَل وَالعُشَر ذَلكَ العَام. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَة مِنْ طَرِيق جَيِّد. قَال ابْن إِسْحَاق: فَلمَّا بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ فِيمَا يُعَدّ بِهِ عَلى قُرَيْش مِنْ نِعْمَته عَليْهِمْ وَفَضْله مَا رَدَّ عَنْهُمْ مِنْ أَمْر الحَبَشَة لبَقَاءِ أَمْرهِمْ ومدتهم، فقَال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾، أَيْ: لئَلَّا يُغَيِّر شَيْئًا مِنْ حَالهمْ الَّتِي كَانُوا عَليْهَا لمَا أَرَادَ الله بِهِمْ مِنْ الخَيْر لوْ قَبِلُوهُ.

قَال ابْن هِشَام: الأَبَابِيل: الجَمَاعَات وَلمْ تَتَكَلَّم العَرَب بواحده. قَال: وَأَمَّا السِّجِّيل، فَأَخْبَرَنِي يُونُس النَّحْوِيّ وَأَبُو عُبَيْدَة أَنَّهُ عِنْد العَرَب: الشَّدِيد الصُّلب. قَال: وَذَكَرَ بَعْض المُفَسِّرِينَ أَنَّهُمَا كَلمَتَانِ بِالفَارِسِيَّة، جَعَلتْهُمَا العَرَب كَلمَة وَاحِدَة، وَإِنَّمَا هُوَ «سَنج وجِل» يَعْنِي بالسنج الحَجَر والجل الطِّين، يَقُول: الحِجَارَة مِنْ هَذَيْنِ الجِنْسَيْنِ الحَجَر

(١) في الأزهرية: [عايد].

وَالطِّين. قَال: وَالعَصْف: وَرَق الزَّرْع الَّذِي لمْ يُقْضَب وَاحِدَته عَصْفَة. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ. وَقَدْ قَال حَمَّاد بْن سَلمَة عَنْ عاصم عَنْ زِرّ، عَنْ عَبْد الله -وَأَبُو سَلمَة بْن عَبْد الرَّحْمَن-: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَال: الفِرَق. وَقَال ابْن عَبَّاس، وَالضَّحَّاك: أَبَابِيل يَتْبَع بَعْضهَا بَعْضًا. وَقَال الحَسَن البَصْرِيّ، وَقَتَادَة: الأَبَابِيل: الكَثِيرَة. وَقَال مُجَاهِد: أَبَابِيل: شَتَّى مُتَتَابِعَة مُجْتَمِعَة. وَقَال ابْن زَيْد: الأَبَابِيل: المُخْتَلِفَة تَأْتِي مِنْ هَهُنَا وَمِنْ هَهُنَا، أَتَتْهُمْ مِنْ كُلّ مَكَان. وَقَال الكِسَائِيّ: سَمِعْت النَّحْوِيين يقولون: أبّول مثل العجّول. قال: وقَدْ سمعتُ بَعْض النَّحْوِيِّينَ يَقُول: وَاحِد الأَبَابِيل إِبِّيل.

وَقَال ابْن جَرِير: حدثنا ابن المثني حَدَّثَنِي عَبْد الأَعْلَى، حَدَّثَنِي دَاوُد عَنْ إِسْحَاق بْن عَبْد الله بْن الحَارِث بْن نَوْفَل؛ أَنَّهُ قَال فِي قَوْله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، هِيَ: الأَقَاطِيع، كَالإِبِل المُؤَبَّلة. وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ ابْن عَوْن عَنْ ابْن سِيرِينَ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَال: لهَا خَرَاطِيم كَخَرَاطِيم الطَّيْر وَأَكُفّ كَأَكُفِّ الكِلاب. وَحَدَّثَنَا يَعْقُوب حَدَّثَنَا هُشَيْم أَخْبَرَنَا حُصَيْن، عَنْ عِكْرِمَة فِي قَوْله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَال: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا خَرَجَتْ مِنْ البَحْر لهَا رُءُوس كَرُءُوس السِّبَاع. وَحَدَّثَنَا ابْن بَشَّار، حَدَّثَنَا ابْن مَهْدِيّ عَنْ سُفْيَان، عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي سُفْيَان عَنْ عُبَيْد بْن [عُمَيْر][1]: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَال: هِيَ طير سُود بَحْرِيَّة، فِي منقارها وأظافيرها الحِجَارَة. وَهَذِهِ أَسَانِيد صَحِيحَة.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا لهَا مَنَاقِير صُفْر تَخْتَلف عَلَيْهِمْ. وَعَنْ ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَعَطَاء: كَانَتْ الطَّيْر الأَبَابِيل مِثْل الَّتِي يُقَال لهَا عَنْقَاء مغرب. رَوَاهُ عَنْهُمْ ابْن أَبِي حَاتِم.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة، حَدَّثَنَا عبد الله بْن مُحَمَّد بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة عَنْ الأَعْمَش عَنْ أَبِي سُفْيَان عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر؛ قَال: لـمَّا أَرَادَ الله أَنْ يُهْلك أَصْحَاب الفِيل، بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أُنْشِئَتْ مِنْ البَحْر أَمْثَال الخَطَاطِيف، كُلّ طَيْر مِنْهَا يَحْمِل ثَلاثَة أَحْجَار مجزَّعة: حَجَرَيْنِ فِي رِجْليْهِ، وَحَجَرًا فِي مِنْقَاره قَال: فَجَاءَتْ حَتَّى صَفَّتْ عَلَى رُءُوسهم، ثُمَّ صَاحَتْ وَأَلقَتْ مَا فِي أَرْجُلهَا وَمَنَاقِيرهَا، فَمَا يَقَع حَجَر عَلَى رَأْس رَجُل إِلَّا خَرَجَ مِنْ دُبُره، وَلا يَقَع عَلَى شَيْء مِنْ جَسَده إِلَّا خَرَجَ مِنْ الجَانِب الآخَر. وَبَعَثَ الله رِيحًا شَدِيدَة، فَضَرَبَتْ الحِجَارَة فَزَادَتْهَا شِدَّة فَأُهْلكُوا جَمِيعًا. وَقَال السُّدِّيّ عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ قَال: طِين فِي حِجَارَة: «[سَنْك][2] وكِل». وَقَدْ قَدَّمْنَا بَيَان ذَلكَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته هَهُنَا.

وقَوْله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، قَال سَعِيد بْن جُبَيْر: يَعْنِي التِّبْن الَّذِي تُسَمِّيه العَامَّة: هَبُّور. وَفِي رِوَايَة عَنْ سَعِيد: وَرَق الحِنْطَة. وَعَنْهُ أَيْضًا: العَصْف: التِّبْن. وَالمَأْكُول: القَصِيل يُجَزّ للدَّوَابّ. وَكَذَلكَ قَال الحَسَن البَصْرِيّ. وَعَنْ ابْن عَبَّاس: العَصْف: القِشْرَة الَّتِي عَلَى الحَبَّة كَالغِلافِ عَلَى الحِنْطَة.

وَقَال ابْن زَيْد: العَصْف: وَرَق الزَّرْع وَوَرَق البَقْل إِذَا أَكَلتْهُ البَهَائِم فَرَاثَتْهُ فَصَارَ دَرِينًا. وَالمَعْنَى أَنَّ الله سُبْحَانه وَتَعَالى أَهْلكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَغَيْظهمْ لمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَأَهْلكَ عَامَّتهمْ، وَلمْ يَرْجِع مِنْهُمْ مُخْبِر إِلَّا وَهُوَ جَرِيح، كَمَا جَرَى لمَلكِهِمْ أَبْرَهَة، فَإِنَّهُ انْصَدَعَ صَدْره عَنْ قَلبه حِين وَصَل إِلى بَلده صَنْعَاء، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَرَى لهُمْ، ثُمَّ مَاتَ. فَمَلكَ بَعْده ابْنه يَكْسُوم، ثُمَّ مِنْ بَعْده أَخُوهُ مَسْرُوق بْن أَبْرَهَة. ثُمَّ خَرَجَ سَيْف بْن ذِي يَزَن الحِمْيَرِيّ إِلى كِسْرَى فاستغاثه عَلى الحَبَشَة، فَأَنْفَذ مَعَهُ مِنْ جُيُوشه فَقَاتَلُوا مَعَهُ، فَرَدَّ الله إِليْهِمْ مُلكهم، وَمَا كَانَ فِي آبَائِهِمْ مِنْ المُلك وَجَاءَتْهُ وُفُود العَرَب للتَّهْنِئَة. وَقَدْ قَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَبِي بُكَر، عَنْ عَمْرَة بِنْت عَبْد الرَّحْمَن بْن أَسْعَد بْن زُرَارَة، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالتْ: لقَدْ رَأَيْت قَائِد الفِيل وَسَائِسه بِمَكَّة أَعْمَيَيْنِ

---

(١) فِي الأزهرية: [عمرو].
(٢) فِي الأزهرية: [سيد].

مُقْعَدَيْنِ، يَسْتَطْعِمَانِ. وَرَوَاهُ الوَاقِدِيّ، عَنْ عَائِشَة مِثْله. وَرَوَاهُ أيضًا عَنْ أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر أَنَّهَا قَالتْ: كَانَا مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاس، عِنْد إِسَاف وَنَائِلة، حَيْثُ يَذْبَح المُشْرِكُونَ ذَبَائِحهمْ.

قُلت: كَانَ اسْم قَائِد الفِيل أُنَيْسًا. وَقَدْ ذَكَرَ الحَافِظ أَبُو نُعَيْم فِي كِتَاب «دَلائِل النُّبُوَّة» مِنْ طَرِيق ابْن وَهْب، عَنْ ابْن لهِيعَة، عَنْ عُقَيْل بْن خَالد، عَنْ عُثْمَان بْن المُغِيرَة قِصَّة أَصْحَاب الفِيل، وَلمْ يَذْكُر أَنَّ أَبْرَهَة قَدِمَ مِنْ اليَمَن، وَإِنَّمَا بَعَثَ عَلى الجَيْش رَجُلًا يُقَال لهُ: [شِمْر][1] بْن مَفصُود، وَكَانَ الجَيْش عِشْرِينَ أَلفًا، وَذَكَر أَنَّ الطَّيْر طَرَقَتْهُمْ ليْلًا فَأَصْبَحُوا صَرْعَى. وَهَذَا السِّيَاق غَرِيب جِدًّا، وَإِنْ كَانَ أَبُو نُعَيْم قَدْ قَوَّاهُ وَرَجَّحَهُ على غَيْره. وَالصَّحِيح أَنَّ أَبْرَهَة الأَشْرَم الحبشي قَدِمَ مِنْ مَكَّة كَمَا دَلَّ عَلى ذَلكَ السِّيَاقَات وَالأَشْعَار. وَهَكَذَا رَوَي ابْن لهِيعَة عَنْ الأَسْوَد عَنْ عُرْوَة أَنَّ أَبرهَة بَعَثَ الأَسْوَد بْن مفصود عَلى كَتِيبَة مَعَهُمْ الفِيل وَلمْ يَذْكُر قُدُوم أَبْرَهَة نَفْسه. وَالصَّحِيح قُدُومه، وَلعَلَّ ابْن مَفصُود كَانَ عَلى مُقَدِّمَة الجَيْش وَالله أَعْلم. ثُمَّ ذَكَرَ ابْن إِسْحَاق شَيْئًا مِنْ أَشْعَار العَرَب فِيمَا كَانَ مِنْ قِصَّة أَصْحَاب الفِيل، فَمِنْ ذَلكَ شِعْر عَبْد الله بْن الزِّبَعْرَى:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْن مَكَّة، إِنَّهَا ❁ كَانَتْ قَدِيمًا لا يُرَام حَرِيمُهَا
لمْ تُخْلق الشِّعْرَى ليَالِيَ حُرِّمَتْ ❁ إِذْ لا عَزِيز مِنْ الأَنَام يَرُومهَا
سَائِل أَمِير الجَيْش عَنْهَا: مَا رَأَى؟ ❁ فَلسَوْفَ يُنْبِي الجَاهِلينَ عَليمُهَا
سِتُّونَ أَلفًا لمْ يَؤُبُوا أَرْضَهُمْ، ❁ بَل لمْ يَعِشْ بَعْد الإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُم قَبْلهمْ ❁ والله مِنْ فَوْق العِبَاد يُقِيمُهَا

وَقَال أَبُو قَيْس بْن الأَسْلت الأَنْصَارِيّ المري:

وَمِنْ صُنْعه يَوْم فِيل الحُبُو ❁ ش إِذْ كُلّ مَا بَعَثُوهُ رُزِمْ
مَحَاجِنهمْ تَحْت أَقْرَابِه ❁ وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفه فَانْخَرَمْ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوْطه مِغْولاً ❁ إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِّمْ
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجه ❁ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلمِ مَنْ كَانَ ثَم
فَأَرْسَل مِنْ فَوْقهمْ حَاصِبًا ❁ يَلُفّهُمْ مِثْل لفّ القُزَم
تحث عَلى الصَّبْر أَحْبَارهمْ ❁ وَقَدْ ثَأَجُوا كَثُؤَاجِ الغَنَم

وَقَال أَبُو الصَّلت ابْن أبي رَبِيعَة الثَّقَفِيّ -وَيُرْوَى لأُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلت ابْن أَبِي رَبِيعَة-:

إِنَّ آيَات رَبِّنَا بَاقِيَات ❁ مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلاَّ الكَفُور
خَلقَ اللَّيْل وَالنَّهَار فَكُلّ ❁ مُسْتَبِين حِسَابه مَقْدُور
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَار رَبٌّ رَحِيمٌ ❁ بِمَهَاةٍ شُعَاعهَا مَنْشُور
حُبِسَ الفِيل بِالمُغَمَّسِ حَتَّى صَارَ ❁ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُور
لازِمًا حَلقه الجِرَان كَمَا قُطِّرَ ❁ مِنْ ظَهْر كَبْكَب مَحْدُور
حَوْله مِنْ مُلُوك كِنْدَة أَبْطَالٌ ❁ مَلاوِيثُ فِي الحُرُوب صُقُور
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا جَمِيعًا، ❁ كُلّهمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُور
كُلّ دِين يَوْم القِيَامَة عِنْد الله ❁ إِلاَّ دِينَ الحَنِيفَةِ بُور

---

(١) في الأزهرية: [شمس].

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي تَفْسِيرِ «سُورَة الفَتْح» أَنَّ رَسُول الله ﷺ لـمَّا أَطَلَّ يَوْم الحُدَيْبِيَة عَلى الثَّنِيَّة الَّتِي تَهْبِط بِهِ عَلى قُرَيْش، بَرَكَتْ نَاقَته فَزَجَرُوهَا فَأَلَحَّتْ فَقَالُوا: خَلأَتْ القَصْوَاء. أَيْ: حَرَنَتْ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «مَا خَلأَتْ القَصْوَاء، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِس الفِيل». ثُمَّ قَال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْأَلُونِي اليَوْم خُطَّة يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَات الله إلاَّ أَجَبْتهمْ إِلَيْهَا». ثُمَّ زَجَرَهَا فَقَامَتْ[1]. وَالحَدِيث مِنْ أَفْرَاد البُخَارِيّ. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال يَوْم فَتْح مَكَّة: «إِنَّ الله حَبَسَ عَنْ مَكَّة الفِيل، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُوله وَالمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتهَا اليَوْم كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ؛ أَلا فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِد الغَائِب».[2]

آخِر تَفْسِير سُورَة الفِيل، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

تفسير سُورَةُ قُرَيْشٍ وهي مكية

ترتيبها ١٠٦ — وآياتها ٤

ذِكْرُ حَدِيث غَرِيب فِي فَضْلهَا، قَال البَيْهَقِيّ فِي كِتَاب «الخِلافِيَّات»: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله الحَافِظ، حَدَّثَنَا بَكْر بْن مُحَمَّد بْن حَمْدَان الصَّيْرَفِيّ بِمَرْو، حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد الله الزينبي، حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن مُحَمَّد الزُّهْرِيّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن ثَابِت بْن شُرَحْبِيل، حَدَّثَنِي عُثْمَان بْن عَبْد الله بْن [أَبِي عَتِيق][3]، عَنْ سَعِيد بْن عَمْرو بْن جَعْدَة بْن هُبَيْرَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدَّته أُمّ هَانِئ بِنْت أَبِي طَالِب أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «فَضَّل الله قُرَيْشًا بِسَبْع خِلال: أَنِّي مِنْهُمْ، وَأَنَّ النُّبُوَّة فِيهِمْ، وَالحِجَابَة وَالسِّقَايَة فِيهِمْ، وَأَنَّ الله نَصَرَهُمْ عَلى الفِيل، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا الله عَزَّ وَجَلَّ عَشْر سِنِينَ لا يَعْبُدهُ غَيْرهمْ، وَأَنَّ الله أَنْزَل فِيهِمْ سُورَة مِنْ القُرْآن، ثُمَّ تلاها رَسُول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

هَذِهِ السُّورَة مَفْصُولة عَنْ الَّتِي قَبْلهَا فِي المُصْحَف الإِمَام، كَتَبُوا بَيْنهمَا سَطْر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾... وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَة بِمَا قَبْلهَا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَمَ؛ لأَنَّ المَعْنَى عِنْدهمَا حَبَسْنَا عَنْ مَكَّة الفِيل، وَأَهْلَكْنَا أَهْله، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أَيْ: لائْتِلافِهِمْ وَاجْتِمَاعهمْ فِي بَلَدهمْ آمِنِينَ.

وَقِيل: المُرَاد بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنْ الرِّحْلة فِي الشِّتَاء إِلى اليَمَن، وَفِي الصَّيْف إِلى الشَّام فِي المَتَاجِر وَغَيْر ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلى بَلَدهمْ آمِنِينَ فِي أَسْفَارهمْ، لِعَظَمَتِهِمْ عِنْد النَّاس، لِكَوْنِهِمْ سُكَّان حَرَم الله، فَمَنْ عَرَفَهُمْ احْتَرَمَهُمْ، بَل مَنْ صُوفِيَ إِلَيْهِمْ وَسَارَ مَعَهُمْ أَمِنَ بِهِمْ، هَذَا حَالهمْ فِي أَسْفَارهمْ وَرِحْلتهمْ فِي شِتَائِهِمْ وَصَيْفهمْ، وَأَمَّا فِي حَال إِقَامَتهمْ فِي البَلَد، فَكَمَا قَال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، وَلِهَذَا قَال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ﴾. بَدَل مِنْ الأَوَّل وَمُفَسِّر لَهُ، وَلِهَذَا قَال: ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.

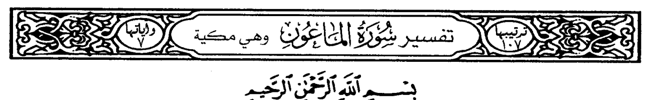
---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١١٢)، ومسلم (١٣٥٥).
(٣) في الأزهرية: [عبيد].

وقَال ابْن جَرِير: الصَّوَاب أَنَّ اللَّام لام التَّعَجُّب كَأَنَّهُ يَقُول: اعْجَبُوا لإِيلافِ قُرَيْش وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ فِي ذَلك، قَال: وَذَلكَ لإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ مُنْفَصِلتَانِ مُسْتَقِلَّتَانِ.

ثم أَرْشَدَهُمْ إِلى شُكْر هَذِهِ النِّعْمَة العَظِيمَة، فَقَال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾، أَيْ: فَليُوَحِّدُوهُ بِالعِبَادَةِ، كَمَا جَعَل لهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَبَيْتًا مُحَرَّمًا، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾، أَيْ: هُوَ رَبّ البَيْت، وَهُوَ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوع، ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، أَيْ: تَفَضَّل عَلَيْهِمْ بِالأَمْنِ وَالرُّخْص، فَليُفْرِدُوهُ بِالعِبَادَةِ وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَلا يَعْبُدُوا مِنْ دُونه صَنَمًا وَلا نِدًّا وَلا وَثَنًا، وَلهَذَا مَنْ اسْتَجَابَ لهَذَا الأَمْر جَمَعَ الله لهُ بَيْن أَمْن الدُّنْيَا وَأَمْن الآخِرَة، وَمَنْ عَصَاهُ سَلبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا عَبْد الله ابْن عَمْرو العدني، حَدَّثَنَا قَبِيصَة، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ ليْث عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب عَنْ أَسْمَاء بِنْت يَزِيد، قَالتْ: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «وَيْل أُمِّكم قريش لإِيلافِ قُرَيْش».[1] ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْمُؤَمِّل بْن الفَضْل الحَرَّانِيّ حَدَّثَنَا عِيسَى -يَعْنِي ابْن يُونُس- عَنْ عبيد الله بْن أَبِي زِيَاد عَنْ شَهْر بْن حَوْشَب عَنْ أُسَامَة بْن زَيْد قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**لإِيلافِ قُرَيْش إِيلافهِمْ رِحْلة الشِّتَاء وَالصَّيْف، وَيْحكُمْ يَا مَعْشَر قُرَيْش، اعْبُدُوا رَبّ هَذَا البَيْت الَّذِي أَطْعَمَكُمْ مِنْ جُوع وَآمَنَكُمْ مِنْ خَوْف**». هَكَذَا رَأَيْته عَنْ أُسَامَة بْن زَيْد، وَصَوَابه عَنْ أَسْمَاء بِنْت يَزِيد بْن السَّكَن أُمّ سَلمَة الأَنْصَارِيَّة رضي الله عنها، فَلعَلَّهُ وَقَعَ غَلط فِي النُّسْخَة، أَوْ فِي أَصْل الرِّوَايَة، وَالله أَعْلم.

آخِر تَفْسِير سُورَة «لإِيلافِ قُرَيْش»، وَلله الحَمْد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، يا محمد ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، وَهُوَ: المَعَاد وَالجَزَاء وَالثَّوَاب، ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، أَيْ: هُوَ الَّذِي يَقْهَر اليَتِيم وَيَظْلمهُ حَقّه، وَلا يُطْعِمهُ وَلا يُحْسِن إِليْهِ، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، يَعْنِي: الفَقِير الَّذِي لا شَيْء لهُ يَقُوم بِأَوَدِهِ وَكِفَايَته. ثم قَال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس، وَغَيْره: يَعْنِي المُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي العَلانِيَة وَلا يُصَلُّونَ فِي السِّرّ، وَلهَذَا قَال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾، أي: الَّذِين هُمْ مِنْ أَهْل الصَّلاة وَقَدْ التَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ إِمَّا عَنْ فِعْلهَا بِالكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالهُ ابْن عَبَّاس. وَإِمَّا عَنْ فِعْلهَا فِي الوَقْت المُقَدَّر لهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجهَا عَنْ وَقْتهَا بِالكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالهُ مَسْرُوق وَأَبُو الضُّحَى.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ٤٦٠)، وفيه شهر بن حوشب: كثير الإرسال والأوهام، وليث بن أبي سليم: متروك.

وَقَال عَطَاء بْن دِينَار: والحَمْد لله الَّذِي قَال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَمْ يَقُل فِي صَلاتِهِمْ سَاهُونَ. وَإِمَّا عَنْ وَقْتهَا الأَوَّل فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلى آخِره دَائِمًا أَوْ غَالبًا. وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطهَا عَلى الوَجْه المَأْمُور بِهِ. وَإِمَّا عَنْ الخُشُوع فِيهَا وَالتَّدَبُّر لِمَعَانِيهَا، فَاللَّفْظ يَشْمَل هذا كُلّه، ولكن مَنْ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلكَ قِسْط مِنْ هَذِهِ الآيَة وَمَنْ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلكَ فَقَدْ تَمَّ نَصِيبه مِنْهَا وَكَمُل لهُ النِّفَاق العَمَلِيّ. كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «تِلكَ صَلاة المُنَافِق، تِلكَ صَلاة المُنَافِق، تِلكَ صَلاة المُنَافِق، يَجْلس يَرْقُب الشَّمْس حتى إِذَا كَانَتْ بَيْن قَرْنَيْ الشَّيْطَان قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لا يَذْكُر الله فِيهَا إِلاَّ قَليلاً»[١]. فَهَذَا آخِر صَلاة العَصْر الَّتِي هِيَ الوُسْطَى، كَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصّ إِلى آخِر وَقْتهَا وَهُوَ وَقْت كَرَاهَة ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا نَقْر الغُرَاب لمْ يَطْمَئِنّ وَلا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا، وَلِهَذَا قَال: «لا يَذْكُر الله فِيهَا إِلاَّ قَليلاً». وَلعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلى القِيَام إِليْهَا مُرَاءَاة النَّاس، لا ابْتِغَاء وَجْه الله، فَهُوَ كَمَا إِذَا لمْ يُصَلِّ بِالكُلِّيَّة. قَال تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وقال هاهنا: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾.

وقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن عَبْد الله بْن عبدويه البَغْدَادِيّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْد الوَهَّاب بْن عَطَاء، عَنْ يُونُس عَنْ الحَسَن، عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «إِنَّ فِي جَهَنَّم لوَادِيًا تَسْتَعِيذ جَهَنَّم مِنْ ذَلكَ الوَادِي فِي كُلّ يَوْم أَرْبَعمِائَةِ مَرَّة، أُعِدَّ ذَلكَ الوَادِي للمُرَائِينَ مِنْ أُمَّة مُحَمَّد لحَامِل كِتَاب الله، وَللمُصَدِّق فِي غَيْر ذَات الله، وَللحَاجّ إِلى بَيْت الله، وَللخَارِج فِي سَبِيل الله»[٢]. وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا الأَعْمَش، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة؛ قَال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْد أَبِي عُبَيْدَة فَذَكَرُوا الرِّيَاء، فَقَال رَجُل يُكَنَّى بِأَبِي يَزِيد: سَمِعْت عَبْد الله ابْن عَمْرو؛ يَقُول: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاس بِعَمَلِهِ سَمَّعَ الله بِهِ سَامِع خَلقه، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ». وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ غُنْدَر وَيَحْيَى القَطَّان عَنْ شُعْبَة، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة عَنْ رَجُل، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَهُ.[٣] وَمِمَّا يَتَعَلَّق بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾، أَنَّ مَنْ عَمِل عَمَلًا لله فَاطَّلَعَ عَليْهِ النَّاس، فَأَعْجَبَهُ ذَلكَ أَنَّ هَذَا لا يُعَدّ رِيَاء، وَالدَّلِيل عَلى ذَلكَ مَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ فِي «مسنده» حَدَّثَنَا هَارُون بْن مَعْرُوف حَدَّثَنَا مَخْلَد بْن يَزِيد، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن بَشِير حَدَّثَنَا الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: كُنْت أُصَلِّي فَدَخَل عَلَيَّ رَجُل فَأَعْجَبَنِي ذَلكَ، فَذَكَرْته لرَسُول الله ﷺ فَقَال: «كُتِبَ لك أَجْرَانِ: أَجْر السِّرّ، وَأَجْر العَلانِيَة».[٤]

قَال أَبُو عَلِيّ هَارُون بْن مَعْرُوف: بَلَغَنِي أَنَّ ابْن المُبَارَك قَال: نِعْمَ الحَدِيث للمُرَائِينَ. وَهَذَا حَدِيث غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه، وَسَعِيد بْن بَشِير مُتَوَسِّط، وَرِوَايَته عَنْ الأَعْمَش عَزِيزَة، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْره عَنْهُ. قَال أَبُو يَعْلى أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن المُثَنَّى بْن مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبُو سِنَان عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت عَنْ أَبِي صَالح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَجُل: يَا رَسُول الله، الرَّجُل يَعْمَل العَمَل يُسِرّهُ، فَإِذَا اطَّلَعَ عَليْهِ أَعْجَبَهُ؟ قَال: قَال

---

(١) صحيح: تقدم.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني (١٢/ ١٧٥/ ١٢٨٠٣) إسناده ضعيف، فيه عبد الوهاب بن عطاء: صدوق ربما أخطأ، والحسن البصري: مدلس وقد عنعن.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٦٦).

(٤) ضعيف: أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٢٨)، وفيه سعيد بن بشير: ضعيف.

رَسُول الله ﷺ: «لهُ أَجْرَانِ: أَجْر السِّرّ، وَأَجْر العَلانِيَة»[١]. وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، وَابْن مَاجَهْ عَنْ بُنْدَار، كليهما عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ، عَنْ أَبِي سِنَان الشَّيْبَانِيّ، وَاسْمه: ضِرَار بْن مُرَّة، ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب، وَقَدْ رَوَاهُ الأَعْمَش وَغَيْره عَنْ حَبِيب عَنْ أَبِي صَالِح مُرْسَلًا.

وَقَدْ قَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن هِشَام، عَنْ شَيْبَان النَّحْوِيّ، عَنْ جَابِر الجُعْفِيّ، حَدَّثَنِي رَجُل عَنْ أَبِي بَرْزَة الأَسْلَمِيّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: لـمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قَال: «الله أَكْبَر، هَذَا خَيْر لكُمْ مِنْ أَنْ لوْ أُعْطِيَ كُلّ رَجُل مِنْكُمْ مِثْل جَمِيع الدُّنْيَا، وهُوَ الَّذِي إِنْ صَلَّى لمْ يَرْجُ خَيْر صَلاته، وَإِنْ تَرَكَهَا لمْ يَخَفْ رَبّه».[٢] فِيهِ جَابِر الجُعْفِيّ، وَهُوَ ضَعِيف وَشَيْخه مُبْهَم لمْ يُسَمَّ، وَالله أَعْلم. وَقَال ابْن جَرِير أَيْضًا: حَدَّثَنِي زَكَرِيَّا بْن أَبَانَ المِصْرِيّ، حَدَّثَنَا عَمْرو بْن طَارِق، حَدَّثَنَا عِكْرِمَة بْن إِبْرَاهِيم حَدَّثَنِي عَبْد المَلِك بْن عُمَيْر عَنْ مُصْعَب بْن سَعْد عَنْ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص قَال: سَأَلت رَسُول الله ﷺ عَنْ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قَال: «هُمْ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاة عَنْ وَقْتهَا».[٣] وَتَأْخِير الصَّلاة عَنْ وَقْتهَا يَحْتَمِل تَرْكهَا بِالكُلِّيَّةِ، أو صَلاتهَا بَعْد وَقْتهَا شَرْعًا، أو تَأْخِيرهَا عَنْ أَوَّل الوَقْت سَهْوًا حَتَّى ضَاعَ الوَقْت. وَكَذَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو يَعْلى عَنْ شَيْبَان بْن فَرُّوخ، عَنْ عِكْرِمَة بْن إِبْرَاهِيم بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي الرَّبِيع، عَنْ جابر عن عَاصِم عَنْ مُصْعَب عَنْ أَبِيهِ مَوْقُوفًا. وَهَذَا أَصَحّ إِسْنَادًا، وَقَدْ ضَعَّفَ البَيْهَقِيّ رَفْعه وَصَحَّحَ وَقْفه، وَكَذَلكَ الحَاكِم.

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾، أَيْ: لا [أَحْسَنُوا][٤] عِبَادَة رَبّهمْ، وَلا أَحْسَنُوا إِلى خَلقه حَتَّى وَلا بِإِعَارَةِ مَا يُنْتَفَع بِهِ وَيُسْتَعَان بِهِ، مَعَ بَقَاء عَيْنه وَرُجُوعه إِليْهِمْ. فَهَؤُلاءِ لمَنْع الزَّكَاة وَأَنْوَاع القُرُبَات أَوْلى وَأَوْلى. وَقَدْ قَال ابْن أَبِي نَجِيح: عَنْ مُجَاهِد، قَال عَلِيّ: المَاعُون: الزَّكَاة. وَكَذَا رَوَاهُ السُّدِّيّ عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ عَلِيّ، وَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْر وَجْه عَنْ ابْن عُمَر، وَبِهِ يَقُول مُحَمَّد بْن الحَنَفِيَّة وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَعَطَاء وَعَطِيَّة العَوْفِيّ وَالزُّهْرِيّ وَالحَسَن وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَابْن زَيْد. قَال الحَسَن البَصْرِيّ: إِنْ صَلَّى رَاءَى، وَإِنْ فاتت لمْ يَأْس عَليْهَا، وَيَمْنَع زَكَاة مَاله. وَفِي لفْظ: صَدَقَة مَاله. وَقَال زَيْد بْن أَسْلمَ: هُمْ المُنَافِقُونَ ظَهَرَتْ الصَّلاة فَصَلَّوْهَا وضمنت الزَّكَاة فَمَنَعُوهَا. وَقَال الأَعْمَش وَشُعْبَة، عَنْ الحَكَم، عَنْ يَحْيَى بْن الجزار: أَنَّ أَبَا العُبَيْدَيْنِ سَأَل عَبْد الله بْن مَسْعُود عَنْ المَاعُون، فَقَال: هُوَ مَا يَتَعَاوَرهُ النَّاس بَيْنهمْ مِنْ الفَأْس وَالقِدْر. [وَقَال المَسْعُودِيّ عَنْ سَلمَة بْن كُهَيْل، عَنْ أَبِي العُبَيْدَيْنِ: أَنَّهُ سُئِل ابْن مَسْعُود عَنْ المَاعُون؟ فَقَال: هُوَ مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاس بَيْنهمْ مِنْ الفَأْس وَالقِدْر][٥] وَالدَّلو وَأَشْبَاه ذَلكَ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عبيد المُحَارِبِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَص، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ أَبِي العُبَيْدَيْنِ وسعد بْن عِيَاض عَنْ عَبْد الله قَال: كُنَّا أَصْحَاب رسول الله ﷺ نَتَحَدَّث أَنَّ المَاعُون الدَّلو وَالفَأْس وَالقِدْر، لا

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٣٨٥)، وابن ماجه (٤٢٢٦)، وفيه سعيد بن سنان، قال الحافظ ابن حجر: صدوق له أوهام، وحبيب بن أبي ثابت: مدلس وقد عنعن. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٧٨٧).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٣)، بسند ضعيف، فيه جابر الجعفي: ضعيف.

(٣) ضعيف: أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٣)، فيه عكرمة بن إبراهيم الأزدي: ضعيف. وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣١٣).

(٤) في الأزهرية: [أحبوا].

(٥) سقط من الأزهرية.

يُسْتَغْنَى عَنْهُنَّ. وَحَدَّثَنَا خَلَّاد بْن أَسْلَمَ، أَخْبَرَنَا النَّضر بْن شُمَيْل أَخْبَرَنَا شُعْبَة عَنْ أَبِي إِسْحَاق؛ قَال: سَمِعْت سَعْد بْن عِيَاض يُحَدِّث عَنْ أَصْحَاب النَّبِيِّ ﷺ مِثْله. وَقَال الأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم، عَنْ الحَارِث بْن سُوَيْد، عَنْ عَبْد الله: أَنَّهُ سُئِل عَنْ المَاعُون، فَقَال: مَا يتعاون النَّاس بَيْنهمْ: الفَأْس وَالدَّلو وَشِبْهه. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا [عَمْرو بْن عَليّ][1] الفَلَّاس، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ -هو الطَّيَالِسِيّ- حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة، عَنْ عَاصِم بْن بَهْدَلة، عَنْ أَبِي وَائِل عَنْ عَبْد الله قَال: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ وَنَحْنُ نَقُول: المَاعُون مَنْع الدَّلو وَأَشْبَاه ذَلكَ.[2]

وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ، عَنْ قُتَيْبَة عَنْ أَبِي عَوَانَة بِإِسْنَادِهِ نَحْوه. وَلفْظ النَّسَائِيّ عَنْ عَبْد الله قَال: كُلّ مَعْرُوف صَدَقَة، كُنَّا نَعُدّ المَاعُون عَلى عَهْد رَسُول الله ﷺ عَارِيَة الدَّلو وَالقِدْر.

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، عَنْ عَاصِم، عَنْ زِرّ عَنْ عَبْد الله؛ قَال: المَاعُون: العَوَارِيّ؛ القِدْر وَالمِيزَان وَالدَّلو. وَقَال ابْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، يَعْنِي: مَتَاع البَيْت. وَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَأَبُو مَالك وَغَيْر وَاحِد: إِنَّهَا العَارِيَة للأَمْتِعَةِ. وَقَال لَيْث بْن أَبِي سُلَيْم عن مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، قَال: [لمْ يَجِئْ أَهْلهَا بَعْدُ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، قَال][3]: اخْتلفَ النَّاس فِي ذَلكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَال: يَمْنَعُونَ الزَّكَاة، وَمِنْهُمْ مَنْ قَال: يَمْنَعُونَ الطَّاعَة، وَمِنْهُمْ مَنْ قَال: يَمْنَعُونَ العَارِيَة. رَوَاهُ ابْن جَرِير. ثُمَّ رُوِيَ عَنْ يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم عَنْ ابْن عُليَّة عَنْ لَيْث بْن أَبِي سُلَيْم عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الحَارِث عَنْ عَليّ: المَاعُون مَنْع النَّاس الفَأْس وَالقِدْر وَالدَّلو. وَقَال عِكْرِمَة: رَأْس المَاعُون زَكَاة المَال، وَأَدْنَاهُ المُنْخُل وَالدَّلو وَالإِبْرَة. رَوَاهُ ابْن أَبى حَاتِم. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ عِكْرِمَة حَسَن، فَإِنَّهُ يَشْمَل الأَقْوَال كُلّهَا، وَتَرْجِع كُلّهَا إِلى شَيْء وَاحِد، وهُوَ تَرْك المُعَاوَنَة بِمَالٍ أَوْ مَنْفَعَة؛ وَلهَذَا قَال مُحَمَّد بْن كَعْب: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، قَال: المَعْرُوف؛ وَلهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**كُلّ مَعْرُوف صَدَقَة**».[4]

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجّ، حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ ابْن أَبِي ذِئْب عَنْ الزُّهْرِيّ: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، قَال: بِلسَانِ قُرَيْش: المَال. وَرَوَى هَهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا عَجِيبًا فِي إِسْنَاده وَمَتْنه، فَقَال: حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو زُرْعَة؛ قَالا: حَدَّثَنَا قَيْس بْن حَفْص الدَّارِمِيّ، حَدَّثَنَا دَلهَم بْن [دهثم][5] العِجْلِيّ، حَدَّثَنَا [عَائِذ][6] بْن رَبِيعَة النُّمَيْرِيّ، حَدَّثَنِي قُرَّة بْن دُعْمُوص النُّمَيْرِيّ؛ أَنَّهُمْ وَفَدُوا إِلى رَسُول الله ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، مَا تَعْهَد إِلَيْنَا؟ قَال: «لا تَمْنَعُونَ المَاعُون». قَالُوا: يَا رَسُول الله؛ وَمَا المَاعُون؟ قَال: «فِي الحَجَر، وَفِي الحَدِيدَة، وَفِي المَاء». قَالُوا: فَأَيّ الحَدِيدَة؟ قَال: «قُدُورُكُمْ النُّحَاس، وَحَدِيد الفَأْس الَّذِي تَمْتَهِنُونَ بِهِ». قَالُوا: وَمَا الحَجَر؟ قَال: «قُدُورُكُمْ الحِجَارَة»[7]. غَرِيب جِدًّا. وَرَفْعه مُنْكَر، وَفِي إِسْنَاده مَنْ لا يُعْرَف، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْن الأَثِير فِي الصَّحَابَة تَرْجَمَة «عَليّ النُّمَيْرِيّ»، فَقَال: رَوَى ابْن قَانع بِسَنَدِهِ إِلى عائذ بْن رَبِيعَة بْن

---

(١) في الأزهرية: [عمرو وعكرمة هو].

(٢) **حسن**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٩)، وأبو داود (١٦٥٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) سقط من الأزهرية.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٢١).

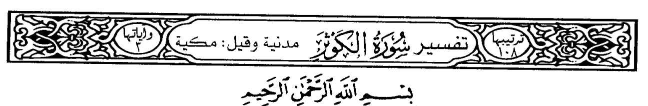
(٥) في الأزهرية: [دهشم].

(٦) في الأزهرية: [عابد].

(٧) **منكر**: في إسناده مجاهيل.

قَيْس النُّمَيْرِيّ، عَنْ عَلِيّ بْن فُلَان النُّمَيْرِيّ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**المُسْلِم أَخُو المُسْلِم، إِذَا لَقِيَهُ حَيَّاه بِالسَّلَامِ، وَيَرُدّ عَلَيْهِ مَا هُوَ خَيْر مِنْهُ، لا يَمْنَع المَاعُون**». قُلت: يَا رَسُول الله؛ مَا المَاعُون؟ قَال: «الحَجَر وَالحَدِيد، وَأَشْبَاه ذَلِكَ».(١)

آخِر تَفْسِير سورة الماعون


تفسير سُورَةُ الكَوْثَرِ مدنية وقيل: مكية — ترتيبها ١٠٨ — وآياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن فُضَيْل، عَنْ المُخْتَار بْن فُلْفُل، عَنْ أَنَس بْن مَالِك قَال: أَغْفَى رَسُول الله ﷺ إِغْفَاءَة فَرَفَعَ رَأْسه مُتَبَسِّمًا، إِمَّا قَال لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْت؟ فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَة**»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، حَتَّى خَتَمَهَا [فَقَال](٢): «**هَل تَدْرُونَ مَا الكَوْثَر؟**». قَالُوا: الله وَرَسُوله أَعْلَم. قَال: «هُوَ نَهَر أَعْطَانِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الجَنَّة، عَلَيْهِ خَيْر كَثِير، تَرِد عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْم القِيَامَة، آنِيَته عَدَد الكَوَاكِب، يُخْتَلَج العَبْد مِنْهُمْ، فَأَقُول: يَا رَبّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَال: إِنَّك لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدك»(٣). هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد بِهَذَا الإِسْنَاد الثُّلَاثِيّ وَهَذَا السِّيَاق.

وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَة الحَوْض يَوْم القِيَامَة أَنَّهُ يَشْخَب فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ السَّمَاء مِنْ نَهَر الكَوْثَر، وَأَنَّ عليه آنية عَدَد نُجُوم السَّمَاء. وَقَدْ رَوَى هَذَا الحَدِيث مُسْلم وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن فُضَيْل وَعَلِيّ بْن مُسْهِر كليهما عَنْ المُخْتَار بْن فُلْفُل عَنْ أَنَس، وَلَفْظ مُسْلم قَال: بَيْنَا رَسُول الله ﷺ بَيْن أَظْهُرنَا فِي المَسْجِد إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَة ثُمَّ رَفَعَ رَأْسه مُتَبَسِّمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكك يَا رَسُول الله؟ قَال: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَة**» فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، ثُمَّ قَال: «**أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَر**»؟ قُلْنَا: الله وَرَسُوله أَعْلَم. قَال: «**فَإِنَّهُ نَهَر وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْر كَثِير، هُوَ حَوْض تَرِد عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْم القِيَامَة، آنِيَته عَدَد النُّجُوم، فَيُخْتَلَج العَبْد مِنْهُمْ، فَأَقُول: رَبّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُول: إِنَّك ما تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدك**».

وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِير مِنْ القُرَّاء عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَة مَدَنِيَّة وَكَثِير مِنْ الفُقَهَاء عَلَى أَنَّ البَسْمَلَة مِنْ السُّورَة، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَة مَعَهَا. فَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الحَدِيث أَنَّهُ نَهَر فِي الجَنَّة. وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: مِنْ طَرِيق أُخْرَى، عَنْ أَنَس فَقَال: حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا حَمَّاد، أَخْبَرَنَا ثَابِت عَنْ أَنَس: أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أُعْطِيت الكَوْثَر فَإِذَا هُوَ نَهَر يَجْرِي، وَلَمْ يُشَقّ شَقًّا، وَإِذَا حَافَّتَاهُ قِبَاب اللُّؤْلُؤ، فَضَرَبْت بِيَدِي فِي تُرْبَته، فَإِذَا مسكة ذفرة، وَإِذَا حَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤ**»(٤). وَقَال الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ حُمَيْد عَنْ أَنَس قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**دَخَلت الجَنَّة فَإِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ خِيَام اللُّؤْلُؤ، فَضَرَبْت بِيَدِي إِلى مَا يَجْرِي فِيهِ المَاء، فَإِذَا مِسْك أَذْفَر، قُلت: مَا هَذَا يَا جِبْرِيل؟**

---

(١) ضعيف: لم يورد ابن كثير إسناده كاملاً.
(٢) في «نسخة»: [قال].
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٠).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥١٣).

قَال: هَذَا الكَوْثَر الَّذِي أَعْطَاكَهُ الله ﷻ»[١]. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ فِي «صَحِيحه» وَمُسْلم، مِنْ حَدِيث شَيْبَان بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ قَتَادَة عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: لـمَّا عُرِجَ بالنَّبِيّ ﷺ إِلى السَّماء قَال: «أَتَيْت عَلى نَهر، حافَّتَاهُ قِبَاب اللُّؤْلُؤ المُجَوَّفه، فَقُلت: مَا هَذَا يَا جِبْرِيل؟ قَال: هَذَا الكَوْثَر»[٢]. وهذا لفْظ البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا الرَّبِيع أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، عَنْ سُلَيْمَان بْن بِلال، عَنْ شَرِيك بْن أَبِي نَمِر قَال: سَمِعْت أَنَس بْن مَالك يُحَدِّثنَا قَال: لـمَّا أُسْرِيَ بِرَسُول الله ﷺ مَضَى بِهِ جِبْرِيل إِلى السَّماء الدُّنْيا، فَإِذَا هُوَ بِنَهرٍ عَلَيْهِ قَصْر مِنْ لؤلؤ وَزَبَرْجَد، فَذَهَبَ يَشُمّ تُرَابه فَإِذَا هُوَ مِسْك، قَال: «**يَا جِبْرِيل؛ مَا هَذَا النَّهر؟ قَال: هُوَ الكَوْثَر الَّذِي خَبَأَ لك رَبّك**».[٣] وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيث الإِسْرَاء فِي سُورَة «سُبْحَان»، مِنْ طَرِيق شريك عَنْ أَنَس وَهُوَ مُخَرَّج فِي «الصَّحِيحَيْنِ». وَقَال سَعِيد عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَس: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**بينا أَنَا أَسِير فِي الجنَّة إِذْ عَرضَ لي نَهر، حَافَّتَاهُ قِبَاب اللُّؤْلُؤ مجوَّف، فَقَال الملك الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الكَوْثَر الَّذِي أَعْطَاك الله. وَضَرَبَ بيَدِهِ إِلى أَرْضه فَأَخْرَجَ مِنْ طِينه المِسْك**».[٤] وكذلك رَوَاهُ سُلَيْمَان بْن طَرْخَان وَمَعْمَر وَهَمَّام وَغَيْرهمْ، عَنْ قَتَادَة بِهِ.

وقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أحمد بن أَبِي سريج، حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوب العَبَّاس، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن سَعْد حَدَّثَنِي مُحَمَّد ابْن عَبْد الوَهَّاب ابْن أَخِي بْن شِهَاب عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَنَس قَال: سُئِل رَسُول الله ﷺ عَنْ الكَوْثَر؟ فَقَال: «**هُوَ نَهر أَعْطَانِيهِ الله فِي الجنَّة، تُرَابه مِسْك، أَبْيَض مِنْ اللَّبَن، وَأَحْلى مِنْ العَسَل، تَرِدهُ طَيْر أَعْنَاقهَا مِثْل أَعْنَاق الجزُر**». فقَال أَبُو بَكْر: يَا رَسُول الله إِنَّهَا لنَاعِمَة، قَال: «**آكِلهَا أَنْعَم مِنْهَا**».[٥]

وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو سَلمَة الخُزَاعِيّ حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ يَزِيد بْن الهَاد، عَنْ عَبْد الوَهَّاب، عَنْ عَبْد الله بْن مُسْلم بْن شِهَاب عَنْ أَنَس أَنَّ رَجُلًا قَال: يَا رَسُول الله ﷺ مَا الكَوْثَر؟ قَال: «**نَهر فِي الجنَّة أَعْطَانِيهِ رَبِّي، لهُوَ أَشَدّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَن، وَأَحْلى مِنْ العَسَل، فِيهِ طُيُور أَعْنَاقهَا كَأَعْنَاقِ الجزُر**». قَال عُمَر: يَا رَسُول الله إِنَّهَا لنَاعِمَة! قَال: «**آكِلهَا أَنْعَم مِنْهَا يَا عُمَر**». وَرَوَاهُ ابْن جَرِير مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ، عَنْ أَخِيهِ عَبْد الله عَنْ أَنَس أَنَّهُ سَأَل رَسُول الله ﷺ عَنْ الكَوْثَر فَذَكَرَ مِثْله سَوَاء. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا خَالد بْن يَزِيد الكَاهِلِيّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي عُبَيْدَة، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَال: سَأَلتهَا عَنْ قَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، قَالتْ: نَهر أُعْطِيه نَبِيّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَليْهِ دُرّ مُجَوَّف آنِيَته كَعَدَدِ النُّجُوم.[٦] ثُمَّ قَال البُخَارِيّ: رَوَاهُ زَكَرِيَّا وَأَبُو الأَحْوَص وَمُطَرِّف عَنْ أَبِي إِسْحَاق. وَرَوَاهُ أَحْمَد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق مُطَرِّف بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان وَإِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ أَبِي عُبَيْدَة، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: الكَوْثَر نَهر فِي الجنَّة، شَاطِئَاهُ دُرّ مُجَوَّف. وَقَال إِسْرَائِيل: نَهر فِي الجنَّة عَليْهِ مِنْ الآنِيَة عَدَد نُجُوم السَّماء. وَحَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، حَدَّثَنَا يَعْقُوب القُمِّيّ عَنْ حَفْص بْن حُمَيْد، عَنْ شِمْر بْن عَطِيَّة عَنْ [شَقِيق][٧] أَوْ مَسْرُوق؛ قَال: قُلت لعَائِشَة: يا أُمّ المُؤْمِنِينَ؛ حَدِّثِينِي عَنْ الكَوْثَر. قَالتْ: نَهر فِي بُطْنَان الجنَّة. قُلت: وَمَا بُطْنَان

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٣٦٥).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٨٢).
(٣) **صحيح**: تقدم.
(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٦٠).
(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣١)، (٣/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٦١٤).
(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٦٥).
(٧) في الأزهرية: [سفيان].

الجَنَّة؟ قَالتْ: وَسَطهَا، حَافَّتَاهُ قُصور اللُّؤْلُؤ وَاليَاقُوت، تُرَابه المِسْك، وَحَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤ وَاليَاقُوت. وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ أَبِي جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ ابْن أَبِي نَجِيح، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالتْ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَع خَرِير الكَوْثَر، فَلْيَجْعَل أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. وَهَذَا مُنْقَطِع بَيْن ابْن أَبِي نَجِيح وَعَائِشَة، وَفِي بَعْض الرِّوَايَات: «عَنْ رَجُل عَنْهَا». وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ يَسْمَع نَظِير ذَلِكَ لا أَنَّهُ يَسْمَعهُ نَفْسه، وَالله أَعْلَم. قَال السُّهَيْلِيّ: وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ مَرْفُوعًا، مِنْ طَرِيق مَالك بْن مِغْوَل، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَائِشَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ.

ثُمَّ قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم، [حَدَّثَنَا هُشَيْم][1] أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَال فِي الكَوْثَر: هُوَ الخَيْر الَّذِي أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ. قَال أَبُو بِشْر: قُلت لِسَعِيد بْن جُبَيْر: فَإِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَر فِي الجَنَّة؟ فَقَال سَعِيد: النَّهَر الَّذِي فِي الجَنَّة مِنْ الخَيْر الَّذِي أَعْطَاهُ الله إِيَّاهُ. وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث هُشَيْم، عَنْ أَبِي بسر وَعَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بن جبير عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَال: الكَوْثَر الخَيْر الكَثِير. وَقَال الثَّوْرِيّ عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: الكَوْثَر: الخَيْر الكَثِير. وَهَذَا التَّفْسِير يعم النَّهَر وَغَيْره، لأَنَّ الكَوْثَر مِنْ الكَثْرَة، وَهُوَ الخَيْر الكَثِير، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهَر، كَمَا قَال ابْن عَبَّاس، وَعِكْرِمَة وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَمُجَاهِد، وَمُحَارِب بْن دِثَار، وَالحَسَن بْن أَبِي الحَسَن البَصْرِيّ. حَتَّى قَال مُجَاهِد: هُوَ الخَيْر الكَثِير فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة. وَقَال عِكْرِمَة: هُوَ النُّبُوَّة وَالقُرْآن وَثَوَاب الآخِرَة. وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالنَّهَر أَيْضًا، فَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا عُمَر بْن عُبَيْد عَنْ عَطَاء عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: الكَوْثَر: نَهَر فِي الجَنَّة، حَافَّتَاهُ ذَهَب وَفِضَّة، يَجْرِي عَلَى اليَاقُوت وَالدُّرّ، مَاؤُهُ أَبْيَض مِنْ الثَّلج وَأَحْلَى مِنْ العَسَل. وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس نَحْو ذَلِكَ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثَنَا هُشَيْم، أَخْبَرَنَا عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ مُحَارِب بْن دِثَار، عَنْ ابْن عُمَر أَنَّهُ قَال: الكَوْثَر نَهَر فِي الجَنَّة، حَافَّتَاهُ ذَهَب وَفِضَّة، يَجْرِي عَلَى الدُّرّ وَاليَاقُوت، مَاؤُهُ أَشَدّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَن، وَأَحْلَى مِنْ العَسَل. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ ابْن حُمَيْد عَنْ جَرِير عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب بِهِ مِثْله مَوْقُوفًا. وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا فَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن حَفْص، حَدَّثَنَا وَرْقَاء، قَال: وَقَال عَطَاء عَنْ مُحَارِب بْن دِثَار، عَنْ ابْن عُمَر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: **«الكَوْثَر نَهَر فِي الجَنَّة، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَب، وَالمَاء يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤ، وَمَاؤُهُ أَشَدّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَن، وَأَحْلَى مِنْ العَسَل»**.[2] وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَابْن مَاجَهْ وَابْن أَبِي حَاتِم، وَابْن جَرِير مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن فُضَيْل عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب بِهِ مَرْفُوعًا. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح».

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي يَعْقُوب، حَدَّثَنَا ابْن عُلَيَّة أَخْبَرَنَا عَطَاء بْن السَّائِب قَال: قَال لِي مُحَارِب بْن دِثَار: مَا قَال سَعِيد بْن جُبَيْر فِي الكَوْثَر؟ قُلت: حَدَّثَنَا عَنْ ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَال: هُوَ الخَيْر الكَثِير. فَقَال: صَدَقَ. وَالله إِنَّهُ لَلخَيْر الكَثِير، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْن عُمَر قَال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، قَال رَسُول الله: **«الكَوْثَر نَهَر فِي الجَنَّة حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَب، يَجْرِي عَلَى الدُّرّ وَاليَاقُوت»**.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي ابْن البَرْقِيّ، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي [مَرْيَم][3] حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن أَبِي كَثِير، أَخْبَرَنِي

(١) سقط من الأزهرية.

(٢) صحيح ؛ أخرجه أحمد (٢/ ٦٧)، والترمذي (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٣) في الأزهرية: [إبراهيم].

حَرام ابْن عُثْمان عَنْ عَبْد الرَّحْمَن الأَعْرَج، عن أُسَامَة بْن زَيْد أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَتَى حَمْزَة بْن عَبْد المُطَّلب يَوْمًا فَلمْ يَجِدهُ، فَسَأَل امْرَأته عَنْهُ وَكَانَتْ مِنْ بَنِي النَّجَّار فقالتْ: خَرجَ يَا نَبِيّ الله آنِفًا عَامِدًا نَحوك، فَأَظُنّهُ أَخْطَأَك فِي بَعْض أَزِقَّة بَنِي النَّجَّار، أَوَلا تَدْخل يَا رَسُول الله؟ فَدَخل، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ حَيْسًا فَأَكَل مِنْهُ، فَقَالتْ: يَا رَسُول الله، هَنِيئًا لك وَمَرِيئًا لقَدْ جِئْتَ وَأَنَا أُرِيد أَنْ آتِيك فَأُهَنِّيك وَأُمَرِّيك، أَخْبَرَنِي أَبُو عُمارَة أَنَّك أُعْطِيت نَهَرًا فِي الجَنَّة يُدْعَى الكَوْثَر. فقَال: «أَجَل، وَعَرْضه -يَعْنِي أَرْضه- يَاقُوت وَمَرْجَان وَزَبَرْجَد وَلُؤْلُؤ»[1]. حِرَام بْن عُثْمان: ضَعِيف. وَلكِنْ هَذَا سِيَاق حَسَن، وَقَدْ صَحَّ أَصْل هَذَا، بَل قَدْ تَوَاتَرَ مِنْ طُرُق تُفِيد القَطْع عِنْد كَثِير مِنْ أَئِمَّة الحَدِيث، وَكَذَلكَ أَحَادِيث الحَوْض. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَنَس وَأَبِي العَالِيَة وَمُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف: أَنَّ الكَوْثَر نَهَر فِي الجَنَّة، وَقَال عَطَاء: هُوَ حَوْض فِي الجَنَّة.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، أَيْ: كَمَا أَعْطَيْنَاك الخَيْر الكَثِير فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَمِنْ ذَلكَ النَّهر الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَته: فَأَخْلص لرَبِّك صَلاتك المَكْتُوبَة وَالنَّافِلة وَنَحْرك، فَاعْبُدْهُ وَحْده لا شَرِيك لهُ، وَانْحَرْ عَلى اسْمه وَحْده لا شَرِيك لهُ. كَمَا قَال تَعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس وَعَطَاء، وَمُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن: يَعْنِي بِذَلكَ نَحْر البُدْن وَنَحْوهَا. وَكَذَا قَال قَتَادَة، وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، وَالضَّحَّاك وَالرَّبِيع، وَعَطَاء الخُرَاسَانِيّ، وَالحَكَم وإسماعيل بْن أَبِي خَالد وَغَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف. وَهَذَا بِخِلافِ مَا كَانَ المُشْرِكُونَ عَلَيْهِ مِنْ السُّجُود لغَيْرِ الله، وَالذَّبح عَلى غير اسْمه، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ الآيَة. وَقِيل: المُرَاد بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱنْحَرْ﴾: وَضْع اليَد اليُمْنَى عَلى اليَد اليُسْرَى تَحْت النَّحْر. يُرْوَى هَذَا عَنْ عَلِيّ، وَلا يَصِحّ، وَعَنْ الشَّعْبِيّ مِثْله. وَعَنْ أَبِي جَعْفَر البَاقِر: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، يَعْنِي: ارْفَع اليَدَيْنِ عِنْد افْتِتَاح الصَّلاة. وَقِيل: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، أَيْ: اسْتَقْبِل بِنَحْرِك القِبْلَة. ذَكَرَ هَذِهِ الأَقْوَال الثَّلاثَة ابْن جَرِير.

وَقَدْ رَوَى ابْن أَبِي حَاتِم هَهُنَا حَدِيثًا مُنْكَرًا جِدًّا فَقَال: حَدَّثَنَا وَهْب بْن إِبْرَاهِيم الفَامِي سَنَة خَمْس وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل بْن حَاتِم المَرْوَزِيّ، حَدَّثَنَا مُقَاتِل بْن حَيَّان، عَنْ الأَصْبَغ بْن نُبَاتَة، عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالب؛ قَال: لَمَّا نَزَلتْ هَذِهِ السُّورَة عَلى النَّبِيّ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، قَال رَسُول الله ﷺ: «يَا جِبْرِيل، مَا هَذِهِ النَّحِيرَة الَّتِي أَمَرَنِي بِهَا رَبِّي؟». فَقَال: لَيْسَتْ بِنَحِيرَةٍ، وَلكِنَّهُ يَأْمُرك إِذَا تَحَرَّمْت للصَّلاةِ ارْفَعْ يَدَيْك إِذَا كَبَّرْت وَإِذَا رَكَعْت، وَإِذَا رَفَعْت رَأْسك مِنْ الرُّكُوع، وَإِذَا سَجَدْت، فَإِنَّهَا صَلاتنَا وَصَلاة المَلائِكَة الَّذِينَ فِي السَّموَات السَّبْع، وَإِنَّ لكُلِّ شَيْء زِينَة وَزِينَة الصَّلاة رَفْع اليَدَيْنِ عِنْد كُلّ تَكْبِيرَة.[2] وَهَكَذَا رَوَاهُ الحَاكِم فِي المُسْتَدْرَك مِنْ حَدِيث إِسْرَائِيل بْن حَاتِم بِهِ. وَعَنْ عَطَاء الخُرَاسَانِيّ، ﴿وَٱنْحَرْ﴾، أَيْ: ارْفَعْ صُلبك بَعْد الرُّكُوع وَاعْتَدِل، وَابْرُزْ نَحْرك، يَعْنِي بِهِ الاعْتِدَال. رَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم. وَكُلّ هَذِهِ الأَقْوَال غَرِيبَة جِدًّا. وَالصَّحِيح القَوْل الأَوَّل: أَنَّ المُرَاد بِالنَّحْرِ ذَبْح المَنَاسِك؛ وَلهَذَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي يوم العِيد ثُمَّ يَنْحَر نُسُكه وَيَقُول: **«مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُك. وَمَنْ نَسَكَ قَبْل الصَّلاة فَلا نُسُك لهُ»**. فَقَامَ أَبُو بُرْدَة بْن نِيَار فَقَال: يَا رَسُول الله؛ إِنِّي نَسَكْت شَاتِي قَبْل الصَّلاة، وَعَرَفْت أَنَّ اليَوْم يَوْم يُشْتَهَى فِيهِ اللَّحْم. قَال: **«شَاتك شَاة لحْم»**. قَال: فَإِنَّ عِنْدِي عَنَاقًا هِيَ أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتُجْزِئ عَنِّي؟ قَال: **«تُجْزِئك، وَلا تُجْزِئ أَحَدًا بَعْدك»**.[3]

---

(١) ضعيف : أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٥)، فيه حرام بن عثمان: ضعيف.
(٢) ضعيف جدًا : فيه أصبغ بن نباتة: متروك. قال ابن حبان: روى عن مقاتل الموضوعات والطامات.
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

قَال أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير: وَالصَّوَاب قَوْل مَنْ قَال: مَعْنَى ذَلكَ: فَاجْعَل صَلاتك كُلّهَا لرَبِّك خَالصًا دُون مَا سِوَاهُ مِنْ الأَنْدَاد وَالآلهَة، وَكَذَلكَ نَحْرك اجْعَلهُ لهُ دُون الأَوْثَان، شُكْرًا لهُ عَلى مَا أَعْطَاك مِنْ الكَرَامَة وَالخَيْر، الَّذِي لا كِفَاء لهُ وَخَصَّك بِهِ. وَهَذَا الَّذِي قَالهُ فِي غَايَة الحُسْن، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلى هَذَا المَعْنَى: مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ وَعَطَاء. وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، أَيْ: إِنَّ مُبْغِضك -يَا مُحَمَّد- وَمُبْغِض مَا جِئْت بِهِ مِنْ الهُدَى وَالحَقّ وَالبُرْهَان السَّاطِع وَالنُّور المُبِين، هُوَ الأَبْتَر الأَقَلّ الأَذَلّ المُنْقَطِع ذِكْره. قَال ابْن عَبَّاس، وَمُجَاهِد، وَسَعِيد ابْن جُبَيْر، وَقَتَادَة: نَزَلتْ فِي العَاص بْن وَائِل. وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ يَزِيد بْن رُومَان؛ قَال: كَانَ العَاص بْن وَائِل إِذَا ذُكِرَ رَسُول الله ﷺ يَقُول: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُل أَبْتَر لا عَقِب لهُ، فَإِذَا هَلكَ انْقَطَعَ ذِكْره. فَأَنْزَل الله هَذِهِ السُّورَة.[1] وَقَال شِمْر بْن عَطِيَّة: نَزَلتْ فِي عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط.

وَقَال ابْن عَبَّاس أَيْضًا، وَعِكْرِمَة: نَزَلتْ فِي كَعْب بْن الأَشْرَف، وَجَمَاعَة مِنْ كُفَّار قُرَيْش. وَقَال البَزَّار: حَدَّثَنَا زِياد ابْن يَحْيَى الحَسَّانِيّ، حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: قَدِمَ كَعْب بْن الأَشْرَف مَكَّة، فَقَالتْ لهُ قُرَيْش: أَنْتَ سَيِّدهمْ، أَلا تَرَى إِلى هَذَا المُصنبر المُنْبَتِر مِنْ قَوْمه؟ يَزْعُم أَنَّهُ خَيْر مِنَّا وَنَحْنُ أَهْل الحَجِيج، وَأَهْل السَّدَانَة، وَأَهْل السِّقَايَة. فَقَال: أَنْتُمْ خَيْر مِنْهُ. قَال: فَنَزَلتْ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[2]. وَهَكَذَا رَوَاهُ البَزَّار وَهُوَ إِسْنَاد صَحِيح. وَعَنْ عَطَاء قَال: نَزَلتْ فِي أَبِي لهَب، وَذَلكَ حِين مَاتَ ابْن لرَسُول الله ﷺ فَذَهَبَ أَبُو لهَب إِلى المُشْرِكِينَ وقال: بُتِرَ مُحَمَّد اللَّيْلة، فَأَنْزَل الله فِي ذَلكَ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.[3]

وَعَنْ ابْن عَبَّاس: نَزَلتْ فِي أَبِي جَهْل. وَعَنْهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، يَعْنِي: عَدُوّك. وَهَذَا يَعُمّ جَمِيع مَنْ اتَّصَفَ بِذَلكَ مِمَّنْ ذُكِرَ وَغَيْرهمْ. وَقَال عِكْرِمَة: الأَبْتَر: الفَرْد. وَقَال السُّدِّيّ: كَانُوا إِذَا مَاتَ ذُكُور الرَّجُل قَالُوا: بُتِرَ. فَلمَّا مَاتَ أَبْنَاء رَسُول الله ﷺ ، قَالُوا: بتر محمد. فَأَنْزَل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. وَهَذَا يَرْجِع إِلى مَا قُلنَاهُ مِنْ أَنَّ الأَبْتَر الَّذِي إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْره، فَتَوَهَّمُوا لجَهْلهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ انْقَطَعَ ذِكْره، وَحَاشَا وَكَلَّا، بَل قَدْ أَبْقَى الله ذِكْره عَلى رُءُوس الأَشْهَاد، وَأَوْجَبَ شَرْعه عَلى رِقَاب العِبَاد، مُسْتَمِرًّا عَلى دَوَام الآبَاد إِلى يَوْم الحشر وَالمَعَاد، صَلوَات الله وَسَلامه عَليْهِ دَائِمًا إِلى يَوْم التَّنَاد.

آخِر تَفْسِير سُورَة الكَوْثَر، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة



ثَبَتَ فِي «صَحِيح مُسْلم»، عَنْ جَابِر، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَة وبـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكْعَتَيْ الطَّوَاف.[4] وَفِي «صَحِيح مُسْلم»، مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتَيْ الفَجْر،[5] وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عُمَر أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَرَأَ فِي

---

(١) **مرسل** : عزاه لابن إسحاق عن يزيد بن رومان، ولم يسق سنده، وذكره الألباني في «صحيح السيرة النبوية».

(٢) **إسناده صحيح** : أخرجه البزار.

(٣) **مرسل** : لم يسند إلى الصحابة.

(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم (٧٢٦).

الرَّكْعَتَيْنِ قَبْل الفَجْر وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْد المَغْرِب بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّة أَوْ بِضْع عَشْرَة مَرَّة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.(١)

وَقَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ مُجَاهِد، عَنْ ابْن عُمَر؛ قَال: رَمَقْت النَّبِيّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ -أَوْ: خَمْسًا وَعِشْرِينَ- مَرَّة، يَقْرَأ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْل الفَجْر وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْد المَغْرِب بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد هُوَ مُحَمَّد بْن عَبْد الله -ابْن الزُّبَيْر الزبيري- حَدَّثَنَا سُفْيَان -[هُوَ](٢) الثَّوْرِيّ- عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ مُجَاهِد عَنْ ابْن عُمَر قَال: رَمَقْت النَّبِيّ ﷺ شَهْرًا، وَكَانَ يَقْرَأ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْل الفَجْر بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ [وَابْن مَاجَهْ، مِنْ حَدِيث أَبِي أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ](٣)، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي إِسْحَاق بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «هَذَا حَدِيث حَسَن». وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الحَدِيث أَنَّهَا تَعْدِل رُبْع القُرْآن و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِل رُبْع القُرْآن.(٤)

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا هَاشِم بْن القَاسِم، حَدَّثَنَا زُهَيْر، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق، عَنْ فَرْوَة بْن نَوْفَل -هُوَ ابْن مُعَاوِيَة- عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لَهُ: «**هَل لَك فِي رَبِيبَة لَنَا تَكْفُلُهَا؟**». قَال: أَرَاهَا زَيْنَب. قَال: ثُمَّ جَاءَ فَسَأَلَهُ النَّبِيّ ﷺ عَنْهَا قَال: «**مَا فَعَلَتْ الجَارِيَة؟**». قَال: تَرَكْتهَا عِنْد أُمِّهَا. قَال: «**فَمَجِيءٌ مَا جَاءَ بِك؟**». قَال: جِئْت لِتُعَلِّمنِي شَيْئًا أَقُولهُ عِنْد مَنَامِي. قَال: «**اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَة مِنْ الشِّرْك**»(٥). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَقَال أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن [عُمَر](٦) القَطْوَانِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد ابْن الطُّفَيْل، حَدَّثَنَا شَرِيك، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ جَبَلَة بْن حَارِثَة -وَهُوَ أَخُو زَيْد بْن حَارِثَة- أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**إِذَا أَوَيْت إِلَى فِرَاشك فَاقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، حَتَّى تَمُرّ بِآخِرهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَة مِنْ الشِّرْك**».

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَجَّاج، حَدَّثَنَا شَرِيك عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ [فَرْوَة](٧) بْن نَوْفَل عَنْ الحَارِث بْن جَبَلَة قَال: قُلْت: يَا رَسُول الله، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولهُ عِنْد مَنَامِي. قَال: «**إِذَا أَخَذْت مَضْجَعك مِنْ اللَّيْل فَاقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فَإِنَّهَا بَرَاءَة مِنْ الشِّرْك**». وَرَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق شَرِيك عَنْ جَابِر، عَنْ مَعْقِل الزُّبَيْدِيّ، عَنْ عباد أَبِي الأخضر عن خباب: «أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعه قَرَأَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، حَتَّى يَخْتِمهَا» والله أعلم.(٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٤)، (٢/ ٩٩)، وابن ماجه (١١٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».
(٢) في الأزهرية: [عن].
(٣) سقط من الأزهرية.
(٤) ضعيف: تقدم.
(٥) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٦)، والطبراني (٢/ ٢٨٧/ ٢١٩٥)، ورجاله ثقات إلا أن أبا إسحاق السبيعي كان يرسل وقد عنعن، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٠٥).
(٦) في الأزهرية: [عمرو].
(٧) في الأزهرية: [عروة].
(٨) ضعيف: أخرجه الطبراني (٤/ ٨١/ ٣٧٠٨) إسناده ضعيف، فيه شريك القاضي: سيئ الحفظ.

هَذِهِ السُّورَة سُورَة البَرَاءَة مِنْ العَمَل الَّذِي يَعْمَلهُ المُشْرِكُون، وَهِيَ آمِرَة بِالإِخْلاص فِيهِ، فَقَوْله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ شمل كُلّ كَافِر عَلى وَجْه الأَرْض، وَلكِنْ المُوَاجَهُونَ بِهَذَا الخِطَاب هُمْ كُفَّار قُرَيْش. وَقِيل: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلهمْ دَعَوْا رَسُول الله ﷺ إِلى عِبَادَة أَوْثَانهمْ سَنَة، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُوده سَنَة، فَأَنْزَل الله هَذِهِ السُّورَة، وَأَمَرَ رَسُوله ﷺ فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأ مِنْ دِينهمْ بِالكُلِّيَّةِ، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، يَعْنِي: مِنْ الأَصْنَام وَالأَنْدَاد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، وَهُوَ الله وَحْده لا شَرِيك لهُ، فـ﴿مَآ﴾ هَهُنَا بِمَعْنَى «مَنْ». ثم قَال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، أَيْ: وَلا أَعْبُد عِبَادَتكُمْ، أَيْ: لا أَسْلُكهَا وَلا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُد الله عَلى الوَجْه الَّذِي يُحِبّهُ وَيَرْضَاهُ؛ ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، أَيْ: لا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِر الله وَشَرْعه فِي عِبَادَته، بَل قَدْ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلقَاء أَنْفُسكُمْ، كَمَا قَال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيع مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ العَابِد لابُدّ لهُ مِنْ مَعْبُود يَعْبُدهُ، وَعِبَادَة يَسْلُكهَا إِليْهِ، فَالرَّسُول ﷺ وَأَتْبَاعه يَعْبُدُونَ الله بِمَا شَرَعَهُ، وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَة الإِسْلام «لا إله إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله»، أَيْ: لا مَعْبُود إِلَّا الله، وَلا طَرِيق إِليْهِ إِلَّا بما جَاءَ بِهِ الرَّسُول ﷺ، وَالمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْر الله عِبَادَة لمْ يَأْذَن بِهَا الله؛ ولهذا قَال لهُمْ الرَّسُول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وَقَال: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾.

وَقَال البُخَارِيّ: يُقَال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكُفْر، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإِسْلام. وَلمْ يَقُل «دِينِي» لأَنَّ الآيَات بِالنُّونِ، فَحَذَفَ اليَاء، كَمَا قَال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، وَ ﴿يَشْفِينِ﴾. وَقَال غَيْره: لا أَعْبُد مَا تَعْبُدُونَ الآن، وَلا أُجِيبكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد، وَهُمْ الَّذِينَ قَال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾، انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ. وَنَقَل ابْن جَرِير عَنْ بَعْض أَهْل العَرَبِيَّة أَنَّ ذَلكَ مِنْ بَاب التَّأْكِيد، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، وَحَكَاهُ بَعْضهمْ كَابْنِ الجَوْزِيّ وَغَيْره عَنْ ابْن قُتَيْبَة، فَالله أَعْلم. فَهَذِهِ ثَلاثَة أَقْوَال: أَوَّلهَا مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا. الثَّانِي: مَا حَكَاهُ البُخَارِيّ وَغَيْره مِنْ المُفَسِّرِينَ أَنَّ المُرَاد: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، فِي المَاضِي ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في المستقبل. الثالث: أن ذلك تأكيد محض. وثَمَّ قول رابع، نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، نَفْي الفعل لأنها جملة فعلية، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، نَفَى قَبُوله لذَلكَ بِالكُلِّيَّةِ؛ لأَنَّ النَّفْي بِالجُمْلةِ الاسْمِيَّة آكَد، فَكَأَنَّهُ نَفَى الفِعْل وَكَوْنه قَابِلًا لذَلكَ. وَمَعْنَاهُ نَفْي الوُقُوع وَنَفْي الإِمْكَان الشَّرْعِيّ أَيْضًا. وَهُوَ قَوْل حَسَن أَيْضًا، وَالله أَعْلم.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ الإِمَام أَبُو عَبْد الله الشَّافِعِيّ وَغَيْره بِهَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، عَلى أَنَّ الكُفْر كُلّه مِلَّة وَاحِدَة تورَّثه اليَهُود مِنْ النَّصَارَى، وَبِالعَكْسِ، إِذَا كَانَ بَيْنهمَا نَسَب أَوْ سَبَب يُتَوَارَث بِهِ، لأَنَّ الأَدْيَان مَا عَدَا الإِسْلام كُلّهَا كَالشَّيْءِ الوَاحِد فِي البُطْلان. وَذَهَبَ أَحْمَد بْن حَنْبَل وَمَنْ وَافَقَهُ إِلى عَدَم تَوْرِيث النَّصَارَى مِنْ اليَهُود وَبِالعَكْسِ، لحَدِيثِ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدّه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لا يَتَوَارَث أَهْل مِلَّتَيْنِ شَتَّى». [١]

آخِر تَفْسِير سُورَة «قُل يَا أَيّهَا الكَافِرُونَ»، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) ضعيف: تقـدم.

تفسير سورة النصر وهي مدنية

ترتيبها ١١٠ — وآياتها ٣

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا تَعْدِل رُبْع القُرْآن[١]، وَ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِل رُبْع القُرْآن. وَقَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن إسماعيل ابن إِبْرَاهِيم، أَخْبَرَنَا جَعْفَر، عَنْ أَبِي العُمَيْس /ح/ وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن سُلَيْمَان، حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن عَوْن، حَدَّثَنَا أَبُو العُمَيْس، عَنْ عَبْد المَجِيد بْن سُهَيْل، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الله بْن عُتْبَة؛ قَال: قَال لي ابْن عَبَّاس: يَا ابْن عُتْبَة، أَتَعْلَمُ آخِر سُورَة مِنْ القُرْآن نَزَلتْ؟ قُلت: نَعَمْ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾. قَال: صَدَقْت.[٢] وَرَوَى الحافظ أَبُو بَكْر البَزَّار وَالبَيْهَقِيّ، مِنْ حَدِيث مُوسَى بْن عُبَيْدَة الربذي عَنْ صَدَقَة بْن يَسَار عَنْ ابْن عُمَر؛ قَال: أُنْزِلتْ هَٰذِهِ السُّورَة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، عَلى رَسُول الله ﷺ أَوْسَط أَيَّام التَّشْرِيق، فَعَرَفَ أَنَّهُ الوَدَاع فَأَمَرَ بِرَاحِلتِهِ القَصْوَاء فَرُحِّلتْ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاس، فَذَكَرَ خُطْبَته المَشْهُورَة.[٣] وَقَال الحَافِظ البَيْهَقِيّ: أَخْبَرَنَا عَلِيّ بْن أَحْمَد بْن عَبْدَان، أَخْبَرَنَا أَحْمَد بْن [عُبَيْد][٤] الصَّفَّار، حَدَّثَنَا الأَسْفَاطِيّ، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن سُلَيْمَان حَدَّثَنَا [عَبَّاد بْن][٥] العَوَّام عَنْ هِلال ابْن خَبَّاب عَنْ عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَـمَّا نَزَلتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، دَعَا رَسُول الله ﷺ فَاطِمَة وَقَال: «**إِنَّهُ قَدْ نُعِيتْ إِليَّ نَفْسِي**». فَبَكَتْ ثُمَّ ضَحِكَتْ، وَقَالتْ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعِيتْ إِليْهِ نَفْسه فَبَكَيْت، ثُمَّ قَال: «**اصْبِرِي فَإِنَّكِ أَوَّل أَهْلي لحَاقًا بِي**». فَضَحِكْت.[٦] وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيّ كَمَا سَيَأْتِي بِدُونِ ذِكْر فَاطِمَة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة عَنْ أَبِي بِشْر، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس، قَال: كَانَ عُمَر يُدْخِلنِي مَعَ أَشْيَاخ بَدْر، فَكَأَنَّ بَعْضهمْ وَجَدَ فِي نَفْسه، فَقَال: لِمَ يَدْخُل هَٰذَا مَعَنَا وَلنَا أَبْنَاء مِثْله؟ فَقَال عُمَر: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلمْتُمْ فَدَعَاهُمْ ذَات يَوْم، فَأَدْخَله مَعَهُمْ، فَمَا رُؤِيت أَنَّهُ دَعَانِي فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، فَقَال: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْل الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ فَقَال بَعْضهمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَد الله وَنَسْتَغْفِرهُ إِذَا نَصَرَنَا وَفتح عَليْنَا. وَسَكَتَ بَعْضهمْ فَلمْ يَقُل شَيْئًا، فَقَال لي: أَكَذَلكَ تَقُول يَا بْن عَبَّاس؟ فَقُلت: لا. فَقَال: مَا تَقُول؟ فَقُلت: هُوَ أَجَل رَسُول الله ﷺ أَعْلمَهُ لهُ، قَال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، فَذَلكَ عَلامَة أَجَلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾، فَقَال عُمَر بْن الخَطَّاب: لا أَعْلم مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُول.[٧] تَفَرَّدَ بِهِ البُخَارِيّ. وَرَوَى ابْن جَرِير، عَنْ مُحَمَّد بْن حُمَيْد عَنْ مِهْرَان عَنْ الثَّوْرِيّ، عَنْ عَاصِم عَنْ أَبِي رَزِين عَنْ ابْن عَبَّاس.. فَذَكَرَ مِثْل هَٰذِهِ القِصَّة أَوْ نَحْوهَا.

---

(١) **ضعيف**: تقـدم.
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٢٤).
(٣) **إسناده ضعيف**: فيه موسى بن عبيدة الربذي: ضعيف.
(٤) في الأزهرية: [عبد].
(٥) في الأزهرية: [عساكر].
(٦) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٧).
(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٧٠).

وَقَال الإمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن فُضَيْل، حَدَّثَنَا عَطَاء، عَنْ سَعِيد بن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾، قَال رَسُول الله ﷺ: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي...». بأنه مَقْبُوض فِي تِلْكَ السَّنَة.(١) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَرَوَى العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس مِثْله، وَهَكَذَا قَال مُجَاهِد، وَأَبُو العَالِيَة، وَالضَّحَّاك، وَغَيْر وَاحِد: إِنَّهَا أَجَل رَسُول الله ﷺ نُعِيَ إِلَيْهِ. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا الحسين بن عِيسَى الحَنَفِيّ، عَنْ مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ ابْن عَبَّاس؛ قَال: بَيْنَمَا رَسُول الله ﷺ فِي المَدِينَة إِذْ قَال: «الله أَكْبَر، الله أَكْبَر، جَاءَ نَصْر الله وَالفَتْح، جَاءَ أَهْل اليَمَن». قِيل: يَا رَسُول الله، وَمَا أَهْل اليَمَن ؟ قَال: «قَوْم رَقِيقَة قُلُوبهمْ، لَيِّنَة طِبَاعهمْ، الإِيمَان يَمَان، وَالفِقْه يَمَان، وَالحِكْمَة يَمَانِيَّة»(٢). ثُمَّ رَوَاهُ عن ابن عَبْد الأَعْلَى، عَنْ ابن ثور عَن مَعْمَر عَنْ عِكْرِمَة مُرْسَلًا.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْن يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو كَامِل الجَحْدَرِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة، عَنْ هِلال بْن خَبَّاب، عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَة، قَال: نُعِيَتْ لِرَسُول الله ﷺ نَفْسه حِين نَزَلَتْ، قَال: فَأَخَذَ بِأَشَدّ مَا كَانَ قَطُّ اجْتِهَادًا فِي أَمْر الآخِرَة. وَقَال رَسُول الله ﷺ: بَعْد ذَلِكَ: «**جَاءَ الفَتْح وَنَصر الله، وَجَاءَ أَهْل اليَمَن**». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله، وَمَا أَهْل اليَمَن؟ قَال: «**قَوْم رَقِيقَة قُلُوبهمْ، لَيِّنَة طِبَاعهمْ، الإِيمَان يَمَان، وَالفِقْه يَمَان**». (٣)

وَقَال الإمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان عَنْ عَاصِم، عَنْ أَبِي رَزِين، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ عَلِمَ النَّبِيّ ﷺ أَنْ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسه، فَقِيل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ السُّورَة كُلّهَا. حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان، عَنْ عَاصِم، عَنْ أَبِي رَزِين: أَنَّ عُمَر سَأَل ابْن عَبَّاس عَنْ هَذِهِ الآيَة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾، قَال: لَمَّا نَزَلَتْ نُعِيَتْ إِلَى رَسُول الله ﷺ نَفْسه.

وَقَال الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن أَحْمَد بْن عُمَر الوَكِيعِيّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَر بن عَوْن عَنْ أَبِي العُمَيْس، عَنْ أَبِي بَكْر ابْن أَبِي الجَهْم، عَنْ عُبَيْد الله بْن عبد الله بن عُتْبَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: آخِر سُورَة نَزَلَتْ مِنْ القُرْآن جَمِيعًا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾(٤).

وَقَال الإمَام أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ أَبِي البُخْتُرِيّ الطَّائِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾، قَرَأَهَا رَسُول الله ﷺ حَتَّى خَتَمَهَا فَقَال: «**النَّاس حَيِّز، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيِّز**». وَقَال: «**لا هِجْرَة بَعْد الفَتْح، وَلَكِنْ جِهَاد وَنِيَّة**». فَقَال لَهُ مَرْوَان: كَذَبْت -وَعِنْده رَافِع بْن خَدِيج، وَزَيْد بْن ثَابِت، قَاعِدَانِ مَعَهُ عَلَى السَّرِير-، فَقَال أَبُو سَعِيد: لَوْ شَاءَ هَذَانِ لَحَدَّثَاك، وَلَكِنْ هَذَا يَخَاف أَنْ تَنْزِعهُ عَنْ عِرَافَة قَوْمه، وَهَذَا يَخْشَى أَنْ تَنْزِعهُ عَنْ الصَّدَقَة. فَرَفَعَ مَرْوَان عَلَيْهِ الدِّرَّة لِيَضْرِبهُ، فَلَمَّا رَأَيَا ذَلِكَ، قَالا: صَدَقَ.(٥) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مَرْوَان عَلَى أَبِي سَعِيد لَيْسَ بِمُنْكَر، فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ رِوَايَة ابْن عَبَّاس أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢١٧)، بإسناد حسن.

(٢) منكر: أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٣٢)، فيه الحسين بن عيسى الحنفي: قال أبو زرعة: له مناكير. وقال البخاري: مجهول، وحديثه منكر.

(٣) صحيح: أخرجه الطبري في «الكبير» (١١/ ٣٢٨/ ١١٩٠٣).

(٤) صحيح: تقدم.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢).

يَوْم الفَتْح: «**لا هِجْرَة، وَلكِنْ جِهاد وَنِيَّة، وَلكِنْ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[١]. أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِم فِي «صَحِيحَيْهِمَا» فَالَّذِي فَسَّرَ بِهِ بَعْض الصَّحَابَة مِنْ جُلَسَاء عُمَر -رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَنَا إِذَا فَتَحَ الله عَلَيْنَا المَدَائِن وَالحُصُون أَنْ نَحْمَد الله وَنَشْكُرهُ وَنُسَبِّحهُ -يَعْنِي نُصَلِّي لَهُ وَنَسْتَغْفِرهُ- مَعْنًى مَلِيحٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ شَاهِد مِنْ صَلاة النَّبِيّ ﷺ يَوْم فَتْح مَكَّة وَقْت الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَات، فَقَال قَائِلُونَ: هِيَ صَلاة الضُّحَى. وَأُجِيبُوا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوَاظِب عَلَيْهَا، فَكَيْف صَلَّاهَا ذَلِكَ اليَوْم، وَقَدْ كَانَ مُسَافِرًا لَمْ يَنْوِ الإِقَامَة بِمَكَّة؟ وَلِهَذَا أَقَامَ فِيهَا إِلَى آخِر شَهْر رَمَضَان قَرِيبًا مِنْ تسعة عشر يَوْمًا يَقْصُر الصَّلاة وَيُفْطِر هُوَ وَجَمِيع الجَيْش وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ عَشَرَة آلاف، قَال هَؤُلاءِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلاة الفَتْح قَالُوا: فَيُسْتَحَبّ لأَمِيرِ الجَيْش إِذَا فَتَحَ بَلَدًا أَنْ يُصَلِّي فِيهِ أَوَّل مَا يَدْخُلهُ ثَمَانِي رَكَعَات. وَهَكَذَا فَعَلَ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص يَوْم فَتْح المَدَائِن، ثُمَّ قَال بَعْضهمْ: يُصَلِّيهَا كُلّهَا بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَة، وَالصَّحِيح أَنَّهُ يُسَلِّم مِنْ كُلّ رَكْعَتَيْنِ، كَمَا وَرَدَ فِي «سُنَن أَبِي دَاوُدَ» أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يُسَلِّم يَوْم الفَتْح مِنْ كُلّ رَكْعَتَيْنِ.[٢] وَأَمَّا مَا فَسَّرَ بِهِ ابْن عَبَّاس وَعُمَر رضي الله عنهما أَنَّ هَذِهِ السُّورَة نُعِيَ فِيهَا إِلَى رَسُول الله ﷺ نفسه الكَرِيمَة، وَأَعْلَمَ أنك إِذَا فَتَحْتَ مَكَّة وَهِيَ قَرْيَتك الَّتِي أَخْرَجَتْك وَدَخَل النَّاس فِي دِين الله أَفْوَاجًا؛ فَقَدْ فَرَغَ شُغْلنَا بِك فِي الدُّنْيَا فتهيأْ لِلقُدُوم عَلَيْنَا وَالوُفُود إِلَيْنَا، فَالآخِرَة خَيْر لك مِنْ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيك رَبّك فَتَرْضَى، ولهذا قال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا عَمْرو بْن مَنْصُور، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مَحْبُوب حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَة عَنْ هِلال بْن خَبَّاب عَنْ عِكْرِمَة، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾، إِلَى آخِر السُّورَة، قَال: نُعِيَتْ لِرَسُول الله ﷺ نَفْسه حِين أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْر الآخِرَة، وَقَال رَسُول الله ﷺ بَعْد ذَلِكَ: «جَاءَ الفَتْح، وَجَاءَ نَصْر الله، وَجَاءَ أَهْل اليَمَن». فَقَال رَجُل: يَا رَسُول الله، وَمَا أَهْل اليَمَن؟ قَال: «قَوْم رَقِيقَة قُلُوبهمْ، لَيِّنَة قُلُوبهمْ، الإِيمَان يَمَان، وَالحِكْمَة يَمَانِيَّة، وَالفِقْه يَمَان».

وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا جَرِير عَنْ مَنْصُور، عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَائِشَة؛ قَالَتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِر أَنْ يَقُول فِي رُكُوعه وَسُجُوده: «**سُبْحَانك اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». يَتَأَوَّل القُرْآن. وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّة الجَمَاعَة إِلَّا التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث مَنْصُور بِهِ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ مَسْرُوق؛ قَال: قَالَتْ: عَائِشَة: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِر فِي آخِر أَمْره مِنْ قَوْل: «سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِر الله وَأَتُوب إِلَيْهِ». وَقَال: «**إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلامَة فِي أُمَّتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتهَا أَنْ أُسَبِّح بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾**»[٣]. وَرَوَاهُ مُسْلِم مِنْ طَرِيق دَاوُدَ -وهو ابن أَبِي هِنْد- بِهِ.

وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِب حَدَّثَنَا حَفْص حَدَّثَنَا عَاصِم عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ أُمّ سَلَمَة قَالَتْ كَانَ رَسُول الله ﷺ فِي آخِر أَمْره لا يَقُوم وَلا يَقْعُد، وَلا يَذْهَب وَلا يَجِيء، إِلَّا قَال: «**سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ**». فَقُلْت: يَا

---

(١) صحيح : تقدم.
(٢) ضعيف : أخرجه أبو داود (١٢٩٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

رَسُول الله، رَأَيْتُك تُكْثِر مِنْ سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ، لا تَذْهَب وَلا تَجِيء، وَلا تَقُوم وَلا تَقْعُد إِلَّا قُلت: «**سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ**»؟ قَال: «**إِنِّي أُمِرْت بِهَا**»، فَقَال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إِلى آخِر السُّورَة.[1] غَرِيب، وَقَدْ كَتَبْنَا حَدِيث كَفَّارَة المَجْلس مِنْ جَمِيع طُرُقه وَأَلْفَاظه فِي جُزْء مُفْرَد، فَيُكْتَب هَهُنَا.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي عُبَيْدَة، عَنْ عَبْد الله قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ عَلى رَسُول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، كَانَ يُكْثِر إِذَا قَرَأَهَا وَرَكَعَ أَنْ يَقُول: «**سُبْحَانَك اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّك أَنْتَ التَّوَّاب الرَّحِيم**».[2] ثَلاثًا تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ شُعْبَة عَنْ أَبِي إِسْحَاق بِهِ. وَالْمُرَاد بِالفَتْحِ هَهُنَا فَتْح مَكَّة قَوْلًا وَاحِدًا، فَإِنَّ أَحْيَاء العَرَب كَانَتْ تَتَلوَّم بِإِسْلامِهَا فَتْح مَكَّة، يَقُولُونَ: إِنْ ظَهَرَ عَلى قَوْمه فَهُوَ نَبِيّ، فَلَمَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ مَكَّة دَخَلُوا فِي دِين الله أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سَنَتَانِ حَتَّى اسْتَوْسَقَتْ جَزِيرَة العَرَب إِيمَانًا، وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِر قَبَائِل العَرَب إِلَّا مُظْهِر للإِسْلام، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَدْ رَوَى البُخَارِيّ فِي «صَحِيحه»، عَنْ عَمْرو بْن سَلمَة قَال: لَـمَّا كَانَ الفَتْح بَادَرَ كُلّ قَوْم بِإِسْلامِهِمْ إِلى رَسُول الله ﷺ، وَكَانَتْ الأَحْيَاء تَتَلوَّم بِإِسْلامِهَا فَتْح مَكَّة، يَقُولُونَ: دَعُوهُ وَقَوْمه، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيّ. الحَدِيث.[3] وَقَدْ حَرَّرْنَا غَزْوَة الفَتْح فِي كِتَابنَا: «السِّيرَة». فَمَنْ أَرَادَ فَلْيُرَاجِعْهُ هُنَاكَ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة بْن عَمْرو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاق، عَنْ الأَوْزَاعِيّ، حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّار، حَدَّثَنِي جَارٌ لجَابِر بْن عَبْد الله؛ قَال: قَدِمْت مِنْ سَفَر فَجَاءَنِي جَابِر بْن عَبْد الله فَسَلَّمَ عَلَيَّ فَجَعَلتُ أُحَدِّثهُ عَنْ افْتِرَاق النَّاس وما أَحْدَثُوا، فَجَعَل جَابِر يَبْكِي، ثُمَّ قَال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «**إِنَّ النَّاس دَخَلُوا فِي دِين الله أَفْوَاجًا، وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا**».[4]

آخِر تَفْسِير سُورَة النَّصْر، وَلله الحَمْد



تفسير سُورَةُ المَسَدِ وهي مكية

ترتيبها ١١١ — وآياتها ٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾.

قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَلَّام، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة حَدَّثَنَا الأَعْمَش، عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ خَرَجَ إِلى البَطْحَاء فَصَعِدَ الجَبَل فَنَادَى: «**يَا صَبَاحَاهُ!**». فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْش، فَقَال: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ العَدُوّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**». قَالُوا: نَعَمْ. قَال: «**فَإِنِّي نَذِير لكُمْ، بَيْن يَدَيْ عَذَاب شَدِيد**». فَقَال أَبُو لَهَب: أَلِهَذَا جَمَعْتنَا؟ تَبًّا لك! فَأَنْزَل الله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[5] إِلى آخِرهَا. وَفِي رِوَايَة: فَقَامَ يَنْفُض يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُول: تَبًّا لك سَائِر اليَوْم! أَلِهَذَا جَمَعْتنَا؟ فَأَنْزَل الله:

---

(١) صحيح : أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٣٥).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٥)، ورجاله ثقات غير أن فيه أبا إسحاق السبيعي يرسل وقد عنعن، ولكن يشهد له ما تقدم من الروايات.
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣٠٢).
(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣).
(٥) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٩٤، ٤٩٧٢).

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. الأَوَّل دُعَاء عَلَيْهِ، وَالثَّانِي خَبَر عَنْهُ، فَأَبُو لَهَب هَذَا هُوَ أَحَد أَعْمَام رَسُول الله ﷺ، وَاسْمه: عَبْد العُزَّى بْن عَبْد المُطَّلب، وَكُنْيَته أَبُو عتبة. وَإِنَّمَا سُمِّيَ «أَبَا لَهَب» لإِشْرَاقِ وَجْهه، وَكَانَ كَثِير الأَذِيَّة لرَسُول الله ﷺ وَالبِغْضَة لهُ، وَالازْدِرَاء بِهِ وَالتَّنَقُّص لهُ وَلدِينِهِ.

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن العَبَّاس، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي الزِّنَاد، عَنْ أَبِيهِ قَال: أَخْبَرَنِي رَجُل يُقَال لهُ: رَبِيعَة بْن عَبَّاد مِنْ بَنِي الدَّيْل، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلمَ، قَال: رَأَيْت النَّبِيّ ﷺ فِي الجَاهِلِيَّة فِي سُوق ذِي المَجَاز وَهُوَ يَقُول: «**يَا أَيُّهَا النَّاس، قُولُوا: لا إِله إِلاَّ الله؛ تُفْلحُوا**». وَالنَّاس مجتمعون عَليْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُل وَضِيء الوَجْه أَحْوَل ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُول: إِنَّهُ صَابِئ كَاذِب، يَتَّبِعهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلت عَنْهُ؟ فَقَالُوا: هَذَا عَمّه أَبُو لهَب.[1]

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ سريج، عَنْ ابْن أَبِي الزِّنَاد، عَنْ أَبِيهِ، فَذَكَرَهُ. قَال أَبُو الزِّنَاد: قُلت لرَبِيعَة: كُنْت يَوْمئِذٍ صَغِيرًا؟ قَال: لا، وَالله إِنِّي يَوْمئِذٍ لأَعْقِل أَنِّي أَزْفِر القِرْبَة. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَقَال مُحَمَّد بْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي حُسَيْن بْن عَبْد الله بْن عُبَيْد الله بْن عَبَّاس؛ قَال: سَمِعْت رَبِيعَة بْن عَبَّاد الدَّيْليّ؛ يَقُول: إِنِّي لمَعَ أَبِي رَجُل شَابّ، أَنْظُر إِلى رَسُول الله ﷺ يَتْبَع القَبَائِل وَوَرَاءَهُ رَجُل أَحْوَل وَضِيء، ذُو جُمَّة، يَقِف رَسُول الله ﷺ عَلى القَبِيلة فَيَقُول: «**يَا بَنِي فُلان؛ إِنِّي رَسُول الله إِليْكُمْ، آمُركُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الله لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي حَتَّى أُنَفِّذ عَنْ الله مَا بَعَثَنِي بِهِ**». وَإِذَا فَرَغَ مِنْ مَقَالته قَال الآخر مِنْ خَلفه: يَا بَنِي فُلان، هَذَا يُرِيد مِنْكُمْ أَنْ تَسْلخُوا اللاَّتَ وَالعُزَّى وَحُلفَاءَكُمْ مِنْ الجِنّ مِنْ بَنِي مَالك بْن أُقَيْش، إِلى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ البِدْعَة وَالضَّلالة، فَلا تَسْمَعُوا لهُ وَلا تَتَّبِعُوهُ. فَقُلت لأَبِي: مَنْ هَذَا؟ قَال: عَمّه أَبُو لهَب. رَوَاهُ أَحْمَد أَيْضًا وَالطَّبَرَانِيّ بِهَذَا اللَّفْظ. فقوله تَعَالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أَيْ: خَسِرَت وَخَابَت، وَضَلَّ عَمَله وَسَعْيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أَيْ: وَقَدْ تَبَّ تَحَقَّقَ خَسَارَته وَهَلاكه.

وقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، قَال ابْن عَبَّاس وَغَيْره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يَعْنِي: وَلده. وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَة وَمُجَاهِد وَعَطَاء وَالحَسَن وَابْن سِيرِينَ مِثْله. وَذُكِرَ عَنْ ابْن مَسْعُود أَنَّ رَسُول الله ﷺ لـمَّا دَعَا قَوْمه إِلى الإِيمَان، قَال أَبُو لهَب: إِنْ كَانَ مَا يَقُول ابْن أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي نَفْسِي يَوْم القِيَامَة مِنْ العَذَاب بِمَالي وَوَلدِي، فَأَنْزَل الله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾. وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أَيْ: ذَات شَرَر ولهيب وَإِحْرَاق شَدِيد، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، وَكَانَتْ زَوْجَته مِنْ سَادَات نِسَاء قُرَيْش وَهِيَ: أُمّ جَمِيل، وَاسْمهَا أَرْوَى بِنْت حَرْب بْن أُمَيَّة، وَهِيَ أُخْت أَبِي سُفْيَان، وَكَانَتْ عَوْنًا لزَوْجِهَا عَلى كُفْره وَجُحُوده وَعِنَاده، فَلهَذَا تَكُون يَوْم القِيَامَة عَوْنًا عَليْهِ فِي عَذَابه فِي نَار جَهَنَّم؛ وَلهَذَا قَال: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، قَال مُجَاهِد وَعُرْوَة: مِنْ مَسَد النَّار. وَعَنْ مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالثَّوْرِيّ وَالسُّدِّيّ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس، وَعَطِيَّة الجَدَليّ، وَالضَّحَّاك، وَابْن زَيْد: كَانَتْ تَضَع الشَّوْك فِي طَرِيق رَسُول الله ﷺ. واختاره ابن جرير. [قَال ابْن جَرِير: وقيل: كَانَتْ تُعَيِّر النَّبِيّ ﷺ بِالفَقْرِ وَكَانَتْ تَحْتَطِب فَعُيِّرَتْ بِذَلكَ. كَذَا حَكَاهُ، وَلمْ يَعْزُهُ إِلى أَحَد][2]، وَالصَّحِيح الأَوَّل، وَالله أَعْلم.

قَال سَعِيد بْن المُسَيِّب: كَانَتْ لهَا قِلادَة فَاخِرَة، فَقَالتْ: لأُنْفِقَنَّهَا فِي عَدَاوَة مُحَمَّد. يَعْنِي فَأَعْقَبَهَا الله بها حَبْلًا

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٤١).

(٢) تقديم وتأخير.

فِي جِيدهَا مِنْ مَسَد النَّار. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُلَيْم -مَوْلَى الشَّعْبِيّ- عَنْ الشَّعْبِيّ قَال المَسَد: اللِّيف. وَقَال عُرْوَة بْن الزُّبَيْر: المَسَد سَلسَلة ذَرْعهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا. وَعَنْ الثَّوْرِيّ: هُوَ قِلَادَة مِنْ نَار طُولهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا. وَقَال الجَوْهَرِيّ: المَسَد: اللِّيف. وَالمَسَد أَيْضًا: حَبْل مِنْ لِيف أَوْ خُوص، وَقَدْ يَكُون مِنْ جُلُود الإِبِل أَوْ أَوْبَارهَا، وَمَسَدْت الحَبْل أَمْسُدهُ مَسْدًا: إِذَا أَجَدْت فَتْله.

وَقَال مُجَاهِد: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ﴾، أَيْ: طَوْق مِنْ حَدِيد، أَلَا تَرَى أَنَّ العَرَب يُسَمُّونَ البَكَرَة مَسَدًا؟

وَقَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو زُرْعَة؛ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن الزُّبَيْر الحُمَيْدِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن كَثِير، عَنْ ابن بدوس، عَنْ أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر؛ قَالَتْ: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتْ العَوْرَاء أُمّ جَمِيل بِنْت حَرْب وَلَهَا وَلوَلة، وَفِي يَدهَا فِهْر، وَهِيَ تَقُول، لعنها الله:

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا * وَدِينه قَلَيْنَا * وَأَمْره عَصَيْنَا

وَرَسُول الله ﷺ جَالس فِي المَسْجِد وَمَعَهُ أَبُو بَكْر، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْر قَال: يَا رَسُول الله، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَاف عَلَيْك أَنْ تَرَاك. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**». وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْر وَلَمْ تَرَ رَسُول الله ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْر؛ إِنِّي أُخْبِرْت أَنَّ صَاحِبك هَجَانِي؟ قَال: لَا، وَرَبِّ هَذَا البَيْت مَا هَجَاك. فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُول: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْش أَنِّي ابْنَة سَيِّدهَا.[1] قَال: وَقَال الوَلِيد فِي حَدِيثه أَوْ غَيْره. فَعَثَرَتْ أُمّ جَمِيل فِي مِرْطهَا وَهِيَ تَطُوف بِالبَيْتِ، فَقَالَتْ: تَعِسَ مُذَمَّم! فَقَالَتْ أُمّ حَكِيم بِنْت عَبْد المُطَّلِب: إِنِّي لَحَصَانٌ فَمَا أُكَلَّمُ، وَثَقَاف فَمَا أُعَلَّمُ، وكلنا مِنْ بَنِي العَمّ، وَقُرَيْش بَعْدُ أَعْلم.

وَقَال الحَافِظ أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن سَعِيد، وَأَحْمَد بْن إِسْحَاق؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد، حَدَّثَنَا عَبْد السَّلَام بْن حَرْب، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، جَاءَتْ امْرَأَة أَبِي لَهَب وَرَسُول الله ﷺ جَالس، وَمَعَهُ أَبُو بَكْر، فَقَال لَهُ أَبُو بَكْر: لَوْ تَنَحَّيْت لَا تُؤْذِيك بِشَيْءٍ. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا**». فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْر؛ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْر، هَجَانَا صَاحِبك. فَقَال أَبُو بَكْر: لَا، وَرَبِّ هذه البنية مَا نطق بِالشِّعْرِ وَلَا يَتَفَوَّه بِهِ. فَقَالَتْ: إِنَّك لَمُصَدَّق. فَلَمَّا وَلَّتْ قَال أَبُو بَكْر ﷺ: مَا رَأَتْك؟ قَال: «**لَا، مَا زَال مَلَك يَسْتُرنِي حَتَّى وَلَّتْ**»[2]. ثُمَّ قَال البَزَّار: لَا نَعْلَمهُ يُرْوَى بِأَحْسَن مِنْ هَذَا الإِسْنَاد عَنْ أَبِي بَكْر ﷺ. وَقَدْ قَال بَعْض أَهْل العِلم فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ﴾، أَيْ: فِي عُنُقهَا حَبْل من نَار تُرْفَع بِهِ إِلَى شَفِيرهَا، ثُمَّ يرمي بها إِلَى أَسْفَلهَا، ثُمَّ كَذَلِكَ دَائِمًا. قَال أَبُو الخَطَّاب ابْن دِحْيَة فِي كِتَابه «التَّنْوِير» -وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ-: وَعَبَّرَ بِالمَسَدِ عَنْ حَبْل الدَّلو، كَمَا قَال أَبُو حَنِيفَة الدِّينَوَرِيّ فِي كِتَاب «النَّبَات»: كُلّ مَسَد: رِشَاء، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ:

وَبَكْـــرَة وَمِحْـــوَرًا صِـــرَارًا * وَمَـــسَدًا مِـــنْ أَبَـــق مُغَـــارًا

قَال: وَالأَبَق: القِنَّب. وَقَال الآخر شعرًا:

يَـا مَـسَد الخُـوص تَعَـوَّذْ مِنِّـي * إِنْ تَـكُ لَـدْنًا لَيِّـنًا فَـإِنِّي

مَا شِئْت مِـنْ أَشْمَـطَ مُقْسَئِـنِّ

---

(١) صحيح بشواهده : تقـدم.

(٢) صحيح لشواهده : أخرجه البزار (٢/ ١٢١)، ورجاله ثقات، ويشهد له الحديث السابق.

قَال العُلَماء: وَفِي هَذِهِ السُّورَة مُعْجِزَة ظَاهِرَة، وَدَليل وَاضِح عَلى النُّبُوَّة، فَإِنَّهُ مُنْذُ نَزَل قَوْله تَعَالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾، فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ وَعَدَم الإِيمَان، لَمْ يُقَيَّض لهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا وَلا وَاحِد مِنْهُمَا، لا بَاطِنًا وَلا ظَاهِرًا، لا مُسِرًّا وَلا مُعْلنًا، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّة البَاهِرَة عَلى النُّبُوَّة الظَّاهِرَة.

آخر تَفْسِير سُورَة المسد، وَلله الحَمْد

تفسير سُورَةُ الإِخْلَاصِ وهي مكية (ترتيبها ١١٢) (آياتها ٤)

ذِكْرُ سَبَب نُزُولها وَفَضِيلَتها

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِد مُحَمَّد بْن مُيَسَّر الصَّاغَانِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ، حَدَّثَنَا الرَّبِيع بْن أَنَس، عَنْ أَبِي العَالِيَة، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب؛ أَنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا للنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّد، انْسُبْ لنَا رَبَّك. فَأَنْزَل الله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1]. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن جَرِير، عَنْ أَحْمَد بْن مَنِيع، زَادَ ابْن جَرِير: وَمَحْمُود بْن خِدَاش، عَنْ أَبِي سَعِد مُحَمَّد بْن ميسَّر بِهِ، زَادَ ابْن جَرِير وَالتِّرْمِذِيّ، قَال: «﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾: الَّذِي لمْ يَلد وَلمْ يُولد، لأَنَّهُ ليْسَ شَيْء يُولد إلَّا سَيَمُوتُ، وَليْسَ شَيْء يَمُوت إلاَّ سَيُورَثُ، وَإِنَّ الله -جل جلاله- لا يَمُوت وَلا يُورَث، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وَلمْ يَكُنْ لهُ شَبه وَلا عدل، وَليْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء». وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِد مُحَمَّد بْن مُيَسَّر بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْد بْن حُمَيْد، عَنْ عُبَيْد الله بْن مُوسَى، عَنْ أَبِي جَعْفَر، عَنْ الرَّبِيع، عَنْ أَبِي العَالِيَة، فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا، ولمْ يَذْكُر أبيًا. ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: وَهَذَا أَصَحّ مِنْ حَدِيث أَبِي سعد.

حَدِيث آخَر فِي مَعْنَاهُ: قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ: حَدَّثَنَا [سريج][2] بْن يُونُس، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن مُجَالد، عَنْ مُجَالد عَنْ الشَّعْبِيّ، عَنْ جَابِر ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: انْسُبْ لنَا رَبَّك. فَأَنْزَل الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إِلى آخِرهَا إسناده مقارب. وَقَدْ رَوَاهُ ابْن جَرِير، عَنْ مُحَمَّد بْن عَوْف، عَنْ سريج، فَذَكَرَهُ. وَقَدْ أَرْسَلهُ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف. وَرَوَى عُبَيْد بْن إِسْحَاق العَطَّار، عَنْ قَيْس بْن الرَّبِيع، عَنْ عَاصِم، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ ابْن مَسْعُود؛ قَال: قَالتْ قُرَيْش لرَسُول الله ﷺ: انْسُبْ لنَا رَبَّك. فَنَزَلتْ هَذِهِ السُّورَة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾. قَال الطَّبَرَانِيّ: رَوَاهُ الفِرْيَابِيّ وَغَيْره عَنْ قَيْس عَنْ أَبِي عَاصِم عَنْ أَبِي وَائِل مُرْسَلًا. ثُمَّ رَوَى الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن عُثْمَان [الطَّرَائِفِيّ][3]، عَنْ الوَازِع بْن نَافِع، عَنْ أَبِي سَلمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «لكُلّ شَيْء نِسْبَة، وَنِسْبَة الله: قُل هُوَ الله أَحَد».

حَدِيث آخَر فِي فَضْلهَا: قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد -هُوَ الذُّهْلِيّ- حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن صَالح، حَدَّثَنَا ابْن وَهْب، أَخْبَرَنَا عَمْرو، عَنْ ابْن أَبِي هِلال، أَنَّ أَبَا الرِّجَال مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَهُ، عَنْ أُمّه عَمْرَة بِنْت

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤)، والترمذي (٣٣٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) في الأزهرية: [شريح].

(٣) في الأزهرية: [الطائفي].

عَبْد الرَّحْمَن وَكَانَتْ فِي حِجْر عَائِشَة زَوْج النَّبِيّ ﷺ، عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّة، وَكَانَ يَقْرَأ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتهمْ، فَيَخْتِم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْء يَصْنَع ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَة الرَّحْمَن، وَأَنَا أُحِبّ أَنْ أَقْرَأ بِهَا. فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ الله تَعَالَى يُحِبّهُ**».[1] هَكَذَا رَوَاهُ فِي كِتَاب «التَّوْحِيد». وَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقِط ذِكْر «مُحَمَّد الذُّهْلِيّ»، وَيَجْعَلهُ مِنْ رِوَايَته عَنْ أَحْمَد بْن صَالِح، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِم وَالنَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْن وَهْب عَنْ عَمْرو بْن الحَارِث عَنْ سَعِيد بْن أَبِي هِلَال بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال البُخَارِيّ فِي كِتَاب الصَّلاة: وَقَال [عُبَيْد][2] الله، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: كَانَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار يَؤُمّهُمْ فِي مَسْجِد قُبَاء، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَة يَقْرَأ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاة مِمَّا يَقْرَأ بِهِ، افْتَتَحَ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَفْرُغ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأ سُورَة أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَع ذَلِكَ فِي كُلّ رَكْعَة. فَكَلَّمَهُ أَصْحَابه فَقَالُوا: إِنَّك تَفْتَتِح بِهَذِهِ السُّورَة، ثُمَّ لا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئك حَتَّى تَقْرَأ بِالأُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعهَا وَتَقْرَأ بِأُخْرَى. فَقَال: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلت، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلهمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمّهُمْ غَيْره. فَلَمَّا أَتَاهُمْ النَّبِيّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الخَبَر، فَقَال: «**يَا فُلان، مَا يَمْنَعك أَنْ تَفْعَل مَا يَأْمُرك بِهِ أَصْحَابك، وَمَا حَمَلك عَلَى لُزُوم هَذِهِ السُّورَة فِي كُلّ رَكْعَة؟**». قَال: إِنِّي أُحِبّهَا. قَال: «**حُبّك إِيَّاهَا أَدْخَلك الجَنَّة**»[3]. هَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ تَعْلِيقًا مَجْزُومًا بِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ فِي «جَامِعه»، عَنْ البُخَارِيّ عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي أُوَيْس، عَنْ عَبْد العَزِيز بْن مُحَمَّد الدَّرَاوَرْدِيّ، عَنْ عُبَيْد الله بْن عُمَر ... فَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ مِثْله سَوَاء، ثُمَّ قَال التِّرْمِذِيّ: «غَرِيب مِنْ حَدِيث عُبَيْد الله، عَنْ ثَابِت». قَال: وَرَوَى مُبَارَك بْن فَضَالَة، عَنْ ثَابِت، عَنْ أَنَس أَنَّ رَجُلًا قَال: يَا رَسُول الله؛ إِنِّي أُحِبّ هَذِهِ السُّورَة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. قَال: «**إِنَّ حُبّك إِيَّاهَا أَدْخَلك الجَنَّة**». وَهَذَا الَّذِي عَلَّقَهُ التِّرْمِذِيّ، قَدْ رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد فِي «مُسْنَده» مُتَّصِلًا، فَقَال: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْر، حَدَّثَنَا مُبَارَك بْن فَضَالَة، عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: جَاءَ رَجُل إِلَى رَسُول الله ﷺ؛ فَقَال: إِنِّي أُحِبّ هَذِهِ السُّورَة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**حُبّك إِيَّاهَا أَدْخَلك الجَنَّة**».[4]

حَدِيث فِي كَوْنهَا تَعْدِل ثُلُث القُرْآن: قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنِي مَالِك، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي صَعْصَعَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيد أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُل يَتَقَالّهَا فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِل ثُلُث القُرْآن**»[5]. زَادَ إِسْمَاعِيل بْن جَعْفَر، عَنْ مَالِك، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الله، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيد قَال: أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَة بْن النُّعْمَان، عَنْ النَّبِيّ ﷺ. وَقَدْ رَوَاهُ البُخَارِيّ أَيْضًا عَنْ عَبْد الله بْن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).
(٢) في الأزهرية: [عبد].
(٣) صحيح: أخرجه البخاري تعليقًا (٢/ ٢٥٥).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٤١)، وصححه الألباني في «صحيح مشكاة المصابيح» (٢١٣٠).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٧٤).

يُوسُف، وَالقَعْنَبِيّ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ القَعْنَبِيّ، وَالنَّسَائِيّ عَنْ قُتَيْبَة، كُلّهمْ عَنْ مَالك بِهِ. وَحَدِيث قَتَادَة بْن النُّعْمَان أَسْنَدَهُ النَّسَائِيّ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ إِسْمَاعِيل بْن جَعْفَر عَنْ مَالك بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عُمَر بْن حَفْص، حَدَّثَنَا أَبى، حَدَّثَنَا الأَعْمَش، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم، وَالضَّحَّاك المَشْرِقِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدكُمْ أَنْ يَقْرَأ ثُلُث القرْآن فِي لَيْلَة؟**». فَشَقَّ ذَلكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيّنَا يُطِيق ذَلكَ يَا رَسُول الله؟ فَقَال: «**الله الوَاحِد الصَّمَد ثُلُث القُرآن**»[1]. تَفَرَّدَ بِإِخْرَاجِهِ البُخَارِيّ مِنْ حَدِيث إِبْرَاهِيم بْن يَزِيد النَّخَعِيّ، وَالضَّحَّاك بْن شُرَحْبِيل الهَمْدَانِيّ المَشْرِقِيّ، كِلاهُمَا عَنْ أَبِي سَعِيد، قَال الفَرَبْرِيّ: سَمِعْت أَبَا جَعْفَر مُحَمَّد بْن أَبِي حَاتِم وَرَّاق أَبِي عَبْد الله؛ قَال: قَال أَبُو عَبْد الله البُخَارِيّ: عَنْ إِبْرَاهِيم؛ مُرْسَل، وَعَنْ الضَّحَّاك؛ مُسْنَد.

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، عَنْ الحَارِث بْن يَزِيد، عَنْ أَبِي الهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه قَال: بَاتَ قَتَادَة بْن النُّعْمَان يَقْرَأ اللَّيْل كُلّه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَذَكَرَ ذَلكَ للنَّبِيّ ﷺ فَقَال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لتَعْدِل نِصْف القُرْآن، أَوْ: ثُلُثه».[2]

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَسَن، حَدَّثَنَا ابْن لَهِيعَة، حَدَّثَنَا حيي بْن عَبْد الله، عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَن الحُبُلِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو، أَنَّ أَبَا أَيُّوب الأَنْصَارِيّ كان فِي مَجْلس وَهُوَ يَقُول: أَلا يَسْتَطِيع أَحَدكُمْ أَنْ يَقُوم بِثُلُثِ القُرْآن كُلّ لَيْلَة؟ فَقَالُوا: وَهَل يَسْتَطِيع ذَلكَ أَحَد؟! قَال: فَإِنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُث القُرْآن. قَال: فَجَاءَ النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَسْمَع أَبَا أَيُّوب فَقَال: «صَدَقَ أَبُو أَيُّوب».[3]

حَدِيث آخَر: قَال أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن كَيْسَان، أَخْبَرَنِي أَبُو حَازِم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَليكُمْ ثُلُث القُرآن**». فَحُشِدَ مَنْ حُشِدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيّ الله ﷺ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُمَّ دَخل فَقَال بَعْضنَا لبَعْضٍ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَليكُمْ ثُلُث القُرآن**». إِنِّي لأَرَى هَذَا خَبَرًا جَاءَ مِنْ السَّمَاء، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيّ الله ﷺ فَقَال: «**إِنِّي قُلت: سَأَقْرَأُ عَليكُمْ ثُلُث القُرآن، أَلا وَإِنَّهَا تَعدِل ثُلُث القُرآن**»[4]. وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلم فِي «صَحِيحه»، عَنْ مُحَمَّد بْن بَشَّار بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح غَرِيب، وَاسْم أَبِي حَازِم سَلمَان».

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، عَنْ زَائِدَة بْن قُدَامَة، عَنْ مَنْصُور، عَنْ هِلال ابْن يَسَاف، عَنْ الرَّبِيع بْن خثيم، عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلى، عَنْ امْرَأَة مِنْ الأَنْصَار، عَنْ أَبِي أَيُّوب، عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «أَيَعْجِزُ أَحدكُمْ أَنْ يَقْرَأ ثُلُث القُرْآن فِي لَيْلة؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فِي لَيْلة، فَقَدْ قَرَأَ لَيْلتئِذٍ ثُلُث القُرْآن». هَذَا حَدِيث تَسَاعَى الإِسْنَاد للإِمَام أَحْمَد. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، كِلاهُمَا عَنْ مُحَمَّد بْن بَشَّار، بُنْدَار، زَادَ التِّرْمِذِيّ: وَقُتَيْبَة؛ كِلاهُمَا عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ بِهِ. فَصَارَ لهُمَا عُشَارِيًّا. وَفِي رِوَايَة التِّرْمِذِيّ: عَنْ امْرَأَة أَبى أَيُّوب، عَنْ أَبِي أَيُّوب بِهِ. ثُمَّ قَال: وَفِي

---

(١) **صحيح :** أخرجه البخاري (٦٦٤٣).
(٢) **ضعيف :** أخرجه أحمد (٣/ ١٥)، وفيه ابن لهيعة: ضعيف.
(٣) **ضعيف الإسناد :** أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣)، فيه ابن لهيعة: ضعيف.
(٤) **صحيح :** أخرجه مسلم (٨٢١).

البَاب عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، وَأَبِي سَعِيد، وَقَتَادَة بْن النُّعْمَان، وَأَبِي هُرَيْرَة، وَأَنَس، وَابْن عُمَر وَأَبِي مَسْعُود، وَهَذَا حَدِيث حَسَن. وَلا نَعْلم أَحَدًا رَوَى هَذَا الحَدِيث أَحْسَن مِنْ رِوَايَة «زَائِدَة». وَتَابَعَهُ عَلَى رِوَايَته إِسْرَائِيل وَالفُضَيْل بْن عِيَاض. وَقَدْ رَوَى شُعْبَة وَغَيْر وَاحِد مِنْ الثِّقَات هَذَا الحَدِيث عَنْ مَنْصُور، وَاضْطَرَبُوا فِيهِ.

حَدِيثٌ آخَر: قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا هُشَيْم عَنْ حُصَيْن، عَنْ هِلال بْن يَسَاف عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب أَوْ رَجُل مِنْ الأَنْصَار قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : «**مَنْ قَرَأَ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ بِثُلُثِ القُرْآن**». وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي «اليَوْم وَاللَّيْلَة»، مِنْ حَدِيث هُشَيْم، عَنْ حُصَيْن عَنْ ابْن أَبِي لَيْلَى بِه. وَلَمْ يَقَع فِي رِوَايَته: هِلال بْن يَسَاف.

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ سُفْيَان عَنْ أَبِي قَيْس عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون عَنْ أَبِي مَسْعُود رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ : « ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِل ثُلُث القُرْآن». وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ عَنْ عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطَّنَافِسِيّ، عَنْ وَكِيع بِهِ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي «اليَوْم وَاللَّيْلَة» مِنْ طُرُق أُخَر عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا.

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا بَهْز، حَدَّثَنَا بُكَيْر بْن أَبِي السَّمِيط حَدَّثَنَا قَتَادَة عَنْ سَالِم بْن أَبِي الجَعْد عَنْ مَعْدَان بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدكُمْ أَنْ يَقْرَأ كُلّ يَوْم ثُلُث القُرْآن؟**». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُول الله، نَحْنُ أَضْعَف مِنْ ذَلِكَ وَأَعْجَز، قَال: «**فَإِنَّ الله جَزَّأَ القُرْآن ثَلاثَة أَجْزَاء، فَـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُث القُرْآن**». وَرَوَاهُ مُسْلم وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث قَتَادَة بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أُمَيَّة بْن خَالد، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن مُسْلم ابْن أَخِي ابْن شِهَاب عَنْ عَمّه الزُّهْرِيّ عَنْ حُمَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن -هُوَ ابْن عَوْف- عَنْ أُمّه وَهِيَ أُمّ كُلْثُوم بِنْت عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط قَالَتْ: قَال رَسُول الله ﷺ : «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِل ثُلُث القُرْآن**». وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي «اليَوْم وَاللَّيْلَة» عَنْ عَمْرو بْن عَلِيّ عَنْ أُمَيَّة بْن خَالد بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ طَرِيق مَالك عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ حُمَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن قَوْله. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضًا فِي «اليَوْم وَاللَّيْلَة» مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ الحَارِث بْن الفُضَيْل الأَنْصَارِيّ، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ حُمَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ حَدَّثُوهُ عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِل ثُلُث القُرْآن لِمَنْ صَلَّى بِهَا**».

حَدِيث آخَر فِي كَوْن قِرَاءَتهَا تُوجِب الجَنَّة: قَال الإِمَام مَالك بْن أَنَس، عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ عُبَيْد بْن حُنَيْنٍ؛ قَال: سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة يَقُول: أَقْبَلت مَعَ النَّبِيّ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَال رَسُول الله ﷺ : «وَجَبَتْ» قُلت: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَال: «**الجَنَّة**»[1]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث مَالك. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح غَرِيب، لا نَعْرِفهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث مَالك». وَتَقَدَّمَ حَدِيث: «**حُبّك إِيَّاهَا أَدْخَلك الجَنَّة**».[2]

حَدِيث فِي تَكْرَار قِرَاءَتهَا: قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى المَوْصِلِيّ: حَدَّثَنَا قطن بن نُسير الغبري حَدَّثَنَا عِيسَى بْن مَيْمُون القُرَشِيّ حَدَّثَنَا يَزِيد الرَّقَاشِيّ عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «أَلا يَسْتَطِيع أَحَدكُمْ أَنْ يَقْرَأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثَلاث مَرَّات فِي لَيْلَة فَإِنَّهَا تَعْدِل ثُلُث القُرْآن»[3]. هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف. وَأَجْوَد مِنْهُ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مالك (١/ ١٨٣/ ١٨)، والترمذي (٢٨٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) **صحيح**: تقدم.
(٣) **ضعيف جدًا**: أخرجه أبو يعلى (٤١١٨)، فيه عيسى بن ميمون: متروك الحديث، ويزيد الرقاشي: ضعيف.

حَدِيث آخَر: قَال عَبْد الله ابْن الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر الْمُقَدَّمِيّ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاك بْن مَخْلد حَدَّثَنَا ابْن أَبِي ذِئْب عَنْ أُسَيْد بْن أَبِي أُسَيْد عَنْ مُعَاذ بْن [عَبْد الله][1] بْن حَبِيب عَنْ أَبِيهِ قَال: أَصَابَنَا عَطَش وَظُلمَة، فَانْتَظَرْنَا رَسُول الله ﷺ يُصَلِّي بِنَا فَخَرَجَ فَأَخذَ بِيَدَيَّ فقَال: «**قُل**». فَسَكَتُّ قَال: «**قُل**». قُلت: مَا أَقُول؟ قَال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِين تُمْسِي وَحِين تُصْبِح ثَلاثًا، تَكْفِيك كُلّ يَوْم مَرَّتَيْن»[2]. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث ابْن أَبِي ذِئْب بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح غَرِيب مِنْ هَذَا الوَجْه. وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق أُخْرَى، عَنْ مُعَاذ بْن عَبْد الله بْن حَبِيب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر... فَذَكَرَهُ.

حَدِيث آخَر فِي ذَلكَ: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن عِيسَى، حدثنا لَيْث بْن سَعْد حَدَّثَنِي الخَلِيل بْن مُرَّة، عَنْ الأَزْهَر بْن عَبْد الله عَنْ تَمِيم الدَّارِيّ؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ قَال: لا إِله إِلَّا الله، وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، لمْ يَتَّخِذ صَاحِبَة وَلا وَلدًا، وَلمْ يَكُنْ لهُ كُفُوًا أَحَد -عَشْر مَرَّات-؛ كُتِبَ لهُ أربعون أَلف أَلف حَسَنَة»[3]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد. وَالخَلِيل بْن مُرَّة: ضَعَّفَهُ البُخَارِيّ وَغَيْره بِمَرَّة.

حَدِيث آخَر: قَال أَحْمَد أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْن لِهِيعَة، حَدَّثَنَا [زَبَّان][4] بْن فَائِد، عَنْ سَهْل بْن مُعَاذ بْن أَنَس الجُهَنِيّ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «**مَنْ قرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَخْتِمهَا -عَشْر مَرَّات-؛ بَنَى الله لهُ قَصْرًا فِي الجنَّة**». فَقَال عُمَر: إِذًا نَسْتَكْثِر يَا رَسُول الله. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**الله أَكْثَر وَأَطْيَب**».[5] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

وَرَوَاهُ أَبُو مُحَمَّد الدَّارِمِيّ فِي «مُسْنَده» فَقَال: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن يَزِيد، حَدَّثَنَا حَيْوَة، حَدَّثَنَا [أَبُو عقيل زهرة][6] ابن مَعْبَد -قَال الدَّارِمِيّ: وَكَانَ مِنْ الأَبْدَال- أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيد بْن الْمُسَيَّب؛ يَقُول: إِنَّ نَبِيّ الله ﷺ قَال: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، عَشْر مَرَّات بَنَى الله لهُ قَصْرًا فِي الجَنَّة، وَمَنْ قَرَأَهَا عِشْرِينَ مَرَّة بَنَى الله لهُ قَصْرَيْنِ فِي الجَنَّة، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلاثِينَ مَرَّة بَنَى الله لهُ ثَلاثَة قُصُور فِي الجَنَّة». فَقَال عُمَر بْن الخَطَّاب: إِذًا لَتَكْثُر قُصُورنَا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «الله أَوْسَع مِنْ ذَلكَ». وَهَذَا مُرْسَل جَيِّد.

حَدِيث آخَر: قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى المَوْصِلِيّ: حَدَّثَنَا نَصْر بْن عَلِيّ، حَدَّثَنِي نُوح بْن قَيْس، أَخْبَرَنِي مُحَمَّد العَطَّار، أَخْبَرَتْنِي أُمّ كَثِير الأَنْصَارِيَّة، عَنْ أَنَس بْن مَالك، عَنْ رَسُول الله ﷺ قَال: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **خَمْسِينَ مَرَّة، غُفرت لهُ ذُنُوب خَمْسِينَ سَنَة**»[7]. إِسْنَاده ضَعِيف.

حَدِيث آخَر: قَال أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيع، حَدَّثَنَا حَاتِم بْن مَيْمُون، حَدَّثَنَا ثَابِت عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ قرَأَ فِي يَوْم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَتَيْ مَرَّة كَتَبَ الله لهُ أَلفًا وَخَمْسمِائَةِ حَسَنَة، إِلاَّ أَنْ**

---

(١) في الأزهرية: [عبد الرحمن].

(٢) **حسن**: أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في «زوائد المسند» (٥/ ٣١٢)، وأبو داود (٥٠٨٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) إسناده ضعيف، فيه الخليل بن مرة: ضعيف.

(٤) في الأزهرية: [زباد].

(٥) **حسن**: تقدم.

(٦) في الأزهرية: [أبو عبيد وغيره].

(٧) ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٧٧٨).

يَكُون عَلَيْهِ دَيْن».[١] إسناده ضَعِيف، حَاتِم بْن مَيْمُون: ضَعَّفَهُ البُخَارِيّ وَغَيْره. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، عَنْ مُحَمَّد بْن مَرْزُوق البَصْرِيّ، عَنْ حَاتِم بْن مَيْمُون بِهِ. وَلَفْظه: «مَنْ قَرَأَ كُلّ يَوْم مِائَتَيْ مَرَّة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحِيَ عَنْهُ ذُنُوب خَمْسِينَ سَنَة، إِلَّا أَنْ يَكُون عَلَيْهِ دَيْن». قَال التِّرْمِذِيّ: وَبِهَذَا الإِسْنَاد عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَام عَلَى فِرَاشه فَنَامَ عَلَى يَمِينه، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَة مَرَّة، فَإِذَا كَانَ يَوْم القِيَامَة يَقُول لَهُ الرَّبّ ﷻ: يَا عَبْدِي؛ ادْخُل عَلَى يَمِينك الجَنَّة». ثُمَّ قَال: غَرِيب مِنْ حَدِيث ثَابِت، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْر هَذَا الوَجْه عنه.

وَقَال أَبُو بَكْر البَزَّار: حَدَّثَنَا سَهْل بْن بَحْر، حَدَّثَنَا حِبَّان بْن أَغْلب، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ثَابِت؛ عَنْ أَنَس؛ قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَتَيْ مَرَّة حَطَّ الله عَنْهُ ذُنُوب مِائَتَيْ سَنَة». ثُمَّ قَال: لا نَعْلم رَوَاهُ عَنْ ثَابِت إِلَّا الحَسَن بْن أَبِي جَعْفَر، وَالأَغْلب بْن تَمِيم، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي سُوء الحِفْظ.

حَدِيث آخَر فِي الدُّعَاء بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الأَسْمَاء: قَال النَّسَائِيّ عِنْد تَفْسِيرهَا: حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن خَالد، حَدَّثَنَا زَيْد بْن الحُبَاب حَدَّثَنِي مَالك بْن مِغْوَل حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن بُرَيْدَة عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ دَخَل مَعَ رَسُول الله ﷺ المَسْجِد، فَإِذَا رَجُل يُصَلِّي، يَدْعُو يَقُول: اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلك بِأَنِّي أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلَّا أَنْتَ، الأَحَد الصَّمَد، الَّذِي لَمْ يَلد وَلَمْ يُولد، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد. قَال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَم، الَّذِي إِذَا سُئِل بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَاب**»[٢]. وَقَدْ أَخْرَجَهُ بَقِيَّة أَصْحَاب السُّنَن مِنْ طُرُق، عَنْ مَالك بْن مِغْوَل، عَنْ عَبْد الله بْن بُرَيْدَة، عَنْ أَبِيهِ بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن غَرِيب.

حَدِيث آخَر فِي قِرَاءَتهَا عَشْر مَرَّات بَعْد [المَكْتُوبَة][٣]: قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا بِشْر ابْن مَنْصُور، عَنْ عُمَر بْن نبهان، عَنْ أَبِي شَدَّاد، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**ثَلاث مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ الإِيمَان دَخَل مِنْ أَيّ أَبْوَاب الجَنَّة شَاءَ، وَزُوِّجَ مِنْ الحُور العِين حَيْثُ شَاءَ: مَنْ عَفَا عَنْ قَاتِله، وَأَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا، وَقَرَأَ فِي دُبُر كُلّ صَلاة مَكْتُوبَة عَشْر مَرَّات:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾». قَال: فَقَال أَبُو بَكْر: أَوْ إِحْدَاهُنَّ يَا رَسُول الله قَال: «أَوْ إِحْدَاهُنَّ».[٤]

حَدِيث فِي قِرَاءَتهَا عِنْد دُخُول المَنْزِل: قَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن بَكْر السَّرَّاج العَسْكَرِيّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الفَرَج، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الزِّبْرِقَان، عَنْ مَرْوَان بْن سَالم، عَنْ أَبِي زُرْعَة، [عَنْ][٥] عَمْرو بْن جَرِير، عَنْ جَرِير بْن عَبْد الله قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **حِين يدخل مَنْزِله، نَفَتْ الفَقْر عَنْ أَهْل ذَلِكَ المَنْزِل وَالجِيرَان**»[٦]. إِسْنَاده ضَعِيف.

حَدِيث فِي الإِكْثَار مِنْ قِرَاءَتهَا فِي سَائِر الأَحْوَال: قَال الحَافِظ أَبُو يَعْلى: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق المسيبي، حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون، عَنْ العَلاء أَبِي مُحَمَّد الثَّقَفِيّ؛ قَال: سَمِعْت أَنَس بْن مَالك؛ يَقُول: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ بِتَبُوك، فَطَلَعَتْ الشَّمْس بِضِيَاءٍ وَشُعَاع وَنُور لَمْ نَرَهَا طَلَعَتْ فِيمَا مَضَى بِمِثْلِهِ، فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَال: «يَا

---

(١) **موضوع** : أخرجه أبو يعلى (٣٣٦٥)، والترمذي (٣٩٠)، وفيه حاتم بن ميمون: منكر الحديث، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي».
(٢) **صحيح** : أخرجه أبو داود (١٤٩٤)، والترمذي (٣٤٧١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٣) في الأزهرية: [المغرب].
(٤) **ضعيف جدًا** : أخرجه أبو يعلى (١٧٩٤)، وفيه عمر بن نبهان: متروك الحديث.
(٥) في الأزهرية: [بن].
(٦) **ضعيف جدًا** : أخرجه الطبراني (٢/ ٣٤٠/ ٢٤١٩)، وفيه مروان بن سالم الغفاري: متروك الحديث.

جِبْرِيل، مَا لِي أَرَى الشَّمْس طَلَعَتْ اليَوْم بِضِيَاءٍ وَشُعَاع وَنُور لمْ أَرَهَا طَلَعَتْ فِيمَا مَضَى؟!». قَال: إِنَّ ذَلِكَ مُعَاوِيَة ابْن مُعَاوِيَة اللَّيْثِيّ، مَاتَ بِالمَدِينَةِ اليَوْم، فَبَعَثَ الله إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلف مَلك يُصَلُّونَ عَلَيْهِ. قَال: «وَفِيمَ ذَلِكَ؟». قَال: كَانَ يُكْثِر قِرَاءَة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي اللَّيْل وَالنَّهَار، وَفِي مَمْشَاهُ وَقِيَامه وَقُعُوده، فَهَل لك يَا رَسُول الله أَنْ أَقْبِض لك الأَرْض فَتُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَال: «نَعَمْ». فَصَلَّى عَلَيْهِ.[1] وَكَذَا رَوَاهُ الحَافِظ أَبُو بَكْر البَيْهَقِيّ فِي «دَلَائِل النُّبُوَّة»، مِنْ طَرِيق يَزِيد بْن هَارُون، عَنْ العَلَاء بْن مُحَمَّد وَهُوَ مُتَّهَم بِالوَضْعِ، فالله أَعْلَم.

طَرِيق أُخْرَى: قَال أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم الشَّامِيّ أَبُو عَبْد الله، حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن الهَيْثَم مُؤَذِّن مَسْجِد الجَامِع بِالبَصْرَةِ عِنْدِي، عَنْ مَحْمُود أَبِي عَبْد الله، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي مَيْمُونَة، عَنْ أَنَس قَال: نَزَل جِبْرِيل عَلى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: مَاتَ مُعَاوِيَة بْن مُعَاوِيَة اللَّيْثِيّ، فَتُحِبّ أَنْ تُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَال: «نَعَمْ». فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ الأَرْض، فَلَمْ تَبْقَ شَجَرَة وَلا أَكَمَة إِلَّا تَضَعْضَعَتْ، فَرَفَعَ سَرِيره فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَخَلفه صَفَّانِ مِنْ المَلائِكَة، فِي كُلّ صَفّ سَبْعُونَ أَلف مَلك، فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «يَا جِبْرِيل؛ بِمَ نَال هَذِهِ المَنْزِلة مِنْ الله تَعَالى؟». قَال: بِحُبِّهِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَقِرَاءَته إِيَّاهَا ذَاهِبًا وَجَائِيًا، قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَعَلى كُلّ حَال. وَرَوَاهُ البَيْهَقِيّ مِنْ رِوَايَة عُثْمَان بْن الهَيْثَم المُؤَذِّن، عَنْ مَحْبُوب بْن هِلال، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي مَيْمُونَة، عَنْ أَنَس فَذَكَرَهُ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَاب، وَمَحْبُوب بْن هِلال قَال أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: لَيْسَ بِالمَشْهُورِ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ طُرُق أُخَر تَرَكْنَاهَا اخْتِصَارًا وَكُلّهَا ضَعِيفَة.

حَدِيث آخَر فِي فَضْلهَا مَعَ المُعَوِّذَتَيْنِ: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو المُغِيرَة، حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن رِفَاعَة، حَدَّثَنِي عَلِيّ ابْن يَزِيد عَنْ القَاسِم عَنْ أَبِي أُمَامَة عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ قَال: لَقِيت رَسُول الله ﷺ فَابْتَدَأْته فَأَخَذْت بِيَدِهِ فَقُلت: يَا رَسُول الله بِمَ نَجَاة المُؤْمِن؟ قَال: «يَا عُقْبَة؛ أَخْرِسْ لِسَانك، وَلْيَسَعْك بَيْتك، وَابْكِ عَلى خَطِيئَتك». قَال: ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُول الله ﷺ فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِيّ، فَقَال: «يَا عُقْبَة بْن عَامِر؛ أَلا أُعَلِّمك خَيْر ثَلاث سُوَر أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاة وَالإِنْجِيل وَالزَّبُور وَالقُرْآن العَظِيم». قَال: قُلت: بَلى جَعَلَنِي الله فِدَاك قَال: فَأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ثُمَّ قَال: «يَا عُقْبَة، لا تَنْسَهُنَّ، وَلا تَبِتْ لَيْلَة حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ». قَال: فَمَا نَسِيتهنَّ مُنْذُ قَال: «لا تَنْسَهُنَّ»، وَمَا بِتّ لَيْلَة قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ. قَال عُقْبَة: ثُمَّ لَقِيت رَسُول الله ﷺ فَابْتَدَأْته، فَأَخَذْت بِيَدِهِ فَقُلت: يَا رَسُول الله؛ أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِل الأَعْمَال. فَقَال: «يَا عُقْبَة؛ صِل مَنْ قَطَعَك، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَك، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَك»[2]. رَوَى التِّرْمِذِيّ بَعْضه فِي «الزُّهْد»، مِنْ حَدِيث عبيد الله بْن زَحْر، عَنْ عَلِيّ بْن يَزِيد، وقال: هَذَا حَدِيث حَسَن. وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَد مِنْ طَرِيق آخَر: حَدَّثَنَا حُسَيْن بْن مُحَمَّد، حَدَّثَنَا ابْن عياش، عَنْ أُسَيْد بْن عَبْد الرَّحْمَن الخَثْعَمِيّ، عَنْ فَرْوَة بْن مُجَاهِد اللَّخْمِيّ، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر، عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَذَكَرَ مِثْله سَوَاء، تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

حَدِيث آخَر فِي الاستشفاء بِهِنَّ: قَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة حَدَّثَنَا المُفَضَّل، عَنْ عُقَيْل عَنْ ابْن شِهَاب، عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا آوَى إِلى فِرَاشه كُلّ لَيْلَة جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا وَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَح بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَده، يَبْدَأ بِهِمَا عَلى رَأْسه وَوَجْهه، وَمَا أَقْبَل مِنْ جَسَده، يَفْعَل ذَلِكَ ثَلاث مَرَّات.[3] وَهَكَذَا رَوَاهُ أَهْل السُّنَن مِنْ حَدِيث عُقَيْل بِهِ.

---

(١) **ضعيف جدًا** : أخرجه أبو يعلى (٤٢٦٧)، وفيه العلاء أبو محمد وهو ابن زيد الثقفي، قال البخاري: منكر الحديث.
(٢) **ضعيف** : أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧)، وفيه علي بن يزيد الألهاني: ضعيف.
(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٠١٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْر سَبَب نُزُولهَا. وَقَال عِكْرِمَة: لـمَّا قَالتْ اليَهُود: نَحْنُ نَعْبُد عُزَيْرًا ابْن الله، وَقَالتْ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُد المَسِيح ابْن الله، وَقَالتْ المَجُوس: نَحْنُ نَعْبُد الشَّمْس وَالقَمَر، وَقَالتْ المُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُد الأَوْثَان؛ أَنْزَل الله عَلى رَسُوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. يَعْنِي: هُوَ الوَاحِد الأَحَد، الَّذِي لا نَظِير لهُ وَلا وَزِير، وَلا نَدِيد وَلا شَبِيه وَلا عَدِيل وَلا يُطْلق هَذَا اللَّفْظ عَلى أَحَد فِي الإِثْبَات إِلَّا عَلى الله ﷻ؛ لأَنَّهُ الكَامِل فِي جَمِيع صِفَاته وَأَفْعَاله.

وَقَوْله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قَال عِكْرِمَة عَنْ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي الَّذِي يَصْمُد الخَلائِق إِلَيْهِ فِي حَوَائِجهمْ وَمَسَائِلهمْ. قَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: هُوَ السَّيِّد الَّذِي قَدْ كَمُل فِي سُؤْدُده، وَالشَّرِيف الَّذِي قَدْ كَمُل فِي [شَرَفه، وَالعَظِيم الَّذِي قَدْ كَمُل فِي عَظَمَته، وَالحَلِيم الَّذِي قَدْ كَمُل فِي حِلمه، وَالعَلِيم الَّذِي قَدْ كَمُل فِي][1] عِلمه، وَالحَكِيم الَّذِي قَدْ كَمُل فِي حِكْمَته. وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُل فِي أَنْوَاع الشَّرَف وَالسُّؤْدُد، وَهُوَ الله سُبْحَانه، هَذِهِ صِفَته لا تَنْبَغِي إِلَّا لهُ، لَيْسَ لهُ كُفْء، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، سُبْحَان الله الوَاحِد القَهَّار. وَقَال الأَعْمَش عَنْ [شقيق][2]: عَنْ أَبِي وَائِل: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّد الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُؤْدُده وَرَوَاهُ عَاصِم عن أَبِي وَائِل عَنْ ابْن مَسْعُود مثله. وَقَال مَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلمَ: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّد. وَقَال الحَسَن وَقَتَادَة: هُوَ البَاقِي بَعْد خَلقه. وقال الحسن أيضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾: الحي القيوم الذي لا زوال له. وقال عكرمة: ﴿الصَّمَدُ﴾: الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم. وَقَال الرَّبِيع بْن أَنَس: هُوَ الَّذِي لمْ يَلد وَلمْ يُولد. كَأَنَّهُ جَعَل مَا بَعْده تَفْسِيرًا لهُ، وَهُوَ قَوْله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. وَهُوَ تَفْسِير جَيِّد، وَقَدْ تَقَدَّمَ الحَدِيث مِنْ رِوَايَة ابْن جَرِير، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب فِي ذَلكَ وَهُوَ صَرِيح فِيهِ. وَقَال ابْن مَسْعُود وَابْن عَبَّاس، وَسَعِيد بْن المُسَيِّب، وَمُجَاهِد، وَعَبْد الله بْن بُرَيْدَة، وَعِكْرِمَة أَيْضًا، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَطَاء بْن أَبِي رَبَاح وَعَطِيَّة العَوْفِيّ وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الَّذِي لا جَوْف لهُ. قَال سُفْيَان عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد: ﴿الصَّمَدُ﴾: المُصْمَت الَّذِي لا جَوْف لهُ. وَقَال الشَّعْبِيّ: هُوَ الَّذِي لا يَأْكُل الطَّعَام وَلا يَشْرَب الشَّرَاب. وَقَال عَبْد الله بْن بُرَيْدَة أَيْضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾ نُور يَتَلأْلأ. رَوَى ذَلكَ كُلّه وَحَكَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، وَالبَيْهَقِيّ وَالطَّبَرَانِيّ، وَكَذَا أَبُو جَعْفَر ابْن جَرِير سَاقَ أَكْثَر ذَلكَ بِأَسَانِيدِهِ، وَقَال: حَدَّثَنِي العَبَّاس ابْن أَبِي طَالب، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن رُومِيّ، عَنْ عُبَيْد الله بْن سَعِيد قَائِد الأَعْمَش، حدثني صَالح بْن حيان، عَنْ عَبْد الله بْن بُرَيْدَة عَنْ أَبِيهِ -قَال: لا أَعْلم إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ- قَال: ﴿الصَّمَدُ﴾: الَّذِي لا جَوْف لهُ. وَهَذَا غَرِيب جِدًّا، وَالصَّحِيح أَنَّهُ مَوْقُوف عَلى عَبْد الله بْن بُرَيْدَة. وَقَدْ قَال الحَافِظ أَبُو القَاسِم الطَّبَرَانِيّ فِي كِتَاب «السُّنَّة» لهُ، بَعْد إِيرَاده كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الأَقْوَال فِي تَفْسِير ﴿الصَّمَدُ﴾: وَكُلّ هَذِهِ صَحِيحَة، وَهِيَ صِفَات رَبّنَا ﷻ هُوَ الَّذِي يُصْمَد إِليْهِ فِي الحَوَائِج، وَهُوَ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُؤْدُده، وَهُوَ الصَّمَد الَّذِي لا جَوْف لهُ، وَلا يَأْكُل وَلا يَشْرَب وَهُوَ البَاقِي بَعْد خَلقه.

وَقَال البَيْهَقِيّ نَحْو ذَلكَ أيضًا. وَقَوْله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ لهُ وَلد وَلا وَالد وَلا صَاحِبَة.

قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، يَعْنِي: لا صَاحِبَة لهُ. وَهَذَا كَمَا قَال تَعَالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ

---

(١) سقط من الأزهرية.
(٢) في الأزهرية: [سفيان].

﴿وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أَيْ: هُوَ مَالك كُلّ شَيْء وَخَالقه، فَكَيْف يَكُون لهُ مِنْ خَلقه نَظِير يُسَامِيه، أَوْ قَرِيب يُدَانِيه، تَعَالى وَتَقَدَّس وَتنَزَّه، قَال الله تَعَالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. وَقَال تَعَالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾. وَقَال تَعَالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وَفِي الصحيح «صَحِيح البُخَارِيّ»: «**لا أَحَد أَصْبَر عَلى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ الله، إنهم يَجْعَلُونَ لهُ وَلدًا وَهُوَ يَرْزُقهُمْ وَيُعَافِيهِمْ**»[١]. وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَان، حَدَّثَنَا شُعَيْب، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَاد، عَنْ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**قَال الله ﷻ: كَذَّبَنِي ابْن آدم وَلمْ يَكُنْ لهُ ذَلكَ، وَشَتَمَنِي وَلمْ يَكُنْ لهُ ذَلكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبه إِيَّايَ فَقَوْله: لنْ يُعِيدنِي كَمَا بَدَأَنِي. وَليْسَ أَوَّل الخَلق بِأَهْوَن عَليَّ مِنْ إِعَادَته. وَأَمَّا شَتْمه إِيَّايَ فَقَوْله: اتَّخَذَ الله وَلدًا. وَأَنَا الأَحَد الصَّمَد لمْ يلد وَلمْ يولد وَلمْ يَكُنْ لي كُفُوًا أَحَد**»[٢]. وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّزَّاق، عَنْ مَعْمَر، عَنْ هَمَّام بْن مُنَبِّه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، مَرْفُوعًا بِمِثْلِهِ. تَفَرَّدَ بِهِمَا مِنْ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ.

آخِر تَفْسِير سُورَة الإِخْلاص

تفسير سُورَةُ الفَلَق وهي مدنية

ترتيبها ١١٣ — وآياتها ٥

قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلمَة، أَخْبَرَنَا عَاصِم بْن بَهْدَلة، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش قَال: قُلت لأُبَيّ بْن كَعْب: إِنَّ ابْن مَسْعُود لا يَكْتُب المُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفه. فَقَال: أَشْهَد أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيل عليه السلام قَال لهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فَقُلتهَا، قَال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقُلتهَا». فَنَحْنُ نَقُول مَا قَال النَّبِيّ ﷺ. وَرَوَاهُ أَبُو بَكْر الحُمَيْدِيّ فِي «مُسْنَده»، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، حَدَّثَنَا عَبْدَة بْن أَبِي لُبَابَة، وَعَاصِم بْن بَهْدَلة، أَنَّهُمَا سَمِعَا زِرّ بْن حُبَيْش؛ قَال: سَأَلت أُبَيّ بْن كَعْب عَنْ المُعَوِّذَتَيْنِ، فَقُلت: يَا أَبَا المُنْذِر، إِنَّ أَخَاكَ ابْن مَسْعُود يَحُكُّهُمَا مِنْ المُصْحَف، فَقَال: إِنِّي سَأَلت رَسُول الله ﷺ، فَقَال: «**قِيل لي: قُل، فَقُلت**». فَنَحْنُ نَقُول كَمَا قَال رَسُول الله ﷺ.[٣] وَقَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ عَاصِم، عَنْ زِرّ قَال: سَأَلت ابْن مَسْعُود عَنْ المُعَوِّذَتَيْنِ. فَقَال: سَأَلت النَّبِيّ ﷺ عَنْهُمَا؟ فَقَال: «**قِيل لي، فَقُلت لكُمْ، فَقُولُوا**». قَال أُبَيّ: فَقَال لنَا النَّبِيّ ﷺ فَنَحْنُ نَقُول.[٤] وَقَال البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا عَليّ بْن عَبْد الله حَدَّثَنَا سُفْيَان حَدَّثَنَا عَبْدَة بْن أَبِي لُبَابَة عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، وَحَدَّثَنَا عَاصِم عن زِرّ قَال: سَأَلت أُبَيّ بْن كَعْب فَقُلت: أَبَا المُنْذِر؛ إِنَّ أَخَاكَ ابْن مَسْعُود يَقُول كَذَا وَكَذَا. فَقَال: إِنِّي سَأَلت النَّبِيّ ﷺ

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) صحيح: تقدم.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٧٦) (٤٩٧٧)، وأحمد (٥/ ١٢٩)، والحميدي (٣٧٤).
(٤) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ١٢٩).

فَقَال: «**قِيل لي، فَقُلت**». فَنَحْنُ نَقُول كَمَا قَال رَسُول الله ﷺ. وَرَوَاهُ البُخَارِيّ[١] أَيْضًا وَالنَّسَائِيّ، عَنْ قُتَيْبَة، عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، عَنْ عَبْدَة، وَعَاصِم بْن أَبِي النَّجُود، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب بِهِ. وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا الأَزْرَق بْن عَلِيّ، حَدَّثَنَا حَسَّان بْن إِبْرَاهِيم، حَدَّثَنَا الصَّلت بْن بَهْرَام، عَنْ إِبْرَاهِيم، عن عَلقَمَة، قَال: كَانَ عَبْد الله يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ المُصْحَف، يَقُول: إِنَّمَا أَمَرَ رَسُول الله ﷺ أَنْ يُتَعَوَّذ بِهِمَا. وَلَمْ يَكُنْ عَبْد الله يَقْرَأ بِهِمَا.[٢] وَرَوَاهُ عَبْد الله بْن أَحْمَد[٣] مِنْ حَدِيث الأَعْمَش، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد قَال: كَانَ عَبْد الله يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفه، وَيَقُول: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب الله. قَال الأَعْمَش: وَحَدَّثَنَا عَاصِم، عَنْ زِرّ بْن حُبَيْش، عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب؛ قَال: سَأَلنَا عَنْهُمَا رَسُول الله ﷺ قَال: «**قِيل لي، فَقُلت**». وَهَذَا مَشْهُور عِنْد كَثِير مِنْ القُرَّاء وَالفُقَهَاء: أَنَّ ابْن مَسْعُود كَانَ لا يَكْتُب المُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفه، فَلعَلَّهُ لَمْ يَسْمَعهُمَا مِنْ النَّبِيّ ﷺ، وَلَمْ يَتَوَاتَر عِنْده، ثُمَّ لعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْله ذَلكَ إِلَى قَوْل الجَمَاعَة، فَإِنَّ الصَّحَابَة رضي الله عنهم كتبوهما فِي المَصَاحِف الأَئِمَّة وَنَفَّذُوهَا إِلَى سَائِر الآفَاق كَذَلكَ، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة. وَقَدْ قَال مُسْلم فِي «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا قُتَيْبَة حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ بَيَان عَنْ قَيْس بْن أَبِي حَازِم عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «**أَلَمْ تَرَ آيَات أُنْزِلتْ هَذِهِ اللَّيْلة لَمْ يُرَ مِثْلهنَّ قطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٤] وَرَوَاهُ أَحْمَد وَمُسْلم أَيْضًا، وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالد، عَنْ قَيْس بْن أَبِي حَازِم عَنْ عُقْبَة به. وَقَال التِّرْمِذِيّ: حَسَن صَحِيح.

طَرِيق أُخْرَى، قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا الوَلِيد بْن مُسْلم حَدَّثَنَا ابْن جَابِر، عَنْ القَاسِم أَبِي عَبْد الرَّحْمَن، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ قَال: بَيْنَا أَنَا أَقُود بِرَسُول الله ﷺ فِي نَقَب مِنْ تِلكَ النِّقَاب، إِذْ قَال لي: «**يَا عُقْبَة، أَلا تَرْكَب؟**». قَال: فأجللت رسول الله أن أركب مركبه. ثم قال: «**يا عُقَيبُ، ألا تركب؟**». قال: فَأَشْفَقْت أَنْ تَكُون مَعْصِيَة، قَال: فَنَزَل رَسُول الله ﷺ وَرَكِبْت هُنَيْهَة ثُمَّ رَكِب، ثُمَّ قَال: «**يَا عقيب أَلا أُعَلِّمك سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْر سُورَتَيْنِ قرَأَ بهِمَا النَّاس؟**». قُلت: بَلَى يَا رَسُول الله فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ثُمَّ أُقِيمَتْ الصَّلاة فَتَقَدَّمَ رَسُول الله ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَال: «كَيْف رَأَيْت يَا عُقْبَ، اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْت وَكُلَّمَا قُمْت».[٥] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث الوَلِيد بْن مُسْلم وَعَبْد الله بْن المُبَارَك، كِلاهُمَا عَنْ ابْن جَابِر بِهِ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث ابْن وَهْب، عَنْ [معاوية][٦] بْن صَالح عن العَلاء بْن الحَارِث عَنْ القَاسِم بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ عُقْبَة به.

طَرِيق أُخْرَى، قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنَا سَعِيد بْن أَبِي أَيُّوب، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن عَبْد العَزِيز الرُّعَيْنِيّ، وَأَبُو مَرْحُوم، عَنْ يَزِيد بْن مُحَمَّد القُرَشِيّ، عَنْ عَلِيّ بْن رَبَاح عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ قَال: أَمَرَنِي

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٧٦، ٤٩٧٧).
(٢) أخرجه الطبراني (٩/ ٢٣٥).
(٣) (٥/ ١٢٩).
(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨١٤)، وأحمد (٤/ ١٥٢)، والترمذي (٢٩٠٢).
(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٦٢)، والنسائي (٨/ ٣٥٢)، وأحمد (٤/ ١٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٦) في الأزهرية: [معن].

رَسُول اللهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأ بِالْمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُر كُلّ صَلاة.[١] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ طُرُق عَنْ عَلِيّ بْن رَبَاح، وَقَال التِّرْمِذِيّ: غَرِيب.

طَرِيق أُخْرَى، قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا يحيي بْن إِسْحَاق، حَدَّثَنَا ابْن لهِيعَة عَنْ مِشْرَح بْن هَاعَان عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ قَال: قَال رَسُول اللهِ ﷺ : «**اقْرَأْ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فَإِنَّك لنْ تَقْرَأ بِمِثْلِهِمَا**».[٢] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

طَرِيق أُخْرَى، قَال أَحْمَد: حَدَّثَنَا حَيْوَة بْن شُرَيْح، حَدَّثَنَا بَقِيَّة، حَدَّثَنَا بُحير بْن سَعْد عَنْ خَالد بْن مَعْدَان، عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر أَنَّهُ قَال: إِنَّ رَسُول اللهِ ﷺ أُهْدِيَتْ لهُ بَغْلة شَهْبَاء، فَرَكِبَهَا، فَأَخَذَ عُقْبَة يَقُودهَا لهُ، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ لعقبة: «**اقْرَأْ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾». فَأَعَادَهَا لهُ حَتَّى قَرَأَهَا فَعَرَفَ أَنِّي لمْ أَفْرَح بِهَا جِدًّا، فَقَال: «**لعَلَّك تَهَاوَنْت بِهَا؟ فَمَا قُمْت تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلهَا**»[٣]. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ عَمْرو بْن عُثْمَان، عَنْ بَقِيَّة بِهِ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيث الثَّوْرِي، عَنْ مُعَاوِيَة بْن صَالح، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن جبير بن نُفَيْر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ أَنَّهُ سَأَل رَسُول اللهِ ﷺ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَذَكَرَ نَحْوه.

طَرِيق أُخْرَى: قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر، سَمِعْت النُّعْمَان عَنْ زِيَاد أَبِي الأَسَد، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: «**إِنَّ النَّاس لمْ يَتَعَوَّذُوا بِمِثْل هَذَيْنِ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».[٤]

طَرِيق أُخْرَى: قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ ابن عَجْلان، عَنْ سَعِيد الْمَقْبُرِيّ، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر قَال: كُنْت أَمْشِي مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ فَقَال: «**يَا عُقْبَة؛ قُل**». قُلت: مَاذَا أَقُول؟ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قَال: «**قُل**». قُلت: مَاذَا أَقُول يَا رَسُول اللهِ؟ فسكت عني، فقلت: اللهم، اردده عليَّ. فقال: «**يا عقبة؛ قل**» قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقَال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾»، فَقَرَأْتهَا حَتَّى أَتَيْت عَلى آخِرهَا، ثُمَّ قَال: «**قُل**». قُلت: مَاذَا أَقُول يَا رَسُول الله؟ قَال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»، فَقَرَأْتهَا ثُمَّ أَتَيْت عَلى آخِرهَا، ثُمَّ قَال رَسُول اللهِ ﷺ عِنْد ذَلكَ: «**مَا سَأَل سَائِل بِمِثْلهِمَا وَلا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذ بِمِثْلهِمَا**».[٥]

طَرِيق أُخْرَى: قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن بشار، حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَة عَنْ العَلاء بْن الحَارِث، عَنْ مَكْحُول، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي صَلاة الصُّبْح.[٦]

طَرِيق أُخْرَى: قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا قُتَيْبَة، حَدَّثَنَا اللَّيْث، عَنْ يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب، عَنْ أَبِي عِمْرَان أَسْلمَ، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر؛ قَال: اتَّبَعْت رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِب، فَوَضَعْت يَدَيَّ عَلى قَدَمَيْهِ، فَقُلت: أَقْرِئْنِي سُورَة هُود أَوْ سُورَة يُوسُف. فَقَال: «**لنْ تَقْرَأ شَيْئًا أَنْفَع عِنْد الله مِنْ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾».[٧]

حَدِيث آخَر: قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا مَحْمُود بْن خَالد، حَدَّثَنَا الوَلِيد، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرو الأَوْزَاعِيّ، عَنْ يَحْيَى بْن

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٠٩٣)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (١١٥٩).

(٢) **إسناده ضعيف** : ويشهد له ما سبق، أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦)، وفهي ابن لهيعة، وهو ضعيف

(٣) **صحيح** : أخرجه النسائي (٨/ ٢٥٢)، وأحمد (٤/ ١٤٩)، وقال الألباني في «صحيح سنن النسائي»: صحيح الإسناد.

(٤) **صحيح** : أخرجه النسائي (٢/ ١٥٨).

(٥) **صحيح** : أخرجه النسائي (٨/ ٢٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٦) **صحيح** : أخرجه النسائي (٨/ ٢٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٧) **صحيح** : أخرجه النسائي (٢/ ١٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

أَبِي كَثِير، عَنْ مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم بْن الحَارِث عَنْ أَبِي [عَبْد الله عَنْ ابْن][١] عائش الجُهَنِيّ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال لَهُ: «يَا ابْن عائش؛ أَلا أَدُلّك -أَوْ: أَلا أُخْبِرك- بِأَفْضَل مَا يَتَعَوَّذ بِهِ المُتَعَوِّذُونَ؟». قَال: بَلَى، يَا رَسُول الله. قَال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هَاتَانِ السُّورَتَانِ»[٢]. فَهَذِهِ طُرُق عَنْ عُقْبَة كَالمُتَوَاتِرَة عَنْهُ، تُفِيد القَطْع عِنْد كَثِير مِنْ المُحَقِّقِينَ فِي الحَدِيث. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي رِوَايَة صُدَيّ بْن عَجْلان، وَفَرْوَة بْن مُجَاهِد، عَنْهُ: «أَلا أُعَلِّمك ثَلاث سُوَر لَمْ يَنْزِل فِي التَّوْرَاة وَلا فِي الإِنْجِيل وَلا فِي الزَّبُور وَلا فِي الفُرْقَان مِثْلهنَّ؟ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».[٣]

حَدِيث آخَر: قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا الجُرَيْرِيّ، عَنْ أَبِي العَلاء؛ قَال: قَال رَجُل: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي سَفَر، وَالنَّاس يَعْتَقِبُونَ، وَفِي الظَّهْر قِلَّة، فَحَانَتْ نَزْلة رَسُول الله ﷺ وَنَزْلَتِي، فَلَحِقَنِي فَضَرَبَ من بعدي مَنْكِبِي فَقَال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾». فَقُلت: قُل أَعُوذ بِرَبِّ الفَلَق، فَقَرَأَهَا رَسُول الله ﷺ وقَرأْتها مَعَهُ، ثُمَّ قَال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». فَقَرَأَهَا رَسُول الله ﷺ فَقَرأْتها مَعَهُ، فَقَال: «إِذَا صَلَّيْت فَاقْرَأْ بِهِمَا»[٤]. والظَّاهِر أَنَّ هَذَا الرَّجُل هُوَ عُقْبَة بْن عَامِر، وَالله أَعْلَم. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ يَعْقُوب بْن إِبْرَاهِيم عَنْ ابْن عُلَيَّة بِهِ.

حَدِيث آخَر: قَال النَّسَائِيّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن المُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، عَنْ عَبْد الله بْن سَعِيد، حَدَّثَنِي يَزِيد بْن رُومَان، عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر، عَنْ عَبْد الله الأَسْلمِيّ -هُوَ ابْن أُنَيْس- أَنَّ رَسُول الله ﷺ وَضَعَ يَده عَلَى صَدْره ثُمَّ قَال: «قُل». فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُول ثُمَّ قَال لِي: «**قُل**». قُلت: هُوَ الله أَحَد. ثُمَّ قَال لِي: «قُل». قُلت: أَعُوذ بِرَبِّ الفَلَق، مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ، حَتَّى فَرَغْت مِنْهَا. ثُمَّ قَال لِي: «**قُل**». قُلت: أَعُوذ بِرَبِّ النَّاس، حَتَّى فَرَغْت مِنْهَا. فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، وَمَا تَعَوَّذَ المُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ**».

حَدِيث آخَر: قَال النَّسَائِيّ: أخبرنا عَمْرو بْن عَلِيّ أَبُو حفص، حَدَّثَنَا بَدَل، حَدَّثَنَا شَدَّاد بْن سَعِيد أَبُو طَلْحَة، عَنْ سَعِيد [الجُرَيْرِيّ][٥]، حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَة، عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله؛ قَال: قَال لِي رَسُول الله ﷺ: «**اقْرَأْ يَا جَابِر**». قُلت: وَمَا أَقْرَأ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَال: «**اقْرَأْ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾». فَقَرأْتهما، فَقَال: «**اقْرَأْ بِهِمَا، وَلَنْ تَقْرَأ بِمِثْلِهِمَا**». وَتَقَدَّمَ حَدِيث عَائِشَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأ بِهِنَّ، وَيَنْفُث فِي كَفَّيْهِ، وَيَمْسَح بِهِمَا رَأْسه وَوَجْهه وَمَا أَقْبَل مِنْ جَسَده.[٦]

وَقَال الإِمَام مَالك عَنْ ابْن شِهَاب، عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأ عَلى نَفْسه بِالمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُث، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعه كُنْت أَقْرَأ عَلَيْهِ وَأَمْسَح بِيَدِهِ عَلَيْهِ رَجَاء بَرَكَتهَا.[٧] وَرَوَاهُ البُخَارِيّ عَنْ عَبْد الله بْن يُوسُف، وَمُسْلم عَنْ يَحْيَى بْن يَحْيَى، وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ القَعْنَبِيّ، وَالنَّسَائِيّ عَنْ قُتَيْبَة، وَمِنْ حَدِيث ابْن القَاسِم وَعِيسَى بْن يُونُس، وَابْن مَاجَهْ مِنْ حَدِيث مَعْن وَبِشْر بْن عُمَر؛ ثَمَانِيَتهمْ عَنْ مَالك بِهِ. وَتَقَدَّمَ فِي آخِر سُورَة: ﴿نٓ﴾ مِنْ حَدِيث أَبِي نَضْرَة، عَنْ أَبِي سَعِيد: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذ مِنْ أَعْيُن

---

(١) في الأزهرية: [عبيد الله عن ابن].
(٢) **صحيح** : انظر «الصحيحة» (١١٠٤).
(٣) **سنده ضعيف** : تقـدم.
(٤) **إسناده ضعيف** : يشهد له ما تقدم، أخرجه أحمد (٥/ ٧٩).
(٥) في الأزهرية: [الجويري].
(٦) **صحيح** : تقـدم.
(٧) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢).

الجانّ وعين الإنسان، فلمّا نزلتْ المعوذتان أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا.[١] رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَهْ، وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَدِيث حَسَن».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

قَال ابْن أَبِي حَاتِم: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عِصَام، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد الزُّبَيْرِيّ، حَدَّثَنَا حَسَن بْن صَالِح، عَنْ عَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عُقَيْل، عَنْ جَابِر قَال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْح. وَقَال العَوْفِيّ: عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْح. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِد، وَسَعِيد بْن جُبَيْر، وَعَبْد الله بْن مُحَمَّد بْن عُقَيْل، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، وَابْن زَيْد، وَمَالك عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ مِثْل هَذَا. قَال القُرَظِيّ، وَابْن زَيْد، وَابْن جَرِير: وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾. وَقَال عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ ابْن عَبَّاس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الخَلْق. وَكَذَا قَال الضَّحَّاك: أَمَرَ الله نَبِيّه أَنْ يَتَعَوَّذ مِنْ الخَلْق كُلّه. وَقَال كَعْب الأَحْبَار: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: بَيْت فِي جَهَنَّم، إِذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيع أَهْل النَّار مِنْ شِدَّة حَرّه. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم، ثُمَّ قَال: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سُهَيْل بْن عُثْمَان، عَنْ رَجُل سَمَّاهُ عَنْ السُّدِّيّ عَنْ زَيْد بْن عَلِيّ عَنْ آبَائِهِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: جُبّ فِي قَعْر جَهَنَّم عَلَيْهِ غِطَاء، فَإِذَا كُشِفَ عَنْهُ خَرَجَتْ مِنْهُ نَار تصيح مِنْهُ جَهَنَّم مِنْ شِدَّة حَرّ مَا يَخْرُج مِنْهُ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عَمْرو بْن عبسة[٢] وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيث مَرْفُوع مُنْكَر، فَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنِي إِسْحَاق بْن وَهْب الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا مَسْعُود بْن مُوسَى بْن مشكان الوَاسِطِيّ، حَدَّثَنَا نَصْر بْن خُزَيْمَة الخُرَاسَانِيّ، عَنْ شُعَيْب بْن صَفْوَان، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَال: «**الفَلَق جُبّ فِي جَهَنَّم مُغَطًّى**».[٣] إِسْنَاده غَرِيب وَلا يَصِحّ رَفْعه. وَقَال أَبُو عَبْد الرَّحْمَن الحُبُلِيّ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: مِنْ أَسْمَاء جَهَنَّم. قَال ابْن جَرِير: وَالصَّوَاب القَوْل الأَوَّل، أَنَّهُ فَلَق الصُّبْح. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيح، وَهُوَ اخْتِيَار البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحه».

وَقَوْله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أَيْ: مِنْ شَرّ جَمِيع المَخْلُوقَات. وَقَال ثَابِت البُنَانِيّ، وَالحَسَن البَصْرِيّ: جَهَنَّم وَإِبْلِيس وَذُرِّيَّته مِمَّا خَلَق.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قَال مُجَاهِد: غَاسِق اللَّيْل إِذَا وَقَبَ غُرُوب الشَّمْس. حَكَاهُ البُخَارِيّ عَنْهُ. وَرَوَاهُ ابْن أَبِي نَجِيح عَنْهُ. وَكَذَا قَال ابْن عَبَّاس، وَمُحَمَّد بْن كَعْب القُرَظِيّ، وَالضَّحَّاك، وَخُصَيْف، وَالحَسَن، وَقَتَادَة: إِنَّهُ اللَّيْل إِذَا أَقْبَل بِظَلامِهِ. وَقَال الزُّهْرِيّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: الشَّمْس إِذَا غَرَبَتْ. وَعَنْ عَطِيَّة وَقَتَادَة: إِذَا وَقَبَ اللَّيْل: إِذَا ذَهَبَ. وَقَال أَبُو المُهَزِّم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ كَوْكَب. وَقَال ابن زَيْد: كَانَتْ العَرَب تَقُول: الغَاسِق سُقُوط الثُّرَيَّا، وَكَانَتْ الأَسْقَام وَالطَّوَاعِين تكثر عِنْد وُقُوعهَا، وَتَرْتَفِع عِنْد طُلُوعهَا. قَال ابْن جَرِير: وَهَؤُلاءِ مِنْ الأثر مَا حَدَّثَنِي نَصْر بْن عَلِيّ حَدَّثَنِي بَكَّار بن عَبْد الله بْن أَخِي

---

(١) **صحيح**: تقدم.

(٢) في الأزهرية: [وابن عباس].

(٣) **ضعيف**: أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٠٣٣).

هَمَّام حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد العَزِيز بْن عُمَر بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَة عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾، قال: «**النَّجْم الغَاسِق**».[1] **قُلت**: وَهَذَا الحَدِيث لا يَصِحّ رَفْعه إِلَى النَّبِيّ ﷺ . قَال ابْن جَرِير: وَقَال آخَرُونَ: هُوَ القَمَر. **قُلت**: وَعُمْدَة أَصْحَاب هَذَا القَوْل مَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الحَفْرِيّ، عَنْ ابْن أَبِي ذِئْب، عَنْ الحَارِث عن أَبِي سَلمَة قَال: قَالتْ عَائِشَة رضي الله عنها : أَخَذَ رَسُول الله ﷺ بِيَدِي فَأَرَانِي القَمَر حِين طَلَعَ، وَقَال: «**تَعَوَّذِي بالله مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِق إِذَا وَقَبَ**»[2]. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ، فِي كتاب التَّفْسِير مِنْ «سُنَنَيْهِمَا»، مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي ذِئْب، عَنْ خَاله الحَارِث بْن عَبْد الرَّحْمَن، بِهِ. وَقَال التِّرْمِذِيّ: «حَسَن صَحِيح». وَلفْظه: «**تَعَوَّذِي بالله مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا الغَاسِق إِذَا وَقَبَ**». وَلَفْظ النَّسَائِيّ: «**تَعَوَّذِي بالله مِنْ شَرِّ هَذَا، هَذَا الغَاسِق إِذَا وَقَبَ**». قَال أَصْحَاب القَوْل الأَوَّل -وَهُوَ آيَة اللَّيْل إِذَا وَلج-: هَذَا لا يُنَافِي قَوْلنَا، لأَنَّ القَمَر آيَة اللَّيْل، وَلا يُوجَد لهُ سُلطَان إِلَّا فِيهِ، وَكَذَلِكَ النُّجُوم لا تُضِيء إِلَّا في الليل، فَهُوَ يَرْجِع إِلَى مَا قُلنَاهُ، وَالله أَعْلم.

وَقَوْله: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾، قَال مُجَاهِد، وَعِكْرِمَة، وَالحَسَن، وَقَتَادَة، وَالضَّحَّاك: يَعْنِي السَّوَاحِر، قَال مُجَاهِد: إِذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ فِي العُقَد. وَقَال ابْن جَرِير: حَدَّثَنَا ابْن عَبْد الأَعْلى، حَدَّثَنَا ابْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ ابْن طَاوُس عَنْ أَبِيهِ قَال: مَا مِنْ شَيْء أَقْرَب إِلَى الشِّرْك مِنْ رُقْيَة الحَيَّة وَالمَجَانِين. وَفِي الحَدِيث الآخَر: أَنَّ جِبْرِيل جَاءَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: اشْتَكَيْت يَا مُحَمَّد؟ فَقَال: «**نَعَمْ**». فَقَال: بِسْم الله أَرْقِيك، مِنْ كُلّ دَاء يُؤْذِيك، وَمِنْ شَرّ كُلّ حَاسِد وَعَيْن، الله يَشْفِيك.[3] وَلعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ شَكْوَاهُ عليه السلام حِين سُحِرَ، ثُمَّ عَافَاهُ الله تَعَالى وَشَفَاهُ، وَرَدَّ كَيْد السَّحَرَة الحُسَّاد مِنْ اليَهُود فِي رُءُوسهِمْ، وَجَعَل تَدْمِيرهمْ فِي تَدْبِيرهِمْ، وَفَضَحَهُمْ، وَلكِنْ مَعَ هَذَا لمْ يُعَاتِبهُ رَسُول الله ﷺ يَوْمًا مِنْ الدَّهْر، بَل كَفَى الله وَشَفَى وَعَافَى.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة، حَدَّثَنَا الأَعْمَش، عَنْ يَزِيد بْن حِبَّان، عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم قَال: سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ اليَهُود، فَاشْتَكَى لذَلكَ أَيَّامًا، قَال: فَجَاءَهُ جِبْرِيل فَقَال: إِنَّ رَجُلًا مِنْ اليَهُود سَحَرَك، عَقَدَ لك عُقَدًا فِي بِئْر كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسِل إِليْهَا مَنْ يَجِيء بِهَا. فَبَعَثَ رَسُول الله ﷺ عليًّا رضي الله عنه فَاسْتَخْرَجَهَا فَجَاءَهُ بِهَا فَحَلَّلهَا، قَال: فَقَامَ رَسُول الله ﷺ كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَال، فَمَا ذَكَرَ ذَلكَ لليَهُودِيِّ، وَلا [رَآهُ فِي][4] وَجْهه قط حَتَّى مَاتَ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ عَنْ هَنَّاد، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَة مُحَمَّد بْن حَازِم الضَّرِير. وَقَال البُخَارِيّ فِي «كِتَاب الطِّبّ» مِنْ «صَحِيحه»: حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن مُحَمَّد قَال: سَمِعْت سُفْيَان بْن عُيَيْنَة يَقُول: أَوَّل مَنْ حَدَّثَنَا بِهِ ابْن جُرَيْج، يَقُول: حَدَّثَنِي آلُ عُرْوَة، عَنْ عُرْوَة، فَسَأَلت هِشَامًا عَنْهُ، فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَة قَالتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاء وَلا يَأْتِيهِنَّ، قَال سُفْيَان: وَهَذَا أَشَدّ مَا يَكُون مِنْ السِّحْر، إِذَا كَانَ كَذَا، فَقَال: «**يَا عَائِشَة، أَعَلمْت أَنَّ الله قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْته فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدهمَا عِنْد رَأْسِي، وَالآخَر عِنْد رِجْلي، فَقَال الَّذِي عِنْد رَأْسِي**

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٥)، ولا يصح رفعه؛ قاله ابن كثير كما في «المتن».

(٢) **حسن صحيح** : أخرجه الترمذي (٣٣٦٦)، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: حسن صحيح.

(٣) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٩٧٢)، وابن ماجه (٣٥٢٣)، وأحمد (٣/ ٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠).

(٤) في الأزهرية: [وأبي].

للآخرِ: مَا بَال الرَّجُل؟ قَال: مَطْبُوب. قَال: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَال: لبيد بْن أَعْصَم، رَجُل مِنْ بَنِي زُرَيْق حَلِيف ليَهُود، كَانَ مُنَافِقًا قَال: وَفِيمَ؟ قَال: فِي مُشْط وَمُشَاطَة. قَال: وَأَيْنَ؟ قَال: فِي جُفّ طَلعَة ذَكَر تَحْت رَاعُوفَة فِي بِئْر ذَرْوَان». قَالتْ: فَأَتَى النبي ﷺ البِئْر حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَال: **«هَذِهِ البِئْر الَّتِي أُرِيتهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَة الحِنَّاء، وَكَأَنَّ نَخْلهَا رُءُوس الشَّيَاطِين»**. قَال: فَاسْتُخْرِجَ، قالت: فَقُلت: أَفَلا؟ أي: تَنَشَّرْتَ؟ فَقَال: **«أَمَّا الله فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَه أَنْ أُثِير على أَحَد مِنْ النَّاس شَرًّا»**[1]. وأسنده مِنْ حَدِيث عِيسَى بْن يُونُس، وَأَبِي ضَمْرَة أَنَس بْن عِيَاض، وَأَبِي أُسَامَة، وَيَحْيَى القَطَّان، وَفِيهِ: «قَالتْ: حَتَّى كَانَ يُخَيَّل إِليْهِ أَنَّهُ فَعَل الشَّيْء وَلمْ يَفْعَلهُ». وَعِنْده: «فَأُمِرَ بِالبِئْرِ فَدُفِنَتْ». وَذُكِرَ أَنَّهُ رَوَاهُ عَنْ هِشَام أَيْضًا: ابْن أَبِي الزِّنَاد وَاللَّيْث بْن سَعْد. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلم، مِنْ حَدِيث أَبِي أُسَامَة حَمَّاد بْن أُسَامَة وَعَبْد الله [بْن نُمَيْر][2]، وَرَوَاهُ أَحْمَد عَنْ عَفَّان عَنْ وَهْب، عَنْ هِشَام بِهِ. وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد أَيْضًا: عَنْ إِبْرَاهِيم بْن خَالد عَنْ رباح عن مَعْمَر، عَنْ هِشَام، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة قَالتْ: لبِثَ رسول الله ﷺ سِتَّة أَشْهُر يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي، وَلا يَأْتِي، فَأَتَاهُ مَلكَانِ، فَجَلسَ أَحَدهمَا عِنْد رَأسه، وَالآخَر عِنْد رِجْليْهِ، فَقَال أَحَدهمَا للآخَرِ: مَا باله؟ قَال: مَطْبُوب. قَال: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَال: لبِيد بْن الأَعْصَم، وَذَكَرَ تَمَام الحَدِيث.

وَقَال الأُسْتَاذ المُفَسِّر الثَّعْلبِيّ فِي «تَفْسِيره»: قَال ابْن عَبَّاس وَعَائِشَة رضي الله عنهما: كَانَ غُلام مِنْ اليَهُود يَخْدُم رَسُول الله ﷺ، فَدَبَّتْ إِليْهِ اليَهُود، فَلمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَخَذَ مُشَاطَة رَأْس النَّبِيّ ﷺ وَعِدَّة أَسْنَان مِنْ مُشْطه، فَأَعْطَاهَا اليَهُود، فَسَحَرُوهُ فِيهَا. وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلكَ رَجُل مِنْهُمْ يُقَال لهُ: لبيد بن أَعْصَم، ثُمَّ دَسَّهَا فِي بِئْر لبَنِي زُرَيْق، يُقَال لهُا: ذَرْوَان، فَمَرِضَ رَسُول الله ﷺ وَانْتَثَرَ شَعْر رَأْسه، وَلبِثَ سِتَّة أَشْهُر يُرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاء وَلا يَأْتِيهِنَّ، وَجَعَل يَذُوب وَلا يَدْرِي مَا عَرَاهُ. فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِم إِذْ أَتَاهُ مَلكَانِ، فقعد أَحَدهمَا عِنْد رَأسه وَالآخَر عِنْد رِجْليْهِ، فَقَال الَّذِي عِنْد رِجْليْهِ للَّذِي عِنْد رَأْسه: مَا بَال الرَّجُل؟ قَال: طُبَّ. وَقَال: وَمَا طُبَّ؟ قَال: سُحِرَ. قَال: وَمَنْ سَحَرَهُ؟ قَال: لبِيد بْن الأَعْصَم اليَهُودِيّ. قَال: وَبِمَ طَبَّهُ؟ قَال: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَة. قَال: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَال: فِي جُفّ طَلعَة تَحْت رَاعُوفَة فِي بِئْر ذَرْوَان. وَالجُفّ: قِشْر الطَّلع. وَالرَّاعُوفَة: حَجَر فِي أَسْفَل البِئْر نَاتِئ يَقُوم عَليْهِ المَاتِح فَانْتَبَهَ رَسُول الله ﷺ مَذْعُورًا، وَقَال: «يَا عَائِشَة، أَمَا شَعَرْت أَنَّ الله أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟». ثُمَّ بَعَثَ رَسُول الله ﷺ عَليًّا وَالزُّبَيْر وَعَمَّار بْن يَاسِر، فَنَزَحُوا مَاء البِئْر كَأَنَّهُ نُقَاعَة الحِنَّاء، ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَة، وَأَخْرَجُوا الجُفّ، فَإِذَا فِيهِ مُشَاطَة رَأْسه وَأَسْنَان مِنْ مُشْطه، وَإِذَا فِيهِ وَتَر مَعْقُود. فِيهِ اثنتا عشرة عُقْدَة مَغْرُوزَة بِالإِبَرِ، فَأَنْزَل الله تَعَالى السُّورَتَيْنِ، فَجَعَل كُلَّمَا قَرَأَ آيَة انْحَلَّتْ عُقْدَة، وَوَجَدَ رَسُول الله ﷺ خِفَّة حِين انْحَلَّتْ العُقْدَة الأَخِيرَة، فَقَامَ كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَال، وَجَعَل جِبْرِيل عليه السلام يَقُول: بِاسْمِ الله أَرْقِيك، مِنْ كُلّ شَيْء يُؤْذِيك، مِنْ حَاسِد وَعَيْن، الله يَشْفِيك. فقالوا: يَا رَسُول الله أَفَلا نَأْخُذ الخَبِيث نَقْتُلهُ، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي الله، وَأَكْرَه أَنْ أُثِير عَلى النَّاس شَرًّا». هَكَذَا أَوْرَدَهُ بِلا إِسْنَاد، وَفِيهِ غَرَابَة، وَفِي بَعْضه نَكَارَة شَدِيدَة، وَلبَعْضِهِ شَوَاهِد مِمَّا تَقَدَّمَ، وَالله أَعْلم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧١٥)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في الأزهرية: [بن عيره].

تفسير سُورَةُ النَّاسِ وهي مدنية

ترتيبها ١١٤ — وآياتها ٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

هَذِهِ الصفات مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ: الرُّبُوبِيَّة وَالْمُلك وَالإِلهِيَّة. فَهُوَ رَبّ كُلّ شَيْء وَمَليكه وَإِلهه، فَجَمِيع الأَشْيَاء مَخْلُوقَة لَهُ، مَمْلُوكَة، عَبِيد لَهُ، فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيذ أَنْ يَتَعَوَّذ بِالْمُتَّصِف بِهَذِهِ الصِّفَات، مِنْ شَرّ الوَسْوَاس الخَنَّاس، وَهُوَ الشَّيْطَان الْمُوَكَّل بِالإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَد مِنْ بَنِي آدَم إِلَّا وَلَهُ قَرِين يُزَيِّن لَهُ الفَوَاحِش، وَلا يَأْلُوهُ جَهْدًا فِي الخبال. وَالْمَعْصُوم مَنْ عَصَمَ الله.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيح» أَنَّهُ ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد إِلاَّ قَدْ وُكِّل بِهِ قَرِينه**». قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُول الله؟ قَال: «**نَعَمْ، إِلاَّ أَنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرنِي إِلاَّ بِخَيْر**»[1]. وَثَبَتَ فِي «الصحيح»، عَنْ أَنَس فِي قِصَّة زِيَارَة صَفِيَّة للنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُعْتَكِف، وَخُرُوجه مَعَهَا لَيْلًا لِيَرُدّهَا إِلَى مَنْزِلهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَار، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَال رَسُول الله ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّة بِنْت حُيَيّ**». فَقَالا: سُبْحَان الله! يَا رَسُول الله. فَقَال: «**إِنَّ الشَّيْطَان يَجْرِي مِنْ ابْن آدَم مَجْرَى الدَّم، وَإِنِّي خَشِيت أَنْ يَقْذِف فِي قُلُوبكُمَا شَيْئًا. أَوْ قَال: شَرًّا**»[2].

وَقَال الحَافِظ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَحْر، حَدَّثَنَا عَدِيّ بْن أَبِي عُمَارَة، حَدَّثَنَا زِيَاد النُّمَيْرِيّ، عَنْ أَنَس بْن مَالك قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَان وَاضِع خَطْمه عَلَى قَلْب ابْن آدَم، فَإِنْ ذَكَرَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلبه، فَذَلِكَ الوَسْوَاس الخَنَّاس»[3]. غَرِيب.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ عَاصِم، سَمِعْت أَبَا تَمِيمَة يُحَدِّث عَنْ رَدِيف رَسُول الله ﷺ قَال: عَثَرَ بِالنَّبِيّ ﷺ حِمَاره، فَقُلت: تَعِسَ الشَّيْطَان! فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «**لا تَقُل: تَعِسَ الشَّيْطَان، فَإِنَّكَ إِذَا قُلت: تَعِسَ الشَّيْطَان، تَعَاظَمَ، وَقَال: بِقُوَّتِي صَرَعْته. وَإِذَا قُلت: بِسْمِ الله، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِير مِثْل الذُّبَاب**»[4]. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد، إِسْنَاده جَيِّد قَوِيّ، وَفِيهِ دَلالَة عَلَى أَنَّ القَلب مَتَى ذَكَرَ الله تَصَاغَرَ الشَّيْطَان وَغُلِبَ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُر الله تَعَاظَمَ وَغَلَبَ.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر الحَنَفِيّ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاك بْن عُثْمَان، عَنْ سَعِيد الْمَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدكُمْ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِد، جَاءه الشَّيْطَان فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يبس الرَّجُل بِدَابَّتِهِ، فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنَقَهُ أَوْ: أَلْجَمَهُ». قَال أَبُو هُرَيْرَة: وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ، أَمَّا الْمَزْنُوق فَتَرَاهُ مَائِلًا كَذَا لا يَذْكُر الله، وَأَمَّا الْمُلجَم فَفَاتِح فَاهُ لا يَذْكُر الله ﷻ.[5] تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨١٤).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٢١٩)، ومسلم (٢١٧٥).
(٣) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو يعلى (٤٣٩) بسند ضعيف.
(٤) **صحيح**: تقدم.
(٥) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠) بسند ضعيف.

وَقَال سَعِيد بْن جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾، قال: الشَّيْطَان جَاثِم عَلى قَلب ابْن آدَم، فَإِذَا سَهَا وَغَفَل وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ. وَكَذَا قَال مُجَاهِد وَقَتَادَة. وَقَال الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان، عَنْ أَبِيه: ذُكِرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَان، أو الوَسْوَاس يَنْفُث فِي قَلب ابْن آدَم عِنْد الحُزْن وَعِنْد الفَرَح، فَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ. وَقَال العَوْفِيّ عَنْ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، قَال: هُوَ الشَّيْطَان يَأْمُر فَإِذَا أُطِيعَ خَنَسَ. وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ هَل يَخْتَصّ هَذَا بِبَنِي آدَم -كَمَا هُوَ الظَّاهِر- أَوْ يَعُمّ بَنِي آدَم وَالجِنّ؟ فِيهِ قَوْلانِ، وَيَكُونُونَ قَدْ دَخَلُوا فِي لفظ النَّاس تَغْلِيبًا.

وَقَال ابْن جَرِير: وَقَدْ اسْتُعْمِل فِيهِمْ ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فَلا بِدْع فِي إِطْلاق النَّاس عَلَيْهِمْ. وَقَوْله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هَل هُوَ تَفْصِيل لقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ثم بيَّنهم فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، وهذا يقوِّي القول الثاني. وقيل: قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، تفسير للذي يوسوس في صدور الناس مِنْ شَيَاطِين الإِنْس وَالجِنّ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

وَكَمَا قَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع حَدَّثَنَا المَسْعُودِيّ، حَدَّثَنَا أَبُو عمر الدِّمَشْقِيّ، حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن الخَشْخَاش، عَنْ أَبِي ذَرّ قَال: أَتَيْت رَسُول الله ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِد فَجَلسْت، فَقَال: «يَا أَبَا ذَرّ، هَل صَلَّيْت؟». قُلت: لا. قَال: «قُمْ فَصَلِّ». قَال: فَقُمْت فَصَلَّيْت، ثُمَّ جَلسْت، فَقَال: «يَا أَبَا ذَرّ، تَعَوَّذْ بِالله مِنْ شَرِّ شَيَاطِين الإِنْس وَالجِنّ». قَال: قُلت: يَا رَسُول الله، وَللإِنْس شَيَاطِين؟ قَال: «نَعَمْ». قَال: قُلت: يَا رَسُول الله، الصَّلاة؟ قَال: «خَيْر مَوْضُوع، مَنْ شَاءَ أَقَلّ، وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ». قُلت: يَا رَسُول الله، فَالصَّوْم؟ قَال: «فَرْض مُجْزِئ، وَعِنْد الله مَزِيد». قُلت: يَا رَسُول الله، فَالصَّدَقَة؟ قَال: «أَضْعَاف مُضَاعَفَة». قُلت: يَا رَسُول الله، فَأَيّهَا أَفْضَل؟ فقَال: «جَهْد مِنْ مُقِلّ، أَوْ سِرّ إِلى فَقِير». قُلت: يَا رَسُول الله، أَيّ الأَنْبِيَاء كَانَ أَوَّل؟ قَال: «آدَم». قُلت: يَا رَسُول الله، وَنَبِيًّا كَانَ؟ قَال: «نَعَمْ، نَبِيّ مُكَلَّم». قُلت: يَا رَسُول الله، كَمْ المُرْسَلُونَ؟ قَال: «ثَلَثمِائَة وَبِضْعَة عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا». وَقَال مَرَّة: «خَمْسَة عَشَرَ». قُلت: يَا رَسُول الله، أَيّمَا أُنْزِل عَلَيْك أَعْظَم؟ قَال: «آيَة الكُرْسِيّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾».[1] وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث أَبِي عُمَر الدِّمَشْقِيّ بِهِ. وَقَدْ أَخْرَجَ هَذَا الحَدِيث مُطَوَّلًا جِدًّا أَبُو حَاتِم ابْن حِبَّان فِي «صَحِيحه»، بِطَرِيق آخَر، وَلَفْظ آخَر مُطَوَّل جِدًّا، فَالله أَعْلَم.

وَقَال الإِمَام أَحْمَد: حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ سُفْيَان، عَنْ مَنْصُور، عَنْ ذَرّ بْن عَبْد الله الهَمْدَانِيّ، عَنْ عَبْد الله بْن شَدَّاد، عَنْ ابْن عَبَّاس قَال: جَاءَ رَجُل إِلى النَّبِيّ ﷺ فَقَال: يَا رَسُول الله، إِنِّي أُحَدِّث نَفْسِي بِالشَّيْء لأَنْ أَخِرّ مِنْ السَّمَاء أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّم بِهِ قَال: فَقَال النَّبِيّ ﷺ: «الله أَكْبَر، الله أَكْبَر، الحَمْد لله الَّذِي رَدّ كَيْده إِلى الوَسْوَسَة».[2] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ، مِنْ حَدِيث مَنْصُور، زَادَ النَّسَائِيّ: وَالأَعْمَش؛ كِلاهُمَا عَنْ ذَرّ بِهِ.

آخر التَّفْسِير، وَلله الحَمْد وَالمِنَّة

---

(١) حسن: تقدم.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥١١٢)، وأحمد (١/ ٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

فهرس

سورة نوح

تفسير الآيات من ١ - ٨ .....